هدية العدد
الشريعة الإسلامية
صالحة لكل زمان ومكان

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
المحرم ١٤٢٨هـ - فبراير ٢٠٠٧ - الجزء ١ - السنة ٨٠

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ

المحرم ١٤٢٨هـ فبراير ٢٠٠٧م الجزء (١) السنة (٨٠) VOL. 80, Part I.

AL AZHAR MAGAZINE

Al-Muharram, 1428 H. Feb. 2007.
Vol. 80, Part I.

الثمن ١٥٠ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشـرف العـام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

المحـــرم ١٤٢٨هـ - فبـــراير ٢٠٠٧م - الجـــزء الأول - السنة الثمانـــون

افتتاحية العدد

غناء الجسد في القنــــوات الفضائية

كاد عصر الغوازى أن ينقرض، وقد كان لهن شأن فى أوائل القرن الماضى إلى أوسطه فهن مصدر بهجة العامة من القرويين فى الأفراح، وكانت ظاهرة التحلل والاندفاع إلى المجون والخلاعة من أبرز صفاتهن، وكن لا يُلمن على ذلك، لأن الواحدة منهن تكاد تكون مقطوعةً من جذرها، فلا يعترف بها أب أو أم، وقد تُركت بين أيدى المتلبسين باللهو فى الأفراح والموالد لتقوم بدورها، ولن تأخذ من الأجر أكثر ما يكفى مؤونة الطعام والملبس، وهى راضية بذلك.

والذين يقرءون تاريخ مصر الحديث من مبدئه فى عصر محمد على يعرفون أن هؤلاء، كن زينة المباهج والأعراس، وقد ذكر المستر «ادور وليم لين» فى كتابه الذائع «المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم» أنهن يرقصن سافرات فى الطرق العامة لتسلية أخلاط الناس، وعندما يحتفل فى الحريم بعرس أو ميلاد طفل كن يرقصن أمام المنازل، ولا يسمح لهن بالولوج إليها، وقد يدعون لتسلية الرجال فى بعض محافل الأنس مع نفر من الخلعاء، فتظهر ملامح الفجور فيما يأتين من الحركات، وبعضهن لا يلبس عند الرقص أمام الرجال غير «السنتيان» وثوب شفاف شُق صدره إلى منتصفه، وقد تسلسل بهن الزمن حتى رأيناهن فى القرن الماضى فى الحفلات الرسمية، ثم جاءت السينما بمشاهد راقية للممثلات فى الرقص والغناء ضاءلت من منزلة الغوازى فأخذن يجدن أدوارهن فى القرى الفقيرة لمناسبات تدعو إلى البهجة، كما عُرفت مقاهٍ خاصة فى روض الفرج وكلوت بك بإحياء ليال لهن يردها الحشود الهمل من الصناع والعمال، وتقدم الزمن فأخذن فى الانقراض النسبى، وأغنى الراديو والتليفزيون فى محافل العامة عن الكثيرات فكدن يودعن فى غير أسف واشتياق.

ولم تكن ندرى أن عصر الغوازى سيرجع ثانية فى عصر القنوات الفضائية الآن فيما يسمى بغناء الجسد، إذ أصبح الجسد وحده بتبذله الشائن، وتسفله المتحدر هو كل شيء لدى هؤلاء ومن تسمية الأشياء بأسمائها الصحيحة، ألا نطلق على فتيات القنوات لفظ المطربات بل نردهن إلى طبيعة أفعالهن الشائهة فيطلق عليهن غوازى القنوات، إذ أن الجامع بين أولئك وهؤلاء هو الإغراء الجنسى فحسب، وإذا كان غوازى الأمس فقيرات يكتفين بالكفاف مظهراً ومخبراً، فموضع الخلاف الوحيد بينهن أن غوازى القنوات مترفات مدللات يظهرن بمظهر الثراء الفاحش، فى أحاديثهن وصورهن فى الصحف والمجلات، لأن الشاشة تكاد تجردهن من الملبس تماماً ليتحدث الجسد عن كل شيء، وقد كنت أسائل نفسى حين أرى فتاة تتجرد من الضرورى الألزم من الملبس، ثم تحتضن فتى على شاكلتها، ويهربان معاً إلى حمام سباحة لا يظهر غير رأسيهما وهما ينطقان بما يحسبانه غناء وهو هذر مقيت! أقول كنت أسائل نفسى: أليس لهذه (الغزية) الجديدة أب غيور يرى ابنته فى أسوأ موضع يُستقبح فتعصف برأسه نخوة، أليس لهذه (الغزية) أخ شاب يخشى أن يعيره زملاؤه بما تبديه أخته من الانحراف، فيثور فى المنزل طالباً رد شقيقته إلى الصواب! هل ماتت النخوة فى النفوس إلى حد لا تستقبح القبيح بل تباركه وتصطفيه؟ ثم ماذا سيكون من أمرها فى المستقبل؟ أيوجد شاب حرٌ يسمح لنفسه بالاقتران بها فى عقد شرعى صحيح وهو يرى ما سقطت فيه من الابتذال؟! إن الواقع

الشاهد أن الذى سيقع فى شركها زوج من فصيلتها المنحرفة، ولن تستمر حياتهما الزوجية دون عواصف تهب فتعجل بالانفصال، وقد رأينا شواهد من ذلك تتكرر كل حين! لقد كانت (الغزية) القديمة لا ترضى عن نفسها فى أكثر أحوالها، وتتمنى الخلاص السريع على يد رجل يرثى لبلواها فينقذها من الضياع، أما (الغزية الجديدة) فتتباهى بهذه المخجلات المندية وتتقرب للصحافة وأدوات الإعلام كى تكون ذات حظوة فى الدعاية والإعلان. وكأنها أصبحت من نجوم الفن الرفيع بحيث تقاس بمطربة عظيمة كأم كلثوم! أينكر القارىء أن أذكر أم كلثوم فى هذا المجال؟ إنى أذكره لأن أحد الأغرار من المتملقين كتب موازنة بين إحداهن وأم كلثوم، ولم يند وجهه خجلاً وهو يكتب هراءه الماجن؛ وكيف يخجل من قوله، والأفعال الشائنة القبيحة لم تعد موضع خجل، بل تؤدى على رءوس الأشهاد! فهل نعيب الأقوال؟

أكاذيب وأوضاع تنكرها الأخلاق

إن خطورة هذا السقوط لا تقف عند حد! لأن القنوات الفضائية قد اقتحمت المنازل وأصبحت مصدر البهجة والاسترواح! وبأثرها المريع ضاع كل توجيه خلقى أو إرشاد دينى! فبالله ما يكون سلوك الطالب الناشىء إذا رأى مظاهر الدعارة أمامه تدعوه إلى اقتراف الإثم، والبحث عنه! أيجديه أن يأمره والده بالبعد عن الانحراف؟! أيجديه أن يسمع فى دروس التربية الدينية بالمدرسة آيات الاستقامة والعفاف، وهى مع ذلك لا تُشرح، ولا تترك تأثيرها الصحيح!! دع الشاب المراهق، وانظر إلى الطفل الذى يفتح عينه على مظاهر القبلات والأحضان، وما ينقضى موقف حتى يليه ما هو أخطر وأفدح! لقد كان الطفل من قبل يسمع قصص الجدة والأم، الداعية إلى حسن السلوك فيستجيب، أفيستجيب الآن، وقد افتن القائمون على هذا العبث فى محو كل يوحى بالانضباط، وما تركوا الأطفال وشأنهم، بل كان من برامج هؤلاء تمثيليات خليعة يمثلها الأطفال على الشاشة، فيحتضن الطفل طفلة، ويبادلها القبلات! لقد وصل الهوان بالنشء إلى هوة لا يرجى منها النجاة! أذكر أن بعض الإعلانات الإذاعية أرادت أن تروج لنوع من الجبن، فأتت بعلبة تضم سبع قطع، وأحضرت طفلاً يأكلها، وكلما

أكل قطعة زاد نموه حتى أصبح على الشاشة رجلاً بعد التهام القطع جميعها، وشاهد ذلك بعض الأطفال فأحضر علبة الجبن وجعل يأكل فلم يقدر على غير أربع قطع، ثم ذهب إلى أمه يقول لها إنه لم يكبر ولم تطل قامته كما طالت قامة آكل الجبن فى القناة! وذعرت الأم وجعلت تحدثه بأنه يرى أكاذيب تخالف الحقيقة! فإذا كان هذا تأثير علبة الجبن فى نفس الطفل البرىء! فأى تأثير تحدثه قبلات وأحضان وارتماء على الأرض فى أوضاع تنكرها الأخلاق! إننا إذا استمر الوضع المنكر فى اتجاهه الشائن فسنهوى إلى الانحلال!

غناء راقص أم دعارة صريحة

وألفت القارىء إلى ظاهرة غريبة لا أجد لها مثيلاً بين الظواهر الاجتماعية، ذلك أنك تصادف إجماعاً يكاد يكون كلياً على استهجان هذا السقوط الفنى الكريه، فما تحدث صديقاً عن ألمك مما تشاهد من هذا الانحلال الوضيع حتى تراه قد انفجر كالبركان لاعناً هذا التيار الجارف المبيد، فتحس انه لا يشاركك شعورك فحسب، بل يحمل فى نفسه أضعاف ما تحمل من الغضب والحفيظة، وإذا قلتُ إنى لم أجد مع طول الوقت إنساناً يرحب بهذا المروق فأنا صادق، صادق تماماً، مما يدل على أن هناك رأياً عاماً يقف أمام هذا البلاء الساحق، كما فى صفحات الجرائد على اختلاف اتجاهاتها تنفيس مريح عن هذه المشاعر إذ توالى النقد عاصفاً بكل هذه الخزيات.

أقول إذا كان الاجماع هكذا على فساد هذا الاتجاه، فلماذا لا نجد صدا عملياً يقف فى وجه هذا الخزى السفيه، لدينا نقابات فنية متعددة يتحدث القائمون عليها بنفوذهم القوى مما يرون ويسمعون، ولدينا جمعيات دينية واجتماعية تضم هذا العمل الشائن وتدعو بالثبور والوبال على من أذاعوه وروجوه، ولدينا مجلسا شعب وشورى لا نجد من أعضائهما من يستريح لهذا المنكر الصريح، فلماذا لا يتحرك هؤلاء فى منظومة واحدة أمام وباء يعصف بكيان المجتمع دون أن يسلم من شره صغير أو كبيرة.

قد يقال إن فى استطاعة الأب أن يغلق هذه القنوات وحرم بلاءها فلا يجد النور، ولكن ذلك إن استمر وقتاً فلن يدوم، لأن المراهقين يتطلعون، وكل ممنوع مرغوب، ومن

السهل إذا صدق العزم أن يقدم ذوو الأمر والنهي طلباً إلى القائمين على القنوات العربية، يبصرونهم بما إخالهم لا يجهلونه، فإذا استجابوا فقد حوصر البلاء، وإذا لم يستجيبوا فلابد من التشهير بهم في الصحف والإذاعات الحكومية حتى يهيج عليهم الرأي العام، فيقاطع ما يبغونه من الإعلانات التي لم تنشأ هذه القنوات إلا ابتغاء الكسب السريع عن طريقها، وهو كسب حرام إذا جلب التفكك والانحلال.

ولأول مرة على مدى عمري الطويل أرى ما يسميه بعض الكاتبين الأفاضل بالرقص الأفقي وهو ألا تغني الراقصة واقفة بل تنام على الأرض وتتلوى وتتماجن شبه عارية، ثم يأتي من يداعبها وقد ارتمى فوقها، يُعرض هذا الآن كثيراً كثيراً وحين رأيته لأول مرة كدت أفقد شعوري، وجعلت أتساءل أهذا غناء راقص أم دعارة صريحة؟!

وقد سُجل ذلك في شرائط وأخذ ينتشر في الأسواق على نحو يدعو صريحاً إلى الفاحشة! أما الكلمات التي تتألف منها الأغنية فقد فقدت تماماً أي معنى، وأصبحت غريبة لا موضع لها، إذ المهم هو المنظر الإباحي وحده، ويخيل إليّ أن هذا التطور الفني القاتل أصبح هدفاً مقصوداً لذاته. فقد اختفت من الساحة تماماً كل أغنية تدعو إلى غير الحب الماجن، وكأن العلاقة الجنسية قد أصبحت كل شيء في الغناء، وكانت لدينا أغنيات وطنية واجتماعية ودينية وأناشيد حماسية فانمحى ذلك كله فيما نراه في هذه الفضائيات العابثة حتى في المواسم الاجتماعية كعيد الأم، لم نعد نسمع أو نرى ما كنا نسمع ونرى من قبل، مما يؤكد أن هناك هدفاً مرسوماً لتسويغ الإباحية باسم الفن.

مخطط أجنبي

وأعود للغوازي فأذكر أن في بعض أغاني هؤلاء ما كان يترك الحب إلى المسائل الاجتماعية كمحاربة المخدرات، وزواج الصغيرات الفقيرات بالشيوخ الكبار فإذا كانت أغاني العوالم قد تخطت مسائل الجنس في أحيان متوالية إلى مشكلات المجتمع، أفيجوز أن تهمل هذه اللمحات الواعية، ونقصر الغناء على الأحضان والقبلات والنوم على الأرض في مواضع قد يأنف منها الحيوان، إن بعض خطباء المساجد قد أعلنوا في صراحة أن هناك مخططاً أجنبياً يدعو إلى تدمير قواعد الدين تحت ستار العولمة باصطفاء هذه


حافظ إبراهيم

الفضائح المندية، وتقديمها على أنها نموذج من الفن البديع المتجاوب مع العصر، وأنا مع هؤلاء مهما وصفوا لدى المتحللين بالتزمت والرجعية! لقد كنا ننكر هز البطون والأرداف والخصور ونعد ذلك انحداراً سوقياً لا صلة له بالفن. فماذا نقول عن الارتماء على الأرض وقُبلات من يحوط المرتمية بذراعيه، وكأنه في مخدع الزوجية؟! أليس ذلك هو العهر الصريح؟! إن العالمة أو الغازية الجاهلة التي لم تتخرج في كلية أو معهد عال لم تبلغ من الوقاحة أن تنام. ويرتمي فوقها صديقها المنحل، ولو بعث أجدادنا من القبور ورأوا هذه الخزيات لآثروا أن يرجعوا إلى الأجداث بعد أن انحدرت المُثل إلى ما تحت الحضيض!

هبوط وإسفاف في أكرم المناسبات

لقد احتفلت القناة المصرية هذا العام بليلة عيد الميلاد، فأقامت حفلة ساهرة، كانت مطربتها إحدى هؤلاء الجريئات، والمناسبة الدينية الجليلة كانت تدعو إلى احترام الذكرى العاطرة شكلاً وموضوعاً في وقت حزين مؤلم سالت فيه دماء الغدر الشنيع بفلسطين والعراق، وبلغ التأزم ببعض النفوس أن امتنع أصحابها عن سماع نشرات الأنباء كيلا تتضاعف أشجانهم بما يرون ويسمعون. أفما كان من المنتظر أن يختار القائمون على الحفلة الساهرة من يبرعون ومن يبرعن في محاكاة القصائد القديمة المناسبة. فتأتي من تحاكي فيروز في قصيدة (القدس لنا) ويأتي من يحاكي محمد عبدالوهاب في قصيدة (أخي جاوز الظالمون المدى) يُختار من الشباب من يغني قصيدة علي محمود طه (عيد الميلاد) التي تصور رسالة المسيح في المحبة والسلام! لو تم ذلك لكان الفن ذا رسالة في تهدئة النفوس واستراحة الخواطر، ولأعادت الشاشة ذكرى الحفلات العاطرة التي أحيتها أم كلثوم حين كانت تغني روائع الشعر العربي لأمثال شوقي، وحافظ، وأبي فراس الحمداني، وإقبال، ممن لاتزال قصائدهم ترن في الآذان على جناح الحمامة الصادحة أم كلثوم، ولكن مفاجأة الجمهور بهذا العبث كان مدعاة لسهر هازىء، ونقد صارم قامت به الصحف الملتزمة وأولها جريدة «الوفد» التي جعلت صدر الصفحة الأولى في اليوم التالي استنكاراً لهذا العبث! وكأن القائمين على الحفلة قد

تناسوا رسالة الإعلام والفن معاً. وانصرفوا مع الشباب العابث فى استثارة الأهواء وإشاعة مظاهر الهبوط والإسفاف فى أكرم المناسبات!



إقبال — شوقى

عندما ردد الأميون أشعار شوقى

لقد أشرت إلى حفلات أم كلثوم لأسجل هذه النهضة الفنية الملتزمة التى نترحم عليها الآن تلك التى جعلت الأميين من العامة يرددون أشعار شوقى معجبين، وأذكر أنى فى تلك الأيام رأيت من يحضر إلى منزلى ممن لا يقرءون ولا يكتبون، وهو نشوان طرب لما سمعه من تغريد أم كلثوم فى قصيدة (ولد الهدى) وذُهلت حين أخذ يسألنى عن معنى قول الشاعر «والوحى يقطر سلسلاً من سلسل» فأخذت أذكر له ما يقرب الصورة على نحو يستسيغه إدراكه المحدود، وحين قال لى إنه تأثر بالقصيدة لدرجة باعدت بينه وبين النوم طيلة الليل وأنا أعلم حقيقة إدراكه، حين ذلك تذكرت أبا تمام الشاعر العباسى وقد سمع مغنية فارسية تشدو بلغة لا يفهمها فأدركه من الحنين ما عبر عنه بقوله:

ولم أفهم معانيها ولكن ... شجت كبدى فلم أجهل شجاها

وأحب أن أقول للواتى يتخالعن ويتمايلن أثناء الغناء، إن المطربة الأصيلة لا تجعل من الحركات العابثة عوناً للإجادة والاستحسان. فالصوت الجميل وحده سيد الموقف تماماً، وما كانت هذه الخلاعات الماجنة إلا انتقاصاً مزرياً لما تؤديه من غناء له احترامه الأصيل، ونحن نقرأ عن شهيرات المطربات فى العصر العباسى أنهن لم يكن من هذا الطراز المملول، فالشاعر الكبير ابن الرومى يصف مطربة عصره (وحيد) فى قصيدة تكاد تكون من أحسن ما قال فيقول عنها:

تتغنى كأنها لا تغنى ... من سكون الأوصال وهى تجيد

فهذه التى تؤدى بارع النغمات، ورائق المعانى تعتمد على صوتها وحدها، وهى فى سكوتها الملتزم تتغنى وكأنها لا تغنى، ومع ذلك هام بها الجمهور هُياماً عبّر عنه ابن

الأزهر

الرومى فى قوله:

عيبها أنها إذا غنت الأحرا ... ر ظلوا وهم لديها عبيد

أدعياء القلم.. والتملق الرخيص

وبعد، فلا ينكر أحد علىّ أن أصف هؤلاء بما ينطبق عليهن دون إجحاف، لأنى فى الجهة المقابلة، رأيت من أدعياء القلم من يفرد لهن الصفحات فى المجلات الفنية إطراء وتمجيداً حتى ليرتفع بهن إلى مستوى المجيدات النابغات ممن اشتهرن بالجودة والإبداع، وفى هؤلاء من يتحدث عن النجمة (اللامعة) التى لم تمض عاماً أو عامين فى مسيرتها الفنية، حديث المبهور ويقدم للقارىء حواراً يتضمن تاريخها الفنى! الذى لا حقيقة له، ثم تظهر الصورة على الغلاف مبهرة مشيدة بالنجمة المتألقة! وإطلاق وصف النجمة أو النجم على المطرب المبتدىء إسفاف يحتاج إلى تصحيح، لأن النبوغ لا يأتى بين يوم وليلة، بل يحتاج إلى عناء طويل حتى يؤتى أكله المستطاب، وكذلك أصبح لدينا نجوم فى الغناء ونجوم فى الكرة أيضاً، تمتلىء الصحف بأنبائهم فتشوه الحقائق، وتجعل منهم قدوة سيئة للشباب، ولا أدرى كيف يكون لدينا نجوم فى الكرة، ونحن لم نحرز انتصاراً واحداً فى ميدان التسابق العالمى، كما لا أدرى كيف تصبح المستهترة العابثة نجمة ساطعة لأنها ابتذلت ملبسها وأسفّت فى غنائها! فإذا كنت قسوت فى هذا المقال، فلن أعدو الواقع فى شىء! ولعل الذين يتملقون هؤلاء المراهقات الهابطات يدركون أنهم يفقدون تقدير المنصفين، ويصمون أنفسهم بما ينبغى أن يتنزهوا عنه من الانحدار والهبوط، إن صاحب القلم ذو رسالة أمينة فى التوجيه والتنويه فإذا لجأ إلى التملق الرخيص، فقد أساء إلى نفسه عن يقين! وقد أسمعت لو ناديت حيا!

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟
بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (الآيات: ١١٩ : ١٢٠)

تدبر معي -أخي القارئ- هذه الآيات مرة أخرى فماذا ترى؟

إنك تراها توجه إلى المؤمنين نداء محببا إلى نفوسهم، محركا حرارة العقيدة في قلوبهم.. حيث نادتهم بصفة الإيمان، ونهتهم في هذا النداء عن اتخاذ أولياء وأصفياء لهم من غير إخوانهم المؤمنين. ولكن هل اكتفت بهذا النهي مع أنه كفيل بحجز المؤمنين عما نهتهم عنه؟

كلا، إنها لم تكتف بذلك، بل ساقت لهم صورة كاملة السمات لأحوال أعدائهم، صورة ناطقة بدخائل نفوسهم، وبمشاعرهم الظاهرة والخفية، وبانفعالاتهم القلبية والجسدية، وبحركاتهم الذاهبة والآيبة، صورة ناطقة بحالهم عندما يلتقون بالمؤمنين، وبحالهم عندما يفارقونهم ويخلون بأنفسهم، أو عندما يلتقون بأمثالهم من الضالين. صورة ناطقة

بسرورهم عندما تصيب المسلمين مصيبة، وبحزنهم عندما يرون المؤمنين في نعمة يسيرة.

صورة ناطقة بموقف المؤمنين منهم وبموقفهم هم من المؤمنين ثم بعد رسم هذه الصورة العجيبة المتكاملة لهم، يسوق القرآن للمؤمنين أسمى وأحكم ألوان التوجيه والإرشاد الذى يجعلهم في مأمن من كيدهم ومكرهم

﴿ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾

أرأيت -يا أخي- كيف ربى القرآن أتباعه أكمل تربية وأحكمها وأسماها؟ إنه نهاهم أولا عن مباطنة أعدائهم، ثم ساق لهم بعد ذلك من أوصافهم وأحوالهم ما يقنعهم ويحملهم على البعد عنهم، ثم أرشدهم إلى الدواء الذى ينجيهم من مكرهم.

فما أحكمه من توجيه. وما أسماه من إرشاد، وإن ذلك ليدل على أن هذا القرآن من عند الله

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟
فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

[النساء: ٨٢]

وإلى هنا تكون سورة آل عمران قد حدثتنا -من بين ما حدثتنا- في مائة وعشرين آية منها، عن بعض الأدلة على وحدانية الله -تعالى-، وعن مظاهر قدرته ورحمته، وعن كتبه التى أنزلها على أنبيائه لسعادة الناس وهدايتهم وعن حب الناس للشهوات وعما هو أسمى وأفضل من هذه الشهوات الزائلة، وعن المجادلات التى حدثت بين النبي ﷺ وبين أهل الكتاب فيما يتعلق بوحدانية الله -تعالى- وبصحة دين الإسلام، وعن جوانب من قصة آل عمران وما اشتملت عليه من عظات وعبر، وعن الشبهات التى أثارها اليهود حول الدعوة الإسلامية والمسالك الخبيثة التي سلكوها في حربهم لها وكيف رد القرآن عليهم بما يفضحهم ويكشف عن كذبهم ويجعل المؤمنين يزدادون إيمانا على إيمانهم.

والخلاصة أن السورة الكريمة من مطلعها إلى هنا قد ساقت -من بين ما ساقت- ألوانا من الحرب النفسية التى شنها أهل الكتاب على الدعوة الإسلامية، وردت عليهم بما يخرس ألسنتهم، ويبصرهم بالحق -إن كانوا طلاب حق- وساقت للمؤمنين من التوجيهات والعظات، ما يهدى قلوبهم، ويصلح بالهم ويكفل لهم النصر على أعدائهم.

وبعد هذا السبح الطويل فى الحديث عما دار بين المسلمين وبين أعدائهم من حرب كلامية وفكرية ونفسية.. انتقلت السورة الكريمة إلى الحديث عن حروب السيف والسنان، وما صاحبها من أفكار وأقوال وأفعال.

فقد حدثتنا السورة الكريمة - في حوالى ستين آية - عن جوانب متعددة من غزوة «أحد» تلك الغزوة التى كانت لها آثارها الهامة في حياة المسلمين وأحوالهم.

ولعل من الخير -قبل أن نبدأ في تفسير الآيات الكريمة التى وردت في سورة آل عمران بشأن هذه الغزوة- أن نسوق خلاصة تاريخية لهذه الغزوة تعين على فهم الآيات المتعلقة بها، فنقول:

كانت غزوة بدر من الغزوات المشهورة فى تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد انتصر المسلمون فيها انتصارا مؤزرا على كفار قريش.

وصمم المشركون على أن يأخذوا بثأرهم من المسلمين، فجمعوا جموعهم وخرجوا فى جيش كبير، ومعهم بعض نسائهم؛ حتى يكون ذلك أبلغ فى استماتة الرجال فى القتال.

ووصل مشركو قريش ومعهم حلفاؤهم إلى أطراف المدينة فى أوائل شوال من السنة الثالثة وكان عددهم يربو على ثلاثة آلاف رجل.

واستشار النبى ﷺ أصحابه فى شأن هؤلاء المشركين الزاحفين إلى المدينة.

فكان رأى بعضهم -ومعظمهم من الشباب- الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة.

وكان من رأى فريق آخر من الصحابة، استدراج المشركين إلى أزقة المدينة ومقاتلتهم بداخلها، وكان النبى ﷺ يميل إلى رأى هذا الفريق، إلا أنه آثر الأخذ برأى الفريق الأول الذى يرى أصحابه الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة؛ نظراً لكثرة عدد القائلين بذلك.

ثم دخل النبى ﷺ بيته، ثم خرج منه وقد لبس آلة حربه، وشعر بعض المسلمين أنهم قد استكرهوا النبى ﷺ على القتال، فأظهروا له الرغبة فى النزول على رأيه، إلا أنه لم يستجب لهم، وقال كلمته التى تعلم الناس الحزم وعدم التردد: «ما ينبغى لنبى لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، لقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس. وانظروا ما أمركم الله به فافعلوه».

ثم خرج النبى ﷺ فى ألف مقاتل من المسلمين حتى نزل قريباً من جبل «أحد» إلا أن «عبدالله بن أبى بن سلول» انسحب فى الطريق بثلث الناس محتجا بأن النبى ﷺ لم يأخذ برأيه، بل أخذ برأى غيره.

وعسكر المسلمون بالشعب من أحد، جاعلين ظهورهم إلى الجبل، ورسم النبى ﷺ الخطة لكسب المعركة، فجاءت خطة محكمة رائعة، فقد وزع الرماة على أماكنهم -وكانوا خمسين راميا-، وقال لهم: «انضحوا الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا. إن كانت لنا أو علينا فالزموا أماكنكم لا نؤتين من قبلكم»(١).

وفى رواية أنه ﷺ قال لهم: «احموا ظهورنا، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا. وإن رأيتمونا نغنم فلا تُشركونا»(٢).

وأخيراً التقى الجمعان، وأذن النبى ﷺ لأتباعه أن يجالدوا أعداءهم، وأظهر المسلمون أسمى صور البطولة والإقدام، وكان شعارهم فى هذا الالتحام «أمت أمت».

وما هى إلا جولات فى أوائل المعركة، حتى ولى المشركون المسلمين الأدبار، ولم يغن عن

(١) مسند الإمام أحمد جـ٦ ص ٣٨٧
(٢) مسند الإمام أحمد

المشركين شئٌ مما كانت تقوم به نسوتهم من تحريض واستنهاض للعزائم.

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله -تعالى- نصره، وصدق وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

ورأى الرماة الهزيمة وهى تحل بقريش، فتطلعت نفوسهم إلى الغنائم، وحاول أميرهم، عبدالله بن جبير أن يمنعهم من ترك أماكنهم عملا بوصية رسول الله ﷺ إلا أن معظمهم تركوا أماكنهم ونزلوا إلى ساحة المعركة ليشاركوا فى جمع الغنائم والأسلاب.

وأدرك خالد بن الوليد -وكان مازال مشركا- أن ظهور المسلمين قد انكشفت بترك الرماة لأماكنهم، فاهتبل الفرصة على عجل، واستدار بمن معه من خيل المشركين خلف المسلمين فأحدق بهم، وأخذ فى مهاجمتهم من مكان ما كانوا ليظنوا أنهم سيهاجمون منه، فقد كانوا يعتمدون على الرماة فى حماية ظهورهم.

وعاد المشركون المنهزمون إلى مقاتلة المسلمين، بعد أن رأوا ما فعله خالد ومن معه. واضطربت صفوف المسلمين للتحول الفاجىء الذى حدث لهم، إلا أن فريقا منهم أخذ يقاتل ببسالة وصبر. واستشهد عدد كبير منهم وهم يحاولون شق طريقهم.

وأصيب النبى ﷺ خلال ذلك بجروح بالغة، وأشيع أنه قد قُتل، إلا أنه ﷺ جعل يصيح بالمسلمين: إلىّ عباد الله، إلىّ عباد الله.. فاجتمع إليه نحو ثلاثين رجلا، ودافعوا عنه دفاع الأبطال المخلصين.

ومرت على المسلمين ساعة من أحرج الساعات فى تاريخ الدعوة الإسلامية فقد كان المشركون يهاجمون النبى ﷺ وأصحابه بعناد وحقد، وكان المسلمون مستميتين فى الدفاع عن رسولهم ﷺ وعن أنفسهم.

وكان لهذه الاستماتة آثارها فى تراجع المشركين، وقد ظنوا أنهم قد أخذوا بثأرهم من المسلمين.

وخشى النبى ﷺ أن يكون تراجع المشركين من أجل مهاجمة المدينة، فقال لعلى بن أبى طالب: «اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة. وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فهم يريدون المدينة. فوالذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم، ثم لأناجزنهم فيها».

قال على: فخرجت فى آثارهم فرأيتهم جنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، واتجهوا إلى مكة.

وعندما انصرف أبوسفيان نادى: إن موعدكم بدر العام المقبل. فقال الرسول ﷺ لرجل من أصحابه: «قل له: نعم بيننا وبينك ميعاد».

وانتهت غزوة أحد باستشهاد حوالى سبعين صحابيا من بينهم حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير، وسعد بن الربيع. وغيرهم من الأبطال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وهذه خلاصة لأحداث غزوة أحد كما روتها كتب السيرة.

السنة:

التقوى ثمرة العبادات

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يخطب في حجة الوداع، فقال: «اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم- تدخلوا جنة ربكم»..

[رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح]

الشرح والبيان

هذا حديث عظيم الشأن، جليل القدر، يوضح طريق الجنة، ويبين الأسباب التي تؤدي إلى دخولها، وهي ماثلة في تقوى الله (عز وجل)، وأداء الصلوات الخمس في مواقيتها مستكملة الأركان، مستوفاة الشروط، وأن تؤدى في خشوع وخضوع، وكذلك صيام شهر رمضان إيماناً واحتساباً لوجه الله الكريم، وتأدية الزكاة؛ امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

[التوبة: ١٠٣]

وقوله (ﷺ): «من أدى زكاة ماله ذهب عنه شره» (١)، وكذلك إطاعة أولي الأمر؛ امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

[النساء: ٥٩]

فإذا ما توافرت هذه الأسباب استحق أصحابها دخول الجنة، ودخول الجنة غاية المؤمنين، ومنتهى أملهم. قال تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]

هذا والتقوى هي ثمرة العبادات، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة: ١٨٣]

والتقوى مطلوبة من كل مؤمن يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد (ﷺ) نبياً ورسولاً. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): «حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر»، والتقوى -كما عرفها البعض-: خوف الجليل، والعمل بما في التنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، وهي -في عرف القرآن الكريم- وصية الله للأولين والآخرين. قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾

[النساء: ١٣١]

ومن ثم أمر الله بها الناس جميعاً من لدن آدم إلى قيام الساعة أمراً عاماً. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء: ١]

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

[الحج: ١، ٢]

وأمر المؤمنين بها أمراً خاصاً. قال تعالى:

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ مختلف ج١/ ٥٢٦.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١]

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[الحشر: ١٨]

وأمر بها خاصة الخاصة، وصفوة الصفوة، فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[الأحزاب: ١]

هذا والأصل في التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من غضب الله وعقابه -وقاية تقيه من ذلك؛ بفعل المأمورات، واجتناب المنهيات، والله -سبحانه- أهل لأن يهاب ويخشى، وأن يجلّ ويعظّم في صدور عباده، لما يستحقه من الإجلال والتقديس، وقوة البطش، وشدة البأس:

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

[غافر: ٣]

قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[الزمر: ١٠]

وقد روى الترمذيّ عن أنس (رضي الله عنه) عن النبيّ (ﷺ) قال: (قال الله تعالى: «أنا أهل التقوى، فمن اتقاني، فلم يجعل معي إلهاً آخر - فأنا أهل لأن أغفر له»).. وقد أنشد بعضهم:

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكنّ التقيّ هو السعيد
فتقوى الله خير الزاد ذخراً
.. وعند الله للأتقى مزيد

وأعلى درجات التقوى أن يفعل الإنسان الواجبات، وكذلك المندوبات، وأن ينتهي عن المحرمات، وكذلك المكروهات، بمعنى: أن يتحلى بكل الفضائل، ويتخلى عن كلّ الرذائل، وفي ذلك جاء قوله سبحانه:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٧]

فلا ينبغي أن تفهم التقوى على أنها أداء الواجبات وفقط، فترك المحرّمات مقدم على أداء الواجبات، والقاعدة الشرعية: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، أي: انته عمّا نهى الله، ثم افعل ما أمر الله، ومن ثم كان أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) يقول: «ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير». وكان الحسن يقول: «مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام»، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) - وهو الخليفة الأوّاب، الناطق بالصواب، الذي وافق حكمه حكم الكتاب- يقول: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام»، ولذلك كان أجر التقوى عظيماً، وثوابها عميماً. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

[القمر: ٥٥]

وإنما سمّوا متقين، لأنهم اتقوا ما لا يتقى، أي: خافوا مما لا بأس فيه، ولذلك لما أنزل الله (تبارك وتعالى):

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾

[المؤمنون: ٥٧ إلى ٦٠]

قالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما): «هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟» فأجاب رسول الله (ﷺ): «لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم»:

﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

(المؤمنون: ٦١)

ومن ثمّ أنشد ابن المعتمر:

خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة؛ إنّ الجبال من الحصى.

هذا ولما كانت التقوى تحمل التقيّ على أن يستحي من ربّه، ويستحضر عظمته وسلطانه ورقابته في كلّ زمان ومكان، وعلى كلّ حال، في الليل والنهار، والسّر والعلن، والرضا والغضب، والغنى والفقر، وبالتالي لا يجرؤ على مخالفته، ولا يقصّر في أداء ما أوجب، ولا يدّخر وسعاً في تقديم ما يرضيه؛ فلا يراه ربّه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره- كانت التقوى وصية الله لجميع خلقه، ووصية رسوله (ﷺ) لأمّته، فما بعث رسول الله (ﷺ) قائداً على سريّة، أو أمّر أميراً على جيش إلاّ أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، وكذلك كان رسول الله (ﷺ) في معظم خطبه ومواعظه، فعن العرباض بن سارية (رضي الله عنه) قال: «وعظنا رسول الله (ﷺ) موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودّع، فأوصنا». قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل بدعة ضلالة»[٢].

(٢) صحيح ابن حبان ج١/ ١٧٩ بلفظ مختلف.

هذا وقد اقتدى به (ﷺ) خلفاؤه وأصحابه (عليهم الرضوان) من بعده؛ فها هو ذا الخليفة الأول أبوبكر الصديق (رضى الله عنه) كان يقول فى خطبه: «فإنى أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله»، ولما حضرته الوفاة دعا عمر (رضى الله عنه)، وعهد إليه بالخلافة، ووصّاه بوصيته التى كان أولها: (اتق الله يا عمر).

وعلى نفس الدرب سار عمر (رضى الله عنه)؛ فقد أُثِرَ عنه أنّه كتب إلى ابنه عبدالله: «أما بعد، فإنى أوصيك بتقوى الله - عزّ وجل - فإنّه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك، وجلاء قلبك».

وكتب حفيده عمر بن عبدالعزيز (رضى الله عنه) إلى رجل: «أوصيك بتقوى الله (عز وجل) التى لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلاّ عليها، فإنّ الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنى الله وإياك من المتقين».

والعجب كل العجب من حال بعض الناس، إذا طولب أحدهم بالتقوى التى هى وصية الله لعباده، ووصية رسوله «ﷺ» لهم - غضب، وقال لمن طالبه بذلك: عليك نفسك، وربّما قال: مثلك لا يوصينى بالتقوى.. وينسى أو يتناسى أنّ هذه الصفات هى صفات المنافقين المخدوعين المغرورين. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

[البقرة: ٢٠٦]

وقد روى أنّ يهودياً كانت له حاجة عند أمير المؤمنين هارون الرشيد (رحمه الله) فاختلف إلى بابه سنة، فلم يقض حاجته، فوقف يوماً على الباب، فلما خرج هارون سعى إليه، حتى وقف بين يديه، وقال: «اتق الله يا أمير المؤمنين»، فنزل هارون عن دابّته، وخرّ ساجداً، فلمّا رفع رأسه أمر بحاجته فقضيت، فلما رجع قيل له: يا أمير المؤمنين، نزلت عن دابتك لقول يهودىّ!! قال: لا، ولكن تذكرت قول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

[البقرة: ٢٠٦]

فليتق الله كل من ولى من مصالح العباد شيئاً، ولا داعى للتعقيدات، حتى لا نتعرض للمساءلة أمام الله، فقد قال (ﷺ): «إن الله سائل كل راع عما استرعى؛ حفظ ذلك أم ضيّع»؛ لهذا ينبغى أن نمتنع عن المعاصى ما ظهر منها وما بطن، أما هؤلاء الذين يمتنعون عن المعاصى أمام الناس، ويفعلونها فى الخلوة والسرّ، بعيداً عن أعين الرقباء من البشر، فهم منافقون أو مشركون؛ لأنهم يخشون الناس، ولا يخشون الله، وقد أوحى الله إلى نبىّ من الأنبياء: «قل لقومك: ما بالكم تسترون الذنوب من خلقى، وتظهرونها لى؟! إن كنتم ترون أنى لا أراكم فأنتم مشركون بى، وإن كنتم

ترون أنى أراكم فلم تجعلونى أهون الناظرين إليكم؟!».

هذه هى التقوى، وهؤلاء هم الأتقياء، وقد بشّرهم الله بالأمان من كل خوف، والنعيم المقيم، والفوز العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، قال تعالى:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[يونس ٦٢ : ٦٤]

أخى المسلم، اعلم أنّ تقوى الله خير زاد الآخرة والأولى فاجعلها إلى كلّ خير سبيلك، ومن كل شرّ مهربك، فقد تكفّل الله (عزّ وجل) لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون. وقد قرأ رسول الله (ﷺ):

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

(الطلاق: ٢، ٣)

ثم قال: (يا أبا ذر، لو أنّ الناس كلهّم أخذوا بها لكفتهم)[٢].. هذا وتقوى الله - بعد هذا وذاك - تكفر الذنوب، وتعظم الأجر. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحديد: ٢٨]

وقال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾

[الطلاق: ٥]

فإذا اتقى الإنسان ربّه فيما يعلم ورّثه الله تعالى علم مالم يعلم. قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٨٢]

روى البزّار عن معاذ (رضى الله عنه) أنّ النبىّ (ﷺ) بعثه إلى قوم، فقال: يا رسول الله، أوصنى. فقال: «أفش السلام، وابذل الطعام، واستح من الله استحياء رجل ذى هيئة من أهلك، وإذا أسأت فأحسن، ولتحسن خلقك ما استطعت».

وروى الترمذىّ عن أبى ذرّ (رضى الله عنه) ومعاذ بن جبل (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وفقنا الله جميعاً إلى ما يحب ويرضى.

---

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٢/ ٣٢٤.

وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

وهكذا اختار الله السابقين من المهاجرين والأنصار من تلك العناصر الفريدة النادرة ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين فى مكة ثم ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين فى المدينة مع السابقين من الأنصار الذين وإن كانوا لم يصطلوها فى أول الأمر. كما اصطلاها المهاجرون، إلا أن بيعتهم لرسول الله ﷺ «بيعة العقبة» قد دلت على أن عنصرهم ذو طبيعة أصيلة مكافئة لطبيعة هذا الدين...

الحديث عن الهجرة النبوية الشريفة حديث يتسم بالحلاوة ويتشح بالعبر والعظات، ولقد كان المسلمون الأوائل يعلمون أولادهم تلك العبر والعظات من هجرة الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ومازال المسلمون حتى يومنا هذا يحرصون على زرع تلك المعانى العظيمة والدروس المفيدة فى نفوس الصغار حتى يشبوا على الاعتزاز بدينهم وحتى يغرسوا فى قلوبهم حب العقيدة والتضحية من أجلها.

وتفاصيل الحديث عن الهجرة النبوية معلومة للصغير والكبير، فما منهم من أحد إلا وقد تعلمها وسمع أحداثها وتفاصيلها منذ نعومة أظافره، ولذلك سوف ننحى تفاصيل الهجرة جانبًا ونتحدث عن هؤلاء الذين تركوا ديارهم وأهليهم وأوطانهم فرارًا بدينهم من الاضطهاد والتضييق إلى آفاق أرحب وأوسع، والحديث أيضًا عن هؤلاء الذين آووا ونصروا وقدموا كل ما لديهم لنصرة إخوانهم المهاجرين حتى لقد اقتسموا زوجاتهم مع إخوانهم المهاجرين، فكان الواحد منهم يُطلق إحدى زوجاته؛ كى تتزوج بواحد من هؤلاء الذين تركوا زوجاتهم وأهليهم وأموالهم، وجاءوا إلى تلك الديار كى ينشروا هذا الدين الجديد، وليتخذوا من تلك البلاد من المدينة المنورة قاعدة ينطلق منها دين الله ليشع نوره فى بقاع الأرض.

ولقد صور القرآن الكريم - أعظم تصوير - صورة كل من المهاجرين والأنصار فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، وتأتى هذه الصورة وضيئة صادقة، فتبين أهم الملامح المميزة للمهاجرين الذين أخرجوا إخراجًا من ديارهم وأموالهم، وأكرههم على الخروج بالأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم فى مكة لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله، وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾

(الفتح: ٢٩)

اعتمادهم على الله فى فضله ورضوانه لا ملجأ لهم سواه ولا جناب لهم إلا حماه، وهم مع أنهم مطاردون قليلون:

﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(الحشر: ٨)

بقلوبهم وسيوفهم فى أحرج الساعات وأضيق الأوقات:

﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

(الحشر: ٨)

الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله فى أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله فى أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق فى أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر: ٩)

وهذه كذلك صورة مضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار هذه المجموعة التى تميزت وتفردت بصفات وبلغت إلى آفاق لو أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلامًا طائرة ورؤى مجنحة، ومثلًا عليا قد صاغها خيال محلق، وقد صورت لنا الآية الكريمة أعظم تصوير ما كان من هؤلاء الذين تبوءوا الدار والإيمان وسكنوا يثرب قبل وصول المهاجرين إليها، فهل بعد قوله - تعالى - فى شأنهم:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾

(الحشر: ٩)

حب وبذل

ولم يعرف تاريخ البشرية حادثًا جماعيًا كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخى، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء.. حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر فى دار أنصارى إلا بقرعة؛ لأن عدد الراغبين فى الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين:

﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾

(الحشر: ٩)

أى: مما يناله المهاجرون من مقام مفضل فى

بعض المواضع، ومن مال يختصون به كهذا الفىء، فلا يجدون فى أنفسهم شيئًا من هذا، ولا يقولون حسدًا ولا ضيقًا، إنما يقولون شيئًا مما يوحى بالفطاطة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئًا أصلاً.. كما أن من صفات هؤلاء الأنصار صفة الإيثار:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(الحشر: ٩)

والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا وقد بلغ إليها الأنصار مبلغا ربما لم تشهد له البشرية نظيرا، وكانوا كذلك فى كل مرة وفى كل حالة خارقة بصورة خارقة لمألوف البشر قديمًا وحديثًا.. وهؤلاء يعيدون عن الشح والبخل، ولذلك تقول الآية الكريمة:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر: ٩)

وذلك لأن هذا الشح شح النفس هو المعوق عن كل خير لأن الخير بذل فى صورة من الصور– بذل فى المال، وبذل فى العاطفة، وبذل فى الجهد، وبذل فى الحياة عند الاقتضاء – وما يمكن أن يصنع الخير شحيح إنما يهمه دائمًا أن يأخذ ولا يهمه مرة أن يعطى، ومن يوق شح نفسه فقد وقى هذا المعوّق عن الخير فانطلق إليه معطيًا باذلاً كريمًا وهو الفلاح فى حقيقة معناه.

وبذلك تكونت للإسلام من المهاجرين والأنصار قاعدة صلبة من أصلب العناصر عودًا فى المجتمع العربى...

مجتمع المدينة المنورة

وهكذا اختار الله السابقين من المهاجرين والأنصار من تلك العناصر الفريدة النادرة ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين فى مكة ثم ليكونوا هم القاعدة الصلبة لهذا الدين فى المدينة مع السابقين من الأنصار الذين وإن كانوا لم يصطلوها فى أول الأمر، كما اصطلاها المهاجرون، إلا أن بيعتهم لرسول الله ﷺ «بيعة العقبة» قد دلت على أن عنصرهم ذو طبيعة أصيلة مكافئة لطبيعة هذا الدين...

يقول ابن كثير فى تفسيره: قال عبدالله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ﷺ: (يعنى ليلة العقبة) [اشترط لربك ولنفسك ما شئت]. فقال: «أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» قالوا: فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك؟. قال: «الجنة» قالوا: [ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل].. ولهذا فإن البنية الأساسية لقوام المجتمع المسلم فى المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ ظل هذا المجتمع سليمًا لاعتماده على تلك القاعدة من البنية الأساسية الصلبة الخالصة المكونة من السابقين من المهاجرين والأنصار وما تحدثه من تماسك وصلابة فى قوامه فى وجه جميع الأعراض والظواهر والخلخلة أحيانًا والتعرض للمخاطر التى تكشف عن هذه العناصر التى لم يتم بعد نضجها ونضجها وتماسكها وتناسقها، ورويدًا رويدًا كانت هذه العناصر تمتزج وتتطهر وتتناسق مع القاعدة، ويقل عدد الناشزين من

ضعاف القلوب ومن المنافقين ومن المترددين كذلك والخائفين والذين لم تتضح لديهم العقيدة التى على أساسها يقيمون علاقاتهم مع الآخرين. حتى إذا كان قبيل فتح مكة كان المجتمع الإسلامى أقرب ما يكون إلى التناسق التام مع قاعدته الصلبة الخالصة وأقرب ما يكون بجملته إلى النموذج الذى يهدف إلى اتباع الصراط المستقيم وهو المنهج التربوى الربانى الفريد.. فماذا وصف القرآن هؤلاء السابقون من المهاجرين والأنصار؟، وماذا أعد لهم من جزاء؟. يقول القرآن الكريم فى حقهم:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١٠٠)

والمقصود برضا الله عنهم هو الرضا الذى تتبعه المثوبة وهو فى ذاته أعلى وأكرم مثوبة، ورضاهم عن الله هو الاطمئنان إليه ـ سبحانه ـ والثقة بقدره وحسن الظن لقضائه والشكر على نعمائه، والصبر على ابتلائه، والتعبير بالرضا يشيع جو الرضا الشامل الغامر المتبادل، الوافر الوارد الصادر بين الله ـ سبحانه ـ وهذه الصفوة المختارة من عباده، ويرفع من شأن هذه الصفوة من البشر حتى ليبادلون ربهم الرضا، وهو ربهم الأعلى وهم عبيده، وهو حال، وشأن، وجو لا تملك الألفاظ البشرية أن تعبر عنه، ولكن يتضح ويستجلى من النص القرآنى بالروح المتطلع والقلب المتفتح والحس الموصول، ذلك حالهم الدائم مع ربهم.

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

(التوبة: ١٠٠)

وهناك تنتظرهم علامة هذا الرضا ومثوبته:

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١٠٠)

وأى فوز بعد هذا وذلك عظيم..

الأخوة الحقيقية

وهكذا نرى أن تلك القاعدة الأساسية من هؤلاء الذين سبقوا فى إيمانهم وسبقوا بهجرتهم وسبقوا فى سكناهم، وتبوءوا الدار والإيمان، قد ضربوا للمسلمين أروع الأمثلة فى هذا الحب وفى تلك الأخوة الخارقة التى سمت بمعنى الأخوة إلى معنى أسمى من معنى الأرحام، والآباء والأمهات، إنها الإخوة الصادقة فى الله وفى العقيدة التى لاتعدلها إخوة ولا يعدلها رحم ولا نسب.. ولهذا حق لهم أن يقول القرآن الكريم عنهم:

﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

(التوبة: ١٠٠)

والله الهادى إلى سواء السبيل....

من جنود الله فى طريق الهجرة:

العنكبـــوت

أ.د. محمد فتحى فرج بيومى

كانت الهجرة فاتحة خير بالنسبة للمسلمين والدعوة الإسلامية على السواء. فقد تهيأت من خلالها سبل النصر للمسلمين، وتألقت من ضيائها أنوار الهداية لترسل بأشعتها فى كل اتجاه من أرجاء المعمورة، ومن ثم فقد فطن الفاروق عمر - رضى الله عنه - إلى أهمية هذا الحدث، فجعل منه بداية التقويم الهجرى، مع أن الإسلام قد بدأ فى إرسال أشعته الهادية قبل ذلك بسنوات، بيد أن هذا الحدث بالذات، كان بمثابة الرحم الحقيقية، التى انبثقت منها دولة الإسلام ووحدة المسلمين.

وحدث بهذه الخطورة والأهمية، لابد وأن محمداً ﷺ قد أعدّ له العُدة، ووفر له من عوامل النجاح ما لابد منه، خاصة وأن أعداءه المتربصين بالإسلام والمسلمين لم يكونوا ليتركوه لتقوى شوكة الإسلام والمسلمين فى يثرب، فيصبح ذلك خطرا يهدد تجارتهم ودينهم بل ومستقبلهم كله.

أما مؤازرة الله، التى نصر بها دينه ونبيه وأولياءه، فى وقت الشدة، وفى ذروة الحدث، فقد تمثلت فى مخلوقات ضعيفة، وكائنات بسيطة، لا حول لها ولا قوة، كالعنكبوت والحمامة والشجرة، إلا أن الله تعالى قد جعل من هذه المخلوقات جنودا قوية، استطاعت أن تضلل المشركين وتوقعهم فى حيرة من أمر أنفسهم، بل وفوتت عليهم فرصة التمكن من محمد ﷺ وصاحبه، وإلحاق الأذى بهما، وقد بيّتوا النية على الفتك بهما حال العثور عليهما.

وفى ذلك يقول الدكتور هيكل، فى كتابه الرائع «حياة محمد»:

أقام النبى وصاحبه بالغار (غار ثور) ثلاثة أيام، كانت قريش أثناءها تجدُّ فى طلبهما غير وانية. وكيف لا تفعل وهى ترى الخطر محدق بها إن هى لم تدرك محمدا ولم تحُل بينه وبين يثرب؟! أما الرجلان فأقاما بالغار ومحمد لا يفتر عن ذكر الله؛ ......، وأقبل فتيان قريش، من كل بطن رجل، بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم يدورون باحثين فى كل اتجاه. ولقوا راعيا على مقربة من الغار سألوه. فكان جوابه قد يكونان بالغار، وإن كنت لم أر أحدا أمّه.

وتصبب أبوبكر عرقا حين سمع جواب الراعى، وخاف أن يقتحم الباحثون عنهما الغار، فأمسك أنفاسه وبقى لا حراك به وأسلم لله أمره. أقبل بعض القرشيين يتسلقون إلى الغار، ثم عاد أحدهم أدراجه. فسأله أصحابه: ما لك لم تنظر فى الغار؟ فقال: إن عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد، وقد رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس أحد فيه. ويزداد محمد إمعانا فى الصلاة ويزداد أبوبكر خوفا، فيقترب من صاحبه ويلصق نفسه به، فيهمس محمد فى أذنه: لا تحزن! إن الله معنا.

ثم قال أبوبكر: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، فأجابه النبى: يا أبابكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما!



هيكل

وزاد القرشيون اقتناعا بأن الغار ليس به أحد أن رأوا الشجرة تدلت فروعها إلى فوهته، ولا سبيل إلى الدخول إليه من غير إزالة هذه الفروع. إذ ذاك انصرفوا وسمع اللاجئان تناديهم للأوبة من حيث أتوا؛ فازداد أبوبكر إيمانا بالله ورسوله، ونادى محمد: الحمدلله، الله أكبر[1].

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[التوبة: ٤٠]

ويبدو أن من هذه الجنود، التى قامت بدور كبير فى تضليل الكفار، وصرف أذهانهم عمن عسى أن يكون فى الغار، كائن حىّ ضعيف يُعرف بالعنكبوت.

(١) د. محمد حسين هيكل (٠٠٠-٢٠٠٠)، حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص٢٢٥).

فهل لنا أن نعرف شيئاً عن هذا الحيوان، وموقعه من دنيا الإنسان؟

وقبل ذلك نقول: إن للعنكبوت في كتاب الله سورة، نزلت بعد سورة «الروم»، إلا أنها تأتى فى ترتيب المصحف قبلها مباشرة، وقد بلغت آياتها تسعا وستين. وقد ورد ذكر العنكبوت فيها، فى الآية رقم ٤١ مرة واحدة، من قوله تعالى:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤١)

وعندما ننظر إلى الآيتين السابقتين (الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة والآية رقم ٤١ من سورة العنكبوت) نستنتج أن الله - جلت حكمته - قد نصر عبده ونبيه ودينه بجنود منها العنكبوت وخيوطها التى تصنع منها «أوهن البيوت»، وهذا فى حد ذاته لطمة قوية فى وجوه الكفار وسخرية من تدبيرهم وخططهم وتجمعهم الشرير. وقبل ذلك، وبعده، فقد أحبط الله كيدهم وأبطل مكرهم، وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[الأنفال: ٣٠]

ونعود للعنكبوت، الذى سخره الله تعالى لنصرة نبيه ورسالته إلى العالمين، فهذا المخلوق الضعيف، الذى يظن كثير من الناس أنه حشرة وما هو كذلك، فماذا يكون على وجه التحديد؟

ينتمى هذا الكائن الحى إلى رتبة العنكبوتيات Araneida التى تعيش فى عديد من البيئات المتباينة، من شواطىء البحار إلى قمم الجبال، ومن الصحارى القاحلة إلى المستنقعات والغابات الاستوائية. وتتبع هذه الرتبة طائفة العنكبيات Arachnida، التى تضم إلى جانب رتبة العنكبوتيات، رتبا أخرى كرتبة العقاربيات ورتبة القراديات، وغيرها من الرتب. أما طائفة العنكبيات فهى تتبع شعبة مفصليات الأرجل التى تضم أكثر من ٩٠٪ من جميع الأنواع الحيوانية المعروفة على الأرض.

وتعتبر العنكبوتيات من أنجح رتب طائفة العنكبيات، وتتميز حيواناتها بوجود أربعة أزواج من الأقدام (وليس ثلاثة كما فى الحشرات)، كما أن أجسامها مقسمة إلى منطقتين فقط (وليس ثلاث كما فى الحشرات أيضا). ومعظم حيوانات هذه الرتبة تستخدم خيوط الحرير الذى تصنعه بمغازلها. هذا، وتشل العنكبوت حركة فريستها عادة باستخدام السم الذى قد يستخدم أيضا فى عملية هضم الفريسة التى يقوم الحيوان بامتصاص سوائل جسمها حتى تجف تماما.

أهمية العناكب ومخاطرها

تصل أنواع العناكب إلى أكثر من ثلاثين ألف نوع، وهى مهمة جدا بالنسبة للإنسان، فهى تخلصه من كثير من الحشرات والهوام الضارة. فالكثير من العناكب يقوم بغزل خيوط رفيعة تشبه الحرير، على هيئة شبكات متباينة الطرز، وعندما تقع فيها الحشرات الطائرة، لاسيما فى أجزائها اللزجة، تخرج العنكبوت من مخبئها حيث توجد الحشرة، فتقوم أولا بتخديرها أو شل حركتها، عن طريق نفث سم خاص، تخزنه فى غدة السم وتستخدمه لهذا الغرض ثم تنقض عليها.

أما لسعة العنكبوت المعروفة «بالأرملة السوداء» فسامة وقد تؤدى إلى الموت، بينما يقتصر ضرر الأنواع الأخرى على قبح منظرها وبشاعة شكلها، إذ أنها تشبه حيوان السرطان بأرجلها المميزة التى تمتد حولها فى كل اتجاه. وجدير بالذكر أنه يوجد فى أمريكا الجنوبية، بعض الأنواع من العناكب الآكلة للطيور، حيث يبلغ طولها حوالى ٩سم، أما طول أرجلها فقد يصل إلى ربع المتر.

خيوط العنكبوت

لا علاقة بهذا العنوان الجانبى وكتاب المرحوم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى المعروف بهذا العنوان، ولكننا نعنى بالفعل أهمية هذه الخيوط الحريرية ووظائفها البيولوجية المهمة فى حياة العنكبوت.



المازنى

والحق أن جوانب حيوية كثيرة فى حياة العناكب مرتبطة بهذه الخيوط، وقدرة العناكب على إنتاجها، ومن أهم هذه الوظائف: استخدام هذه الخيوط، التى تغزلها أنثى هذا الحيوان، لبناء بيتها وربما استخدمت بعض خيوطها كدليل يرشدها لطريق العودة إلى عشها. وقد تستخدمها فى عمل شرانق لحماية بيضها وبعض أطوارها غير الناضجة، ومن بين وظائفها أيضا استخدام صغار العنكبوت لهذه الخيوط للطيران، إلى مواطن جديدة؛ لتقطنها وتعيش فيها، كما أن ثمة أنواع من العناكب تستخدم هذه الخيوط فى الإيقاع بفرائسها واصطيادها، وإضافة إلى ذلك فإن معظم العناكب تستخدم هذه الخيوط كمخاطيف عند تنقلها من مكان لآخر، حيث تقوم بتثبيتها على الدعامات الملساء، فيحول ذلك دون سقوط العناكب، إذ أنها تساعدها على استعادة وضعها، وحتى لو سقطت فإنها تساعدها على تجنب الوقوع فى براثن أعدائها، كما تستخدم بعض العناكب هذه الخيوط فى اقتناص فرائسها.

أما من ناحية التركيب الكيميائى لهذه الخيوط الحريرية فهى عبارة عن بروتينات

سائلة، تنتجها الغدد البطنية، لا تلبث أن تتصلب بمجرد انسيابها من الأنابيب الدقيقة وتعرُضها للهواء. والجدير بالذكر أنه بعد قيام هذه الخيوط بوظائفها، تلتهمها العناكب مرة أخرى؛ لتساعدها فى تصنيع خيوط جديدة منها، وربما يتم تدوير واستخدام ٩٠٪ منها فى انتاج خيوط جديدة خلال نصف ساعة فقط.

كيفية صنع الخيوط

توجد فى نهاية منطقة البطن، فى كثير من العناكب ثلاثة أزواج من المغازل، يتألف كل منها من مئات من الأنابيب المجهرية (الدقيقة)، حتى إذا انساب السائل الحريرى من الغدد سالفة الذكر، فإنه يمر من خلال هذه الأنابيب الدقيقة، وبمجرد أن يتم ذلك وتتعرض هذه التراكيب للهواء، فإنها تتصلب وتصبح خيوطا دقيقة، تقوم بصنعها بطريقتها الخاصة وبشكل هندسى بديع، ونظام وترتيب محكمين.

أوهن البيوت

تتميز إناث العنكبوت بكبر حجمها بالنسبة لأحجام الذكور الضئيلة، والعناكب انفرادية فى معيشتها، على النقيض من النحل والنمل، فهذه الأنواع من الكائنات اجتماعية متماسكة، ولا تستطيع العيش إلا فى جماعات متعاونة، وكل فرد منها يقوم بدور محدد، بينما تعيش أفراد العنكبوت فى عزلة عن بعضها البعض، فضلا عن ضعفها وهوانها المادى والتركيبى. ويضاف إلى ذلك أيضا غرابة العلاقة الزوجية عند العنكبوت، فحين يقترب ذكر العنكبوت من أنثاه وقت التزاوج فإنه يقترب منها بحرص وحذر شديدين مخافة أن تفترسه الأنثى، وبعد أن يطمئن إليها تبدأ مرحلة الغزل قبل عملية التسافد، التى ما إن تتم حتى يلوذ الذكر بالفرار، وإلا يفعل فقد تفترسه الأنثى وتجعل منه وجبة سائغة تلتهمها دون أن تلوى على شىء، بعد أن أدى واجبه من الناحية البيولوجية. ومن كل ما تقدم، يتضح لنا جليا، أن بيت العنكبوت ليس ضعيفا واهيا من الناحية المادية والتركيبية فحسب، ولكنه أيضا من أوهن البيوت من ناحية البنية الاجتماعية والسلوكية، وصدق القرآن الكريم الذى أشار إلى ذلك قبل ما يربو على أربعة عشر قرنا من الزمان.

وبالإضافة إلى كل ما تقدم فإن بيت العنكبوت يعتبر من البيوت المكشوفة، التى لا تُخفى ما بداخلها عن عيون وملاحظة أعدائها الطبيعيين، وفضلا عن ذلك فإن أية مؤثرات ميكانيكية ضعيفة أو أى هجوم بسيط، يمكن أن يهدم البيت على رءوس ساكنيه، فهو من أوهن البيوت ماديا واجتماعيا وبنائيا، ومع ذلك فقد جنده الله ـ تعالى ـ لنصرة نبيه ورسالته فى أحرج المواقف وأصعبها، وقد ألهم ذلك كثيرا من الشعراء من بينهم أمير الشعراء أحمد شوقى

-رحمه الله- الذى قال فى ذلك:

سلْ عصبة الشرك حول الغار سائمة
لولا مطاردة المختار لم تسم
هل أبصروا الأثر الوضاء، أم سمعوا
همس التسابيح والقرآن من أمِ؟
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم
كالغاب والحائمات الزغب كالرخم؟
فأدبروا، ووجوهُ الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم[2]

أما الشاعر الكبير المرحوم الأستاذ محمود حسن إسماعيل، فقد تعرض لوصف جانب من الهجرة النبوية المباركة، فى قصيدة له بعنوان «معجزة العنكبوت»، وهو يصوِّر العنكبوت وهى تغنى، بينما هى منهمكة فى نسج خيوطها بعد أن دخل النبى وصاحبه الغار فيقول:

فى سبيل الله دورى يا خيوطى فى الأثير
أنا نسّاج الحصونِ الشم من أوهى الستور
وقف الدهر على بابى مذعور الضمير
أنا شك جاء يحمى كل إيمان الدهور
أرسلتنى قدرة الله أمان المستجير
قد وهى بيتى.. ولكن صار محراب العصور
بالذى أخفى من الأنوار فى وجه البشير
فارفعى يا حكمتى سدا على بطش المغير
وتغنى يا خيوطى ثم دورى! ثم دورى![3]

وفى قصيدة أخرى للشاعر نفسه يصوِّر ما صنعت العنكبوت إذ يقول:

العنكبوت، وما أدراك ما صنعت
يداه يأسا.... طغاة الأرض تخشاه
بنى من الضعف حصنا لو تساق له
شمّ المقادير، لاندكت لرؤياه[4]

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن نذكر حقيقة علمية كشف عنها العلم الحديث مؤخرا، وتتلخص فى أن أنثى العنكبوت هى التى تقوم بغزل الخيوط ونسجها لصنع بيتها، ولأغراض أخرى كما ذكرنا آنفا، وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية قبل أربعة عشر قرنا من الزمان حيث أشار الحق ـ تبارك وتعالى ـ إلى العنكبوت كمؤنث وليس كمذكر فى قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

[العنكبوت: ٤١]

---

(٢) أحمد شوقى (١٩٩٣) الشوقيات. الجزء الأول. مكتبة مصر. ص٢٨٧.

(٣) محمود حسن إسماعيل (١٩٥٩). نار وأصفاد. مكتبة الأنجلو المصرية. ص٢٣.

(٤) المصدر السابق، من قصيدة الشاعر بعنوان «النور المهاجر» مع اعادة ترتيب البيتين. ص٢١.

خطبة الجمعة (*) :



المدينة دار الهجرة

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله. تبارك وتعالي. وأحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله هو ولي النعمة ومصدر الرحمة.. ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله. نبي الرحمة وقائد الملحمة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وأصلي وأسلم علي أنبياء الله ورسله، وعلي خاتمهم سيدنا محمد، وعلي آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلي يوم الدين، وأستفتح بالذي هو خير:

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤]

(*) ١٧ من المحرم سنة ١٣٩٢هـ ـ ٣ من مارس سنة ١٩٧٢م.

يا أتباع محمد ـ عليه الصلاة والسلام....

نحن في شهر الهجرة، فلم نبعد عن مواطن التفكير فيها والتدبر لها وأخذ العبرة منها، وقد كانت الهجرة كما عرفنا معركة من معارك الخلاص بالحق إلي المكان الحصين الأمين، وكانت درسا بارعا في التخطيط والتنظيم، ومن بين الدلائل علي ذلك اختيار الرسول للمدينة بالذات لتكون دار الهجرة. فقد كان هناك أكثر من سبب لهذا الاختيار، فبيئة المدينة أولاً: بيئة زراعية، والبيئة الزراعية يغلب علي أهلها التفكر في ملكوت السماوات والأرض، والتدبر لقدرة الله على الإبداع والخلق، لأنهم يرون أمامهم الأرض الهامدة الخالية يوضع فيها البذر، ويسقي بالماء، فإذا قدرة الله ـ العلي الكبير ـ تحيل هذا البذر شجراً وثمراً، وقد أشار القرآن إلي ذلك مرات كثيرة، فقال:

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

[النحل: ٦٥]

وقال:

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

[الحج: ٥]

دار الهجرة

فأهل المدينة إذن كانوا أكثر استعداداً لتقبل دعوة الله الخالق من أهل مكة ذات البيئة التجارية التي يغلب عليها الانصراف إلى الكسب والربح وكنز المال.

واختار الرسول المدينة دار هجرة لأن الجو فيها كان قد تهيأ لاستقبال الدعوة الفاتحة بالهدى والنور، فإن بيعات العقبة الثلاث قد أوجدت للإسلام في المدينة ركناً، وللرسول أتباعاً، وللمسلمين أنصاراً، وتردد في بيوت الأنصار صوت القرآن وكلمة الإيمان، فإذا هاجر إليهم رسول الله ﷺ وجد لديهم المعاونة والنصرة، وخاصة بعد أن أسلم مع أهل البيعات الثلاث عدد آخر من أهل المدينة، بفضل الله أولاً، ثم بمجهود الأنصار ثانياً، ومجهود السفير الأول للرسول وهو مصعب بن عمير - رضي الله عليه- فكان إسلام هؤلاء قد صار ركيزة تستند إليها الهجرة، فتجد روح الأمان والاطمئنان، كما ينبغي أن نتذكر هنا أن أخوال الرسول ﷺ من بني النجار كانوا في المدينة، فإذا هاجر إليها لم تكن هجرته غريبة ولا عجيبة، فإن التواصل بين الأرحام، والتعاطف بين الأقارب، مما لا تستنكره الإنسانية العاقلة الفاضلة في أي عصر من العصور وعلى فرض أن هؤلاء الأقارب لن يكونوا بأجمعهم من

أهل الدعوة الجديدة، فإنهم لن يجحدوا حق القرابة والرحم فى حسن الاستقبال على الأقل، ونحن نجد السيرة العطرة تحدثنا بأن طائفة من بنات بنى النجار استقبلن الرسول المهاجر على أبواب المدينة وهن يرددن نشيد التحية والاحتفال بالقادم العظيم ـ عليه الصلاة والتسليم ـ :

طلع البدر علينا .. من ثنيات الوداع

ذكريات لا تنسى

واختار الرسول المدينة دارهجرة، وكان من حقه أن يفعل، ففى المدينة يرقد والده عبدالله الذى لم يره الرسول، حيث رحل الوالد فى تجارة له، وأدركه الموت هناك فى المدينة، والرسول يومئذ جنين فى بطن أمه الطاهرة، فكان من الطبيعى أن تتعلق ذاكرة الرسول بموت أبيه ومثواه، وأن يهفو قلبه إلى البقعة التى ضمته إلى الأبد. كما أن هذه الذكرى توجد أمام الناس على الأقل تسويغًا لمحمد أن يرحل إلى المدينة فيجد فيها وفيما حولها من يقدر هذه الذكرى ويرعى حرمة صاحبها، ويضاف إلى هذا أيضًا أن أم الرسول الطهور (آمنة بنت وهب) ترقد فى مثواها الأخير على الطريق بين مكة والمدينة، فقد رحلت ذات يوم إلى المدينة وابنها مازال وليدًا ناشئًا، ثم عادت تريد مكة، فأدركها أجلها وهى فى الطريق، فدفنوها هناك، فظل قلب الوليد النقى الزكى معلقًا بهذه الذكرة التى ترتبط بالطريق الممتد بين مكة والمدينة، فإذا اتجه النبى بخطواته إلى هذا الطريق لغايته الكبرى فى حماية الدين وتبليغ دعوته، لم يبعد أن يتذكر الناس وجود قبر أمه آمنة فى هذه الناحية، فلا يستخفون بالمشاعر الإنسانية التى تنبعث فى صدر الإنسان فى مثل هذا المقام، وقد يحسب كثير منهم أن خطوات المهاجر الأعظم ـ لو عرفوه ـ مرتبطة بأمر هذه الذكرى، لا بالأمر الكبير الذى هاجر الرسول ﷺ من أجله ـ وهو إعلاء كلمة الله بين عباد الله فى الأرض.

موقع استراتيجى

واختار الرسول ﷺ المدينة دار هجرة، لأنها تتوسط الطريق بين مكة والشام، ولأهل مكة المشركين ارتباط وثيق بالشام، فإليها رحلتهم كل عام، وفيها تدور تجارتهم ونشاطهم الاقتصادى، ويصدرون إليها ويستوردون منها، وهؤلاء هم الذين آذوا رسول الله ﷺ والذين آمنوا معه، وعذبوهم واضطهدوهم وأكلوا حقوقهم وأخرجوهم من ديارهم، فالمدينة إذن موقع استراتيجى مهم جداً، يستطيع المسلمون فيه أن يقطعوا الطريق فيه على المشركين، ويهددوهم فى رحلاتهم وتجاراتهم، مادامو طغاة متجبرين، والبادئ أظلم.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾

[الشورى: ٣٩]

لؤم اليهود

واختار الرسول ﷺ المدينة دار هجرة، لأن اليهود اللئام كانوا يتجمعون فيها وحولها، وكانوا يثيرون بين أهلها كثيراً من الجدل الدينى والحوار الاعتقادى، وكانوا يرددون بين أهل المدينة أنه سيظهر نبى جديد فى الجزيرة، وأنهم ـ أى اليهود ـ سيؤمنون به ويتبعونه، ثم يهاجمون أهل المدينة ليوسعوهم تعذيبًا وتقتيلاً، فرأى أهل المدينة أن يسبقوا اليهود إلى الإيمان بهذا النبى ﷺ، حتى يفوزوا ويفلحوا، وكذلك كان، وبذلك هيأ الله تعالى بين أهل المدينة جوًا صالحًا لمتابعة هذا النبى الكريم، حتى يتخلصوا من لؤم اليهود وإجرامهم، وليجدوا عند الرسول ﷺ الأجوبة الشافية الكافية عن الأسئلة والاستفسارات الدينية التى كان اليهود يبثونها بينهم بنية التضليل والتمويه.

لم يبق إلا المدينة

وأخيراً اختار الرسول ﷺ المدينة دار هجرة، لأنه كان يتطلع حوله فيجد ثلاثة بلاد، هى مكة والطائف والمدينة، أما مكة فقد ضاقت بالدعوة وتمرد أهلها المشركون عليها، ولم تبق صالحة للمقام، وأما الطائف فقد حاول الرسول أن يجذب أهلها إلى الصراط فأبوا وتمردوا واعتدوا على الرسول ﷺ حتى أسالوا منه الدم، وحتى لجأ الرسول إلى ربه يدعوه ويقول له: «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يارب العالمين، ويا أرحم الراحمين، أنت ربى، إلى من تكلنى.....»[1]. إلخ.

فلم يبق إلا المدينة، يوجهه الله تبارك وتعالى إليها، ويؤيده بنصره وهداه حتى يتحقق النصر والفتح العظيم.

يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم...

إنها ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين، وإنها لعبرة والعبرة توقظ النائمين، فلنتعلم ولنتقدم، ولنعد إلى صراط الله، وهدى رسول الله ﷺ، فهناك الدواء والشفاء، والضياء والغذاء.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[المائدة: ٥٠]

(١) سيرة ابن هشام

المهاجرون إلى الله

للدكتور / حمدي فتوح والي

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(التوبة ٢٠ ـ ٢٤)

هذه الآيات من سورة التوبة، وهي سورة مدنية نزلت في آخر أيام رسول الله ﷺ في حجة الوداع، أو يوم الحج الأكبر.

وهذا يعني أنها من أواخر ما نزل من القرآن، فهي لا تتحدث عن كيفية الهجرة تاريخيا، وإنما تحدد للهجرة سمات تبين طبيعتها في كل زمان.

إن الآيات تثني على الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وتعدهم جنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها نعيم مقيم.

وتحفزهم إلى هذا النعيم المقيم بأن تطلب منهم أن يهاجروا ويجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

فأي هجرة تريدها الآيات الكريمات؟. أليس في هذا الحث دلالة على بقاء الهجرة واستمرارها، وترتب على هذا العمل الفوز بالجنة والبشارة برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم دائم خالدين في جنة الله. ولا أجد بعد هذا النعيم وتحفيز الهمم لتحصيله إلا في هذا المقام؟.

وإني لأتساءل: إن كان هذا النعيم كله للمهاجرين في سبيل الله. فهل الهجرة بهذه المشقة التي تستحق كل هذا النعيم المقيم؟. وأليست الهجرة مرحلة زمنية انتهت بهجرة رسول الله ﷺ وإقامة دولة الإسلام في المدينة؟. وإذا كانت الهجرة قد انتهت، فما الذي تعنيه الآيات بهذا التحريض والتحفيز على الهجرة معبرة عن جزيل الأجر لمن يهاجر، فتعدهم بصيغة المضارع الدال على الاستمرار والاستقبال بالبشارة برحمة الله ورضوانه وجناته الدائمة الخالدة؟. فماذا بقي من الهجرة كي نفعله فنحظى بهذا الفضل العظيم وهذا الأجر الكريم؟!!.

إن الباقي من الهجرة هو أخطر ما فيها وأقدسه.. إنه الهجر والتحول والترك، هجر الباطل إلى الحق، والتحول من الفسوق والشرك إلى الإيمان والتوحيد، وترك ما عليه المبطلون ومعانقة ما عليه الصالحون.

وهذه الهجرة وإن بدت سهلة ميسورة، فإنها أشق عمل تفعله النفس التي ألفت الإثم ومارست الذنب وانشرحت صدرا بالفساد والعدوان.

ولهذا استحقت إذ تغلبت على كل جواذبها الأرضية والطينية أن تنال رضاء الله ورحمته وجناته.

وإذا لم تستطع التغلب على تلك الجواذب وقهرها؛ فإنها لن تستطيع الهجرة، ولن تكون أهلا لهذا النعيم العظيم.

إن السنوات الثلاث عشرة التي مرت على المؤمنين في مكة كانت بمثابة التمهيد والتهيئة لحدث الهجرة العظيم.

واليوم ما زلنا نستنفر المسلمين إلى الهجرة، لكن مع فارق وحيد هو أن رسول الله ﷺ بذل الجهد كاملا في تربية القلوب والنفوس حتى دانت تلك النفوس والقلوب عندما دعيت إلى ذلك، فكانت الهجرة حالة مفاصلة بين الشرك والتوحيد وبين الإيمان والكفر، وكما نريدها نحن اليوم حالة مفاصلة بين التصورات الخاطئة والممارسات الشائنة والتفلت الأحمق والانحلال الرهيب، وبين العقيدة الصحيحة والسلوكيات الإيمانية والانقياد لأوامر الدين.

الفارق الكبير هو أن رسول الله ﷺ بذل الجهد في تربية النفوس وتهذيب القلوب، أما نحن اليوم فنريد هجرة بغير جهد يبذل وبغير جهاد دعوى يثمر، ودون الوصول بالناس إلى مرحلة المفاصلة التي يكونون بها قد كرهوا المنكر وسئموا الباطل واشتاقوا إلى حياة الطهر والنقاء.

إن النماذج التي شاركت في الهجرة تفاوتت مواقعها بحسب قوة الإيمان وعمق اليقين: فهذا أبوبكر الصديق يتلقى النبأ بشوق وفرح خارق وسعادة غامرة، ويعبر عن ذلك بقوله للرسول ﷺ عندما أخبره: الصحبة الصحبة يا

رسول الله. أى أسألك الصحبة والرفقة. وهذا عمر بن الخطاب يصر على أن تكون هجرته نصرا للإسلام والمسلمين، فيخرج مجاهرا معلنا متحديا أهل مكة، قائلا: «من أراد أن تثكله أمه فليتبعنى وراء هذا الوادى»، فما تبعه من القوم أحد.

وهذا مصعب بن عمير، يُساوَم على ماله وداره وأرضه، فيعلن استعداده للتنازل عن هذا كله نظير تخليهم عنه ليلحق برسول الله ﷺ.

وهذا أبو سلمة وأم سلمة التى مكثت عاماً كاملاً تصبح كل يوم لتجلس على الطريق بين مكة والمدينة تتحسس أخبار المسلمين وتتلمس وسيلة تحملها إلى المدينة، حيث رسول الله ﷺ وأصحابه بعد أن أبدت استعدادها للتنازل عن ولدها لآل أبى سلمة عندما أصروا على ذلك نظير سماحهم لها بالهجرة.

ويدل على أن الهجرة كانت تحتاج إلى هذا الصقل النفسى العميق أن كثيراً من المسلمين لم يهاجروا ولم يجدوا الطاقة النفسية للتنازل عن الأهل والمال والولد والوطن وأن يخرجوا من ذلك كله إلى بلد لم يعرفوه، وصديق لم يألفوه.

ومن هنا جاءت المفاصلة بين من هاجر ومن أبى الهجرة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾

[الأنفال: ٧٢]

مع اليقين بأن:

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

ولم يكن من باب المصادفة أن يأتى بعد هاتين الآيتين آية الولاء والبراء والمفاصلة، وهى قوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

ثم يصل الأمر إلى درجة التخيير بين الولاء لله والولاء لعاطفة الأبوة والبنوة والأخوة واختيار الأهل والوطن فى قوله - تعالى -:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

إن الهجرة التى تمت على عهد رسول الله ﷺ واستحقت أن يؤرخ بها التاريخ الإسلامى، هى نفسها الهجرة التى نذكر بها اليوم، وهى هجرة ما عليه الناس من الانحراف والانحلال والفسوق والتصورات الخاطئة فى مجال العقيدة والدين ومجالات العلوم والفنون.

وهذه الهجرة لا يمكن أن تتم إلا بعد قناعة

أكيدة بفساد هذا الواقع، وضرورة تغييره، سواء باليد أو باللسان.

وهذه القناعة التى ننشدها لن تأتى بمجرد الكلمات أو الأمنيات، ولكن لابد من فهم عميق وتكوين دقيق وعمل دائب وجهد متواصل وإخلاص كامل، وأن يستشعر القائم بالتغيير بأنه يؤدى فريضة مقدسة وعملا صالحا لا يضارعه أى عمل آخر، وهو ما نفهمه من قول الحق - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(فصلت: ٣٣)

وهذه المهمة المقدسة العظيمة لن تكون سهلة ميسورة، وإنما ستحتاج إلى نوع من الجهاد المتواصل والعمل الدءوب، حتى تثمر ثمرتها التى سعد المسلمون بها من قبل.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

إن الهجرة ليست حدثًا تاريخيًا وقع مرة وانتهى، وإنما هى تشريع حركى ينبغى على أهل الدعوة تفهم حقيقته وإدراك مغازيه.

إنه عمل قلبى لابد أن يتم لكى يهيىء الطريق لمرحلة أخرى لا تتم إلا به؛ وهى الانتقال السلوكى والأخلاقى والتشريعى والروحى إلى مقام:

﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾

(البقرة: ١٩٣)

إنه لابد من إشعار مَن يدعوه بأن الواقع الذى يمارسه واقع خاطئ زائف لا ينتسب إلى الإسلام ولا يقبل عند الله. فإن استقر ذلك فى نفسه؛ فلابد أن يصاب بحالة من القلق تجعله يبحث عن البديل الصحيح. هذه الحالة النفسية التى تعنى القلق وعدم الاستقرار هى المحرك الأساسى لطلب الهجرة.

لكن الأزمة تكون طاحنة ومعقدة عندما يستثار إلى الهجرة ثم لا يجد الوطن النفسى والروحى الذى يلجأ إليه ويجد الأنس والملجأ فيه.

وهذا الخلل الخطير هو مسئولية الدعاة إلى الله ممَّن نجحوا فى إظهار زيف الواقع وكشف عواره وبواره، لكنهم لم ينجحوا فى تقديم البديل السليم الذى يحمل الأخ الجديد على اللجوء إليه والاندماج فيه، فلم يزيدوا على أن أصابوا الناس بنوع من الإحباط والقلق والتمرد وعدم الشعور بالرضا ثم تركوهم على هذه الحال. وهى حال كما ترى ليست مريحة ولا سعيدة ولا منتجة ولا سوية.

ومن هنا كان لابد للداعية الموفق أن يملك القدرة على الأمرين معاً. أمر إظهار زيف الواقع وأمر تقديم الواقع الإسلامى ناصعا واضحا جميلاً.

فهل يعنى إخواننا الدعاة والخطباء أن مجرد الدعوة السلبية والوعظ النظرى مرحلة

لا تتفق مع واقع الناس اليوم؛ فالوعظ السلبي قد يجدي بعد أن يستقر البناء العقدي ويطمئن الإنسان إلى رسوخه وثباته، فيحتاج إلى من يقوي هذا الرسوخ ويعمق هذا الإيمان فيذكره بواجباته ويشحذ همته للمحافظة على ما هو عليه.

لكن من غير المقبول والمعقول أن تخاطب المريض بلغة الوقاية وقد نشب به المرض، وتخاطب الصحيح بلغة العلاج.

إن الوقاية للصحيح مجدية حتى لا يصير مريضا، ولكن المريض لا يجدي معه الوعظ ليتقي المرض، بل لابد من تشخيص الداء وتعاطي الدواء، ثم تحصينه؛ وهذا لئلا يصاب ثانية أو ينتكس.

فالهجرة إذن عمل قلبي وبدني، فالقلب يتخلص من شعور الإنسان بالإثم تجاه ما يمارسه من منهج في حياته. ويجد في نفسه ألمًا وندمًا لما مر به من سلوك هذا المنهج. ثم يستجمع رغبة شديدة أكيدة للتخلص من هذا الواقع الأثيم. بعدها لابد أن يغير واقعه بترك المكان الذي ألف الإثم والذنب فيه وترك الدوائر التي كان يتحرك فيها، وترك الأفكار والأخلاق والممارسات التي كانت حياته تقوم عليها، والبحث عن رفقة جديدة ووجوه جديدة يعينونه على ما نوى من الطاعة والالتزام بمنهج الله، وعندها يجد نفسه مع بداية الحلقة الثانية، أو الدائرة الثانية المتمثلة في الشعور بالأخوة.

الأخوة ليست معنى قلبيًا خالصًا، إنما هي مظهر يضم بداخله جماعة من المؤمنين بالله حق الإيمان، والمعتصمين بحبله والمتفقين على ضرورة قيام شريعته في أرضه.

إنه يعني آخر سعي إلى إقامة كيان جديد يختلف عن هذا الكيان القديم.

إن هذا الكيان الجديد بما ضم من لبنات صالحة تقية نقية توجل من ذكر الله وتزداد إيمانًا لسماع آيات الله، ويحسنون التوكل على الله، ويتزودون دائمًا بالصلاة والزكاة.

هذا الكيان يمثل مظهرًا من مظاهر الإنسان المدني الذي انتقل من مكة إلى المدينة، من مكة حيث العمل الفردي، إلى المدينة حيث الدولة الناهضة والقلوب المتوحدة والجهود المتعاضدة، والاتفاق الحازم على ضرورة قيام دولة إسلامية.

إنها المرحلة التي يمثلها قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

[الحجرات: ١٠]

وهي مرحلة تتطلب من الأخ الداعية أن يكون لديه وعاء يحفظ فيه صيده ولا يترك الصيد ليعود إلى البحر.

وقد علمنا رسول الله ﷺ في مرحلة الإسلام الأولى في مكة المكرمة كيف يصنع المحاضن الآمنة التي تؤوي المهتدين من المسارعين إلى الإسلام ممثلة في دار الأرقم وغيرها.

من وحي الهجرة

المصباح المنير

للشاعر: أحمد مصطفى حافظ

هجرة المبعوث.. يا كنز الدهور ... في الدياجي.. أنت مصباح منير
يملأ الدنيا ضياء وسنا ... وخير الدين والدنيا يشير
فالأولى ذاقوا صنوفًا من أذى ... بحصار محكم من حول دور
لا يطيقون بضر مسهم ... في سبيل الله كم يشجي الصبير
كان فيهم بالهدى خير الورى ... حسبهم هذا الصبر وحبور
كل إعنات بدا مستعذبا ... ساق أجرا.. في (شعاب) وثغور
يتمنون افتداء (المصطفى) ... أي خدش مسه يدمي الصدور
قوة الإيمان في قلب حوى ... مثل هذا الوجد.. جلت عن نظير!

•••

لم يبالوا نقص زاد أو ظما ... فغذاء الروح موفور غزير
نحو (يثرب) كم طاب السرى ... لعباد شاقهم حسن المصير
.. فغني ترك القصر، وما ... كان فيه.. من رياش وحرير
كفقير في هجير.. قد مضى ... في الفيافي.. ما له شروى نقير
وليوث أخرجوا من دورهم ... واستعدوا لرجوع مستطير!
وكما السهم يعود القهقرى ... لانقضاض نحو نحر للشرور
.. ساقهم إيمانهم في قوة ... لا يبالون بوعثاء المسير

•••

وتوالوا في احتشاد عارم ... يضمرون العود في وقت يسير
يمحقون الشرك في إقدامهم ... (فتح مكة) جاء بالنصر الكبير
قال خير الخلق للأسرى وقد ... مثلوا في موقف مزر عسير
ما تظنون صنيعي معكم ... فأجابوا: الخير.. يا كريما وقدير
قال: أنتم طلقاء كلكم ... إن ربي لعفو وغفور

وقفة مع النفس فى ذكرى هجرة المصطفى ﷺ

ثقافة أمتنا فى مواجهة التحديات

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن ثقافة أمتنا الإسلامية، قائمة على ثوابت محكمة، وعلى أصول ربانية، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

فعلى هدى كتاب الله ـ تعالى ـ وهدى سنة رسوله ﷺ قامت أعرق ثقافة فى الوجود، وحين نتمسك بهذه الأصول وتلك الثوابت لن نضل ولن نخزى، كما قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا.. كتاب الله وسنتى»(١).

ومن ينابيع هذه الثقافة، تدفقت روافد حضارية، وانطلقت إلى دنيا الناس، فبعثت فيها الحياة والنماء والازدهار.

وفى فترة من فترات الزمن، استطاع أعداء أمتنا أن يتعرفوا على سر قوتنا، منتهزين فترة الضعف والخمول، والفرقة والخلاف، فنهضوا فى محاولة شغل الأمة عن ثوابتها وعقيدتها ودينها لأنهم أيقنوا أنه لا قرار لهم ولا قوة فى ظل هذه الثقافة التى لا تستمد قوتها من البشر أو الأرض، بل تستمدها من الهدى السماوى، والكتاب الإلهى الذى يهدى للتى هى أقوم، والذى يدعو إلى الاعتصام بحبل الله.

وأدرك أعداء أمتنا أن ثقافة هذه الأمة، يسندها إيمان راسخ وعقيدة لا تؤثر فيها عواصف الحياة، حين يكون الإيمان قويا بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وحين يترجم بعمل تطبيقى صالح، فلا خوف على الأمة من ظلم أو عدوان، أو بغى أو بهتان قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

[طه: ١١٢]

والإيمان يمنح المؤمنين قوة لا تعادلها قوة فى الوجود، لا يخاف مع إيمانه بخسا ولا نقصانا، ولا يرهقه ظلم ولا يحمل إثم غيره.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾

[الجن: ١٣]

وإن تغيير أحوال الأمة، من حال إلى حال، رهن بتغيير ما بأنفسنا؛ لأن التغيير إنما هو بيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو الحكيم الخبير العادل فى حكمه.

فيقتضى العدل الإلهى لا يسلب الله ـ سبحانه وتعالى ـ نعمته من قوم، ولا يغير أحوالهم من السراء إلى الضراء أو من الرخاء إلى الشدة، إلا بسبب تغييرهم ما بأنفسهم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: ١١]

روى ابن أبى حاتم ـ بسنده ـ عن جهم عن إبراهيم قال: «أوحى الله إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله ـ تعالى ـ ويتحولون منها إلى معصية الله، إلا حول عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون، ثم قال: إن تصديق ذلك فى كتاب الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾»

[الرعد: ١١]

إنه قانون سماوى لا يتخلف، فمن حاد عن منهج الله، وغير ما هو عليه من سلوك الطريق المستقيم فإن الله يغير ما به من نعمة وخير، فالأمر بيد الله وحده المانح والمانع، وبيده مقاليد السماوات والأرض، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شىء قدير.

وما من أمة تركت دعوة ربها، وكفرت به، وجحدت نعمه إلا أذاقها الله لباس الجوع والخوف، وضلت فى متاهات الحياة، وأصبحت أثرا بعد عين، وما من أمة أخرى تنصر دين ربها، وتتبع منهج الحق والعدل، وتقيم شريعة الله إلا مكن الله لها فى الأرض ونصرها على أعدائها، فإن النصر والتمكين فى الأرض لا يأتى إلا بنصر دين الله:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

[محمد: ٧]

فسمات الذين ينصرهم الله ويمكن لهم، أنهم ينصرون دين ربهم، ويطبقون تعاليمه ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويؤدون واجبهم أمام الله، ويوجهون أمتهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[الحج: ٤٠، ٤١]

(١) موطأ مالك: كتاب الجامع حديث رقم ١٣٩٥.

فمن غير ما هو عليه من معصية وشر، وتاب إلى ربه وأناب، وأخلص فى اتجاهه إلى الله فإن الله يغير ما هو فيه من خوف إلى أمن، ومن فقر إلى رخاء وسعة.. قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[الأعراف: ٩٦]

لقد وضّح لنا القرآن الكريم دروساً وعبراً لأمم سلفت، وحضارات بادت، امتحن أصحابها، وابتلاهم الله - تعالى - بالبأساء والضراء، أى بالضيق فى العيش والأسقام والعلل، لعلهم يتضرعون، فيخلصون لله - تعالى - فى توجهم وإنابتهم، وفى أعمالهم وعباداتهم، وكان عليهم حين ابتلوا بالبأساء أن يتضرعوا، ويخضعوا لربهم، ليصرف عنهم العذاب والبلاء، ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون، فلما تركوا ما أمرهم الله به، ونسوا الله فنسيهم، فتح الله عليهم أبواب كل شىء من المال والرخاء والصحة وسائر وسائل القوة ليملى لهم.

حتى إذا فرحوا بما أملى لهم به أخذهم فجأة، فإذا بهم مخذولون محزونون منقطعون، لا تقوم لهم قائمة بعد، هكذا يحدثنا القرآن الكريم فى قول الله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الأنعام: ٤٢-٤٥]

فإذا رأينا أمة من الأمم أو دولة من الدول تتمادى فى الظلم والعدوان، والبغى والطغيان، ومع هذا نرى أنه فتح عليهم أبواب كل شىء من حضارة بلغت الذروة فيها، ومن مال وثراء، وقوة ورخاء، وقد ازدادوا مع هذا فى عتوّهم واستكبارهم فرحين بما أوتوا، فإن الله - تعالى - يملى لهم، وهو - سبحانه - يمهل ولا يهمل، فإذا جاء وعده وإرادته أخذهم بغتة وقطع دابرهم.

وكم شاهدنا فى تاريخ الأمم نظائر هذا لأمم مُحيت، وحضارات ولّت مدبرة ولم يعد لها وجود، وذلك بسبب طغيانهم وظلمهم:

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾

[النمل: ٥٢]

إن سمات الذين ينصرهم الله ويمكن لهم فى الأرض أنهم ينصرون دين ربهم ويطبقون شريعته، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويؤدون واجبهم ويوثقون صلتهم بربهم - سبحانه وتعالى - وصلتهم بالمجتمع الذى يعيشون فيه، فيتضامنون ويتعاونون، ويوجهون أمتهم أفراداً وجماعات إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، فلا يحيدون عن هذا النهج الواضح القويم، قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

[الحج: ٤٠، ٤١]

ولدينا أمثلة واضحة صادقة، لما حدث بالأمم السابقة، حين كذبوا وغيروا، فحاق بهم العذاب على مختلف أنواعه، فقوم نوح لما تمادوا فى التكذيب والضلال والمخالفة وما آمن معه إلا قليل، أغرقهم الله.. قال - تعالى -:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾

[الأعراف: ٦٤]

وها هم ثمود وعاد لما تمردوا وعتوا عن أمر ربهم أهلكهم الله:

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾

[الحاقة: ٦-٨]

وإذا كان تغيير الإنسان لما هو فيه من طاعة وعبودية، ونكوصه عن طريق الخير، وسلوكه غير سبيل المؤمنين، يورده موارد الهلاك، ويسلب منه ما هو فيه من نعمة وخير ورزق وأمان، فإن العكس بالعكس، فمن غير ما هو عليه من معصية وشر، وتاب إلى ربه وأناب، وأخلص فى اتجاهه إلى الله، فإن الله يغير ما هو فيه من خوف إلى أمن، ومن فقر وشدّة إلى رزق واسع ورخاء، قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

[الأعراف: ٩٦]

ومن النماذج التى وضحها القرآن الكريم لمن كفر بنعمة الله فغيّر الله - تعالى - ما به قول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

[النحل: ١١٢]

وإن الإنسان المؤمن القوى بالله، معتز بدينه، وهو فى عزة إيمانه يأبى الهوان والضيم، ويأبى الذلة والخضوع، ولا يخشع ولا يخضع إلا لله الخالق العظيم.

وقد صان الحق - تبارك وتعالى - شخصية الأمة الإسلامية من التردّى فى مهاوى الذلة والضعة، وأوضح - سبحانه - أنه لا يكشف الضُّر غيره، ولا يستطيع أحد أن يرد خيراً أراده الله للإنسان، قال - سبحانه -:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾

[يونس: ١٠٧]

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[فاطر: ٢]

ومن هنا تشرف شخصية الأمة الإسلامية، محوطة بالكرامة، وبالعزة التى ألبسها الإسلام إياها، فهى لا تستكين لأحد من أجل ضر نزل بها فلا كاشف له إلا الله، ولا تخشى رد الخير من أحد فلا راد لفضل الله.

ومن كلام بعض السلف: «يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك؟. وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك؟.».

وكان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ يقول: «اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك».

ومن سمات المؤمن الصادق الإيمان أنه شاكر فى السراء، وصابر فى الضراء، كما قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.

والمجتمع المؤمن لا يسأل إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يخشى إن تجمع أعداؤه مهما كان عددهم وعدتهم فلن يصيبه إلا ما كتبه الله له، ولن يصل له إلا ما قدره الله عليه.. وبهذا الإيمان يغدو فى حياته قويا كريم النفس..

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال لى: يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى.

وفى رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً».

فعلى أمتنا أن تعى منهج الإصلاح وهى تواجه التحديات، حتى تستطيع مواجهتها، وتحقيق النصر على أعدائها بفضل الله العزيز الحكيم.

***

فى ذكرى هجرة الحبيب المصطفى ﷺ

عندما نحقق باللين ما لا نحققه بالشدة

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

كان مصعب بن عمير، وأسعد بن زرارة يدعوان الناس إلى الله ـ تعالى ـ فى المدينة المنورة قبل الهجرة، وتعرض لهما «أسيد بن حضير» وكان سيد قومه قائلا:

● من جاء بكما إلى حيِّنا تسفهان ضعفاءنا؟. اعتزلانا إذا كنتما لا تريدان الخروج من حياة، أى إن كنتما حريصين على الحياة..

● فقال له مصعب ـ رضى الله عنه ـ: أو لا تجلس فتسمع؟. فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره!!

فتأثر «أسيد بن حضير» فجلس، وأنصت، وألقى حربته، وبعد أن فرغ «مصعب» ـ رضى الله عنه ـ من تلاوة القرآن وبيان مبادئ الإسلام أعلن «أسيد» إسلامه، وتبعه من قومه كثيرون.

صعوبة الموقف

والموقف هنا حافل بالدروس والعبر، فهو أولاً: صعب.. لأن الداعية مهدد بالموت لو استمر فى دعوته؛ والتهديد آت من القادر على تنفيذه، وهو «أسيد» سيد قومه فى الوقت الذى يحس فى الداعية بالغربة فى ديار بعيدة: بلا أهل ولا عشيرة، وماذا عسى أن يفعل زميله «أسعد» إزاء جبهة قوية قادرة على وضع نهاية لحياته مع أخيه مصعب؟

ومن ناحية أخرى: فمعنى السكوت والكف عن الدعوة أن ينتهى دور «مصعب» وإعلان إفلاس الداعية المرسل من قبل رسول الله ﷺ ليفتح للدعوة سوقا رابحة بعد أن حاولت الوثنية خنقها فى مكة المكرمة.

حساسيات عائلية

أضف إلى ذلك أن «أسعد بن زرارة»:

أ - أنصارى.. و«أسيد» أنصارى.

ب- و«أسعد» خزرجى.. و«أسيد» أوسى.

جـ- وكان أسعد أصغر منه سناً.

كل ذلك شكل مجموعة من الحساسيات تلقى بالعبء كله على عاتق «مصعب» من حيث أن مبادرة «أسعد» محفوفة بالمخاطر.. لأن مخاطبته «أسيد» لن تلقى قبولاً، فليتكلم الغريب.. أفضل، فسوف يكون حديثه مقبولا..

ولو تصورنا أن «مصعباً» كان هو الإمام بالمدينة؛ لأن الأوس والخزرج أحب منهم فى مستهل الدعوة - برضى بإمامة الآخر - لو تصورنا ذلك لأدركنا على الفور كيف أخذ «مصعب» بزمام المبادرة، وبدأ يتحمل مسئولية المواجهة.

الكلم الطيب

شرع مصعب يدير الموقف بالكلم الطيب.. لاسيما وهو لا يملك مالاً ولا جاها يضغط به على خصمه:

لا خيل عندك تُهديها ولا مال
فليُسعد النطق إن لم يُسعد الحال

وقد بدت بوادر الحكمة فيما يلى:

أ - لم يأمره بالجلوس.. لكنه عرض فكرة الجلوس للاستماع ليستجيب أو لا يستجيب.. «أو لا تجلس».

ب- استدعى عقل المدعو ليقف إلى جانبه لما حصر الموضوع فى واحد من احتمالين.. ليختار هو ما يحلو له.

جـ- فلما لم يحس المدعو بأن الداعية يفرض عليه رأيه.. بدأ يفرد شراعه ليمضى على موج هادئ.

د - وقد أعانه مصعب على ذلك بما تعلمه من دروس الرسول ﷺ بشأن علاج الغضب الذى لا ينبغى ألا تُمكنه إجهاض الحوار، إن الواقف.. وبالذات إذا كان معه سلاحه.. أقرب إلى الهجوم على الفريسة من الجالس أو المضطجع.

ولذلك يأمر الرسول الغاضب بتغيير وضعه الجسمى من الوقوف إلى الجلوس.. أو الاتكاء.. ليبتعد عن الوضع الذى يعينه على سرعة الانتقام من غريمه.. ولذلك قال مصعب:

«ألا تجلس.. فتسمع؟..» ولم يقل: «ألا تسمع؟..».

هـ- ونجحت الخطة.. وجلس المدعو.. بل وألقى حربته.. وبدأت مداركه تستعد لاستقبال التوجيه!. بعدما ألقى ما يعينه على العدوان وهو سلاحه.. وبعدما هدأت أعصابه بالجلوس.

ركائز الدعوة

ولقد انطلق «مصعب» - رضى الله عنه - من ذات القاعدة التى كان ينطلق منها ﷺ وهى:

(١) إنزال الناس منازلهم.. وقد أدرك أن

«أسيداً» زعيم قومه.. ومن ثم فأسلوب تعامله يختلف مثلاً عن دعوة واحد من أتباعه.

ونذكر هنا ما روته عائشة - رضى الله عنها:

«أنها كانت فى سفر فأمرت الناس من قريش بغداء.. فمر رجل غنى ذو هيئة، فقالت: ادعوه.. فنزل فأكل ومضى.. وجاء سائل فأمرت له بكسرة فقالوا لها:

أكرمت هذا الغنى وأمرت لهذا السائل بكسرة؟.

فقالت: إن هذا الغنى لم يجد إلا ما صنعناه به، وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما أرضاه، وأن رسول الله ﷺ أمرنا أن نُنزل الناس منازلهم» بعلاج من الداخل بتهيئة نفس المدعو ليتلقى التوجيه.. وتنفعل، فلما جاءت الآيات القرآنية رطبة على لسان مصعب.. كانت النفس أرضاً خصبة طرية، مستعدة للإنبات.. فاهتزت.. وربت.. وأنبتت من كل زوج بهيج، هو إعلان «أسيد» إسلامه ومن ورائه أتباعه!!..

إذا كان مهماً أن تدعو بالقرآن.. فأهم منه أن نكون قبل ذلك قرآنيين فعلاً.

«لقد كان عمر - رضى الله عنه - يستمع إلى الآية فيخشع لها قلبه.. ويتأثر إلى حد المرض، ويعوده العواد أياماً وليال، لما أصابه من وقع الآية فى حسه ونفسه..» وها هو مصعب - رضى الله عنه - يطلق الآية من قلب سليم، فأصاب الهدف.

لقد أنهى حركة التمرد فى قلب المدعو.

أما بعد..

فإذا لم يجد الدعاة ثمرة سريعة لجهودهم.. فليرجعوا إلى أنفسهم، فالعلة هناك، ولنبدأ الحركة من داخل أنفسنا، حتى تحسمها بالوعى.. وإنزال الناس منازلهم.. واحترام إنسانية الإنسان.. وتقدير الخبرة الإنسانية، والتعامل مع القرآن كما ينبغى.

ومن يفعل ذلك فقد فاز وفازت معه الدعوة بأناس كانوا بالأمس عقبات على الطريق.. واليوم يصيرون بالحكمة، معالم هدى.. ومرفأ يقين.

الرجوع إلى الحق فضيلة

وقع خلاف بين عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة - رضى الله عنهما - فسبّه المغيرة..

فقال عمرو: يا قوم: أيسبنى ابن شعبة؟!

وكان ابنه عبدالله حاضراً وكان صالحاً، أسلم قبل أبيه فقال: إنا لله.. دعوت بدعوى القبائل وقد نُهى عنها، فأعتق عمرو ثلاثين رقبة.

يتفاوت الناس فى درجة الثقافة ونوعيتها.. كما يتفاوتون فى المدارك.. والأمزجة وهذا شىء طبيعى ومن شأنه أن يوقع الناس فى الاختلاف.. ولا بأس أن يختلف الناس لكن المهم كيف يخرجون من دوامة الاختلاف أصفياء.. متعاونين على البر والتقوى.. جاعلين من هذا الاختلاف فرصة تزودهم بتجارب وخبرات تجعلهم أقدر على التعايش من بعد فى وئام وسلام.

الهجرة إلى زمن النبوة

للأستاذ / عادل خفاجة

كان العرب قبل الإسلام يعيشون في ظلم ظلوم تملكت بهم الأهواء الشخصية فأفسدت عليهم العقيدة الدينية فأصبح عدد الآلهة لديهم أكثر مما يتصوره عاقل، غير أن كل ذلك لم يمنع من وجود أناس أصحاب نفوس أبية لم يغادرها الخير تزن الأمور بميزان العدل ولا ترضى بغير الحق بديلا .

ويذكر لنا التاريخ أن " نفرا منهم حضروا قريشا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى البعض و قالوا : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض فقال قائلهم : تعلمن والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين إبراهيم وخالفوه ما وثن يعبد لا يضر و لا ينفع ؟ ! " (١) .

وكان محمد بن عبد الله أكثر هذه النفوس الأبية رفضا لهذه العقيدة الفاسدة فراح يتحنث الليالي ذات العدد حتى شاءت إرادة الله – تعالى – أن تتلقى الأرض هداية السماء، فأتاه جبريل عليه السلام وكان منه ما كان.

يقول النبي ﷺ : "فأتيت خديجة فقلت لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري فقالت أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ووالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد قالت: اسمع من ابن أخيك. فسألني فأخبرته خبري فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك قلت: أمخرجي هم؟ قال: نعم إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودي ولئن أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا " . (٢)

وهنا تأتي الإشارة إلى الهجرة مع بشارة النبوة حتى إن النبي ﷺ يتعجب من ذلك الخبر فيقول: أمخرجي هم ؟ وتأتي الإجابة تقرر الحقيقة : نعم إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودي.

(١) ابن كثير ١ / ١٥٤ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ / ٣٢٦ .

قبل زمن النبوة – برغم تفشي الظلم وبرغم فساد العقيدة – وفي بواكير هذا الزمن لم تنمح دلائل الخير، ولم يتغيب عن الضمائر الإحساس بالقيم العليا فتسمع هذه الكلمات من السيدة خديجة زوج النبي ﷺ تؤكد لزوجها أنه في أمن وأمان ولن يمسه سوء أو أذى وتقسم على ذلك في حديث الواثق معللة ذلك القسم وتلك الثقة بقولها : «إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».

إن من يتخلق بهذه الأخلاق لجدير باحترام الصفوة من المجتمع .

ونسمع مثل هذه الكلمات تقال لأبي بكر الصديق حين عزم على الهجرة إلى الحبشة يقول ابن اسحاق: " وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه.... – حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى – استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرا حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة..... فقال إلى أين يا أبا بكر ؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ارجع فإنك في جواري، فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير " (٣)

لأجل هذه الصفات وهذه الأخلاق كان أبو بكر رضي الله عنه يستحق احترام الصفوة من المجتمع . وإن ابن الدغنة ليعرف أيضا أن من لا يتخلق بهذه الأخلاق لا يستطيع أن ينكرها أو ينكر أهميتها للمجتمع فكانت هي المسوغات التي قدمها للقوم ليعلموا أنه لم يُدخل أبا بكر في جواره إلا لتخلقه بهذه الأخلاق، وليحترموا هذا الجوار فنجده يقول لهم : إن أبا بكر لا يَخرُجُ مثله ولا يُخرَج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق " (٤)

هذه إطلالة على بواكير زمن النبوة قبل أن ينتشر نور الرسالة الإسلامية، فماذا عن الرجال في هذه الحقبة الذين آمنوا بالله ورسوله وآثروا الهجرة وخرجوا من ديارهم وأموالهم ؟

إن أول ما يتبادر إلى الذاكرة هم آل ياسر ومقولة النبي لهم : " صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " حين مر بهم رسول الله ﷺ وهم يعذبون وكانوا من المستضعفين قال الواقدي: " وهم قوم لا عشائر لهم بمكة ولا منعة ولا قوة كانت قريش تعذبهم في الرمضاء " (٥) وعن عمرو بن ميمون قال عذب المشركون عمارا بالنار فكان النبي ﷺ يمر به فيمر يده على رأسه ويقول : " يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية " (٦) .

(٣) صحيح السيرة النبوية ج١ ص٢١٢.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٤-٩٥

(٥)عمدة القاري ج١.

(٦) فيض القدير ج ٧ / ٣٠.

ويهاجر عمار، ثم يتحقق قول النبي المعصوم وتقتل الفئة الباغية عمارا .

أما مصعب بن عمير فيقول عنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو، قال: فلما رآه رسول الله صلى الله عليه و سلم بكى للذي كان فيه من النعمة و بما فيه اليوم"(٧)

إن هذا الصبر على البلاء لينم عن معدن هؤلاء المستضعفين الذين لا يدعون مع الله إلها آخر .

وهذه شهادة أسير يشهد لهؤلاء الرجال، إنه أبوعزيز أخو مصعب يقول : مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال : شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر – لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا – ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها . قال : فأستحيي فأردها على أحدهم فيردها عليّ ما يمسها (٨) . إن ذلك لا يكون إلا مع الأصدقاء وليس مع الأسرى ولكن الدافع إلى ذلك أنهم كانوا رجالا يبتغون رضا الله ورسوله ولم يفكروا مرة في أن يقال عنهم فعلوا أو بذلوا، يقدمون للأسير أفضل ما لديهم بل لعله كل ما لديهم تنفيذا لأمر رسول الله ﷺ أن يستوصوا بهم خيرا، وطلبا لرضوان الله فهل آن أن يستحي الذين يقتلون الأسرى وهم بعدُ يباهون بأنهم أول من نادى بحقوق الإنسان ؟

هذه بعض أمثلة الرجال، فماذا عن المرأة؟

يقول صاحب أسد الغابة : "إن الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها فقالت لهم أول الليل : يا بني إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم . وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

(آل عمران/ ٢٠٠)

فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين . وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة . فخرج بنوها قابلين لنصحها وتقدموا فقاتلوا وهم يرتجزون وأبلوا بلاء حسنا واستشهدوا رحمهم الله . فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"(٩). فهل مع هذه الشجاعة والحرص على

(٧) سيرة ابن إسحاق ج١ / ١٧٣.
(٨) سيرة ابن هشام (٣/ ١٩٦)
(٩) أسد الغابة ج١

نصرة الحق تبقى فروق بين رجل وامرأة ؟

وهل نكتفي بهذا المثال أم نشفعه بمثال آخر ؟ وليكن للتي سمع الله قولها تجادل عن زوجها حيث قالت للنبي : "والله ما ذكر طلاقا ثم تقول أشكوا إلى الله فاقتي ووحدتي وإن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا " .(١٠)

فهل نجد في زماننا هذا امرأة تجادل وتشتكي من أجل الإبقاء على زوج عجوز لصالح الأبناء حتى لا يجوعوا أو يضيعوا.

ولا يفوتنا أن نشير إلى ما فعلته ذات النطاقين:

عن أسماء رضي الله عنها قالت : " صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة قالت فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به فقلت لأبي بكر والله ما أجد شيئا أربط به إلا نطاقي، قال فشقيه باثنين فاربطي بواحد السقاء وبالآخر السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين(١١) وقصتها في الهجرة مشتهرة.

، أسلمت قديما بعد إسلام سبعة عشر إنسانا، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بابنها عبد الله وماتت بعد قتله بعشرة أيام سنة ٧٣ هجرية "(١٢)

هذه بعض صور البطولة من أجل حرية الرأي وحرية الجهر به، ولتأسيس حق الإنسان في نشر مبادئ الفضيلة ودعم أصول الأخلاق .

إن أصحاب الهوى لم يتورعوا عن وصف النبي عليه الصلاة والسلام بأنه النبي الفارّ . فهل يفر الذي قال لورقة : أمخرجي هم ؟ وهل الذي يريد الفرار ينتظر الإذن من ربه ؟

فقد ذكر الإمام البغوى عن الإمام البخاري في صحيحه قال :

"وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ (على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي) . فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر – وهو الخبط – أربعة أشهر، قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أخرج مَن عندك. فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال (فإني قد أذن لي في الخروج) ."(١٣)

وبعد فتلك إطلالة على زمن النبوة، هاجرنا إليه نلتمس القدوة الصالحة والعبرة المفيدة بعد أن فقدها شبابنا في زمننا، فظن أنها: إما في ملاعب الكرة أو في عالم الغناء والسينما.

(١٠) فتح القدير للشوكاني في تفسير قوله تعالى: قد سمع.
(١١) صحيح البخاري
(١٢) تهذيب التهذيب (١٢ / ٣٩٧)
(١٣) تفسير البغوي ج ١ / ٤٩.

الإنسان والقيم الروحية

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يخيل إلىّ أن الباحث فى مجالات القيم الروحية لا يمكن أن يقف على مشارف مرحلة زمانية أو مكانية جامدة، لأن القيم الروحية ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس، وإنما هى طليعة وجودية زاملت رحلة الكون منذ فجر الوجود، ولابد للباحث فى مجالاتها من ارتياد كل الدروب والآفاق، حتى والغابات من أجل أن يعانق حقيقة ناصعة، أو يبلور مفهوما وسيم السمات!!! فكيف بمن يبحث ليس فى مجال القيم الروحية وحدها كحقيقة مجردة، وإنما كذلك فى مجال ارتباطها العضوى وتشابك حياتها بحياة الإنسان! والإنسان كما نعرف ليس شيئا عائما فى حركة الوجود الكبير!

وإذا كانت القيم الروحية محوراً للأديان السماوية كلها منذ البدء، فالإنسان محور الأديان والزمان كذلك منذ البدء، وقد أزعم هنا أن الدين لم يكن ليأخذ طريقه إلى عالم الوجود لو لم يوجد الإنسان؛ فالإنسان وحده هو الذى استمطر السماء هذا الضوء الرسالى العظيم الذى نسميه الدين.

وقد أزعم كذلك أن الزمان ليس شيئا للإنسان، إنه فارغ بازغ من العدم، ومَنْته إلى العدم، والإنسان وحده، هو الذى يعطيه مدلوله الحى وواقعه الأصيل.

فقل لى: أيستطيع الباحث المتأمل فى مجالات القيم وتشابك حياتها بحياة الإنسان إلا أن يخوض عباب المسافات الزمانية والمكانية ماضيا مع الموج إلى أبعد الأبعاد؟!!

لقد فعلت.. وآمل أن تكون كلماتى بكل ما تحتى عليه من صداقة للقيم وحدب على الإنسان قبسا يلوح به ساعد شاب عاش حياة «سيزيف» وهو يحاول اليوم أن يلوح من بعيد لكل المتعبين الراكضين فى سفوح هذا الكون الهائل الرحيب، ربما أضاء قبسه لإنسان، أى إنسان!!!

وقبل أن أمضى.. دعونى أؤكد لكم أننى لن أحشد هذه الصفحات نقولا من هنا أو من هناك، لأن الذى أفهمه من تناول الإنسان لبحث من البحوث أن يقول كلمته هو... رأيه هو.. لا أن يستحيل ناقلا يلتقط الحصى من كل درب.

إن السطور فيما يخيل إلى لا تعطينا جديدا طالما هى تدور فى فلك ناقل مكرور أما حين تعطينى شخصية صاحبها وشخصيتها فسأحبها حتى ولو أخطأت.. ولنبدأ معاً: ولنتساءل أولا: ما هى القيم الروحية؟ هل هناك مناطق عازلة بين القيم الروحية والقيم المادية؟

أما أنا ـ فإنه ليخيل إلىّ أن كل قيمة روحية لابد أن تنطوى على قيمة مادية أو على معنى من معانى القيم المادية، الخير مثلا.. أليس قيمة روحية نابعة من ضمير الأديان؟ أجل!! ولكنه لا يمكن أن يكون إلا إذا عانق مدلوله الواقعى أى مدلوله المادى، إن الخير فكرة مجردة ربما تدور لاهثة فى أدمغة الفلاسفة والمفكرين، ولكنه حين ينزل إلى الأرض ويعايش البشر ويقف مع الإنسان على صعيد هذا الكون، يرحم أنة الجائع، ويأوى تشرد الضائع، ويناضل عن قضية الكادحين، حينذاك نستطيع أن نومىء إليه هاتفين: أجل هذا هو الخير!!

الديـــن والدنيـــا


العقاد

أنا هنا لا أنكر وجود الحقائق المجردة، فهى موجودة رضيت أم أبيت.. ولكنى أحاول فحسب أن أؤكد أن وجود الحقائق المجردة ليس سوى وجود بالقوة لا بالفعل، ولا يمكن أن يحس أو يشاهد إلا حين يرتبط بهذا الكائن الأرقى الذى هو الإنسان..

وهنا توحى إلينا حتمية انطواء القيم الروحية على معنى من معانى القيم المادية وارتباط ذلك كله بالإنسان بقضية هائلة، أو قل بحقيقة هائلة.. هى أن الدين للحياة.. وأن كل رسالة من رسالات السماء ليست هروبا فى مَعبد، ولا تقوقعا فى دير، ولا تشنجاً على عتبات تابوت.. وإنما هى دعوة حارة وهادفة من أجل أن يتعانق الدين والدنيا، وأن تتجاوب الدنيا مع الدين!

إن الدين هو المحتوى الحى الذى يسرى فى إطار الحياة، فيعطى الحياة كل قيمتها الشامخة، وكل أمجادها الضخام، ولا يمكن أن ينفصل المحتوى عن إطاره ولا الإطار عن محتواه، إلا إذا أردنا لأحدهما أو كليهما معاً أن يعيشا على شاطىء الكون نباتا ناضباً هشا يتحطم فى معارك الرياح!!

وحين نقف على أرض صلبة من الإيمان بتكامل الوحدات: الدين والكون والإنسان.. أو قل: بعناقها جميعا، نجدنا واقفين أمام علامة

استفهام متنصبة شاهقة: كيف تقدر القيم الروحية على هداية الإنسان؟ ولكي نجيب.. يجب أن نؤمن بأنه لو كانت هذه القيم الروحية مبتوتة الصلة بالإنسان، أو غير قادرة على التعبير الصاعد الواعي عن كل ما يحيا في داخله من دنيا وات.. أو كان هدفها شيئا غير التصعيد به ككل متكامل عريض إلى أعلى.. ربما لم تكن تستطيع أن تصمد كل هذه الأجيال؛ لأن الإنسان الذي انتصر على كل ما في الكون من طاقات وقدرات، والذي استطاع أن يسخرها لإرادته الصلبة، وصلابته الإرادية، والذي نحى عن طريقه الصاعد كل ما تراكم على حواشيه من صخور وعقبات، كان يستطيع أن ينتصر على عواطفه الدينية ويهزمها في أعماقه وأعماق الملايين، لو أنها كانت شيئا ضاربا يمزق وحدته أو شيئا هابطا يشده إلى أغوار الحضيض!!!

الإنسان والحياة

إن العكس هو الذي حدث.. فالمد الديني قد تراحب وانساح ومد جناحيه الباسلين على آفاق وأبعاد جديدة، مما يؤكد أن الدين شيء يمضي بقضية الإنسان والحياة جميعا إلى فوق وإلى أمام!!

ولكن.. ماذا نقصد من قولنا هداية الإنسان؟ هل وجد الإنسان ضالا فنبعت الحاجة إلى هدايته؟ وهل الهداية هنا هداية مرحلية تعني تعريفه الطريق وتركه يسعى فيه وحده على هون.. أو في تدافع محموم؟

أم هي هداية أخرى.. من نوع آخر جديد؟

الذي أعرفه.. أن هداية القيم الروحية للإنسان لم تبدأ من فراغ.. لم تبدأ من نقطة وجوده ضالا يتشوف إلى كلمة هادية أو يد حانية أو قلب رءوم؛ لأنها لو بدأت من هناك لأكدت أن الإنسان قد دفع به إلى معركة من غير تزويده بالسلاح، وأنه قد أريد على أن يجابه الشر الذي هو ثمرة الاجتماع الآدمي، بلا خير، وبلا فضيلة!!

إن هداية القيم للإنسان نابعة من التلازم الوجودي بينهما، وليس من كون الإنسان ضالا يتطلع إلى هداية من هنا.. أو من هناك.

وكذلك لا يمكن أن تكون هداية القيم للإنسان هداية مرحلية تقفه على أول الطريق ثم تنسل هاربة لتغيب في ضباب المجاهيل.

إنها هداية حياتية تزامل رحلة الإنسان في الأرض وتصادق كل لحظة من لحظات وجوده الفردي والعام، ولكنها لا تزامل رحلته ولا تصادق خطواته في إطار من الجبر والالتزام وإلا لعاش حياته ملكاً أو شيئاً يشبه الملك، إنها مزاملة صديقة حرة تلوح له بالمشعل وتضع يده على حقائق الأشياء ثم تترك له الحرية من بعد لينتصب واقفا على الأرض، ملاكا هاديا، أو شيطانا غويا!!!

وبقدر ما يتجاوب في أعماق الإنسان من قيم ويفرد في حياته من مثل بقدر ما يكون في يده من سلاح باتر مرهف يناضل به ضد كل قوى الهبوط، والتدلي، والانهيار، لقد قاتل بالقيم كل جحافل الظلام، قاتل بها الفقر والتخلف والإسفاف والعبودية والخناعة، والهروب، وتوثين الأشياء والأحياء.

ولسنا ندري بعد، ماذا كانت تكون حياة

الإنسان لو أنها أقفرت من هذه القيم التي تنبثق من مشرق الدين؟ أغلب الظن.. أنها كانت ستكون واحدا من اثنين.. إما تجميد للحياة عند حافة البدء، أو استسلام مريض لكل العواصف والأعاصير.. وكلا الفرضين تشويه لفطرة الخلق، وتكبيل لطموح الحياة!!!

وهنا.. لابد أن نتذكر أن هداية القيم الروحية للإنسان ليست مجرد تطويع القلب البشري لحقيقة الإيمان، وإنما هي هداية أرحب وأعلى وأشمل.. إنها هداية إلى إثراء الحياة وإخصاب الواقع، وتطوير الوجود بما نبذل في كل أولئك من طاقات هائلة، وبما نبدع من قوى خلاقة تسيطر على روافد الخصب وعلى مصباته جميعا..

المادة والروح

إن هداية القيم للإنسان، لو قبعت في زاوية التعلية الروحية وحدها لأصابت المادة والروح جميعا بشلل كوني رهيب؛ لأن المادة بغير روح شبح لا حياة فيه، والروح بغير مادة ارتعاشات فرضية تهوم في فراغ، ومن هنا فقد حرصت كل أديان السماء على أن تزاوج بين الروح والمادة وأن تصالح بين المادة والروح في إطار من التعادل الفاهم الذكي المحايد في حركة التوفيق الواعي بين هذه وتلك!!

ولست أحسبني في حاجة إلى نصوص كثيرة أؤيد بها ما ذهبت إليه ولكن حسبي أن أسوق هنا نصوصا ثلاثة من العهد القديم والعهد الجديد والقرآن الكريم لنعرف إلى أي مدى تهتم هذه الكتب بالتقائية الروح والمادة..

ففي العهد القديم: «من يشتغل بحقله يشبع خبزا أما تابع البطالين فهو عديم الفهم»

وفي إنجيل متى: «... خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا».

وفي القرآن الكريم:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾

(القصص: ٧٧)

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

(الأعراف: ٣٢)

إن هذه الإيماءات الثلاث لتدل دلالة رائعة على مدى اهتمامات الأديان بالجانب المادي في حياة الكون وحياة الإنسان على السواء وليس في ذلك ما يصدم الإيمان بالقيم الروحية على النقيض.. فإن القيم الروحية حتى في مجالات عملها الخلاق تشكل محركات اجتماعية ونفسية لإقامة حضارات إنسانية شامخة بما في الحضارات من أسس مادية صلبة تحتضنها وترتكز في نهوضها عليها.

أظن أننا قد فرغنا الآن من هذه القضية.. قضية التقاء الروح بالمادة على صعيد الحضارات والأديان التقاء يومض بالحب، ويتألق بالتعاطف، ويجيش بكل ألوان السلام.

ربما يثور في ذهنك أن تسأل: وهل هناك شواهد تاريخية تؤكد أن القيم الروحية كانت مبعثا للحضارات ومنطلقات لحركات التطور؟

ثورة الإسلام

ولا أعود بك إلى أعماق ماض بعيد، وإنما أوقفك معي على صعيد الواقع العربي الذي انتفض في يد الإسلام عملاقاً هادراً، بعد أن عاش حياته الناضية العقيمة هارباً خلف أنقاض الدياجير!!

أجل لقد أحدث الإسلام- كدين ينطوي على أخلد القيم الروحية وأصليها- ثورة في كل قطاعات الحياة فطور الجامد وحرك الهامد وأدال لكل معنى شريف من كل معنى هابط..

- كان ثورة عقائدية انتشلت مفاهيم البشر من التردي في عبادة الأحجار إلى عبادة الله

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾

(البقرة: ١٦٣)

- وكان ثورة علمية فتحت مغاليق الكون وسددت خطى العقل الإنساني وأحرقت كل الوشائج الملبدة بينه وبين الانزوائية الفكرية

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الزمر: ٩)

- وكان ثورة حضارية إنسانية أقام العلاقات بين البشر على أساس جديد، أساس ينبض بالحب والحرية والعدالة والمساواة، حتى رأينا الذين يسلمون لا يسلمون عن عسف نضالي ولا عن رغب مادي، وإنما لأن راية الإسلام ملونة بشعارات الحب والحرية والعدالة والمساواة!!

- وكان ثورة اجتماعية استهدفت- من يومها الأول أن تطور الإنسان والزمان والمكان- الإنسان من حيث هو كائن عاقل دءوب يجب أن يتخطى مراحل البدائية الغائمة إلى قمة الوعي الإنساني النبيل، والزمان من حيث هو إطار شمولي تجري داخله حركة الكون وحركة التاريخ حتى يصبح إطارا فاضلا لكل ما هو فاضل وشريف، والمكان من حيث هو إطار مساحي يجب أن يرفض كل المعاني الهابطة ليحتضن بين ذراعيه كل القداسات الشامخة النبيلة.

وقد دللت بالإسلام لشيئين:

أولهما: أنه أقرب زمانيا من كل الأديان السماوية بحيث يمكن أن يكون مستندا على وضوح أكثر وتحديد أدق..

ثانيهما: أنه كدين ينحني في ذكاء وإخلاص على كل القيم الشريفة التي نادت بها الأديان من قبله، بحيث يجوز لنا أن نقول مع القرآن واثقين:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

وليس العكس صحيحا فإن ديناً كاليهودية الموسوية لا يمكن أن يحتوي كل القيم التي جاء بها الإسلام، فالموسوية كانت دين شعب معين ومرحلة معينة، بينما كان الإسلام وما يزال دين البشرية الهائلة الذي يغطي كل مساحاتها البشرية والزمانية، فإذا نحن دللنا به، فإنما ندلل بالحقيقة التي لا يرقى إليها الشك وبالدين الذي لا يعتوره

الحيف من هنا أو من هناك!!

ولكن.. هل القيم الروحية عريقة كل هذه العراقة في حياة الكون وحياة الإنسان جميعا؟ أم أنها أثر من آثار التطور الحضاري نبتت على شاطيء الاجتماع؟

الذي أعرفه.. أن أرضا كأرضنا هذه قد عرفت الدين كمنطلق للقيم الروحية منذ أقدم العصور حتى قبل أن ينبثق على سهولها شعاع النبوات والرسالات مما يؤكد أن الإنسان متدين بالطبع وأنه قد زامل الدين لما أحسه في أعماقه من جوع طبيعي لممارسة هذا اللون من ألوان السلوك العقيدي.

وفي هذا الصدد يحدثنا «العقاد» في كتابه «الله» فيقول:

«حق لا يقبل المراء أن الحاسة الدينية بعيدة الغور في طبيعة الإنسان، وحق لا يقبل المراء أن الإنسان يجب أن يؤمن ولا يستقر في وسط هذه العوالم بغير إيمان، وهو قد وجد في وسط هذه العوالم لامراء، فإذا كان الإيمان هو الحالة التي يتطلبها منه وجوده فضعف الإيمان شذوذ يناقض طبيعة التكوين ويدل على خلل في الكيان» ا.هـ.

ولعل ما يطمئننا هنا أن العقيدة الدينية قد أخذت تعتلي قمة عالية من الترقي والاكتمال منذ أبعد العصور إيغالاً في القدم، الشيء الذي يدلنا على أنها مرحلة ليست مبتوتة الصلة بما قبلها من مراحل، وإنما هي حلقة في سلسلة هائلة متتابعة الحلقات وهذه ترنيمة كهان طيبة الناطقة بعقيدة الألوهية ووحدة الإله.

الغريزة الدينية الخالدة

- الله واحد أحد لا شريك له، الله واحد وقد أبدع مخلوقاته وحده، الله حقيقة لا يراها الإنسان خفية عن كل شيء.
- الله هو الله منذ البداية، هو الله قبل أن يكون شيء.
- الله هو الموجود الخالد الذي لا يفنى، لابداية له ولا نهاية.
- الله لم تكن له بداية وليس له نهاية وسيظل كذلك على الدوام.
- الله خفي لا يعرف إنسان شكله ولا شبهه.
- الله هو الحق ويحيا على الحق، إنه الملك الحق.
- الله هو الحياة ولا حياة للناس بدونه هو البداية هو الواحد الأحد..» أ.هـ

إذا زعمت الآن أن القيم الروحية والإنسان يعيشان في زمالة كونية واعية منذ القدم.. أتراني جانحاً إلى الشطط؟ أو ضارباً في متاهات الخيال؟

أبداً فالغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية، والعناية بالجانب الإلهي نزعة عامة خالدة للإنسانية، ولا تذبل غريزة التدين إلا في فترات الإسراف في الحضارة، وعند عدد قليل جدا من الأفراد لكنها لا يمكن أن تموت كما يقرر معجم «لاروس».

«والجماعة قد توجد بغير علم أو فن أو فلسفة ولكن لا توجد جماعة بغير دين كما ينادي هنري برجسون».

إن القيم الروحية هي روح الحياة ولا يمكن للحياة أن تحيا شبحاً خاويا بلا روح!!



دروس قرآنية في التربية العملية

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيوني

درجت كلياتُ التربية- وهى التى تصنع المعلمين- على الاستجابة لما يسميه علماء التربية المحدثون والمعاصرون «بالتربية العملية»، ففى هذه الكليات التى تُعد طلابها ليكونوا مربين ومعلمين، لا يقتصر المنهاج على الجانب النظرى فقط او ما يسمى بالدراسة الأكاديمية [1] التى تقوم على طرح المعلومات المعنوية المجردة فقط، ولكن هذا المنهاج التربوى يمتد ليشمل هذه «التربية العملية» حيث يدرب الطلابُ على المواقف التعليمية والتربوية الميدانية وذلك بتطبيق ما درسوه من العلم التربوى النظرى فى المجال العملى، فتُختار لهم بعض المدارس ليمارسوا فيها هذا التدريب تحت إشراف ذوى الخبرة والدربة من قدامى المعلمين والموجهين الذين عركوا المهنة وعاشوا الرسالة، وخالطوا الميدان، وهكذا يقترن النظر والعمل حتى إذا خرج طلاب هذه الكليات إلى الميدان كانوا- فيما يتوقع- معلمين مهرة دون أن تكون المهنة موقفاً جديداً بالنسبة لهم، وإلا تحولت مهنة التعليم بالنسبة لهم إلى مشكلة ليس بينها وبينهم التكيف المنشود.

فالتربية العملية هى- بتبسيط شديد- تهيئة الظروف الميدانية للفرد «المرجو إعداده» لرسالة التعليم بحيث تعينه بعدُ على مواجهة الأمور المزمع مواجهته لها بحيث يتكيف معها التكيف السوى ولا يشعر بأية صعوبة فى مواجهتها وإلا تحولت بالنسبة له كما أسلفنا إلى مشكلة.. ومن ثم قيل فى الأمور النفسية إن المشكلة هى «موقف جديد غامض يواجهه المرء لأول مرة»، ولذلك فطن التربويون فى مجال «الامتحانات والتقويم» إلى أهمية «تدريب» الطلاب على حل الأسئلة المشابهة لأسئلة الامتحانات وذلك قبل مفاجأة الطالب فى الامتحان بورقة الأسئلة، فإذا أفلح الطالب فى هذا التدريب «المسبق» سهل عليه حل أسئلة الامتحان دون أن تمثل له مشكلة من المشكلات، لأنها فى هذه الحالة لن تكون موقفاً جديداً بالنسبة له وإنما ستصبح أمامه فى سيولة الماء ورقة الهواء.

وإن ثمار هذه «التربية العملية» لتنمو وتنضج كلما كان تدريب الطالب «أو مشروع المعلم» يلقى هوى فى نفسه وارتياحاً فى كيانه واتساقاً مع شخصيته، أما غير هذا فلا. [2]

هكذا علمنا القرآن

وإن المتأمل فى آى القرآن الكريم ليجد مواقف مبهرة- والقرآن كله مواقف مبهرة- توقظ فيه كوامن هذه المعانى التربوية المبدعة التى يدّعى علماء التربية أنهم قد خلقوها خلقاً أو ابتدعوها ابتداعاً بينما هى من معجزات الخالق -عز وجل- فى إعداده سبحانه لمعلمى البشرية، وهداة الإنسانية من الرسل والأنبياء.

ولقد حاولنا بهذا التمهيد الشارح أن نتفهم بعض ما يلهمنا إياه المولى -سبحانه- من معان ونحن نتدبر- ما استطعنا- آى الذكر الحكيم التى تبين بجلاء كيف يُعد الله عز وجل أنبياءه ورسله الإعداد التربوى الربانى الحكيم للإفصاح عن نبواتهم وللقيام برسالاتهم إلى البشر، وذلك قبل أن يواجهوا أقوامهم أو تواجههم أقوامُهم الذين ألفوا الشرك، واطمأنوا إلى الكفر، واستمرأوا الأنفة الكاذبة والسيطرة الحمقاء، دون أن يستندوا إلى دليل معقول أو سلطان مقبول لما هم فيه من أباطيل وترهات إلا قولهم السقيم العقيم:

﴿ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾

«المائدة: ١٠٤»

فهم بالباطل الموروث مفترنون بل هم فى ظلماتهم يعمهون.

ولك أن تتفكر كيف يواجه النبىُّ من الأنبياء وحده برسالة النور مجتمعاً بأسره يعيش فى الظلمات كالذى يفاجىءُ العينَ التى تكيفت أعصابُها البصرية مع الظلام بكشّاف ساطع الضوء شديد الإبهار.

ولك فى هذا السياق أن تتفكر فى قول إبراهيم -عليه السلام- لربه:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾

«البقرة: ٢٦٠»

وتأمل هنا أن أبا الأنبياء لم يقل «أرنى هل تحيى الموتى» لأنه عليه السلام فى يقين مطلق بقدرة الحق سبحانه على إحياء الموتى، ولكن رغبته فى شدة القرب من مولاه -عز وجل- أملت عليه:

(١) الأكاديمية تنسب إلى قصر «أكاديموس» الذى اتخذه الفيلسوف اليونانى «أفلاطون» مكاناً لتعليم تلاميذه فلسفة أستاذه «سقراط».

(٢) يسمى هذا فى علم النفس المهنى بتوافق تحليل الفرد وتحليل العمل.

﴿ كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ﴾

ولعل البارىء المصور جل وعلا قد أراد لإبراهيم عليه السلام أن يسأل هذا السؤال حتى تكون الإجابة الربانية «العملية» تعميقاً لإيمان المؤمنين عبر الأجيال، فهو موقف تربوى، وتعليمى وعملى، ومن هنا كان الاتساق المبهر العظيم

﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

«البقرة: ٢٦٠»

ويقول «النسفى» هنا: إن ﴿ بلى ﴾ إيجاب بعد النفى معناه: بلى آمنت ولكن لأزيد سكوناً وطمأنينة إذ أن ظهور الأدلة أسكن للقلب وأزيد للبصيرة وقول الحق لإبراهيم

﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾

(البقرة: ٢٦٠)

وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين.

فتأمل كيف أعد الخالق سبحانه الموقف التربوى التجريبى المحسوس ليقرنه بالإيمان المعنوى المجرد، وليقربه إلى نبيه الخليل ثم إلى البشر بعد ذلك أجمعين.

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾

«البقرة: ٢٦٠»

أى ساعيات مسرعات فى طيرانهن أو فى مشيهن بأرجلهن وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها لئلا تلتبس عليه بعد إحيائها.

وهكذا أجرى إبراهيم عليه السلام التجربة «بنفسه» المطهرة، ورأى نتيجتها «بعينى رأسه» الشريف، ولقد قام إبراهيم بهذه التجربة المحسوسة بوحى من ربه عز وجل وليتوب فى ذلك عن كل المسلمين الذين آمنوا به وأبنائه وأحفاده من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

آية تربوية أخرى

كما يعرض القرآن الكريم للعالمين مثالاً آخر من لدن رب العالمين- ولله المثل الأعلى.

فى مجال التربية العملية للنبيين حتى يصبحوا معلمين أماثل ومثلاً لا لفصل مدرسى أو صف دراسى، ولكن للأمم أجمعها على رءوس الأشهاد جيلاً من بعد جيل.

فذلكم موسى عليه السلام يعده ربه سبحانه وتعالى لمواجهة الفرعون الطاغية ومجابهة الطاغوت بتدريب ميدانى آخر يليق بالمكان والزمان حيث كان للسحر سلطانه، وللتمويه ميدانه خدمة للدعى الشيطانى «فرعون» الذى أحال النعمة إلى نقمة، نعمة الخصب والنماء والأنهار التى كانت تجرى من تحته إلى ضلال وكفران يُغرق فيهما قومه الذين استخفهم فأطاعوه فاستحقوا معه أن يقدمهم يوم القيامة إلى النار، فما أعمق صدق القرآن الكريم وقانونه المحكم على هذا الجبار العنيد وأمثاله من العتاة الطغاة على مر الزمن:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾

«إبراهيم: ٢٨، ٢٩»

ولنتصور معاً أن موسى عليه السلام قد أوحى إليه بالأمر الإلهى أن يذهب إلى فرعون دون أن يهيأ لهذا الذهاب فإذا به يذهب وهو خالى الذهن من ألاعيب تلك الساحة الشيطانية ومردتها الملعونين، والتى تزخر كل أركانها بالباطل والبهتان والضلال المبين، فماذا تتصور موقف موسى آنذاك وقد كُلف بمهمة لم يُهيأ لها؟

ومن ثمة قضت حكمة الحكيم -سبحانه وتعالى- بالتربية العملية المناسبة، والتدريب الميدانى الفعال أن يدرب نبيه عليه السلام على المهمة الخطيرة التى سيقدم عليها، وذلك خطوة خطوة من خلال طريقة الحوار التى يترسمها التربويون اليوم فيستشعرون أثرها الفعال، وإيجابيتها الواضحة حيث يشارك فيها المتلقى بوعى وحيوية ويقظة مما يجعله فى عمق الموقف التعليمى لا يطرف له جفن، ولا يشرد له انتباه.. ولنتأمل معاً بانتباهنا نحن وإيجابيتنا أيضاً ذلك الحوار الذى بدأه الحق سبحانه بطمأنة موسى عليه السلام فى وسط هذه القفار الموحشة فى جانب الطور الأيمن، وقد قضت رحمته تعالى بعبده موسى أن يقشع أمامه هذه الظلمة الحالكة بالنار المقدسة التى بورك فيها ومن حولها، وكأن المولى عز وجل يشير بذلك لموسى عليه السلام إلى أن رسالته التى سيتلقاها من ربه ستضىء لقومه سبيلهم بين ظلمات الجهالة والكفران:

﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾

«طه: ١١، ١٢، ١٣»

ثم يتجلى الحق عز وجل بدرس التربية «العملية» لنبيه الذى ألقى عليه محبته الربانية واصطنعه لنفسه سبحانه.

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾

«طه: ١٧»

والله سبحانه أعلم بأنها عصا، ولكنه عز وجل- وهو الأعلم بمراده- أراد أن يوقظ فى وعى موسى عليه السلام الالتفات إلى هذه العصا التى سيكون لها شأن وأى شأن بدلاً من أن تكون فى يد موسى مجرد عادة تلتحم بكفه وتتناغم مع خطواته، واستخدام ﴿ ما ﴾ هنا يدل على سؤال مفتوح تتعدد إجاباته وتشرق إلهاماته.

وإذا بموسى يستجيب لهذه الإجابات المتعددة والإلهامات المشرقة، فيقص القرآن:

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾

«طه: ١٨»

ولئن اتفق الكثيرون على تفسير ذلك بميل موسى إلى إطالة الجواب حتى تطول متعته

بالحضرة الإلهية المقدسة إلا أن موسى عليه السلام- والحق سبحانه أعلم قد أوحى إليه ربه بهذه الإجابة المطولة حتى يستنفد كل ما يعرفه عن هذه العصا لكي يبقى خاصتها الغيبية التى غابت عن موسى، وأرادها الله عن علم.

ولكى يطلع القادر سبحانه رسوله على هذه الخاصة الغيبية للعصا يحكى القرآن الكريم:

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾

(طه: ١٩، ٢٠)

ولاشك فى أن موسى عليه السلام قد استشعر فى داخله الخوف من هذه الظاهرة المفاجئة المباغتة، ولقد أحاط بذلك عالم الغيب والشهادة سبحانه وعندئذ ربت برحمته الواسعة على خاطر عبده الواجف قال:

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾

(طه: ٢١)

ولم يطل بموسى الهلع حيث سمع ربه يطمئنه

﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾

(طه: ٢١)

فالقادر على تحويل الجماد الساكن إلى كائن حى زاحف قادر على أن يفعل عكس ذلك، كما شاءت قدرة الله أن يحول أمام إبراهيم عليه السلام الطير إلى أشلاء، ثم هذه الأشلاء إلى طير من جديد وسبحان القائل:

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾

(الروم: ١٩)

وجلت عظمته وهو صاحب الجواب المفحم:

﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

(يس: ٧٨، ٧٩)

ولنا هنا- بل علينا- أن نتأمل كيف يدرب الحق جل وعلا رسوله الكليم على القيام «بنفسه» بإعلان المعجزة الإلهية التى تؤيد صدق رسالته التى بعث بها من لدن الحكيم العليم.

والذى ينفتح قلبه وينشرح صدره لتدبر آى الذكر الحكيم مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

(سورة محمد آية ٢٤)

يجد من الدروس التربوية عجباً، ويتأمل فى آياتها تأديبا وأدبا فتمتلىء روح المؤمن الحق إيمانا وطربا، وكيف لا وقد عثر المؤمن المتدبر على ضالته واهتدى إلى غايته، وعرف أن الكتاب الذى حمله محمد ﷺ للعالمين هو كتاب هداية وإفهام وإعجاز وإفحام، كلما وهم المتباهون بالعلم أنهم سابقوه سبقهم، وكلما ظن الفارون منه أنهم منه ناجون لحقهم، وجل حمده، وتنازه من قال:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾

(الأنعام ٣٨)

«يتبع»

الحماية القانونية لحقوق الجار

للمستشار/ حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

منذ أيام قليلة ماضية، وبعد انتهاء صلاة الجمعة، التى كان موضوع خطبتها، حق الجار فى الإسلام، قال لى أحد المصلين، الذى يعرف تخصصى فى القانون: لقد أوضح الخطيب حقوق الجار فى الإسلام، وكان مما أوضحه، أن جزاء الاعتداء على حقوق الجار، يكون فى الآخرة فحسب، دون أن يوقع هذا الجزاء فى الدنيا. ومن أسف فإن هناك من يتعمد الإساءة إلى الجار، ولكن هذا الجار لا يعرف الوسيلة التى تكفل حماية حقوقه.

ولما كانت الغالبية العظمى من الجيران، لا تعرف دور القانون فى تحديد هذه الحقوق، وكيفية الحصول عليها، والجزاءات التى وضعها لرد العدوان الذى قد يقع عليها، فكان من الواجب علينا تبيان ذلك، بأسلوب سهل ميسر على الجميع، وهذا يقتضى استعراض النقاط الآتية:

أولاً: القواعد المنظمة لهذه الحقوق

وبنظرة فاحصة للقواعد التى تنظم حقوق الجار، نجد أنها بحسب مصدرها لا تخرج عن نوعين هما:

- قواعد مصدرها الدين والأخلاق والعادات والتقاليد:

وهى بطبيعتها قواعد تنظيمية، تقوم على التفضل والإحسان، وأساسها التوصية خيرا بالجار، فى التعامل معه، بمحض الإرادة، دون أن يكون هناك ما يلزم الجار بالتعامل على نحو معين مع جاره، أو يكون هناك ثمة جزاء معين

على مخالفة معاملته على هذا النحو، وإذا كان الدين قد حدد نوعاً من هذا الجزاء فهو قاصر على الآخرة، ولا يلحق المخالف فى الدنيا، ومن هذا القبيل القواعد الواردة فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

(النساء: ٣٦)

أى أن الله ـ تعالى ـ بعد ما أمر بعبادته وحده، وعدم الشرك به، أوصى بالإحسان إلى كل من الوالدين والأقارب واليتامى والجار القريب والجار الأجنبى وغيرهم. وفيما رواه الحاكم وأبو داود والترمذى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ، والإمام أحمد عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

• قواعد مصدرها القانون:

وهى القواعد التى يحددها القانون فى التعامل مع الجار، ويجب الالتزام بها، ووضع جزاء دنيويا على مخالفتها، سواء كان هذا الجزاء، فى صورة عقوبة جنائية أو تعويضاً مدنياً، أو جزاءات تكميلية أخرى، كالإزالة والرد وتصحيح الشىء المخالف، وغير ذلك.

وهذه القواعد تجد مصدراً لها فى الشريعة الغرّاء، فقد جعل الإسلام من الاعتداء على حرمة الجار، ظرفاً مشدداً لعقوبة بعض الجرائم، ومن أمثلة ذلك، ما رواه الإمام أحمد والطبرانى عن المقداد بن الأسود، أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يزنى الرجل بعشرة نسوة، خير له من أن يزنى بامرأة جاره، ولأن يسرق الرجل من عشرة بيوت، أيسر له من أن يسرق من بيت جاره».

ثانياً: الجار والميراث

إذا كان الميراث من الحقوق الأصيلة، التى يتمتع بها الإنسان فى حياته الدنيا، ويحرص بفطرته على عدم وصولها إلى غير من يحب بعد وفاته، فقد احترمت الشريعة الغراء فى الإنسان هذه الفطرة، وهذا الحق له سمات خاصة، تميزه عن غيره من الحقوق، فهو حق منظم بنصوص قطعية الثبوت والدلالة فى الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة، وهو مقرر لأصحاب أقوى درجات القربى من العصبات والأزواج وذوى الأرحام، ومن أخص خصائص هذا الحق، أنه ينتقل من المورث إلى الوارث، ولو جبراً عنه، فليس للوارث أن يتنازل عن هذا الحق قبل انتقاله إليه.

وفى هذا الإطار كانت التوصية بالجار، من باب التأكيد على حقه فى الإحسان إليه، فى الحديث النبوى الذى ذكرناه آنفا: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

أى أن الرسول ﷺ علم من شدة توصية جبريل بالجار، أنه سيحكم بتوريث الجار من جاره بأمر الله ـ تعالى ـ وقد قال العلماء: بأن يجعل للجار مشاركة فى المال، بفرض سهم

يعطاه مع الأقارب، أو بأن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة، والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع، فمن التزم شرائع الإسلام، تأكد عليه إكرام جاره لعظيم حقه، والميراث قسمان: حسى ومعنوى، فالحسى هو المراد هنا، والمعنوى هو ميراث العلم، فإن حق الجار على جاره تعليمه ما يحتاجه.

وروى عن مجاهد فى مناسبة رواية هذا الحديث أنه قال: كنا عند ابن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ عند العتمة، وغلامه يسلخ شاة، فقال: ابدأ بجارنا اليهودى، ثم قالها مرة فمرة، فقيل له: كم تذكر اليهودى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:.. فذكر الحديث.. وهذا يؤكد أن التوصية بالجار غير مرتبطة بدرجة الإيمان، ويكفى لتحققها أن يشترك الجيران فى الإنسانية، التى حرص الإسلام على إبراز تكريم الناس كافة على أساسها، بمقتضى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾

ثالثاً: صور التعامل مع الجار

وإذا كانت مظاهر سلوك الإنسان تنحصر فى صورتين هما:

- الأولى: وهى إيجابية، بطلب القيام بالفعل، وتكون بصيغة افعل.
- والثانية: وهى سلبية، بطلب الامتناع عن الفعل، وتكون بصيغة لا تفعل، وقد جاءت هاتان الصورتان واضحتان، فى بيان حقوق الجوار، من خلال الحديث النبوى الشريف، الذى رواه الطبرانى بسنده عن معاوية بن حيدة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «حق الجار: إن مرض عُدْتَهُ، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه، فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قدرك، إلا أن تغرف له منها».

أ - الصورة الإيجابية:

وهى ترد على نوعين من حقوق الجار هما:

- النوع الأول: الحقوق المعنوية:

وهى المتمثلة فى: عيادة الجار فى المرض، وتشييع جنازته إذا مات، وتهنئته بالخير، ومواساته فى المصيبة، وغير ذلك من الحقوق التى لا ترد على المال.

- والنوع الثانى: الحقوق المادية:

وهى المتمثلة فى: تقديم يد العون المادى للجار المحتاج، سواء كان ذلك عن طريق القرض أو المساعدة المادية أياً كانت صورتها، كالهدية والصدقة وغيرهما.. ومن حقوق الجار المادية التى طلب الشارع الحكيم من الجار تقديمها لجاره، وألزم المشرع القانونى الجار بالوفاء بها لجاره، حق الارتفاق بأشكاله المختلفة، ومن مقتضى هذا الحق، أن يكون للجار المحروم من مرفق معين، الحق فى الحصول عليه من جاره، سواء كان ذلك بالتراضى أو التقاضى.

ب - الصورة السلبية:

وهى تكون فى صورة: الامتناع عن أى فعل يضر بالجار، كما ورد فى الحديث الشريف:

«ولا ترفع بناءك فوق بنائه، فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قدرك، إلا أن تغرف له منها»، وهي تتضمن النهي عن إلحاق الأذى بالجار، وحمايته من حرمانه من بعض الميزات، كما لو تسبب ارتفاع بناء الجار في منع وصول الهواء أو الضوء إلى الجار، أو تسبب ريح قدره في إيذاء جاره، ويقاس على هذا القدر، كل ما يكون مصدرا لإزعاج الجار، كارتفاع صوت المذياع أو مكبر الصوت، أو إلقاء القاذورات والمخلفات في طريقه أو أمام داره، وغير ذلك.

رابعًا: بعض حقوق الجار التي نظمها القانون

هناك حقوق للجار، تضمن الفقه الإسلامي أحكامها الإجمالية، وجاء القانون المستمد من الشريعة الغراء، ليضع لها التنظيم القانوني المتكامل، ومن أمثلة هذه الحقوق الآتي:

- حق المرور: إذا كان هناك شخص يمتلك أرضا ليس لها اتصال بالطريق العام، أو لها اتصال ولكن تكلفته باهظة، أو لها ممر ولكن لا يكفي للوصول إليها على النحو المعتاد، وهي ما تسمى بالأرض الحبيسة، فإن لمالك هذه الأرض حق ارتفاق بالمرور في أرض جاره المتصلة بالطريق العام، ولكن بالقدر اللازم لاستغلال أرضه، وعلى النحو المألوف لهذا الاستعمال، وذلك نظير تعويض عادل.
- حق المروى أو المسقى وحق المصرف: إذا كانت أرض هذا المالك لا تصل إليها مياه الري، أو لا تخرج منها مياه الصرف، إلا عن طريق أرض الجار، فينشأ لهذا المالك حق على هذا الجار في أن تمر هذه المياه في أرضه، فإذا كان الجار قد أنشأ مروى أو مصرفا خاصا به، فيجوز للمالك المجاور أن يستعمله، فيما تحتاجه أرضه من الري والصرف، بشرط الاشتراك في التكاليف ونفقات إنشائه وإدارته وصيانته، بنسبة مساحة أراضيهم التي تنتفع به.
- حق الحائط: إذا كان هناك حائط مشترك بين جارين، فلكل منهما حق استعماله في التعلية، بشرط الإسهام في تكاليفه وقيمة نصف الأرض المقام عليها، وليس للجار الحق في هدم الحائط الفاصل مع جاره، بدون عذر قوي، طالما كان في ذلك إضرار بالجار الذي يستتر ملكه بالحائط، وإذا كان للمالك مصلحة جدية في تعلية الحائط المشترك، فله القيام بها، بشرط ألا يلحق بجاره ضرر بليغ. (٨١٤ - ٨١٨ مدني)، ولا يجوز للمالك أن يتخلى عن نصيبه في الأجزاء المشتركة، للتخلص من الاشتراك في تكاليف الحفظ والصيانة والتجديد والإدارة لهذه الأجزاء.
- حق العلو والسفل: بالنسبة لسكان الطبقات المختلفة، يكونون جيران علو وسفل، فيجب على صاحب السفل أن يقوم بعمل الترميمات اللازمة، لمنع سقوط العلو، وإلا ألزمه القاضي بالقيام بها، وفي ذات الوقت لا يجوز لصاحب العلو أن يزيد في ارتفاع بنائه، بحيث يضر بالسفل.
- الحق في الشفعة: إذا أراد المالك التصرف فيما يملك، فيكون الجار أولى من غيره، في تلقي هذا التصرف، كما يقال في المثل: الجار

أولى بالشفعة، فيثبت الحق في الشفعة للجار صاحب الأرض الملاصقة للأرض المبيعة من جهتين، وللجار صاحب حق ارتفاق على الأرض المبيعة، أو الشريك على الشيوع في الأرض المبيعة، كما ورد في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «الجار أحق بشفعة جاره، ينتظر بها، وإن كان غائبا، إذا كان طريقهما واحدا».

خامسًا: حق الجار في الهواء

أخذ المشرع القانوني بما ورد في قول الرسول الكريم ﷺ: «ولا ترفع بناءك فوق بنائه، فتحجب عنه الريح»، ما يعرف لدى فقهاء القانون: بنظرية التعسف في استعمال الحق، فنص في الفقرة الأولى من المادة ٨٠٧ من القانون المدني على أنه: «على المالك ألا يغلو في استعمال حقه، إلى الحد الذي يضر بملك الجار».

فإذا كان الأصل أن الإنسان يتمتع بكامل الحرية في مباشرة كافة سلطاته على ملكه، فله مثلا: أن يقيم على أرضه ناطحة سحاب، إلا أنه خروجا على هذا الأصل، وتحقيقا لمصلحة الجار، كان لابد من تقييد هذه الحرية، إذا ترتب على ممارستها إلحاق أي نوع من الضرر بالجار، كمنع الهواء أو الضوء عنه، فإذا تطاول الجار في البناء، إلى الدرجة التي تتسبب في هذا الضرر، فإنه يكون متعسفا في استعمال حقه، ويجوز للقاضي في هذه الحالة وقف هذا التعسف، بإزالة دواعي الضرر، كهدم الأدوار المرتفعة بغير الطريقة المألوفة.

ومن الحقوق المقررة للجار بناء على هذه النظرية، الحق في الحصول على الهواء والإضاءة، وهو ما نظمه القانون على هذا النحو:

١ - حق المطل: إذا أقام مالك الأرض عليها مبنى، وليست له نوافذ، فيجوز لهذا المالك فتح نوعين من النوافذ أو المطل على أرض جاره:

- الأول: مطل مواجه على مسافة لا تقل عن متر من ظهر الحائط الذي فيه المطل.
- والثاني: مطل منحرف على مسافة لا تقل عن نصف متر من حرف المطل.

٢ - حق المنور: إذا كان المبنى سالف الذكر، يحتاج إلى تهوية أو إضاءة، فإن لمالكه حق على جاره في أن يفتح على أرضه منورا، أيا كانت المسافة بين المبنى وأرض الجار، ولكن بشرط أن بدء قاعدة المنور أعلى من قامة الإنسان المعتادة، «المتوسط الطول، لا هو بالطويل البائن أو القصير البائن»، دون أن يستطيع الإطلال منها على المبنى المجاور.

وهذا الحق لا يعد انتقاصا من حقوق الجار المحمل به، لأن القانون استوجب على الجار المستفيد من هذا الحق أن يدفع المقابل العادل له.

وما أجمل أن يعرف الجار حقوق جاره، فيحترمها، فينعم الجميع بالاستقرار، ولا يقع منه ثمة اعتداء عليها، فينجو من عقاب القانون في الدنيا، ومن عقاب الله يوم القيامة..

والله تعالى ولي التوفيق..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

الإمـــام الشـــاطبى

وكتابه الموافقات ومقاصد الشريعة

٢

للأستاذ الدكتور السيد أحمد فرج

المصلحة العائدة على العبد

من رفع الحرج والمشقة

اقتضى قصد الشارع رفع الحرج والمشقة إلا فيما لابد منه، كما أراد الشارع دوام العمل وعدم انقطاعه؛ لأن المشقة إذا كانت مقصودة لذاتها، تجعل المكلف يبغض العمل وينقطع عنه، ولهذا كـان فى العبـادات فـروض وسنن ومندوبات فالفروض لا تدخل فى المشقة لأن كل مكلف قادر عليها، ومع ذلك فهناك رخص مخصوصة فى حالات مخصوصة لرفع الحرج والمشقة مثل التيمم فى حالة عدم وجود الماء، والترخيص بالفطر فى المرض والسـفـر وهكذا، ورفع التكليف فى حالة عدم الاستطاعة: كغير القادر على تدبيـر المال اللازم لأداء فـريضـة الحج، والمريض بمرض مزمن ولا يقدر على الصوم، كما لا يقدر على الفداء.

وفى كل الأمـور فـإن تكليف الشـريعـة للمكلف إنما يكون على التوسط والاعتدال، بعيدة عن المشقة.

ومع أن المقـاصـد الخمسـة الأصليـة، (الضـرورات) مفـروضـة على المكلف فرضاً، دونما اعتبار لقبوله لها أو رفضه، فهى تفضى إلى تحقيق النافع له ـ وعلى سبيل المثال فإن المكلف إذا أراد القيام إلى الصلاة طهر بدنه ونفسه، وفيهما صحة البدن الجسمية، كما أن فيها صحة نفسية، وفى الصوم تصحيح للبدن.

وفى حفظ الإنسـان لنفسـه ونسله وعقله وماله، فإنه سيجنى من ذلك الولد والمال وحسن السيرة بين الناس وهى متع من متع الدنيا محببة إلى النفس يحرص عليها كل إنسان؛ لأن فيها دوام الجنس البشرى، وإنماء المال وإيجاد البنين.

ولا يقتصر الأمر على ما يجنيه الإنسان من مصالح بتحقيق المقاصد الأصلية، ولكن بتحصيل الحاجيات والتحسينات يحصل على ثمار تبعية لثمار المقاصد الأصلية. على ألا يكون العمل فى تحصيل الحاجيات والتحسينات من أجل الحصول على الملذات والشهوات فقط، مثل أكل طيبات الطعام والشراب بقصد الحصول على اللذة فى تناولها، دون نية تصحيح البدن ليقوى على العبادة، وعلى الزواج والإنسال، وحفظ النفس والنسل وغير ذلك.

ولو كانت النية قصد الحصول على حفظ النفس والنسل، ونيل لذة تناول طيبات الطعام والشراب لحصل على فائدتين الأولى: فائدة المقاصد الأصلية الضرورية. والثانية فائدة المقاصد الحاجية والتحسينية، وهى تابعة للضرورية لا تنفصل عنها.

النية والقصد من العمل

النية والقصد فى العمل، هى التى تجعله صحيحا ومقبولا، ومتوافقا مع قصد الشارع. أى وجوب أن يكون قصد المكلف فى العمل موافقاً لقصد الشارع فى التشريع.

ولهذا فكل ما ابتغى فى الشريعة، غير ما شرعت له، فقد ناقض الشريعة ويكون عمله باطلاً، مردوداً عليه.

فإن كان بعض المكلفين لا يفهمون مقاصد الشارع فى كثير من التكاليف والأحكام فعلى المكلف أن يختـار ـ فى هذه الحالة ـ بين ثلاثة خيارات:

١ ـ أن يعمل بما فهمه؛ على ألا يخل عمله هذا عن قصد الشارع: أى عن قصد التعبد.

٢ ـ أن يقصد ما عسى أن يكون الشارع قصده.

٣ ـ أن يمتثل أمر الشارع ويخضع لأحكامه.

وهو فى كل ذلك موافق لقصد الشارع، غير مناقض لأحكامه.

أحكام الشريعة بين التعليل والتعبد

الأصل فى العبادات أنها غير معللة، لأنها امتثال لأوامر الله. فجانب العبادات من الشريعة يُبنى على أساس التسليم لله تعالى. وهو رأى جمهور العلماء إلا رأى أبى حنيفة الذى يهتم بالتعليل إلا أن يتعذر الوصول إليه.

وإذا رأى الجمهور أن العبادات غير معللة، إلا أنه من الممكن القول بأن كل العبادات معللة فى أصل شرعها وفرضيتها، فى كثير من النصوص، ويمكن تقريب ذلك بما يلى:

أولا: الصـلاة:

١ ـ قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾

«طه: ١٤»

٢ ـ قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾

«العنكبوت: ٤٥»

ثانياً: الصيام:

١ ـ قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

«البقرة: ١٨٣»

ثالثاً: الحج:

١ ـ قال تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾

«الحج ٢٧ ـ ٢٨»

رابعاً: الزكاة:

قال تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

«التوبة: ١٠٣»

وفى حديث لرسول الله ﷺ: (... تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم).

وهكذا تستبين العلة من الصلاة: فى ذكر الله تعالى، ولأنها تصلح من أمر العبد، فتنهاه عن الفحشاء والمنكر والبغى، وفى الصيام التقوى، وفى الحج عبادة الله، وتبادل المنافع بين الناس، فى اجتماعهم. وفى الزكاة لضمان التكافل الاجتماعى، بين جماعة المسلمين.

كما أن أحكام الجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كلها معللة ومع هذا فإن المقصود بالعبادات: الخضوع لله ـ سبحانه وتعالى ـ بإخلاص التوجه إليه، والانتصاب على قدم الذلة بين يديه، وتذكير النفس بالذكر له. (الشاطبى فى الموافقات ٢ / ٣٩٩)

ولكن ذلك لا يعنى انعدام مقاصدها الدنيوية، ومنفعتها للعبد فى حياته، وفى ذلك يقول الشاطبى (فى الموافقات ١ / ٢٠١): «وقد علم أن العبادات وضعت لمصالح العباد فى الدنيا، وفى الآخرة على الجملة، ففيها تزكية النفس. وتطهير البدن وتصحيحه.

والتعليل على كل حال لا يتنافى مع التعبد، وليس هناك حكم تشريعى إلا وله حكمة، ولقد أمرنا الله تعالى بالنظر والتفكر والتدبر فى الدين والتشريع والبحث عن العلل والأسباب.. قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾

«النساء: ٨٢»

وقال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

(الغاشية: ١٧ ـ ٢٠)

وقال القرطبى (فى الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٦٤): «لا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء، قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية».

وقال ابن القيم (فى أعلام الموقعين ٣ / ٣):

«إن هذه الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، ولا يجوز أن توجد هذه الأمور بدون تعليل. كذلك فإن هذه المصالح الدنيوية، والأخروية التى تنطوى عليها الأحكام الشرعية، يجب أن تهتدى إليها وتطبقها فى ضوء المصلحة الشرعية وهذا لا يتم بدون تعليل.

مقاصد الشريعة فى جلب المصالح ودرء المفاسد

والمصالح الحقيقية هى التى تؤدى إلى إقامة الحياة، لا إلى هدمها، ولذلك كان تحقق المصالح عماد الدين، وهذا المفهوم يجب أن يكون فى إطار الشريعة التى جاءت لتخرج المكلفين من أهوائهم حتى يكونوا عباداً لله. ومن هنا فإن وضع الشريعة لم يكن بحسب ما تهوى نفوس البشر، وإنما بحسب المصلحة التى هى عماد الدين والدنيا. ولهذا يقول الشاطبى (الموافقات ٢ / ٦): «إن المصالح المعتبرة شرعا هى خالصة غير مشوبة بشئ من المفاسد».

قال تعالى:

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(الحج: ٧٧)

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(النحل: ٩٠)

وقال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٢)

وقال تعالى:

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

كيف تعرف مقاصد الشريعة؟

١ ـ تعرف بالنص الشرعى: من الكتاب والسنة فى تحريم قتل النفس بغير النفس، والزنا والسرقة وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير وغير ذلك.

٢ ـ بالعقل: فلولا أهمية العقل للإنسان، ما كان الحفاظ على العقل من المقاصد الضرورية الخمسة. ولذلك يجب أن يفسح للعقل مجالات النظر والتدبر والاجتهاد فى كل مجالات المعرفة.

والإنسان مطالب بالحفاظ على العقل وتحريره من أوهام الخرافات. وحفظه مما يقتل فيه وسائل الإدراك المعرفى مثل المسكرات والمخدرات والجهل والخمول.

٣ ـ فهم المقاصد وفق مقتضيات اللسان العربى: فقد نزل القرآن بلغة العرب وبلسانهم، ومن ثم فإن فهمه إنما يكون عن طريق اللسان العربى، وكذلك السنة، فهى باللسان العربى، وكان الرسول ﷺ أفصح العرب قاطبة.

من الأعلام المعاصرين

عبد الرزاق السنهورى بين الفقه والقانون

٢

للأستاذ / عمر بن حسين الموجان

الشريعة الإسلامية كانت تملأ نفس السنهورى فى غدوها ورواحها وحلها ترحالها فهى شريعة الله التى تصلح للتطبيق فى كل زمان ومكان ولكل إنسان فكيف يرى تطبيق الشريعة الإسلامية فى العصر الحديث!!!

الشريعة الإسلامية والقانون

يقول رحمه الله:

«إن القرآن الكريم والحديث الشريف هما الجزء المجموع من القانون الإسلامى.. فجزءاً من أحكامهم عام يصلح فى عموميته لكل زمان ومكان وجزءاً آخر خاص بالزمان والمكان اللذين وضع فيهما والقرآن نفسه فيه ناسخ ومنسوخ.. والنسخ مقر لبعض الأحكام جاء فى ظروف خاصة على هذه الظروف واستبدل أحكام أخرى بها بعد زوال الظروف التى اقتضتها».

فكل ما ورد فى القرآن والحديث مما يتعلق بعلاقة الخالق بالمخلوق لا تتغير وهذا معنى قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم» أما ما عدا الدين من الأمور الدنيوية فلا تشمله الآية.

ويقول: «أذكر أنه نسب للنبى - ﷺ - قوله إن الأحكام الشرعية وافقت العقل انظر ما فى هذا القول الحكيم من التسامح الذى لا أعلم أن ديناً وصل إليه من السعة التى تجعل الدين الإسلامى دين لكل زمان ومكان.. ألاحظ أن العقل الذى يقصده النبى - ﷺ - فى قوله هو تطرى. ذلك العقل الذى يتطور مع الزمن ويتكيف مع المؤثرات المختلفة ولا شك أن النبى - ﷺ - لم يأت بأحكام تتناقض مع العقل فى زمنه أو يتوقع إمكان تناقضها فى المستقبل بل انه نظر إلى إمكان تطور العقل فأوجد الأحكام التى بها مرونة وجعلها صالحة لكل زمان ومكان تطبق فيه».

«أرى أن الأساس الذى ينبنى عليه إحياء الشريعة الإسلامية.. فى نطاق الفقه يؤخذ الجزء الخاص بالقانون «خالصاً من الجزء الخاص بالعقائد والعبادات» ويستخرج منه القواعد العامة للشريعة الإسلامية وهى قواعد تصلح لعموميتها أن تطبق فى كل زمان ومكان ولكن تطبيقاتها تختلف باختلاف الزمن وباختلاف الأمم فيكون هناك أصول للشريعة الإسلامية لا تتغير وتفاصيل الشريعة الإسلامية تتغير بتغير الزمان والمكان.

أبا حنيفة هذا فقهكم بقيت
منه الأصول وقامت أفرع جدد
مافا على الدوحة الشماء إن ذهبت
منها الفروع وظل الجذع والوتد

فمذهب الإمام أبى حنيفة مثلاً يفهم على أنه مذهب لتطبيق أصول الشريعة الإسلامية فى الزمن الذى وجد فيه والإقليم الذى انتشر فيه، ولا يستتبع كل زمن وكل إقليم بل لكل أن يستنبط من التفاصيل ما ينطبق على ظروفه الخاصة وليس معنى هذا أن يطرح التفاصيل التى تعبت فى استنباطها الأزمنة والأقاليم الأخرى بمجهودات تستوجب الإعجاب بل يجب ربط الحاضر بالماضى ربطاً لا يقيد الحاضر فيغله ويوقف تقدمه ويقطع صلته بالماضى فتنعدم وحدة الشريعة الإسلامية فى مجموعها».

> «اللهم إنى أؤمن بوجودك وبصدق نبيك، وأن لى عقلاً أمرتنى أن أحكمه فى أمور هذه الدنيا وها أنا ذا أفعل».
> السنهورى

ويصل القول:

«لا ينبغى الاقتصار على كونها شريعة صالة لتطبيقها على المسلمين فى العصر الحاضر بل وعلى غير المسلمين أيضاً، وليس معنى هذا إرغام غير المسلمين على اتباع قواعد لا تقرها معتقداتهم وأديانهم المختلفة التى يجب احترامها احتراماً تاماً. «فالشريعة الإسلامية تكملها الشرائع الأخرى ما لم تتناقض معها هذه الشرائع فتنسخ الجزء الخاص الذى تتناقض معها فيه» وفيما عدا ذلك فإنه يجب عد هذه الشرائع قائمة بوصفها جزءاً من الشريعة الإسلامية وبمقتضى هذه القاعدة يمكن قبول الكثرى من مبادئ الشرائع الأخرى الصالحة للتطبيقات فى العصر الحاضر».

«ويمكن إنشاء طريقة جديدة لدراسة الشريعة الإسلامية ومقارنتها بالشرائع الأخرى حتى يتيسر فتح باب الاجتهاد فى تلك الشريعة الغراء ذلك الباب الذى أغلق منذ أمد طويل وبعد ما تتخطى الشريعة أعناق تلك القرون الماضية فتتأثر تأثيراً جدياً فى القوانين المستقبلية».

«ويدرس الفقه الإسلامى مع إنشاء مجلة تعنى بالفقه الإسلامى..»

نهضة الشرق الإسلامى

على الشرق قد حولت قلبى وهمتى
وللخـــير يا ربى نذرت حيـــاتى

كان الدكتور السنهورى رحمه الله له حب واضح للإسلام وولاء للشرق المسلم وكان فى الوقت ذاته له إلمام ودراية بالغرب وبكثير من تفاصيل حياته الداخلية فقد عاش فيه سنوات من عمره فكان يحمل فكراً متوازناً يسعى به لنهضة الشرق مع الحسرة التى تلذع فؤاده على تأخر الشرق بعد الريادة:

فيقول:

«أرى بأن يختط الشرق لنفسه طريقاً لا أن يكون مقلداً للغرب وتكون المدنية الشرقية تصل الماضى بالمستقبل فالمدنية الشرقية بدأت بالدين وستنتهى إلى الدين فهو مهبط النور والخير ومهبط الحكمة والأديان.

«وأرى أن يتم عقد محالفات بين الأمم الشرقية من شأنها أن تقوى الروابط العلمية والاقتصادية والسياسية وتكون عند الضرورة معاهدات دفاعية ضد المعتدى......»

ويقول: «أرى أن الغرب لا يحسن تقليده إلا فى الأشياء المادية فهو متفوق فيها تفوقاً لا ينازع فيه أما الأشياء المعنوية فيحسن بالشرق أن يواصل تاريخه المجيد دون أن يقلد الغرب فى الجوهر، وإن أخذ منه الشكل».

وقد اقترح السنهورى رحمه الله خطة لنهضة الشرق..

بأن تجتمع الدول الشرقية الإسلامية فى مؤتمر وتقسم أعمال هذا المؤتمر إلى ثلاث لجان:

الأولى: مهمتها وضع أصول للقانون الدولى العام للأمم الشرقية:

«مع الاستفادة من المؤتمرات مثل مؤتمرات الجمهوريات الأمريكية فى طريقة العمل والنتائج والتجارب».

ويؤخذ فى الاعتبار أصول القانون الدولى منها عدم مشروعية الحرب بين الأمم الشرقية وإيجاد هيئة تحكيم دائمة ووضع قوة تنفيذية تحت تصرفها بشكل ما.

> «كلما تقدمت فى السن ازداد ايمانى وتعلقى بقيام الشرق الإسلامى».
>
> السنهورى

واللجنة الثانية: لجنة مالية تبحث طرق التعاون لتنمية الموارد الاقتصادية للأمم الشرقية ووضع اتفاق لاتحاد جمركى بين هذه الأمم، وإنشاء شركات وطرق مواصلات وسكك حديدية وتليفونات وطائرات ومصارف شرقية لتشجيع التجارة والصناعة والزراعة.

واللجنة الثالثة: لجنة علمية تفتح أساس لنهضة علمية عامة دعائمها العلوم الشرقية القديمة مع بث روح العصر فيها والاستفادة من علوم الغرب الذى يتلاءم مع عادات الشرق وتقاليده مع جعل أساس القانون المدنى الشريعة الإسلامية فى الجزء المدنى مع وضع مشروع للقانون الدولى الخاص الموحد تطبقه كل الأمم الشرقية على السواء.

الخلافـــة

ولى على الأرض آمال مقدسة
أن يقصنى عنك شئ فهى تدنينى

لقد ألف السنهورى رحمه الله رسالته فى الدكتوراة الثانية فى «الخلافة الإسلامية» وقد عرض رؤيته للأساس فى تولية أبى بكر الصديق رحمه الله الخلافة فقال:

«لما شعر الرسول - ﷺ - بدنو أجله لم يرد أن يبت فيمن يكون قائداً للمسلمين فى أمورهم الدنيوية واختيار أبا بكر للصلاة فهل نستطيع أن نفهم من هذا أن النبى - ﷺ - أراد أن يفرق بين الدين والدنيا فعين الإمام وترك للمسلمين أن ينتخبوا إمامهم، أم أن خلافة أبى بكر عليه السلام جاءت من سبيل القياس ويكون من يولى أمر الدين يولى أمر الدنيا أم أن تعيين أبى بكر إماماً جاء من قبل النبى وتعيينه خليفة جاء من الإجماع وعلى ذلك يكون جمع الدين والدنيا من مصدرين مختلفين ويجوز بذلك تفريق الأمرين على رجلين؟.

هذه مسألة تستحق البحث والنظر: وأميل من الآن على أن فى الإسلام إمامة وخلافة.

فالإمامة الرئاسة الدينية والخلافة هى الرئاسة السياسية وقد يتفرقان على رجلين يكون الأول إمام المسلمين ويكون الثانى خليفة المسلمين.. والإمام لابد من وجوده للإسلام لأن النبى - ﷺ - لم يفته أن يعين من يخلفه فى أمور الدين.. أما الخليفة فجاء بإجماع المسلمين من هذا يتضح أن طريقة تعيين الخليفة السياسى والسلطة التى تعطى له وعلاقته بالسلطات السياسية الأخرى اختلف حلها باختلاف العصور التى مرت على المسلمين وهى قابلة للتطور فى كل وقت».

> «اللهم القوة القوة والنصر النصر، القوة فى الحق والنصر فى سبيلك يا الله»
>
> السنهورى

ولقد سمعت رأياً فى سبب ترك الرسول - ﷺ - تعيين خليفة من بعده لسياسة الدنيا من فضيلة الشيخ إبراهيم المرجان أرى أنه جدير بالتأمل والنظر فيقول:

«أن الرسول - ﷺ - هو صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة من الجنة وقد سأل الله أن يلقاه وليس فى عنقه مظلمة لمسلم وبتسمية الرسول - ﷺ - لأبى بكر الصديق خليفة لسياسة الدنيا فإن كل ما يكون من أمر أبى بكر فسيكون فى صحيفة المصطفى أتراه ترك التعيين لهذا السبب فاختار المسلمون إمامهم المنتخب خليفة وأجمعوا عليه، إن هذا هو الأقرب إلى نفسى!!».

وقد تكلم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى عن الدكتور السنهورى وظروف وفكره هذه الرسالة العلمية وشفى صدور قوم مؤمنين وأنصف السنهورى بما كان أحق به وأهلاً له[١].

---

(١) النهضة الإسلامية فى سير إعلامها المعاصر ج٣ ص١٩٦ – ٢١٠.

آراء خاصة بالدكتور السنهوري

أريد الحياة كما أرتضي
ولكن أريد ويأبى القدر

كان للدكتور السنهوري رحمه الله آراء فلسفية نابعة من الاستغراق في التفكير وهذه الآراء تستحق التأمل لأنها توضح عمق وأصالة الفكر النير لديه فيقول:

١- «لا يجوز أن ينعى على الإسلام أنه أباح الرق وأباح تعدد الزوجات والصحيح أن الإسلام قيد الرق بعد أن كان مباحاً دون قيد، ولم يبح تعدد الزوجات ولكن قيد هذا التعدد بعد أن كان مطلقاً دون قيد.. والفرق كبير بين الإباحة والتقييد، فمن يبيح نظاما كان من الحق أن ينسب إليه هذا النظام أما من يقيده، فليس من العدل أن ينسب إليه».

٢- يجب أن تكون السلطة الشرعية هي السلطة الفعلية، لا أن تكون السلطة الفعلية هي السلطة الشرعية.

٣- «تفوق الرجل بقلبه، ثم بأخلاقه، ثم بذكائه، وما عدا ذلك فمظهر قيمته وقتية أو خداعة.

٤- «التاريخ والجغرافيا ليسا بعلمين، هما الزمان والمكان لكل العلوم».

٥- «حتى تستطيع أن تغلب خصمك اجتهد أن تفهمه أولاً».

٦- «من لم يملأ روعه الموت خليق بأن يأتي العظيم من الأمور».

إن صدور كتاب: «السنهوري من خلال أوراقه الشخصية» أظهر جانباً من الفكر الوضاء لهذا الرجل صاحب النظر البعيد ولعله كتب هذه المذكرات لنفسه في مناسباته وخلواته الخاصة ولم يتوقع أن تعرض على جمهور القراء... وما قدمه السنهوري من خلال آثاره المكتوبة يوحي بصدق في الهدف ورغبة في نهضة الأمة الإسلامية وحرص على استعادة المجد الضيع فكثيراً مما نادى به السنهوري قبل عشرات السنين تحقق منه ما تحقق وبقي ما نحن في أمس الحاجة إليه اليوم.

> «أما والله لو اجتثت الشر من أصوله لما انبت».
> السنهوري

وقد كان آخر دعاء خطه بيده الميمونة رحمه الله:

«رب يسر لي عمل الخير، واجعل حياتي نموذجاً صالحاً لمن يحب بلده الأصغر، ويحب بلده الأكبر، ويحب الناس جميعاً. اللهم آمين.

مرت علي ليال كنت أحسبها
لا تنقضي فإذا بالعمر يطويها

«اللهم إنني منك وإليك»

فرحم الله السنهوري - المنظر الذي سبق فكره عصره - رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

***

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟

للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

توماس جولد شتاين

يُعد «توماس جولد شتاين» Thomas Goldstein من أهم المؤرخين المعاصرين المعنيين بتاريخ العصور الوسطى، وعصر النهضة الإيطالي، وعصر الاكتشافات. وفي كتابه «المقدمات التاريخية للعلم الحديث» تتبع تطور المعرفة العلمية من الإغريق القدماء إلى عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وجعل الفصل الرابع من هذا الكتاب بعنوان «هبة الإسلام».

يعترف جولد شتاين في مقدمة كتابه بأنه، بنزوعه العقلي إلى الإنسانيات، كان قد دخل من الباب الخطأ على أيدي معلمين أصروا على تقديم العلم وفق أولويات تقليدية جامدة، بدل أن يخاطبوا اهتماماته الثقافية والفكرية، وهو بهذا يشير إلى خلل واضح في نظام التعليم ومنظومة الثقافة الغربيين، ويعيب على التقسيمات الغربية للتخصصات في حضارة الغرب الحديثة ذات الثقافتين أنها أنتجت هذا الذي أسماه «العمى الجزئي»، بسبب تلك الموضوعات المحكمة الإغلاق التي يتم تلقينها بطريقة خرقاء تماما في المدرسة. لكن تاريخ العلم فتح أمامه عالما من المذاق واللون الثقافيين لم يكن واعيا به، مضيفا بذلك بُعداً بهيجاً إلى رؤيته للماضي وخصوصا لحضارة العصر الوسيط. ولم يجد جولد شتاين -ولو قليلا- حرجاً في إلقاء اللوم على حضارة الثقافتين بعد أن بدا له بغتة أن العقلية الآرية ليست -كما كان الزعم- أسمى تجسيد للعقل الإنساني، واتضح له

أن قوى تاريخية نابعة من الماضي البعيد وليس امتيازاً موهوما للجنس الآري هي التي ولدت التفوق العلمي والتكنولوجي للغرب الحديث، ثم راح يتساءل: هل نحن ضحايا للتحذيرات الثقافية الموروثة؟ ويجيب قائلاً: «ربما كان صلفنا في الخلط بين تعصباتنا الثقافية الكامنة وبين الحقائق المطلقة هو ما أعاق تجردنا النقدي وأخرس نفورنا الأخلاقي الأولي في وجه التأثير المدمّر للعلم على حياتنا».

عندما تسيد البدو العالم

ويحاول جولد شتاين أن يُغلّب رؤيته الموضوعية على نزعته التعصبية أثناء حديثه عن الإسلام وأثره في الغرب، فيقول: «الإسلام واحد من أشد الظواهر إدهاشاً في التاريخ الثقافي» ففي ما بين منتصف القرنين السابع والثامن الميلاديين صعدت القبائل البدوية لشبه الجزيرة العربية لتتولى دور السادة على معظم ما كان يمثل العالم القديم. وخلال وقت قصير، رفعوا أنفسهم من مستوى البدو إلى مستوى الورثة اللامعين للثقافات القديمة. ومثل قبائل الهندو، أوروبيين أو «الجرمان» النازحين إلى الغرب، شاركوا في تقويض روما التي كانت بدورها تضم معظم العالم القديم، لكنهم -على خلاف الجرمان- قاموا بفتوحاتهم العالمية انطلاقا من قاعدة شرقية صلبة تضم المراكز الثقافية القديمة. وهذا الاختلاف شكل عنصراً له وزنه في صياغة دورهم التاريخي.

وقد أعزى جولد شتاين الدور الثقافي اللامع لحضارة الإسلام إلى ثلاثة عناصر رئيسية: أولها -حسب ترتيبه- الحماس الفطري لقوم تفتقدهم الحضارة إلى حد كبير، يتحرقون لاستيعاب الميراث الثقافي الذي كان منبسطا أمام أعينهم في البلاد المفتوحة حديثا.. ومن خلال فتوحاتهم وقعت في أيديهم عمليا مراكز كل الحضارات القديمة، ويبدو أن قدرتهم على التعلم كانت متناسبة مع هذه الفجوة الثقافية.

اليقين الإسلامي

والعنصر الثاني فيما يرى جولد شتاين -ولعله الأول من حيث الترتيب فيما نرى- هو القرآن الكريم. فقد استلهم التاريخ والثقافة الإسلاميان (بما في ذلك العلم الإسلامي بصورة حاسمة) تعاليم هذا الكتاب المقدس، وقد صهر القرآن الكريم -بدعوته التوحيدية الصارمة- أتباعه في جيوش تحارب من أجل رسالة مقدسة، وإلى مجتمعات تنظم التعاليم الدينية حياتها اليومية في

الأزهر

كل جوانبها، وإلى حضارة تميزت تاريخيا بانفتاح عقلها تجاه الثقافات الغريبة، وهذا نابع من اليقين التام لمعتقداتها الدينية الخاصة وخضوعها الذي لا يهتز ولا يتزعزع للإله الواحد وللكلمة التي علمها لهم محمد، رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا اليقين الداخلي الأساسي- في أوج قوتها على أي حال- هو الذي منح المجتمع الإسلامي مرونته الاستثنائية في مواجهة الحضارات الغريبة وموروثاتها.

الطابع الكوني للحضارة الإسلامية

أما العنصر الأكثر حيوية في تطور العلم الإسلامي فيراه جولد شتاين متمثلا في هذا الطابع الكوني (العالمي) للثقافة التي أبدعها العرب. فالحضارة الإسلامية، بامتدادها في اتساع العالم القديم من نهر الجانج إلى المحيط الأطلنطي، قد وجدت داخل مجالها التقاليد الثقافية للهند، وبلاد فارس، وما بين النهرين، ومصر، وأجزاء في غرب البحر المتوسط. وأثبت العرب أنهم أساتذة في نسج كل هذه الخيوط المختلفة في نسيج ثقافي جديد.



وتماسكت الحضارة الجديدة بواسطة لغتهم المشتركة وإيمانهم المشترك وطريقة حياتهم المشتركة، واتسعت بما يكفي لاستيعاب التبادل الحر لكل هذه التنوعات. وقد احتفظت تلك البلاد، من الهند، عبر كل الشرق الأدنى وشمال افريقيا، إلى ساحل البرتغال بطابع تلك الثقافة المتنوعة العناصر حتى يومنا هذا.

ويحرص جولد شتاين على سرد محتويات المخزون الهائل من المعرفة الإسلامية في كل المجالات، ويوضح أن استقبال الغرب لهذه العلوم لم يكن فقط من أجل رصانتها وإنما باعتباره جزءاً من حركة ثقافية كانت أوروبا في أمسّ الحاجة إليها، لقد كان ثمة وميض وتألق وتوهج وبهاء ينبعث من البلدان الإسلامية عبر أوروبا: إبان القرون الوسطى، وتصادف أن يعني العلم بالضبط ما عناه بالنسبة إلى علماء الإسلام، نمطا من البحث التخصصي، كانوا مستعدين لمواصلته من حيث انتهى المسلمون، وللتقدم به وفق شروطه المضنية.

- يتبع -

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

شهادات غربية في إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١٦

أما الشهادة التاسعة فهي للمستشرق الألماني «بلسنر - مارتن» plessner.M المحاضر في معهد العلوم الشرقية بجامعة فرانكفورت.. والمتخصص في إحصاء الترجمات العربية عن التراث اليوناني، بميادين الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية في الحقبة التي تسميها أوروبا «العصور الوسطى».

ومن آثاره الفكرية: مباحث في أسس الكيمياء العربية القديمة وتأثرها بنظريات من سبق «سقراط» (٤٧٠ - ٣٩٩ق.م) من فلاسفة اليونان سنة ١٩٣٠م.. والمخطوطات العربية في اسطنبول وقونية ودمشق سنة ١٩٣١م.. ومصنف عما صدر بالعربية من الأدب العبري في القرون الوسطى.. وترجمة العلوم اليونانية إلى العربية سنة ١٩٥٤م.. والتعريف بعدد من المصطلحات والمفردات في دائرة المعارف الإسلامية.. ودراسته عن العلوم الطبيعية والطب في تراث الإسلام.

وفي هذه الشهادة يتحدث «بلسنر» عن إنجازات العلم الإسلامي - بالحضارة الإسلامية - في ميادين العلوم الطبيعية.. وفي الطب.. والعلوم.. وعن النزعة النقدية في العلم الإسلامي.. والتميز المنهجي لهذا العلم بالواقعية والتطبيق والتجريب.

يتحدث «بلسنر» عن ذلك فيقول:

«تعود بداية الاهتمام بالعلوم القديمة عند المسلمين إلى عهد أقدم بكثير من عصر الترجمات، فالجدل المستمر بين المسلمين من ناحية والنصارى والأقوام التي دخلت الإسلام بثقافتها الهلينية من ناحية أخرى، كان لابد أن يؤدي إلى إثارة الاهتمام بالعلوم»[١]

«ولا يكاد يوجد شيء من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر.

لم تكن علوم المسلمين، بطبيعة الحال، العامل الوحيد الذي أدى إلى إحياء العلم في الغرب، فتقاليد العلوم القديمة لم تتلاش تماما وسط الفوضى التي عمت خلال العصر، عصر غزوات البرابرة لأوروبا ومع ذلك فمن الصحيح أن علماء المسلمين أعطوا العلم الأوروبي قوة دفع جديدة والأهم من ذلك أن هذا العلم الغربي قد اكتسب مادة أدت إلى إثرائه بدرجة لا نظير لها بفضل الترجمات العربية عن الإغريق، وكذلك بفضل الإنتاج العلمي المستقل للمسلمين أنفسهم..»[٢]

«إن المؤلفات الطبية التي وضعها إسحق بن سليمان الإسرائيلي (٣٢٠هـ-٩٣٢م) وموسى ابن ميمون (٥٢٩-٦٠١هـ ١١٣٥-١٢٠٤م) لا تختلف عن أعمال المؤلفين المسلمين، وينسحب ذلك على الكتابات العلمية التي وضعها الأسقف النصراني ابن العبري (٦٢٣-٦٨٥هـ ١٢٢٦-١٢٨٦م) (بارهيبرايوس) Barhebraeus».

والواقع أن مجرد كون كتب المؤلفين المسلمين قد أمكن ترجمتها إلى العبرية واللاتينية دون أية تغييرات جوهرية، إنما يثبت وجود تفاعل بين الأديان في العلم الإسلامي لا تقل أهميته عما كان في ذلك العلم من تفاعل بين القوميات وربما كان العلم هو أقل الميادين الثقافية خضوعا لعملية «الصبغ بالصبغة الإسلامية».

إن كتاب القانون - لابن سينا - أصبح وكأنه إنجيل الطب في العصور الوسطى.

والعالم الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى، وذلك عن طريق الاستنتاج المجرد، ونعني به علي ابن النفيس «سنة ٦٨٧هـ ١٢٨٨م» ويبدو الآن أن «مايكل سيرفيتوس» Michael Servetus «١٥١١-١٥٥٣م» كان على علم بنظرية ابن النفيس هذه.

كما لابد لنا من أن نذكر مثالاً فريداً لتأثير التراث الإسلامي على الغرب، ذلك أن مؤسس علم التشريح الحديث «أندرياس فيساليوس» Andreas Vesalius [١٥١٤-١٥٦٢] نشر سنة ١٥٣٨ «جداوله» التشريحية الستة كدراسة تمهيدية لمؤلفه الرئيس المعروف باسم «الصنعة» الذي كتبه سنة ١٥٤٣م، وقد ورد في النص اللاتيني لهذه الجداول عدد كبير من المصطلحات العربية والعبرية، بل إن بعض المصطلحات كتبت بحروف عبرية، وقد قام «شارلز سنجر» Charles Singer و«حاييم رابين» Chaim Rabin ببحث دقيق عن هذه الجداول، ولم تكتف هذه الدراسة بشرح النصوص الواردة في الجداول المذكورة شرحاً دقيقاً، بل أظهرت أيضاً كيف اهتدى «فيساليوس» إلى

(١) بلسنر: «العلوم الطبيعية والطب» دراسة منشورة بكتاب [تراث الإسلام]. إشراف «شاخت» و«بوزورث» «مصدر سابق» القسم الثالث ص٨٠.

(٢) المصدر السابق ص٧٩، ٨١.

معرفة المصطلحات في اللغات السامية التي لم يكن هو نفسه ضليعا فيها، وهكذا أهملت جداول «فيساليوس» التشريحية التراث العربي في الطب إلى مطالع العصور الحديثة.

«ولا يعرف حتى الآن إن كانت مؤلفات المسلمين في النبات بالذات مثل (كتاب النبات) لأبي حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ، ٨٩٥م) قد تركت أي أثر على الغرب، لكن هذا الأثر يبدو حقيقة واقعة إلى حد ما بالنسبة لمؤلفات علماء المسلمين في الزراعة والفلاحة. فقد ترجمت إلى اللاتينية مقتطفات مطولة من (كتاب الفلاحة النبطية) لابن وحشية (٢٩٦هـ، ٩٠٩م)، كما ترجمت إلى اللغة القشتالية في العصور الوسطى كتابات عالمين أندلسيين في الزراعة، هما (ابن واقد) (ت ٤٦٧هـ، ١٠٧٥م) وابن بصال (ت ٤٩٩هـ، ١١٠٥م).

كذلك فإن مؤلفات المسلمين في خواص المعادن والأحجار أثارت اهتمام الغرب.

ولم تنحصر دراسة هذه العلوم الطبيعية الثلاثة «وهي النبات، والحيوان، والمعادن والأحجار» مؤلفات متخصصة في هذه العلوم فحسب، بل إن المادة الناتجة عنها قد ضمنت في موسوعات خاصة بجميع العلوم، وكذلك في المؤلفات العامة التي تصف الكون Ceneral Cosmographies.

ولازالت مؤلفات المسلمين في الجغرافيا تحتل مكانا مهما حتى يومنا هذا، لأن المعلومات التي تتضمنها تزيد في علمنا بالجغرافيا التاريخية المتعلقة بالبلدان التي تناولتها هذه المؤلفات، وبالتالي تنمي بصورة غير مباشرة معلوماتنا عن تاريخ تلك البلدان. فترات الإسلام في هذا الميدان له أهمية إيجابية خاصة.

«وكان للخرائط الإسلامية وما كتبه المسلمون في علوم البحار أثر بالغ في تقدم الملاحة الغربية»[3].

«لقد أنشأ المسلمون علماً خاصاً بالتراجم وأسماء المؤلفات التي وضعها علماؤهم في مختلف العلوم، وهو تقليد يتمنى المرء لو أن غيرهم من الأمم وأصحاب الثقافات الأخرى اتبعوه».

وفي القرن الخامس الهجري «الحادي عشر الميلادي» كتب القاضي والفلكي الطليطلي صاعد ابن أحمد بن عبدالرحمن بن صاعد الأندلسي (٤٢٠-٤٦٢هـ، ١٠٢٩-١٠٧٠م) أول كتاب عن تاريخ العلم في العالم، بعنوان «التعريف بطبقات الأمم»، ويشتمل هذا الكتاب على دراسة مفصلة لما أسهمت به الأمم المختلف في ميادين العلم..[4]

«في تلك القرون اتسع تسامح الفكر الإسلامي حتى أتاح الفرصة للمواجهة بين الأديان المختلفة على نحو لم يسمع به من قبل في أي مكان آخر.

كان الرازي (٢٥١-٣١١هـ ٨٦٥ - ٩٢٣م)

(٣) المصدر السابق ص ٨٣، ٨٤ – ١٢٤، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩.

(٤) المصدر السابق ص١٤١، ١٤٣، ١٤٤.

يميل في مسائل ما وراء الطبيعة إلى اتخاذ موقف قريب من موقف «كنت» kan (١٧٤٢-١٨٠٤م) القائم على تحكيم العقل كما اتخذ هذا الموقف أيضا في العلوم التي مارسها وقد سجل بدقة تاريخ حالات مرضية أمكن التعرف على بعضها من خلال أبحاث «ماكس مايرهوف» M.meyerhof (١٨٧٤-١٩٤٥م) ووضع الرازي كتابا شهيرا طالما تناقش حوله العلماء وعرف فيه لأول مرة تعريفا صحيحا الفرق بين الجدري والحصبة.. أما في ميدان الكيمياء فكان الرازي أول عالم لا يجوز في حقه أن يوصف بأنه سيميائي، إذ لا شك في أن الرازي كان علما بآراء من سبقه من الكيميائيين ولكنه اختلف عنهم في أنه قدم تقسيما منطقيا للعناصر المعروفة لديه وأعطى أوصافا دقيقة للأدوات والطرق التي استخدمها في تجاربه العملية وتوصل من خلال ذلك إلى نتائج دقيقة مبنية على ملاحظاته هو نفسه.

وبالرغم من أن الرازي كان على علم بجميع ميادين العلم اليوناني.. فقد تحدى التراث الماضي في جميع الميادين، وكان على وعي تام بما يفعل ففي كتابه (الشكوك على جالينوس) (Dubltationes in Gulenu-m) أورد صراحة كل الانتقادات التي وجهها العلماء بما في ذلك جالينوس نفسه إلى من سبقوهم وكان ذلك قبل أن يكتب موسى بن ميمون الفصل الأخير من كتابه (المقدمات الخمس والعشرون) بثلاثة قرون وهو الفصل الذي أورد فيه ابن ميمون نقده الخاص لجالينوس مستشهدا بالرازي.

أما البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ٩٧٣-١٠٤٨م) فإنه-في السبعينات المتأخرة من عمره-وضع مؤلفه المعروف بكتاب (الجماهر في معرفة الجواهر) الذي خالف فيه تماما ما هو مألوف في كتب علم التعدين عند المسلمين وتجاهل كلية وجود أية خواص سحرية للأحجار.. وكتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) والذي ألفه عندما كان عمره حوالي الثانية والعشرين-والذي انتفع فيه (بقوانين) بطليموس (٩٠٠ - ٩٦٨م) وواصل فيه أفكاره لا يعتبر فقط دراسة مقارنة ووصفا لحقب مختلفة من التقويم-وهو من هذه الناحية يعد الكتاب الأول من نوعه في الفكر العالمي-وإنما هو أيضا مورد لا يقدر للمعلومات المتعلقة بتاريخ الأديان ومأثورات الشعوب»[5].

«لقد اتضح لنا من خلال الميادين العلمية التي بحثت حتى الآن الاتجاه العملي للعلم الإسلامي، ويتجلى هذا الاتجاه أوضح ما يكون في المؤلفات التي وضعها العلماء المسلمون في النبات والحيوان والمعادن ففي الحالات التي لم توضع فيها كتب النبات لأغراض لغوية فإن المؤلفات الإسلامية في هذا الميدان كانت ذات طبيعة زراعية أو صيدلانية..»[6].

(٥) المصدر السابق ص٩٩، ١٠٠، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣.

(٦) المصدر السابق ص١٣٠.

قصيدة العدد

قيلت هذه القصيدة قبل أن تعج بغداد بالاحتلال الأمريكي بعدة سنوات طويلة وتعيدها اليوم تذكرة بمجدها الزاهر التليد.

بغداد

للشاعر الكبير الأستاذ علي الجارم

بغداد، يا بلد الرشيد! ... ومنارة المجد التليد!(١)
يا بسمة لما تزل ... زهراء في ثغر الخلود(٢)
يا موطن الحب المقيم ... ومضرب المثل الشرود(٣)
يا سطر مجد للعرو ... بة خط في لوح الوجود(٤)
يا راية الإسلام، والـ ... إسلام خفاق البنود(٥)
يا مغرب الأمل القديم، ... ومشرق الأمل الجديد(٦)
يا بنت دجلة، قد ظمئت ... لرشف مبسمك البرود(٧)
يا زهرة الصحراء، زد ... ي بهجة الدنيا وزيدي(٨)
يا جنة الأحلام، طا ... ل بقومنا عهد الرقود(٩)
يا بهرة الملك الفسيح، ... وصخرة الملك الوطيد(١٠)

(١) بغداد: مدينة عظيمة على شاطئ نهر دجلة من بلاد العراق، وكانت مقر الخلافة العباسية، بناها أبوجعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ. والرشيد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس تولى الخلافة (١٧٠ - ١٩٣هـ) وكان عصره عصر نعيم ورخاء، وفي زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها.

(٣) الشرود: السائر الذائع المنتشر.

(٧) المبسم: الثغر، وهو ما تقدم من الأسنان حيث يكون الابتسام، والمراد الريق. البرود: البارد.

(١٠) بهرة الملك: قصبته ومقره. الوطيد: الثابت المتين.

يا زورة تحيي المنى ... إن كنت صادقة فعودي!(١١)

* * *

بغداد، يا دار النهى ... والفن، يا بيت القصيد(١٢)
نبت القريض على ضفا ... فك بين أفنان الورود(١٣)
سرق التدلل من «عنا ... ن» والتفنن من «وحيد»(١٤)
يشدو كأن لهاته ... شدت على أوتار عود(١٥)
بغداد، أين البحتري؟ ... وأين أين ابن الوليد؟(١٦)
ومجالس الشعراء في ... بيت ابن يحيى والرشيد؟(١٧)
أين القيان الضاحكا ... ت يمسن في وشي البرود؟(١٨)
الساحرات الفاتنا ... ت النجل من هيف وغيد(١٩)
الساهرات مع النجو ... م الآنفات من الهجود(٢٠)
من كل بيضاء الطلى ... مهضومة الكشحين رود(٢١)

(١٤) عنان: جارية الناطفي كانت مغنية رائعة الحسن فائقة الدلال. وحيد: اسم مغنية اشتهرت في العصر العباسي بافتنانها في الغناء، ولابن الرومي قصيدة في وصفها.

(١٦) البحتري: هو أبوعبادة الوليد بن عبيد الطائي، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح ابن خاقان، وكانت ولادته بمنبج (وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ. وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ.
ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني كان أيضاً من الشعراء المتقين في عهد هارون الرشيد، وهو أول من تكلف البديع في شعره، وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨هـ.

(١٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالد بن برمك، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد وأنبه الناس وأبعدهم صيتاً وأرفعهم قدراً وأعظمهم كرماً، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة في نفوذه وسلطانه، وأصبح الملك في قبضتهم، ولهذا غضب عليهم الرشيد وفتك بهم. وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء.

(١٨) القيان: جمع قينة وهي الأمة المغنية. الوشي: مصدر وشيت الثوب من باب وعد أي رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو الثوب المخطط.

(١٩) النجل: جمع نجلاء، صفة من النجل بفتحتين وهو سعة العين وحسنها. هيف: جمع هيفاء، صفة من الهيف بفتحتين وهو ضمر البطن ورقة الخاصرة. غيد: جمع غيداء، صفة من الغيد بفتحتين وهو لين الأعطاف والتثني.

(٢١) الطلى: الأعناق أو أصولها، واحدتها طلية. مهضومة: ضامرة لطيفة. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. مهضومة الكشحين: هيفاء، ضامرة البطن رقيقة الوسط. رود: رقيقة لينة ناعمة.

يخطرن حتى تعجب الـ   أغصان من لين القدود(٢٢)
وإذا سفرن فأين ضو   ء الشمس من شفق الخدود؟(٢٣)
يعبثن بالأيام، والـ   أيام أعبث من وليد!(٢٤)
خبأ الجمال لهن كنزا   بين سالفة وجيد(٢٥)

* * *

كم جاش جيشك بالفوا   رس من أساورة وصيد!(٢٦)
للنصر في أعلامهم   صلة بأبناء الغمود(٢٧)
ملك إذا صورته   عجز الخيال عن الصعود(٢٨)
وجهود جبارين تصغر   دونها شم الجهود(٢٩)
الرسل تتلو الرسل من   بيض صقالبة وسود(٣٠)
ساروا لقصر الخلد، يعشى   طرفهم وهج الحديد(٣١)
يتعثرون، كأنهم   يمشون في حلق القيود(٣٢)
الجو يسطع بالظبا   والأرض تزخر بالجنود(٣٣)
حتى إذا رجعوا بدا   بجباههم أثر السجود(٣٤)

* * *

---

(٢٢) القدود: جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال.
(٢٥) السالفة: جانب العنق. الجيد: العنق أو مقدمه أو موضع القلادة منه.
(٢٦) جاش جيشك: ماج واضطرب لكثرته كالبحر الزاخر اللاتج. الفوارس: جمع فارس وهو راكب الفرس. الأساورة: جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد والجيد الرمي بالسهام. الصيد: جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبرًا والأسد.
(٢٧) أبناء الغمود: كناية عن السيوف.
(٢٩) شم: جمع أشم وهو المرتفع العالي.
(٣٠) الصقالبة: قوم تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغاريا وقسطنطينية، والمراد الأمم والممالك الأوروبية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود في الشمال والغرب.
(٣١) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغداد. الطرف: العين. يعشى طرفهم: يصيب عيونهم بالعشا، وهو سوء البصر بالليل والنهار. وهج الحديد: توقده ولمعانه.
(٣٢) عثر في مشيه وتعثر: كبا وزل وسقط. الحلق: جمع على غير قياس لحلقة.
(٣٣) يسطع: يرتفع، والمراد يزدحم ويتلألأ من قولهم سطعت النار إذا ارتفعت وعظم لهيبها واشتد توقدها. الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف والرمح ونحوهما. تزخر: تمتلئ.

الفلسفات عرفتها   والعلم طفل في المهود(٣٥)
والغرب ينظر في خمود   نحو قاتلة الخمود(٣٦)
كم موئل للمستجير،   ومنهل للمستفيد(٣٧)
و«الجاحظ» المرح اللعو   ب يغوص للدر الفريد(٣٨)
بغداد، يا وطن الأديب،   وأيكة الشعر الغريد(٣٩)
جددت أحلامي، وكنت   صحوت من عهد عهيد(٤٠)
جمح الخيال فما اطمأن،   ولا استقر إلى خلود(٤١)
جاز القرون النائيا   ت، وفك أسرار العقود(٤٢)
ذكر العهود فأن للذ   كرى، وحن إلى العهود(٤٣)
واهتاجه الطيف البعيد،   فجن للطيف البعيد(٤٤)
وصبا إلى ظل العرو   بة في حمى الملك العتيد(٤٥)

* * *

يا أمة العرب اركضي   ملء العنان، ولا تهيدي(٤٦)
سودي، فآمال المنى   والعبقرية أن تسودي(٤٧)
هذا أوان العدو لا الـ   إبطاء والمشي الوئيد(٤٨)
المجد أن تترقبي   وإذا وثبت فلا تحيدي(٤٩)
وتحلقي فوق النجو   م بلا شبيه أو نديد(٥٠)

---

(٣٨) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكناني البصري، ولد بالبصرة حوالي سنة ١٦٠هـ، وكان راوية فيلسوفًا كاتبًا مصنفًا أديبًا عالمًا بالحيوان والنبات وصافًا لأحوال الناس فكه المجلس خفيف الروح غاية في الظرف وطيب الفكاهة، ومن مؤلفاته المشهورة كتاب «الحيوان» وكتاب «البيان والتبيين» وكتاب «البخلاء»، وطريقته في الكتابة لا تزال قدوة ومثالاً عاليًا لنوابغ الكتاب. وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٥٥هـ وقد نيف على التسعين.
(٤٠) عهد عهيد: زمن قديم.
(٤٢) القرون: جمع قرن وهو مائة سنة. النائيات: البعيدات. العقود: جمع عقد وهو العشرة من العدد، فالعقود عشرات السنين.
(٤٥) صبا: مال وتاق. والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربيًا فصيحًا. والمراد القومية العربية. الحمى: المكان المحمي الذي لا يُقرب ولا يجترأ عليه. العتيد: العظيم.
(٤٦) اركضي: أمر من الركوض وهو العدو والإسراع. العنان ككتاب: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. ملء العنان: كناية عن شدة الركوض ونهاية الإسراع. لا تهيدي: لا تبالي أو تخافي.

وإذا شدا الكون المقا   خر كنت عنوان النشيد[51]
لا تخطئ حد العلا   ما للمعالي من حدود![52]
من يعط النسر الوثو   ب يعق عن صيد الفهود[53]

***

هذي طلائع نهضة   ذهبت بآثار الركود[54]
بغداد أشرق نجمها   وبدا بها سعد السعود[55]
سلكت إلى المجد القديم   محجة النهج السديد[56]
وزهت بأقمار الهدى   وسطت بأظفار الأسود[57]
بغداد، إنا -وفد مصر-   نفيض بالشوق الأكيد[58]
جئنا نحيي العلم والـ   آداب في العدد العديد[59]
مرآك عيد للمنى   قرتنا به في يوم عيد[60]
أهلوك أهلونا،   وأبناء العشيرة والجدود[61]
بين القلوب تشوف   كتشوف الصب العميد[62]
حتى يكاد يحب نخلك   نخل أهلي في «رشيد»[63]
شطت منازلنا، وما   احتاج الفؤاد إلى بريد[64]
الرافدان تمازجا   في الحب بالنيل السعيد[65]

(٥٦) المحجة: جادة الطريق أي معظمه. النهج: الطريق الواضح.

(٥٧) زهت: افتخرت وتاهت. ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقادتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد. سطت: صالت وقهرت وبطشت.

(٥٨) كان الوفد الذي يشير إليه الشاعر مؤلفًا منه والمرحوم الأستاذ أحمد عمر الإسكندري ممثلين للمجمع اللغوي، ثم من أطباء على رأسهم علي إبراهيم باشا.

(٦٠) المنى جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده ويهواه. به: بالمرأى. وأشار بالشطر الثاني إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ).

(٦٢) التشوف: التطلع إلى الشيء، والنظر والإشراف، والمراد الحب والاشتياق. الصب: العاشق المستهام. العميد: الذي هدّه العشق وأضناه الغرام.

(٦٣) رشيد: بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربي (فرع رشيد).

(٦٤) شطت: بعدت.

(٦٥) الرافدان: دجلة والفرات.

وتعانق الظلان: ظل   الطاق والهرم المشيد[66]
جئناك نستبق الخطا   أنضاء أودية وبيد[67]
طالت بنا الصحراء حتى   خلتها أبد الأبيد[68]
يتخلص المرمى المديد   بها إلى مرمى مديد[69]
كتخلص الحسناء من   وعد طوته إلى وعود[70]
بحر بلا شطين يز   خر بالتنائف والنجود[71]
وسفينتي «نرن» بها   ما في فؤادي من وقود[72]
جئنا إلى الغازي سليل   العرب والحسب المجيد[73]
نختال بين هباته   في ظل إحسان وجود[74]
أحيا المنى بالعزم والتد   بير والسعي الحميد[75]
وغدت به سوح العرو   بة منهلا عذب الورود[76]

***

(٦٦) الطاق: إيوان كسرى وهو على مسافة غير بعيدة من بغداد، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة في جنوبها الغربي، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع، وبه عرفت مصر وامتازت عن سائر الممالك والبلاد، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة. المشيد: المطلي بالشيد وهو ما تطلى به الجدران من جص ونحوه. المشيد أيضاً: الرفيع العالي.

(٦٧) نستبق الخطا: نبتدرها ونعاجلها ونسرع فيها. الخطا: جمع خطوة. أنضاء: جمع نضو وهو المهزول الذي أضعفه السفر وأضناه أي هزله. البيد: جمع بيداء وهي الصحراء.

(٦٨) خلتها: ظننتها. الأبد: الدهر والزمان الدائم. وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام في شمال الجزيرة العربية، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة في نحو ٢٠ ساعة في ذلك الوقت.

(٧١) يزخر: يعظم ويمتد ويزدحم. التنائف: جمع تنوفة وهي المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس. والنجود: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

(٧٢) أراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التي كان يركبها. «نرن»: اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التي تغدو وتروح في تلك الصحراء بين دمشق وبغداد. الوقود: بضم الواو وفتحها النار أو اتقادها.

(٧٣) الملك غازي ملك العراق ابن الملك فيصل ابن الملك حسين.

(٧٦) السوح: جمع ساحة وهي الناحية والفضاء بين دور الحي. والمراد بالعروبة: القومية العربية. المنهل: المورد أي مكان النهل وهو الشرب. والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه، والمراد المورد والماء.

التقرير الأمريكي والمأزق العراقي

للأستاذ: صلاح عبد الرحيم محمد

توصلت لجنة (بيكر - هاملتون)، المسماة «لجنة مجموعة الدراسة حول العراق»، والمعروفة أيضا باسم «لجنة الحكماء العشرة» برئاسة (جيمس بيكر) وزير الخارجية الأمريكية الأسبق، و«لي هاملتون» عضو الكونجرس الديمقراطي السابق، إلى ٧٩ توصية تمثل المقترحات التي تضمنها تقريرها عن الوضع الراهن في العراق في ظل السياسة الأمريكية الحالية التي ينتهجها بوش منذ الاحتلال الأمريكي في التاسع من أبريل ٢٠٠٣.

ولقد تشكلت هذه اللجنة الأمريكية من عشرة من كبار الساسة البارزين، خمسة منهم من الحزب الجمهوري، والخمسة الآخرون من الحزب الديمقراطي، مستعينة بلجنة عسكرية استشارية عليا تضم خمسة خبراء من القادة العسكريين القدامى. كما استعانت لجنة الحكماء العشرة أيضاً بأربع وحدات بحثية، تضم كل وحدة ١٢ باحثاً وخبيراً:

الأولى في مجال الشئون العسكرية والأمن، والثانية في مجال الاقتصاد والتعمير، والثالثة في مجال التنمية السياسية.

والرابعة في مجال البيئة الاستراتيجية.

وقامت اللجنة وأجهزتها المساعدة خلال ما يقرب من ثمانية أشهر من تكليف الكونجرس لها، بدراسة الأوضاع في العراق، والتقائها ما يقرب من ١٧٠ شخصية سياسية ودينية واقتصادية، شملت الرئيس الأمريكي «جورج بوش»، ورئيس الوزراء البريطاني «توني بلير» وعدداً من الزعماء العراقيين، والسفراء، ومسئولين بارزين من الدول المجاورة للعراق، وأنهت هذه اللجنة كتابة تقريرها في ١٦٠ صفحة، وقدمت نسخة منه إلى الكونجرس الأمريكي يوم ٢٠٠٦/١٢/٧، ونسخة أخرى للرئيس الأمريكي (بوش) لدراسة التوصيات والمقترحات الواردة فيه كخطة طريق تهتدي بها الإدارة الأمريكية لرسم سياسة أمريكية جديدة، تساعدها على الخروج المشرف من المأزق العراقي الذي دُفعت إليه، بسبب سياستها غير الحكيمة في العراق.

توصيات اللجنة

ولقد حدد التقرير «حزمة من المهام» التي تقع على كاهل إدارة بوش، وطلب القيام بها بسرعة لمنع تفاقم خطورة الوضع في العراق، وهو ما تحدث عنه (لي هاملتون) بقوله: «إن الوقت يضيق، والوضع يتدهور، وعلينا التحرك بسرعة، إنها ليست مسألة أشهر، وإنما مسألة أسابيع، وربما أيضاً أيام» وهذه المهام هي:

- أولاً: التخطيط لبدء حملة دبلوماسية شاملة وجديدة ذات أهداف متعددة لدعم العراق.
- ثانياً: إنشاء ما يسميه التقرير «المجموعة الدولية لدعم العراق» تمثل احدى أدوات الحملة الدبلوماسية المطلوب سرعة إعدادها. وتتكون هذه المجموعة الدولية من جميع دول الجوار العراقي، والأعضاء الدائمين الخمسة في مجلس الأمن، والاتحاد الأوروبي، وأي دولة لديها الاستعداد لدعم استقرار العراق.



نجاد — الأسد

- ثالثاً: على الولايات المتحدة إشراك حتى خصومها من أجل تسوية الخلافات البينية، وهذه هي مسئولية المجموعة الدولية لدعم العراق، التي يمكن لها إشراك إيران وسورية في حوارها الدبلوماسي.
- رابعاً: على الولايات المتحدة أن تضع نظاماً للحوافز لإشراك سورية وإيران من أجل استقرار العراق، وهنا يأتي دور المجموعة الدولية لإقناع إيران وسورية عبر الجهد الدبلوماسي للإسهام في تهدئة الأوضاع في العراق، وتسيير دوريات مشتركة على الحدود المشتركة.
- خامساً: على الولايات المتحدة القيام بتدريب قوات الأمن العراقية، والاستمرار في تقديم الدعم السياسي والعسكري والاقتصادي للحكومة العراقية.

وهنا اشترط التقرير أن هذا الدعم يمكن تخفيضه في حال عدم تحقيق الحكومة العراقية تقدما جوهريا فيما يتعلق بأهداف المصالحة الوطنية، والأمن، وحسن الإدارة. وهذا ما تعترض عليه الحكومة العراقية، وترفضه.

● سادسا: على الولايات المتحدة أن تعلن للشعب العراقي انها لا تسعى إلى إقامة قواعد عسكرية دائمة في العراق، كما لا تسعى أيضا إلى السيطرة على نفط العراق، وأن تتشاور الولايات المتحدة مع الحكومة العراقية في مجالات المصالحة الوطنية، والأمن، وتحسين الخدمات للعراقيين. وفيما يتعلق بالمصالحة الوطنية، فإنه على الولايات المتحدة أن تشجع إعادة البعثيين والقوميين إلى الحياة السياسية. وهنا يحتج الرئيس العراقي (جلال طالباني) على ما يقترحه تقرير اللجنة من عودة البعثيين، ويعتبر ذلك مخالفاً للدستور العراقي. فقد أكد (جلال طالباني) أن الدستور العراقي ينص على عدم عودة حزب البعث الصدامي، ومن يفاوض البعثيين يخرق الدستور، وأشار إلى أنه يمكن التفاوض مع البعثيين المعارضين لصدام.

● سابعاً: دعا التقرير في توصيته رقم ٣٥ بأنه على الولايات المتحدة بذل الجهود لإشراك جميع الأطراف في العراق من أجل دعم العراق باستثناء تنظيم القاعدة. كما أكد التقرير على ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بزيادة عدد العسكريين الأمريكيين المنضوين في الوحدات العسكرية العراقية، على أن تكون مهمة القوات الأمريكية مساعدة الفرق العسكرية العراقية، كما أنه على الجيش الأمريكي الحفاظ على «فرق تدخل سريع»، وفرق أخرى لتنفيذ عمليات عسكرية ضد تنظيم القاعدة في العراق، ودعا التقرير إلى ضرورة تسليم القوات العراقية المسئوليات الأمنية، بعد تدريبها وتأهيلها، حتى يمكن للولايات المتحدة سحب قواتها العسكرية (١٤١ ألف جندي أمريكي). وأشار التقرير الأمريكي إلى أنه في حال سحب الولايات المتحدة كل فرقها القتالية خارج العراق، فإنها ستحتفظ بوجود عسكري مهم في المنطقة، مع قوتها المهمة في العراق، بالإضافة إلى الانتشار الأمريكي الجوي والبري والبحري في الكويت، والبحرين، وقطر، ووجود أكبر في أفغانستان.

● ثامناً: على الولايات المتحدة الأمريكية القيام بتدريب وتسليح القوات العسكرية العراقية (الجيش) وتدريب الشرطة الوطنية العراقية، وشرطة الحدود العراقية التي يجب نقلها إلى وزارة الدفاع على أن تستكمل عملية

التدريب بحلول عام ٢٠٠٨، ويجب أن يكون تدريب الجيش العراقي عوضا عن قتال المسلحين مباشرة.

● تاسعاً: دعا التقرير في توصيته رقم ٧٩ أنه على وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية توفير جنود أكثر في العراق لتطوير وكالة استخبارات عراقية فاعلة، وتدريبها وبناء مركز لمكافحة الإرهاب لتسهيل جهود مكافحة الإرهاب، يكون تحت إشراف قيادة الاستخبارات.

الصراع العربي الإسرائيلي

ومن ناحية أخرى ربط التقرير بين الوضع العراقي المتردى أمنيا، والصراع العربي- الإسرائيلي، ودعا إلى أهمية التزام الولايات المتحدة بتسوية شاملة لهذا الصراع على كافة الجبهات في فلسطين ولبنان وسورية، وخلص التقرير إلى لفت نظر الأطراف المعنية وعلى رأسهم الولايات المتحدة أنه «لا يوجد حل عسكري للصراع العربي- الإسرائيلي». وللأسف رفض «إيهود أولمرت» تقرير بيكر- هاملتون، لأنه ربط بين الملف العراقي، والصراع العربي- الإسرائيلي؛ لأن إسرائيل هي المستفيدة الأولى من حرب العراق واستراتيجية الفوضى البناءة، ولأنها تريد الاحتفاظ بالأرض المحتلة، وتريد الأمن لها فقط، بينا يُحرم الآخرون من الأمن والأرض السليبة.

ولقد طالب التقرير في توصيته رقم ٣٤ أن يكون مستقبل وجود القوات الأمريكية مرتبطاً بجهود تحقيق المصالحة الوطنية لدعم استقرار العراق. وأكد أن العنف لن ينتهي ما لم يبدأ الحوار، أي أنه ربط إنهاء العنف بالحوار أولاً، ونبذ استخدام القوة المسلحة حلاً لأى نزاع أو خلاف، فهل تعرف الولايات المتحدة هذه النتيجة؟

إيران وسوريا

واللافت في تقرير «الحكماء العشرة» أن بيكر وهاملتون انتهيا إلى مجموعة من النصائح والاقتراحات، أبرزها انسحاب القوات الأمريكية على مراحل، وضرورة التعاطي مع دول الجوار، خصوصا إيران وسورية بأسلوب جديد على أساس التعامل معهما على أنهما جزء من الحل، وليس جزءا من المشكلة. وفي هذا السياق تذكر صحيفة «لوس أنجلوس» الأمريكية: «أن على واشنطن إذا أرادت إشراك سورية وإيران في تهدئة الأوضاع في العراق أن تعرض عليهما (مجموعة من الحوافز) حتى يقبلوا التعامل معها لإنقاذ العراق». والصواب: «لإنقاذ القوات الأمريكية من الغرق في المستنقع العراقي». وغالبا ما ستطالب (طهران) بضمانات، منها ألا تشجع أمريكا الإطاحة بالنظام الإيراني، وألا يجرى إيقاف برنامجها النووي. أما

الرئيس السوري فسيطلب إيقاف المحاكمة الخاصة باغتيال (رفيق الحريري)، وربما تطلب سورية استعادة هضبة الجولان من إسرائيل. وفي هذا السياق دافع وزير الخارجية الأمريكية الأسبق (جيمس بيكر) عن توصيته بطلب المساعدة من إيران وسورية لتحقيق الاستقرار في العراق، على الرغم من أن إيران أبلغته أن ذلك غير مرجح هذه المرة، إشارة إلى المرة الأولى حينما تعاونت إيران مع الولايات المتحدة في موضوع «طالبان» في أفغانستان، وقال «بيكر» أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأمريكي: «إن الرئيس (جورج بوش) سمح له مؤخراً بالتحدث إلى الحكومة الإيرانية التي لا ترتبط معها بعلاقات دبلوماسية».

وعلى الرغم من هذه الأقوال من جانب (بيكر) فإن الرئيس الأمريكي (بوش) أعلن بأن: لا حوار مع طهران قبل وقف تخصيب اليورانيوم، ولا حوار مع دمشق طالما أنها تدعم الإرهاب، والمقصود هنا هو (حزب الله) في لبنان و(حماس) و(الجهاد الإسلامي) في فلسطين. ونتساءل إذن، إذا كان هذا موقف واشنطن من إيران وسورية، فما الذي يمكن أن يتغير في السياسة الأمريكية خلال ما بقي من عهد الإدارة الأمريكية الحالية؟

الديمقراطيون يرحبون والجمهوريون يرفضون

واللافت -كما ذكرت مصادر أمريكية- أن الرئيس الأمريكي (بوش) سينتقي من توصيات التقرير، ما يتفق مع رؤيته السياسية وسيدمجها مع «توصيات أخرى» تم طرحها في مذكرتي مستشار الأمن القومي الأمريكي (ستيفن هادلي)، ووزير الدفاع السابق (دونالد رامسفيلد) وسيجمع البيت الأبيض هذه التوصيات في استراتيجية أمريكية جديدة يتوقع عرضها في مطلع عام ٢٠٠٧ في خطاب حال الاتحاد.

ولقد تباينت ردود الفعل في الكونجرس الأمريكي الذي كلف لجنة بيكر- هاملتون بوضع تقرير دراسة العراق، فالديمقراطيون استخدموا التقرير لتكثيف ضغوطهم على الإدارة الأمريكية الحالية من خلال تعهد زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ (هاري ريد) بمراقبة البيت الأبيض، والتأكد من أن (بوش) سيغير الاستراتيجية المعتمدة في العراق، وتطبيق توصيات اللجنة.

أما الجمهوريون، فقد اعترض (جون ماكين) على إجراء الحوار مع سورية بينما أيده السيناتور (تشاك هايجل). وقد أثارت التوصيات الواردة في التقرير عاصفة من ردود الأفعال بين مرحب بها بوصفها «خريطة طريق» للخروج من المأزق الأمريكي في العراق، ورافض لها

لافتقارها إلى الواقعية أو احتمال أن يقود تنفيذها إلى «كارثة» تخل بالمصالح الأمريكية في العراق والمنطقة.

وفي هذا الصدد انتقد (ريتشارد بيرد) أحد أبرز المحافظين الجدد في الولايات المتحدة ومهندس السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية والذى عمل مستشاراً لوزير الدفاع الأمريكي الأسبق (دونالد رامسفيلد) نتائج لجنة «مجموعة الدراسة حول العراق» قائلاً: «لم أر في حياتي تقريراً بهذا الغباء»، واعتبر أن اقتراحات التقرير الخاصة بفتح حوار مباشر مع إيران وسورية، وإعلان موعد للانسحاب من العراق، خاطئة تماما. وقال: «إن سورية وإيران فعلتا كل شيء لتهديد استقرار العراق وليس لهما أدنى مصلحة في فعل أي شيء آخر». معتبراً أن التقرير الذي يبدأ بمقدمات خاطئة لا يفضي إلى شيء. وقال: «إنه لا يتوقع من الرئيس (جورج بوش) أن يتبع توصيات اللجنة». ويبدو أن (ريتشارد بيرد) بتصريحه هذا يؤكد للجميع أنه إسرائيلي صهيوني لحماً ودماً، أكثر من (إيهود أولمرت نفسه) الذي رفض التقرير الأمريكي أيضاً.

بوش يرفض التوصيات

والجدير بالذكر أن واضعي تقرير «لجنة الدراسة حول العراق» أكدوا على ضرورة أن يتحرك (بوش) بسرعة لمنع «تفاقم خطورة الوضع في العراق» فقال (لي هاملتون): «إن الوقت يضيق، والوضع يتدهور، وعلينا التحرك بسرعة، إنها ليست مسألة أشهر، وإنما مسألة أسابيع، وربما أيام». أما فيما يتعلق بالخلاف مع إيران، فقد حسمه (جيمس بيكر) بقوله: «إن الخلاف النووي الإيراني يترك للأمم المتحدة». وأوضح أن كل ما نقترحه على إيران هو أن تفعل ما فعلته في أفغانستان حينما تعاونت مع واشنطن بعد اعتداءات ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وللأسف الشديد يتساءل الكثيرون لماذا تتعامل إدارة بوش مع إيران وسورية بهذا الجفاء، برغم أنهما يمكن أن يسهما بشكل إيجابي في تهدئة الأوضاع في العراق، والمساعدة في تخفيف الشدائد التي يكابدها الأمريكيون هناك؟

وبعد أقل من ٢٤ ساعة على تلقيه تقرير بيكر- هاملتون وتعهده بدراسته بجدية، وإقراره بالوضع السيء في العراق، جدد الرئيس الأمريكي (بوش) قوله في مكابرة: «إن الولايات المتحدة ستنتصر» ورفض معظم توصيات اللجنة، مؤكداً: «أن لا مفاوضات مباشرة مع إيران إلا إذا وافقت على إيقاف تخصيب اليورانيوم ولا محادثات مع سورية إلا إذا أوقفت الإرهاب»، وهو ما أشرنا إليه من قبل، كما رفض مشاركة الدولتين في أي مؤتمر دولي حول المصالحة في العراق قبل

تنفيذ تلك الشروط. ونتساءل، والحال هذه، هل قبلت إيران وسورية أى دعوة أمريكية فى هذا الخصوص حتى يصرح الرئيس الأمريكى بذلك؟ ونترك الحديث عن ذلك للرئيس العراقى ذاته، فيقول (جلال طالبانى): «لقد باشرنا المفاوضات مع إيران وسورية قبل تقرير بيكر- هاملتون، وزرت إيران، وأنا على وشك زيارة سورية. وأعتقد أنه بالاتفاق معهما يمكن تحقيق الأمن والاستقرار بدرجة كبيرة فى العراق».

العلاقات العراقية السورية

واللافت فى هذا الشأن أنه جرت محادثات بين الجانبين السورى والعراقى، فقد زار (وليد المعلم) وزير الخارجية السورى العراق مؤخرا، واتفق الجانبان على عودة العلاقات الدبلوماسية، وتم بالفعل رفع علم الدولتين على كل من سفارتيهما فى بغداد ودمشق، وهذا ما يؤكد سعى حكومة نورى المالكى على استخدام كل السبل من أجل تحقيق استقرار الأوضاع فى العراق. ومن جهة أخرى أكد رئيس البرلمان العراقى (محمود المشهدانى) أنه «يوافق على ما طرحه تقرير بيكر- هاملتون، وخصوصا ضرورة تقنين الوجود العسكرى الأمريكى، إذ لا ينبغى أن يكون بهذا النفوذ فى ظل حكومة عراقية شرعية منتخبة».

ويرى (المشهدانى): «أنه كان من الواجب الاتفاق والتعاون بين الإدارة الأمريكية والحكومة العراقية لتحقيق الأولويات، وفى مقدمتها السيطرة على نفوذ القوات الأمريكية، لا أن يكون وجودها من دون ضوابط». وأضاف (المشهدانى) قوله: «إننا لسنا بحاجة إلى قوات أمريكية فى محافظات الأنبار، وصلاح الدين، والموصل، فهذه المناطق لا تعانى الاقتتال الطائفى، وإنما الحرب الدائرة فيها بين «المقاومة والاحتلال»، ولا يمكن وقفها بأمر من (بوش)، أو (المشهدانى)، ولذلك يجب سحب هذه القوات من الأنبار، وصلاح الدين، والموصل، إلى بغداد الذى أصبح الأمن فيها ينذر بحرب طائفية». ومن ناحية أخرى رفض الرئيس العراقى (جلال طالبانى)، التحذير الوارد فى تقرير لجنة (بيكر- هاملتون) الذى جاء فيه: «أنه إذا لم تحرز الحكومة العراقية تقدما ملموسا نحو تحقيق أهداف المصالحة الوطنية، والأمن، وحسن الإدارة، فعلى الولايات المتحدة أن تخفض دعمها السياسى والعسكرى والاقتصادى».

لجنة لحماية المصالح الأمريكية

ومن هنا فإن التقرير يريد أن يُحمِّل حكومة (نورى المالكى) مسئولية الفوضى والخراب، والقتل، والدماء التى تسيل كل يوم على أرض العراق منذ

الاحتلال الأمريكى له، وإعفاء الجانى الأمريكى من هذه المسئولية، مهدداً هذه الحكومة الوطنية، بتخفيض الدعم لها، حال تقصيرها فى تحقيق المصالحة بين الطوائف والميليشيات المتحاربة، على الرغم من إدراك واضعى هذا التقرير أن الولايات المتحدة هى المسئولة الوحيدة عن كل ما يجرى فى العراق من مآس إنسانية، واقتتال يومى، وانفلات أمنى، واللافت للانتباه أن المتأمل فى العبارة الأولى من تقرير اللجنة الأمريكية يدرك لأول وهلة أن هذه اللجنة ما جاءت إلا لتحقيق مصالح الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى، فقد نصت الجملة الافتتاحية فى هذا التقرير أنه «ليست هناك وصفة سحرية لحل مشاكل العراق، غير أنه يمكن اتخاذ إجراءات لتحسين الوضع وحماية المصالح الأمريكية». ولعل هذا النص الوارد فى تقرير اللجنة يكفى لبيان أن الهدف من تشكيل اللجنة، ليس هو مصلحة العراق، بل حماية المصالح الأمريكية فى المقام الأول، إذ أن المهمة الجوهرية لهذه اللجنة هى إيجاد مخرج مشرف لإدارة بوش من المأزق العراقى الذى أوقعت نفسها فيه.

وفى هذا الإطار كشف التقرير حقيقة فى غاية الأهمية، وهى أن الولايات المتحدة التى قررت بمفردها شن الحرب على العراق، لم يعد فى قدرتها الخروج منه منفردة، فلقد أصبحت بعد سقوطها الكبير فى المستنقع العراقى فى مسيس الحاجة إلى يد تنتشلها من أعماق هذا المستنقع المخيف».

وفى الختام يمكن القول أن التقرير الأمريكى غير ملزم للإدارة الأمريكية إذ أنه جاء على شكل نصائح وتوصيات، ولم يُوص بانسحاب فورى أو وضع جدول زمنى للانسحاب من العراق، بل جعل عام ٢٠٠٨ هدفاً لانسحاب معظم القوات، ودعا من أجل ذلك الولايات المتحدة إلى القيام بتدريب القوات المسلحة العراقية، وقوات الشرطة، وقوات حرس الحدود، ونقل المسئولية الأمنية إلى الحكومة العراقية، كما أشار التقرير أيضا إلى أن السبيل الآمن، أمام القوات الأمريكية للخروج المشرف من العراق، هو فتح باب الحوار مع دول الجوار العراقى، وبخاصة إيران وسورية، لدورهما الفاعل فى العراق، إن المهم هو: هل ستتبنى الإدارة الأمريكية الحالية ما جاء فى تقرير اللجنة من توصيات، أم تظل على مكابرتها المعهودة؟

يبدو أن الإجابة بالنفى، طالما أن جماعة المحافظين الجدد هم الذين يرسمون السياسة الخارجية الأمريكية. ومع ذلك فلا يمنع بوش الأخذ ببعض توصيات التقرير، خاصة ان غالبية الشعب الأمريكى مع توصيات هذه اللجنة.



النبوءة والسياسة

تأليف

جريس هالسيل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٥

مما تقدم... تبيّن مدى تآزر النبوءة في ثوبها المسيحي مع السياسة في ثوبها الصهيوني؛ فوضح مدى تسلط شياطين الإنس والجن على ما جاء به المسيح - عليه السلام -، بتحويله من أقصى درجات السلم والأمان والنماء، إلى أحط دركات الحرب والقهر والتدمير.

ولعل الكاتبة «جريس هالسل» هنا قد أدت دورا في هذا السبيل بما كشفت - وتكشف - من أساليب شيطانية في تآزر المسيحيين الإنجيليين الأصوليين مع الصهيونيين على التعجيل بتدمير العالم، وتبديد حضاراته؛ لتحقيق مكاسب شخصية فردية حقيرة.

واستهداف كسب مزيد من الأرض

ففي مبحث «مكاسب إسرائيل من التحالف: مزيد من الأرض» ذكرت الكاتبة أن إعجاب اليمين المسيحي الجديد بالإسرائيليين جعلهم ينتشون لكل انتصار يحرزونه، مهما بلغت درجة العنف فيه؛ اقتداء بمقاتلي العهد القديم الذين ذبحوا جميع أعدائهم من غير شفقة، حتى إن أحد مرافقينا في الرحلة - ويدعى مارفين - أعلن: أنه يحب النصوص التوراتية التي تنقل عن الله اختياره أقصى العنف سياسة إلهية. ثم قال: هكذا يجب على الإسرائيليين أن يعاملوا العرب، ويجب على الأمريكيين أن يتعلموا من الإسرائيليين كيف يحاربون.

بل إن مسيحيين في واشنطن - معظمهم يتبوءون مراكز حكومية رفيعة - يصلّون على مدار الساعة حتى يتحقق اليوم الذي لا يبقى فيه الفلسطينيون على أرضهم، وحتى تصبح الأرض كلها لليهود.

مثل تلك السيدة التي اشترت منزلاً في واشنطن بنصف مليون دولار، وخصصته لصلاة المسيحيين من أجل فداء الأرض، وأنشأت منظمة أسمتها «الاتحاد الأمريكي - المسيحي» لتكون مظلة تغطي معظم الحركات المسيحية الإنجيلية الرئيسية، ولتنقل الأموال التي تتلقاها من الأشخاص والمؤسسات والمنظمات الإنجيلية إلى إسرائيل، وخاصة إلى المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية؛ استعجالاً لعودة المسيح.

وهذا هو الذي يحرص عليه القائمون بالحركة الدينية المسيحية الإنجيلية «التدبيريون»، حيث يقدمون المال إلى الإسرائيليين لمساعدتهم على مصادرة الأرض من الفلسطينيين بأية وسيلة ممكنة، على ما صرّح به مسئول في وزارة العدل الإسرائيلية من أن حوالي مائة مليون دولار تداولتها الأيدي لمصادرة آلاف الهكتارات من الأراضي العربية؛ بالاحتيال والخداع والتزوير، وأحيانا بالقوة.

ولا مكان لذرّة من عدل

ولتوضيح ذلك... تقدم الكاتبة موازنة بين الوجود الفلسطيني واليهودي في أرض فلسطين!.

ففي سنة ١٩١٨ كان الفلسطينيون يشكلون ٩٠٪ من السكان، ويملكون ٩٢٪ من الأرض، وفي سنة ١٩٤٧ كان الفلسطينيون يملكون ٩٣,٩٦٪، ويملك اليهود ٦,٠٤٪ فقط، وبعد حرب سنة ١٩٦٧ صادرت إسرائيل مناطق واسعة من الأرض العربية بحيث لم يبق سوى ٢٠٪ من أرض فلسطين للفلسطينيين.

ومع هذا... فإن المسيحيين المتعصبين أمثال «مارفن»، و«بوبي هروماس» مقتنعون أن عليهم مساعدة إسرائيل، لتجريد الفلسطينيين من الجزء القليل المتبقي تحت أيديهم بحجة أن لليهود حقوقا تاريخية في الأرض.

الأمر الذي أثار الكاتب والمؤرخ الإنجليزي «و. ويلز»، فكتب يقول: «إذا كان أمرا عاديا إعادة بناء دولة يهودية لم تعد موجودة منذ ألفي سنة، فلماذا لا نعود إلى الوراء ألف سنة أخرى لإعادة بناء دولة كنعانية؟!.

لقد واصل الكنعانيون البقاء هناك طوال حقب التاريخ فيما يتعلق بالحقوق التاريخية.

وإذا ترك أمر شئون العالم لتتوالد على أساس القواعد التي يعلنها أولئك الذين يقولون إن لهم مثل هذه الحقوق... فإن المغاربة الذين كانوا في أسبانيا لمدة سبعمائة عام يستطيعون أن يعلنوا أن لهم حقوقا تاريخية في الأرض الأسبانية، وأن يسعوا لإخراج الأسبان منها.

وكذلك الهنود الذين كانوا في أمريكا

لآلاف السنين قبل اكتشافها يمكن أن يقولوا لمن يعيشون فى أمريكا اليوم: إن لنا حقوقًا تاريخية هنا. ولذلك عليكم النزوح عنها.

ولكن.. عدة ملايين من المسيحيين الأمريكيين يعتقدون أن القوانين الوضعية لا تطبق على مصادرة اليهود كل أرض فلسطين. وإذا تسبب ذلك فى نشوب حرب عالمية ثالثة «هرمجدون نووية» فإنهم يعتقدون أنهم تصرفوا بمشيئة الله.

واستهداف تعميق الدعم المسيحى

وتعبيرًا من الكاتبة عن دهشتها من تجاهل المسيحيين الإنجيليين لكل ما يقترفه الإسرائيليون من ظلم بيِّن للفلسطينيين، بل وقهر مستمر... لجأت فى مبحث «مكاسب إسرائيل من التحالف: تجذير الدعم المسيحى» إلى تقديم صورة لواقع لهؤلاء الإنجيليين فى موالاتهم لإسرائيل؛ فنقلت ما ذكره «كريكر» أحد القادة الإنجيليين الأصوليين لقادة اليهود الإسرائيليين، حيث قدم لهم أسماء ٢٥٠ منظمة إنجيلية موالية لإسرائيل من مختلف الأحجام والأعماق، منبهًا إلى أن معظم تلك المنظمات نما خلال السنوات الخمس الأخيرة، أى منذ سنة ١٩٨٠، وأن هذه المنظمات تتخصص فى تنظيم أحداث بارزة، مثل «مهرجان التضامن مع إسرائيل»، أو تجمعات الوعى الإسرائيلى، التى تقام فى الكنائس الإنجيلية، وتنظيم الجولات، وإعداد المطبوعات، وعقد المؤتمرات التنبئية والدعم الفكرى.. إلى غير ذلك من الأنشطة العامة، وبعضها ينغمس فى الدعم السياسى المباشر، ويقوم بمختلف عمليات الضغط، المستغلة لجميع الوسائل.

وتستعرض الكاتبة طرفًا من أنشطة تلك المنظمات لتبيِّن مدى تأثيرها المتوقع فى عقلية الأمريكيين ومشاعرهم:

■ فهذا رئيس مؤتمر «القيادة الوطنية المسيحية لإسرائيل» فرنكلين ليتل الأستاذ فى جامعة تامبل فى بنسلفانيا يصرِّح للكاتبة بقوله: «إن تكون مسيحيًا يعنى أن تكون يهوديًا»، ويخبرها: أن واجب المسيحى أن يضع دعم «أرض إسرائيل» فوق كل اعتبار؛ رجاء أن يكون فى ذلك تكفير عن معاناة اليهود فى المحرقة النازية.

ولكى يدعم هذا المؤتمر الهجوم الإسرائيلى المسلح على لبنان نشر إعلانًا فى صفحة كاملة من صحيفة «واشنطن بوست»، وصحيفة «نيويورك تايمز» عنوانه: التضامن المسيحى مع إسرائيل. وفيه قال المسيحيون الذين وقعوا على الإعلان: إن تضامننا مع الشعب اليهودى ودولة إسرائيل هو جزء من الالتزام بالسلام والعدالة لجميع شعوب الشرق الأوسط. ثم قالوا: إنهم يؤيدون تأييدًا كاملاً الغزو الإسرائيلى للبنان، وإن الذين يعارضون سياسة إسرائيل ما هم إلا «لا ساميون».

وهذه المنظمة ترتبط بالسفارة المسيحية العالمية فى القدس، ومن بين أقوى مؤيديها القساوسة «كريسويل»، و«جيم بيكر»، و«بات روبرتسون» من التدبيريين.

وعلى هذا النحو يسير ٢٥٠ منظمة مثل منظمة «المؤتمر الوطنى المسيحى» المنبثق عن المنظمة السابقة، ومنظمة «الاتحاد الأمريكى من أجل سلامة أمريكا»، ومنظمة «تاف الكاتدرائية الإنجيلية» ـ وتاف هو الحرف الأخير من أحرف الأبجدية العبرية ـ ومثل منظمة «الائتلاف الأمريكى من أجل القيم التقليدية»، ومنظمة «الصوت المسيحى».

توظيف الدين فى الظلم، والقهر، والعدوان

وفى المبحث الأخير «مزج السياسة بالدين» تقفنا الكاتبة ـ بتساؤلاتها وتأملاتها ـ أمام أبرز الأطماع الصهيونية «القدس» لتكشف مدى ما يصنعه رجال الدين المسيحيين الإنجيليين، ورجال الدين اليهود فى العقلية الأمريكية ـ بجميع أطيافها ـ خصوصًا السياسيين، عن طريق بعض النصوص التوراتية والإنجيلية بعد قطعها عن سياقها، وقهرها ـ بتفسيراتهم ـ على تحقيق ما يسعى إليه الصهيونيون.

وكانت «القدس» محور هذه التساؤلات والتأملات، تلك المدينة التى يقدسها مليار مسيحى، ومليار مسلم، وأربعة عشر مليون يهودى؛ مبرزة ـ فى تساؤلاتها ـ مدى تجاوز المنطق والعدل فيما أعلنته الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ من أن مدينة القدس مدينة الأديان الثلاثة: المسيحية والإسلامية واليهودية، ولكن الأطماع الإسرائيلية تدفعهم إلى المطالبة بفرض السيادة اليهودية وحدها على تلك المدينة.

وعلى الرغم من أن معظم هؤلاء الإسرائيليين لا يؤمنون بالله... نراهم يدعمون مطالبهم بقولهم: إن الله أراد أن يأخذ العبرانيون القدس إلى الأبد.

ثم هم لا يكتفون بذلك الدعم الدينى، بل هم يعتمدون ـ بالدرجة الأولى ـ على شن حملة علاقات عامة شعبية، يوظفون فيها كل إمكاناتهم ومواهبهم، على نحو ما نرى من القس «مايك إيفنز» ذلك اليهودى الذى يؤمن بأمريكا مؤيدة لإسرائيل، فتنصَّر من أجل مساعدة شعبه، وتوصل إلى مصادقة «جورج بوش»، واحتل مكانًا مرموقًا فى الحزب الجمهورى، وتمكن من التحرك فى صفوف الناخبين لينتخبوا أمثال «ريجان، وبوش».

والقس «إيفنز» هذا لا يألو جهدًا فى تسخير الدين لخدمة إسرائيل؛ فيردد على مدى ساعة قوله: «إن الله يريد من الأمريكيين نقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس؛ لأن القدس عاصمة داود، والشيطان يحاول أن يمنع اليهود من أن يكون لهم حق اختيار عاصمتهم، إذا لم يعترفوا بالقدس ملكية يهودية فإننا سندفع

ذلك من حياة أبنائنا وآبائنا، إن الله سيبارك الذين يباركون إسرائيل، وسيلعن لاعنيهم».

وتذكر الكاتبة أنها حصلت على فيلم تليفزيوني مدته ساعة أعده القس «إيفنز» وفيه يقول: إذا تخلّت إسرائيل عن المناطق التي تحتلها فإن الله سيدمر كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة».

ولما تشككت الكاتبة في حقيقة «إيفنز» هذا ذهبت إلى مدينة «بدفورد» في «تكساس» التي قال «إيفنز» إنها مدينته، ويقيم فيها، وسألت رئيس البلدية عنه، فلم يعرفه، ولم يعرفه أحد في غرفة التجارة، ولم تجد اسمه مدرجا على لائحة القساوسة أو البطاركة، ولم تجد أحداً من عامة الناس يعرفه أو سمع عنه، بل لم تجد له بيتا في المدينة. وكل ما له هناك عنوان صندوق بريد.

ولما كاتبته السيدة «جريس هالسل» على عنوانه في المدينة رد عليها جهاز الكومبيوتر لديه، وتوالت الرسائل منه إليها مرفقا بها صور له مع «شارون» في أعقاب غزو لبنان سنة ١٩٨٢، ومع «تدي كوليك» رئيس بلدية القدس، و«إسحاق شامير، وريجان»، وغيرهم.

ولما دعي «إيفنز» لزيارة البيت الأبيض، وعلم من «روبير ماك فرلين» مستشار الأمن القومي: «أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة لا يمكن أن يحددها الكتاب المقدس، وأن القدس ليست عاصمة إسرائيل؛ فوضعية القدس يجب أن يتم تحديدها في مفاوضات مع العالم العربي!!..».

عندئذ وقف «إيفنز» وقال للسيد «ماك فرلين»: «إن الكتاب المقدس ليس موضع مفاوضة، وإن الله لن يبارك أمريكا إذا أدرنا ظهرنا لعاالله القدس، وإن المسيحيين الإنجيليين لن يديروا ظهورهم تحت أي ظرف من الظروف للشعب اليهودي، أو لكلمة الله» فصفق الجميع بإعجاب بمن فيهم حوالي أربعين من أقوى الحاخامات في أمريكا.

ويواصل «إيفنز» مساعيه؛ مستخدما شتى الوسائل؛ من خطابة، وصحافة، وسينما، وتليفزيون.. إلى غير ذلك من المؤثرات، حتى إنه ليسعى للحصول على أسماء مليون شخص أو أكثر للتوقيع على نداء عالمي للاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ولما جمع هذه التوقيعات سنة ١٩٨٤ ضمنها مجلدين، وحملها إلى إسرائيل ليقدمها لرئيس الوزراء «إسحاق شامير».

عند الضرورة... لا فرق بين عدو وصديق

وفي الخاتمة ترصد الكاتبة في أسف واستنكار ما تجده من فوارق شاسعة بين المحافظين أيام طفولتها، والمحافظين اليوم؛ ففي طفولتها كانت تتلقى من المبشرين ترذيلاً للسينما، والرقص، والمشروبات الروحية، ونظرية النشوء، وكانت إمكاناتهم المادية محدودة جداً، فلم يكن عندهم محطات تليفزيونية ولا إسرائيل، أما اليوم فإن «فولويل» و«بات روبرتسون»، وغيرهما من المؤمنين بالتدبيرية يتمتعون بمصادر مالية غير محدودة؛ عندهم موقع المعركة في إسرائيل، وعدة أسباب لحرب نووية يريدها الله، وهم يعظون، ويبيعون الأمريكيين فكرة إنتاج المزيد من القنابل واستعمالها.

.. وبعد ...

فإن الكاتبة «جريس هالسل» الناشئة في بيئة ملتزمة بتعاليم المسيحية السمحة قد كشفت لأمتها الأمريكية ولنا نحن العرب حقيقة الحركة التدبيرية الإنجيلية، ومدى ارتباطها بمسيحية المسيح التي تتخذها شعارا، تخفي وراءه مقاصدها الساعية بكل الوسائل لتمكين إسرائيل من الأرض الفلسطينية كلها، مستخدمة في ذلك ما تضمنته الكتبُ المقدسة من نبوءات، بعد تحريفها عن حقيقتها، وتحويل مسارها، ومستغلة مختلف وسائل الإغراء المادية لتستقطب طائفة من صانعي القرار الأمريكي، وطائفة من رجال الدين داخل الولايات المتحدة وخارجها، غير ملقية بالاً لما قد تجره على العالم بأسره من دمار شامل - بل هي تبشر بذلك الدمار وترجوه - إذ لا يعنيها سوى ما تحققه من مصالح شخصية، وكسب مادي، ثم ليحترق كل ما عدا ذلك؛ فلا هي حركة مسيحية ترعى ما بشر به المسيح، ولا هي سياسية تعمل وفق مصالح أمريكا.

والكاتبة قد توسلت في كشف هذه الحقائق بشتى وسائل المعرفة من مشاهدات، ووثائق، ومحاورات، وبحث مستفيض، واستقراء للواقع وللوقائع، غير وانية، ولا متهاونة، ولا ضائقة من تعقد السبل أمامها.

الأمر الذي اضطرت معه إلى أن تمزج - في كتابتها - بين السرد القصصي، والسيرة الذاتية، والوصف المستقصي، وتلخيص الخطب، والبيانات، والتصريحات الرسمية وغير الرسمية، والتنقل بين أحداث الماضي السحيق، ووقائع العصر الماثل، للربط بين هذه وتلك، مما أجهد، وضاعف من المشقة في الوقوف على ما تريده الكاتبة لإعداد هذا العرض، وتحليل محتوى الكتاب.

ولكن... لأن ما أوقفتنا عليه الكاتبة من الأهمية بمكان... آثرنا أن تستكمل التعرف على تلك الحركات المغرضة التي يستغل بها ميل الأمة الأمريكية إلى التدين أسوأ استغلال!.

لذلك... فلسوف تواصل اللقاء بالكاتبة نفسها في كتابها الثاني «يد الله» الذي حرصت به على أن تقدم مزيداً من الإيضاح لحركة التدبيريين الإنجيليين الأصوليين. والله من وراء القصد.

فى المؤتمر الدولى التاسع عشر للوحدة الإسلامية:

الأقليات المسلمة فى الغرب

تضحيات وصبر فى مواجهة التحديات

للأستاذ/
عاطف مصطفى

ناقش المؤتمر الدولى التاسع عشر للوحدة الإسلامية، والذى عقد مؤخرا فى طهران، وحضره العديد من الباحثين من الدول الإسلامية، الكثير من البحوث، وكان من أبرزها بحث يتناول الأقليات الإسلامية فى الغرب.. الواقع، التحديات والآفاق، واتخذ من أوروبا نموذجا.

وتجىء أهمية البحث والذى قدمه صاحبه فى المؤتمر أن الدكتور محمد بشارى، الأمين العام للمؤتمر الإسلامى، ورئيس رابطة الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا، وهو بلاشك من أقدر الناس الذين عايشوا الأقليات ما بين إنجلترا وفرنسا بشكل خاص، واقترب من كفاح المسلمين فى هذين البلدين، للحصول على حقوقهم، وكذلك المشكلات التى تواجههم، وتحتاج إلى تضافر المسلمين، لكى تقوى شوكتهم فى هذه البلاد، وتحل الكثير من مشكلاتهم، وذلك لتغيير الصورة السلبية للمسلمين، لما طرأ فى الآونة الأخيرة، وبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وكذلك للتغلب على مشكلات كثيرة تواجههم فى الغرب.

يشير د.محمد بشارى إلى أن القرآن الكريم عندما يتناول مصطلح «الأقلية» يعطيه بعدا رساليا مرتبطا بمدى إقدامه على خط التدين، ممارسة وفهما وسلوكا وحالا، ليتحد فى الفئة الناجية من النار، والمبشرة بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة.

حقوق الإنسان

وعن مفهوم الأقليات فى الأعراف الدولية الحديثة يبين أن حماية الأقليات فى المواثيق الدولية جاءت وعلى رأسها الخاصة بحقوق الإنسان، فالمادة الثانية من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، تنص على أنه «لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة فى هذا الإعلان، دونما تمييز.

أيضا الحق فى الحصول على الجنسية، ولا يجوز حرمان أى شخص من جنسيته، ومن حقه تغيير جنسيته (المادة ١٠) والحق فى النكاح، وتكوين أسرة، دون أى قيد يرجع إلى العرق أو الدين أو الجنسية (المادة ١٦) وأيضا حق التملك وحق الرأى والتعبير والحق فى العمل والملكية الفكرية، والحق فى عيش مناسب، وحرية ممارسة الشعائر التعبدية.

إحصائيات

يقول د.محمد بشارى: ثمة إشكاليات عديدة تواجهها فى معرض إحصاء وتدقيق واقع الأقليات الإسلامية فى العالم ومعلوم أن هذا العدد يختلف، ويبقى إشكاليا بين الباحثين فمنهم من يقدر أعداد هذه الأقليات بأقل من ٢٢٠ مليونا.

وبهمنا التوقف مع أرقام بعض الإحصائيات الخاصة بنسب المسلمين فى العالم، وهذه الأرقام خاصة بنهاية حقبة التسعينيات، ولنا أن نستحضر ما الذى يمكن أن تكون عليه، وبحق فى منتصف العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

ففى القارة الآسيوية مثلا، يقدر عدد المسلمين بأكثر من ٧٥٢ مليون نسمة، منهم ٤٧٠ مليونا يعيشون فى الأقطار الإسلامية أى بنسبة ٦٣٪ تقريبا من إجمالى عدد المسلمين فى آسيا، بينما يقدر عدد المسلمين الذين يعيشون فى أقطار غير إسلامية بأكثر من ٢٨٢ مليونا، أى بنسبة ٣٧٪ من مجموع مسلمى آسيا.

ففى الهند مثلا يجسد المسلمون نسبة ١٥٪، و١٠٪ فى الصين، ٢٥٪ فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ١٢٪ فى تايلاند، ١١٪ فى الفلبين.

وبالنسبة للأقليات المسلمة فى إفريقيا فيقدر عدد المسلمين بأكثر من ٢٩٣ مليونا منهم ٢٢٣ مليون مسلم يعيشون فى الأقطار الإسلامية أى بنسبة ٧٦٪ تقريبا، ويعيش أكثر من ٧٠ مليونا (٢٤٪ من مجموع المسلمين فى إفريقيا) فى أقطار غير إسلامية.

ويقدر عدد المسلمين فى بعض الدول الإفريقية غير الإسلامية على النحو التالى، ١٧ مليون مسلم فى إثيوبيا، و١٢ مليونا فى تنزانيا، و٥ ملايين فى أوغندا، و٤ ملايين فى كينيا.

الأقليات المسلمة فى الأمريكتين

يتضمن بحث د. بشارى الأقليات المسلمة فى الأمريكتين حيث يقدر عدد المسلمين بما يقرب من أربعة ملايين مسلم، وتضم الجالية الإسلامية فى أمريكا الشمالية أكثر من ثلاثة ملايين من المسلمين، منهم أكثر من مليونين من أصل إفريقى. ويقدر عدد المسلمين فى أمريكا الجنوبية والوسطى بنحو ٤٠٠ ألف مسلم.

أما عن مسلمى استراليا فيفوق عددهم ٤٠٠ ألف مسلم، ويوجد فى استراليا خمس وخمسون جمعية إسلامية، وأكثر من ٣٥ مسجدا ومركزا إسلاميا، ومعظم مسلمى استراليا من أصل لبنانى فضلا عن أن استراليا من القارات التى يمكن أن تستوعب أعداداً كبيرة من المسلمين.

وإجمالا لا يمكن الجزم بأن هناك ما يقرب من ثلث المسلمين اليوم يعيشون خارج دائرة العالم الإسلامى الجغرافى «٤٥٠ مليون» مسلم من مجموع ما يقرب من «مليار و ٣٥٠ مليون» نسمة..

وقد تضمنت البحث جدولا يحصى عدد المسلمين فى بلاد أوروبا الغربية فبين أن عدد المسلمين فى فرنسا وصل إلى ٦ ملايين مسلم وعدد سكان فرنسا ٥٩ مليونا وثمانمائة ألف نسمة وفى ألمانيا ثلاثة ملايين ومائتى ألف مسلم وعدد السكان ٨٣ مليوناً.

أما عدد المسلمين فى بريطانيا فيصل إلى مليون وسبعمائة ألف مسلم من بين عدد سكان ٥٧ مليوناً ومائتى ألف نسمة ويصلون فى أوروبا الشرقية إلى [٣٥،٧٤٨،٠٠٠] وهذا يعنى أن أوروبا كلها تضم أكثر من ٥٠ مليون مسلم.

جذور الحضور الإسلامى فى أوروبا

يشير البحث إلى أنه بعد مرور قرابة نصف قرن على بداية نزوحها إلى أوروبا، بدأت الأقليات المسلمة تنتقل من مرحلة الاستقرار المؤقت إلى مرحلة الاستقرار الدائم. وتم هذه التحول بعدما طرحت جانبا قضية العودة إلى الوطن الأم التى كانت حلما يراود نفوس جيل المهاجرين الأوائل، وفى ظل قدوم الجيل الثانى وحتى الثالث، من أبناء المهاجرين المسلمين، وحصولهم على جنسيات البلدان التى تربوا فيها.

ويمكن الجزم بأن القارة الأوروبية فى غضون القرن العشرين تقف بشكل واضح وراء بروز الوجود الإسلامى المهم، بل والمؤثر فى قارتها بدون قوة أو عنف.

والمسلمون الوافدون إلى أوروبا منهم الذين أتوا طلبا للرزق، أو طلبا للعلم، أو كلاجئين سياسيين نتيجة لاحتلال بلادهم (من فلسطين وكشمير وأفغانستان) أو من هاجر لتعرضه لضغط سياسى أو دينى، أو رجال أعمال وتجار تطول مدة إقامتهم

وهناك نوع آخر، وهم الذين اعتنقوا الإسلام من أهل هذه البلاد.

مقترحات

ركز د. محمد بشارى فى ختام بحثه على بعض المقترحات التى تهم فى رفع مستوى الجاليات الإسلامية ومنها:-

فى المجال الدينى: تحرير المعالم الكبرى للعقيدة والشريعة والسيرة النبوية والفتوحات الإسلامية من طرف مسلمين أوروبيين كل بلسان قومه.

- دعوة الجمعيات الخيرية إلى المساهمة فى تشييد المساجد والمراكز الإسلامية فى مختلف البلدان الأوروبية، حتى يتسنى الحفاظ على الهوية الإسلامية.
- ارسال بعثات من الدعاة ممن يحسنون النطق بلغات الدول الأوروبية.
- العمل على دعم دور المساجد أو أماكن العبادة بأئمة أكفاء متمكنين من العلوم الشرعية، ومن المؤمنين بضرورة الاجتهاد تبعا للظروف الزمانية والمكانية والتى لا تتعارض مع النصوص القطعية الدلالة.
- ضرورة تأسيس معهد إسلامى أوروبى ذى فروع فى دول الاتحاد الأوروبى.
- إعادة ترجمة معانى القرآن الكريم من طرف عرب مسلمين أمناء، لهم من العلم الشرعى الباع الكبير ومن اللغات التمكين القوى.
- الاهتمام بالكتاب الإسلامى المترجم ونوعه وصحة ما فيه من معلومات ومقارنتها بالأصلية وبطبيعة المعطى الأوروبى.
- تشجيع التوءمات والعمل المشترك بين الجامعات الإسلامية والجامعات الأوروبية، من أجل تبادل الخبرة والتنسيق والتعاون لخدمة أبحاث ودراسات الاستشراق المنصف.
- أعطاء الأولوية لإنشاء ودعم التعليم الإسلامى بأوروبا وتقديم مساعدات من قبل المؤسسات والهيئات الإسلامية.
- دعوة رجال الأعمال وأصحاب رءوس الأموال من المسلمين إلى إقامة مدارس حرة إسلامية خاصة لأبناء الجالية المسلمة فى أوروبا.

***

إن الإسلام لكى يزدهر فى هذه البلاد يحتاج إلى دعم من البلاد الإسلامية لأشقاء لهم يعيشون فى بلاد لا تتعامل إلا مع القوى، وطالما هذه الجاليات الإسلامية تواجه مشكلات، فسيظل المسلمون بها مهمشين..

وعلى الرغم من كل ما تناوله عن مسلمينا فى الغرب، إلا أن الإسلام خاصة لمن يعرف عنه الكثير فى هذه البلاد - يتزايد يوما بعد يوم.

في زمن العولمة:

ماذا نحن فاعلون؟

غنى عن البيان، أننا ندخل عصراً جديداً.. بل دخلناه بالفعل.. هذا العصر، اهتزت فيه القيم والثوابت، الثقافية والأخلاقية، التى تحتكم إليها تعاملاتنا، وأنماط اختياراتنا فى كل شئون الحياة على مستوى الأفراد والجماعات.. بل والشعوب..!!

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

ولقد كان العامل الأساسى، وربما الوحيد فى هذا التغير الحاد فى هذه الموروثات، تلك الفضائيات، التى أسهمت وإلى حد كبير فى جعل العالم كله كما لو كان قرية صغيرة.

فقد صرح «إدجار موران» بأننا ندخل عصراً تنهار فيه كل الثوابت والمعتقدات، فالعالم يمر بمرحلة من الشك، نحن لا نعرف إلى أين نمضى، والمستقبل غير مضمون..

وقد كان عالم الاجتماع الفرنسى الشهير «بورديو» قد أعلن سنة ٢٠٠٠ أن الثقافة فى خطر، وبنى إعلانه هذا على استنتاج يرى أن الاستقلالية التى اكتسبها تاريخيا الإنتاج الثقافى عن الضرورات الاقتصادية، تواجه اليوم خطراً يهددها فى الصميم؛ وذلك باختراق المنطق التجارى لكل مراحل إنتاج وترويج المواد الثقافية. فالتنوع الكبير الذى تشهده هذه المواد مرتبط بتوحيد أذواق الجماهير وتنميطها على الأسلوب الاستهلاكى الأمريكى.. «إن تحكم منطق الربح فى الإنتاج الثقافى يعطى المال قوة رقابة متعاظمة فى سوق الصناعات الثقافية اليوم، ويعطى الثقافة الجماهيرية (المؤمركة) سيادة وهيمنة مطلقة»..

وثمة صلة وثيقة ومهمة بين هذه الثقافة الجماهيرية الاستهلاكية، التى يكرسها مجتمع الإعلام الشامل على مستوى كونى، وفئات الشباب؛ فقد استطاعت أمريكا منذ الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، أن تطور صناعة ثقافية واسعة موجهة إلى الأحداث الأمريكيين، أهمها السينما والتليفزيون والموسيقى، وأصبحت اليوم القوة الاقتصادية الرئيسية الوحيدة القادرة على التصدير الفورى لهذه الصناعة لتغطية الحاجيات المتنامية فى باقى بلدان العالم، التى أصبح شبابها يمثل جزءاً متزايد الحجم فى سوق الاستهلاك الثقافى للشباب فى العالم، وتأثيرها فى ثقافة الشباب، سيكون له أثر مستقبلى قوى؛ إذ الشباب اليوم هم نخب المستقبل، ووصول أمريكا إليهم فى عمر الشباب، يعطيها أفضلية فى التأثير فيهم عندما يصبحون راشدين ونافذين فى مجتمعاتهم واقتصاداتهم[1].

ترتيب البيت من الداخل

وإذا كان الأمر على هذا النحو الخطير من التحول فى أنماط الاستهلاك الثقافى والمادى الذى يشمل العالم كله، فإن واجبنا الآن نحن - العرب والمسلمين - أن نعيد ترتيب البيت العربى والإسلامى من الداخل بحيث نواجه هذا المستقبل، وقد أعددنا أنفسنا بما يحفظ علينا ديننا وقيمنا وسلوكنا الإسلامى الأصيل، وأول ما يحفظ علينا كل هذا، الثقافة العربية الإسلامية، التى نبعت من كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله ﷺ.

إن الثقافة العربية والإسلامية، من أبرز ما أنتجته قرائح البشر..!! ومسئولية المحافظة عليها ونشرها بين سكان المعمورة، تقع أولا وأخيرا على عاتق العرب والمسلمين عامة، وهى فرض كفاية تأثم الأمة كلها إذا قصَّرت فى هذا الواجب وهذا الحكم مما يستخلص من قول الله - عز وجل -:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

(التوبة: ١٢٢)

قيمة الإسلام

فالمحافظة على الدين وعلى الثقافة الإسلامية النقية أمانة استودع الله المسلمين إياها لحفظ توازن الحضارات الإنسانية، ولتكون المرجع الصحيح، الذى تلتفت إليه الإنسانية من آن لآخر؛ حتى لا توغل فى الانحراف والضلال؛ مما يدفعها إلى الدمار الشامل، ويودى بها إلى الهلاك الماحق.

إن قيمة الإسلام، ليست فقط فى العبادات التى تربط الإنسان بخالقه - سبحانه - على ما لهذا من نتائج ترتفع به فى إيمانه بالله - تعالى -، لا يتسع المجال لذكرها الآن - وإنما مع ذلك، وبنفس الدرجة من الأهمية، تشمل هذه القيمة، أنه منهاج حياة كاملة للبشرية كلها، ودستور عمل يحكم حياة الإنسان، ويوجهه إلى كيفية التعامل مع مفردات الكون كله، وإلى أن يرى نعمة الله التى أسبغها عليه فى كل شىء، حينما يرتقى به علمه، ويدفعه إلى المزيد من الاكتشافات العلمية التى تزيده أمنا ورخاء وسلاما. قال - تعالى -:

(١) مجلة «عالم الفكر» المجلد ٣٥ يوليو - سبتمبر ٢٠٠٦ ص ٢٠١، ٢٠٢ مقال للدكتور/ النجى الزيدى بعنوان «ثقافة الشباب فى مجتمع الإعلام».

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٠، ٢١)

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٣)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(فاطر: ٢٧، ٢٨)

إمكانات غير محدودة

فالقرآن الكريم، بما ترعرع على شاطئيه من ثقافة إسلامية وعربية أصيلة هو ملاك الأمر في هذا الشأن الخطير، وديننا الإسلامي الحنيف هو الذي يدفعنا إلى أن نعود إلى أنفسنا لنتعرف على أمكانياتنا لنستثمرها على النحو الأمثل؛ حيث إن لدينا من الإمكانيات المادية والاقتصادية، ومن المؤسسات الثقافية والمنظمات الرسمية وغير الرسمية، ما تقف به موقف الند لأوروبا وأمريكا، بل ما يؤهلنا لمركز الريادة ويجعل هذه الدول التي تُدلّ بقوتها المادية، وثقافتها الملحدة علينا.. أقول: لدينا من الإمكانيات ما يجعل هذه الدول تنظر إلينا بعين التقدير والاحترام.

فمن الناحية المادية الاقتصادية، نرى الآتي:

إذا كانت تقنيات العصر كادت أن تحول العالم إلى قرية كونية واحدة.. فإن علينا أن نبدأ بترتيب البيت العربي والإسلامي لتحويله إلى كتلة اقتصادية متكاملة، تتساند فيها الطاقات والإمكانات.

إن العالم الإسلامي وحده يمتلك وطنا مساحته ٣٥ مليونا من الكيلومترات المربعة.. تعيش فيها أمة يبلغ تعدادها قرابة المليار ونصف المليار من البشر.

وغير الإمكانات الروحية والثقافية والحضارية التي يملكها العالم الإسلامي:- وحدة العقيدة.. والشريعة.. والأمة.. والحضارة.. ودار الإسلام ـ فإن هذا العالم هو الأول في: البترول.. والغاز.. والمنجنيز.. والكروم.. والقصدير.. والبوكسيت.

وهو الثاني في: النحاس.. والفوسفات.. وهو الثالث في: الحديد.. والخامس في: الرصاص.. والسابع في: الفحم.

وفيه أطول أنهار الدنيا.. وأقدم فلاح علّم الدنيا فن الزراعة.. وفي بلد واحد من بلاده ـ السودان ـ من الأراضي الصالحة للزراعة بأرخص الأسعار ما يجعله سلة غذاء لأمة الإسلام بأسرها.. وفي هذا العالم من البحار والمحيطات والأنهار ما يجعله المصدر الأول للثروة السمكية[٢].

(٢) أ.د. محمد عمارة: بحث في كتاب «مشكلات العالم الإسلامي في ظل العولمة» ـ سلسلة قضايا إسلامية ـ تصدرها وزارة الأوقاف المصرية، العدد ١٣٥ ص ٧٠، ٧١.

تراث الأمة وهويتها

وأما من ناحية الثقافة والعلوم، وما يقوم على رعايتها من المؤسسات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية، فإن لدينا الكثير والكثير، ولن تكون بدايتنا من فراغ.

فعلى مستوى المؤسسات والمنظمات الحكومية لدينا الآتي:

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «ألسكو»: وتقوم بالنشاطات نفسها التي تقوم بها منظمة «اليونسكو»، ولكن بشكل خاص في الوطن العربي. أسست من قبل الجامعة العربية عام ١٩٧٠، وهي من أنشطة المنظمات التي تهتم بنشر معرفة التراث وثقافة الحفاظ داخل العالم العربي.

ومن الأهداف الأساسية لنشاطها، القيام بعمل جمعيات بين الدول العربية للقيام بإنقاذ تراثها، ولاسيما المعالم والمواقع، وخاصة أن هذا التراث غني ومتعدد الجوانب..

وهدف أساسي آخر «للألسكو» هو توجيه وتحسين الرأي العام العربي نحو الحفاظ على المدينة كمرآة للحضارة الإسلامية..

- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: أسست عام ١٩٨٢ في فاس ومقرها في الرباط: من أهدافها

(أ) دعم الثقافة الإسلامية.

(ب) الحفاظ على الهوية الإسلامية..

(جـ) الحفاظ على معالم الحضارة الإسلامية.

- منظمة المدن العربية: نشأت باهتمام سبعة وعشرين رئيس بلدية من مدن الدول العربية عام ١٩٦٧. وكان الهدف من إنشائها تقوية العلاقات والروابط بين المدن العربية.. ثم أضيف هدف جديد للمنظمة وهو: الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للمدينة بالحفاظ على تراثها الحضاري.

- منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أنشئت عام ١٩٨٠ في مكة المكرمة، ومن أهدافها: الحفاظ على التراث الثقافي للعواصم والمدن الإسلامية.. تنظم هذه المنظمة مؤتمرات ومعارض تهتم بمشاكل العواصم والمدن الإسلامية، وتقدم جوائز في مختلف المجالات التي تعنى بحل مشاكلها.

أما على مستوى المؤسسات الإسلامية والعربية الثقافية غير الحكومية، فإن لدينا منها: منظمة الأغاخان: وهي من أهم المؤسسات الخاصة وأشدها تأثيرا في نشر ثقافة الحفاظ، وتنفيذ المشاريع المتعلقة به. وتحتوي هذه المؤسسات على ثلاثة برامج تطويرية للدول الفقيرة في العالمين العربي والإسلامي، في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وهناك أيضا مؤسسات التراث الديني والوقف الإسلامي، وإن كانت لا توجد لها أقسام وأجهزة متطورة في وزارات الأوقاف الإسلامية، للحفاظ على المعالم الإسلامية التاريخية التي تمتلكها تلك الوزارات(٣).

مواجهة تيار العولمة

ومما لا شك فيه، أن هذه المؤسسات والمنظمات، تعتبر جملة صالحة من القواعد والأسس التي يرتكز عليها كل من يريد الإصلاح والريادة لهذه الأمة، مع ضرورة أن تضع الحكومات الإسلامية والعربية في اعتبارها عدة أهداف تعمل على تحقيقها ما وسعها العمل؛ حيث إنها ضرورية لتفعيل هذه الأجهزة الرائدة.

١- أن تزيد الحكومات المعنية من فاعلية هذه المؤسسات، سواء أكانت حكومية أو غير حكومية بما يكفل لها البقاء والتأثير المستمر. بأن تمدها بأحدث ما وصل إليه العصر من معدات وتقنيات عالية تمكنها من الإحاطة الشاملة بكل ما يدور على أرض الإسلام والعروبة، مما يقع تحت مسئوليتها، ويمكنها أيضا من الوصول السريع إلى مكامن أدوائها للقيام بدورها المنوط بها.

٢- ضرورة أن تنزل هذه المؤسسات والمنظمات إلى الشارع المسلم والشارع العربي لتخاطب الفرد والجماعة معا؛ حتى لا يسهل على المنظمات الغربية، وأصحاب الأغراض المشبوهة اقتلاع الفرد المسلم من عقيدته، ومن آداب الإسلام وأخلاقه، بعد أن تغزو عقله وأحاسيسه بأساليبها الخبيثة.

٣- وإيمانا منا بالمقولة المشهورة «الهجوم خير وسيلة للدفاع» لابد من أن تنشر هذه المؤسسات والمنظمات الإسلامية ظلها الوارف على الجاليات الإسلامية والعربية في مهاجرها الغربي لتشعر بها، وتمدها بالمعلومات اللازمة عما يحاك ضد الإسلام والعروبة في ديار الآخرين. هذا أولا.

وثانيا: لتكون خط الدفاع الأول في مواجهة حملات التشكيك المسعورة التي تُطبخ موادُها السامة في مطابخ الصهيونية العالمية والصليبية المتعصبة والمتعاونة معها، ولتعطي الصورة الصحيحة عن الإسلام للمثقف الغربي. فحقائق الإسلام مجهولة لدى معظم الشعوب الأوروبية، ولا يعرفون عنها إلا ما تصوره لهم وسائل الإعلام المعادية.

بهذا.. وبهذا فقط، نستطيع مواجهة تيار العولمة الزاحف بقوة على سماء العالم الإسلامي والعربي؛ بغية التهام أعز ما يملكه العرب والمسلمون من ثقافة إسلامية وعربية أصيلة.

(٣) إذا أردت المزيد من التفاصيل حول هذه النشاطات، فارجع إلى كتاب «الحفاظ على التراث الثقافي» للأستاذ الدكتور جمال عليان من سلسلة «عالم المعرفة» الكويتية، رقم: ٣٢٢ ص ١٦٩ وما بعدها.

الصلاح والإصلاح

للأستاذ الدكتور/ محمد أبو ليلة

الصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل السليم. والصالح هو المستقيم الحال في نفسه، القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد(١).

والصلاح لا يتحقق إلا بإعطاء كل ذي حق حقه، حق البدن، وحق الروح، وحق العقل، وحق الزوج لزوجه، والزوج لزوجها، وحق الأولاد وحق الجيران، وصلاح الإنسان ينعكس على وجهه نوراً وسكينة ومحبة.

والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين والمؤمنات، كما أنه متمنى الأنبياء والمرسلين ولننظر إلى دعوة يوسف عليه السلام:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

[يوسف: ١٠١]

يعني ألحقني بالصالحين من آبائي وسلفي من الأنبياء ومن سيكون معهم من عامة الصالحين في أقوامهم.

ويحكي الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام دعوته:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾

[الشعراء: ٨٣]

وعلى لسان سليمان عليه السلام

(١) الكليات لأبي البقاء العكبري (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م) مكتبة الرسالة ص٦٠ - ٦١.

﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

[النمل: ١٩]

ومن «صلح» اشتُقت «المصلحة»، وهي كل عمل يترتب عليه جلب منفعة أو دفع مضرة، وكلما كان النفع أعم ودفع الضرر أشمل، كان الصلاح أتم وأكمل، ومن ذلك المصلحة أو المصالح المرسلة وهي عند الأصوليين: عبارة عن الأوصاف التي تُعرف علتها، أو الغاية منها بدون شهادة الأصول، يعني شهادة قواعد الشرع المعروفة للفقهاء والأصوليين.

والمصالح المرسلة تجاز لمقتضى مصالح العباد، وعدم الاستغناء عن الشئ أو الأشياء محل المصلحة، مع أن الشرع لا يشهد لها بالاعتبار أو بالإبطال، وهي عند الإمام الغزالي مقبولة إذا كانت المصلحة ضرورية قطعية كلية. ويقول حجة الإسلام: «والمصلحة وإن لم يشهد لها الشرع بالاعتبار ولا بالإبطال، وإن سميناها مصلحة مرسلة؛ لكنها راجعة إلى الأصول الأربعة (القرآن والسنة والإجماع والقياس)، لأن مرجع المصلحة إلى حفظ مقاصد الشرع المعلومة بالكتاب والسنة والإجماع، ومقاصد الشرع خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يُفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة، ودرء المفاسد مُقدم على جلب المصالح في الإسلام.

والمصالح منها مصالح حاجية، ومصالح تحسينية تزيينية، والحاجية تكون في الأشياء التي يحتاج الناس إليها في حياتهم ولا يمكن الاستغناء عنها، فهي في مرتبة الضروريات، و«الضرورات تبيح المحظورات»، وهذه قاعدة أصولية، والضرورة تقاس بمدى الحاجة إليها، أو بمدى الاستغناء عنها.

والمصالح التحسينية، والتزيينات تتمثل في تعويد الناس على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، كالمروءة والشهامة والتضحية في سبيل الوطن، والأمة، والمُثل العليا، وتشجيع الناس على العوائد الحميدة، والقيم الفاضلة، وتزيين المزايا والفضائل، والتفوق والحث على تيسير التخلق بها، والقيام بواجباتها، ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات[٢]. وتكون المصالح التحسينية في التعليم والتربية، وفي الإدارة وأجهزة المراقبة، وكل مرافق الحياة، وفي كل شئ يؤدي إلى الصلاح والإصلاح ويحافظ على الدين، وعلى حياة الناس.

ونعود إلى مادة «صلح» و«أصلح» فنقول إن الإصلاح، بالإضافة إلى ما سبق، هو تقويم الشئ بردّه إلى حالته ورتبته التي كان عليها، من الإفادة والنفع، وإلى أداء ما نيطَ به من واجب، أو خُصص له من عمل، أو جُعل من أجله لهدف أو لغاية، فإزالة العطل، وعلاج العجز والقصور، وتنقية الشئ من الأدران

(٢) الإمام أبوحامد الغزالي، المستصفى ٦٣٦/١- ٦٣٨، والتهانوي: كشاف ٦٦٦/٤- ٦٦٧.

والعلائق، وتقويم المعوج، وعلاج المرضى بحيث تعود العافية إليهم، ويصحون وينشطون، كل ذلك إصلاح، وكذلك تهيئة الأرض للزراعة، وتمهيد الطرق وتنظيمها للسير عليها، وعمارة الأرض وتزيينها وتجميلها.

كل ذلك إصلاح يدعو الإسلام إليه، ويشجع عليه، ويثيب فاعلة ويؤثّم تاركه.

ومَن أصلح إنساناً أو شيئاً فقد أحسن إليه، وأبر به وواصله، حتى الحيوان نعتني به ونرعاه ونكرمه نكون قد أحسنا إليه، وقد أمر نبي الله صالح عليه السلام قومه ألا يمسوا الناقة بسوء:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[الأعراف: ٧٣].

وقول الرسول ﷺ «وفي كل كبد رطبة صدقة»[٣]

ولعلو رتبة الصلاح والإصلاح عند الله تعالى، أمرنا بعمل الصالحات، واجتناب المفاسد والمهلكات، وأمرنا كذلك بالمحافظة على صلاح الأرض التي نعيش عليها، وعلى ثرواتها ومقدراتها، وعلى خصوبتها وعلى جمالها ونضارتها التي خلقها الله عليها

فقال:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[الأعراف: ٥٦]

الإنسان لم يحفظ الأمانة

فعلى الإنسان أن يحافظ على خلق الله- عز وجل- وعلى ما صنعه أو بناه بيده من حضارة ومدنية من منشآت ومرافق وبنية تحتية... إلخ، حتى لا يصيبه الدمار، ويأتي عليه الخراب ويصبح كتلك التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، وهذا جانب مهم من رسالات السماء جميعا. نبي الله شعيب عليه السلام على سبيل المثال:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[الأعراف: ٨٥]

ولقد أبدت الملائكة عندما علمت بخلق الإنسان تخوفها على الأرض التي أبدع الله خلقها، وأتقن صنعها من أن تخربها أيدي العابثين والمفسدين من بني آدم فقالوا لله تعالى عندما أخبرهم عن خلق آدم

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

[البقرة: ٣٠]

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

ونتساءل: هل يجوز لنا، ونحن فى بدايات القرن الواحد والعشرين أن نقول إن تخوف الملائكة الذى أعلنوه قبل بدء خلق آدم عليه الصلاة والسلام قد أصبح اليوم واقعاً أشد وأحد من ذى قبل، فالكرة الأرضية تعانى من التلوث بكل صوره ومصادره، تلوث فى البر، وتلوث فى البحر، وتلوث فى الجو، تلوث فى الفكر، وفى الثقافة وفى السلوك، وفى التعامل مع البيئة، بما فيها تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، نحن نعانى اليوم من الانحباس الحرارى، ومن السموم، ومن الأسلحة البيولوجية، ومن معوقات التنمية، ومن المجاعات والأمراض المستعصية، والأمية، والكوارث الطبيعية، والفيضانات والزلازل، ومن الحروب والنزاعات المسلحة، من سطوة رأس المال المتوحش، والشركات التى هى أشبه بالديناصورات المصنعة، كل ذلك وغيره يستدعى منا جميعاً أن نكرس جهودنا للإصلاح. وأول خطوة فى الإصلاح هى مواجهة أسباب الانحراف والفساد ومعالجتها.

وحتى تدرك قيمة الصلاح والإصلاح، كما ينبغى، يكفى أن نعرف أن جملة:

«عملوا الصالحات»

جاءت مقترنة بالإيمان بالله، واليوم الآخر فى ثلاث وستين موضعاً فى القرآن الكريم، وجاءت كذلك مقترنة بعدة فضائل وقيم عظيمة، إذ قد اقترنت بالتقوى والبر والإخبات أى الخشوع، وبالتواصى بالحق وبالصبر، على سبيل المثال يقول تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: ٢٥]

ويقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٧]

ويقول:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾

[النساء: ٣٤]

ويقول تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[المائدة: ٩٣]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[يونس: ٩-١٠]

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

[هود: ١١]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

[الكهف: ١٠٧]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[هود: ٢٣]

ومعنى:

«أخبتوا إلى ربهم»

أى اطمأنوا إليه، وخشعوا له، فلم يتكبروا ولم يتعالوا بعلمهم أو بعملهم وإلا ذهب العلم وحبط العمل، وصار هباء منثوراً.

ويقول تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

[الكهف: ١٠٣-١٠٥]

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾

[الفرقان: ٢٣]

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

[الكهف: ٤٦]

﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾

[طه: ٧٥]

فالعمل الصالح يوصل صاحبه إلى الرتبة العالية يوم القيامة، هذا بالإضافة إلى الحياة الطيبة والرفعة فى الدنيا:

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾

[الطلاق: ١١]

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

[طه: ١١٢]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

[النور: ٥٥]

فلا نجاح فى الحياة، ولا تقدم مأمون فى هذه الدنيا إلا بالإيمان والعمل الصالح.

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[العصر: ١ : ٣]

أقسم الله تعالى بالعصر، والعصر يعنى الدهر لاشتماله على الأعاجيب والتصاريف، ويعنى عصر النبوة لعلو مرتبته وأهميته بين العصور، وإما أن يراد به «صلاة العصر» وذلك لفضلها وتوسطها بين الأوقات الخمسة،

ومعنى:

«إن الإنسان لفى خسر» أى معظمهم يخسرون كثيرا فى مساعيهم ويحبطون أعمالهم، ويصرفون أعمارهم فى مطالب أبدانهم وشهواتهم،

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

يعنى تواصوا فيما بينهم بالصبر على أداء الحق، والقيام بواجب الطاعة، وبالبعد عن الباطل والمعصية.

يقول تعالى:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾

[ص: ٢٤]

أى قليل هم هؤلاء الذين يجمعون بين الإيمان الصادق والعمل الصالح.

ولننظر فى قوله تعالى فى وصف متقى أهل الكتاب:

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾

[آل عمران: ١١٤- ١١٥]

إن الله يجازى عن العمل الصالح سواء فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما معا،

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

[الكهف: ٣٠]

والعمل الصالح، ليس المصلحة المادية الصرفة، هو مقياس القبول وعنوان الفضل يقول تعالى:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾

[ص: ٢٨]

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾

[غافر: ٥٨]

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[الجاثية: ٢١]

ومعنى هذه الآيات: هل يظن الذين يفسدون فى الأرض، أو هل يتوهمون أن نجعلهم- يعنى نُصَيِّرهم- كالذين آمنوا وعملوا الصالحات؟!.

ما أبعد الفرق بينهم فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة، إنهم ليسوا سواء، ولا سيان فى الهدى والضلال، وفيما يترتب على الرزق الحلال، وما يترتب على الرزق الحرام:

«ساء ما يحكمون»،

يعنى ما أقبح رأيهم، وأسوأ تقديرهم للأمور، وما أكذب ظنهم بالله تعالى، وما أصبرهم على النار.

وضع الله تعالى الصالحين فى معية الأنبياء، ومن لحق بهم، يقول تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾

[النساء: ٦٩ : ٧٠]

ووعد الله تعالى هؤلاء الذين يجاهدون فى سبيل الله ضد الشر وضد الانحراف، ويعملون لصالح الناس، وعدهم الله بالهداية وبالتوفيق والمعونة

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

والمحسنون هم الصالحون المصلحون.

والمصلح لا يكون مصلحاً، ولا يتأتى له أن ينجح فى أى عمل، ما لم يكن صابراً محتسباً، واسع الصدر، كبير النفس حكيماً مؤثراً، ولابد من ملاحظة أنه على قدر الأمراض والعلل والتحديات التى تلم بالمجتمع تكون أقدار المصلحين، وعلى قدر الخطر يكون الإقدام أو الإحجام، ويكون الجهد المبذول، والثواب الموعود.

«يتبع»

***

قصة العدد

نادى الشياطين



لعميد الأدب العربى
الأستاذ الدكتور طه حسين

أطبق على الفضاء العريض ليل عريض، تكاثفت ظلماته، وركب بعضها بعضا، حتى لتوشك الأيدى أن تلمسها، وحتى لتعجز أضواء النجوم أن تنفذ من بعضها، وحتى لو رآها الناس لأنكروها، و لقال بعضهم لبعض: هذا آخر ليل تعرفه الأرض، أو هذا هو الليل الأبدى الذى لن تخرج الأرض منه، ولن يمسها بعده الضوء. ولكن الناس لم يروا من هذا الليل العميق الكثيف شيئا، وإنما رأوا ليلهم كما تعودوا أن يروه، يترقرق فيه ضوء القمر، وتتألق فيه أشعة النجوم. ثم كأن عمق هذا الليل وكثافته لم يكفيا ليحجبا السماء عن ذلك الفضاء العريض، فإذا قطع من السحاب تقبل من كل صوب فى زمجرة وزئير، حتى تلتقى وتنعقد، فتضيف عمقا إلى عمق. وكثافة إلى كثافة. وكأن الأسباب قد قطعت فى هذا الردح من الزمان بين الأرض وبين السماء.

فى هذا الفضاء العريض القاتم، الذى لا تستطيع لغة الناس أن تصف سعته وظلمته، جلس إبليس لأعوانه ومشيريه من الشياطين، وما هى إلا أن أقبلوا إليه خفافا لطافا، كأنما كان يحملهم نسيم من نار مظلمة. فلما انتهوا إليه وأطافوا به قال لهم فى صوت خفى: «لقد علمتم ما ألم بهذه الأرض من خطب، وما نزل بأهلها من حدث، وما كان من تحولهم عما ألفنا منهم منذ قرون فأشيروا». قالوا: «تكبرت أن نشير عليك، وإنما منك الأمر وعلينا الطاعة». قال مستخذيا: «ما غمضت على الأمور قط كما غمضت علىّ الآن. وما عميت علىّ الأنباء كما عميت علىّ الآن. وما عودتكم أن أسألكم عن شىء أو أستشيركم فى شىء، ولولا أن الغيب قد حجب عنى لأول مرة ما دعوتكم ولا استشرتكم».

قالوا: «تكبرت! لئن حجب الغيب عنك لهو أحرى أن يحجب عنا، وإنا منذ الليلة لفى ظلمة دامسة لم نعهد مثلها قط، وإنا لنتحدث فما تكاد أصواتنا تبلغنا، ولولا أنك كبير فى نفوسنا لأشفقنا ألا تبلغك أصواتنا». قال: «لا تراعوا ولا يخرجكم الفزع عن أطواركم، فإن أصواتكم تبلغنى كما يبلغكم صوتى. وما هذه الظلمة الدامسة إلا من عملى وكيدى. فقد ألقى فى روعى أن من الخطر كل الخطر أن نتشاور أو ندبر أمرنا بيننا دون أن نقيم بيننا وبين السماء حجبا كثافا». قالوا: «تكبرت أن يرد عليك رأى أو يخالف لك عن أمر، فقل نستمع، وادع نستجب، ومر تنفذ إلى طاعتك أسرع مما تنفذ السهام إلى رميتها».

قال: «على رسلكم حتى يثوب إلىّ الرسل الذين بثثتهم فى أقطار الأرض، وبعثتهم فى أجواز السماء، ليعلموا لى علم هذا الخطب، فما أرى إلا أن حادثاً عظيماً محدق بالأرض وسكانها». وما أتم إبليس هذه الجملة من حديثه حتى جعل شرر دقيق سريع ينفذ من هذه الظلمات المتكاثفة فى قوة، ويتبع بعضه بعضاً فى عنف وازدحام، يقبل من كل وجه، وينهل من كل صوب، حتى ريع الشياطين، وخيل إليهم أن السماء تمطرهم نارا.

قال إبليس: «ما أرى إلا أنكم قد فقدتم صوابكم، وفارقتكم أحلامكم، وجعلتم ترتاعون لغير روع. ما إشفاقكم من هذا الشرر وإنكم لترون فيه صور أنفسكم؟ انظروا هؤلاء الرسل يقبلون من أقطار الأرض، ويهبطون من أجواز السماء، يحملون إلينا أخبار الأرض وأنباء السماء».

وما هى إلا لحظة حتى عادت الظلمات إلى كثافتها، وانعقدت كهيئتها قبل أن يقبل هذا الوابل من الشرر، كأنما كانت قطعاً من أدم أسود صفيق شقت لهذا الشرر حتى نفذ منها، ثم انعقدت عليه تحوطه وتحميه. وما هى إلا أن يتمثل هذا الشرر أشخاصاً خفافاً لطافاً لها أصوات خفاف لطاف كصوت إبليس ومن كان حوله من الشياطين. وإذا أحدها يتقدم واجفاً خائفاً حتى إذا كان من إبليس غير بعيد انحنى يظهر الطاعة والإكبار، وقال فى صوت هامس كأنه هفيف النسيم: تكبرت قد أفزعنا وروعنا ورمينا بالشهب، ورددنا عن مقاعدنا من السماء، فما لنا إلى استراق السمع من سبيل.

قال إبليس: «تعست لم تبئنا بشىء لا نعرفه، فأين الرسل الذين أرسلتهم يستقصون الأنباء؟

قال الشخص الماثل: تكبرت، إنما أتكلم عنهم، وأنطق بلسانهم، لقد انتشرنا فى أجواز الجو من كل وجه، وارتفعنا نحتال فى ذلك ما وسعتنا الحيلة وخلى بيننا وبين الارتفاع حتى غرتنا الأمانى، وخيل إلينا أنه قد رُدَّ الشر عنا. وما نكاد نبلغ مقاعدنا حتى تصب السماء علينا وابلاً من شهب مهلكة. وما أدرى كيف خلصنا إليك؛ فقد احترق أكثرنا قبل أن يبلغ الأرض. وما أرى إلا أن السماء قد أبقت علينا لننفذ إليك فنبلغك ما ألم بنا من خطب، وما نصب لنا من حرب، وما هيىء لك من نكاية وكيد».

قال إبليس: «فأين الذين أرسلتهم إلى أقطار الأرض يحملون إلىّ أخبارها؟» قال قائل خفيف لطيف فى صوت هامس كأنه هفيف النسيم: «تكبرت، ها نحن هؤلاء نقبل عليك لا نحمل من الأنباء إلا ما يملأ قلوبنا هلعا وجزعا. لقد طرد إخواننا من أجواف الأصنام، وحيل بينهم وبين

شهود الضحايا والقربان فى هذا الوجه الذى تعرفه من وجوه الأرض. ما يكاد أحد منهم يستقر فى جوف صنم من هذه الأصنام إلا أخذه العذاب من كل وجه، وضاق به هذا المكان الذى كان يتسع له، وأخذت عليه الطرق والمنافذ، كأنما يدفع به الموت دفعا. فمنا من كان ينفذ من أفواه الأصنام، ومنا من كان ينفذ من آذانها، ومنا من كان ينفذ من أنوفها. نجد فى ذلك أشد الجهد وأشق العناء».

قال إبليس مغيظا محنقا: «ويلكم إنما أدرككم الجبن، وأعياكم الجهد، وعجزتم عن الاحتمال. إنما تفرون من عذاب إلى عذاب، لن تلقوا عندى خيرا مما لقيتم هناك».

قال الشخص الماثل: «تكبرت ما جبنا ولا فشلنا، ولكنا آثرنا أن نأتيك بالأنباء، ونحن صائرون إلى ما تحب، وعائدون إن شئت إلى تلك الأصنام لنقيم فى غير مقام، ونستقر فى غير مستقر، فذلك أهون علينا وآثر عندنا من غضبك».

قال إبليس: «فأين النساء؟» قال الشخص الماثل: «تكبرت، كن أشجع منا نفوسا، وأقدر منا على الاحتمال، فآثرن البقاء فيما يكتنفهن من ضيق، حتى يبلغهن أمرك، أو يأتيهن الموت».

قال إبليس: «ولم يخزكم ما رأيتم من صبرهن واحتمالهن؟» ثم سكت قليلا. ثم قال: «بم يدعوك هذا الحى من قريش؟» قال الشخص الماثل: «يدعوننى هبل». قال إبليس: «ويزعمون أنك أكبر آلهتهم، فعد إلى مكانك مدحورا مخذولا، لأؤمرن عليكم النساء منذ الليلة، ولأعقدن لواءكم للعزى».

ثم عاد إبليس إلى صمته، وإن الظلمة لتضطرب من حوله اضطرابا شديدا، كأنما جرى الخوف فى طبقاتها، فبعث فيها رعدة غريبة تقشعر لها الأرض اقشعرارا.

ثم قال إبليس بعد هنيهة: «فأين الذين كلفتهم أن يحملوا إلىّ من تراب الأرض؟»

قالت أصوات مختلطة: «هانحن هؤلاء»..

ثم جعل كل واحد منهم يدنو فيرفع إلى وجه إبليس قبضة من تراب فيشمها، ثم يشير إلى صاحبها أن ألقها فيفعل، حتى إذا دنا منه أحد هؤلاء الرسل، وقرب إلى أنفه قبضة التراب التى كانت فى يده، لم يكد يشم ريحها حتى أخذه ذعر شديد، فنهض قائما وهو يقول فى صوت المرتجف المغيظ: هو ذاك. هو هذا الوجه من بلاد العرب، قد ألم به الحدث العظيم. هو هذا الحى من قريش، قد فسد الأمر فيه علينا أشد الفساد.

قالت الأصوات واجفة خائفة: «تكبرت، فماذا تأمرنا أن نفعل؟»

قال «سترى». ولكنه لم يكد ينطق بهذه الكلمة حتى صعق، وصعقت الشياطين من حوله، وانجابت الظلمة فى أيسر من لحظة، وأشرقت الأرض بنور عظيم وصل بينها وبين السماء، ولصق الشياطين بأديم الأرض كأنهم ذرات من تراب، وامتلأت أقطار الجو بصوت مهيب، ولكنه عذب يقول: «ألا إن الكتاب قد بلغ أجله ألا إن أحمد قد نبىء منذ الليلة».

ثم يتقبض الضوء مرتفعا إلى السماء. ويتجرد الليل القاتم من ثوبه المشرق، ويعود الفضاء العريض كهيئته حين كانت تطبق عليه الظلمة الكثيفة، وتمضى لحظات قد هدأ فيها كل شيء، وإذا صوت خفيف لطيف كهفيف النسيم يضطرب فى الجو قائلاً: «ويلكم! هبوا، فقد آن للجبن أن ينصرف عنكم، وآن لقلوبكم أن تبرأ من الفرق».

وهذه الأصوات تنبعث من أديم الأرض كأن كل ذرة من ذرات التراب قد استحالت إلى شخص يسمع ويبصر ويتحرك ويريد. وهذا إبليس قد اتخذ مكانه من أعوانه ومشيريه ورسله، وهو يلقى إليهم الأمر، ويبعث فيهم النشاط، ويوكلهم بأقطار الأرض، ويأخذهم بأن يكونوا أشد حذرا، وأكثر احتياطا، وأعظم إغواء للناس.

ثم يتجه إلى جماعة منهم قائلا: «أما أنتم فاكفونى شر هؤلاء الأحبار من يهود، وهؤلاء الرهبان من النصارى؛ فقد أخذوا منذ حين يفقهون التوراة والإنجيل، يتحدثون إلى عامة الناس بما لم يكونوا يتحدثون به من قبل. فكفوهم عن ذلك ما وجدتم إلى كفهم سبيلا. واحملوهم على أن ينكروا ما عرفوا، ويجحدوا ما قالوا، واملئوا قلوبهم زيغا، وعقولهم ضلالاً».

ثم يلتفت إلى جماعة أخرى قائلاً: «وأما أنتم فارجعوا إلى حيث كنتم من هذا الوجه من بلاد العرب، وليأخذ كل منكم مكانه فى جوف صنمه لا يفارقه حتى يأتيه أمرى».

ثم يلتفت إلى سرب آخر قائلاً: وأما أنتم فبيتوا قريشاً من ليلتكم وليلزم كل واحد منكم رجلاً منهم نائماً ويقظان، ساكنا ومضطربا فى الأرض. وإياى وأن يفلت منكم أحد من قريش! واعلموا أن من أفلت منه صاحبه فلن يجد عندى إلا عذابا تعرفونه، وما تحتاجون إلى أن أذكركم به، أو أدلكم عليه».

وقد أخذت الظلمة ترق، وقد أخذ السحاب يتفرق وينجاب، وقد أخذت أشعة النجوم تبلغ الأرض، وقد أخذ ضوء القمر يترقرق فى الجو، وقد خفت الصوت، وسكنت الحركة، واستقر كل شيء».

ثم أصبحت قريش فغدت على أعمالها كأنها لم تنفق ليلة نادرة فى ليالى الدهر إلا خديجة بنت خويلد؛ فقد أقبل عليها زوجها مرتاعًا سعيداً، ينبئها بالنبأ العظيم.

قال ابن سعد: «أخبرنا على بن محمد، عن سعيد بن خالد وغيره، عن صالح بن كيسان: أن خالد بن سعيد قال: رأيت فى النام قبل مبعث النبى ﷺ ظلمة غشيت مكة، حتى ما أرى جبلا ولا سهلا، ثم رأيت نوراً خرج من زمزم مثل ضوء المصباح، كلما ارتفع عظم وسطع، حتى ارتفع فأضاء لى أول ما أضاء البيت، ثم عظم الضوء حتى ما بقى من سهل ولا جبل إلا وأنا أراه، ثم سطع فى السماء، ثم انحدر حتى أضاء لى نخل يثرب فيها البُسر، وسمعت قائلا يقول فى الضوء: سبحانه سبحانه، تمت الكلمة، وهلك ابن مارد بهضبة الحصى بين أذرح والأكمة. سعدت هذه الأمة. جاء نبى الأُمّيين، وبلغ الكتابُ أجله. كذبته هذه القرية، تعذبت مرتين، تتوب فى الثالثة، ثلاث بقيت، ثنتان بالمشرق، وواحدة بالمغرب. فقصها خالد بن سعيد على أخيه عمرو بن سعيد، فقال: لقد رأيت عجبا. وإنى لأرى هذا أمراً يكون فى بنى عبدالمطلب إذ رأيت النور خرج من زمزم».

الفتــــوى
بين القول المرتجل والفقه الواعى

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

يقول الله - سبحانه وتعالى - ناعيا على أهل الكتاب تعنتهم وتحريفهم لأحكام الله:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٧٧]

وبرغم ما فى القرآن من آيات محكمة تنص على رفع الحرج والإصر عن المسلمين، إلا أننى وجدت آية النعى على أهل الكتاب عن الغلو فى الدين، والشطط فى الانحراف عن الحق تقفز إلى ذهنى، ولعلى أكون على صواب - وأنا أبتغى الصواب صدقا - إلا أننى أؤكد أنه لابد من الاعتدال والتوازن واليسر الذى يريده الله لعباده، والبعد عن التشدد والغلو الذى نهى عنه النبى - ﷺ - كما كان فى حياته - ﷺ - نموذجا رفيعا له، ومثالا يحتذى، وقدوة حسنه للإنسانية فى تدينه ومعاملاته - ﷺ -.

ولا أظن مسلما لا يعلم حديث رسول الله - ﷺ - عن الثلاثة الذين جاءوا يسألون نساءه - ﷺ - عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها؛ لأنهم حسبوا أن التقرب إلى الله - تعالى - يكون حسابه بحركة الأجسام والألسنة ولذلك عند إخبارهم بعبادته - ﷺ - نظروا إليها نظرة كمية - فكأنهم تقالوها - والإسلام لا يعترف بالكم - وتلك آفة المسلمين اليوم يتعاملون مع الدين كميا

وظاهريا. ولذلك فهم يكثرون عند الطمع، ويقلون عند الجزع وعند الشدة فها هو الطغيان المستبد المتمثل فى زعيمة العولمة ينفذ حكم الإعدام فى ظالم العراق ولا يختار الاستبداد والطغيان إلا يوم عيد الأضحى لتنفيذ جريمته.

كأنه يستعرض طغيانه والإعلان عن جبروته..!!!

فكان هذا الاشمئزاز الأبكم والاستنكار الأصم من المسلمين و لم نسمع عن إعلان صريح ورفض عزيز لهذه الدناءة الخسيسة، ونحن على كره منا نعذر الذين يخافون لكنا لا نقبل من مفكرينا وذوى الرأى فينا أن يتحولوا إلى تماثيل صامتة، لماذا لا يتكلمون؟!!!

قال صاحبى: لماذا تركت موضوعك الذى بدأت به، وجنحت إلى مواضيع أخر ليست هى موضوع مقالك ولا تنطوى تحت عنوانك؟! قلت فى استهجان رفيع: أنا أكره البلادة وأمقت التدين الخانع، وأكره المداهنة فى الحق، ولا أرضى بالدنية ما دمت حيا.

ثم قلت لصاحبى: لكن لا عليك، فكما أننى أكره التشدد كذلك أكره البلادة والخنوع والتسيب وعدم الالتزام بأوامر الدين وأحكامه تحت أية ذريعة أو مهما كانت الأسباب، لكنى أفهم الدين على أنه يسر لا عسر فيه، وأمارس من التكاليف ما أطيق، أمارسها عشقا لها وحبا، لا على أنها عنت وقهر، ولا أفهمها على أنها مخاصمة للطبيعة البشرية.

فهؤلاء الثلاثة ظنوا ذلك وتوهموه فرغم ما سمعوه عن عبادة النبى - ﷺ - إلا أن كل واحد منهم آلى على نفسه أن يخاصم النسق البشرى المستقيم وأن يعاند الاعتدال وألا يعانق الوسطية فى عزة وقناعة، وآثر العنت لأنه كان من المفترض عليه - بعد أن سمع عن عبادة النبى - أن يقاوم عنت نفسه ويقوم اعوجاج طبيعته، ويمارس الفطرة السليمة النظيفة النقية بلا اعوجاج أو شطط!!! لكنهم قالوا فى عناد غريب غير مقبول ولامألوف، ولا مطلوب. قال واحد منهم: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثانى: أنا أصلى ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء. فماذا قال المصطفى؟ - ضمير البرية -: سأل عنهم وقال: «أنتم الثلاثة الذين قلتم كذا وكذا». لم يعنفهم؛ لأنهم تقالوا عبادته. فليست هذه هى القضية. فهو - ﷺ - أعبد الناس، وأتقى الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس[1] لكن من من

(١) كما قالت زوجة عكرمة وهى تناديه لما فر عند دخول الرسول - صلى الله عليه وسلم - مكة فأخذت له أمانا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولحقت به تناديه تقول له: لقد جئتك من عند أبر الناس وأوفى الناس، وأكرم الناس.

الناس مثله، ومن يسلك مسلكه في تعامله مع ربه، فلذلك نهى الناس لما أرادوا أن يقلدوه في وصال الصوم وقال موجها ومعلما ومرشدا إلى الطريق السوي والتكليف الذي أمر الله به ورفع فيه الحرج وسن فيه الوسطية والاعتدال، قال ـ ﷺ ـ: (أنا لست كهيئتكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني)(٢) وقد كان يشق على نفسه في العبادة، يقوم حتى تتورم قدماه، لكن ذلك منهجه هو ـ ﷺ ـ وحاله هو مع ربه أما الاعتدال فهو منهج الإسلام القويم.

قال صاحبي فيما يشبه الملل ـ وإن بدا أنه اقتنع ـ: حدثني عن مقالة النبي ـ ﷺ ـ للثلاثة قلت: قال ـ ﷺ ـ: (أنا أخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء).

ثم قلت لصاحبي: كان أولى بك ـ وكنت أتوقع أن تسألني ما هو طريق الخشية إذن، وما هو السبيل إلى تقوى الله؟ أقول لك: إن السبيل إلى الخشية وطريق التقوى هو الاتباع المتمثل في الاعتدال الذي يولد يقظة القلب، ولا قيمة لكثرة مبتدعة، أو لهوى متشدد، أو تشدد عن هوى وأن العبرة ـ كما قلت ـ بالامتثال والاعتدال وذلك هو منهج الدين ووسطية الإسلام التي تتوافق مع الفطرة السوية فكما أنه لا معنى للابتداع ولا خير فيه كذلك لا ثمرة للتشدد ولا أمل من ورائه.

فالذين يتصورون أن التشدد في العبادة هو الغاية وأن التعنت هو الهدف المقصود من العبادة فهم مخطئون، وهم أشد خطأ حين يريدون أن يفرضوا تشددهم على الآخرين، وأكثر خطرا على الإسلام حين يزعمون عن جهل أن هذا هو الدين ويفتون به.

قال صاحبي ـ في ملل واضح وضجر أدركت معه أنه يريد أن ينهي اللقاء: ماذا تريد من وراء كل هذا؟ وما الذي دفعك إلى هذا الحوار الطويل؟ ولماذا لم تتكلم عن التسيب الذي شاع والتنصل من الدين بحجج واهية لا أساس لها من الصحة؟

قلت ـ يغفر الله لي ولك: دعني من التسيب الآن فله أحاديث أخرى أرجو أن يتسع وقتك لها، لكن الذي يعنيني هو موجة التشدد العنيفة المدمرة باسم الدين وتحت عباءة علم مزعوم!!! والذي دفعني إلى هذا أنني لقيت شابا وأنا

(٢) رواه البخاري.

جالس في مواجهة الكعبة يلتقف الناس كأنه جلاد وكأنهم مجرمون آثمون، كان من شدة عنفه واندفاعه يسأل ولا ينتظر الجواب، فكان يجيب عن نفسه بما يدعو، كان يقول ـ مثلا لرجل ونحن في مكة أمام الكعبة من أين أحرمت بعمرتك هل أحرمت من التنعيم؟ ويسرع بالإجابة إحرامك باطل، وعمرتك باطلة، كان يجب عليك أن تحرم من ذي الحليفة، (ميقات أهل المدينة) ثم يواصل في جرأة شديدة هكذا فعلت أنا وهكذا أحرم أبوبكر وعمر، ولست أدري لماذا لم يقل هكذا فعل رسول الله؟ أنا أعجب لهذه الجرأة، ثم أردف سائلا آخر أو قل إنه أنشب أنيابه أو أظافره في آخر فقال له: كيف تحللت؟ لعلك قصرت بعض شعرك، ثم أجاب هو نفسه، تحللك غير مقبول، كان من اللازم أن تقصر جميع شعر رأسك، ولكن الموجع المؤلم في كل هذا أنه كان يصرخ ويقول

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[الأنبياء: ٧]

نظرت إلى صاحبي، أتأمله وجدته ضجرا قلقا متألما، لكنه لا يستطيع أن يجيب بالحق والهدى المستقيم، فقلت له أتركك علك تستريح أو تستهدي إلى رشد مستقيم، ولنرجع سويا أنا وأنت إلى قول الله ـ تعالى ـ

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[الأنبياء: ٧]

فإلى رحاب الفقهاء وأسباب الاختلاف ومنهج العلماء العاملين ـ لعلنا نأخذ بيد هذا البدوي وأمثاله إلى شاطئ الأمان ويسر الإسلام وعدم التسرع في الفتوى دون وعي أو فهم مستضخم مستعجم، وقد عرفت أنه من إحدى محافظات مصر الصحراوية فإلى الفقه المستقيم، كما سنتناول في اللقاء القادم ـ إن شاء الله.



بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

المهـــزلة

فى جـريدة اللواء الإسـلامى الصـادرة فى ٢٠٠٧/١/٤ كتب الأستاذ محمد الزرقانى معبراً براى صادق ومشاعر الإنسان التى تعلو فوق كل شيء قائلاً:

• لا شك أن للرئيس العراقى الراحل صدام حسين الكثير من الأخطاء والسلبيات والتى تستحق أن يمثل بسببها أمام القضاء، ولكن للرجل أيضا إيجابياته الكثيرة سواء على مستوى بلده أو على المستوى القومى العربى.. وإذا كان الشكل الظاهرى للمحاكمة «المهزلة» التى أقيمت له، هو محاكمته على بعض سلبياته، فإن الحقيقة أنه تمت محاكمة صدام حسين بل وغزو العراق وعزله بواسطة قوى أجنبية غاشمة محتلة، لم يكن إلا لإيجابياته، بعد أن جعل من العراق قوة عربية وإسلامية، ودعمه المستمر للفلسطينيين فى مواجهة احتلال صهيونى غاشم، ومن هنا كان لابد من التخلص منه، وبدأ جورج بوش «الأب» الخطة الدنيئة، ثم استكملها ابنه جورج بوش بصورة أكثر دناءة ووحشية.. وتحت ستار فرض الديمقراطية والحرية على ربوع العراق، تم انتهاك ذلك البلد العربى فى جريمة دولية متكاملة الأركان، وتم إبعاد صدام عن موقعه الشرعى، وتقديمه لمحاكمة هزلية انتهت بالحكم بإعدامه.. وكان القضاة من الأكراد بينما كان الجلادون الذين قاموا بتنفيذ الحكم من الشيعة، وهو مخطط أمريكى واضح للمزيد من الفتنة والطائفية التى تدمر العراق الآن!!.

• لقد أرادت أمريكا إذلال صدام حسين، فقامت بإعداد سيناريو القبض عليه، ثم وضعه فى قفص الاتهام خلال المحاكمة، وأخيرا بإعدامه فى أول أيام عيد الأضحى، وهو ما يمنعه القانون العراقى نفسه. ولكنها لم تنجح فى ذلك، كان صدام صامدا فى كل هذه المراحل، ولم تهتز له شعرة أو جفن، حتى فى تلك اللحظات التى سبقت إطباق حبل المشنقة حول عنقه. أما الخزى والعار فكان لجورج بوش طاغية العالم ولأذنابه الذين أتى بهم ليفتنوا العراق، ويقفوا فى مواجهة صدام وهو يستعد لملاقاة ربه ليسبوه، وكان أقوى منهم فى ذلك الوقت، وسخر منهم ووصفهم بأنهم ليسوا رجالاً، وهم بالفعل كذلك.. وبلغ منهم الحقد أنهم لم يتركوا الرجل يكمل شهادته وسارعوا بقتله هربا من عينيه التى فضحتهم حتى وهم مقنعون!!.

• وإذا كانت الولايات المتحدة قد فشلت فى إهانة صدام حسين.. فإنها أرادت أن تهين العرب والمسلمين بإعدامه فى أول أيام عيد الأضحى المبارك.. ولكنها لم تنجح أيضا فى ذلك، وإنما نجحت فى جلب المزيد من مشاعر البغض والكراهية نحوها، ليس من العرب والمسلمين فقط، وإنما فى دول كثيرة من العالم.. وتمنى الكثيرون لو أن «بوش» هو الذى تم إعدامه، ليتخلص العالم من الشرير الأكبر والإرهابى الأكبر، الذى ملأ العالم كله قتلا وتدميراً ونشر الحقد والكراهية فى كل مكان.

• إن ما فعله صدام حسين، بل وما فعله «هتلر» لا يمثل شيئا أمام جرائم جورج بوش «البلطجى» الذى يعتمد على قوة بلده الغاشمة.. وهى جرائم تستوجب تقديمه لمحاكمة دولية، تضم قضاة من جميع أنحاء العالم.. وإذا لم يحدث ذلك- ولن يحدث لأننا بالفعل نعيش فى غابة تحكمها القوة- فيكفى حكم التاريخ الذى سيدين بوش ويضعه فى أحقر صفحاته مع أعتى المجرمين والسفاحين والقتلة!!.

• وفى عيد الأضحى أيضا قامت إثيوبيا «الصليبية» باحتلال دولة عربية مسلمة بدعم من الولايات المتحدة، ووسط صمت عربى مريب، وإن كان للناس عذرهم «أصلهم بيعيدوا»!!.

نحو مرصد عربى إسلامى لما يجرى داخل القدس

كتب د.احمد يوسف القرعى فى جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ٢٠٠٧/١/٤ يرثى حال القدس قائلاً:

طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرار خطير صدر فى منتصف ديسمبر الماضى (٢٠٠٦) بتخصيص مكتب (ثلاثى العضوية) لتسجيل الأضرار الناجمة عن بناء الجدار العازل فى الأرض الفلسطينية المحتلة ونص القرار على أن يعمل المكتب بالمقر الأوروبى للأمم المتحدة فى فيينا.

وما أحوجنا نحن الأمة العربية والإسلامية إلى تخصيص مكتب مواز لتسجيل الأضرار الناجمة عن عمليات تهويد مدينة القدس بصفة خاصة، حيث تتعرض المدينة المقدسة أكثر من غيرها من أراضي الضفة تخطط إسرائيلي مبرمج طوال أربعة عقود منذ احتلالها في يونيو ١٩٦٧.

ويأتي الجدار العنصري العازل ليشكل الفصل الأخير في تهويدها كلية، حيث يفصلها تماما عن محيطها الفلسطيني العربي في الضفة مستبعدا نحو ٥٠ ألف مقدسي عربي من سكان المدينة كخطوة أولى لتصفية كل مقدسي عربي داخل المدينة في السنوات المقبلة.

نحن إذن أحوج ما نكون إلى مكتب عربي إسلامي تابع لكل من الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والإتحاد الأفريقي إن أمكن ذلك ليتفرغ تماما لرصد ما جرى ولا يزال يجري بالقدس ويقدم كشوفا وتقارير وحقائق وأرقاما إلى مكتب المفوض الأوروبي للأمم المتحدة، موضحا الوقائع الخطيرة التي تجري داخل القدس وعلى أرضها ومقدساتها ومعمارها وتراثها العربي الإسلامي- المسيحي.

ويمكن للمكتب العربي الإسلامي المقترح أن يتخذ من عمان مقراً رئيسياً مع مكاتب فرعية له لدى الجامعة العربية بالقاهرة ولدى منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة ولدى الاتحاد الأفريقي في أديس أبابا إذا اقتضى الأمر.

وإذا جاز لنا ترشيح من يستحق لعضوية المكتب فإن الفلسطيني «خليل تفكجي» هو أول المرشحين بحكم تراكم خبراته ومعرفته في هذا المجال، حيث يشغل مدير دائرة الخرائط في جمعية الدراسات العربية في القدس وأكثر الخبراء العرب معرفة في شئون الاستيطان بالحقائق والأرقام والوقائع، ويمكن أيضا ترشيح ممثل السنغال (كدولة إسلامية) تتولى رئاسة اللجنة الدائمة المعنية بحقوق الشعب الفلسطيني التابعة للأمم المتحدة.. ومن مصر يمكن ترشيح الكاتب الموسوعي د.عبدالوهاب المسيري عضواً أو مستشارا للجنة.. إلخ.

ولا يعني هذا الاقتراح الاكتفاء بتشكيل لجنة حكومية (عربية إسلامية).. فالمجتمع المدني يزخر بكفاءات وخبرات وجمعيات واتحادات ومراكز بحثية سوف تكون سنداً للجنة العربية الإسلامية، وعموماً فما أكثر المستحقين لعضوية مثل هذه اللجنة في إطارها الحكومي أو المدني.. والعضوية هنا تشريف لكل عضو أكثر من كونها تكليفاً بعمل طارىء يتطلبه الأمن القومي العربي.



ولعل اللجنة العربية الإسلامية (الحكومية والمدنية) بمثل هذا التكوين والتشكيل والدعم والتأييد وتشكل مرصداً- بمعنى الكلمة- يكشف بجلاء عن مخطط الفصل الأخير لتهويد مدينة القدس والذي يأمل أولمرت أن يحظى بشرف تدشينه طمعاً في دخوله التاريخ العبري من أوسع أبوابه (خيب الله ظنه) وكان هذا أمل أرييل شارون إلا أن السكتة الدماغية التي أصابته منذ مطلع ٢٠٠٦ قضت على أمله (بلا رجعة) وكأنها لعنة القدس العربية على كل من يمسها بضر (عاجلاً أم آجلا).

والمرصد هنا يعني الاستعانة بكل أدوات الرصد والتحليل من أدوات وأجهزة وكفاءات بشرية، هذا فضلا عن أدوات الاتصال الدولية بالأمم المتحدة ومختلف المحافل وشبكات الإعلام الأرضية والفضائية، المكتوب والمسموع والمرئي.

إن دعم وتنشيط عمل المكتب الثلاثي بالمقر الأوروبي للأمم المتحدة جنبا إلى جنب المكتب العربي الإسلامي المقترح سوف يشكل تحدياً خطيراً أمام الحكومة الإسرائيلية التي قبلت مؤخراً، العودة إلى مائدة المفاوضات مع الفلسطينيين في إطار الوعود الأمريكية بإقامة دولة فلسطينية. لم تفصح الإدارة الأمريكية صراحة للأسف الشديد عن عاصمتها.. ومن هنا تأتي أهمية توظيف قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المشار إليه والخاص بإنشاء المكتب الثلاثي بالمقر الأوروبي لتسجيل الأضرار الناجمة عن بناء الجدار العازل في الأرض الفلسطينية المحتلة.

وهذا يقودنا إلى تأكيد جعل فتوى محكمة العدل الدولية هي المرجعية الإساسية لعمل المكتب الثلاثي (سواء الدولي أو العربي الإسلامي).. ومن المعروف أن الفتوى قد صدرت منذ ٩ يوليو ٢٠٠٤ في نحو ٣٠٠ صفحة وترتب عدة التزامات على إسرائيل وعلى المجتمع الدولي، في مقدمتها أن إسرائيل ملزمة بأن توقف على الفور أعمال إقامة الجدار وتفكيك الهيكل الإنشائي القائم وتعويض جميع المتضررين من الفلسطينيين، وأن على جميع الدول عدم الاعتراف بالوضع غير القانوني المترتب على إقامة الجدار وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت قراراً في ٢٠ يوليو ٢٠٠٤ يعزز فتوى المحكمة وكأنها قرار دولي ملزم وقررت الجمعية العامة ضرورة عقد اجتماع دوري لتقييم ما تم تطبيقه في قرارها بهدف إنهاء الوضع غير القانوني عن إقامة الجدار، ونظرا لمواصلة إسرائيل تعنتها ورفضها تنفيذ الفتوى وكذا القرارات الدولية جاء قرار الجمعية العامة الأخير (١٤ ديسمبر ٢٠٠٦) ليؤكد إرادة المجتمع الدولي ويستحدث إليه جديدة (المكتب الثلاثي) لمتابعة الموقف عن كثب ولعل هذا يدفعنا كأمة عربية إسلامية إلى تعزيز دور المكتب الثلاثي بالمشاركة الجادة في أداء دوره.

حرب بالوكالة

وفى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٧/١/٨ كتب الأستاذ/مصطفى كامل، قال:

إذا سقط الحلم الأمريكى فى العراق فلا مانع أن يطل برأسه فى القرن الإفريقى وإذا فشلت إسرائيل فى بناء بعض لبنات الشرق الاوسط الجديد فى لبنان فإن اثيوبيا قد نجحت إلى حد كبير فى ثانى الحروب بالوكالة فى خدمة القوة الوحيدة التى تريد أن تكون المهيمن الوحيد على الكرة الارضية.

وبمقاييس القوة العسكرية فإن أمريكا هى المتفرد على مستوى العالم.. وبمقاييس العلم والإنتاج والقدرة على إدارة الأزمات الدولية فإن أمريكا تظل هى الأولى مع احتفاظها بفارق شاسع بينها وبين التالى لها إن وجد، ولكن بمقاييس الإرادة الإنسانية فإن العراق مازال حتى الآن يسبق القوة الأولى على مستوى العالم بمراحل كبيرة دعت واشنطن إلى البحث عن بدائل تهزم بها إرادة الشعب العراقى.

ونماذج القدرة الإنسانية التى لاترتبط بقوة الاقتصاد أو السلاح أو الإنتاج كثيرة فالعرب عندما خاضوا حرب أكتوبر المجيدة إنما خاضوها ضد أمريكا ممثلة فى إسرائيل وحققوا انتصارا غير مجرى الاستراتيجيات العسكرية، والشعوب العربية التى خاضت معارك التحرير انما قاتلت بالسهم مقابل البندقية والسيف مقابل الصاروخ وهزمت القوى الكبرى ومازال الحجر الفلسطينى يقدم المعجزات يوما بعد يوم ليثبت للعالم أن الإرادة الإنسانية تعيق أكبر القوى مهما كان جبروتها.

الخروج المخزى لأمريكا من فيتنام والانكسار الإسرائيلى فى لبنان والفشل الروسى فى أفغانستان وبداية سقوط الكذبة الدولية فى كابول وعودة شبح طالبان لتنتصر الإرادة فى مواجهة سلاح لايحمل قلبا إنسانيا يدرك قيم العدالة والحب والمساواة.

وحتى لايفاجئنا ماتعلن عنه وسائل الإعلام الدولية يوما بعد يوم عن خطط واشنطن وخريطة الكرة الأرضية التى يعاد رسمها فى البنتاجون وانتشار مصطلحات النظام العالمى الجديد وشرق أوسط بلا مقاومة ومثلث شيعى فى مواجهة آخر سنى وصراع الفتن فى العراق فإن الأمر كله لايعدو خططا ومؤامرات توفر لها قوى الغرب مجتمعة كل سبل النجاح غير أنها ستظل رهنا بحجم الإرادة العربية فى الشارع قبل الحديث عن العواصم الرسمية.

ومهما كانت بجاحة وبشاعة الطرح الجديد فإن رأس واشنطن المليئة بأفكار اللوبى الصهيونى يداعبها حلم السيطرة ولن تتوانى فى إعادة صياغة أهدافها من جديد لبناء قصور الهيمنة وربما لا تقوم بعد

ذلك بخوض معاركها بعد السقوط فى المستنقع العراقى وإنما تقوم بذلك قوى إقليمية مثل أثيوبيا وإسرائيل وغيرهما من القوى التى تخطط للقيام بأدوار إقليمية تحقق من خلالها أهدافها.

وحتى الحروب بالوكالة لن تستطيع تحقيق أهداف المارد الوحيد حيث تبقى الإرادة الوطنية للشعوب هى المحك الرئيسى الذى تتكسر عليه أحلام وطموحات القوى الاستعمارية على اعتبار أن معركة الحياة الأبدية هى بين الخير والشر فإن تأخرت الإرادة فى انتصارها فإنها حتما لاتموت.

اعترافات إسرائيلى عنصرى!!

فى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٠٠٧/١/١٢ كان هذا التقرير الذى تناول اعترافات لعميل للمخابرات الإسرائيلية جاء فيه:

اعتراف نادر ذلك الذى أدلى به العميل الإسرائيلى «نتيم ليفى» قائد إحدى خلايا الاغتيال فى جهاز المخابرات الإسرائيلى المعروف باسم «الشاباك» والذى كان مسئولا عن تعقب الفلسطينيين فى الداخل والخارج واغتيالهم هم وأسرهم دون رحمة حيث اعترف «ليفى» بأنه لو كان فلسطينيا وتعرض لكل ما يتعرض له الفلسطينيون من جانب إسرائيل لكان قد بذل حياته لو استطاع حتى يذيق اليهود العذاب ألوانا!!!

وللأسف الشديد فان اعتراف «ليفى» لم يأت إلا عقب انتهاء خدمته فى الشاباك وبعد أن قضى عشرين عاما فى خدمة الحكومات الصهيونية المتعاقبة وكانت مهمته فى الشاباك هى القتل المنظم وغير المنظم على حد قوله، حيث أخذ على عاتقه تعقب الفلسطينيين فى كل مكان بدءا من القرى الفلسطينية مرورا بمعسكرات اللاجئين فى لبنان وقطاع غزة وحتى الفلسطينيين الذين يعيشون فى الخارج.

قال «ليفى» فى حديث أدلى به لصحيفة هآرتس العبرية: إننى لست آسفا على عشرات الفلسطينيين الذين قتلتهم ولكننى اليوم فقط أعلن إننى كنت متفهما لكل ما يقوم به الفلسطينيون من عمليات فدائية فى أوساط اليهود وأنا أعتبر ذلك جزءا بسيطا من رد الفعل الذى كان متوقعا من شعب يتعرض لمطاردات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية فى أى مكان يتواجد فيه أفراد.

وكشف العميل الإسرائيلى السابق النقاب عن وجود شعور عام لدى العديد من قيادات العمل السرى فى إسرائيل انهم وبرغم استخدامهم كل أنواع العنف وكل أنواع الإغراء فشلوا فى القضاء على العناد والمقاومة فى نفوس الشعب الفلسطينى وأن الاغلبية الفلسطينية مازالت مصرة على المقاومة والصمود وهو ما يعد نوع من الفشل يواجه كل وزير دفاع يأتى إلى إسرائيل.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

مثل هذه الأمة

قال- صلى الله عليه وسلم :- مثل هذه الأمة مثل أربعة:

رجل آتاه الله مالا وعلما، فهو يعمل بعلمه في ماله.

ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا، فيقول: رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله، فهما في الأجر سواء.

ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما، فهو ينفقه في معاصي الله.

ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا، فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي، فهما في الوزر سواء.

رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

ما قيل في الرأي والهوى

قال بعض الحكماء: فضل ما بين الرأي والهوى، أن الهوى يخص والرأي يعم، وأن الهوى في خير العاجل، والرأي في خير الآجل، والرأي يبقى على طوال الزمان، والهوى سريع الدثور والاضمحلال، والهوى في حيز الحس، والرأي في حيز العقل.

وأوصى بعض الحكماء رجلا فقال: آمرك بمعاهدة هواك، فإنه يقال: إن الهوى مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات، وكل

أهوائك لك عدو، وأهواها هوى يكتمك في نفسه، وأعداها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن، وصدق لا يطمع فيه تكذيب، ومضاء لا يقاربه التثبيط، وصبر لا يغتاله جزع، ونية لا يتقسمها التضييع.

وقد قيل: ما أبين الخير والشر في مرآة العقل ما لم يصدئها الهوى! وقيل أيضا: من جرى مع هواه طلقا، جعل عليه للذل طرقا.

الحب الكارثة

قال رجل لسيدنا يوسف- عليه السلام:- إني أحبك، فقال: وهل أتيتُ إلا من المحبة؟ أحبني أبي فألقيت في الجب واستعبدت، وأحبتني امرأة العزيز فلبثت في السجن بضع سنين.

وفي هذا أيضا

دخلت امرأة على جماعة تعزيهم في ميت لهم، فرأت في الدار مريضا، فقالت: أنا يشق عليَّ المشي، أحسن الله عزاءكم في هذا أيضا.

صومان

نزل الشاعر ضيفاً في أحد الرمضانات ببعض أثرياء قومه، وكانوا بخلاء فقال هذين البيتين:

أتى رمضان غير أن سراتنا
يزيدونه صوما تضيق به النفس
يصومون صوم المسلمين نهاره
وصوم النصارى حينما تغرب الشمس

ما يبكيكم؟!

مر المسيح- عليه السلام- بقوم من بني إسرائيل يبكون فقال لهم: ما يبكيكم؟ قالوا: نبكي لذنوبنا، قال: اتركوها تغفر لكم.

سلوا القاضي

شوهد مؤذن يؤذن من ورقة في يديه، فقيل له: أما تحفظ الأذان؟

قال: سلوا القاضي، فأتوه، فقالوا: السلام عليكم، فأخرج دفترا وتصفحه ثم قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الكلام والصمت

قال عليٌ - كرم الله - وجهه : بكثرة الصمت تكون الهيبة.

وروى أن قوما تحدثوا عند الأوزاعى العالم المشهور وفيهم أعرابى لم يتكلم، فقال له بعضهم: لم لم تتكلم؟ فقال: إن الحظ للسامع فى أذنه، وإن الحظ فى لسانه لغيره، يريد أن من يستمع لغيره يحظى بما يسمعه، ولاحظ لمن يتكلم إذ ينتقل لسامعه.

وقال الامام النخعى: كانوا يتعلمون السكوت كما يتعلمون الكلام.

هذا كلام ثمين، فإن من يعرف كيف يتكلم يجب أن يعرف كيف يسكت، فقد يضيع المحسن بتوسعه فى الكلام، ما يكسبه من إحسانه فيما هو بسبيله.

أحق من وفى، ومن عفا

قال عابد : الوعد حق الخلق على الله- تعالى- فهو أحق من وفى.

والوعيد حق الله سبحانه على الخلق فهو أحق من عفا.

وقد كانت العرب تفتخر بإيفاء الوعد وخلف الوعيد.

قال الشاعر:

وإنى إذا أوعدته أو وعدته

لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

دعاء

من دعاء الامام أحمد بن حنبل - رحمه الله -:

«اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك».

***

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

الفاروق

المال والبنون جعلهما الله زينة الحياة الدنيا..

ومع ذلك فهناك من يلقون بفلذات أكبادهم فى الشوارع!! لقد روعت مصر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها بظاهرة علقت عليها الصحف.. وهذه الظاهرة تمثلت فى وحش آدمى اغتصب وقتل خمسين طفلا حتى اليوم هم الذين تذكر أماكن قتلهم. هذا الوحش الآدمى اشتهر باسم «التوربينى» لكونه يقوم بخطف ضحاياه واغتصابهم فوق القطار المعروف باسم «التوربينى» المتجه من القاهرة إلى الاسكندرية وبعد الانتهاء من عملية الاغتصاب يقوم بإلقاء ضحاياه من فوق القطار أثناء سيره!!

هذا الوحش الآدمى لم يولد وحشا وإنما ولد طفلا وديعا، وبدلا من أن يتعهده والداه بالرعاية والتربية ألقيا به فى الشارع ليتعرض للجوع ويقاسى الفقر والحرمان وتنتهك طفولته البريئة، وشيئا فشيئا تحول إلى وحش آدمى لا يعرف الرحمة!!

هذا الوحش صنعته أسرة لم ترع حق الله فيما رزقها من نعمة الولد.

هذا الوحش صنعناه نحن -أيضا- حينما تركناه ضائعا يهيم على وجهه فى الشوارع.

ولم يكن غريبا أن ينتفض الوحش لينتقم بلا رحمة وبلا شفقة..

إنه لم يعرف معنى الرحمة ولا الشفقة.. ومن أين يعرفها وهو لا يجدها حوله..

لقد قال فى اعترافاته أمام النيابة إن ألذ طعام تذوقه

في حيـاته هو «عظام فراخ كنتاكي» التي كان ينقب عنها في سلال القمامة المنتشرة بالشوارع.

يا مسلمون.. أين حق الفقير الذي يلقي بأطفاله في الشارع -مع رفضنا التام لهذا المسلك- نحن الذين دفعناه إلى هذا السلوك؟!

ومأساة جديدة نشرتها صفحات الحوادث بالصحف اليومية [1] حيث تجردت أم من كل مشاعر الأمومة، بل والإنسانية وألقت بطفليها عبدالله شعبان حميدة (٤ سنوات)، وشقيقته صابرين البالغة من العمر (سنة واحدة) ألقتها بجوار أحد المساجد وقالت لهما: سأذهب لإحضار طعام لكما، وذهبت ولم تعد!! بقي الطفل جالسا بجوار شقيقته يبكيان بكاء مريرا يحرك الصخر فخرج لهما إمام المسجد وهدأ من روعهما واصطحبهما إلى إحدى جمعيات رعاية الأيتام التي احتضنتهما.. أو نأمل في أن تكون قد احتضنتهما وأزالت روعهما بعد أن ألقت بهما أمهما في عرض الشارع دون شفقة أو رحمة، في حين أن نبينا ﷺ يقول فيما رواه أبوداود والترمذي: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا».

وروى البخاري ان أبا هريرة -رضي الله عنه- قال: «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر رسول الله ﷺ إليه، ثم قال: من لا يرحم لا يرحم».

يا مسلمون.. من لإيواء وإطعام وعلاج ورعاية فقراء المسلمين؟! رحم الله الفاروق عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يوم انزعج أشد الانزعاج عندما وجد امرأة يتضور أطفالها جوعا فقال لها: لم يبكون؟ فقالت: إنهم جياع فقال لها: أطعميهم فقالت: من أين وأنا فقيرة وقد غفل عنا خليفتنا. فذعر عمر وسألها: وما أدراه بحالكما؟! فقالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا؟! فكاد عمر يسقط مغشيا عليه من هول ما قالته المرأة وانطلق من فوره إلى بيت المال يحضر طعاما يحمله على ظهره ليذهب لنجدة الأم وأبنائها، ولما حاول أحدهم أن يحمل الطعام بدلا منه، نهره وقال له: أستحمل عني وزري يوم القيامة؟!

رحم الله عمر بن الخطاب، بهذا استحق أن يكون الفاروق، فمتى يعود هذا الزمن الجميل؟!

أحمد تقي الدين

---

(١) الجمهورية ٢٥/١٢/٢٠٠٦.

قبسـات من أنـوار الهجـرة

من الشيخ مصطفى الأزهري - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - كانت هذه الكلمة بمناسبة هجرة المصطفى - ﷺ :

كلما هل علينا هلال عام هجري جديد تفجرت في النفوس المؤمنة ينابيع النور وأشرقت على قلوب الموحدين أنوار الحقائق الكبرى فإذا بالحق يزداد في أرواحهم بهاء وازدهاء وإذا بالأباطيل من حولهم تخمد نارها ويذهب زبدها جفاء.

لقد أذن الله تعالى لدعوة الحق أن يبزغ نورها من جنبات بيته العتيق فينفجر ينبوع النبوة -بإذن ربه- ويختار الله لرسالته الخاتمة خير الناس وأحسنهم وسيدهم رسولا للناس كافة محمدا -عليه الصلاة والسلام- وينطلق الحبيب في مسيرة دعوته يبدد الكلمات ويخرج قومه من الظلمات بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، ثم تبدأ مراحل الكيد والمكر والأذى للنبي العظيم وصحبه الكرام فيثبتون على الحق ويدفع بعضهم حياته لله راضيا مرضيا حتى تأتي اللحظة الفارقة ويأذن الله لرسوله ﷺ في الهجرة من مكة فيقف الحبيب ليودع حديقة ذكرياته وأول مواضع قدمه الشريف ليقول لها بكلمات دامعة مودعة: «والله يامكة إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت».. ألا ما أصعبها من لحظات يفارق فيها المرء وطنه فكيف إذا كان الوطن (مكة) وفيها أول بيت وضع للناس!

● حين يطل المرء من شرفة التاريخ المبارك ليملأ عينيه من أحداث الهجرة العطرة يزداد عجبه بل وحبه ويقينه بالإسلام ورسوله ومبادئه العجيبة المبهرة، حيث وضع النبي أساسا جديدا للعظمة والصبر والثبات على الحق مهما كانت الظروف والمحن وهو درس متجدد، على كل أصحاب الدعوات الوقوف عنده ومراجعة عبره فهذا هو محمد -عبد الله ورسوله- يدخل الغار في بطن جبل وما معه إلا صاحبه فيسمعان همهمة الكافرين على فم الغار وأبوبكر الصديق يهمس في أذن الحبيب الرسول (ﷺ) «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» فإذا بأعظم من وثق بربه ومعيته وحفظه وفي لحظة انعدام كل أسباب القوة.. إلا من الله تعالى فيقول النبي لصاحبه «يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما» إنها جملة نبوية نطق بها خير البشر في لحظات التخفي؛ لتكون درسا حاضرا في كل زمان ومكان لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، فهي دعوة إلى الثبات على الحق وحسن الظن بالقوي الجبار -سبحانه وتعالى- مهما كان الخطر قريبا والمكر محيقا.. فإن سنة الله في خلقه أنه:

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾

(فاطر / ٤٣)

● إن دروس الهجرة لاتنقضى وعبرها لاتنتهى ولاشك أن أعظم ما نستفيده من الهجرة النبوية وأحداثها العظيمة هو درس الصبر بكل ما تحمله الكلمة وأن من أعظم أنواع الصبر، الصبر على مشاق الدعوة وتكاليف الدين.. ولقد شاء ربك أن تحف الجنة بالمكاره وتحف النار بالشهوات ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيى عن بينه.. فطريق الدعوة طويل ومليء بالعثرات والمعوقات ويحتاج إلى عزيمة على الاستمرار وإلى عزم على التحمل أما الأولى فقد أحسنها المصطفى ﷺ حين استجاب لربه إذ قال له:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(آل عمران/ ١٥٩)

وأما الثانية وهى «العزم» فإن أعظم ما يدل على قيام الرسول بها هو حديث الهجرة العظيم وقد وجهه مولاه قبلها بقوله تعالى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

(الأحقاف/ ٣٥)

فكان أعظم من صبر وأجل من هاجر عليه الصلاة والسلام.

هل نعى ما نقرأ ونكتب؟

ومن الصديق: محمد عباس محمد عرابى - كانت هذه الكلمة:

عندما خلق الله القلم.. أمره أن (اكتب) فسأل: ماذا أكتب؟ وعندما بعث الله نبيه (ﷺ).. أمره أن (اقرأ) فسأل: ماذا أقرأ.. وبين الكتابة والقراءة أوامر كثيرة لبنى البشر، خاصة المؤمن منهم، ومنها (التفكير والتذكر والتدبر والإيمان والتبصر والتعقل.. إلخ)، وجميعها تركز على العقل وعملياته.. كلها أوامر، كما هى أوامر العبادة مع اختلاف فى التنفيذ، وتفاوت فى الأزمنة.

لو أننا عقلنا ما قرأناه، وتدبرنا ما كتبناه، لكانت حياتنا تسير وفق خطة واضحة وهادفة، مستنيرة بقوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات: ٥٦]

لذا فإننا لن نقرأ إلا ما فيه فائدة لنا ولحياتنا، حيث سننبذ كل ما هو مخالف للفطرة وللحاجة، ولن نكتب إلا ما هو مفيد لنا ولحياتنا فى غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة؛ لأننا آمنا بما كتبه لنا القلم فى اللوح المحفوظ، وبما قرأه لنا الرسول الأمين (ﷺ)، وبين ما كتب وما قرأ سنحقق الهدف الذى

من أجله خُلقنا، وعلى من يتصدى للكتابة أن يراعى:

● عدم الكتابة إلا بعد أن يتمكن من فنه ويحرره ويغوص فيه.

● مراعاة مقاصد الكتابة من جمع المتفرق أو اختصار المطول أو ترتيب المتفرع، أو شرح الغامض، وتحقيق المبهم.

● التوسط فى الكتابة بين الإيجاز المخل، والتطويل الممل.

● مراعاة حسن العبارة، وسهولة اللفظ، والبُعد عن التقعر والغريب، وهجر اللفظ المبتذل والعامى.

● اختيار المسائل التى لم تُبحث والناس بحاجة إليها.

● لا يكتب إلا فى فنه، ولا يتعرض لما لم يحسن فإنها وصمة.

● تجريد تأليفه من الكذب والغريب والشاذ، والسب والتجريح.

وبالوالدين إحساناً

ومن الصديق الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن على - ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى كانت هذه الكلمات:

● قيل: إن رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين.

● وحكى أن رسول الله ﷺ قال: من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة، وكتب له براءة من النار.

● قال رسول الله ﷺ: «أياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام، ولايجد ريحها عاق».

● وقال رجل لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه «إن لى أماً بلغ منها الكبر أنها لاتقضى حاجتها إلا وظهرى لها مطية، فهل أديت حقها؟ قال: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهى تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها».

● وقيل إن محمداً بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذى لاينتصف منه.

● وقال فيلسوف: من عق والديه عقه ولده.

● وقيل طلب رجل من ولده أن يسقيه ماء، فلما أتاه بالشربة نام أبوه، فمازال الولد واقفا والشربة فى يده إلى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه.

● قال عمر بن عبدالعزيز لابن مهران: «لاتأتين أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف، أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقاً فإنه لن يقبلك وقد عق والديه».

الإســـلام والمســـلمون!!

وتحت عنوان «الإسلام متهم والمسلمون مدانون» جاءت كلمة القارئ الأستاذ السيد حسين العزازي:

• نحن لا نناصب أحدا العداء أو تتنكر للأصدقاء، ونعلم عن يقين أن الله قد حفظ الدين وساق من غير المسلمين من يدافع عن الإسلام، ونستعيد جملة مما قاله برنارد شو في كتابه «محمد»: «أن مشاكل العالم لو عرضت على «محمد» لحلها وهو يحتسى فنجانا من القهوة» أما الكاتب الألماني ديترس فيقول: «إن أوروبا مدينة الإسلام الذى جاء به «محمد».

• وعلى الرغم من ذلك فقد وقر في ذهن قطاع عريض من غير المسلمين أن الإسلام انتشر بحد السيف وليس بقوة المنهج وصلابة العقيدة، ويدحض ذلك أن جيوش المسلمين لم تذهب إلى جنوب آسيا أو غرب افريقيا، بل انتشر بجهد التجار المسلمين وما اتصفوا به من خلق رفيع ومعاملة كريمة سهلت عليهم مهمة التبليغ.

• ويقولون إن الفتح الإسلامي كان استعمارا بدعوى فرض الجزية على البلاد المفتوحة وهذا الزعم مردود عليه بأن الجزية كان يقابلها عبء الدفاع والحماية وتسقط عمن يشارك المسلمين أو يعينهم

وفى ذلك يقول سير توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام: «إن قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية وسالمت المسلمين وأعانتهم فرفعت عنها الجزية».

• واتهموا المسلمين بحرق مكتبة الإسكندرية القديمة وأطلق هذا الافتراء الصليبيون ليشوهوا وجه الإسلام، وقد أثبت الباحثون والمؤرخون كذب هذه الفرية، حيث إن المكتبة أحرقت على يد يوليوس قيصر سنة ٤٧ق.م على حين أن الإسلام والعرب دخلوها سنة ٦٤٢ ميلادية.

• واتهموا الإسلام والمسلمين بالدموية وإزهاق الأرواح تحت مسمى الجهاد والله يقول:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

(المائدة/ ٣٢)

ونحن نطيع الله فيما أمر ولا نعصاه فيما نهى.

• وادعوا على الإسلام عدم تقديره للديمقراطية بأنه جعل الأمر للخليفة أو الوالى أو السلطان وقد أباح الإسلام التعددية والمشورة بقوله تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

(٣٨ سورة الشورى)

• واتهم الإسلام والمسلمون بعدم إنصاف المرأة، على حين يقرر الإسلام أن النساء شقائق الرجال ويقول الله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

(النساء/ ١)

• وأدانوا تعدد الزوجات وقد قرره الإسلام بضوابط مقيدة ولم يجعله مباحا بلا حدود حماية للناس من الانحراف الذى نجده متفشيا لدى الغرب.

• ومن أشرس العبارات والمفاهيم التى حملتها نظرية صراع الحضارات لكاتبها صموئيل هانتجتون: «صراع الحضارات ينطبق تحديدا على خط الكتلة الإسلامية التى تشبه الهلال وتمتد من نتوء أفريقيا إلى آسيا الوسطى كما أن ثمة حالة عنف ناشئة بين المسلمين من جانب وبين العرب والأرثوذكس فى البلقان ومع اليهود فى إسرائيل ومع الهندوس فى الهند والبوذيين فى بورما ومع الكاثوليك فى الفلبين حقا ان للإسلام حدوداً دموية».

وهو القائل: «يحدث الدين انقسامات أكثر حدة وعنفا من الانتماء العرقى فبوسع المرء أن يكون نصف فرنسى ونصف عربى ومن ثم يكون مواطنا مقبولا فى الدولتين ولكن الأكثر صعوبة أن يكون المرء نصف كاثوليكى ونصف مسلم».

إن حجم التربص الذى يحاك للإسلام يجب أن تقابله صحوة وانتباه وذلك من منطلقات عدة:

١- عمق الدعوة وموضوعيتها.

٢- أن يواكب الدعوة جهد ملموس ودليل عملى على سلامة الإسلام من خلال المسلمين.

٣- إعداد كوادر مؤهلة للتواجد ميدانيا دون استدعاء لتتولى مهمة الرد على حملات التشكيك على نحو مقنع.

٤- أن تكون المجتمعات الإسلامية بالخارج نموذجا لتوحد المسلمين فى إطار حضارى وثقافى يتجاوز النقد والتجريح وألا يكونوا صورة للتفكك والتعارض فى الآراء والمواقف وسبل التعاون.

٥- توظيف مضامين الدين فيما يتعلق بالتعاون وحسن الجوار والارتقاء بالجوار وكسب ود الآخرين وتعاطفهم.

٦- التعرف على توجهات الفكر فى العالم ومناطق التأثير ومحاولة تأكيد دور الإعلام بما يتمشى مع قضايا العصر بلا جمود أو تقييد، والرد على الذين يعتبرون الإسلام عقبة على طريق التقدم.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

أثيوبيا تستعمر الصومال الإسلامية والعرب والمسلمون فى غفلة!!

فى غفلة من العالم وتحت سمع وبصر من يدّعو الديمقراطية الزائفة والحرية الخادعة احتلت اثيوبيا الصومال بمساعدة الجهات التى تريد السيطرة على العالم الإسلامى وزعزعة هويته فقد احتلت جزءاً كبيراً من أراضى الصومال بحجة دعم الحكومة ضد المحاكم الإسلامية وكأن المحاكم الإسلامية هى المستعمر الحقيقى، كل هذا فى غفلة من الدول العربية والإسلامية وليس الموضوع مواجهة المحاكم الإسلامية إنما هو وقف المد الإسلامى حتى لا يدعم حصول الأغلبية المسلمة فى أثيوبيا على حقوقها حيث يشكل المسلمون الأغلبية فى أثيوبيا إلا أنهم يعانون من الاضطهاد تحت الحكم المدعوم من إسرائيل والغرب ودعا شيخ شريف أحمد رئيس المجلس التنفيذى للمحاكم الإسلامية، الشعب الصومالى إلى التكاتف لصد العدوان الأثيوبى مستغربا الصمت الدولى والعربى؟

وحذرت منظمات الإغاثة الدولية من خطورة وقوع كارثة إنسانية فى الصومال حيث عجزت هذه المنظمات عن توصيل المساعدات إلى أكثر من مليون صومالى محاصرين بسبب الغزو الأثيوبى.

ميثاق جديد لوحدة مسلمى البلقان وأوروبا

ميثاق عمل يتضمن إطارًا فكريًا وعمليًا وضعته الهيئة الإسلامية العليا فى البوسنة لتفسير موحد للأسس والتعاليم الدينية يجتمع حوله المسلمون فى منطقة البلقان وأوروبا.

وأوضح عميد كلية العلوم الإسلامية بالبوسنة د. أنس كاريتس أن الهدف من الميثاق هو الوقوف أمام أى محاولة لأخطاء تفاسير وشروح مغلوطة للتعاليم الإسلامية السمحة، ويوضح الميثاق كيفية التعامل مع المجتمعات المختلفة دينياً وعرقياً وقبول الحوار والاعتراف بالآخر والالتزام بالمبادىء الأساسية والتفاسير الصحيحة للنصوص الإسلامية وتحث المسلمين على تلقى المزيد من العلم والمعرفة والتسلح بالوعى والفكر الصحيح.

رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا يقول:

مسلمو فرنسا قدموا الصورة الصحيحة للإسلام فى الغرب

طالب د. التهامى رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبا المسلمين الذين يعيشون فى البلدان الغربية بتوخى الدقة والالتزام بالسلوك الخلقى الإسلامى فى تعاملهم وإبراز رغبتهم فى التعاون والبناء وتقديم الأسوة الحسنة للآخرين.

وأضاف قائلاً: إن عدد المسلمين فى فرنسا فى الوقت الحاضر لا يقل عن عشرة ملايين مسلم يقدمون طاقاتهم وخبراتهم فى مجالات العمل المتنوعة مما شد الأنظار إليهم.

والجدير بالذكر أن أحد أئمة المساجد قد حاز على لقب أفضل من يتحدث الفرنسية وهو مما أدى إلى لفت نظر الفرنسيين إلى هذا التفوق الإسلامى بإيجابية وأيضا أظهر المسلمون تعاملهم مع الشعب الفرنسى بإظهار قيم الإسلام السمحة فى الوفاء والكرم والتعاون مع الجيران والمشاركة فى كل أنواع التنمية والحرص على السلوك الأخلاقى الإسلامى فى الخطاب والعلاقات الاجتماعية وإبرازهم موقف الإسلام الذى يحرم الإرهاب وقتل النفس والاعتداء على الآخرين.

الإسلام والغرب.. تعايش أم صراع

أعلن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عن فتح باب الترشيح لجائزة مبارك السنوية للدراسات الإسلامية لعام ٢٠٠٧ وقيمة هذه الجائزة مائة ألف جنيه وموضوعها: «الإسلام والغرب.. تعايش أم صراع» ويشترط فيها أن يكون البحث:

- مصوغًا فى أسلوب علمى ومنهجى.
- رفيع المستوى بإحدى اللغات العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.
- أن يسهم فى إثراء الفكر الإنسانى بصفة عامة والفكر الإسلامى خاصة.
- ألا يكون موضوعاً لرسالة جامعية أو مترجماً من بحث أجنبى أو تحقيقاً لمخطوط.

- وأن يكون ملخصاً فى حدود ٣٠ صفحة بإحدى اللغات المشار إليها.
- أن يتم الترشيح من قبل الجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية.

إسرائيل تمنع الفلسطينيين من ركوب المواصلات اليهودية!!

أصدر قائد القوات المركزية فى إسرائيل قراراً يحرم على أى فلسطينى ركوب وسائل النقل العامة فى إسرائيل.

وقد علقت وزيرة التعليم الإسرائيلية (شولا مينت الونى) وهى وزيرة سابقة على هذا القرار قائلة إن حكومة إسرائيل مازالت على إصرارها فى إصدار قرارات ذات طابع عنصرى وأصبح الجيش الإسرائيلى جيشاً عنيفاً ومخيفاً والأكثر عنصرية على مستوى جيوش العالم.

والجدير بالذكر أن إسرائيل تتخذ تلك القرارات دون أن تضع لافتات رغبة منها فى عدم اطلاع العالم على صور تلك اللافتات والتى تؤكد عنصريتها الصهيونية.

وقد نشرت جريدة (يديعوت أحرونوت) مقالاً للوزيرة السابقة شولا مينت أكدت أن قول الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر بأن النظام الإسرائيلى نظام عنصرى قولاً فيه ظلم شديد فالنظام الإسرائيلى فاق كل الأنظمة العنصرية السابقة وتعداها بمراحل بعيدة وما يحدث للفلسطينيين من حبس الأرزاق وسجن واعتقال واغتيال يؤكد أن دولة إسرائيل دولة عنصرية.

مشروع لمساعدة الفقراء بلحوم الأضاحى بأمريكا

فى ظاهرة تُعد الأولى من نوعها فى العالم الإسلامى فقد نجح مسلمو أمريكا فى تنفيذ مشروع ضخم مكنهم من التبرع بالأضاحى لفقراء أمريكا من المسلمين وغير المسلمين.

وأكد مصطفى محبوب المسئول الإعلامى بمجلس الشورى والإغاثة الإسلامى بولاية (متشيجان الأمريكية) أن المجلس استطاع وللمرة الأولى توزيع ١٢ ألف كيلو من اللحوم للأسر الفقيرة من منطقة ديترويت.

وأشار المسئول الإعلامى إلى أن المشروع شهد إقبالاً متزايداً من المسلمين وزاد حجم المشاركات من جانب المتبرعين والمنظمات الخيرية منها مجلس الشورى وجليز فوود بنك، وإسلامك ريليف، وجمعية مسلمى أمريكا، ومجلس الشورى بجنوب كاليفورنيا.

وقدم مسلمو أمريكا ما يزيد على الستين ألف رأس واستفاد منها أكثر من مليون ونصف المليون شخص من أمريكا.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ حافظ محمد حافظ
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل مفتى لبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه الخميس الموافق ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٦ - سماحة الشيخ محمد رشيد قبانى مفتى لبنان وسماحة الشيخ محمد على الجوزو مفتى جبل لبنان والوفد المرافق لهما يرافقهم فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية.

جاءت هذه الزيارة الودية فى إطار زيارة الوفد لجمهورية مصر العربية - وتم خلال اللقاء مناقشة تمسك لبنان بوحدته ودعوة الشعب إلى التمسك بالنظام وبالمؤسسات الديمقراطية الدستورية، لأن الوقوع فى الفتن سيكون له آثار سلبية على وحدة وتماسك المجتمع اللبنانى.

كما أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية التعاون مع الشعب اللبنانى من أجل تجاوز أزمته.

وفى نهاية اللقاء دعا الجميع لدولة لبنان أن يجنبها الله شر الفتن حتى تتجاوز أزمتها.

الإمام الأكبر يستقبل وفد البرلمان الأوروبى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ١٠/ ١٢/ ٢٠٠٦ وفداً من البرلمان الأوروبى يمثل المجموعة الاشتراكية ويضم فى عضويته السيد ميشيل روكار - رئيس وزراء فرنسا الأسبق وعدد من البرلمانيين الأوروبيين والمستشارين والسياسيين.

وتأتى هذه الزيارة من خلال تواجدهم فى مصر تعضيدا للعلاقات مع العالم العربى والعالم الإسلامى من خلال الحوار والتعاون فى إطار الشراكة الأورومتوسطية، رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد مشيدا بصلة الأزهر القديمة بدول أوروبا التى امتدت منذ عهد محمد على، وبين فضيلته بأننا فى مصر وأزهرها الشريف نؤمن بتعاون الحضارات وليس بتصادم الحضارات وإيماننا بتبادل المعرفة وتبادل العلم والحوار

فى وقت أصبح فيه الحوار أقرب طريق للوصول إلى حل المسائل، ومن خلال تبادل الأفكار يمكن الوصول إلى الحلول وهنا يسود الرخاء والأمان والاطمئنان فيما بيننا، كما أكد فضيلته على أهمية التعاون موضحا بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأن الاختلاف في الأفكار لا يمنع من التعاون أيضا ونحن فى الأزهر نرحب بالحوار ونسعد باللقاءات ونؤكد على أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والابتعاد عن التعصب الأعمى، وطلاب الأزهر يحفظون القرآن الكريم منذ التحاقهم بالمعاهد الأزهرية ويتوسعون فى العلوم العربية والشرعية إلى جانب دراستهم للمواد الخاصة بوزارة التربية والتعليم، ونؤمن بأن العلم الآن يمتاز بالتخصصات الدقيقة والدول العاقلة هى التى يكون أصحاب التخصص فيها يتعاونون مع بعضهم البعض.

وقد أعربت السيدة باسكولينا نابوليتانو رئيسة الوفد عن شكرها لإتاحة الفرصة للوفد لهذا اللقاء الذى امتاز بالوضوح والشفافية والشرح الوافى للفكرة التى أعطاها فضيلة الإمام الأكبر عن سماحة الإسلام، وأنه من المهم أن يكون الاتصال دائم ومستمر مع مؤسسة الأزهر العريقة القوية التى لها مكانة هامة فى العالم أجمع وأن تعاوننا وتحالفنا هو نوع من أنواع التعاون الذى يربط بين الناس، بالرغم من اننا فى أوروبا نمثل دولا مختلفة لكل منها عاداتها وتقاليدها المختلفة عن الأخرى، وان لدينا صلة مع الدول العربية ودول البحر المتوسط ونؤكد على تجديد روابط هذه الصلات وتقويها، وقالت إننى أود أن أعرف رأى فضيلة الإمام الأكبر فيما يتعلق بالدين والسياسة.

وأوضح فضيلته بأننا كمسلمين نؤمن أن الدين من تعاليم الله عز وجل التى أوصلها الله إلى الأنبياء من عهد آدم وحتى محمد صلى الله عليه وسلم وجميعهم جاءوا بدين واحد فى أصوله وهى إخلاص العبادة لله، ووجوب التحلى بمكارم الأخلاق والفضائل فهذا هو الدين.

أما السياسة فمعناها أن أهتم بمصالح بلدى وأسرتى وأمتى وأهتم بمصالح العالم أجمع، وإذا كان المقصود بالسياسة بمعناها هو الإصلاح ونشر الرخاء والأمان ونشر الحوار الذى ينفع الناس فهذا جزء من الدين، فالأنبياء أمروا أتباعهم بالتعاون وتبادل المنافع فيما بينهم، والعقول الإنسانية السليمة تتفق على هذا، وإن قصد بالسياسة نشر التعاون بين الأمم وتبادل الإنتاج والزراعات والصناعات وكل ما يعود على العالم من منافع بالخير فهذه السياسة جزءمن تعاليم الأديان أما إذا قصد بها الخداع والكذب واحتلال الشعوب واغتصاب حق الغير فالدين برىء منها بل والعقل الانسانى السليم أيضا برىء منها.

وعن استفسار حول استخدام اسم الله لصالح حزب أو لصالح سياسة ما - أجاب فضيلته بأنه إذا كان استخدام اسم الله فى الخير فمرحبا به وإذا استخدم فى إلحاق الأذى والضرر بالناس فالله برىء منه والدين برىء منه والعقول الإنسانية السليمة بريئة منه أيضا، وأن الهداية التى أمرنا الله بها عن طريق رسله فهى هداية تتفق مع العقل السليم فمن يتبع هذه الهداية كان من العقلاء ومن تتغلب عليه

الشهوات والأنانية والظلم ففى هذه الحالة هو من السفهاء وليس من العقلاء ولدينا مثال طيب فى مصر فنحن مسلمين ومسيحيين لكل منا عقيدته ولا اختلاف على العقائد ولا إجبار عليها ونؤمن بأن الأمور الدينية هى تعاليم الله فمن يتبعها مرحبا به ومن يخالفها فالله هو الذى يحاسبه، فالعقائد الدينية هدايات من الله ولها أصول لا تحتاج إلى أحزاب واذا وجدت خلافات بين اتباع دين فهذا اختلاف فى الفروع ولكن ليست فى الأصول لأن الأصول واحدة.

الإمام الأكبر يستقبل الشيخ حسين المؤيد

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم ٥ / ١٢ / ٢٠٠٦ م المرجع الدينى آية الله الشيخ حسين المؤيد - من العراق.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بسماحة المرجع الدينى مؤكداً على أن الشعب العراقى بجميع طوائفه سواء أكان سنيا أو شيعيا أو كرديا فالكل مسلمون ويجب أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن الأزهر الشريف أصدر عشرات البيانات تؤكد بأن المسلم من يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً فهو مسلم ولا فرق بين مسلم وسنى وشيعى فالكل يجب أن يتعاونوا ويتوحدوا ويتناسوا الماضى وتكوين جبهة واحدة من أجل حل مشكلة العراق.

من جانبه شكر سماحة المرجع الدينى آية الله الشيخ حسين المؤيد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء ومؤكداً على أهمية دعم الأزهر للعراق، وأنه يقوم بتفعيل التقريب بين المذاهب الإسلامية وأنه يعمل على تأصيل فكرة الوحدة الإسلامية حتى لا تكون شعاراً فقط ويعمل أيضاً على تحريك العمل المشترك للتوصل للنتائج المرجوة بين المسلمين من أجل توحيد الفكر الوحدوى،. فنحن فى العراق رفضنا العمل الطائفى ونقوم بتشكيل جبهة سياسية لمناهضة الاحتلال، وقمت بكتابة مشروع الميثاق الوطنى العراقى وقدمت فيه التحليل المنطقى الذى يمس هذه الأزمة ومنشئها وأسبابها، موضحاً فيه بأن احتلال العراق أوجد تداعيات خطيرة منها سلب السيادة العراقية حقها وتفكيك بنية الدولة العراقية وإيجاد وضع جديد بعيد عن رأى وإرادة الشعب العراقى وفى مناخ غير طبيعى، وأن ما حدث من تغييب المشروع الوطنى العراقى هو ما أوجد الطائفية السياسية فى البلد، كما أن التدخل الدولى والإقليمى لا يلتقى مع المصلحة الوطنية العراقية ولا مع المصلحة العربية، مما جعل العراق ساحة مفتوحة لهذه القوى التى لا تريد عراقا وطنيا قويا، حيث أصبح العراق الآن ميدانا للتجاذبات السياسية والأطماع الخارجية.

لذلك نطالب بدور عربى فعال لإعادة الاستقرار للأوضاع فى الساحة العراقية ونتطلع إلى الأزهر لكى يؤدى دورا لمناصرة القوى الوطنية العراقية لإعادة وحدة العراق، كما أن القيادات الدينية مدعوة

لتحمل المسئولية لتوحيد المسلمين وتماسك الصف العربى.

وفى نهاية اللقاء أشاد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بحكمة وسماحة المرجع الدينى آية الله الشيخ حسين المؤيد مطالبا أن يكون هناك وحدة وطنية نابعة من أبناء العراق وهنا سيأتى الخير للعراق، فنحن نقول بأن كل من يحمل الجنسية العراقية من سنة وشيعة وأكراد، وغيرهم يجب أن يستمعوا إلى بعضهم البعض وينبذوا الخلافات.

استنكار شديد لأحداث جامعة الأزهر

لقد صدم الأزهر الشريف بكل هيئاته ومؤسساته بما حدث فى ساحة جامعة الأزهر من خروج سافر بغيض من بعض طلاب الجامعة حاول المساس بمهابة الأزهر وبكيانه الراسخ فى قلوب وعقول الأمة الإسلامية فى جميع بقاع الأرض.

وإزاء هذا الذى حدث فإن الأزهر الشريف يعبر عن غضبته الشديدة ورفضه القاطع لهذا الانفلات غير المسبوق الذى قام به - للأسف - فئة من طلابه ممن ينتمون إليه اسماً لكنهم يتنكرون له فكرا وسلوكا.

ولقد توالت نصائح الأزهر لهذه الفئة المارقة إلا أنه لم يجد آذانا واعية، ولهذا فإن الأزهر الشريف يؤكد وقوفه بكل حسم فى وجه هذه التيارات التى تبتغى أن تنال منه وأن تختطف مؤسساته العريقة ومناهجه الوسطية التى تلقتها الأمة بالقبول منذ أكثر من ألف عام.

وفى هذا الصدد يعلن الأزهر الشريف جامعا وجامعة استنكاره الشديد لما حدث كما يعلن أنه لا مكان فى الأزهر وجامعته لأى تيار أو تنظيم يحاول العبث بقدسية هذه المؤسسة وتاريخها العريق.

وعلى هؤلاء الذين اجترؤوا على رسالة الأزهر الشريف أن يتيقنوا أن الأزهر - بكافة مؤسساته - كان وسيظل قلعة صامدة قادرة دائما على أن تلفظ من بين صفوفها المارقين الذين يريدون أن ينحرفوا بالأزهر عن رسالته التى تكلفت بحماية وسطية الإسلام، ودافعت عن عقيدته السمحة على مر العصور.

وينبه الأزهر الشريف أبناءه الطلاب فى مختلف مراحل التعليم الأزهرى لخطر الانسياق وراء دعاوى باطلة تدعيها تيارات أو تنظيمات أو جماعات سياسية تتستر وراء شعارات دينية بهدف تحقيق مآرب خفية غير معلنة لا تمت إلى تعاليم الإسلام الحنيف بأدنى سبب.

ويحذر الأزهر الشريف أية جهة كائنة ما كانت من اختراق صفوف طلابه ويؤكد أنه لن يتردد لحظة فى بتر كل من يثبت خروجه على منهج الأزهر الشريف وتراثه وفكره القويم.

وقى الله الأزهر الشريف من كل سوء وصانه من كل عبث وأبقاه ذخرا للإسلام والمسلمين.

الفهرس السنوى لسنة ١٤٢٧هـ

المحرم ١٤٢٧هـ

صفـــر ١٤٢٧هـ

ربيع الأول ١٤٢٧هـ

ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

جمادى الأولى ١٤٢٧هـ

جمادى الآخر ١٤٢٧هـ

رجب ١٤٢٧هـ

شعبان ١٤٢٧هـ

رمضان ١٤٢٧هـ

شوال ١٤٢٧هـ

ذو القعـدة ١٤٢٧هـ

ذو الحجـة ١٤٢٧هـ

* The immigration is a miracle of God and achievement of Mohammad....!

By: Mr. Mohammad Mustafa Al Basiouny

It is important to ask the aware Muslim reader for deeper and more accurate meditation for what is behind the letters, words and sentences of God's verses about the miracle of immigration from the holly Mecca to the lightened Medina. We call the immigration a "miracle" not "an event". Because the immigration is by all the standards that the human beings know besides the universal standards, that God only knows, is one of the miracles that God, Glory to Him, revealed in the person of the last of the prophets, Mohammed (peace be upon him).

God, the Creator, revealed many miracles for his honorable messenger which are witnessed by his companions (God's blessings be upon them), when they were honored by his residence among them. Some of these miracles occurred at the time of peace and others occurred at the time of fights. Moreover, some miracles happened before his birth, then during his birth, then when he was a baby and in his childhood. Furthermore, there were many miracles that followed each other at the time of his youth preparing for his future role. These miracles also prepared the souls and minds of the people in the near and far places to receive the great light that changed the traditions and the pains, thanks to the

* An article published (in Arabic) at Al -Azar Magazine.

Greatest and the Almighty. This took place at the time that God only determined.

It is actually difficult to present all of these incredible Godly miracles that turned to be the prophet's fruitful properties that lighten the hearts and ears of everyone in the area between the earth and the heavens. The miracles of the immigration of the prophet Mohammed (peace be upon him) collect miracles that are remarked by uniqueness because God, the Almighty that has no other partner, caused them.

The miracles that occurred to Mohammed (peace be upon him) did not pass like the time and place; on the contrary, they are still alive in the soul of the true believer forever.
What increased the strength and fixation of these miracles is the fact that the Noble Qur'an that God, Glory to Him, sent to his servant Mohammed (peace be upon him) is not like any other book. The verses of the immigration miracles that are mentioned in the repentance surah in the verse number 39 came after the Noble Qur'an condemned those who did not fight for the sake of God. The Noble Qur'an condemned their awful laze that results in preferring the life to the hereafter that is not equal to anything in the life.

The Noble Quran blamed them for laze because their behavior contradicts with the system of vicegerents that God created the human for its sake as he told his angels:
{I will create a vicegerent on earth}
[Al- Baqarah (The cow) 30]

{And the Unbelievers said to their messengers: "Be sure we shall drive you out of our land, or you shall return to our religion.}
[Ibrahim (Abraham):13]

The prophet Mohammed (peace be upon him) realized the idea of immigration at the beginning of his life as he heard it from "waraka" when he told him: "as your people drive you out". But the immigrants will see the repayment of their deeds:

{But their Lord inspired (this Message) to them: "Verily We shall cause the wrong-doers to perish! And verily We shall cause you to abide in the land, and succeed them}
[Ibrahim(Abraham): 13 /14]

This was what actually happened as God is the Owner of the land not them. He, Glory to him, inherits it to the worshipers He wants:

{Before this We wrote in the Psalms, after the Message (given to Moses): [AL- Anbiya My servants the righteous, shall inherit the earth}
[Al- Anbia (The prophets): 105]

It is surprising that the persons, who claim that they are the owners of the earth, are those who ruin it. But God supports his good worshipers:

{And never will Allah grant to the unbelievers a way (to triumph) over the believers.}
[An - Nisa (women): 141]

Dating by immigration – not by the message and the messenger – was due to the fact that it liberated the human as the Muslim says in his invocations:
{God, please do not make us pitied by your worshipers, but be the only one who pities us. God, please, do not make us humiliated to any of your slaves, but to You only. Make us always with and for You. There is no survival and no shelter but You}

The immigration was a beginning and an end for injustice and a beginning for a new era.

The immigration is the air for the righteous people
{When angels take the souls of those who die in sin against their souls, they say: "In what (plight) were you? They reply: Weak and oppressed were we in the earth. They say: Was not the earth of Allah spacious enough for you to move yourselves away (from evil)?}
[An – Nisa The (women) :97]

The land created by god is spacious and wide for all of the people who want freedom.
{He who forsakes his home in the cause of Allah, finds in the earth many a refuge, wide and spacious}

[An - Nisa (women): 100]

He will find in this wide land a place that can be a shelter from his enemy.

the scientific way used by As-Sha`arawy in explaining that was a brilliant example for the call and the callers. He was keen on benefiting the public and private at the same time. He made his thoughts and ideas harmonious and consecutive in a way that resemble the logical cases whose results were clear. He made introductions, which were undoubtedly true and were enhanced by the evidence being analyzed by the master. In this way, he satisfied the private, while he satisfied the public by the clarity of his style and speech being completely far from the scientific expressions, the inherited quotations and the sentences written in the books, drafts and reports.

This clear method was the way by which As-Sha`arawy used in presenting his opinions. Thus, the cultured people who seek truth and reality listened to him and became satisfied by his logic. The normal viewer coming from the people who sought knowledge listened to him find religious satisfaction and persuasion to his instinctual thinking. Thus, he became pleased with what he listened thanks to God who made all of the Islamic youth and the children of the Arab Nation his students. You can hear As-Sha`arawy `s opinions about creed and Sharia`a from the public.

These matters were restricted to the cultured only, and became by As-Sha`araway `s simple way of explaining easy to be talked about by the non-cultured people. Sheikh Sha`arawy founded their thinking. I emphasize that much of the religious awareness in the Arab Nation was caused by As-Sha`arawy `s lessons.

* There are lessons in immigration: Has anyone learnt?

By:Dr. Mahmoud Imarah

God, Glory to Him, says:
{If yeu help not (your Prophet), (it is no matter): for Allah did indeed help him, when the Unbelievers drove him out: being the second of the two; they two were in the Cave, and he said to his companion, "Have no fear, for Allah is with us}:
[At –tawbah' (Repentance) : 40]

Before the immigration, when someone was pagan, he was free and his livelihood was guaranteed. When he entered in Islam, he became restricted and could not practice his rituals freely. Furthermore, he could not enjoy what the disbeliever who polluted his front with dust enjoyed. When the prophet (peace be upon him) allowed the believers to immigrate, the day of immigration was like a feast. They moved to Medina where they were able to live freely and honorably. That happened at the time when the people pulled the carets instead of the cows in countries that were not religious because they consider them sacred. Thus, the Muslim became free in his worship like the pagan when he was slave in his freedom.

The idea of immigration is as old as the old supreme messages. This is revealed by God `s verse:

---

* An article published (in Arabic) at Al –Azar Magazine.

Mohammad Metwaly As-Sha`arawy Enjoys the public and persuades the select ..!

By: Dr. Mohammad Rajab Al Bioumy

The Islamic world knew Sheikh Mohammed Metwaly As-Sha`arawy after he surpassed his fifties and approached the sixties. It is strange knowledge from the very beginning as thinking lovers –literally or scientifically- tend to express themselves early in the period of youth. Then, they always read and get deeper and deeper along with expressing their thoughts by presenting them in the newspaper or writing books. Thus, they pass through consecutive periods starting from a crescent moon till it becomes a lighting Full moon.

But As-Sha`arawy continued reading, learning and spreading his effects in the scope of his friends and companions, which was limited and did not signify the existence of a genius that would lead the world of the Islamic thinking. This state continued till God willed that he became a bright sun that sent the bright light without the existence of the morning pale lights. In this case, he resembled Az-Zubiany who said brilliant poetry after he surpassed the forties. He surprised the people who listened to him as were astonished to hear such poetry that was unexpected. An-Nabegha continued his brilliant poetry till he became the third of three pioneer poets in the pre – Islamic era.

Sheikh Mohammed was a student in an Azhari institute in Zaqaziq, then in the faculty of the Arabic language. His

excellence among his colleagues was noticed, but he was no more than one of a lot of people who share him this talent. His patriotic enthusiasm pushed him to belong to the Egyptian Wafd party which was at that time the nation `s tongue and enthusiastic consciousness. It was narrated that there were strong bonds between As-Sha`arawy, Saad Zaghlool and Mutafa An-Nahas, the two leaders of Al wafd party. The man was truthful as he did not add anything, but he mentioned what was real and not known and then known to the public. After graduation, he became a teacher in the institute, then an envoy to Saudi Arabia and Algeria. He was famous for his knowledge in every place he went to because he made speeches in his limited scope, and he said what was useful and beneficial. He was known by his professors for his linguistic talent. The professor Ibrahim Hamroush was keen on benefiting from his knowledge and linguistic talent. The grand Imam sheikh Hassan Ma`amoun chose him to work as his office director, thus he was his consultant and the keeper of his secrets. The events followed each other, the matter that attracted the attention to him. The fingers of the scientists pointed to his position that was hidden behind veil in a way that revealed his perfect reality.

The name of As-Sha`arawy had a great echo in the radio of the Kingdom of Saudi Arabia before being famous in Egypt. Then, God willed to please the family of As-Sha`arawy with his knowledge. Mr. Ahmed Farrag chose him to speak in his famous seminar " more and more light". The first private religious talk in the television of Egypt was "Alesra`a", which attracted extremely the attention of the viewers. This is due to

Suwaid ibn (son) AS-Samet who was on a visit to mecca. The prophet Mohammed (peace be upon him)invited him to accept islam. He promised to think deeply about what he heard from the noble prophet. This primary acceptance encouraged the prophet (peace be upon him) to meet a delegation from Yathreb among whom Eias Ben Mo`az who went to Mecca to achieve some of their affairs. Prophet Mohammed (peace be upon him) felt that they were kind and delicate.

When the season of Hajj came, a group of Al khazrag tribe reached Mecca. Prophet Mohammed met and called them to Islam explaining its instructions and principles. He recited to them some of the God `s verses, and they immediately responded and comforted to what they heard. Furthermore, they seemed to be comfortable and eager to know more about the new religion. One of the effects of this event is that twelve men came to Yathreb in the next year to meet God `s prophet in Al-Aqaba. They agreed to worship nothing but God, believe in Islam and its messenger, consequently, the prophet Mohammad was extremely pleased with this event. He sent with them as they leave someone to inform them with the instructions of Islam. The number of Muslims in Yathreb increased by the call of those people to others. This resulted in the attendance of a large number from Al- Aws and Al-Khazrag in the next season of Hajj to inform the prophet with their belief in his call and religion. They agreed not only to spread the call seriously in Yathreb, but also to protect the prophet (peace be upon him) defending him in the way they do with their children and wives in case he accepted to come and reside with them.

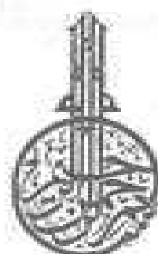
The prophet Mohammed (peace be upon him) was pleased with these good phenomena, and his ease increased to this city to which he had nostalgia by instinct. He realized that it was the best place where he can start his call and become the basis of his state. He ordered his companions to immigrate to Yathreb separately not to let quraish notice the danger of the immigration. Thus, everyone who was able to immigrate left the money, the family and country escaping with the creed. Their hearts were full of true belief and great hope in God `s support. Abu bakr As-Seddiq (may Allah be pleased him) desired to immigrate, and the prophet Mohammed told him to wait until certain time determined by God. Abu bakr postponed his immigration till the prophet (peace be upon him) allowed him. The immigration of the Muslims to Yathreb followed till

there were few Muslims in Mecca. Yathreb turned to a city that is perfumed by Islam. Quraish felt danger, and not only did they plan to prevent the generous prophet from immigration, but also they equipped themselves to kill him. Mohammed (peace be upon him) desired to immigrate and invocated to God to let him immigrate. Then, God responded to his invocations and achieved his desire. He prepared himself to immigration, suddenly; Quraish conspired to carry out its plan to get rid of him. The youth of Quraish surrounded his home from every side to kill him. God informed him with their intention, consequently, he told his cousin Ali to sleep in his bed and to be covered by the green cover known for Quraish to let them think that he was still asleep. He asked Ali to stay in Mecca for certain time to return the deposits to whom the people of Mecca gave, as he was famous for being the truthful and the honest. He was the keeper of their money and expensive properties. The prophet Mohammed peace be upon him went out of his home at night, and God blinded the pagans who surrounded his home and did not see him. Then he went to the home of his companion Abu Bakr. The prophet has already married his daughter to emphasize the links between them. Abu Bakr informed the prophet Mohammed with his desire to accompany him in his immigration, and the prophet accepted his desire with happiness. Then Abu Bakr realized the reason for the prophet`s call for him to postpone his immigration.

Then they stayed in Ghar Thawr Ghar(cafe) that is in the way to Yemen and in the contradictory way to Yathreb to be hidden from Quraish. No one knew their place except Abdullah Ben Abu Bakr, his sisters A`aisha and Asmaa and Ammar, the slave with whom he lived. The prophet Mohammed and his companion stayed in Al-ghar for three days. Koraish did their best in searching for them, specializing a reward for the one who can tell them their place. When they lost hope in finding them, and the prophet and his companion were comforted to their safety, they resumed their walk on their way to Yathreb. They finished their trip and the people of Yathreb received them with great happiness, lovely songs and extreme generosity. Then, the time of the establishment of the Islamic state approached to spread its fruitful shadow and to extend to all of the places of the earth. Its establishment was a beginning of the age of mercy, justice, compassion and good morals. Then the humanity turned from the ages of ignorance and darkness to the ages of science, knowledge to be blessed with safety, peace, splendid life and keeping the human rights.

AL-AZHAR MAGAZINE

Al-Muharram, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION

February, 2007

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Immigration: overwhelming nostalgia, strong passion and a state of ideals ...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Before immigration, there was a strong relation that linked the prophet Mohammed (peace be upon him) to Yathreb, which is called Medina later on. He had some of his relatives in Yathreb who are An-Naggar sons, the uncles of his grandfather Abdel Mottaleb. There was a dear tomb, which is the tomb of his father, who died, as the prophet Mohammed was an embryo. His soul clanged to his father 's tomb, which he knew when he travelled with his mother sas he was 6 years old. God willed that his mother Amena died at her way to Mecca after this visit and was buried in the middle of the way in Al-Abwa'a. Thus, the tomb of his mother is located in the way to Yathreb where the tomb of his father is located. Furthermore, trade linked him to this city as he used to pass through at his way to As-sham when he traded by the money of Lady Khadiga. All of the above-mentioned matters strengthened his nostalgia to this city, and he was eager to visit it as well as residing in it. This nostalgia and eagerness do not contradict with his love to his birthplace and the land of his childhood and youth, which is Mecca.

When Quraish upset him and hurt him extremely as well as prevented him from spreading his message in addition to pursuing and punishing the people who believed in his message, he thought about leaving Mecca and was eager to reside in Yathreb. We can not forget in this respect the love that God, Glory to Him, planted in his soul to enable him to inform the people with God 's message. Medina was specialized by having a lot of people who believe in God 's messages reside in it. They are the people of the Book, and they are closer to accept heavenly religion when compared to the people of Mecca, the pagans.

The pagans in Yathreb are less stubborn and strict than those who resided in Mecca as they mingled with the people of the Heavenly religions, the state that explained ideas about the Creator. They began to get that God is the Owner of everything, and He accounted the people for their deeds in their lives. Thus, there was a considerable hope in their response to the call and belief in the message. If there were a stubborn to this call, he would not be aggressive in his enmity unlike the disbelievers in Mecca.

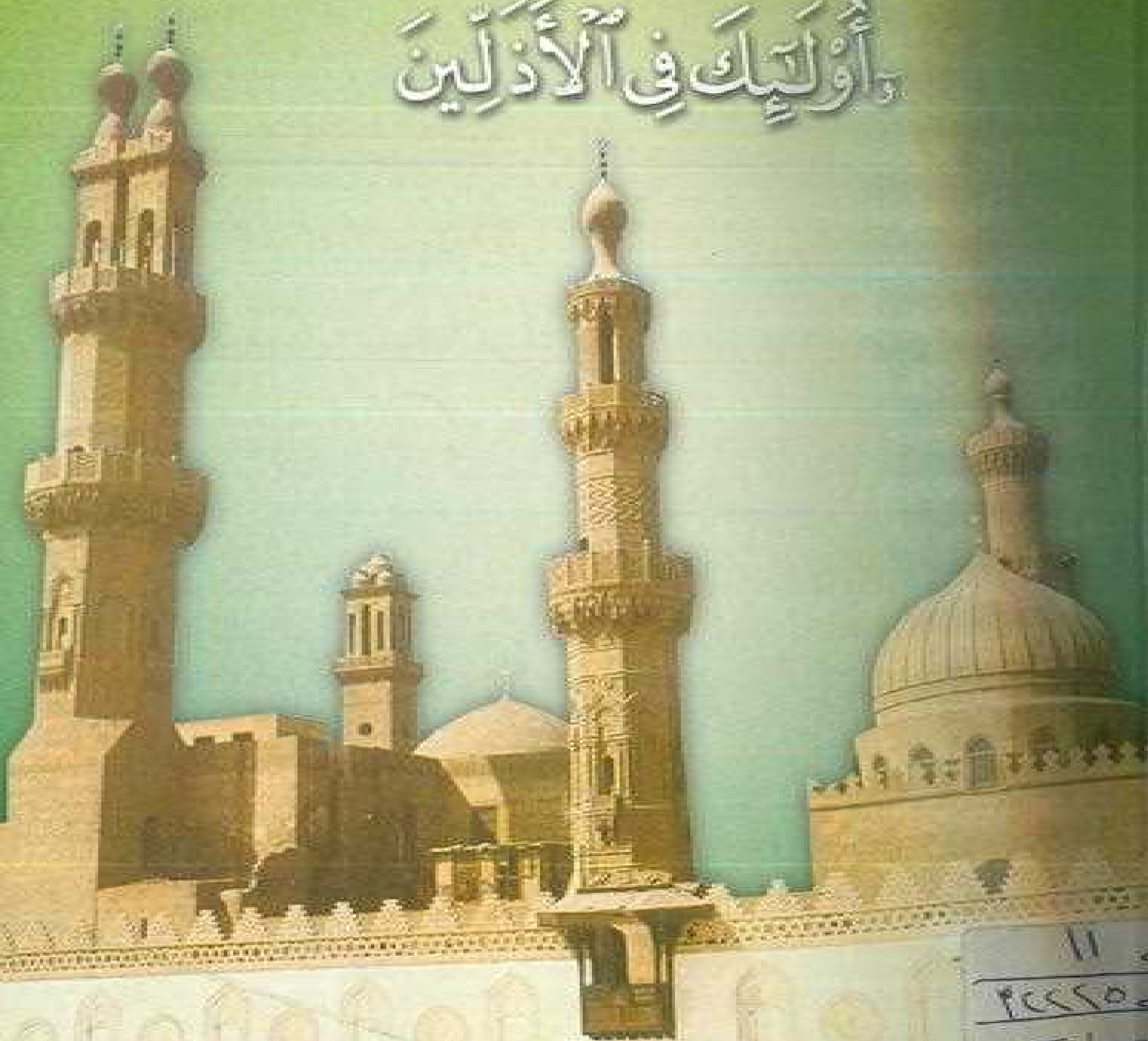
الفهـــرس

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
صفر ١٤٢٨هـ - مارس ٢٠٠٧ - الجزء ٢ - السنة ٨٠

هدية العدد
الشريعة الإسلامية
صالحة لكل زمان ومكان
الجزء الثاني

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ
أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ



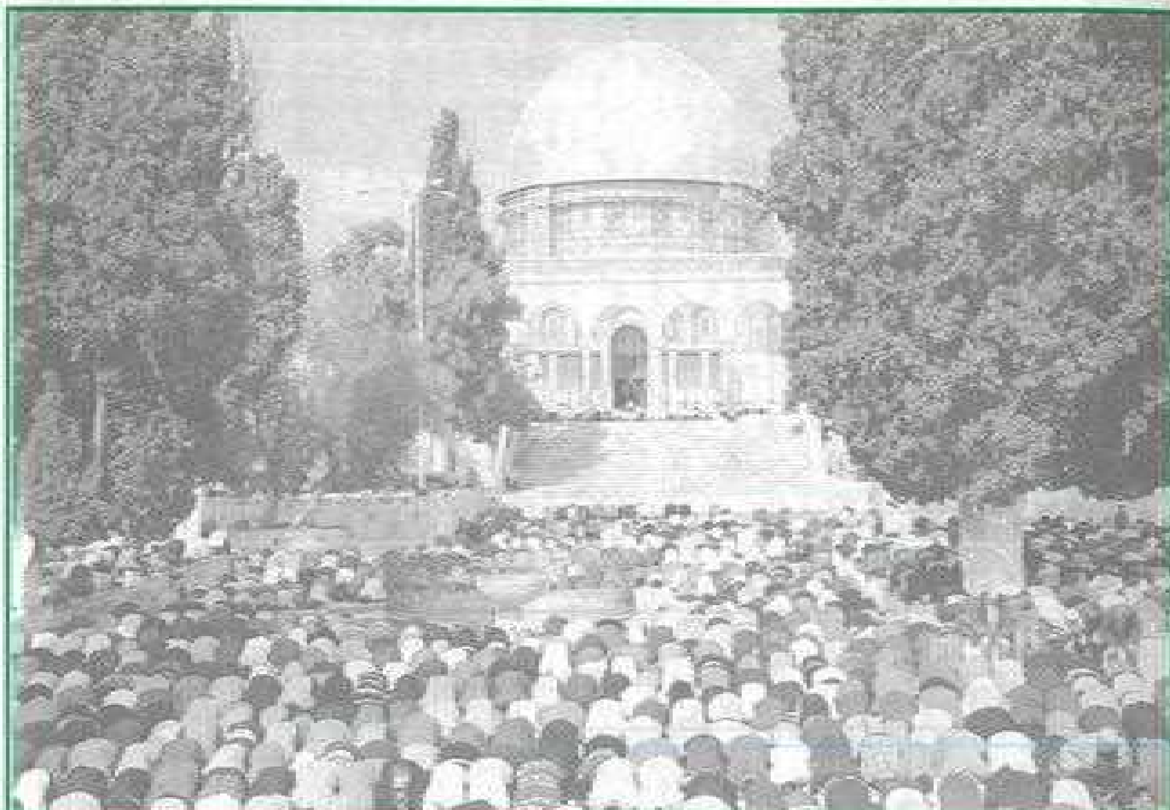
AL AZHAR
MAGAZINE

Safar, 1428 H. Mar. 2007.
Vol. 80, Part II.



الثمن ١٥٠ قرشا

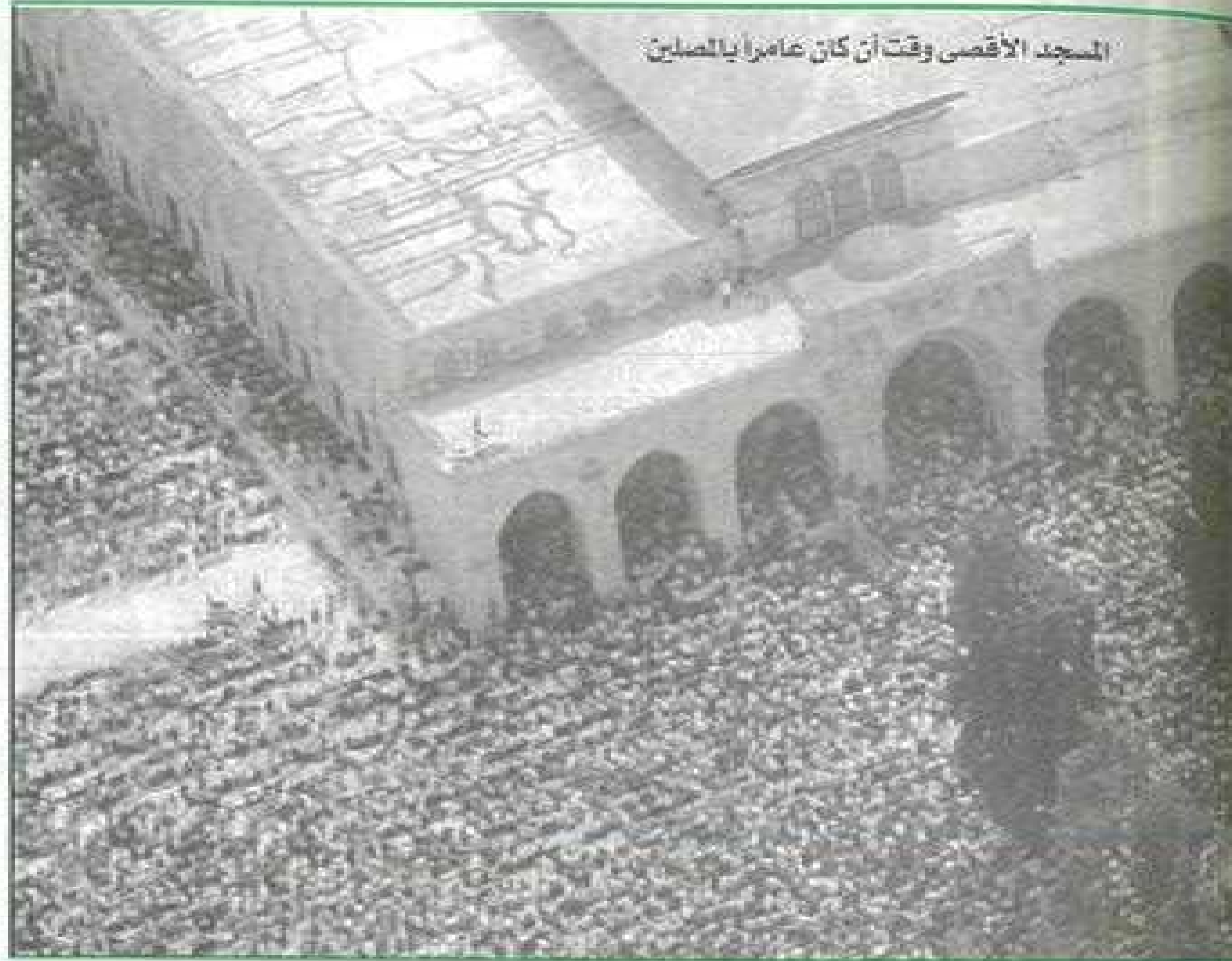
بسم الله الرحمن الرحيم


مسجد قبة الصخرة

بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن الاعتداء الصهيونى على المسجد الأقصى

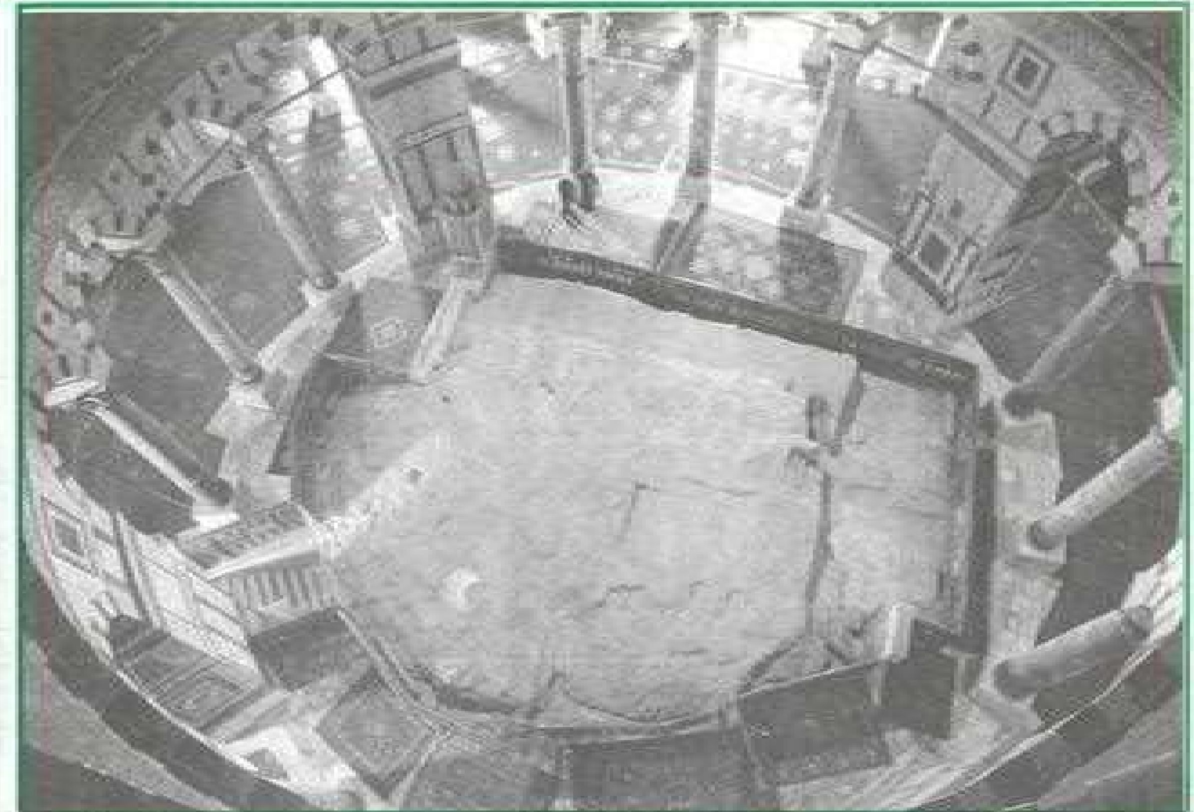


عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.. رئيس مجلس المجمع جلسته الطارئة يوم الأربعاء الموافق ٧ فبراير ٢٠٠٧ بخصوص الاعتداءات الإسرائيلية الأثيمة على المسجد الأقصى المبارك وأصدر البيان التالى:-


المسجد الأقصى وقت أن كان عامرا بالمصلين

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يستنكر ما تقوم به إسرائيل من عدوان أثيم على المسجد الأقصى المبارك.

ويطالب مجلس الأمن وكافة المنظمات الدولية، وجميع الحكومات والشعوب بالتدخل الفورى لإيقاف معاول الهدم التى يقوم بها الجنود الإسرائيليون لإزالة الطريق المؤدى إلى باب المغاربة الملاصق لحائط البراق، وهو أحد الأبواب المؤدية إلى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة الذى يعد جزءا من المسجد الأقصى الشريف.



الصخرة الشريفة

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف يحيى أبناء فلسطين الذين وقفوا فى وجه هذا الاعتداء الأثيم.

ويدعو غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية لمؤازرتهم والوقوف إلى جانبهم صيانة للمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

شيخ الأزهر

أ.د/ محمد سيد طنطاوى

فى ٢٠٠٧/٢/٧

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٦٢٨٥٩٩

صفر ١٤٢٨هـ - مارس ٢٠٠٧م - الجزء الثانى السنة الثمانون

افتتاحية العدد

الأميَّة الأبجدية أم الأميَّة الخُلقية

ظهرت صحف الصباح ذات يوم تحمل البشرى للقرَّاء بأن الأميَّة الأبجدية ستمحى بعد أربع سنوات لا تزيد، وأن الخطة المُحكَمة قد أعدتْ للتنفيذ، بحيث لا يبقى فى مصر جاهل أو جاهلة بعد السنوات الأربع، وما كاد محرِّرو الأعمدة اليومية فى هذه الصحف يتلقَّون هذا النبأ -وهم يتلمَّسون أى موضوع يملأون به الفراغ اليومى الذى التزموا به مهما انقطعت دواعى الكتابة الواعية-؛ ماكادوا يتلقون هذا النبأ حتى امتدت بهم الأحلام فأخذوا يتحدَّثون عن ارتقاء الأمة ونهوضها الاجتماعى عقب زوال هذه الأميَّة الأبجدية، واتَّسع المجال لديهم لكى يُقرِّروا جدوى التعليم وأثره القوى، وارتقاء الوعْى الخُلقى المؤدى إلى نقص الجرائم، واعتدال السلوك! وصبُّوا لعناتهم على الجهل الذى أدَّى إلى كثرة الحوادث الإجراميَّة، وتعدُّد السرقات والخيانات والسطو على الآمنين من الشرفاء، وكنتُ أقرأ ذلك فأقولُ فى نفسى: هلْ عَمِىَ هؤلاء عما نُطالع من آثام حَملة الشهادات الجامعية، وهى تفاجئنا كلَّ يوم بالمذهل المروِّع من الأنباء؟! إن درجات الليسانس والماجستير والدكتوراه لم تَعصم الكثيرين من السقوط الشين! فهل الخلاصُ من أميَّة فك الخطِّ، وكتابة الحروف دُون فهم لمعانيها سيقضيان على الإجرام حتى نَبنى هذه التصورات الشاهقة على الهش الضعيف من الرمال؟! لماذا لا ننظر إلى مآسى المُتعلمين التى تُطالعنا فى كلِّ صباح، لنعرف مدى الانهيار الخُلُقى الذى انحدرت إليه الطوائف المختلفة من العلماء والجهلاء!

وقد أُرْمى بالغلو والمبالغة فيما أدَّعيه، ولكن هل يُرمَى الأستاذ سامح عاشور نقيب المحامين بالغلو حين يذكر فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٥ سبتمبر سنة ٢٠٠٢ أن مجلس التأديب سينظر فى هذا الأسبوع فى ١٥٧ مائة وسبع وخمسين قضية بشأن مخالفة المحامين لآداب المهنة، وأنه قرر من

قبل شطب أحد عشر محامياً بشكل نهائى من كشوف النقابة لارتكابهم أعمال تزوير لا تتفق مع شرف المهنة، كما قرر توجيه الإنذار واللوم لاثنين وأربعين من هؤلاء، ثمَّ منع خمسة وعشرين منهم من مُزاولة المهنة لمدة عام!

هلْ نُغْمض عيوننا عن الكثيرين من رُؤساء الأحياء الَّذين تناولوا الرشْوة المجزية، لكى يتستروا على مخالفات البناء.. ومنها منازل سقطت على عشرات الأبرياء، ولم يسمحوا بإزالتها حين تقاضوا رُشَى المنتفعين ومنها منازل أزيلت عن مواقعها وهى متينةٌ قوية، كى يستغل مالكوها الأرض فى بناء جديد يحقق عشرات الأضعاف؟! هل نُغمض عيوننا عن نهب الأموال بالمليارات من البنوك تواطؤاً مع رجال الأعمال، واقتساماً لمكسب غير مشروع، وهؤلاء وأولئك من ذوى الوجاهة اللامعة -فى المجتمع المنكوب- منصباً وثراء ونُفوذاً؟! هل نُغمض عيوننا عن تزوير الدرجات فى الكليات المرموقة ليرتقى الخامل، ويطرد النَّابه، والقائمون بذلك فى الصف الأول من أساتذة الجامعات؟! هل نُغمض عيوننا عمن يحتمون بالحصانة البرلمانية، فيهجمون فى حندس الليل على الآمنين من النائمين ليطردوهم من المنزل الذى لا مأوى لهم سواه؟! فإذا جوبهوا بمخالفة القانون، قال أحدهم فى غطرسة: أنا القانون! ولا قاض سواى!

إن هؤلاء جميعاً -ومعهم الآلاف ممَّن يحتذون بهم فى كل اتجاه، وممن انحدروا إلى حضيض المذلة الإنسانية والهراء الخلقى-، لم يتعلموا القراءة والكتابة فقط، بل حملوا أعلى الدرجات، وتسنموا أوج المناصب المرموقة، ولم يكونوا جائعين حتى يضطروا إلى السرقة، ولا مفلسين حتى يبحثوا عن موارد الكسب الحرام، هؤلاء لم يستفيدوا من التعليم الجامعى ما يعصمهم من السقوط! فكيف خابت الجامعة، وقبلها المدرسة فى إعداد مجتمع فاضل يعتصم بمكارم الأخلاق؟!

وأقرر بدءاً أن محو الأمية الخلقية أيسر كثيراً من محو الأمية الأبجدية؛ لأن النفس الإنسانية مفطورة على معرفة الخير والشر والتمييز بينهما، لذلك لا يحتاج الأمى الساذج إلى مشقة ما فى الاهتداء إلى المعروف؛ لأنَّ الفطرة السليمة جاذبة إليه، وهذا الرجل الهادىء يجد فى درس المسجد، وفى خطبة الجمعة مايهديه إلى الصراط القويم، وما يدفعه إلى إنكار مالا يرتاح إليه ضميره البرىء، والتلميذ بطبيعة الحال يحمل بذرة الخير الكامنة فى نفسه، فإذا وجد من يقوم عليها بالرى والرعاية فستنشق الأرض عن عُود أخضر، فإذا صادف الهواء النقى، والماء الروى أثمر وأينع، وقد كانت المدرسة من قبل تقوم برعاية النشء على نحو يضمن سلامة السلوك! فماذا جدَّ الآن؟

لقد كانت وزارة التربية والتعليم قبل قيام الثورة تُسمى وزارة المعارف وأخذ المولعون بالتغيير والتبديل ينتقصون هذا الاسم، ويقولون إنه اسم استعمارىٌ يحصر دَور المدرسة فى تلقِّى العلوم فقط مع أنَّ المدرسة يجب أن تكون للتربية والتعليم معاً، حيث ينشأ الطالب مزوداً بأفضل أدوات السلوك الإنسانى كما يزوَّد بمعلومات عن المواد الدراسية ولن تُفلح المدرسة إلا إذا ساعدت على

التربية الناضجة والسلوك السوى للشباب، وبناء على ذلك تغيّر اسم الوزارة، وكان المنتظر أن يكون لتغير الاسم صدى فى الاتجاه التربوى بالمدرسة إذ توقّع الّذين قرأوا عن هذا التغيير انفساحاً واسعاً فى نمو الشخصية لدى الطالب، واتساعاً فى وسائل الحياة العملية، فماذا كان؟! لقد كانت المدرسة فى عهد وزارة المعارف حافلة بأنواع النشاط المدرسي فأسرة للرّحلات تضم فريقاً من الطلاب يُهيّىء أسباب الرحلة ويقوم بتنفيذها، وأسرة للتربية الرياضية تجعل المباريات أسبوعية وشهرية بين المدارس المجاورة، وغير المجاورة وأسرةٌ للأشغال اليدوية تجعل من الطلاب ذوى حرَف مهنية تعين على الكسب العملى، وأسرة للموسيقى، وأسرة للتمثيل، وأسرة للخطابة، بحيث يلزم الطالب إلزاما على اختيار أسرة تتفق مع ميوله، وله اجتماعه الأسبوعى مع زملائه تحت رعاية مدرّس يرعى الأسرة، ويرسم لها برنامج العمل السنوى كى تقوم بدورها الاجتماعى، غارساً مبادىء السلوك الإنسانى بين الأعضاء بحيث تكون الأسرة درساً عملياً للأخلاق يواكب الدرس العلمى فى حصص الديانة والتهذيب!

وكان من المنتظر بعد أن أصبحت الوزارة وزارة التربية والتعليم أن يتسع نشاط هذه الأُسر حتى تُكوّن المواطن الصالح ذا الكفاءة الخُلُقية والمهارة القوية في التعامل الإنسانى، ولكن الذى كان ـ وهذا من أغرب ما حدث ـ أن أهملت هذه الأسر إهمالاً تاما، وإذا وجد لها صدى ما، ففى سجلات الأوراق يكتبها القائم بالعمل، ليوقّع عليها من الموجهين من يرى فى نفسه نشاطاً للسؤال عن الأسرة الدينية أو أسرة المواد الاجتماعية! أما اختلاط الأفكار بالمناقشة، وتنوع الرحلات! واكتساب المهارات، فقد عاقه ازدحام الفصول، وتحويل الفناء المدرسى إلى حُجَر بدائية تحد من كثافة الطلاب! وتسأل عن مدلول التربية، فلا تجد بعض ما كنت تراه من قبل! وفى الفصول قلّ أن يجد التلميذ النموذج الطيب من أستاذ يبحث عن الدرس الخصوصى فى المدرسة والجامعة معاً! فأين التربية الخُلقية التى تُهيّىء للطالب سبيل الاستقامة، وتعوقه عن الانحراف!؟

إن المؤتمرات الثقافية تتعدّد فى مصر تعدداً لا مثيل له فى الدول النامية، وتأخذ من النفقات الباهظة ما يُثقل كاهل الأمّة، والمتحدثون فى الحقل التربوى من كبار علماء النفس والتربية والاجتماع، وكل منهم يكتب البحث الضافى فى أكثر من عشرين صفحة، ثم يلخصه فى صفحة أو صفحتين فهل أفادت هذه المؤتمرات قليلاً أو كثيراً فى العمل على الارتقاء الخُلُقى؟ وهل كانت اقتراحاتها المتكررة موضعاً للتنفيذ، وقد لفتت الأنظار، واستهلكت الأموال، وأضاعت الأوقات! إننا نجد الأخلاق تنحدر من سيء إلى أسوأ نجد الرأى العام الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لا وُجود له، بل نجد بديلاً له الرأى الوصولى، الذى يدعو إلى الانتهاز والابتزاز لأنهما سبيل للكسب المادّى والمعنوى معاً، فمتى نعترف بانهيار المُثل؟ فباعترافنا بذلك تبدأ خطوات الإصلاح!

أعود إلى ما أعنيه فى هذا المقال وهو محو الأميّة الخُلُقية، فأقول إن الأخلاق الفاضلة مجمع

عليها، وليست بذات إنكار، ولكن الصعوبة لديها تقع فى التنفيذ لما عُلم، فليس كل معلوم مما يسهل تطبيقه، وإذا كان التنفيذ ميدانه الاحتكاك بالنظراء والأمثال، فأقرب الطرق إلى السلامة الخلقية، أن تجعل الإنسان نفسه فى موقف غيره، إذ يفكر فى بواعث أفعاله، ويحللها تحليل الشخص المحايد، وإذ ذاك تقترب الخُطا من الجانبين، وأذكر بهذه المناسبة قول أحد الشعراء:

كنت أنت مثلى، واقترن بعواطفى .. تجد المعيب لدىّ غير معيب!

وما كثرت الفجائعُ، وتعددت المتاعب، إلا بابتعاد المرء عن شعور غيره، وانكماشه فى عواطفه الذاتية دون التفات إلى مشاعر من يتوجه لهم باللوم والانتقاد، إذ قد يترتب على ذلك ما لا تحمد عقباه، وفيما نقرأ من أحداث المجتمع ما يؤلم المنصفين من العقلاء، ويتركهم فى حيرة من ملأ لا يرعى مشاعر الغير، بل يزيد الحطب اشتعالاً بما يُصدر عنه من جموح، وأضرب المثل بحادثة قرأت عنها منذ شهور فى جريدة سيارة، وهى حادثة تدل على تحجر المشاعر الإنسانية، بل على افتقاد المشاعر الإنسانية إطلاقاً حتى لم يعد لها أدنى وجود! فقد أصيبت فتاة فى عقلها وهذا ما لا حيلة لها فيه، بل هو قدرٌ تكنّفها، وتكنّف ذويها المساكين، ولا مردّ له، وقد خرجتْ من المنزل عارية حيثُ لم يكن به أحدٌ يقف فى طريقها! ورآها الجيران والمارة على هذا النحو الّذى يستدر الدموع! فماذا كان من أمر هؤلاء الأوغاد؟! إنهم تحلّقوا حولها ضاحكين كأنّهم فى مَسْرح هزلى، وسارع أحدهُم إلى أخيها العامل فى بعض المتاجر القريبة، فصاح به أمام زملائه: أختك عارية ترقص فى الشارع! ألا تستطيع أن تزجرها؟! كيف تكون هذه البلهاء بدون زاجر، وأنت رجل عاقل؟! وخفّ المسكين ليجد حلقة من السفهاء، يتضاحكون ويشيرون إلى العارية المجنونة فى سرور وابتهاج، فتقدم إليها وحاول اصطحابها إلى المنزل، فلم تعقل، وكرّر المحاولة فاستعصت فحين نفد صبره، وهو يرى السفهاء من حوله فى وضع يثير الموجدة، هوى عليها بالعصا وكانت مريضة ضعيفة فسقطت على الأرض فاقدة الحياة، وجاء البوليس فاقتاد المسكين إلى النيابة فالقضاء! أفلو كان لدى الجيران نخوة ذات همة، أما أقبل على الفتاة من حاول ملاطفتها حتى اقتادها إلى منزلها؟! أما علم هؤلاء الرعاع أن المرض العقلى مما لا حيلة فيه، وقد تقع فيه والدة من يضحك الآن أو أخته أو امرأته أو هو بنفسه فلا مجال للاستهزاء؟! أما كان من هؤلاء من يُسارع إلى الأخ القادم فى ثورته وبلواه، فيطمئنه؟ ويقول له: إنها مريضة، وكلنا مُعرّضون لمحنتها، وأنت رجل فتصبر وكن شجاعاً فى صبرك واحتمالك فيستل منه غضبه، ويصب الماء على الحريق المشتعل فى طواياه! لو وضع كلّ إنسان نفسه مكان الأخ الجزوع لمرّت العاصفة بسلام! ولكنّه الغباء الأحمق، وانحلال التربية الخلقية بلغ الغاية فى مجتمع أنانى، وسيُقدّم الأخ المسكين للقضاء وسيحكم عليه لا محالة لأنه قاتل، وسواءٌ أكان الحكم مخففاً أو مشدداً، فأنا أرى أن المجرم ليس الأخ البائس ولكنه المجتمع السفيه؟!



جلوب باشا

لماذا انحلّت الرّوابط الإنسانية بين الناس، فلم يعُد في كلّ قرية أو في كلّ حيّ رجلٌ من ذوي السنّ والفضل يكون صاحب الأمر الاختياري، فإذا علم بما يشيه هذه المأساة خف إلى مكانها، وعرّف القوم منزلته فتركوه يُعالجُ الأمر بما يستطيع، بل لماذا لاتكون في كل حيّ جماعة خيرية تكون ملجأ للطريد ومثابة للّهيف؟ وبهذا الرجل الكبير، وبهذه الجماعة الخيريّة، تتّقي أذى السفهاء، وننجو من شر كبير!

لقد كان الناس من قبل، -في أوائل القرن الماضي حتى أوسطه- مفطورين على هذا التكافل الإنساني الحميد، كان أكثرهم لم ينلْ من الثقافة الرسمية قليلاً أو كثيراً، ولكنّه بفطرته المؤمنة يعلم باب الخير فيقترب منه سعيداً، ويلمح باب الشر فيفر منه فرارَ السليم من الأجرب، ولم يكن في حاجة إلى محو الأمية الخُلُقية؛ لأنها ممحوّةٌ تلقائيا بما نشأ في تكوينه الإنساني من توازع البرّ والمعروف! كان يقرض المال ولا يكتب الإيصال؛ لأنّه يعرف أن الأمانة دستور لا ينتقض وكان يساعد المحتاج ولا ينتظر الرد؛ لأنه يعلم أن الله سيضاعف الأجر! فلما تعددت ألوان الحضارة كثر الطمع، وتوارى الورع، واشتدت الأثرة، وانكمش الإيثار!

إنّ تعدّد رغبات الحياة، واتساع أبواب الترف مّما باعدَ بين النفس وفضائلها المدخرة في أعماقها، وكنتُ أتحدث مع بعض الزملاء، وأضرب المثل بما روته الكتب عن أخلاق العرب في البادية، من حب للكرم، وتعاون على البر، وإغاثة للطارىء اللهيف، فقال إن أكثر هذه الأخبار موضوعة، رَوَوها دون تمحيص، وهو قولٌ لا يخلو من خطأ؛ لأن هؤلاء الرواة نقلوا عن البدو بعض النقائص الذميمة. فلو كانت المسألة مسألة محاباة للبدو ما أخذوا عليهم هذه الهنات، على أنّ الواقع الملموس الذي سجّله الشاهدون عن البدو في أيّامنا هذه، يؤيّد ما ذكرهُ السابقون عنهم من قبل. وقد ذكرت في إحدى مقالاتي في الهلال مثلين معاصرين، ذكرهما من لا تشك في صدقهما إذ ليس لهما دافعٌ ما للمبالغة والإطراء، وقد رأيا ما شاهداه رأي العيان.

● **أما الشاهد الأول:** فهو الجنرال جلوب باشا، وقد كان المعتمد البريطاني في شرق الأردن، حين كانت إنجلترا صاحبة الأمر في هذه البلاد فقد ذكر في يومياته أنّه قام بجولة خاطفة في البادية متنكراً لايلبس ما يدل على منصبه الكبير، فرأى جماعة من البدو يتوسطهم كبيرهم الشيخ، وهم يأكلون الطّعام، وقد كان على غير العادة من لحم الضأن، فرحّبوا به وبصحبه، وقدم لهما الشيخ أحسن ما بين يديه في سماحة ظاهرة، وحين انتهى الطعام، وقد بقي منه الكثير، أمر الشيخ بحمل ما بقي من اللّحم المشوي، والعظم الهشّ إلى خارج الخيام قريبا من الخلاء، ليظل في الطريق، فسأل جلوب باشا لماذا لا تحتفظون باللحم وهو مما يصلح للغد؟ فقال الشيخ:



احمد حسنين

يا رجل! في اللّيل حين تهدأ الحركة ستأتي حيوانات البادية من ثعالب وذئاب وكلاب، فتجد خير الله وتأكل مما تأكل، فتعجب جلوب، وقال: وهل ستجدون في الغد مثل هذا الطعام؟ فقال الشيخ: يا رجل إن الله يرزُق الدود في الصخر، أفما يرزقنا ونحن عباده المؤمنون؟!

● **أما الشاهد الثاني:** فأحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي في عهد الملك فاروق، فقد قام برحلة استكشافية في الصحراء الغربية، وكتب عنها جزءين، قال في أحدهما: إن الزاد قد نفد منه وهو في الصحراء القاحلة، ورأى على البعد بعض الخيام العربية فاتجه إليها، وحادث القوم ليشتري بعض ما لديهم من الأرز والتمر والدقيق، فسارعوا بتقديم ما يطلب عن سماح، وحين قدّم لهم الثمن، صاحوا في وجهه غاضبين، أتأخذ ثمناً للطعام؟ أنتم ضيوفنا، وأنتم جائعون! هل يدفع الضيف ثمن ما يأكل؟

قال أحمد حسنين: «ورأيت مظاهر الفاقة والعوز في وجوه القوم وفي ملابسهم، فاستحييتُ أن آخذ طعامهم دون أجر، وهم في أشد الحاجة إليه، ففكرت ملياً ثم قلت لهم: لقد قبِلَ النبي الهدية، ومعي هدية لكم، هي أقمشة بيضاء تصلح للثياب والسراويل، وليست ثمناً للطعام، ففكّروا كثيراً، وأصّر أحمد حسنين على رأيه، فقال كبيرهم: إن كانت الأقمشة هديّة فسنأخذها جبراً لخواطركم، وقبِلَها بعد إلحاح!

فليت شعري أكان الجنرال جلوب باشا مفترياً؟ أم كان أحمد حسنين باشا مدّعياً؟ وهذا ما ذكراه وشاهداه!

إنّ القوم في الأردن، وليبيا، لم يتعلّموا الخُلُق في مدرسة ولم يستمعُوا الوعظ المتكرر في مسجد، ولكنهم رجعوا إلى فطرتهم السليمة ذات السلوك الحميد، ونجوا من أوضار الترف وملذات الحضارة، فصحّت نفوسهم، قبل أن تصح أبدانهم، وعلينا بعد أن رانت علينا غشاوات الأنانية والأثرة، والجشع، أن ننادي بتربية جديدة للنشء نمحو بها أميّتهُ الخُلُقية وتهيئته لحياة التسامح والود، فيعرف معنى المشاركة الوجدانية الصحيحة، ويعتنق التكافل الاجتماعي بمعناه الإنساني الشامل، حين يكون التراحم والتعاطف والتآزر من أقوى دواعيه، ولا يقتصر على العون المادي وحده، فرب بسمة مضيئة يتضاءل دونها بريق المال، ورب كلمة طيبة تعيد الحياة لمحتضر يئس من البقاء! كشجرة طيبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء.

د./ محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)
إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ
أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُنْزَلِينَ ﴾ (الآيات: ١٢١ : ١٢٤)

ففي هذه الآيات الكريمة التي بدأت السورة بها حديثها عن غزوة أحد، تذكير للمؤمنين بما وقع فيها حتى يعتبروا ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا.

وقوله - تعالى - ﴿ غَدَوْتَ ﴾ من الغدو وهو الخروج في أول النهار، يقال: غدا يغدو من باب سما يسمو.

و﴿ مِنْ ﴾ في قوله: ﴿ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ للابتداء. والمراد بأهله، زوجه عائشة - رضي الله عنها - فقد كان خروجه لغزوة أحد من بيتها. والكلام على حذف مضاف يدل عليه فعل «غدوة» والتقدير: من بيت أهلك.

وقوله: ﴿ تُبَوِّئُ ﴾ أصله من التبوء وهو اتخاذ المنزل، يقال: بوأته، وبوأت له منزلا، أي أنزلته فيه، والمراد به هنا تنظيم المؤمنين

وتسويتهم وتهيئتهم للقتال، حتى يكونوا صفا واحدا، كأنهم بنيان مرصوص.

والعامل في ﴿ وَإِذْ ﴾ فعل مضمر تقديره، واذكر.

والمعنى: واذكر لهم يا محمد ليعتبروا ويتعظوا وقت خروجك مبكراً من حجرة زوجتك عائشة إلى غزوة أحد.

وقوله:

﴿ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾

أي تنزلهم وتسوى لهم بالتنظيم والترتيب مواطن وأماكن للقتال، بحيث يكونون في أحسن حال، وأكمل استعداد لملاقاة أعدائهم.

قال الجمل: «ويستعمل الفعل ﴿ غَدَوْتَ ﴾ بمعنى صار عند بعضهم، فيكون ناقصا يرفع الاسم وينصب الخبر.. وهذا المعنى ممكن هنا، فالمعنى عليه، وإذ غدوت أي صرت تبوئ المؤمنين أي تنزلهم في منازل للقتال. وهذا أظهر من الآخر، لأن المذكور في القصة أنه سار من عند أهله بعد صلاة الجمعة وبات في شعب أحد، وأصبح ينزل أصحابه في منازل القتال ويدبر لهم أمر الحرب».[1]

فالجملة الكريمة تشير إلى مافعله النبي ﷺ مع أصحابه قبل أن تبدأ المعركة، فقد اهتم بتنظيم صفوفهم، وبرسم الخطة الحكيمة التي تكفل لهم النصر، وأمر الجيش كله ألا يتحرك للقتال إلا عندما يأذن له بذلك، ولقد حدث أن بعض المسلمين من الأنصار استشرف للقتال وتمناه عندما رأى قريشا قد سرحت خيولها وإبلها في زروع المسلمين، وقال النبي ﷺ «أترعى زروع بني قيلة - يعني الأنصار - ولما تضارب»؟؟ إلا أن النبي ﷺ نهاهم عن القتال إلا بعد إذنه.

وجملة ﴿ تُبَوِّئُ ﴾ حال من فاعل ﴿ غَدَوْتَ ﴾.

والفعل ﴿ تُبَوِّئُ ﴾ يحتاج لمفعولين:

أولهما: قوله: ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وثانيهما: قوله: ﴿ مَقَاعِدَ ﴾

وقوله: ﴿ لِلْقِتَالِ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ تُبَوِّئُ ﴾

والمراد بقوله: ﴿ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾

أي مراكز وأماكن ومواقف للقتال بحيث يعرف كل مؤمن مكانه وموقفه فينقض منه على خصمه إلا أن القرآن الكريم عبر عن هذه الأماكن والمراكز والمواقف بالمقاعد. للإشارة إلى وجوب الثبات فيها كما يثبت القاعد في مكانه، وأن عليهم ألا يبرحوا أماكنهم إلا بإذن قائدهم ﷺ.

وقد ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

لبيان أنه مطلع على كل شيء، وعلى ما كان يجرى بين النبي ﷺ وبين أصحابه من مشاورات ومناقشات.

فهو - سبحانه - ﴿ سَمِيعٌ ﴾ لما نطقت به

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج١/ ٣١٠

ألسنتهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما تخفيه صدورهم، وسيجازى المؤمنين الصادقين بما يستحقون من ثواب، وسيجازى غيرهم من ضعاف الإيمان والمنافقين بما يستحقون من عقاب.

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة غرس الرهبة في قلوب المؤمنين، حتى لا يعودوا إلى مثل ما حدث من بعضهم في غزوة أحد، حيث خالفوا وصية رسول الله ﷺ ثم ذكر - سبحانه - ما راود قلوب بعض المؤمنين من ضعف وفشل، عندما رأوا زعيم المنافقين عبدالله بن أبي ينخذل بثلث الجيش فقال - تعالى:

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

الهم: هو حديث النفس واتجاهها إلى شيء معين دون أن تأخذ في تنفيذه فإذا أخذت في تنفيذه صار إرادة وعزما وتصميما.

وتفشلا: من الفشل والجبن والخور والضعف، يقال: فشل يفشل فشلا فهو فشل أى جبان ضعيف القلب.

أى: واذكر لهم وقت أن همت طائفتان منكم يا معشر المؤمنين أن تفشلا وتضعفا وتجبنا عن القتال في وقت الشديدة والكريهة.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ أى ناصرهما ويتولى أمرهما.

وهاتان الطائفتان هما بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانتا جناحي الجيش في يوم أحد.

روى الشيخان عن جابر - رضى الله عنه - قال: فينا نزلت:

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾

قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب أنها لم تنزل لقوله - تعالى - ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[٣].

أى: لفرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله - تعالى - عليهم وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية. وأن ما حدثوا به أنفسهم لم يخرجهم عن ولايته سبحانه لأنهم لم ينساقوا وراء هذا الهم الباطل، بل سرعان ما عادوا إلى يقينهم وإيمانهم الصادق، وطاعتهم لرسولهم ﷺ.

ولذا قال صاحب الكشاف: والطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس هموا باتباع عبدالله بن أبي عندما انخذل بثلث الناس وقال: يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا! فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس قال: أضمروا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا. والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس. كما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع، ثم

(٣) البخاري: باب «إذا همت طائفتان» من كتاب التفسير، ج٦، وأخرجه مسلم في كتاب «فضائل الصحابة» ج٧/١.

يردها صاحبها إلى الثبات والصبر، ويوطنها على احتمال المكروه. لو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية[٣].

وقد ختم - سبحانه - الآية بدعوة المؤمنين إلى التوكل عليه وحده فقال:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

والتوكل: تفعل من وكل فلان أمره إلى فلان. إذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه.

والتوكل الحقيقى إنما يكون بعد الأخذ بالأسباب التى شرعها الله - تعالى - ثم بعد ذلك يترك الإنسان النتائج للخالق - عز وجل - يسيرها كيف يشاء. والجملة الكريمة أفادت قصر التوكل على الله وحده، كما يؤذن به تقديم الجار والمجرور.

أى وعلى الله وحده لا على غيره فليكل المؤمنون أمورهم، بعد اتخاذ الأسباب التى أمرهم - سبحانه - باتخاذها، فإنهم متى فعلوا ذلك تولاهم - سبحانه - بتأييده ورعايته.

ثم ذكرهم - سبحانه - بفضله عليهم وتأييده لهم يوم غزوة بدر فقال - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

وبدر: اسم لماء بين مكة والمدينة، التقى عنده المسلمون والمشركون من قريش في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، وكان عدد المشركين قريبا من ألف رجل، ومع ذلك كان النصر حليفا للمسلمين. والأذلة - كما يقول الزمخشرى: جمع قلة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلين.

وذلتهم: ما كان بهم من ضعف الحال، وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلتهم: أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس، ومعهم الشكة والشوكة - أى السلاح والقوة -[٤].

وإذن فليس المراد بكونهم أذلة أنهم كانوا ضعاف النفوس. أو كانوا راضين بالهوان. وإنما المراد أنهم كانوا قليلى العدد والعدد، فقراء في الأموال، وفي وسائل القتال.

وفي هذا التذكير لهم بما حدث في غزوة بدر، تنبيه لهم إلى وجوب تفويض أمورهم إلى خالقهم، وإلى أن القلة المؤمنة التقية الصابرة كثيرا ما تنتصر على الكثرة الفاسقة الطائلة. ولذا فقد ختم - سبحانه - بقوله:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أى فاتقوا الله بأن تستشعروا هيبته، وتجتنبوا ما نهاكم عنه، وتفعلوا ما أمركم به

(٣) تفسير الكشاف ج١/٤٠٩.

(٤) تفسير الكشاف ج١/٤١١.

لعلكم بذلك تكونون قد قمتم بواجب شكر ما أنعم به عليكم من نعم لا تحصى.

ثم ذكرهم - سبحانه - بما كان يوجهه إليهم النبي ﷺ من توجيهات سامية، وإرشادات نافعة فقال - تعالى -:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

قال ابن كثير: اختلف المفسرون في هذا الوعد هل كان يوم بدر أو يوم أحد على قولين؟

أحدهما: أن قوله - تعالى -:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

متعلق بقوله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾

وهذا عن الحسن، والشعبي، والربيع بن أنس، وغيرهم. فعن الحسن في قوله:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ ﴾

قال: هذا يوم بدر. وعن الشعبي: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يريد أن يمد المشركين - برجال - وسلاح فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله - تعالى -:

﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

إلى قوله: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾.

قال: بلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين.

وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف.

فإن قيل فكيف الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾

إلى قوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

فالجواب: أن التنصيص على الألف ههنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله - تعالى: ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ بمعنى غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم.

وهذا السياق شبيه بالسياق في سورة آل عمران، فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان ببدر.

والقول الثاني يرى أصحابه أن هذا الوعد متعلق بقوله:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾

وذلك يوم أحد. وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم. لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف، لأن المسلمين يومئذ فروا. وزاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى:

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾

فلم يصبروا، بل فروا فلم يمدوا بملك واحد[٥] ويبدو من كلام ابن كثير أنه يميل إلى أن هذا الوعد كان يوم بدر، فقد قال: فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر.

وهذا ما تسكن إليه النفس: لأن الوعد بنصرة الملائكة للمؤمنين كان يوم بدر لا يوم أحد، فقد كانوا في بدر قليلي العدد والعدد، وكانت غزوة بدر أول معركة حربية كبرى يلتقي فيها المؤمنون بالكافرين، ولأن سياق الآيات يشعر بأن الله - تعالى - قد ساقها ليستحضر في أذهان المؤمنين مشهد غزوة بدر وما تم فيها من نصر بسبب صدق إيمانهم، وطاعتهم لنبيهم ﷺ حتى لا يعودوا إلى ما حدث من بعضهم في غزوة أحد من مخالفة للرسول ﷺ.

وعلى هذا الرأى يكون قوله - تعالى -:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

متعلقا بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ﴾ أى: اذكروا أيها المؤمنون أن الله - تعالى - قد نصركم ببدر وأنتم قلة في العدد والعدة، وكان رسولكم ﷺ في ذلك الوقت يقول لكم على سبيل التثبيت والتقوية:

﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾

أى منزلين من السماء لنصرتكم وتقويتكم ودحر أعدائكم.

أما على الرأى القائل بأن هذا الوعد كان في غزوة أحد، فيكون قوله - تعالى -:

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ ﴾

بدل من قوله - تعالى - قبل ذلك:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾

قال الآلوسى: والهمزة في قوله:

﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ ﴾

لإنكار ألا يكفيهم ذلك. وأتى بلن لتأكيد النفي، وفيه إشعار بأنهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لقلة عددهم وعدتهم. وفي التعبير بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين ما لا يخفى من اللطف وتقوية الإنكار وقوله: ﴿ أَن يُمِدَّكُمْ ﴾ في تأويله المصدر فاعل ﴿ يَكْفِيَكُمْ ﴾.

و ﴿ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ بيان أو صفة لآلاف أو لما أضيف إليه. و ﴿ مُنزَلِينَ ﴾ صفة لثلاثة آلاف، وقيل حال من الملائكة،[٦] وقوله تعالى -:

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾

إما من تتمة مقوله ﷺ للمؤمنين، وإما ابتداء خطاب من الله - تعالى - تأييدا لقول نبيه ﷺ وزيادة على ما وعدهم تكرما وفضلا.

«يتبع»

(٥) تفسير ابن كثير ج٢/ص٤٠١.

(٦) تفسير الآلوسي ج٤/٤٤.

السنة:

من المفلس؟

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار».

الشرح والبيان

إن هدف الإسلام الأسمى تحقيق الخير لجميع الناس، والقضاء على الشر بجميع صوره، وإن الخير فى الناس تربية وجهاد ومعالجة، أما الشر فتقليد ومحاكاة ومتابعة.. وبالتالى فما أسهل الشرور، وأيسر السقوط! كمن يضع رجله فى منزلق، لا يلبث أن يهوى.

لكن الخير يحتاج منا إلى حكمة وتعقل وروية، إذ لابد لمن يريد الخير لنفسه وللناس أن يروض نفسه على الالتزام بالطاعة، وأن يعودها الصبر على المكاره، وقد جاء فى الحديث الشريف ما يوضح ذلك، قال رسول الله - ﷺ - «حُفَّت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات»[1].

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/٢١٧٤

هذا وينبغى أن يعلم الناس أن الدين قسمان: أوامر يجب الائتمار بها، ونواه يجب الانتهاء عنها، فلا ينبغى لمسلم أن يطبق الدين من جانب، وأن يخالفه من الجانب الآخر، كمن يفعل المأمورات، ولا يترك المنهيات فى الوقت نفسه، فهو إن صلى وصام، وتصدق وجاهد، وأسهم فى مشاريع الخير لا يتورع عن الخيانة، والغش، والكذب، والنهب، والسرقة، وما إلى ذلك.

والدين كلٌ لا يتجزأ، وقد قال - عليه الصلاة وأزكى السلام - «إن الله فرض فرائض لا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[2].

وحين سئل رسول الله - ﷺ - هل الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم، يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار»[3]، فزيادة الإيمان طريق إلى الجنة، ونقص الإيمان طريق إلى النار، فهؤلاء الذين يعتدون على الحدود، وينتهكون الحرمات، ويكشفون العورات، ويغمطون الحقوق، ويسيئون إلى الناس بالقول الجارح، والفعل الشائن.. يدمرون حسناتهم، ويحملون يوم القيامة أوزارهم، وأوزار غيرهم ممن ظلموهم؛ لذلك وجدنا معلم الإنسانية الأول، وقائدها الأعظم محمدا - ﷺ - يرشدنا إلى هذه الحقيقة التى ينبغى أن نتبينها، وأن نستفيد منها، وأن نترسمها فى أخلاقنا وسلوكنا وسائر أحوالنا، حتى لا نحيد عن سبيل الرشاد، فرسول الله - ﷺ - فى هذا الحديث الشريف الذى رواه أبوهريرة - رضى الله عنه - يخبر أصحابه وأمته، والناس أجمعين - على مر العصور، وتتابع الأجيال - أنّ المال الذى يضيع من الإنسان لا وزن له ولا قيمة، وأن السفيه الذى يقتصر سفهه على تبديد ماله، وتضييع ممتلكاته - قليل الشر، صغير الوزر بالنسبة إلى السفيه الأعظم، والمفلس الأكبر الذى يدمر حياته، ويبدد حسناته، ويضيع صالح أعماله، ويتحمل أوزاره، وأوزار غيره، ولهذا سألهم: أتدرون من المفلس؟ فاتجهت أذهانهم إلى ما يتجه إليه الذهن عادة، وهو مفلس المال، حيث قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فأخبرهم رسول الله - ﷺ - أن إفلاس المال لا ينبغى أن يعد حقيقة المفلس، إذ قد يزول عنه إفلاس المال لعارض من يسار أو إرث أو هبة

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير بلفظ مختلف ١١/٢١٣
(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١/٤٦

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ٨)

لكنّ المفلس الحقيقي هو مفلس الحسنات، هو مفلس الأخلاق، هو مفلس الدرجات العلى في الآخرة، هو الذي لم ينتفع بالإيمان فأساء الأدب، واتبع شيطانه، وانقاد لهواه، وإنما حقيقة المفلس هو الوارد في الحديث: هو الهالك الهلاك التام، هو الذي تؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم، فوضع عليه، ثمّ ألقي في النار، فتمت خسارته، وهلاكه، وإفلاسه.

ومن ثمّ كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الخليفة الأوّاب، الناطق بالصواب، الذي وافق حكمه حكم الكتاب يقول: «ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان: حلم يردّ به الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يُداري به الناس»، ولم يك عمر - رضي الله عنه - قوّالا دون أن يكون فعّالا، فقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر، ومشاورته - كهولا أو شبانا - فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن الحرّ لعيينة، فأذن له عمر - رضي الله عنه - فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحرّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله - تعالى - قال لنبيه - ﷺ:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله، وقد أنشد الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل!

وقد جاء في الأثر: «لا تنظروا إلى صلاة أحد، ولا إلى صيامه، ولكن من إذا حدّث صدق، وإذا أؤتمن أدى، وإذا أشفى على معصية ورع»، أي: كفّ وامتنع.

فياويل الظالمين يوم يقوم الأشهاد:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

(غافر: ٥٢)

إذا كان من يعين الظالم وهو يعلم أنه ظالم يخرج من صفوف المسلمين كما أخبر رسول الله - ﷺ - حين قال: «من

مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام» - رواه أحمد والطبراني - فما بالنا بالظالم نفسه؟! يقول الله - عز وجل - في كتابه الكريم:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

(إبراهيم: ٤٢)

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «إن الله ليملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»[٤]، ثم قرأ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

(هود: ١٠٢)

وقد هدّد النبي - ﷺ - وتوعّد الظالمين والقادرين على نصرة المظلوم فلم ينصروه - بقوله: «يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر على أن ينصره فلم ينصره»[٥].. وروى الطبراني عن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ: «يقول الله تعالى: اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري».

فهلاّ ذكرنا تلك الوقفة مع الله يوم العرض واللقاء

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء: ٨٨، ٨٩)

قال تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٨١)

وقال:

﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾

(الصافات: ٢٢، ٢٣)

وقال:

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

وقد أنشد الشاعر:

اذكر وقوفك يوم العرض عريانا

مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل

فلن ترى فيه حرفا غير ما كانا

---

(٤) متفق عليه.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج١٠/٢٧٨.

لما قــرأت ولم تنكر قــراءته
إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي
وامضوا بعبد عصى للنار شيطانا

فهؤلاء المفلسون لم ينتفعوا بما قدموا من طاعة، وما أدّوا من عبادة بما ارتكبوه من المعاصي والمخالفات، وصدق الله إذ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾

(محمد: ٣٣)

ولقد روى الطبراني عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: «يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى إذ جيء بهم جعلها الله هباء منثورا، ثم يقذف بهم في النار، فقيل: يا رسول الله، كيف ذلك؟ قال: كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون، غير أنهم إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، فأحبط الله أعمالهم».

هذا ولم يكن رسول الله – ﷺ – قوالا فحسب، بل كان دائما أبدا فعله يسبق قوله، إذ أنه لما أحس بدنو أجله أحب أن يلقى الله وليس هناك بشر يطالبه بتبعة، فاستدعى الفضل ابن عمه العباس – رضي الله عنهما – وقال: «خذ بيدي يا فضل، وهو موعوك معصوب الرأس، فأخذ بيده حتى دخل المسجد، وجلس على المنبر، ثم قال للفضل: ناد في الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: أما بعد، أيها الناس، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه، ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ مني حقا إن كان له، أو أحلني منه، فلقيت الله وأنا طيب النفس، وقد أرى هذا غير مغن حتى أقوم فيكم مرارا»، ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، فعاد إلى مقالته الأولى في الشحناء وغيرها، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: أعطه يا فضل، ثم قال النبي – ﷺ – «أيها الناس، من كان عنده شيء فليؤده، ولا يقل: فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة» فقام رجل فقال: يا رسول الله، عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله، قال: «ولم غللتها؟» قال: كنت محتاجا إليها، قال: خذها منه يا فضل»(٦).

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ مختلف ج٨/ ٢٨٠.

فإذا كان هذا شأن رسول الله – ﷺ – الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، ويزن أعماله قبل أن توزن عليه، ويطلب إلى الناس أن يقتصوا منه إن كان عليه قصاص، وأن ينالوا من عرضه إن كان نال من عرضهم، وحاشاه أن يكون كذلك، ولكنه توجيه للأمة؛ حيث أعطى من نفسه القدوة

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

(الأحزاب ٢١)

وهكذا بين رسول الله – ﷺ – في حديث المفلس أن من أقبح ألوان السفاهة والحمق أن يسيء الإنسان إلى الناس، ويطغى على حقوقهم، ويعتدي على أعراضهم وأموالهم، ويظل هكذا سادرا في ضلاله، ممعنا في غيه وعدوانه حتى يلقى الله، وعلى عاتقه مظالم العبيد، فينتصف الله منه لخلقه، وينتقم لعبيده، فيعطيهم من حسناته بقدر مظالمهم، فإذا فنيت حسناته ولم توف ما عليه من المظالم – أخذ من سيئاتهم، فطرحت عليه، ثم يقذف به في النار، فهل بعد هذا إفلاس؟ وهل بعد هذا ضياع؟!.

ومن أجل هذا دعانا الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – إلى أن نتدارك أوزارنا في هذه الدنيا، دنيا العمل والكفاح، وأن نصلح ما بيننا وبين الناس برد المظالم، وإعادة الحقوق إلى أصحابها إن أمكن، وإلا طلبنا منهم السماح والعفو قبل أن ننتقل إلى الآخرة، وترفع يد الإنسان عن كل ما يملك، ولا يبقى لديه إلا ما قدمت يداه، لقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون لا دينار، ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(٧).

فمن أخذ بنصيحة الرسول – ﷺ – فقد فاز ونجا، ومن أعرض عنها فقد خاب وهلك وخسر خسرانا مبينا، قال تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

(القصص: ٥٠)



(٧) أخرجه البخاري ج٢/ ٨٦٩

الأزهر

مدلول البيئة فـــــــى الشريعة الإسلامية

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

١

يتنظر الفقهاء المسلمون إلى البيئة باعتبارها الكون الذى تعيش فيه بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وماء وهواء وتربة. وتتضح هذه النظرة العامة إلى البيئة من خلال نظرة القرآن الكريم إليها وحديثه عنها، فقد تحدث القرآن الكريم عن البيئة حديثاً مفصلاً، ولفت الأنظار إليها لفتاً بارعاً، بياناً لأهميتها وإرشاداً إلى ضرورة حمايتها. باعتبارها خلق من خلق الله يحتم علينا ديننا ضرورة المحافظة عليه، والعمل على استمراريته وبقائه.

والدليل على أن البيئة خلق من خلق الله تعالى يتضح فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم، قال الله عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(الأنبياء: ٣٣)

وقال الله عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

(ق: ٣٨)

أى خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات[١].

وقال تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

(الأنعام: ٣٨)

١- العلامة الألوسى، روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ج ٢٦ ص ١٦٢

الإنسان .. أرقى مخلوقات الله

ومعنى الآية الكريمة أنه ما من حيوان يمشى على الأرض ولا من طائر يطير فى الجو بجناحيه إلا طوائف مخلوقة مثلكم خلقها الله وقدر أحوالها وأرزاقها[٢].

فالله -عز وجل- قد خلق السموات والأرض وما بينهما من جميع المخلوقات ثم اقتضت حكمته -سبحانه وتعالى- أن يستخلف الإنسان على هذه المخلوقات، وإنما جعل الله -عز وجل- الخلافة للإنسان دون غيره من المخلوقات لأنه أرقى هذه المخلوقات، ولأن الله تعالى قد خصه وميزه بنعمة العقل التى حرم منها بقية المخلوقات.

وقد ثبتت خلافة الإنسان على الأرض بما فيها فى أكثر من موضع فى القرآن.

قال الله عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الأنعام: ١٦٥)

«أى جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل وقرناً بعد قرن وخلفاً بعد سلف»[٣].

وقال الله عز وجل:

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِى الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا

٢- صفوة التفاسير - الجزء الثالث - محمد على الصابونى - دار الرشيد - سوريا - حلب ص ٣٨٩

٣- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير - ج ٢ - ص ١٩٩ - مكتبة التراث الإسلامى - سوريا - حلب - ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م

﴿ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾

(فاطر: ٣٩)

ومعنى قول الله عز وجل:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾

(الأنعام: ١٦٥)

أى يخلق قوم لآخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم»[٤].

معنى الخلافة وتسخير الأرض للإنسان

وحتى تحقق الخلافة معناها سخر الله - عز وجل- الأرض وما فيها للإنسان وجعلها مذللة له حتى لا تستعصى عليه «فى المشيئة العليا أرادت أن تسلم لهذا الكائن الجديد فى الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق فى الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل، وكشف ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات فهناك وحدة أو تناسق بين النواميس التى تحكم الأرض وتحكم الكون كله، والنواميس التى تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقته كى لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك»[٥].

ومن أجل ذلك أجرى الله سبحانه وتعالى الهواء والماء لإصلاح الكون وإنبات الزرع، وبين الله -عز وجل- وظائف هذه الأشياء وأهميتها، فعن الهواء ووظائفه قال الله عز وجل:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾

(الحجر: ٢٢، ٢٣)

أعظم منن الله

«واللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال ناقة لاقح أى حامل، ووصف الرياح بذلك على التشبيه البليغ شبهت الريح التى بالسحاب الماطر بالناقة الحامل لأنها حاملة لذلك السحاب أو للماء الذى فيه، ويقال لضدها ريح عقيم والمراد ملقحات للسحاب أو للشجر فيكون قد استعير اللقح لصب المطر فى السحاب أو الشجر وإسناده إليها على الأول حقيقة، وعلى الثانى مجاز إذ الملتقى فى الشجر السحاب لا الريح»[٦]

وقال الله عز وجل:

٤- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير - ج ٣ - ص ٦٠.

٥- فى ظلال القرآن - سيد قطب - المجلد الأول - ج ١ - دار الشروق - ص ٥٦

٦- العلامة الألوسى، روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ج ١٤/ ٣٦

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف: ٥٧)

والمراد بالرحمة كما ذهب إليه غالب المفسرين المطر وسمى رحمة لما يترتب عليه بحسب جرى العادة من المنافع، والريح من أعظم منن الله -تعالى- على عباده.

وعن كعب الأحبار قال: لو حبس الله -تعالى- الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر أهل الأرض وفى بعض الآثار أن الله تعالى خلق العالم وملأه هواء ولو أمسك الهواء ساعة لأنتن ما بين السماء والأرض، وذكر غير واحد من العلماء أنه يكره سب الريح، فقد روى الشافعى عن أبى هريرة قال: أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر «رضى الله تعالى عنه» حاج فاشتدت. فقال عمر لمن حوله ما بلغكم فى الريح؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً، وبلغنى الذى سأل عمر عنه من أمر الريح فاستحثثت راحلتى حتى أدركت عمر. وكنت مؤخر الناس، فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح فإنى سمعت رسول الله «ﷺ» يقول:

«الريح من روح الله تعالى، تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله -تعالى- من خيرها واستعيذوا بالله -تعالى- من شرها».

ولا منافاة بين الآية وهذا الخبر، إذ ليس فيها أنه سبحانه لا يرسلها إلا بين يدى رحمته ولئن سلم فهو خارج مجرى الغالب فإن العذاب بالريح نادر[٧].

«يتبع»

***

٧- العلامة الألوسى، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ج ٨ ص١٢٦

الفضائل بين الحدود والقيود

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

في تعاليم الإسلام فضائل مثلى وآداب عالية. بها قوام الحياة وسلامة بنيانها وصيانة العلاقات الإنسانية من التصدع أو التدهور والضياع. وتقوم فضائل الإسلام وآدابه على أسس أصيلة لها قوتها وفاعليتها.

ثم إنها من ناحية أخرى محكومة برباط قوي من المراقبة الإلهية حتى لا تنحرف يمنة أو يسرة. وحتى لا تهتز مع أعاصير الحياة في هبوبها وإثارتها.

ولكل فضيلة من فضائل الإسلام قيود، بحيث لا تتعداها، حتى لا تصبح ضرباً من الفوضى. أو حتى لا تنقلب إلى رذيلة وحتى لا تكون مبعث إساءة بدل أن تكون مصدر إحسان أو مودة؛ وما ذلك إلا لأن الفضائل وسط بين الرذائل. فكل فضيلة وسط بين رذيلتين، بحيث لو قصر صاحبها فيها أو فرّط، انقلبت الفضيلة إلى رذيلة.. فالسخاء مثلاً: فضيلة.. وهي وسط بين رذيلتين: رذيلة الشح والبخل عند التقطير، ورذيلة الإسراف والتبذير عند الإفراط.. ولذا نرى الإسلام حين حث على هذه الفضيلة حذر من طرفيها حتى لا يقع أحد فيها فقال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

(سورة الإسراء: ٢٩)

وكذلك فضيلة القوة.. فهي وسط بين رذيلتين هما: الضعف والتهور.. ففي جانب التقصير والتفريط يكون الضعف. وهذا نبه الإسلام عليه ودعا إلى القوة.. ففي الحديث: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..»[1] وفي جانب الإفراط يكون التهور، وقد حذر الإسلام منه كثيراً وأكد الوصية بالبعد عنه. ففي الحديث: «ليس الشديد بالصرعة. ولكن الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب».. رواه البخاري ومسلم.

وكما حدد الإسلام الفضائل والآداب بحدود لا تتعداها حتى لا تصبح فوضى، ولا تنقلب إلى رذائل، فإنه كذلك قيدها حتى لا تتعدى دائرتها المشرقة وآدابها الطيبة. فحين يدعو إلى فضيلة يقيدها مخافة أن يسير الإنسان بلا قيود فتنقلب إلى رذيلة أو تجره إلى ما هو غير محدود. فمن ذلك مثلاً: فضيلة الإنفاق، حين يحث الإسلام عليها، ويأمر الناس بها يحذرهم من التبذير، كما يحذرهم من التقتير.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

(سورة الفرقان: ٦٧)

ثم إنه يقيد الإنفاق، فلا يبخل به صاحبه فيؤدي به إلى الهلاك، أو أن يزيد إلى درجة التبذير فيكون الهلاك فيقول:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

(البقرة: ١٩٥)

ومن ذلك أيضاً فضيلة التعاون.. فحين يأمر الإسلام بها يحذر من عكسها.. فهو أولاً يحدد الدائرة التي يكون فيها التعاون. ثم بعد ذلك يقيدها بحيث لا تتعداها إلى سواها فيقول الله ـ تعالى ـ في تحديد دائرة التعاون:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٢)

ويقول في تقييدها وعدم تعديها إلى غيرها أو إلى الرذائل:

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(المائدة: ٢)

وفضيلة التواصل بين الناس لها أثرها في ازدهار الحياة الاجتماعية، وتنمية العلاقات الإنسانية. فبالتواصل يتفقد الإنسان المسلم أحوال أخيه ويشاركه آلامه وآماله. وهي فضيلة طيبة وكريمة، ولكن الإسلام يقيدها بحيث لا تتعدى دائرتها إلى التدخل فيما لا يعنيه، فبدل

(١) صحيح مسلم جـ٤ - ص ٢٠٥٢.

أن يكون صاحبها وَصُولاً لإخوانه متعاونًا مع خلانه، يصبح متطفلاً فيما لا يعنيه، وفيما رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: «قال رسول الله ﷺ: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وهذا شامل لترك الإنسان كل قول أو عمل لا يعنيه، واقتصاره على ما يعنيه من الأقوال والأفعال..

وترك ما لا يعنى «قاعدة هامة وتامة فى باب الفضائل إذا أهملت أصبحت دنيا الفضائل ضروبًا متفاوتة فى الفوضى والتطفل والإهمال والخسران، فكان لزامًا من هذه القاعدة الأصيلة التى لابد منها حتى إن الرسول ﷺ يوضح قيمتها ويرفع مكانتها، فيبين أنها من حسن الإسلام؛ ولذا كان هذا الحديث السابق أحد أربعة أحاديث هى جماع آداب الخير.

كما حكى الإمام أبو عمرو ابن الصلاح عن محمد بن أبى زيد إمام المالكية أنه قال: جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث: قول النبى ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[2]. وقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».. وقوله ﷺ: «للذى اختصر له فى الوصية: «لا تغضب»، وقوله ﷺ: «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3]، فترك ما لا يعنى بحكم الشرع يقتضينا أن نترك الاستماع إلى ما يحدث الناس به بعضهم بعضًا، وما يناجى به بعضهم بعضًا.. وعدم التجسس، فهذان مثالان لترك ما لا يعنى بحكم الشرع، وحكم الشرع فى ذلك واضح..

فقد نهى عن الاستماع إلى أحاديث الناس ونهى عن التجسس.. ففى الحديث:

«لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا»[4] وقد قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

(الحجرات: ١٢)

فهذا ترك ما لا يعنى بحكم الشرع، وأما ترك ما لا يعنى بحكم الهوى، فإن الهوى قد يدعو إلى ما يخالف الشرع، فقد يدعوه إلى ترك الإصلاح بين رجلين متخاصمين، وقد يدعوه إلى عدم الإدلاء بشهادة الحق التى يترتب عليها إعادة حق إلى صاحبه.. وهكذا.

ومن أجل هذا كله كان ترك ما لا يعنى

(٢) صحيح مسلم جـ١ - ص ٦٨.

(٣) صحيح مسلم جـ٤ - ص ١٩٨٣.

(٤) جامع العلوم والحكم جـ١/ ٦١٢.

مقيدًا بحكم الشرع لا بحكم الهوى..

وأكثر ما يراد بترك ما لا يعنى حفظ اللسان من لغو الكلام كما قال ﷺ: «إن من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه» (رواه أحمد فى المسند)..

ومجال الكلام واسع جدًا فى هذا الموضوع، وأكثر ما يكون الوقوع فيما لا يعنى، يكون من قبل الكلام، ولذا نجد التحذير منه والنهى عنه موجودًا فى الكتب السابقة، وفى الصحف الماضية، ونجده محرمًا على الأمم السابقة.

عن أبى ذر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «كان النبى ﷺ قد قال: كان فى صحف إبراهيم - عليه السلام - وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن تكون له ساعات.. ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله - تعالى -، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل ألا يكون ظاعنًا (أى ساعيًا) إلا لثلاث: تزودًا لمعاد أو حرفة لمعاش، أو لذة فى غير محرَّم، وعلى العاقل أن يكون بصيرًا بزمانه مقبلاً على شأنه حافظًا للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».. رواه ابن حبان فى صحيحه..

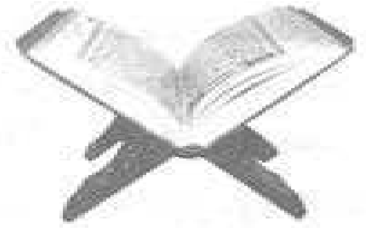
وقال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: «من عد كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما لا يعنيه إنَّ ترك الإنسان لما لا يعنيه ضابط من أهم ضوابط الفضائل والآداب، ومكارم الأخلاق، ولكنه مقيد بحكم الشرع حتى لا يتلاعب به المتلاعبون، أو تصرفه أهواء النفوس على حسب ما تريد».

وحتى لا يقصر الناس فى واجبات مهمة بدعوى هذه القاعدة، فالإسلام دين الاعتدال والحق والفضيلة ينشد من أتباعه أن يكونوا متعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وأن يكونوا متواصلين متعاطفين فى غير تطفل أو دخول فيما لا يعنى.

إنه دين الأدب العالى والذوق الرفيع، لم يترك صغيرة أو كبيرة من الفضائل والآداب إلا أتى بها ودعا إليها..

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه......

❊❊❊



دروس قرآنية فى التربية العملية

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

٢ من وسائل الإيضاح

وفى هذا السياق التربوى الذى نحن بصدده نرى أن التربية فى القرآن الكريم لم تقتصر على طريقة الحوار مع إبراهيم وموسى حيث السؤال الملهم والجواب الملهم ولكن التمعن فيها يكشف عن طرق تربوية أخرى- ولله المثل الأعلى- مثل طريقة ما يسمى فى عصرنا بوسيلة الإيضاح «أو الوسيلة المعينة أو تكنولوجيا التعليم كما يقال» وهنا يتعلم المتلقى عن طريق المشاهدة الشارحة بالوسيلة الواضحة.

وتأمل هنا فى بدايات البشرية وبواكيرها كيف جرت التجربة على ابنى آدم «قابيل وهابيل» وهى القصة المعروفة عن مولد أول جريمة قتل فى بنى آدم حيث طوعت لقابيل نفسه قتل أخيه هابيل فقتله إذ يقول القرآن الكريم:

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾

(المائدة ٣٠)

وتأمل هنا الأسلوب المعجز فى تعبيره بكلمة «طوعت له نفسه» وكلمة

﴿ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾

بينما كان ينبغى أن تقاوم النفس الآدمية هذه الطاعة الشريرة رعاية للرحم، وحسابا للأخوة وحماية للمخلوق الوليد الذى جعله الله خليفة فى الأرض، ولكنه «الغضب» الذى نهى عنه رسول الله ﷺ. كما أنه «التسرع» الذى يحجب ضبابه الطارىء الكثيف التفكير المتأنى السليم، بل إنه الشر الذى ولد مع الخير منذ رد إبليس اللعين الأمر الإلهى بالسجود للنفخة الإلهية التى أودعها الخالق سبحانه طينة آدم عليه السلام.

ولكن كيف يوارى الجانى الأثيم آثار زلته الشنعاء ولا سيما عورة أخيه التى يجب ألا تنكشف من جسده؟

ولقد قيل إن قابيل بعد أن قتل أخاه هابيل تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به، فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى أروح[1] وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين، فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة.[2]

وهنا ذهبت السكرة، وجاءت الفكرة كما يقال:

﴿ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾

(المائدة آية ٣١)

يقال إنه لما قتله اسود جسد القاتل قابيل وكان قبل ذلك أبيض البشرة وكانت هذه العلامة الإلهية التى استدل منها آدم بالإلهام الإلهى أنه قتل أخاه.

ويستغرقنا هنا التأمل فى حكمة الحق سبحانه: لماذا جعل الغراب بالذات هنا هو (وسيلة الإيضاح) التى عرضها فى معرض جريمة القتل الشنعاء، ولم يجعله هدهداً مثلا أو بلبلا أو عصفورا أو غير ذلك من كرام الطير؟

ألا يرجع هذا -والله أعلم بمراده- إلى أن (الجزاء من جنس العمل)، فإن الذى يليق بهذا العمل الأثيم هو طائر لئيم.

فالغراب من لئام الطير، وليس من كرامها ولا من أحرارها ومن شأنه أكل الجيف والقمامات، يقال إن نوحاً عليه السلام لما وجهه ليأتيه بخبر الأرض (أثناء الطوفان) ذهب ولم يرجع وترك أمره ووقع على جيفة، ولذلك سمى فاسقا لأن الفسق هو الخروج عن الشىء[3] وحسب قابيل سوءا أن يجعله ربه من بين المخلوقات فى مرتبة أسوأ خلقا من مرتبة هذا الطائر الكريه الذى يضرب به المثل فى اللؤم والشؤم، ومن ثمة يتنبه «قابيل» لذلك فيقول:

﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ (المائدة: ٣١)

تطيراً منه واحتقارا لنفسه وندما على أن يكون بطل هذه الحماقة وتلك المأساة منذ نقم على أخيه الهادىء الوديع المستسلم لمشيئة ربه، ونصح أبيه رغم قدرته على البادأة حتى لقد كانت آخر كلماته على هذه الأرض

﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

(سورة المائدة الآية ٢٨)

كما يدعونا التأمل فى سياق هذه الصورة

---

(١) أروح الماء: أنتن، وأروح الشىء أى وجد ريحه (معاجم اللغة).

(٢) تفسير النسفى

(٣) حياة الحيوان الكبرى للدميرى عن الجاحظ

التـربوية- إلى أن تتـفكر كـيف ترك الله سبحانه وتعالى القاتل قابيل يعانى طوال عام كما يقول المفسرون من حيرة النفس، وضياع الأمل، وتشتت الفكر، زائغ العقل، مضطرب السلوك يحاول حماية جسد ضحيته من السباع الوحشية التى تلاحقه أينما ذهب وتتحين الوقت الذى تنقض فيه على هذه الجثة النقية الهامدة.

فهل ذلك ضرب من العقوبة الإلهية فى مثل هذا الموقف الذى استهلت به الإنسانية وجودها على هذه الأرض.

غير أنه جدير بنا أن نتساءل: ترى لو أن الله عز وجل لم يبعث غراباً يبحث فى الأرض ليعلم قابيل كيف يوارى سوأة أخيه ماذا كنا نصنع نحن كبشر من بعد قابيل جيلاً بعد جيل؟

ألا ترى أن هذا نوع من التربية العملية للإنسان حتى يكون ذلك نبراساً له فى حياته، وبعد الممات، فى حياته يترقب يوم الرحيل والعمل له، وبعد الممات فى توفير الكرامة والتكريم لبنى آدم الذين قال الله فيهم

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

(الإسراء: ٧٠)

ولعلنا الآن نفهم من ذلك أن هذا التكريم الإلهى للإنسان هو فى الحياة وفى الممات جميعاً.

فمنذ ذلك الزمن السحيق «تعلم» الإنسان من ربه الذى سخر مشهد الغرابين كوسيلة تعليمية لبنى آدم كيف يدفن الموتى فلا يترك جسد الميت فى العراء نهباً لنهش السباع من الحيوان، والجوارح من الطير، بل وقاية للإنسان الذى كرمه الله سبحانه من أن تظهر عورته بلا إرادة منه أمام غيره من الناس الذين قد يتهشونه أيضاً بالألسن والأنظار، أو بالشماتة والاحتقار لا بالتدبر والاعتبار، وفى أحسن الأحوال بالإشفاق والازدراء.

وكذلك التعلم بالمشاهدة

وإذا كان القرآن الكريم قد أضاء على الأنام فى كل زمان ومكان بآيات «التربية العملية» المتمثلة فى طريقة «الممارسة العملية» كما وجدنا عند إبراهيم -عليه السلام- وفى أسلوب «الحوار» كما رأينا عند موسى عليه السلام، وفى نهج «وسيلة الإيضاح» كما لمسنا عند ابنى آدم فإنه أيضاً قد لفتنا إلى طريقة «التعلم بالمشاهدة» من خلال ما وقع لنبى من أنبياء بنى إسرائيل هو «عزيز» الذى نزل فيه

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة ٢٥٩)

يقول ناصر الدين البيضاوى صاحب «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»... «قيل هو عزير بن شرخيا أو الخضر أو كافر بالبعث ويزيده نظمه مع «نمرود»[٤] ويقول الطبرى «ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحياء خلقه بعد مماتهم وبإعادتهم بعد فنائهم وأنه الذى بيده الحياة والموت- أى تعرف هؤلاء المنكرين- من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بنى إسرائيل بإطلاعه نبيه محمداً ﷺ على ما يزيل شكهم فى نبوته، ويقطع عذرهم فى رسالته إذ كانت هذه الأنباء التى أوحاها إلى نبيه محمد ﷺ فى كتابه من الأنباء التى لم يكن يعلمها محمد ﷺ وقومه، ولم يكن علم ذلك إلا عند أهل الكتاب، ولم يكن محمد ﷺ وقومه منهم، بل إن محمداً ﷺ لم يعلم ذلك إلا بوحى من الله إليه» ويروى عن على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- أنه قال هو عزير، كما ذكر ابن كثير فى تفسيره.

وأما القرية التى ذكرها هنا القرآن الكريم فهى «بيت المقدس» حين خربه بختنصر[٥]

وقيل هى القرية التى خرج منها الألوف[٦] وقد سقطت حوائطها على سقوفها فصارت خربة، وكان قد رآها «عزير» عندما مر بها من قبل عامرة بالحياة، صاخبة بالحركة غنية بالزروع والثمار، ومن هنا لم يملك إلا أن يتساءل

﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

وذلك اعترافاً منه بالقصور عن معرفة طريق الإحياء، «فأنى» هنا تعنى «متى أو كيف؟». وكان آنذاك يمتطى حماره ويحمل معه من الطعام تيناً «وقيل عنباً» ومن الشراب عصيراً «وقيل لبناً» ونلحظ هنا أن هذه الألوان من الطعام والشراب سرعان ما يلحقها الفساد إذا مضى عليها يوم أو بعض يوم فضلاً عن عام كامل.

ولكى يريه الحق سبحانه من آياته، فإنه عز وجل يرد عليه رداً تربوياً عملياً له ولقومه بعد ذلك فيقول جل وعلا

﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾

وقيل إنه مات ضحى، ثم بعث بعد المائة قبل غيبوبة الشمس ولذلك أجاب قبل أن ينظر إلى الشمس وهى فى طريق الغروب:

---

(٤) نمرود: هو الطاغية الذى حاج إبراهيم عليه السلام وعارضه فى ربوبية ربه إذ أبطره الملك، ولما كان قومه من أهل التنجيم سأله إبراهيم عليه السلام: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ (البقرة: ٢٥٨).
وهى الآية السابقة مباشرة للآية الخاصة بعازر، ومن هنا جاء تفسير البيضاوى.

(٥) بختنصر أو (نبوكد نصر) ملك الكلدانيين (٦٠٤ ق.م - ٥٦١ ق.م) أغار بحملاته على مصر وفتح أورشليم وأحرقها.

(٦) أى التى نزل فيها قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ (البقرة: ٢٤٣)

﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا ﴾

ثم لما التفت فرأى بقية الشمس قال:

﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾

وهكذا قام «عزير» من رقاد، وبعث من موت، وعندها أخذ حماره وشرع يتعرف الطريق إلى بيته فإذا جاريته التي تركها في ربيع حياتها، ونضارة شبابها قد صارت عجوزاً فانية وقد غشي بصرها، وذوى عودها ووهن عمرها.

وسألها: أهذا منزل عزير؟ فأجابت: نعم ولكن عزيراً قد ذهب ونسيه الناس، وما ذكره أحد من زمن بعيد إلا الآن.

وكانت المفاجأة عندما قال لها: أنا عزير، أماتني الله مائة عام، وها قد بعثني إلى الوجود وردني إلى الحياة فاضطرب أمر العجوز وأنكرت هذه الدعوى، وقالت: إن عزيراً كان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة، فإذا كنت هو فادع الله أن يصح جسمي ويرد بصري، فدعا الله، وإذا هي ذات بصر حديد فقبلت يديه ورجليه [٧] ثم ذهبت من ساعتها إلى القوم من بني إسرائيل حيث أبناؤه وأحفاده الذين بلغ بعضهم آنذاك الثمانين، وصاحت فيهم: إن عزيراً الذي فقدتموه منذ مائة عام قد رده الله رجلاً غض الإهاب فتي الشباب.

وهنا طلع عليهم عزير قوياً فتياً، فأنكروه وأرادوا أن يمتحنوه بالبرهان، قال أحد أبنائه: إن لأبي شامة في كتفه كان يتميز بها، وكشفوا عن كتفه فإذا العلامة بارزة للعيان أمام أبنائه وأحفاده، ومع ذلك أرادوا أن تطمئن قلوبهم وتمحى خيوط الشك من أنفسهم فقال كبير منهم: لقد حدثنا أنه منذ أحرق بختنصر التوراة لم يكن على الأرض من يحفظ التوراة إلا قليلاً ومنهم عزير، فإذا كنت أنت عزيراً فاتل علينا ما كنت تحفظه منها، فقرأها لهم حتى إنه لم يترك نصاً ولم يحرف جزءاً، وعند ذلك أقبلوا عليه مصافحين ومصدقين ومباركين إلا أنهم -لشقوتهم- ما ازدادوا إيماناً بل ازدادوا كفراً فتحركت ألسنتهم الشيطانية الجاحدة قائلين:

﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾

«التوبة ٣٠» «١»

ولعل هذا هو المقصود- والله سبحانه أعلم- بقوله تعالى:

﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾

وبعد، فهذه دروس قرآنية في التربية العملية تذكر بها من يعلم، ونسوقها إلى من لا يعلم تبصيراً لأبصارنا وبصائرنا بالأبعاد اللانهائية للمعاني اللدنية النورانية التي جدير بنا أن نرصع بها أساليبنا التربوية لأبنائنا ولا سيما من الذين نعدهم ليكونوا حملة رسالة التربية ومشعل التعليم دون أن نردد في ببغاوية جوفاء «كاد المعلم أن يكون رسولاً» فهلا وعينا ما نقول؟ ألا ياليت؟

(٧) قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرون.

قصة العدد

شاعر يخفي لواعجه

للدكتور/ أبي حسام

جلس أسلم الخزرجي وكان من كبار التجار بالمدينة المنورة مع ابن عمه تميم الخزرجي يتطارحان أحاديث المعيشة والتجارة في البلدة المنورة، وكانا معاً في رغد من العيش، أما تميم فلم يكن يبرح مكانه، وأمّا أسلم فقد ألف السفر إلى العراق وما حوله، وإلى مصر وقراها تاجراً يحمل البضائع، ويعود بالربح الجزيل، وقد قال لتميم: إنه ربما أطال الرحلة في ريف العراق هذا العام، ولكنه غير مطمئن على منزله، إذ ليس به غير امرأته وابنته، وهما يحتاجان إلى من يقوم على خدمتهما بعد أن مات عبده الأمين مصعب، وكان من الإخلاص والوفاء بحيث يعز نظيره من العبيد، فقال تميم بعد أن فكر بعض الوقت: «إن لدي عبداً وفياً شديد الأمانة، أتنازل لك عنه ليقوم مقام مصعب، ولي أمة هي ابنة عمه تؤثقت بينهما صلات القرابة، وعسيرٌ عليهما أن يفترقا!!» فقال أسلم: سأشتريهما منك إذا تفضلت، ولديك سواهما من العبيد، ما دمت تثق في أمانة العبد، فقال تميم: هما لك، ولكن نصيباً -وهو اسم العبد- قد تسامحت معه كثيراً، فأنا أتركه يذهب إلى مسجد رسول الله ﷺ في أكثر الأيام من العصر إلى بعد العشاء ليسمع دروس الفقهاء، وله معرفة بعروة بن الزبير، وعروة بن أذينة، فإذا انتهى إليك فلا تحل دون رغبته، فقال أسلم: زدتني له حباً، فخيرٌ للعبد أن يتصل بالمسجد النبوي وفقهائه، من أن يرد موارد اللهو والإفحاش، ولم ينفض المجلس حتى انتقل نصيب وابنة عمه أمامة من منزل إلى منزل.

كان نصيب هادئاً متزناً، وكان من الطاعة والامتثال بحيث نال محبة سادته في المنزل، وكذلك كانت أمامة ابنة

عمه، وقد وجدت فيها فاطمة -زوج أسلم- خير معين لقضاء حاجات المنزل من طبخ وغسل وتنظيف، أما الشابة الجميلة صفية بنت أسلم، فقد منحتهما وداً لم يكونا يتذوقانه من قبل، وقد سافر أسلم إلى ريف العراق مطمئناً على راحة منزله، وشاكراً لأخية ما ضحى به من أجله، حين تنازل عن عبديه مؤثراً إياه على نفسه!.

وقد تابع نصيب شغفه بدروس المسجد النبوى، فإذا حان وقت العصر لبس أنظف ثيابه وتوضأ في خشوع، ثم استأذن في الذهاب بعد أن قضي حاجات المنزل، وكان يحمل معه أوراقاً يكتب فيها ما يروقه من الأحكام الشرعية، وما يحب أن يحفظه من كتاب الله، وقد بكّر للمسجد النبوى قبل أذان العصر فوجد عروة بن أذينة ينشد قوله:

إن التي زعمت فؤادك ملّها
خُلقتْ هواك كما خُلقتَ هوىً لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فأدقها وأجلّها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا وأقلّها
فدنا وقال لعلها معذورة
في بعض رقبتها فقلتُ لعلها

فَعَرَتْ جسم نصيب قشعريرة، وأخذ يبكي، فتعجب عروة، وقال له: أراك عاشقاً يا أسود!. فقال نصيب: إن شعرك هزّني، ولا أقدر أن أقول مثله، فقال له: وتقول الشعر؟. قال: نعم. قال: ولماذا لا تُسمعنا بعض ما قلت؟. قال: لقد حلفتُ ألاَّ أُسْمع أحداً بعد ما كرهت من قول الفرزدق. قال عروة: وماذا قال لك؟. قال: قال لي: إن الأسود الأجرد لا يجب أن يقول الشعر، ولم أسمع بشاعر أسود يستطيع أن يقول بيتاً في المديح، فضلاً عن أن يقول في الغزل، فأنطق الله لساني وقلت له: عنترة العبسي أسود مثلي، وقد قال في الغزل ما لا تستطيع أن تقول مثله. فنظر إليّ وقال في غضب: وأيُّ كلام يُسْتَحْسَن في الغزل من قول عنترة؟. قلت: مثل قوله:

ولقد ذكرتك والرماحُ نواهلٌ
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف؛ لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فقال الفرزدق: أسمعني بعض ما قلت. فأسمعته قولي:

وقفتُ لها كيما تَمُرّ لعلني
أخالسها التسليم إن لم تسلم
ولما رأتني والوشاة تحدرت
مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت
أشترى حياة جميع العاشقين بدرهم

فنظر إليّ باشمئزاز، وقال: اكتُم

قولك هذا عن الناس، كيلا يسخروا منك؛ ولذلك أخشى أن أكون مخدوعاً، لأن الفرزدق أعلم بالشعر مني.

فنظر عروة إليّ وقد ضرب كفاً بكف وقال: حسدك الفرزدق يا أسود، فاذع شعرك في الناس، ثم أذع، وأنا لا أجاملك حين أزكيك!.

رجع نصيب إلى منزله، ونادى أمامة، وكانت موضع سره ونجواه، وكانت تحذره أن يجهر بشعره، مخافة أن يكون ركيكاً فيسقط من أعين الناس، فقال لها: لقد أنشدت شعرى لعروة بن أذينة وهو شاعر فقيه، فأثني عليه، ولم يعد لدى شك في جودته، والشعراء يرتزقون بمدائحهم، وأستطيع أن أمدح ذوى الثراء، فأنال ما أعتق به رقبتي ورقبتك، ونكون من الأحرار، فسكتت ملياً، ثم قالت: ومن تريد أن تمدحه من الناس؟. فقال: هذا سؤال فكرت فيه كثيراً ثم قلت في نفسي: إن بلاط أمير المؤمنين في دمشق يؤمه كبار الشعراء من أمثال الفرزدق وجرير والأخطل، وليس لي معهم موضع، فالأجدر أن أرحل إلى مصر ففيها أخوه عبدالعزيز بن مروان، وهو كريم يعشق الشعر، ويؤمه كبار المادحين، وأستطيع أن أزاحم مادحيه عن جدارة، وسيحضر سيدى أسلم من رحلته بعد أيام، وهو همامٌ ماجد لن يخيب رجائي إذا أعلمته بالعزم على الرحلة. فقالت أمامة: وسأخبر سيدتي فاطمة بأمنيتك لتشفع لديه، فهي تؤثرك بعطفها وتعلم أنك طوعُ أمرها في كل ما تشير به، وسكتت أمامة ثم قالت في دعابة: لقد ذكرت أنك ستعتق رقبتي إذا عدت بما تؤمل من عطاء!. فقال لها في جد: لو لم أجد ما يكفي لنا معاً، فأنت الأولى، وهذا عهدى!.

وجاء أسلم، فلمس من ثناء فاطمة وصفية على نصيب وأمامة، ما أبهج خاطره، وأنزلهما منزلاً كريماً في نفسه، وخلت به فاطمة فحدثته عن أمل نصيب في الرحلة إلى مصر، وأنها تحب له الخير كفء لجهده وتفانيه في خدمتها!. فقال: نصيبٌ لدينا في أكرم موضع، فلماذا يتعب نفسه بالرحيل؟. فقالت في لباقة: عبدٌ ينشد الحرية، وهو أهل لها، فهل تقف في طريقه؟. فقال: كلا ثم قام إلى مثوى نصيب، وناداه في ابتسام، وقال له: ارحل متى تشاء، وإذا التمست لنفسك الحرية، فأنا معك، وكان نصيب كالمتردد قبل أن يسمع موافقة أسلم، فنهض إليه وقبل يده، ثم نادته فاطمة مبتهجة، وقالت له: لا يشغلك أمر الرحلة، فأسلم سيهبك نفقات الطريق!. ولم تكُ غير أيام حتى كانت القافلة تأخذ طريقها من المدينة إلى مصر، وكان نصيب أحد المسافرين بها، وقبل أن تبدأ المسير وقفت أمامة تودعه، وفي عينيها

دموع تشي بما بين جوانحها من شجون!.

بلغ نصيب قصر الأمير عبدالعزيز بحلوان، وكان يظن الدخول عليه سهلاً ميسورًا، فرأى من الحُجّاب والحُرّاس ما عقّد مهمته، وقد تذلل لأحدهم كي يسمح له بالدخول؛ لأنه شاعر يحمل مدحة شعرية للأمير، فقطب في وجهه، وقال ساخرًا: عبد أسود دميم يقول الشعر ويطمع في لقاء الأمير، وحار نصيب في ما يصنع، ثم رأى سيدًا مهيبًا يخرج من القصر، وفي وجهه سماحة ونبل، فتقدم يقول له إنه شاعر ويريد لقاء الأمير بوساطته، فابتسم السيد وقال له: أسمعني ما قلت، فسمع ما أعجبه، ولكنه قال له: أخشى أن يكون هذا شعر غيرك، فإن أردت أن أصدقك، فصف وادي النيل. فقال نصيب: أمهلني ساعة، فقال: وساعتين، ومنزلي هو هذا، فإذا أتممت قولك فانهض إليّ، وكان الله قد شاء أن ينصفه فقال نصيب أبياتًا جيّدة تدل على موهبة مطبوعة، وسارع إلى السيد فقرأها مسرورًا، ونهض به إلى القصر، وحظى بلقاء الأمير، فتعجب حين رآه بدءًا، ثم سمع تزكية صاحبه، فأذن له بالإنشاد، بعد أن عرف أنه امتُحن قبل أن يسمح له بالدخول، فأصاب التوفيق، وكانت مدحة الشاعر من أحسن ما مُدح به الأمير، وقد مدحه الكثيرون فلم يبلغ أكثرهم مبلغه، وإذ ذاك رحب به وسهّل له الدخول عليه في أي وقت شاء، وعيّن له مكانًا يستجم به طيلة مقامه بمصر، ممتّعًا بما يرجو من الحياة، وكان أيمن بن خزيم الأسدي شاعر الأمير المجتبى لديه، فاستدعاه الأمير ليقول له في ابتسام: ماذا ترى في هذا الأسود؟. فقال أيمن: لنعم الراعي لغرائب الإبل في الفلوات، فقال: إنه شاعر مثلك، فغضب صارخًا: وتقول مثلي، فقال الأمير: قل يا نصيب مدحتك، وكان الشاعر واثقًا من جودة شعره، ومن رضا الأمير عنه، فأنشد مدحته في مجلس الأمير بين الإعجاب والاحتفال، أما أيمن فقال للأمير في غيظ: إذا كان هذا العبد شاعرًا يجلس في مجلسك فسأرحل إلى العراق لدى أخيك بشر بن مروان، فقال الأمير: بلّغه سلامي، وعرف أيمن أن نجمه قد أفل، فأسرع بالرحيل، فظل نصيب ممتعًا بعطف الأمير في حلوان، ولكن الذي كان يزعجه، ويترك نفسه موزعة بين الشوق واللهفة، أنه كان يهوى الفتاة الحسناء صفية بنت أسلم هوى عاصفًا، ولا يقدر أن يبوح لأحد، حتى أمامة، وهو يعلم أنه حب يائس يكاد أن يكون حرامًا لا يُحلّه الله لمثله، ولكن ماذا يصنع وخيالها يراوحه ويغاديه دون انقطاع، وكل يوم يمر عليه في حلوان يزيده قلقًا وابتئاسًا، وقد طال به المقام قرابة شهر كان أثقل عليه من عشرة أعوام مع ما يسمح به من عطف الأمير، وكرمه الفياض، فلما ضاق صبره، تقدم إلى الأمير بأبيات يُعلن فيها حاجة أمامة، وبقية أسرته إليه، وأنهم يرتقبونه ارتقاب الظامئ إلى الشراب، وينتظرون الخير من مقدمه، يقول نصيب مخاطبًا الأمير، وكان يكنى «بابن ليلى»:

وإنَّ وراء ظهري يا بن ليلى ... أناسًا ينظرون متى أءوب

أمامة منهمو ولمأقيها ... غداة البين في أثرى غروب

تركت بلادها ونأيت عنها ... فأشبه ما رأيت بها السلوب

فأتبع بعضنا بعضًا فلسنا ... نشيبك لكن الله المثيب

ولمح الأمير دلائل الصدق في قوله، فوافق على ارتحاله، ومنحه من المال ما لم يكن يتصوره من قبل، وسرعان ما خبّت به الركاب مع القافلة السريعة إلى المدينة، فدخلها بليل متجهًا إلى منزل أسلم، وكانت مفاجأة سارة لأهل المنزل جميعًا، ولا سيما أمامة، وفي الصباح تقدم إلى سيده بمال العتق، فقال أسلم: وماذا ستصنع الأسرة إذا رحلتما عنها، فقالا في صوت واحد: لن نرحل، فسنكون كما كنا من قبل، ولكن أحرارًا أصدقاء، ثم استدرك نصيب فقال: بل خدم مخلصون، قال أسلم: لا، بل إخوة متحابون!. ومضت ساعة صفو هانئ، لم تخطر على بال.

وخلا نصيب بأمامة فأعلمته دون أن تدري لوعة فؤاده أن سيدتها صفية ستزف في الأسبوع القادم إلى شاب مدني من كرائم الأسر، فطفرت الدموع من عينه، وصاح كأنما لدغته أفعى، فانزعجت أمامة وقالت في لهفة: ما أصابك يا نصيب؟. هل جُنّ عقلك حتى طمعت في مثلها؟!.. أنا وأنت خادمان لديها، فلا تظهر بعض ما يدل على تهورك، فنطرد من هذا المكان العزيز إلى الأبد!. ويذيع الحديث فنصبح سخرية الناس.

قام نصيب وتوضأ، وغسل وجهه داعيًا ربّه أن يلْطُف به، حتى إذا عاد إليه هدوؤه تقدم إلى أمامة فاحتضنها في رقة، وقال لها: ليس لي سواك، وستكونين بلسم قلبي الناغر، وستمر الأيام فأسلو، ولكنْ لابد أن أعلن لسيدي من الآن ما عزمنا عليه من الاقتران!. فدمعت عيناها، وتطلعت إليه في حنان دافق وقالت: منذ عرفتك في طفولتي وصباي وشبابي وأنت أملي الوحيد، فقال وكأنه يفيق من حلم: كنت نائمًا يا أمامة فصحوت!.

***

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ الْقُرَّاءِ

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعــة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٢١٥٥ لسنة ٢٠٠٦ المتضمن الأسئلة الآتية:

إن من الشعر حكمة

• السؤال الأول من السيدة هـ. ع. ع:

أحب الشعر كتابة وقراءة، ولكنى قرأت فى بعض الكتب أنه قرآن إبليس، وقرأت أيضا فى كتب أخرى أن النبى - ﷺ - كان له شاعران، فكيف التوفيق بين ذا وذاك؟

•• الجواب: لم يصح هذا النص فى السنة، وثبت عن النبى - ﷺ - أنه سمع الشعر واستنشده وكان يُعجبه الحسن منه ويطرب له، وينهى عن القبيح منه وينفر منه، وكان يأمر حسان بن ثابت - رضى الله عنه - بإنشاده ويدعو له ويقول: «أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس»، وثبت عنه - ﷺ - أنه قال: «إن من الشعر حكمة» رواهما البخارى، قال ابن حجر فى فتح البارى: «والذى يتحصل من كلام العلماء فى حد الشعر الجائز أنه: إذا لم يكثر منه فى المسجد، وخلا عن هجو، وعن الإغراق فى المدح، والكذب المحض، والتغزل بمعين لا يحل، وقد نقل ابن عبدالبر الإجماع على جوازه إذا كان كذلك» أ. هـ وإنما قيد الكذب بالمحض: لإخراج ما كان منه على سبيل الاستعارة والتجوُّز، وفرق ما بين المجاز والكذب: القرينة، وما ورد من الأحاديث والآثار فى ذم الشعر وقائليه فمحمول على القبيح منه أيا ما كانت جهة قبحه، ولذلك لما ذم الله - تعالى - الشعراء فى كتابه الكريم بيَّن مناط الذم فقال:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧)

وأخرج البخارى فى «الأدب المفرد» عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تقول: «الشعر منه حسن ومنه قبيح، خذ الحسن ودع القبيح، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا، منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك»، قال الحافظ فى الفتح: «وسنده حسن، وأخرج أبويعلى أوله من حديثها من وجه آخر مرفوعا، وأخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» أيضا من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعا بلفظ: «الشعر بمنزلة الكلام: فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»، وسنده ضعيف، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط وقال: لا يروى عن النبى - ﷺ - إلا بهذا الإسناد، وقد اشتهر هذا الكلام عن الشافعى» أ. هـ.

وقد أورد الحافظ آثارا عدة عن جماعة من كبار الصحابة ومن كبار التابعين أنهم قالوا الشعر وأنشدوه واستنشدوه: فأخرج البخارى فى «الأدب المفرد» عن خالد بن كيسان قال: كنت عند ابن عمر رضى الله عنهما فوقف عليه إياس بن خيثمة فقال: ألا أنشدك من شعرى؟ قال: بلى، ولكن لا تنشدنى إلا حسنا.

وأخرج ابن أبى شيبة بسند حسن عن أبى سلمة بن عبدالرحمن قال: «لم يكن أصحاب رسول الله - ﷺ - متحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الأشعار فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحدهم على شىء من دينه دارت حماليق عينيه»، ومن طريق عبدالرحمن بن أبى بكرة قال: «كنت أجالس أصحاب رسول الله - ﷺ - مع

أبي في المسجد فيتناشدون الأشعار ويذكرون حديث الجاهلية».

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة والترمذي وصححه من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: «كان أصحاب رسول - ﷺ - يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله - ﷺ - فلا ينهاهم، وربما يتبسم».

وأسند الإمام ابن جرير الطبري في كتابه «تهذيب الأخبار» جملة من الآثار في ذلك عن السلف الصالح: فروى عن الشعبي أنه قال: «كان أبوبكر رحمة الله عليه يقول الشعر، وعمر يقول الشعر، وكان عليٌّ أشعر الثلاثة، رحمة الله عليهم».

وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «الشعر ديوان العرب، هو أول علم العرب، عليكم شعر الجاهلية وشعر الحجاز».

وروى عن مطرف بن عبدالله بن الشخير، قال: «صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه شعرا».

وروى عن ابن أبي الزناد، قال: قيل لسعيد بن المسيب: إن أناسا يكرهون الشعر، قال: «نسكوا نسكا عجميا».

وروى عن عباد بن راشد، قال جاء رجل إلى الحسن، فقال: إني أتعلم القرآن، وإن أبي يأمرني أن أتعلم الشعر، فقال: «تعلم القرآن، وخذ من الشعر ما ترضى به أباك».

شربها حرام وتقديمها حرام

● السؤال الثاني من السيدة هـ. ع:

زوجي لا يشرب السجائر، ولكنه يعطيها لغيره كتحية، فما حكم ذلك؟

●● الجواب: من المقرر شرعا أن ما حرم أخذه حرم إعطاؤه، كما أن ما حرم استعماله حرم اتخاذه، وقد تقرر طبا ما للسجائر من أضرار بالغة تستوجب الحكم بتحريمها، فإذا كان شربها حراما فتقديمها أيضا حرام، إذ كيف يرضى المرء الضرر لغيره وهو لا يرضاه لنفسه، والنبي - ﷺ - يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، متفق عليه من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - ثم إن المسلم مأمور بأن يكرم ضيفه كما قال النبي - ﷺ - «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، متفق عليه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وليس من إكرام الضيف بحال أن يوقعه المضيف في الإثم بتناول ما حرم الله تعالى.

من أكل ثوما أو بصلا

● السؤال الثالث من أ. ن. ع:

ما حكم من أكل طعاما له رائحة نفاذة مثل الفسيخ أو أكل ثوما أو بصلا.. هل

الأزهر

يجوز له حضور جماعة الصلاة في المسجد؟

●● الجواب: يجوز ولكنه مكروه، إلا إذا كانت هناك ضرورة فتزول الكراهة حينئذ، قال النووي في «المجموع» شرح «المهذب» في فقه الشافعية: (يكره لمن أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو غيرها مما له رائحة كريهة وبقيت رائحته أن يدخل المسجد من غير ضرورة، للأحاديث الصحيحة في ذلك منها حديث ابن عمر أن النبي - ﷺ - قال: «من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقربن مسجدنا»، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية مسلم: «مساجدنا»، وعن أنس قال النبي - ﷺ - «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا ولا يصلين معنا»، رواه البخاري ومسلم، وعن جابر قال - النبي ﷺ - «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا - أو فليعتزل مسجدنا»، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»). أ. هـ، وقريب من ذلك قول ابن قدامة الحنبلي في «المغني»، حيث يقول: وليس أكلها محرما، لما روى أبو أيوب أن النبي - ﷺ - بعث إليه بطعام لم يأكل منه النبي - ﷺ - فذكر ذلك له، فقال النبي - ﷺ - «فيه الثوم»، فقال: يا رسول الله، أحرام هو؟ قال: «لا، ولكنني أكرهه من أجل ريحه»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى أن النبي - ﷺ - قال لعلي: «كل الثوم، فلولا أن الملك يأتيني لأكلته»، وإنما منع أكلها لئلا يؤذي الناس برائحته، ولذلك نهى عن قربان المساجد، فإن أتى المساجد كره له ذلك، ولم يحرم. أ. هـ.

لابد من الطهارة عند قراءة القرآن

● السؤال الخامس من السيدة هـ. و. ى:

هل يجب الوضوء عند قراءة القرآن أو الدعاء والاستغفار وأذكار الصباح والمساء؟

●● الجواب: تستحب قراءة القرآن وذكر الله - تعالى - على طهارة، ومن قرأ القرآن وهو غير جنب أو ذكر الله على غير طهارة من الحدثين الأكبر أو الأصغر جاز بإجماع المسلمين، للأحاديث الكثيرة الدالة على أنه - ﷺ - كان يذكر الله على كل أحيانه، أما قراءة القرآن الكريم مع مس المصحف فلابد فيه من الطهارة من الحدثين: الأكبر والأصغر.

❊❊❊

خطبة الجمعة :

الرسول كما يصوره القرآن (*)

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله الموجد من العدم، البارئ للنسم، الرازق للأفراد والأمم، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله، هو صاحب الفضل والأمر بالعدل، وهو أحكم الحاكمين. وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، صنعه الله على عينه، وأيده بلطفه وعونه، فكان خير المصلحين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وذريته، التابعين من أهل صحبته، والسالكين طريقهم في نور هديه وسنته.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام:٨٢)

يا أتباع محمد ﷺ :

مازلنا على مقربة من ذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ، والحديث عن رسول الله لا يمل مهما طال أو تكرر: «وما أحلى مذاق الشهد وهو مكرر»، والذكرى تدبّر واعتبار، وهي لا تثمر ثمرتها، ولا تحقق فائدتها، إلا إذا أوجدت في نفس الإنسان تأثيراً يدفع به

(*) الجمعة ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٢هـ / ٢٨ من أبريل سنة ١٩٧٢م.

إلى هدى، أو يصده عن خنا، ولذلك يقول القرآن:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥)

ويقول:

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (الأعلى: ٩ - ١٣)

والحديث عن رسول الله ﷺ قد ملأ الدنيا وشغل الناس منذ حمل أعباء الرسالة إلى ما شاء الله، وحق له ذلك، فإنه الحديث عن البطولة في أسمى معانيها، وعن القدوة في أطهر مجاليها:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)

وإذا كانت هناك ألوان أو أشكال من الحديث عن الرسول، فإن خير الحديث عنه هو ما نطق به كتاب الله وتنزيله المجيد؛ لأنه أصدق الحديث.

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢)

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٨٧)

ولقد رسم القرآن الكريم للرسول العظيم صورة رائعة، ينبغي أن يشغلنا استعراضها والتمعن فيها مرات بعد مرات، وهذه الصورة للشخصية المحمدية تقوم في أصولها على خمسة عناصر، هي: التشريف، والتكليف، والربط بين التشريف والتكليف، والتذكير بالبشرية وعدم القدرة أمام قدرة الله - عز وجل - والمعاينة أو المحاسبة، وفي كل عنصر من هذه العناصر عبرة وعظة لأولي الألباب.

ولذلك يحب المؤمن أن يبدئ ويعيد، وأن يؤكد ويوطد الصورة الجليلة النبيلة، العظيمة الكريمة، التي رسمها كتاب الله - العلي الأعلى - لشخصية رسول الله ﷺ.

إن القرآن الكريم فيما يتعلق بتشريف الرسول وتكريمه، قد ذكر آيات كثيرة رفعت شأن الرسول إلى أعلى عليين، وجعلته خير الخلق أجمعين، وأقرب الناس إلى رب العالمين، فقال فيما قال:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)

وقال يخاطب الرسول:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

وقال:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣-٤)

وقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

بل زاد القرآن نبى القرآن تكريمًا وتوقيرًا وتشريفًا، حينما أخبرنا بأن طاعة الرسول من طاعة الله:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

(النساء: ٨٠)

وأن متابعته ومحبته من محبة الله:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

(آل عمران: ٣١)

وأن مبايعته من مبايعة الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

(الفتح: ١٠)

وأن حكمه من حكم الله:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

(النساء: ٦٥)

وكأن القرآن قد أراد بذلك - والله أعلم بمراده - أن يقول إن منصب الرسالة قليل عظيم، فلابد أن يكون صاحبه مصنوعا على عين ربه، مزدانا بالفضائل التى تؤهله ليكون القدوة الحسنى والمثل الأعلى لعباد الله فى مجال الخير والصلاح.

وقد يظن غافل أو جاهل أن هذا التشريف الإلهى للنبى لون من ألوان المحاباة أو التدليل، ولكنا حينما نستعرض العنصر الثانى عن عناصر الشخصية المحمدية كما يصورها القرآن، نجد أن هذا التشريف يقابله أثقال وأحمال وأعباء كالجبال من التكاليف والمسئوليات، والتبعات والواجبات، لأن العظائم كفؤها العظام. فالله - تبارك وتعالى - قد ألقى على كاهل رسوله من ألوان التكاليف ما لم يحمله غيره، ولا تستطيع العصبة أولى القوة أن تنهض به. فبعد قليل من إسناد النبوة إلى رسول الله، يقبل عليه سفير الرحمن ليتلو عليه قول ربه:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾

(المدثر: ١ - ٧)

وبعد قليل يعود إليه ليطالبه بتكاليف خاصة لا يكلف بها عامة الناس، وما أجلها من تكاليف. يقول له:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

(المزمل: ١ - ٩)

ثم تتوالى الأوامر والتكاليف:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(الحجر: ٩٤)

﴿ قُلْ هَٰذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ
اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(هود: ١١٢)

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾

(الكهف: ٢٨)

ثم يأتى العنصر الثالث، وهو الربط أو الجمع فى مقام واحد بين التشريف والتكليف، حتى لا ينسى الإنسان واجب التكليف وهو فى غمرة التشريف، حتى يتذكر الإنسان وهو يتعب فى النهوض بالتكليف أن هناك عوضا ومقابلاً فيه تكريم وتشريف، وهذه مثلاً سورة الضحى تتضمن أولاً طائفة من وجوه التشريف ثم تعقبها طائفة من وجوه التكليف:

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾

(الضحى: ١:١١)

ومثل هذا يقال عن سورة الانشراح:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

(الشرح: ١)

ويقبل العنصر الرابع، وهو تذكر الرسول ﷺ بأنه أمام الله بشر، وأنه لا إرادة له أمام إرادة الله:

﴿ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ١١٠)

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾

(الأنفال: ١٧)

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

(البقرة: ٢٧٢)

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

(آل عمران: ١٢٨)

فالرسول الذى لا تستطيع هاماتنا مهما ارتفعت أن تبلغ مواطئ قدميه، هو هو نفسه الذى يقف أمام جلال ربه خاشعا خاضعا خائفا، لا يحس إلا بروح العبودية لخالقه ومولاه، حتى لا يكون هناك معبود سوى الله.

ثم تختم الصورة المحمدية كما رسمها القرآن المجيد بعنصر المعاتبة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾

(التحريم: ١)

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(التوبة: ٤٣)

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾

(الأحزاب: ٣٧)

وكان المراد من ذلك هو أن نتذكر بوضوح وجلاء أن شرعة الحساب شاملة للجميع، وأن الحساب يترتب عليه الجزاء، والجزاء إما ثواب أو عقاب:

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة: ٧-٨)

يا أتباع محمد ﷺ: هذه صورة نبيكم كما صورها قرآن ربكم، وهى صورة يجب أن نتدبرها دائما، وأن نستهديها دائما، فنعرف بتكريم الله لنا، وننهض بما فرضه الله علينا، ونحسن الجمع بين التشريف والتكليف، ونتذكر أن المعبود واحد، وأن الله سيحاسبنا على ما قدمت أيدينا:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(الشعراء: ٨٨ - ٨٩)

***

فضل الصحابة رضوان الله عليهم

٣

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

يستقبل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى شهر المحرم من كل عام، العام الهجرى الجديد، يحتفلون بهذا الحادث التاريخى العظيم، الذى غير وجه البسيطة، وحول الناس من مجارى الشر والشقاء إلى سبل الخير والسعادة وأخرج الإنسانية من ظلمتها وأنقذها من وهدتها وهداها من حيرتها ودفع بها إلى طريق الخير والصلاح.

الهجرة التى كانت بداية لقيام دولة إسلامية قوية أسست على مبادىء الأخوة فى الله والتضامن الإنسانى العام والتعاون على البر والتقوى.

الهجرة التى كان أبطالها صحابة رسول الله ﷺ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فضحوا بكل ما يملكون من مال ومتاع.. غير باكين على ما تركوه وغير نادمين على ما خلفوه.

ولم تكن هجرتهم فرارا من الأذى ولا هربا من التنكيل ولا التماسا للرزق ولا خوارا فى العزيمة ولا خوفا من الموت فى سبيل الله إن استمروا فى مكة تحت سطوة أهل الشرك وقهر أهل الباطل.. وإنما هو الإيمان بالله يملأ نفس صاحبه عزة وكرامة ويأبى عليه أن يخلد إلى السكون أو يرضى بالخنوع.. بل يدفعه إلى أن يسلك سبل إعلاء كلمة الله ونشر راية التوحيد وقهر عبادة الشرك والأوثان.

غير أن المسلمين يستقبلون العام الهجرى الجديد هذا العام ومازال نزيف الآلام التى يعانونها مستمرا منذ أن نشرت إحدى الصحف مقالا يصف فيه بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - بالسوء.. ذلك لأن تجريح صحابة رسول الله ﷺ هو تجريح للإسلام.. والطعن فى صحابة رسول الله - ﷺ - هو طعن فى الإسلام.. لأن هؤلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - هم الذين حملوا عبء وأمانة الدعوة إلى الله وكان لهم الفضل فى حمل مشاعل الهداية والعلم والحضارة

والمدنية إلى العالم..

هؤلاء الصحابة هم المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بصفتهم رواة أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ.. فإذا ما جرّح الصحابى راوى الحديث وطعن فيه جرح الحديث وطعن فيه.. وبالتالى هدم المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى.. وهذا ما يريده ويبتغيه أعداء الإسلام فى تخطيطهم ومؤامراتهم ضد الإسلام.. كى يركزوا جهودهم بعد ذلك إلى الطعن فى المصدر الأول للتشريع الإسلامى وهو القرآن الكريم فيشككوا فيه خاصة وأن بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا هم كتبة الوحى «القرآن الكريم».. ولكن هيهات لما يخططون ويدبرون:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٣٠)

لقد تحدثت فى عددين سابقين من مجلة الأزهر عن مناقب ومآثر و فضل اثنين من الصحابة العشرة الذين ورد ذكرهم فى مقال الصحيفة هما: سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا طلحة بن عبيد الله ـ رضى الله عنهما.

وسأتناول اليوم بإذن الله الحديث عن مناقب ومآثر وفضل صحابى جليل آخر من الصحابة الذين تناولهم المقال.. حتى يتبين للناس جميعا مدى التجنى المغرض الذى وقع على هؤلاء الصحابة الكرام..

الصحابى الجليل هو: «الزبير بن العوام» ـ رضى الله عنه ـ و«الزبير» يلتقى نسبه مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى (قصى بن كلاب) كما أن أمه «صفية» عمة رسول الله ـ ﷺ ـ فهو يجتمع مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى القرابة والنسب.

و«الزبير» ـ رضى الله عنه ـ من المسلمين الأوائل المبكرين بإسلامهم ومن العشرة الذين بشرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنة ومن أصحاب الشورى الستة الذين وكل «عمر بن الخطاب» ـ رضى الله عنه ـ الأمر إليهم فى اختيار الخليفة من بعده ليكون واحداً منهم وقد جاء فى تقديم الفاروق لهم «أنهم أصحاب الفضل والسابقة وأن النبى ـ ﷺ ـ قد مات وهو عنهم راض..

وحين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤاخى بين أصحابه فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة آخى بين «الزبير بن العوام» و«طلحة بن عبيد الله» وطالما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث عنهما معا.. مثل قوله: «طلحة والزبير جاراى فى الجنة»[١] وسبحان الله ظل الإخاء والتماثل بينهما.. حتى مصيرهما كان كامل التماثل بل كان مصيرهما واحدا.

(١) المستدرك ج٣/ ٣٧٤.

لقد أسلم «الزبير» إسلاما مبكرا.. إذ كان واحداً من السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام وأسهموا مع طليعته المباركة فى دار الأرقم وكان عمره يومئذ خمس عشرة سنة.

ولقد كان فارسا ومقداما منذ صباه حتى إن المؤرخين ليذكروا أن أول سيف شهر فى الإسلام كان سيف الزبير.. ففى الأيام الأولى للإسلام والمسلمون يومئذ قلة يستخفون فى دار الأرقم سرت شائعة ذات يوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قتل.. فما كان من «الزبير» إلا أن استل سيفه وامتشقه وسار فى شوارع مكة ـ على حداثة سنه ـ كالإعصار!! ذهب أولا يتبين الخبر معتزما إن هو ألفاه صحيحا أن يعمل سيفه فى رقاب قريش كلها حتى يظفر بهم أو يظفروا به وفى أعلا مكة لقيه رسول الله ﷺ فسأله ما به؟ فأنهى إليه «الزبير» النبأ.. فصلى عليه رسول الله ـ ﷺ ـ ودعا له بالخير ولسيفه بالغلب.

وعلى الرغم من شرف «الزبير» فى قومه فقد تحمل كثيرا من اضطهاد قريش وعذابها وكان الذى تولى تعذيبه عمه.. كان يلفه فى حصير ويدخن عليه بالنار كى تزهق أنفاسه ويناديه ـ وهو تحت وطأة العذاب ـ: «اكفر برب محمد أدرأ عنك هذا العذاب» فيجيبه «الزبير» فى تحد رهيب: «لا.. والله لا أعود إلى الكفر أبدا»..

ويهاجر «الزبير» إلى الحبشة الهجرتين الأولى والثانية ثم يعود ليهاجر الهجرة الثالثة إلى المدينة وليشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ لا تفتقده غزوة ولا معركة.

لقد سجل تاريخ الغزوات والمعارك بطولات فذة لـ«الزبير بن العوام» ـ رضى الله عنه ـ ففى يوم «اليرموك»[٢] كان «الزبير» جيشا وحده.. فحين رأى أكثر المقاتلين الذين كان على رأسهم يتقهقرون أمام جبال الروم الزاحفة صاح هو (الله أكبر) واخترق تلك الجبال الزاحفة وحده ضاربا بسيفه.. ثم قفل راجعا وسط الصفوف الرهيبة ذاتها وسيفه يتوهج فى يمينه لا يكبو ولا يخبو..!!

وحين طال حصار «بنى قريظة» دون أن يستسلموا أرسله الرسول عليه الصلاة والسلام مع علىّ بن أبى طالب، فوقف أمام الحصن المنيع، يردد مع علىّ قوله: «والله لنذوقن ما ذاق حمزة أو لنفتحن عليهم حصنهم» ثم ألقيا بنفسيهما وحيدين داخل الحصن.. وبقوة أعصاب مذهلة أحكما إنزال الرعب فى أفئدة المتحصنين داخله وفتحا للمسلمين أبوابه..!!

ويوم «حنين» أبصر «مالك بن عوف» زعيم هوازن وقائد جيوش الشرك فى تلك

(٢) خالد محمد خالد، رجال حول الرسول.

الغزوة.. أبصره بعد هزيمتهم في «حنين» واقفا وسط فيلق من أصحابه وبقايا جيشه المنهزم فاقتحم حشدهم وحده وشتت شملهم وحده وأزاحهم عن المكمن الذى كانوا يتربصون فيه ببعض زعماء المسلمين العائدين من المعركة..!! وما أكثر الطعنات التى تلقاها جسده وتركت آثارها فيه بعد اندمال جراحاتها، وصارت أوسمة تحكى وتنطق ببطولة «الزبير» وأمجاده!! يحدثنا واحدا من أصحابه رأى تلك الأوسمة التى تزدحم على جسده فيقول: صحبت الزبير بن العوام فى بعض أسفاره ورأيت جسده فرأيته مجذعا بالسيوف وأن فى صدره لأمثال العيون الغائرة من الطعن والرمى.. فقلت له: والله لقد شهدت بجسمك ما لم أره بأحد قط.. فقال لى: أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله وفى سبيل الله.

وكان ـ رضى الله عنه ـ شديد الولع بالشهادة عظيم الغرام بالموت فى سبيل الله وكان يقول: «إن طلحة بن عبيد الله يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم ألا نبى بعد محمد وإنى لأسمى بنىّ بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون..!! وهكذا:

- سمى ولده «عبدالله» تيمنا بالصحابى الشهيد «عبدالله بن جحش»
- وسمى ولده «المنذر» تيمنا بالصحابى الشهيد «المنذر بن عمرو»
- وسمى ولده «عروة» تيمنا بالصحابى الشهيد «عروة بن عمرو»
- وسمى ولده «حمزة» تيمنا بالشهيد الجليل «حمزة بن عبدالمطلب»
- وسمى ولده «جعفرا» تيمنا بالشهيد الكبير «جعفر بن أبى طالب»
- وسمى ولده «مصعبا» تيمنا بالصحابى الشهيد «مصعب بن عمير»
- وسمى ولده «خالدا» تيمنا بالصحابى الشهيد «خالد بن سعيد».

وهكذا راح يختار لأبنائه أسماء الشهداء راجيا أن يكونوا يوم تأتيهم آجالهم من الشهداء.

ولقد قيل فى تاريخه: إنه ما ولى إمارة قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيئا إلا الغزو فى سبيل الله.. وكانت شجاعته وسخاؤه كفرس رهان.. فلقد كان يدير تجارة ناجحة وكان ثراؤها عريضا لكنه أنفقه فى الإسلام حتى مات مدينا..!!

وكان توكله على الله منطلق جوده ومنطلق شجاعته وفدائيته.. حتى وهو يجود بروحه، ويوصى ولده عبدالله بقضاء ديونه قال له: «إذا أعجزك دين فاستعن بمولاى» وسأله عبدالله: أى مولى تعنى؟ فأجابه: «الله».. نعم المولى ونعم النصير.. يقول عبدالله فيما بعد: «فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه».

ولقد كان حظه من حب الرسول عليه

الصلاة والسلام وتقديره عظيما وكان الرسول ـ ﷺ ـ يباهى به ويقول: «إن لكل نبى حواريا وحواريّ الزبير بن العوام».

وحين نشبت الفتنة المعروفة فى خلافة سيدنا «عثمان بن عفان» ـ رضى الله عنه ـ وكان «الزبير» يؤيد حجة المعارضين لعثمان ويزكى معظمهم فيما كانوا ينشدونه من تغيير وإصلاح.. هل كان «الزبير» بموقفه هذا يدعو إلى قتل «عثمان» أو يرضى به..؟؟ كلا وكلا.. ولو كان يعلم أن الفتنة ستتمادى إلى هذا المأزق والمنتهى لقاومها ولقاومها معه بقية الأصحاب الذين آزروها أول أمرها باعتبارها حركة معارضة وتحذير ولا أكثر.

يؤكد ذلك أنه عندما أبصر سيدنا «علىّ» ـ كرم الله وجه ـ «الزبير وطلحة» ـ رضى الله عنهما ـ والجيش المعارض ناداهما وناقشهما.. وبعد أن أضاءت كلمات سيدنا «علىّ» جوانب نفسيهما رأيا الصواب وتركا أرض القتال وأقلعا عن الاشتراك فى هذه الحرب الأهلية بعد تبينهما الأمر وانسحاب «الزبير وطلحة» ودفعا ثمن ذلك الانسحاب حياتهما.

فقد تبع «الزبير» نفر من الذين كانوا يريدون للفتنة دوام الاشتعال وتعقبه رجل اسمه «عمرو بن جرموز» وقتله غيلة وغدرا وهو بين يدى ربه يصلى. وذهب قاتل «الزبير» إلى الإمام «علىّ» ـ كرم الله وجهه ـ يظن أنه يحمل إليه البشرى حين يسمعه نبأ عدوانه على «الزبير» وحين يضع بين يديه سيفه الذى استلبه منه بعد اقتراف جريمته، لكن «عليا» صاح حين علم أن بالباب قاتل «الزبير» يستأذن صاح آمرا بطرده قائلا: «بشر قاتل ابن صفية بالنار».

وحين أدخلوا عليه سيف «الزبير» قبله الإمام وأمعن فى البكاء وهو يقول: «سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله!!

إن استقصاء تاريخ البطل «الزبير بن العوام» وبيان عظيم شمائله، وثباته وقوة أعصابه فى ميادين القتال فى سبيل الله ـ التى أشير إلى بعضها ـ لا يمكن حصرها والحديث عنها فى هذه السطور.

فهل يتجرأ أحد بعد ذلك ويتهم الصحابى الجليل أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام وصاحب الهجرات الثلاث وحامل لقب: صاحب أول سيف شهر فى الإسلام وأحد أصحاب الشورى الستة الذين وكل سيدنا «عمر بن الخطاب» إليهم أمر اختيار الخليفة من بعده وأحد الصحابة العشرة المبشرين بالجنة سيدنا «الزبير بن العوام» يتهمه بالسوء؟!!

كبرت كلمة تكتبها أقلامهم إن يكتبون إلا كذبا!!!

«يتبع»

مواقف إسلامية

رجال بلا نسب يبلغون بالإيمان أعلى الرتب

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة

[كان أسلم الحبشى] راعيا ليهودى.. يرعى غنماً له.

ومن حديثه ما رواه إسحاق بن يسار[1]:

أن راعيا أسود أتى رسول الله ، ﷺ ، وهو محاصراً لبعض حصون خيبر ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود. فقال يارسول الله: أعرض علىّ الإسلام فعرضه عليه فأسلم.

وكان رسول الله ، ﷺ ، لا يحقر أحداً أيدعوه إلى الإسلام. فعرضه عليه فقال الأسود:

كنت أجيراً لصاحب هذا الغنم وهى أمانة عندى.. فكيف أصنع بها؟ فقال رسول الله ، ﷺ ،: ، اضرب فى وجوهها فإنها سترجع إلى ربها ،. فقام الأسود فأخذ حفنة من التراب فرمى بها فى وجوهها. فقال: ، ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك ، فرجعت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها، ثم تقدم الأسود إلى ذلك الحصن مع المسلمين فأصابه حجر فقتله.. وما صلى صلاة قط.. فأتى به رسول الله فوضع خلفه.. وسُجى بشملة[2] كانت عليه.

والتفت إليه رسول الله ، ﷺ ، ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض إعراضاً سريعاً، فقالوا يا رسول الله: أعرضت عنه قال: ، إن معه لزوجته من الحور العين ،.

(١) أسد الغابة جـ١/٩٢.

(٢) بشملة: كساء دون القطيفة يُشتمل به. سَجّى الميت: غطّاه وسَجَّيْتُ الميت تسجية إذا مددت عليه ثوباً.

تمهيـــــد

تنحصر مهمة الداعية أولاً فى:

أ) تجلية الحق على نحو تصير به حقائق الإسلام كالشمس الطالعة.

ب) تنحية الأشواك من طريقه: الشبهات.. التى تناوش[3] العقل.. والشهوات التى تهارش[4] القلب..

جـ) الإشراف والمتابعة.. حتى يخرج الزرع شطأة ثم يستوى على سوقه، يعجب الزُرّاع.. ويغيظ به الكُفار.. الذين قد يرمونه بالحجر.

لكنه من عليائه ليمتحهم أطايب الثمر.. فإذا هم من الحق بين واحد من أمرين:

إما أن يأخذوا طريقهم إلى الإيمان..

وإما أن يذهبوا إلى ما يستحقون من هوان..

وهكذا فعل ، ﷺ ،.

فقد عرض حقيقة الإسلام ببساطة.. وبلا تعقيد.. ثم وصل بها إلى الكفور.. والنجوع.. وعبر الصحراء المترامية.. لتصل إلى هذا الراعى الأمى البسيط واضحة.. وبلا عوائق.

فلم يكن ليحمل أحداً على الإسلام حملاً.. كما أنه لم يتخذ من الدعوة سلعة تعرض فى الأسواق.. فى زحمة المساومة والخداع.. والصراع وبهذا الأسلوب الحكيم أعلن ، أسلم الحبشى ، إسلامه.

فمن هو أسلم هذا الذى صار واحداً من أتباعه ، ﷺ ،؟

، أسلم ، بلا والد.. ولا والدة.

تأملت ما جاء فى ، أسد الغابة ، فوجدت قبله ، أسلم بن أوس ، و، أسلم بن بجره ، و، أسلم بن جبيرة ،.

أما صاحبنا فهو: أسلم.. فقط.. بلا جذور.. وبلا فروع!

وقلت حسناً: فلنواصل المسير معه إلى نهاية الرحلة.. لنرى فى شخصه رجالاً بلا نسب.. يصلون بالإيمان إلى أعلى الرتب.. ولئن كان له زملاء على طريق الإيمان.. يتسمون باسمه.. وهم بنسبهم فى نقطة الضوء.. ولهم فى التاريخ ذكر.. ولهم فى المحافل مكان.

فقد تبوأ هو مكانه العلىّ بين هؤلاء جميعاً بسيرته العطرة وموقفه العظيم. ولئن قصرت خطات إيمانه.. فقد أطالها بإيمانه الذى وَلّد قوياً والذى حفر له فى القلوب ذكرى لا تموت، وجعل من هذا الموقف منارة على طريق الإيمان تبرز بركة الإيمان عندما يأوى إليه إنسان.

(٣) تناوش: تتناول. (٤) التهارش: الاختلاط.

من هو أسلم

إنه واحد من عامة الناس.. كإخوة له من قبل:

صهيب .. الأبيض ..

وسلمان .. الأصفر ..

وبلال .. الأسود ..

إنه الراعي الأسمر.. جاء من إفريقيا إلى آسيا.. وتعاقد مع يهودى على أن يرعى له غنمه.. ولعل طبيعة المهنة.. وطبيعة صاحب الغنم تشكلان معاً صعوبة المهمة: بين غنم تحتاج رعايتها إلى صبر.. ومرونة.. وحكمة..

وبين يهودى ربما استغل خبرته بثمن بخس دراهم معدودة.. وكان فيه من الزاهدين. أو من المعاندين.

فإذا أضفنا إلى ذلك إحساسه بالغربة فى بلاد بعيدة.. إلى جانب وحدته بلا أغصان متشابكة في أبناء العمومة والخؤولة.. تبين لك إلى أى حد كانت قسوة الظروف.. التى كان من شأنها أن تجمد فى كيانه كل رغبة فى الطموح.. راجياً من الغنيمة بحفنة الغنم التى صارت فى دنياه كل ما يتمناه.

مضى اللقاء

ولكن هذا الجهاز المضروب على الأجير الفتى.. لم يردم فى نفسه نبع الهوى. ولم يطمس صفاء الفطرة.. ومن خلال هذه الغيوم المتراكضة.. انفجر شعاع اخترقها.. طالباً الخلاص.. فتلقاه الهادى البشير.. وبقلب مفتح على الكون كله: ولم يعرض عليه الإسلام كقضية فلسفية ما يرهق العقل الغض الطرى.. وينفره من الإسلام. لقد خسرت أمتنا كثيراً من طاقاتها يوم عرضت الإسلام من منطلق فلسفي محض لا يتجاوب مع الفطرة الباحثة عن الحقيقة.. بسيطة.. بازغة تشق بضيائها سدف الظلام.

وليت شعرى.. لو قدر لأسلم أن يذهب إلى مجمع علمي.. حاملاً رغبته فى الخلاص إذن لعاد بمزيد من الشك.

وكم من علماء «أكاديميين» ولكن إيمانهم صغير.. إلي جانب فتى كأسلم.. يملك فى قلبه إيماناً.. كالجبال.. ذلك بأن شجرة الإيمان لا تتنامى بمزيد من الجدل الفارغ.. بقدر ما تتغذى بالعمل وبالذكر.. الذى يصير لها غذاء ورياً.

وإذا كان لأسلم زملاء فى المرعى: جمدوا جوارحهم.. فلم تسع وعطلوا عقولهم.. فلم تفكر.. وأهملوا ملكاتهم فلم تستثمر.. فقد كان أسلم واسطة العقد فيهم عندما حطم القيد.. وانطلق حراً باحثاً عن الحق.. وسبحان من يخرج من الميت.. مولوداً لإيمان؛ ومن بين فرث الشرك ودمه.. ذلك الإيمان.. لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. ومن أشواك الجهل.. أزاهير الوعى المستنير.

كرامة الإنسان عندنا.. وعندهم

أعلن «أسلم» إسلامه لما عرض عليه الرسول حقائقه.. وتقول الرواية: [وكان رسول الله «ﷺ» لا يحقر أحداً يدعوه إلى الإسلام]. فلم يكن «ﷺ» جباراً ولا متسلطاً.. ولكنه كان الرسول الإنسان الذى يسع قلبه المتراحب كل راغب فى الإيمان.. ولئن وسع قلبه الحيوان أن يعذب.. والشجر الأخضر أن يقطع.. فكم يكون تقديره للإنسان الهارب من قيد العبودية إلى مملكة الحرية؟!

ونذكُر هنا قيمة الإنسانية المهدورة فى مذاهب الأرض فى الوقت الذى يصونها الإسلام فيه بل ويغالى بها.

لاحظ بعض الكتاب الصحفيين أن «يلتسين» أنقذ «جورباتشوف» وكأنما أنقذه من بين عجلات سيارة توشك أن تقتله.. ولكنه تعمد ضرب رأس «جورباتشوف» فى الجدار إهانة له، فسال دمه، وسوف ينسى جورباتشوف الإنقاذ.. ولكنه لن ينسى الإهانة! ولكن محمداً «ﷺ» ينقذ أسلم وأمثاله.. فيصيرون بالإسلام جزءاً من كيان أمة تعتز بهم ويعتزون بها.

بين الذكاء.. والعقل

كان مع أسلم على أرض الجزيرة.. وكان قبله زعماء أذكياء.. من أمثال أبى جهل.. وعتبة وأمية.. ولكن «أسلم» الذى نزل عنهم فى سنه قد علاهم فى قوله.. وقراره الحاسم.. فرفعته همته فى مرتبة أعلى منهم جميعاً أجل.. لقد عاش «أسلم» واحداً من ألوف من البشر، عاشوا معه، وتنفسوا معه نفس الهواء، وأكلوا وشربوا من نفس الطعام والشراب، ولكنه سبقهم، وبقى ذكره مخلداً، فى الوقت الذى عفى الزمن على سير هؤلاء الأذكياء.. مع ما كانوا يملكون من الجاه والمال والمنصب مما يُراد به أن يشيع الذكر ويخلد الأثر.. وكم من قصائد المديح التى تناقلتها وسائل الإعلام.. ثم صارت من بعد كلمات ميتة.. متعفنة؟!

وعامت قناطير الخشب فوق الموج، بينما ترسب فى القاع درهم من الماس، وهو «أسلم».. الحبشى!!

ونذكر هنا ما قاله كاتب يعتز بقلمه وهو يخاطب «لويس الرابع عشر»: «لقد نسى التاريخ اللآلىء التى كانت فى تاجك أيها الإمبراطور ولكنه لايزال يذكر الرقع التى كانت فى حذائى!

كان أسلم عاقلاً

أجل.. كان عاقلاً يعرف بهذا العقل مصلحته.. فأسلم.. أما غيره فكان ذكياً أو عبقرياً.. ولكنه لم يكن يحمل فى رأسه عقلاً.. يعقله.. وما أكثر ما كان يعرف أحدهم مواقع مصلحته.. لكنه

تأبى.. فلم ينفعه ذكاؤه.. يوم تخلى عنه عقله الواعى.. وكما يسبق الدرهم الواحد من الفقير.. مائة ألف درهم يجود بها غنى واسع الثروة.. فإن عقل الفقير الموصول بمدد السماء يسبق عقول رجال أذكى.

لقد كان أسلم.. رجل حرب.. وعمل.. ولم يكن محترف سياسة يدور مع المنفعة حيث تدور!!

الإيمان يعبر عن نفسه

لأن الحق يحمل فى ذاته تطويع النفوس.. واستمالتها إلى الدعوة ولأن الرسول «ﷺ» قد أتم البلاغ بعرض الدعوة هذا العرض البسيط البليغ.. على أصح الوجوه وأكملها.. فقد جاءت النتيجة على ما يرضى الحق وانفجر ينبوع الإيمان فى قلب «أسلم» دفاقاً.

وهكذا الإيمان الراسخ

لا يهدأ أبداً حتى يعبّر عن نفسه.. تعبيراً فورياً.. وبلا تردد.. أما الإيمان الضعيف.. قد يكفيه أن تعبّر عنه بنشيد منظوم.. منغوم فى حفل عام. وقد يكتفى بلافتة يعلقها فوق جدار تضم آية من كتاب الله تعالى.. وتعبير خافت.. على هذا النحو لا يغذى بذرة الإيمان التى تظل تواقة إلى الزيت المبارك.. لتشتعل ناراً ونوراً.

وهكذا كان «أسلم»

لقد وُلد إيمانه قوياً.. فجاء التعبير عنه قوياً.. فى هذه الصورة الوفية.. وفى زمان ضاع فيه الوفاء.. وقل الأوفياء: لقد كانت الغنم أمانة عنده.. لصاحبها اليهودى.. ويتقاضاه إيمانه أن يرد الأمانة إلى صاحبها.. ولو كان يهودياً.. وهاهو ذا يعرض القضية على رسول الله «ﷺ».. والذى أشار عليه بردها.. فردها فعادت بتوفيق الله تعالى.. لتؤكد لليهودى أن الإسلام غير متعطش لا إلى الدماء.. ولا إلى أكل أموال الناس بالباطل.. ولكنه دين الوفاء... الوفاء فى علوه الأعلى.. وفى امتداده المطلق.. وفى عمقه الضارب الجذور فى أعماق المسلم.. لقد وضع الله تعالى فى يده «ﷺ» السخاء.. وفى قلبه الرحمة والوفاء.. وفى طبعه اليسر واللين؛ فجاء رجاله على شاكلته.. أسخياء أوفياء.. ميسرين.. وفى مقدمتهم «أسلم».. الفتى.. الأسود.. المغمور.. والذى دل بصنيعه على ما فى الإسلام من سحر حلال.. يجذب الراغبين إليه لو وُجد الدعاة المخلصون.

من العصا.. إلى السيف

قد يستنسر البغاث بأرضنا يوماً.. وقد يصنع الباطل قوة يتحول بها إلى تيس مستعار ينطح الحق بهذه القوة الملفقة «أحياناً» ولكن الحق يصنع هذه

القوة التى تهزمه كل حين!

وكان «أسلم» رمزاً من رموز هذه القوة التى صنعها الحق على عينه وفى لحظة من زمان.. لقد ولد إيمانه راشداً.. فحملته همته على الفور لينال شرف الجهاد مع القوة التى تحاصر «خيبر».. وترك عصا الراعى.. ليحمل السلاح.. لقد كان منذ قليل يتعامل مع الغنم ثم هاهو ذا يتعامل مع البشر.. على أشرف مستويات التعامل.

نهاية البطل

لو وُكل إلى قصاص ليجعل من هذا الموقف رواية.. لفرض عليه الفن أو الحبكة القصصية أن تجىء النهاية درامية.. يقتحم فيها البطل الحصن.. ثم يحصد بسلاحه أعداءه عن اليمين والشمال.. ليأخذ مكانه بعد ذلك فى الخالدين ولكن الحق تعالى لم يشأ أن تكون النهاية على هذا النحو المأمول.. وإنما لم يكد الفتى يتجه نحو الحصن.. حتى أصابه حجر.. فقتله وانتهت قصة حياته! ثم لتبدأ الحياة مرة أخرى وفى الآخرة جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار وفى صحبة زوجته من الحور العين.. مع أنه لم يدخل الحصن.. ولم يسق تراب الأرض بدماء الأعداء.. بل لم يصل صلاة قط!..

فما معنى هذه النهاية التى خطها القدر الأعلى؟

«أسلم.. وأصحاب الجاه»

إن الحق ـ تعالى ـ يبين للمغرورين من أصحاب المناصب المهمة والأسماء اللامعة أن هناك بين الكفور والنجوع.. من هو أفضل منكم ويمكن أن يكون قدوة لكم ـ لقد نجح أسلم فيما «رسب» فيه أصحاب الجاه والسلطان.. حيث هداه الله تعالى إلى الإسلام الذى كان بقلبه السليم صالحا لتلقيه.. لقد سمع عن الإسلام.. فلم يرض بمجرد السماع.. بل جاء بنفسه ليشاهد.. ثم لم تكفه المشاهدة فباشر الجهاد فعلاً فور إعلانه الإسلام.

جاء «أسلم» على قدر.. مع سوق الخيرات التى أقامها رسول الله «ﷺ».. فعقد معه صفقة.. اشترى بها الجنة. بينما المتفرقون هناك تقيدهم أغلال الجهل.. والأعراف الجائرة وتقليد الآباء فى حياة آسفة.. لقد أراد أن يهب حياته لواهبها سبحانه.. وكانت صفقة رابحة حين قدم حياة فانية محدودة، ليأخذ مكانها حياة أبدية خالية من الأكدار والأوزار.

«أسلم والمتحمسون»

ألا وإن «أسلم» ليقول لبعض المتحمسين المتعجلين النهاية قبل أوانها: لا تركزوا فقط على الأعمال الظاهرة.. ذات الأحجام والأرقام.. لا ينبغى أن تشغلكم الظواهر عن ثروة الباطن.. وهى أعز ما يملك الإنسان.. وعليها مدار

الصلاح والفساد، ولكم فى أسلم قدوة حسنة.. حين استحق الجنة بنعيمها.. ولم يكن له فى الواقع أعمال تذكر.. لقد كان أسلم دليلا يهدى الحائرين إلى ركيزة الإصلاح الأولى فى بناء الأمم والجماعات.

يقول الدكتور/ سعاد جلال:

«السبب العام لهلاك الأمم التى يصيبهم الله ـ تعالى ـ بعذابه هو:

مناقضة سلوك الأمم للنواميس الكونية التى رتب الله ـ تعالى ـ عليها فى هندسة الوجود الإنساني العام.. هندسة حياة الأمم الراشدة».

إن صلاح الأمم لا يتم إلا بصلاح المعانى الباطنة المستقرة فى ضميرها المصححة لمعاملاتها. والتى تعتبر مصادر أفعالها وحركاتها. ألا وهى: الأخلاق.. فإنها المفتاح الوحيد.. المنفرد بالعمل فى بعث الأمم.. وخلقها من العدم. إن كانت أخلاقاً فاضلة.. أو الإطاحة بها من الوجود إن كانت أخلاقاً فاسدة.

كان «أسلم» بما ملك فى قلبه من كنوز الخير.. لقد كانت لحظات قليلة فى عمر الزمن.. انغمس فيها قلبه فى أنوار النبوة.. فكانت النقلة الهائلة الفاصلة بين حياته. وجميع عمره كله.. فكانت هذه اللحظة التى وجد نفسه عند منبع النهر الطهور.. وعند منابع الأنهار.. تخضر الأشجار وتينع الثمار.. فكان له تلك القوة الباطنة التى طوحت به إلى هناك.

إلى جنات وعيون.. ومقام كريم لقد لقى ربه الذى أكرمه ونعمه «بما لم يدر فى حساب أحد» لفتاً للأنظار أن تدخل فى الحساب ما يملكه الإنسان من عواطف الخير التى تعمر بها الحياة.. وأحياناً يخدعنا ظاهر الحال.. فيتسينا أقدار الرجال.. فنظلمهم.. من حيث نشعر أو لا نشعر.

لقد وهب الله «أسلم» إيماناً من جنس إيمان أبى بكر.. فلم يكن يفضل أحداً بكثرة صلاة.. ولا بكثرة صيام.. ولكن فضلهم بشىء وقر فى صدره لقد كان مشهده: لا يستلفت النظر، ولكن سمرته كنت تخفى من ورائها ما نقتبسه من الآية الكريمة لقد كان وراءها من الفضائل:

﴿ أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾

[محمد: آية ١٥]

وكأنما كان قلبه الكبير.. عش الفضائل الأثير.. ترقد فيه ولا تطير!

أما بعد.

فإن إفريقيا.. غنية بالرجال وبالمواهب قبل أن تكون غنية بالجمال وبالرشاقة كما يقال.

منذر بن سعيد البلوطى

للأستاذ / عادل خفاجة

كأن البشاشة خلق لا يتخلف عند دراسة الشخصيات الإسلامية الفذة.

وكأن الجدية هى وجه العملة الآخر لهذه البشاشة فما من شخصية إسلامية تتمتع بأحدهما إلا وجدت الأخرى ملازمة لها.

ولقد كان منذر بن سعيد البلوطى على مكانة دينه وجزالة أحكامه حسن الخلق كثير الدعابة ربما ارتاب من لا يعرفه حتى إذا رام أن يصيب من دينه ثار به ثورة الليث الضارى».

هو قاضي الجماعة بقرطبة، خطيبٌ بليغ، وله كتب مؤلفة في القرآن والسنّة والورع، والرد على أهل الأهواء والبدع، شاعر بليغ، نال إعجاب الملك عبدالرحمن الناصر وكان سبب ذلك أنه لما احتفل الملك لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة، أحب الناصر أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه، لذكر جلالة مقعده، فتقدّم الحكم إلى أبي عليّ البغدادي ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة، أن يقوم، فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم انقطع، ووقف ساكتاً مفكراً،

فلمّا رأى ذلك منذر بن سعيد قام فوصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالة، وملأ الأسماع جلالة بمقامه، وثبات جنانه، وبلاغة لسانه، وكان الناصر أشدّهم تعجباً منه ،وأقبل على ابنه الحكم ، فسأله عنه، فقال له: هذا منذر بن سعيد البلّوطي، فقال: والله لقد أحسن ما شاء، لئن أخرني الله بعد لأرفعنّ من ذكره، فضع يدك يا حكم عليه، واستخلصه، وذكر أن الناصر قال لابنه الحكم بعد أن سأله عنه: لقد أحسن ما شاء، فلئن كان حبّر خطبته هذه وأعدّها مخافة أن يدور ما دار فيتلافى الوهي فإنه لبديع من قدرته واحتياطه،

ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته فإنه لأعجب وأغرب. ثم ولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ثم قضاء الجماعة بقرطبة، وأقره على الصلاة بالزهراء(١).

وتعود للخطبة مرة أخرى.. فقد نالت إعجاب الجميع ونالت إعجاب منذر نفسه فقال شعرا يصف فيه هذه الخطبة بأنها كحد السيف، ويعبر فيها عن فخره بنفسه وحق له أن يفخر؛ لأنه سد فراغا بخطبته التي اشرأبت الأعناق لمن يأتي ليلقيها، بعد أن انقطع أئمة البيان في هذا الموقف عن الكلام!! فقال:

مقال كحد السيف وسط المحافل
فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتمي جنباته
كبارق رعد عند رعش الأنامل

ولم يغفل هذه الحالة النفسية الضاغطة التي تعرض لها جراء تعرضه لنظرات الحاضرين على اختلاف مشاربهم، كل يصوب نظره إليه، فقال:

وقد حدقت حولي عيون إخالها
كمثل سهام أثبتت في المقاتل

ولعله بهذا البيت قد قدم عذرا لمن تراجعوا عن موقفه هذا!!

شجاعة واعظ

وإذا أردنا أن نتكلم عن شجاعة الواعظ تصاحبنا شجاعة السلطان.

لقد ضرب منذر بن سعيد مثلا للشجاعة نادرا لما تعرض للسلطان بالنصح اللاذع مرات. وضرب السلطان عبدالرحمن الناصر مثلا أكثر شجاعة عندما قبل النقد منه ونزل عن رأيه إلى رأى منذر مرات ليسجل لنفسه هذا المثل الرائع في الانقياد للحق.

وإذا كنا نشيد بجرأة وشجاعة منذر بن سعيد ونشير إليه بإعجاب فإن إعجابا أكثر منه يتوجه ناحية السلطان الناصر الذى تعرض لناز منذر اللافحة فكشفت نقاء معدنه واضحا جليا.

ولقد أنصف أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي حين أعطى كلا حقه فقال عن منذر: «واتخذ من منبر الجمعة مذياعاً يصدع بالمعروف وينهى عن المنكر مهما كانت النتائج، وحسبه أن يسكن ضميره القلق فلا يشعر بوخز يؤنبه على السكوت والإغضاء»(٢).

وقال عن الناصر:

«وكان الناصر دقيق النظر، صحيح البصر برجاله، فهو يعلم المداهن المحابي، والمتظاهر بالحق سمعة ورياء، والمعتصم بالحق ابتغاء مرضاة ربه، من ثم فقد كان ينزل على حكم

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج٢.
(٢) أ.د. محمد رجب البيومي: علماء في وجه الطغيان هدية مجلة الأزهر عن شهر صفر ١٤٢٣هـ من ص ١٢ : ٢٠.

المنذر، واثقا من نزاهته وخلوص حكمه من الشوائب، وإذا كان لنا أن نفخر بمن يجاهرون بالحق من القضاة دون رهبة أو خشية، فإننا نعجب أيضا بمن يستمعون القول فيتبعون أحسنه من الخلفاء والملوك»(٣).

وقال عنهما معاً بعد أن ذكر أحد مواقفهما النبيلة:

«موقف كريم من قاض عادل، وملك منصف، وبأمثال هذه المواقف الجريئة اعتز الإسلام، وبلغ في قرن واحد ما لم تبلغه الدولة الرومانية في ثمانية قرون»(٤).

نار المنذر

قال ابن أصبغ الهمداني والفتح في المطمح: كان الناصر كلفاً بعمارة الأرض، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة، فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزهراء، واستفرغ وسعه في تنميقها، وإتقان قصورها، وجلب إليها الرخام الملون والمرمر الصافي والحوض المشهور من البلاد والأقطار وكان يثيب على السارية بكذا وكذا غير الثمن وأجرة الحمل وأنفق فيها الأموال العظيمة واشتغل بها وكان يباشر الصناع بنفسه حتى تخلف عن حضور الجمعة ثلاث مرات متواليات وحضر في الرابعة فتناوله منذر بن سعيد من العظة

بفصل الخطاب والحكمة والتذكر بالإنابة والرجوع، فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾
(الشعراء: ١٢٨)

إلى قوله تعالى:

﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾
(الشعراء: ١٣٦)

ثم وصله بقوله:

﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾
(النساء: ٧٧)

وهي دار القرار، ومكان الجزاء، ومضى في ذم الاستغراق في زخرفة البناء، والإسراف في الإنفاق عليه، بكلام جزل، وقول فصل وأخذ الخليفة من ذلك بأوفر حظ، وقد علم الخليفة أنه المقصود، فبكى، وندم على ما سلف له من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه(٥).

دموع الملك تجاوب دموع الواعظ

«كان البلوطي يتكلم من قلبه، ويقتطع الألفاظ من كبده، فهو دامع العين، خاشع القلب، مرتجف الأعضاء، بادي الخوف، والرجاء، متجه بجميع عواطفه وحواسه إلى ربه العلي الكبير، وهذا شأن للإخلاص يزلزل الجبال وينقل الأمور من حال إلى حال»(٦).

(٣-٤) أ.د. محمد رجب البيومي المرجع السابق.
(٥) نفح الطيب.
(٦) الأستاذ الشيخ / أحمد الشرباصي. الخطابة في الأندلس مجلة الأزهر المجلد الثاني عشر السنة ١٣٦٦ هـ ص ٧٨.

هكذا وصفه أستاذنا الكبير الشيخ الشرباصي، ولننظر إلى ما كان من البلوطي يؤكد هذا الرأي:

فمن مواقفه الشجاعة -أيضا- أن الناصر بنى قبة واتخذ قراميد القبة من فضة وبعضها مغشى بالذهب وجعل سقفها نوعين صفراء فاقعة وبيضاء ناصعة يستلب الأبصار شعاعها، فجلس فيها إثر تمامها لأهل مملكته وقال لقرابته ووزرائه مفتخراً عليهم: رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي صنع مثل ما صنعت فقالوا له: لا والله يا أمير المؤمنين وإنك لأوحد في شأنك، فبينا هم على ذلك دخل منذر بن سعيد واجماً ناكساً رأسه، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته، فأقبلت دموع القاضي تتحدر على لحيته وقال له: والله يا أمير ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله -تعالى- وفضلك به على المسلمين حتى ينزلك منازل الكافرين، فاقشعر عبد الرحمن من قوله وقال: انظر ما تقول، كيف أنزلني منازلهم؟ قال: نعم أليس الله تعالى يقول:

﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾

(الزخرف: ٣٣)

فوجم الخليفة عبد الرحمن ونكس رأسه ملياً ودموعه تتحدر على لحيته خشوعاً وتندماً مما جرى ثم أقبل على منذر بن سعيد فقال له: جزاك الله عنا وعن الدين خيراً وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت والله هو الحق، وقام من مجلسه ذلك يستغفر الله تعالى وأمر بنقض سقف القبة وأعاده قرمداً على صفة غيرها[٧].

شجاعة قاض

ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته في أيتام أخي نجدة، وحدّث بها جماعة من أهل العلم والرواية، وهي أن الخليفة الناصر احتاج إلى شراء دار ... فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة، ، وكان أولاد زكريا أخي نجدة أيتاماً في حجر القاضي، فأرسل الخليفة من قوّمها له وأرسل ناساً أمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلاّ بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلاّ عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصح إلاّ لوجوه: منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد، ومنها الغبطة، فأمّا الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأمّا الوهي فليس فيها، وأمّا الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع، وإلا فلا، فنقل جوابه إلى الخليفة، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعاً أن يتوخّى رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سورتها، فأمر وصيّ الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها، ففعل ذلك وباع الأنقاض، فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به، فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي منذر، وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟ فقال له: نعم، فقال: وما دعاك إلى ذلك؟ قال: أخذت فيها بقول الله تعالى:

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

(الكهف: ٧٩)

مقوّموك لم يقدروها إلاّ بكذا، وبذلك تعلق وهمك، فقد نضّ في أنقاضها أكثر من ذلك، وبقيت القاعة والحمّام فضلاً، ونظر الله تعالى للأيتام، فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك، وقال: نحن أول من ينقاد إلى الحق، فجزاك الله تعالى عنّا وعن أمانتك خيراً[٨].

لقد كان منذر يتعهد الملك الناصر بالتصويب والنصح دائما ولو كان غير الملك الناصر في ذلك الزمان ما احتمل كل هذا التقريع بل ربما زج به في السجن، وخاصة أن بطانة الملوك لا تخلو من متطلع أو متسلق أو واش. وماذا يفعل ملك في مثل قوته يصنع ما يراه خيرا لأمته ويبارك خطواته أصحابُ الرأي من حوله فيسمع الرئيس أبا عثمان بن إدريس ينشده قصيدة منها:

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن
مضيعاً وقد مكنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتقى
وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

لقد انتشى الناصر، واهتز طربا، وإذا بمنذر ابن سعيد يقف قائلاً:

يا باني الزهراء مستغرقاً
أوقاته فيها أما تمهل
لله ما أحسنها رونقاً
لو لم تكن زهرتها تذبل

ومع ذلك تأتي إجابة الملك خالية من الثورة والغضب بل تجملها الحكمة إذ يقول:

إذا هبّ عليها نسيم التذكار والحنين، وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل إن شاء الله تعالى، فقال منذر: اللّهم اشهد أني قد بثثت ما عندي ولم آل نصحاً[٩].

ولقد صدق القاضي منذر رحمه الله تعالى فيما قال، فإنّها ذبلت بعد ذلك في الفتنة،

(٧) الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري.

(٨) نفح الطيب ونض أي: أعطاه شيئاً قليلاً (المعجم الوسيط).

(٩) المرجع السابق.

وقلب ما كان فيها من منحة محنة.

دعوة منذر لصلاة الاستسقاء

إن الاستسقاء لا يجاب لبلاغة اللسان، وإنما لطهارة القلب. وهذه قضية لا يجحدها مؤمن.. وقد علمها الناصر؛ فأمر القاضي منذر أن يصلي بالناس صلاة الاستسقاء، لما يعلمه من نقاء سريرته وطهارة قلبه، وما يتمتع به من فصاحة لسانه حتى يصل بالناس إلى مقام الخشوع فيكونون في حال أرجى للإجابة.

وهنا تظهر براعة الخطيب العملية والقولية

يقول الحسن بن محمد «قحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر، فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أياما وتأهب، واجتمع الخلق في مصلى الربض، وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع، فأبطأ منذر، ثم خرج راجلا متخشعا، وقام ليخطب. فلما رأى الحال بكى ونشج وافتتح خطبته بأن قال: سلام عليكم، ثم سكت شبه الحسير، ولم يكن من عادته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع، فقال:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

(الأنعام ٥٤)

استغفروا ربكم وتوبوا إليه، وتقربوا بالأعمال الصالحة لديه، فضج الناس بالبكاء، وجأروا بالدعاء والتضرع، وخطب فأبلغ، فلم ينفض القوم حتى نزل غيث عظيم.[١٠]

منذر يهز المنبر

واستسقى مرة، فقال يهتف بالخلق:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

(فاطر ١٥، ١٦)

فهيج الخلق على البكاء.

ويذكر -أيضا- أن رسول الناصر جاءه للاستسقاء، فقال للرسول: ها أنا سائر، فليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة في يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قط أخشع منه في يومه هذا، إنه منفرد بنفسه، لابس أخشن الثياب، مفترش التراب، قد علا نحيبه واعترافه بذنوبه، يقول: رب هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم، أن يفوتك مني شيء. فتهلل منذر بن سعيد، وقال: يا غلام احمل الممطرة[١١] معك، إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء».

ومن هنا نعلم أن منذر صلى صلاة الاستسقاء أكثر من مرة وأجاب الله دعاءه وهو ما يؤكده ابن بشكوال في بعض كتبه إذ

(١٠) مجلة المنار المجلد ١٨ الجزء ٧ ص ٥٢٧ - رمضان ١٣٣٣ أغسطس ١٩١٥.

(١١) كل ثوب استكننت به المطر فهو ممطر (جمهرة اللغة).

يقول: منذر بن سعيد خطيب بليغ.. لم يكن بالأندلس أخطب منه، مع العلم البارع، والمعرفة الكاملة، واليقين في العلوم، والدين، والورع، وكثرة الصيام، والتهجد، والصدع بالحق. كان لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد استسقى غير مرة، فسقي.

لقد هز منذر المنبر وصار مضربا للمثل في البطولة، ولمثل منذر فلتهتز المنابر، فقد اتصف -رحمه الله- بصدق القول وطهارة القلب، مما حدا بأستاذنا الجليل الدكتور محمد رجب البيومي أن يضرب به المثل عند إشادته بصديقه الشيخ محمد الغزالي قائلا:

وكم لك في أعلى المنابر وقفة
كأنك فيها المنذر بن سعيد

هكذا كان منذر مثالا يحتذى في الشجاعة وقوة العقيدة والتزام الحق.

وأخيرا أقول: إنه لا يمكن لأحد أن يتصور أن هذا الرجل- الذي نصبه الملك قاضيا وخطيبا والذي تصب من نفسه واعظًا للملك ومصوبا لأخطائه- يتبقى له ساعة من ليل أو نهار يهزل فيها أو حتى يخرج عن جده والتزامه، لكننا مع كل ذلك نجد البشاشة تطل علينا في كثير من مواقف ابن سعيد.

● قيل له إن قوماً من جيران أحد المتحاكمين من أهل ربض الرصافة قد تألبوا معه على خصمه، وأعانوه بشهادة مدخولة وهم غادون بها عليك وكان كثيرا ما تأتيه عيونه بمثل ذلك فغدوا عليه بمجلس نظره وكانت أسماء جميعهم متفقة في الوزن على مثال فعلون فأخذوا مواضعهم وقام الذين يشهدون له، فلما رأى القاضي أسماءهم قال رافعاً صوته: يا ابن صيفون ويا ابن زيدون ويا ابن سحنون من الربض الملعون ألقوا ما أنتم ملقون[١٢]، فلما سمعوا قوله لاذوا عن الشهادة وخرجوا متسللين فكفي شأنهم[١٣].

● ومن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال: قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع أبينا للإفطار بداره البرانية، فإذا بسائل يقول: يا أهل هذه الدار الصالحين، أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة، وأكثر من ذلك، فقال القاضي: إن استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد[١٤].

ورحم الله منذر بن سعيد فقد علم أن الإسلام ينادي بالوسطية وأن أبناء الأمة الإسلامية لابد أن يتصفوا بهذه الوسطية فكانت شخصيه منذر هي تلك الشخصية التي لا تضعف ولا تلين وتثور من أجل الحق إنها الشخصية الإسلامية المتزنة التي تعرف -دائما- كيف تفرق بين الحق والباطل وتعرف -أيضا- كيف تفرق بين الجد والهزل، وكثيرا من الشخصيات الإسلامية الفذة وجدناها تجمع بين هذين الضدين فلا الجد يحوله إلى إنسان متجهم ولا الهزل يحوله إلى إنسان ماجن عابث.

(١٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ (يونس: ٨٠).

(١٣) الروض المعطار.

(١٤) نفح الطيب.

رحلة في إسلاميات أحمد حسن الزيات

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب



لا أريد أن أصنع من هذه السطور مرثية حزن على «أحمد حسن الزيات»[1]. فالجديرون بالرثاء هم نحن.... إن جدارا شامخا من وراء جدار ينقض فى حياتنا كل يوم.... تاركا مكانه للريح والظلام... وفى حومة الدوار قد نحس بالفاجعة ساعة أو ساعات... ثم لا تلبث الحياة أن تسحب علينا غطاءها الغليظ... فتغفو حتى عمن نحب.... وننسى حتى أولئك الذين رادوا لنا الطريق.... وأضاءوا لنا الدياجر... ورشدوا حسنا القاصر فاحتمل أعباءه الباهظة وأوغل فى مناطق الإبداع!!...

ولا أريد كذلك أن أصنع من هذه السطور دراسة أكاديمية متخصصة... تستخلص النتائج من مقولات ومقدمات... فإن ذلك يحتاج إلى عمل باذل مخلص... يمتد فى فضاءات متعددة إلى أبعاد متعددة وليس إلى مجرد سياحة عابرة كمثل هذه السياحة فى هذه السطور.

وقبل البدء... لابد أن ندين أدباء الأمة العربية كلها بالعقوق... فلو أن «مهرجانات»... لما ووجه موته بكل هذا الصمت الجليدى الذى يبدو كأنه متفق عليه... أو كأنه شهادة حق على بلادة حسنا الأدبى.

لقد انطوت حياة رائد قاتل من أجلنا بحق... وأعطى فى أدبنا بلا حدود، فما زدنا على أن ذرفنا دموعنا الشحيحة فى كلمات مسطحة... كأن كل قيمة «الزيات» كانت فى كونه بشراً تربطنا به وشائج اللحم والدم... ولم يكن هذا الفارس الرائع الملهم، الذى حرّك الحرف العربى فى اتجاهاته الراشدة... وأقام - ما عاش - على حراسة الفكر أن يختل... وعلى رعاية الفن أن ينحل... وعلى حماية اللغة أن تصير إلى بوار!!..

وكما أسلفت.. فإنى لا أريد أن أصنع من هذه السطور مرثية حزن على أديبنا الراحل... وإنما أريد أن أعبر هذا الحس المأساوى إلى حيث ينبغى أن يكون وفاؤنا مُجدياً لذكرى واحد ممّن صنعوا لنا تاريخنا الأدبى... الذى تتنفس هواءه اليوم بملء رئاتنا جميعاً!!..

ولأصنع هنا استدراكاً على عجل... إن حبنا لرائد «كالزيات» لا يمكن أن يضع عصابة سوداء على كل نوافذ الرؤية فينا... حتى يستحيل اللون لوناً واحداً بلا تمييز... أعنى أننا نختلف مع فكر الزيات أو قد نتفق... لكن اتفاقنا أو اختلافنا جميعاً يجب أن يكون من خلال موضوعية معينة... وليس من خلال أى شىء آخر!!..

وحي الرسالة

ولقد اخترت أن أتحدث عن الجانب الإسلامى من فكر الزيات لأسباب أعتقد أنها حقيقة...

أولاً: لأن أبرز جوانب فكر الزيات كان الجانب الإسلامى...

وثانياً: لأن موجة عارمة بدأ هديرها يزأر فى محيطنا الأدبى... توشك أن توحى إلى كل المبدعين وحملة الأقلام، أن الكاتب يكون إما أديبا... أو مسلما... أما أن يكون أديبا مسلماً، فذلك شىء لا يمكن أن يكون!!... وكانت كتابات الزيات المسلمة دحضاً لهذه التُّهم والادعاءات.

وربما كنت مضطراً إلى القول بأن «وحى الرسالة» بأجزائه الأربعة هو محور هذه الدراسة... لا أتعداه إلى غيره من كتب أديبنا الكبير... ولن أستطيع تناول كل ما فى الأجزاء الأربعة من فكر إسلامى هكذا دفعة واحدة... فليكن لنا الآن وقوف مع فكر الزيات المسلم فى الجزء الأول من «وحى الرسالة»، لأنه فى اعتقادى يصور ملامح فكره الصميمى، فإن رأيت فى الأجزاء الثلاثة الأخرى ما يمكن أن يضيف إلى معالم الصورة... فلن أتردد بالطبع فى استقطابه والانتفاع به.

فى المجلد الأول «من وحى الرسالة» مقالات ثلاث عن «ذكرى المولد»، ومقالات أربع عن «ذكرى العام الهجرى»، ومقالات ثلاث عن «رمضان» بأحداثه وذكرياته... وعن «الحج» و«عيد الأضحى» مقالان، ثم شتات من الموضوعات التى تعالج وضع المسلمين

(1) كتبت هذه السطور بعد أيام من وفاة الأستاذ/ أحمد حسن الزيات الذى لم يظفر من نقادنا بعد موته إلا بكلمات قليلة.

وموقف الإسلام في العالم المعاصر.. من أمثال مقالاته عن «الشيخ محمد عبده» و«الامتيازات والدين» و«الأزهر بين الماضي والحاضر» و«محمد الوالد».

ولقد نستطيع أن نقول: إن الزيات في حديثه عن «المولد النبوي» من خلال مقالاته الثلاث.. كان شاعراً مفتوناً بروعة هذا الحدث الرائع المعجز.. الذي حرك محاور الكون.. وصوب منطق التاريخ.. وأدال للحق المضيء من الباطل المظلم.. أكثر منه عالمًا يربط التاريخ بالمقدمات.. ويقفز على متون الجدل العقلاني من قضية إلى قضية أخرى...، كان الزيات شاعراً مفتوناً أكثر منه عالمًا بارد النظرات.. والدليل على ذلك أنه في مقاله الأول عن «ذكرى المولد»، يعرض لفساد الحياة الجاهلية في هذا الأسلوب المكتنز بالشعر: «كانت قافلة الحياة يومئذ جائرة السبيل، حائرة الدليل، خائرة العزيمة.. والعالم الإنساني يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من: وثنية توبق الروح، وجاهلية توثق العقل، ومادية ترهق الجسد...، وكانت الولاية على الدنيا في ذلك الحين لأعقاب من الروم عمهم الفسوق والترف.. وأخلاف من الفرس هدَّهم الغلول والطمع.. والناس عدا هؤلاء وأولئك أوزاع وهمج، إلا شعبًا نبيل الفطرة اعتصم بالصحراء من هذا الفساد الشامل، فما عبث بضميره سلطان، ولا عدا على خلقه طاغية، نشَّأته الطبيعة على سجاياها المرسلة، وراضته على نُظُمها المحتومة، وصفاه الانتخاب بالغزو المتلاحق والدفاع المتصل، فأودى بضعيفه، وأبقى على قويه، حتى لم يدم على أديم الجزيرة إلا سيف صارم، وفرس وجواد، وذراع بطل!!.. ثم تنخل من هذه الصفوة الباقية في القرن السادس أمة وسطا، تحمل المَثَل الأعلى للإنسان الأعلى (سوبر مان) في قوة الحيوية، وكمال الرجولة، وصفاء الحس، تلك هي الأمة العربية التي اختارها الله لقيادة شعوبه الحائرة، واختار منها محمداً لتبليغ رسالته الأخيرة»!!..

إن الزيات هنا لا يرد ظواهر الأشياء إلى بواعثها الكامنة، ولا يسوق القضايا مصحوبة بما لها وما عليها جميعًا.. ولا يعلل لماذا كانت الحركة في العالم القديم غير راشدة؟.. إنه معنى قبل كل شيء بالتحديق في روعة ما أنجز هذا اليتيم النبيّ في عالم مُدَمَّر تمامًا.. بهذه العبارة الضخمة.. وهذا البيان الرقراق.. وهذه الإنسانية الهادئة التي لا تفتعل معاظلة.. ولا تميل إلى تعاظل ما، وربما كان إيثار الزيات للعفوية الشاعرية في تناول القضايا الإسلامية بالذات.. لونًا من ألوان التمرد على كل الكتابات المثقلة بقضايا المنطق.. وقضايا التحليل.. والتدليل.. والتعليل.. حيث لا يمكن أن يكون إيمان

بلا عفوية.. وبلا طرح متعمد لكثير من مقولات المنطق.. ومزاعم الفلسفة.. وكبرياء العقل حتى في رحاب أخطر مناطق الحساسية.. وأكثرها مزالق غير مأمونة المصير!!..، إن الإسلام دين الفطرة، ويجب أن يكون في فكرنا كذلك.. فلنقبل عليه متهللين.. ولندع جفاف المنطق الضاغط أن يرحنا إلى حين.

بين الزيات والعقاد

لا أريد من وراء هذه السطور أن أهدر قيمة المنطق.. ولا أن أهون من دور العقل.. ولا أن أضرب الفلسفة بالسكين.. فإن كل حقولنا الفكرية.. والدينية.. والأدبية جميعا.. تصاب بما يشبه الضياع إن هي فرغت من العقل أو جنحت إلى الحدس.. أو سافرت بلا فلسفة على الإطلاق!!.. كل الذي أردته وأريده بلا حدود أن يتعانق على صعيدنا العربي منطق الأشياء، وعفوية الأشياء، إن ذلك وحده جدير بأن يبقي للحقائق نبضها الحي.. وللعواطف مدلولها السوي.. وللجماهير حرية أن تتعاطف مع حقائق الكون من خلال إطلالها العقائدي الشاعر بروعة الأشياء.

إن رجلاً كالزيات يمثل في فكره الإسلامي جانب العاطفة المتوهجة.. والإحساس الشمولي.. والافتتان بروعة هذا العالم الجليل، بينما يمثل رجل كالعقاد في فكره الإسلامي جانب العقل المتألق.. والمنطق الصارم.. والفوضى من خلال الظاهرة إلى مهيئاتها وبواعثها جميعًا.. ولنأخذ على ذلك مثلاً من كتابات كل من الرجلين.. يقول الزيات -في مقاله عن «ذكرى المولد» في الجزء الأول من «وحي الرسالة»:

«..بين إيوان كسرى وبلاط القيصر اهتزَّ مهد العربي اليتيم في أرض مكة.. فتصدَّع لهزته الإيوان.. وتطامن لهيبته القصر»!!..

ويقول العقاد -في مثل هذه المناسبة من كتابه «عبقرية محمد»:

«ما من بشارة قط من تلك البشائر كان لها أثر في إقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبي بالرسالة، أو كان ثبوت الإسلام متوقفا عليها؛ لأن الذين شهدوا العلامة المزعومة يوم الميلاد لم يعرفوا يومئذ مغزاها ومؤداها، ولا عرفوا أنها علامة على شيء أو على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة؛ ولأن الذين سمعوا بالدعوة وأصاخوا إلى الرسالة بعد البشائر بأربعين سنة لم يشهدوا بشارة واحدة منها، ولم يحتاجوا إلى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا إليه، وقد ولد مع النبيّ ﷺ أطفال كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها، فإذا جاز للمصدق أن ينسبها إلى مولده.. جاز للمكابر أن ينسبها إلى مولد غيره، ولم تفصل الحوادث بالحق بين المصدقين والمكابرين إلا بعد عشرات السنين».

من عثرات اللغة..!

للأستاذ الدكتور/علي أحمد الخطيب

فوجئت وأنا أراجع مادة (نَعَق) في المعجم الوسيط [1] بتحرير عجيب لها يبخسها حقها بخسا ذريعا إذا قورن بأمثالها من مواد ضمها التنزيل العزيز في نفس المعجم. فقد قدمها محرر المادة في المعجم المذكور بهذا الرسم..

● (نَعَق) الراعي بغنمه ـ نَعْقاً ونعيقا ونُعاقا: صاح بها وزجرها. و ـ في الفتنة: جَلَّب. فهو ناعق، وهي ناعقة ويقال: فلان ناعقة بني فلان (ج) نواعق (النَّعَّاق): الكثير النعيق).

والبخس الأكبر للمادة جاء عن طريق حذف شاهدها من التنزيل العزيز أعني قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (البقرة ـ ١٧١)

بكسر العين، يليه البخس المعيب لهذا المعجم، وهو عدم الإشارة مطلقا إلى كسر المضارع الذي عادة ما يكون من أبسط ما يكون في صناعة هذا المعجم، أعني وضع كسرة تحت الخط الممثل للمضارع هكذا (ـِ) [2] ولست أعلم عذرا للبخس الأول فإن طريق الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف مقصد أساسي فيه. فقد جاء -مثلا- في المادة (نَعِم) قال:

(نعم، فعلٌ غير متصرف لإنشاء المدح يقال: نعم الفتى ونعم الفتاة وفي التنزيل العزيز:

﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

(ص: ٤٤)

﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾

(العنكبوت: ٥٨)

---

(١) طبع دار المعارف المصرية ـ الجزء الثاني عام ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

(٢) راجع رموز المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ص١٦ من مقدمة الطبعة الأولى الملحقة بمقدمة الطبعة الثانية حيث إنها ترشد القارئ والباحث إلى أن الخط الأفقي عقب الفعل (ـ) يمثل المضارع ويوضع فوقه الضم والفتح وتحته الكسر حسب لغة المضارع (ـُـَـِ).

وتلحق به «ما» وفي التنزيل العزيز

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾

(البقرة: ٢٧١)

فاستشهد بأكثر من آية من القرآن الكريم، ولا يقال: إن الآية طويلة فقد كان يمكن الاقتصار على قوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ ثم لا عذر.[3]

ومن استشهاد المعجم بالحديث الشريف ما جاء في المادة: «فَرَد».. قال: وفي الحديث: «طوبى للمتفردين»

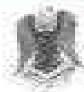
ومنه في المادة (تَفَيْهق) قال (.. وفي الحديث «إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون»).

عجبت لصدور هذا التحرير للمادة بهذا الوضع؛ ولا عذر بأية حال لاسيما وليس هناك قراءة بفتح المضارع يمكن أن تشفع شيئا ما لمحرر المادة.

صحيح أن صاحب القاموس الإمام الفيروز بادي كتب في هذه المادة يقول:

((نعق) بغنمه كمنع وضرب نَعْقاً ونَعيقاً ونُعاقاً ونَعَقاناً: صاح بها وزجرها والغراب: صاح).

وهذا الإثبات منه للغة الفتح لم يعره التفاتا من تقدموه:



مجمع اللغة العربية

المعجم الوسيط

الجزء الثاني

وأقدمهم الراغب الأصفهاني المتوفى عام «٥٠٢»هـ ولو كان ثم قراءة بالفتح لأثبتها.

وجار الله الزمخشري المتوفى عام «٥٣٨»هـ.

وابن منظور صاحب اللسان المتوفى عام «٧١١»هـ وقد وُلد الفيروزبادي صاحب القاموس بعده بثمانية عشر عاما أي سنة تسع وعشرين وسبعمائة «٧٢٩».

هؤلاء الثلاثة استصحبوا مضارع

---

(٣) إنما أقول: لا عذر؛ لأن المعجم الوسيط استشهد بما يماثلها طولا ـ انظر المادة (فتق).

القرآن ليس غير، وأبسطهم استشهادا ابن منظور - رحمه الله تعالى - جاء في اللسان:

(نعق) النعيق: دعاء الراعي الشاء، يقال: «انعقْ بضأنك» أي: ادعها

قال الأخطل:

انعق بضأنك ياجرير فإنما
منتك نفسك في الخلاء ضلالا

ونَعَقَ الراعي بالغنم «ينعِقُ» بالكسر نَعْقاً ونُعاقاً ونعيقا ونَعَقانا: صاح بها وزجرها يكون ذلك في الضأن والمعز.

وأنشد ابن برى لبشر:

ولم ينعقْ بناحية الرِّقاق

وفي حديث المدينة:

«آخر من يحشر راعيان من مُزَيْنة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما أي يصيحان»... وقوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾

(البقرة - ١٧١)

كذلك نجد أمر «الضبط» في المعجم الوسيط مماثل تماما في التوسعة لأمر الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف. ومادة المعجم في ذلك خير شاهد [٤] فأى عذر بعد ذلك؟

أفلا فعل ما فعل محرر «المنجد» في هذه المادة؟!

وبعد:

فقد كان لابد لي من الكتابة في أمر هذه المادة؛ فقد يكون أمام المجمع الموقر مساحة زمنية طويلة لصدور طبعة تضيف بيانا بهذا المضارع، بينما تقتضي الأمانة إسعافا بالتصحيح ينتفع به كل مُقْتنٍ للوسيط. وعلى الله قصد السبيل.

***

(٤) انظر على سبيل المثال تحرير المادة (سَخّ) والمادة (سَخَا) وماضي (سخى) - كيف أعطاها محررها حقها في لغاتها: مضارعها وماضيها على سواء.
ومادة (راح) التي حملَ مضارعها التشكيلين على سواء (ـُـ) - الخ.

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟

٧

للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

رينيه جينو

«رينيه جينو» عالم فيلسوف حكيم.. طبقت شهرته الآفاق في أوروبا وأمريكا، خاصة بعد اعتناقه الإسلام واعتصامه بالقرآن نصاً مقدساً صحيحاً لم ينله التحريف ولا التبديل؛ لأن الله تكفل بحفظه، وحفظه حقيقة.. وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزّت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الظاهرة، فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة، تعبد الله على يقين في معاقل الكاثوليكية في الغرب. من بين مؤلفاته المشهورة كتاب «أزمة العالم الحديث» الذى بيّن فيه انحراف الغرب عن جادة الطريق، وكتاب «الشرق والغرب» الذى أنصف حضارة الشرق وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده.

وقد عرف الدكتور عبدالحليم محمود هذا الشيخ الفرنسي الصوفي، الذى تسمى باسم الشيخ عبدالواحد يحيى، بأنه من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ، يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالي وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلوطين وأمثاله. وبرغم تحريم الكنيسة لقراءة كتبه، إلا أنها انتشرت في جميع أرجاء العالم، وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة، ما عدا العربية -للأسف الشديد- ولم يكن يوجد في الغرب شخص متخصص في تاريخ الأديان، إلا وهو على علم بآرائه.

تحريف الحقائق

ولقد كتب الشيخ عبدالواحد مقالاً مستفيضا بعنوان: «أثر الثقافة الإسلامية في الغرب»، بيّن فيه فضل الثقافة الإسلامية على أوروبا، يقول: «إن كثيرا من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، أو يفقهوا حقيقة ما أخذوه عن الحضارة العربية في القرون الماضية، بل ربما لم يدركوا منهما شيئاً مطلقا؛ وذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم حقائق مشوهة، حظها من الصحة قليل، فإنها تبالغ كل المبالغة في الحط من شأن الثقافة الإسلامية والتقليل من قدر المدنية العربية، كلما أتاحت الظروف لأصحابها ذلك». ثم يضيف الشيخ قائلاً: «ويلاحظ أن دراسة التاريخ في المعاهد الغربية لا توضح هذا التأثير، بل إن الحقائق تناولتها يد التحوير والتحريف قصداً في كثير من الحوادث عظيمة الشأن جليلة الخطر. مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامي عدة قرون، على حين لا يذكر التاريخ الغربي قط أن صقلية والجزء الجنوبي الحالي لفرنسا كانا تحت الحكم الإسلامي -أيضا- وربما عزا البعض هذا الإهمال من المؤرخين إلى تعصبهم الديني.


عبدالحليم محمود

ولكن ما هي حجة المؤرخين المعاصرين - وغاليهم لا ديني- في موافقتهم أسلافهم في قلب الحقائق؟.. إننا نلاحظ دليلاً واضحا يثبت لنا انتقال المؤثرات الإسلامية إلى الغرب: وهو تلك الكلمات العربية الأصل والمنبت التي استعملت تقريبا في كل اللغات الأوروبية. بل مازالت تستعمل حتى وقتنا هذا، على أن معظم الغربيين الذين يستعملونها يجهلون حقيقة مصدرها كل الجهل».

أصول إسلامية للحضارة الغربية

ثم يفصل الشيخ الفرنسي ذلك قائلاً: «.. وفي الحق أن تأثير الحضارة الإسلامية قد تناول لدرجة بعيدة، وبشكل محسوس، كل العلوم والفنون والفلسفة وغير ذلك. وقد كانت بلاد الأسبان مركز الوسط الهام الذي انتشرت منه تلك الحضارة.. أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية: فأما الأولى فإننا نعلم على اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوروبا عن طريق الحضارة الإسلامية

مصبوغة بالصبغة الإسلامية تماما. فالكيميا احتفظت دائما باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى مصر القديمة، والذي كان له معنى من أعمق المعاني التي لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة. ولنضرب مثلاً آخر: ذلك علم الفلك، فإن أكثر اصطلاحاته الخاصة مازالت محتفظة في كل اللغات الأوروبية بأصلها العربي، كما أن كثيرا من النجوم ما يزال علماء الفلك في كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية، ومن السهل جدا أن نوضح أن كثيراً من المعارف الجغرافية الخاصة بالمناطق السحيقة في آسيا وأفريقيا عرفت من الرحالة العرب الذين جابوا كثيراً من الأقطار وحملوا معهم معلومات جمة. أما من ناحية الاختراعات فقد انتقلت -أيضا- بنفس الطريق، أي بواسطة المسلمين. وما تزال قصة الساعة المائية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع.

لا يريدون الاعتراف بفضل الإسلام

أما الرياضيات فيجب أن نعيرها التفاتا خاصاً.. فإن ميدانها الواسع لا نرى فيه علوم اليونان فحسب، بل نرى فيه أكبر الأثر للثقافة الإسلامية.. وإذا انتقلنا من بحث العلوم إلى بحث الفنون، فإننا نلاحظ أن كثيراً من المعاني التي جادت بها قرائح الكتاب والشعراء المسلمين في الأدب والشعر، قد أخذت واستعملت في الأدب الغربي، بل أكثر من هذا فإن بعض كتاب الغرب وشعرائه قد قلدوا تمام التقليد بعض كتاب المسلمين وشعرائهم.

ويواصل الشيخ الفرنسي رينيه جينو - أو عبدالواحد يحيى- حديثه المهم قائلا: «وكذلك نلاحظ أن أثر الثقافة الإسلامية واضح كل الوضوح، وبصفة خاصة في فن البناء، وذلك في العصور الوسطى: فمن ذلك شكل القوس المعقود الذي صار متميزاً بنفسه حتى صار يدل على طريقة خاصة للبناء كان يستعمل فيها «وقد كان مصدره فن البناء الإسلامي ولو أن كثيرا من النظريات الخيالية اخترعت لمخالفة هذه الحقيقة».

ويختم الشيخ مقالته بقوله: «هذا جزء من كلٍّ من أثر الثقافة الإسلامية في الغرب ولكن الغربيين لا يريدون أن يعترفوا به في وضوح؛ لأنهم لا يريدون أن يعترفوا بفضل الشرق عليهم، ولكن الزمن كفيل بتبيان الحقائق التي يريدون إخفاءها».

***

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

أما الشهادة الرابعة والعشرون فهى للمستشرق «كريستى» (أى. أج).. صاحب دراسة (الفنون الفرعية الإسلامية وتأثيرها على الفنون الأوروبية).. والتى تحدث فيها عن البعث الإسلامى للفن.. وتلقائية الفن الإسلامى.. وتأثير الفن الإسلامى فى الفن الأوروبى.. وعن الفنون الفرعية، من مثل: النسيج.. والزهور.. والورق.. والعملة والآلات الفلكية.. إلخ.. إلخ.

وفى هذه الشهادة يقول «كريستى»:

«فى هذه الأصقاع ـ «الشرقية» ـ كان الفن قد جر عليه النسيان ذيوله حتى الفتح العربى، حيث أخذت صناعة الأوانى الخزفية، بالتأثير الإسلامى، تبدو للوجود بطراز واتجاه جديدين، وبزخارف ونقوش مستحدثة.. لقد انتعشت وارتقت صناعة الخزف الوطنية أثناء الحكم الإسلامى فى مصر والشرق الأدنى، وسلكت سبيل التفنن والإتقان والزخرف، وأصبح المسلمون فيها أساتذة خبراء، وهى الصنعة التى كانت منذ العصور الغابرة تتأرجح بين الانتعاش والخمول.

ولقد اتخذ الفن الإسلامى، وهو فى سبيل تقدمه من جديد بهذا الفن القديم، شكلاً متمايز المعالم، وطابعاً خاصاً واضحاً، حتى يمكن عده طبيعياً، يمر النظر به مر الكرام غير متشكك، كان كل شىء.. سواء أعد للاستعمال الاعتيادى أو عمل لمناسبة خاصة يكسو الزخارف النابضة بالحياة بإسراف عظيم الدقة وبأشكال تبدو وكأنها طبيعية كالرسوم التى تخلعها الطبيعة على الأحياء أكثر مما تبدو زخارف اصطناعية.. فاطراد النسق الإيقاعى فى الزخرف هو للعين الشرقية ضرورة إيناسية صرفة كضرورة اللحن للأذن الغربية.. إن الأشكال الزخرفية يجب أن توضع فى صف أعلى الفنون الصغيرة التى تفتقت عنها العبقرية الإسلامية.. وثم مظهر آخر من مظاهر الزخرف الإسلامى، وهو استعمال الخطوط العربية..»[1]

صناع إيطاليا يقلدون المنتجات الإسلامية

«وهناك طرق أخرى مارسها الصناع المسلمون بنقش المعدن، غير الزخرف المحفور أو المرسوم إنهم برزوا فى فن التكفيت على الذهب والفضة والبرونز والصفر.. إن فن التكفيت المعدنى الإسلامى وصل حد الكمال فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر، واستمر محافظاً على منزلته الرفيعة هذه طوال قرنين...»[2]

«فى نهاية القرن الرابع عشر أخذ فن التكفيت بالاضمحلال، فاندفاع المغول فى سوريا، ونهب تيمور لنك (٧٣٦-٨٠٧هـ ١٣٣٦-١٤٠٥م) لدمشق السنة ١٤٠١م، جر ذيول الدمار على المراكز الصناعية النشيطة، وشتت الفتح العثمانى لمصر سنة ١٥١٧م البقية الباقية بين الأساتذة القاهريين القليلين.

ولكن، فى الوقت الذى كان هذا الفن يموت فى مسقط رأسه، أخذ يلقى فى أوروبا اهتماماً متزايداً، حيث قدر له أن يولد ميلاداً باهراً ففى القرن الخامس عشر أخذت التجارة الشرقية التى استعادتها المدن الطليانية أثناء الحروب الصليبية تزدهر للغاية، وأضحت المنتجات الشرقية شائعة الاستعمال عند أمراء إيطاليا الصغار عشاق الفخفخة والمظاهر، الذين أخذ صناعهم يتخذون من تلك المصنوعات نماذج يحتذونها، ويخرجون ما يصح أن يكون نصراً بيناً لتقليدهم إياها. وكان للصناعة المعدنية الإسلامية أثرها العميق على صناع البندقية الحليين حتى ظهرت مدرسة بندقية ـ شرقية قائمة بذاتها، فيها حورت التصاميم والاتجاهات الإسلامية إلى ما يوائم ذوق عصر النهضة الإيطالية...»[3]

«لقد استمد الفن الإسلامى روحيته من

---

(١) كريستى: «الفنون الفرعية الإسلامية وتأثيرها على الفنون الأوروبية». بحث منشور بكتاب «تراث الإسلام» ـ بإشراف «أرنولد» ـ ص ٦٨٧، ٦٧٤، ٦٧٥.

(٢) المصدر السابق. ص ٦٨٠، ٦٨١.

(٣) المصدر السابق. ص ٦٨٤، ٦٨٥.

جزيرة العرب، ولكن شكله المادى قد فصل من مكان آخر، فى بقاع كان الفن قوة تنبض بالحياة..

بدأ الفن الإسلامى فى الجامع هنا ولد فى رائعة النهار، وربى بكل وضوح تحت رعاية عامة الجمهور، وكان أول جامع أبنيته عارية، خلت من أية نزعة معمارية، وجعلت للعبادة والوعظ فقط.. ولكن سرعان ما ظهر جيل أكثر تدقيقاً فى ملاحظة التباين بين فقر المسجد وغنى الكنيسة، وبسير الزمن فى مجراه أصبحت المنارة والمحراب الزخرفين الرئيسيين فى بنايات عدت ـ بسبب براعة التصميم وتلون الزخارف، من بين فتوحات فن العمارة الخالد.

وباتساع رقعة الإسلام أخذ التماس مع الأمم الغربية نظرته الفنية، وأنتجت القيود الصارمة الدائمة التى تفرضها العقيدة اتجاهات جديدة للعمل الفنى الأعلى، زد على ذلك أن اتساع النظرة الإسلامية أدى إلى دخول عنصر ثقافى جديد دنيوى خالص فى طبيعته وتركزه على حساب التفوق الروحى، وعندما أخذت العادات الأجنبية تصيب بعدواها الحاكمين، الذين لم يكونوا أساطين الدين الحنيف، صارت الصبغة الريفية تنسل من جدران القصور، وزحفت أنواع من الفنون ما كانت من الدين فى شىء عندما بدأ الخلفاء المثقفون يكتسبون أذواقاً دقيقة فى الكتب الجميلة والمنسوجات المزركشة بالزخارف وأمثالها من الأشياء اللائقة بملك لا بخليفة الرسول...»[٤]

«سرعان ما أصبح المسلمون أعظم البنائين، كانت عبقريتهم قد أنبتت آراء هندسية ذات مفاهيم فنية دقيقة، ووقف التحريم الدينى للتصوير البشرى حائلاً دون أى تطور فى عمل نحت التماثيل، لكن النحاتين على الصخر والحفارين على الخشب وغيرهما من المواد كانوا عظيمى المهارة..

وفى الوقت الذى كان الفخارون المسلمون يمتصون بكل شوق كل الآراء التقدمية الموافقة، فإننا نجدهم محافظين على أصول فنهم العظيم بإتقانهم أخذ نماذجهم من الخارج وصبها فى قوالبهم الخاصة..

إن تنويع النقش ومتانة الصنع فى هذه القطع الخشبية، أوصل النجارين المسلمين إلى طريقة فذة عجيبة فى تحشيد وتصفيف هذه الخشبيات والتأليف فيما بينها بشكل زخرفى استلطفه المسلمون ووقع فى أنفسهم أجمل وقع، فأولعوا به، وعملوا زخارف من عدة مضلعات منبثقة من أشغال نجمية، وهو طراز فى الزخرفة ربما كان من أبرز وأعظم ما ساهم به الفن الإسلامى فى ميدان فن الزخرف العالمى...»[٥]

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٩- ١٧١.

(٥) المصدر السابق، ص ١٧٣، ١٨٩، ٢١٠.

نفوذ عميق على الثقافة المسيحية

«لقد بدأ التماس بين المسيحيين والمسلمين من أوقات سبقت الحروب الصليبية بأزمان طويلة.

ففى إسبانيا ركز الإسلام نفسه على تخوم أوروبا الغربية، ومارس من البداية نفوذاً عميقاً على الثقافة المسيحية وفى صقلية عاش الدينان فى صعيد واحد، بينما كان شمال أفريقيا كله محكوماً من المسلمين، وكانت سفنه تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط من نهاية إلى نهاية..

وكانت الحروب الصليبية فاتحة عهد جديد، فأصبح الصيت الرفيع شبه الخرافى الذى كان يشار به إلى العرب حقيقة واقعة أمام المسيحية الحائرة المتعجبة، وما لبثت حملات المتطوعين المتقاطرة بين أرجاء أوروبا أن وجدت نفسها فجأة وهى على تماس مباشر بالنظام الاجتماعى الذى كان يضيق من كل جهة بحدود تجاربهم وعقلياتهم المحدودة.

كانت ردود الفعل الناجمة عن هذا الاتصال واضحة فى كل ضرب من ضروب النشاط الاجتماعى، وفاق نجاحه فى النواحى الفنية نجاحه فى النواحى الأخرى بما لا يمكن قياسه.

وطد التجار اللاتين بمرور الزمن صلات تجارية بالمرافئ السورية، فأصبحت التجارة مع الشرق منتظمة فى قواعد ثابتة دائمة، وأخذ يصل الأسواق الأوروبية كل أنواع المصنوعات الإسلامية النادرة، تلك الصادرات صارت تسد حاجات لم تكن من قبل يدركها أو يفطن إلى ضرورتها مستعملوها الجدد، وأثارت روح المحاكاة، وفتحت أينما حلت اتجاهات للتطور بصورة مباشرة أو بطرق غير مباشرة قدر لها أن تؤتى ثمارها الناضجة فيما بعد..

ألف سنة من الإعجاب!!

لقد بقيت أوروبا أكثر من ألف سنة تنظر إلى الفن الإسلامى كما تنظر إلى أعاجيب، لأنه كان بالدرجة الأولى مرتبطاً ارتباطاً محكماً بالأراضى التى طمحت المسيحية أن تستردها، لكن مصدر الإعجاب أصبح بالأخير متأتياً من جمال الفن بذاته.. لقد أصبحت هذه الفرائد التى يقدرها كل خبير حق قدرها مصدر إلهام روحى لأولئك الذين وقفوا حياتهم على فنون كانت مهملة فى الغرب...

لقد قدر للإسلام حين بدأ بالسير فى نهجه المجيد من ناحيته الغربية أن يزرع شكلاً من الفن جديداً فى المدن المتاخمة للأطلنطى.. إن طريقة حفر الرسوم المعروفة باسم «كرافيتو».. استعملت فى القرن الخامس عشر بنجاح عظيم، واستعملها الفخارون الطليان الذين ربما استمدوها من الجهات الإسلامية، إذ أنهم

استحصلوا على آراء ومفاهيم فنية ناضجة منها كانت مفيدة لهم جداً لإحياء فن صناعة الخزف في عهد الرينسانس..

لقد حصل الطليان على أوعية الأدوية البراقة من فلنسية مركز إنتاج هذا الخزف الإسلامي في الغرب، حيث كانت تصنع أشكال من أبدع ما وجد منها في العالم، أحياناً بناء على طلبات وتوصيات تجار أجانب كانت شعاراتهم تنقش عليها..

إن الخزف الإسباني البراق نجح كثيراً وأثار غيرة إيطاليا، حتى إن الفخارين المحليين عرفوا كيف يضيئون نماذج عهد الرينسانس المأثورة بنور لا ينطفئ وبأسلوب يناقض تماماً التقليد المتبع قبلاً.

وفي القرن الخامس عشر حول الزجاجون البندقيون، الذين أشتهر أمرهم في كل أوروبا منذ القرن الثالث عشر، كل اهتمامهم إلى الأساليب الشرقية، وتمكنوا من امتلاك ناصية نقش الميناء بشكل لم يعد معه وقفاً على المسلمين آخذ هذا الفن ينتشر من البندقية إلى مراكز أوروبية أخرى، ويبرز بمبتكرات جديدة، فقوارير الكحول الزاهية الألوان، التي شاعت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، إنما هي أنسال شوهاء للإبداع والدقة الإسلامية في القرون الوسطى.

إن تقليدهم النماذج الشرقية، وإن لم يخل من طرافة، سواء في جمال الشكل أو دقة النقش، لا يمكن أن يضاهي بالأصل قط..

ولم يقتصر استخدام الحرير الشرقي للحلل الكنسية على القرون الوسطى، بل تعداه إلى العصور التي أعقبتها فحلة القداس فصلت من قماش فارسي من مصنوعات أواخر القرن السادس عشر وبداية السابع عشر، بنقوش لا تليق قط بخدمة الغرض الذي فصلت لأجله، فكيف يتسامح بالظهور فيه في المسجد؟ فقوام النقش بصورة رئيسية صف من الشباب الواقفين مرتدين ثياب القصر، قابضين على كؤوس وقوارير خمر، صوروا واقفين وسط سيقان نباتية رفيعة متسلقة تحمل أوراقاً وأزهاراً..

وفي القرن الخامس عشر، نجد الصناع الأوروبيين قد استفزهم النجاح الإسلامي في فنون الصناعات التحافية المربحة التي أصبحت شيئاً جوهرياً لخلال عصر الرينسانس، يتوجهون إلى الشرق وقد انتابهم اهتمام مجدد، فأخذوا بدافع دراسة أعمق الأساليب الإسلامية يصلحون ويوسعون أساليبهم الفنية الخاصة، ويعملهم هذا لم يعودوا يكتفون باقتباس عناصر زخرفية كهذه التي جاء ت عفواً، بل بدأوا يستكشفون، بدقة ونظر جديد، قوانين الزخارف الإسلامية ويقتبسونها بروح جديدة في آثار أوروبية بحتة الصبغة..

ولم تقتصر ممارسة النماذج الشرقية على

صغار الصناع، بل تعدتها إلى شخصيات فنية كبيرة، أمثال (ليوناردو دافنشي)...»(٦)

الحرير العتابي!!

«إن «حي العتّابية» في بغداد، حيث يسكن نسل «عتاب»، ابن حفيد أحد صحابة الرسول ـ «صلى الله عليه وسلم» ـ اشتهر في القرن الثاني عشر بنسيج خاص قلد في إسبانيا، وعرف هناك باسم الحرير «الأتابي»، وعرفته فرنسا وإيطاليا باسم «تابيس»، واشتهر أمره باسمه التجاري هذا خلال أوروبا كلها. وفي ١٣ من تشرين الأول ـ «أكتوبر» ـ سنة ١٦٦٩م الموافق يوم الأحد «يوم الرب» ارتدى مستر «بيباس»، سترته الحريرية العتابية بشرائطها المذهبة، غير مدرك أصول هذه الكلمة العريقة. وفي السنة ١٧٨٦م حضرت الآنسة «بيرني» حفلة ميلاد ملكة وتدسور مرتدية فستاناً من العتابي الليلاكي، وهو صيغة معروفة في بلاد فارس باسم «الليلق»، وقد انتقل إلى الغرب مع الشجيرة المزهرة المسماة بهذا الاسم..

إن الحل الذي استقى منه الصناع الطليان الأول أسرار الصنعة، وأخذوا عنها النماذج والأشكال، هو بالدرجة الأولى جزيرة صقلية، حيث كان الفاتحون المسلمون قد أسسوا في القصر الملكي «ببالرمو» معمل نسيج مشهور بقي مزدهراً حتى عادت الجزيرة إلى الحكم المسيحي أيام النورمان...»(٧)

«ومن بلاد فارس حصل الغرب على مسارب تركية وسورية، في أغلب الأحيان، على عدة نبتات أزهار شاع زرعها في حدائقنا الآن هذه الأزهار لم تكن معروفة لدى أوروبا إلى زمن بعيد إلا في الخزفيات والفخاريات المستوردة من المشرق الإسلامي، وكان أول من جلب زهر الخزامي إلى الغرب هو السفير الإمبراطوري إلى القسطنطينية «بوزبك»، في حوالي منتصف القرن السادس...»(٨)

«وتستعمل الكتب في الحياة اليومية، وتدين بشيء من مادتها وفنها وصنعتها إلى الإسلام، فهي أوسع الحاجات انتشاراً، وربما بدا لأول وهلة أن احتمال ارتباطها بالشرق بعيد.

الأوروبيون عرفوا الورق من العرب

إن الطرق الحديثة لتجليد الكتب وإنتاجها قد استفادت أكثر من الكثير من صناعة الإسلام ومهارته في القرون

---

(٦) المصدر السابق، ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢١٨، ١٦٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٤.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٨) المصدر السابق، ص ١٩٤.

الوسطى.. ومع أن أوروبا قد أتقنت فن الطباعة، ووصلت به حد الكمال قبل وصوله الأقطار الإسلامية، فنحن مدينون للشرق بمادة كانت العامل الأكبر، إن لم يكن الأوحد، فى ارتقاء فن الطباعة وبلوغه مرتبة الكمال. لقد عرف الإسلام الورق ـ وهو اختراع صينى قديم ـ عند استيلائهم على «سمرقند» سنة ٧٠٤م، وتعلموا إنتاجه من الصناع الصينيين، وانتشر استعماله فى الغرب بفضل الإسلام..

وعلى كل حال، فالناشر الحديث ليس مدينا للمسلمين بالورق وحده، ففى غضون القرن الخامس عشر، عندما كانت البندقية منهمكة فى امتصاص الثقافة الإسلامية، و«موضة» الإسلام الفنية فى أوروبا، اتخذت صنعة تجليد الكتب فى إيطاليا مظهراً شرقياً لا شائبة فيه...»(٩)

التاريخ الهجرى على عملة أوروبية

«.. عملة ذهبية، ضربها «أوفا» ملك «مرسية» سنة ٧٥٦م / ٧٥٧م، هى الآن محفوظة فى المتحف البريطانى، تشبه هذه القطعة الدينار الإسلامى شبهاً عظيماً، إلا أن كلمتى «أوفا. ملك» قد ثبتا على وجهيها وسط كتابة عربية منقولة نقلاً أميناً، بحيث إننا نجد تاريخ القطعة الأصلية بالعام الهجرى، ودعاء دينياً إسلامياً ظاهراً للعين فى النسخة. إن هذه القطعة لا مثيل لنوعها، فهى تثبت لنا كم كان واسعاً تداول العملة الجديدة التى تخرجها دور الضرب الإسلامية.

وفى المتحف نفسه شاهد آخر لتماس الغربى بالصناعة الإسلامية فى شخص صليب إيرلندى مطلى بالبرونز، يعود إلى حوالى القرن التاسع، فى وسط زجاجة عليها العبارة العربية «باسم الله» بالخط الكوفى.

فى كلتا هاتين الحالتين لم يكن الصناع يدركون مغزى الكتابة العربية التى ينقشونها أو التى يقلدونها، إذ لا يمكن لكتابات إسلامية بحتة كهذه أن تنقش بدراية وفهم على عملة ملك مسيحى، أو تثبتها فوق شارة مقدسة كشارة الصليب...»(١٠)

«والاصطرلاب، آلة فلكية من مخترعات الإغريق، حسنها الجغرافى الإسكندرى «بطليموس» (٩٠-١٦٨م)، ووصل بها المسلمون حد الكمال...»(١١)

(٩) المصدر السابق، ص ٢١٤، ٢١٥.

(١٠) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(١١) المصدر السابق، ص ١٧٧.

الأمة المحسودة والوعى الغائب

للدكتور/ حمدى فتوح والى

تشهد البشرية اليوم مخاضاً جديداً، وإعادة لصياغة منهج العيش وطبيعة التفكير، وتجتهد كل أمة من أمم الأرض لكى تحافظ على منظومة قيمها ومعايير أخلاقها أمام غول العولمة الهائج، الذى يصر على إخضاع الأرض كلها لإرادته، وتعبيدها لأهوائه ورغبته.

وتتفاوت الأمم - قوة وضعفاً - فى قبولها لمنهج العولمة تبعاً لقوة كل أمة فى التزامها بمنهجها، وصدقها فى تطبيقه، وارتياحها لمبادئه، ومدى ملاءمة هذا المنهج لمطالب العيش وضرورات الحياة.

ولأن مناهج العيش فى كل أمة ليست أمراً طارئاً يذهب ويجىء وإنما هى نتاج ثقافة عميقة، ومعايشة طويلة، وعناق حميم، فإن تخلى أية أمة عن قيمها، وتنازلها عن عقيدتها وأخلاقها ليس بالأمر الهين، ولا بالشىء اليسير، وهذا يعنى أنه لابد أن ينشأ فى الأرض صراع حضارى لينتصر المنهج الأقوى، وليبقى فى الأرض ما ينفع الناس.

وقد شهدت الساحة العالمية صراعاً محموماً خلال القرن الماضى انتهى بسقوط الحضارة الشيوعية، وبسبب هذا الصراع الحضارى شهدت الأرض حربين عالميتين أكلت أجساد عشرات الملايين من البشر فى أقل من ثلاثين عاماً.. وبعد سقوط الشيوعية فى روسيا ومن يدور فى فلكها، أصبحت الحضارة الغربية التى تمثلها أمريكا اليوم هى القطب الأوحد.

وبدا واضحاً أن أمريكا أصبحت تعانى مشكلة من نوع غريب وعجيب، وهى مشكلة غياب العدو الذى كان يمثل بالنسبة لها الحفز الدائم، والمثير المستمر، والذى به كانت الإدارة الأمريكية تستنهض

الهمم، وتستثير العزائم، وتبتز الشعوب، وكان لابد أن يوجد لهذه المشكلة حل قاطع وسريع.. ووجد شياطين السياسة ضالتهم فى شياطين الثقافة والفكر من أمثال «فوكوياما» و«هنتنجتون» وغيرهما من المفكرين. ووجد هؤلاء الشياطين الحل فى استهداف الإسلام. هذا المارد الذى نام طويلاً، وبدأ يتململ ويوشك أن يعود إلى الأرض من جديد.

هجمة صليبية يهودية

ومنذ ذلك الحين أصبحنا نسمع عن مصطلح الإرهاب، ونرى أحداثاً لا تعرف لها فاعلاً حقيقياً، لكنها كانت دائماً تلصق بالإسلام وأمام الهجمة الصليبية اليهودية البشعة، التى تصر على تذويب جميع كيانات الأرض، وإدخالها فى كيانها باسم ما يسمى بالعولمة، أصبح لزاماً على كل مسلم أن ينتبه لهذا الغول الخيف، وأن يأرز إلى الإسلام كما تأرز الحية إلى جحرها. وأن يستمسك بثوابت الإسلام الصحيحة، حتى ينجو من هذا الخطر الماحق وهذا الغول الخيف.

وإذا كانت الصليبية العالمية فى ظل شعورها بالفراغ من أية قيمة أخلاقية أو دينية تحاول أن تخلق لنفسها عقيدة جديدة ترضى بها أتباعها، فقد اختارت أن تتبنى فكرة «صراع الحضارات» وهى فكرة تنطلق من يقين الرجل الغربى بأنه هو الأعلى والأرقى والأجدر بالسيادة والأحق بقيادة أهل الأرض جميعاً هذه الفكرة اللعينة التى سيطرت على عقل هتلر.. فظهرت فى صورة «النازية» وأراد أن يقنع العالم بعد أن أقنع مواطنيه بأن الألمان هم الجنس الممتاز من بين أجناس الأرض، ولهذا يجب على أهل الأرض جميعاً أن يكونوا تبعاً للنازية، ورفع شعاره المعروف «ألمانيا فوق الجميع» وهذا الفكر الذى اعتنقه هتلر ومعه ألمانيا كلها هو نفس المبدأ الذى أعلنه اليهود ومازالوا يعلنونه ويدافعون عنه باسم «شعب الله المختار» وهو نفس المبدأ الذى عاشت به بريطانيا طويلاً وهى تعلن أنها صاحبة التاج الأوروبى وأنها بريطانيا العظمى وأن جميع أهل الأرض مضطرون - رضوا أو أبوا - أن يكونوا عبيداً لبريطانيا، حتى أطلقوا عليها «الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس» واليوم تلعب أمريكا هذا الدور باسم العولمة لكن بصورة أشد وقاحة وهمجية ولدادة.

وأمام غول العولمة القادم لم يعد هناك عذر لأحد لكى يبقى ساكناً لأن السكون يعنى دخوله فى دائرة الفلك المتحرك والذى تمثله العولمة أصدق تمثيل، وصار لزاماً على كل مسلم أن يختار بين الإسلام طريقة عيش ونهج حياة، وبين النموذج الغربى بانحلاله وتفسخه وعهره وصلافته، وأنانيته وغروره.

عدوان من أجل العدوان

وهكذا أصبح الجيش الأمريكى يتحرك فى مناطق العالم الإسلامى وكأنه يتحرك فى أرض بوار لا يسكنها بشر برغم تمتعها بأعظم حضارة، وأعلى كثافة، وأصدق عقيدة. وأقدس تاريخ، لكن ما وزن هذه المقدسات جميعاً إذا كانت فى نظر الأمريكيين هى السبب الذى يستحق أهلها من أجله أن يدمروا، وأن يقتلوا.

وأن يشردوا ويبادوا، وأن يحاسبوا على اختيار عقيدتهم، وتبنى حضارتهم، وإبداء الرغبة فى الانطلاق من أصولهم وثوابتهم كما هو مكفول لأمريكا وأوروبا وكل دول العالم.

لقد ظن الرئيس الأمريكى ومن حوله من عصابة التطرف اليهودى، أن الوقت قد حان للقضاء على الإسلام عقيدة، بعد أن اطمأن إلى أنه قد قضى عليه شريعة، وبعد أن رأى حلقات الاستعمار الصليبى قد مهدت لذلك من قبل على مدى سنوات القرن الماضى، ونسى هؤلاء أن الإسلام قد مرّ بتحديات أقوى وأعظم مما يواجهه اليوم، بالرغم من خطورة هذه الموجة العاتية الهوجاء، لكنه خرج منها جميعاً أصلب عوداً، وأنقى معدناً، وأشد يقيناً فى نصر الله، فكانت تلك الضربات بمثابة التنبيه الشديد لرأس غلبه النوم واستولى عليه خدر لذيذ.

خير أمة

إن قوة أعدائنا لا تخيفنا لكنها ينبغى أن توقظنا إن نمنا وتنبهنا إن غفلنا وتشحذ همتنا إن غلب علينا الاسترخاء والخمول.

إن على أمتنا الإسلامية أن تدرك عن يقين أنها أمة محسودة بما منّ الله عليها بهذا الدين العظيم، فجعلها به:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وفضلها بهذا الكتاب على العالمين. فحفظ بالقرآن لغتنا، وأعلى شأننا ووحد بيننا واختصنا بخاتم النبيين وإمام المرسلين. وجعل الإيمان به واجباً على أهل الأرض أجمعين. وخاطب أهل الكتاب من قبلنا بقوله:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾

(المائدة: ١٥)

وأكد ذلك بقوله لهم:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(المائدة: ١٩)

بل إن الله - تبارك وتعالى - أمر نبيه أن ينادى فى الناس جميعاً بقوله:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

ولا يزال الإسلام بخير

وعندما طلب أهل الكتاب من ربهم أن يغفر لهم بعد أن أعلنوا أنهم رجعوا إليه:

﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

﴿ الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ۝ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾

(الأعراف: ١٥٦، ١٥٧)

فجعل الإيمان به - ﷺ - شرطاً لقبول إيمانهم ومغفرة ذنوبهم وهذه الحقائق التى نطق بها القرآن العظيم ليست خافية عليهم ولا محجوبة عنهم وإنما جاءت بها كتبهم، وعقلها كثير من المنصفين منهم، ومايزال الإسلام كل يوم يتلقى أفواجا من المقبلين عليه والداخلين فيه ممن يتجردون من أهوائهم ويطلبون الحق خالصا من شوائب التكبر والجحود.

أما الذين يعرفون الحق ويكابرون، ويحول بينهم وبين الدخول فى الإسلام أحقاد نفسية. ونوازع شيطانية. ونزعات عنصرية فهؤلاء هم المقصودون بقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾

(البقرة: ١٠٩)

وهؤلاء الحاسدون المجرمون لم يقف حسدهم عند مجرد البغض والكراهية، وإنما تعداه لتمنى زوال النعمة وحلول النقمة؛ بل إن الأمر لا يقف عند حدود التمنى، وإنما تخطاه إلى المقاتلة والإصرار على محو كل ما يذكرهم بنعمة الله علينا، وهو الالتزام بأحكام هذا الدين وهذا ما نفهمه من قول ربنا - سبحانه - محذراً من كيدهم وكاشفا لنواياهم:

﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾

(البقرة: ١٠٥)

عدوان كافر وقلب حقود

إنها البغضاء قد ضاقت بها صدورهم فنضحت بها ألسنتهم، وتحركت بها جيوشهم. عندما تنادوا إلى تحالف شيطانى يستهدف الإسلام والمسلمين فى حرب إبادة بشعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا، حتى دخلوا على المسلمين الجبال والكهوف وتعقبوهم بالقنابل الذكية والصواريخ ذات الرءوس النووية، دون أن يعرف أهل أفغانستان سببا واحدا هذا العدوان الكافر المنبعث من قلب أسود حقود. وسيظل كثير من المسلمين فى حالة حيرة بلهاء إلى أن يدركوا عن يقين ثابت وإيمان راسخ معنى قوله تعالى:

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

(البقرة: ٢١٧)



جندى امريكى يقوم باقتحام فصل دراسى بإحدى مدارس الفتيات ببغداد

وقوله - سبحانه:

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾

(البقرة: ١٢٠)

وعندها لن يقف أحد من المسلمين ليسأل هذا السؤال الساذج: إذا كانت حجة «بوش» قد بدت ضاحضة وذرائعه لاحتلال العراق قد بان كذبها وظهر فجورها، فلماذا لم يعتذر؟ أو على الأقل يتوقف عن هذه الحرب القذرة التى أودت بحياة أكثر من نصف مليون إنسان لا يعرفون بأى جريمة قتلوا؟ وإلى متى سيستمر حمام الدم يتدفق من شرايين الرجال والنساء والأطفال؟!!

لن يسأل أحد من المسلمين الصادقين هذا السؤال لأنه يدرك معنى قوله سبحانه:

﴿ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾

(آل عمران: ١٨٦)

إن المسلمين يدفعون اليوم ضريبة تقصيرهم فى إعداد العدة، وأخذ الأهبة، والاستعداد لهذا الموقف العصيب عندما دعاهم ربهم إلى ذلك بقوله:

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ﴾

(الأنفال: ٦٠)

قضية «الدين» فى ظل العولمة

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

إذا كانت «العولمة» بهذه المثابة من قوة الانتشار، وإذا كانت آثارها بهذه السعة، فإن أبرز ما يهمنا أن تبحث فى آثارها على الثقافات الوطنية للأمم، لأن الثقافة هى التى تشكل وجدان الشعوب، وتبلور مشاعرها وانتماءاتها، ولذا كانت - وعلى امتداد التاريخ قديمه وحديثه - أول ما يستهدف من قبل المستعمر الذى يحاول دائما، استمالة الشعوب تجاهه، حتى يسهل عليه اقتيادها، والسيطرة على مقاليد الحكم فيها.

ولقد حاول الغرب كثيرا السيطرة على الشرق الإسلامى بكل وسيلة ممكنة، وأولها وسيلة القوة، وإرسال الجيوش الغازية، وتكررت محاولاته بصور شتى لإضعاف الدول الإسلامية، انتقاما لنجاح المسلمين فى نشر الإسلام فى جنوب أوربا إلى أن وصل الدين الحنيف جنوب فرنسا، كمقدمة قد تجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية خالصة، ولئن كان يقال: إن الهدف من الحملات الصليبية هو الاستعمار والاستغلال الاقتصادى فإن ذلك لم يكن كل أهداف هذه الحملات. أما الهدف الأسمى فلقد كان الانتقام من الشرق المسلم بإذلاله وإضعافه، وتفكيك أوصاله، وكان «أول من دعا إلى هذه الحروب الصليبية - كما يقول صاحب كتاب حاضر العالم الإسلامى - هو البابا سلفستر الثانى سنة ١٠٠٢م، ولكنه لم يوفق، ثم البابا غريغوريوس سنة ١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالى عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧م

وكان كتاب النصارى ومفكروهم يحرضون عليها..»(١).

وانتهت الحملات الصليبية بالفشل الذريع إثر حروب طاحنة، استمرت قرنين من الزمان، عاد بعدها الغرب إلى أوكاره خاسراً مدحوراً، فلجأ إلى حيلة أخرى هى الاستشراق والتبشير: حيث تكون مهمة الاستشراق، هى دراسة كتب المسلمين وترجمتها إلى لغاتهم، وتزييف أفكارها وتشويه قداستها، وتأتى بعد ذلك مهمة التبشير لتغزو العقل المسلم، وتخرجه من دينه الذى يدافع عنه بدمه ونفسه، ليدخل النصرانية كرد فعل معاكس لما قام به المسلمون أيام أن دخلوا الأندلس، وحولوا جنوب أوربا إلى بلاد مسلمة.

الصهيونية.. هدف استعمارى

ولما لم تفلح هذه الخطة التى كان قد دعا إليها لويس التاسع ملك فرنسا وأصبحت كل من «اللعبتين» - الاستشراق والتبشير - مكشوفة الأهداف، لجأ الاستعمار إلى زرع هذه الدولة الصهيونية - إسرائيل - لتكون سببا مهما وقويا لاستنزاف خيرات الشرق، وعاملا من عوامل إنهاكه، حتى يضعف عن الجهاد فى سبيل المحافظة على دينه، فكانت هذه الحروب الطاحنة، التى لا يزال المسلمون يعانون وبلاتها المتزايدة يوما بعد يوم. غير أنهم بعد هذا كله، لا يزالون يرون أن الإسلام هو القوة التى لا تقهر، ولا تزال تدفع فى عروق أبنائها حماسة وأنفة لا تلين لغاصب ولا تنحنى أمام دخيل، مهما كانت قوة سلاحه، ومهما بلغ من شراسة وغطرسة، فكان اللجوء إلى السياسية، وحيلها التى تنطلى على السذج قليلى الخبرة من قادة الشعوب ومفكريهم، فكانت الحداثة بخطواتها المتتابعة فى الفن والأدب والأخلاق والعادات والتقاليد، حتى وصل قطار السياسة الدولية إلى آخر نقطة فيه - أى فى الحداثة - فانتقلت الآن وفى السنوات القليلة الماضية إلى ما بعد الحداثة، وهو ما أطلق عليه مؤخرا «العولمة» والتى تشمل ميادينها الحياة البشرية كلها على نحو ما أوضحنا آنفا.

ولكن هناك سؤالا يطرح نفسه وبشدة على الساحة الإسلامية عامة: إذا كنا قد ذكرنا سابقا أنه لا مناص لنا من الانخراط فى عالم اليوم، والاعتراف بـ «العولمة» باعتبارها أسلوبا جديدا للحياة على هذا الكوكب الأرضى، وحقيقة زاحفة لها من الوسائط والآليات ما يمكنها من السيطرة والتأثير فى حياة الشعوب كلها، وحتى نستطيع أن نحيا وتستمر حياتنا نحن الشعوب الإسلامية، فيهمنا هنا أن

(١) راجع كتاب «أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى» د. على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق، هامش صفحة ١٦.

تساءل: ما موقف الإسلام من «العولمة» حتى نتمكن من أن نضع أقدامنا على الطريق الصحيح فى خضم الأحداث المتلاحقة، لنأخذ من هذه «العولمة» بقدر ما هو ضرورى ونافع، ونتفادى ما ليس ضروريا وما هو ضار، وبالتالى نحدد موقفنا على ضوء هذا كله فى التعامل مع عالم اليوم.

مفهوم الثقافة

وقبل أن نجيب عن هذا التساؤل نود أن نضيف مرتكزا مهما نلقى فيه مزيدا من الضوء على مفهوم «الثقافة» التى هى من أهم أهداف العولمة - والثقافة الدينية جزء منها لا يتجزأ، حيث يؤثر فيها ويتأثر بها سلبا وإيجابا لنؤكد على قداسة ما نحن بصدده، وهو بيان أهمية المحافظة على ثقافتنا الإسلامية مهما كلفنا ذلك من تضحيات.

فالثقافة: هى مجموع خبرات الإنسان النظرية والعملية، التى تحدد رؤيته وبالتالى موقفه من الحياة التى من حوله، ومن الكون وأشيائه، كما تحدد علاقته بخالقه، وما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حقه سبحانه، وعلى هذا فإن الثقافة الدينية لكل أمة إنما تشكل أهم عنصر من مكونات ثقافتها العامة التى تؤمن بها وتعمل على تنميتها.

إذن «فإن الثقافة من المنظور الوظيفى تلعب أدوارا متعددة ومتشابكة فى حياة الأمم، فهى الذاكرة الحافظة لحصيلة ما مرت به الأمة من خبرات وتجارب عبر تاريخها، وهى الآلية الضابطة لإيقاع حركة مجتمعها والمحافظة على تماسكه، بما تؤسسه من قيم، وترسخه من تقاليد وأعراف.

وهى فى النهاية الأداة التى تستخدمها لفهم حالها، ولتفسير ما يدور من حولها من أمور بما تقدمه من طرائق تحليل ومنهجيات تفكير، ومن ثم فهى وسيلتها لتحديد مسارها فى زمنها الذى تعيش فيه، ولتلمس طريقها فى زمنها الآتى. وتتميز العلاقة بين الثقافة وبين المجتمع الذى أفرزها بطبيعتها الجدلية ثنائية الاتجاه.

«فالثقافة، ككيان معنوى له سماته المميزة التى تختلف من مجتمع لآخر، ليست كيانا جامدا ومتحجرا بل هى بالضرورة كالكائن الحى، يتصل نموها وتبدلها وتحولها بتطور المجتمع. ومن ناحية أخرى تحدد الثقافة السائدة فى مجتمع «ما» مدى قابليته للتطور والاستجابة إلى مقتضيات التغيير الذى تفرضه طبيعة العصر الذى يعيش فيه.

لذا فإن الحديث عن الثقافة، على وجه العموم، وعن مستقبلها «فى ظل العولمة الزاحفة» على وجه الخصوص، وفى خضم ما يراه بعضنا أولى بالمناقشة، ليس خيار مترفين، ولا ترف مكتفين، بل هو بالأحرى حتم مهمومين بقضية تهيئة

وطنهم لملاقاة الألف الثالثة (وهى تبدو حبلى بالكثير والكثير من المتغيرات التى ستقلب شأن الأمم رأسا على عقب) إنه حتم تفرضه طبيعة وظيفتها التى تجعلها فى نهاية المطاف تتجسد فى صورة ممارسات يومية أو أمور حياتية. وهو أيضا حتم يفرضه زماننا الآنى والآتى الذى حلت فيه الموارد الثقافية، كما تتمثل فى قدرات أفراد المجتمع الذهنية والإبداعية فى شتى مجالات العلم والتكنولوجيا والأدب والفن، وكما تتجسد فيما ينتجونه فى هذه المجالات، محل الموارد الطبيعية فى تقرير مصائر الأمم وفى تحديد مكانها ومكانتها فى عالم الغد»[٢].

وإذا كان هذا هو حال الثقافة بشكل عام، وتلك أهميتها بالنسبة للأمم، فلنعد الآن إلى بيان موقف الإسلام الصحيح من العولمة، ومن ثقافة العولمة.

صراع بين الكفر والإيمان

إن الإسلام الحنيف دين سمح كريم، يفسح صدره دائما لكل أصناف البشر، ويدعو الناس جميعا لأن تستظل بظله الوارف، وتستمتع بكل مبادئه وأخلاقه من خلال تعاملها مع أبنائه الذين تشبعوا بروحه، وقامت حياتهم على هدى من نوره الوضاء، وبعد أن تعطرت أرواحهم بعطره الفواح وهو - أى الإسلام - يعترف بعدة حقائق تسير كلها جنبا إلى جنب فى خطوط متوازية، لا تلغى إحداها الأخريات:

- الحقيقة الأولى: أن الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأبيض على أسود، ولا لأحمر على أبيض. قال الله تعالى فى محكم التنزيل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

- الحقيقة الثانية: أن هناك الصراع الدائم بين الكفر والإيمان، بين الهدى والضلال، لتكون نتيجته فى كل عصر خيرا لقوى الإيمان والهدى: نصرا كانت أو شهادة، وشرا وبلاء على قوى الكفر والضلال: قتلا واندحارا، أو مدا لهم فى أسباب الغواية والطغيان، ليؤخذوا بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر.

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

«البقرة: ١٢٠»

---

(٢) د. السيد نصر الدين السيد، فى كتابه القيم «إطلالات على الزمن الآتى» ص١١٨. من منشورات مكتبة الأسرة، وما بين المعقوفات [illegible] الترجمة كاتب المقال باعتباره ضرورة من ضرورات توظيف النص المنقول.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾

«البقرة: ٢١٧»

إذن فالصراع دائم إلى ما شاء الله، وفي كل الميادين وبكافة الأسلحة..!!

● الحقيقة الثالثة: أن الناس في اختلاف دائم، ولن تجمعهم جامعة واحدة، وتلك مشيئة الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

«هود: ١١٨، ١١٩»

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾

«يونس: ٩٩»

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

«يونس: ١٩»

● الحقيقة الرابعة: أن النصر في نهاية كل صراع حليف الإسلام، لأنه الحقيقة الإلهية الكبرى، وهو آخر صيحة أطلقتها السماء إلى أهل الأرض، وإلى أن تقوم الساعة:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

«المجادلة: ٢١»

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

«المجادلة: ١٩»

﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

«المجادلة: ٢٢»

وانطلاقا من الحقيقة الأولى، فإننا لن نغلق الأبواب والنوافذ في وجوه هؤلاء الناس، ولن نقاطعهم أو ندير لهم ظهورنا، ولنا في ذلك عدة مرتكزات:

● الأول: أن ديننا يأمرنا أن نتحاور معهم، وأن نأخذ أفضل ما عندهم، وأن نتعلم لغاتهم ونتعرف على عاداتهم وتقاليدهم، لنكون في مأمن من مكرهم وشرهم:

﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

«النحل: ١٢٥»

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

«العنكبوت: ٤٦»

وقد تعلم بعض الصحابة لغات الأعداء، فكانوا مصدر أمان للمسلمين.

● الثاني: أننا لا نستطيع - ولن نستطيع - أن نغلق الأبواب والنوافذ في وجه ثقافة الآخر، فنحن - كما يقول - في عصر

السموات المفتوحة، التي تحمل من الثقافات ما يتسلل مع الهواء إلى الرئتين. ومن لم يعترف بهذه الحقيقة طواعية، فسوف يعترف بها كرها، وهو مكمن الخطر في هذا العصر.

● الثالث: أن هذه الثقافات العالمية الوافدة، ليست شرا كلها، وإنما هي مزيج من الخير والشر، والكياسة هنا في أن نختار ما يفيدنا ونترك ما يضرنا، فالمؤمن كيس فطن..!!

العالمية إحدى أهداف الإسلام

أضف إلى هذا كله أن الإسلام دين عالمي عام، تنفتح آدابه وأخلاقه وعباداته وعقيدته على العالم كله، وفي كل عصر إلى أن تقوم الساعة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾

«الحج: ١»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

«النساء: ١»

إذن فلا منازعة هناك بين الإسلام كدين سماوي، له عقيدته المصونة وآدابه وأخلاقه ومثالياته في السلوك البشري، وبين وحدة الجنس البشري بمفهومها الشامل، ومن هنا لا يرفض الإسلام فكرة «العولمة» في ذاتها، شريطة أن تخلص من كل ما يسئ إلى الآخرين في عقيدتهم، وآدابهم، وأخلاقهم، وسلوكهم.

«فالعولمة» في جانب من معطياتها، تسير في ركاب «العالمية» التي هي إحدى أهداف الإسلام كدين سماوي جاء ليضم العالم كله تحت جناحه. صحيح أن المتتبع لكلمة «عولمة» يجدها اشتقاقا غريبا مصنوعا من الفعل «عولم»، وهو استخدام حديث، لعله نشأ من الغرب، أو ترجم من اللغات الغربية على هذا النحو الغريب، ليعطي إيحاء جديدا مقصودا، يشمل كل شؤون الدول: سواء تلك التي دعت إلى اعتناق هذه الفكرة، أو غيرها من دول العالم الثالث أو العالم النامي. وربما كان اختصارا ذكيا لـ«قولبة العالم» أي وضعه - عن قصد - في قالب واحد. وتلك قضية لا شأن لنا بمناقشتها الآن، فإن البحث فيها لا يفيد كثيرا، ولكننا على أي حال نأخذ منها نقطة التماس، التي تشترك فيها مع مفهوم العالمية، لنقف ولو جزئيا على موقف الإسلام الصحيح منها.

❁❁❁



يد الله

تأليف

جريس هالسيل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل

على كل مسلم - خصوصاً من يتصدى للدعوة - أن يأخذ نفسه وأبناءه بالهدى القرآني؛ ففيه الشفاء من كل الأدواء، وفيه الوقاية من كل العوارض... به ربى الله رسوله وعلّمه ما لم يكن يعلم، وبه أعد الرسول الأكرم من صحبه أجيالاً متواصلة متلاحقة؛ فصنع منهم من تمكنوا من كل وسائل الدعوة ما استطاعوا به أن ينشروا الإسلام في شتى بقاع المعمورة، مما أثار - وما زال يثير الدهشة والإعجاب - لتلك السرعة الفائقة التي لم تستغرق بضع عشرات من السنين قدموا فيها الإسلام صافياً من شوائب الشرك، خالياً من غشاوات الضلال والبهتان، مجرداً من كل خدع الكذب والنفاق.

والمتأمل في الهدى القرآني يتبين: أن محمداً ﷺ وصحبه ما استعانوا على ذلك بالسحر والشعوذة، ولا بالقهر والإكراه، ولكنهم استعانوا بالهدى التربوي الإلهي الذي تضمنه قوله - عز وجل -:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

نعم... إن الوسيلة التي حقق بها محمد ﷺ وصحبه هذا النجاح في الدعوة إلى الله... تلك الوسيلة هي البصر الشامل لكل أبعاد الحياة؛ فليس البصر بالرسالة وحدها كافياً، وليس البصر بما يملك الداعية من إمكانات كافياً وحده، ولكن لابد من أن يصحب هذا وذلك... البصر بمن تقدم لهم الدعوة، في تفكيرهم، وأحاسيسهم، وانفعالاتهم، وبيئاتهم التي تكتنفهم، وباللغة التي يمكن أن يُخاطَبوا بها، والمعتقدات التي تحفزهم، وتندفع بهم يمنة أو يسرة.. إلى غير ذلك مما تمتاز به كل أمة من سمات وخصائص؛ فالبصر بهذا كله لا يستغني عنه - بأي حال - مَن يدعو إلى الله، ويدرك أن الله رقيبه في كل ما يأتي وما يذر، حتى يتمكن من البصر بتلك الأبعاد الإنسانية، وتصبح البصيرة كالمطية التي يعلوها في مهمته، أو الصاروخ الذي يُشرِّق به ويُغرِّب.

هذا هو الداعية الذي يعتز به الإسلام، وتلك هي أبرز الأسس التي يجب أن يقوم عليها إعداد الداعية المسلم، حتى يكون جديراً بأن يحمل أمانة الدعوة، فيستطيع أن يصل إلى من يدعوهم من أقرب طريق، وأسلكه.

لهذا... رأيت أن أقدم لقارئ مجلة «الأزهر» الغراء ما يمكن أن يقفنا على السر الكامن وراء إهمال كثير من القادة الأمريكيين مصالح أمريكا الحيوية في بلادنا، بل وإهدار مبادئ الولايات المتحدة وقيمها الراسخة؛ استرضاء لإسرائيل.

ففي الشهور الماضية قدمنا بكتاب «النبوءة والسياسة» ما رصدته الكاتبة الأمريكية المسيحية «جريس هالسل» من سلوك ضال مضل، يقوم به جماعة من المسيحيين البرتستانت المنعوتين بالأصوليين الجدد، وعلى رأسهم القس التليفزيوني «جيري فولويل» بقصد تحويل الأمريكيين عن سماحة المسيحية وتسليمها إلى عنف الصهيونية وشراستها، ومعاداتها لكل ما هو إنساني، عن طريق الدعوة الدائمة للتأهب لحرب إبادة يُدمر بها جميع معالم الحضارة الإنسانية؛ استعجالاً لعودة المسيح ثانية، وفق المضمون الأسطوري لمعركة «هر مجدون» التي اخترعها «فولويل»، وزيَّف من أجلها الواقع الثابت، والحقيقة اليقينية للمسيح رسول المحبة والسلام؛ انطلاقاً مما جاء في نبوءة «حزقيال»، صنع ذلك كله مقابل ما قدمته - وتقدمه - إسرائيل له ولصحبه من مزايا ورشاوى مادية ومعنوية نقلتهم من معاداة إسرائيل إلى ممالأتها في كل جرائمها، ضاربين بمصالح أمريكا عرض الحائط.

وكتاب هذا الشهر «يد الله» تأليف الكاتبة «جريس هالسل» نفسها يقدم صورة لواقع قطاع عريض من أصحاب القرار في البيت الأبيض، وفي «الكونجرس» الأمريكي، ومدى استجابتهم للحركة الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة... وهي صورة تقوم على الواقع، وتدعمها الوثائق والمعلومات المتداولة، والتحليلات التي تشكل مرجعاً لا يستغني عنه أي باحث في الشئون الدينية، أو مهتم بها.

أما كتاب «يد الله» فهو يشغل - على خطره - إحدى عشرة ومائة صفحة من القطع المتوسط، تضم أربعة عشر فصلاً ومقدمة للمترجم، وأخرى للكاتبة.

وأما مؤلف الكتاب فهي الكاتبة «جريس هالسل» التي كانت تعمل كاتبة في البيت الأبيض في ستينيات القرن العشرين، وعاصرت الرئيسين «جيمي كارتر» و«رونالد ريجان» وهما

فى سدة الرئاسة الأمريكية، وشد انتباهها منذ طفولتها أمورٌ غامضة، تحولت مع الزمن إلى أسئلة، دفعتها إلى البحث عن أجوبة لها سنوات طوالاً إلى أن أوقفتها بعض المصادفات على ما تبحث عنه، حيث كان هذا الكتاب الذى قدمته دار الشروق القاهرية مترجماً فى طبعته الأولى سنة ١٤٢١هـ/ سنة ٢٠٠٠م، وفى طبعته الثانية سنة ١٤٢٣هـ/ سنة ٢٠٠٢م.

الصلاة من أجل تدمير العالم

فى الفصل الأول «انتشار عقيدة هَرْ مَجِدُّون» بدأت الكاتبة تتحدث عن صباها، وما خلفه حديث المبشرين فى عقلها من معلومات أسطورية، مستمدة من الكتاب المقدس، مثل يأجوج ومأجوج، وتذكر أن هذه الأحاديث المثيرة ظلت تنمو معها حتى وصل بها ما سمعته من بعض المعتزين بالكتاب المقدس إلى قمة الإثارة والدهشة. حتى لقد ظلت تتشوف إلى من يجيب عما يدور فى رأسها من أسئلة حول هذه المعلومات والأشخاص، إلى أن ساقت لها المصادفة من يفتح أمام بصيرتها منافذ للحقيقة. وأن بداية ذلك كان فيما ردده على مسامعها القس «جيرى فولويل»، وما قاله لها «ليندسى» مستبشراً: «إن الله يريدنا أن نخوض معركة رهيبة، تضع حداً للتاريخ الإنسانى. والآن - مع حوالى اثنتى عشرة دولة تملك السلاح النووى - تستطيع بالفعل أن تقضى على العالم».

ومثل ما قاله «بات روبرتسون» الإنجيلى التليفزيونى: إن الكتاب المقدس يحتوى على إشارات محددة حول أحداث العالم المقبلة، إنه يتضمن نبوءات تهز الدنيا؛ فمعركة «هر مجدون» فى موقعها، ويمكن أن تقع فى أى وقت لتحقيق نبوءة «حزقيال»، إنها على استعداد لأن تحدث؛ فالولايات المتحدة تقع فى هذا المقطع من نبوءة «حزقيال»، ونحن نقف على استعداد.

ومثل ما كتبه المؤلف «جون هاجى» فى «الفجر الأخير» قائلاً: «إن نهاية العالم - كما نعرفه - تقترب منا، وأن أمريكا رمز لتيتانيك حديثة... إننا الآن فى سباق نحو الكارثة.

ومثل ما أعلنه القس «كين برغ» من كنيسة «ماكلين» للكتاب المقدس، فى قوله: «إن النهاية قادمة، وأعتقد أنه يمكن كثيراً أن تحدث فى أيامنا، وفى تحذيره من أنه حتى قبل «هر مجدون» بالذات... سوف تنفجر حروب أخرى، وأن واحداً من كل اثنين من الناس سوف يقتل؛ أى أن ثلاثة مليارات شخص سوف يقتلون. حتى إن مجلة «تايم» الأمريكية ذكرت - نتيجة استطلاع سنة ١٩٩٨: أن أكثر من نصف الأمريكيين يعتقدون أن كارثة من صنع الإنسان سوف تمحق الحضارة فى خلال القرن التالى.

ومن أبرز الكهنة الذين يبشرون بمعركة «هر مجدون» «جاك فان إيمب» من ميتشجن، و«تشارلز تايلور» من كاليفورنيا، و«ستيوارت ماك بيرتى» من كاليفورنيا، و«تشاك سميث» من كاليفورنيا أيضاً، و«راى برد بيكر»، و«بول كراوش»، و«جيمس سى. روبسون» فى كولورادو، و«لويس بالاو».

وهؤلاء يعتمدون - فى تبشيرهم - على أحدث وسائل النشر من قنوات فضائية، وأقمار صناعية، ومواقع إنترنت؛ قاصدين الاتصال بأكبر عدد من المشاهير والمستمعين، وجمع أكبر قدر من المال.

شعوذة لمكاسب مادية

وتقدم الكاتبة أمثلة تؤكد تلك المقاصد، من بينها: «بات روبرتسون» الذى بنى شبكة البث المسيحية «س. ب. إن» فى فرجينيا بيتش، وهى محطة تربح سنويا حوالى ٩٧ مليون دولار، معفاة من الضريبة، وبهذه الأموال يوفر الأساس لمشاريع أخرى سياسية ودينية، مثل مشروع «التحالف المسيحى» الذى يشكل المنظمة السياسية الأوسع نفوذاً فى الولايات المتحدة، تمثل فى دفاعه بإصرار عن «موبوتو» الرئيس والدكتاتور الزائيرى السابق؛ لأنه يملك منجماً للمجوهرات فى زائير.

وقد أصبح «بات روبرتسون» هذا سنة ١٩٩٩ رئيساً لواحد من المصارف الكبرى، ويخطط الآن لإقامة مصرف وطنى جديد بالتعاون مع بنك «سكوتلندة» بحيث يتعامل مع زبائنه بالهاتف والإنترنت، حتى لا يحتاج إلى فروع أخرى.

و«كنائس الكتاب المقدس» التى تعد مصدر العقيدة القائلة: «إن الله يطلب منا تدمير الكرة الأرضية»، هذه الكنائس تخرج منها العديد من القساوسة الذين يبشرون الآن بعقيدة «هرمجدون» فى أكثر من ألف كنيسة من «كنائس الكتاب المقدس» التى تنتشر فى طول الولايات المتحدة وعرضها، وهى مستقلة تماماً عن أى جسم كنسى آخر.

وتذكر الكاتبة: أن أشد المدافعين عن عقيدة «هرمجدون» هم الذين ينتمون إلى الحركات الإنجيلية، وإلى الحركات الدينية المتسلطة، التى تمثل - فى الوقت الحاضر - الفرع الأسرع نمواً من الأصولية بين مسيحيى شمال أمريكا، وتضم لاهوتيين بارزين، يدرّسون هذه العقيدة مثل «جيم جونز» الذى قال لأتباعه - حين كان يقودهم إلى الموت -: «إن النهاية ستصل بسرعة؛ لذلك دعونا نرافقها، دعونا نسبق الحشود».

فشهرة تلك العقيدة تجاوزت ما يسمى: «المعتوهين»، ووصلت إلى أرفع مستوى فى السلطة الحكومية.

وتقدم الكاتبة أمثلة تبين خطر هذه الحركات الإنجيلية الأصولية على الأمريكيين، فى عقائدهم، وأموالهم، وحياتهم؛ فقد استطاع «هيربرت أرمسترونغ» فى نهاية ستينيات القرن العشرين، وبداية سبعينياته أن يقنع الآلاف من أتباعه بتسليم ممتلكاتهم إلى كنيسة «كنيسة الله العالمية» لما بثه فى روعهم من أن العالم يتجه نحو النهاية.

وقد استطاعت جماعة «تنظيم مذبح الشمس» أن ترتب عملية قتل وانتحار جماعى فى سويسرا، وكندا سنة ١٩٩٤، قتل فيها خمسون شخصاً.

وفى سنة ١٩٩٧ انتحر تسعة وثلاثون عضواً من أعضاء «بوابة السماء» فى مدينة سانتياجو، تاركين وراءهم وثائق تقول: إن العالم كان شريراً، وأنه محكوم عليه بالدمار الحتمى.

تلكم نماذج مما قدمته الكاتبة من أمثلة لسلوكيات اكتست ثوب الدين لاستهواء الأفئدة، انبثقت عن الحركات الإنجيلية الأصولية التي زادت على ألف ومائتي حركة سنة ١٩٩٩.

المسيح يقود معركة هرمجدون

وفي الفصل الثاني «ما هي هرمجدون؟». توضح الكاتبة: أن رجل الأعمال المتقاعد «كلايد» الذي يساعد القس «جيري فولويل» لفت نظرها بتعسفه الشديد في تفسير عبارات الكتاب المقدس في حوارها معه أثناء قيامها برحلة يشرف عليها «جيري فولويل» إلى أرض المسيح سنة ١٩٨٣؛ فقد لاحظت أنه يزيف العبارات بما يضيفه إليها من صنعته، كي يوهم: أن ما يبشر به قد نص عليه الكتاب المقدس، كما بدا في إصراره على أن «هرمجدون» تعني: معركة مكان ما ورد في سفر الرؤيا من حديث عن مكان يدعى «هرمجدون»، ثم ينطلق من هذا التزييف لينسب إلى القديس يوحنا تقديم صورة كاملة عن هذه المعركة النهائية، وليحشو رءوس سامعيه بحديث مختلق عن أربعة من الملائكة في نهر الفرات، وعن جيش من مائتي ألف ألف «مائتي مليون» محارب يمتطون الجياد التي تنفث نارا ودخانا وكبريتا، يتحركون باتجاه الغرب لمدة سنة واحدة، ليدمروا معظم المناطق المأهولة في العالم قبل أن يصلوا إلى نهر الفرات الذي سوف يجف ليتمكن ملوك الشرق والشرقيون من اجتيازه إلى إسرائيل.

وتذكر الكاتبة: أنها لما اعترضت «كلايد» بأن يوحنا إنما كان يكتب لعصره، وليس لعصرنا، وأنه لا يوجد الآن ملوك شرقي الفرات.

رد «كلايد»: لا. لا. يمكن فهم «ملوك» على معنى: قادة، أو رؤساء دول. ثم استرسل متحدثا عن ملاك يفرغ قارورة في نهر دجلة الكبير، فتجف مياه النهر، مما يسمح لجيش ضخم أن يجتاز النهر إلى الضفة الثانية. ويعود ليتحدث عن هذه المعركة ـ مما فهمه من دراسة زكريا وسفر الرؤيا ـ قائلا: إن قوى أمم الأرض قاطبة سوف تحارب المسيح الملك وقديسيه الممجدين، ولكن المسيح في المعركة الأكثر دموية في التاريخ سوف يدمر الملايين، وبعد ذلك سوف يكشف عن ذلك الشر الذي سيلتهمه الله بروح فمه، وسوف يدمره بوهج مجيئه.

ويؤكد: أن تلك الحرب النووية ستبدأ من «مجيدو»، معتمدا على ما قرأه في الفصلين ٣٨، ٣٩ حزقيال من وصف لتلك الحرب قائلا: «إنه ستكون هناك أمطار فيضانية، وبرد، وسيكون هناك نار وكبريت، وسوف تهتز الأرض بقوة، وتتهاوى الجبال، وتتساقط الجدران على الأرض، مع كل نوع من أنواع الرعب».

ومع اهتزاز مشاعر الكاتبة بهذا الوصف المثير.. سألت «كلايد» هل يمكن تصور المسيح جنرالا بخمسة نجوم، يتوق إلى استخدام السلاح النووي؟. فأجاب: نعم. في الواقع نستطيع أن نتوقع من المسيح مبادرة بتوجيه الضربة الأولى، مستخدما سلاحا جديدا، له نفس النتائج التي تسببها القنبلة النيوترونية، حيث تذوب جلودهم وهم وقوف على أقدامهم، وتتلاشى عيونهم في جحورها،

وتشوى ألسنتهم في أفواههم. لقد كان زكريا على علم مسبق بذلك!.

مقدمات معركة هرمجدون

وفي الفصل الثالث «حروب يأجوج ومأجوج» تذكر الكاتبة: أن القس «كلايد» بعد أن بشر بإبادة العالم، وتدمير الحضارات في معركة «هرمجدون» استرسل موضحا أن هناك معارك أخرى سوف تسبق «هرمجدون»، ومنها: معركة يأجوج ومأجوج، حيث يكون احتقان لعدة سنوات من الشر، ومن المآسي والدمار، كما أخبرنا بذلك «حزقيال» في حديثه عن الوثنيين في الأيام الأخيرة. فالله لم يكن يشير بذلك إلى جيران إسرائيل، بل كان يشير إلى الأعداء البعيدين. قال ذلك وهو يردد: «وجاءت إلي كلمة الرب تقول: يا ابن الإنسان وجه وجهك شطر يأجوج»، ولا يعني بذلك إلا روسيا. فالله يعرف أنه ستكون، وسوف تدمر كلها.

وحزقيال جعل الأمر أمامنا واضحا. فأخبرنا: أنه عندما يهاجم يأجوج ومأجوج أرض إسرائيل، فإن ذلك سوف يثير غضب الرب... والرب في غيرته، وبنار غضبه سوف يرسل عاصفة من البرد، والنار، والكبريت، وأن البرد والنار سوف يختلطان بالدم.

ولكي يقتحم بتلك المزاعم روع السامعين... واصل القس «كلايد» قائلا: إن هذه الأشياء التي سوف يرسلها الرب عبارة عن الصواريخ الحديثة.

أما عن حتمية إقدام روسيا «يأجوج ومأجوج» على غزو إسرائيل، فإن القس «كلايد» يرجع ذلك إلى اتخاذ الروسيين موقفا معاديا للرب، باعتناقهم الشيوعية، ولسوف يدمر غضب الله خمسة أسداس الشعب الروسي «يأجوج ومأجوج» فتتحول جثث الملايين منهم إلى طعام للطيور الكاسرة.

ولكي تتمكن إسرائيل من تدمير الشعب الروسي «يأجوج» والأمة الروسية «مأجوج»، وتدمير من يتعاون معهم ـ وكلهم من دول الشمال ـ مثل «غومر» التي نعرفها اليوم باسم ألمانيا؛ فهذه كلها سوف تدمر خلال فترة المحنة!.

ولسوف تستعين إسرائيل بحلفائها الأمريكانيين والبريطانيين؛ فما أن تبدأ روسيا بالغزو حتى تبادر أمريكا وبريطانيا إلى نجدة إسرائيل.

«إننا نجد ذلك في سفر دانيال ١١/ ٣٠»، ويقرأ كلايد نصا يشير إلى سفن راسية في «شيتيم» التوراتية، ويقول: «إنها قبرص، ونحن نعرف أن البريطانيين والأمريكيين يستخدمونها قاعدة لأساطيلهم، وبذلك يستطيعون بسهولة أن يتحركوا لمساعدة إسرائيل»!. على تدمير كل تلك الشعوب والأمم خلال زمن المحنة الكبرى، وهي سبع سنوات من العذاب الرهيب إلى حد الاندثار؛ تمهيدا لرفع الستار عن المعركة الأخيرة!.

وتعبيرا عن أثر هذا الحديث في نفسها، وما خلفه من قلق... سألته الكاتبة ـ في دهشة ـ: عن السلام مع روسيا الذي يشغل الجميع الآن؟!.

فرد قائلا: «لن يكون هناك سلام، حتى يعود المسيح ويجلس على عرش داود»!.

ـ يتبع ـ

مؤتمر مكة السابع ناقش:

الآليات الواجب اتباعها لنصرة نبي الأمة ﷺ

متابعة للأستاذ / عاطف مصطفى

استجابة لرغبات الأمة الإسلامية عقدت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة مؤتمرها المسمى بمؤتمر مكة المكرمة السابع في الفترة من ٥ ـ ٧ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦ ـ ٢٨ من ديسمبر ٢٠٠٦ بعنوان «نصرة نبي الأمة ﷺ»، وبرعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

وقد شارك في هذا المؤتمر صفوة من علماء الأمة ومثقفيها سواء من داخل العالم الإسلامي أو من أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية.

استعرض الباحثون خلال جلسات المؤتمر مجموعة من القضايا المهمة التي تتصل بتاريخ الرسالة الإسلامية وطبيعة الدعوة وأهدافها وطبيعة الحملات المغرضة ضد رسول هذه الأمة سواء على المستوى التاريخي أو على المستوى المعاصر، وأهداف هذه الحملات وتداعياتها كما استعرض الباحثون أيضا آليات نصرة النبي ﷺ.

وعقدت خمس جلسات بحثية علمية غير الجلسة الأولى، وهي الجلسة الافتتاحية التي عقدت في اليوم التالي للمؤتمر والتي تحدث فيها معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فحيا الذين أسهموا في المشاركة في هذا المؤتمر وأشار إلى أهمية التمسك بالإسلام عقيدة وشريعة وإلى أهمية نشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وأهمية الرد على كل الإساءات الموجهة إلى رسول هذه الأمة وإلى عقيدتها وشريعتها ردا عقلانيا يتجنب الانفعال المنفلت ويتجنب الإساءة إلى الغير ويحرص على توضيح الحقائق الإسلامية، ويعرض الإسلام في وسطيته وسماحته وبعده عن كل أشكال الإيذاء للغير وعن كل أشكال العنف والتطرف والبعد عن كل ما يسيء إلى معتقدات الآخر وديانته.

وأشار الدكتور عبدالله التركي إلى أن الإسلام يعلمنا أدب الاختلاف وأدب الحوار واحترام مقدسات الآخر وعقيدته حتى ولو كان مخالفا لعقيدة الإسلام وشريعته.

إساءات لن تضير الإسلام

وقد أكد المشاركون في المؤتمر على مجموعة من الأفكار والأسس والقضايا من أهمها:

● أولاً: أن الإساءة للرسول عليه الصلاة والسلام والافتراء عليه والتطاول على شخصه الكريم ليس بالأمر الجديد فقد حدث ذلك في عصر النبوة وخلال العصور التاريخية التالية كما يحدث الآن في الواقع المعاصر.

وهذه الإساءات لن تضير دعوة الإسلام ولن تحد من هذا الإقبال على هذا الدين ولن تنال من عظمة هذا الدين المتين الذي يخاطب عقل الإسلام وفطرته ووجدانه.

● ثانياً: إن غضبة المسلمين العارمة نصرة لنبيهم ﷺ أمر محمود، لكن لاينبغي أن يكون انفعاليا وعاطفيا وحماسيا فحسب، بل يجب أن تكون المواجهة موضوعية مدروسة ضمانا للنتائج التي تحقق استمرار منع هذه الإساءات.

● ثالثاً: إن الحملات على الإسلام وصاحب الرسالة الخاتمة تتذرع بحرية التعبير باعتبارها حقا تضمنه الدساتير في الغرب وتحميه القوانين، ولاشك أن هذه مغالطة تتناقض مع حقيقة القوانين الغربية وقوانين هيئة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الغربية التي تدعو إلى منع المساس بالرموز الدينية لما يثيره هذا من الكراهية والتمييز والصدام بين المجتمعات الإسلامية.

● رابعاً: إن الواجب على المسلمين ألا يمنحوا أعداء الأمة الإسلامية الفرص من خلال التصرفات الخاطئة للنيل من الإسلام حيث تستغل الأعمال الشاذة للقليل من الفئات المتطرفة للإساءة إلى الإسلام ورسوله ﷺ.

● خامساً: إن على المنظمات الإسلامية وعلماء الأمة وضع الخطط الإسلامية والتربوية المدروسة للتعريف بالنبي ﷺ ونصرته والدفاع عن صحابته الكرام داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها بالوسائل الملائمة للعصر وانتهاج الأسلوب الحكيم المؤثر.

توصيات مهمة

وقد انتهى المؤتمر بجلسة ختامية تحدث فيها د. محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى السابق، ود. أحمد بن نافع المورعى مقرر المؤتمر، ومعالى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى أمين عام رابطة العالم الإسلامى، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ المفتى العام للمملكة، وقد انتهى الباحثون والمعلقون والمناقشون لبحوث المؤتمر بمجموعة مهمة من التوصيات من بينها:

● أولاً: واجب المسلمين فى نصرة رسول الأمة ﷺ:

١- يستنكر المؤتمر الإساءة إلى النبى ﷺ بأى صورة ومن أية جهة وفى أى بلد ويطالب المسلمين بنشر الصورة الصحيحة عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ وأثره العظيم فى بناء الحضارة الإسلامية.

٢- يشيد المؤتمر بالوقفة الشجاعة للأمة المسلمة دفاعا عن النبى ﷺ ويوصيها بالاستمرار والثبات مع توسيع دائرة النصرة عبر الوسائل السلمية المناسبة التى يقرها علماء الأمة وقادتها.

٣- ينبه المؤتمر إلى خطورة ردود الأفعال غير المنضبطة ويوصى المسلمين بالابتعاد عما يسىء إلى صورة الإسلام الحضارية ونبيها الكريم محمد ﷺ.

٤- يطالب المؤتمر وزارات التربية والتعليم فى العالم الإسلامى بوضع منهج للسيرة النبوية الشريفة يدرس فى مراحل التعليم المختلفة لغرس محبة النبى ﷺ فى قلوب الطلاب والتربية على اتباعه والتأسى به.

٥- يطالب المؤتمر علماء الأمة والمنظمات الإسلامية بتبصير المسلمين بواجبهم تجاه نبيهم محمد ﷺ مما يشمل حبه واتباعه وطاعته والدفاع عن شخصه ونهجه وتعريف الناس بسيرته وخلقه الذى أثنى عليه رب العالمين:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

«القلم: ٤»

ويدعوهم إلى عقد الندوات والمحاضرات وإصدار الكتب إسهاما عمليا فى نصرته التى أوجبها الله على كل مسلم وإبراز حاجة البشرية إلى رسالته وعالمية هذه الرسالة.

٦- يدعو المؤتمر المسلمين فى أنحاء العالم إلى الثقة واليقين بوعد الله بحفظ الرسالة التى بعث بها نبينا محمد ﷺ وهذا يوجب عليهم الغيرة بلا انفعال وتحقيق النصرة بالطريقة التى أوصى بها الله فى كتابه:

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

النحل: ١٢٥

ثانيا: نصرة نبى الأمة ﷺ فى مجال الثقافة والإعلام

١- يدعو المؤتمر المنظمات الإسلامية ووسائل الثقافة والإعلام إلى القيام بواجبها فى نصرة نبى الأمة ﷺ، وتحمل المسئوليات فى هذا الجانب بكل الأساليب الممكنة.

٢- يطالب المؤتمر بما يلى:

أ- تنشيط مهام الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام ومساعدتها على إكمال مشروعاتها التى تشمل إيجاد روابط واتحادات لرجال الصحافة والإعلام ومؤسسات للتدريب على العمل الإعلامى وتكليفها بالتنسيق مع المؤسسات الإعلامية من خلال صيغ عملية للتعاون لتحقيق نصرة نبى الأمة ﷺ والدفاع عن رسالة الإسلام.

ب- إنشاء مركز دولى للتأليف والترجمة يتولى التأليف والترجمة والتواصل مع الشخصيات فى المجالات كافة مع تزويده بما يحتاج إليه من وسائل.

حـ- التركيز على مخاطبة غير المسلمين عبر وسائل الإعلام بموضوعات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة مع مراعاة الضوابط الشرعية العلمية واللغوية لأنها من أفضل ما تخاطب به العقول فى هذا الزمان مع إعداد كتب بلغات العالم المختلفة.

د- دعوة مؤسسات الإعلام الإسلامى للتعاون مع الرابطة (رابطة العالم الإسلامى) والمنظمات الإسلامية فى إنتاج برامج تليفزيونية مناسبة باللغات العالمية لتعريف غير المسلمين بالإسلام ورسوله ﷺ.

هـ- إنشاء عدد من المواقع على شبكة الإنترنت المخصصة للتعريف بشمائل النبى ﷺ ومبادئ رسالته فى الأمن والسلام والتعاون والتعايش وحب الخير للناس باللغات العالمية كافة.

● ثالثا: نصرة نبى الأمة ﷺ فى مجالات العلاقات الدولية:

١- يناشد المؤتمر قادة الدول الإسلامية وحكامها النظر بعين المصلحة العامة والعمل صفا واحدا من أجل نصرة الإسلام ونبى الإسلام ﷺ.

٢- يدعو المؤتمر إلى إنشاء هيئة استشارية من المتخصصين فى القوانين والأنظمة العالمية تعمل فى إطار رابطة العالم الإسلامى مهمتها المتابعة القانونية للإساءات والتعرف على الوسائل القانونية لمنعها بما فيها رفع دعاوى قضائية على كل من يسىء إلى الدين الاسلامى ومقدساته وذلك أمام المحاكم المختصة فى بلده وكذلك أمام المحاكم الدولية.

● رابعا: نصرة نبى الأمة من خلال الحوار بين الحضارات:

وقد حث المؤتمر المنظمات الإسلامية التى تعنى بالحوار بين أتباع الحضارات والثقافات الإنسانية على:

١- التعاون مع الهيئة العليا للتنسيق بين المنظمات الإسلامية من أجل التنسيق بين الجهات المعنية فيما يخص نصرة الرسول ﷺ والدفاع عن الدين.

٢- تنشيط الاتصال بين المنظمات الإسلامية والجهات السياسية والدينية والأكاديمية والثقافية فى العالم من أجل تعزيز حوار الحضارات ومواجهة حملات الإساءة إلى الأنبياء كافة.

٣- يوجه المؤتمر الشكر لرابطة العالم الإسلامى لإنشائها البرنامج العالمى للتعريف بنبى الرحمة ويطالبها بتطويره إلى هيئة عالمية للتعريف بالنبى محمد ﷺ كما يأمل المؤتمر من الرابطة أن تعقد لقاءات بين عدد من المختصين، وذلك لوضع استراتيجية وبرامج عملية لما ينبغى أن تكون عليه نصرة النبى محمد ﷺ ودعوة الإعلام الإسلامى لنشرها، ورجال الأعمال للإسهام فى تنفيذها والتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.

٤- يدعو المؤتمر المسلمين المقيمين فى الدول غير الإسلامية إلى بذل المزيد من الجهد المنظم فى تعريف المجتمعات التى يعيشون فيها بنبى الرحمة محمد ﷺ وما اتصف به من الرحمة والتسامح، وأن يلتزموا فى سلوكهم بالقيم الإسلامية والأساليب الحضارية فى الحوار ومواجهة الإساءات المختلفة.

• خامسا: نصرة نبى الأمة فى المجال الاقتصادى

١- يحث المؤتمر رابطة العالم الإسلامى على إنشاء صندوق إسلامى عالمى للتعريف بالنبى ﷺ ونصرته ومواجهة حملات الإساءة إليه.

٢- يناشد المؤتمر الدول الإسلامية بتحقيق قدر مناسب من التكامل الاقتصادى فيما بينها من أجل بناء قوة اقتصادية قادرة على نصرة الإسلام ونبيه وتعزيز التعامل والتعاون الاقتصادى مع الجهات التى لا تعادى الإسلام.

٣- كما يطالب المؤتمر رجال المال والأعمال والغرف التجارية فى العالم بالإسهام فى تمويل البرنامج العالمى للتعريف بنبى الرحمة.

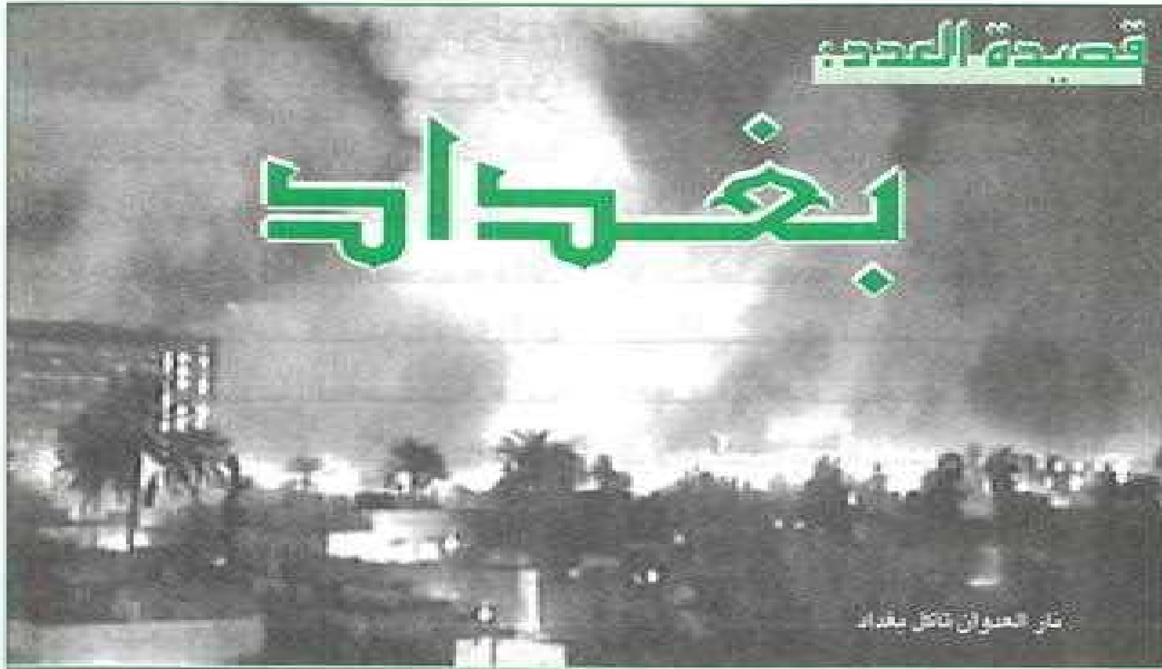
٤- كذلك يدعو المؤتمر المؤسسات الاقتصادية للتنسيق مع الغرف التجارية والصناعية الإسلامية فى تأمين منح دراسية لأبناء الجاليات الإسلامية القاطنين فى الدول الغربية للدراسة فى الجامعات الإسلامية ليقوموا بواجب التعريف بالنبى ﷺ ورسالته السمحة.

***

وصلاة وسلاما على نبينا وحبيبنا محمد ﷺ الذى أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصدق ربنا جلت قدرته:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(التوبة: ٣٣)



نار العدوان تأكل بغداد

بعد أن نشرنا قصيدة الأستاذ على الجارم فى العدد الماضى ننشر قصيدة الشاعر محمود غنيم:

بغدادُ قرة عين الشرق، بغدادُ ... لحنٌ تغنّى به الإسلام والضادُ

الدهر يعرفها للكون عاصمة ... تقودُه كيفما شاءتْ، فينقادُ

إن تبتسم تشرق الدنيا وإن غضبت ... ففى السموات إبراقٌ وإرعادُ

تزهى الحواضرُ ما شاءت بحاضرها ... وكلها لك، يا بغداد، أولادُ

الغرب يعرف ما أدى بنوك له ... الكتب تنطق، والأقلام شُهّادُ

بنى عمومة طه ما أقول لكم ... وأنتم لبنى العباس أحفادُ؟

تذرى العروبة يوم الروع أنكمو ... لها سواعد فى الجُلّى، وأعضادُ

ترثم على البغى والباغى ولا عجب ... فالشعب للحاكم الجلاد جلادُ

ما فى العراق افتراق بعد ثورته ... أكراده عربٌ، والعُرْبُ أكرادُ

ما كان اسْم بغداد فى الأفواه أغنيةً ... ولا كأمجادكم، يا قوم، أمجادُ

قل للألى طاف حول النجم طائفهم ... وارتاد منهم طباق الجو مرتادُ: (١)

(١) يشير إلى: الدول التى أطلقت أقمار الفضاء، وتجاوزوا بها مدار الجاذبية الأرضية: كأمريكا، وروسيا.

إن تفعلوا، فبنو العباس من قدم　　تناولوا بالأكفّ النجمَ أو كادوا
أيام ملك بني العباس مزدهر　　له من الشمس والأفلاك حُسّاد
عروشهم فوق ظهر الأرض راسخة　　كأنها فوق ظهر الأرض أوتاد
لم أدرِ: كانوا ملوكًا أم فلاسفة؟　　عليهمو من نسيج العلم أبراد
العلم حليتهم؛ ما منهمو ملك　　إلا فقيهٌ، ونحويٌّ، ونقاد [2]
فاض الفرات حضارات؛ فكان له　　بها مع الماء إرغاء وإزباد
وسال دجلة قبل الماء معرفة　　منها ارتوت مهج ظمأى وأكباد
ما كان للشعر في بدو وحاضرة　　لولا رواتك، يا بغداد، إنشاد
الشعر، أنت التي علمت وازنه　　أن القوافي أسبابٌ وأوتاد [3]
دونت ما نظم الأسلاف من دُرَرٍ　　لولاك بادت غواليها كما بادوا
كم من معارف قد أحييت دائرها　　وكم لعلم جديد فيك ميلاد [4]
لولاك ما كان للفصحى مذاهبها　　وللحديث روايات وإسناد [5]
بغداد، حسبك من دنياك أربعة　　هم في الشريعة للأجيال رواد [6]
مدينة، للنواسيين وكتبهمو　　فيها، وللعلم والآداب قُصّاد
العيش فيها كموج البحر مصطخبٌ　　فيه تلاقت من الألوان أضداد
للهو فيها حوانيت وأنديةٌ　　وللصلاة محاريب وعُبّاد
وللثقافة تأليف وترجمة　　وللغناء مزامير وأعواد
يارُبَّ كنز حوته دار حكمتها　　تحصى النجوم ولا يحصيه تعداد
كنز من الفكر فيه كل مبتكر　　أملاه ذهن كومض البرق وقّاد
يارُبَّ شعر عراقي هتفت به　　كأنه لي في الأسحار أوراد
مازلت أتلوه حتى لم يعد أبدا　　بيني وبين الألى قالوه أبعاد

(٢) التعبير «ملك» غير مناسب للخلفاء الذين يفهمون معنى الإسلام، والشاعر متأثر بتعبير عصره.
(٣) السبب: حرف متحرك وحرف ساكن. والوتد: ما كان في العروض على ثلاثة أحرف.
(٤) الدائر: الهالك والهامد. ويشير إلى حركة العلوم والترجمة من علوم القدماء، في عصر العباسيين.
(٥) الإسناد: جمع سند، والحديث المسند: هو ما أسند إلى قائله.
(٦) العمد الربعة: يشير إلى المعارف، والعلم الجديد، واللغة الفصحى، ورواية الحديث.

الوهم مثلهم لي في الكتاب؛ فهم　　فوق الصحائف أرواحٌ وأجساد
هذا ابن هانئ على يمناي ينشدني　　وعن يساري بشار وحماد [7]
وأين منك عهودٌ رحت أنشرها　　مرت بها عقب الآماد آماد؟
دعني أُسَرِّحْ في آثارها نظري　　آثارها عظة كبرى وإرشاد
دعني أعيش مع الماضين في حلم　　إن الهموم على اليقظان تزداد
علَّ الرشيد إذا أنشدت يسمعني　　إن الرشيد كريم الكف جواد
وما الرشيد سوى لحن يردده　　فم الزمان، وللألحان ترداد
حُصّادُ هام العدا في كل معركة　　وللسنابل يوم السلم حُصّاد
ينهى، ويأمر في الدنيا، وفي يده　　بعد المقادير إشقاء وإسعاد
تزجي إليه هدايا الروم لا كرما　　إن الضعيف لمن يخشاه وُدّاد
أهاب بالسحب: أنى شئت فانسكبي　　فكل نبتك لي، يا سحب، إيراد
رب القصور - قصور العز - باذخة　　كأنها في نطاح السحب أطواد
رب الجواري اللواتي ما لهن سوى　　عواهل الفرس والرومان أجداد
من كل جارية للشعر راوية　　كأنها غصن في الروض مياد [8]

* * * *

لنا أوائل سنُّوا كل مكرمة　　شم الأنوف أباة الضّيم أمجاد
شادوا المعاقل، والآطامُ شامخةٌ　　لله والمجد والعمران ما شادوا! [9]
إن يُسألوا مالهم، في السلم، ما بخلوا　　أو يُسألوا، في الوغى، أرواحهم جادوا

(٧) ابن هانئ: هو الحسن بن هانئ، وكنيته: أبو نواس. وبشار: شاعر عباسي شعوبي. وحماد: الراوية، وهناك حمادان آخران هما: حماد عجرد، وحماد الزبرقان، وكلهم من شعراء المجون.
(٨) في هذه الأبيات الثمانية من قوله: عل الرشيد... إلخ يبين الشاعر أزهى عصور بني العباس في زمن الرشيد؛ فقد حارب أعداءه وانتصر عليهم، وفتح باب العلوم والترجمة، وكان عصره يزخر بالقوة في الحياة الاجتماعية والسياسية والحربية، وقد كان يغزو عاما ويحج عاما آخر.
(٩) الآطام: الحصون [كذا - برفع الآطام وشامخة - ضبطت في الطبعة الأولى من هذا الديوان وعلى هذا الضبط تكون «والآطام شامخة» جملة حالية وقد ضبطه الشاعر - رحمه الله - شامخة بالنصب حالا من المعاقل والآطام، وهما - على هذا الضبط منصوبتان، ورؤية الشاعر سديدة].

لهم سيوف على الأغماد ثائرةٌ ... لكن لها فُلَلُ الأبطال أغماد (١٠)

هم في رءوس أعاديهم ذوو طمع ... وفي الغنائم ـ بعد النصر ـ زهاد

ينقضُّ كالصقر فوق المدن جيشهمو ... كأنما هي صيد وهو صياد

في السلم إن عاهدوا، والحرب إن ظفروا ... عن شرعة العدل والإسلام ما حادوا

لا تلمس الأرض منهم بيض أوجههم ... إلا وهم لجناب الله سُجَّاد

* * *

أبناء يعرب، لسنا من سلالتهم ... إن نحن لم تَسُد الدنيا كما سادوا

تكتلت أمم الدنيا بأجمعها ... وأنت، يا أمة التوحيد، آحاد

إني لأوشك أن أعتدَّ وحدتنا ... دينا، وأن افتراق الشمل إلحاد (١١)

بالأمس: كنا، وكان الشرق أجمعه ... إن قام تقعده أغلال وأصفاد

في كل واد للاستعمار قاعدةٌ ... لها أساسان: تخريب وإفساد

واليوم: لا عيش للمحتل في بلد ... حر، ولن تلبس الأطواق أجياد

قد بات مارد الاستعمار محتضرا ... يبكيه من عصبة الكمون عُوَّاد

ما عذرنا إن بقينا أمة شيعا ... لكل جيش بها جند وقواد؟

كاد الأعادي لنا يوم اللقاء، ولو ... أنا وقفنا لهم صفا، لما كادوا

لا يحرز النصر جيش غير متسق ... تباينت فيه أجناد وأبناد (١٢)

عجائب الدهر لا تحصى، وأعجبها ... أن يخلي الغاب للذؤبان آساد!

البغي أوجد إسرائيل من عدم ... ولن يدوم لإسرائيل إيجاد

وإنما القدر المحتوم لاحقهم ... يوما، وللقدر المحتوم ميعاد

فليعلم الغرب أن الشرق لافظهم ... وإن أتتهم من الشيطان أمداد (١٣)

إني أسيء إلى الأوغاد قاطبة ... إن قلت عن عصبة الصهيون: أوغاد (١٤)

---

(١٠) فلل: جمع فلة، وهي كالثورة والقمة. والمراد: هام الأبطال ورءوسهم.

(١١) أعتد: أعد. والشاعر ـ هنا ـ يجعل وحدة العروبة عقيدة تصل إلى قوة الدين في النفوس.

(١٢) الأبناد: جمع بند وهو العلم الكبير. وغير متسق: غير منتظم من وسق.

(١٣) لافظهم: مخرجهم. والأمداد: جمع مدد؛ وهو: ما يتقوى به من سلاح، أو طعام.

(١٤) الأوغاد: جمع وغد، وهو الأحمق الدنيء.

هم أحرزوا النصر؛ حتى مالغيرهمو ... في النقض: نون، ولا قاف، ولا صاد

* * *

أبناء يعرب، ذودوا عن محارمكم ... إن الكريم عن الأعراض ذوّاد

اللاجئون جراح في جوانحنا ... تدمى، فهل لجراح العرب ضمّاد؟

اللاجئون سقام في مفاصلنا ... ولا شفاء له إلا إذا عادوا

ألقوا بصهيون في عرض الفلاة؛ فهم ... من عهد فرعون أفاقون، شُرّاد (١٥)

تعودوا النفي والتشريد من قدم ... وكل ما عود الإنسان يعتاد

سل «سُرَّ من راء»: أباق في مرابضها ... من جيشها الباسل المغوار أفراد؟ (١٦)

هل ثم معتصم ثان نهيب به؟ ... نادوه، يا أهل يافا، جهرة، نادوا

قولوا لمنقذ عمورية: اغتُصبت ... منا الديار؛ فلا ماء، ولا زاد! (١٧)

* * *

يا يوم رد فلسطين الشهيدة، ما ... للعرب غيرك في الأيام أعياد

لا يحسب القوم أن العرب قد عقموا ... شعب العروبة للأبطال ولاد

مازال فينا لعمرو، وابن حارثة ... وخالد، وصلاح الدين أنداد (١٨)

---

(١٥) أفاقون: جمع أفاق ـ كشداد ـ: من يضرب في الأرض بحثا عن الرزق، وتطلق على اليهود؛ لأنهم لم يستقروا في وطن.

(١٦) سر من رأى ـ بضم السين والراء ـ أي: سرور، وبفتحهما، وبفتح الأول وضم الثاني، وسامرا. وكان اسم هذا البلد ساء من رأى ولما شرع في بنائه المعتصم (الخليفة العباسي) ثقل ذلك على عسكره، فلما انتقل بهم إليها: سر كل منهم برؤيتها، فلزمها هذا الاسم.

(١٧) شاع أن عمورية هي التي استغاثت، والصحيح أن القرية التي استغاثت هي «زبطرة» حين هجمها الروم، وهتكوا أعراض نسائها؛ بدليل قول أبي تمام:

لبيت صوتا زبطريا هرقت له *** كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

وكان الصوت المستغيث لسيدة مسلمة سباها الروم بعد أن فتحوا «زبطرة» فاستغاثت: «وامعتصماه»، ويروى أن هذا الصوت كان في بيت من الشعر هو:

يا ابن الخلائف من ذؤابة هاشم *** ذهبت «زبطرة» منك إن لم تأتها

أما عمورية: فكانت مدينة حصينة، ولد فيها «تاوفلس» ملك الروم الذي حاربه المعتصم، حين اعتدى على «زبطرة»، وبعد أن خلصها من أيدي الروم اتجه إلى عمورية. قال أبو تمام:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت *** عنك المنى حفلا معسولة الحلب

أبقيت جد بني الإسلام في صعد *** والمشركين ودار الشرك في صبب

راجع: رشفات من رحيق الأدب، ص٢٩٤، للدكتور عبدالسلام سرحان، ورسالة الدكتوراة عن: محمود غنيم وشعره، د. محمد أحمد سلامة، ص٣١٤.

(١٨) عمرو: هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ويضرب به المثل في الشجاعة والإقدام، وابن حارثة: هو زيد: أبو أسامة بن زيد.

يعتبر المؤتمر التأسيسي الثاني الذي عقد في إقليم «كردستان العراق» في أواخر أكتوبر ١٩٩١، هو أول من اعتمد الحل الفيدرالي لمعالجة مسألة انفصال الإقليم الكردي عن الحكومة المركزية، بعد انسحاب الجيش العراقي منه عقب الانتفاضة الشعبية الكردية في عام ١٩٩١، ولقد بادرت بعض القوى الليبرالية الشيعية، إلى الدعوة لتعميم «مبدأ الفيدرالية» لحل المشكلة القومية في العراق، كان على رأسها الليبرالي المعروف «أحمد الجلبي»، حيث طرح الفكرة، مستنداً في ذلك إلى «نظام الولايات العثماني» الذي قسم العراق إلى ولايات، مثل ولاية بغداد، وولاية الموصل، وولاية البصرة. غير أن هذا التقسيم العثماني لا يشبه ما يطرح اليوم، إذ أن ولاية بغداد العثمانية، كانت تضم النجف، وكربلاء، والكوت، والحلة، وهي مناطق شيعية، في حين أن بغداد الآن مدينة مختلطة. كما سبق طرح الحل الفيدرالي قبل أكثر من ٤٠ عاماً على الحكومة المركزية، حينما تقدمت قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني - التي كانت تفاوض حكومة البعث الأولى عام ١٩٦٣ - بمشروع إلى الحكومة العراقية، يستند في خطوطه الرئيسية إلى «اللامركزية» كأساس لنظام فيدرالي، يحدد شكل العلاقة بين إقليم كردستان، وبقية المناطق العراقية.

الفيدرالية في العراق

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

وقد أصبحت الفيدرالية التي تبناها البرلمان الكردستاني المنتخب عام ١٩٩٢، بديلاً مناسباً لبلد، متعدد القوميات والطوائف والمذاهب مثل العراق، وصارت شعاراً للأكراد في «العراق الجديد»، وتنظيماً للعلاقة بين إقليم كردستان، والحكومة المركزية الاتحادية، على أن يتم تعيين حدوده، وفقاً للحقائق الجغرافية والتاريخية، كما نص عليها «قانون إدارة الدولة العراقية»، فقد جاء في المادة الرابعة من هذا القانون «أن نظام الحكم في العراق، جمهوري اتحادي (فيدرالي) ديمقراطي تعددي، ويجرى تقاسم السلطات فيه بين الحكومة الاتحادية، والحكومات الإقليمية، والمحافظات والبلديات والإدارات المحلية».

وقد أقر البرلمان العراقي في جلسته المنعقدة في ١١ أكتوبر ٢٠٠٦، بإجماع النواب الحاضرين، وعددهم ١٤٠ من أصل ٢٧٥ «مشروع قانون تشكيل الأقاليم» (قانون الفيدرالية)، الذي قدمه «الائتلاف الشيعي الموحد» (١٢٨ نائباً) بزعامة عبدالعزيز الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، بدعم من التحالف الكردستاني (٥٢ نائباً)، بعد مقاطعة كل من التيار الصدري (٣٠ نائباً) وحزب الفضيلة (١٥ نائباً) الشيعيين، وجبهة الحوار الوطني (١١ نائباً) وجبهة التوافق (٤٤ نائباً) السنيتين، هذه الجلسة اعتراضاً على هذا القانون.

واللافت في هذا الصدد أن معارضة التيار الصدري، وحزب الفضيلة، لم تكن مفاجأة، إذ لم ينقطع هذان التياران السياسيان، عن تكرار مواقفهما المعارضة لمشروع الفيدرالية، خشية أن يؤدي إلى تقسيم العراق، برغم انضوائهما في «الائتلاف الشيعي الموحد» برئاسة عبدالعزيز الحكيم الذي يؤيد باسم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، مشروع الفيدرالية.

ولقد صادق البرلمان العراقي على تنفيذ قانون تشكيل الأقاليم بعد ١٨ شهراً من إقراره في ١١ / ١٠ / ٢٠٠٦، بطرحه للتصويت في استفتاء شعبي لسكان المحافظات، والذي يسمح لهم بتشكيل إقليم من عدد من المحافظات. وقد نصت المادة ١١٣ من الدستور العراقي الجديد الذي وافق عليه الشعب في ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥ على أن «يتكون النظام الاتحادي في جمهورية العراق بين عاصمة وأقاليم ومحافظات وإدارات محلية». ويوضح الشيخ «همام حمودي» من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية ورئيس لجنة كتابة الدستور، شكل الفيدرالية المناسبة، بقوله: «إن مسألة تطبيق الفيدرالية، أمر أقره الدستور العراقي الجديد، ويعتبر محسوماً، ولا رجعة فيه، لكن مسألة التطبيق تبقى قيد الدرس، لأن الفيدرالية ليست نموذجاً واحداً، فهناك فيدرالية واسعة، وأخرى ضيقة، فهي واسعة في السلطة، وضيقة في الاقتصاد، واسعة في الأمن، وضيقة في القضاء والصحيح هو ما يناسب الوضع العراقي»...

الخروج من الحاضنة العربية

وقد أثارت قضية الفيدرالية جدلاً واسعاً بين القوى السياسية، والنخب الثقافية، فهناك من يخشى «فيدرالية الأقاليم» التي يطالب بها غالبية الشيعة والأكراد، إذ أنها ستؤدى حال قيامها إلى تقسيم العراق، وتجزئته إلى دويلات عرقية وطائفية، وهو ما يفضي إلى خروج العراق من حاضنته العربية، وإنهاء دوره الإقليمي من خلال تغييب هويته العربية القائمة على ديموجرافية عربية لا تقل عن ٨٠٪ من سكان العراق، وقد يؤدى تقسيم العراق إلى أقاليم إلى حرب أهلية بين هذه الأقاليم، طمعاً في الثورة النفطية، والموارد المائية، ناهيك عن الصراع حول السلطة داخل الإقليم الواحد. ويرى هؤلاء أن الفيدرالية بهذا المعنى تصبح مرادفاً واحداً للتقسيم، لأن الفيدرالية - في هذه الحالة - ستكون نظاماً لإدارة الانقسام، بدلاً من أن تكون أداة للتقريب والتوحيد. وفي هذا الإطار، حذر رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» في مؤتمر صحفي في ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٦ عقده مع نظيره الأردني «معروف البخيت» في عمان، من مخاطر تقسيم العراق، مؤكداً بلهجة حازمة أن بلاده «لن تسمح بتقسيم العراق إلى ثلاثة أقاليم»، وأضاف أن التقسيم سيؤدى إلى حرب أهلية، ستعصف

بالعراق إلى غير رجعة، وستكون كلفة تلك الحرب مرتفعة، بطريقة لا يمكن التكهن بها. كما وصف «معروف البخيت» رئيس الوزراء الأردني، محاولات تقسيم العراق بأنها «انزلاق إلى الهاوية»، وسيتضرر منها الجميع بمن فيهم العراقيون، ودول الجوار، وأقلها حدوث حرب أهلية، ستحرق نارها الجميع.. وجدد «البخيت» التأكيد على رفض الأردن لكل المحاولات التي تستهدف النيل من وحدة العراق وسيادته.

كردستان.. شيعستان.. سنيستان

ويذهب البعض إلى أن الدعوة للفيدرالية في العراق تأتي تحت شعارات، ظاهرها مساعدة الشعب العراقي، لرفع الظلم عنه، وباطنها تفتيت العراق، وتقسيمه إلى أقاليم ثلاثة، الأول في الشمال وهو «إقليم كردستان»، والثاني في الجنوب، وهو «إقليم شيعستان»، والثالث في الوسط، هو «إقليم سنيستان»، لخدمة مصالح أجنبية تم التخطيط لها منذ عقود طويلة، من أجل إضعاف مركزية الدولة العراقية، بالعزف على أوتار الطائفية والعرقية، وإذكاء لهيب الفتنة الطائفية بين كل من الأكراد والشيعة والسنة. ويعتقد البعض الآخر أن مشروع الفيدرالية الذي تروج له بعض الكتابات المأجورة، ما هو إلا مشروع مشبوه، يهدف إلى الإضرار بوحدة ومصالح الشعب العراقي، وخلق كيانات كردية وشيعية وسنية ضعيفة، ليس لها وزن إقليمي أمام دول الجوار القوية.. ويرى قسم آخر من المحللين أن تطبيق الفيدرالية في العراق ليس معناه تقسيم العراق، وإنما هي مجرد عملية لنقل السلطة من الحكومة المركزية إلى حكومات محلية وأن الفيدرالية بهذا المعنى ما هي إلا تقاسم السلطات بين الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية، وهناك من يدعو إلى الفيدرالية بوصفها حلاً للمعضلة العراقية، ومن بينهم عبدالعزيز الحكيم، رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الذي أكد أن الفيدرالية «لا تعني الانفصال حيث إن إقامة الأقاليم هو تحقيق للعدالة».. ومن هنا جاءت دعوة «الحكيم» لإقامة فيدرالية شيعية في الجنوب العراقي، تضم تسع محافظات هي البصرة والعمارة والناصرية والكوت والسماوة والديوانية والحلة والنجف وكربلاء بحيث تنال حصة من النفط لا تقل عن ٥٠٪.

إيران وتركيا

ويرى بعض المراقبين الغربيين - الذين يشعرون بالإحباط من سلسلة العنف الطائفي والمذهبي الذي يعم غالبية العراق - أن تقسيم العراق إلى أقاليم يعني نهاية لهذه الحرب الطائفية، إلا أن العديد من الخبراء لا يرون في ذلك إلا كارثة. وفي هذا السياق تثير مسألة التقسيم، قضية الاستقرار في المنطقة فتقول «ليلى خليلي» المحاضرة في شئون الشرق الأوسط في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن «لا أعتقد أن الإيرانيين أو الأتراك يحبذون التقسيم لأن ذلك سيعني فوراً أن الأكراد - الذين يتمتعون بحكم ذاتي في إقليم كردستان في شمال العراق - سيحصلون على دولتهم المستقلة» معتبرة أن ذلك سيثير مشاكل في

إيران وتركيا نظراً للوجود الكردي فيها..

وتزداد التوقعات بانقسام العراق إلى دويلات متحاربة، بسبب عجز الإدارة الأمريكية عن إحلال السلام بالعراق، ومن هنا تسعى بعض الطوائف إلى طلب السماح لها بتشكيل أقاليم تتمتع بحكم ذاتي على أسس عرقية في إطار فيدرالي، فالشيعة - كما سبق - يطالبون بإقليم لهم في الجنوب، والأكراد يطمحون إلى أن يتحول «إقليم كردستان» في المستقبل إلى دولة لهم فيقول «نيجير فان بارزاني» رئيس حكومة إقليم كردستان «إن العراق الذي نريد العيش فيه هو عراق اتحادي - فيدرالي - ديمقراطي - تعددي، ونحن سنظل متمسكين بالخيار الفيدرالي، طالما بقيت الحكومة المركزية تفي بالتزاماتها، وتتمسك ببنود الدستور، الذي أقره عموم الشعب العراقي، نحن كشعب كردي لنا الحق ككل شعوب الأرض في أن تتمتع بحق تقرير المصير، وإقامة دولة مستقلة غير أننا حين نردد ذلك فليس من باب التهديد أو التلويح بالانفصال».

الرفض السني

أما السُنة الذين لايزالون يعانون من تبعات خسارتهم للنفوذ الذي كانوا يتمتعون به في ظل حكم الرئيس العراقي السابق «صدام حسين» قبل الإطاحة به وإعدامه، فيخشون أن تكون حصتهم في العراق أرضاً خالية من موارد النفط في وسط العراق وغربه.

ومن جهة أخرى يعتقد بعض المحللين السياسيين أن الرفض من جانب السُنة للفيدرالية ليس مرجعه الخوف من التقسيم، بل مرجعه إلى أن المثلث السني العربي الذي يوجد أغلبه في غرب العراق، هي منطقة صحراوية شاسعة، شحيحة في مواردها الطبيعية بعكس الشمال والجنوب حيث تتوفر فيهما الموارد النفطية بكثرة. ويرى هؤلاء أن الخيار الفيدرالي هو أفضل الحلول المتاحة لإنقاذ العراق، وهو خيار دستوري، فقد أعطى الدستور الحق لمن يرفض الفيدرالية أن يرفضها لنفسه، على أنه بإمكان الرافض أن ينتظم في محافظة لا مركزية تتبع العاصمة بغداد بشكل مباشر. وقد أعطى الدستور العراقي الجديد صلاحيات واسعة للمحافظات بنص المادة ١١٩، إذ تقول: تمنح المحافظات التي لم تنتظم في إقليم الصلاحيات الإدارية والمالية الواسعة. ومن هنا يتساءل المؤيدون للفيدرالية لماذا هذا الرفض من جانب السُنة؟ ويؤكدون أن تشكيل الأقاليم وفق الفيدرالية، سيجعل الجهاز الأمني لكل إقليم أكثر مناعة في مواجهة أي اختراق، ويستشهدون في ذلك بإقليم كردستان في شمال العراق الذي يتمتع باستقرار أمني نسبي.

وفي هذا الصدد يصرح «عبدالعزيز الحكيم» رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وزعيم كتلة الائتلاف الشيعي الموحد في البرلمان العراقي في سياق ترويجه لمشروعه الفيدرالي لمحافظات الجنوب والوسط التسع، بأن الإنجازات التي تحققت في «كردستان» كانت بفضل الفيدرالية، لكنه ينسى، كما يقول بعض المحللين، أن ما تحقق

من استقرار نسبي في كردستان كان له عدة أسباب.

أولاً بسبب الحماية الأمريكية لمناطق الشمال العراقي ومنع حكومة صدام حسين من التحرك العسكري ضد الأكراد.

ثانياً لأن الأحزاب الكردية الرئيسية، وهي الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة «مسعود البارزاني» والذي أصبح رئيساً لإقليم كردستان، والاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة «جلال طالباني» الذي صار رئيساً لجمهورية العراق هذه الأحزاب مارست الحكم فعلاً خلال التسعينيات، ودخلت في صراعات دامية على مراكز النفوذ وخرجت بخبرة جيدة، وبرعاية دولية أكثر تركيزاً.

ثالثاً لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان، أن النظام السياسي في كردستان، لا يقوم على بنية فيدرالية، بل نجد أن الحزبين الرئيسيين تقاسما السلطة لسنوات طويلة، وبشكل بالغ المركزية من خلال حكومتين منفصلتين، في كل من أربيل والسليمانية، قبل توحيدهما في حكومة كردية واحدة مؤخراً. ويذهب كثير من المحللين السياسيين إلى أن الفيدرالية ليست عملية انتقالية سهلة، بل تتطلب خبرة متميزة في إدارة النزاعات، وتحتاج إلى دولة قوية بجيش قوي ومقتدر ومؤسسات ذات كفاءة عالية، تستطيع معها إرساء أسس البنية الاتحادية فهل العراق الذي تمزقه الحرب الطائفية، مهيأ الآن، أو بعد ١٨ شهراً، كما هو مقرر، لتطبيق قانون الفيدرالية؟ إن الحديث عن الفيدرالية في العراق لا يستقيم بطبيعة الحال، مع الواقع السياسي الراهن، والحرب الأهلية فيه مستعرة في ظل الاحتلال الأمريكي الذي ينفخ في كير الفتنة الطائفية، ويعمل على إذكاء لهيبها.

إيادي علاوي.. وتشكيل الأقاليم

ويرى البعض أنه لولا مشاركة بعض نواب «القائمة العراقية» بزعامة «إياد علاوي» في الجلسة البرلمانية في ١١ / ١٠ / ٢٠٠٦ المخصصة لإقرار مشروع قانون تشكيل الأقاليم، ما استطاع البرلمان إقرار القانون الذي وافق عليه جميع النواب الحاضرين، وعددهم ١٤٠ نائباً من أصل ٢٧٥ هم أعضاء البرلمان، إذ أن عدد الأصوات المطلوبة لكي يصبح المشروع قانوناً هو نصف الأعضاء زائد واحد أي ٣٨ صوتاً وهو الغالبية البسيطة.. وبالتالي يمكن القول بإن نصف أعضاء البرلمان غير موافق على الفيدرالية..

وإذا كان القانون قد صدر تنفيذاً لنص المادة ١١٨ من الدستور العراقي الجديد التي تؤكد على «مبدأ تشكيل الأقاليم والمحافظات»، فقد كان من الأولى أن يتم أولاً - كما تقول القوى السنية - تأجيل النظر في هذا القانون إلى حين الانتهاء من التعديلات الدستورية، تنفيذاً للمادة ١٤٢ من الدستور العراقي الدائم التي أصر العرب السنة على تضمينها مسودة الدستور في اللحظات الأخيرة قبل الاستفتاء عليه في ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٥، إذ تدعو هذه المادة إلى تشكيل لجنة لإعادة النظر في الدستور، وتعديله، وهذا ما يراه كثير من رجال القانون أمراً منطقياً لأن هذه اللجنة التي تشكلت بالفعل، سوف تناقش خلال فترة، مدتها عام واحد، نحو ١٨ بنداً في الدستور، تعترض عليها السُّنة، وتتمحور حول «هوية الدولة»، وشكلها إذا كانت اتحادية أم لا، بالإضافة إلى مناقشة الفيدرالية من حيث صلاحيات الأقاليم، وتوزيع الثروات والموارد المالية.

وصفة شرعية للقتل

كما يرى أساتذة القانون أنه كان في الإمكان أن تتفق الكتل السياسية في البرلمان على إرجاء بحث المادة ١١٨ المتعلقة بتشكيل الأقاليم، مثلما اتفقت على تأجيل تنفيذ قانون الفيدرالية بعد ١٨ شهراً من إقراره برلمانياً، وذلك لسبب واضح وهو أن الوقت غير مناسب على الإطلاق في العراق، الذي هو في غنى عن أي انقسامات يمكن أن يكرسها هذا القانون، عند تنفيذه، والحقيقة أن هذا القانون الفيدرالي يحظى بتأييد الأقلية الكردية في الشمال العراقي والتي تتمتع بالحكم الذاتي، فهي تعتبره أقل ما يمكن الحصول على مقابل التخلي عن حلم إقامة «دولة كردستان المستقلة»، ويحظى أيضاً بتأييد شديد من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بزعامة «عبد العزيز الحكيم» الذي يعد من أكثر الشخصيات الشيعية نفوذاً في العراق، فقد تمكن من إقناع صناع القرار بدعم «القانون الفيدرالي» الذي يأمل من خلاله، دمج تسع محافظات شيعية في إقليم واحد، بموارد نفطية وفيرة بجنوب العراق، وهو ما يمكن أن تطلق عليه اسم «إقليم شيعستان». ويتوقع الكثيرون أن تزداد حدة النزاع بين الشيعة والسنة، مع اقتراب تنفيذ «قانون تشكيل الأقاليم» في عام ٢٠٠٨م الذي يصفه البعض بأنه «وصفة شرعية» للقتل، وبخاصة مع ظهور «تنظيم القاعدة» الذي لم يكن موجوداً من قبل في العراق إلا في ظل الاحتلال الأمريكي الذي أسهم في تصعيد الإرهاب وإشاعة الفوضى والخراب، إذ يسعى هذا التنظيم إلى إقامة «دولة إسلامية» على أرض الرافدين، فقد أعلن زعيمه «أبو حمزة المهاجر» أنه وضع ١٢ ألفاً من مقاتليه تحت تصرف إقامة «دولة العراق الإسلامية».

وفي الختام يمكن القول بانه على الرغم من أن الفيدرالية، هي وسيلة لتقاسم السلطات والصلاحيات بين الحكومة الاتحادية، وحكومات الأقاليم المحلية في العراق، لكن البعض يعتبرها تمزيقاً للعراق، وتجزئة لوحدته، وتفتيتاً لقوته.. ومن هنا فإن مواقف القوى السياسية من هذه الفيدرالية تباينت بين مؤيد، ورافض لها، فالقوى الشيعية لا تمانع في قيام «إقليم كردستان» في الشمال العراقي، غير أنها مع ذلك تطالب بحماس بفيدرالية شيعية في الجنوب، بينما القوى السنية، تعارض الفيدرالية الكردية، لكنها ترفض بشدة الفيدرالية الشيعية، وتعتبرها تقسيماً للعراق. أما المقاومة الإسلامية والوطنية، فإنها ترفض رفضاً تاماً، فكرة الفيدرالية، وتراها مشروعاً إسرائيلياً.

الصلاح والإصلاح



للأستاذ الدكتور/ محمد أبو ليلة

وفى سياق الحض على العمل الصالح، وإصلاح الفرد والمجتمع، ينبغى أن نذكر أن بعض الناس، يعتقدونه بُعداً عن الدين، واقتلاعاً له من النفوس، ونشر الإلحاد والانحلال، وهذا هو الرقى والتقدم من وجهة نظرهم القاصرة والمضلة. فالإنسان لا يمكن أن يحيا حياة طيبة بعيداً عن الإيمان، وعن القيم الدينية.

الإصلاح فى دعوة نبى الله شعيب

الإصلاح هو أساس بعثة الأنبياء والرسل والغاية التى جاءوا جميعاً من أجلها، والإصلاح هو أعلى مقاصد الشريعة الإسلامية، إصلاح العقيدة وإصلاح العبادات والمعاملات والأخلاق، وإصلاح الفرد وإصلاح المجتمع.

والعمل لا يكون صالحاً أو نافعاً فى الدنيا والآخرة إلا إذا كان صادراً عن قصد نبيل، وكان مدروساً ومخططاً له، فليست العبرة بالعمل فى حد ذاته، وإنما العبرة بما ينتج عن هذا العمل، ويترتب عليه من منافع، أو دفع مضار، والأعمال العشوائية تستنفد الوقت والطاقة، ولا عائد منها، وحتى لو كان لها عائد، فإن هذا العائد لا يساوى الجهد المبذول فيها أو يدانيه.

وقد وصف الله هؤلاء الذين يعملون دون خطة، ودون إخلاص وتفان بقوله:

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

[الكهف: ١٠٤]

وإنه لمن معهود أخلاق العاجزين أنهم يضخمون أعمالهم، ويعللون لأخطائهم، بدل أن يشغلوا أنفسهم بإصلاحها، وتلافى ما وقعوا فيه من أخطاء، وذلك راجع من وجهة نظرى إلى

سببين رئيسين:

أولهما: عدم مراعاة عنصر الكفاءة عند التنصيب أو التعيين، وفى هذا ما فيه من إشاعة للحقد، والكراهية، والشعور بالحرمان أو الغبن بين أبناء الوطن.

ومن جانب آخر تفويت الفرصة على الوطن أن ينتفع بأهل الخبرة من أبنائه، والحيلولة بين الوطن وبين الكفاءات أن ينفعوا أمتهم، ويرتقوا بوطنهم، بدلاً من أن ينطووا على أنفسهم وينزووا بعيداً عن الناس، وتضيع مواهبهم واستعداداتهم سُدى مع الإحساس الملازم بالغبن وعدم التقدير، ومن معاناة الاغتراب.

ولنأخذ مثلا من نبى الله شعيب، فقد بعثه الله تعالى بمشروع إصلاحى كبير، لو جاز لنا هذا التعبير، هذا المشروع يتلخص فى النقاط التى تبينها الآيات الآتية:

﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾

(الأعراف: ٥٩)

هذا فى إصلاح العقيدة، فالإنسان لا يمكن أن يرقى ويأمن بدون عقيدة، فلا إصلاح حقيقى، ولا صلاح مع الشرك والكفر، والبدع والبعد عن الدين، لأن الإيمان بالله هو أساس الحياة الفاضلة، كما أنه هو الموصل إلى نعيم الدار الآخرة.

جاء الأنبياء بدعوة الإيمان والإصلاح معا، دعوا إلى عقيدة التوحيد، لأنه لا إله غير الله يمكن أن يلجأ إليه الناس عند الاضطرار، ويسألونه عند الحاجة، هذا الإله واحد لا شريك له، ولا ند، ليس كمثله شئ، إله عادل حكيم.

﴿ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾

[هود: ٨٤]

أمرهم بضبط المكاييل والموازين ومراعاة الأمانة فيها لضبط حركة التجارة والسوق، وفى هذا إقرار للحقوق والواجبات ضمانا لاستقرار المجتمع وأمنه بقيامه على الأخلاق الفاضلة والقيم الثابتة، وذلك لأن المكاييل والموازين إذا ضُبطت وروعى جانب الأمانة فيها سَعِدَ الجميعُ، وعمّت بينهم الثقة، وشملهم الشعورُ بالانتماء للوطن، وقياساً على الموازين والمكاييل تكون جميع المعايير والأحكام والقواعد المنظمة للحقوق والواجبات، وحركة المجتمع كله، فلا عشوائية ولا محاباة ولا تهاون ولا ازدواجية فى تطبيق هذه القواعد والمعايير، وإلا فإن الضرر سوف يلحق بالجميع.

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾

(هود: ٨٥)

يعنى أدوها بمنتهى العدل والدقة والسوية

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾

(هود: ٨٥)

تعميم بعد تخصيص، أى: لا تظلموا أحداً بإنكار شئ هو له، ومن الظلم إعطاءُ الحق لغير أهله، والتمكين للظلمة والانتهازيين، وإلا فقد المجتمعُ مقوماته، وعمّت الفوضى، وصار الظلم حرفة ومهارة وتحوّل المجتمع إلى مجموعة من العصابات والمجرمين المحترفين وقُطّاع الطرق

واللصوص.

﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

(هود: ٨٥)

نهى جازم عن إشاعة الفساد في الأرض، وكلمة «الفساد» عامة، تشمل كل ما يضر بالناس، ويسئ إلى المجتمع، أو يشوه من صورته، ويعجّل بسقوطه.

﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(هود: ٨٦)

بقية الله يعنى أن ما بقي في أيديكم من حلال برضاه الله خير لكم وأكرم مما تجمعونه من حرام، أو من مصدر مشبوه، وإن كثر وانتشر، فإن الحلال يفيد والحرام يبيد، ولا يفقه ذلك إلا مؤمن مصدق لله فيما يقول، واعٍ بعبَر الحياة الدنيا ومواعظها التى تتوالى عليه ليل نهار، أقوالاً، وأفعالاً، وحوادث، يقول تعالى:

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

[الكهف: ٤٦]

إذن فأحسن الأمل أن يكون الكسب من عمل حلال، ومن مصدر حلال.

﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾

(الأنعام: ١٠٤)

يعنى ليس لى أن أقوم نيابة عنكم بتطهير سلوككم، أو أن أحفظكم من القبائح المترتبة على أعمالكم، وليس إلا أن أجازيكم أو أقاضيكم، إنما أنا ناصح، وقد أعذرت حين أنذرت، ويستفاد من الآية أيضاً أن شعيباً قال لهم إنه لا يستطيع أن يدعو الله لهم بالنماء والبركة وحفظ النعمة، مع استمرارهم في عمل المعاصى والمفاسد، وبهذا يكون قد صَدَقهم فلم يخدعهم أو يجاملهم أو يَعِنهم، وهكذا تكون المسئولية مشتركة بين القائد والمقودين، والداعى والمدعوين.

لقد استكثر أهل مدين أن يتركوا الغش والحرام فى معاملاتهم، ويسمعوا لمواعظ شعيب الذى كان يرغّبهم فى الكسب الحلال، ويرهّبهم من الحرام، وشأن مرتكبى المعاصى، وأكلة أموال الناس بالباطل

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾

(هود: ٨٧)

يعنى هل تأمرك صلاتك، ويأمرك عقلك أن تقول لنا: اتركوا ما أنتم عليه، ولا تكونوا أحرارا فى تصريف أموالكم كما تشاءون، واهجروا عبادة الأصنام واتبعونى؟!.

هل الدين يمكن أن يحل مشكلات المجتمع، وهل لدى دعاة الدين خطة تصلح لإدارة شئون الحياة، وتسيير المجتمع؟!.

يا شعيب الزم مصلاك، ودعْنا من مواعظك وخطبك، واعبد إلهك كما تشاء. ودعنا وحياتنا التى ليس وراءها حياة.

لقد استكبر هؤلاء أن يتحولوا عن عبادة الأصنام التى لا تُحرّم عليهم شيئا، ولا تتدخل فى أعمالهم، إلى دين يُحل لهم

ويُحرّم عليهم، ويصل إلى أدق تفاصيل حياتهم، يرغبهم ويهددهم، هذا هو تبرير الكفار والملاحدة فى كل زمان ومكان، إنهم يرددون هذا الاعتراض دائماً: «ما للدين والحياة!». إنها حياتنا نتصرف فيها كيف نشاء

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

[المؤمنون: ٣٧]

ولنلاحظ فى ثنايا معارضة أهل مدين لشعيب أنهم وصفوه بثلاثة أوصاف: بالصلاة، وبالحلم، وبالرشد. وهذه الأوصاف ضرورية فى المسلم. فالمسلم لابد أن يكون له اتصال بالله وأن يكون متصفاً بالحلم، ومن الحلم القوة فى الحق، وأن يكون من ذوى الرشاد والحكمة، لأن الأحمق يُضر ولا ينفع ويسئ ولا يحسن.

بعد أن حدد شعيب عليه الصلاة والسلام عيوب مجتمعه -وتحديد العيب أو النقص يمثل أول خطوة وأهمها نحو الإصلاح- بدأ يعرفهم بخطته ونيته وبمنهجه الإصلاحى.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾

(هود: ٨٨-٩٠)

ويتلخص منهج شعيب وخطته فى الآتى:

- أن المصلح لابد أن يكون على بينة من رسالته ومقصده، أى يكون مؤيداً بالعلم والنبوة، وبالإخلاص والأمانة، وبالقيم الثابتة، وبحب الخير والمصلحة العامة.
- أن المصلح لا يسعى إلى الكسب والتربح أو الشهرة من خلال عمله، فهو غنى عن الناس بما معه من المال الحلال الذى ينفقه فى وجوه الخير، وفى الضروريات، كما أنه غنى بالعفاف والترفع عن الدنايا.
- أن الإصلاح يحتاج إلى إرادة وعزيمة قوية

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ﴾

(هود: ٨٨)

والإرادة يسبقها العلم والمعرفة بالواقع. وما لم تكن هناك إرادة واعية للإصلاح، لما تحقق الإصلاح مهما انتفخت الأوداج ومهما نفخ الأدعياء فى الأبواق. الإصلاح إرادة وفعل يحقق هذه الإرادة.

ويقول تعالى لنبيه ﷺ:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

[آل عمران: ١٥٩]

أى حقق عزمك بالفعل، وبادر إلى عمل مقصودك، ومن أوصاف المنافقين فى القرآن الكريم أنهم يقولون مالا يفعلون، ويحبون أن يحمدوا بما لم يعملوا.

- لا بد للإصلاح أن يقوم على التخطيط المحكم، لأن التخطيط المسبق للمشروع وللحياة

يجنب أصحابه مباغتة المفاجآت، والمشكلات غير المحسوبة، مما يجهض أى محاولة نحو الإصلاح، ويدفع بالمجتمع دائما إلى الوراء.

وتعود إلى شعيب عليه السلام الذى ختم منهجه فى الإصلاح بقوله:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(هود: ٨٨)

بعد الأخذ بأسباب النجاح وحسن التخطيط له، لابد من التوكل على الله تعالى والثقة فى توفيقه، ومن تمام التوكل على الله الإخلاص فى عمل ما يتوكل فيه المرء على الله.

﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾

(هود: ٨٩)

يعنى إياكم أن تتسبب عداوتكم لى، ورفضكم لما جئتكم به، من دعوة إلى الإصلاح أن يصيبكم ما أصاب الأمم المتكبرة الظالمة من قبلكم.

قد يظن البعض أن هذا الترهيب الوارد على لسان نبى الله شعيب عليه السلام وعظى أو خطابى نظرى، لا يصلح أن يكون برنامجا للإصلاح، ونقول إن هذا خطأ، فالتخويف بما حدث للأمم السابقة نتيجة الظلم و الإسراف يعد وسيلة ناجعة فى إيقاظ ضمير الأمم، وتفعيل قوى المجتمع تفعيلا صحيحا ومستقيما، ولننظر إلى ما يجرى اليوم من تخويف بعض الدول الكبرى شعوبها مرة من العدو الأحمر، وأخرى من العدو الأخضر، ومن الإرهاب، ومن الآخر وغير ذلك.. من أجل أن تجمع قوى الشعوب من ورائها لتنفيذ مخططاتها.

وإذن فلكى تحقق الإصلاح لابد من كسب المزيد من المعرفة، والإلمام بعلوم العصر وطرق تفكير العصر، وتفعيل ذلك كله فى حياتنا، فلا صلاح ولا إصلاح بدون علم، فالجهل هو العدو اللدود للإصلاح. والجهلة - مهما كثرت الأموال فى أيديهم، ومهما بالغوا فى حياة الترف والأبهة - هم ألد أعداء الإصلاح والمصلحين، لأن الجاهل يتسم بالرضا الزائف عن نفسه، وبالمعاندة والمكايدة لكل فكرة جديدة أو خطة رشيدة لأنه مقتنع بما فى رأسه، عدو لأى تغيير وتطوير، لأنه لا يشعر بالأمان مع تغيير الواقع الذى تعود عليه، واحترف التحايل فيه على أخذ ما ليس له.

الإصلاح وواجب التصحيح

سبق أن ذكرنا أن من معانى «الإصلاح» التصحيح والتقويم وتقديم الحلول العملية للمشكلات، والتغلب على التحديات، وتوفير الحلول الناجعة لها، ولا يتأتى ذلك إلا برؤى جديدة ومواقف جديدة مع النفس ومع الحياة. يقول تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد: ١١]

ومعنى هذه الآية أن ما هو حال بنا من

كوارث وأزمات، إنما هو مقابل معادل حقيقى لما فى نفوسنا من آثام وأهواء، وجهل وعناد، وما لم نغير ما بأنفسنا من خوف وتردد ومن كسل، وتواكل وعشوائية وجهل، ومن أنانية ومحاباة، ومن خنوع وشعور بالهوان، أو شعور زائف بالتفوق، ومن التحايل واقتناص الفرص، والقفز على حق الغير، واضطهاد الكفاءات وتنحيتها، فإن الله لن يغير وضعنا، مهما تشدقنا بعبارات الإيمان والإسلام.

والإصلاح يبدأ من القلب، إذ يجب إصلاح القلب أولا، وإصلاح القلب إفراغه من الشهوات والأنانيات، يقول النبى ﷺ: «وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب»، والقلب هو محل العلم والفقه والفهم والتقوى، وهو المسيطر على جميع مملكة البدن بما فيها العقل. ولذلك فإنه لابد من المجاهدة لصقل القلب وتنقيته وتقويته، يقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[العنكبوت: ٦٩]

إذن لابد من المجاهدة، أى العمل وبذل الجهد فى إصلاح القلب والنفس، لأنه لابد من إصلاح الآلة قبل استعمالها، وإلا لانسحب فسادها على فساد ما يعرض عليها، أو يرجى إصلاحه بها. وكل ما جاء به الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وسائر الطاعات إنما مراده تصفية القلب وتزكية النفس

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

[الشمس: ٩، ١٠]

وأخيرا

وفى الختام نقول إنه لا يمكن لأى مشروع إصلاحى سواء فى أمور الدين، أو فى أمور الدنيا أن يتم إلا بإصلاح النفس، ثم بإزالة العقبات النفسية والمادية من طريق الإصلاح، والاستعانة بالصالحين المؤهلين وبإعداد وسائل الإصلاح وأدواته، إنه لابد من التسلح بالعلم الدينى و الدنيوى وبالعمل الجاد، والعمل هو المقصود من العلم، وبناء على العمل، وليس بناء على العلم وحده، يكون حساب الله لعباده

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[الزلزلة: ٧ - ٨]

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[التوبة: ١٠٥]

ويقول تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[الكهف: ١١٠]

الإنسان ونظرية التطور

د. أميمة خفاجى

الإنسان -ذلك المخلوق الذى خلقه الله بيده وأسجد له الملائكة- قالوا عنه: حيوان ناطق.. بل حيوان ضاحك وذهبوا إلى أن الإنسان بطبيعته حيوان وأن داخل كل إنسان حيوانا كامنا تظهره الغرائز والنوازع والرغبات المكبوتة!!

إن الذين أطلقوا على الإنسان كل هذه المسميات ويقومون بتعميمها على سائر البشر إنما يعبرون عن أنفسهم إذ رضوا هذه المسميات لأنفسهم لأن الغرائز الإنسانية خلقت فى الإنسان ليمارسها بحكمة أما إذا تحكمت أية غريزة من غرائز الإنسان فيه قادته إلى الهمجية والسلوك غير السوى مما يجعله فى هذه الحالة حيوانا؛ فالمعروف أن مبدأ السلطة تقهر بالقوة هو المبدأ السائد فى الطبيعة.

إن الإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يأخذ فى الاعتبار الحقوق المتساوية ويمكنه أن يهزم الوحشية بالقوة الأخلاقية وهذه المفاهيم بعيدة تماما عن نطاق الحيوانات؛ لأنها غير مؤهلة لذلك حيث تعيش بآلية منهجية خاصة وإذا حاولت حرمانها من غريزة ما مثل الأكل أكلت صاحبها ومربيها واستخدمت قوتها الهمجية فى البحث عما يشبع غريزتها، ولأن المفاهيم الإنسانية بحاجة إلى من له القدرة على اكتساب الذكاء وتطويره، فالإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك.

والإنسان فقط -المفروض- إنه وحده الذى يمتلك هذه القدرة فإذا جاع لا تسيطر عليه غريزة الأكل فيبحث عن الطعام بالطرق المشروعة وإلا اتهم بالهمجية كالحيوان وإذا حرم من أنثاه فلا يتعدى على إناث غيره؛ لا تحل له؛ وإذا هلك بيته لا يبطش بجاره فيستولى على بيته بالقوة وإلا تحول لحيوان ليس لديه القدرة على التحكم فى غرائزه.

لقد كان ماركس وفرويد ونياتزتش واقعين تحت أفكار دارون عن الأصل الحيوانى التطور والصراع والتناحر من أجل البقاء فنقلوا إلى المجتمعات الفلسفية ما سعى دارون إلى تطبيقة على الناحية الحيوانية وخرجوا بفلسفاتهم تلك المهلكة للإنسان.. فعن ماركس: ورث العالم الشيوعية، وعن نياتزتش: سرت النازية، ومن فرويد: تفشت الإباحية، وبكل هذه المعتقدات والمفاهيم كان التأثير على الإنسان بأنه من أصل حيوانى فصارت الفوضى والقتال هما قانونه فى الحياة كما يحدث الآن على مستوى العالم البقاء للأقوى.

إن البحث عن أصل الأنواع أمر يليق بالبحث العلمى ولكن يجب أن يجرى البحث بالاستدلال الصحيح والأدلة القاطعة المستندة إلى الحقائق الواقعية وليس باتخاذ الفروض أمرا مثبتا، والتخمين حقيقة مقررة.. لأن العلم الصحيح لا يبنى إلا على الحقائق الثابتة إن الذين أنزلوا فكرة التطور منزلة العلم فبنى عليها الملحدون عقيدتهم لم ينالوا من شرف الإنسانية وحسب بل ومن شرف العلم أيضا.

***

يقول بعض المدافعين عن مذهب وفلسفة الأصل الحيوانى للإنسان: إن دارون علل تسلسل الإنسان من الحيوان بوجود سلوكه الهمجى والدنىء والذى يخرج عن قواعد وأسس السلوك الإنسانى مما يؤكد بقاء خواص السلف الحيوانى فى الإنسان ولكونه حيوان متطور فيلاحظ فيه السلوك الحيوانى -أى الهمجى- فى بعض الغرائز وإذا كان الإنسان يسقط ويتدنى فى سلوكه ليتبع همجية الملحدين فليس لأن أصله حيوان أو لأن صفات السلف الماضى تظهر فيه بل؛ لأنه سقط تحت سيطرة غرائزه ولم يتحكم فيها ولم يسيطر عليها فسيطرت هى عليه ليصبح كالحيوان، فهو الذى أساء استخدام غرائزه بشكل همجى وبصورة عشوائية ضالة تخلو من الإنسانية.

إنسانية الحيوان

والتطوريون والملحدون والكفار والمشركون والشيوعيون و الماركسيون والنازيون والماديون والعلمانيون يخطئون فى هذه المرة ليس فى حق الإنسان وحده بل وفى حق الحيوان أيضا، إذ ينسبون إليه تلك الهمجية والفساد الأخلاقى وهو من كل ذلك برىء، إذ أن هناك قانونا يحكم الغابة فلا يستخدم فيه القتل والعنف إلا فى أضيق نطاق وفى الضرورة القصوى.. فتعتمد الزرافة مثلاً: فى الدفاع عن نفسها ضد نمر أو أسد على الرفس بقدمها، وهذه الرفسة قوية بما يكفى لتحطيم الجمجمة؛ ولهذا السبب لا ترفس زرافة زرافة أخرى مطلقاً بل تدفعان بعضهما البعض بقوة برقبتيهما الطويلتين عندما تتقاتلان؛ لأن رقبة الزرافة مرنة تمتص الضربات بدون تحطيم.. ففى هذه الحالة من الطبيعى أن يدهشنا سلوك الحيوان الإنسانى.

حشرات إرهابية وبلطجية

ومن الطبيعى أن نرى حالات البطش والبلطجة بين بعض الحشرات. فحالات الإجرام كثيرة جداً بين الحشرات، فمن بين الحشرات التى اشتهرت بالبلطجة والاحتيال واللصوصية والإرهاب أنواع عديدة كالنمل آسر العبيد، والنمل قاطع الطريق، والنمل اللص، والنمل البلطجى، فالنمل آسر العبيد: يحتفظ داخل أعشاشه بشغالات نوع آخر من النمل المسمى بنمل الفورميكا، تلك الشغالات هن سبايا قبض عليهن من أماكن

أخرى.. ومن النمل آسر العبيد توجد نملة غريبة تسمى الأنثى المحاربة الجميلة، وسميت باسمها هكذا لطبيعتها المحاربة والمقاتلة، إذ تأسر القلوب بجمالها وتخضع أصحابها كالعبيد، تعتمد عليهم في معيشتها وخدمتها طيلة حياتها.

أما النمل البلطجي: فهو حكاية بمفرده إذ ليس له مسكن ثابت، فهو يزحف في أعداد هائلة تبلغ الآلاف ويفترس كل ما يصادفه في طريقه من المخلوقات التي لا تستطيع الطيران، وهذا النمل البلطجي على الرغم من أنه أعمى، لا يبصر إلا أنه أكثر أنواع النمل بلطجة وأشدها نهبا وسلبا، وهو ذو غرائز مدمرة إلى حد أن جنوده يستطيعون مهاجمة فرائس كبيرة.

علم نفس الحيوان

ولأن عالم الوحوش، والطيور والأسماك المفترسة والزواحف تماماً مثل عالم البشر يدرك كم هو لذيذ طعم لحم السلحفاة حديثة الولادة، لأنه يُلتقط ويُبلع دون جهد أو مشقة في المضغ والسلحفاة الوليدة التي لا تزال بدون درقة تكون بلا حماية، حتى النمل خطير بالنسبة لها، إذ يتجمع في جماعات عديدة لمهاجمة السلحفاة الصغيرة الضعيفة تاركاً جلدها فقط. بلا شك إن هذا السلوك حيواني حشري وليس سلوكاً سوياً؛ ولذلك عندما يبطش قوم أقوياء بآخرين ضعفاء لا يسعنا إلا أن نطلق عليهم حيوانات.

ونفسية الحيوان تدرس كنفسية الإنسان فكتب العالم الراحل جان ديمبوفسكي عالم سلوك الحيوان في كتابه: «علم نفس الحيوان» أن الحيوان يشعر بالحزن والاكتئاب، وذكر حدثاً يثير المشاعر الإنسانية في ميلانو حيث يتردد أن كلبا ظل يتردد يومياً على محطة القطار طيلة ١٢ عاماً كي يستقبل صاحبه الذي كان يعمل سائقاً للقطار فمات ولم يعد له وجود وفي كل مرة يتوقف فيها القطار وينزل منه السائق ومساعده يعود الكلب إلى بيته حزيناً كئيباً بانتظار يوم آخر عسى أن يستطيع رؤية صاحبه الذي لا يدرك أنه مات.. فمما لا شك فيه أن هذا السلوك إنساني.

وفرضية التطور -التي عبثاً يطلقون عليها نظرية- مازالت تلهث وراء حجة ودليل.. فكيف نقيم التوافق بين ما جاء في القرآن في التطور وبين ما يفترضه مذهب التطور بعلل غير مسندة بل قد تكذب نفسها بنفسها..؟!

مذهب يبرر احتلال الأراضي

لقد حاولت فرضية التطور استغلال مفهومها العلمي بالقضاء على العناصر والأجناس والأمم الضعيفة، حيث وجد الاستعمار العالمي مرتعاً خصباً لتحقيق أطماعه واحتلاله وسيطرته على البلاد النامية، بحجة أنهم أجناس لا تستحق البقاء.

وكان أول شيء فعلته تلك النظرية أن استطاعت أن توجه البعض باتخاذها مبررات علمية في إنكار وجود خالق للكون.. فأصبحت سنداً وعضداً في إنكار العقائد الدينية.

وأصبحت الفلسفة البديلة، والمحاربة لفكرة الخالق، كل ذلك عن طريق نظرية «التولد الذاتي» التي قال بها دارون، ومن سبقوه، ودعا بعض

علماء الغرب مثل: «هيكل» إلى تأليه الطبيعة.. واتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقوانين وذاتية الأمم، باعتبار أن كل شيء بدأ بدائياً ثم تطور، فلا قداسة لأي من المقدسات السماوية وكأنها أخرجت لرجال السياسة أكثر منها لعلم الأحياء.. وأورثت الصراع من أجل البقاء في الأوساط العالمية، وكان لمبدأ ومخطط البقاء للأصلح أثره الفعال في إبادة الأجناس المغلوبة على أمرها.

التعاون بين الكائنات أكثر من التنازع بينهم

لقد أخطأ دارون في اعتقاده بأن التنافس والتنازع هو أساس البقاء، رغم أن الشواهد كلها في الأحياء، تؤكد أن التعاون في عالم الحيوان والنبات يكاد يكون أكثر من التنازع، بل إنه ليس هناك تنازع في عالم الحيوان بالمعنى البشري الذي نفهمه.

ولقد بعثت هذه الفرضية في نفوس العالم الأوروبي والغربي والعربي -أيضاً- انحدارا في الفكر والعقيدة، حيث إنها تحارب فكرة وجود الخالق.. كما زرعت في النفوس، أن الإنسان منحدر من أصل حيواني، كما يقول شكسبير: «فالإنسان الذي هو في جوهره عالم الحيوان، ينتمي إلى هذا العالم في نهاية المطاف».

الجينات والسلوك الغرائزي.. الآلي للحيوان

يؤدي سلوك بعض الحيوانات في بعض المواقف إلى الظن بأنه لديها قدرة على التفكير حيث تراها تتصرف بصورة سريعة وبشكل منطقي في اتخاذ القرار وتنفيذه، وفي الحقيقة أن معظم سلوك ونشاط وتصرفات الحيوانات، يخضع للتركيب الجيني والتعلم من البيئة المحيطة أي وراثة ولا دخل للفكر فيها.. وهذه القدرة على التعلم توجد في الحيوانات الراقية بشكل ملحوظ.

فلدى الحيوانات «بنك الذاكرة» حيث يتم فيه تخزين وترتيب الشرط اللازم للاستجابة اللاحقة له، وهناك اختلافات مهمة بين سلوك الإنسان والحيوان.

لماذا تظل شغالة النمل شغالة مدى الحياة؟

فهناك كائنات تؤدي تصرفاتها بسلوك آلي وبدون تدخل منها وبلا أي تطور.. لكن.. ما الحافز الذي يتحكم في تصرفاتها مدى الحياة؟

لقد قلنا من قبل إن هناك نظرية التحكم الجيني.. وليس من عجب إذن أن نعرف أن كل شيء مرتبط بالجينات والتركيب الوراثي حتى الابداع والسلوك كل مرتبط بالعوامل الوراثية.

فهناك مقدار معين من المعلومات الوراثية اللازمة لتحريض الحيوان، ودفعه بصورة تلقائية، لتنفيذ تصرفاته.. وهذه الأوامر كلها محفوظة في مادته الوراثية، فلا يزيد الحيوان عن كونه مجرد جهاز آلي مبرمج مثل الكمبيوتر ينفذ تعليمات، وأوامر مبرمجة داخله دون أي تطور في هذا البرنامج من قبله.. ولقد ضربنا مثلاً بالنملة التي تبني وتدافع، وتهاجم، وتربي، وتسعى، بشكل آلي بدون أي تطور.. فهي تفعل ما تفعله من بناء منذ بدء خلقها وحتى يومنا هذا، دون أي تطور؛ لأنها لا تملك أدوات التطور.. وإنما تنفذ وتؤدي السلوك المفروض عليها.

فالشغالة تبقى شغالة متى بقيت حية فى هذه الدنيا، والملكة تظل ملكة مدى الحياة.. وهكذا.

ما يوجد فى الإنسان هو سر كونه إنساناً

إننا يجب أن نأخذ فى الاعتبار تلك الخصائص والصفات التى توجد فى الإنسان ولا توجد فى تلك الكائنات الأخرى؛ لأنها هى وحدها التى تحمله على أن يكون إنساناً بشراً، لا حيواناً.

ومن بين تلك الصفات الرئيسة القدرة على الكلام واللغة والإدراك، والوعى واستخدام الذاكرة المخزنة وتوجيهها بشكل إرادى، لا عفوى، وتطويع البيئة المحيطة، من نباتات، وحيوانات، وكائنات لخدمته، بل وتسخيرها له.. علاوة على الحرية، وبناء تاريخ وحضارة.

فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى له القدرة على التطور فى سبيل معيشته وبناء حضاراته.

التقليد فى الحيوان

يظن البعض أن الحيوان مخلوق ذكى، لمجرد قدرته الباهرة على التقليد، والواقع أنه يعبر عن نفسه بأفعال انعكاسية شرطية، وهناك فرق بين السلوك الفطرى والسلوك المكتسب.. فتعليم الطيور لصغارها الطيران، واصطياد الأسماك، كلها تؤكد أن هناك نظاماً عصبياً محدداً ومبرمجاً، يسمح بمرور ردود الفعل لدى الحيوان.

ويجب أن نفرق بين التقليد الواقعى التلقائى الذى نجده فى الببغاء مثلاً، وتتميز به القردة العليا وبعض الحيوانات الأخرى.. والتدريب الإجبارى على سلوك بعينه، ووضع برنامج مكثف إجبارى لتعليم الحيوان والحشرات، للتأثير على سلوكها، وإجبارها على الإتيان به وقت الحاجة وعند اللزوم ويمكن تدريب الأسود والفيلة والدببة والدلافين والكلاب والقطط والعصافير بل والفئران أيضاً.. وغيرها على برامج محددة فقد تبدو لنا طريقة حفظ «الحيوانات» للتمارين المتدربة عليها وإتيانها لها وتقليدها بمنتهى الدقة، أنها تشكل أنماطاً متعددة من الذكاء.. ولكن لا يمكن تجاهل أن معظم هذه الحيوانات تقوم بممارسة التمرين فى مقابل إشباع رغبة غريزية كالطعام.

ولو كانت هناك أية مقدرة على التفكير لطورت النملة طريقة معيشتها التى عرفناها.. لكنها تفعل ما تفعله منذ خلقت وحتى الآن؛ لأنها تقوم بأداء كل ذلك بشكل غريزى.. ليس فيه أى تفكير أو تدبير، لكنها مبرمجة على الإتيان بمثل هذه الأفعال.

وكل إنسان يولد ولديه مراكز عصبية تستقبل التنبيهات والمؤثرات وتفسرها وتحللها وتحولها إلى مختلف أنواع الاستجابات وهذا ما يتميز به الإنسان وحده عن الحيوانات أو القردة العليا.

فالوراثة أو التغيير الجينى قد يؤثر داخل أفراد النوع الواحد لكنه لا يؤدى إلى تغير النوع نفسه لنوع آخر «كما يدعى التطوريون»

حيوانية الإنسان منذ متى؟

كيف شاعت فكرة حيوانية الإنسان -التى لا يخجل من ترديدها العلماء.. فيدرسونها، ويعلمونها، -وكأنها حقيقة لا مراء فيها؟ ومن أين أتت هذه المعتقدات، التى تفسر الغرائز الإنسانية على أنها غرائز حيوانية ليؤكدوا ما يدعون، أن الإنسان من أصل حيوانى..؟

وبلغت النظريات المفسرة والمحللة للأفعال الإنسانية والقائمة على الربط بين الدوافع الإنسانية والحيوانية ذروتها على يد «ويلسون» عالم الاجتماع والذى عد الإنسان مجرد حيوان، حيث قارن بين سلوك مجتمعات النمل الأبيض -حيث إنه على درجة عالية من التنظيم والإدارة- وبين سلوك الإنسان الذى يعده ويلسون نتيجة دوافع حافزة تنبعث من الجينات مما يؤدى إلى بهيمية وهمجية الإنسان أو حيوانيته أى عده مجرد حيوان وهذا غير مقبول علمياً.

ولم يقتصر الأمر على دائرة التفسيرات النظرية، ولكن هذه المقترحات والأفكار تأخذ فرصتها للتطبيق العملى فنجد أن الإنسان الذى كرمه الله قد أحطوا من قدره لينحدروا به إلى مستوى الحشرات، وينفذ الأوامر فى إخلاص وتفان فى داخل مجتمع حيوانى على درجة رفيعة من التنظيم.. فهو لا يزيد فى نظرهم عن كونه نملة أو نحلة ولكننا نقول إنه الإنسان الذى فضله الله على كثير من الخلق.. كما قال الله -جل شأنه-:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

الإسراء: ٧٠

إن «ويلسون» وأتباعه يرون أن من حق العلماء إجراء وإدخال التعديلات على الإنسان وفقاً لرغباتهم عن طريق الهندسة الوراثية ليتحول الإنسان إلى فأر تجارب وبالقطع لن يؤدى هذا العبث إلا إلى إفساد النوع الإنسانى والحط من قدره.

والدفاع عن الغرائز الحيوانية فى الإنسان وعن مذهب وفلسفة التطور من قبل بعض العلما يعد جهلاً إذ أنهم يدافعون عن مذهب ليس علمياً.

وإذا كان من الطبيعى أن تنتشر حالات البطش والبلطجة، بين بعض الحيوانات والحشرات، فمن غير الطبيعى أن نرى ما يحدث فى العالم من انتهاك للإنسانية بشتى أشكالها غالبها ضد المسلمين.. لا شك أن كل هذا السلوك الذى عرضناه، حيوانى، حشرى، وليس سلوكاً سوياً.. ولذلك عندما يبطش، ويبلطج قوم أقوياء بآخرين ضعفاء، لا يسعنا إلا أن نطلق عليهم حيوانات.. وسبحان الله -جل شأنه- لم يشبه الإنسان بالحيوان إلا فى حالات الخروج عما نهى الله عنه كقوله -جل شأنه-:

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

«الأعراف: ١٦٦»

وسيظل المجادلون يسخرون من الغيب والبعث مستغلين فرضية التطور ليدحضوا بها الحق كما قال الله -تعالى-:

﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾

«الكهف: ٥٦»

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

يا أمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات

خرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبدالملك فقال: ما رأيت كاليوم، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام، دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين احفظ عنى أربع كلمات، فيهن صلاح ملكك، واستقامة رعيتك. قال: ما هن؟ قال: لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا إذا كان المنحدر وعرا، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن للأمور بغتات فكن على حذر.

قال عيسى بن دأب فحدثت بهذا الحديث المهدى وفى يده لقمة قد رفعها إلى فيه فأمسكها، وقال: ويحك أعد على! فقلت يا أمير المؤمنين: أسغ لقمتك، فقال: حديثك أحب إلىّ.

لمن نصيحتك هذه؟

قال رجل للمهدى: عندى نصيحة يا أمير المؤمنين، فقال: لمن نصيحتك هذه؟ لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك؟ قال: لك يا أمير المؤمنين، قال: ليس الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالا ممن قبل سعايته، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة، فلا نشفى غيظك، أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك، ثم أقبل على الناس فقال: لا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه لله رضا، وللمسلمين صلاح، فإنما لنا الأبدان وليس لنا القلوب، ومن استتر عنا لم

نكشفه، ومن بادانا طلبنا توبته، ومن أخطأ أقلنا عثرته، فإنى أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة، والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف إذا استعطف، ولا يعفو إذا قدر، ولا يغفر إذا ظفر، ولا يرحم إذا استرحم.

الهيبة

أحسن ما قيل فى الهيبة قول العلامة أحمد بن عبدربه صاحب «العقد الفريد» قال:

يا من يجرد من بصيرته
تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له
إلا تفريج منك فى الحلم
أضحى لك التدبير مطردا
مثل اطراد الفعل للاسم
رفع الحسود إليك ناظره
فرآك مطلعا مع النجم

وقال الأخطل:

تسمو العيون إلى إمام عادل
معطى المهابة نافع ضرار
وترى العيون عليه إذ تحتنه
سيم الحليم وهيبة الجبار

من كلام أعرابية لرجل تخاصمه

قال الأصمعى: سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه: والله لو صُوّر الجهل لأظلم معه النهار، ولو صوّر العقل لأضاء معه الليل، وإنك من أفضلهما لمعدم، فخف الله، واعلم أن من ورائك حكما لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار بينة.

وقال أعرابى لأبيه: يا أبت إن فى كبير حقك ما يبطل صغير حقى عليك، والذى تمت به إلىّ أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء، ولكن لا يحل لك الاعتداء.

لبئسما أدبك أهلك يا حجاج

لما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشارى قال: اضربوا عنق ابن الفاجرة، فقال عمران: لبئسما أدّبك أهلك يا حجاج، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتنى به، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها؟ فأطرق الحجاج استحياء وقال: خلوا عنه، فخرج إلى أصحابه فقالوا: والله ما أطلقك إلا الله، فارجع إلى حربه معنا، فقال: هيهات! غلّ يدا مطلقها، وأسر رقبة معتقها! وأنشد:

أأقاتل الحجاج عن سلطانه

بيد تقر بأنها مولاته

إنى إذاً لأخو الدناءة والذى

عقت على عرفانه جهلاته

ماذا أقول إذا وقفت موازيا

في الصف واحتجت له فعلاته

وتحدث الأكفاء أن صنائعا

غرست لدىّ فحنظلت نخلاته

أأقول جار علىّ؟ إنى فيكم

لأحق من جارت عليه ولاته

تا الله ما كدت الأمير بآلة

وجوارحى وسلاحها آلاته

ليس لثلاث حيلة

قال حكيم: ليس لثلاث حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يخامرها حسد، ومرض يمازحه هرم.

حكم

قال الشاعر الحكيم:

ألا أيها المستظرف الذنب جاهرا

هو الله لا تخفى عليه السرائرُ

فإن كنت لم تعرفه حين عصيته

فإن الذى لا يعرف الله كافر

وإن كنت عن علم ومعرفة به

عصيت فأنت المستهين المجاهر

فأية حاليك اعتقدت فإنه

عليم بما تطوى عليه الضمائر

أسد وكلب

جاء هوميروس الشاعر اليونانى رجل وقال له: اهجنى لأفتخر بهجائك إذا لم أكن أهلا لمديحك: فقال له: لا: فقال الرجل: إذن سأمضى إلى زعماء اليونان أخبرهم بنكولك. فقال هوميروس: بلغنا أن كلبا حاول مرة قتال أسد بجزيرة قبرص، فامتنع عليه الأسد أنفة منه، فقال الكلب: سأمضى فأخبر السباع بضعفك، فقال الأسد: لأن تعيرنى السباع بالنكول عن مبارزتك، أحب إلىّ من أن ألوث شاربى بدمك.

دعاء

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك، بل اجعلنا موضع شفقتك أنت يا رب، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك، بل موضع الإحسان منك أنت يا رب، واجعلنا دائما وأبدا بك ومعك وإليك، فلا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك يا رب.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الهولوكوست!!

فى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٠٠٧/١/٢٣، كتب الأستاذ السيد عبدالرءوف متناولاً المحرقة النازية لليهود «الهولوكوست» ومما كتب:

دعوة خبيثة ومشبوهة ومرفوضة تلك التى جاء يعرضها ويروج لها روبرت ساتلوف المدير التنفيذى لمركز واشنطن لدراسات الشرق الأدنى المؤيد لإسرائيل. هذه الدعوة تستهدف إدخال تدريس المحرقة النازية «الهولوكوست» التى يدعى اليهود أن الحكومة الألمانية تحت زعامة هتلر قد ارتكبتها ضد اليهود.

ويزيد من خبث الدعوة دفاع الباحث الأمريكى المتعصب عن امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية بدعوى أنها تفتقر إلى الأمن والحماية من جانب الولايات المتحدة ولمواجهة المشروع النووى الإيرانى.

هذه الدعوة الباطلة تقوم على دعاوى أكثر بطلانا. وتدحض هذه الدعاوى حقائق ووقائع ثابتة تاريخيا.

●● من هذه الحقائق أن قضية المحرقة ليست من الحقائق التاريخية الثابتة والمتفق عليها. بل إن ثمة مؤرخين وباحثين أوروبيين مرموقين يثبتون بالوثائق بطلان هذه الدعوى ومنهم المفكر الفرنسى المسلم رجاء (روجيه) جارودى والمؤرخ البريطانى الشهير دافيد ايرفنج وغيرهما كثير. ولو أن الحكومة الألمانية تخلصت من الإرهاب الصهيونى والضغوط الأمريكية وكشفت عن وثائق حقبة حكم هتلر لتبينت الحقائق التى يمكن أن تدحض كل الأكاذيب المتعلقة بهذه القضية. وإذا كانت هذه القضية غير ثابتة فكيف يتم إدراجها فى مناهج التاريخ فى الدول العربية كقضية مسلم بها؟؟

●● ومن هذه الحقائق التى يعترف كثير من اليهود أنفسهم بها أن قصة المحرقة قد استغلت فى ابتزاز ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية. وأن إسرائيل حصلت من ألمانيا على تعويضات بعشرات المليارات من الدولارات تحت بند ما يسمونه «المسئولية التاريخية» أى مسئولية الشعب الألمانى كله وحكوماته المتعاقبة عما يزعمون أن النازى قد ارتكبه.

●● ومن هذه الحقائق أن العرب لم يكونوا طرفا رئيسيا فاعلا فى الحرب العالمية الثانية حتى وإن كانت بعض المواجهات فيها قد جرت على أراض عربية فإن حكومات الدول العربية لم تكن صاحبة قرار فيما يتعلق بأراضيها التى كانت محتلة فى تلك الحقبة. وما يزعمه الباحث الأمريكى

من مسئولية العالم كله عن هذه المحرقة.

●● ومن هذه الحقائق أن المحرقة وإن صح حدوثها استغرقت بضع سنوات بينما العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية والشعوب العربية وخصوصا الشعب الفلسطيني الذي يتعرض للإبادة منذ ما قبل قيام إسرائيل وحتى الآن. ولايبدو أن ثمة نية لوقف عمليات الإبادة الفردية والجماعية التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي بشكل مستمر ومنظم ومنهجي.

ولا نشك في أن السيد روبرت ساتلوف يعرف هذه الحقائق بل وربما يعرف أكثر منها بحكم مسئوليته عن مركز بحثي كبير هو معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى. وقد نعجب من قدرته على المغالطة وجرأته في طرح مثل هذه الدعوة الخبيثة. ولكن عجبنا يزول حينما يعترف ساتلوف نفسه بالدور الذي يلعبه اللوبي الصهيوني في الضغط على السياسة الأمريكية.

ولكننا نعجب من فتح أبواب جامعاتنا ومراكزنا البحثية مثل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ومركز الدراسات السياسية بجامعة القاهرة وغيرها لكي يروج الأكاذيب والادعاءات الباطلة ضد العرب ولصالح السياسات الصهيونية. والسؤال الذي لا أظن أن السيد ساتلوف سيجيب عنه بالإيجاب: هل هو مستعد لأن يفتح الطريق أمام باحثين عرب مثل الدكتور عبدالوهاب المسيري أو إبراهيم البحراوي أو غيرهما من المعنيين بالصراع العربي الصهيوني لأن يلقي سلسلة من المحاضرات في المراكز البحثية الإسرائيلية حول المحرقة الصهيونية المستمرة حتى الآن ضد الشعب الفلسطيني؟! وهل هو مستعد للتحدث مع الإسرائيليين حول المناهج التي تدرس في كل مستويات التعليم في إسرائيل والتي تزرع الحقد والكراهية والاحتقار لكل ما هو عربي؟! بالتأكيد لا فإن الهدف الأسمى للسيد ساتلوف هو خدمة الأهداف الصهيونية. والعجيب والمريب هو أن نمكنه من ذلك حتى ولو بدعوى الانفتاح والحوار مع الآخر.

الأقصى.. خط أحمر

وتحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة في جريدة الجمهورية الصادرة في ٢٠٠٧/٢/٧ :

قدمت الجرافات الإسرائيلية، وهي تهدم وتخرب المنطقة الأثرية قرب حائط البراق في المسجد الأقصى دليلا دامغا على أن إسرائيل ماضية في مخططها لابتلاع القدس كاملة غير آبهة بالقرارات الدولية المتتالية بشأنها، أو بالاعتراضات العربية والإسلامية والدولية التي تستند للحقوق المشروعة المثبتة تاريخيا.

إن إسرائيل التي تتظاهر بالسير في طريق السلام وتتهم الفلسطينيين بإعاقة المفاوضات هي نفسها التي تنسف قواعد السلام بالعدوان المستمر على الشعب الفلسطيني، وإقامة الجدار العنصري العازل، ودعم المستوطنات في الضفة الغربية وحول القدس.

تتجاوز إسرائيل الآن الخطوط الحمراء بعدوانها على المسجد الأقصى لتنفيذ مخطط التهويد المدان والمجرم دوليا، استفزازا لمشاعر الملايين من الفلسطينيين والعرب والمسلمين وغيرهم ممن سيدافعون عن مقدساتهم حتى الرمق الأخير.

بركان الغضب

وتحت هذا العنوان جاء «رأي الأهرام» المنشور في ٢٠٠٧/٢/٥:

من جديد طفت على السطح جريمة الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى وعلى أجنابه، منذرة هذه المرة بتفجير «بركان من الغضب» على حد تعبير محمود عباس «أبومازن» رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية. وبعد أن أتمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي تهويد حي المغاربة، في مخطط بدأ فور انتهاء حرب ١٩٦٧، تحولت الآن للعبث بباب المغاربة أحد المداخل الرئيسية للمسجد الأقصى، والطريق المؤدي إليه، لتتقدم خطوة جديدة نحو تهويد المدينة القديمة، وتهدد بشكل

جدي الحائط الغربي للمسجد الأقصى مستندة لأوهام البحث عن الهيكل المزعوم، في واحدة من أعقد عمليات الخلط بين ما هو ديني وما هو سياسي في الصراع الشائك والخطير حول ملكية المدينة المقدسة ومحو هويتها العربية والإسلامية.

إن الهدف المعلن لأعمال الهدم هو إنشاء جسر يربط بين باحة المسجد الأقصى المبارك والأحياء الاستعمارية اليهودية في البلدة القديمة، أما الهدف الخفي فهو تمكين اليهود من دخول الحرم القدسي الشريف ومواصلة الحفريات تحت الأقصى للبحث عن الهيكل «الثالث» منذ آلاف السنين!. وعبر عقود من الزمان سعت آلة الدعاية الإسرائيلية إلى إضفاء طابع ثقافي وديني لأعمال الحفر والتنقيب حول المسجد المبارك وعلى أطرافه لتخفي الهدف السياسي المكشوف من وراء هذه الجريمة التي تعمل على تهويد ما تبقى من البلدة العربية القديمة ولتنال هذه المرة من ساحة المسجد نفسه، وحائطه الغربي، بمحاذاة مسجد البراق الذي يقع داخل ساحة المسجد الأقصى. ويأتي تصعيد عمليات الحفر والتهويد في وقت ينشغل فيه الفلسطينيون بمعاركهم الداخلية والتصارع على تقسيم سلطة غير مكتملة وفي ظل ظروف إقليمية يعلمها الجميع.. وهكذا لم تجد هذه الجريمة من يتصدى لها سوى الجمعيات والرموز الدينية من عرب ٤٨.

إن الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على حرمة المسجد الأقصى، لابد أن تدفع الدول العربية والإسلامية إلى إعادة القضية إلى ساحة السياسة، وأن تتم معالجتها في هذا الإطار، حتى يمكن وقف هذه الانتهاكات التي تتم بذرائع دينية وثقافية، وعلى الجميع أن يتذكروا مخاطر المساس بالمشاعر الدينية والاعتداء على المقدسات لتحقيق مكسب سياسي رخيص، وفي الحسبان أن الانتفاضة الثانية انطلقت في سبتمبر عام ٢٠٠٠ بزيارة مشئومة قام بها أرييل شارون رئيس وزراء إسرائيل السابق إلى ساحة المسجد الأقصى.

الفتى العربي

وفي «صندوق الدنيا» وتحت عنوان: الفتى العربي جاءت كلمة الأستاذ/ أحمد بهجت المنشورة في جريدة الأهرام الصادرة في ٢٠٠٧/٢/١١:

اكتشف المسلمون أن إسرائيل تقوم بعمليات حفر تحت المسجد الأقصى عند باب المغاربة، وهي حفريات يخشى منها على أساسات المسجد.

وقد اشتعل المسلمون بنار الغضب.

إن فكرة هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان بدلا منه هي فكرة قديمة، ولكنها واردة وقائمة.

في اليوم التالي لاكتشاف الخبر وشيوعه قرر بسام، وهو فتى عربي، أن يصلي الجمعة في المسجد الأقصى.

كان في الجو شيء كئيب فاجع.. لاحظ وهو في طريقه للمسجد أن عدد الجنود الإسرائيليين أكبر من عدد المصلين أو الذاهبين إلى الصلاة.

كان العدد - كما قالت السلطات الإسرائيلية فيما بعد - ٣ آلاف جندي، وكانوا يفتشون الناس بشكل عشوائي وصل الفتى العربي إلى باب الأقصى الذي يدخل منه في كل مرة.. كان هناك عدد من الجنود لا يقل عن عشرة، سأله جندي يبدو أنه رئيسهم: كم عمرك؟

قال الفتى العربي مجيبا سائله: ٢٥ عاماً.

قال الجندي الإسرائيلي: ممنوع.

سأل الفتى العربي: لماذا هو ممنوع؟ وما هي علاقة العمر بدخول المسجد؟

قال الجندي الإسرائيلي: أقل من ٤٥ سنة ممنوع.

رفض الفتى العربي أن ينصاع للأمر ودخل المسجد، فأسرعت وراءه مجموعة من الجنود وضربوه، فرد الضربات فطرحوه أرضا وانهالوا عليه ضربا بالعصي وركلا بالأقدام حتى طفح الدم من أنفه وفمه وأشرف على الموت.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الدعارة الإعلامية

غضب عارم شعرت وشعر به الكثيرون إزاء فعل فاضح، أقدمت عليه إحدى القنوات الفضائية العربية الشهيرة فى أحد برامجها الذى تقوم بتقديمه مذيعة لامعة شهيرة.. المذيعة الشهيرة -جدا- استضافت فى برنامجها ثلاث فتيات، وصفتهن بأنهن ينتمين إلى عالم فتيات الليل!!

تحدثت الفتيات الثلاثة عن تجاربهن فى ممارسة الفاحشة بدون خجل، وبكل التفاصيل وبأسلوب ساقط استفز جمهور المشاهدين.

وفى اليوم التالى لإذاعة الحلقة الأولى حدثت مفاجأة مدوية!!. الفتيات الثلاثة تقدمن ببلاغ للنائب العام ضد المذيعة اللامعة يتهمنها بإصابتهن بالضرر المعنوى والإساءة لسمعتهن بعد أن خدعتهن بالظهور فى برنامجها كفتيات ليل مقابل ٤٠٠ جنيه لكل فتاة عن الحلقة الواحدة، وطالبت الفتيات الثلاثة باتخاذ الإجراءات القانونية ضد المذيعة، وأكدت الفتيات أن الاتفاق الذى تم معهن كان أساسه «الفبركة الكاملة» حيث إنهن لسن فتيات ليل ولكن المذيعة اللامعة كانت ترغب فى إعداد برنامج «ساخن» يجذب المشاهدين ويحقق دخلا كبيرا من خلال الإعلانات التى سيتم بثها خلال البرنامج، وقامت بإغرائهن بالمال مع التعهد بتغيير أصواتهن وإخفاء وجوههن بحيث لايمكن التعرف عليهن.

ولكن الذى حدث أن المذيعة أخلت بالاتفاق وأظهرتهن خلال البرنامج بشكل صريح مما تسبب لهن فى فضيحة مدوية بعد أن شاهدهن أهلهن وأصدقاؤهن

وتعرفوا عليهن، بل وقرر أقاربهن قتلهن جزاء لارتكابهن الفاحشة وهى التهمة التى يؤكدن أنهن لم يقترفنها وإنما الحاجة للمال كانت هى فقط الدافع وراء قبولهن لذلك العرض الشيطانى الذى قدمته المذيعة لهن.

المذيعة اللامعة تحدثت خلال برنامجها بأنها ترغب فى أن توقظ المجتمع من سباته العميق وأنها تدق ناقوس الخطر لمواجهة ظاهرة «علب الليل» و«الانحراف الجنسى» وصور وأشكال «الدعارة»، وأن هدفها هو تطهير المجتمع!!

المذيعة اللامعة تحدثت كما لو كان المجتمع المصرى مجتمعا داعرًا تتفشى فيه الخطيئة!!. وأغرت الفتيات لينسبن إلى أنفسهن أفعال مشينة مستغلة احتياجهن الشديد للمال ووعدتهن بإخفاء شخصياتهن، ولكنها لم تفعل فأساءت لهن، بل وللشعب المصرى كله الذى استاء أشد الاستياء من هذه التجارة الرخيصة الوقحة بإظهاره بأنه شعب داعر يسعى وراء المال حتى ولو تاجر بشرفه!!.

ليس هذا فقط بل احتوى البرنامج على تحريض ضمنى على ممارسة الفاحشة، حيث تضمن كلام الفتيات خلال برنامج «الدعارة» تصريحا من إحداهن بأنها تحقق دخلا شهريا يصل إلى عشرة آلاف جنيه وهو مبلغ فوق مستوى قدرات غالبية هذا الشعب الكادح، فهل حقا كان الهدف الحقيقى للبرنامج مواجهة «ظاهرة علب الليل»؟!

إن البرنامج بوجه عام يسخر من شعب لم يعرف عبر تاريخه الطويل سوى الكفاح والنضال دفاعا عن الأمة الإسلامية والعربية باذلا فى سبيل ذلك كل مقدراته الاقتصادية، مقدما زهرة شبابه فداء للإسلام والعروبة.. ثم تأتى مثل هذه المذيعة وعبر فضائية غير مصرية لتقدم نماذج مصرية تسيء من خلالها إلى شرف شعب مصر وكرامته من أجل حصيلة الإعلانات التى ستدخل خزائن الفضائية العربية والتى ستحصل بدورها «أى المذيعة» على حصة منها.

أنا هنا لا أبرىء الفتيات.. بل أطالب بعقابهن بشكل رادع، لأنهن كان ينبغى عليهن أن يدركن أن هناك أمورا لا تباع ولا تشترى.. لقد سمحن للمذيعة اللامعة بعمل حوار معهن، صرحن فيه بارتكاب الفاحشة واهتممن فقط باشتراط تغيير أصواتهن وإخفاء صورهن غير عابئات بما قد ينتج عن هذا الحوار الساقط من ضرر بليغ على سمعة هذا الشعب المبتلى بأمثالهن وأمثال تلك المذيعة من الساعين وراء شهوة المال عبر نمط جديد من أنماط الدعارة ألا وهو الدعارة الإعلامية.

أحمد تقى الدين

إرث بلا مال

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ عاصم سيد ـ المحامى:

يسعى البعض إلى توريث أولاده بتوزيع ماله عليهم أثناء حياته بدعوى الاطمئنان عليهم وعدم نشوب خلافات بعد مماته، ويغفل عن أمور كثيرة أولى من المال مثل العلم والأخلاق الحسنة، والتقوى، والإخلاص والحكمة فلم يحرص نبى على جمع مال أو بناء قصور بل كانوا جميعهم حريصين على ترك رسالة علم وهداية تبقى من بعدهم.

فهناك قصة واقعية وقعت صاحبتها فى عثرات مع الأيام وانزلقت قدماها فهوت بها إلى قاع من الأشجان فقد كانت فتاة جميلة، حالفها الحظ فى أشياء كثيرة فى عملها فأصبحت مرموقة فى مجال عملها ولكن خاصمها حظها فى الزواج، وكانت كأى فتاة فى سنها آنذاك تميل لإعطاء حنان الأمومة لطفل تتخيل أنه وليدها، فهرولت لتبنى طفلة صغيرة حتى تكبر بين أحضانها، وقد كان.. وكبرت البنت المتبناه وتزوجت وأنجبت بنتين.

أشرفت الأم المتبنية على الوفاه فى اعتقادها فخشيت على بنتها «المتبناه» وعلى حفيدتيها فكتبت كثيراً من أموالها وممتلكاتها لبنتها «المتبناه» وحجبت باقى الورثة ولكن حدث ماهو غير متوقع لمن يشغلون أنفسهم بمستقبل لم يملكونه ويخالفون القسمة الشرعية توفيت الإبنة «المتبناه» وآل الإرث بالطبع إلى زوجها وابنتيه وبقيت الأم العذراء حزينة لا تملك سوى البكاء وكظم الغيظ مع تلهف على المشورة بعيداً عن أهلها كيف تفعل وبأى طريق تعيد مالها المسلوب منها بإرادتها، وتجرى على زوج الإبنة المتوفاه «المتبناه» وتطلب منه أن يعيد المال فيرفض دون تردد فتكرر طلبها بصورة أخرى أن يكتب نصيبه للبنات فيزداد قلبه تحجراً ويقول: هذا مالى ومال زوجتى وأنت لا تملكين منه شيئاً.

ولم تنته جراح الحيرة والندم سوى بوفاة الأم التى تحملت الكثير من الآلام النفسية وكانت فى غنى عنها.

وليشاركنى القارئ فى الحكم على ما فعله الزوج، وما فعلته الأم «العذراء».

هل وقعت فى أخطاء؟.. هل اتبعت أحكام الشريعة؟

وهل كان فى مقدورها تجنب كل ماحدث؟

وماذا كان يجب عليها أن تفعل؟

أمر شائك مازال البعض منا ينغمس فيه بإرادته ولا يستطيع أن يتحلل منه!!

تأملات فى دعاء المحزون!!

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ / مصطفى الأزهرى - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام:

نحن جميعاً - وبلا استثناء - نعيش فى هذه الدنيا تحيطنا شبكة من المصاعب والابتلاءات، وتختلط فى نفوسنا الأحزان بالأفراح ولا أدل على ذلك مما نضرب به مثلاً لأنفسنا حين نغرق فى الضحك فنقول حذراً: «اللهم اجعله خير..» وكأننا نتوقع بعد هذا الضحك أن تكشر لنا الدنيا عن أنيابها فينقلب الضحك بكاء، والفرح أحزاناً، والبسمة حيرة واكتئاباً.. وحقاً تلك هى الحياة.. إذا حلت أوحلت، وإذا أضحكت أبكت.. وصدق الله مولانا العظيم الذى حضّ عباده المؤمنين من بداية الطريق فقال لهم:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

(الملك: ٢)

لذلك ألقى المولى الكريم - جل وتعالى - لعباده المكروبين طوق نجاة عظيم لينقذهم من يم الغم ولينتشل نفوسهم من ظلمات الكرب ولينالهم شرف التشبه بنبى الله العظيم يونس - عليه السلام - حين استبد به الكرب:

﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٧)

فكان النداء من العبد المكروب، وأعقبته الإجابة من علام الغيوب:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾

(الأنبياء: ٨٨)

وجاءت البشرى الدائمة ما دامت السموات والأرض تفتح باب الأمل والرجاء لكل محزون ومكروب فقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٨)

ويفتح لنا نبينا الذى لا ينطق عن الهوى نافذة من مشكاة النبوة الجليلة العظيمة فينبعث منها نور يبدد ظلمات الهم ويكشف الكرب عمن أصابه الكرب ويمسح بيد حانية عطوفة كريمة على أهل الأحزان وأصحاب الأتراح.. فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال: «ما أصاب عبداً هم، ولا حزن فقال: «اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك، عدل فىّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى.

وذهاب همى.. إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً». (رواه أحمد وابن حبان بإسناد صحيح).

هل يجد أى محزون مسلم يعرف قيمة هذا الدعاء ويشعر بقدره؟ أقول: هل يجد بعد هذه الوصفة النبوية الناجعة فى نفسه المكلومة أى أثر لجرح؟!!! إن أى مسلم يتأمل بقلبه ومشاعره وأحاسيسه هذا الدعاء ويدعو به موقنا بالإجابة فإن قلبه لابد أن يتحول - إن صح التعبير - إلى قلب يسير بصاحبه إلى الله فى طريق مليء بالأنس والرضا محفوف بأزاهير الربيع مضاء بقناديل النور، مجلو بجلاء الذكر لا يجد فى نفسه إلا الرضا والرضوان، والأمن والإيمان والسلامة من كل شر والغنيمة من كل بر.. والحمد لله أولاً وآخرا.

ابن الجوزى.. واعظ الفقهاء وفقيه الوعاظ

ومن الصديق طاهر محمد الأقرع كانت هذه الكلمات:

يعد الإمام جمال الدين أبوالفرج عبدالرحمن بن على البغدادى المولد والنشأة والمتوفى (٥١٠ تقريباً - ٥٩٧هـ) الشهير بابن الجوزى علماً من أعلام الحضارة الإسلامية، وصانعا من صناعها، ومثلاً يحتذى به فى علو الهمة والتفانى فى تحصيل كل العلوم على اختلافها وتنوعها فلم تقنع نفسه بعلم دون علم أو فن دون آخر. فيقول عن نفسه: «ونظرت إلى علو همتى فرأيتها عجباً وذلك أننى أروم من العلم ما أتيقن أنى لا أصل إليه، لأننى أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فرد، وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه».

ثم يضيف مؤكداً على العلاقة التلازمية والتكاملية بين العلم والعمل قائلاً: «ثم أنى أروم نهاية العمل بالعلم..».

ورغم أن ابن الجوزى كان يوقن بأنه لن يحصل كل ما تروم نفسه من علم ومعرفة لكثرة العلوم وضيق الوقت وقصر العمر، إلا أنه لم يتخذ هذه الأسباب ذريعة للتكاسل والتوانى، بل اجتهد قدر استطاعته، ولم يدخر وسعاً فى سبيل تحقيق أمنيته وبلوغ مراده، مادام فيه نفس يتردد وقلب ينبض، غير عابيء إن كان سيصل إلى مبتغاه أم لا، إلى كل ما يأمل أو بعضه فالمهم السعى والاجتهاد.

وبالفعل صار ابن الجوزى عالماً موسوعياً ملماً بمعظم علوم عصره، تشهد له بذلك مصنفاته الكثيرة والتى وصلت من حيث العدد إلى ما يربو على الألف كما يقول ابن تيمية فقد تناولت تصانيفه علوماً متنوعة

من تفسير وعلوم قرآن وحديث وفقه وتاريخ ولغة وأدب وتصوف وطب.

أضف إلى ذلك أنه كان واعظاً قديراً لا ينازعه فى هذه الصفة منازع فيقول الإمام الذهبى عنه: «كان رأساً فى التذكير بلا مدافعة يقول النظم الرائق والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب، ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الواعظ والقيم بفنونه..». فلا غرو إذن أن تغص مجالسه الوعظية بالمريدين الذين بلغوا من حيث العدد مائة ألف أو يزيدون على حد قول عبداللطيف البغدادى، ويشير ابن الجوزى إلى هذا بقوله: «إن الله وضع لى فى قلوب الخلق من القبول فوق الحد وأوقع كلامى فى نفوسهم فلا يرتابون بصحته فقد أسلم على يدى نحو مائتين وقيل إن من تاب فى مجالسى أكثر من مائة ألف». وكان ممن حضر مجالس وعظه وتذكيره الرحالة الأندلسى الشهير ابن جبير، حيث حضر له أكثر من مجلس يصف لنا فى إحداها حالة الناس إثر سماعهم لوعظ ابن الجوزى قائلاً: «فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين بالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا ولا تميز معقولا ولا تجد للصبر سبيلا».

لكم قاسى ابن الجوزى ليصل إلى ما وصل إليه من مجد علمى وشهرة وعظية عملا بقول الشاعر:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فيحدثنا بنفسه كيف كانت لذة العلم تنسيه وعورة طريق العلم وتهون عليه قسوة الحياة قائلاً: «كنت فى زمان الصبا آخذ معى أرغفة يابسة فأخرج فى طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها وعين همتى لا ترى إلا لذة العلم»، لقد ضحى بفرحة الطفولة وبهاء الصبا من أجل أن يصير عالماً يشار إليه بالبنان وتسير بذكره الركبان، كذلك فقد أنفق كل ما يملك على الدرس والتحصيل فلقد ورث عن أبيه دارين كان يسكن إحداهما فباعهما وأنفق ثمنهما فى طلب العلم أيضاً كان أشح على وقته منه على درهمه فلم ينفق أوقاته إلا فى القراءة والاطلاع، فكان يجالس الكتب أكثر من مجالسته لأهله فيقول: «ما أشبع من مطالعة الكتب وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأنى وقعت على كنز.. ولو قلت إنى طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعد فى الطلب».

رحم الله الإمام ابن الجوزى فمازالت ذكراه تحيى فينا حب العلم وتبغض إلينا الجهل وتحرك فى نفوسنا الرغبة إلى تصدر ركب الحضارة والمدنية مرة أخرى كسابق عهدنا وسالف أمرنا.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / محمد الشرقاوى

نيويورك تايمز: الإسلام أسرع الديانات انتشاراً فى الولايات المتحدة

أظهرت دراسة أمريكية أن عدد الأسبان المقيمين بالولايات المتحدة والذين اعتنقوا الإسلام فى السنوات الأخيرة قد زاد بنسبة ٣٠٪ منذ عام «١٩٩٩» ووصل عددهم الآن إلى ما يزيد على المائتى ألف مسلم.

وأضافت الدراسة أن هؤلاء المسلمين ينتشرون فى عدد كبير من الولايات الأمريكية أهمها «نيويورك وتكساس وكاليفورنيا» حيث تتمركز الجالية الأسبانية التى أنشأت أكبر مسجد فى مقاطعة «أورلاندو» يصلى فيه أكثر من «٧٠٠» شخص يومياً حسبما نقلت صحيفة «تيرا» الإسبانية.. وأكدت الدراسة كذلك أن هؤلاء الأسبان دخلوا فى الدين الإسلامى إما عن طريق الزواج، أو الاختلاط بالجاليات الإسلامية أو من خلال الدراسة والاطلاع على تعاليم الإسلام الصحيحة.

من ناحية أخرى ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» فى تقرير لها: أن الإسلام يُعد أسرع الديانات انتشاراً فى الولايات المتحدة الأمريكية وأن عدد معتنقيه يتزايد باستمرار حتى إن بعض التقارير تشير إلى أن نسبة عدد المسلمين تضاعف أربع مرات منذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

وقالت الصحيفة: إن الهجوم على الإسلام مثلما أوجد الشك والهجوم على المسلمين أوجد أيضاً تعاطفاً لدى البعض الآخر وفضولاً ورغبة فى معرفة الإسلام.

حرمان مسلمى بريطانيا من مزايا المواطنة بسبب انتمائهم الدينى!

أظهر تقرير بريطانى أن غالبية المسلمين البريطانيين يعتبرون وسائل الإعلام البريطانية أحد عوامل إقصائهم عن المجتمع والتمييز ضدهم.. وأشار التقرير الصادر عن المفوضية الإسلامية لحقوق الإنسان -التى تتخذ من لندن مقراً لها- إلى إصرار الإعلام البريطانى على تصنيف المسلمين فى إطار اصطلاحى ضيق ومناقشات سلبية تظهر بقوة فى مختلف وسائل الإعلام.

ودعا التقرير الذى حمل عنوان «الإعلام البريطانى وصورة المسلمين» إلى وجود إعلام أكثر حرية ونزاهة بحيث يتضمن أصوات الأقلية والمهمشين، وأظهر التقرير أن الغالبية الساحقة من المسلمين فى بريطانيا والذين يزيد عددهم على مليون ونصف المليون مسلم يرون أن الإعلام البريطانى يمارس إما الإسلاموفوبيا «الخوف المرضى من الإسلام» أو أنه يمارس العنصرية ضد المسلمين

وأشار التقرير إلى أن هناك تجاهلاً للمسلمين فى الإعلام وأن دواعى القلق لدى المسلمين ليست بشأن عدد المشاركين منهم فى إنتاج الوسائل الإعلامية ولكن بشأن جودة المحتوى الذى يتناول قضاياهم. ويرى العديد من المسلمين أن هذه المشكلة تظهر بصورة منتظمة سواء فى السينما أو التليفزيون أو الوسائل الإعلامية المطبوعة.

وزير داخلية ألمانيا يؤكد: الإسلام أصبح جزءاً من بلادنا

كشف تقرير إخبارى نشرته مجلة «شبيجل» الألمانية فى عددها الأخير اعتماداً على دراسة لمركز المحفوظات الإسلامية بمدينة «سويست» بألمانيا عن زيادة أعداد الألمان معتنقى الإسلام.

وأوضح التقرير أن نحو «٤ آلاف» شخص اعتنقوا الإسلام فى الفترة من «يوليو ٢٠٠٤» وحتى «يونيو ٢٠٠٥» وهو ما يزيد أربع مرات عن الفترة نفسها من العام السابق عليه.

وأشارت الدراسة إلى أن دوافع اعتناق الألمان للإسلام أصبحت متنوعة بشكل واضح ففى الوقت الذى كان فيه زواج الألمانيات من مسلمين هو الدافع الأكبر فى تغيير الديانة أصبح اعتناق الإسلام يتم غالباً بناء على قرار حر.. وكان وزير الداخلية الألمانى «فولفجانج شويبلة» قد ذكر مؤخراً أن الإسلام أصبح جزءاً من البلاد فى ظل وجود أكثر من ثلاثة ملايين مسلم فى ألمانيا، وأن على السياسة ترويج فكرة أن المساجد والكنائس والمعابد لا تمثل تهديداً وإنما هى نوع من إثراء البلاد.

كنيس يهودى يحجب قبة الصخرة المشرفة

بدأ مستوطنون صهاينة وبترخيص من بلدية الاحتلال فى القدس فى بناء كنيس يهودى من أربعة طوابق يحجب مشهد قبة الصخرة المشرفة فيما يتوعد المقدسيون بوقف البناء.

ويبدأ بناء الكنيس الذى تشيده جمعية «عطيرت كوهانيم» اليهودية المتطرفة قرب باب القطانين أحد مداخل الحرم الشريف.

وقال مصدر فى الجمعية اليهودية: «إن هناك ترخيصاً لبناء معهد دينى لمؤسسة خاصة وبالطبع سيحتوى على كنيس».

وقال مدير أوقاف القدس «عدنان الحسينى» «إن المستوطنين قدموا قبل أربع سنوات خارطة للبلدية تتضمن بناء ضخماً يغير معالم القدس بالكامل واعترضنا عليه وأوقفت البلدية المشروع، مضيفاً: نحن لا نستطيع الحصول على معلومات لأن المستوطنين يحصلون على رخص بطرق سرية وملتوية تذهب إلى البلدية».

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ حافظ محمد حافظ
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

دورة تدريبية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف يوم الأربعاء الموافق ٢٤ / ١ / ٢٠٠٧ حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الخامسة والسبعين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامي وعددهم ٢٣ إماماً وواعظاً من دول: (الجزائر - السودان - تنزانيا - توجو - افريقيا الوسطى - بروناى) - وقد تلقوا العلوم العربية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف، والتى عن طريقها يمكنهم الرد على الأسئلة والاستفسارات التى يتعرضون لها عند عودتهم إلى بلادهم.. وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.. وفى نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم ثم قام بتوزيع شهادات التخرج عليهم ومنح كل خريج مكتبة دينية تساعده على أداء مهامه بنجاح، كما افتتح فضيلته أعمال الدورة التدريبية رقم (٧٦) للأئمة والوعاظ وعددهم (٣٠) إماماً وواعظاً من دول (الجزائر - السودان - موريتانيا - المالديف - الكاميرون - نيبال).

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية أفغانستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم ١٥ / ١ / ٢٠٠٧ - معالى الدكتور/ رينجين دادافر سبنتا - وزير خارجية جمهورية أفغانستان.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد وزير الخارجية والوفد المرافق له فى مصر والأزهر الشريف، ملقياً الضوء على الأزهر الشريف ومكانته العالمية، مشيراً إلى أن بالأزهر الشريف طلبة من أفغانستان عددهم حوالى ٣٠٠ طالب وطالبة وأنه تم إرسال ١٥ من علماء الأزهر للمشاركة فى تدريس العلوم العربية والشرعية بدولة أفغانستان.

ومن جانبه أعرب السيد/ وزير الخارجية الأفغانى عن بالغ سعادته بهذا الترحيب الحار، وأبلغ فضيلة الإمام الأكبر تحيات رئيس جمهورية أفغانستان، الذى يؤكد على دور الأزهر عالمياً.

ويستقبل وفداً ماليزيا

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور/ آدى بديع الزمان تواه مدير هيئة الامتحانات بوزارة التربية بماليزيا والوفد المرافق.

حيث أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن لدولة ماليزيا طلاباً بالآلاف يدرسون بالأزهر الشريف وأن الأزهر لا يتأخر فى تقديم كل عون ومساعدة لطلاب ماليزيا ويقدم لهم كافة التسهيلات، والأزهر يسعده أن يقدم المزيد من التعاون مع دولة ماليزيا من خدمات تعليمية.

الإمام الأكبر: شريعة الإسلام هى إخلاص العبادة والتحلى بمكارم الأخلاق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه يوم ٢٣ / ١ / ٢٠٠٧م - معالى فيهن داتو الحاج سويوى الحاج عثمان - وزير الصحة بسلطنة بروناى، وسعادة/ سفير سلطنة بروناى بالقاهرة والوفد المرافق لهما.. رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى الوزير فى مصر والأزهر الشريف، مؤكداً على عمق العلاقات والصلة القوية التى تربط مصر ببروناى، وطلب من معالى الوزير أن ينقل تحياته وعلماء الأزهر الشريف للسلطان حسن بلقيه - سلطان بروناى - وحكومته، وأوضح أن العلاقة بين البلدين يسودها التعاون القائم على المحبة والاحترام والتسامح، وبين فضيلة الإمام الأكبر أن بالأزهر عدداً من طلبة وطالبات سلطنة بروناى، يحظون بالرعاية والاهتمام، وعبر عن إعجابه واحترامه لشعب بروناى الذى يعمل على رفعة شأن بلده، فهم يتعاونون خدمة بلدهم. كما أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى لأن شريعة الإسلام تعتبر الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وأن الأخوة الإنسانية بينهم هى أخوة حقيقية، ورغم اختلاف الناس فى عقائدهم وأفكارهم ومقاصدهم فالاختلاف لا يمنع من التعاون فى حدود ما أحله الله، وتبين للناس أن شريعة الإسلام هى إخلاص العبادة لله والتحلى بمكارم الأخلاق والالتزام بالصدق والعدل والعمل الصالح وأن دين الإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام وهذه الحقائق نعلمها لأولادنا وبناتنا لأن العصر الذى نعيش فيه هو عصر العلم.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس لجنة صياغة الدستور العراقى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٢٣ / ١ / ٢٠٠٧ الدكتور/ همام حمودى - رئيس لجنة صياغة الدستور ورئيس اللجنة الخارجية وعضو مجلس النواب العراقى والوفد المرافق له يرافقهم سعادة سفير العراق بالقاهرة.. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف معربا عن اهتمام مصر بكل ما يحدث بالعراق مشيراً إلى الحزن العميق لكل قتيل فى العراق - داعيا للعراق أن يعيش فى أمن ورخاء وتماسك كالبنيان المرصوص، مؤكداً بأننا ضد التخريب بأى صورة كانت لأن الفتن كقطع الليل المظلم وأن ما يحدث إنما هو صراع على السلطة ويزج بالدين فيه، فنحن نقول إن كل من يشهد بأن لا إله إلا الله فهو مسلم ونقول للشعب العراقى أن ينسى الماضى ويجلسون ويتحاورون ويبين كل منهم وجهة نظره للتقريب بينهم، وبهذا تهدأ الأمور.

كما أتوجه بندائى إلى العلماء أن يتكاتفوا من أجل التغلب على أعداء السلام والرخاء والأمان.

فنحن مع إخواننا العقلاء فى العراق سواء أكانوا من السنة أو الشيعة أو الأكراد فكل من يحمل الجنسية العراقية فهو أمين على هذه البلد وننادى ونقول بأن على إخواننا فى العراق أن يتعاونوا ويتكاتفوا ويبتعدوا عن الطائفية والعنصرية البلهاء، وهنا ستعود الأمور إلى مجراها فالدين الإسلامى دين سلام وإخاء وأمان واطمئنان والذين يعكرون صفو هذا الدين، الإسلام برىء منهم والشرف الإنسانى برىء منهم والعقل الإنسانى برىء منهم، فمن يخرب فى بلده فإن الشيطان يكون تلميذاً له.

The Islamic Respect for Women ...!

By : The honorable Sheikh Omar Ad- Deib

The Deputy of Al- Azhar

Women in Islamic Sharia`a are granted a position which has never been granted in any human society or in heavenly creed either before Islam. The noble Qur`an is the best evidence for this fact, as it presents many affairs of women in more than ten surahs, among which the long woman surah that is ranked the fourth in the noble Qur`an.

Moreover, the short woman surah which the divorce surah ranks 65th in the Noble Qur`an. It presents women in other surahs whose numbers are 2,5,24,33,58,60 and 66.

This reveals the high rank of women in Islam.

Some of the foreign scientists were concerned about accusing Islam with mistreating women and non- equality between man and woman. We respond to these accusations by what is mentioned in the Noble Qur`an as Allah, Glorified be He,says:

"Women shall have rights similar to the rights against them, according to what is equitable ."

(Al- Baqarah(the cow): 228)

Is there any equality more than this?

Islam relieved women from hard work for which the man is responsible, being a husband, a father, a son or a brother.

Those who accuse Islam with non- equality have the balance of fairness disrupted. They are ignorant of the Islamic rules mentioned in the Qur`an and Sunnah. It is not fair that one issues a verdict without knowing the case about which either he speaks or writes a point of view.

The Islamic rules and Sharia`a care about granting women the benefitable deeds. Moreover, Islam protects them from the deeds that spoil their life. If we search about what Islam mentions in this case, we will find the following:

الأزهر

Islam keeps the woman chaste, clean, and honorable neither trivialized nor humiliated. It keeps the woman from selling her body and subjecting it to unchaste deeds. Islam prevented anyone except the husband from touching or looking at the woman or sitting alone with her. The chastity imposed by Islam is revealed in hiding the woman`s body, and inscribed the specifications of the veiling clothes, which are mentioned in detail in two verses in the light surah.

Allah says:

"And say to the believing women that they should lower their gaze and guard their modesty; that they should not display their beauty and ornaments except what (ordinarily) appear thereof; that they should draw their veils over their bosoms and not display their beauty except to their husbands, their fathers, their husband`s fathers` sons, or their sisters` sons, or their women, or the slaves whom their right hands possess, or male attendants free of sexual desires, or small children who have no carnal knowledge of women; and that they should not strike their feet in order to draw attention to their hidden ornaments . And O'ye Believers! Turn ye all together towards Allah in repentance, that ye may be successful".

(An- Nur (The light): 31)

The second verse is mentioned in the confederate surah in which Allah, Glorified be He, says:

"O prophet! Tell thy wives and daughters, and the believing women, that they should cast their outer garments over their persons (when out of doors): that they should be known (as such) and not be molested. And Allah is Oft- Forgiving, Most Merciful".

(Al- Ahzab (The confederates): 59)

Islam prevented the man and the woman from mingling with each other except by the marriage contract with all of its rules and conditions which are mentioned in the Islamic Sharia`a.

now. The brave martyr looked around himself and was disturbed by the horrible acts of As-Seeikh sect in Al-Benjab, as they killed the innocent Muslims, destroyed the houses, and raped the women. He was angry for Allah's religion and his Muslim brothers. Thus, he raised the flag of fighting and called for the heroes from every place who hurried to him. He was chosen as their leader on last Gomada 1242 A.H. Then, he led the troops from a victory to the other, while his enemies were puzzled; they tried to plot against him. They were terrified to see Imam Ahmed establishing an Islamic state at the Northern borders of India that emphasized the strength of Islam. It continued for four years carrying the flag of Islam till Britain was terrified and provided As-Seeikh with the modern European weapons. They were helped by the betrayers who ignored the malice of the occupation, and were deluded by the position and gold. They stirred sedition, and Imam went to Kashmir fighting. But the assemblage of English solidiers, As-Seeikh and the fifth row of the hypocrite was great to the extent that the minority of Muslims can not endure. But they preferred death to escape, and the Imam was martyred in Balakot battle.

The history of Ibn Erfan did not leave the minds of all of the Muslims in India; on the contrary, it was fixed in his honorable family which talked about him and wrote his news. The father of Abul Hassan was one of the respectable scientists who wrote the history of not only this martyr, but also all of the great Muslims along the decades in his great eight-volume book "The Journey of The Thoughts". It contained five thousand biographies for the notable Muslims in India. Although Abul Hassan did not enjoy the scientific care of his father who died when Abul Hassan was nine years old, the rich encyclopedia nourished his spirit. He read about the great reformers in a way that gave him a great role in increasing a rich biographies to the above mentioned ones.

"The Journey of The Thoughts" was not the only consolidation in his youth, but it acted as a motive for similar books in the Islamic heritage as well as for writing biographies.

He sent what he had written to the Egyptian magazine of Al Manar which the argument of Islam in this era Sheikh Muhammad Rashid Reda issues and is famous in the Islamic world. Sheikh Rashid found the essay worthy of publishing. He published it with admiration. This was the first essay the beginner author wrote. Without any doubt the publishing such an essay in this extraordinary magazine put a confidence in Abu Al- Hassan, provides him with the ambitious firm will and the diligence where he found Al Manar puts him in ranks of its writers . Due to Al Manar copies sent to India was limited, Abu Al-Hassan published it alone under an address (Biography of Imam Ahmed Irfan Al Shahid) which appeared in 1350 A.H. where it arose a strong effect between the scholars and the researchers where it is considered as a true dawn whose bright light brings good tidings about coming an apparent morning!

Abu Al - Hassan was guided to his message which must carry not only to the Islamic world but to the whole world, this message is: Da'wa (Calling) to Allah as a writer and a speaker. As for being a writer, his success appeared in what wrote in Al Manar and published in Al Nadwa newspaper, but as a speaker, although he was a young man, he was accustomed to stand on the pulpit and talk to the hearers in the lectures and gain the acceptance and also more than the acceptance . This is something helps the walker in the darkness road. It is said that Abu Al- Hassan was accustomed to stand on the pulpit as a speaker by a help that Allah provides him with by one of his professors where he travelled to (Delhy) in a scientific journey and by a good chance, he met with its Grand preacher Sheikh, Muhammad Ilias who doesn't depend in his calling on the press or scientific writings but goes to the people in every place.

refused by the emigrants. The supporters then made another suggestion which was choosing two leaders one of whom would be a supporter and the other an emigrant. Omar Ibn Al khattab wanted to say a speech to the people, but Abu Bakr told him to stop; and he said the speech to the people in his delicate way. Abu Bakr was then chosen to be the Khalif of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Life became stable at the beginning. Later, some of the tribes started to rebel and refused to pay almsgiving. Abu Bakr, who was usually a delicate and kind man, turned into a furious volcano. Some of the Prophet's companions advised him to treat the matters smoothly to maintain the unity of the Muslims. Among those was Omar Ibn Al khattab. He said: "How could we fight them when the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I was ordered to fight the people till they say Allah is one. When they say that, their blood and money will be protected". But Omar did not pay attention to the last sentence: "except for the sake and right of Allah". Abu Bakr refused to listen to him and accused Omar of weakness. The Muslims obeyed Abu Bakr and faced the sedition in unity, and the apostasy wars ended with victory of righteousness, and the return of strength to the Islamic state. The Muslims were then faced by the danger that threatened the Noble Qur`an, as a large number of its memorizers were martyred in the war. The idea of collecting the Noble Qur`an appeared after strong refusal. The Noble Quran was collected in one copy arranged from the opening surah to the people surah. May Allah forgive Abu Bakr who faced and overcame the hard missions. It was impossible that anyone except him could overcome them.

The scholar Abul-hassan An-Nadawy...!

By: Dr. Mohammad Rajab Al-Bioumy

Abul-Hassan was born in Tekkia village which is one of the Indian villages on Al-Moharram 1332 H. He was brought up in a generous Arab family whose deep roots backed to Al-Hassan Ibn Ali (may Allah be pleased with him). This family continued reproducing in Mecca, the most honorable place on earth, which Allah honored by the Kaaba. It was also the place where Islam started to be the source of human guidance, which helped the world to get out of the darkness to the light. Then, the family moved to Medina in a period of time till the beginning of the seventh century after Hegra. The dean of the family, Kotb Ed-Din Ibn Muhammad Al Madany, saw a dream which inspired him to move from Medina to India for fighting for the sake of Allah. He insisted on the immigration in spite of its difficulties along with residing in places unknown to him. But, he was assured when he was welcomed and became famous for his call for Islam and doctrine explanation. He was a pioneer in this respect, and his sons were famous for their call for Allah`s path moving to the furthest places for the sake of Allah and writing books in the branches of language and Sharia`a.

If you searched in the Indian library, it would talk about the effects of this glorious family. Then, Muslim `s Sultan, Ahmed Idn Erfan was known for his heroism. If the Muslims in all of the places recognized the biographies of their heroes in the Islamic state, the name of Ahmed Ibn Erfan would be circulated in Africa and Asia in the same manner of circulating the names of martyrs from the very beginning of Islam up to

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) realized the value of Abu Bakr who supported him while other people disappointed him. He believed him while others accused him of lying, and compensated the prophet with his money. Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) became angry when Abu Bakr was angry. All of the companions (may Allah be pleased with them) knew this fact, and no one dared to hurt Abu Bakr.

Abu Bakr attended with the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) all of the Islamic battles and did not leave any of them.

On Monday, 12[th] of Rabei`e Awwal year 11 A.H, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) died. The miserable news spread and the world became dark. Omar Ibn Al-Khattab who became subconscious after knowing the news said: "some of the hypocrites say that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) died, but he did not. He went to Allah in the way Moses Ibn Emran did when he left his people for forty nights. Then he came back after they said that he died. I swear that the Prophet (blessings and peace of Allah be upon him) will come back. The arms and legs of the people who claim that the prophet died will be cut off. Abu Bakr came from his house riding a horse, and then he descended and entered the mosque. He did not speak to anyone. He entered to the lady A`aesha room and came toward the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who was covered. He uncovered the face of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), then he kissed him and wept. He said: "you are good in your life and death". I sacrifice my father and mother for your sake. Allah does not let you die twice. You died the first death. He went out to the people while Omar was speaking and told Omar to sit down. But Omar refused, then the

people left Omar to Abu Bakr who said, after thanking Allah and praying for the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): If you worship Mohammed, he died; but if you worship Allah, He is alive forever. Then he recited Allah`s words:

"Muhammad is no more than a messenger: many were the messengers that passed away before him. Is it that if he died or were slain, will you then turn back on your heels? If any did turn back on his heels, not the least harm will he do to Allah. But Allah (on the other hand) will swiftly reward those who (serve Him) with gratitude."

(Al- Imran (The Household of Imran): 144)

Ibn Abbas said: I swear by Allah that the people seemed as if they had never heard this verse until Abu Bakr recited it. All of the people recited it afterwards.

Sa'eid Ibn Al Musayeb said that Omar said: "when Abu Bakr recited this verse, my legs could not carry me and I fell to earth, as I realized that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) died. The Muslims, those who believed the news and others who disbelieved were in a critical case. The supporters of the religion in Medina (Al Ansar) all met in Thakifat Bany Sa`ada to choose a leader. Abu Bakr hurried to them along with Omar Ibn Al Khattab. This was a turning point in Islamic history. If Abu Bakr had delayed, the Muslims would have split into two sections: the emigrants and the supporters (Al Ansar). But Abu Bakr arrived at the place of the meeting which included Al Aws and Al khazrag. As Al Khazrag surpassed Al Aws in their number, they agreed to choose Sa`ad Ibn Obadah to be their leader, and Al Aws would agree because they were less in number. Although the Prophet planted the spirit of brotherhood between the emigrants and the supporters, the effect began to decrease when the supporters wanted to choose the leader who would be responsible for all of the Muslim`s affairs from their people. Their suggestion was

Abu Bakr brought them to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to announce their Islam; and they started to practice the rituals of the religion. With respect to honoring Abu Bakr, Ali Ibn Abi Taleb, the fourth Khalif swore that Allah is the one who called Abu Bakr the veracious (As-Seddiq). Allah, Glorified be He, revealed this fact through the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Abu Bakr was known by the name "Atteiq" for the purity of his ancestry. Ibn Abd Al Bar mentioned in "Al-Estieab", Ibn Hagar in "Al-Esaba" and Musa`ab Ibn Az-Zubair and some of the genealogists said that "Abu Bakr was called Atteiq because he can not be criticized for his ancestry". Abu Bakr was prominent in his family, and was famous for charity. He was the best one in knowing the ancestry and the history of Qureish. He was a rich man as Abu Dawoud narrated in his Sunnah that when Abu Bakr became Muslim, he had had forty thousand dirham.

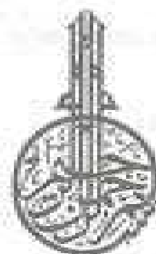
Qureish was angry about the increase in numbers of slaves who became Muslims. Every tribe imprisoned its Muslims torturing them by hitting, hunger, thirst and the hot weather of Mecca. Due to Abu Bakr`s kindness and great amount of money, he negotiated with the persons who owned those salves to buy and liberate them for the sake of Allah. One of those persons was Belal Ibn Rabah, who was owned by Omaya Ibn Khalaf from Bany Gomah. Belal was tormented by Omaya who tortured him in the hot weather. Once Abu Bakr passed and saw Belal suffering from torture, he went to Omaya and told him "will not you fear Allah in your treatment to this poor man?" Omaya told him "you spoilt him, save him if you want". Abu Bakr accepted and told him that he had a disbelieving slave whom he wanted to replace by Belal. Omaya accepted this idea. Abu Bakr brought to Omaya that slave and took and liberated Belal. Abu Bakr liberated six slaves: Amer Ibn Fohaira, and Omm Obais who became blind after Abu Bakr`s liberation for her. The persons who sold her said that Allat and Al

ozza made her blind, but the woman said that Allat and Al Ozza neither benefit nor hurt. Allah then returned her sight to her. Abu Bakr also liberated An-Nahdia and her daughter. Abu Qohafa, Abu Bakr`s father, blamed him for liberating the weak people, and told him to liberate the strong people instead to help him. Abu Bakr told his father that he liberated those people for the sake of Allah.

Abu Bakr was the first Muslim and believer. Ali Ibn Abi Taleb, the fourth Khalif, said: "Abu Bakr preceded me in four matters: announcing his Islam, immigration, accompanying the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in the cave, and prayers. Abu Bakr revealed his Islam while I hid it". Abu Bakr was second to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in calling for oneness of Allah at the time of the climax of paganism. He raised the voice of truth against wrong. He announced and called for Islam among the strong people of Qureish and the disbelievers. He sided by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in his struggle for spreading the call for Islam, bearing extreme hurt. He believed that the best reward is to sacrifice his life for the sake of Allah`s prophet till he could deliver his message. Al Bokhary narrated in his "Sahih" about Abdullah Ibn Omar: when the prophet Mohammed (may the blessings and peace of Allah be upon him) was in the yard of the Ka`aba, Oqbah Ibn Aby Muy`at tried to suffocate the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), but Abu Bakr interfered and pushed Okbah back from the prophet saying: "Do you kill a man who says Allah is my God?"

The scholar Al-Askalany said in his book "Al Mawaheb": Abu Bakr is better than the believer from the family of pharaoh who supported the religion in words only, while Abu Bakr supported the religion by words and deeds. He supported the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) in word and action.

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
March, 2007

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Abu Bakr As-Seddiq (May Allah be pleased with him)
The Man of Hard Missions...!
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The greatness of Abu Bakr As-Seddiq (May Allah be pleased with him) is revealed in his wisdom, calmness, and tranquility. His name is Abu Bakr Ibn Othman, and his father (who was known as Abu Qohafa) was Othman Ibn Amer Ibn Omar Ibn Ka`ab Ibn Sa`ad Ibn Taiem. Abu Bakr was brought up in Mecca as a tolerant, reasonable and generous man who compensated the poor and helped the weak.

In his youth, he was the friend of Muhammed (may the blessings and peace of Allah be upon him) who was the kindest man in the world. When Muhammad was chosen for the message, he informed his friend who believed him immediately without hesitation

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) described this situation saying: "Every one who was called for Islam stumbled except Abu Bakr".

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was extremely happy when Abu Bakr hurried to respond to his call. The prophet called him the veracious because he hurried to believe the entire words which the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said. Abu Bakr was kind and well-mannered, attributes which attracted many friends to him. He invested these attributes in spreading the Islamic call among his friends. Othman Ibn Affan Ibn Abi Al-Ass Ibn Omaya, Az-Zubair Ibn Al-Awwam Ibn Khwailed Ibn Asad Ibn Abd Al-Ozza, Abdel Rahman Ibn Ouff Ibn Abdel Hareth Ibn Zahra, Saad Ibn Abi-Waqqas, and Talha Ibn Obeid Allah Ibn Othman Ibn Ouff Ibn Ka`ab became Muslims because of Abu Bakr.

الفهـــــرس

عدد خاص
بمناسبة المولد النبوي الشريف

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدرها مجمع البحوث الإسلامية

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ
وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ



الدولة المدنية أسسها الإسلام

رد فضيلة الإمام الأكبر
على الدكتور جابر عصفور

هدية العدد
الشريعة الإسلامية
صالحة لكل
... كان

VOL. 80 , Part III

AL AZHAR
MAGAZINE

Rabul - Awwal, 1428 H. Apr. 2007.
Vol. 80, Part III.

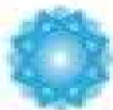
الثمن ١٥٠ قرشا

الدولة المدنية أسسها الإسلام

رد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

«شيخ الأزهر»

على الأستاذ الدكتور جابر عصفور



إبريل ٢٠٠٧م

(١)

المقالات التى كتبها الأستاذ الدكتور جابر عصفور، والتى جعل عنوانها: «مخاطر الدولة الدينية» كان الكثير منها: للتنفير والتحذير من الدولة الدينية، والتأييد والإشادة بالدولة المدنية.

ومما قاله سيادته فى ذلك فى مقاله الثانى: «والواقعُ أن مُثقفى المجتمع المدنى، والمدافعين عن الدولة المدنية، هم أكثر الناس رفضاً لمفهوم الدولة الدينية والدعوة لها، وهم الأكثر تنبيهاً إلى كوارثها.....»

وقد كتبتُ مقالاً فيه مناقشة هادئة مع سيادته، وضحت فيها: «أن الدين هدايات إلهية، أنزلها الله ـ عز وجل ـ على أنبيائه ورسله الكرام، وأمرهم أن يبلغوها لأقوامهم، وهذه الهدايات فى اتباعها والعمل بها، الصلاحُ فى الحال، والفلاحُ فى المآل».

(٢)

وكلامى فى هذا المقال عن معنى الدولة المدنية.

لقد جاء فى كتب اللغة العربية ومعاجمها أن كلمة الدولة لها معان متعددة من أشهرها أنها تطلق على مجموع كبير من الأفراد، يقطن بصفة دائمة إقليماً معيناً، ويتمتع بالشخصية المعنوية، وبنظام حكومى، وبالاستقلال السياسى وأن كلمة المدنية تُطلق على الحضارة واتساع العمران.

يقال: مدَنَ فلان، إذا أتى المدينة، وتمدَّن فلان، إذا عاش عيشة أهل المدينة، وأخذ بأسباب الحضارة والرُّقى فى شتى ألوان الحياة.

ويقال: مدَّن ولىُّ الأمر المدائن، إذا بناها وشيدها وعمَّرها وزيَّنها..

ويقال: تمدَّين فلانٌ، إذا عاش عيشة أهل المدن وتنعَّم وأخذ بأسباب الحضارة.

وكلمة المدينة تطلق فى اللغة على المصر الجامع لعدد كبير من الناس.

وإذا أُطلقت كلمة المدينة، انصرف الذهن مباشرة إلى «المدينة المنورة» التى أسَّسَ فيها الرسول ﷺ الدولة المدنية الأولى، التى استمدت حضارتها ورقيها من الهدايات الدينية، وكانت تسمى قبل ذلك بيثرب.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾

[سورة الأحزاب: الآية ١٣]

والمقصود بأهل «يثرب»: سكان المدينة المنورة الذين حذرهم المنافقون من الانضمام إلى المؤمنين فى الدفاع عن المدينة المنورة، بعد أن أحاطت بها جيوش الأحزاب فى السنة الخامسة من هجرته ﷺ هو وأصحابه إليها.

(٣)

والخلاصة أن كلمة الدولة المدنية، كلمة جميلة، لأن معناها ومفهومها: الدولة التى أخذ أهلها بأسباب الحضارة، وأسَّسوا حضارتهم على العلم بكل صوره وألوانه، وعلى المعرفة التى تهديهم إلى ما يصلحهم، ويسعدهم ويرقى بهم فى كل مجالات حياتهم، بأسلوب حكيم، يجعل أهلها يعتنقون الفضائل، وينفرون من الرذائل، ويعشقون الجمال، ويكرهون القبح...

ولاشك فى أن الدولة المدنية التى هذه بعض صفاتها، تؤيدها شريعة الإسلام، التى جاء بها إمام الأنبياء وخاتمهم محمدٌ عليه الصلاة والسلام بل وتمدحها جميع الديانات السماوية التى جاء بها الرسل الكرام من عند خالقهم ـ عز وجل:

ولعل خير دليل على ذلك هذا النداءُ العام الذى وجهه الله ـ تعالى ـ فى كتابه إلى بنى آدم جميعاً، وقال فيه ـ سبحانه ـ:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ
رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأعراف: الآيات ٣١-٣٣]

ففى هذه الآيات الكريمة توجيه من الله ـ تعالى ـ لعباده، أمرهم فيه أن يبنوا حياتهم على كل ما هو جميل، لأنه ـ سبحانه ـ جميل يحب الجمال وأمر رسوله ﷺ أن يوبخ الذين يحرمون زينة الله التى أوجدها لعباده، كما يحرمون الطيبات من الرزق، وأن يبين للناس أن الله ـ تعالى ـ لم يُحرِّم على الناس إلا الفواحش التى أقبحها الإشراكُ بالله فى العبادة، والظلمُ والبغى، والقولُ بغير علم.

(٤)

والذى يقرأ القرآن الكريم يجد أن جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله ـ تعالى ـ لهداية أقوامهم إلى الطريق المستقيم، قد أقاموا دعوتهم على أصلين ثابتين:

أولهما: إخلاص العبادة لله الواحد القهار.

وثانيهما: تعمير هذا الكون بكل ما يُصلحُه، ويرقى به إلى أسمى درجات الرُقى الخُلقى، والعقلى، الحسّى والمعنوى، القولى والفعلى، الزّراعى والصّناعى... مع شكره ـ عز وجل ـ على نعمه.

فهذا سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ يقول لقومه:

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾

[سورة نوح: الآيات ١٠ - ١٢]

وهذا سيدنا هود ـ عليه السلام ـ يقول لقومه وكانوا قد وصلوا إلى درجة كبيرة فى القوة وفى العمران وفى الحضارة.. يقول لهم:

﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾

[سورة هود: ٥٢]

وهذا سيدنا صالح ـ عليه السلام ـ يقول لقومه:

﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

[سورة هود: الآية ٦١]

أى: الله ـ تعالى ـ وحده هو الذى بدأ خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وأمركم أن تعمروها بكل ألوان العمران، الذى يزيدها حضارة ورقيا وجمالا ومنفعة لكم ولغيركم.

وهذا سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ يقول لقومه ـ بعد أن رأى فى كثير منهم ألوانا من الحضارة والرقى فى الجوانب الطبية وغيرها ـ يقول لهم ـ كما قص القرآن علينا:ـ

﴿ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ
وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ
هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

[سورة آل عمران: الآيات ٤٩ - ٥١]

ففى هذه الآيات الكريمة يقص علينا القرآن الكريم، أن سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ وقد شاهد جوانب من الحضارة فى بعض زعماء قومه، أخذ يذكّرهم بأنهم إذا ما اتبعوه وأخلصوا العبادة لخالقهم ازدادوا رقيا وحضارة وعمرانا..

ثم قال لهم: وإنى قد جئتكم بحجة ودليل على صدقى. فأنا أصنع لكم من الطين صورة مثل صورة الطير، فأنفخ فى هذه الصورة فتصبح طيرا حقيقيا بإذن الله. وأشفى من وُلد أعمى، ومن به برص، وأحيى من كان ميتا، بإذن الله. وأخبركم بما تأكلونه وبما تدخرونه فى بيوتكم، كل ذلك بإذن الله.

وإنى قد جئتكم بالإنجيل المصدق لما فى التوراة، وإنى قد أذن الله ـ تعالى ـ لى لكى أحل لكم بعض ما حرمه الله عليكم، لكى تزدادوا خيرا على ما عندكم من خير، وتزدادوا رقيا وحضارة وعمرانا.. وهكذا نرى أن الرسل جميعا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قد جاءوا إلى أقوامهم، ليفتحوا لهم أبواب الحضارة والرقى لتعمير هذا الكون عن طريق إخلاص العبادة لخالقهم، وعن طريق كل قول طيب، وكل عمل صالح، وكل سلوك يزيد فى جمال هذا الكون وفى تعميره...

(٥)

ثم ختم الله ـ عز وجل ـ الرسالات السماوية، برسالة خاتم الرسل وإمامهم محمد ـ ﷺ ـ الذى كانت رسالته رحمة للعالمين.

أرسله الله ـ تعالى ـ على فترة من الرسل، وفى وقت كان العالم فيه يموج بفتن كقطع الليل المظلم، ويعيش فى جاهلية عمياء، وفى عنصرية بلهاء، وفى حروب تقام لأتفه الأسباب..

ولقد صور أمير الشعراء أحمد شوقى ـ رحمه الله ـ حالة العالم عند بعثته ـ ﷺ ـ أصدق تصوير فقال:

أتيتَ والناسُ فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام فى صنم
والأرض مملوءةٌ جورا، مُسخرةٌ
لكل طاغيةٍ فى الخلق محتكم

مُسيطرُ الفرس يبغى فى رعيته
وقيصرُ الروم من كبر أصمُّ عم

يعذّبان عبادَ الله فى شُبَه
ويذبحان كما ضحّيت بالغنم

والخلق يفتكُ أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبَهم أو كالحوت بالبلَم

(٦)

وفى أول يوم من بشارات النُّبوة له ـ ﷺ ـ نزل عليه أمين الوحى جبريلُ ـ عليه السلام ـ بقوله ـ تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١ - ٥)

والقراءة ـ كما يعلم كل عاقل ـ هى أساسُ الحضارات، وأعمدةُ المدنيات، ووسائلُ تقدم الأمم إلى التعارف وتبادل المنافع، وتواصل الثقافات، ومواكبة المخترعات والنظريات والمؤلفات التى تساير رَكْب الحياة.

ومكث ـ ﷺ ـ فى مكة ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس صباح مساء إلى إخلاص العبادة لخالقهم، وإلى ما يصلحهم فى دنياهم، ويوصلهم إلى رضا الله فى أخراهم.

وتعرّض ﷺ هو وأتباعه، لألوان من الترغيب والترهيب، ولصنوف من المقاطعة والاضطهاد، ولكنه ـ ﷺ ـ صبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وأذنَ لأصحابه بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

(٧)

ثم هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة، فأسّس الدولة المدنية الرشيدة، التى تستمد أحكامها وآدابها ونظمها من هدايات دينها، ومن توجيهات القرآن الكريم.. أسّسها ﷺ على العقيدة السليمة، وعلى الأخوة الصادقة، وعلى أن المدينة المنورة هى موطنٌ جميع سكانها سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم، وعلى الجميع أن يدافعوا عنها بأموالهم وأنفسهم، إذا ما أرادها بسوء معتدٍ أثيم.

أسس ـ ﷺ ـ الدولة المدنية الرشيدة، على الصدق الذى لا يحوم حوله كذب، وعلى الأمانة التى لا تعرف الخيانة، وعلى العدل الذى يقهر الظلم.

العدل فى الأقوال عملا بقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٢]

العدل فى الأحكام امتثالاً لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

[سورة النساء: ٥٨]

العدل فى الشهادة طاعة لقوله ـ عز وجل:

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾

[سورة الطلاق: ٢]

العدل مع العدو ومع الصديق، مع القريب ومع البعيد، مع الغنى ومع الفقير، مع القوى ومع الضعيف، التزاما لقوله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

[سورة المائدة: الآية ٨]

أسس ﷺ الدولة المدنية الرشيدة على العلم النافع، على العلم الشامل للعلوم الدينية، والكونية، واللغوية، والطبيعية، والتطبيقية والزراعية والصناعية، والحربية، وغير ذلك من ألوان العلوم التى لا ساحل لها تقف عنده، والتى تتجدد بتجدد الأيام، ومضى الشهور، وكرّ الأعوام.

ونزل القرآن الكريم فأمر الرسول ﷺ أن يسأل خالقه ـ عز وجل ـ أن يمنحه المزيد من العلم النافع فقال ـ سبحانه:

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[سورة طه: الآية ١١٤]

والآيات القرآنية التى مدحت العلم بكل ألوانه وفنونه كثيرة، ومثلُها فى الكثرة الآيات التى مدحت العلماء الذين نشروا علمهم النافع فى كل مجالات الحياة.

ويكفى فى هذا المجال أن نستشهد بقوله ـ عز وجل ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

[سورة فاطر: الآيتان ٢٧، ٢٨]

وجدد: أي قمم.

فالآية الأولى تتحدث عن جانب من العلوم الكونية، التي من مظاهرها الجبال بقممها وألوانها ومنافعها، وعن الناس والدواب والأنعام بمختلف صنوفها وأشكالها.

والآية الثانية تمدح العلماء مدحًا عظيمًا، فتقصر الخوف من الله ـ تعالى ـ عليهم.. وقد قال بعض المفسرين أن المقصود بالعلماء هنا: العلماء بطبقات الأرض، وبتكوين الجبال، لأن سياق الحديث يشير إليهم.

أسس ﷺ الدولة المدنية الرشيدة على الإخاء الإنساني، لأن القرآن الكريم قد كرر أن الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة، وأن دستور العلاقة بين المسلمين وبين غيرهم، تراه في آيتين كريمتين، هما قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[سورة الممتحنة الآيتان: ٨، ٩]

فالآية الأولى تقول للمسلمين ما خلاصته: الله ـ تعالى ـ أباح لكم أن تقدموا كل عون وبر لكل من سالمكم ولم يقاتلكم.

والآية الثانية تقول لهم: أما من قاتلكم وأخرجكم من دياركم وآذاكم، فينهاكم ربكم عن صداقتهم ومودتهم.

(٨)

هكذا ترى أن شريعة الإسلام، قد أقامت الدولة المدنية الصحيحة، على أصول قويمة من النظم الحضارية السامية، وجعلت من العلم ميزانًا تزن به آثار التطور في تاريخ كل دولة.

كما جعلت من العلم ـ على أوسع إطلاقات معانيه ـ دليلها الذي لا يضل الطريق في سلوكها إلى المستقبل.

وقد حضت شريعة الإسلام أتباعها على سلوك كل طريق من أجل التقدم والرقي، في المجالات الزراعية، والصناعية، والطبية، والهندسية، والعمرانية، والحربية، والعلمية.

فالعلم ـ في تقدير الهدايات الدينية ـ هو صانع الحضارات، وهو مؤسس المدنيات، وهو الذي وضع المجتمع الإسلامي في كثير من العصور، في مكان الصدارة.

وترى كثيراً من العلماء مع رسوخهم في العلوم الشرعية واللغوية.. قد رسخوا ـ أيضًا ـ في العلوم الكونية، والفلكية، والطبية، والمعمارية، والطبيعية، والتطبيقية.

نرى ابن يونس المصري الذي وُلد بمصر وتوفي بها سنة ١٠٠٩م، كان من كبار العلماء في العلوم الفلكية، وبنى له مرصدا على جبل قرب مدينة الفسطاط، وجهّزه بكل ما يلزم من الآلات والأدوات. وبرع ـ أيضًا ـ في حساب المثلثات وغيرها.

ونقرأ عن ابن الهيثم الذي توفي بالقاهرة سنة ١٠٣٩م، والذي ـ كما قال العلماء ـ يعتبر بلا منازع من أكبر علماء الطبيعة في الإسلام، ومن أكبر الباحثين في علم الضوء في تاريخ البشرية.

وكان من كُتب ابن الهَيْثَم التي دُرِست في الغرب قرونا طويلة كتاب «المناظر» ونقرأ عن «البيروني» المتوفى سنة ١٠٤٨م بخوارزم، وكان من أعظم العلماء في الرياضيات وفي علوم الجغرافيا والمعادن، والطبيعة، وله أعمال في التاريخ الطبيعي.. ونقرأ عن الشيخ الرئيس ابن سينا المتوفي سنة ١٠٣٧م، والذي ألف كتاب «الشفاء» الذي يقع في ثمانية عشر مجلداً ضخمًا. والذي ألف ـ أيضًا ـ الموسوعة الكبرى الطبية، المعروفة باسم «القانون»، إلى جانب كتب أخرى في الرياضيات وفي الفلك، وفي الطبيعة، وفي الموسيقى وهؤلاء العلماء وغيرهم كثير، لم يبرعُوا فقط في العلوم الطبية أو الطبيعية، أو العلمية فقط.. بل برعوا أيضًا في كثير من العلوم الدينية، وكانت لهم آراؤهم المستنيرة، وأفكارهم القويمة، التي لها مالها في بناء الحضارات الإنسانية، وكانت لهم جهودهم في ميدان العلوم النافعة التي تقدمت بها الإنسانية.

(٩)

والحقُّ إن شريعةَ الإسلام تعتبر الدولة المدنيةَ الرشيدة، هي التي تقوم على العلم الشامل لكل ما يسعد الإنسانية، والتي تتفوق على غيرها في كل ألوان العلوم الزراعية، والصناعية، والطبية، والهندسية، والكونية، وغير ذلك من العلوم التي تتجدد بتجدد الليل والنهار، والتي جعلت العالم كأنه مدينة واحدة.

ومن صفات الدولة المدنية السليمة، أنها تستمد حضارتها ورقيها وتقدمها، من هدايات الدين ومن توجيهاته، ومن أوامره ومن نواهيه، لأن الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: ٣٠]

وقال ـ سبحانه ـ:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾

[سورة الروم: الآية ٤٣]

والدين هو الذى ينظم العلم ويسخره للخير لا للشر، وللتعمير لا للتخريب، وللإصلاح لا للإفساد، وللتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

وذلك لأن العلم سلاح ذو حدين، إن استعمل فى الخير نفع وأفاد، وإن استعمل فى الشر أهلك وأباد.

أما الدين فهو الهدايات التى متى اتبعها صاحبها سعد فى دنياه وسعد فى أخراه، وانتقل فى كل مراحل حياته إلى سلوك الطريق المستقيم.

وإنى أنصح السيد الفاضل الأستاذ الدكتور جابر عصفور أن يفرق فى كتاباته بين هدايات الدين، وبين الذين وصفهم سيادته بالتطرف والتسلط وكبت الحريات..

فهؤلاء، الهدايات الدينية بريئة منهم، وبعيدة عنهم.

كما أنصح سيادته أن يترك هذا العنوان لمقالاته وهو: «مخاطر الدولة الدينية» لأن سيادته خير من يعرف أن الصفة والموصوف كأنهما شىء واحد، وأن الصفة تتبع الموصوف فى كل أحواله، فى المدح وفى الذم وفى غيرهما.

وكلمة «مخاطر» هنا خبر لمبتدأ محذوف أى هذه مخاطر الدولة الدينية وكلمة الدولة هنا مضاف إليه موصوف، وكلمة الدينية صفة للدولة، وكلمة مخاطر مُنصبّة على الموصوف وعلى الصفة، وكل عاقل يعلم أن الدين لا مخاطر منه، وإنما الدين بأحكامه، وبوصاياه، وبأوامره، وبنواهيه.. كله خير، وكله حق، وكله جمال، وكله محاسن..

ونسأل الله ـ تعالى ـ لنا جميعًا الهداية والسداد فى القول وفى العمل.

أ.د. محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الأول ١٤٢٨هـ - إبريل ٢٠٠٧م - الجزء الثانى - السنة الثمانون

فى ذكرى المولد النبوى الكريم

نظرة فى كتاب

حيـــاة محمـــد

تأليـف: «درمنغم»

دهشت لمفاجأتين قويتين، وجدتهما عند قراءتي لكتاب «حياة محمد» للمستشرق الفرنسي الأستاذ «إميل درمنغم»، أما المفاجأة الأولى فهي: أسلوب الكتاب الأدبي الذي يوحي بأن مؤلفه فنان مبدع؛ إذ كان عهدي بأسلوب المستشرقين في بحوثهم الإسلامية أنهم ذوو جفاف ناضب في التعبير الأسلوبي، فلك أن تحمد لهم وفرة المصادر وتتبع الأفكار، وسعة التنقيب ولكنك لا تحمد لهم هذا الركام الهائل من المعاني دون أن تتخلله ومضة يقظة من ومضات الذهن المتألق، مما يجعلك تعتقد أنك في بحث رياضي جاف، ولكن الأستاذ «درمنغم» جعل من كتاب «حياة محمد» ما يشبه القصة الأدبية بسلاستها واستواء عناصرها، والركون إلى الخيال المقرب للحقيقة، لا المبعد عنها؛ إذ أن آفة هؤلاء الذين يسبحون في أجواز الخيال دون ضابط، أنهم يشككون القارئ في أكثر ما يقولون!. أما الذين يجعلون التصوير الأدبي إطارًا دقيقًا للحقائق الناصعة مثلهم - كما قلت في مبحث آخر - يعملون على جلاء الحقائق في مرايا وضيئة، وهكذا كان درمنغم.

أما المفاجأة الثانية فهي هذا الإنصاف الخُلُقي الذى تحلى به الكاتب، فأنت ترى بونًا شاسعًا في الاعتدال الخُلُقي بينه وبين كثير من سابقيه ولاحقيه، مما يدل على رصيد نفسي من التوازن الأدبي يرسب في أعماقه، وليس معنى ذلك أننا نوافقه على كل ما أتى به، فقد اعترض عليه بعض الباحثين في أمور لها وزنها العلمي، وفي طليعتهم الأستاذ الكبير محمد رشيد رضا صاحب المنار (رحمه الله) ولكننا نقرر أن ما أتى به من مواضع الخلاف أمر طبيعي بين مسيحيٍ يخالف ما أتى به نبيُ الإسلام في نواحٍ من العقيدة والتشريع، والقارئ الناقد هو الذى يزن الأقوال المتضاربة بميزانها الصحيح!.


محمد رشيد رضا

لقد أدرك المؤلف ما وقع فيه سابقوه من الانحراف حين كتبوا عن الإسلام بروح المتعصب فقال في مقدمة كتابه، ونحن ننقل هنا عن الترجمة الممتازة التى أصدرها الأستاذ عادل زعيتر، إذ كان ببراعته النادرة في التعريب من أوائل المترجمين الثقات في هذا العصر، وقد نقل عن المؤلف قوله:[1]

«لقد حالت الأوهام والأباطيل زمنًا طويلاً دون درس مصادر الإسلام في أوروبا دراسة علمية، ثم جدّ في البحث العلمي بعض العلماء في القرن التاسع عشر ومنهم فلان وفلان (ذكر الأستاذ أسماءهم بما يزيد على عشرين اسما) ومن المؤسف حقًا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحيانًا، فلم تزل كتبهم رسمًا، وكانت عامل هدم على الخصوص، أما أنا فقد سلكت طريقًا وسطًا بين رواية المتقدمين، ومغالاة بعض المستشرقين المعاصرين، فعولت في كتابي هذا على المصادر القديمة والنقد الحديث».

قلت: إن الكتاب شبيه بالقصة، وليس بها على التأكيد؛ لأنه لم يسلك طريق التأليف التقليدى، فيتبع السيرة النبوية ميلادًا وطفولةً وشبابًا وكهولةً، مارًا بالأحداث النبوية وفق اضطرادها التاريخي، ولكنه كتب الفصول في نسق أدبي يعطي المفهوم التاريخي دون انتقاص، فهو في الفصل الأول قد تحدث عن المدينة المنورة حين وفد إليها الرسول الكريم ﷺ مصورًا ما بها من التطاحن بين الفرق المضادة من أوس وخزرج ويهود ومنافقين، وممتدًا إلى ما يدور في المجتمع العربي

١- «حياة محمد» ترجمة عادل زعيتر ص ١٠ ط٢).

كله: جزيرة وعراقًا وشامًا فى ظلال قصة (سلمان الفارسى) حين أنكر ما عليه الفرس من عبادة النار، ثم ارتحل إلى أماكن شتى فى الشام والعراق حتى وصل إلى المدينة، واتصل بالإسلام بعد أن تحرر من الرق وصار من أصحاب رسول الله ﷺ، تحدث عن ذلك ليصور الوضع المدنى المحيط بالرسالة المحمدية حين قدم الرسول ﷺ إلى المدينة، وختم الباب الأول بسؤاله هذا: «فمَنْ هذا الرجل الذى أصبحت هجرته من مكة إلى المدينة، مبدأ جديدًا لتاريخ فريق من البشر إلى الأبد؟»[2].



أبو زهرة

هيكل

وأراد فى الفصل الثانى أن يتحدث عن مكة كما تحدث عن المدينة فى الفصل الأول، وقد جعل عنوانه: «عام الفيل» حيث بدأ الحديث عن أبرهة الأشرم بما هو معروف عن حملته الفاشلة التى نوت هدم البيت فعادت بالخسران، ثم انتقل إلى المناخ الجغرافى فى مكة صيفًا وشتاء، فصوره بما لا مزيد عليه من الدقة ممهدًا للحديث عن التجارة والصناعة، وتردُّد القوافل المكية بين اليمن والشام فى رحلتى الشتاء والصيف. وأفاض فى الحديث عن الكعبة ودار الندوة، والطبقة المترفة من تجار مكة، والبذخ الصارخ عند هؤلاء مع الشعب الجائع لدى العبيد والأرقاء والمستضعفين، والمضاربة العنيفة فى الأسواق التجارية وهبوط الأسعار وارتفاعها وفق المطامع والأهواء، ثم ختم هذا الباب بقوله:

«حفزت هذه المساوئ محمدًا إلى تحريم الربا والنسىء وتجارة النقود.. والحق أن الأعراب كانوا يقعون فريسة لذوى الجشع والنيات السيئة من مضاربى مكة، وسماسرتها الفاسدين، وأدلائها المعوجين، وكانوا يذهبون ضحايا مرابى مكة الذين كانوا يحملونهم على إمضاء الصكوك بدينارين مقابل دينار واحد، وكان لديهم ثلاث وسبعون طريقة فى الربا، فلا يألون جهدًا فى أكل الربا أضعافًا مضاعفة بزيادة المواعيد ورفع معدل الفائدة عند عدم الدفع فى آجالها الأولى».

لقد اهتم المؤلف فى هذا الفصل بالذات بالمظالم المادية، أما المفاسد الأخرى فلها موضعها فى هذا السِّفْر الجليل.

٢- ص ٣٢.

وعن زواج رسول الله ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش - رضى الله عنها - قال:[3]

«وكان زيدٌ فى ذلك اليوم غائبًا عن بيته فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد (زينب بنت جحش) التى كانت أجمل فتيات قومها، وكانت زينب هذه آنئذٍ شبه عارية، وعاملة على زينتها، فأثر هذا الجمال السافر الغض فى نفس النبى ﷺ فقال: «سبحان مقلب القلوب» ولم ينطق بغير هذه الكلمة وانصرف حالاً، فقصَّتْ زينب ما رأت على زوجها، وكان زيد المخلص لمحمد قد وقع فى حيرة وقال فى نفسه: إنه لا يستطيع فى هذه الأحوال أن يمسك عليه زوجه، وأصَرَّ على حل عقدة النكاح متعللاً بأنه أضحى كارهًا لزينب».

هذا الكلام الفاسد ردَّدَ بعضه الغافلون من المخشوبين، دون بصر أو سداد، ومن يعرف شرف الكمال فى خلق رسول الله ﷺ ينكر هذا اللغو الآثم، وقد تصدى لزيفه كثير من العلماء الأثبات فى هذا العصر، وفى طليعتهم أستاذنا الإمام محمد أبو زهرة، حيث قال - ببعض التصرف -:[4]

«لم يكن زواجه ﷺ شهوة أو رغبة إلا أن يكون استجابة لأمر الله - تعالى - وقد كذبت الإسرائيليات التى أدخلت على كبار المؤرخين كابن جرير الطبرى الذى تولى إذاعة هذا الكذب، وكذب أولئك الأوروبيون الذين راحوا يروجونها آثمين.

إن الآيات القرآنية صريحة بأمر الله - تعالى - بالزواج كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرًا، وقد قالت الآية الكريمة:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾

(الأحزاب: ٣٦، ٣٧)

٣- حياة محمد، ص ٣٠٠.

٤- خاتم النبيين، لأبي زهرة جـ٣ ص٨١٦.

والذى أخفاه النبى فى نفسه، هو أمر الله ـ تعالى ـ له بالزواج منها بعد طلاقها، والذى كان يخشاه من الناس أن يصدمهم بالزواج من امرأة دعيّه وهو أمر غير مألوف لديهم، وكان عليه أن يخشى الله ـ تعالى ـ ولا يخشى الناس، ثم بيّن الله ـ تعالى ـ أن الزواج بأمره، وليس على النبى من حرج فى تنفيذ أمر الله ـ تعالى ـ.

ولى أن أقول: إذا وقع أمثال ابن جرير الطبرى فى هذا الخطأ، فمن الجائز أن يقع فيه درمنغم دون لوم يعصف بسلامة نيته، والخطأ يقع من الناس جميعًا!. غير المعصومين!.

وقبل الانتهاء من هذا البحث عن كتاب «حياة محمد» لدرمنغم أذكر أن هذا الكتاب قد عُرف فى العربية قبل أن يصدر فى مجلد خاص، عُرف فى ترجمة متابعة كتبها المؤرخ الكبير الدكتور محمد حسين هيكل فى جريدة «السياسة» الأسبوعية، وهى التى أوحت له أن يكتب كتابًا مماثلاً تحت عنوان: «حياة محمد» كان فاتحة اتجاه علمى رائع للكتابة عن سيرة رسول الله ﷺ، هذه الترجمة المتابعة فى جريدة «السياسة» الأسبوعية كانت موضع أخذ ورد بين العلماء والباحثين، وقد اهتم الأستاذ الكبير السيد محمد رشيد رضا بنقد ما لم يرقه فى كتاب المؤلف، وخص هذه النقدات الصائبة فى كتابه الذائع: «الوحى المحمدى»، وهو أقوى كتاب ظهر فى موضوعه إلى الآن مع مضى أكثر من سبعين عامًا على تأليفه؛ لأن السيد رشيد قد أوتى من سعة المعرفة وقوة النظر ما جعله موضع الأنظار فى العالم الإسلامى، يترقب المسلمون مقالاته ومؤلفاته بأحسن ما يُرجى من التلهف والاشتياق، ونختار من نقدات صاحب «المنار» ما أنكره من قول المؤلف عن رحلة الرسول - ﷺ - إلى الشام مع عمه أبى طالب ورؤية بحيرا الراهب وغيره من الرهبان. قال السيد رشيد رضا:[٥]

[أ] «محمد ﷺ لم يذهب مع عمه إلى التجارة فى الشام إلا وهو طفل، وقد أعاده إلى مكة قبل أن يتم رحلته، ثم سافر إليها فى تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة، ولم يتجاوز سوق مدينة بُصرى فى المرتين، والقوافل التى تذهب إلى الشام لم تمر بمدين، وهى فى أرض سيناء، ولم تكن هذه القوافل تضيع وقتها

٥- «الوحى المحمدى» ط٣ ص ٨٦.

للبحث مع العرب عن أبنائها وتاريخ بلادها، ولم يُعْرَف عن تجارها أنهم كانوا يعتنون بلقاء أحبار النصارى ومباحثتهم فى دينهم وكتبهم، فمن أين جاء لدرمنغم أن محمدًا متشغل عن تلك التجارة بالبحث عن الأمم والأديان، كما يفعل رواد العلم والتاريخ، وجواسيس السياسة من الإفرنج فى هذا العصر؟

[ب] قال درمنغم ما خلاصته: إن محمدًا وجد فى التحنّث فى غار حراء ما ألهمه التفكير فى خالق الكون، وما هيأه للنبوة المنتظرة، فقال السيد رشيد رضا:[٦].

«إن ما ذكره ابن إسحق من أن رسول الله ﷺ كان يتعبد فى شهر رمضان من كل سنة إنما كان ذلك فى زمن فترة الوحى، ولم يكن فى أعوام قبله».

وقول المؤلف «إنه كان يتوسل بذلك إلى ما اشتد شوقه إليه من المعرفة، وابتغاء الإلهام بما فى الكون من الأسباب، فهو مما يخطر على بال الباحث فى حياة رجل صدر عنه عقب هذه الخلوة ما صدر من علم ومعرفة وإرشاد إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض، ولكن لم يُرو عن رسول الله ﷺ أنه كان يقصد ذلك ويبتغيه، ولا رُوِى عن أصحابه ومن يعرفون سيرته».

وموضع النقد أن المؤلف الفرنسى أباح لنفسه أن يتغلغل فى خواطر الرسول ﷺ وأن يستشف منها ما هداه إليه تفكيره، وهذا إن جاز مع بطل تاريخى، فلا يجوز مع نبىّ مرسل، له خواطره الشريفة التى لا يمكن أن يصل إليها إنسان دونه، أو هذا ما يسلّم به كل مسلم دون نزاع، ولكننا لا نطلب من كاتب مسيحى أن يقف عند السطح دون أن يصل إلى ما يراه من حقه فى كشف البواعث! وإذا كان قد فعل ذلك فلسنا ملزمين بمتابعته، ولنا أن نوجه إليه النقد الصارم، ولكننا مع ذلك نعترف بجهده الطيب فى محاولة رسم صورة وضيئة للنبى الكريم ﷺ وبذله فى هذا النطاق أقصى ما يستطيع..

- يتبع -

د./ محمد رجب البيومى

٦- «الوحى المحمدى» ط٣ ص ٩٠.

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ
هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا
ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧ لَيۡسَ لَكَ
مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ
١٢٨ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

(الآيات: ١٢٥ : ١٢٩)

وقوله: ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ إيجاب لما بعد ﴿ لن ﴾ أى، بلى يكفيكم الإمداد بثلاثة آلاف. ولكنه - سبحانه - يعدكم بأنكم ﴿ إِن تَصۡبِرُواْ ﴾ على قتال أعدائكم وعلى كل ما أمركم الله بالصبر عليه، وتتقوا. أى وتتقوا الله وتخشوه وتجتنبوا معاصيه

﴿ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾

أى ويأتوكم المشركون مسرعين ليحاربوكم، وقد أعددتم أنفسكم لقتالهم، إذا فعلتم ذلك.

﴿ يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

أى يمددكم ربكم بفضله ورعايته لكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات مخصوصة.

وقرىء ﴿ مُسَوَّمِينَ ﴾ - بالفتح - أى معلمين من جهته - تعالى - بعلامات القتال. من التسويم وهو إظهار علامة الشيء.

قال صاحب الكشاف: وقوله:

﴿ مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾

من قولك: قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره. ومنه قول أبى حنيفة - رحمه الله -: الأمر على الفور لا على التراخى، وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثم سميت به الحالة التى لا ريث فيها. فقيل: خرج من فوره كما تقول: خرج من ساعته والمعنى: أنهم يأتونكم من ساعتهم هذه».[1]

هذا، وقد تكلم العلماء هنا عن أمرين يتعلقان بهذه الآيات:

- أما الأمر الأول فهو: هل أمد الله - تعالى - المؤمنين فى غزوة بدر بهذا العدد الذى ذكر فى هذه الآية؟

والجواب على ذلك أن بعض المفسرين يرى أن الله -تعالى - قد أمد المؤمنين فى بدر بخمسة آلاف من الملائكة، لأنهم صبروا واتقوا وأتاهم المشركون من مكة فوراً حين استنفرهم أبوسفيان لإنقاذ العير، فكان المدد خمسة آلاف على سبيل التدريج، أى أمدوا أولا بألف، ثم صاروا ألفين، ثم صاروا ثلاثة آلاف. ثم صاروا خمسة آلاف لا غير، وإلى هذا الرأى ذهب الحسن وقتادة.

وقال الشعبى: إن المدد لم يزد على الألف، لأن المسلمين كان قد بلغهم أن كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين بسلاح وجند، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله - تعالى:

﴿ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم ﴾

إلى قوله ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يمدهم، فلم يمد الله المسلمين بالخمسة الآلاف أيضا، أما ابن جرير فقد اختار أن المسلمين وعدوا بالمدد بعد الألف، ولا دلالة فى الآية على أنهم أمدوا بما زاد على ذلك، ولا على أنهم لم يمدوا به، ولا يثبت شيء من ذلك لا بنص. فقد قال - رحمه الله:

«وأولى، الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر عن نبيه ﷺ أنه قال للمؤمنين:

﴿ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾

فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف، إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله، ولا دلالة فى الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف، ولا بالخمسة الآلاف، ولا على أنهم لم يمدوا بهم.

---

(١) تفسير الكشاف ج٣/٤١١

وقد يجوز أن يكون الله - تعالى - أمدهم على نحو ما رواه الذين اثبتوا أنه أمدهم، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم، على نحو الذى ذكره من أنكر ذلك وغير جائز أن يقال فى ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله. غير أن فى القرآن دلالة على أنهم أمدوا يوم بدر بألف. وذلك قوله - تعالى -:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾

(الأنفال: ٩)

أما فى أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها فى أنهم أمدوا. ذلك لأنهم لو أمدوا لم يهزموا ونيل منهم ما نيل منهم»[2].

والذى نراه أن رأى ابن جرير هو أقرب الآراء إلى الصواب.

● وأما الأمر الثانى فهو: إذا كان الله - تعالى - قد أمد المؤمنين بالملائكة فى بدر، فهل كانت وظيفتهم القتال مع المؤمنين أو كانت وظيفتهم تثبيت المؤمنين فقط؟ والجواب على ذلك أن كثيرا من العلماء يرى أن الملائكة قد قاتلت مع المؤمنين.

قال القرطبى: تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت. ومن ذلك قول أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا: «لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب - أى الطريق فى الجبل - الذى خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أمترى».

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يوم بدر يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: «أقدم حيزوم»[3] فنظر المسلم إلى المشرك أمامه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه. فجاء المسلم إلى رسول الله ﷺ فحدثه بذلك فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة[4].

ويرى فريق آخر من العلماء أن الملائكة ما قاتلت مع المسلمين يوم بدر، وإنما أمد الله المؤمنين بالملائكة لتثبيت نفوسهم، وتقوية قلوبهم، ولتخذيل المشركين، وإلقاء الرعب فى قلوبهم، فقد قال - تعالى:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

(الأنفال: ١٢)

ويبدو أن الإمام ابن جرير الطبرى كان يميل إلى هذا الرأى فقد قال عند تفسيره لقوله - تعالى:

﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

أى: قووا عزائمهم، وصححوا نياتهم

---

(٢) تفسير ابن جرير ج٤/٧٩

(٣) حيزوم: اسم فرس من خيل الملائكة

(٤) تفسير القرطبى بتصرف وتلخيص، ج٤/١٩٢

فى قتال عدوهم من المشركين، وقيل: كان ذلك بمعونتهم إياهم بقتال أعدائهم».

وقد حكى الآلوسى عن أبى بكر الأصم أنه أنكر قتال الملائكة مع المؤمنين فى بدر وأنه قال: «إن الملك الواحد يكفى فى إهلاك سائر الأرض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط وأيضا أى فائدة فى إرسال هذا الجمع من الملائكة معه وهو القوى الأمين. وأيضا فإن أكابر الكفار الذين قتلوا فى بدر عرف من قتلهم من المسلمين».

ولم يرتض الآلوسى ما قاله الأصم بل قال فى الرد عليه: ولا يخفى أن هذه الشبه لا يليق إيرادها بقوانين الشريعة، ولا بمن يعترف بأنه - سبحانه - قادر على ما يشاء فعال لما يريد، فما كان يليق بالأصم إلا أن يكون أخرس عن ذلك.

ثم قال الآلوسى فالواجب التسليم بكل ممكن جاء به النبى ﷺ وتفويض ذلك وكيفيته إلى الله - تعالى - [5].

ونرى من كلام الآلوسى أنه يرجح الرأى القائل بأن الملائكة قد قاتلت مع المؤمنين فى غزوة بدر.

ونحن لا نرى مانعا من اشتراك الملائكة مع المؤمنين فى بدر لأن النصوص الواردة عن النبى ﷺ صريحة فى ذلك، ولسنا مع الذين يضعفون من شأن الأحاديث الصحيحة أو يؤولونها تأويلا لا يتفق مع العقل السليم.

ولقد سئل الإمام السبكى: ما الحكمة فى قتال الملائكة مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟

فأجاب: بأن ذلك لإرادة أن يكون الفضل للنبى ﷺ وأصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب التى أجراها - سبحانه - فى عباده.[6]

ثم تابع القرآن حديثه عن مظاهر فضل الله عليهم ورعايته لهم فقال - تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ﴾

أى وما جعل الله - تعالى - الإمداد الذى أمدكم به إلا بشارة لقلوبكم، وتطمينا لنفوسكم فالضمير فى ﴿ جَعَلَهُ ﴾ يعود إلى الإمداد المفهوم وهو الفاعل المقدر المدلول عليه بقوله ﴿ يُمْدِدْكُمْ ﴾ فكأنه قيل: ألن يكفيكم إمداد الله تعالى لكم بما ذكر، وما جعل الله - تعالى - ذلك الإمداد إلا بشرى لكم، ولتسكن قلوبكم به فلا تخافوا كثرة العدو، بل تقدمون عليه بعزائم ثابتة، ونفوس قوية.

وقوله ﴿ بُشْرَىٰ ﴾ مفعول لأجله. والاستثناء مفرغ من أعم العلل، أى ما جعل الله إمدادكم بإنزال الملائكة لشىء من الأشياء إلا للبشارة لكم بأنكم ستنتصرون على أعدائكم.

وقوله:

﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ﴾

---

(٥) تفسير الآلوسى بتصرف وتلخيص ج٤/٤٨

(٦) تفسير القاسمى، ص٩٧

معطوف على ﴿ بُشْرَىٰ ﴾ باعتبار موضعه أى ما جعل إمدادكم إلا للبشرى والطمأنينة.

وإنما جر المصدر المؤول من قوله: ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ باللام لاختلال شرط من شروط نصبه على أنه مفعول لأجله، وهذا الشرط هو عدم اتحاد الفاعل. فإن فاعل الجعل هو الله - تعالى -، وفاعل الاطمئنان القلوب، فلذلك نصب المعطوف عليه وهو ﴿ بُشْرَىٰ ﴾ لاستكمال شروطه. وجر المعطوف وهو ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ لاختلال شرط من شروطه.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾

أى ليس النصر إلا من الله وحده فهو العزيز الذى لا يغالب فى أمره، الحكيم الذى يفعل كل ما يريد فعله حسبما تقتضيه إرادته.

فالجملة الكريمة المقصود منها غرس الاعتماد على الله فى قلوب المؤمنين وتفويض أمورهم إليه، وبيان أن النصر إنما هو من الله وحده، وليس من الملائكة أو من غيرهم، لأن الملائكة أو غيرهم أسباب عادية بمعزل عن التأثير، إلا إذا أراد الله ذلك. فهو الخالق للأسباب والمسببات.

ولقد حرص القرآن فى كثير من آياته على تثبيت هذا المعنى فى قلوب المؤمنين حتى لا يعتمدوا على الأسباب والوسائل التى بين أيديهم، ويغتروا بها، دون أن يلتفتوا إلى قدرة خالق الأسباب والوسائل، فإنهم إذا اغتروا بالأسباب والوسائل، ونسوا خالقها أتاهم الفشل من حيث لم يحتسبوا وكان أمرهم فرطاً.

والعاقل من الناس هو الذى يباشر الأسباب التى شرعها الله - تعالى - بتدبر واعتبار بحيث يوقن أن من ورائها خالقا لها، يجب أن يستجيب له فى كل ما أمر أو نهى، وأن يعتمد عليه فى كل شئونه وأحواله.

ثم بين - سبحانه - الحكمة من هذا النصر والثمرات التى ترتبت عليه فقال - تعالى:

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ۝ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾

وقوله:

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾

متعلق بقوله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

وما بينهما تحقيق لحقيقته، وبيان لكيفية وقوعه.

والقطع - كما يقول الراغب - فصل الشىء مدركا بالبصر كالأجسام، أو مدركا بالبصيرة كالأشياء المعقولة والمراد به هنا الإهلاك والقتل.

والطرف - بفتح الراء - جانب الشىء أو الجزء المتطرف منه كاليدين والرجلين والرأس والمراد به هنا طائفة من المشركين.

والكبت فى اللغة: صرع الشىء على وجهه. يقال: كبته فانكبت، والمراد به هنا الإخزاء والإذلال وشدة الغيظ بسبب ما أصابهم من هزيمة.

وخائبين من الخيبة وهى انقطاع الأمل فى الحصول على الشىء. يقال: خاب يخيب إذا لم ينل ما طلب.

والمعنى: ولقد نصركم الله - تعالى - ببدر وأنتم فى قلة من العدد والعدة

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾

أى ليهلك طائفة من الذين كفروا ويستأصلهم بالقتل. وينقص من أرضهم بالفتح، ومن سلطانهم بالقهر، ومن أموالهم بالغنيمة ﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ أى يذلهم ويخزيهم ويغيظهم غيظا شديدا بسبب ما نزل بهم من هزيمة، حتى يخبو صوت الكفر، ويعلو صوت الإيمان:

وقوله ﴿ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ أى فينهزموا ويرتدوا على أدبارهم منقطعى الآمال، غير ظافرين بمبتغاهم.

قال الآلوسى: «ولم يعبر عن تلك الطائفة بالوسط بل بالطرف فقال ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ لأن أطراف الشىء يتوصل بها إلى توهينه وإزالته. وقيل: لأن الطرف أقرب إلى المؤمنين فهو كقوله - تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾

(التوبة: ١٢٣)

وقيل للإشارة إلى أنهم كانوا أشرافا، ومنه قولهم: هو من أطراف العرب أى من أشرافهم، ولعل إطلاق الأطراف على الأشراف لتقدمهم فى السير. فالمعنى ليهلك صناديد الذين كفروا ورؤساءهم المتقدمين فيهم بالقتل والأسر. وقد وقع ذلك فى بدر فقد قتل المؤمنون من المشركين سبعين وأسروا سبعين»[٢].

و﴿ أَوْ ﴾ فى قوله ﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ ﴾ للتنويع. لأن القطع والكبت قد وقعا للمشركين، فهى مانعة خلو، أى لا يخلو أمر الكافرين من الهلاك والكبت.

وعبر عن عودتهم خائبين بقوله ﴿ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ للإشارة إلى أن مقاصدهم وأهدافهم قد انقلبت، فقد كانوا يقصدون إطفاء نور الإسلام فخاب قصدهم، وطاش سهمهم، وعادوا وقد فقدوا الكثيرين من وجوههم وصناديدهم، وتركوا خلفهم فى الأسر العشرات من رجالهم.

أما الإسلام فقد ازداد نوره تألقا، وازداد أتباعه إيمانا على إيمانهم. ورزقهم الله - تعالى - نصره المبين.

وقوله:

(٢) تفسير الآلوسى ج٤/٤٩

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

أى : ليس لك من أمر الناس شيء، وإنما أمرهم إلى الله وحده، أما أنت فوظيفتك التبليغ والإرشاد ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وقوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾. أى مما هم فيه من الكفر فيهديهم إلى الإسلام بعد كفرهم وضلالهم.

وقوله :

﴿ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

أى أو يعذبهم فى الدنيا والآخرة على كفرهم واجتراحهم للسيئات، فإنهم بذلك يكونون مستحقين للعقاب.

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(النحل : ٣٣)

فهم الذين صموا آذانهم عن الحق واستحبوا العمى على الهدى.

وعلى هذا يكون قوله - تعالى - :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

جملة معترضة بين المتعاطفات ويكون تقدير الآيتين هكذا.

ولقد نصركم الله ببدر ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل والأسر، أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة، أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم فى الدنيا والآخرة بسبب ظلمهم، وليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت رسول من عند الله - تعالى - مأمور بإنذارهم وجهادهم.

وقد رجح هذا الوجه صاحب الكشاف فقال : وقوله :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

اعتراض.. والمعنى أن الله مالك أمرهم، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم.

وقيل إن ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى «إلا أن» كقولك : لألزمنك أو تقضينى حقى، على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم[٨].

فأنت ترى أن الآيتين الكريمتين قد بينتا أحوال الكافرين فى غزوة بدر أكمل بيان، لأن فريقاً منهم قد قتلوا فقطع بهم طرف من الكافرين، وفريقاً كبتوا وذلوا، وفريقاً من الله عليهم بالإسلام فأسلموا، وفريقاً عذبوا بالموت على الكفر أو عذبوا فى الدنيا بالذل والصغار

و﴿ أَوْ ﴾ التى جيء بها بين هذه الجمل للتقسيم.

هذا، وقد روى المفسرون فى سبب نزول قوله - تعالى - :

(٨) تفسير الكشاف ج١/ ٤١٣ بتلخيص.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

روايات منها ما أخرجه مسلم عن أنس أن النبى ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج فى وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم - عز وجل - فأنزل الله - تعالى - :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾

ومنها ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال إذا قال سمع الله لمن حمده : «اللهم ربنا ولك الحمد. اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» يجهر بذلك، وكان يقول فى بعض صلاته فى صلاة الفجر : اللهم العن فلانا وفلانا «لأحياء من العرب» حتى أنزل الله - تعالى - :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾

ثم ختم - سبحانه - هذا التذكير بما جرى فى غزوة بدر ببيان قدرته الشاملة، وإرادته النافذة فقال - سبحانه - :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

أى لله جميع ما فى السموات وما فى الأرض ملكا وتصرفا وتدبيرا لا ينازعه فى ذلك منازع ولا يعارضه معارض، وهو - سبحانه - يغفر لمن يشاء أن يغفر له من المؤمنين فلا يعاقبه على ذنبه فضلا منه وكرما، ويعذب من يشاء أن يعذبه عدلا منه ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴾ أى كثير المغفرة يحبها ويريدها، ﴿ رَحِيمٌ ﴾ أى واسع الرحمة بعباده، لا يؤاخذهم بكل ما اكتسبوه من ذنوب بل يعفو عن كثير منها.

وبذلك ترى أن هذه الآيات الكريمة قد افتتحت الحديث عن غزوة أحد باستحضار بعض أحداثها، وبتذكير المؤمنين بما هم به بعضهم قبل أن تبدأ المعركة، ثم بتذكيرهم بمعركة بدر وما تم لهم فيها من نصر مؤزر منحه الله لهم مع قلتهم وضعفهم، حتى يعرفوا أن النصر ليس بكثرة العدد والعدد وإنما النصر يتأتى مع صفاء النفوس، ونقاء القلوب، ومضاء العزائم والطاعة التامة لله ولرسوله ﷺ، وحتى لا يعودوا إلى ما حدث من بعضهم فى غزوة أحد من مخالفة رسول الله ﷺ ومن طمع فى زينة الحياة الدنيا.

***

كذب يؤدى إلى الجنة وصدق يؤدى إلى النار

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أم كلثوم بنت عقبة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى «ﷺ» قال: «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس، فقال خيراً، أو نمى خيراً».

رواه أبو داود والبخارى

التعريف براوية الحديث

هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط «رضى الله عنها»، أسلمت بمكة قبل أن يأخذ النساء فى الهجرة إلى المدينة، ثم هاجرت وبايعت، وقيل: إنها أول من هاجر من النساء، كانت هجرتها سنة سبع، فى الهدنة التى كانت بينه ﷺ، وبين مشركى قريش وكانوا صالحوه ﷺ، على أن يردّ إليهم من جاء مؤمنا، وفيها نزلت:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾

(الممتحنة: ١٠)

وقال عمر بن عبدالعزيز: يقولون: إنها مشت على قدميها من مكة إلى المدينة وهى أخت عثمان بن عفان -رضى الله عنه- لأمه تزوجها زيد بن حارثة «رضى الله عنه» فقتل عنها يوم مؤتة، فتزوجها الزبير بن العوام «رضى الله عنه» فولدت له زينب ثم طلقها فتزوجها عبدالرحمن بن عوف فولدت له إبراهيم وحُميداً ومحمداً وإسماعيل، ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص -رضى الله عنه- فمكثت عنده شهراً، وماتت، روى لها عن رسول الله ﷺ عشرة أحاديث ولها فى الصحيحين هذا الحديث الواحد.

الشرح والبيان

هذا حديث عظيم الشأن، جليل القدر، يبيّن للناس لوناً من ألوان الكذب المباح شرعاً؛ لأنه يؤدى إلى الخير، وإلى الحب والودّ، ويزيل الخصومات والعداوات، فليس كاذباً من شرع فى الصلح، وقال قولاً خيراً عنهما ونشره ليقرّب بينهما أو نمى خيراً، أى: بلغ كلاً منهما عن الآخر خبراً لم يسمعه منهما كقوله لأحدهما: فلان خصمك لا يقول فيك إلا خيراً، ويقول: أنا المخطئ، فهذا كذب للإصلاح لا إثم فيه، بل فيه أجر كبير.

كل معروف صدقة

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يوضح هذا المعنى ويؤكده، قال تعالى:

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(النساء: ١١٤)

فكثير من الكلام لا خير فيه، ولكن قليل من الكلام فيه خير كثير، كالحثّ على الصدقة، وتعلم أن الدالّ على الخير كفاعله، أى: فى الأجر والثواب، أو الأمر بالمعروف، والمعروف لفظ يعمّ أعمال البرّ كلها، وقد قال «ﷺ»: «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق»[1] وقال «ﷺ»: «المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة يوم القيامة المعروف وأهله»[2] وقال على بن أبى طالب -رضى الله عنه-: لا يزهدنّك فى المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر. وقال الحُطَيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وكالإصلاح بين الناس، وهو عام فى الدماء والأموال والأعراض، وفى كلّ شىء يقع التداعى والاختلاف فيه بين المسلمين، وفى كل كلام يراد به وجه الله -تعالى-، وقد ورد فى الخبر: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ثلاثة: أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل»[3] وكتب عمر بن الخطاب «رضى الله عنه» إلى أبى موسى الأشعرى «رضى الله عنه»: «ردّ الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن» وعن أنس بن مالك «رضى الله عنه» أنه قال: «من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة» هذا وقد قال النبى «ﷺ» لأبى أيوب: «ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين أناس إذا تفاسدوا، وتقرّب بينهم إذا تباعدوا»[4] ـ وقال الأوزاعى: «ما خطوة أحب إلى الله -عز وجل- من خطوة فى إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار».

١- مسند الإمام أحمد ج٣ ص٣٦٠.
٢- الضعفاء لابن عدى ج٥ ص١٩٠.
٣- أخرجه الترمذى وابن ماجة من حديث أم حبيبة وقال الترمذى: حديث غريب.
٤- القرطبى ج٥ ص٣٨٥.

أشرف الغايات

هذا وقد بين رسول الله (ﷺ) أن أبغض الرجال إلى الله شديد الخصومة؛ لأن كثرة الخصومة شر وخطر على الناس، بخلاف من يميل للصلح، ويسعى فيه، فهو خير وأنفع للناس، فقد روى الشيخان والنسائي عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي (ﷺ) قال: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»، والألد: شديد الخصومة، والخصم: كثير الخصومة، ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فما سمع عن خلاف، وخصومة بين شخصين أو جماعتين إلا سارع للإصلاح بينهما، روى البخاري والنسائي عن سهل الساعدي - رضي الله عنه - قال: «كان بين بني عمرو قتال، فبلغ النبي (ﷺ)، فصلى الظهر، ثم أتاهم يصلح بينهم».

فإصلاح ذات البين من الأمور الجليلة في الإسلام، والله - سبحانه وتعالى - يرفع من يقوم بإصلاح ذات البين إلى أرفع الدرجات وأسماها؛ لأنها تؤدي إلى أشرف الغايات، وهي إسعاد الناس في معاشهم ومعادهم، روى أبو داود والترمذي - بسند صحيح - عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة» وزاد في الرواية الثانية «لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».

هذا ويوم القيامة لا ينفع الناس إلا صدقهم مع الله، ومع ضمائرهم، ومع الناس، قال تعالى:

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(المائدة: ١١٩)

ومن ثم ذكر الله (عز وجل) الصدق ضمن مناقب النبوة، قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾

(مريم: ٥٤)

ولقد كان إسماعيل (عليه السلام) أصدق الناس وعداً حين قال لأبيه:

﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

حين قال له أبوه:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

ورسول الله (ﷺ) كان صادقاً في جميع أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته، شهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه، فها هو ذا أبوجهل أشد الناس عداوة له، وأبغضهم لما جاء به، يقول له رجل: يا أبا الحكم، ليس هنا غيري وغيرك، فخبرني عن محمد، صادق هو أم كاذب؟ فيقول: والله، إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، أنا أبوسفيان ألد أعدائه، وأشدهم خصومة له، يسأله هرقل عظيم الروم: هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله، ثم أطرق رأسه، وقال: وكذلك رسل الله لا تكذب، وقد قال الله في شأن نبيه (ﷺ):

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

وقال:

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾

(الحاقة: ٤٤-٤٦)

ولكنا لم نأخذ منه اليمين، ولم نقطع منه الوتين، فكان شاهد صدق على ما جاء به عن الله، وكان اعتراف أعدائه بصدقه شاهداً على صدقه مع الناس، هذا وقد أمرنا الله (عز وجل) بالصدق؛ لأن الصدق يهدي إلى قمة الخير، وذروة الطاقة، وجلال المعرفة، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(التوبة: ١١٩)

فالتزام الصدق واجب في كل الأحوال؛ لأن الصدق قرين الإيمان، فإذا انعدم الصدق انعدم الإيمان، ولهذا لما سئل النبي (ﷺ): «أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا»[5]

أسوأ أنواع الكذب

هذا وأسوأ أنواع الكذب الكذب على الله، وقد جعل الإسلام الكذب على الله قرين الكفر، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(النحل: ١٠٥)

وقد توعد الحق (سبحانه) من يكذب عليه بأشد أنواع العذاب، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

(الزمر: ٦٠)

فواجبنا - معشر المسلمين - أن نحارب الذنوب، وأن ننبذ الإشاعات الكاذبة التي تبعدنا عن جادة الحق والصواب، قال (ﷺ): «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»[6] فلا تكذب أيها المسلم؛ لأن الكذب خيانة كبرى لأخيك المسلم، قال (عليه السلام): «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب»[7] وقال: «إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه ميلاً، من نتن ما جاء به»[8]، فالكذب - أعاذنا الله منه، ووقانا شره - داء وبيل، ومرض شنيع، يلحق النفس البشرية، فيقطعها عن الخير، ويدفعها إلى المعاصي

٥- الموطأ رواية يحيى الليثي ج٢، وشعب الإيمان ج٤

٦- مسند الإمام أحمد ج١ ص٢٠٠

٧- سنن أبي داود ج٤ ص٢٥٣، ٢٥٤

٨- الترمذي ج٣ ص٢٢٥

والآثام، دون مبالاة، ولذا حارب الإسلام الكذابين، وشدد عليهم النكير، عن أم المؤمنين عائشة «عليها الرضوان» قالت: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله (ﷺ) من الكذب ما اطلع على أصحابه من ذلك بشيء، فيخرج من قلبه، حتى يعلم أنه قد أحدث توبة»[9] ولذلك عُرف الصحابة «رضوان الله عليهم» بصدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط الكلام.. وواجبنا أن نقتدى بهم، وأن نمتنع عن الكذب بجميع صوره إلا فى مواضع الكذب المباح التى أشار إليها الحديث الذى نحن بصدد شرحه، وبيان معانيه.

ولذلك لما أراد معاوية «رضى الله عنه» أن يضمن البيعة لابنه يزيد جمع الناس، فقال: «هذا أميركم، وأشار إلى نفسه، فإن مات فهذا، وأشار إلى ابنه، فمن لم يشأ فهذا، وأشار إلى سيفه ثم التفت إلى الأحنف بن قيس متحدياً، قال: ما رأيك يا أحنف؟ قال: يا أمير المؤمنين، نخاف الله إن كذبنا ونخافك إن صدقنا، وتوقف عن الكلام».

رجولة وحسن تصرف من الأحنف، وامتناع عن الكذب والنفاق فى أصعب المواقف وأخطرها.. ولهذا كان عمر بن الخطاب، «رضى الله عنه» يقول: «لأن يخفضنى الصدق ـ وقلما يفعل ـ أحب إلى من أن يرفعنى الكذب، وقلما يفعل»..

وتحدثنا كتب التاريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفى أمير الكوفة اتهم رجلين بالمؤامرة عليه، فقبض عليهما، وأودعهما السجن، ثم أُحضرا بين يديه، لينالا جزاءهما من العقاب، فقال أحدهما: إن لى حقاً عليك أيها الأمير قال: وما هو ذاك؟ قال: دفعت عنك فى مجلس كذا وكذا. فقال: إن هذه دعوى تحتاج إلى بينة، فأين هى: فقال: صاحب هذا كان حاضراً بالمجلس، فقال له الحجاج: أحقاً ما يقول صاحبك؟ قال: نعم، فقال: وهل دفعت أنت عنى كذلك؟ قال: لا، قال: ولم ذلك؟ فقال له: لكراهتى إياك فعند ذلك قال الحجاج: قد عفوت عن الرجلين، أما الأول فلحقه علينا، وأما الثانى فلصدقه.

وكثيراً ما نرى على الساحة عادات سيئة، وأخلاقاً ذميمة يجب أن تختفى من المجتمعات الإسلامية، منها: الحلف على البيع والشراء، وذلك أمر مذموم، لقوله (ﷺ): «ويل للتاجر من تالله وبالله»[10]، حتى ولو كان الحالف صادقاً، لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

«البقرة: ٢٢٤»

وقد يحلف التاجر كاذباً، لتزيين السلعة فى عين المشترى وترويجها، وهذا تصرف قبيح بغيض يمحق البركة، ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة «رضى الله عنه» عن النبى (ﷺ) قال: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة»[11]، والحلف: اليمين الكاذبة، ومن ثم تعلم أن الإسلام لم يرخص فى شيء من الكذب إلا عند الضرورة، وفى أضيق الحدود، واستدل العلماء بحديث أم كلثوم «رضى الله عنها» الذى نحن بصدد الحديث عنه، ولذلك وعد رسول الله (ﷺ) من يمتنع عن الكذب حتى فى المزاح بالأجر العظيم، والثواب العميم، قال (ﷺ): «أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[12].

هذا وقد أوصى الإسلام أن نغرس فى نفوس أطفالنا فضيلة الصدق، وأن يكون لهم فينا قدوة، حتى يشبوا وقد ألفوا الصدق فى جميع أقوالهم وأفعالهم، وجميع أحوالهم، فعن عبدالله بن عامر «رضى الله عنه» قال: «دعتنى أمى يوماً ورسول الله (ﷺ) قاعد فى بيتنا، فقالت: تعال أعطيك فقال لها (ﷺ) ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»[13] هذا وقد يخيل للإنسان أحياناً أن الكذب وسيلة للنجاة، وأن الصدق طريق الهلاك، وذلك من وساوس الشيطان، وهواجس العصيان، وقد حذرنا رسول الله (ﷺ) من ذلك، فقال: «تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، وإياكم والكذب وإن رأيتم فيه النجاة، فإن فيه الهلكة»[14].

أما اللغز الذى جعلناه عنواناً للحديث: «كذب يؤدى إلى الجنة، وصدق يؤدى إلى النار» فمعناه: الكذب للإصلاح، أما الصدق الذى يؤدى إلى النار فهو نقل الغيبة إلى صاحبها، وهو أمر محرم بإجماع المسلمين، بل كبيرة من الكبائر التى ضمن الله «عز وجل» ـ فى كتابه العزيز ـ لمن اجتنبها أن يكفر عنه الصغائر من السيئات، وأن يدخله الجنة. قال -تعالى-:

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

«النساء: ٣١»

وقد ورد فى الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يدخل الجنة نمام» فإذا كانت النميمة تدخل النمام النار، وتدخل من تنزه عنها الجنة، فهل من العقل أن يتصف بها إنسان؟ وقد حذر رسول الله (ﷺ) أصحابه منها، فقال لهم: ألا أخبركم بشراركم، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب»[15].

فإذا كان باغى العيب والإفساد بين الناس يفسد عليهم حياتهم، ويجلب لهم الشقاء والتعاسة فإن باغى الخير لهم ـ ولو كان كاذباً ـ بقصد أن يصلح لهم حياتهم، ويصل ما بينهم فإنه يجلب لهم الهناء والسعادة.

والله ولى التوفيق

٩- مجمع الزوائد ج١ ص١٤٢.
١٠- اتحاف السادة المتقين ج٥ ص٤٨٤.
١١- سنن أبى داود ج٣ ص٦٣٠.
١٢- سنن أبى داود ج٥ ص١٥٠.
١٣- سنن أبى داود ج٥ ص٢٦٥.
١٤- اتحاف السادة المتقين ج١٠ ص٧٦.
١٥- مسند الإمام أحمد ج٦ ص٤٥٩.

قبس من نور ونفحات من أخلاق الرسول ﷺ

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن والاه... وبعد.

فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ١-٤)

لقد ابتدأت تلك الآيات بالقسم على رفعة قدر الرسول ﷺ وشرفه وبراءته مما ألصقه به المشركون حيث اتهموه مرة -وحاشاه- بالجنون وبينت أخلاقه العظيمة ومناقبه السامية.

وإن الدارس لسيرة رسول الله ﷺ ليأخذه العجب من قولتهم الشنيعة هذه، وهم الذين علموا منه رجاحة العقل حتى حكّموه بينهم في رفع الحجر الأسود قبل النبوة بأعوام كثيرة، وهم الذين لقبوه بالأمين وكانوا يستودعونه أماناتهم حتى يوم هجرته بعد أن عادوه وأخرجوه من أرضه ودياره، ولقد ثبت أن علياً -كرم الله وجهه- تخلف عن رسول الله ﷺ أياماً في مكة ليرد إليهم ودائعهم التي كانت عنده حتى وهم يعادونه ويحادونه وهم الذين لم يعرفوا عنه كذبة واحدة قبل البعثة، فلما سأل هرقل أبا سفيان عنه: «هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل نبوته؟ قال أبوسفيان -وهو عدوه قبل أن يسلم-: لا. فقال هرقل: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله». وهكذا كان النبي معروفاً بتلك الصفات الحميدة بينهم، ومع ذلك كذبوه وعاندوه واتهموه بما اتهموه.

وتجيء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم بقوله -تعالى-:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

فتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء العظيم على النبي الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود، ويعجز كل قلم كما يعجز كل تصور عن وصف هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله يقول له فيها:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

ومدلول الخُلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يدرك مداه أحد من العالمين إن محمداً ﷺ هو وحده الذى يرقى إلى هذا الأفق من العظمة إن محمداً وحده هو الذى يبلغ قمة الكمال الإنسانى المجانس لنفحة الله فى الكيان الإنسانى، إنه محمد ﷺ الذى يكافىء تلك الرسالة الكونية العالمية الإنسانية، حتى إن هذه الرسالة السماوية تمثلت فى شخص رسول الله ﷺ حية فكأنها تمشى على الأرض فى إهاب إنسان.

إنه محمد ﷺ الذى علم الله أنه أهل هذا المقام وأعلن فى هذه الآية أنه على خلق عظيم، وأعلن فى آية أخرى أنه يصلى عليه هو وملائكته:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾

(الأحزاب: ٥٦)

وهكذا نرى هذا التكريم الذى ما بعده تكريم، ثم بعد هذا نجد الإساءة من بعض المخلوقين لهذا النبى الكريم، ويكفيه فخراً وتيهاً ما ناداه به ربه، ولقد صدق من قال:

إذا الله أثنى بالذى هو أهله
عليك فما مقدار ما تمدح الورى

ونصلى ونسلم على صاحب الخلق العظيم وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

هذا وسيرة رسول الله ﷺ كلها صفحات مضيئة من السماحة واليسر والهوادة واللين والتوفيق فى تناول الأمور جميعاً فقد كان -صلوات الله وسلامه عليه- كما وصفه ربه سامياً فوق كل خلق عظيم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

و«على» كما يقول علماء اللغة: للاستعلاء فكأنه -صلوات الله وسلامه عليه- استعلى على الخُلق العظيم وملكه...

لم يكن ﷺ فظاً ولا غليظاً ولا داعياً للقسوة أو العنف بل كان يعالج النفوس البشرية وكان طبيباً للقلوب يداويها من الغلظة والعنف، وهذا مثل من علاجه النفوس يكشف عن طريقته ﷺ وطبيعته:

«جاء أعرابى يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه قال له: «أحسنت إليك؟» قال الأعرابى: لا ولا أجملت! فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا ثم دخل منزله، وأرسل إلى الأعرابى وزاده شيئاً ثم قال: أحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل ومن عشيرة خيراً. فقال له النبى -ﷺ-: إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى من ذلك شىء، فإذا أحببت

فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال: نعم. فلما كان الغداة جاء فقال النبى ـ ﷺ ـ: إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى أكذلك؟ فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال ـ ﷺ ـ: إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة: خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها وأعلم. فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار[1] فهكذا كان أخذه ـ ﷺ ـ للنفوس الشاردة بهذه البساطة، وبهذا اليسر، وبهذا الرفق، وبهذا التوفيق.

هذه الشخصية الكريمة الحبيبة الميسرة لليسرى:

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾

(الأعلى: ٨)

كانت كذلك لكى تحمل إلى البشرية دعوة التيسير والأمن والسلام، لتكون طبيعتها من طبيعتها، وحقيقتها من حقيقتها وتكون كفاء للأمانة الضخمة التى حملتها بتيسير الله وتوفيقه على ضخامتها حيث تتحول الرسالة بهذا التيسير من عبء مثقل إلى عمل محبب ورياضة جميلة. وفى صفة محمد ـ ﷺ ـ وصفة وظيفته التى جاء ليؤديها ورد فى القرآن الكريم:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

(الأعراف: ١٥٧)

فقد جاء ـ ﷺ ـ رحمة للبشرية جاء ميسراً يضع عن كواهل الناس الأثقال والأغلال التى كانت عليهم حينما شددوا فشدد الله عليهم.

وفى صفة الرسالة التى حملها ورد قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر: ١٧)

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج: ٧٨)

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾

(المائدة: ٦)

فقد جاءت هذه الرسالة ميسرة فى حدود الطاقة لاتكلف الناس حرجا ولا مشقة، وسرى

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزى ج٢ / ٩٢٦.

هذا اليسر فى روحها كما سرى فى تكاليفها.

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(الروم: ٣٠)

وحيثما سار الإنسان مع هذه العقيدة وجد اليسر، ومراعاة الطاقة البشرية، والحالات المختلفة للإنسان، والظروف التى يصادفها فى جميع البيئات والأحوال. العقيدة ذاتها سهلة التصور إله واحد ليس كمثله شىء أبدع كل شىء وهداه إلى غاية وجوده وأرسل رسلا تذكر الناس بغاية وجودهم وتردهم إلى الله الذى خلقهم، والتكاليف بعد ذلك كلها تنبثق من هذه العقيدة فى تناسق مطلق لا عوج فيه ولا انحراف، وعلى الناس أن يأتوا منها بما فى طاقتهم بلا حرج ولا مشقة يقول- صلوات الله وسلامه عليه: «ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا»[2] بل إن النهى عنه لا حرج فيه عند الضرورة

﴿ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾

(الأنعام: ١١٩)

وبين هذه الحدود الواسعة تنحصر جميع التكاليف، ومن ثم التقت طبيعة الرسول بطبيعة الرسالة، والتقت حقيقة الداعى بحقيقة الدعوة فى هذه السمة الأصيلة البارزة، وكذلك كانت الأمة التى جاءها الرسول الميسر بالرسالة الميسرة فهى الأمة الوسط، وهى الأمة المرحومة الحاملة للرحمة، الميسرة الحاملة لليسر، تتفق فطرتها هذه مع فطرة هذا الوجود الكبير. وهذا الوجود بتناسقه وانسيابه حركته يمثل صنعة الله من اليسر والانسياب الذى لا تصادم فيه ولا احتكاك، ملايين الملايين من الأجرام تسبح فى

قضاء الله، وتنساب فى مداراتها متناسقة متجاذبة لا تصطدم ولا تضطرب ولا تميد، وملايين الملايين من الخلائق الحية تجرى بها الحياة إلى غاياتها القريبة والبعيدة فى انتظام وفى إحكام، وكل منها ميسر لما خلق له سائر فى طريقه إلى غاية، وملايين الملايين من الحركات والأحداث والأحوال تتجمع وتتفرق وهى ماضية فى طريقها كنغمات الفرقة العازفة بشتى الآلات لتجتمع كلها فى لحن واحد طويل مديد.

إنه التوافق المطلق بين طبيعة الوجود وطبيعة الرسالة، وطبيعة الرسول، وطبيعة الأمة المسلمة، صنعة الله الواحد وفطرة المبدع الحكيم.

أفمثل هذه الرسالة السامية وهذا الرسول الرحيم يستحق أن يقابل بالجحود فى الوقت المبكر من الدعوة ويرصد لها المشركون كل ما يملكون للقضاء عليها وحربها؟!

وهاهم أعداء الإنسانية وأعداء الإسلام يصمون تلك الرسالة بالعنف والقسوة والإرهاب، ويصمون رسولها بأنه داعية إلى العنف والقسوة:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

(الكهف: ٥)

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(التوبة: ١٢٨)

هذا والله ولي التوفيق.

(٢) سنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد بألفاظ متقاربة.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

واجب أمتنا فى ذكرى مولده ﷺ

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر السابق

أشرقت علينا الذكرى العطرة بميلاد خير البرية ﷺ فلم يكن ميلاده ميلاد فرد عادى ولكن ميلاده كان ميلاد أمة لأنه صاغ خير أمة أخرجت للناس بتعاليم الوحى الإلهى وبعثه الله خاتما للأنبياء والمرسلين، حمل أحسن الحديث تبيانا لكل شىء، يهدى للتى هى أقوم متمما لمكارم الأخلاق هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا، وتتجاوب أصداء الذكرى فى مشارق الأرض ومغاربها احتفاء بها وعاطفة دينية لا تستطيع أن توقفها أى قوة فى العالم، فمحبة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ سرت فى دماء الموحدين فكلما أشرقت عليهم تلك الأيام تشرق عليهم بالفرحة والسرور وبالغبطة والحبور لأن الفرح بميلاد خير البرية من أعظم النعم.

إن فرحة الموحدين فى الأرض بميلاد خير البرية ﷺ ليس معناها أنهم تناسوه فلم يذكروه إلا فى هذه الأيام كلا، كلا فنحن لا ننساه أبدا ولم ننسه أبدا ولن ننساه أبدا، وكيف ينساه أحد من الناس وفى كل صلاة وفى كل تشهد نذكره ونقول «نشهد أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله» كيف ننساه ومآذن الإسلام فى كل صلاة بل فى كل لحظة تذكره، لأن الله سبحانه وتعالى فاوت المواقيت، فبينما هنا الآن الساعة الواحدة ظهراً، فى بقاع أخرى الواحدة وخمس دقائق وفى غيرها وعشر دقائق وفى أخرى وعشرين وساعة أخرى مقدمة وأخرى مؤخرة، أى أن موعد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا يتوقف لحظة فى العالمين، ولذلك لما قال رب العزة:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

(الشرح: ٤)

قال: «أتدرى كيف رفعت ذكرك؟ لا أذكر إلا ذكرت معى» ﷺ [١]

لا يذكر رب العزة فى شهادة التوحيد إلا ذكر معه خير البرية ﷺ، تصدح مآذن الإسلام على مدى الأوقات كلها وعلى مدى الأيام والليالى جميعها فى كل لحظة تعلن أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله.

من هنا لم ننس هذه الذكرى العطرة ولن ننساها ما حيينا بل إنه حاضر معنا فى كل وقت ويسمعنا وإلا فما كان الله ليشرع لنا فى الصلاة أن نخاطبه ﷺ وأن نسلم عليه ﷺ وأن نقول: «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»، السلام عليك بكاف الخطاب ولا يكون الخطاب إلا لمن يتأتى منه وله الخطاب فنحن لا ننساه أبداً لأنه الذى أحيا الله على يديه أمة وأخرج على يديه خير أمة أخرجت للناس، فلا ريب كلما أشرق علينا ربيع الأول -شهر المولد- أن يتنافس فيه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ليتدارسوا سيرته العطرة وآدابه الفاضلة وأخلاقه الراقية التى أخرج الناس بها من الظلمات إلى النور والتى هداهم بها إلى صراط ربهم المستقيم، وقد قلت فى استقبال الذكرى:

حين أقبلت يا ربيع المكرم
أقبلت ذكريات تتنسم
تتهادى وأفقها يتهادى
والأمانى أوشكت تتكلم
وحديث الإيمان رف مع الروح
فأضحى وجودنا يترنم
تلك ذكرى قف بنا هل رأيتم
مثل أيامها أجل وأكرم
تلك ذكرى ميلاد خير البرايا
وعليه صلى الإله وسلم

ويفرح المؤمنون بها وحق لهم أن يفرحوا ويتنافسوا فى إحياء لياليها وحق لهم أن يتنافسوا ذلك لأن فى هذه اللقاءات والأحفال والاجتماعات تدارسا لأشرف سيرة فى الوجود لأعظم مخلوق على الإطلاق وأشرف موجود فى الأرض وفى السبع الطباق صلوات الله وسلامه عليه.

لقد أجرى رب العزة -سبحانه- قبل هذا المولد الشريف إرهاصات لا يستطيع إنكارها إلا جحود، ولا يستطيع إغفالها إلا من غفل عن حقيقة القرآن.

كانت أولى هذه الإرهاصات أن رد الله -سبحانه- وتعالى جيش أبرهه، هذا الجيش العرمرم، المدجج بالأسلحة الذى أراد أن يهدم الكعبة بيديه وراح فيله كلما وجه إلى الكعبة توقف وكلما وجه إلى مكان آخر توجه لكن الرجل أصر على أن يهدم البيت. واستصرخ عبدالمطلب ربه وقال: «لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك» ووقفوا على هضاب مكة ينظرون ماذا يفعل، وإذا بالخالق العظيم -سبحانه وتعالى- يرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول. وهزم الله هذا الجيش، وماذا كنا نتصور لو أنه انتصر فى هذا العام الذى سيولد فيه خير خلق الله ﷺ فهل يقع وتقع بلده ومجتمعه أسرى لدى هذا الكافر الذى يريد هدم الكعبة ووقوع مكة أسيرة فى يديه؟ لا. كان هذا أول إرهاص للميلاد.

كان هذا فى عام مولده ﷺ. وتصدعت شرفات إيوان كسرى أربع عشرة شرفة تشير إلى أربعة عشر ملكا فى أربع سنين تولى منهم عشرة ثم بقى أربعة حتى انتهت وسقطت العروش المتسلطة سقطت العروش الظالمة إلى غير رجعة لتعلن قيام أمة جديدة هى خير أمة أخرجت للناس يعلن ويرفع راية التوحيد فيها أشرف خلق الله سيدنا رسول الله ﷺ. وغاضت بحيرة ساوه وكانت هذه الإرهاصات لميلاده بل كان ميلاده نفسه آية تتحدث عن أمه آمنة عندما أخذت حليمة السعدية الرضيع

(١) تفسير القرطبى ج-٢٠/٦-١٠٦، ١٠٧ من حديث طويل.

فى بادية بنى سعد وكانت حريصة على أن يبقى معها فى كل مرة إلا أنها جاءت به إلى أمه فعجبت الأم. قالت: ما كانت عادتك هكذا كنت حريصة على أن يبقى معك، فما الذى دفعك؟ أصدقينى. قالت: رأيت أخويه يخبرانى بأن رجلين جاءاه فقتحا صدره وأخرجا منه شيئا.

قالت: أكنت تخشين عليه الجن يا حليمة؟ أكنت تخشين عليه الشيطان؟ والله ما للشيطان على ولدى من سبيل لقد رأيت عجبا حين حملته، ما شعرت بما يشعر به النساء من تعب ورأيت عجبا حين ولدته لقد رأيت أنه خرج منى نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، والله ما للشيطان على ولدى من سبيل.

ويأتى هو ليحكى لنا هذا الموقف ويخبرنا أن رجلين يلبسان ثيابا بيضا جاءاه فشقا صدره الشريف وأخرجا منه علقة ولأماه فالتئم، ثم قال أحدهما للآخر، زنه بعشرة من أمته. قال: فوزننى فرجحتهم. ثم عاد فقال: زنه بمائة من أمته. قال: فوزننى فرجحتهم. قال زنه بألف من أمته قال: فوزننى فرجحتهم قال: دعه فو الله لو وزنته بالأمة لرجح ﷺ.

وتقص علينا أنباء السيرة العطرة الموثقة المحققة إلى أى مدى أجرى الله عليه خوارق العادات كما أجرى قبل ميلاده تلك الإرهاصات فكانت أخته من الرضاع حين تخرج به فى شدة الشهيرة التى لا يحتملها بشر ولا يتعرض لها رجل قوى إلا أهلكته فتراها فتقول لها: كيف تخرجين بأخيك القرشى فى هذه الشمس المحرقة فتجيب الشيماء: والله يا أماه ما كان للشمس عليه من سبيل لقد كانت غمامة تظلله إن مشى مشت وإن وقف وقفت.

صلوات الله وسلامة عليك سيدى يا رسول الله، يا صاحب الذكرى العطرة يا من نعطر حياتنا بسيرتك وآدابك يا من نحن فى أمس الحاجة إلى هذا الخلق النبيل العظيم الذى وصفك رب العزة به، فلم يصفك بقوة ولا بمال ولا بجاه وإنما قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

لو وقف البشر كل البشر منذ كان لهم تاريخ وإلى أن تنتهى الدنيا ليحاولوا أن يحصروا أخلاقه ما استطاعوا، لقد كان نبيا وآدم منجدل فى طينته، وكما قال: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)[٢].

وصدق من قال:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم يفتح له إغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعد ما
أثنى على أخلاقك الخلاق

نعم هذه عظمته كما أنبأنا القرآن:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

وتلك المبادئ التى جاء بها أمرنا الله أن نقتدى به فيها:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

فوجب علينا أن نجدد العهد والبيعة والتوبة والأوبة والرجوع إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأن نقتدى بصاحب الذكرى امتثالا لأوامره واتباعا لتعاليمه وسيرا على مناهجه حتى تحقق خيريتنا على ظهر الأرض فلن تتحقق خيريتنا على ظهر الأرض إلا باتباع تعاليمه، والاقتداء بهديه والتعطر بسيرته العطرة التى أمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نقتدى به فيها.

واجبنا أن نستجيب لدعوته وهو يدعونا أن نكون أمة واحدة حتى لا نكون لقمة سائغة لعدونا وحتى لا يتربص العدو بنا الدوائر.

واجبنا فى ذكراه العطرة ألا نتفرق وألا نتشرذم وألا نتعادى وألا يحمل أحدنا الحقد على أخيه وأن نتحاب وأن نتواد وأن نتآلف ونتعاطف وأن نكون أمة واحدة فإن التفرق والتشرذم تصدع فى جدار هذه الأمة هو الذى تسبب فى ضياع الكثير من عظمتها.

إذا زرت بعد البيت قبر محمد
وشاهدت مثوى الأعظم العطرات
ولاح ضياء عند كل ثنية
وفاح أريج عند كل حصاة
فقل لرسول الله يا خير مرسل
أبثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

وأمامنا مجدنا وعظمتنا، ما جاء به من منهاج يدعونا أن يكون لنا الريادة والقيادة وأن نكون خير أمة أخرجت للناس، وأن ننبذ الخلافات والفرقة بيننا كأفراد وأسر ومجتمعات ودول وشعوب وحكام ومحكومين فيوم أن نكون كذلك يوم أن يفتح الله علينا بركات من السماء والأرض.

عذرا، سيدى رسول الله إذا قصرنا فى وصفك أو أهملنا بعض تعاليمك فإننا نتخذ من ذكراك مثابة وأمنا وتوبة إلى الله ورجوعا نصطلح مع الله، نراجع صفحاتنا وماضينا لنسير من جديد بما يرضيك، يا سيدى يا رسول الله عذرا إن قصرنا فى وصفك فلنبدأ مسيرتنا فأنت الذى قلت: «توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب إلى الله واستغفره كل يوم مائة مرة»[٣].

صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله يا من بعثك الله رحمة للعالمين، ما أحوج أمتنا فى هذه اللحظات الحاسمة التى خدعت فيها ولعبت بها الأهواء وحاول عدو الله من اليهود أن يعبث بواحد من مقدساتها، ما أحوجنا ونحن نسترشد بهديك أن نتداعى إلى وحدة قائمة لنحقق بها خيرية هذه الأمة التى دعوتنا إليها والتى حذرتنا ألا نكون متفرقين فى هذه الدنيا حتى لا نصبح قصعة تتداعى عليها أيدى الأعداء: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «لا بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن» فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[٤] انبذوا حب الدنيا، كونوا على يد واحدة وعلى قلب رجل واحد، فإذا صلحت الرعية صلح رعاتها، وإذا صلح الناس صلحت الأمة وكانت بحق خير أمة أخرجت للناس.

---

(٢) تنزيه الشريعة للكتانى ج٢ ص٣٤١.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٤/٤٦١.

(٤) سنن أبى داود، ج٤/٤٩٣.

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

(الصف: ٩)

محمد رسول الله ﷺ

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

> ● «من العار أن يُصغى أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وأن محمدا لم يكن على حق».
>
> ● «لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان، لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين، وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع؟».
>
> ● «ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا، وكان الأجدر بها ألا توجد».
>
> **توماس كارلايل**

فى مقال سابق، كان لنا لقاء مع بابا الفاتيكان -السيد بنديكيت السادس عشر- عندما خرج على العالم بتصريحاته الخرقاء عن الإسلام، ورسوله الكريم -ﷺ- وكنا قد ظننا بذلك أننا أغلقنا الباب بيننا وبينه، وأوصدناه حيث لا عودة؛ إذ لا حاجة بنا للحديث معه.. ولكن شاءت إرادة الله -عز وجل- أن نعود إلى قداسته؛ لأن الدماء لاتزال تغلى فى عروقنا، فالقضية كبيرة؛ لأنها قضية الإسلام ونبى الإسلام -ﷺ- اللذين ترخص دونهما الأرواح.

لقد افترى هذا الرجل العجيب على نبى الإسلام -ﷺ- مدعيا أنه لم يأت إلى العالم إلا بكل ما هو سيء وشرير، وأنه لم ينشر هذا الدين إلا بحد السيف، وقد تخفى هذا الرجل فى هذه التصريحات وراء سؤال توجه به أحد الحكام الصليبيين -لا يهمنا من هو- إلى أحد المسلمين المثقفين.

ونحن فى هذه الواقعة، لا نعترف بمقولة: «أن ناقل الكفر ليس بكافر»؛ لأن الرجل نقل هذا الكلام مبتورا دون أن يذكر رد الرجل المسلم والقصة معروفة، وكان القصد لدى بابا الفاتيكان التشهير بالإسلام، والإساءة لنبيه العظيم -ﷺ- وهو يجرى فى المضمار الذى يتسابق فيه أعداء الإسلام فى الإساءة إلى هذا الدين الحنيف فى السنوات الأخيرة. وبقصد التبرير للحملات الصليبية الظالمة التى تشنها أمريكا وبريطانيا على العالم الإسلامى، وتمهيدا للمراحل القادمة من هذا الصراع، والتى نتوقع أن تكون أشد وأعنف. فالقضية ليست سهلة، ولا يمكن أن تعالج فى مقال أو مقالين.. أو حتى عدة مقالات. وإنما يجب أن تُستنفر الأمةُ الإسلامية بكاملها للدفاع عن هذا الدين الحنيف..

والعجيب أن هذا البابا يعطى هذه التصريحات التى تخلو تماما من وازع الضمير ووازع الحياء، دون أن يقوم بدراسة الإسلام دراسة تكشف عن حقيقة وجهه المشرق، وكان من الميسور له ذلك لو أنه أراد، أو لو أن الله -تعالت حكمته- أراد له الهداية والرشاد. وصدق الله فى قوله:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

(القصص: ٥٦)

وفى قوله سبحانه:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(الصف: ٥)

وثيقة سكرتارية الفاتيكان

ولست أعنى بذلك أن ينظر إلى حقيقة هذا الدين من خلال أقوال المسلمين فقط، وإنما أعنى مع ذلك أن ينظر إليه من خلال أقوال وتحليلات المفكرين الغربيين المنصفين، بل ما هو مسجل فى الوثائق الرسمية للفاتيكان، الذى يتربع قداسته على عرشه، تلك الوثائق التى تعلن أسفها لما ألحقه نصارى الغرب بالإسلام من أذى بسبب فهمهم السقيم للإسلام وأحكامهم المتسرعة على هذا الدين مقتدية فى ذلك بوسائل الإعلام الصهيونية المتخفية وراء الصليبية الغربية، وهى تنسب إلى الإسلام كل ما هو برىء منه.

فلو أن السيد «بنديكيت» نظر إلى مواطىء قومه، قبل أن يعطى هذه التصريحات الرعناء، لرأى فى وثائق الفاتيكان نفسه، ما يدحض هذه الافتراءات، ويقضى عليها تماما، ولما وجد هناك سببا واحدا يدفعه إلى هذه التصريحات.

فهذه الوثيقة التى تسمى وثيقة سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين وعنوانها: «توجيهات لإقامة حوار بين المسلمين والمسيحيين».. تعارض الفكرة الشائعة عن الإسلام، والتى تصوره بأنه دين الخوف والإرهاب والدعوة إلى سفك الدماء، وفى ذات الوقت تؤكد على أنه دين الحب، حب الإنسان المتأصل فى الإيمان بالله، إنها تدحض -كما يقول د. موريس بوكاى، فى كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»-

الفكرة التى نشرها كثير من اليهود والمسيحيين عن تعصب الإسلام «إنها وثيقة شديدة الدلالة على المواقف الجديدة التى تُبنيت إزاء الإسلام». ففى الطبعة الثالثة -عام ١٩٧٠- من هذه الدراسة تطالب هذه التوجيهات بمراجعة مواقفنا إزاء الإسلام، وبنقد أحكامنا المسبقة وعلى أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية إخواننا المسيحيين. فذلك يهم قبل كل شئ.. ويجب التخلى عن الصورة البالية التى ورثنا الماضى إياها، أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة.. كما يجب الاعتراف بالمظالم التى ارتكبها الغربُ المسيحىُ فى حق المسلمين.

وتحت عنوان «أن نتحرر من أكثر أحكامنا المسبقة جسامة» وجّه أيضا مؤلفو هذه الوثيقة الدعوة التالية إلى المسيحيين قائلين: «هنا أيضا علينا أن نتطهر وبعمق من عقلياتنا، نقول ذلك، ونحن نفكر بالذات فى بعض الأحكام المجهزة التى كثيرا ما نصدرها باستخفاف على الإسلام، ويبدو لنا هامًا وأساسيا أن نكف عن أن ننمى فى مكنون قلوبنا النظرات المتسرعة بل التحكمية، تلك التى لا يتعرف فيها المسلم المخلص على نفسه..»[1].

تلك مقتطفات من الوثيقة الرسمية التى أصدرها الفاتيكان عن حقيقة الإسلام، وعن النظرة الظالمة والمتسرّعة، التى كان ينظر من خلالها الغرب إلى هذا الدين، وفيها إشارة ضمنية إلى الندم على الزمن الطويل الذى مر على النصارى، وهم لا يعرفون حقيقة الإسلام


موريس بوكاى

نتيجة لتلك الدعاية المغرضة، التى صنعتها الصهيونية العالمية، ورسمت من خلالها أمام المسيحيين صورة مشوهة عن الدين الإسلامى الحنيف، وكان على السيد «بنديكيت السادس عشر» أن يرجع إليها ليتحرى الحق فى كلامه، وهو رجل الدين المسيحى الأول فى العالم كله. وكان عليه -بدلا من أن يوقع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين- أن يكون رجل سلام ومحبة واستقرار بين الأمم؛ فعالم اليوم غير عالم الأمس، لقد أصبح قرية صغيرة برغم تباعد المسافات، وأى كلمة تقال هنا أو هناك بخاصة إذا كانت من رجل فى ثقل البابا وفى مركزه الرسمىّ، يكون لها تأثيرها الفعّال فى كل أرجاء المعمورة..

المد الدائم للإسلام

من المزاعم التى أطلقها السيد «بنديكيت» دون روية ودون تقدير العواقب، أن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف، يريد بذلك أن يؤكد على ما أطلقته الصهيونية العالمية والصليبية المتعصبة من أن المسلمين هم السبب الأول فى الاضطرابات الدموية والتفجيرات والاغتيالات السياسية التى يشهدها العالم فى السنوات الأخيرة، وأن الإرهاب صفة أصيلة فيهم منذ جاء الإسلام إلى الأرض، ولكن الواقع، أن هذا الرجل حائر كغيره من أعداء هذا الدين، فى تعليل سرعة انتشاره، وأنه لايزال يسرى بين الشعوب والأمم سريان الماء الرقراق فى الأرض الجدباء ليُحيلها إلى جنة وارفة الظلال، وذلك بالرغم من أن المسلمين فى هذه السنوات الأخيرة مُستهدفون من كل قوى البغى والعدوان.. الرجل كغيره من أعداء هذا الدين حائر فى أمره، فلم يفهمه، وقد أعمت الحيرةُ عيونهم وعقولهم عن التحليل الدقيق لهذه الظاهرة العجيبة، التى لم تتوفر للمسيحية فى أوج ازدهارها؛ فلم يكلفوا أنفسهم عناء النظرة المتفحصة والدقيقة فى طبيعته التى كانت وراء هذا الانتشار غير المسبوق. يقول العالم الجليل الشيخ عطية صقر -رحمه الله وأجزل له المثوبة- فى هذه القضية -قضية المدّ السريع للإسلام، وحيرة كثير من المحللين فى التعرف على أسبابها-:

«لقد حار المفسرون فى تعليل ظاهرة المدّ الدائم للإسلام، وراح كلٌ يفسر تفسيرا محدودا من وجهة نظره، فمنهم من يُرجع ذلك إلى العوامل الذاتية للإسلام فى عقيدته وشريعته، ومنهم من يرجعها إلى الظروف السياسية والاجتماعية للبلاد التى زحف الإسلام إليها، دون سلطة قاهرة، أو نفوذ قوىّ، ومنهم من يربط ذلك بظواهر أخص لا تصلح أن تكون سببا عاما فى هذه القوة الغالبة للدعوة، وفى موقفها الثابت أمام الزلازل التى لم تنل من سريانها النفّاذ السريع.

«ولكن السبب الحقيقى الجامع هو: أن الإسلام بطبيعته دين عالمى فى عقيدته وعبادته -لايزال الكلام للشيخ عطية صقر -رحمه الله- يجمع كل الأجناس تحت لوائه، وتعاليمه التى تُشعر الإنسان بوجوده الكريم، وتوفى بجميع مطالبه وحاجاته الروحية والمادية، ولا عجب فى ذلك، فهو دين الله الذى أحكم صنعه لهداية خلقه.


عطية صقر

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤٢)

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾

(البقرة: ١٣٨)

ويواصل فضيلة العالم الجليل -رحمه الله ورضى عنه- ردوده على من يزعم أن الإسلام انتشر بحد السيف، مثل «بنديكيت» وغيره من أعداء الإسلام قائلا:

«فى غمرة الحيرة فى تعليل انتشار الإسلام بسرعة لم تطاوع نفس الحاقدين على الإسلام أن يقولوا الحق، فعزوا السبب إلى الغزو الحربى واستعمال القهر والإكراه على اعتناق الدين، ومازال المحدّثون من الحانقين يرددون هذه الفرية لينالوا من عظمة الإسلام فى جوهره النقى الصافى، الذى أخذ ألباب الناس بمبادئه، فأعجبوا به أيما إعجاب واختاروه دينا لهم، تسكن إليه نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، وتحرر به عقولهم، ويستقيم سلوكهم».

«إن العقائد لا تغرس بالإكراه أبدا؛ لأن العقيدة انفعال النفس بقضية من القضايا،

(1) اقرأ كتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» للدكتور موريس بوكاى ص١٣٦، ١٣٧.

والنفس تأبى أن تهضم شيئا تمجه طبيعتها، قال -تعالى- حاكيا ما كان من نوح مع قومه:

﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾

(هود: ٢٨)

والإكراه على اعتناق الأفكار قضاء على الحرية التي مجدها الإسلام بما لا يوجد له مثيل في أى دين، ولا في أى تشريع سماوىّ أو أرضىّ، وهو طعن -أيضا- في كرامة الإنسان وأهليته للخلافة في الأرض»[٢]

كارلايل

زعم بابا الفاتيكان من خلال تصريحاته الشاذة والسيئة، أن محمدا -ﷺ- لم يأت إلى العالم إلا بكل ما هو سيء وشرير، وهو ما يعني بالضرورة أنه -عليه السلام- لم يأت بدين سماوىّ من عند الله، وأنه كاذب -وحاش لله من هذا وذاك- حيث إن العقول قد اتفقت على أن الأديان السماوية الحقة لم تأت للبشرية إلا بكل ما هو خير وفيه المصلحة..!! فتعالوا بنا نردّ على هذه الفرية، بما يدحضها مما جاء على لسان رجل من أكبر كتاب الإنجليز، وأوسعهم شهرة وهو «كارلايل»، ولا أعتقد أن مثل هذا الكاتب يغيب عن بال بابا الفاتيكان وغيره من مفكرى النصارى الغربيين. و«كارلايل» هذا هو الرجل المتحرر من الرياء، المتتبع للبطولة، الذى يكتب عنها ويمتدحها، ويحبب الناس في السّمو بأنفسهم إلى منازل الأبطال، أو على الأقل إلى التشبه بهم، وقد أثار كتابه «الأبطال» إعجابا في ميدان الفكر العالمى، وتُرجم إلى كل اللغات الحية.. وفى هذا الكتاب فصل مستفيض عن حياة الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- نقتطف منه ما يلى:


كارلايل

● «من العار أن يُصغي أى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وَهم القائلين: إن دين الإسلام كذب، وأن محمدا لم يكن على حق».

● «لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التى دعا إليها هذا النبى ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان، لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التى عاشت عليها هذه الملايين، وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع؟».

● «ولو أن الكذب والتضليل يروّجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سُخفا وعبثا، وكان الأجدر بها ألا توجد».

● «هل رأيتم رجلا كاذبا -ولايزال الكلام لـ(كارلايل)- يستطيع أن يخلق دينا، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟».

● «إن الرجل الكاذب، لا يستطيع أن يبنى بيتا من الطوب، لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذى يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذى يبنى بيتا دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس..!!».

(٢) الدين العالمى ومنهج الدعوة إليه من منشورات وزارة الأوقاف ص٨٤، ٨٥

● «وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدا رجلا كاذبا مُتصنّعا متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. وما الرسالة التى أداها إلا الصدقُ والحق».

● «وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول.. وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».[٣]

لورد هيدلى

وهناك نموذج آخر من نماذج الغرب المفكرين المنصفين، وهو هذه المرة «اللورد هيدلى» الذى أعلن إسلامه؛ مما أحدث ضجة كبرى، لما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير، وتروّ فى الأمور، وحينما أراد الحج مرّ بالإسكندرية، فأقام له أهلها حفلة استقبال تليق بمركزه الكبير، وكانت هذه الحفلة برياسة صاحب الفضيلة، الشيخ عبدالغنى محمود شيخ علماء الإسكندرية، ومما قاله «اللورد هيدلى» فى نبىّ الإسلام -ﷺ- الذى زعم «بابا الفاتيكان» أنه لم يأت إلى العالم إلا بكل ما هو سيء وشرير، يقول «هيدلى» فى هذا النبى المبارك:

● «نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم، ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقية، وزُنت واختُبرت فى كل خُطوة من خطا حياته، ولم يُر فيها أقلّ نقص أبدا».

«ومما أننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة؛ فحياة النبى القدس تسد تلك الحاجة».

● «حياة محمد -ولا يزال الكلام لهيدلى- كمرآة أمامنا تعكس علينا التعقل الراقى والسخاء والكرم، والشجاعة والإقدام، والصبر والحلم، والوداعة والعفو، وباقى الأخلاق الجوهرية، التى تكوّن الإنسانية. وترى ذلك فيها بألوان وضّاءة.. خذ أى وجه من وجوه الآداب وأنت تتأكد أنك تجده موضحا فى إحدى حوادث حياته».

● «ومحمد وصل إلى أعظم قوة، وأتى إليه مقاوموه ووجدوا منه شفقة لا تجارى، وكان ذلك سببا فى هدايتهم ونفائهم فى الحياة..!!»[٤]

هذا قليلٌ من كثير من النماذج الواضحة، التى تقف على طول التاريخ شاهد صدق على عظمة هذا الدين وعلى عظمة نبيه الكريم -ﷺ- ونحن على يقين تامّ أن بابا الفاتيكان، لو خلّص نفسه من كل هذه المظاهر الكاذبة التى تحيطه من كل جانب؛ حتى أعمته عن رؤية الحق والتعرف عليه. ولو زهد فيمن يرفعون من حوله لافتات الترحيب ويُقبّلون الأرض من تحت قدميه.. لو فعل هذا، وكان حقا يريد لنفسه الخير والصلاح وحُسن الخاتمة ودرس الدين الإسلامى الحنيف، دراسة مستفيضة لا يبغى من ورائها إلا الحق الخالص.. للحق بركب هؤلاء الأعلام الغربيين والشرقيين الذين أسلموا، ودخلوا هذا الحصن المنيع، ليكون من الدعاة إلى هذا الدين العظيم.. لعلّ الله -عز وجل- يغفر له زلاته الكثيرة، ويُقيله من عثراته القاتلة التى تردّى فيها. فالإسلام يجُبّ ما قبله.. هدانا الله وإياه إلى طريق الصواب.

(٣) اقرأ كتاب «أوروبا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود. الفصل الرابع «مفكرين ومنصفين من الغرب» ط مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٣م

(٤) المصدر السابق.

موشحة العدد

ذكرى المولد النبوي

للشاعر الوشاح: محمود رمزي نظيم

أهلاً بيوم مستفيض البِشْر ... كفرحة الجنة بعد الحشر
يوم مبارك ذكي النشر ... وليلة ضمت ليالي القدر

يوم به قد ولد المختار ... فعمت الرحمة والأنوار
واخضرت الربوع والقفار ... وساد في الخليقة استبشار

ومكة موطن هذا الفخر

محمد أنعم به من اسم ... حلاوة في نطقه والرسم
ما كل من أسمى كهذا يسمى ... مطهر في روحه والجسم

والمثل الأعلى لكل طهر

حضارة الدنيا له مدينه ... مدينة لساكن المدينه
وإننا حين ندين دينه ... تنزل في قلوبنا السكينه

مثل سفينة رست في البر

فدينه لأهله اطمئنان ... ودينه الرحمة والحنان
والصفح والرأفة والغفران ... والأمن والعزة والإيمان

وأن يعيش المرء حر الفكر

من قبله كانت عبادة الصنم ... يدنس الشرك برجسها الحرم
وكان ضيق وعذاب وألم ... ففرج الله به كرب الأمم

وجاءها باليسر بعد العسر

يأمر بالعدل والإحسان ... ينهى عن الفحشاء والكفران
يدعو إلى عبادة الديان ... وقلبه بالوحي والقرآن

أنواره تضيء كل قطر

فتفتحت مغالق الأبواب ... وظهرت معالم الصواب
وأقبل المبعوث بالكتاب ... من ربه يهدي أولي الألباب

بمحكمات من حكيم الذكر

وخذلت عبادة الأصنام ... والشرك وسواس من الأوهام
وملة التوحيد في اعتصام ... بقوة من خالق الأنام

تكتسح الشرك كموج البحر

من قبله قد كانت الجزيره ... ضالة لنفسها شريره
فبث فيها روحه الكبيره ... فنهضت عظيمة قديره

غازية محفوفة بالنصر

وظفرت بالروم بعد الفرس ... بقوة الدين وطهر النفس
فوق السروج أصبحت وتمسي ... فاتحة الحصون ذات البأس

من رامها عاد حليف القهر

عاشت فكانت أمة القلوب ... من مشرق الشمس إلى الغروب
قوية في السلم والحروب ... رحيمة مغفورة الذنوب

لربها قائمة بالأمر

وغير الأمي وجه الأرض ... وشاد بين طولها والعرض
منارة من سنة وفرض ... تبقى دوامًا والقرون تمضي

مسرعة في كرها والفر

معلم ولم يزل أميا ... ومرسل من ربه نبيا
لو شاء كان ملكًا قويا ... وكانت له الدنيا سويا

لكن عند الله حسن الأجر

محمد فرض علينا حبك ... قد ضمنا في الصالحات قلبك
لسوف يعطيك فترضى ربك ... شفاعة يفوز فيها شعبك

بالخلد في موقف يوم الحشر

***

﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾

[النساء: ٨٠]

طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله

١

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف

يحتفل المسلمون في شتى بقاع الأرض في هذا الشهر الكريم شهر ربيع الأول من كل عام بذكرى مولد أفضل خلق الله، وأشرف الأنبياء والرسل مُحمَّد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام...

هذا النبي الكريم ﷺ أرسله الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا.. فبمحمد ﷺ تبيَّن الكفر من الإيمان، والربح من الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال، والغيّ من الرشاد، والزيغ من الفساد، وأهل الجنة من أهل النار، والمتقون من الفجّار، وإيثار سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، من سبيل المغضوب عليهم والضالين.

وقد جرت عادة المسلمين ـ بعد قرونهم الأولى ـ أن يحتفلوا بذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ ... وكان لهم في الاحتفال بهذه الذكرى أساليب تختلف باختلاف البيئات والبلدان:

فمنهم من يحتفل بتهيئة طعام خاص لا يألفونه في مجرى حياتهم الغالبة، تتناوله الأسر في ليلة الثاني عشر من الشهر، فرحة مسرورة حول مائدة واحدة، وتلك ذكراهم لميلاد الرسول ﷺ ...

ومنهم من يحتفل بأصناف من الحلوى ذات أشكال وصور مختلفة، يصنعها الباعة لتلك المناسبة، ويضعونها منسقة منظمة أمام حوانيتهم التماسًا للرواج والربح، وتلك ذكراهم لميلاد الرسول ﷺ ...

ومنهم من يحتفل بالدعوة إلى اجتماعات تفتتح بتلاوة آي من القرآن الكريم، وكثيراً ما يتحرى القارئ الآيات التي تعرض ذكرى الرسول باسمه أو صفته... ولعلك تسمع في الليلة الواحدة أكثر من قارئ يقرأ قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾

(الأحزاب: ٤٠)

ثم تتلى قصة المولد النبوي الشريف، بما أودع فيها من الأوصاف الخلقية، والأوضاع التي كان عليها وقت ولادته ﷺ وتلك ذكراهم لميلاد الرسول ﷺ ...

وتعنى بعد هؤلاء وهؤلاء أقلام الكُتّاب، وألسنة المتحدثين بالمقالات والأحاديث، ينشرونها ويذيعونها على الناس، يذكرونهم فيها بعظمة محمد ﷺ وشمائله التي فُطِر عليها، وعُرِف بها في أهله وبين قومه في جميع مراحل حياته...

ما أجدر المسلمين أن يغيِّروا في نمط احتفالاتهم بذكرى ميلاد رسولهم ﷺ، وأن يعيدوا التفكير في أساليب وطرق احتفالاتهم بهذه الذكرى العطرة، فالنفوس أحوج ما تكون إلى معرفة ما جاء به وطاعته واتباعه، منها إلى الطعام والشراب... فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا، وذاك إذا فات حصل الخُسران في الدنيا والعذاب في الآخرة وبئس المصير...

عظمة النبي ﷺ

ما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يتعرفوا عظمة نبيهم محمد ﷺ، التي تجلَّت آثارها في أطوار حياته كلها... فلم تكن عظمة من جنس العظمات البشرية المألوفة... فهي ليست من عظمة الملوك الجبارين، الذين يستعذبون أنين الإنسانية، واستعباد الخلق وإذلالهم... وليست من عظمة القواد الطاغين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويسفكون الدماء، ولا يرون السعادة إلا في الفتك بالضعفاء، والتخريب والتدمير، وترويع الآمنين... وليست من عظمة الأغنياء الموسرين الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق، ويمنعون حق السائل والمحروم، ثم يسخِّرون عباد الله في تحقيق شهواتهم وتنفيذ ملذاتهم وأهوائهم بشيء من حطام الدنيا الزائل...

إنها عظمة رحمة وعطف، عظمة هداية وإرشاد، عظمة تثقيف وتهذيب، عظمة إصلاح وتعمير، عظمة سلم وأمان، عظمة عزةٍ وإباء، عظمة تهيِّئ للحياة الفاضلة عُدَّتها، وتُعبِّد سُبُلها، عظمة تساير الدهر، وتستقر في صفحة الخلود، ويستمد العالم منها غذاء حياته الروحية والاجتماعية، عظمة تتمثل في تلك التعاليم التي وحَّدت بين قلوب متنافرة، وربطت بين قبائل مبعثرة، واستلَّت منها الأحقاد والأضغان، وكوَّنت منها أمة مهيبة الجانب، عزيزة المنال، ذات شخصية ثابتة، ونظام محكم متين، استطاعت أن تَسُوس به شعوب الأرض، على دعائم قوية من العلم والمعرفة، والحكمة والعقل،

والمساواة في الحكم، والإذعان للحق حكامًا ومحكومين....

غثاء السيل!!

على المسلمين اليوم -وهم يعيشون أسوأ مرحلة في تاريخ أمتهم- بعد أن مزقتهم الأهواء، وشتت شملهم الأعداء، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا، وركنوا إلى الدنيا وزينتها، وغرقوا في ملذاتها وشهواتها، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، ووصلوا إلى حالة من الاستسلام والضعف، والاستكانة والخنوع، والمذلة والهوان، وتحقق فيهم قول الرسول ﷺ عن ثوبان -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ. قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما هو الوهن؟. قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

على المسلمين اليوم أن يدركوا -عن عقيدة وإيمان- أنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد إلا بالعودة إلى طاعة الله، واتباع سنة رسول الله ﷺ ...، فطاعة الله ورسوله هي باب الفلاح والنجاح، وهي عدة النصر والنجاة.

لقد خلق الله الخلق لعبادته، كما قال -تعالى-:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

(الذاريات: ٥٦: ٥٨)

وتعبدهم يكون بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وما سوى ذلك فضلال عن سبيله، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[2]. وقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة». وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره، أنه ﷺ كان يقول في خطبته: «خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

طاعة الرسول طاعة الله

وقد ذكر الله -تعالى- طاعة الرسول ﷺ واتباعه في نحو من أربعين موضعًا من القرآن الكريم، يقول الله -تعالى-:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

(النساء: ٨٠)

تبين الآية الكريمة أن طاعة رسول الله ﷺ إنما هي طاعة لله، أي: أن من يستجيب لما يدعوه إليه الرسول محمد ﷺ، ويطيع أوامره ويتجنب نواهيه، وينفذ تعاليمه فإنه بذلك يكون مطيعًا لله، لأن الرسول ﷺ مبلغ لأمر الله ونهيه، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى... ثم حددت الآية الكريمة مهمة الرسول:

١- سنن أبي داود ج٤ ص ٤٨٣، ٤٨٤.

٢- رواه البخاري ومسلم.

﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

(النساء: ٨٠)

أي: من أطاعك يا محمد فيما تقول وتبلغ عن ربك فقد أطاع الله، ومن أعرض عن طاعتك، ولم يستجب لما تقول، وعصى أمرك وخالف قولك، فإنه يكون آثمًا عاصيًا يتحمل وزر فعله، لأننا ما أرسلناك يا محمد على الناس حافظًا ورقيبًا لأعمالهم، وإنما أرسلناك مبلغًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا....

قال الألوسي -رحمه الله- وقوله تعالى:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

بيان لإحكام رسالته إثر بيان تحققها. وإنما كان الأمر كذلك لأن الآمر والناهي في الحقيقة هو الحق -سبحانه- والرسول إنما هو مبلغ للأمر والنهي، فليست الطاعة له بالذات، إنما هي لمن بلغ عنه... وفي بعض الآثار أن النبي ﷺ كان يقول: «من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله. فقال المنافقون: ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل؟. لقد قارف الشرك، وهو نهى أن يعبد غير الله، ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى -عليه السلام- فنزلت»[3].

ويقول الله -تعالى-:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

(المائدة: ٩٢)

ذكرت هذه الآية الكريمة بعد الآيتين السابقتين عليها اللتين نص فيهما على تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام..

والأمر بطاعة الله وطاعة الرسول في الآية الكريمة عام وشامل لجميع ما أمرا به ونهيا عنه... «واحذروا» أيها المؤمنون مخالفتهما وعدم طاعتهما، لأن مخالفة أوامرهما وترك طاعتهما تؤدي إلى الخسران المبين، وإلى العذاب المهين....

وأمر الله -تعالى- بطاعته وطاعة رسوله -مع أن طاعة رسوله ﷺ طاعة له -سبحانه- لتأكيد الدعوة إلى هذه الطاعة، ولتكريم الرسول ﷺ، حيث جعلت طاعته مجاورة ومقترنة بطاعة الله....

وختمت الآية الكريمة بتأكيد للتحذير السابق في الآيتين السابقتين، وللتنبيه إلى سوء عاقبة العاصين لأمر الله ورسوله ﷺ، أي: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول -أيها المؤمنون- واحذروا مخالفة أمرهما وإهمال طاعتهما، فإن توليتم وأعرضتم عن طاعتهما، فقد وقعتم في الخطيئة، وارتكبتم الإثم، وستحاسبون على ذلك حسابًا عسيرًا، وستعاقبون على ذلك عقابًا شديدًا، واعلموا أنه ليس على رسولنا محمد ﷺ سوى التبليغ الواضح البين عن الله -تعالى- أما الحساب والجزاء، والثواب والعقاب فمن الله وحده...

ويقول الله -تعالى-:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(الحشر: ٧)

٣- تفسير الألوسي جـ٥ ص ٩١.

بيّنت الآية السابقة على هذه الآية الكريمة حكم الفيء الذى حصل عليه المسلمون فى غزوة بنى النضير، وذكرت أن هذه الأموال هى حق لرسول الله ﷺ، ولا تُخمَّس كغنائم غزوة بدر، وأن على المسلمين أن يتركوا رسول الله ﷺ يتصرف فى أموال بنى النضير بالطريقة التى يريدها ويختارها بإلهام من الله ـ عز وجل ـ ويضعها حيث شاء.

أما ما أفاء الله ـ تعالى ـ على رسوله ﷺ من أموال القرى الأخرى كقُريظة وفَدَك وغيرهما، فحُكم تقسيمها يختلف عن فيء بنى النضير، فهى تقسم إلى خمسة أقسام حددتها الآية الكريمة.

لا يأمر بالخير ولا ينهى إلا عن الشر

ثم أمر الله ـ جل شأنه ـ المسلمين أن يمتثلوا أمر رسول الله ﷺ امتثالاً تاماً، وأن يطيعوه طاعة كاملة، فقال:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

أى: ما أمركم الرسول ﷺ بفعله فافعلوه ـ أيها المؤمنون ـ، وما نهاكم عن فعله فاجتنبوه...

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾

فى كل أحوالكم وتصرفاتكم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

لمن خالف أمره وعصى رسوله..

والأمر والنهى هنا وإن كان وارداً فى قسمة الفيء، إلا أنه أمر عام ونهى عام فى كل ما يأمر به الرسول أو ينهى عنه، والفيء داخل فى عمومه...

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

أى: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وينهى عن شر.. أخرج الشيخان عن ابن مسعود أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتفلجات للحسن، والمغيرات خلق الله ـ عز وجل ـ فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها: أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: بلغنى أنك قلت كذا وكذا، فقال: وما لى لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ، وهو فى كتاب الله. فقالت: لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته، فقال: إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، أما قرأت:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه. قالت: إنى لأظن أهلك يفعلونه!!.. قال: اذهبى فانظرى، فذهبت فلم تر من حاجتها شيئاً. فجاءت فقالت: ما رأيت شيئاً. قال: لو كان كذا لم نجامعها»[4].

❋❋❋

4- تفسير ابن كثير جـ4 ص ٣٣٦.

فى ذكرى معلم البشرية ﷺ

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم عفيفى

فى الحديث عن ذكرى الرسول المعلم صلوات الله وسلامه عليه نبدأ بتمهيد يسير، هو أن الإسلام يمتاز بالربط بين الدين والدنيا، فاجتماعهما لدى المؤمن هو الإسلام المرضى عنه، فالتزام الدين وحده منفصلاً عن الدنيا ليس من الإسلام، ومن المشهور (لا رهبانية فى الإسلام) والأحاديث النبوية الصحيحة فى هذا المجال كثيرة، حتى أن النبى ﷺ قال للثلاثة الذين عزم أحدهم على أن يصوم الدهر لا يفطر أبداً، والآخر على أن يصلى الليل مدى الحياة لا ينام الليل أبداً، والثالث على أن يعتزل النساء لا يتزوج أبداً فقال النبى فيما قال غاضباً: (من رغب عن سنتى فليس منى) كذلك التزام الدنيا منفصلة عن الدين هو أشد بعداً عن الإيمان المقبول، وفى كل تشريع الإسلام تجد الدين متلبساً بالدنيا غير منفصل عنها.

وعلى هذا المنهج كان هدى الرسول ﷺ وإرشاده. ففى كل توجيهه كان يرشد إلى حل المشاكل والتغلب على الصعاب، وإن كان ذلك يبدو فى صورة كأنها عفوية غير مقصودة.

المنهج النبوى

وعلى سبيل المثال فإن الجانب الاقتصادى هو الشاغل الأكبر لكل الشعوب والأمم، وأحب المسئولين والزعماء إلى الشعوب من يعمل على حل مشاكلهم الاقتصادية، كما أن أهم وسائل تنشيط الاقتصاد وتنمية الموارد فى أى مجتمع هو العمل والإنتاج، فالشعب الناجح اقتصاديا هو الذى ينكب أفراده على العمل فينتجون، والشعب الفاشل هو الكسول المنصرف عن العمل، ولذلك كان النبى ﷺ يحث دائماً على العمل، ويكره أن يبقى أى إنسان عاطلاً دون عمل. وأحاديثه فى ذلك كثيرة مشهورة، منها قوله: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده)[1] وقال: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً، فيعطيه أو يمنعه)[2].

وهكذا يوجه النبى الناس إلى العمل، لأن العمل يضمن لهم رزقهم وكرامتهم معاً، ومهما

(1) رواه البخارى.

(2) متفق عليه.

قل الرزق أو العائد من العمل فإنه أكرم من أن يعيش المرء عالة على أحد، سواء أعطاه هذا الأحد أو منعه، ففي كليهما مذلة وهوان، وإن تفاوتت درجة الهوان، حيث تكون الدرجة في المنع أشد، بل لعل المنع يحفزه إلى البحث عن عمل، وهذا النهج الذى يدعو إليه الرسول ﷺ هو منهج النفوس الكريمة التي تفضل الجوع والحرمان على الذل والهوان، كما يقول الشنفرى الأزدى الجاهلي:

أديم مطال الجـوع حـتى أميـتـه
وأضـرب عنه الذكر صـفـحًا فـأذهل
وأسـتف ترب الأرض كـيـلا يرى له
عليّ من الطول امـرؤ مـتـطول (٣)

صرنا أضحوكة العالم

فهو يقول إننى أفضل احتمال الجوع ومماطلتى إياه حتى أنساه، وإذا غلبنى الجوع فإنى ألجأ إلى استفاف تراب الأرض على أن يمن أحد عليّ بنعمة أو فضل يتطاول به على شخصى، فإذا وجد المرء وسيلة للعيش مهما صغرت فهى أكرم من الذل والحاجة للناس.

والشعوب التى تريد أن تنهض وتتقدم لابد أن تسلك هذا النهج بحيث يكون لكل فرد فيها عمل مهما يصغر حتى لا يكون عالة على الدولة أو على أحد، وعلى سبيل المثال الصين التى كانت إلى سنوات قريبة فى محيط الفقر والتخلف فإذا هى بالكفاح والعمل فى كل مجال صناعى أو زراعى تنافس كبرى الدول فى كل مجال، ولابد أن يحسب حسابها فى أى صراع دولى يمسها من قريب أو بعيد.

ولو أن جهودنا جميعا أفرادًا وجماعات وجمعيات خيرية ووزارات الشئون الاجتماعية جعلت نصب عينيها مثل هذا الهدف لبلغنا القمة منذ زمن بعيد، ولكننا جعلنا بأسنا بيننا ووجهنا كل سهامنا إلى صدورنا فصار حالنا كما هو الآن أضحوكة العالم، ومهزأة البشر، بعد أن كنا سادة العالم، ولم تبق لنا من مفخرة إلا لفظ (كنا) الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع، بينما نجد أصحاب النبى ومن وليهم حينما طبقوا توجيه النبى سادوا العالم.

عبدالرحمن بن عوف

ومن أمثلة ذلك أن النبى ﷺ حينما وصل هو وأصحابه المدينة، آخى بين المهاجرين والأنصار، أى جعل لكل مهاجر أخًا من الأنصار، وجعل سعد بن الربيع الأنصارى أخًا لعبدالرحمن بن عوف المهاجر، فقال سعد لأخيه المهاجر أريد أن أقسم كل ما لى بينى وبينك، فاختر أى الشطرين فهو لك، وإن لى امرأتين فاختر أيتهما فهى لك بعد أن أخالعها حين تحل لك، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك فى مالك وزوجيك، لا حاجة لى فى شىء، ولكن دلني على السوق، وذهب إلى السوق فكان يتاجر أولا فى الأشياء اليسيرة الشأن، وفتح الله عليه حتى أصبح (مليونيرا) وكان ينفق من ماله العريض إنفاقا هائلا، ومن أمثلة ذلك أنه كان من العشرة المبشرين بالجنة، ولكنه سمع أن أم المؤمنين عائشة تحدثت بأن النبي قال إن عبدالرحمن بن عوف سيدخل الجنة حبوًا، ففهم أن كثرة ما له هى التى أثقلته عن المشى، فقال لعائشة إن لى فى القافلة التى قدمت سبعمائة بعير محملة بالسلع، فأشهدك أنها جميعاً بكل ما عليها فى سبيل الله.

(٣) من لامية العرب، مكتبة الآداب بالقاهرة.

أبوبكر الصديق

ومن الأمثلة أن أبا بكر حين بويع بالخلافة، وكان بحكم هذا مطلق السلطة، لا يحكمه إلا كتاب الله وسنة رسوله، وكل بيت المال فى قبضته، أبى أن يأخذ من بيت المال حتى نفقته فكان يذهب إلى السوق يبيع ويشترى ليكسب قوت عياله، فقال له الناس: فكيف تباشر أمور المسلمين وأنت فى السوق؟ قال: ومن أين أطعم عيالى؟ ولم يترك التكسب حتى فرضوا له راتبا كشخص من أوساط الناس، وفى نحو هذا كان كل الذين تربوا فى مدرسة معلم البشرية صلوات الله عليه، فإذا تجاوز أحد هذه الحدود كان كل من حوله يلزمونه العودة إليها.

النهى عن المنكر

ومن أمثلة أهمية توجيه النبى وإرشاده، التوجيه إلى أهمية الأمن، فلا شىء يعدل أهمية الأمن فى أى مجتمع إلا حاجته إلى الطعام، والقرآن الكريم يقرر ذلك، فى سياق المن على قريش بأن الله أنعم عليها بهاتين النعمتين:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾
(قريش: ٤)

والأمن بمعناه العام أوسع بكثير من مجرد عدم الخوف من عدو، أو الخوف على النفس، أو نحو ذلك، بل يصل إلى كل مصدر قلق وعدم استقرار أو اطمئنان.

وإذا نظرنا إلى جانب واحد من جوانب توجيه النبى نجده يحقق للمجتمع الأمن، وذلك مثل جانب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مثل الحديث المشهور (من رأى منكم منكراً فليغيره، بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (٤) وإذا نظرنا إلى هذا الحديث من جانبه الاجتماعى هالنا ما يتضمنه من إصلاح المجتمع، ثم ما يحققه من الأمن النفسى لكل أفراد المجتمع، لأن المنكر يشمل كل أنواع الجرائم، وكل أنواع الشر، ولتقريب هذا المعنى وتبسيطه نفترض مثلاً أن المنطقة التى تقيم فيها بها لص، فإن شعورك بأن فى المنطقة أو الحى أو الشارع لصاً سيجعلك تخاف على سكنك أو سيارتك أو متاعك، ويظل هذا الخوف قائماً فى نفسك بصفة دائمة، وكذلك إذا كان فى الحى الذى تسكن فيه شخص منحرف، يتتبع النساء أو يتطلع دائماً إليهن فى النوافذ أو الشرفات أو الطريق فإن هذا يجعلك غير آمن على أختك أو زوجتك أو بنتك، وكذلك إذا كان هناك شاب يدمن المخدرات، فإنه سينشر هذا الشر بين الشباب فيجعلك غير آمن على أولادك أن يختلط بهم فيفسدهم، وهكذا كل أنواع المنكرات، فحين يوجهنا النبى المعلم إلى النهى عن المنكر فإنما ليصلح المجتمع من الشرور، فيحقق لنا الأمن على أنفسنا وأعراضنا وأموالنا، ومن الدقة فى تعبير الحديث الشريف أنه لا يأمر بمجرد النهى عن المنكر، فلم يقل من رأى منكم منكرا فلينه عنه، وإنما أمر بتغيير المنكر (فليغيره) بمعنى أن مسئولية المسلم فى النهى عن المنكر تظل قائمة حتى يزول المنكر، فيتغير من الشر إلى الخير، ويتحول المجتمع من الخوف إلى الأمن.

(٤) رواه مسلم.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]

فى دوحة النبوة:

بين الظواهر والجواهر

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

جاء فى «أسد الغابة»: «جليبيب» أنصارى.. له ذكر فى حديث «أبى برزة الأسلمى» حيث طلب رسول الله -ﷺ- زواج «جليبيب» من ابنة رجل من الأنصار وكان قصيراً دميماً... فكأن الأنصارى أبا الجارية وامرأته.. كرها ذلك.. فسمعت الجارية بما أراد رسول الله -ﷺ-، فتلت قول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ «الأحزاب ٣٦».

وقالت: رضيت وسلمت لما يرضى لى به رسول الله -ﷺ- فدعا لها رسول الله وقال: «اللهم صبَّ عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كداً.. فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالاً».

ثم.. إن رسول الله -ﷺ- كان فى غزوة له فلما فرغ من القتال قال:

«هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نفقد والله فلاناً وفلاناً. قال: «لكنى افقد جليبيا» فوجده عند سبعة.. قد قتلهم.. ثم قتلوه. فأتى النبى -ﷺ- فأخبر فقال: «قتل سبعة.. ثم قتلوه.. هذا منى.. وأنا منه» حتى قالها مرتين.. أو ثلاثاً.. ثم قال بذراعيه.. فبسطهما.. فوضع على ذراعى النبى -ﷺ- حتى حفر له. فما كان له سرير إلا ذراعى النبى -ﷺ- حتى دفن»[1]

(١) مسند الإمام أحمد ج٤.

المسافة بين الظواهر والجواهر بعيدة.. بعيدة.. ولا تستطيع بالعين المجردة أن تنفذ من الظاهر إلى ما فى القلب من جواهر.. ولابد من البصيرة التى لا تخدعها القشرة الظاهرة والتى لا تكتفى بها.. وإنما تغوص فى الأعماق.. لتستخرج منها اللؤلؤ والمرجان.. مما يحفل به قلب الإنسان ومن هنا كان الاقتصار فى الحكم.. على ما يبدو من ظاهر الإنسان ظلما مبينا.. ظلما للحق.. وللإنسان نفسه.

وكم من معان جميلة تمر علينا.. فلا نستوقفها.. ولا نتذوقها.. لأنها تمر علينا فى ثياب بالية.. فلا تستلفت أنظارنا والبطولة الحقيقية قد تكون منا على مرمى حجر.. بل بين أيدينا.. ولكننا لا نكتشفها، لأنها فى كيان رجل مغمور مثل «جليبيب» -رضى الله عنه-.

وإذا كانوا فى الغرب يعمدون إلى «ممثلة» داعرة.. فينظمون باسمها نشيداً، ويجعلون من يوم ميلادها عيداً، بل ويعرضون عليها مئات الملايين لتسمح بلصق صورتها على طائرة!! إذا كانوا يفعلون ذلك.. فما أحرانا أن نحتفظ للبطولة بحقها.. فى البحث عنها.. ثم استثمارها لحساب الحق.

مقياس الزعامة

إذا كان من زعماء الدنيا من هو مشغول بمجده الشخصى.. بالسطو على حق الآخرين فى الكرامة التى ينهبها إلى حسابه ظلماً وعدواناً.. ولو بقى الآخرون عرايا.

إذا كان من الزعماء من هم كذلك.. فقد كان رسولنا -ﷺ- طرازاً آخر: يعيش مع الضعفاء.. يعيش معهم لا بمشاعر الإشفاق عليهم فقط.. وإنما بمشاعر التقدير التى تفجر فى قلوبهم معانى البطولة والوفاء.

قال -ﷺ-: «ابغونى فى ضعفائكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[2]

وهكذا.. لا ينعزل الزعيم مع الصفوة هناك.. فى غرفة العمليات.. وإنما هو مع البسطاء الذين يذكرونه بالله -تعالى-.. والذين تعمر قلوبهم بالخامة التى تطلب الزعيم الحق.. ليكتشفها.. ثم يطلقها تسرى فى مرافق الأمة عملاً وابتكاراً.. وانتصاراً.

فطرة الإنسان وفطرة الكون

ولقد كان -ﷺ- متجاوباً مع فطرة الكون، لقد كان «جليبيب» هكذا.. بلا أب معروف.. ولا أم.. ولا عشيرة.. رجل معتوه.. يتسلى به صبيان المدينة.. ثم هو فى نفس الوقت ملهاة لقريباته من نساء الأنصار.. وكان مع ذلك دميم الوجه.. قصير القامة!

ولكن الزعيم الحق.. يترك الناس يقفون عند القشرة الظاهرة.. محجوبين عن رؤية اللآلئ فى الأعماق.. ثم يخرج عليهم بتقدير «جليبيب» والتنبؤ بمستقبله.. ومنسجماً فى ذات اللحظة مع ما فطر الله -تعالى- عليه الكون من رعاية للضعيف.. ليحيا وليخرج من الضعف قوة تقلب حسابات الواقفين لدى عتبة الدار!!

(٢) سنن النسائى ج٦ ص٤٦.

يقول ابن القيم:

اللطف مع الضعف أكثر

فتعاطف ما أمكنك

لما كانت الدجاجة لا تحنو على الولد.. أخرج كاسياً

ولما كانت النملة ضعيفة البصر.. أعينت بقوة الشم.. فهي تجد ريح الطعوم من البعد.

حق الحياة لمن يسعدون الحياة

وإذ يستشعر - ﷺ - ما في قلب «جليبيب» من عناصر الخير.. فإنه يستشعر في نفس اللحظة حقه في أن يعيش.. رب أسرة مكرماً.. من أجل ذلك يدخل طرفاً في قضية زواجه، فقد رغب أبواها عنه.. وهو منعطف خطير وضع البنت في مأزق تناوشها فيه عوامل من برها لهما.. ثم ما يفرضه الإسلام من اتباعها رسول الله - ﷺ - .. ولكنها لم تتردد طويلاً.. وآثرت أمر رسول الله، وإذا كان أخوها الشاب المؤمن على جبهة القتال ينطلق إلى ملاقاة الأعداء قائلاً: «لا تخفر ذمة رسول الله وأنا حي..»

فكذلك هي تقول: «لا أرد رغبة رسول الله.. مادام في عرق ينبض.. وأنفاس تتردد».

زوجة المستقبل

وتبدو الفتاة هنا مثلاً أعلى لكل راغب في بناء عش الزوجية المأمول.. إنها لم تكتف بحفظ القرآن.. ولكنها تفهمه.. بل وتحسن الاستشهاد بالآية في مجالها.. ويبدو إيمانها بالله ورسوله من القوة بحيث وضعها وجها لوجه أمام أبيها وأمها.

ثم اتخذت قرارها الحاسم، فأطاعت رسول الله - ﷺ - بل رضيت نفساً بما اختار لها.. بل كانت واثقة بالنتائج العظيمة من وراء أمر رسول الله - ﷺ - ..

فكانت جديرة بهذه الدعوة المباركة من رسول الله - ﷺ - أن يكون الخير نهراً جارياً بين يديها.. وأن يحميها تعالى من منغصات العيش.. كفاء ما قدمت من تنفيذ أمره - ﷺ - بينما «الزوج المنتظر» لا يبشر مظهره بشيء من متعة ترجوها كل فتاة في مقتبل عمرها.

الفتاة في مواجهة المجتمع

علَّمت الفتاة مجتمعها درساً لا ينساه، لقد نسي المجتمع أن «جليبيباً» شاب في قلبه بذرة التوحيد.. وإذا بدا للناس معرى من الأوراق في فصل الخريف.. فإن ذلك لا يمنع من أن يظل محتفظاً بعناصر الخصوبة والنماء.. وسوف تنبت على فروعه أوراق.. وأزهار.. وثمار.. وإذا كان مغموراً مقهوراً مدفوعاً بالأبواب.. فإن ذلك لا يخفي حقيقة صلاحيته ليكون قيادياً متى وجد العقل الذكي يكتشفه.. والمجال الحيوي الذي يبرز مواهبه.. وكأني بها تهتف بما قرره المربون القائلون: أطيب الشجر ما كان:

أ- وافر الثمر.

ب- دائم الأكل.

جـ- ممتد الظل.

د- لا يحتاج إلى جهد في رعايته.

غياب المقياس الحساس

ولقد غاب هذا الميزان الحساس من حياتنا في تقدير الأشخاص.. وخاصة في مجال اختيار الرجل المناسب للبنت وهي ضعيفة التكوين.. وأولى بالرعاية من أخيها القادر على تدبير شئونه بنجاح.. ثم صار الأمر على ما يقول بعض المربين هنا: «مجدنا الأشخاص بذواتهم.. فصاروا هم المثل الأعلى..» والمفروض أن نعجب بهم كممثلين للمثل الأعلى.

لقد قدس الأولون العدل.. في الرجل العادل.. ولم يقدسوا العادل بذاته..

وقدسوا البطولة في البطل.. لكنهم لم يقدسوا نفس البطل، فبقي البطل في حجمه الطبيعي عرضة للنقد إذا انحرف.. بقدر ما ظل في المجتمع الذي يقدس البطل نفسه فوق النقد والمساءلة.. ومن آثار ذلك أن الفرد في مثل هذا المجتمع.. ينظر إلى الأمور والناس نظرة جزئية: فيسقط تاريخاً حسناً لرجل..؛ لأنه أخطأ مرة واحدة!

وبالعكس: يسقط تاريخاً حافلاً بصور الشر.. من أجل صواب واحد!

صدق نبوة الرسول

وصدقت نبوته - ﷺ -.. وهو المؤيد بالوحي الأعلى، وها هو ذا الإيمان يعلن عن نفسه في شخص جليبيب الذي كان بالأمس مسلاة.. وملهاة! ها هو ذا ينقض كالصقر على صفوف المشركين فيقتل منهم سبعة!! وإذا كان قد قتل.. فإنه يعلم الأمة كيف يضحي المسلم بروحه.. لتبقى الأمة عزيزة الجانب مرهوبة القوة.. ما دامت باذلة أموالها وأنفسها.

ثمرة الإيمان

سيبقى «جليبيب» الذي فاجأ الأمة بحقيقته.. سيبقى عنوان الإيمان وما يمكن أن يفعله في الواقع.. مؤكداً غفلة الأمة الإسلامية على مدار التاريخ عن مواهب كثيرة تغيب.. ولا يحاول أحد اكتشافها.. وهو يطالبها الآن أن تفهم دور الإيمان بالله - تعالى- في العودة بالأمة إلى سالف مجدها.. لتعتصم به في معترك المذاهب.. وليكون أساس التربية.. وطوق النجاة.. حتى لا تتسول نظرية التربية.. ونحن بالإيمان أغنياء.

العجز عن طبيعة الإيمان

يقول المرحوم الدكتور سعاد جلال:

«يجب أن نلاحظ دائماً أن الإيمان مركب من عنصرين: هما اللذان يكسبانه أهميته الذاتية المتعاظمة.

- أحدهما: القدرة على الإيمان. فليس كل أحد قادراً على الإيمان.
- وثانيهما: تعلق الإيمان بمثل رائع.. أو حقيقية كبيرة ضخمة كالإيمان بالله تعالى:

إن خاصية الإيمان الصادق هي تجافي المؤمن بنفسه عن النظر لمواطن الرغبة والرهبة فلا يغريه المطموع فيه ولا يزعجه المحذور منه، وإن الإيمان الصادق هو أساس تربية الأمم. إذا تعلمت الأمة أن تؤمن.. وحصلت لها هذه الفضيلة النفسية الرائعة.. استطاعت بفضيلة القدرة على الإيمان أن تصل إلى كل شيء.

إن بعض الأمم مصابة بالعجز عن طبيعة الإيمان.. فهي مفتتة الرأي مبعثرة الإرادة.. مخربة من الأعماق، مسلوبة بهذا التخريب

من الحصول على أداة الإيمان.. الإيمان من حيث هو إيمان، فهي لا تملك أن تؤمن بشيء.. بأي مثل.. بأي عقيدة.. بأي حقيقة.. فكل الأمور عندها تشبه أن تكون متساوية في الإهمال وعدم الاكتراث.

إن هذه الأمة لا يرجى لها حياة.. ولا يؤمل لها صلاح. ليست مشكلة تربية الأمة على الحقيقة هو ما تؤمن به من حق أو باطل. وإنما مشكلتها الرهيبة هي فقدانها القدرة على الإيمان بشيء ما، وهذا ما أصيبت به الأمة الإسلامية في عصورها المتأخرة. فكان أكبر أسباب تخلخل ركائز وجودها. وأفعل أسبابها انهزاماً.

صناعة الإيمان وصناعة الترف

إذا كان المؤمن يعيش للناس أملاً.. فإن الكافر يعيش بهم فساداً.. ولقد كان «جليبيب» واحداً من الذين منحهم الحق تعالى القدرة على الإيمان.. بهذه العسكرية الأبية.. فحقق أمل الأمة في النصر المبين.. ولم يسقط مدرجاً بدمائه حتى قتل من صناديدهم سبعة رجال.

وكانت نهايته شهادة صدق على قدرة الإسلام على صنع الرجال، ثم على ما يفعله الترف بالأمة من استرخاء الإرادة وخور العزيمة.. لنظل دائماً مسلحين بهذه العسكرية الأبية.. مباهين بها أمماً تحاول اليوم أن تطمس معالم القوة في الإسلام.. بينما هم من الترف في الموقع الأدنى.. وأين الفارغون من طاقة الإيمان، إزاء جيش صاغه الله تعالى من مثل جليبيب؟!

لقد استغرق الترف هناك كل قوى الإنسان العامة الواعية واستنزفها في الشهوات، فلم يبق في النفس موضع لتقبل الحق ولا فهم الخير ولا إدراك الحسن في الاستقامة على الصراط المستقيم.. ولا مقدار الإحساس بقبح الكبرياء والشر والإفساد.. عند هؤلاء المترفين.

القائد يتفقد جنوده

لا يمكن لأمة أن تنهض.. إلا بحسن الإدارة.. وحسن اختيار الأعوان واكتشاف المواهب الغائبة.. أو المغيبة.. وهكذا يعلمنا ذلك المشهد الآسر لقد كان - ﷺ - المثل الأعلى في هذا الباب.. فقد اختار رجاله.. وها هو ذا يسأل عنهم بعد المعركة.

وبينما راح رجاله يبحثون عن الأسماء اللامعة.. وكان هو مشغولاً بالجندي المجهول.. الذي لم يعرفوا سره.. ولم يسبروا غوره.. حتى إذا حمي الوطيس.. أظهر في الشدة.. قدره، يوم أن أطلع في الظلمات.. بدره! ثم انسرب كالطيف.. أو كالطيف.. هناك إلى جنة طابت ظلالاً.. وأنساماً وأصداء ونداء.. مخلفاً من ورائه عملاً يدل بنفسه على عظمة صاحبه وإن لم يعرفه أحد.. وإن لم يزين صدره وسام.. وكأنما يقول للأجيال: سيروا على نفس الطريق.. والنصر معكم.. وإن تأخر قليلاً.. وإن زها الباطل بعدده وعدده فالعبرة بالخواتيم.

- في القادسية: هُزمت الفيلة الضخمة أمام البعير..
- وفي اليرموك: هزم القوس والنبل.. السيوف البواتر..

لأن راكب البعير.. وحامل القوس.. كان

ينطلق من قلب مؤمن.. وإرادة من صنع الإيمان.. وأين منه صاحب الفيل.. الذي لا يحمل في صدره قلباً.. ثم هو حريص على الحياة.. فهزمه من كان حريصاً على الموت!

عندما يفرح القائد العظيم

ولقد سعد ﷺ ببطولة «جليبيب».. وهكذا يكون القلب الكبير

إنه ليفرح بالأداء المتميز لجنوده.. ويفسح لهم الطريق ليصلوا إلى ما يستحقون من علو وسمو. ولئن كان يسعده أن أمره الله تعالى بأن يبدأ قوماً بالسلام.. وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام»[٢]، إذاً سعد بذلك.. فكم تكون سعادته «بجليبيب» الذي دوخ الله به الطغاة.. وأذل بسيفه الشرك.

فلنفهم الدرس

إننا مدعوون إلى البحث عن المواهب المطمورة في زحمة الناس.. فما أكثر أمثال «جليبيب» فينا.. فلننح القشرة البادية.. فقد تكون وراء الأكمة أسود.. لقد كان «جليبيب» قصير القامة لكنه أطال رقبة المسلمين.

وكان دميم الخلقة.. لكنه جمل وجه تاريخنا بإكليل النصر.. وكان نكرة.. فصار بانتمائه إلى دوحة النبوة.. من الخالدين..

ولقد انعكس من هذا الشرف قبس على زوجته الوفية.. فعاشت من بعده.. غنية.. أبية.. وهي من ذكراه في قرار مكين.

وبعد

فقد كان كل شيء حول «جليبيب» يحطم العبقرية.. ويقتل النبوغ.. ويحجب بريق البطولة فلا تبين.. ولكنه مع ذلك شق الطريق.. ونفض عنه غبار التجاهل.. وفرض احترامه على مجتمع أسقطه من حسابه.. حين جعل منه سلاة وملهاة.

ولئن سكت التاريخ فلم يفسح له في صفحاته مكاناً بارزاً.. فإن أمتنا جعلت من قلوبها مكاناً علياً.. يقتعده.. ولئن لم تستمتع به زوجته كما استمتعت زميلات لها بأزواجهن.. فيكفيها شرفاً أنها أطاعت رسول الله ﷺ متحية رغائب نفسها كأنثى.

ويكفي أنها صارت.. زوجة البطل! وإلى الأبد.



(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج٢، ص٦٦.

خطبة الجمعة :

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾

في مدرسة النبوة

شكر الأمين

للأستاذ الدكتور أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله -عز وجل- شرع الثواب كما وضع العقاب:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)

أشهد أن لا إله إلا الله، يحب الصنع الجميل يثيب عليه العطاء الجزيل:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (الرحمن: ٦٠)

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة صان الحق، وكان خير الشاكرين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، وصحبه ورجاله، والمهتدين بأعماله وأقواله:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨-١١)

يا أتباع محمد -عليه الصلاة والسلام- في الحديث النبوي الشريف: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل»[1] وفيه -أيضاً-: «ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا الله حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[2]

ونحن في عالم يتضاءل فيه جانب الخير أمام طغيان الشر؛ ولذلك كان من الواجب أن نتواصى بتقدير العاملين وشكر المحسنين وإثابة المجيدين، لنزداد من حوافز الإتقان والإحسان، بل نحن في عالم يحسن فيه أن نشكر الذي يتوقى العيب ويتجنب الخطأ ولو لم يحسن؛ لأن الأمر كما قال القائل:

إنا لفي زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس إحسان وإفضال

ضعف الأمين وقوة الخائن

والسائر في طريق الخير والبر يكون في العادة كالغريب المخذول، فهو بحاجة إلى تقوية وتأييد، بخلاف المنحرف المسرف فإنه على باطله جرئ، ومن حوله مشجعات ومحرضات، والرسول يقول: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[3]. وقديماً كان عمر يناجي ربه فيقول: «اللهم إني أشكو إليك ضعف الأمين وقوة الخائن». فكيف لو أدرك عمر عصوراً أقبلت بعد عصوره وفيها كثير من المفاسد والمآثم؟. إذن لأدرك أن الناس على عهده كانوا ورقا بلا شوك، ثم صاروا وكأنهم شوك بلا ورق..

لقد وجد شخص حقيبة ضائعة وفيها مال كثير، فحفظها برغم حاجته، وردها إلى صاحبها سليمة كاملة، ولكن صاحب المال أبى أن ينفذ القانون القاضي بإعطاء من وجد الحقيبة ما يساوي عشرة في المئة من هذه النقود، وبلغ الموضوع ساحة القضاء، فحكمت المحكمة بدفع النسبة، مع التنويه بأمانة من وجد الحقيبة وسلمها دون مساس بها، ولاشك أن المقصود من قانون المكافأة هنا هو تقدير الأمانة وتشجيع الأفراد عليها، وما دام القصد نبيلاً جميلا فمن واجب الأفراد أن يعاونوا على تطبيقه، بل من واجبهم أن يسارعوا باختيارهم وطواعية نفوسهم لتحقيق هذا القصد النبيل الجميل، دون رهبة من قانون أو إرغام من قضاء؛ ولذلك كنا نتوقع أن يسارع صاحب الحقيبة باختياره ورضاه، فيعطي للذي رد إليه حقيبته الفعمة بالمال المغرى حقه القانوني فيه، بل كنا نفضل أن يزيد في إكرامه تقديراً لأمانته، إذ لو سول له الشيطان شيئاً آخر غير الأمانة لما رجعت الحقيبة إلى صاحبها، ولطال منه التوجع والأنين على ما فقد من مال ثمين، وما أندر الأشخاص الأمناء الذين يتقون الله ويخافون حسابه بين جموع الخونة الذين لا يقيمون وزناً للدين أو للضمير!..

(١) مسند الإمام أحمد ج٢ ص ٢٥٨

(٢) سنن أبي داود ج٢ ص ٣١٠ رقم ١٦٧٢ جزء من حديث طويل

(٣) مسند أحمد ص ٢٦٠ - ٢٠٨/٢ ج٣/١٥٣

من أحكام اللقطة

وقد يكون من الخير أن نعرف في هذه المناسبة حكم الشريعة في اللقطة، وهي الشيء الضائع الذي يعثر عليه غير صاحبه، فقد ذكر الفقهاء أن التقاط الشيء الضائع لرده إلى صاحبه أفضل من تركه، وإن خاف ضياعه وجب عليه أخذه، ويكون أمانة عنده، يعلن عنها ويعرفها حتى يجد صاحبها، أو يغلب على ظنه أن صاحبها لا يطلبها بعد ذلك، وقد جاء في الحديث: «من آوى ضالة فهو ضال ما لم يعرفها»(٤) أي من التقط ولم يعرفها فقد ضل عن الهدى، وفي بعض الآثار ما يقيد المبالغة في هذا التعريف، فعن أبي بن كعب قال: «وجدت مئة دينار على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألته عنها، فقال: عرفها حولا» أي سنة، وتعريفها أن يخبر عنها في المجامع بوسائل الإخبار المجدية، فإن لم يأت صاحبها تصدق بها، ويجوز له أن ينتفع بها، وبخاصة إذا كان فقيراً... وفي الفقه الإسلامي ما قد يستفاد منه في تسويغ القانون القاضي بمكافأة من عثر على شيء ذي قيمة ورده إلى صاحبه، فقد قال الفقهاء: إن من رد عبداً هاربا على صاحبه استحق أربعين درهما في مقابل هذا الرد كما جاء أن عمراً قضى في جعل الآبق أربعون درهماً»(٥).

وأجاز الفقهاء إذا كانت اللقطة تافهة - كالنوى وقشور الرمان وقطعة الحبل - أن ينتفع بها ملتقطها من غير تعريف، فعن جابر بن عبدالله قال: «رخص لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العصا والسوط والحبل وأشباهه يلتقطه الرجل ينتفع به»(٦) وإذا التقط مثل التمرة أكلها أو تصدق بها، ولقد قابل عمر رجلا يحمل بين يديه تمرة وينادي عليها: «يا من ضاعت له تمرة؟».. فأغلظ عمر لقاءه قائلا له: «كلها يا صاحب الورع البارد»!!.

إنها لفرصة يجب انتهازها للتذكير بالأمانة، والدعوة إليها، والحض عليها، والتكريم للذين يتحلون بها، فإن الأمانة عماد الأمان والاطمئنان في المجتمع الكبير والمجتمع الصغير، وبدون الأمانة تضيع الحقوق، وتنتهك الحرمات، وترتكب الفظائع، وتتوقع المناكر والكبائر.

ومن لطائف الإشارات أن الأمان والأمانة والإيمان تجمعها مادة لغوية واحدة، وبينها من وشائج القربى في المعنى وروابط الرحم في المفهوم ما يجعلها كفروع ثلاثة لشجرة واحدة تباركها يد الإسلام، فإذا تحقق الإيمان جاءت معه الأمانة، وإذا كانت الأمانة انتشر الأمان، والأمان - أو الأمن -: هو طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمانة: ما يؤتمن عليه الإنسان ليحفظه ويصونه في أمن وأمان، والإيمان: هو إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيقه بالقلب وإقراره باللسان والعمل بمقتضى ذلك بالجوارح.

---

(٤) صحيح مسلم ج٣ ص ١٣٥١ رقم ١٢/١٧٢٥ كتاب اللقطة باب في لقطة الحاج.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ج٤.

(٦) سنن أبي داود ج٢ ص١٣٩ رقم ١٧١٧

الأمانة عماد الإيمان

والأمانة من سموها وعلوها كانت صفة الأنبياء؛ ولذلك اشترط في صفة النبي - أيا كان - أن يكون أمينا، ومحمد -صلوات الله عليه- كان يلقب في قومه قبل الرسالة بالأمين، وموسى -صلوات الله عليه- وصفته ابنة شعيب بالأمانة:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

(القصص: ٢٦)

بل جعل الإسلام هذه الأمانة عماد الإيمان، فقال الرسول: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»(٦) ومن الإسلام أن يودع كل منا أخاه بقوله: «استودع الله دينك وأماناتك وخواتيم عملك»(٧)؛ لأن أمانة الإنسان إذا كانت وديعة في يد الله صارت في حرز حريز وحصن منيع وقد كان الرسول -صلوات الله عليه- يستعيذ بربه من ا لخيانة وهي نقيض الأمانة، فكان يدعو ربه قائلاً: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»(٨)

والطمع هو أعدى أعداء الأمانة وأقوى أنصار الخيانة وهم يقولون: الطمع يضيع ما جمع. والرسول يعرض بالطمع أشد التعريض حيث يقول: «لو كان لابن آدم واد من الذهب لتمنى معه الثاني، ولو كان معه الثاني لتمنى معه الثالث، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»(٩)

ويقول الرسول - فيما روى الشيخان والترمذي -: «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر»!...

وما أكثر الذين طمعوا وجمعوا وضنوا على غيرهم بحقوقهم، ثم فجعتهم الأقدار في الضخم الكثير خلال طرفة عين أو أقل...

يا أتباع محمد - صلى الله عليه وسلام -.

إننا نحيي باسم الإسلام أولئك الذين يخافون ربهم ويخشون حسابه، ويستجيبون لصوت ضمائرهم وداعي أماناتهم، فلا يستحلون حراماً، ولا يأكلون سحتاً، بل يتمسكون بأسباب الأمانة والوفاء.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم..

---

(٦) مسند الإمام أحمد ج٣ ص ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١

(٧) مسند الإمام أحمد ج٢ ص٧، ٢٥، ٣٨، ١٣٦، ٣٥٨

(٨) سنن النسائي ج ص ٢٦٣

(٩) الرواية الصحيحة في الصحيح بلفظ «عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا - ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب». صحيح مسلم ج٢ ص٧٢٥ رقم ١١٦/١٠٤٨ كتاب الزكاة - باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا.

شمائله ﷺ

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

من الصفات البارزة والسمات الخلقية التى اشتهر بها فى قومه ﷺ -حتى قبل بعثته- وأصبحت علماً عليه (الأمين)، فإذا قيل: أقبل (الأمين)، كان المعنى: محمداً ﷺ، وإذا سئل من (الأمين)؟ كان الجواب: محمداً ﷺ، وإذا سئل عن (الأمين) كان الجواب: محمداً ﷺ.

(ويوم التوتر والاختلاف الذى وصل إلى حد سل السيوف -عند وضع الحجر الأسود- وأوشك القتال أن يحتدم، وهلت طلعته البهية من باب الحرم، واشرأبت الأعناق إلى المنقذ المنتظر فكان (الأمين) محمداً ﷺ).

وقصدى اليوم قبل كل شىء وبعده:

● أولاً: أن تعيش لحظات فى رحاب الشمائل المحمدية، صافية النبع، طيبة الثمار، أو قل تعيش مع منبع المسك، نُصلح ما أفسدته الشهوات فينا، ونقوِّم ما دمرته الأهواء فى الفطرة السوية.. يارب.. يارب.. يارب.

● ثانياً: قصدت ألاَّ ألجَ باب اللجاج، هل نحتفل؟ أو لا نحتفل؟ وما حكم الاحتفال بالمولد النبوى؟

فقد سقطنا جميعاً -مؤيدين ومعارضين، كارهين أو راغبين- وجنى الأعداء من سقوطنا وشقاقنا أكثر مما كانوا يستطيعون أو يطمحون، وتخلفنا كثيراً بسبب انشغالنا بحوار الطرشان -كما يقولون- وعانينا بسبب التخلف كثيراً، وكانت النتيجة الحتمية الموجعة: أن العلمانيين هللوا كثيراً إلى حد الطرب، ونسبوا التخلف الذى تعانيه الأمة الإسلامية إلى الإسلام! وكأن المتخاصمين استمرءوا الخلاف وتلذذوا به!

وأنا أرى أن التخلف الذى تعانيه وتعيش فيه، عقوبة مستحقة على المسلمين لتخليهم عن الدين القويم، لا لتمسكهم به كما يزعم العلمانيون أو الحداثيون.

وأنا اليوم أحاول أن أتخلص -والمسلمون معى بإذن الله- من العناد الشاذ، والشذوذ المعاند، ونعيش لحظات فى ظل النموذج النبوى، والكمال الخَلْقى والخُلُقى معاً، تَفَيُّئاً ظلال الرحمة المهداة مع النبى (الأمين) ﷺ.

فأنا أود أن أقص عليك بعض شمائله

ﷺ حتى كأنك تُعايشه، ولا أنا -ولا غيرى- نزعم أننا قادرون أن نحصيها، لسبب هام هو:

● أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كان جُلّ همهم معرفة الشرع والأحكام، وكل ما حكوه عن شمائله كان مما ظهر ولاح ولفت أنظارهم مما لم يألفوه من عادة معاصريهم.

ولهذا فسوف أحكى لكم بعض شمائله حتى كأنك تعايشه وتشتاق إليه ويسكن حبه قلبك، ولئن فاتك لقاؤه فى الدنيا فسينفعك حبك له فتفوز بصحبته -إن شاء الله- فى الجنة، والمرء مع من أحب، كما بشر الحبيب ﷺ.

وما أحسن قول القائل:

أخلاىَّ إنْ شط الحبيب وربْعُهُ
وعزَّ تلاقيه وناءت منازله
وفاتكم أن تبصروه بعينكم
فما فاتكم بالعين هذى شمائله

ودعنى أنقل لك -ما تسمح به المساحة- بعضاً من صفاته خَلْقاً وخُلُقاً، وهدفى من ذلك أن تتعلق بجنابه المنيف العالى، وتعشق هذا المثال الفريد لتعمل وتقتدى وتحب.

عن مالك بن أنس -صاحب المذهب المعروف- عن ربيعة بن عبدالرحمن عن أنس بن مالك -خادم النبى ﷺ- وهو يصف بعض خَلْقته الظاهرة يقول: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط.

قال صاحبى -فى لهفة متهللاً متعجلاً-: أرجوك وضح لى هذه الكلمات، حيث إننى مازلت من يوم (الكاريكاتيرات) المشينة المسيئة لرسول الله ﷺ أحس بالتقصير فى حقه لعدم معرفته كما ينبغى لجنابه العظيم، فهو سيد الخلق وأفضل الرسل وإننى فى حاجة إلى معرفة كل أحواله خَلْقاً وخُلُقاً حتى أزداد له حباً وبه تعلقاً.

قلت على الفور مقاطعاً: طبعاً ليس هذا الذى أرجوه منك، ولا هو قصدى مما أكتب اليوم!!!

قال -فى استعجال ملحوظ ولهفة غاضبة-: كيف؟ هل ترضيك الإساءة التى حدثت لنبينا ﷺ؟

قلت متسائلاً -فى روية وتعقل-: هل تتصور أن ما حدث يرضى عنه عاقل؟ إن الإساءة والسخرية بأى إنسان، عمل مشين يأباه العقلاء، فضلاً عن مسلم يؤمن بالله ورسله!!!

ثم واصلت كلامى قائلاً: إن الذى لا أريده منك ولا من كل مسلم أن يكون دافعك إلى معرفة رسولك ﷺ وسيرته خَلْقاً وخُلُقاً هو رد فعل لما حدث، فذلك عيب فينا جميعاً فى حياتنا كلها وعلاقاتنا مع الآخرين أننا نتصرف برد الفعل أكثر مما نتصرف بالفعل!!! حتى فى الحب والرضا وليس فى الغضب فقط، وهكذا أفهم قوله ﷺ «ليس الواصل بالمكافئ»(1) يعنى لا

(1) صحيح البخارى.

يُعَدُّ واصلاً رَحِمَهُ مَنْ يصل الذى يصله فقط، إنما ينبغى أن يكون الباعث على الود والصلة هو امتثال أمر الله -تعالى- وأمر رسوله ﷺ بصلة الأرحام والإحساس بالناس.

فدائماً ما يكون رد الفعل -حباً أو كرهاً- مندفعاً غاضباً، غير متوازن أو معقول.

وما هكذا ينبغى أن تكون صلتنا برسول الله ﷺ اندفاعاً أهوج ورد فعل غير متريث ولا محسوب، إنما يجب أن تكون حباً واعياً، ينتج سلوكاً مستقيماً واتباعاً رشيداً، وفعلاً منتجاً لحب يتخلل حنايا الضلوع، ولولا هذا الحب العميق الواعي الرشيد، ما وصلت إلينا هذه الأوصاف الدقيقة الشريفة له ﷺ، فأنت إذا طالعت كتب الحديث والسيرة رأيت أصحابه المحبين حوله يتابعونه فى دقة وشوق، يصفون ابتسامته ومشيته والتفاته وانحناءه، وركوبه راحلته وترجله، وكل هذا نتاج فعل واعٍ متبصر، وتعلُّق ولَهان أسير الشمائل المحمدية ذات الإشعاع المؤثر الذى يجذب القلوب والعقول، وأعتقد أن بعض هذا الحب والوله والانجذاب اليقظ الفطن هو الذى جعل سيدنا أنس بن مالك -رضى الله عنه- يعتصر من الألم بعد أن واروا جُثمان رسول الله ﷺ التراب ويقول: «ما إن وارينا رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا» يعنى -والله أعلم- أن نوراً كان يملأ قلوب أصحابه من عشرته ومعايشته- وأحسب أن تأثر قلوبهم بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وعدم مجالسته ومخالطته ﷺ أصبح استقبالهم له أقل بحكم أنهم أحياء، ومثل ذلك كان يحدث معهم فى حياته ﷺ عند مفارقتهم مجلسه، كما ورد فى حديث حنظلة قال: تكون عندك فتذكر لنا الجنة والنار، فكأنا رأى عين، فإذا عافسنا الأولاد والضيعات نسينا كثيراً، فلم ينكر عليهم ذلك، وإنما قال ﷺ: «لو تدومون على ما أنتم عليه عندى والذكر، لصافحتكم الملائكة فى الطرقات، ولدخلت عليكم فرشكم»[٢].

ونحن بمدارسة شمائله ﷺ وتعلمها وكثرة الصلاة والسلام على جنابه العظيم لاشك -بإذن الله- واجدون هذا النور أو بعضه، وكلٌّ على قدر حاله وهمته!!!!!

وذات الوله الرشيد والانجذاب اليقظ هو الذى جعل أصحابه ﷺ يتحوطون عبدالله بن عمر فى شوق ولهفة قائلين: صف لنا كيف كان حج رسول الله ﷺ؟ وما ذاك إلا أنهم عرفوا شدة متابعته وتتبعه لرسول الله ﷺ فأخذ يصف لهم أين نزل وكيف؟ ومتى سار وترجل؟ وهكذا وهكذا، وأحسب أنهم كانوا مشدوهين لم يفارقهم شغفهم لما يسمعون وكأنهم يطربون لما يشاهدون -حتى جاء فى مكان فدار بناقته وهم يسألون فقال: والله ما أدرى ولكنى رأيت رسول الله يفعله!!!

بخ بخ يا ابن عمر.

ثم أعدت قولى لصاحبى: إن هذا الانجذاب الواعى اليقظ والحب الرشيد المستقيم، هو الذى أخذ بمجامع أنظار الخليفتين الأول والثانى -أبى بكر وعمر- رضى الله تعالى عنهما- فجعلهما يلاحظان رسول الله ﷺ كأنهما يصوران كل حركة منه، حتى تبسمه، ثم يعقدان مقارنة سريعة فاحصة بين المواقف المتشابهة، فيكون هذا الحوار المعطر بالملاحظة والمحبة، فبعد الوقوف بعرفات توجه ﷺ إلى المزدلفة، يروى عباس بن مرداس -رضى الله عنه- فيقول: إن رسول الله ﷺ دعا لأمته فأجيب (إنى قد غفرت لهم ما خلا الظالم، فإني آخذ للمظلوم)، فقال رسول الله ﷺ «أى رب إن شئت أعطيته الجنة وغفرت للظالم»فلم يُجَب عشية عرفة، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد فأُجيب إلى ما سأل، قال عباس بن مرداس: فضحك رسول الله ﷺ، أو قال: تبسم، فقال له أبوبكر وعمر رضى الله تعالى عنهما: بأبى أنت وأمى إن هذه الساعة ما كنت تضحك فيها، فما الذى أضحكك، أضحك الله سنك؟ قال: «إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائى وغفر لأمتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور، يقول رسول الله ﷺ «فأضحكنى ما رأيت من جزعه»[٣].

قال صاحبى فى سرور واضح ورجاء مهذب:

لم تشرح كلمات أنس بن مالك فى وصف رسول الله ﷺ، فهلاّ أسعدتنى ببيانها؟؟

قلت لك ذلك فى اللقاء القادم إن شاء الله تعالى.

تنويه

وقع خطأ مطبعى فى عدد شهر صفر ١٤٢٨ فى مقال «من عثرات اللغة» حيث تحركت علامات التشكيل بعيدا عن مكانها فى الشاهد الوارد صفحة ٢٤٦ وصحة العبارة:

● (نَعَق) الراعي بغنمه ـُ نَعْقاً ونعيقا ونُعاقا: صاح بها وزجرها. و - فى الفتنة: جَلَّبَ، فهو ناعق، وهى ناعقة ويقال: فلان ناعقة بنى فلان (ج) نواعق (النُّعَاق): الكثير النعيق). والبخس الأكبر للمادة جاء عن طريق حذف شاهدها من التنزيل العزيز أعنى قوله تعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ (البقرة-١٧١)

بكسر العين، يليه البخس المعيب لهذا المعجم، وهو عدم الإشارة مطلقا إلى كسر المضارع الذى عادة ما يكون من أبسط ما يكون فى صناعة هذا المعجم، أعنى وضع كسرة تحت الخط المثل للمضارع هكذا (ـِ)

(٢) صحيح مسلم، وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد بألفاظ متقاربة.

(٣) انظر الترغيب والترهيب ج٣ ص٦١٠، قال: رواه ابن ماجه والبيهقي.

الحياء من خلقه ﷺ

للأستاذ / عادل خفاجة

إذا أردنا أن نعرف فضل النبى محمد ﷺ على سائر البشر كان علينا أن نلجأ إلى المقارنة الكاشفة التى توضح لنا ذلك الفضل، ولكن بمن نقارنه ﷺ؟ فأما مقارنته بإخوانه الأنبياء فنحن مأمورون بألا نفرق بين أحد منهم؛ لقوله تعالى:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

البقرة/٢٨٥

وأما مقارنته ﷺ بعامة الناس فليس من الإنصاف مقارنة السماء بالأرض. فلم يبق إلا مقارنته ﷺ بالصفوة من العلماء والعباقرة والمصلحين.

وهنا تظهر المعجزة الخالدة، فإن النبى محمد ﷺ إذا ما قورن بأكرم الناس فاقه كرمًا!

وإذا أخذنا الشجاعة ميدانا للمقارنة كان له القدح المعلى!

أما فى الرحمة فصدق من قال عنه:

فإذا رحمت فأنت أمٌّ أو أبٌ
هذان فى الدنيا هما الرحماء

والمعجزة ليست فى أنه يفوق أكرم الناس أو أرحمهم، ولكن المعجزة تتجلى فى أنه جمع كل صفات الخير وفاق فيها كل من وصل قمتها.

ونجد هذا المعنى المشرق فيما كتبه الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى حيث يقول:

«استعرض أولاً كبار الفلاسفة والمشترعين عند اليونانيين الأقدمين، واختر من انتهت إليهما الحكمة والزعامة منهم: أفلاطون وأرسطو. فأنا لا أريد أن أذكر لك سقوط فلسفتيهما، وأنهما أصبحتا من قبيل الأمور الأثرية فى تاريخ العقلية الإنسانية، ولكنى أريد أن أذكرك بأن هذين العبقريين كانا يقرران فى شريعتهما أن العمال والصناع والموالى يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية، لا تحطاط ما يمارسونه من الأعمال اليدوية. فقارن بين هذا الأصل المبنى على قاعدة بعيدة القرار فى

الإجحاف، وبين الديمقراطية الإسلامية التى جعلت التمايز بالمزايا لا بالمال ولا بطبيعة الأعمال، وساوت بين الكافة فى الحقوق بصرف النظر عن الألوان والأجناس واللغات، حتى ارتفع تحت ظلها إلى منصات الزعامة العبيد السود وأصحاب المهن من كل صنف، ومن كانوا لايملكون بيت ليلة: «لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى». (1) وهات من العباقرة القريبين منا ديكارت، فلا أود أن أحدثك عما صادفته فلسفته من النقد، وما أصابها من السقوط، ولكنى أذكر لك من مقرراته أنه كان يعد الحيوان آلة محضة، مقودا بالفطرة الطبيعية، وأنه مجرد من كل تعقل وإدراك. قابل هذا بما ورد فى الإسلام عن الحيوان. قال الله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾

«الأنعام/٣٨»

وفى الحديث الشريف: «عاتبوا الخيل فإنها تعتب»(2) فأين الحكم بأنها آلات لاتعقل من الحكم بأنها أمم أمثال الإنسانية، وأن لها عقلا تعقل به العتاب وتتجنب بسببه ما أوجبه؟»(3)

وقد قدم فضيلة الأستاذ الأكبر الإمام محمد مصطفى المراغى هذا المعنى أكثر إشراقا حيث قال:

«منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرّف ما فى الكون المحيط به من سنن وخصائص، وكلما أمعن فى المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذى قبل، وظهر له ضعفه وتضاءل غروره، ونبى الإسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود. فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحى العظمة الانسانية فيه، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته فى عقله وخلقه وعلمه. ولو أنهم استطاعوا الوصول إلى شىء من المعرفة، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة، وأمامهم جهاد طويل، وبعد شاسع، وطريق لانهاية له.

والنبوة هبة الله لاتنال بالكسب؛ لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها، والقادر على حملها.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾

«الأنعام/١٢٤»

ومحمد ﷺ أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه: أحمره وأسوده، إنسه وجنه؛ وأعد لأن يحمل أكمل رسالة وأكمل دين؛ ولأن يختم به الأنبياء والرسل؛ وليكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء، وتنكدر النجوم، وتبدل الأرض غير الأرض والسموات». (4)

ونحن أمام هذا البيان الساطع نقف عند قول الإمام البوصيرى:

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ
وأنه خيرُ خلق الله كلهمِ

ولكى نقترب من أنواره ـ ﷺ ـ فسبيلنا أن نقتدى بهديه، ونتأسى بخُلُقه ما وسعنا الاقتداء

(1) مسند الإمام أحمد ج٥ / ص٤١١.
(2) مسند الشاميين ج٢ ص١٥.
(3) الأستاذ محمد فريد وجدى ـ ذكرى المولد النبوى مجلة الأزهر/المجلد السادس/ ص١٩١ : ص١٩٢.
(4) الإمام محمد مصطفى المراغى: المرجع السابق ص١٣٦ : ١٣٨.

ويقدر طاقتنا في التأسي.

ومن هذه الصفات أنه ﷺ كان : «أشد حياء من العذراء في خدرها»[٥]

فما المقصود من الحياء؟!

الحياء لغة : الحشمة ، يقولون : استحيا منك واستحياك واستحى منك واستحاك . ورجلٌ حَيِيٌّ : ذو حياء ، والأنثى بالهاء.

قال أبو الحسن الأخفش : استحى بياء واحدة لغة تميم ، وبياءين لغة أهل الحجاز وهي الأصل.[٦]

قال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح وهو من خصائص الإنسان وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان وجعل في الإنسان ليرتدع عما تنزع إليه الشهوة من القبائح فلا يكون كالبهيمة[٧]

وقال الباجي : الحياء يختص بأهل الإسلام والمراد بالحياء ـ والله أعلم ـ الحياء فيما شرع فيه الحياء ، وأما ما يؤدى إلى ترك التعلم فليس بمشروع»[٨]

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال :

● «الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان»[٩]

ولكي ندرك معنى الحياء ، لايجب أن نتوقف عند المعنى القريب في هذا الحديث ، والذي قد يتراءى للبعض أنه شيء هين إذا تعامل مع الحديث بلغة الحساب ، فيكون الحياء جزءاً واحداً من مجموع يزيد عن الستين جزءاً ، ويزيد عن السبعين في رواية أخرى ؛ لذلك كان من الواجب علينا أن نتوقف لنتأمل حديثاً آخر للرسول الكريم ﷺ الذي يقول فيه :

● «إن مما أدركَ الناسُ من كلام النبوة الأولى :

إذا لم تستح فاصنع ماشئت»[١٠]

قال ابن عبدالبر[١١] لفظه أمر ومعناه الخبر بأن من لم يكن له حياء يحجزه عن محارم الله فسواء عليه فعلُ الصغائر وارتكاب الكبائر ، وفيه معنى التحذير والوعيد على قلة الحياء ومن هذا الحديث أخذ القائل :

إذا لم تخش عاقبة الليالي

ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خيرٌ

ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقوله (الأولى) أي التي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

فالحياء لم يزل أمره ثابتا واستعماله واجبا منذ زمان النبوة الأولى وما من نبي إلا وقد حث عليه وندب إليه[١٢]

ولعل مايوضح أهمية الحياء ويزيد المعنى وضوحا ويبعد أي لبس ، أن نعرض حديثا آخر للنبي ﷺ حيث قال:

● «الحياء والإيمان في قرن فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر»[١٣] .

يقول صاحب فيض القدير شارحا لهذا الحديث :

(الحياء والإيمان في قرن) أي مجموعهما في حبل أو قرن والقرن ضفيرة الشعر والجمع قرون يعني هما كشيء واحد (فإذا سُلب أحدُهما تبعه الآخر) لأن من نزع منه الحياء ركب كل فاحشة واقترف كل قبيح ولا يحجزه عن ذلك دين ، إذا لم تستح فاصنع ما شئت والمراد الحياء الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر وهو محمود وأما ما يقع سببا لترك أمر شرعي فهو مذموم.[١٤]

● ويقول ﷺ في حديث آخر : «الحياء هو الدين كله» فعن ابن إياس قال : كنا عند النبي ﷺ فذكر عنده الحياء فقالوا : الحياء من الدين فقال : «بل هو الدين كله»[١٥]

ونخلص مما سبق أن الحياء الذي هو خلق الرسول الكريم والذي يجب أن نهتدي به هو الحياء من الله وهو أن لايراك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك ، وكماله إنما ينشأ من المعرفة ودوام المراقبة.

وقلة الحياء سبيل لموت القلوب ـ هكذا يرى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول : من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه .[١٦]

وعن ابن قيم الجوزيه نلتقط هذا التعريف النفيس للحياء ، ولكنه حياء المرء من نفسه ، يقول :

«وأما حياء المرء من نفسه : فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحيا من نفسه حتى كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء فإن العبد إذا استحيى من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر».[١٧]

هذا هو حياء المسلمين : حياءٌ من الآخرين ، وحياءٌ من النفس ، وحياءٌ ـ قبل كل شيء ـ من الله .

حياءٌ يمنع المسلم أن يقول أو يفعل ما يستقبحه الآخرون !! وحياء من الله فلا يضيع فريضةً ولايرتكب خطيئةً.

من هذا المعنى للحياء وفي هذا المضمار يتنافس المتنافسون ويتفاوت المسلمون في مرتبة حيائهم ، ويجيئ رسولهم الكريم في المقدمة ، كما يأتي دائما في مقدمة كل خصال الخير !!

لقد غفر الله ـ سبحانه وتعالى ـ له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع ذلك كان ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه ، ولما سئل عن ذلك قال : «أفلا أكون عبداً شكوراً».[١٨]

نقول : وهل يكون الشكر إلا ممن كساه الله ثوب الحياء؟!

هذا هو محمد ﷺ الذي نحتفي بذكرى مولده .. وإن كانت كل كلمات المديح والثناء تضاءل بعد قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم / ٤)

---

(٥) صحيح البخاري ٦٠٧٥١ ، ٦٧٦٧ .

(٦) راجع الصحاح ـ مادة حيا.

(٧) فيض القدير ج٣ ص٤٢٨

(٨) راجع موطأ مالك ـ رواية محمد بن الحسن ج٣

(٩) صحيح البخاري.

(١٠) صحيح البخاري ج٣ ـ ج٥ ، سنن أبي داود ج٣.

(١١) تنوير الحوالك للسيوطي جـ١ ص١٣٢ .

(١٢) فيض القدير ج٣ ص٤٠ .

(١٣) المعجم الأوسط ج٨ ص ١٢٤ .

(١٤) فيض القدير ج٣ / ٤٢٦ .

(١٥) المرجع السابق ج٣/ص٤٢٨ .

(١٦) مسند الشهاب جـ١ ص٢٢٧ .

(١٧) مدارج السالكين ـ لابن قيم الجوزية جـ٢ ص٢٦٣ دار الكتاب العربي بيروت.

(١٨) صحيح البخاري ج٥ وسنن النسائي ج٣ ص ٢١٩ .

خواطر تربوية حول الخطاب الدينى

للأستاذ/
محمد مصطفى البسيونى

عندما كنت أحاضر طلاب بعض كليات التربية فى «طرق التدريس» كنت حريصا على إبراز ثلاثة مجالات ينبغى أن يعمل المعلم من خلالها فى إيصال المعلومات إلى المتلقين وهى تبرز فى الإجابة عن ثلاثة أسئلة هى:

ـ ماذا أدرس؟ أى ما هو الموضوع الذى أنوى تدريسه؟

ـ لماذا أدرس؟ أى ما هى الأهداف التى أحاول تحقيقها من تدريس هذا الموضوع؟

ـ كيف أدرس؟ أى ما هى أفضل الطرق التى يمكن اتباعها لتحقيق هذه الأهداف؟

وذلك مع ضرورة أن يراعى المعلم إثراء حصيلته العلمية التى يجب أن تفوق بكثير عناصر المادة المطروحة لأن «فاقد الشىء لا يعطيه» فالذى يريد أن يبنى دارا مساحتها مائة متر مربع مثلا يفضل أن تكون مساحة الأرض المعدة للبناء أرحب قليلا أو كثيرا من ذلك حتى يضمن عدم اهتزاز المبنى فيما بعد كما يقول خبراء البناء.

وكذلك ينبغى مراعاة المعلم لما يعرف «بالفروق الفردية» بين طلابه الذين تتفاوت قدراتهم العقلية وتختلف استعداداتهم الوجدانية، وظروفهم الاجتماعية وبنياتهم الجسدية، مما يدعو المعلم إلى اليقظة الدائمة والحركة الفكرية الدائبة وهو يستخرج من جمع كيانه عناصر الدرس لتتغلغل فى عمق كيانات طلابه حتى يصل الدرس إليهم هنيئا مريئا، هنيئا أى شيقا مرغوبا فيه، مريئا أى يسرى فى شخصياتهم غذاء نافعا سرعان ما يتحول بعد ذلك إلى سلوك عملى فى الحياة. ومن هنا كان إعداد الدرس أشبه ما يكون بإعداد الطعام الجيد الذى يفتح الشهية، ويغذى الجسم ويمد المرء بالطاقة والنشاط.

والمعلم إبان ذلك وطوال الوقت يقوم نفسه قبل أن يقوم تلاميذه ليدرك ما إذا كان قد نجح فى نقل ما يريد إليهم أم أنه فى حاجة إلى بعض التعديل فى طريقة العرض وأسلوب الأداء، ويمكنه أن يصل إلى إدراك ذلك من خلال متابعة طلابه بالنقاش المتصل والتقويم المتواصل ليقف على مستوى استجاباتهم للموضوع، وبالتالى على مدى توفيقه هو فى تحقيق ما رسم من أهداف.

وليس من شك فى أن الطرائق المعينة فى الإيضاح، وهى ما يسمى اليوم «بتقنيات التدريس»، وكانت تسمى فيما مضى «بوسائل الإيضاح» أو «الوسائل المعينة» ليس شك فى أن هذه «التقنيات» لها دورها الفعال، وأثرها البناء فى تيسير وتدعيم (المادة العلمية) لدى الأستاذ والطالب جميعا نظريا وعمليا، ومن أبرز هذه التقنيات مراجع الدرس، والأمثلة التوضيحية، واللغة المبينة الشارحة التى يصطنعها الأستاذ دون تقعر غامض أو استخفاف كريه.

طافت بى هذه الخواطر التربوية وأنا أطالع بعض ما يقال عن (الخطاب الدينى) الذى برز الحديث عنه منذ أن أثار بعض متطرفى الغرب قضية «صراع الأديان»، وهى القضية التى تناولها العقلاء هنا وهناك تحت عنوان «حوار الأديان» (١) ثم رأى البعض أنه لكى يؤتى «حوار الأديان» هذا ثماره فإنه ينبغى أن يكون هناك ما يعرف «بتجديد الخطاب الدينى».

تجديد أم إحياء

وقد ذكرتنى عبارة «تجديد الخطاب الدينى» بحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى -رحمه الله- عندما أطلق على كتابه الشهير الجهير عنوان «إحياء علوم الدين» ولم يقل «تجديد علوم الدين» لأن علوم الدين ليست فى حاجة إلى «تجديد» لأنها لا يعتورها القدم، ولا يعتريها الخلق، وإنما هى دائما زاهرة باهرة أمام الأنفس الطاهرة والعقول المؤمنة والقلوب المطمئنة، وعندما يقول الغزالى كلمة «إحياء» فلا يقصد بهذا أن علوم الدين قد فقدت الحياة وعندئذ لابد من إحيائها، ولكنه ـ كما نفهم ـ يعنى أنها حية بذاتها وبقدرة بارئها، إلا أن المسلمين الذين قد يغفلون عنها أحيانا هم الذين فى حاجة إلى إحياء فى الهمة والجد عندما يعودون إلى هذه العلوم فيستأنفون الإلمام بها والعمل من خلالها لتظل عقولهم ومشاعرهم ومعاملاتهم نابضة بالحياة والحركة من خلال هذه العلوم، أى الانتقال من كمون الاستعداد إلى فاعلية العمل أو من القوة إلى الفعل كما يقول بعض المفكرين القدامى والمحدثين.

القرآن والسنة هما الأساس

وهكذا كان يمكن أن نستبدل (إحياء الخطاب الدينى) بـ(تجديد الخطاب الدينى) الذى هو الفكر المنطلق دائما عبر العصور

(١) وكان الأولى أن تسمى (حوار الرسالات) لأن الدين واحد من لدن إله واحد أنزله سبحانه كرسالات متعددة تتمحور حول عقيدة واحدة تخاطب الإنسان حسب ظروف الزمان والمكان إلى أن تبلورت فى الرسالة الخاتمة فى وحدة تهيب بالجميع
«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا........» (سورة آل عمران الآية ١٠٣)
ذلكم الدين القيم الحنيف.

والدهور بل جديد دون حاجة إلى تجديد، وحسبه أنه يحمل فى مسيرته مشعل القرآن الحكيم الذى هو كتاب كل زمان ومكان إذا أحسن المكلفون به ـ وكلنا مكلفون به ـ القول والعمل أو النظر والتطبيق، وحسب هذا الخطاب الدينى كذلك أنه يرفع راية السنة المطهرة التى تغنى الآخذين بها ـ وكلنا مطالبون بالأخذ بها ـ عن متاهات التفكير والتبرير. وكم وُفق الشاعر أحمد شوقى حول هذا الموضوع عندما قال ـ عن أحوال المسلمين ـ فى بدايات القرن الماضى:

بأيمانهم نوران: ذكر وسنة

فما بالهم فى حالك الظلمات!؟

مستلهما فى هذا معنى الحديث النبوى الشريف: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»(٢)

إذن فالفكر الدينى ـ بداهة ـ ينبغى أن يستند إلى أصلين أساسيين:

أولهما: هو ما نزل به الروح الأمين من لدن رب العالمين.

وثانيهما: ما تحدث به النبى ﷺ مفصلا الإجمال وموضحا ما قصر عن إدراكه العقل البشرى ومواكبا الحوادث والأحداث والحاجات وذلك بوحى من الحق سبحانه الذى قال فيه.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم: ٣، ٤)

مجالات التجديد

ومن هنا كان على المتصدى للخطاب الدينى ألا يجدده إلا فى أسلوب العرض، وطريقة البيان بما يتفق مع حاجة الإنسان المعاصر(٣) وما يحيط به من أساليب حديثة فى الاتصال بل فى كل مجال.

نموذج «شعراوى» للخطاب الدينى

ويحضرنى فى هذا السياق ما سمعته ذات ليلة من ليالى عام ١٩٧٧ إلى نموذج رائع للخطاب الدينى من الأستاذ الداعية الشيخ محمد متولى الشعراوى -رحمه الله- وكان ذلك فى دار الشبان المسلمين بالفيوم، وحيث كان موضوع خطابه الدينى «واجب الداعية المعاصر» وتأمل معى ماقال: ذكر -رحمه الله- أنه إبان توليه وزارة الأوقاف كان فى زيارة إلى «بلجيكا» للتعرف والتواصل مع الجالية المصرية هناك حيث التقى بأحد زواره من البلجيكيين غير المسلمين وقد قدم إليه على أنه من العلماء العالميين فى طب الأمراض الجلدية.

يقول الشيخ: «وتطرق بيننا الحديث عن الأمراض الجلدية إلى مرض «الجذام»(٤) فلما سألته ـ والكلام للشيخ ـ عن الاسم العلمى لهذا المرض قال إن اسمه (Lion Face)(٥) أى (وجه الأسد) فلما استفسرت منه عن سبب هذه التسمية أجاب بأنه غدا- إن شاء الله- سيصحبنى إلى المختبر الخاص به لأسمع وأرى.

وفى الغد اصطحب العالم الطبيب شيخنا الشعراوى إلى (معمله) ووضع أمامه مجهرا كبيرا، وطلب منه أن انظر فإذا به يرى «رأس أسد» تتحرك وتدور ويكاد شكلها يزأر ولو لم تمسه حياة، يقول الشيخ -رحمه الله- إنه عند ذلك أخذ يلهج بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ القائل: «فر من المجذوم كفرارك من الأسد»(٦) وتساءل الشيخ: لماذا لم يقل محمد ﷺ فر من المجذوم فرارك من الضبع مثلا وهو أكثر شراسة، أو من النمر وهو أشد وحشية؟ إنما قصد «الأسد» بالذات لأنه يعلم من خلال:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(النجم ٤)



الشعراوى

أن جرثومة الجذام هى فى هيئة الأسد، ولكنه ﷺ لم يكن ليقول هذا لقومه الذين لم يكن قد ظهر بينهم «المجهر» بعد وإلا لزاد تكذيبهم إياه، واضطهادهم له»،. وأضاف شيخنا الداعية الراحل الماثل: «لقد كان محمد ﷺ هو أقدر الناس على تفسير القرآن الكريم ولكنه لم يفعل تاركا الأمر لتناسب الزمان والمكان وقدرات الدعاة واجتهادات المفسرين».

ومما يذكر لشيخنا الشعراوى فى هذا الموضوع أنه قال: «لقد أردت أن أصاحب هذا الطبيب العالم النابغة فى فنه إلى معمله لعلى أستفيد شيئا ينفعنى وينفع الناس فى الدعوة إلى الله»، ولا يفهم هذا على أنه تواضع من الداعية الكبير ـ وإنه لكذلك ـ وإنما ينبغى أن نعى أن هذا هو دور الداعية، والعالم، ومسئول الخطاب الدينى استجابة للحديث النبوى الشريف: «الحكمة تزيد الشريف شرفا»(٧)، وكذلك الحديث النبوى الكريم طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٨).

ومن صدق النموذج الشعراوى فى الدعوة التزامه بما يعرف دون أن يدعى ما

---

(٢) عن أبى هريرة ـ الجامع الصغير ـ وفى لفظ آخر بالموطأ:
«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه» (مسكتم أى أخذتم وتعلقتم واعتصمتم).

(٣) من نافلة القول أنه لا ينبغى أن نقتصر توجيه الخطاب الدينى إلى المسلمين فقط وإلا تحول إلى خطاب الذات إلى الذات ولكن ينبغى أن نتجه به إلى (الآخر) استجابة لقوله تعالى:
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل ١٢٥)
وكذلك توجيهه سبحانه إلينا:
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران ١١٠).
مفوضين أمر الهداية لله جل وعلا استجابة لقوله عزوجل:
﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة ٢٧٢).

(٤) الجذام داء كالبرص بسبب تساقط اللحم والأعضاء وسمى بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها. يقال هو أجذم الحجة أى لا حجة له ولا لسان يتكلم به (معاجم اللغة).

(٥) نطقها الشيخ بالإنجليزية.

(٦) الطبرى (الجامع الصغير وفى لفظ آخر «اتقوا المجذوم كما يتقى الأسد» أخرجه أبونعيم (الإمام المناوى).

(٧) من حديث عن أنس (الجامع الصغير السيوطى).

(٨) ابن عبدالبر عن أنس (المرجع السابق).

لايعرف، فقد تقدم إليه فى تلك الأمسية المجموع لها الناس طفل لا يتجاوز السابعة أو الثامنة من عمره، وأفسح له الطريق إلى الشيخ الذى سأله الطفل: هل آدم – عليه السلام– خلق كبيرا أم إنه خلق صغيرا ثم كبر؟؟ وهو سؤال ينم عن استطلاع الصغير الذي ينتظر الكبر، مما حدا بالشيخ أن يعجب بالسؤال والسائل، وتأمل جواب الشيخ الصادق مع نفسه، ومع الآخرين وهو من هو فى نظر الناس:

أجاب الشيخ البرعم الناشىء بقوله: «والله يابنى إن هذا السؤال لم يسألنيه أحد من قبل ولم يخطر لى على بال، ورغم أننى (سأحاول) البحث فيه إلا أننى أجيبك إجابة مؤقتة وهى أن آدم – عليه السلام– قد يكون قد خلق فى سن الأربعين لأنها سن بعثة الأنبياء، أنظر إلى قول القرآن الكريم عن سليمان – عليه السلام– :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾

(الأحقاف ١٥)

وواصل الشيخ الشعراوى خطابه الدينى للطفل الصغير فى اهتمام شديد «ولا ننسى يابنى أن نبينا ﷺ قد كلف بالرسالة الخاتمة وهو فى سن الأربعين».

وهكذا ضرب لنا شيخنا الشعراوى أروع المثل (ميدانيا) على صدق صاحب الخطاب الدينى مع نفسه ومع الناس فهو لم يستنكف من الحوار البناء مع الطفل الصغير كما أنه لم يمنعه غزارة علمه وسطوع مكانته من أن يقول للطفل أمام جمهور الحاضرين (لا أدرى).

وغنى عن البيان أنه ينبغى أن يكون الخطاب الدينى متسقا مع ظروف العصر، متفقا مع مفاهيم الناس و ظروفهم الحياتية، وشئونهم العملية مما يعمق لديهم الإيمان بعقيدتهم وتمسكهم بها لأنهم يدركون حينذاك أنها عقيدة قريبة إلى حاجاتهم، ومعينة لهم على فهم دنياهم والعمل لأخراهم.

الإهاب التربوى للخطاب الدينى

وتعود إلى علاقة «الخطاب الدينى» بما ذكرناه فى بداية هذا الموضوع عن طرق التدريس وكيف أنها تدور حول ثلاثة أمور:

موضوع الخطاب.

الهدف منه.

وطريقة عرضه.

• أما عن الموضوع فليس شك فى أن موضوع الخطاب الدينى يدور حول مجالات العقيدة والشريعة والمعاملات وما يتعلق بهذه المجالات من أمور، وهى مجالات يلم بها المسلم حسب نوع التربية وحظه من العلم والتعليم وغير ذلك، فهذا الإلمام يتفاوت من مسلم إلى مسلم مما يجعل الحاجة ملحة إلى الاستكمال والصقل والتهذيب والاستزادة، وذلك فى حدود حاجة المسلم إلى ما يعينه على القيام بواجبات دينه فى إطار ما يوضحه

لنا الإمام الغزالى –رحمه الله– فى «الإحياء» من أن العامة من المسلمين يكفيهم من العلم بالدين ما يستطيعون به أن يلتزموا أوامر الدين ونواهيه»[١]، ولكن هذا لايعنى أن يقف المسلم فى مجال العلم إلى هذا الحد وإنما عليه أن يجد فى الطلب والبحث والسؤال دائما اتباعا للآية الكريمة:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾

(طه ١١٤)

• هذا عن «الموضوع»، وأما «الهدف» الذى تتغياه من الخطاب الدينى فإنه الأخذ بيد المسلم إلى ما يفيده فى دنياه وآخرته إذ أن تحديد الهدف فى كل شىء أمر ضرورى ولازم، والعمل بدون هدف فى أى مجال إن هو إلا ضرب من التشتت والضلال والسير على غير هدى، فإذا كانت مراعاة قيمة الهدف ضرورة فى كل مجال فإن ذلك فى مجال الخطاب الدينى أشد ضرورة وأعظم أهمية لأنه هنا يتعلق بمنهاج الحياة القويم والتزام الصراط المستقيم.

توظيف وتفعيل القيم

ونحن – يعلمنا التواضع فى هذا المجال – نرى أن صاحب الخطاب الدينى ينبغى أن يكون هدفه فى المحل الأول هو «توظيف» القيم الدينية فى بناء شخصية المسلم، وأن تخرج هذه القيم من أفق الشعارات إلى واقع التطبيق، فقيم التوحيد والصدق والأمانة والعدل والاستقامة وغيرها إن لم تصل إلى المتلقى فى ثوب واقعى عملى يرتديه عقلا واعيا ويتقمصه وجدانا عامرا وينفذه سلوكا مستنيرا، فإنها تظل معانى رفيعة وقلاعا منيعة، ولكن لا يعرف المرء للوصول إليها سبيلا.

ولعل من أفضل الأمور التى تحول هذه القيم المجردة إلى كائنات واقعية تعيش فى الناس ومع الناس هو أن يكون صاحب الخطاب الدينى نفسه قدوة صادقة للمتلقى، وأسوة مقنعة له فى القول والعمل، مراعيا فى هذا قول موحى الخطاب الدينى ومنزله– عز وجل– :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف – ٢، ٣)

وتأمل هنا خطابه سبحانه إلى «الذين آمنوا» الذين ينبغى أن يكونوا القدوة الصالحة لغيرهم فى قران القول بالفعل، وهذا قدر الداعية فى خطابه الدينى شأنه شأن المعلم الذى ينبغى أن يكون أشد التزاما بما يعرضه على تلاميذه من أخلاقيات، فليس مقبولا منه مثلا أن ينصح تلاميذه بالمواظبة والانتظام بينما هو يدخل (الفصل) متأخرا، كما لا يصح منه أن يطلب من أبنائه التخلق بخلق التعاون، بينما هم يرونه مع زملائه فى تنافر دائم وصراع مستمر، كما إن من نافلة القول المكرور ألا يشدد المعلم لتلاميذه فى مضار التدخين بينما هو – ووا خزياه – يدخن أمامهم بل وفى حجرة الدراسة أحيانا، وهو

(١) للاستزادة راجع كتاب (إحياء علوم الدين للغزالى) عن العلم – المجلد الأول.

في هذا لا يبالى أية مبالاة بقول الشاعر الحكيم:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك -إذا فعلت- عظيم

ابتلاء الناس بالناس

إن الله -عز وجل- يبتلي الناس بالناس، ولاسيما إذا كلف منهم من يأخذ بيد غيره من البشر في مختلف دروب الحياة: في الدين، والتربية، والتعليم، والبر، وغير هذا كثير فما أكثر شعب الحياة ومناحيها، وطوبى لمن امتحن بالمسئولية فجاز الامتحان في ثقة واطمئنان.

• ونأتي إلى العنصر الثالث من عناصر الخطاب الديني والذى هو أداء هذا الخطاب الديني بحيث يتم على الوجه المنشود، وهنا نعود -عودا على بدء- إلى موضوع «طرق التدريس» وهي متعددة ومتشعبة ولكن كلا منها له دوره في أداء الدرس وتمثل الطلاب له، وهذا التعدد والتشعب يرجع إلى طبيعة الدرس، وإلى مستوى الطلاب وغير ذلك، ومن هذه الطرق ما يعرف بطريقة الإلقاء، وطريقة الحوار وحسبنا هاتان الطريقتان ونحن نستعيرهما في باب الخطاب الديني.

مراعاة مقتضى الحال

فالإلقاء طريقة يصطنعها المعلم -والداعية أيضا- حين يكون المتلقي خالي الذهن عن الموضوع فهو في حاجة إلى معرفة جديدة بمعالجة مفيدة، وهنا تأتي مسئولية المؤدى الذى ينبغي أن يتحلى بموهبة العرض الشيق والأسلوب الجذاب واللغة الرشيقة والدقيقة، مراعيا مستوى المتلقين المعرفي والوجداني، ولاشك في أن مهمة هذا المؤدى ستكون أصعب وأشق إذا تعددت وتنوعت هذه المستويات في صعيد واحد، وهنا يأتي دور مدى إيمانه بما يعرضه على المتلقين، ومدى سعة علمه حتى يختار من هذه السعة ما يناسب هذه المستويات، فقد تعلمنا في هذا السياق أن: «البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال» كما نذكر هنا التوجيه الرشيد السديد: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم».

ولعله مما يعين على حسن الأداء أن يقوم الخطاب على ربط المتلقي بظروفه العملية وواقعه الميداني مما يزيد من شعوره بالحاجة إلى طلب المزيد مما يعرض عليه وذلك لما يستشعره فيه من عائد مرجو ونفع ملموس.

وإن أعظم مثال للخطاب الديني في هذا هو ما جاء به القرآن الكريم -ولله المثل الأعلى- فتأمل كيف يلفت سبحانه الإنسان إلى ما يحيط به من أمور، وما يلتصق به من واقع عندما يقول في بعض آياته المحكمات:

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾

(الواقعة ٥٨، ٥٩)

ثم:

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾

(الواقعة ٦٣، ٦٤)

ثم:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾

(الواقعة ٦٨، ٦٩)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾

(الواقعة ٧١، ٧٢)

كما أن جميعنا يعي أن السنة النبوية المطهرة كم هي غنية بالنماذج المعبرة والحية في هذا المجال، مضيئة بالأمثال الشارحة والموضحة للقضايا التي تعرض للمسلم أو يعرض لها في حياته العملية، والمواقف التي يواجهها أو تواجهه في معيشته وظروفه التي يأخذ بعضها برقاب بعض كما يقال.

ولاغرو فإنه ﷺ هو حامل رسالة الحق إلى جميع الخلق، ومن ثمة فقد زوده الخالق -سبحانه- بالمقومات المثلى للمبلغ ألم يخاطبه المولى -عز وجل- بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾

(المائدة ٦٧)

ولعل هذا التكليف بالبلاغ هو ما جعل النبي الخاتم ﷺ في خطبته الخاتمة الجلية الطلية -بجوار الصخرات الكبار حيث جبل الرحمة بعرفات- يتجه إلى ربه في كل عنصر من عناصر هذه الخطبة هاتفا في صدق وضراعة «ألا هل بلغت» ثم يشهد الله -سبحانه- على أمته «اللهم فاشهد».

كما أنه ﷺ قد تحلى بقدرات الكمال والجلال العظمى للمعلم الذى يعرف تماما دوره في أداء رسالة المعلم الرائد الذى لايكذب أهله ولا يألو طاقة أو جهدا في سبيل القيام بدوره المحبب في توجيه الناس إلى الحق والخير في صدق وأمانة وإخلاص، أليس هو القائل «وإنما بعثت معلما»(١٠) وناهيك بمعلم يظل أثره العميق في كيانات تلاميذه وتلاميذ تلاميذه جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد فلا يسعنا إلا أن ندعو بكل التوفيق لكل من يتصدى لمسئولية الخطاب الديني، وإنها لمسئولية نستشعر خطرها وأثرها عندما نتأمل بأرواحنا وبصائرنا قوله -تعالى- في محكم تنزيله:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران ١٠٤)

---

(١٠) روى عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فإذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله -تعالى- والآخر يتفقهون فقال رسول الله ﷺ:
«كلا المجلسين خير وأحدهما أحب إليّ من صاحبه أما هؤلاء فيذكرون الله ويسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما المجلس الآخر يتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلما وجلس إلى أهل الفقه [من كتاب «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن البصري ط٦-١٩٠].

من قصص البادية

عشيات الحمى

للدكتور/ أبي حسام

-١-

أما عشيات الحمى، فهي تلك الليالي القمراء الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة من الشهر العربي، حين تترقرقُ أضواء القمر على الرِّمال الصفراء في البادية فتجعلها خيوطاً من الذهب تبهر العينَ، وإذ ذاك تُفرش البُسط، ويتجمع فتيان الحيِّ وفتياته في ناحية، وشيوخ الحيِّ ومَن يأتي من الضيفان في ناحيــة ثانيــة، ويدور الغناء الراقص والسمر الشهي في حلقة الشباب، على حين يتناول الشيوخ ما يدور في خواطرهم من أحداث المجتمع، وأخبار القبائل المجاورة ويظلّ الحديث متصلاً إلى ما قبل منتصف الليل، إلاّ إذا كان الوقت شتاء فإنّ البرد العاصف في الصحراء يحولُ دون اجتماع الرفقة مدّة لا تتجاوز ثلاثة أشهر يقضيها القوم في خيامهم على مضض، وكانَ سيد القوم في هذه العشيات هو عبدالله القشيري سيد بني قشير، فلما أيفع وَلدهُ الصّمة بن عبدالله، وتهيأ للخطوات الأولى التي تمثل دور أبيه كان هو المنظّم لاجتماع الليالي القمراء، ولهُ في النفوس مكانة عالية لبسط يده، وهمامة نفسه، ووضاءة وجهه المشبوب بحمرة الشباب، وحين بَعُدَ -مُضطرا- عن مطارح سيادته صرخ هذه الصرخة الكاوية في قوله:

وليـــست عشيات الحمى برواجع
إليك، ولكن خلِّ عينيك تدمعا
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى
ومـــا أطيب المصطاف والمتربعا

أما قصة هذا البعاد الممض، فستكشف دَوْراً قدورا في هذه السطور!

-٢-

كانت قبيلة بني قشير ذات خير وافر حين تجود السماء عليها بالمطر، فينمي الزرع، ويروى الضرع، وينعش الحياة، ولكنّ السماء أخذت تشح عاما بعد عام، حتى أجدبَ المكانُ وكادت البقية الباقية من الحيوان تبيد. فرأت القبيلة أن ترحل كعادة البدو إلى مكان يسمح بالرخاء، ويممت وجهها إلى مضارب بني جرم، ذات الفضاء الفسيح، واستقبل القومُ ضيوفهم بالترحاب، وسمحوا لهم باختيار ما يروقهم من الفضاء المتسع، وقد حفظ لهم شيوخ بني قشير ما أبدوه من الإيثار، وما لمسوه من الأخوّة الحانية، فظل الجميع أمداً غير قصير في سلام يُرفرف عليه الود ويغمره الصفاء!

ولكن جيلا مضى من الشيوخ، وخلفه جيل آخر من الشباب لم يشعر بما قدم القوم سابقامن المعروف، بل جعل يشيح عما يسمع من أحداث الماضي، ويعلن أن البادية جميعها ملك لساكنيها، ولا فضل لمقيم مــستقر على وافد طارئ، وفي الشباب حميّة وعُنف لا يعرفان الهوادة والرفق، فأخذت بوادر الشر تلوح في الكلمات والأفعال، وانتقل الأمر من الجدل اللفظي إلى التّشجار الفعلي، وأريقت دماء ما كان لها أن تسيل، ثم فاءَ ذوو الأحلام إلى عقولهم، فعملوا على ارتجاع ما كان من سلام وحبّ، ورأوا أن إراقة الدماء من الجانبين ستؤدي إلى شقاء يكرب النفوس، وبعد تداول الرأي، واتصال الأخذ والرد، رأى فريق أن تكون المصاهرة بين القبيلتين داعية الوئام، وأن ائتلاف الأسر الجامعة بين الفريقين سيُزيل التذمر، وانتهى الأمر إلى أن يُزوّج جاسم القشيري ولديه عبدالله وتامرا من ابنتي شيخ جرم: هند وتُماضر، وما منهم جميعا إلا الكفء المختار، وما أسهل زواج البدْو، فهم لا يشترطون غير المحبة والصفاء! فتم الأمر على أفضل ما يُتاح!!

-٣-

كان عبدالله هو الأكبر، وكانت هند هي الكبرى، فتوقعت هند أن تكون المختارة لعبدالله، وهو أكثر ظهورا في الحي من أخيه تامر، ولكنّ الأمر تمّ على عكس ما رغبت هند، فوافقت على كره مستتر، وبدأت بُذور البغض تنمو في صدرها نحو عبدالله، بل امتدّت الكراهية إلى أختها تماضر فأصبحت تستشعر أنها منافسة لها مع أنّها لم تكن ذات رأي فيما تمّ، وسارت الأيام سيراً طبيعيا بالنسبة إلى تماضر، فهي لا تحملُ لهند غير الودّ غافلة عما يصطرع في نفسها من شجون.

وقد رأى تامر أن زَوجه لا تطيق أن تسمع خيراً عن أخيه، وأنها بدأت تقول له: إنه ينزلُ من الناس منزلةً فوق منزلتك، ولابد أن تُزاحمه وتعترض ما يوحي به من آراء في الحيّ، بل لابدّ أن تعملَ على أن تأخذ مكانه، وكانَ تامر عاقلاً حصيفا في بدء أمره، فأعرض عن شذوذها دُون أن يدري بواعثه الكامنة في صَدرها من قبل، وبتوالي الطَّرْق المزعج على نفسه أخذ يوازن بينه وبين أخيه، ولكنه في صمت لم يتعدّ حديث النفس وهواجس الفؤاد، وكان يخشى انتقاد الناس له لو واجه أخاه بالسوء، وهو القائد للقوم بعد رحيل أبيه، كما أنّه يحفظ مكانته بين القوم، ويقدمه كثيرا على نفسه في بعض المواقف، فكيف

يقابل صنيعه بالجحود مهما ثرثرت الزوج الغضوب.

وجاء دور الطفولة فأنجبت هند طفلة جميلة سمتها (ريّا)، وأنجب عبدالله طفلاً وسيما سمّاه (الصّمة) -وهو اسم كان متوارثا في بني قشير، وأراد عبدالله تكراره- ونما الطفلان معا في وقت واحد، فأخذا يذهبان كأطفال القبيلة مع الكبار، لرعي الغنم، والتعود على حياة البادية، وكان انجذاب الصّمّة إلى ابنة عمّه ريّا شديداً وهي تبادله هذا الحب الطفوليّ. ولا يريان غرابة فيه؛ لأنهما من بني العم، ولحظت هند انجذاب ريّا لابن عمّها، فضاقت ذرعا، وجعلت تنهاها عن مصاحبته، ولكنّ ريّا قالت لها في براءة: إنّ خالتي تماضر أحسن منك يا أمي، فهي تحبّني وتقبّلني، وتقدّم لي ما تقدّم للصمّة من التمر واللّبن، وأنت تكرهين الصمّة وتقولين لي احذري أن تصاحبيه، لماذا يا أمي؟! .. ثم اتجهت ريّا إلى والدها وقالت: أترضى يا أبي أن أترك ابن عمي الذي يحبني وألعب مع أطفال لا أعرفهم، ونظر الوالد إلى زوجه متحيّرا ولم يرد بشيء.

وما أسرع ما مرت الأيام فصار الصمّة فتى يافعا، في وجهه دلائل الفتوة، وسمات الوسامة! وصارت (ريّا) أجمل فتيات الحيّ، ولكنّ أحدا من أقرانها في المرعى لا يحدث نفسه بالتقرب إليها، إذ يعرف الحب الأكيد بينها وبين ابن عمها، وهند ترى ذلك فتضيق ذرعا، ولا تستطيع أن تنهى «ريّا»؛ لأن «ريّا» ترد عليها. وقد فزعت الأم حين قالت لها ابنتها: أنت تكرهين خالتي وهي أختك وتكرهين عمّي وتكرهين ابن عمّي، ولكنّي أحب ابن عمي؛ لأن دمي من دمه، وأنت غريبة عنه!

سمعت الأم ذلك من الفتاة اليافعة! فخرجت من المنزل إلى مكان خال، وجعلت تبكي، وقالت بينها وبين نفسها: لم يبق لريا إلا أن تقول، أنت تكرهين عمّي؛ لأنه لم يتزوّجك!

وفي ذات أصيل كانت الفتيات يرعين ،و يمرحن ، فإذا خمسة من ذؤبان العرب -وهم شذاذ الآفاق الذين يسطون على ما يقدرون أن ينهبوه، ويفرون- كان هؤلاء الخمسة يرقبون الفتيات، فانتهزوا فرصة سانحة، وهجموا على ثلاث من بينهم ريّا، وعصبوا أعينهن، وحملوهن هاربين، وفرّت الباقيات مذعورات وجاء النبأ إلى الصّمة، ففزع فزعا شديدا، وجمع شباب الحيّ، وأمرهم أن يحملوا أسلحتهم ويسيروا في كل اتجاه لمحاصرة الذؤبان، ويرمون السهام بعناية وحذر كيلا تصيب الفتيات، ووفق الله، فاهتدت فرقة إلى مكان الذؤبان وكانوا قد جلسوا للاستراحة، ولا يظنون أن أحداً سيهتدى إليهم، وكان الصمّة قائد الفرقة فهجم بها هجوم الأسد، وصوّب السهام مفاجأة إلى عيون الذؤبان فسقطوا مذعورين، وأعمل السيف مع رفاقه فيهم؛ لأنهم قتلة تهابون، ورجعت الفتيات الثلاث، وكانت ريّا من الإعياء والتهالك، بحيث لم تستطع الوقوف، فحملها إلى

الفرس، فكادت تسقط رعشة وارتجافا، فركب وراءها، وضمّها لصدره، وتقدّم إلى الحيّ، فوجد القوم في هرج عظيم، وعمّه تامر في أسوأ مظاهر الحزن، وحين شاهد ريّا تقدّم إليها، ونهض إلى الصّمّة يقبّله، ويقول: «لقد رددت روحي بعد أن كادت تطير»!

أما هند فقد نسيت شجاعة الصمّة، وجعلت تصرخ -في وجه ريّا-: كيف يركب معك على حصان واحد، ويضمك إليه؟ ياللخزى! ياللفضيحة!، وهنا قالت ريّا لوالدها: تكلّم يا أبي ولا تخف منها، فإنها مجنونة! والله لئن لم تسكت، سأذهب إلى بيت عمّي، ولن تراني!! فنظر الزوج ساخطا إلى امرأته، وقال: أسمعت! هذا ما سيكون لتستريحي!

-٤-

رأت الأم أن الأحداث لا تجرى معها كما تود أن تكون، وأنّ البنت والزوج قد اتجها إلى مودة الصمّة، كما أن القبيلة كلها قد قدرت شجاعته، وعللت قوة استجابته السريعة لإنقاذ ابنة عمه بأنها ليست لنداء القرابة فحسب، بل لما يكن لها من حب عميق، ظهرت دلائله دون إنكار!، وقد فكرت الأم في عمل جاد تقف به في طريق الوئام المشهود حاليا والزفاف المرتقب في الغد، فرأت أن تذهب إلى زيارة أبيها في منازل جرم، متعللة بشوقها إلى مرابع ذكرياتها في خيام الأسرة، وهي تعلم أن أحد أبناء جرم من الشباب المرموق ذو ثراء مشتهر، ووالده في الذروة من السيادة والجاه، ولن يجد كفئا له في بناء أسرته غير ريّا ذات الأصالة والحسب في بني قشير! فإذا تقدّم لخطبتها، فسيكون من العسير على أبيها أن يرفض، وستبذل جهدها وجدها في تحقيق أملها المنشود مهما قامت الحوائل، وسرعان ما أوعزت لبعض صواحبها، أن تلفت أنظار الشاب إلى مجد يترقبه حين يصهر إلى سادة بني قشير، وكان الشاب كان يحلم بمثل هذه المصاهرة فسعى إلى تحقيقها، ولم يجد من أسرته غير الترحيب والموافقة، وفوجيء تامر على غير انتظار بحضور وفد من الجرميّين لخطبة ريّا، فحار ماذا يصنع، وهو يعلم هوى ريّا الصريح في الاقتران بابن العمّ. ويقدّر صدى رفضه في قبيلة جرم، لو علن عدم الاستجابة، وتساءل القشيريون عن زيارة القوم، وعرفوا أنها خطبة ريّا، وطار النبأ إلى الصمّة وعبدالله والده، فأشار عبدالله على الصمّة أن يتجاهل الأمر، لينظر ما سيكون، ولكن كيف يتجاهل والأفق ملبد بالغيوم؟. لقد سارع إلى مقابلة عمّه فلم يجد من القبول ما كان يأمل، وعرف أن النية متجهة إلى إبرام هذا النسب الجديد بين عمّه وأقرباء زوجه في جرم، ولم يشأ أن يزعج والده عبدالله بضرورة تدخله في أمر قد لا ينتهي إلى خير، فصمّم على الرحيل من الحيّ إلى حيث لا يعلم أحد منحاه، وفعلا أصبح القشيريون فلم يجدوا الصمّة بينهم، وحاروا ماذا يصنعون!

أما ريّا فكانت ذات شجاعة يقل نظيرها في مثيلاتها، فقد صمّمت على أن

تواجه الزائرين وتعلن رفضها الصريح للخاطب الوافد، وحين علمت أن الصمّة قد فارق الدار احتجاجا على موقف عمه، وسلبيّة أبيه أصابها انهيار مفاجئ، فسقطت صريعة المرض، ورأى الجرميون أن الموقف قد تعقّد فعجّلوا بالرحيل.

أين ذهب الصمّة؟، وكيف الوصول إلى مكانه المجهول؟، لقد مضت الأيام دون أن يجد أبوه وذووه الأقربون ردّا يشفي الغليل، أما الشاب المسكين فقد ترك نجدا ومَن بها، وارتحل إلى أذرعات بالشّام، إذ كان قد زارها من قبل، وعرف بها من تطيب عشرته معهم، ولكن كيف تطيب؟، والأعاصير الجارفة تهب في ضلوعه فتمنعه أن يستقر، لقد ظل يكافح الحنين اللاهب دون جدوى، وحين فاضت شجونه نظم قصيدة باكية ملتاعة قد اشتهرت فيما بعد بين الرواة في أصقاع الجزيرة كلّها، ومن أبياتها الحزينة قوله مخاطبا نفسه:

حننتَ إلى ريّا ونفسك باعدت
مزارك من ريّا وشعباكما معا

فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعا
وتجزع أن داعي الصبابة قد دعا

قفا ودّعا نجدا ومَن حلّ بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودّعا

وليست عشيات الحمى برواجع
إليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

بنفسي تلك الأرضُ ما أطيب الرّبا
وما أطيب المصطاف والمتربّعا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني
على كبدي من خوف أن تتصدّعا

تلفّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتني
عييتُ من الإصغاء ليتا وأخدعا

* * *

ثم جاء من أذرعات من حمَل القصيدة إلى بني قشير، وعرف عبدالله مكان ولده، فأسرع بالرحيل كي يدعوه، وكان تامر قد ندم على إغضاب ريّا المريضة الملقاة على الفراش فأعلن موافقته على اقترانها بالصمّة متى يعود، ودبت الحياة في جسم المريضة فعادت إلى النّشاط والقوة، وهذا بعض ما حمله الوالد إلى ابنه من أنباء، وتمّ اللقاء بعد وعثاء السفر، ووهج القنط في أيام الصيف، فاستقبل البشرى سعيدا، ورجع مع أبيه إلى مضارب عشيرته في بني قشير، واستقبله القوم فرحين، وكان عمّه تامر في مقدمة المهنئين بمقدمه، وقد بشّره بقرب الزفاف دون إبطاء، أمّا ريّا فقد استحيَتْ أن تخفّ إلى منزل عمّها، وقالت في فرحة: هو الذي سيجيء!

* * *

واقدساه

للشاعر: أحمد مصطفى حافظ

من قديم الدهر هم أصل البلاء ... هم لهذا الكون: داءٌ.. أي داء!
تخذوا العدوان نبراسا لهم ... واستحلوا وزر قتل الأنبياء
لم يراعوا حرمة للدين.. لا ... كان في الحسبان: قدرٌ من حياء
لم يخافوا الله في عدوانهم ... ما لغير «المال» قد كان.. ولاء
«شكسبير» الفذُّ في تصويره ... لمرابيهم.. بحذق، وجلاء:
كلّهم «شيلوك»[1] في أدرانه ... كلّهم أخدان ختل واعتداء

***

إن وعد الله حقّ.. إن علوا ... مرّةً في الأرض.. يتلوها انتهاء
من حماهم واجتباهم، شأنه ... شأنهم في محض غدر وافتراء
لرسول الله كادوا كيدهم ... نقضوا العهد، ولجّوا في الرياء
يشعلون الحرب ما بين الورى ... كلّ حين.. بفحيح.. الأشقياء
يبتغون الكون طرّا مغنما ... بأحابيل خداع.. واجتراء

***

.. أمعنوا بالأمس في تحطيمهم ... مدخل «الأقصى» بفعل الجبناء
بسلوك بربري، ما له ... من مثيل.. في انقضاض.. واختباء!
وانبرى العرب لهم في ثورة ... يفتدون «القدس» في أقصى افتداء
.. في الحمى الملتاع.. آه يا لهم ... من وحوش في سعار لارتواء:
من دماء، بعثرت في همجية ... برصاص البغي.. آه للدماء!
من لأرواح الضحايا أزهقت ... واستحبّوا الموت من.. أجل البقاء!

***

لهف نفسي لصغير باسل ... خطّ «بالأحجار» إصرار الإباء
وبملء الكف يرميهم بها ... ليتها «النخيل».. في هذا الوباء
... أمّة الإسلام... هذا يومكم ... تدرك «الأهل».. ببأس الأقوياء
ألف: «وا معتصماه» انطلقت ... للثكالى والأيامى.. في الجواء
سوف تبقى في رباط دائما ... ما دعا الداعي لبذل.. في سخاء!

١- اليهودي المخادع في مسرحية «شكسبير» الخالدة «تاجر البندقية».

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

ماذا بعد المسجد الأقصى؟!

للدكتور/ حمدى فتوح والى

لا أظن أن أمتنا الإسلامية مرت عليها أيام كانت أخطر على كيانها ولا أشد ضرراً على دينها ووجودها من هذه الأيام. وهل هناك أخطر من أن يفقد أبناء الأمة إحساسهم بالعزة وشعورهم بالكرامة؟!. وهل هناك أبشع وأشنع من أن يسارع نفرٌ من مثقفى الأمة وأدبائها وأصحاب الكلمة والرأى فيها إلى التنكر لتراثها، والتآمر على عقيدتها والتشويه المتعمد لتاريخها وحضارتها؟!.

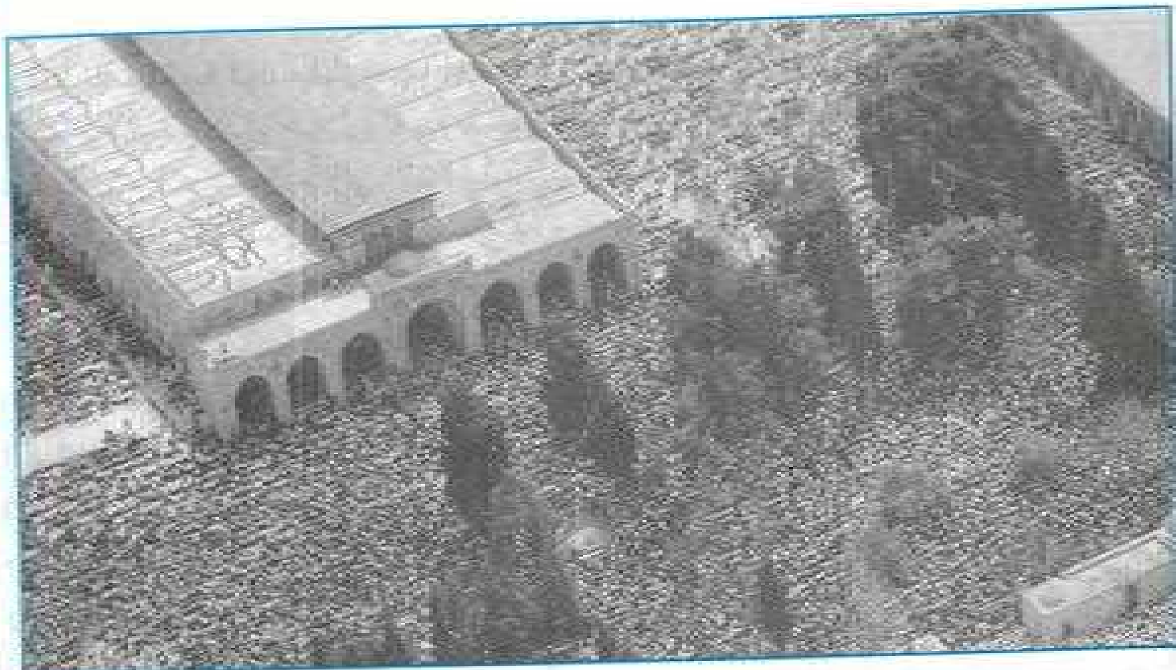
إن أخطر ما يصيب الأمة هو أن تصاب بحالة من فقدان الثقة بنفسها، وأن تمتلئ إحساساً بالانهزام النفسى أمام أعدائها، فهذا الشعور وحده كافٍ لكى يمكن لأحقر الأعداء وأذلهم من رقاب هذه الأمة والاستحواذ على مقدراتها وخيراتها، وإلا فبماذا تفسر استعلاء اليهود فى أرضنا وعربدتهم فى قدسنا وارتكابهم لأبشع الجرائم فى أعراضنا ودمائنا، وهم الذين وصفهم الخالق الحكيم بالذلة والمسكنة بقوله:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾

(آل عمران: ١١٢)

لكنهم برغم ذلك وجدوا من ذلتنا وضعفنا، وتفكك عزائمنا، وانتقاض غزلنا، وتفرقنا واختلاف وجهاتنا ما قوى عزمهم وشد أزرهم وأغراهم بنا.

شعرت بهذا الشعور القاتل عندما تابعت وتابع العالم كله ما تقوم به قوات الاحتلال الصهيونى من هدم متعمد لأولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ.. وانتظرت



تنتفض الحكومات الإسلامية غيرة على دينها وانتصاراً لعقيدتها، وإنقاذاً للمسجد من أيدى اليهود. لكن خاب أملى وانقطع رجائى، عندما رأيت حالة الصمت المريب والغريب تلف عواصم العالم الإسلامى فى تواطؤ مخزٍ وانكسار معيب.

وبدافع الغيرة على كيان هذه الأمة أن يسقط، وعلى إسلامها العظيم أن يغيب.. سارعت لأبحث عن سبب لهذا الصمت المخزى وهذا التخاذل المعيب، فوجدت تفسير ذلك فى قول رسولنا الكريم ﷺ: «إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعين واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»[1].

لقد راجعت تاريخ الإسلام على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان، ورصدت علاقة الكافرين به فلم أرها إلا صراعاً موصولاً، وحقداً محموماً ومؤامرات لا تهدأ ولا تنام. لكنى رأيت مع هذا الصراع المحموم يقيناً بالله راسخاً، وثقة قوية، وإيماناً عميقاً، وإعداداً يليق بالدفاع عن هذا الدين العظيم.

وهذا ما شعر به العالم المجاهد الشيخ محمد الغزالى فقال:

«عندما أرمق الماضى أجد الإسلام خلال ستيه العشرين الأولى أجهز على الوثنية العربية التى قاومته أشرس مقاومة، ثم أجهز على المستعمرات اليهودية فى الحجاز، وقلَّم أظافر اليهود عسكرياً، وقبلهم فى دولته أفراداً لا يقدرون على كيد!.

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد، لابن القيم فى باب الجهاد ص ٧٢ جـ٣، مسند أحمد جـ٢ ص٢٨.

أما الصليبية فإن مقاومتها للإسلام ظلت متقدة النار خلال القرون التى عاشها الإسلام منذ ظهر إلى الآن!! أربعة عشر قرنا، والخصام لا تفتر حدته ولا تنقص شدته..

أخذ هذا القتال عنوان: «الحرب مع الروم»، ثم أخذ عنوان: «الحروب الصليبية»، ثم أخذ عنوان: «الحرب بين الأتراك وأوروبا»، ثم أخذ عنوان: «الاستعمار العالمى».. واختفت العناوين وبقيت الحقائق فى الكشوف الجغرافية؛ التى قادتها المصادفات إلى الأمريكتين من ناحية، وقادت إلى الهند وشرق آسيا عن طريق رأس الرجاء الصالح من ناحية أخرى.... ثم جاء العصر الأخير ومعه الغزو الثقافى والتيارات الدولية المختلفة؛ والتفاف الكنيسة حول الإسلام تريد أن توجه إليه الضربة القاضية!!.

أربعة عشر قرنًا، تساقطت من حولنا نحل شتى، وبقيت الصليبية وحدها تحاول إخماد أنفاسنا!. والدول الاستعمارية هى التى صنعت، ولا تزال تصنع إسرائيل.

إن الجُحْر الذى نلدغ منه لم يتغير، والعدو الذى قاتلنا أيام الرسول ﷺ فى «مؤتة» هو هو الذى يقاتلنا الآن، وقد أمسى لا يخفى ضغائنه ولا أغراضه استهانة بنا!!..»[٢].

فهل عقل قومنا حقيقة عدوهم؟. وهل أدركوا طبيعة مكرهم وكيدهم؟. وهل يصدقون ربهم إذا أخبرهم أن جعبة الكفر ملأى بالمكائد والخطط والنوايا الخبيثة التى لا تقف عند حدود الأقوال أو النوايا أو مشاعر البغض



الغزالى

والحقد وإنما تتعدى ذلك إلى إعداد الجيوش، وإنفاق الأموال، ورصد الميزانيات، والتنادى إلى تحالف شيطانى صليبى كالذى عرفته أمتنا منهم على مدى تاريخنا الطويل، لكى يصلوا إلى مآربهم ويحققوا أمنيتهم التى أخبرنا بها ربنا، فقال يحذرنا ويفضح نواياهم:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(البقرة: ٢١٧)

فإذا كان حال القوم لم يتغير، وحقدهم لم يهدأ، وجيوشهم قد داست أرضنا، وهتكت أعراضنا، وأهانت مقدساتنا، وتبجحت اليوم لتمارس هدم المسجد الأقصى جهارا نهارا وأمام أعيننا.. فما الذى جعلنا نُعلن أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب؟. وما الذى يجعلنا نقول: إن السلام هو خيارنا الأوحد مع اليهود؟. وهل قالت إسرائيل يوما: إن السلام هو خيارها، وأن الحرب لم تعد فى حسابها، وأن على الأمة اليهودية أن تُسَرِّح جيوشها، وأن توقف عدوانها، وأن توقف تدريب شبابها وبناتها، وأن تكف عن بناء مستوطناتها وأن تنصرف إلى لهوها ولعبها؛ لأن العرب لا ينوون حربها، ولا يكيدون لها؟!.. هل هذا ما تفعله إسرائيل اليوم حتى نعلن فى أمتنا وأمام أعدائنا أننا لا ننوى حربا ولا نعد أنفسنا لذلك؛ لأننا اخترنا السلام طريقًا وحيداً للتعامل مع إسرائيل، ومع من يريدنا بسوء من أمم الأرض؟.

إننى لا أرى تفسيراً لهذا الصمت المخزى، وهذا الهوان الفاضح إلا بسبب غياب روح الجهاد، واستيلاء حب الدنيا على أية صورة، وكراهية القتال فى سبيل الله. وهو ما حذرنا منه نبينا ﷺ بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاء كغُثاء السيل، ولينتزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ فى قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟. قال: حب الدنيا وكراهية الموت..»[٣].

إن جرائم اليهود البشعة ومذابحهم المروعة تجد تبريرها السريع والجاهز لدى جميع عواصم الغرب الصليبى فى ود واضح، وولاء عميق. وكل ما فى العالم من شرور يمكن أن يُعالَج فى نظرهم بكلمة «الله محبة» إلا الإسلام، فيجب أن يعالج بالنقيض تماما!!

ومن بضع سنين اكتشف المسيحيون بغتة أن اليهود أبرياء من دم المسيح كزعمهم! وأنه لا يجوز أن يلعنهم المصلون فى الكنائس، ويتناسون كل ما ورد فى التلمود من سب وقذف ولعن للسيد المسيح؛ وما نراه أمامنا على الأرض من تواطؤ يهودى ـ أمريكى، وتحالف شيطانى صليبى، واستهداف لكل بقعة أعلنت الإسلام منهجًا، واتخذت الشريعة الإسلامية سبيلاً، خير شاهد على حقدهم واستمرار كيدهم. وإصرارهم على ضرورة القضاء على الإسلام وإبادة أهله. فهل بقيت حجة لمحتج؟. أو بقى عذر لمعتذر بعد أن أطلعنا الله ـ سبحانه ـ على حقيقة أمرهم وطوايا قلوبهم بقوله:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

(البقرة: ١٢٠)

---

(٢) الطريق من هنا ـ الشيخ محمد الغزالى ـ دار البشير ص ٩٧.

(٣) رواه أحمد وأبو داود (انظر صحيح الجامع ٢/١٣٥٩).

الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في العراق

للأستاذ/
صلاح عبد الرحيم محمد

اعترف الرئيس الأمريكي «جورج بوش» في خطابه بشأن استراتيجيته الجديدة في العراق، بأن الوضع هناك غير مقبول للشعب الأمريكي، وله شخصيا، وأقر بمسئوليته عن الأخطاء التي ارتكبت فيه، وحذر في الوقت نفسه من أن الفشل في العراق، سيشكل «كارثة» للولايات المتحدة، يمتد أثرها، إلى الدول العربية، وسينشر الفوضى بالمنطقة، وأوضح «بوش» أن ٨٠٪ من العنف الدموي في العراق، يقع في منطقة بغداد، بمسافة ٣٠ ميلاً منها. ويرى الرئيس الأمريكي أن فشل الجهود السابقة في إحلال الأمن في بلاد الرافدين، ترجع في المقام الأول إلى أن القوات العراقية والأمريكية لم تكن كافية لضمان أمن المناطق التي جرى تطهيرها من الإرهابيين والمتمردين هناك. ويذهب «بوش» إلى أن المشكلة في الأساس، عسكرية، وأن الحل في نظره ينطلق من «مبدأ التمسك بالأرض» بعد تطهيرها من هؤلاء الإرهابيين والمتمردين، للحيلولة دون عودتهم مرة أخرى إليها، وذلك عبر توفير عدد كاف من القوات العسكرية للسيطرة عليها.

ويعتقد الرئيس الأمريكي «بوش» أنه لكي تنجح الولايات المتحدة في العراق ينبغي إرسال المزيد من القوات الإضافية هناك، وهو ما تضمنته استراتيجيته التي أعلن عنها في الحادي عشر من يناير الماضي، التي قد تكون الفرصة الأخيرة لإنقاذ العراق من التقسيم والفوضى، ولإنقاذه من حكم التاريخ.

وترتكز الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في العراق على الأسس التالية:

- إرسال ٢١٥٠٠ جندي أمريكي إضافي، ينتشر معظمهم في بغداد، للعمل إلى جانب القوات العسكرية العراقية.
- مهمة هذه القوات الأمريكية الإضافية، مساعدة القوات العراقية، على تطهير بغداد من الإرهابيين والمتمردين، والتأكد من قدرة القوات العراقية على تأمين الاحتياجات الأمنية للعاصمة العراقية.
- استمرار بقاء القوات الأمريكية في الأماكن التي تم تطهيرها من الإرهابيين والمتمردين حتى يقطعوا عليهم خط الرجعة إليها مرة أخرى.
- الحكومة العراقية مسئولة عن تعيين قائد عسكري، ونائبين له في بغداد، ونشر الجيش العراقي، وقوات الشرطة الوطنية في مناطق بغداد التسع، وهي تتكون من ١٨ لواء، بالإضافة إلى الشرطة المحلية.
- السماح للقوات الأمريكية، بدخول المناطق التي تؤوي عناصر إرهابية ومتمردة، من دون أي عوائق سياسية أو مذهبية أو طائفية.
- انتقال المسئولية الأمنية كاملة إلى الحكومة العراقية في كل المحافظات العراقية بحلول نوفمبر ٢٠٠٧، بعد تدريب القوات العراقية، حتى تكون قادرة على حمل العبء الأمني.
- زيادة عدد المستشارين الأمريكيين في وحدات الجيش العراقي، وإلحاق لواء من قوات التحالف بكل فرقة عراقية.
- زيادة القوات الأمريكية في محافظة الأنبار إلى «٤٠٠٠ جندي» بوصفها أكثر المناطق عنفاً في العراق، بعد بغداد، فهي معقل تنظيم القاعدة.
- السماح لعدد أكبر من العراقيين، بالمشاركة في الحياة السياسية، والعمل على إصلاح قوانين «اجتثاث البعث»، والنظر في تعديلات الدستور العراقي.
- الوقوف في وجه إيران وسوريا، بسبب تشجيعهما الإرهابيين والمتمردين، واستخدام أراضيهما لدخول العراق والخروج منه، حسب الرؤية الأمريكية، التي تجاهلت توصيات لجنة «بيكر ـ هاملتون» بشأن ضرورة فتح حوار مع كل من إيران وسوريا لتحقيق الاستقرار والأمن في العراق.
- نشر مجموعات ضاربة من حاملات الطائرات الأمريكية في المنطقة، -وبخاصة دول الخليج-، ونشر أنظمة صواريخ «باتريوت» المضادة للصواريخ، والهدف طمأنة أصدقاء أمريكا في المنطقة، وتهديد كل من إيران وسوريا، والعمل مع حكومتي تركيا والعراق لحل مشاكلهما، على طول الحدود المشتركة بينهما، والتعامل مع الدول الأخرى في المنطقة لمنع إيران من امتلاك سلاح نووي.
- العمل على إقرار قانون تقاسم «عائدات النفط» بين كل العراقيين سنة، وشيعة وأكرادا، لتهدئة الأوضاع بين الطوائف العراقية.
- رصد عشرة مليارات دولار لإعادة إعمار العراق، ومشاريع البنى التحتية، وإنشاء وظائف جديدة.

وفي ضوء هذه الاستراتيجية الجديدة في العراق، يرى كثير من المحللين الغربيين المنصفين أنها تجاهلت توصيات «لجنة بيكر ـ هاملتون»، غير أنها أبرزت أمرين رئيسيين:

الأول: اعتراف أمريكي بالعجز عن إقرار الأمن في العراق، مع رفض رفع راية الاستسلام، ومواصلة ما يزعمه بوش بالحرب على الإرهاب.

والثاني: أن إدارة بوش لم تأت باستراتيجية جديدة، بل قامت بتغيير التكتيك الذي بدأته منذ الاحتلال الأمريكي للعراق، ومواصلة ذات

السياسة الاستعمارية المتبنية لمنهج العصا الغليظة لقمع المقاومة الوطنية العراقية، دون وضع جدول زمني للانسحاب، يكشف عن حل سياسي.

أمريكا لم تقدم حلاً سياسياً

وفي هذا السياق يرى «زبيجنيو بريجنسكي» مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق «أن الالتزام بإرسال ٢١٥٠٠ جندي أمريكي إضافي إلى العراق هو حيلة سياسية تترتب عليها نتائج تكتيكية محدودة، ولا يرتجى منها فائدة استراتيجية. فالانتصار العسكري في هذه الحرب، يورط القوات الأمريكية في حرب شوارع دموية، ولا يضع حداً للفوضى، والصراع الطائفي، ولا يكبح حركة التمرد المناوئة للأمريكيين». ويعتقد «بريجنسكي»: «أن الإدارة الأمريكية أمام خيارين:

الأول: أنه في حال إخلال الحكومة العراقية بالتزاماتها، فقد تنتهج إدارة بوش «سياسة اللوم والهرب» أي الانسحاب من العراق بسبب فشل الحكومة العراقية في تحقيق الأهداف الأمريكية في المصالحة الوطنية.

والثاني: هو توسيع رقعة الصراع، ومهاجمة إيران وسوريا، ولاشك أن بعض المحافظين الجدد يؤيدون هذا الخيار، ويحضون بوش على تبنيه».

ويبدو أن مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق، قد حكم على استراتيجية بوش في العراق بالفشل، حينما قال: «إن خطاب بوش الذي تناول فيه الاستراتيجية الجديدة في العراق، لم يتطرق إلى احتمال وضع خطة تمهد للحل السياسي، فالبحث عن حل يقتضي التنسيق الأمريكي ـ العراقي، وتحديد موعد للانسحاب الأمريكي من العراق، ومحاورة القادة العراقيين، ولاشك أن من شأن تحديد موعد للانسحاب، ييسر إشراك جيران العراق في محادثات جدية حول الأمن والاستقرار الإقليميين، فرفض الأمريكيين النظر في احتمال مفاوضة إيران وسوريا، يتماشى مع دبلوماسية بوش الأحادية، والحق أن الخطاب الذي ألقاه الرئيس بوش بشأن الاستراتيجية الجديدة ينم عن جهل كبير بالتاريخ المعاصر، والزمن الراهن، فسياسة بوش في العراق تحاكي السياسات الاستعمارية التي ولىّ زمنها وانصرم».

ويؤكد «بريجنسكي» أن سياسة بوش بالعراق من شأنها إلحاق الأذى بالولايات المتحدة فيقول في مقال له في صحيفة «واشنطن بوست» بتاريخ ١٢/١/٢٠٠٧: «إنه من شأن شن أمريكا الحروب الاستعمارية في «عصر ما بعد الاستعمار» إلحاق الهزيمة بنفسها، وهذا هو العيب القاتل في سياسة بوش».

وتقول «نانسي بيلوسي» ـ رئيسة مجلس النواب الأمريكي، عقب زيارتها الأخيرة إلى العراق: «ذهبنا إلى العراق، يحدونا الأمل بأن نرى جهداً منسقاً هناك للوصول إلى حل سياسي لوقف النزاع، وحل دبلوماسي لإقرار الاستقرار في المنطقة. وللأسف لم نلمس أي دليل على ذلك».

الجنرالات يرفضون خطط بوش

واللافت للنظر أنه منذ أن أعلن «بوش» عن استراتيجيته الجديدة بإرسال ما يزيد على ٢١ ألف جندي أمريكي إضافي إلى العراق، لتعزيز الخطة الأمنية، وهو يواجه معارضة شديدة ليس من قبيل الحزب الديمقراطي، بل من الحزب الجمهوري نفسه، بالإضافة إلى الشكوك الجدية التي عبر عنها كبار العسكريين الأمريكيين حول جدوى هذه الاستراتيجية الجديدة، في تخفيف العنف المتأجج في العراق، وفي هذا السياق سأل بوش الجنرالات الأمريكيين في العراق، فعارضوا زيادة القوات، وسأل أيضاً رئاسة الأركان المشتركة فعارضوا. بل إن مجلة عسكرية سألت الجنود في استطلاع فقالوا: «إنهم لا يعتقدون أن النجاح في العراق ممكن». وكانت النتيجة أن الرئيس بوش، قرر زيادة عدد القوات في العراق، وكأن ٢١ ألف جندي أمريكي إضافي هو الحل لما يحدث في العراق، وفي هذا الصدد يقف الأميرال «فالون» القائد الجديد في العراق، أمام أعضاء لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ، ويقول: «إن الاستراتيجية الأمريكية السابقة لم تنجح، وأن الوقت قصير لتطبيق استراتيجيتنا الجديدة. ومع ذلك فإنني سأبذل جهدي» وليس بعد هذا التصريح المعلن من جانب القائد الجديد في العراق من اعتراف دامغ بفشل استراتيجية بوش التي بدأها منذ الاحتلال الأمريكي للعراق في التاسع من أبريل ٢٠٠٣ وحتى الآن، وأن الوقت من القصر، بما لا يسمح بتطبيق استراتيجية بوش الجديدة، كما أن هذا التصريح يوحي بالفعل بفشل محتمل لهذه الاستراتيجية الجديدة التي يعلق الرئيس الأمريكي عليها آمالاً واهية لإنقاذ هيبة أمريكا في العراق، لقد وصفت صحيفة «لوس أنجليس تايمز» الاستراتيجية الأمريكية الجديدة بقولها: «إن الخطة الجديدة التي أعلن بوش عنها، شبيهة بواجب مدرسي، تأخر تقديمه. فهي تبدو جميلة ومنطقية ومقنعة في بعض أجزائها، لو أنها عرضت في الوقت المناسب».

بوش.. واستراتيجية الهروب

واعتبرت صحيفة «واشنطن بوست» «أن الخطة الجديدة من شأنها أن تطلق مرحلة أكثر خطورة من الحرب. وقد تشهد شهوراً من القتال في شوارع بغداد، وقد تضع القادة العسكريين الأمريكيين أمام حرب شوارع شرسة». وأكدت الصحيفة في افتتاحيتها قائلة: «إنه من غير المرجح أن تكون القوات الإضافية كافية لتغيير الوضع في العراق»، ولقد أجمع سياسيون وبرلمانيون روس على أن استراتيجية بوش الجديدة في العراق، هي محاولة للتهرب من الاعتراف بالهزيمة، بل إن رئيس لجنة الشئون الخارجية في البرلمان الروسي «قسطنطين كوساتشيف» اعتبر «أن خطة بوش الجديدة لن تنجح في إصلاح الأخطاء السابقة، التي أسفرت عن وضع مأسوي، يحاول بوش، مجدداً، إصلاحه عن طريق التلويح بعصا غليظة».

واعتبر السيناتور الجمهوري «أرلين سبكتر» «أن انضمامه إلى المعارضة الديمقراطية لخطة بوش بإرسال نحو ٢١ ألف جندي أمريكي إضافي، هو صوت جديد».

وتبقى الرسالة الأقوى هي التي تلقاها «بوش» من داخل معسكره الجمهوري ذاته، وجهها له السيناتور الناقد «جون وارنر» صاحب مشروع القرار الأكثر جرأة المعارض لإرسال قوات للعراق، والتف من حوله الديمقراطيون وبعض الجمهوريين.

وهناك شبه إجماع في الأوساط السياسية الأمريكية «أن مصير الخطة الجديدة هو الفشل»

وأن التوقعات ـ كما يراها الكثير من المحللين ـ تشير إلى أن الديمقراطيين والجمهوريين في الكونجرس يعتزمون إمهال الرئيس بوش بضعة أشهر قبل مطالبته بالإقرار بالفشل، ودعوته إلى التخلي عن إصراره «إبقاء العراق موحداً».

وفي هذا السياق يرى البعض أن ثمة مقولات، يجري ترويجها أمريكياً –حالياً– وهي: أن وحدة العراق، كانت نابعة من قسوة النظام السابق، ومع زواله تلاشت هذه الوحدة الوهمية وعاد العراق إلى طبيعته الطائفية، ولاشك أن هذا المفهوم الأمريكي الجديد يعفي الولايات المتحدة من مسئولية العنف الطائفي الذي يشتعل أواره في العراق، ويهيئ للحل الذي يدعو إليه البعض، علناً، وهو تقسيم العراق إلى ثلاث دول، شيعية، وسنية وكردية، لإطفاء جذوة العنف الطائفي، وهو ما يسعى إليه بوش؛ إذ أن هذا التقسيم الطائفي للعراق يحقق للإدارة الأمريكية الحالية هدفين رئيسيين:

الأول: خروج خجول للقوات الأمريكية من العراق، بعد الفشل العسكري فيه.

والثاني: خلق كيانات سياسية «فيدراليات» تدين للولايات المتحدة بالولاء، وبذر بذور الفتنة بين هذه الكيانات الثلاثة.

حرب غير شرعية وبلا هدف

ويتساءل البعض ما هي المشكلة في العراق؟ وما هو توصيف الوضع العراقي؟

يقول «محمود المشهداني» رئيس البرلمان العراقي: «إن الخلل موجود في كل مفصل من مفاصل الحياة العراقية، وبدأ عندما جاء الأمريكيون من دون غطاء دولي إلى العراق. وإن أول أسباب أزمتنا، هو ضعف الأداء الدولي في الأزمة العراقية، ثم جاء الجيش الأمريكي فأسقط النظام السابق بالطريقة العسكرية. وكان من الممكن إسقاطه بطريقة أخرى. وعليه فإن الخلل الآخر يأتي من القوات التي زعمت أنها تريد أن تحرر العراق، ثم جاء الخطأ القاتل بتفتيت الدولة. وهنا انتهينا إلى أن المخطط ليس في مصلحة العراق، ولا يراد منه تغيير النظام فقط وإنما هناك «مخطط لتفتيت البلاد» اجتماعياً وجغرافياً ويضيف رئيس البرلمان العراقي في حديثه حول توصيف الوضع العراقي فيقول: «إن هناك صراعات «احتداب طائفي» بين تيار شيعي متعصب، وآخر سني متشدد؛ لذلك قلنا إن الخطة الأمنية الجديدة، ستتعامل مع الخارجين عن القانون، من دون مسميات؛ لأننا نعرف أن الذي يُهجّر السني هو شيعي والذي يُهجر الشيعي، هو سني، وكلاهما لديه أجندة خاصة. وهناك أطراف أخرى تقتل العراقيين على الأغلب، وعليه نؤكد مراراً أننا سنتعامل مع الخارجين عن القانون أياً كان انتماؤهم. وكل عاقل لابد أن يدعم الخطة الأمنية بما يؤدي إلى إنجاحها، فإن نجحنا، فهو إنجاز لحفظ دماء شعبنا، وإظهار الصورة الحسنة للعراقيين، وهذا لا يعني أننا نؤيد كل تفاصيل الخطة».

وهكذا استطاع «محمود المشهداني» أن يحدد بدقة جوانب المشكلة في العراق، وكيف انفردت الولايات المتحدة الأمريكية في ظل إدارة بوش في صنعها مما أدى إلى هذا العنف الطائفي المتأجج، الذي مازالت تكتوي به هذه الإدارة، التي تبحث لها عن مخرج لقواتها الغارقة في بحر من دماء العراقيين الذين يذبحون كل يوم؟

والغريب، عندما سئل الرئيس الأمريكي «بوش» في مقابلة تليفزيونية أمريكية هل نحن مدينون للشعب العراقي باعتذار؛ لأننا لم نقم بالمهمة بشكل أفضل؟ وهنا رد «بوش» –غاضباً– «لقد حررنا بلادهم من طاغية. إنني أعتقد أن الشعب العراقي مدين للشعب الأمريكي بكثير من العرفان بالجميل. لقد قمنا بتضحيات كبرى من أجلهم».

ونتساءل هل الشعب العراقي هو الذي طلب من الأمريكيين مساعدتهم في تحريرهم من رأس النظام السابق، أم هم الذين جاءوا من بعيد، لينشروا الدمار والفوضى، حاملين معهم «مخطط تفتيت العراق»؟! ويجمع المحللون على أن العراقيين لم يطلبوا من الرئيس الأمريكي «بوش» أن يساعدهم، وأن الحرب كانت غير شرعية، وبلا تفويض من الأمم المتحدة. وبافتراض أن صدام حسين كان طاغية، فقد هزمه «بوش» الأب، وحاصره «بيل كلينتون» وأنهكه، حتى لم يعد يخيف أحداً. فلماذا جاء «جورج بوش» الابن، إلى العراق بهذه الجيوش الجرارة؟.

وإذا كان الشعب العراقي مديناً بالشكر للرئيس الأمريكي «بوش» على الإطاحة بصدام حسين وإعدامه شنقاً. فهل أصبح العراق أكثر أمناً واستقراراً عن ذي قبل؟ إن الوضع في العراق اليوم أسوأ بكثير منه أيام صدام حسين الذي يعتبره «بوش» طاغية. والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية، حينما ضحت بأبنائها في العراق، كانت من أجل إسرائيل والنفط، لا حباً في تحرير الشعب العراقي، الذي يُراق دمه كل يوم في ظل الاحتلال الأمريكي لبلاده.

الانسحاب الأمريكي هو الحل

وفي الختام نتساءل هل الاستراتيجية الأمريكية الجديدة –التي يرفضها الشعب الأمريكي والكونجرس وكبار العسكريين الأمريكيين، والتي ينادي بوش بتطبيقها في العراق– هي طوق النجاة لقواته الغارقة في هذا المستنقع المخيف الذي صنعته إدارة المحافظين الجدد بأيديها؟

وهل يمكن لهذه الاستراتيجية أن تعيد للعراق أمنه وأمانه؟ وهل يمكن لهذه الاستراتيجية الجديدة التي يعلق عليها بوش آمالاً كباراً أن تصنع عراقاً جديداً ينعم بالديمقراطية والحكم الصالح الرشيد؟ وهل يمكن لهذه الاستراتيجية الأمريكية المزعومة أن تعوض العراق الجريح عما أصابه من دمار وفوضى، وقتل يومي لأبنائه؟ وهل يمكن لهذه الاستراتيجية الجديدة أن تعيد للولايات المتحدة هيبتها التي لوثها بوش بغزوه العراق، بلا ذنب ولا جريرة إلا الطمع في بتروله، وحماية إسرائيل؟

إن الواقع الراهن في العراق يؤكد أن هذه الاستراتيجية لا يمكن لها أن تلبي مطلباً واحداً من هذه التساؤلات، لأن زيادة القوات الأمريكية في العراق التي تطالب بها هذه الاستراتيجية، ليست هي الحل لما يعانيه العراق من عنف طائفي، وانفلات أمني، فالحل الحقيقي هو: أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من العراق، كما سحبتها من فيتنام من قبل، ويكفي اعتراف بوش بأن هذه الاستراتيجية ليست وصفة سحرية لتغيير الوضع في العراق.



يد الله

تأليف
جريس هالسيل

ترجمة
محمد السماك

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٢

لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟!

(التاريخ يعيد نفسه) هذه المقولة قد ينكرها من يأخذون العبارات بظواهرها الحرفية؛ لتقديرهم: أن الزمن يتحرك إلى الأمام دائما ليصل بنا إلى الغاية التى حددها مبدع الكون وخالقه. ولكن من العبارات روحها إلى جانب حروفها، ويربطون بين دلالتها اللفظية ودلالتها الإيحائية... يجدون تلك المقولة صادقة كل الصدق؛ لأنها تعنى: أن ما استقبله الزمن من أحداث الأمس قد يستقبل الزمن مثله أو شبيهه اليوم.

لذلك... وجدت نفسى أمام صنيع بعض مسيحيى أمريكا -متواطئين مع بعض الجماعات الصهيونية اليهودية- فى تحريف كلام الله عن مواضعه، وتحريف كلام رسل الله وغيرهم من المصلحين كذلك مستغلين ميل عامة الأمريكيين فطريا إلى التدين، ومستغلين ما قدمه العلم الحديث فى مجال الإعلام... فتذكرت على الفور ما تلقيناه عن القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فى وصف أسلاف هؤلاء الذين أتقنوا فن الاتجار بالكلمة، وجعلوا منها سلعة يروجون بها ما يريدون، من قلب الحقائق، مثل قوله تعالى:

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾

(النساء: ٤٦)

وقوله عز شأنه منبها إلى ما أوصلهم إلى هذا النهج من ضلال لا مطمع معه فى اهتدائهم:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٧٥)

وقوله سبحانه مشيرا إلى ما أوصلهم إليه هذا التضليل والتحريف:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾

(المائدة: ١٣)

فمن ذا الذى يتعرف على (جيرى فولويل) القس المسيحى البروتستانتى وجماعته السائرين فى ركبه من قساوسة وسياسيين وإعلاميين ويرى ما يصنعونه بالمسيح عليه السلام وتعاليم المسيحية السمحة من مسخ، وتحريف، وتزييف، جعلوا به السماحة قسوة وعنفا وقهرا، والسلام حربا مدمرة مبيدة، تأتى على كل ما توصل إليه الإنسان من تقدم وتحضر ولا يتذكر أولئك الذين حدثنا القرآن الكريم عنهم، وقدم طرفا من تعنتهم وصنائعهم؟!

لقد كشفت لنا الكاتبة الأمريكية المسيحية (جريس هالسل) بعض أضاليل هؤلاء، ومدى نجاحهم فى التأثير على عقول الأمريكيين باسم الدين. ونحن معها فى كتابها (يد الله) نتعرف على بعض آخر من تلك الأضاليل، وإن يكن مكملا لسابقه.

عدوُّ المسيح.. الشخص والهوية

ففى الفصل الرابع (من هو عدو المسيح؟) تواصل الكاتبة استعراض تخليط القساوسة الإنجيليين وخرافاتهم؛ فتقدم طرفا مما صدر عن القس (جيرى فولويل) فى مؤتمر للقساوسة، عقد فى ١٥ من يناير سنة ١٩٩٩ فى (كينجز بورة-تنيسى)، وحضره ألف وخمسمائة شخص، فى هذا المؤتمر قال القس (فولويل): إن عدو المسيح -الذى صور لنا قبل ألفى عام على أنه متوج بالشر- يمكن أن يكون يهوديا يعيش اليوم.. إنه بالتأكيد ذكر يهودى.

ثم -بعد انتقاد جماعات يهودية لقوله- عاد ليقول: لأن المسيح جاء إلى الأرض أول مرة قبل ألفى عام كيهودى، فإن معظم الإنجيليين يعتقدون: أن عدو المسيح سوف يكون بالضرورة يهوديا ذكرا.

وقال (كلايد) موضحا نظرية العداء للمسيح: عندما يتحدث (دانيال) فى سفره عن الشرير الذى يسبب الخراب، نفهم أنه يعنى بذلك عدو المسيح الذى يشوه المعبد فى القدس.

ثم قال: إننا نجد فى الفصل الثالث عشر من سفر الرؤيا وحشا بسبعة رءوس وعشرة قرون يخرج من البحر، له شكل الأسد والدب والفهد معا. ثم يعطى الشيطان لهذا الحيوان سلطة واسعة، ويمكنه من أن يخوض الحرب ضد القديسين لتحقيق الكثير من العجائب، وليتفوق على جميع القبائل والشعوب والأمم. وسوف يحكم فى خلال السنوات السبع من المحنة الكبرى، وسوف يطبع علامة على اليد اليمنى أو على جبين كل شخص، صغيرا كان أو عظيما، غنيا أو فقيرا، حرا أو مقيدا..

وقرأ من النصوص الدينية: «هنا الحكمة، دع ذاك الذى يدرك: أن يحصى عدد الوحوش، ذلك هو رقم الإنسان والرقم هو ستمائة ثلاثة أضعاف وستة.»، ثم قال: وهنا أقول: إننا حصلنا على علامة الوحش، وعلى الأرقام المميزة (٦٦٦).

إنى أعتقد أن الطليعة الأولى من حرس أعداء المسيح موجودون بيننا الآن، إنهم يجعلون من هذا الرقم مكونا لنظام عالمى معاد للمسيح، فإذا نظرنا من حولنا نجد أن هذه الأرقام الثلاثة موجودة على

ما لا يحصى من المنتجات والأشكال المالية، نجد استعمالا متزايدا للرقم (٦٦٦) حول العالم كله.

وفي التعريف بقوة عدو المسيح يقول (كلايد): «لا يمكن تصور قدرة عدو المسيح على الإمساك بدفة القيادة بما يملك من قدرات مؤثرة، وأجهزة متطورة جدا، وتقنيات متقدمة... إن (دانيال) يخبرنا عن قرون الوحش، فمع التقارب الأوروبي نجد أن الرؤية تتحقق؛ فقد قام الاتحاد الأوروبي سنة ١٩٤٨، وقام (حلف شمال الأطلسي) سنة ١٩٤٩، وقام الاتحاد الأوروبي الاقتصادي سنة ١٩٥٧.. إن ذلك هو عودة ظهور الإمبراطورية الرومانية في العصر الحديث.

إن عدو المسيح إنسان شرير يساعده الشيطان، ويخدع الجميع، فلسوف تقع كل شعوب العالم وقادتها أسيرة براعته وذكائه وقدرته -وأعتقد أنه سيخرج من رومانيا- لأن القادة مدفوعون بروح شيطانية، ويمثلون الأرواح الشيطانية للملائكة الساقطين الذين تابعوا إبليس في تمرده على الله وعدو المسيح هو الذي سيضع الأرواح الشيطانية في قادة دول العالم. وهذا يعني: أن عدو المسيح سيقود قوات الشر في المعركة الأخيرة التي لا يمكن تصور ما تخلفه من دمار ومعاناة، والله وحده يعرف كيف سيقضي على مئات الملايين من الناس.. وبعد ذلك سوف يرسل الله المسيح ليذبح عدوه، وفي ساعة واحدة سوف يدمر الأرض كلها، وبذلك يبرهن الله عن نفسه من خلال ابنه بالانتصار على الشر.

النشوة الدينية وعودات المسيح

وفي الفصل الخامس (ما هي السعادة المطلقة؟) تعلن الكاتبة (جريس هالسل) اكتشافها الفارق بين الأصولية المسيحية التي استقرت عليها منذ مطلع حياتها، وبين الأصولية التي يبشر بها رفاق الرحلة السياحية بقيادة القس (فولويل) وأتباعه.. ويتمثل هذا الفارق في تمسكهم بفكرة (النشوة الدينية) وما يرتبونه عليها.

ولكي تُقنع الكاتبة بحقيقة تلك النشوة قال القس (كلايد) لها: إن عبارة (النشوة الدينية) ليست موجودة في النصوص الدينية، ولكنها تعني: اللحاق بالسيد المسيح. وهي تشير إلى ما ورد من «أن السيد نفسه سوف ينزل من السماء، وبصرخة يطلقها كبير الملائكة ببوق الرب، وسيقوم أولئك الذين ماتوا وهم مؤمنون بالمسيح، وبعد ذلك فنحن الذين بقينا على قيد الحياة، سوف نجتمع معهم في السحب لمقابلة السيد في الهواء».

ويواصل كلايد حديثه مؤكدا أنه يعتقد أن نشوته الدينية يمكن أن تحدث في أي وقت، بل يعتقد أنها ستكون الحدث التالي، ولذلك فسوف يتكرر مجيء المسيح؛ سيأتي للمرة الثانية ليأخذ قديسيه، ثم يعود بالتأكيد للقتال في (هرمجدون)، ولا داعي لإحصاء عدد المرات التي يأتي فيها من أجل تحقيق النشوة الدينية، فسوف يحقق ذلك في السماء.

أما عن كيفية انتقاء المسيح من يستحق النشوة الدينية فقد أوضحها (كلايد) في قوله: «لنفترض أنني كنت أقود سيارتي مع صديق... لن يُنقَذ -يعني الصديق- عندما تقع المحنة التي أتوقعها في أي وقت، فسوف أرفع وحدي إلى السماء من داخل السيارة، وسوف تذهب السيارة أشلاء، ويقتل صديقي في الصدام؛ فبينما أتنعم أنا بالنشوة الدينية الكبرى، وبسعادة اللقاء مع المخلص... يحرم صديقي من كل ذلك».

وهذا هو حال زوجتي وابني، وأولاده.. فلأنهم ماتوا قبل أن يعترفوا بأن المسيح هو المخلص؛ سأكون أنا في الجنة، حيث لا أستطيع أن أراهم، فالرب الذي أومن به سوف يُنْزِل بكل الذين لم يولدوا ثانية ممن ماتوا أو يعيشون اليوم قسطهم من العقاب الأبدي.

الولادة الثانية تنجي من النار الأبدية

وفي الفصل السادس (من هو المؤهل للسعادة المطلقة؟) حرصت الكاتبة على توضيح المقصود بتجربة (الولادة الثانية)، وأهميتها، ووسيلة الإقناع بحدوثها، والغاية منها، والمستجيبين لها؛ فذكرت: أن (الولادة الثانية) هي المحققة للنجاة من معاناة اليوم الآخر، وأنها تتحقق للفرد بمجرد شعوره بأنه من الناجين، فكما أن الفرد يصف نفسه بأنه مسيحي، أو مسلم، أو يهودي، أو بوذي فيتقبله الآخرون على أساس ما وصف به نفسه... فكذلك يكفي أن يصف الفرد نفسه بأنه من الناجين، حتى يتقبله الآخرون على أساس ما وصف به نفسه!

وهذا فحوى قول (وليم جيمس) المفكر التربوي في كتابه (نماذج التجارب الدينية): «إن التجربة الدينية التي تبدو تأكيدا للثقة تأتي غالبا على شكل إلهام فردي وشخصي. ولعل أحسن ما يمكن أن توصف به تجربة (الولادة الثانية) هو من خلال القصص الشخصية».

وقد لاحظت الكاتبة أن ٤٨٪ من سكان الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة وصفوا أنفسهم سنة ١٩٨٦ بأنهم مسيحيون مولودون ثانية، وأن المؤمنين بعقيدة الولادة الثانية ينتمون إلى جميع الطبقات الاجتماعية والاقتصادية؛ من قساوسة، وإعلاميين، ورجال أعمال، وسياسيين.

وذكرت الكاتبة أمثلة من أسماء كل طبقة من هؤلاء، وممن ذكرتهم من السياسيين: الرئيس (جيمي كارتر)، والرئيس (رونالد ريجان)، و(جورج بوش)، و(الدريم كليفر) قائد حزب بانثر، و(مارك هاتفيلد) السيناتور السابق عن ولاية (أوريجون)، و(أوليفر نورث) عضو مجلس الأمن القومي في عهد (ريجان)، و(كينيث ستار) النائب العام المستقل.

ولكي توضح الكاتبة تجربة (الولادة الثانية) الشخصية، وما يواكب حدوثها في نفس الفرد من مؤثرات... قدمت قصتها الشخصية مع تلك التجربة، وقصة والدها، حيث تبين قصتها هي: أن شعورها بالولادة الثانية نتج عن براءتها الطفولية المرعية بأسرة تميل إلى التدين... تلك البراءة التي فعلت فعلها بتأثير الخوارق المفزعة من النار والكبريت التي ظل المبشر المثالي (تيرنر) يبشر بها كل الأشرار، طوال إقامته في المدينة، بعد أن قسم العالم إلى شرير وفاضل، وأخبر أن الشرير محكوم عليه بجهنم، ولن ينجو منها إلا المولودون ثانية.

وساعد على تعميق آثار هذه المواعظ المفزعة في نفسها تكرارها في كل ليلة، إلى أن فقدت المدينة ، وسائل المعرفة والثقافة فيما عدا تلك المواعظ المدعومة بما ينقله مباشرة من كلام الرب عن النسخة الكبيرة من الكتاب المقدس التي كان يحملها بيده اليسرى... مضافا إلى ذلك: ما يحدثه من تأثير صوت الموسيقى الصادر من العزف على البيانو في الكنيسة... وقد بلغ هذا التأثير في نفس الفتاة مداه؛ فاندفع بها منفردة من مقعدها الخشبي إلى حيث كان المبشر واقفا، استجابة منها وحدها عندما طلب من الجميع

التقدم إلى الأمام ليحصلوا على النجاة.. فسارع الجميع لمعانقتها، وهي ترتجف بلا إرادة، والدموع تنهمر من عينيها.

وتكاد قصة والدها مع تجربة العودة الثانية تشبه قصتها، في حدوثها مبكرا، وفي تأثير كلام البشر فيه، حتى اندفع للارتقاء أمام المذبح من غير تفكير.

وكأني بالكاتبة تومىء إلى أن هذا التأثير بفاعلياته ناشىء عن سذاجة المستقبلين، وتهيئتهم النفس للاستجابة، كما وضح ذلك مما جاء في استطرادها بصورة ما كان من اليابانيين من انصراف تام عن النجاة، وفكرة (العودة الثانية).

وشروح الإنجيل مقدسة ومعصومة

وفي الفصل السابع (براد، وإنجيل سكوفيلد) قدمت الكاتبة ما كشفته خلال زيارتها للحج في الأراضي المقدسة تحت إشراف القس (جيري فولويل) من أن لشرح الإنجيل وللتعليقات عليه من القداسة والعصمة مثل ما للإنجيل ذاته، كما هو الحال في إنجيل (الملك جيمس)، وإنجيل (سكوفيلد) على نحو ما جاء في إجابة (براد) عن تساؤل الكاتبة حول عصمة كلمات (سكوفيلد) المزروعة في الكتاب المقدس، حيث قال: «لقد أوضح (سكوفيلد) الأمر وضوح البلور؛ فقد تنبأ الآخرون بعودة اليهود إلى فلسطين في الأيام الأخيرة، غير أن (سكوفيلد) وجد أن العودة ضرورية جدا.

وفيما كان (سكوفيلد) يقرأ الكتاب المقدس شعر بأن بعض الفقرات التي كان يقرؤها كانت تكشف له عن خطوات معينة يحتاج المسيحيون إلى اتخاذها من أجل تسريع عودة المسيح.

ولكن (سكوفيلد) خشي من أن الكثيرين غيره لم يكونوا على مستوى استيعابه هو؛ فلا يقدرون على جعل الكتاب المقدس واضحا كالبلور حول ما يريده الله قبل أن يرسل ابنه في رحلة العودة... لذلك فكر (سكوفيلد) في إدخال مشاعره وملاحظاته، وأفكاره الخاصة في الكتاب المقدس كي نتمكن من فهم أحداث اليوم في ضوء ما سبق للكتاب المقدس أن أخبر به.

ومن أجل ما أدخل (سكوفيلد) على الكتاب المقدس أطلق عليه اسم الإنجيل المرجع، وكان أكثر انتشارا في المسيحية كلها؛ فقد رأى (سكوفيلد) الحياة كلها من البداية الأبدية؛ رآها مفتوحة أمامه في العصور المقدرة؛ فرأى كل الأحداث المتمحورة حول إعادة إسرائيل إلى الوجود، فعلى اليهود أن يفعلوا ما يجب أن يفعلوه حتى يعود المسيح حيث يجلس على عرش الملك داود ليحكم العالم بعد الانتصار في (هرمجدون).

وفي مقابلة للكاتبة مع الدكتور (جون فالوورد) أستاذ (هول ليندسي) قال -وهو يحمل كتابا مقدسا كبيرا-: «إن الله لا ينظر إلى جميع أبنائه بنفس الطريقة؛ فقد أخبرني الله: أن له مخططاته لليهود والمسيحيين، وليس لغيرهم مالم يصبحوا مسيحيين، لقد أعد الله خططا سماوية للمسيحيين، وخططا أرضية لليهود لإعادة إقامة إسرائيل.»

وبذلك رأى (جون فالوورد) وغيره من الأصوليين المسيحيين: أن إقامة إسرائيل سنة ١٩٤٨ كان تحقيقا لنبوءة توراتية، تشير إلى الاقتراب بسرعة من الأحداث الأخيرة التي تقود إلى عودة المسيح.

إنها أضاليل.. لا تعرفها المسيحية

ومع تنوع الوسائل المضلة التي استخدمها هؤلاء القدريون المسيحيون في الهيمنة على عامة الأمريكيين؛ مستغلين فطرتهم التدينية... لاحظت الكاتبة (جريس هالسل): أن كثيرين من هؤلاء المسيحيين القدريين يدركون أن القدرية ليست عقيدة مسيحية، مثل (دايل كراول) المذيع الديني في واشنطن الذي أخبرها: أنه في شبابه آمن بعقيدة (سكوفيلد) وترعرع مع القدرية التي تعلمها في العديد من مدارس الأحد على أيدي أساتذة وقساوسة إنجيليين، وعلى أيدي أساتذة الكلية الذين يكنُّ لهم عميق الاحترام، حتى قدَّس تلك العقيدة وبشر بها.

وأنه ظل كذلك إلى أن التقى في أحد أيام سنة ١٩٥٢ بالدكتور (جيمس ر. جراهام) المربي اللاهوتي المبشر، فلما رأى إنجيل (سكوفيلد) في يده سفَّه كل ما يضمه هذا الإنجيل، عن طريق مناقشة النظرية القدرية نقطة نقطة، حتى وجد هذا الإنجيل ينهار مثل بيت من ورق، مقررا -في إجمال-: أن تلك النظرية بنظامها الجديد في تفسير النبوءات لا يزيد عمرها على مائة وخمسين عاما؛ مما يعني: أن كنيسة المسيح لم تعرف ما جاء في (سكوفيلد) ثمانمائة وألف عام، ازدهرت فيها هذا الازدهار من دون تلك العقيدة الغريبة والخطيرة.

واسترسل (دايل كراولي) قائلا: إن الدكتور (جيمس ر. جراهام) هذا فتَّح عيني على الكثير من الأفكار الخاطئة التي تضمنها (سكوفيلد)، مثل:

١- قضائه على وحدة محبة الله وعطفه على الإنسانية في الأجيال كلها.

٢- انتهاك معنى المسيح والمسيحية؛ بتحويل المسيحيين إلى رهائن لما يفعله يهود اليوم.

٣- وضع اليهود وإسرائيل في مركزية المسرح مع المسيح.

٤- جعل أفضلية الدولة اليهودية عند الله فوق الكنيسة، وفقا لتعاليم السيد المسيح، اعتقادا بأن للدولة اليهودية الأولوية عند الله.

٥- جعل الله مع المسيح والمسيحية رهينة لعودة اليهود إلى أرضهم؛ بتقرير: أن الله لا يستطيع أن يسمح للمسيح بالعودة حتى يقوم اليهود بدورهم الأرضي؛ استنادا إلى سيناريو أعده (سكوفيلد) نفسه.

٦- اختراع فكرة تقسيم وعود الله إلى وعود أرضية للمختارين منه في الأرض وهم اليهود، إلى وعود سماوية للمختارين منه في السماء وهم المسيحيون.

٧- القول بأن بين الله والإنسان عهدا غير مشروط، على الرغم من عدم وجود شيء من ذلك في النصوص المقدسة.

٨- تعليم: أن المسيح سيعود لإقامة مملكة يهودية، وسوف يجلس على العرش في المعبد الثالث في القدس مترئساً الصلاة بأسلوب العهد القديم والقوانين القبلية.

وواصل (كراولي) حديثه مرجعا سر انتشار قدرية (سكوفيلد) إلى ما تضمنته من غرائب تجتذب أولئك الذين يسعدون بحصولهم على الأخبار مسبقا، ويفرحون باطلاعهم على ما في فكر الله، ويستجيبون لإغراء القساوسة إياهم بأنهم إذا اعتنقوا عقيدة أرض إسرائيل فسوف ينضمون إلى جماعة من الخاصة المقربين، وسوف يكافئون بالسلطة والنظام، والأمن، والاهتمامات الشخصية.

سيجريد هونكه

تقارن بين الغرب والإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

أما الشهادة الثانية والثلاثون - والتى تختم بها هذه الشهادات الغربية، المنصفة للإسلام - فهى للعالمة الجليلة، والمستشرقة الألمانية الشهيرة «سيجريد هونكة»، التى ولدت فى ٢٦ من أبريل سنة ١٩١٣م بمدينة «كيل» - الألمانية - والتى تخرجت فى جامعات «كيل» و«فرايبورج» و«برلين»، والتى تخصصت فى الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات.

● ولقد حصلت «سيجريد هونكة» على الدكتوراة من جامعة «همبولدت»، فى برلين سنة ١٩٣٩م بأطروحة عنوانها: «حول تأثير الأنماط الغربية فى ضوء فن الغزل العربى والألمانى».

● وقامت بتدريس الفلسفة - وعلم النفس الجمعى للشعوب - وعلم الأديان المقارن - واللغة الألمانية وآدابها - وتاريخ القرون الوسطى.. فى العديد من الجامعات.

● كما قدمت للمكتبة أعمالها الفكرية المتميزة، التى تخصصت فى دراسة الإسلام وحضارته، مقارنة بالحضارة الغربية والنصرانية.. ومن هذه الأعمال الفكرية:

١- «شمس الله تسطع على الغرب» سنة ١٩٦٠م.. ولقد بيعت منه أكثر من مليون نسخة.. وصدرت ترجمته للعربية بعنوان: «فضل العرب على أوروبا» سنة ١٩٦٤م.

٢- «العقيدة والمعرفة» الذى صدرت ترجمته العربية سنة ١٩٨٧م.

٣- «الله ليس كذلك» الذى كتبته فى أوائل تسعينيات القرن العشرين، وصدرت ترجمته العربية سنة ١٩٩٥م.

٤- «قوافل عربية فى رحاب القيصر» سنة ١٩٧٦م عن الصلات التاريخية بين العرب والألمان..

● ولقد أسست «سيجريد هونكة» لمشروعها الفكرى - المقارنات الحضارية والدينية - سنة ١٩٧٣م.. رابطة حملت اسمها وتولت الرئاسة الفخرية لها.

● وهى عضو شرف بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بمصر - وحاصلة على العديد من الجوائز والأوسمة العالمية.. ومنها: جائزة وسام الفيلسوف كانت سنة ١٩٨١م.. وجائزة الشاعر «شيللر» للألمان سنة ١٩٨٥م. ووسام الاستحقاق والتقدير المصرى من الطبقة الرفيعة فى العلوم والفنون سنة ١٩٨٨م.

* * *

وفى هذه الشهادة تؤكد الدكتورة «سيجريد هونكة» على:-

١- سماحة الإسلام فى مقابل التعصب الأعمى للكهنوت النصرانى الغربى.

٢- والفهم الغربى الخاطئ للجهاد فى الإسلام.

٣- والنموذج الإسلامى المتميز لتحرير المرأة وحريتها.

٤- وتميز العقل اليونانى بالطبيعة التأملية التجريدية المحتقرة للعمل اليدوى، وللتجربة فى الطبيعة. الأمر الذى جعل هذا العقل لا يتخذ فى الطبيعة مصدرًا للمعرفة، ولا من التجريب أداة لاختبار صدق المعرفة.. فوقفت المعرفة - لديه - عند العقل، لا الواقع، والفلسفة، لا العلم..

٥- وتميز العقل المسيحى الأوروبى بالموقف المعادى من معرفة الطبيعة، التى اعتبرها خطيئة.. وشهوة مماثلة لشهوة الجسد الكامنة فى الحواس.. كما اعتبر العقلانية إثمًا.. وحصر المعرفة فى اللاهوت والإنجيل وحده.. فالمعرفة - عند هذا العقل النصرانى الأوروبى - ليست فى هذا العالم.. والبحث عنها فى غير الوحى خطيئة وإلحاد..

٦- ورفض المسيحية الأوروبية للفكر اليونانى وتراثه.. على حين أحياه الإسلام.

٧- وتميز العقل الإسلامى والعربى بـ:

- التسامح والتفاعل مع المواريث الحضارية.. وإنقاذ هذه المواريث من الضياع.

- وأثر التسامح الإسلامى فى إبداع الدراسات المقارنة.

- وتميز الحضارة الإسلامية بالإبداع فى العلوم المدنية والحضارية منذ فجر ظهور الإسلام.

- والإبداع الإسلامى للمنهج التجريبى، كأثر من آثار الموقف الإسلامى المتميز من الطبيعة.. الأمر الذى ميز العلم الإسلامى، وحقق الإضافات التى تجاوزت العلم اليونانى.. وصححته بالتجربة.. والتى نهضت على أساسها أوروبا نهضتها الحديثة.

- وأثر التجريب فى العلم الإسلامى على نشأة المنهج الاستقرائى، المنطلق من

الجزئيات إلى الكليات والقانون..

ـ وأستاذية العلماء المسلمين لأوروبا الحديثة..

٨- والدور العلمي التجريبي الإسلامي في انتصار العقل العلمي الأوروبي الحديث على النظرة اليونانية والنظرة المسيحية للطبيعة والتجريب..

ـ وتبني العلم الأوروبي للنزعة الإيمانية في فلسفة العلم الطبيعي، على النحو الذى سنته فلسفة العلم فى حضارة الإسلام..

ـ وشذوذ العلم الوضعي الغربي ـ المادى ـ عن إسلامية العلوم.

٩- كما تشهد «سيجريد هونكة» لضرورة تميز النهضة العربية المنشودة بمكونات الهوية الحضارية الإسلامية المتميزة.. دونما تغريب واغتراب.. ودونما عزلة وانغلاق..

نعم.. تشهد هذه العالمة الجليلة، على هذه الحقائق.. حقائق الامتياز الإسلامى والتميز الحضارى الإسلامي.. فتقول:

سماحة الإسلام

«إن سماحة النفس العربية وتسامحها الآسر الغامر الذى نما فى ثرى تلك القارة تحت ظلال الحضارة العربية الفريدة، كان له أبلغ الأثر فى ازدهار أسبانيا العربية ـ على العكس من اضطهاد «إيزيدورس» لليهود والمارقين إبان عصر القوط الغربيين ـ لقد سمح لدروب الفكر على تباين المفكرين واختلافهم، أن تتلاقح وتثمر فى تساوق سام، وانسجام تام، دون أن يدب إليها الانحطاط إذا سكنت رياحها: لا فرق بين العرب والقوط، والبربر والمصريين، واليهود والسوريين وسكان أيبريا، والفرس، ولقد انسحب ذلك على المسلمين ـ وقد كانوا الأغلبية ـ وعلى غيرهم من اليهود ومن النصارى غير مغبونين...».

• «إن العرب هم الذين أبدعوا إبداعًا، يكاد يكون من العدم، هذه الروعة الحضارية الشامخة فى إسبانيا، تلك الجنة الفريدة الجمال لأساتذة فن المعمار، والمغنين والمغنيات، والشعراء والشاعرات والعلماء، بل جنة المرأة التى نسج الغرب حولها صورا خيالية شيطانية غاية فى الوحشية، دون أن يكون له أدنى معرفة أو حتى إلهام طفيف ضحل بها».

• «.. إن الكتب، آنذاك كانت نادرة الوجود شمالي جبال البرانس حتى إنها كانت فى الأديرة تثبت بالسلاسل، بينما ذهب رجال الدين النصارى -آنذاك- إلى أن طلب العلم والمعرفة بعدما أنزل الإنجيل، تجديف وكفر بالله «مثلما زعم من قبل «ترتوليان» (١٦٠ - ٢٢٠م) و«أغسطين» (٣٥٤ - ٤٣٠م) اللذان لعنا حب الاستطلاع أو الفضول المريض» واصفين إياه بأنه: «واحدة من أخطر صور الوسوسة والضلال، مما يسلم الفضولى إلى الملاحقة والتعذيب».

• «وبينما عاشت النصرانية فى ظل الحكم الإسلامى قرونا طوالا -فى الأندلس وفى صقلية وفى البلقان-

فإن «انتصار النصرانية على الإسلام فى

عندما احتل الصليبيون دمياط أبادوا جميع أهلها وعندما سقطوا أسرى أحسن المسلمون معاملتهم!!

الأندلس سنة ١٤٩٢م لم يعن سوى طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصير واستئناف نشاط محاكم التفتيش التى قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية دينا والحرق العلنى فى احتفالات رسمية تحفها الطقوس والشعائر الكنسية لكل من اعتنق الإسلام أو اليهودية.. ولم تلغ محاكم التفتيش إلا فى سنة ١٨٣٤م».

• «لقد كفلت معاهدة السلطان الكامل (٦١٥ - ٦٣٥هـ، ١٢١٨ - ١٢٣٨م)- ابن أخ صلاح الدين الأيوبى (٥٦٤ - ٥٨٩هـ، ١١٦٩ - ١١٩٣م) -مع القيصر فريدريك الثانى (١١٩٤ - ١٢٥٠م) المساواة التامة بين المسلمين وغير المسلمين، والاحترام المتبادل، والحرية الكاملة لليهود والنصارى والمسلمين فى إقامة شعائرهم الدينية فى كافة أنحاء الأرض المقدسة كما شاءوا...».

• «ولقد كتب بطريرك القدس (تيودوسيوس).. فى أوائل القرن الحادى عشر -إلى الأسقف (أجناتيوس) - فى بيزنطة ـ يقول: «إن العرب هنا هم رؤساؤنا الحكام، وهم لا يحاربون النصرانية، بل على العكس من ذلك يحمونها، ويذودون عنها ويوقرون قساوستنا ورهباننا، ويجلون قديسينا...».

• «بينما أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية (برنارد كليرفوكس) أمره إلى المحاربين الصليبيين: «إما التنصير وإما الإبادة»!.

«ووصف المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» مذبحة المسلمين فى القدس سنة ١٠٩٩م ـ على يد الصليبيين وكيف كان البطريرك نفسه يعدو فى زقاق بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح فأخذ فى غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور التالى: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًا إن للصديق مكافأة، وإن فى الأرض إلهًا يقضى» -(المزمور ٥٨: ١٠-١١)-.. ثم أخذ فى أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب»!.

• وعندما احتل الصليبيون «دمياط» ـ الميناء المصرى ـ بعد الاستيلاء على حصنها (٦١٥هـ، ١٢١٨م) أبادوا جميع من بها، بناء على أوامر البابا ومبعوثيه الكرادلة ورجال الكنيسة..

فلما انتصر السلطان الكامل على هذه

خطاب شكر من أسير صليبى إلى السلطان الكامل

الحملة سنة ١٢٢١م أكرم أسراهم.. ولم يقتص منهم: العين بالعين، والسن بالسن، وإنما أطعمهم فى مسغبة أربعة أيام طوالاً، مرسلاً إلى جيشهم المتضور جوعاً كل يوم ثلاثين ألف رغيف، ومواد غذائية أخرى.. وشهد بهذا الإكرام أحد هؤلاء الأسرى ـ عالم الفلسفة اللاهوتية (أوليفروس) من كولونيا نهر الراين بألمانيا- فكتب يقول للملك الكامل:

«منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذه الترفق والجود، خاصة إزاء أسرى العدو اللدود. ولما شاء الله أن نكون أسراك، لم نعرفك مستبداً طاغية، ولا سيداً داهية، وإنما عرفناك أباً رحيماً شملنا بالإحسان والطيبات، وعوناً منقذاً فى كل النوائب والملمات، ومن ذا الذى يمكن أن يشك لحظة فى أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟. إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم، وأذقناهم مر العذاب، لما غدونا أسراهم، وكدنا نموت جوعاً، راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بها من خصاصة، وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان..».

● «وحين تمكن صلاح الدين الأيوبى من استرداد بيت المقدس (٥٨٣هـ، ١١٨٧م) التى كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (٤٩٢هـ، ١٠٩٩م) بعد أن سفكوا دماء أهلها فى مذبحة لا تدانيها مذبحة وحشية وقسوة، فإنه لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقاماً لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته، ضارباً المثل فى التخلق بروح الفروسية العالية..

وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف الفروسية النصرانية أى التزام خلقى تجاه كلمة الشرف أو الأسرى.. فالملك ريتشارد قلب الأسد (١١٥٧ - ١١٩٩م) الذى أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربى أن حياتهم آمنة، إذ هو فجأة منقلب المزاج، فيأمر بذبحهم جميعاً..»[1].

الجهاد الإسلامى

«إن الجهاد الإسلامى، ليس ما نطلق عليه ـ ببساطة ـ مصطلح «الحرب المقدسة» فالجهاد ـ كما يذكر الألمانى المسلم أحمد شميده ـ: «هو كل سعى مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت بالإسلام فى أنفسنا، حتى نتمكن فى هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومى المتجدد أبداً ضد القوى الأمارة بالسوء فى أنفسنا وفى البيئة المحيطة بنا عالمياً، فالجهاد هو المنبع الذى لا ينقص والذى ينهل منه المسلم مستمد الطاقة التى تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعاً بإرادة الله عن وعى ويقين. إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التى تقف فى وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعى إسلامى فى ديار الإسلام».

... واليوم، وبعد انصرام ألف ومائتى عام لا يزال الغرب النصرانى متمسكاً بالحكايات المختلقة الخرافية التى كانت الجدات ترويها، حتى زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام «بالنار وبحد السيف البتار» من الهند إلى المحيط الأطلنطى، ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة وفى الجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفى الرأى العام، بل فى أحداث حملات الدعاية ضد الإسلام.

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

تلك هى كلمة القرآن الملزمة ـ كما ترد فى الآية السادسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة ـ فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامى، وإنما بسط سلطان الله فى أرضه، فكان للنصرانى أن يظل نصرانياً، ولليهودى أن يظل يهودياً كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك.. ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضرراً بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم..

لقد كان أتباع الملل الأخرى، وبطبيعة الحال من النصارى واليهود هم الذين سعوا سعياً لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، ولقد ألحوا فى ذلك شغفاً وافتتاناً، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثياباً عربية، وعادات وتقاليد عربية، ولساناً عربياً، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا بالشهادتين ـ لقد كانت الروعة الكامنة فى أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربى، والسمو والمروءة والجمال.

● وباختصار: السحر الأصيل الذى تميز به الحضارة العربية، بغض النظر عن الكرم العربى والتسامح وسماحة النفس ـ كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم ـ لقد ساء ذلك الآباء الروحيين النصارى، فقد كانوا شهود عيان فى الأندلس لقوة جذب المد الروحى والفكرى العربى، الذى سقط ضحيته رعاياهم النصارى طوعاً وعن طيب خاطر، يشهد بذلك أسقف قرطبة (المقارو) الذى راح يجأر بشكواه بكلمات مؤثرة تصور بلواه: «إن كثيرين من أبناء دينى يقرءون أساطير العرب، ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين، ليس ليدحضوها، وإنما ليتقنوا اللغة العربية ويحسنوا التوسل بها حسب التعبير القويم والذوق السليم، وأين تقع اليوم على النصرانى ـ من غير المتخصصين ـ الذى يقرأ التفاسير

(١) سيجريد هونكة، (الله ليس كذلك) ص ٢٣-٥٥، ٤٥، ٣٠، ٣، ٢٠، ٢٥، ٢٢، ٢٣، ٢٤. ترجمة د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

فمن يلوم على النصارى حبهم للغة العرب وآدابهم وجهلهم بالاتينية!!

اللاتينية للإنجيل؟. بل من ذا الذى يدرس منهم حتى الأناجيل الأربعة، والأنبياء ورسائل الرسل؟.

وا حسرتاه!. إن الشبان النصارى جميعهم اليوم الذين لمعوا وبذوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربى!. إنهم يتعمقون فى دراسة المراجع العربية باذلين فى قراءتها ودراستها كل ما وسعهم من طاقة منفقين المبالغ الطائلة فى اقتناء الكتب العربية وإنشاء مكتبات ضخمة خاصة، ويذيعون جهراً فى كل مكان أن ذلك الأدب العربى جدير بالإكبار والإعجاب!. ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى، فإنهم يردون باستخفاف، ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم!..

وا مصيبتاه!. إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا تكاد تجد اليوم واحداً فى الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة، بينما العكس من ذلك لا تستطيع إحصاء عدد من يحسن منهم العربية تعبيراً وكتابة وتحبيراً، بل إن منهم من يقرضون الشعر بالعربية، حتى لقد حذقوه وبذوا فى ذلك العرب أنفسهم!.

إن سحر أسلوب المعيشة العربية ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسى (فولشير الشارتى): «وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين»!. ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب بذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة فى الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكراً: «أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟!.

بعدما أفاء الله علينا، وبدل الغرب إلى الشرق؟!»[2].

بهذا انتشر الإسلام وليس بالسيف.. أو الإكراه..

التحرير الإسلامى للمرأة

● «إن الرجل والمرأة فى الإسلام يتمتعان بالحقوق نفسها، من حيث النوعية، وإن لم تكن تلك الحقوق هى ذاتها فى كل المجالات..

... وفى الحياة الزوجية، التى يهتم القرآن بها اهتماماً رئيسياً تنظر المرأة إلى زوجها نظرة العارفة بقوامته عليها، وذلك أن كبرياءها تأبى عليها الامتثال والولاء والطاعة، إلا لمن ترفع إليه بصرها إعجاباً وتقديراً.. فالعلاقة بينهما تخضع للامتثال القائم على الثقة والخضوع والولاء، ولا تعنى تلك «الطاعة» عبئاً ينوء

[2] المرجع السابق ص ٤٠، ٤٣.

المرء تحته معانياً، بل إن المرء يتمتع بخضوعه هنا، دون الحط من قدره، بل إنه ليبلغ بخضوعه أسمى الدرجات، سواء فى عبوديته لله، أو فى حبه من يحب.. وهذا هو الذى عبر عنه (ابن حزم الأندلسى) (٣٨٤-٤٥٦هـ، ٩٩٤-١٠٦٤م) فى كتابه «طوق الحمامة»، حيث يقول: «ومن عجب ما يقع فى الحب من طاعة المحب محبوبه ولقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت فى محاضر الملوك، فما رأيت هيبة تعدل هيبة المحب محبوبه.. وهذا مكان تتقاصر دونه الصفات، وتتلكن بتحديده الألسنة..».

● «لذلك، فعلى المرأة العربية أن تتحرر من النفوذ الأجنبى.. وإذا أرادت طى صفحة الماضى بخلعها للحجاب، فلا ينبغى عليها أن تتخذ المرأة الأوروبية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدى بفكر عقائدى مهما كان مصدره؛ لأن فى ذلك تمكيناً جديداً للفكر الدخيل المؤدى إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما عليها أن تتمسك بهدى الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتى عشن منطلقات من قانون الفطرة التى فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير والقيم التى عشن وفقاً لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة المتمثلة فى كونها أم جيل الغد العربى، الذى يجب أن ينشأ عصامياً يعتمد على نفسه».

● «لقد طبع التحدى الذى واجه الفلسطينيات موقفهن بطابع متميز.. فبينما يعانى آلاف الرجال ذل السجون، كان عليهن أن يقمن وحدهن بأعباء الأسرة، وتربية الأطفال وتنشئتهن، وحماية أنفسهن وأسرهن من الفتك الذريع، واغتصاب الزبانية بوحشيته السادرة، وهكذا لم يكن دور الفلسطينيات جديداً فحسب، وإنما نشأن وشببن ليتولين أدواراً قيادية فى المجتمع؛ ولقد شاركن مشاركة إيجابية فى حركة الانتفاضة ـ أو قل جهاد التحرير ـ على كل المستويات الممكنة..

إن نساء فلسطين العربيات يكتبن بأنفسهن التاريخ اليوم، وهن اللاتى يحملن مسئولية تقرير المصير فى التحول الاجتماعى. فهن يرأسن المؤتمرات الشعبية، وينظمن اللجان والهيئات التعاونية والإنتاجية ويوفرن أماكن العمل والوظائف المختلفة ويشغلنها وهن فدائيات مجاهدات شهيدات، ينتهك الغاصب كرامتهن، ويزج بهن فى السجون، ويمعن فى تعذيبهن، ولا ريب أن الفلسطينيات سوف يسهمن فى المستقبل إسهاماً خطيراً فى تقرير مصيرهن بأنفسهن، ومصير فلسطين، وسوف تتحدد حرية جميع الأراضى المحتلة فى ضوء تحقق المساواة وتحرير المرأة»[3].

[3] المرجع السابق ص ٦٦، ٦٣، ٧١، ٧٢.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ الْقُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٢١٥٥ لسنة ٢٠٠٦ المتضمن الأسئلة الآتية:

حق الزوج مقدم على صوم النوافل

● السؤال الأول من السيدة ن . ص . ب:

ما حكم الدين فى صيام رجل لا يصلى ولا يقرأ القرآن؟ وهل يحق له أن يمنع زوجته من صيام النوافل؟

●● الجواب: لا ينبغى لمسلم ترك الصلاة، فإن الصلاة عماد الدين، وهى الركن الثانى من أركان الإسلام، ولا يجوز للمسلم التهاون فى أدائها ولاسيما إذا كان صائما، حتى لا يقع فى قوله - تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

(البقرة: ٨٥)

وقد اشتد وعيد الله - تعالى - ووعيد رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - لمن تركها وفرط فى شأنها، فقال النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان والحاكم، أى: عمل عملا يشبه أعمال الكفار، لا أنه يكون بذلك خارجا عن الملة والعياذ بالله - تعالى - فإن تارك الصلاة لا يكون كافرا حتى يجحدها وينكرها، كما هو مذهب جماهير أهل العلم.

وعلى الرغم من أن تارك الصلاة يعرض نفسه إلى خطر عظيم وهو مفرط فى دينه لأنه ترك عماد الدين، إلا أن ذلك لا يمنع من صحة سائر العبادات، فيكون صوم من لا يصلى صحيحا، إذ لا يشترط لصحة الصوم إقامة الصلاة، وذلك مع التنبيه على أن ترك الصلاة من الكبائر التى لا يجوز لمسلم أن يقدم عليها، ومن كان تاركا للصلاة من المسلمين فليبادر إلى التوبة إلى الله من ذلك.

أما منع الزوج زوجته من صيام النوافل فقد قال النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - «لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه» متفق عليه، والنفى هنا يراد به النهى، بدليل

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية

الرواية الأخرى: «لا تصُم»، وقد حمل جمهور العلماء النهى على التحريم، والتعليق بالإذن مقتض لجواز المنع، وليس تقصير الزوج فى حقوق الله - تعالى - مسوغا للزوجة أن تضيع حقه، لأن تفريط كل إنسان على نفسه، ويجب عليها أن تنصحه بالمحافظة على الواجبات: الصلاة وغيرها.

قال الإمام النووى فى شرح مسلم: «هذا محمول على صوم التطوع والمندوب الذى ليس له زمن معين، وهذا النهى للتحريم، صرح به أصحابنا، وسببه: أن الزوج له حق الاستمتاع بها فى كل الأيام، وحقه فيه واجب على الفور، فلا يفوته بتطوع ولا بواجب على التراخى، فإن قيل: فينبغى أن يجوز لها الصوم بغير إذنه، فإن أراد الاستمتاع بها كان له ذلك ويفسد صومها، فالجواب: أن صومها يمنعه من الاستمتاع فى العادة، لأنه يهاب انتهاك الصوم بالإفساد، وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - «وزوجها شاهد» أى مقيم فى البلد، أما إذا كان مسافرا فلها الصوم، لأنه لا يتأتى منه الاستمتاع إذا لم تكن معه» أ. هـ.

فلو صامت بغير إذن زوجها صح صومها مع كونه حراما، لأن تحريمه لمعنى آخر لا لمعنى يعود إلى نفس الصوم.

الدعاء عند الجماع

● السؤال الثانى: من السيد م . ع . م:

هل يجوز للزوجين أثناء الجماع أن يذكرا الله - تعالى - ويصليا على النبى - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - ويدعوا أن يرزقهما الله - تعالى - الولد الصالح؟

●● الجواب: روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «أما لو أن أحدهم يقول حين يأتى أهله: باسم الله، اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما فى ذلك أو قضى ولد لم يضره شيطان أبدا»، وحمل جمهور العلماء ذلك على ما قبل الشروع فى الجماع، للرواية الأخرى عند أبى داود وغيره: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله»، وأما أثناء الجماع فالأفضل للزوجين الذكر بالقلب لا باللسان، لكنهما إن تلفظا باللسان فلا إثم عليهما.

الإيجـار.. والخـلو

● السؤال الثالث: ما الحكم في عقد الإيجار غيـر المحدد بمدة؟ ومـا الحكم في الخلو الذي يأخذه المالك أو الذي يأخذه المستأجر مقابل تركه للعين المؤجرة؟

●● الجواب: عقد الإيجار في الشريعة الإسلامية يجب أن يكون مؤقتا بمدة، ولا يجوز أن يكون من غير أجل محدد، على التأبيد، فإذا نُص في العقد أنه مؤبد بطل، وإذا نُص فيه على مدة محددة وجب الالتزام بها.

وإذا صدرت قوانين تمد أجله بشروط معينة فإن لولي الأمر أن يقيد المباح، وتنزل حينئذ مدة العلاقة الإيجارية منزلة المدة الطويلة التي تمتد إلى خمسين سنة عند بعضهم، وإلى تسعين عند آخرين، والعلاقة بين المؤجر والمستأجر لازمة من طرف المؤجر، جائزة من طرف المستأجر، وعليه فإن للمستأجر أن يبيع باقي المدة التي بين بدء عقده وبين التسعين سنة المذكورة، لصاحب الملك أو للغير، بحسب الحال.

وهذا النظر يصحح عقود الإيجار المعمول بها الآن في عصرنا، ولا يبطل على الناس جل عقودهم من ناحية، ولا يعارض ما ارتآه ولي الأمر لتحصيل المصالح الاقتصادية والاجتماعية لاستقرار الأمن في البلاد من ناحية أخرى، والأخير غرض شريف مطلوب في الشريعة، ومرغوب إليه فيها.

وإن ما يؤخذ اليوم مما يسمى بـ «الفروغ» أو «خلو الرجل أو اليد» لا مانع منه شرعا في تقديرنا، فللمالك المؤجر أن يأخذ من المستأجر مقدارا مقطوعا من المال مقابل الخلو أو الفروغ، ويُعد المأخوذ جزءا معجلا من الأجرة المشروطة في العقد.

وأما ما يدفع في المستقبل شهريا أو سنويا فهو بالإضافة إلى ما تم تعجيله يعد جزءا آخر مكملا من الأجرة مؤجل الوفاء.

وأما ما يأخذه المستأجر من الفروغ مقابل تنازله عن اختصاصه بمنفعة العقار المستأجر لشخص آخر يحل محله فهو جائز أيضا إذا كانت مدة الإجارة باقية، وإلا كان غصبا حراما؛ فقد صرح الشافعية أثناء كلامهم عن صيغة عقد البيع بما يقارب هذا المعنى فقالوا: «لا يبعد اشتراط الصيغة في نقل اليد في الاختصاص - أي عند التنازل عن حيازة النجاسات لتسميد الأرض وما شابه - كأن يقول: رفعت يدي عن هذا الاختصاص، ولا يبعد جواز أخذ العوض عن نقل اليد كما في النزول عن الوظائف»، إلا أن ذلك كله مقيد شرعا ضمن مدة الإيجار المتفق عليها، وتنازل المستأجر لغيره بعوض بعد انتهاء المدة مرهون برضا المالك، وبالرغم من أن أصل المذهب الحنفي لا يجيز الاعتياض عن الحقوق المجردة كحق الشفعة، وكذا لا يجيز بيع الحق، فإن كثيرا من الحنفية أفتى بجواز النزول عن الوظائف في مقابل مال، كالإمامة والخطابة والأذان ونحوها، وتستند هذه الفتوى إلى الضرورة وإلى عرف الناس، وبالقياس على ترك المرأة قسمها لصاحبتها، لأن كلا منهما مجرد إسقاط للحق، وقياسا على أنه يجوز لمتولي النظر على الأوقاف عزل نفسه عند القاضي، ومن العزل: الفراغ لغيره عن وظيفة النظر أو غيره، وقد جرى العرف بالفراغ بعوض.

هذا وهناك رسالة للمتأخرين من علماء المالكية بعنوان «جملة تقارير وفتاوى في الخلوات والإنزالات عند التونسيين» لمفتي

المالكية إبراهيم الرياحي بتونس (المتوفى سنة ١٢٦٦هـ) والشيخ محمد بيرم الرابع التونسي، والشيخ الشاذلي بن صالح باس مفتي المالكية بتونس، والشيخ محمد السنوسي قاضي تونس، يقررون فيها جواز المعاوضة عن الخلوات عملا بالعرف والعادة، ولأن المستأجر يملك المنفعة، فله أن يتنازل عنها بعوض كالإجارة وبغير عوض كالإعارة، فقد نقل البناني عن البرزلي في النزول عن الوظيفة ما يقتضي جوازه، ونقل فتوى القاسيين بجواز بيع الخلو، وقال الشيخ محمد بيرم: وما أشبه الخلو بالمغارسة، غير أن الخلو لا تحصل به ملكية الرقبة، لتعلقه بالمنفعة.

ويحسن هنا إيراد ما تضمنه قرار مجمع الفقه الإسلامي في جدة رقم (٦) لعام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م:

● أولا: إذا اتفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغا مقطوعا زائدا عن الأجرة الدورية «وهو ما يسمى في بعض البلاد خلوا» فلا مانع شرعا من دفع هذا المبلغ المقطوع؛ على أن يعد جزءا من أجرة المدة المتفق عليها، وفي حالة الفسخ تطبق على هذا المبلغ أحكام الأجرة.

● ثانيا: إذا تم الاتفاق بين المالك وبين المستأجر أثناء مدة الإجارة على أن يدفع المالك إلى المستأجر مبلغا مقابل تخليه عن حقه الثابت بالعقد في ملك منفعة بقية المدة، فإن بدل خلو الرجل هذا جائز شرعا، لأنه تعويض عن تنازل المستأجر برضاه عن حقه في المنفعة التي باعها للمالك.

أما إذا انقضت مدة الإجارة، ولم يتجدد العقد صراحة أو ضمنا عن طريق التجديد التلقائي حسب الصيغة المفيدة له، فلا يحل بدل الخلو، لأن المالك أحق بملكه بعد انقضاء حق المستأجر.

● ثالثا: إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد أثناء مدة الإجارة على التنازل عن بقية مدة العقد، لقاء مبلغ زائد عن الأجرة الدورية، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعا، مع مراعاة مقتضى عقد الإيجار المبرم بين المالك والمستأجر الأول، ومراعاة ما تقضي به القوانين النافذة الموافقة للأحكام الشرعية.

على أن في الإجارات الطويلة المدة خلافا لنص عقد الإجارة طبقا لما تسوغه بعض القوانين، لا يجوز للمستأجر إيجار العين لمستأجر آخر، ولا أخذ بدل الخلو فيها إلا بموافقة المالك.

أما إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة، فلا يحل بدل الخلو، لانقضاء حق المستأجر الأول في منفعة العين.

وأخذ مقابل عن المدة المتبقية في عقد هو الأصل في فقه الشريعة، فهو مباح، فإذا صدر من ولي الأمر ما يمنعه فلا يجوز الافتيات على الإمام في ذلك، فيحرم من جهة حرمة مخالفة ولي الأمر.

وعلى ذلك: فإنه يجوز للمستأجر أخذ مقابل إذا تبقى من عقده مدة، ولو كانت بقوة القانون، لأن القانون ينزل منزلة العرف، ومعلوم أن المعروف عرفا كالمشروط شرطا.

فإن لم يكن هناك مدة في ذلك العقد بين إنشائه وبين التسعين سنة فلا يكون هناك موجب لأخذ المال من المالك ولا من غيره، ولا يجوز للمستأجر أن يطالب بشيء من ذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

هل أنصف المؤرخون والمستشرقون حضارة الإسلام؟

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

روزنتال والأدب الإسلامى

كان الأدب، بعد اختراع الكتابة، هو كل ما كُتِبَ لكى يصل إلى الناس فى عمومهم.

وأدى انتشار الورق كمادة رخيصة نسبيا ومتوفرة للكتابة ابتداء من القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) إلى نمو الإنتاج الأدبى فى العالم الإسلامى بشكل لم يسبق له مثيل، وواكب هذا النمو ازدياد فى تقسيم هذا الأدب إلى ميادين متخصصة ومباحث علمية، بيد أن الخطوط الفاصلة بين تلك الميادين لم تحدد أبداً بشكل حاسم وإلى حد ما ظلت الأعمال التى أُلِفَت فى العصر الإسلامى الوسيط تُسمى أدبًا.

وقد حاول المستشرق المعروف فرانز روزنتال (Franz Rosenthal) استنتاج وجهة النظر الإسلامية فيما يتصل بالأدب بصورة محددة من خلال الطريقة التى صنف بها ابن النديم مادة كتابه «الفهرست» وهو سجل كامل للكتب أُلِفَ حوالى عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. فالقرآن والعلوم القرآنية تأتى فى المرتبة الأولى لأسباب دينية وتاريخية لابد منها. وفضلا عن ذلك كان القرآن ـ ولا يزال وسوف يبقى ـ يمثل وثيقة لغوية ذات أهمية لا تضاهى، وكان ينظر إليه كمصدر للعلم بالنحو واللغة، كما اعتبر أسلوبه الفذ الذى لا يبارى ولا يُجارَى مقياسا تقوم عليه نظريات النقد الأدبى. والحقيقة ـ فيما يرى روزنتال ـ أن الاستعمال الصحيح الرفيع للغة كان المعيار الحاسم فى تقسيم ابن النديم للأدب. ولذلك كان من المنطقى أن يورد ابن النديم ـ بعد علوم القرآن ـ النحويين واللغويين ومؤلفاتهم، إذ أن هؤلاء يقدمون الأساس الضرورى لجميع الجهود الأدبية.

ويتلو فقه اللغة كتابة التاريخ والشعر.

وتلك هى ميادين التعليم الرئيسية الثلاثة التى تتطلب الاستعمال الفنى للغة.

فهرست ابن النديم

وتتضمن الأعمال التى أُلِفَتْ فى هذه الميادين كتابات علمية وتعليمية. وبعد اكتساب الإعداد اللغوى والأدبى الضرورى، يصبح من الممكن دراسة العلوم الدينية والدنيوية، ولذلك يتناول ابن النديم هذه العلوم في الفصول التالية من كتابه «الفهرست».

تفوق اللغة العربية

وأوضح روزنتال النتائج التى استخلصها من نظرة ابن النديم إلى الأدب: فهناك أدب جاد ممتع لا يخلو من فائدة كبيرة، وهذا الأدب يعلمنا أساسيات اللغة ونواحي جمالها، وكان من وظائفه أن يحافظ على كل القيم الثقافية الموروثة ويجددها، باستثناء تلك القيم المتعلقة بالدين والعلم، وهناك أيضاً نوع من الأدب القصصى للتسلية والمتعة، له طابع شعبى، وقد أدى ازدهاره إلى الاعتراف به على مضض، ولكن أصحاب العلم الحق كانوا كقاعدة عامة يهملون هذا النوع من الأدب حالما يتخطون القدرات الفكرية المحدودة التى تلازم الطفولة وكذلك مستوى جمهور غير المتعلمين. وكان هذا هو موقف ابن النديم من الأدب، وهو موقف يقول عنه روزنتال باطمئنان: إنه كان موقف جميع المفكرين المسلمين دون استثناءات تذكر.

ويبين روزنتال فى فصل خاص عن الأدب فى كتاب «تراث الإسلام» (تصنيف شاخت وبوزورث) أن إتقان اللغة وتناولها بطريقة فنية، بوصفه الشرط الأول لكل إنتاج أدبى ذى قيمة، أدى إلى تأكيد تفوق اللغة العربية وتبوئها المكانة الأولى بين اللغات التى تتكلمها الشعوب الإسلامية. فعلم النحو وتصنيف المعاجم مدينان بصفة خاصة إلى عبقرية اللغة العربية، والظروف الخاصة التى رافقت تطورها فى الجاهلية والإسلام.

ويدلل روزنتال على آرائه بأمثلة منتقاة لأعمال كبار الكُتَّاب المسلمين، فيرى ـ مثلاً ـ أن كتابات الجاحظ تضم معيناً لا ينضب من الألفاظ المتألقة والعرض المضنى للقدرة العقلية الفائقة، وهو عرض لا يلجأ إليه الأديب لذاته وإنما جاء ذلك نتيجة الاهتمام العميق بمواضع القوة والضعف الخلقى والعاطفى للإنسان ودنياه. كذلك يرى روزنتال أنه إذا كان هناك إنسان يمكن أن يوصف بأنه أديب عربى متكامل فهو أبو حيان التوحيدى الذى ينتمى إلى عصر يختلف عن عصر الجاحظ، كانت فيه الفلسفة والدين قد أوشكا على اتخاذ طابعهما الإسلامى

المميز بصورة نهائية، وإن لم تكن كاملة، ويعود سر الجاذبية غير العادية فى كتابات التوحيدى إلى ظهور شخصية المؤلف بصورة واضحة، بالإضافة إلى طبيعة المشاكل الخاصة التى تناولتها هذه الكتابات.

النقد الأدبي والتأليف التاريخي

من ناحية أخرى، يرى روزنتال أن الاهتمام الشديد بدراسة اللغة والأسلوب قد أحرز نجاحاً كبيراً آخر تمثل فى ظهور عدد ضخم من المؤلفات فى النقد الأدبي. ولئن كانت هذه المؤلفات قد استمدت بعض أفكارها من المصادر القديمة، إلا أنها كانت فى المحل الأول ابتكاراً أصيلاً لأهل الأدب من المسلمين.

أما التأليف التاريخي الذى لقى عناية وتقديراً كبيرين فى عالم الإسلام فيقول عنه روزنتال: إنه تعدى الاعتماد على اللغة والأدب، إذ استخدم فى غرس الإحساس بمغزى الوجود الإنسانى عامة والإسلامي بصفة خاصة فى نفوس من يدرسون المؤلفات التاريخية وأن عمل ابن خلدون يدل بوضوح على أن كتابة التاريخ الفعلى كانت تُعَد أمراً يعتمد على المهارة الأدبية.

المؤثرات العربية فى الأدب الغربي

وتحدث روزنتال عن الظروف والحدود التى سار فيها الأدب العربي حتى التقى بأوروبا المسيحية، فقد كانت علاقات الغرب الأوروبي الوسيط بالشعوب الناطقة بالفارسية والتركية قليلة نسبياً ومتأخرة، أما اتصالاته وتفاعلاته المستمرة فكانت مع أقاليم العالم الإسلامي التى تسودها العربية، ومن الممكن أن يتوقع - والحالة هذه - أن يكون الأدب العربي مصدراً للإلهام بالنسبة للغرب.

وضرب روزنتال أمثلة على هذا التلاقى بعلم المعاجم العربية الذى قامت على أساسه المعاجم الغربية - العربية، وبالعلاقة بين الشعر العربي وشعر غرب أوروبا المعروف بشعر «التروبادور» فى إقليم بروفانس جنوبى فرنسا، وبالتأثيرات الشرقية على الملحمة الكبرى المعروفة باسم تريسترام وإيزولدا Tristram and Iseullda وملحمة البارزيفالThe Parzival.

كذلك تعتبر المصادر العربية المكتوبة مسئولة جزئياً عن المادة القصصية الآتية من العالم الإسلامي والتى ظهرت فى القرن الثانى عشر الميلادى فى عدد من المؤلفات مثل: «مباحث العلماء» الذى ألفه بدرو دى ألفونسوPedro de Alfonso وكان يهودياً أندلسياً، والمجموعة القصصية «دى كاميرون De Camerone «الأيام العشرة» لبوكاتشو Boccaccio وكتاب «كليلة ودمنة» و«ألف ليلة وليلة» وغيرها.

ويوجز روزنتال خلاصة بحثه فى الأدب الإسلامي بقوله: «إن هذه التأثيرات الإسلامية وسعت النظرة الغربية إلى العالم وجعلتها أكثر تنوعاً، وليس من شك فى أن ذلك قد أغنى الأدب الغربي بدرجة لا حد لها، وكان أحد العوامل التى مكنت هذا الأدب من التطور فى اتجاه نوع من العالمية كان جديداً فى تاريخ الإنسانية».

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

الأقصى والعلامات

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذة «دينا ريان» فى مجلة الأهرام العربى الصادرة فى ٢٠٠٧/٢/١٧ قالت:

كلنا أو بعضنا يعلم أن من علامات النهاية هو هدم الأقصى وها هى ظهرت أولى خطواتها مع تلك «النخورة» اليهودية التى تحدث بحثاً عن هيكلهم، وتلك الحرب الصليبية التى يقودها بوش وبلير الذى قرر هذا الأسبوع غلق المدارس الإسلامية فى بلده! زد عليها علامة مرور الوقت بسرعة الصوت حيث ستصبح السنة كشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالدقيقة وأظن أن تلك العلامة واضحة وضوح السراج الوهاج «الشمس».

والسؤال الآن.. هل لأن علامات الساعة قد قربت من نهايتها الصغرى لتسلمنا لنهايتها الكبرى لنقف صامتين أمام هدم الأقصى! علينا أولاً أن نكون على يقين من قرب نهاية العلامات الصغرى، إن لم تكن الكبرى قد بدأت والله أعلم.. نعم علينا أن نسلم ولكن ليس علينا أن نستسلم والفارق ليس «السين» فقط فالمطالبة بأن من يرى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذاك أضعف الإيمان.

علينا أن نشحن طاقة التغيير أولاً بالقلب وباللسان حتى تقوى اليد على العمل فى النهاية، وقوة اليد هى المرحلة الأخيرة، وبما أن أمامنا مشواراً طويلاً قبل أن يأتى دور هدم بقية المقدسات الإسلامية والمسيحية بحثاً عن الأسطورة اليهودية، علينا شحن القلب بالإسلام، وشحن اللسان بالتعبير عن هذا الإيمان لتزداد قوة، فإذا تم هذا الشحن بطاقة الإيمان بآيات الله والتسليم تماماً بها والتعبير عنها باللسان لن تستطيع أسلحة الدمار الشامل المخبأة تحت عباءتهم أن

تدمر الأرض.

قوة اللسان ليست فى الشجب ولا فى الصراخ ولا فى المظاهرات، إن قوة اللسان لابد أن تعبر عن قوة القلب لتلتف به ومعه، لتزيد قوة اليد التى تحفظ دماءنا المتفرقة فى فلسطين وفى العراق، وتحت الأرض فى سجونهم المعلنة وغير المعلنة.

عقوبات لإيران

وفى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٥/٢/٢٠٠٧ زاوية «صندوق الدنيا» للكاتب أحمد بهجت جاءت هذه الكلمة:

يبدو أن الرئيس الأمريكى جورج بوش مغرم بلعب دور الشرطى المسئول عن أمن العالم، بما فيه من كرة أرضية وكواكب تتبع الكرة الأرضية كالقمر والمريخ.

إن الرئيس الأمريكى هو الذى يقرر من يملك الطاقة النووية، ومن لا يمتلكها، وهو الذى يقرر من يملك السلاح النووى، ومن ينبغى ألا يملكه، وأى خروج على قواعد اللعبة التى يحددها الرئيس تعنى وقوع الخارج تحت طائلة القانون بكل ما فيه من مواد العقوبة.

وهذا ما حدث مع إيران والطاقة النووية والإدارة الأمريكية، لقد زعمت أمريكا أن إيران تسعى لامتلاك أسلحة نووية، بينما أكدت ايران أنها تنوى استخدام الطاقة النووية فى الأغراض السلمية.

وصرح الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد بأن الشعب الإيرانى لن يسمح للدول الكبرى بانتهاك حقه وحرمانه من الحصول على التكنولوجيا النووية، وهى تكنولوجيا عصرنا هذا والعصور المقبلة، وهى تعنى التقدم. باختصار المطلوب من إيران ألا تتقدم إلا فى الحدود التى يسمح بها شرطى الكرة الأرضية، وأن تظل إيران واقفة فى مكانها فى انتظار تعليمات الإدارة الأمريكية لتعرف أين تمضى وفى أى اتجاه تسير.

ما هو الحل لو أخطأ الشرطى العالمى؟

إن حرب العراق لم تقع فى التاريخ السحيق، وإنما وقعت منذ أقل من أربع سنوات كانت حجة الشرطى أن العراق يملك أسلحة نووية أو هو قادر على صناعتها فى أربعة أشهر، واختلفت هنا التقديرات، فمن قائل أنه أمامه ٣ سنوات، ومن قائل أن أمامه عدة أسابيع ومن قائل أن لديه أسلحة نووية بالفعل.

ووقعت الحرب أخيرا ضد العراق، وانفتح باب الجحيم فى العراق، ومر وقت قصير وها هى أمريكا تدق طبول الحرب وتهدد إيران بالويل والثبور وعظائم الأمور وتشديد العقوبات عليها وتأديبها.

ويبقى سؤال: لماذا قامت الدنيا ولم تقعد على إيران، بينما تحتفظ إسرائيل بأسلحتها النووية فى الشرق الأوسط دون أن يحرك الغرب ساكنا لذلك؟

تأمين بغداد .. أم تعميق الجراح؟

تحت هذا العنوان كانت الكلمة المنشورة فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٧/٢/٢٠٠٧:

يتساقط يومياً العشرات، بل المئات، من أبناء الشعب العراقى قتلى وجرحى، فى ظلال الاحتلال الأمريكى المدموغ دولياً بعدم الشرعية منذ أطلقت الإدارة الأمريكية الحالية الطلقة الأولى فى حربها العدوانية على دولة عربية، مستهدفة تحطيم قوتها العسكرية لصالح إسرائيل، وتدمير الدولة لتغيير الخريطة السياسية للشرق الأوسط.

إن الخطة الأمنية لحماية بغداد التى وصفتها الإدارة الأمريكية بأنها جديدة لم تقدم جديداً على المسرح الأمنى والسياسى فى العراق، بل على العكس زادت من خسائر أبناء العراق سواء كانوا من الشيعة أو السنة، وضاعفت من أخطار امتداد الحرب الأهلية إلى مناطق أخرى عن طريق جلب القوات الأمريكية قوات «البشمركة» الكردية إلى بغداد للمشاركة فى خطة أسموها التأمين يعنى هدفها فى الحقيقة هو تعميق الجراح العراقية، ومحاولة إضعاف المقاومة الوطنية ضد الاحتلال، وهو ما أكدت التجارب منذ الغزو أنه حلم أمريكى كاذب.

العنقودية

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أمين محمد أمين فى عمود «سياسة عربية» فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥/٢/٢٠٠٧ يقول فيه:

«وافقت ٤٦ دولة بالعالم على التوقيع على معاهدة حظر استخدام وانتشار القنابل العنقودية بحلول العام القادم ٢٠٠٨ للأضرار الجسيمة التى تلحقها بالمدنيين.. ثم يشير الكاتب إلى أن المعاهدة التى دُعى إليها فى النرويج - مؤخراً - والتى وافقت عليها فرنسا وإنجلترا لن تخرج إلى دائرة الضوء، ولن يتم تنفيذها بسبب مقاطعة أمريكا وإسرائيل لها. فقد استخدمتها إسرائيل فى حربها الأخيرة ضد الفلسطينيين، وفى لبنان كما استخدمتها أمريكا فى العراق ضد المدنيين الأبرياء، فى حين يقابل بالرفض طلب الدول العربية بحقها فى إنشاء برامج نووية لاستخدامها فى الأغراض السلمية.

ثم يقول بعد وصف ما قامت به أمريكا وإسرائيل من أعمال عنف فى العراق وفلسطين: هذه الممارسات غير الإنسانية تدعو العالم للتحرك لوقف عنف القوى الكبرى وحلفائها وأنه يجب على الرئيس بوش راعى السلام أن يستمع إلى صوت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة «مادلين أولبرايت» التى قالت: «إن حرب العراق أسوأ كارثة فى تاريخ أمريكا».

الحقيقة المؤلمة

تحت هذا العنوان فى «عيون الشعب» بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٢٢ كتب الأستاذ/ عبدالوهاب عدس يقول:

يا سبحان الله.. اليهود بأنفسهم الذين يخططون لهدم المسجد الأقصى.. يكتشفون مصلى إسلاميا.. بدلا من الهيكل المزعوم.. ويكتمون هذا الاكتشاف منذ عام ٢٠٠٤ حتى يذيعه واحد منهم.. العالم الأثرى الإسرائيلى يوفال باروخ.. فى مقال على موقع هيئة الآثار الإسرائيلية.

باروخ قال: إن هيئة الآثار الإسرائيلية قررت عدم الكشف عن هذا المصلى الإسلامى وقت اكتشافه.. وكأنهم يختزنونه للوقت المناسب.

المهم أن هذا المصلى الإسلامى عثر عليه فى نفس المكان الذى يزعمون وجود بقايا الهيكل به.. تحت التلة الرملية المحاذية لباب المغاربة.. والمصلى عبارة عن غرفة صغيرة فيها زاوية مقببة.. زاوية صلاة إسلامية تتجه جنوبا.. ما يؤكد أنها زاوية للصلاة.. كجزء من مدرسة لتعليم الدين الإسلامى على مقربة من باب المغاربة.. وهى تعود لعصر صلاح الدين الأيوبى.

الإسرائيليون عينهم على الأقصى والقدس.. فمع وعد بلفور بدأت المؤسسات الصهيونية إبراز حائط البراق كرمز قومى للشعب اليهودى بالرغم من أنه موقع إسلامى مقدس.

وفى عشرينيات القرن العشرين.. أمر مفتى القدس بفتح باب المغاربة فى جنوب باحة حائط البراق.. من هنا بدأت إسرائيل محاولات الحفر.. حتى اليوم قرب الحرم القدسى.. مدعية أنها حفريات إنقاذ الهدف منها توثيق وإنقاذ بقايا أثرية قديمة قبل البدء بأعمال البناء.. وكما تدعى إسرائيل بأن وراء الحفر تبديل الجسر العلوى المؤدى إلى باب المغاربة بجسر جديد.. بعد انهيار الجسر القديم من الأمطار الغزيرة عام ٢٠٠٤ والتى بسببها اكتشف علماء الآثار الإسرائيليون زاوية الصلاة الإسلامية.

وطبعا هذا ادعاء مزعوم..

الحقيقة المؤلمة.. أن إسرائيل قامت بالفعل بهدم غرفتين من المسجد الأقصى.. وتقوم حاليا بوضع أعمدة فى باطن الأرض لإقامة جسر جديد.. لإزالة طريق باب المغاربة الذى كان ذات يوم طريقا تاريخيا عظيما.. سلكه صلاح الدين الأيوبى ومن قبله أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب.

وللأسف الشديد تهدمت أجزاء كثيرة من هذا الطريق نتيجة الحفر الإسرائيلى.

والغريب أن الإسرائيليين يكشفون أنفسهم.. فقد كشفت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية النقاب عن مبادرة للجمعية الاستيطانية «عطرات كوهينم».. لحفر نفق يصل بين ما أسمته «مغارة تصيد قياهو» الذى يوجد مدخله قرب باب

العامود وبين منزل «هتسلام» فى الحى الإسلامى بالقدس الشرقية.. وهذه الجمعية تتولى الحفر من بعد يصل إلى ١٥٠ مترا عن سور الحرم القدسى الشريف.. وأقامت إسرائيل كاميرات مراقبة لمتابعة أعمال الحفر.. الذى تحرص إسرائيل على إخفائه.. هو الحفر الخفى غير الظاهر للعيان.. فالحفريات خطيرة جدا جدا.. وهى بالفعل تهديد حقيقى على المسجد الأقصى.. ومحاولات جادة لطمس معالمه.

والغريب أن الحفر يسير على قدم وساق بأقصى سرعة.. تحت الأرض فى عدة اتجاهات.. ومنها ما قد يكون وصل بالفعل إلى المسجد الأقصى.. وإسرائيل لا تكتفى بالحفر فقط إنما تقوم بالضغط على العرب لتجبرهم على الهجرة من الحى الإسلامى ومن حارة المغارة.. بالإضافة إلى مصادرة الأراضى.. ومحاولات مستميتة لشراء المنازل من الفلسطينيين.

هل سوف نكتفى بالفرجة.. والصمت المريب.. حتى نستيقظ يوما.. على صوت إسرائيلى يعلن انهيار المسجد الأقصى!! ماذا ننتظر أكثر من ذلك؟ وأى مهانة وعار يلحق بهذه الأجيال؟.. واحسرتاه.. على دين الحق.. ومقدساته.

أفيقوا.. قبل فوات الأوان.. وتصدوا للمخطط الإسرائيلى الرهيب.. ومن ورائه التشجيع الأمريكى.. والصمت العالمى والعربى والإسلامى المخيف!!

إسرائيل..دولة مارقة

تحت هذا العنوان فى جريدة الجمهورية بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٧ فى عمود «الجمهورية تقول» كتب المحرر:

لم تكن جريمة قتل الجنود المصريين العزل فى ٦٧ على يد القوات الإسرائيلية سواء كانت بقيادة بنيامين بن أليعازر أو غيره من السفاحين الإسرائيليين، إلا حلقة فى التاريخ الأسود الذى رافق عملية تأسيس وإقامة الدولة الإسرائيلية المارقة بالحديد والنار، والإرهاب والترويع، على أرض الشعب الفلسطينى.

إن افتضاح وقائع هذه الجريمة الوحشية اليوم يؤكد لمن كان لديه شك أن دولة كانت هذه نشأتها، وقادة لها كان هذا سلوكهم، لا يمكن أن يستجيبوا لنداء السلام، أو ينتزعوا من صدورهم الحقد الذى اعترف به أفراد وحدة أليعازر محاولين تبرير قتلهم للجنود المصريين بدلا من أسرهم ومعاملتهم وفقا للقوانين الدولية.

لا شك أن السعى لمعاقبة هؤلاء المجرمين هو حق لنا وواجب علينا، ولكن الواجب الأكبر هو أن نبقى على أهبة الاستعداد حتى لا نعطيهم الفرصة لارتكاب جرائم جديدة.

***

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

عدل الولاة

● قال ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال: استعمل ابن عامر عمرو بن عروة أصبغ على الأهواز، فلما عزله قال له ما جئت به؟

قال له: ما معي إلا مائة درهم وأثواب.

قال ابن عامر: كيف ذلك؟

قال أصبغ: أرسلتني إلى بلد أهله رجلان: رجل له مالي وعليه ما علي، ورجل له ذمة الله ورسوله. فوالله ما دريت أين أضع يدي.

فأعطاه ابن عامر عشرين ألفا مكافأة له على أمانته.

● وقال معاوية: إني لا أستحي أن أظلم من لا يجد عليَّ ناصراً إلا الله.

وقال النبي ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة».(١)

نصيحة

حبس عبدالملك بن مروان العطاء عن الناس، فدخل عليه أعرابي، وقال له: يا أبا الوليد بلغني أن عندك مالاً، فإن كان لله فاقسمه على عباده، وإن كان لك فتفضل به عليهم، وإن يكن لهم فادفع إليهم أموالهم، وإن يكن بينك وبينهم فقد أسأت شركتهم ثم ولي.

فقال عبدالملك: اطلبوا الرجل فطلبوه فلم يقدر عليه، فأمر الناس بعطياتهم.

سحر البيان يقضي الحاجات

● قال العتبي: قدم عبدالله بن زرارة الكلابي على معاوية وهو أمير المؤمنين فقال: إني لم أزل أهز ذوائب الرحال إليك، فلم أجد معولاً إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأسم المجاهل بالآثار، يقودني إليك أمل، وتسوقني بلوى،

(١) البخاري.

والمجتهد يعذر، وإذ بلغتك فقطني «أي فحسبي».

فقال له معاوية: احطط عن راحلتك.

● ودخل كريز بن زفر بن الحرث على يزيد بن المهلب فقال: أصلح الله الأمير! أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك، ولست تفعل من الخير شيئاً إلا ويصغر عنك وأنت أكبر منه، ولا العجب أن تفعل ولكن العجب أن لا تفعل.

قال له زيد بن المهلب: سل حاجتك.

قال كريز: حملت عن عشيرتي عشر ديات.

قال يزيد: قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها.

● وأتى رجل إلى حاتم الطائي فقال: إنها وقعت بيني وبين قوم ديات فاحتملتها في مالي وأملي، فقدمت مالي وكنت أنت أملي، فإن تحملها عني فرب هم قد فرجته، وغم كفيته، ودين قضيته. وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك.

فحملها حاتم عنه.

إفحام

وفد عقيل بن أبي طالب، على معاوية بن أبي سفيان، مغاضباً لأخيه أمير المؤمنين علي، فقال له معاوية: كيف تركت علياً؟

قال عقيل: تركته مؤثراً لدينه على دنياه.

قال معاوية: وكيف تجدني؟

قال عقيل: أجدك مؤثراً دنياك على آخرتك. قال معاوية: إني أنفع لك من أخيك، ولولا أنك وافد إلينا لأسمعتك ما يؤلمك!!

قال عقيل: نعم، أنت أنفع لي في دنياي من أخي، وأخي أنفع لنفسه في أخراه، ولقد تعلم يا معاوية أن المال غادٍ ورائح، وأن فينا القرى والرماح، وأن الله يصرف القلوب!

فسكت معاوية ولم يجبه.

التواضع

يقول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه
إلى طبقات الجو وهو وضيع

أقوال البلغاء في أطيب الكلام

● قال أحد البلغاء: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه.

● وقال غيره: أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه، ويؤيس مطمعه.

● وقال سواهما: ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه، أو يبسط رهان القول وميدانه، بل هي أن يبلغ أسد المراد، بألفاظ

أعيان، ومعان أفراد، من حيث لا تزيد على الحاجة، ولا في إخلال يفضي إلى الفاقه.

● ووصف أهل البيان البليغ فقالوا: فلان يعبث بالكلام، ويقوده بألين زمام، حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله.

● إلى هذا يشير أبو تمام الطائي بقوله:

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له
حتى ظننت قوافيه ستقتتل

إني لست آتي الموت من حبه

قال المهلب يوماً لجلسائه: أراكم تعنفونني في الإقدام.

قالوا: أي والله إنك لتغرر بنفسك في المهالك.

قال: إليكم عني! فوالله لولا أن آتي الموت مسترسلاً، لأتاني مستعجلاً، إني لست آتي الموت من حبه، إنما آتيه من بغضه، ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام المري:

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه
حريصاً عليها مستهاماً بها صبّاً
فحب الجبان النفس أورده التقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربا

لا تجالس الثقلاء

قال بختيشوع للمأمون: لا تجالس الثقلاء، فإنا نجد في الطب: مجالسة الثقيل حُمّى الروح.

بأي شيء بلغت في الناس

وقدم الأحنف الكوفة في أيام مصعب بن الزبير، فرآه رجل أعور قصيراً دميماً أحنف الرجلين، فقال له: يا أبا بحر بأي شيء بلغت في الناس ما أرى؟ فوالله ما أنت بأشرف قومك، ولا أجودهم.

قال: يا ابن أخي بخلاف ما أنت فيه.

قال: وما هو؟

قال: تركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا تتركه.

دعاء

اللهم إن استغفاري إياك مع كثرة ذنوبي للؤم، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز.

إلهي كم تحببت إليّ بنعمتك، وأنت غني عني وكم أتبغض إليك بذنوبي، وأنا فقير إليك سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وعد وفى.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

أفريقيا تستغيث

لازال مسلسل تجويع القارة الأفريقية مستمرا.. وإن شئت الدقة تجويع الدول الأفريقية ذات الأغلبية الإسلامية!، وإشعال الحروب الأهلية الطاحنة فيها، فمن منا يستطيع أن يتغافل عما يحدث في ولاية دارفور السودانية ونسبة المسلمين بها أكثر من ٩٥٪ ومن خلال أزمة دارفور المفتعلة يتم التحضير لفرض حصار اقتصادي شامل على السودان الدولة المسلمة بعد أن نجحت في القضاء على مشكلة الجنوب المفتعلة بأسلوب لم يرض عنه الاستعمار الصليبي العالمي الجديد، فتم إشعال الأزمة في الشمال في دارفور.

وأظن أن أحداً لا يستطيع أن ينسى مأساة الصومال التي تتمثل جريمتها في أنها دولة يتجاوز عدد المسلمين فيها ٩٠٪ من عدد السكان.

ونفس الأمر في تشاد، وفي نيجيريا، وفي بوروندي التي ذُبح مسلموها ذبحا في نهاية القرن الماضي في خلال حرب أهلية مدمرة بين قبيلتي «الهوتو» و«التوتسي». وعندما حدث وتحركت دولة عربية مسلمة هي الشقيقة ليبيا لإطفاء نيران الحروب الأهلية وتقديم المعونات للمرضى والجوعى في القارة المنكوبة بالاستعمار الصليبي العالمي الجديد حيكت اتهامات بلهاء ضدها تماثل تلك التي سبق توجيهها إلى العراق والتي توجه حاليا إلى إيران!! ومؤخراً نشرت الصحف أخبارا وتصريحات منسوبة إلى وزارة الخارجية المصرية تحذر من الدور المشبوه الذي تقوم به الكنيسة في النيجر من عمليات سافرة لتنصير المسلمين من خلال تقديم مساعدات مالية وغذائية وإنشاء مدارس ومستشفيات تقدم الدين البديل للجوعى والمرضى كشرط أساسي قبل الحصول على التعليم والغذاء والدواء والكساء.... فإذا تمسك المسلم بدينه فلا علاج ولا دواء ولا كساء بل يترك

قريبة للجوع والمرض والجهل... وكأني بزبانية قريش أمثال أبي جهل، وأبي لهب.. وغيرهم من صناديد الكفر القديم قد بعثوا أحياء من جديد، يصبون العذاب على المسلمين.

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

«البروج: ٨»

كل هذا يحدث وغثاء السيل وخاصة أصحاب المليارات يتفرجون ولا يبالون كأن هؤلاء ليسوا منهم.. بل إنهم فعلا ليسوا منهم، لأنهم هم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» أما أولئك المنكوبين المعذبين بالجوع والفقر والمرض والجهل فنأمل لهم الثبات كما ثبت بلال- رضي الله عنه- وهو يعذب في البطحاء تحت وهج الشمس الحارقة يعاني من ثقل حجر ضخم وضعه عتاة الكفر فوق صدره فما زاد أن قال: «أحدٌ أحد.. أحدٌ أحد»

ولا حرج عليهم ولا تثريب إن ألجأهم الجوع والفقر والمرض إلى ما يكرهون ولهم الملجأ والملاذ في قول الله عز وجل:

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

«البقرة: ١٧٣»

ولهم في سيدنا عمار بن ياسر- رضي الله عنه- القدوة والأسوة الحسنة إذ لم يتحمل العذاب وبعد استشهاد أبيه وأمه أمام عينيه فأظهر الكفر وقلبه عامر بالإيمان وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وقال له: «إن عادوا فعد» أي فإن عادوا إلى تعذيبك فأظهر لهم أنك قد تركت الإسلام.

إنها مأساة وأي مأساة.. أجل فمن الوسائل التي يتبعها المنصّرون اليوم إظهار الجانب السيئ في المسلمين اليوم ساعدهم على ذلك كثرة فضائح المسلمين اليوم في بيوت الدعارة وصالات القمار.. والغوغائية التي تسببت في إلصاق تهم الإرهاب بالإسلام وهو منها بريء، بل والطامة الكبرى أن من أثرياء العرب اليوم من يقومون باستثمار أموالهم في إسرائيل.. العدو التاريخي للأمة الإسلامية، والذين لا يمكن أبدا أن يضمروا خيرا للمسلمين بل الشر كل الشر:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

«البقرة: ١٢٠»

كل هذا قدمه المنصّرون في مادة إعلامية مصورة تزرع الكُره في نفوس الجائعين إزاء هؤلاء الذين لم يرعوا الله فيهم فهجروا دين التوحيد الذي لم يرتدع معتنقوه عن منكر ولم يأمروا بمعروف.. أفريقيا التي دخلها الإسلام منذ قرون بسلوك تجار لا يكذبون ولا يغشون، يغضون أبصارهم ولا يزنون ويرعون حق الجار، ويغيثون المستغيث، فكانوا يعرفون الإسلام وينفذون تعاليمه فبهروا القبائل الوثنية بسلوكيات لم يألفوها، فأقبلوا على هؤلاء الوافدين العرب يراقبونهم ويتمثلون سلوكهم ويشاهدون صلاتهم ويسمعون ترتيلهم لآي الذكر الحكيم فكان أن نطقوا بالشهادتين ودخلوا في دين الله أفواجا.

واليوم نكص نفرٌ غير قليل من أحفاد الأقدمين على أعقابهم فصاروا كغثاء السيل فنفر منهم العالم وصاروا أمثولة في الكذب والغش والنفاق وعدم المروءة وفقدان النخوة وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

«الصف: ٢-٣»

أحمد تقي الدين

من أسماء الرسول ﷺ

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ «شعبان عبدالعال إبراهيم خليفة» محافظة المنيا - بني حسن الشروق:

من أسماء الرسول ﷺ اسم المصطفى، جاء في شرح النووي على صحيح مسلم- باب الفضائل قوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة- واصطفى من قريش بني هاشم- واصطفاني من بني هاشم» وكلمة المصطفى مأخوذة في الأصل من مادة الصفو- والصفو ضد الكدر- وصفوة كل شيء خالصه- وكذلك الاصطفاء- مأخوذ من الصفاء وهو نقاء الشيء والصفا هي الحجارة الصافية كما أن الاختيار هو أخذ خير الشيء وقيل الاصطفاء هو تخيّر الأصفى، واصطفاء الله لبعض عباده معناه أن يوجده صافيا نقيا أو يختاره ويقدمه على غيره لفضيلة فيه، والصفوة بكسر الصاد- خيار الشيء وخلاصته وما صفا منه- وإنما كان الرسول هو (المصطفى)، لأنه مصطفى من جميع أدران الأوصاف البشرية وقيل إنما سمي بهذا الاسم، لأنه اختار لغاية القرب من ربه -جل جلاله- وفي معنى اسم المصطفى اسم المختار، والرسول مختار، لأن الله قد اختاره للرسالة العامة والدعوة الباقية واختصه بالشرف والعز والمجد وفي معنى اسم (المصطفى) أيضا اسم المجتبى، لأن المجتبى هو المختار والمصطفى والله سبحانه يقول:

﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣)

وفي معنى المصطفى كذلك اسم المنتقى أي المهذب المصفى -فالنبي ﷺ هو مصطفى الله تعالى- ومختاره من خلقه- ومجتباه من عباده وخيرتهم عنده ولقد اصطفى الله لرسوله أشرف نسب وأكرمه حتى قال -عليه الصلاة والسلام: وقال: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقة، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، وخيركم نسبا».[1]

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

(١) سنن الترمذي.

كسوف الشمس يحدد التاريخ الصحيح للمولد النبوى

ومن القارئ طاهر محمد الأقرع كانت هذه الكلمة:

نظراً لأن العرب لم يدونوا التاريخ تدويناً حقيقياً إلا بعد الهجرة بقرنين أو ثلاثة، فقد وقع الاختلاف فى تاريخ كثير من الحوادث، والاضطراب وعدم الدقة فى ضبط وتحديد تواريخ المواليد والوفيات.

ومولد النبى ﷺ لم يكن بمعزل عن هذا الاختلاف، حيث اختلف المؤرخون وكتاب السير فى تحديد تاريخ يوم مولده ﷺ. وإن كان جمهورهم من المحققين المعتد بأقوالهم، قد اتفقوا على تعيين يوم وشهر وسنة مولده:

- فروى مسلم فى صحيحه عن أبى قتادة الأنصارى أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم الإثنين فقال: «فيه وُلدت فيه أُنزل علىّ»[٢].

- وعن سنة مولده ﷺ يقول ابن عبدالبر فى «الاستيعاب»: إنه لا خلاف فى أن رسول الله ولد عام الفيل[٣].

- أما الشهر فهو شهر ربيع الأول وأى رواية تنسب مولده إلى غير هذا الشهر فرواية متهافتة لا وزن لها أو كما يقول الشيخ محمد زاهد الكوثرى: سبق قلم.. إذن فالاختلاف الوحيد كان يدور حول تحديد يوم المولد الشريف، فقد كثرت فى ذلك الأقوال والروايات، أشهرها أن رسول الله ﷺ ولد عند انقضاء اليوم الثامن أو التاسع أو العاشر أو الثانى عشر من شهر ربيع الأول.. وقد أثبت العلماء، صحة القول الأول وضعف الأقوال الأخرى نظرياً وفلكياً.

● فمن الناحية النظرية ذكر الكوثرى أن الحافظ عمر بن دحية اعتمد صحة القول بأن مولده ﷺ كان عند انقضاء اليوم الثامن حيث قال: «هو الذى لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ».

- و أما القول بأن مولده فى اليوم العاشر فقد عزاه ابن سعد فى طبقاته إلى محمد الباقر لكن فى سنده ثلاثة رجال متكلم فيهم.

- وما اشتُهر بأنه اليوم الثانى عشر فقول محمد ابن إسحاق، لكنه بلا إسناد[٤].

● ومن الناحية الفلكية فقد أثبت محمود باشا الفلكى فى كتابه: «نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام وفى تحقيق مولده وعمره عليه الصلاة والسلام»، إن يوم المولد هو اليوم التاسع وذلك عن طريق تحديد تاريخ الكسوف الذى حدث وقت وفاة إبراهيم ابن النبى ﷺ فى السنة العاشرة من الهجرة كما ذكرت الروايات[٥]. فبمقتضى الحسابات الفلكية الدقيقة تبين أن الشمس كسفت فى المدينة فى الساعة الثامنة والنصف صباحا من يوم ٢٧ يناير الموافق ٢٩ شوال سنة ٦٣٢ ميلادية[٦]. ثم تراجع حسابيا من هذا التاريخ وصولاً إلى سنة مولده ﷺ فوجد أن يوم الإثنين لا يمكن أن يوافق إلا اليوم التاسع. وبناء عليه يكون النبى ﷺ قد ولد يوم الإثنين ٩ ربيع أول الموافق ٢٠ أبريل سنة ٥٧١ ميلادية[٧]. فسبحان القائل:

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (الرحمن:٥)

---

(٢) شرح مسلم النووى ٨/٥١ (٣) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب، لابن عبدالبر ١٩

(٤) مقالات الكوثرى ٣٦٣ - طبقات ابن سعد ١/١٤٢ - سيرة ابن هشام ١/٨٤

(٥) فتح البارى ٢/٦٠٠ (٦) نتائج الأفهام ١٩ (٧) نتائج الأفهام ٣٥

نبى الرحمة

ومن الأستاذ أحمد عبدالمحسن على محمد - ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى - جيزة - كانت هذه الكلمة عن نبى الرحمة ﷺ:

نبى الرحمة، وبحر الحكمة، وإمام الهدى، وعين الكمال.. لو سأل سائل عن سيدنا محمد - ﷺ - نبى الإسلام والمسلمين؟ لأجيب: بأنه البحر الزاخر، والبدر المنير، والسراج الوهاج والحق الذى سدده الحق فيفتح فى الفضل والفضيلة والدين والدنيا فتحا قريبا لازمته الرعاية قبل النبوة فكان أمينا فى الأرض والسماء.

فطم عن ثدى السيدة حليمة، لكن الأخلاق الكريمة والأذواق السليمة والأعراق القوية لم يزل منها يرضع، وعليها يترعرع، حتى طلع والهداية له ملازمة، حتى سما وأشخاص الكمال فيه قائمة، وأشرقت شمس النبوة فتدفقت ينابيع الحكمة الفاضلة.

وكان قبل النبوة وافر الأدب، زاهر الحسب، باهر الجلال.

دعا سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - دعوة الدليل الصادق إلى خير السبيل، وصبر على الإيذاء صبر أولى العزم من الرسل، لقى أشد ما يلقاه حق من باطل، وعالم من جاهل، تدفقت ينابيع حكمته وبهرت الأبصار شمس رسالته، وتغلغلت فى القلوب آيات شريعته.

وحشر فى القلوب القاسية رقة ورحمة وفى الأخلاق الغليظة رقة وحكمة وفى الأرواح الخبيثة طهارة وهمة. نهى عن أكل الأمانات، وسب الأموات، وقذف المحصنات. ونهى عن التباغض والتنازع، والتحاسد والتقاطع، والتصارع والتجالد.

أمر ببر الوالدين.

وأمر بصلة الأرحام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام.

أمر بما فيه سعادة العالمين، وبما فيه صلاح الدنيا والدين.

فهل بعد هذا يقال: إنه رجل ساحر محتال؟ كيف وقد كانت أخلاقه: بشاشة فى لين، إخلاص فى يقين، وصدق فى وفاء، عفاف فى حياء.

هو بالإجمال كما شهد الحق، ودل الصدق ونطق الحال نبى الرحمة، وبحر الحكمة، وإمام الهدى، وعين الكمال عليه الصلاة، وأزكى السلام.

صفات وعلامات الخطيب

ومن القارئ: محمد عباس محمد عرابى - كانت هذه الكلمة:

إن الناس اليوم وهم يحضرون أكثر من اثنين وخمسين خطبة في العام من الظلم لهم ألا يستفيدوا من خطبة الجمعة، ولكى يفيد الخطيب الناس لابد أن يكون ناجحا متصفا بالصفات والعلامات التالية:

- يستشعر الإخلاص والمسئولية، والحرص على هداية الناس فى خطبه.

- يوافق قوله فعله، وظاهره باطنه فالناس ينظرون إلى سلوك الخطيب، ويدققون النظر فيه، فالتزام

الخطيب بأحكام الإسلام بوجه عام وتطبيق ما يدعو إليه في خطبته يجعل كلامه مقبولاً عند المستمعين، أما مخالفة العمل للقول، فإنه يجعل المستمعين لا يثقون به ولا بكلامه.

-نبع متدفق من الخير والعطاء؛ لأنه يحب ويعطي عن أريحية ورضا، لاسيما أن الشفقة على الخلق إحدى سماته وصفاته، يرى المنكر فلا يسكت عليه بل يصوغه في قالب خطابي تربوي مؤثر يوقظ الوسنان ويروي الظمآن، ويقود الناس إلى دروب الحق وميادين المعرفة.

-من علاماته اللين والرفق والتلطف مع الناس، لأن ذلك أدعى إلى استمالتهم وإقناعهم، أما أسلوب العنف والغلظة والشدة فقد أثبت الواقع فشله وعدم جدواه.

-يمتلك من الألفاظ أعذبها وأشوقها وأقربها إلى القلوب والشعور، يأسرك بكلماته التي هي واحة المتعبين، وأنس السامرين، ودليل الحائرين، يربطهم بالمسجد ربط الطائر بعشه وفراخه.

والخطيب الناجح يستطيع أن يطوّر نفسه علماً ومعرفة وأسلوبا، وفيما يخص الأسلوب والطريقة فإن هناك برامج تدريبية بأحدث الوسائل يستطيع أن يكون الخطيب بها مؤثراً، وأكثر نفعاً، وليس نقصا أن يجدد الخطيب من أسلوبه ويتدرب على الوسائل التي تكمل النقص عنده.

من أعلام الأزهر الشريف

الدكتور / عوض الله حجازى

ويقدم القارئ الأستاذ: «صفوت حجازي» - مدرس أول علوم شرعية بمنطقة أسيوط الأزهرية- معهد منفلوط الثانوي بنين ترجمة موجزة للأستاذ الدكتور عوض الله حجازي - رحمه الله قال:

ولد الشيخ عوض الله جاد حجازى في قرية تسمى «زاوية رزين» مركز منوف محافظة المنوفية في عام ١٩١٤م. وحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية. ثم التحق بمعهد القاهرة الديني في ١٩٢٦م وحصل على الشهادة الثانوية من معهد القاهرة في عام ١٩٣٦م.

ثم التحق بكلية أصول الدين وحصل على الشهادة العالية (الليسانس) عام ١٩٤٠م وكان ترتيبه الثاني على الدفعة، ثم تخصص في قسم العقيدة والفلسفة وحصل على شهادة العالمية «الدكتوراة» في العقيدة والفلسفة بتقدير ممتاز في عام ١٩٤٧م. وعين في نفس العام مدرساً في معهد قنا الثانوي. ثم انتقل إلى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م، لتدريس مادتي المنطق والفلسفة. وحصل على درجة أستاذ مساعد من الكلية عام ١٩٥٨م. ثم نقل إلى كلية أصول الدين قسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٦٣م. وفي عام ١٩٦٧م حصل على درجة أستاذ. وفي عام ١٩٦٩م عين وكيلا لكلية أصول الدين ثم عميداً لها عام ١٩٧١م. وفي عام ١٩٧٨ عين نائباً لرئيس جامعة الأزهر، ثم وكيلاً للأزهر الشريف عام ١٩٧٩م. حتى بلغ سن المعاش عام ١٩٨٠م وبحكم هذه المناصب اختير عضواً بمجمع البحوث الإسلامية لقسم العقيدة والفلسفة.

ثم عمل أستاذاً متفرغاً بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.

النشاط الخارجي:

أعير إلى بلاد كثيرة منها:

١- بعثة تعليمية إلى إريتريا ١٩٥٢-١٩٥٤م.

٢- بعثة تعليمية إلى السعودية ١٩٥٥-١٩٥٨م.

٣- بعثة تعليمية إلى السودان ١٩٦٣ - ١٩٦٦م.

٤- بعثة تعليمية إلى السعودية ١٩٦٨ - ١٩٧٠م

٥- وفي عام ١٩٧٢م أعير إلى جامعة الملك عبدالعزيز.

٦- وفي عام ١٩٨٢م أعير إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ثم استقر في مصر للتدريس في جامعة الأزهر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين.

أشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراة. وقدم الكثير من الكتب لبعض الأساتذة أمثال: فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبودقيقة لكتابه القيم: «القول السديد في علم التوحيد» الذي قام بتحقيقه والتعليق عليه، وشرح المسائل الغامضة التي وردت في هذا الكتاب.

كما قدم لكثير من كتب فضيلة الأستاذ المرحوم أحمد حجازى السقا أستاذ مقارنة الأديان بجامعة الأزهر سابقاً.

مؤلفاته:

ألف الكثير من الكتب القيمة منها:

١- ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي. وهذا البحث حصل به على درجة الأستاذية من كلية أصول الدين. وأوصت اللجنة التي ناقشت هذا البحث بطبعه على نفقة جامعة الأزهر فقام مجمع البحوث الإسلامية بطبع هذا الكتاب.

٢- تاريخ الفلسفة اليونانية بالاشتراك مع الدكتور محمد السيد نعيم.

٣- دراسات في العقيدة الإسلامية.

٤- المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم.

٥- محاضرات في نشأة علم الكلام والفرق الإسلامية.

٦- في تاريخ الفلسفة الإسلامية بالاشتراك مع الدكتور محمد السيد نعيم.

٧- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. وهذا الكتاب درس على طلاب الدراسات العليا بكلية أصول الدين. ثم أعيد طبعه ليدرس على طلاب الفرقة الرابعة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

علاقتي بفضيلة الدكتور عوض الله:

لقد زرته في بيته منذ فترة طويلة واستقبلني أفضل استقبال وتحدثت معه عن مؤلفاته التي نشرها والتي لم تنشر وسألته عن كتابه الفلسفة الإسلامية، فقال لي رحمه الله: «إنني عرضته على دور نشر ولم يطبع بعد». وقدم لي بعض مؤلفاته فشكرت له على حسن الاستقبال وحسن العطايا.

وانتقل إلى جوار ربه عن عمر يناهز ٩٢ عاما يوم الجمعة الموافق ٢٤/١١/١٤٢٧هـ-١٥/١٢/٢٠٠٦م بعد حياة حافلة بالعطاء والكفاح في مجال التعليم.

رحم الله فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

العـــراق يتحــــدث

ومن القارئ ياسين عبدالعزيز - كوم امبو - أسوان كانت هذه الأبيات:

عــــراقكـمــــو أنـا لا تـتــركــــونـي ... أنا بلد الرشــيـــد فــأدركـــونـي
لما يا عـــرب خــفــتم من أعــاجم ... فــجــاءوا بالـبــوارج حــاصــرونـي
وقــتلوا بالمدافع نصف شــعــبي ... وهاجم بـالقـنابل أحــرقـــونـي
غـــزوني فــاســتــبــاحـوا كل شيء ... لهم أفـــعـــال توصـف بالجنون
على أعـــدائي كل الناس تشــهــد ... بما فـــعلوه أيضًـا في الســجــون
فــهــيــا ياشــبـابي الحر هيـــا ... ســريعـاً يا أحــبـائي انصروني
أفـــيــقــوا واحـــذروا من كل خــائن ... فــقــد باعـوني غــدرًا أسقطوني
أغـــيــثـوا عـــراقكم أبناء دجلة ... أنا الوطن الأبيُّ فـــأنقـــذوني
أنا بغــداد عــاصــمــة الخــلافــة ... أعـــيـــدوا مــوصلي أو غـــادروني
فــقــومــوا واملئــوا الأعــداء رعـبـاً ... لقــد بدأ الجــهـــاد فــحــرروني

إعدام صدام .. وحقوق الإنسان

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ: «السيد جعفر» - بلقاس دقهلية:

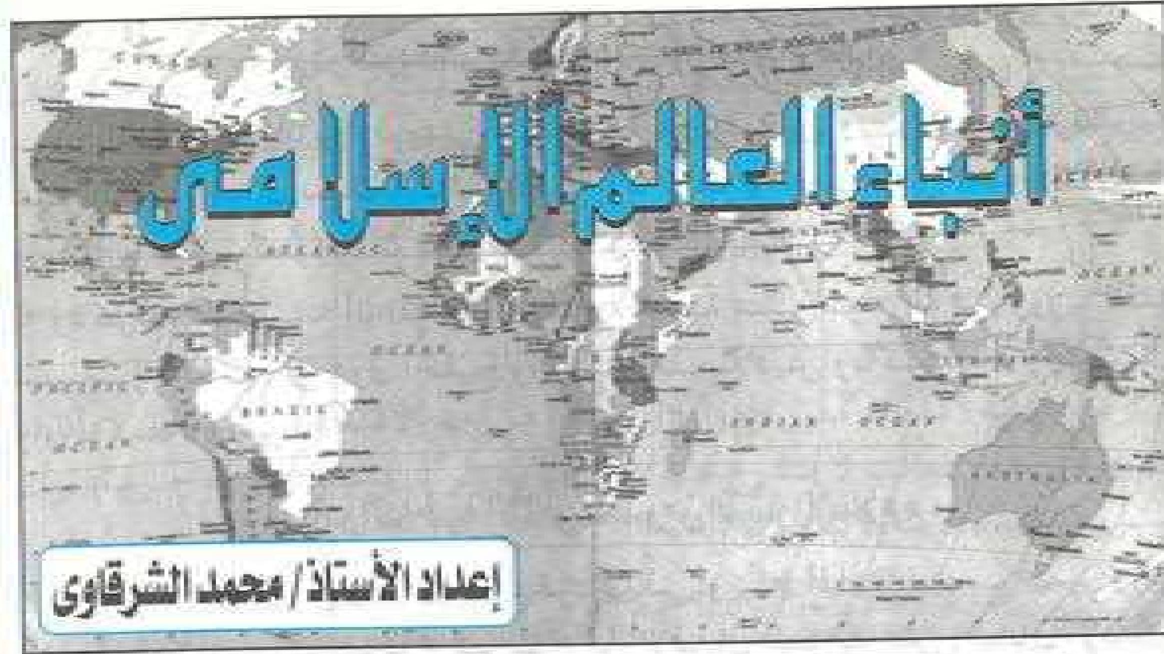
إن إعدام «صدام حسين» مع صلاة عيد الأضحى المبارك -مهما كانت سيئاته- صدم كل المشاعر الإنسانية صدمة عنيفة وخالف جميع الأعراف والديانات السماوية. كما خالف جميع القوانين والمبادىء والشعارات التي تطلقها وتتغنى بها منظمات حقوق الإنسان.

ومحاكمة «صدام حسين» كانت مهزلة ومخالفة قانونية .. فهي محاكمة في ظل احتلال قهري يذكرنا بهمجية رعاة البقر التي تفرض سيطرتها بقوة السلاح، وتملى إرادتها بقانون الغاب .. قانون الوحوش الآدمية الذي تغلب على قانون الوحوش البهيمية.

كما تذكرنا بالمحاكمات التي حدثت لشهداء مشانق دنشواى من الأبطال المصريين في عهد الاحتلال الإنجليزى لمصر .. وكذلك ما حدث للبطل الليبى «عمر المختار» أثناء الاحتلال الفرنسي لليبيا.

فلا شرعية لمحكمة أو محاكمة في ظل أي احتلال .. مهما حاولوا إسباغ الشرعية أو الإيهام بديمقراطية مزعومة.

ولا منقذ إلا اتحاد الأمة الإسلامية .. وإعلاء راية الوحدة العربية في مواجهة قوى الشر والطغيان.



• الخارجية المصرية تحذر من حملات تنصير مسلمى النيجره

كشف مصدر خطير بوزارة الخارجية المصرية الدور المشبوه الذى تقوم به الكنيسة فى النيجر من عمليات سافرة لتنصير المسلمين هناك من خلال العمل الاجتماعى والاقتصادى وتتستر الكنيسة تحت منظمة تطلق على نفسها «العمل من أجل تنمية النيجر» والتى تستهدف قطاعات الصحة والتعليم والمجال الاجتماعى وإنشاء ملاجئ لأطفال المسلمين لتنصيرهم.

كما حذر سفير مصر فى «نيامى» عاصمة النيجر من مغبة عملية تنصير المسلمين هناك، الأمر الذى يدعو إلى الاهتمام بصفة خاصة بمسلمى النيجر.

وأكد تقرير لسفارة النيجر أن حركات التبشير تقوم بتنصير عدد من المسلمين تحت وطأة الفقر والحاجة.

وأوضح التقرير أن (٩٧٪) من سكان النيجر مسلمون، ويعتنق (٣٪) فقط المسيحية والوثنية وليست للمسيحية أى جذور بالنيجر.

من ناحية أخرى طالبت لجنة المتابعة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمساندة الجمعية الشرعية بالنيجر وتحويل جزء من أموال الزكاة التى تصل إلى مشيخة الأزهر لمواجهة احتياجات المسلمين هناك ومواجهة الحملة التنصيرية ضد المسلمين فى النيجر وطالبت اللجنة المسلمين فى العالم بتحويل جزء من زكاة أموالهم لإنقاذ شعب النيجر المسلم من مغبة التنصير وحملاته.

• المركز البريطاني يعزز وجوده في العالم الإسلامي •

قرر المركز البريطاني «بريتش كاونسل» الذى يقوم بترويج الثقافة البريطانية عبر العالم إغلاق نصف مكاتبه في أوروبا لتعزيز وجوده في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى. كما أفادت صحيفة «التايمز» البريطانية.

وذكرت الصحيفة أن المركز سيغلق خمسة عشر فرعًا له في أوروبا لكنه سيعزز مكاتبه في دول الخليج واليمن وبنجلاديش وباكستان والنيبال وأوزباكستان وغيرها.

• وزير الداخلية الألماني يحذر من انتشار الإسلام •

تفجرت موجة من الجدل والانتقادات في أوساط ألمانيا بسبب تحذير وزير الداخلية الألماني «فولفجانج شويبلة» من الإقبال المتزايد على اعتناق الإسلام باعتبار أن ذلك يمثل خطراً على المجتمع الألماني.

وقال «أيمن مزايك» الأمين العام للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا: إنه يتمنى لو أن الوزير قدم دليلا واحداً يثبت خطورة المسلمين قبل أن يعمم عليهم الاتهامات دون تبرير.

وكان الوزير الألماني قد وصف تزايد اعتناق الإسلام في ألمانيا بالخطر، وقال: إن هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام يمثلون تهديداً محتملاً على الأمن الألماني، وأن واقعا ملموسا لا تخطئه العين يظهر أن الإرهاب بات ينمو على تربة المجتمع الألماني ولم يعد يأت من خارجه فقط، «وذلك في مقابلة أجرتها معه صحيفة «دى فيلت» المعروفة بعدائها للعرب والمسلمين وولائها للجماعات اليهودية».

• التليفزيون الألماني ينشر «الإسلاموفوبيا» •

أكدت دراسة أكاديمية أن قناتين حكوميتين في ألمانيا تقومان بترويج تصورات نمطية سلبية عن الإسلام وتعميم الأحكام الجزافية عن المسلمين.

أشارت الدراسة إلى أن البرامج السياسية في القناتين الأولى والثانية الحكوميتين خلال عام ونصف العام ساهمتا في زيادة الخوف من الإسلام داخل المجتمع الألماني.

ذكرت الدراسة أن المسئولين عن هذه البرامج تعمدوا في ٨٠٪ منها تقديم الإسلام كأيديولوجية سياسية ذات منظومة قيمية مخالفة للأنماط السلوكية

السائدة في المجتمع الألماني.

كما تم تصوير الإسلام كخطر سياسي ومجتمعي، وربطه بقضايا العنف والنزاعات كالإرهاب واضطهاد المرأة ومشاكل الاندماج والتعصب الديني.

• هولندا تعتذر لمصر عن إساءة نائبها للإسلام •

أعلنت هولندا رسمياً.. اعتذارها عن إساءة أحد نواب البرلمان الهولندى للدين الإسلامي.

ومن جانبه أكد الدكتور «إدوارد غالى» وهو أحد الأقباط في البرلمان.. بأن ما صدر عن هذا النائب لا يندرج تحت بند حرية الرأى باعتبار أن حرية الرأى مشروطة بعدم الإساءة للآخرين.

وقال غالى: إنه يسجل باسم لجنة حقوق الإنسان الرفض التام لما صدر عن هذا النائب الهولندى..

وكانت الفترة الأخيرة قد شهدت هجمة جديدة على الإسلام والقرآن الكريم، وذلك عندما هاجم نائب برلماني هولندى الإسلام والمسلمين وقال: «إنهم مطالبون بتمزيق نصف أوراق القرآن الكريم» وطالب «جيرت فيلدرز» عضو البرلمان الهولندى ورئيس حزب الحرية بتمزيق نصف القرآن الكريم وعدم العمل به إذا أراد المسلمون العيش في هولندا...

وقال: إن القرآن يحتوى على أشياء مروعة.. وقال «فيلدرز» في تصريحات نشرتها صحيفة «دى برست» الهولندية: إن الإسلام يشكل أكبر خطر وتهديد على البلاد.

وقد تحركت العديد من العواصم الإسلامية لإدانة هذه التصريحات ومنها مصر، حيث أدانت وزارة الخارجية التصريحات وأبلغت السفير الهولندى بالقاهرة استياء مصر البالغ من هذه التصريحات.

كما بدأت السفارة السعودية في هولندا تحركات لدى وزارة الخارجية الهولندية للاحتجاج، مطالبة بوضع حد لمثل هذه التصريحات التى تسيء إلى الدين الإسلامي وإلى المسلمين في كل مكان.

إسرائيل تحاكم قاضي قضاة فلسطين لدخوله القدس!

بدأت إسرائيل خلال الشهر الماضي محاكمة الشيخ / تيسير رجب التميمي قاضي قضاة فلسطين بتهمة دخول مدينة القدس للصلاة في المسجد الأقصى دون تصريح!.

وقال الشيخ التميمي معقباً على هذه التهمة: إنها محاكمة سياسية لبطلان الأساس القانوني الذي تستند إليه حكومة إسرائيل، مشيراً إلى عدم صلاحية هذه المحكمة، إذ لا علاقة لها بأي أمر يتعلق بشئون المسجد الأقصى المبارك أو مدينة القدس وفقاً للقوانين الدولية.

كما أكد الشيخ أنه لا توجد قوة في الأرض تمنعه من الصلاة في المسجد الأقصى والخطبة فيه.

• وزير داخلية إيطاليا يتطاول على الشريعة الإسلامية •

هاجم وزير داخلية إيطاليا (جوليو أماتو) «الشريعة الإسلامية»، واصفاً إياها بـ «الشوفينية»، وقال أماتو في المؤتمر الذي عقد في روما حول تمازج الثقافات: إن «الشريعة» عبارة عن ثقافة شوفينية تنتمي إلى مجتمعات متخلفة.

كما أشار في كلمته إلى أن بعض المجتمعات الإسلامية التي يهيمن عليها الذكور تنتهك الحقوق العالمية للنساء، وأن الرجل هو صاحب القرار في كل شيء مدعيا أن المجتمعات الإسلامية ليست وحدها التي جعلت كلام الإنسان وكأنه كلام الله، حيث كان القانون العائلي غير عادل وتمييزي ضد النساء قبل الإصلاحات التي تبنتها إيطاليا في عام ١٩٧٥م.

• وسط مخاوف من أزمة مع العالم الإسلامي •
تأسيس أول اتحاد للمرتدين عن الإسلام في ألمانيا

تسود الأوساط السياسية في ألمانيا مخاوف عديدة حالياً من اندلاع أزمة مع العالم الإسلامي وذلك بسبب الإعلان عن تأسيس أول اتحاد رسمي للمسلمين «للمرتدين» عن الإسلام في ألمانيا في مؤتمر صحفي «عالمي» سوف يعقد قريباً في برلين.

وأكدت رئيسته «مينا أهادي» الإيرانية المرتدة عن الإسلام أن الهدف من الاتحاد هو تأكيد حرية كل فرد في اختيار عقيدته الدينية، زاعمة أنها والأعضاء يرفضون القيود التي تفرضها عليهم الشريعة الإسلامية، ورغم ترحيب مثقفين وإعلاميين ألمان بالاتحاد إلا أنه ووجه بانتقادات المستشرقين الألمان مثل: رانهولد لوت الذي اعتبر اختيار اسما مشابها لاسم أكبر اتحاد للمسلمين في ألمانيا، وهو المجلس المركزي للمسلمين في كولونيا، أنه عمل استفزازي وقال: «إننا لا ينقصنا من يلقي بالبنزين على النار».

• متحف للقرآن الكريم بماليزيا •

أقامت الحكومة الماليزية مؤخراً متحفاً للقرآن الكريم بولاية «ملقا»، أول ولاية ماليزية وصل إليها الإسلام ومنها انتشر إلى بقية ولايات ماليزيا.

يضم المتحف كل ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم وفن كتابة المصحف على الطراز الماليزي.

ويستهدف المتحف حفظ تراث وفنون كتابة المصحف ورفع مستوى فهم القرآن الكريم.

ويعرض المتحف عدداً من المصاحف القديمة والنادرة في المنطقة، وهو يستقطب السائحين الذين يقصدون ولاية «ملقا» المعروفة بتاريخها العريق الذي ضم الحضارات الصينية والإسلامية والمالاوية.

ويعد المتحف مركزاً للدعوة الإسلامية، حيث ينظم العديد من الندوات حول علوم القرآن وفنون كتابة المصحف وبرامج وفصول لدراسة القرآن الكريم وتلاوته.

• تبرئة صربيا !!! •

بعد ١٢ عاما من الحرب، أكدت محكمة العدل الدولية في لاهاي وقوع إبادة جماعية في مدينة «سربرينتسا» شرق البوسنة منتصف يوليو عام ١٩٩٥ وراح ضحيتها أكثر من ثمانية آلاف نسمة، وأنها تتطابق مع تعريف الإبادة الجماعية في القانون الدولي، لكنها برأت صربيا من المسئولية المباشرة عن حملات الإبادة التي حصلت في البوسنة إبان الحرب في الفترة ما بين ١٩٩٢ و١٩٩٥، لأنها لم تستطع التأكد من مسئولية الدولة الصربية عنها.

وقالت المحكمة: إن حرب البوسنة وجيشهم لم يكونا جزءاً من صربيا، كما لا يوجد دليل على أن الجنرال «راتكو ملاديتش» المتهم بارتكاب جرائم حرب وفي مقدمتها مجازر سربرينتسا مسئول عن تلك الجرائم، حيث لم يتم اعتقاله ومحاكمته.

وعلى الرغم من عدم ارتياح المسلمين البوسنيين لحكم المحكمة، فإن الأمل معقود في أن يسهم الحكم في تحقيق الهدوء والاستقرار والمصالحة في منطقة البلقان.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل مستشارة جمهورية ألمانيا

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ٤ / ٢ / ٢٠٠٧م الدكتورة «أنجيلا ميركل» المستشارة الاتحادية لجمهورية ألمانيا الاتحادية والوفد المرافق لها يرافقهم معالى الوزير / طارق كامل وزير الاتصالات ورئيس بعثة الشرف المصرية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيدة المستشارة أنجيلا ميركل والوفد المرافق لها.

بدأ اللقاء بتقديم فضيلة الإمام الأكبر شرحا مبسطا لمراحل التعليم بالأزهر الشريف والذى بين فيه أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء مؤكدا على أن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعامل، كما أننا نؤمن بتعاون الحضارات وليس بتصادم الحضارات حتى يعمر الكون بالسلام والأمن والاطمئنان ويسود الرخاء العالم كله.

وأن مثل هذه اللقاءات تزيد بيننا الثقة والأخوة الإنسانية لأن الله قد أوجدنا لنعمر هذا الكون بالتآلف والتعارف والمحبة. فنحن نؤمن بأن السلام فى العالم هو الأصل وأن العقول الإنسانية السليمة وأن الشرائع السماوية كلها تنبذ وتحارب الإرهاب والتخريب والعدوان وكل ما أرجوه فى العالم أن يكون عدد العقلاء أكثر من عدد السفهاء، كما أود أن أسجل أيضا أنه لاتوجد حروب دينية وأن ما نشاهده اليوم ليست حروب دينية ولكنها حروب مصالح وأطماع وانحراف عن الدين. فالإسلام يأمرنا بنشر الأمان والسلام والرخاء ولكن عندما يضعف العقل البشرى والقيم الدينية يتحول الخير إلى شر والسلام إلى قتل والذين يتسترون وراء الدين ويرتكبون القتل والتخريب. الأديان السماوية بريئة منهم. فنحن عندما قمنا بالرد على ما قاله بابا الفاتيكان فى محاضراته

التى ألقاها فى إحدى الجامعات الألمانية قمت بكتابة خمس مقالات بينت فيها أن الجهاد فى الإسلام لم يشرع إلا من أجل أمرين: أولاً: الدفاع عن النفس، ثانياً: نصرة المظلوم.. وهما السببان اللذان شرع من أجلهما الجهاد وكل ذلك بينته فى مقالاتى بأسلوب هادىء وترجم إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

ومن جانبها شكرت معالى المستشارة فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة والاستقبال لها وللوفد المرافق لسيادتها مؤكدة على أن زيارتها للأزهر جاءت من منطلق أن الأزهر هو أكبر مؤسسة دينية إسلامية فى العالم تتمثل فيه الوسطية والاعتدال وعلينا أن نتحاور بسماحة متبادلة ونصل إلى قواسم مشتركة ترتكز عليها علاقاتنا فى إدارة حوار حقيقى ينتج عنه هذا التقارب، وللأسف فإن وسائل الإعلام لا تنقل الصورة الحقيقية عن الإسلام وأنا سعدت بهذه الزيارة التى أتيحت لى بلقاء فضيلتكم، وقد سعدت بما قلته فضيلتكم بأن الأزهر يعلم الأولاد التسامح وقبول العقائد المختلفة وهذا ما نطمع أن نعلمه فى التربية المسيحية، وأننا حينما ندير الحوار على أساس سليم سنخرج من هذا التخبط الذى نعانى منه.

وفى نهاية اللقاء أبدت المستشارة الألمانية رغبتها فى الاطلاع على المراجع التى تتعلق بمفهوم الجهاد من المنظور العقائدى لاتفاقها مع رأى فضيلة الإمام الأكبر بأنه لا توجد حروب دينية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر الديب وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من علماء الأزهر الشريف.

ويستقبل النائب الأول لرئيس جمهورية بوروندى

• واستقبل فضيلته بمكتبه يوم الاثنين الموافق ٢٦ / ٢ / ٢٠٠٧ - السيد الدكتور / مارتان ندوويمانا - النائب الأول لرئيس جمهورية بوروندى - والسادة وزير الزراعة ووزير الصحة وسفير بوروندى بالقاهرة والوفد المرافق لهم - يرافقهم السيد السفير / محمد الخشاب - سفير مصر فى بوروندى.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف، مشيدا بالعلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، وأن الأزهر يستقبل أبناء بوروندى للدراسة به وقد بلغ عدد الدارسين ما يقرب من ٩٠ طالباً وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة.

كما قدم فضيلته شرحاً مبسطا عن مراحل التعليم بالأزهر الشريف وجامعته، حيث يتعلم بالأزهر الشريف طلاب من أكثر من مائة دولة، لأن الدراسة به تمتاز بالسماحة واليسر والوسطية والاعتدال، وتقوم على أسس هى:

أولا: أن الناس جميعا أخوة فى الإنسانية وكلهم من أب واحد وأم واحدة.

ثانيا: أن لكل إنسان عقيدته، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون.

ثالثا: نحن لا نؤمن بتصادم الحضارات وإنما نؤمن بأن الحضارات عند العقلاء تتحاور وتتقارب، وتتعاون، وهذه الحضارات يجب أن ينتفع بها الناس جميعا، وبهذا يسود العالم السلام والأمان والرخاء والاطمئنان وخاصة فى هذا الزمن الذى أصبح العالم كله كدولة واحدة ومن الصعب أن تستغنى دولة عن بقية الدول وبهذا يصبح العالم أسرة واحدة تتبادل المنافع.

رابعا: أن الذى يحاسب على العقائد هو الله، فنحن فى مصر نقول إن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات، فنحن فى الأزهر ننبذ التعصب الأعمى وننبذ أيضا فكرة العصبية العمياء، وأن مصر وأزهرها الشريف دائما تقدم كل عون ومساعدة لأبناء الدول الذين يدرسون بالأزهر الشريف، كما نؤمن بالتخصصات وعلى كل تخصص أن يتعاون مع الآخر ليعم النفع العالم أجمع.

ومن جانبه أعرب السيد نائب رئيس دولة بوروندى عن بالغ سعادته لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وحسن حفاوة الاستقبال له وللوفد المرافق، حيث إن ما يقدمه الأزهر لأبناء بوروندى له الأثر الطيب لدى شعب وحكومة بروندى، كما أن هذه الزيارة تأتى فى إطار توسيع وتوطيد العلاقات بين بوروندى والأزهر الشريف، وأنه يتفق تماماً مع آراء فضيلة الإمام الأكبر ويؤيده فى كل ما قاله، مؤكدا على أن هناك رسالات كثيرة فى العالم لابد من توصيلها برغم طبيعة الخلافات بين البشر، فهى طبيعية ويجب أن نسيطر عليها لأننا نشجع الحوار مع الأجناس الأخرى ومع العقائد الأخرى وبهذا يكون المجتمع متجانساً متحاباً يعمل لخدمة بلده، ونحن جئنا لنشكركم على المنح التى خصصت لطلبة بوروندى وأقل واجب نقدمه لفضيلتكم وللأزهر الشريف هو الشكر والعرفان.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب- وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ/ عبدالله ألهم مجاور- رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

واستقبل فضيلته بمكتبه يوم الخميس الموافق ١٥ / ٢ / ٢٠٠٧ السيد السفير/ نوبادون تيبيتاك - سفير تايلاند بالقاهرة.

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف، مشيداً بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، وأن الأزهر يستقبل أبناء تايلاند للدراسة به حيث إن عدد الدارسين يقارب ٢٥٨٠ طالباً وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة، كما أنه قد خصص هذا العام ٦٣ منحة جديدة لأبناء تايلاند وتوجد بعثة من علماء الأزهر بتايلاند يقومون بالمشاركة فى تدريس العلوم العربية والشرعية، كما أن الأزهر لا يدخر وسعاً فى مد أصول التعاون لأبناء تايلاند الشقيقة للدراسة بالأزهر الشريف..

من جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء معرباً عن سعادته بلقاء فضيلته وأنه حينما يواجه أى مشكلة يتوجه للأزهر لأخذ النصيحة والمشورة من فضيلة شيخ الأزهر، مستطرداً فى حديثه بأنه يقوم حالياً بالترتيب والتنسيق لزيارة سمو الأميرة/ ماها تشاكرى ولية العهد والنجلة الكبرى لجلالة ملك تايلاند - التى ترغب فى زيارة إحدى صروح العلم بالأزهر الشريف وزيارة مشيخة الأزهر فى منتصف مارس القادم، وفى نهاية اللقاء قدم سعادته دعوة رسمية من رئيس وزراء تايلاند لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة تايلاند فى الوقت الذى يراه فضيلته مناسباً.

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على هذه الدعوة وأنه سيقوم بتلبيتها فى الوقت المناسب.

ويستقبل سفير جمهورية كوريا الجنوبية

واستقبل فضيلته بمكتبه يوم الاثنين الموافق ١٢ / ٢ / ٢٠٠٧م - السيد/ دال - هو تشانغ - سفير جمهورية كوريا الجنوبية بالقاهرة بمناسبة تسلمه للعمل كسفير جديد لبلاده، يرافقه الدكتور/ أمين - بارك جاينج - المستشار الإعلامى والثقافى لسفارة كوريا بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف، مشيداً بالعلاقات الطيبة بين مصر وكوريا الجنوبية، وقدم فضيلة الإمام الأكبر لمعالى السفير التهنئة بتولى

الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة الكورى الأصل مهام منصبه الجديد، مؤكداً بأننا نتعاون ونتبادل المعلومات والثقافات مع جمهورية كوريا الجنوبية وفى الوقت نفسه نؤمن بتقارب الحضارات ولا نؤمن بتصادمها، وأن الدين الإسلامي يمد يده بالسلام إلى كل من يمد إليه يده بالسلام ونعتبر أن الناس جميعاً أخوة فى الإنسانية، كما نؤمن بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، فنحن نحترم كوريا الجنوبية ونشهد لها بالازدهار والتقدم فى مجالات كثيرة.

من جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وأنه جاء لهذا الصرح العظيم لبناء جسور التعاون الدائم بين الأزهر ودولة كوريا الجنوبية مؤكداً بأن أعداداً كبيرة من السياح تأتى إلى مصر وتريد أن تعرف مبادىء الإسلام الصحيح من خلال تلك الزيارات وأن بكوريا سبعة مساجد وما يقرب من ٣٥ ألف مسلم كما يوجد فى عدد من الجامعات قسم للغة العربية لتعليم العلوم العربية والشرعية.

ويستقبل سفير جمهورية أوزباكستان

● كما استقبل فضيلته يوم الأربعاء الموافق ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٧ الدكتور/ صالح إنعاموف- سفير اوزباكستان بالقاهرة يرافقهم المستشار الثقافى بالسفارة.

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى الأزهر الشريف.

ومن جانبه نقل معالى السفير تحيات فخامة الرئيس/ إسلام كريموف- رئيس جمهورية أوزباكستان لفضيلة الإمام الأكبر ولعلماء الأزهر الشريف، ثم وضح السيد السفير أن الهدف من زيارته لفضيلة الإمام الأكبر هو التنسيق لاستقبال فخامة رئيس أوزباكستان فى الأزهر الشريف والتى تأتى ضمن برنامج زيارة السيد رئيس أوزباكستان للقاهرة فى الفترة من ٢٥ وحتى ٢٧ مارس القادم.

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام الأكبر بزيارة فخامة الرئيس/ إسلام كريموف للأزهر الشريف، وفى نهاية اللقاء شكر معالى السفير فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر من خدمات لطلاب أوزباكستان من مساعدات تعليمية منها الكتب والمنح الدراسية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب- وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور- رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر.

الإمام الأكبر يؤكد:

مسئولية رجال الدين إخماد الحروب التى يزج فيها بالدين

واستقبل فضيلته بمكتبه يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ / ٢ / ٢٠٠٧ الكاردينال الإيطالى/ بوبار- وزير الثقافة والحوار الدينى بالفاتيكان، ونيافة المطران/ مايكل لويس فيتزجيرالد- سفير الكرسى الرسولى (الفاتيكان) لدى جمهورية مصر العربية، والأب/ فيكتور باناري- والدكتور/ باولا، والدكتور/ الأنبا/ يوحنا قلته- نائب بطريرك الكاثوليك بمصر.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور، ودار الحديث من جانب فضيلة الإمام الأكبر بأننا نؤمن بأن الله أوجد الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وأن الكتب السماوية كلها تنص على ذلك، ونقول بأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله. ونحن نتعاون لكى نقدم الخير للمحتاجين وننشر الرخاء فى العالم من خلال مساعدة المظلوم حتى يأخذ حقه، ومن أجل تقديم العون لأطفال الشوارع واليتامى، كما أننا نرحب بكل حوار فيه خدمة للإنسانية وخدمة للفقراء والمحتاجين والبائسين من أجل نصرة المظلوم والوقوف إلى جانب الحق حتى ينتصر، وأن حواراتنا يجب أن تدور حول هذه المعانى والمفاهيم، وأوضح فضيلة الإمام الأكبر بأن ما ينشر من مقالات تتحدث عن الأمور الدينية والحروب مثلما يحدث فى العراق ولبنان وفلسطين وغيرهم فهى حروب وخلافات ونزاعات تحدث من أجل المصالح السياسية ولا علاقة لها بالناحية الدينية ومسئولية رجال الدين إخماد الحروب التى يزج فيها بالدين، لأن الأديان تطالبنا بنشر الأمن والأمان والأخوة الإنسانية بين الناس وتبادل المنافع، فالأديان تأمرنا بالتعاون التجارى والاقتصادى مادامت فى حدود ما أحله الله وما دامت تقوم على العدل وعدم الاستغلال والابتزاز، وهذا ما تنص عليه الأديان السماوية والعقول الإنسانية السليمة، وهذا ما نسميه بتعاون الثقافات وتعاون الحضارات، ومن جانبه شكر الكاردينال فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة والاستقبال وعلى عمق الكلمات التى تنم عن فكر عاقل يهدف إلى الاحترام المتبادل، قائلاً بأنه يؤيد حديث فضيلة الإمام الأكبر عن أطفال الشوارع وعن الحروب وعن التصدى بالحكمة لكل ما يحدث باسم الدين حتى تتوحد جهودنا من أجل خير البشرية ومن أجل أن يعم السلام العالم كله، وأن مثل هذه اللقاءات والحوارات بين رجال الدين يجعل العالم يفهم حقيقة الصراعات التى تتخذ من الدين ستاراً لها.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر الديب- وكيل الأزهر الشريف، والأستاذ الدكتور أحمد الطيب- رئيس جامعة الازهر.

الإمام الأكبر يستقبل المدير التنفيذى لمنظمة اليونيسيف

واستقبل فضيلته ـ بمكتبه يوم الاثنين الموافق ١٩ / ٢ / ٢٠٠٧ السيدة آن فينيمان ـ المدير التنفيذى لمنظمة اليونيسيف ـ والوفد المرافق لسيادتها، وذلك لمناقشة موضوعات التعدى على الأطفال والعنف الواقع عليهم، وختان الإناث والتأكيد على رعاية وحق كل طفل فى التعليم وكذا عناية ورعاية الأطفال الذين لا مأوى لهم سوى الشارع.

وقد شكرت سيادتها الأزهر الشريف وعلمائه للتصدى لهذه الظواهر، حيث بين فضيلة الإمام الأكبر لها ان جميع الشرائع السماوية دعت إلى الاهتمام بالأطفال ورعايتهم اجتماعيا وصحيا وتعليميا حتى يفيدوا أنفسهم ووطنهم، وأن الأزهر فى جميع ندواته وتعاليمه يركز على أهمية رعاية الأبناء سواء من الذكور أو الإناث دون تفرقة لأن رعايتهم فى الصغر ستنفعهم وتنفع أوطانهم فى الكبر.

كما شكرت سيادتها جميع المؤسسات المصرية التى تهتم برعاية هؤلاء الأطفال والعمل على حل مشاكلهم.

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج وعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر الشريف يوم الأربعاء الموافق ٢٤ / ١ / ٢٠٠٧ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الخامسة والسبعين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١ / ١١ / ٢٠٠٦ ولمدة ثلاثة أشهر وعددهم ٢٣ إماما وواعظا من دول :- (الجزائر -السودان- تنزانيا- توجو- أفريقيا الوسطى- بروناى) وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية، وقد تلقوا خلالها العلوم العربية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف، والتى عن طريقها يمكنهم الرد على الأسئلة والاستفسارات التى يتعرضون لها عند عودتهم إلى بلادهم.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور فى العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، نبين للناس وجه الإسلام السمح.

وفى نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم ثم قام بتوزيع شهادات التخرج عليهم ومنح كلاً منهم مكتبة دينية تساعده على أداء مهامه بنجاح وتكون مرجعا له وقت الحاجة.

كما وافق فضيلته على افتتاح أعمال الدورة التدريبية رقم (٧٦) للائمة والوعاظ من العالم الإسلامى.

عبد الفتاح علام رئيسا لقطاع المعاهد الأزهرية

● صدر قرار السيد الدكتور أحمد نظيف ـ رئيس مجلس الوزراء بتعيين فضيلة الشيخ عبد الفتاح على محمد علام ـ رئيسا لقطاع المعاهد الأزهرية بالدرجة الممتازة حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بنقل فضيلة الشيخ / عبدالله ألهم مجاور- الأمين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية إلى وظيفة - رئيس الإدارة المركزية للتعليم الابتدائى اعتباراً من ٢٢ / ٢ / ٢٠٠٧م اليوم التالى لخلو الوظيفة من شاغلها- مع ندبه للقيام بعمل وظيفة رئيس قطاع مكتب شيخ الازهر.

● كما أصدر فضيلة الإمام الأكبر قراراً بنقل فضيلة الشيخ / حافظ محمد حافظ سليمان- رئيس الادارة المركزية لمنطقة القاهرة الازهرية إلى وظيفة - الأمين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية - بمكتب شيخ الازهر- وبذات الدرجة.

● نقل فضيلة الشيخ عبدالوهاب محمد عطا القط- رئيس الإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالبحيرة إلى وظيفة رئيس الادارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالقاهرة وبذات الدرجة.

● وندب فضيلة الشيخ / عبدالفتاح دردير داوود غزالى - وكيل منطقة أزهرية للعلوم الدينية والعربية بالقاهرة - بدرجة مدير عام- للقيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد لشئون التعليم.



The humanity is in dire need of Allah's Messenger ...!

*Dr. Hamdy Fotouh Waly[1]

In 305 AD, Christianity was at its climax in the pagan Rome when Qostantin sat on the bed of the kings. Christianity won over paganism and gained what it had never dreamt of from great power to extended country and word that can not be surpassed by anything.

When Qostantin reached the reign on a bridge of the torn off remains of the Christians, and rivers of their blood, which was shed for his sake, he was grateful to them and gave them the keys of authority.

The Christians won in the battles of fighting, but were beaten in the regard of religion. They won a great reign, but lost an honorable religion, because the Roman paganism deformed the religion of Jesus Christ. Even the Christians deformed the religion, and the most deforming one was the great Qostantin, the protector of Christianity and the raiser of its banner. "Wal Diorant says in his book "The Story of Civilization":

"When Christianity conquered Rome, the basis of the old pagan religion moved to the new religion. The title "The Supreme Pontiff" was transferred along with the worshiping of "The Great Mother". There was uncountable number of gods that rest the souls, moreover, feeling the existence of creatures in every place not realized by the senses. They felt the joy of the old festivals and the marvelous aspects of the old processions whose beginning was not known by the human being. We say: "All of these

1– An article published (in Arabic) at Al Azhar Magazine.

aspects transferred to Christianity in the way the blood of the mother move to her baby, and Rome arrested the captive who was inaugurated"

The people of the earth were disappointed by Christianity which abandoned its message, left its constant facts and was satisfied with paganism instead. The Church men turned to symbols isolated from the real life. The following well-known saying spread: "Give to Ceaser what he should have and give to God what he should have".

It was evident that Ceaser was the controller of everything, and Allah has the least sovereignty over the people 's life. Thus, the Roman country turned to be a huge pagan power, its danger increased when it ruled the earth with its conquest over the Persian state which formed some sort of balance among the powers.

Persia, with its worshipping for fire, was not luckier than the pagan Rome. On the contrary, it was more miserable as fire does neither inspire Sharia'a nor send messengers, nor punish the disobedient and the criminals in every place and at every time.

It was clear that the earth lost its leaders along with the light that guided it and the leader who led the procession to the right path. The humanity called for its salvation and waited for its rescuer. Then Allah willed at the happiness of the earth and the salvation of the humanity by sending Muhammad. (may the blessings and peace be upon him)

Dr. Bairouny said in the fifth international conference for the historical sciences which was held in Oslo in 14th of August, 1929 AD.

"The emergence of Islam was the end of the old epochs, and a beginning of the arousal of the humanity at the first medieval epochs. The Western Europe started a new city and a new life. We should consider this great event as a new epoch.

Dr. Ali did not belong to those people, but he belonged to the people who preferred misery to rest and torture to welfare. It was the time for things to be clear and true, as he studies enough medicine. If he got a high degree in his field, nothing was more important than his religion. He had to be satisfied with what he gained in his profession to move from the small strife to the great one in quietness.

The Arab newspapers talked about his deeds from one time to the other as he wrote Islamic books, held eastern conferences and built mosques in the capitals of the west, the acts that pushed me to follow the effects of this man.

Thanks to Allah who made me correspond to some of my acquaintances in his residence in Switzerland. They sent to me some of his articles and books in which he dealt with the advantages of his religion responding to the suspicions of the liars, along with some of his pictures in repeated conferences. This man gained the highest level of my respect to him, and eagerness pushed me to correspond to him. I was afraid that his time may be lost in something less important. But the graces of Allah filled me when he corresponded to me frequently, the action that quenched my thirst. I enjoyed its reading as I read them for second, third and forth times. I read to benefit from them each time. I was imagining that I spoke to him seeing him in person each time I read what he wrote. This made the poetry of the poet come true:

My strong eagerness makes me bow in respect feel as if I see you.

One of the books that were sent to me before getting introduced to him is a booklet about the Islamic culture league in Vienna – which was established by dr. Zaki before moving to Geneva. It contains a profile about the league works which was established 11 / 10 / 1932 AD, along with the life of its establisher, Dr. Zaki Ali. The following is mentioned in it:

"Dr. Zaki was born in Anshas Al-Basal in Al-Sharqia governorate at the beginning of 1905 AD. He was brought up on the basis of religion. He spent the preparatory, primary and secondary phases in Zagazig in Al-Sharqia and Cairo, and when the Egyptian national movement started in March 1919 AD, he was in Al Khedivial School. He participated with the youth of this movement, and his first patriotic article was published in Al-Nezam newspaper (The System Newspaper). The article address was (For the Sake of Liberty). Then he joined the faculty of medicine in Egypt and graduated in January 1927 AD. Then, he was appointed as a doctor in the Al- Qasr Al-Einy hospital. He was well known because he continued to publish his articles in the newspapers as he was fifteen years old till he joined Al Qasr Al-Einy without stopping.

In 1928 AD, he was appointed as a doctor in the English Oil Company (SHELL) in Hurgada on the Red Sea. He was offended by the terrible injustice suffered by the Egyptian workers from the tyranny of the company. He tried to return their rights and wrote notes to establish equity till the responsible there was offended by him and decided to dismiss him to his first job in Al-Qasr Al-Einy. He inaugurated a clinic in Cairo. He had nostalgia for his homeland in Al-Sharqia and inaugurated another clinic in Bardin near his birth place. He fixed some days in the week for that clinic

Along with his effort distributed between the two clinics, he did not leave the scientific research. He wrote a message in 1931 AD under the address (The Arab Medicine and its effect in Europe) which was published in Egypt. Then he travelled to France in November 1931 AD.

the governor. It was narrated that the Khalif Omar Ibn Al-Khattab passed among the people in person as –usual-, and found a man and a woman in a forbidden position.

He was perplexed about the method that should be taken. Sharia`a does not prove adultery except by four witnesses. If the number was less, defamation penalty is prosecuted on the witnesses. He assembled the people in the mosque telling them: what do you say if the Khalif saw a man and a woman in a forbidden position? The fourth Khalif Ali Ibn Abi Taleb said: He is requested to prove his claim by four witnesses. If he could not, he would be prosecuted by defamation penalty (which is 80 wipe hitting).

Is there any nation having a stronger constitution respects and adheres to the constitution principles?

Dr. Zaki Ali

The immigrate Islamic caller ...!

By: Dr. Mohammad Rajab Al-Bioumy

The Islamic library needs a valuable book which records the immigrates striving for the sake of Allah. As they preferred alienation to the dear homeland in which the family, position and welfare exist. They went to the west in Europe and America to spread the true facts of Islam among some people who established schools, conferences and universities to distort the Islamic virtues and to darken its face. They immigrated leaving the family, the position and the wealth to the tough work, the exhausting strife and scarce subsistence which sometimes led to fasting. As the striving immigrate did not find something to eat.

They need shining book to record their honorable works to be true examples for the struggling and the stirring belief. They deserve this record more than those who enjoy the inducements of the graces of their countries. They did nothing without being feed by the country money, while they seek immortalizing their scarce effects in books read by the people who do not find any marvelous effect. But these books continue to be reprinted to make some sort of continuous effect. To whom? To those who believe every letter.

I say these words keeping in mind the biography of the striver, dr. Zaki Ali who was a doctor waiting for shiny future in his country. He traveled to complete his studies in a European delegation, but he found that Islam is surrounded by enmities and suffering. Wherever he read and wrote, he found nothing but fabrication. Is it possible to keep silent while seeing some of his Muslim colleagues in his alienation believing, clapping or careless as if the matter did not concern the core of his being?

It was narrated that Al-Hassan Al Basry (May Allah be pleased with him) said: Sohail Ibn Amr Ibn Al-Hareth Ibn Hesham, who was one of the leaders of Qoraish in the pre-Islamic epoch and was deputed by Qoraish to negotiate with the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him), came to the government location of Khalif Omar Ibn Al-Khattab. Sohail was accompanied by Abu Sofian who was one of the leaders of Qoraish before Islam. The prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said about him in the day of Mecca conquest:"the one who entered the home of Abu Sofian is safe", the place which followed the Kabaa to maintain his position among people of Qoraish. Both of them were accompanied by other Qoraish leaders. At the same time, Belal and Suhaib came to meet the Khalif Omar, who were slaves before being Muslims and attended Badr battle.

Omar permitted them to come in and went out in person to let them in and neglected Qoraish delegation. Abu Sofian said: " I have never seen a day like this before". The Khalif permits the slaves to come in without paying any attention to us! Sohail, who was wise man, said: "if you are angry, be angry with yourself as when they were called to be Muslim, they hurried to be Muslims and you delayed. The Islamic state was constitutional because the government at that time abided by Heavenly book: the Noble Quran which permits neither wrong nor injustice, the aspect which marks the constitutional government.

The Noble Quran carried out all of the purposes of the constitutional government, as the reign was based on consultation, and the individual, national and sectarian privileges are cancelled. It deleted the differences of the rights and duties between the classes. It subjected to the principles of Sharia`a all of the people without any difference between the governed and

The Islamic nation is the only nation in which the yesterday slaves reach the social priority, the political leadership, sovereignty, reign, Imamate and the scientific honor. The human rights, which are still debated about in the developed international societies are provided by the Islamic nation since it was based on the absolute justice, equal rights and duties.

Thus, the Islamic nation is really a constitutional and democratic state at the very extreme of these two words as known in the modern era. Democracy in the Islamic nation is a principle stuck to by the governor and is enjoyed by the nation individuals whatever its space is. The Islamic nation does not recognize sectarianism, denomination, nomadism or racism, and does not ratify the aristocratic privileges. The speech and orders are directed to all of the people who are regarded as a coherent equal united group, not for a specific class or sect.

The call for the Islamic nation came as "o believer people" more than once in the Noble Quran. There is no discrimination between the male and female, governor and governed. The only way for rising in rank is the mere respectable competition. From every race, color and environment, the one rises in rank according to his seriousness, efficiency and morals. Thus, we see the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) appointed Belal as the governor of Medina while having the Arab supporters (Al-Ansar) and the immigrates (Al-Muhajeren) reside there. They include men who were masters in the pre-Islamic era while Belal was a slave bought by Abu Bakr Al-Seddiq from Umayya Ibn Khalaf to liberate him. Moreover, he appointed Mahran who was Persian on Yemen not any of the prophet `s companions. He said about Salman "he belongs to our home". All of the Khalif, companions and followers followed this principle without regard to the differences of ancestry, nationality or patronage.

which mercy, justice, law sovereignty and equity were crystal clear. Law setters and legislation philosophers were amazed by the Sharia`a, which he applied in all of the parts of his state. The cause of their amazement was how the social affairs of the nation do not improve in spite of this remarkable Sharia`a. What they understand quite well is that the nation is formed first throughout long phases, then its legislation and laws are set afterwards.

This Sharia`a does not change according to the progress of the nation; and it surpassed the imagination in the extreme justice and the unprecedented or coming equity. These aspects can not be reached by the most developed nations in our era. The philosophy of religions and its comparatives along with other sciences failed to come with instructions as perfect as that of the religion which came with the greatest prophet. The sublimity carried by this religion can not come with any other science. It is the religion of people who were an example for mess, ignorance, and retardation. The general and comprehensive reforms coming with the valuable religion surpass the dreams of the genius and the philosophers for a Utopia and a sublime life for the peoples.

The psychologists are amazed by the almost impossible development that occurred to the Islamic nation and the perfect feelings earned from that new honorable religion. Sociology becomes amazed due to the high expectations that the Muslims earned from their religion. They refused humbleness, and seek pride and perfection in a way that carries out safety and welfare.

The Islamic nation is united by the spiritual links and the moral principles being contradicted with the other nations which are based on the material needs, the livelihood necessities, the worldly interests and the

mutual benefits. These Islamic links were set to encompass the whole world regardless of the differences of environments and the variety of colors and languages unlike the social links that are based on the pure material needs. As it does not suit except a group that live in the same environment and has the same interests. The Islamic link expands for all of the man kind as it is global, private and national as well. For that reason, the Islamic social link combined from different nationalities, and races that are different in color, language and history. The Islamic nation is global and unlimited. While the basis of the nation is moral principles and spiritual matters, it refuses the national differences among its individuals, and does not set social levels. Thus, the differences among its individuals are based on the extent of sticking to the personal virtues and abiding by the religious principles. Allah, Glorified be He, says in the Noble Quran:

{ O mankind! We created you from a single (pair) of a male and a female, and made you into nations and tribes, that ye may know each other (not that ye may despise each other). Verily the most honored of you in the sight of Allah is (he who is) the most righteous of you. And Allah has full knowledge and is well acquainted (with all things) }

[Al Hujurat (The Inner Appartments) : 13]

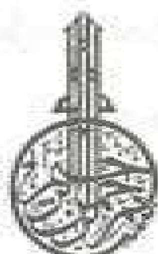
The prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) said:

No Arab is better than a non-Arab except in the regard of piety; all of us are from Adam and Adam was created from dust.

Thus, the equity can be carried out among the people, and the racial discrimination, pre-Islamic zeal, ancestry honor, and social, national or people differences disappear. Thus, justice alone spreads, patronage disappears and the society is led by the most suitable even though he does not belong to high or remarkable ancestry.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabuil-Awwal, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION

Apr. 2007

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

In the remembrance of the noble prophetic birth: Constitutional Democratic Islamic State ...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The different kinds of social reform that came with the prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) are available for all the times, nations and societies despite their different formations and arousal ranging from nomadism to civilization. The message of the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) came at the beginning of the sixth century AD. When the Islamic Sharia`a was applied, the result was a state that ruled the whole world in science and civilization after few years. The application of the Islamic Sharia`a resulted in forming a nation that led the whole world out of fighting tribes and forgotten groups passing from ignorance and deterioration to priority and progress in all fields. We say that what came with the renewals and the professors of the humanitarian civilization can not be compared with what came with Islam by the prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). This saying is not caused by the enthusiasm for the creed, but it is a fact that can be practically and significantly evidenced.

The prophet Muhammad (May the blessings and peace of Allah be upon him) brought to the world the Islamic Sharia`a, which he applied in a good manner forming a nation that surpassed the preceding and coming nations in its civilization, humanity and principles. He established a state in

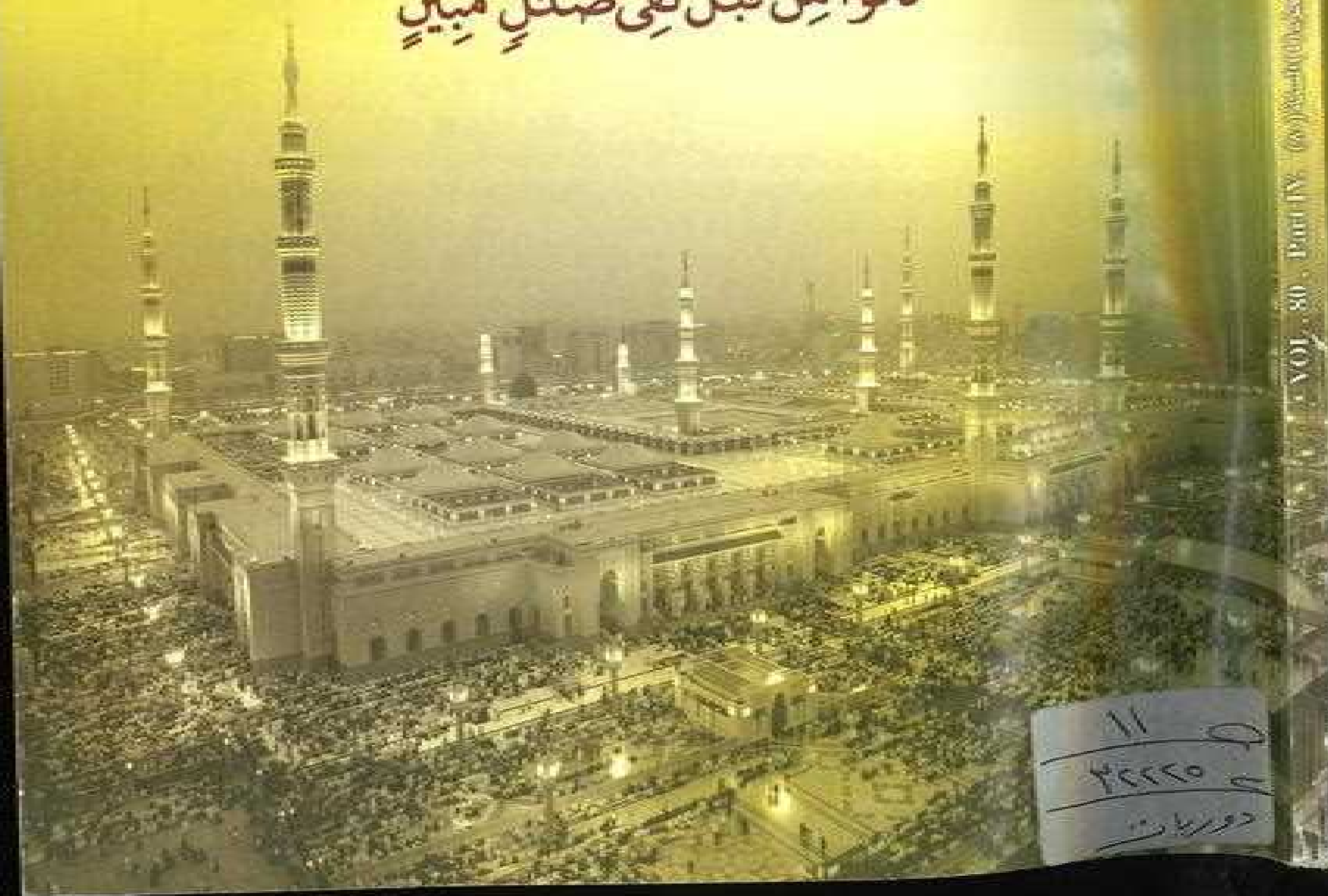
الفهـــــرس

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ربيع الآخر ١٤٢٨هـ - أبريل/مايو ٢٠٠٧ - الجزء ٤ - السنة ٨٠

هدية العدد:
نظرات في الأسلوب القرآني

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن
كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ



AL AZHAR MAGAZINE

Rabeil -L- Akhar, 1428 H. Apr/May, 2007.
Vol. 80, Part IV.

الثمن ١٥٠ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفال مصر الإسلامية بالمولد النبوى الشريف



شهد الرئيس حسنى مبارك الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بقاعة المؤتمرات بمدينة نصر مساء يوم الاثنين ١٤ من ربيع الأول سنة ١٤٢٨ الموافق ٢ من أبريل سنة ٢٠٠٧م، وألقى السيد الرئيس كلمة مهمة بهذه المناسبة، وكرم عدداً من علماء الدين من مصر والعالم الإسلامى بمنحهم الأوسمة.. كما منح الجوائز النقدية للفائزين فى مسابقات وزارة الأوقاف.. وفيما يلى نص كلمة الرئيس فى الاحتفال.

كلمة رئيس الجمهورية

- فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر..
- ضيوف مصر الأعزاء..
- العلماء الأجلاء..
- الإخوة والأخوات..

تمر بنا فى هذه الأيام المباركة، الذكرى العطرة لمولد نبى الإسلام.. محمد.. صلوات الله وسلامه عليه.. رحمة السماء المهداة إلى الأرض، وخاتم الأنبياء والمرسلين.

بعثه الله شاهداً ومبشرا ونذيرا.. فبلغ الرسالة وأدى الأمانة.. ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.. فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وترك لنا فى سنته المطهرة الخلق العظيم والمثل الأعلى.

يسعدنى فى هذه الذكرى الخالدة، أن أتوجه بالتهنئة إلى شعب مصر وشعوب الأمة العربية والإسلامية، وجالياتها فى مشارق الأرض ومغاربها. كما يسعدنى أن أتوجه بالتحية إلى رجال الأزهر الشريف ودعاته وعلمائه، الذين يحرصون على أن يأتى احتفالنا السنوى بالمولد النبوى.. مناسبة نستلهم منها الزاد المتجدد والعبرة والموعظة.

لقد اعتدنا أن نجعل احتفالنا بالمولد النبوى الشريف، موصولاً بحاضر أمتنا ومستقبلها.. نتوقف أمام السيرة العطرة لرسولنا الكريم، والرسالة العظيمة التى حملها إلينا.. ونتمعن فى أحوال أوطاننا وشعوبنا وعالمنا الإسلامى، بما نواجهه من قضايا وتحديات ومخاطر، وما نتطلع إليه من آمال وطموحات.



أتوقف معكم اليوم.. أمام بعض ما تنطوى عليه هذه المناسبة الكريمة من معان ودلالات، تتصل بمعطيات المرحلة الراهنة على أرض مصر، وما تشهده أمتنا الإسلامية من تطورات، وما تواجهه من تحديات فى محيطها الدولى على اتساع العالم.

إن هذه المعانى والدلالات - فى صلتها الوثيقة بسيرة النبى الهادى - إنما ترتبط بعضها البعض على هذه المحاور الثلاثة. فستبقى مصر سنداً لأمتها.. تحافظ على هويتها وتدافع عن مصالحها وقضاياها، وستظل الأمة الإسلامية بنياناً يشد بعضه بعضا.. تنهض بنهضة دولها وشعوبها.. وتحتل مكانتها اللائقة فى العالم من حولها.. بتضامنها وتوحد كلمتها ومواقفها.

طريق النهضة

- العلماء الأجلاء..
- الإخوة والأخوات..

إننا فى مصر ماضون على طريق هذه النهضة بعزم وثقة، نستكمل أركان مجتمع حديث ومتطور.. يحقق مصالح وتطلعات أبنائه فى حاضرهم ومستقبلهم.. نطور ديمقراطيتنا بخطوات تدفع بها إلى الأمام، ونواصل

سياسات طموحة للتنمية والإصلاح الاقتصادى والاجتماعى.. نحمى سيادة الوطن واستقراره واستقلال إرادته، ونضطلع بدور فاعل دفاعاً عن قضايا عالمنا العربى والإسلامى.

ما أحوجنا خلال هذه المرحلة للتأسى بسيرة نبينا الكريم.. وما أرساه من قيم العمل والمثابرة والتصميم.. كى تشحذ عزيمتنا فى مواجهة تحديات الحاضر، وتدفع مسيرتنا لتحقيق طموحات المستقبل.

ما أحوجنا للتأسى بسماحته وخلقه العظيم، فنجتمع على ما يوحدنا لا ما يفرقنا، ونجتهد فى بناء مجتمعنا وتعزيز أركانه وقوته وتماسكه.. بفكر مستنير يتوخى سلامة القصد.. وعمل جاد ودءوب يعلى مصالح الوطن.

ما أحوج دعاتنا وعلمائنا لخطاب دينى متجدد، ينشر بين شبابنا قيم الاعتدال والوسطية والتسامح، يواجه دعاوى التكفير والغلو والتطرف، ويتصدى لأصوات تنسب للإسلام ما ليس فيه.. تجافى روح العصر وتغلق باب الاجتهاد.. تزعم احتكار الدين وتستتر بعباءته.. تحاول الوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها.. وتريد العودة بنا إلى الوراء.

أقول لعلمائنا ودعاتنا الأجلاء.. إنكم تتحملون أمانة كبرى فى المرحلة الراهنة من مسيرة الوطن.. علموا الناس ما ينفعهم ويعينهم على المشاركة فى حركة الحياة.. واجتهدوا لكى تنعكس القيم الرفيعة للدين فى سلوكهم ومعاملاتهم ومشاركتهم فى حركة المجتمع.

إن هذه المشاركة هى الضمانة الحقيقية لنجاح مسيرتنا، فالمستقبل الذى نسعى إليه لن يتحقق بالكلمات والشعارات والتمنى.. وإنما تحققه مشاركة فاعلة تدفع مسيرة مصر إلى الأمام.. وتسهم بزخم جديد فى مسيرة أمتنا وعالمنا الإسلامى.

أوقات صعبة

- الإخوة والأخوات..

إن العالم الإسلامى يجتاز أوقاتاً صعبة، ويواجه أزمات متتالية



وتحديات جديدة.

تعصف بأمتنا الإسلامية نزاعات وصراعات وحروب.. وتقلبات عالم مضطرب غاب عنه الاستقرار.

لا سبيل أمامنا سوى توحيد كلمتنا وتعزيز تضامننا.. ولا بديل عن محاصرة نوازع الشقاق والانقسام والتشرذم.. كى نقف صفاً متيناً يداً بيد.. دفاعاً عن قضايا الأمة ومصالحها وهويتها ومقدساتها.

إن الإسلام دين واحد، وعلينا أن ننتبه لمخاطر جديدة تبعث على القلق، تستهدف زرع الفتنة بين دوله وشعوبه، والوقيعة بين سنته وشيعته.

إننى أحذر من الزج بالخلافات المذهبية فى القضايا الإقليمية ومصائر الأوطان والشعوب.. وأتحسب من تحول هذه الخلافات لصراع سياسى.. ينال من وحدة المسلمين ويشق صفوفهم ويضعف أمتهم.

إننا فى مصر نعى المنزلقات الخطرة لخلط الدين بالسياسة.. على أرضنا وفى منطقتنا وعلى اتساع العالم

الإسلامى.. نسعى لوأد فتنة طائفية تلوح فى الأفق. ونرفض تقسيم المسلمين فى العراق أو لبنان أو غيرهما على أساس طائفى أو مذهبى.

دور الأزهر

لقد اضطلع الأزهر الشريف بدور هام عبر سنوات طويلة، لإعلاء قيم الوسطية والاعتدال والتسامح، وللتقريب بين المذاهب.. ولا مصلحة لأحد اليوم فى أن تتحول دعاوى صدام الحضارات والأديان.. إلى مواجهة بين مذاهب الدين الإسلامى الواحد.

إن الدفاع عن قضايا الأمة مسئولية مشتركة بين دولها.. وسيأتى حكم التاريخ والشعوب قاسياً.. على من ينزلق بعالمنا الإسلامى لما يضعف وحدته.. أو ينال من استقراره وأمنه ومسيرته.

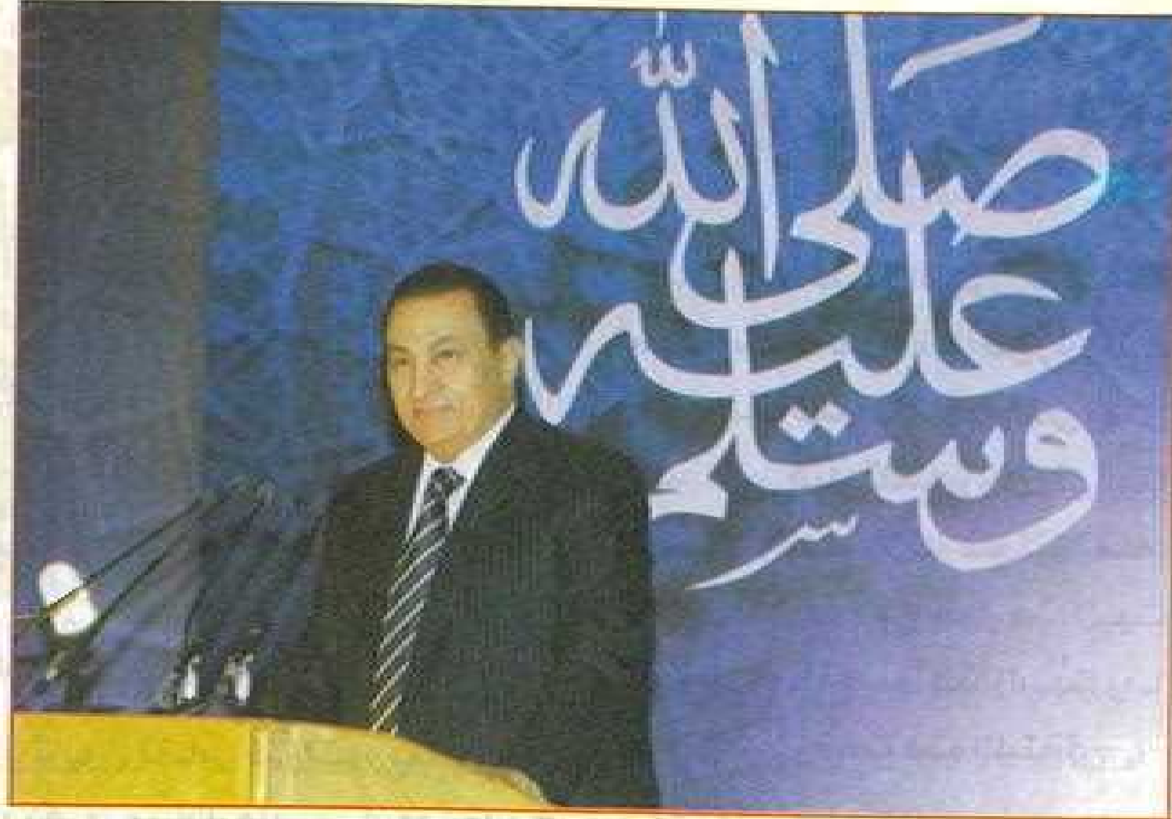
- الإخوة والأخوات..

إن أمتنا الإسلامية لا تحيا بمعزل عن العالم، وإنما تتفاعل معه وتتأثر به وتؤثر فيه. وتواجه ما يطرحه من معطيات وتحديات ومخاطر.

ونحن فى مصر ندرك أبعاد الظرف الدولى الراهن، بتشابكه وتعقيداته.. ونثق فى قدرتنا - بعون الله وتوفيقه - على التعامل معه.. دفاعاً عن هويتنا ومقدساتنا.. وقضايا مصر وأمتها.

نبذل أقصى الجهد لتعزيز تضامن العالم الإسلامى.. كى نتحدث بصوت واحد.. يواجه محاولات الإساءة والتطاول والتجاوزات.. يتصدى لمحاولات ربط الإرهاب بالعروبة والإسلام.. يفند المغالطات والافتراءات.. ويعبر عن الوجه الحقيقى لديننا.. وجوهر تعاليمه وسماحته وصحيح عقائده.

لقد اختتم المؤتمر السنوى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أعماله الأسبوع الماضى، وتناول للعام الثانى على التوالى مشكلات العالم الإسلامى فى عصر العولمة.. وأحسب أن هذا الموضوع سيظل مطروحاً لسنوات مقبلة.. سعياً لموقف مشترك فى التعامل مع العالم من حولنا.. يحفظ هويتنا الإسلامية



وخصوصياتها، لا يفرط فى ثوابتها ومقدساتها، وينفتح فى ذات الوقت على منجزات العصر وعلومه ومعارفه.

- العلماء الأجلاء..

- الإخوة والأخوات..

لقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وليعيد البشرية من جديد إلى طريق سار عليه وبشر به جميع الأنبياء والمرسلين.

وإننا إذ نحتفل بذكرى مولده وسيرته العطرة.. نتطلع بثقة وأمل لأن يصبح تاريخ أمتنا العريقة.. موصولاً بحاضرها ومستقبلها.. ولأن تستلهم من سنته المطهرة.. زاداً متجدداً وعزماً ويقيناً.

أدعو الله فى خشوع هذه الذكرى المباركة.. أن يوفقنا ويسدد خطانا.. وأدعوه سبحانه أن يحفظ شعب مصر.. سنداً لوطنه وذخراً لأمته.

كل عام وأنتم بخير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ وفقه الله ووفقنا جميعا معه لما يحبه ويرضاه

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١ ـ أ ـ وبعد:

فإذا كان الحكماء والمصلحون والمربون، تقاس منزلتهم بمقدار ما تركوه من آثار طيبة، ومن تاريخ مشرف، ومن ماض مجيد.

فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو سيد الحكماء والمصلحين والمربين، بل هو إمام الأنبياء وأعلاهم منزلة عند ربه: لأنه - صلى الله عليه وسلم - هو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

وصدق الله إذ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٤٥، ٤٦)

ب ـ ولقد عبر النبى - صلى الله عليه وسلم - عن ذاته وعن رسالته أبلغ تعبير عندما قال: (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وكمله إلا موضع لبنة منه، فكان الناس يطوفون حول هذا البيت ويقولون: ما أجمل هذا البيت وما أحسنه. هلا وضعت هذه اللبنة؟

يقول - صلى الله عليه وسلم - «فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم الأنبياء»

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقى عندما قال فى همزيته الرائعة:

المصلحون أصابع جمعت يدا

هم أنت بل أنت اليد البيضاء

٢ ـ لقد حدد الرسول - صلى الله عليه وسلم - جوهر رسالته فى قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

وقد ربى أتباعه على مكارم الأخلاق التى لا حياة ولا سعادة ولا

أمان ولا اطمئنان ولا رخاء ولا تقدم إلا بالتحلى بمكارم الأخلاق.

أ ـ رباهم على الصدق ونهاهم عن الكذب فقال:

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى الى البر، وان البر يهدى الى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا».

ب ـ رباهم على أداء الأمانة، وعلى الوفاء بالعهود فقال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له».

ج ـ رباهم على سلامة السلوك وعلى نشر المحبة والأخوة فيما بينهم، وعلى أن يكون كل واحد لسان صدق لأخيه فقال: «لا تبلغونى عن أصحابى شيئا أكرهه فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

٣-أ ـ رباهم على فضيلة الحياء. والحياء فضيلة تحجز وتمنع صاحبها عن كل قول سيئ، وعن كل عمل قبيح، وعن كل فعل لا يليق، وعن كل سلوك يتنافى مع العفاف والشرف والطهارة والاستقامة...



ومن صفاته - صلى الله عليه وسلم- أنه كان إذا رأى شيئا يكرهه عرفه أصحابه فى وجهه لشدة حيائه وكان يقول: «الإيمان والحياء قرناء، إذا رفع أحدهما رفع الآخر» وقد وصفه أحد أصحابه فقال: «كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه»

ب ـ وإذا كانت فضيلة الحياء فى أسمى درجات الكمال، فإن الانسلاخ عنها فى أحط دركات النقصان لأن الشخص إذا فقد فضيلة الحياء

يتدرج فى سلوكه من السيئ الى الأسوأ، ومن القبيح إلى الأقبح ومن الدناءة الى الأدنأ، وقد ذكر - صلى الله عليه وسلم - مراحل هذا السقوط، الذى يبدأ بضياع فضيلة الحياء، وينتهى بشر العواقب فقال: صلى الله عليه وسلم:

«إن الله - عز وجل - إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا بغيضا مبغضا.

فإذا لم تلقه إلا بغيضا مبغضا نزعت منه الأمانة.

فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا.

فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة.

فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً.

فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه فطرة الإسلام».

وهكذا يرتب - صلى الله عليه وسلم - أمراض النفوس، فيجعل فى مقدمتها فقدان الحياء.

ج - ومن أبرز مظاهر فقدان الحياء عند الإنسان، سوء الأدب، مع الله - تعالى - ومع رسله الكرام، ومع خاتمهم وإمامهم محمد - صلى الله عليه وسلم ومع أصحابه الأخيار، ومع الأطهار من الناس، ففاقد صفة الحياء يكذب عن تعمد، ويفجر عن إصرار، ويتطاول عن غرور، ومن دعواته - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من أن يدركنى زمان، لايتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم، ونحن صباح مساء نردد هذا الدعاء وذلك، لأن من صفات أصحاب خلق الحياء أنهم يعرفون للناس أقدارهم، فهم يحترمون الكبير، ويعطفون على الصغير، ويضعون كل شئ فى موضعه السليم.

أما الذين فقدوا الحياء فهم يتطاولون حتى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الأخيار ومنذ أيام رأينا مجلتين طافحتين بالإساءة إلى الرسول صلى



الله عليه وسلم والى أصحابه الكرام. طافحتين بالأكاذيب التى قال الله - تعالى - فى شأن أصحابها:

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

(النحل: ١٠٥)

أما أصحاب فضيلة الحياء - ونسأل الله - تعالى - ان يجعلنا جميعاً منهم فهم الذين قال الله - تعالى - فيهم:

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

(الحج: ٢٤)

السيد الرئيس. الحفل الكريم

إن الكلام عن فضائل سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحلو بالتكرار:

وإن فضائله - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أن تحصى، ورحم الله - تعالى - الإمام البوصيرى عندما قال:

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من كرم

فإن فضل رسول الله ليس له حد
فيعرب عنه ناطق بفم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته....

كلمة فضيلة وزير الأوقاف

وألقى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف الكلمة التالية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فى هذه الأيام المباركة التى يحتفل فيها العالم الاسلامى بذكرى المولد النبوى الشريف يجدر بنا أن نغتنم هذه المناسبة لنستمد من سيرة النبى الكريم بعض الدروس والعبر لتكون عونا لنا فى مسيرتنا الحاضرة.

ولاشك فى أن سيرته عليه الصلاة والسلام غنية بالدروس والعبر وحافلة بالمواقف الرائعة التى ستظل نبراسا مضيئا للأجيال على مدى الأزمان وحسبنا فى هذا المقام أن نشير إلى إحدى السمات البارزة فى شخصية هذا النبى العظيم والتى تتمثل فى خلق التسامح والعفو عند المقدرة. ولقد كان من أعظم المواقف التى رأينا فيها تجسيد هذا الخلق على أرض الواقع موقفه مع أهل مكة عندما دخلها فاتحا منتصرا.

ولو كان قد جمع أعداءه الذين أذاقوه وأصحابه كل صنوف العذاب وأمر بعقابهم جزاء وفاقا على ما اقترفوه فى حقه وحق أصحابه من قتل وتعذيب واهانات على مدى ثلاثة عشر عاما فى مكة .. لكان ذلك عدلا وانصافا.

ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذى أرسله الله رحمة للعالمين ـ لم يكن ليفعل ذلك. فالرحمة عنده فوق العدل. وبدلا من الانتقام والقصاص عفا عنهم جميعا قائلا لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ولم يكونوا قد أعلنوا إسلامهم بعد؛ حتى يقال إنه قد عفا عنهم لإسلامهم، وانما أراد أن يعلم المسلمين من بعده إلى يوم الدين خلق التسامح والعفو، كما يقول القرآن الكريم:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

(الشورى ٤٠)

وبهذا الخلق يتحول العدو إلى صديق كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

(فصلت: ٣٤)

وعلى هدى النبى الكريم فى التسامح كان تعامل القائد العظيم صلاح الدين مع خصومه من الصليبيين بعد أن انتصر عليهم، فلم تدفعه شهوة الانتقام إلى القتل والتدمير فى صفوف أعدائه ـ جزاء ما اقترفوه من مذابح سجلها التاريخ ـ وإنما أرسل طبيبه الخاص ليعالج عدوه اللدود وسمح للصليبيين بالعودة



الى بلادهم وأمد فقراءهم بالمؤونة التى تساعدهم على الرجوع إلى أوطانهم.

ومن ذلك يتضح لنا أن التسامح فى الإسلام لم يكن مجرد قيمة نظرية أو شعار لامضمون له وانما كان وسيظل واقعا معاشا له رسوخه فى العقول ومكانته فى القلوب وجذوره فى التاريخ. وغنى عن البيان أن عالمنا المعاصر فى أشد الحاجة إلى التسامح لمواجهة طوفان التعصب والكراهية الذى يريد أن يغرق العالم فى دوامته

المدمرة لسفينة هذا العالم.

ولعل التعرف على نموذج التسامح فى الإسلام وتطبيقه عمليا فى دنيا المسلمين وابرازه للآخرين يكون دافعا لهم إلى إعادة النظر فى الكثير من المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، ويسهم بشكل إيجابى فى مزيد من التقارب والتفاهم والتعاون بين الأمم والشعوب من أجل سلام هذا العالم الذى هو عالمنا جميعا.

والمتأمل فى أبعاد خلق التسامح فى الإسلام يجد أنها تمتد إلى آفاق بعيدة فالتسامح مع أهل الأديان والمعتقدات الأخرى يعد ركيزة أساسية من خلق التسامح فى الإسلام. ويؤكد ذلك القرآن الكريم حين يدعو إلى عدم التفريق بين رسل الله وبالتالى بين أتباع هؤلاء الرسل كما فى قوله تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

كما أن المسلمين من منطلق التسامح الاسلامى مأمورون بالتعامل مع أهل الأديان الأخرى بالعدل والمعروف طالما أن هؤلاء لم يصدر منهم أى تصرف معاد للإسلام والمسلمين - كما يقول القرآن الكريم -

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾

(الممتحنة: ٨)

والتسامح يعنى احترام التعددية الدينية والثقافية ويعنى قبول الآخر والحوار معه بصرف النظر عن انتماءاته العقدية أو العرقية، ويعنى أيضا احترام الرأى الآخر مهما كان مخالفا لرأينا فليس من حق أى مخلوق أن يدعى لنفسه أنه وحده الذى يملك الحق المطلق وأن غيره يقف فى الطرف المقابل الذى يتساوى مع الباطل.. وقد عبر الإمام الشافعى عن



هذا المعنى فى تسامح رائع قائلا: «رأينا صوابا يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب».

ويعبر الشيخ محمد عبده عن خلق التسامح الإسلامى بقوله:

«لقد اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله على الكفر».

والتسامح الإسلامى ليس تسامحا حياديا ولاتسامحا باردا وانما هو تسامح إيجابى يحث على التعاون مع الآخرين بلا حدود طالما أن فى ذلك خيراً للجميع.

وليس من التسامح فى شئ الرضا بالظلم والوقوف حياله موقفا سلبيا، فدفع الظلم عن المظلومين وردع الظالمين مبدأ أخلاقى واسلامى ولايجوز التفريط فيه أو الخلط بينه وبين التسامح. فالإسلام ينتصر دائما لحرية الإنسان وكرامته وحقوقه الإنسانية العامة بصرف النظر عن انتماءاته الدينية أو العرقية أو الثقافية. وذلك كله يعبر تعبيرا لايقبل التأويل عن التسامح الإسلامى

الذى سيظل عنوانا على هذا الدين إلى آخر الزمان.

منذ يومين انتهى المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية الذى شارك فيه وفود ٩٠ دولة ومنظمة إسلامية عالمية من جميع القارات، وناقشوا على مدى أربعة أيام الابعاد الثقافية والاجتماعية للعولمة وتأثيراتها على العالم الإسلامى سلبا او ايجابا. وكان لرسالتكم الكريمة التى وجهتموها إلى المؤتمر فى بداية أعماله أثرها العظيم فى نفوس الجميع، كما كان شمول المؤتمر برعايتكم الكريمة دليلا واضحا على اهتمامكم البالغ بقضايا أمتنا الإسلامية ودعم كل جهد يبذل فى سبيل البحث عن أفضل الحلول لمشكلاتها حتى تنطلق بعزم وقوة نحو آفاق التقدم والنهوض لتحتل مكانها اللائق بها فى عالم اليوم.

وفى هذه المناسبة الكريمة فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف جرت عادة سيادتكم بتكريم عدد من رجال الدعوة الذين كان لهم دور ملموس فى العمل الدعوى طوال مدة خدمتهم فى وزارة الأوقاف والأزهر الشريف، كما تتفضلون كذلك بتكريم اثنين من العلماء من خارج مصر تقديرا لما بذلوه من جهد مشكور فى إبراز الصورة المشرقة للحضارة الإسلامية.

ويسعدنى أن أعبر لسيادتكم باسم المشاركين فى المؤتمر وباسم رجال الدعوة الاسلامية فى وزارة الاوقاف والازهر الشريف عن خالص الشكر وعظيم التقدير على كريم عنايتكم بقضايا أمتنا الإسلامية وتكريمكم لعلماء الدعوة الاسلامية ورموز الفكر الإسلامى المستنير.

نسأل الله العلى القدير أن يحفظكم لمصر ويحفظ مصر بكم وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركات

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت...٥٧٨٦١ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٨هـ - مايو ٢٠٠٧م - الجزء الرابع - السنة الثمانون

في ذكرى المولد النبوي الكريم

نظرة في كتاب

حياة محمد صلى الله عليه وسلم

تأليف: «درمنغم»

-٢-

عجبت كثيراً حين كتب أحد المتسرعين من ذوى الذيوع فى المجال الإعلامى مقالاً تحت عنوان (الفضل ما شهدت به الأعداء) فذكر نصوصًا لجيتة وبرنارد شو ودرمنجم تبين تقديرهم التام لنبى الإسلام ﷺ وصفاته الحميدة، وعدالة الشريعة الإسلامية، عجبت لأن وصف هؤلاء الكبار بأنهم أعداء الإسلام، وصف يجافى الحقيقة، فالعدو هو الذى يجابه معتقداتك الدينية ويحاول هدمها بالافتراء والبهتان، أما الذى يصف محاسن الشريعة وفضائل نبى الإسلام فليس عدواً، وقد كتب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد مؤلفات مستقلة عن شكسبير، وبرنارد شو، وباكون، وغاندى وجيتة، فصَّل فيها أمجادهم العلمية، ومزاياهم الخلقية. فهل يقول قائل عن العقاد: إنه عدو، وأن الفضل ما شهدت به الأعداء؟. هذه طفولة ساذجة، بل غفلة عقلية قد فاتها أن الإنسانية فى محيطها العام هى الجامعة الأولى لبنى البشر، وأن هذه الإنسانية يجب تقديرها المطلق إذا ظهرت سماتها لدى أى كائن بشرى مهما اختلفت اللغة والجنس والدين، لذلك كانت آراء درمنجم التى نعرض لها فى هذا المقال جديرة بالإعجاب والاحتفاء، لا على أنه عدوّ، بل على أنه صديق


برنارد شو


شكسبير

للحقيقة، مخلص للفضائل المركوزة فى أعمال النابهين من الأنبياء والمصلحين.

لقد تحدث صاحب حياة محمد عن بعض مزايا رسول الله ﷺ فقال عنه: «لم يكن طماعاً، ولا صلفاً ولا شديداً عن حرص وتعصب، وكان حليماً رقيق القلب رحيماً، متردداً عند عدم الوحى (يشير إلى فترة انقطاع الوحى بعد المرة الأولى)، رءوفاً بالجميع، بسيط المظهر على الدوام، وما أكثر ما كنس غرفته بيده، ورقَّع ثيابه، وخصف نعله، وحلب نعاجه بنفسه، واستلقى على أرض المسجد، ونهض ليفتح الباب لهرة، وعالج ديكاً مسناً، ومسح عرق فرسه بكمه، وتصدَّق بجميع ما لديه من النقود، وكان يتجنب كل ما يمكن أن يبدو به ملكاً فى هذه الدنيا، وكان ينهى عن تلقيبه بالملك، ولا يُرى له بلاط ولا وزير، خلاف بضعة مستشارين، وبضعة كُتّاب، وخاتماً فضياً منقوشاً عليه: «محمد رسول الله» ﷺ(١).

وقال أيضاً: (لم يكن فى بيت محمد ﷺ مُنخل، فكان يعجن الدقيق غير منخول، وكان يكتفى بنفخ الشعير فى أثناء طحنه، ليزول بعض نخالته، وكان يصنع من بلالة هذه النخالة مرقة تسمى بالخزيرة، وكان خبز البرّ مجهولاً تقريباً، وكان يقتصر فى بعض الأحيان على الماء واللبن والتمر، وكان الطعام يوضع على حصير مفروش على الأرض. وقد قاسى ألم الجوع غير مرة، فاضطر ذات يوم إلى رهن درعه عند يهودى تخلو بيته من صاع شعير (٢).

هذه مقتطفات مما جاء فى كتاب (حياة محمد) وكنت قرأت فصلاً بديعاً كتبه الأستاذ الدكتور محمد غلاب فى سلسلة بحوثه التى نشرها بمجلة «الأزهر» سنة ١٣٥٨هـ تحت عنوان: «الإسلام كما يراه الأوروبيون» وقد تحدث عن درمنجم، فى كتابه الذى أكر عليه هذا المقال، فنقل فقرات رائعة منه، تصور منزلة الرسول العظيم فى نفس هذا الكاتب، ومنها ما أوجزه فى هذه الكلمات:

أ) «إن محمداً قد أبدى فى أغلب حياته اعتدالاً لافتاً للنظر، فقد برهن فى انتصاره

١- ص ١٨٦
٢- ص ١٨٣

النهائي على عظمة نفسية قلّ أن يوجد لها مثال في التاريخ، إذ أمر جنوده أن يتركوا الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء وحظر عليهم أن يهدموا البيوت، أو يسلبوا الثمار، أو يقطعوا الثمار، وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حالة الضرورة القاهرة، بل رأيناه يؤنب بعض قواده، ويصلح أخطاءهم إصلاحًا ماديًا، ويقول لهم: إن نفسًا واحدة خير من أكثر الفتوح ثراءً.. كان محمد يعلم أن الله رحيم رحمة لا حد لها، فاجهد نفسه في أن يعلو على الطبيعة البشرية، وأن يقهر في نفسه الميول الانتقامية، وهو في هذا يقول: «كاد الحليم أن يكون نبيًا»، بل ربما كانت آلامه التي يعانيها ناشئة من أنه لم يلحق الكمال الذي كان يبغيه وأن إخلاصه لا يمكن أن يكون في هذا العصر الراهن موضع شك.

ب) إن محمداً كان رجلاً مؤمناً بالعالم الروحاني، إنه ذلك الإنسان الذي كانت للأشياء الخفية عنده أهمية تفوق أهمية الظواهر الحسية، وكانت اللامرئيات تتقدم عنده على المرئيات، إذ يرى أن النظام الروحاني هو النظام الأساسي، إن هذا القلب الخالي من كل كذب، ومن كل ثقافة مزيفة، قد استحوذ على الصخرة المتينة حين اعتصم بالروحانيات في مواجهة الماديات، وإن دعوة محمد قد أوجدت في جزيرة العرب تقدمًا غير قابل للاعتراض سواء كان ذلك في دائرة الأسرة أو في دائرة الجماعة، أم في النواحي الصحية، فإن حظ المرأة قد تحسن، وإن الفُحش والزواج المؤقت والمعاشرة الحرّة قد حُظرت، كما حرّم إكراه الإماء على الفُحش واتخاذه وسيلة لشراء مواليهنّ، وإن الإلاهيين والأخلاقيين والفقهاء والمتنسكين قد وجدوا فيما بعد في دعوة محمد الأسس الأولية لمعارفهم، فاسترشد بها كل منهم في طريقه الخاص مع حفظ المبدأ الجوهري وهو أن «الإله هو المحور الرئيسي في كل شيء».

هذا بعض ما نكتفي به من النقول الزاهية في هذا الكتاب، وطبيعي أن تتخلله من الآراء ما هو موضع اعتراض حقيقي لمجافاته للحقائق، وليس الذنب في ذلك ذنب المؤلف، بل هو ذنب نفر من المؤرخين والمفسرين، ملئوا كتب التراث بالجمل الزائفة دون تمحيص، وظلت هذه الآراء الزائفة تتناقل من عصر إلى عصر، وكان لها صدى فيما كتبه المعاصرون، ومنهم صاحب «حياة محمد»، وأضرب المثل لذلك بما ذكره في الفصل الذي تحدث فيه عنه.

وتمضي الفصول متحدثة عن حرب الفجار والسيدة خديجة، وتعذيب المسلمين، وإسلام حمزة وعمر، وعام الحزن، والهجرة، والغزوات المتتابعة، وزينب وعائشة، وحجة الوداع،



البارودي

والصعود إلى الرفيق الأعلى، وكل عناصر هذه الفصول ذائع مشتهر، ولكن ما برع فيه المؤلف الكبير يتجلى في ناحيتين: ناحية التصوير الأدبي بحيث يعرض أمامك الحادث المشتهر، وكأنه جديد بما خلع عليه من وشي أدبي براق، وبما غمره من عواطف سامية شريفة، وأضرب المثل بما كتبه عن غار ثور حين اختبأ به الرسول ﷺ وصاحبه، ودنا المشركون منه فبلغوا باب الغار ومحمد يُصلّي، قال المؤلف:

«هناك وقعت المعجزة التي اتصلت بها روح الإنسان بالعالم الحادث، فقد نبتت إحدى شجيرات الجبل الجدب في شق صخرة، ونمت وتشبثت أغصانها في الصخور، وتعهد الهواء الجاف فروعها الرائعة فكادت تستر باب الغار، وجثمت حمامة في ظل الشجرة، وهي تهدل، وأتمت العنكبوت المعجزة بأن نسجت بهندستها الدقيقة خيوطها الواهية، بين الضياء الخارجي، وظل الغار الندى، صعوداً وهبوطاً، ويميناً وشمالاً، ثم توسطت بيتها، ونامت الحمامة البيضاء التي هي طائر الحب في الرمل، وحام الذكر حولها، وهي راخمة في باب الغار الذي اتخذاه مسكناً لهما، فيا للحب، ويا للدعة في هذا الجانب من الدنيا، هذه الأمور الثلاثة هي المعجزات التي وردت في التاريخ الإسلامي: نسج عنكبوت، وغرام حمامة، ونمو شجرة.. وهي خوارق ثلاث، نجد لها نظائر في أرض الله كل يوم.

قال قائل منهم: ادخلوا الغار! فقال أمية بن خلف، ما أربكم فيه؟. إن عليه عنكبوتاً كان من قبل ميلاد محمد، نظر القرشيون إلى باب الغار، فأبصروا الحمامة فلم يريدوا كسر بيضها، وأبصروا الشجرة وبيت العنكبوت، فهزوا رءوسهم، ورأوا أن ينصرفوا فتنادوا ليجتمعوا، ثم سمعت خفاف مطاياهم وهم راجعون، فقال النبي ﷺ: «الحمد لله، الله أكبر».

إن هذا التصوير الهادئ الجميل، لم أر مثله في النثر، ولكني رأيت ما يشبهه، بل يفوقه في الشعر، حين قال البارودي في تصوير هذا الموقف متحدثاً عن الحمامتين:

إلفان ما جمع المقدار بينهما
إلا لسر بصدر الغار مكتتم
كلاهما ديدبان فوق مربأة
يرعى المسالك من بُعد ولم ينم

يخالها مَن يراها وهى نائمة
فى وكْرها كُرة ملْساء من أدم

إن رفرفت سكنت ظلاًّ وإن هبطت
روت غليل الصدى من حائر شبم

ونسج العنكبوت الغار محتفيًا
بخيمة حاكها من أبدع الخيم

قد شدّ أطنابها فاستحكمت ورستْ
بالأرض لكنها قامت بلا دعم

كأنها سابرىّ حاكه لبق
بأرض سابور فى بحبوحة العجم

هذا مثال من التصوير الأدبى فى الكتابة، أما الناحية الأخرى، فهى ناحية التأمل الفكرى الذى يفتح دوائر متتالية فى عين القارئ، تنقله من الخاص إلى العام، ومن الجزئى إلى الكلى، فحين أراد المؤلف أن يتحدث عن نبوة رسول الله ﷺ صعد بفكره المحلق إلى النبوات جميعها من عهد آدم، وبدأ الحديث عن رسول الله ﷺ بقوله الرائع :(٣).

«تاريخ البشرية مجموعة من الوحى والإلهامات، فترة بين وقت وآخر صرخة، ويدوّى صوت فى الليل، ويسمع نداء بين الصمت، فيصحو رجل مرتجفًا ليسير على طريق الحق هائمًا، ويمشى غير متوان إلى أن يوقظ الآخرين من نومهم العميق، وشأن الأنبياء فى العالم كشأن قوى الطبيعة الهائلة النافعة، كشأن الشمس والمطر، كشأن عواصف الشتاء التى تهز الأرض، وتثيرها لتتزين ببساط أخضر فى بضعة أيام، ويقدّر الأنبياء بما أسفرت عنه رسالاتهم من النتائج، وأحسن شهادة لهم ما يورثونه من راحة العقول، وسكينة القلوب، وشد العزائم، والصبر على الشدائد، وشفاء الأخلاق المريضة، والأدعية والصلوات، التى تصعد إلى السماء».

هذا عن الأنبياء جميعًا، أما عن محمد بالذات، فقد مهّد الكاتب بهذه المقدمة الطريفة

٣- ص ٢٧٧

ليقول عن رسول الله ﷺ (٤):

«قام محمد الأمىّ، والنقى الفطرى، الكامل الطليق من فساد العقل والقلب، يدعو العلماء ليفقهوا ما يقولون ويقوّم ما يتيه فيه الحكماء من الطرق المعوجة، فالناس حين يستمعون لكلامه الموحَى إليه، ولأمثاله الملائمة لروح الزمن:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ (البقرة: ٢٦)

يعود به إلى سابق السرّ المحيط بهم، خاشعين لله، عالمين كيف يسلكون أحد النجدَيْن، مهتدين إلى مبدأ حى ناطق، لا يجدون مثله فى نصائح الفلاسفة، وآراء أقطاب السياسة، وكان ظهور محمد فى دور من أشد أدوار التاريخ ظلامًا، فى دور كانت الحضارات التى قامت فى البلدان الممتدة من بلاد اليونان إلى بلاد الهند مضطربة متداعية.

هذا النظر الشامل إلى محمد بين إخوانه من الأنبياء، وإلى العالم القرشى فى عصر محمد بين العالم جميعه من الشرق إلى الغرب، لم يكن نظر المتسرع العجول، بل نظر الفاحص المتأمل، الذى جعل تاريخ العالم جميعه فى قبضة يده، ليرى من خلاله ما أحدثه محمد ﷺ من هزة عنيفة فى دنيا الشرور والآثام، وكيف استطاع وهو الفرد الأعزل اليتيم أن يصبر على الشدائد فى جمع من الوحوش الكاسرة، قد صممت على قتله ليخلص لها ما تريد من الرق والاستعباد ومص الدماء، دماء الرقيق الكادح لغيره، دون أن يذوق غير الفتات، وطبيعى أن يرجع الباحث إلى ما عرف من خلال هذا النبى المعجز الباهر، ليرجع إلى هذه الخلال الباهرة ما وفق إليه من نظر ثاقب، وما انتهى إليه من نصر وطيد.

د. / محمد رجب البيومى

٤- ص ٢٧٧

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الآيات: ١٣٠ : ١٣٤)

قال الإمام الرازي ما ملخصه: اعلم أن من الناس من قال: إن الله -تعالى- لما شرح عظيم نعمه على المؤمنين فيما يتعلق بإرشادهم إلى الأصلح لهم في أمر الدين وفي أمر الجهاد، أتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي والترغيب والترهيب فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾

وقال القفال: يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما قبلها من جهة أن المشركين في غزوة أُحد أنفقوا على عساكرهم أموالاً كثيرة جمعوها من الربا، ولعل ذلك يصير داعياً للمسلمين إلى الإقدام على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على العسكر، ويتمكنوا من الانتقام منهم، فلا جرم نهاهم الله عن ذلك.

وكان الرجل في الجاهلية إذا كان له على الإنسان مائة درهم -مثلاً- إلى أجل، فإذا حل الأجل ولم يكن المدين واجداً لذلك المال قال: زدني في المال حتى أزيد في الأجل، فربما جعله مائتين، ثم إذا حل الأجل الثاني فعل مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فهذا هو المراد من قوله:

﴿ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾[1]

وقد ابتدأ -سبحانه- الآية بالنداء بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

لبيان أن أكل الربا ليس من شأن المؤمنين، وإنما هو من سمات الكافرين والفاسقين.

وإذا كان الكافرون يستكثرون من تعاطي الربا فعلى المؤمنين أن يجتنبوا هذا الفعل القبيح، وأن يتحروا الحلال في كل أمورهم.

وخصّه بالنهي لأنه كان شائعاً في ذلك الوقت، ولأنه -كما يقول القرطبي-: هو الذي أذن فيه بالحرب في قوله -تعالى-:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

والحرب يؤذن بالقتل، فكأنه يقول لهم: إن لم تتقوا الربا هُزمتم وقتلتم[2].

والمراد من الأكل الأخذ، وعبر عنه بالأكل لما أنه معظم ما يقصد به، ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة التشنيع.

والربا معناه الزيادة، والمراد بها هنا تلك الزيادة التي كانت تُضاف على الدَّين.

قال الإمام ابن جرير: عن عطاء قال: كانت ثقيف تداين بني المغيرة في الجاهلية، فإذا حل الأجل قالوا: نزيدكم وتؤخرون.

وقال ابن زيد: كان أبي -زيد بن ثابت- يقول: إنما كان ربا الجاهلية في التضعيف، يكون للرجل على الرجل دين فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له: «تقضيني أو تزيدني»[3].

وقوله: ﴿ أَضْعَافًا ﴾ حال من الربا، وقوله: ﴿ مُضَاعَفَةً ﴾ صفة له.

والأضعاف جمع ضعف. وضعف الشيء مثله، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله.

وهذا القيد وهو قوله: ﴿ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ ليس لتقييد النهي به، أي ليس النهي عن أكل الربا في هذه الحالة وإباحته في غيرها، بل هذا القيد لمراعاة الواقع، وليبان ما كانوا عليه في الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدي إلى استئصال المال، ولتوبيخ من كان يتعاطى الربا بتلك الصورة البشعة.

وقد حرّم الله -تعالى- أصل الربا ومضاعفته، ونفّر منه تنفيراً شديداً، فقال -تعالى-:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾

(البقرة: ٢٧٥)

وهذا النوع من الربا الذي نهى الله -تعالى- عنه هنا بقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾

هو الذي يسمى عند الصحابة والفقهاء بربا النسيئة، أو ربا الجاهلية، وقد حرمه الإسلام تحريما

---

١ - تفسير الفخر الرازي جـ٩ ص٢. طبعة عبدالرحمن محمد.
٢ - تفسير القرطبي جـ٤
٣ - تفسير ابن جرير الطبري جـ٤ ص٩٠.

قاطعًا. فقد قال الرسول ﷺ في خطبة الوداع: «ألا إن ربا الجاهلية موضوع - أي مهدر - وأول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن ربا النسيئة يكفر من يجحد تحريمه. ويقابل هذا النوع من الربا، ربا البيوع وهو الذي ورد في حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «البر بالبر مثلاً بمثل يدًا بيد، والذهب بالذهب مثلاً بمثل يدًا بيد والفضة بالفضة مثلاً بمثل يدًا بيد، والشعير بالشعير مثلا بمثل يدا بيد والتمر بالتمر مثلا بمثل يدا بيد والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى»[4].

وقد اتفق العلماء على أن بيع هذه الأصناف لابد أن يكون بغير زيادة إذا كانت بمثلها كقمح بقمح، ولابد من قبضها. وإذا اختلف الجنس كقمح بشعير جازت الزيادة، ولابد من القبض في المجلس، والتأخير يسمى ربا النسيئة، والزيادة المحرمة تسمى ربا الفضل.

وللفقهاء في هذا الموضوع مباحث طويلة فليرجع إليها من شاء في مظانها. ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بأمر المؤمنين بخشيته وتقواه فقال:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

أي: واتقوا الله بأن تجعلوا بينكم وبين محارمه ساترًا ووقاية، لعلكم بذلك تنالون الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثم حذرهم - سبحانه - من الأعمال التي تفضي بهم إلى النار فقال:

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

أي: صونوا أنفسكم. واحترزوا من الوقوع في الأعمال السيئة كتعاطي الربا وما يشابه ذلك، لأن الوقوع في هذه الأعمال السيئة يؤدي بكم إلى دخول النار التي هيئت للكافرين.

وفي التعقيب على النهي عن تعاطي الربا بتقوى الله وباتقاء النار، إشعار بأن الذي يأكل الربا يكون بعيدًا عن خشية الله وعن مراقبته، ويكون مستحقًا لدخول النار التي أعدها الله - تعالى - للكافرين والفاسقين عن أمره.

قال صاحب الكشاف: «كان أبو حنيفة - إذا قرأ هذه الآية:

﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

يقول: هي أخوف آية في القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه»[5].

ثم بعد هذا التحذير الشديد للمؤمنين من ارتكاب ما نهى الله عنه، أمرهم - سبحانه - بطاعته وطاعة رسوله فقال:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

أي أطيعوا الله في كل ما أمركم به ونهاكم عنه، وأطيعوا الرسول الذي أرسله إليكم ربكم لهدايتكم وسعادتكم، لعلكم بهذه الطاعة تكونون في رحمة من الله، فهو القائل وقوله الحق:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف: ٥٦)

وفي ذكر طاعة الرسول ﷺ مقترنة بطاعة الله - تعالى - تنبيه إلى أن طاعة الرسول طاعة لله.

فقد قال - تعالى -:

٤ - تفسير الآلوسي جـ٤ ص٦٠.

٥ - تفسير الكشاف جـ١ ص٤١٤.

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

(سورة النساء: الآية ٨٠)

ثم أمرهم - سبحانه - بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى مغفرة الله ورضوانه فقال:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

قال الآلوسي: وسبب نزول هذه الآية على ما أخرجه عبد بن حميد وغيره عن عطاء بن أبي رباح: أن المسلمين قالوا: يا رسول الله.. بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا، كانوا إذا أذنب أحدهم ذنبا أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره اجدع أنفك، اجدع أذنك، افعل كذا وكذا، فسكت ﷺ فنزلت هذه الآيات إلى قوله:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ الآية

(آل عمران/ ١٣٥)

فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلكم ثم تلاها عليهم»[6].

وقوله:

﴿ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

من السرعة بمعنى المبادرة إلى الشيء بدون تأخير أو تردد. والكلام على حذف مضاف: أي سارعوا وبادروا إلى ما يوصلكم إلى ما به تظفرون بمغفرة ربكم ورحمته ورضوانه وجنته، بأن تقوموا بأداء ما كلفكم به من واجبات، وتنتهوا عما نهاكم عنه من محظورات.

ولقد قرأ نافع وابن عامر بغير واو، وهي قراءة أهل المدينة والشام. والباقون بالواو، وهي قراءة أهل مكة والعراق.

فمن قرأ بالواو، جعل قوله - تعالى -:

﴿ وَسَارِعُوا ﴾

معطوفا على قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾

أي: أطيعوا الله والرسول وسارعوا إلى مغفرة من ربكم.

ومن قرأ بغير واو جعل قوله: ﴿ سَارِعُوا ﴾ مستأنفًا، إذ هو بمنزلة البيان أو بدل الاشتمال.

و﴿ مِّن ﴾ في قوله: ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ابتدائية، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للمغفرة أي مغفرة كائنة من ربكم.

ولقد عظم - سبحانه - بذلك شأن هذه المغفرة التي ينبغي طلبها بإسراع ومبادرة، بأن جاء بها منكرة، وبأن وصفها بأنها كائنة منه - سبحانه - هو الذي خلق الخلق بقدرته، ورباهم برعايته.

ووصف - سبحانه - الجنة بأن عرضها السموات والأرض على طريقة التشبيه البليغ، بدليل التصريح بحرف التشبيه في قوله - تعالى -:

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الحديد: ٢١)

قال الفخر الرازي ما ملخصه: وفي معنى أن عرض الجنة مثل عرض السموات والأرض وجوه منها: أن المراد لو جعلت السموات والأرضون طبقا طبقًا، بحيث تكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحًا مؤلفًا من أجزاء لا تتجزأ، ثم وصل البعض بالبعض طبقًا واحدًا لكان ذلك مثل عرض الجنة، وهذا غاية في السعة لا يعلمها إلا الله.

ومنها أن المقصود المبالغة في وصف السعة

٦ - تفسير الآلوسي جـ٤/٥٦.

للجنة، وذلك لأنه لا شيء عندنا أعرض منهما ونظيره قوله:

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾

(هود: ١٠٧)

فإن أطول الأشياء بقاء عندنا هو السموات والأرض، فخوطبنا على وفق ما عرفناه، فكذا هنا»[٧].

وخص - سبحانه - العرض بالذكر، ليكون أبلغ في الدلالة على عظمها واتساع طولها، لأنه إذا كان عرضها هكذا، فإن العقل يذهب كل مذهب في تصور طولها؛ لأن العرض في العادة أقل من الطول. وذلك كقوله - تعالى - في صفة فرش الجنة:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾

(الرحمن: ٥٤)

لأنه إذا كانت بطانة الفرش من الحرير فكيف يكون ما فوق البطانة مما تراه الأعين؟.

قال القفال: ليس المراد بالعرض ههنا ما هو خلاف الطول، بل هو عبارة عن السعة كما تقول العرب: بلاد عريضة، ويقال هذه دعوى عريضة أي واسعة عظيمة. والأصل فيه ما اتسع عرضه لم يضق، وما ضاق عرضه دق، فجعل العرض كناية عن السعة».

قال ابن كثير: وقد روينا في مسند الإمام أحمد أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ يقول: «إنك دعوتني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟. فقال النبي ﷺ: سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار».

وعن أبي هريرة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت قوله - تعالى -:

﴿ جَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾

فأين النار؟. قال: أرأيت الليل إذا جاء ليس كل شيء فأين النهار؟. قال: حيث شاء الله فقال ﷺ: «وكذلك النار تكون حيث شاء الله»[٨].

وقوله - تعالى -: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

أي هيئت للمتقين الذين صانوا أنفسهم عن محارم الله، وجعلوا بينهم وبينها وقاية وساترا، وخافوا مقام ربهم ونهوا أنفسهم عن الهوى.

ثم بين - سبحانه - صفات المتقين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون، والذين أعد لهم - سبحانه - جنته فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾

أي الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في جميع أحوالهم، فهم يبذلونها ابتغاء وجه ربهم في حال يسرهم وفي حال عسرهم، وفي حال سرورهم وفي حال حزنهم، وفي حال صحتهم وفي حال مرضهم، لا يصرفهم صارف عن إنفاق أموالهم في وجوه الخير ماداموا قادرين على ذلك.

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾.

في محل جر صفة للمتقين. ويجوز أن يكون في محل نصب أو رفع على القطع المشعر بالمدح.

وقال: ﴿ يُنفِقُونَ ﴾

بالفعل المضارع، للإشارة بأنهم يتجدد إنفاقهم في سبيل الله آنا بعد آن بدون انقطاع.

وقدم الإنفاق على غيره من صفاتهم لأنه وصف إيجابي يدل على صفاء نفوسهم، وقوة إخلاصهم، فإن المال شقيق الروح، فإذا أنفقوه في حالتي السراء

٧ - تفسير الفخر الرازي ج٩/٤.

٨ - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٠٤.

والضراء كان ذلك دليلاً على التزامهم العميق لتعاليم دينهم وطاعة ربهم.

وقد مدح الله - تعالى - الذين ينفقون أموالهم في سبيله في عشرات الآيات من كتابه، ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٦١)

أما الصفتان الثانية والثالثة من صفات هؤلاء المتقين فهما قوله - تعالى -:

﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾

أي سارعوا أيها المؤمنون إلى العمل الصالح الذي يوصلكم إلى جنة عظيمة أعدها الله - تعالى - لمن يبذلون أموالهم في السراء والضراء، ولمن يمسكون غيظهم، ويمتنعون عن إمضائه مع القدرة عليه، ولمن يعفون عمن أساء إليهم. فالمراد بكظم الغيظ حبسه وإمساكه. يقال: كظم فلان غيظه إذا حبسه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بمن أغضبه، ويقال: كظم البعير جرته، إذا ردها وكف عن الاجترار. وكظم القربة: إذا ملأها وشد على فمها ما يمنع من خروج ما فيها.

وقد ساق ابن كثير جملة من الأحاديث التي وردت في فضل كظم الغيظ والعفو عن الناس ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

وروى الإمام أحمد - بسنده - عن حارثة بن قدامة السعدي أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: قل لي قولاً ينفعني وأقلل علي لعلي أعقله: فقال له: «لا تغضب» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارا كل ذلك يقول: «لا تغضب».

وعن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عن من ظلمه ويعط من حرمه، ويصل من قطعه»[٩].

وكظم الغيظ والعفو عن الناس هاتان الصفتان إنما تكونان محمودتين عندما تكون الإساءة متعلقة بذات الإنسان، أما إذا كانت الإساءة متعلقة بالدين بأن انتهك إنسان حرمة من حرمات الله ففي هذه الحالة يجب الغضب من أجل حرمات الله، ولا يصح العفو عمن انتهك هذه الحرمة.

فلقد وصفت السيدة عائشة النبي ﷺ بأنه كان لا يغضب لنفسه، فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

تذييل مقرر لمضمون ما قبله.

والإحسان معناه الإتقان والإجادة. وأل في المحسنين إما للجنس أي والله - تعالى - يحب كل محسن في قوله وعمله، ويكون هؤلاء الذين ذكر الله صفاتهم داخلين دخولاً أوليا.

وإما أن تكون للعهد فيكون المعنى: والله - تعالى - يحب هؤلاء المحسنين الذين من صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم في كل حال من أحوالهم، ويكظمون غيظهم، ويعفون عمن ظلمهم.

٩ - تفسير ابن كثير ج١/ ٤٠٥.

النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» (متفق عليه)

التعريف براوي الحديث

هو أبو عبدالله حذيفة بن حسل اليمان، لُقب باليمان لحلفه الأنصار، وهم من اليمن، أسلم حذيفة وأبوه -رضي الله عنهما- وشهدا أحداً، وقتل اليمان يومئذ بأيدي المسلمين غلطاً، ونادى حذيفة حينئذ: أبي -عبادالله- أبي.. أبي!، فما احتجزوا عنه حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، ووهب دمه للمسلمين.. وكان حذيفة أحد الرقباء النجباء، وأحد الفقهاء أهل الفتوى، وصاحب سر رسول الله (ﷺ) في المنافقين، واختص بأخبار الفتن المستقبلة ما ظهر منها وما بطن، وله مقامات محمودة في الجهاد، من أعظمها ليلة الأحزاب، وخبره فيها مشهور. وأبلى في الفتوح، وحمدت مشاهده، وكان فتح همدان والدينور على يديه، وشهد فتح الجزائر، ولاه عمر المدائن، وقال عمر لأصحابه يوماً: تمنوا، فتمنوا. فقال عمر: لكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، أستعملهم في طاعة الله (تعالى) توفي بالمدينة سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بأربعين ليلة.

الشرح والبيان

يقول الله تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾

(القلم ١٠، ١١)

أي: من يمشي بالنميمة بين الناس. وقيل: النميم: جمع نميمة، والنميمة هي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم، وتزيينه بالكذب، وهي حرام بإجماع المسلمين، بل هي كبيرة من الكبائر التي ضمن الله (عز وجل) -في كتابه العزيز- لمن اجتنبها - أن يكفر عنه الصغائر من السيئات، وأن يدخله الجنة، قال تعالى:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

(النساء: ٣١)

ويؤيده الحديث الوارد في الصحيحين عن حذيفة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «لا يدخل الجنة نمام»، فإذا كانت النميمة تدخل النمام النار، وتدخل من تنزه عنها الجنة، فهل من العقل أن يتصف بها إنسان سوى؟! ويكفي -في ذلك- تحذير الرسول ﷺ لأصحابه روى ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) مر بقبرين، فقال: «إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله» (متفق عليه).

هذا والنمام بغيض إلى الله، بغيض إلى الناس، وخصوصاً الذين يتمتعون بقوة الإيمان، فقد ورد أن رجلا رفع إلى خالد ابن يحيى بن برمك قصة يقول فيها: مات رجل تاجر غريب، وخلف جارية حسناء، وولداً رضيعاً، ومالاً كثيراً، وأنت أحق بهذا، فكتب يحيى على رأس القصة يقول: أما الرجل فرحمه الله، وأما الجارية فصانها الله، وأما الطفل فرعاه الله وأما المال فثمره الله وأما الساعي إلينا بذلك فلعنه الله!.

فلم يكن عجباً والحال هذا أن روى الإمام أحمد من حديث أبي مالك الأشعري أن رسول الله (ﷺ) قال: (ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى. قال: المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب).

البغض في الله واجب

فالباعث على النميمة عادة إما إرادة السوء للمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل، ولهذا وجب على المسلم تجاه النمام أمور، لابد من توافرها كي تختفي هذه الظاهرة التي تنشر بين الناس الأحقاد والعداوات، وتشعل نار الفتن والخصومات وهي كما حكاها الغزالي في الإحياء:

● أولها: ألا يصدقه، لأن النمام فاسق مردود الشهادة، قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات: ٦)

● ثانيها: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله. قال الله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(لقمان: ١٧)

● ثالثها: أن يبغضه في الله تعالى؛ لأنه بغيض إلى الله، والبغض في الله واجب.

● رابعها: ألا يظن المسلم في أخيه المنقول عنه السوء، لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(الحجرات: ١٢)

● خامسها: ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث والتحقق؛ للنهي الوارد في ذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾

● سادسها: ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، بأن يحكي نميمته، فيقول: فلان حكى لي كذا

وكذا، فيكون نماماً ومغتاباً؛ لأنه أتى ما نهى النمام عنه.

ومن نمّ إليك نمّ عليك

وقد روي عن عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) أنه دخل عليه رجل، فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئنا نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ (الحجرات:٦)

وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية:

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (القلم:١١)

وإن شئت عفونا عنك. فقال العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.. ولهذا كان السلف الصالح، والرعيل الأول -رضوان الله عليهم- يطبقون ذلك، فقل وجود النمام بينهم، ولقد ورد أنه لما تولى عبدالعزيز بن مروان دمشق -وكان من أفصح الناس لساناً، وأقواهم بياناً، وألزمهم حجة- طمع فيه أهل دمشق، وقالوا: صبيّ لا علم له بالأمور؛ وسيسمع كل ما نقول له، فقام إليه رجل، وقال: أصلح الله الأمير، نصيحة. فقال: ليت شعري! ما هذه النصيحة التي ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني إليك؟ هات نصيحتك. قال: لي جار وهو عاص خالع للطاعة، وذكر له عيوبه، فقال له عبدالعزيز: إنك -أيها الرجل- ما اتقيت الله في جارك، ولا أكرمت جارك، ولا حفظت جوارك، إن شئت نظرنا فيما تقول، فإن كنت صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك، فقال: بل أقلني أيها الأمير. قال: اذهب حيث شئت، لاصحبك الله إني أراك شر رجل.. وهكذا نتبين بعد نظر الأمير عبدالعزيز بن مروان وابنه عمر، وكيف أعطى كل منهما القدوة من نفسه في معاملة الناس: لأن من نقل لك نقل عنك، وقد قال الحسن: من نمّ إليك نمّ عليك، وفي هذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض، ولا يوثق بقوله، ولا بصداقته، وكيف لا؟! وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد، والنفاق والإفساد بين الناس، والخديعة، وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل، وممن يفسدون في الأرض، والله (تعالى) يقول

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (الشورى:٤٢)

ومنهم: النمام، وقد جاء في الحديث المتفق عليه: «إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره».

من هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه

ولهذا كان (ﷺ) يهدد النمامين، ويتذرهم بالخسران وسوء المصير. قال (ﷺ): «أيما رجل أشاع على رجل كلمة، وهو منها بريء، ليشينه بها في الدنيا -كان حقاً على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار»[1].

فعليك أيها المسلم أن تحفظ لسانك ما استطعت حتى يشهد لك لا عليك

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النور:٢٤)

ولذلك كان من دعاء الخليل إبراهيم (عليه

(١) اتحاف السادة المتقين للزبيدي ج٧/٥٦٣.

السلام):

﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (الشعراء:٨٤)

فإذا كان في الناس مقياس تقاس به أفضليتهم فإن المقياس حفظ اللسان، فعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قلنا: يا رسول الله؛ أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2].

ولهذا لم يكن عجباً أن يضمن رسول الله (ﷺ) -لمن يحفظ لسانه وفرجه- الجنة، فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة»[3] لهذا أوجب الإسلام على المسلم ألا يخوض في أعراض الناس، لأن ذلك من دواعي الضغينة والشقاق، وأن ينظر إلى عيوبه قبل أن ينظر إلى عيوب غيره، ولهذا أوصى الإمام عليّ (رضي الله عنه) أولاده، فكان مما قال: «يا بنيّ، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي بقسم الله له لم يحزن على ما فاته، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه».

إما خائن وإما كاذب

ومن هنا نتبين خطر النميمة، وشر النمام، فينبغي أن نأخذ الحذر والحيطة، قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة قال: رضيت. فاشتراه، فمكث الغلام أياماً، ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى، واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات، حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً، وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها، جاءت المرأة بالموسى، فظن أنها تريد قتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين بسبب النميمة. فالنميمة داء وبيل، ومرض شنيع يلحق النفس البشرية فيقطعها عن الخير، ويدفعها دفعاً إلى المعاصي والآثام، ونشر الفتن والأحقاد والعداوات والخصومات وكم أوقعت النميمة صاحبها في الحرج، وأنزلت به الهوان، وجلبت له أحقاد الناس، وازدراءهم، يحدثنا التاريخ عن الإمام الليث (رضي الله عنه) قال: «سعى رجل بيني وبين والي مصر، فبعث إليّ الوالي، فحضرت عنده والرجل بين يديه فقال الوالي: يا أبا الحارث؛ إن فلاناً هذا أبلغني عنك كذا وكذا. قال الإمام: قلت: أصلح الله الأمير. هذا الرجل إما خائن لي في سر ائتمنته عليه، أو كاذب عليّ في شيء أنا منه بريء، والأمين (حفظه الله) لا يسمع للخائن، ولا للكاذب. فقال الأمير: صدقت ثم أنزل بالرجل عقوبة قاسية.. أعتقد أنه ما من مسلم يقرأ هذه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والآثار الصحيحة، ويرضى لنفسه أن يكون نماماً، ولقد رفع إنسان إلى الصاحب بن عبّاد (رحمه الله) رقعة يحثه فيها على أخذ مال كثير ليتيم، فكتب على ظهر الرقعة: النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة. والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمّره الله، والساعي لعنه الله!

هذا هو الإسلام، وتلك مبادئه وأخلاقه، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:٤٦)

(٢) سنن البيهقي ١٠/١٨٧.

(٣) صحيح البخاري ج٨/١٥٠.

مدلول البيئة فى الشريعة الإسلامية

٢

أثر الهواء ودوره فى حياة الإنسان

للهواء دور كبير فى بقاء حياة الإنسان، فدوام حياته باستنشاقه الهواء، فإذا عدم الهواء فقد الحياة كما فى حالة الغرق فى الماء»[١].

إن للهواء وظيفة مهمة فى استمرار الحياة والمحافظة عليها، فهو من نعم الله، وقد يرسل الله -عز وجل- الريح على قوم بالعذاب، كما أخبر الله عن ذلك فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع، قال الله -عز وجل-:

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

(البقرة: ٢٦٦)

«والإعصار ريح عاصفة تستدير فى الأرض ثم تنعكس عنها إلى السماء»[٢]: «حاملة للغبار فتكون كهيئة العمود» والمراد بالنار: «السموم الشديد أو البرد الشديد، وهو دليل على أن النار تطلق على كل ما يحرق الشئ ولو بتجفيف رطوبته»[٣].

وقال الله تعالى:

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾

(آل عمران: ١١٧)

«والصر فى الآية هو البرد الشديد كالحر الشديد كلاهما يحرق الشجر والنبات»[٤].

ومعنى قوله -تعالى-: «فأهلكته» أى فأحرقته، يعنى بذلك السفعة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه.[٥].

١- الشيخ محمد أحمد عليش - فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب الإمام مالك - الجزء الأول - الطبعة الثانية - مصطفى الحلبى - ص ١٧

٢- ناصر الدين البيضاوى - تفسير القرآن الكريم - مكتبة الجمهورية العربية - بدون تاريخ - ص ٩٠

٣- محمد رشيد رضا - تفسير المنار - الجزء الثالث - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ٥٨

٤- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج ٣ ص ٥٨

٥- إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ١ ص ٣٦٧

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

وبالإضافة إلى تسخير الرياح وتذليلها فقد سخر الله -عز وجل- للإنسان الأنهار والبحار وهى جزء من البيئة يزخر بثروات هائلة من الأسماك ومن الثروات المعدنية كالبترول، والأنهار تستغل مياهها فى الرى والعمليات الزراعية. وعن تسخير الأنهار للإنسان قال الله -عز وجل-:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾

(إبراهيم: ٣٢)

وعن تسخير البحار قال الله -عز وجل-:

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل: ١٤)

وقال تعالى:

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾

(الرحمن: ١٩، ٢٠)

ومراد الله -تعالى- من البحرين: الملح والحلو، ومراده من البرزخ: أنه -تعالى- جعل بينهما برزخاً، وهو: الحاجز من الأرض لئلا يبغى أحدهما على الآخر، هذا على هذا وهذا على هذا فيُفسد كل منهما الآخر ويزيله عن صفته المقصودة منه»[٦].

وطبيعة خلق الله -تعالى- للبحرين -العذب الفرات والأجاج- تدلنا دلالة قاطعة على مدى الحماية الطبيعية التى أسبغها الله عليهما حيث جعل بينهما حاجزاً لكى لا يطغى أحدهما على الآخر فيفسده، وتبين لنا أن حماية هذه الأشياء مراد الله -عز وجل- ولما كانت حماية هذه المكونات مراد الله -عز وجل- كانت حمايتها واجبة علينا، وإذا كان الله -تعالى- وهو أحكم الحاكمين- قد راعى فى خلقه للبحرين الملح والعذب إسباغ الحماية عليها، وجعل -سبحانه- بينهما حاجزاً لكى لا يُفسد أحدهما الآخر، فإن ذلك يوجب علينا أن نراعى فى جميع أنشطتنا التى نقوم بها حماية هذه المكونات.

كما سخر الله -عز وجل- للإنسان المعادن التى يستطيع بها أن يستفيد من خيرات الكون الذى يعيش فيه.

قال الله -عز وجل-:

٦- اسماعيل بن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج٢ ص٤٦٥

﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد: ٢٥)

وحديث الله -عز وجل- عن الحديد هو حديث عن أقوى المعادن وأكثرها استخداماً في شئون الحياة ولذلك قال -تعالى-:

﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾

فمنه يصنع السلاح: كالسيوف، والحراب، والسنان، والنصال، والدروع ونحوها، ومنافع للناس أي في معايشهم كالسكة والفأس»[٧].

ومعنى قوله -عز وجل-: «أنزلنا الحديد» أي خلقناه، وهو تفسير بلازم الشيء فإن كل مخلوق منزل باعتبار ثبوته في اللوح، ومعنى «فيه بأس شديد» أي عذاب شديد، لأن آلات الحرب تتخذ منه، وهذا إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى القائم بالسيف ليحصل القيام بالقسط، ومنافع للناس أي في معايشهم ومصالحهم إذ ما من صنعة إلا والحديد أساس منها.

وهذا إشارة إلى أن القيام بالقسط كما يحتاج إلى الوازع -وهو القائم بالسيف- يحتاج إلى ما به قوام التعايش ومن يقوم بذلك -أيضاً- ليتم التمدن المحتاج إليه النوع وليتم القيام بالقسط [٨].

والآية الكريمة تشير إلى حقيقة مهمة وهي: ضرورة مراعاة التوازن بين المصالح فالحديد كما فيه بأس شديد، فيه منافع للناس، ونشر الدين والقيام بالقسط كما يحتاج إلى القيام بالسيف يحتاج إلى القيام بما فيه قوام التعايش ومن يقوم بذلك.

فلا يجوز قصر استخدام الحديد وما في معناه في صناعة آلات الحرب والتدمير والخراب وإتلاف المال والنفس والعقل والنسل، ولكن يتعين استخدام ذلك فيما فيه منافع للناس، فاستعمال هذه الأشياء يدور بين أمرين: البأس الشديد، ومنافع الناس، ويجب ضرورة الموازنة بينهما.

ما يستفاد من حديث القرآن الكريم عن البيئة:

يستفاد من حديث القرآن الكريم عن البيئة عدة حقائق:-

١- إن القرآن الكريم وضع تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد والماء والهواء.

وجعل الإنسان على قمة هذه السلسلة وسخرها جميعا لخدمته وهذا الإدراك هو ما توصل إليه العلماء مؤخراً، حيث كشفت البحوث والدراسات عن أن الإنسان جزء لا يتجزأ من النظام البيئي والمجال الحيوي وأصبح الإنسان العنصر الرئيسي لتلك الدراسات[٩].

وقد عبرت ديباجة الإعلان العالمي للبيئة عن هذه الحقيقة فجاء بها: «من بين كل الأشياء في العالم فإن الإنسان هو أثمن شيء في الوجود، فالإنسان هو الذي يخلق التقدم الاجتماعي، ويطور العلوم والتكنولوجيا، ومن خلال عمله الجاد يمكن تطوير وتحسين البيئة الإنسانية بشكل مستمر».

٢- إن الله -تعالى- خلق كل مخلوق ليؤدي دوراً معيناً في الحياة، فبقاؤه واستمراره -إذن- أمر طبيعي، وذلك حتى يتم حفظ التوازن بين هذه

٧- إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣١٥

٨- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، ج٢٧، ص١٨٨

٩- صلاح الدين عامر، القانون الدولي للبيئة - ص٣٣

المخلوقات، وقد اهتم الإسلام بحفظ النوع والسلالة في الإنسان والأنعام والأشجار وجميع المخلوقات الحية وحتى يتحقق هذا الغرض خلق الله -عز وجل- من كل زوجين اثنين.

قال الله عز وجل:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩)

أي جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، حتى الحيوانات والنباتات [١٠] وعندما أخبر الله -تعالى- نوحاً أنه سيهلك قومه وأنه تعالى سينجيه ومن معه، أمره سبحانه أن يحمل معه في سفينته من كل زوجين اثنين، قال الله -عز وجل-:

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾

(هود: ٤٠)

فقد أمر الله -تعالى- نوحاً أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح قيل: وغيرها اثنين ذكراً وأنثى»[١١].

وذلك حماية لها من الانقراض بسبب الطوفان وهذا يفيد ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لحفظ النوع والسلالة في الكائنات الحية.

٣- إن حفظ الحياة لا يتم إلا بحفظ مكونات البيئة حيث إنها عامل ضروري لاستمرار الحياة، ولما كان حفظ الحياة واجب كان الحفاظ على عناصر البيئة واجب خاصة بالنسبة لحفظها عما هو مقدور للإنسان كالامتناع عن تلويثها «لأن ما لا يتم الواجب إلا به وهو مقدور للمكلف فهو واجب»[١٢].

٤- إن الله تعالى قد استخلف الإنسان على البيئة وملكه إياها وجعل هذه الملكية ملكية انتفاع لا ملكية رقبة [١٣] ومقتضى ذلك أن كل جيل أمين على ما استخلف عليه، وأن عليه المحافظة على هذه الأمانة وتسليمها للجيل الذي يليه.

٥- أكد القرآن الكريم في حديثه عن البيئة حقيقة الترابط القوي والفعال بين مكوناتها، فالهواء يحمل الماء، والماء ينزل على الأرض فتخرج النبات الذي يتغذى عليه الحيوان والنبات.

وعن هذه الحقيقة قال الله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (فاطر: ٩)

وقال عز وجل:

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾

(الحج: ٥)

وهذه الحقيقة القرآنية تحتم عند اتخاذ إجراءات معينة لحماية البيئة مراعاة أن تنصب هذه الحماية على جميع مكوناتها.

١٠- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٣٧

١١- اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٤٥

١٢- الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام الجزء الأول، دار الكتب العلمية - بيروت - ص ١٤٨

١٣- أ.د. حسن الشاذلي - الاقتصاد الإسلامي - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ص ١١٤.

معركة الإسلام مع الفكر الملحد

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

قضية القضايا فى كل دين هى الإيمان بوجود الله، وما عداها يتفرع عنها وينبثق منها؛ لأن الإيمان بوجود مصدر كلى شامل يستتبع الإيمان بكل مفردات الظاهرة الوجودية، وفى الإسلام بخاصة يتميز وجود الله بمنطق طبيعى لا يصادم فى جزئية من جزئياته سواء الطبيعة ولا منهج الفطرة؛ ولذلك فإن براهين هذا الوجود تبدو على جانب قطعى من اليقين والجزم ومعقولية المقولات.... فالله من الوجهة الإسلامية واجب الوجود لذاته، ومتصف ـ ضرورة ـ بالقدم والبقاء ونفى التركيب.

هو واجب الوجود لذاته تأسيسًا على قطعية برهان الخلق.. «وخلاصته أن الموجودات لابد لها من مُوجِد؛ لأننا نرى كل موجود منها يتوقف على غيره، ونرى غيره هذا يتوقف على موجود آخر دون أن تعرف ضرورة توجب وجوده لذاته، ولا يمكن أن يقال إن الموجودات كلها ناقصة وأن الكمال يتحقق فى الكون كله، لأن هذا كالقول بأن مجموع النقص كمال، ومجموع التناهيات شىء ليس له انتهاء، ومجموع القصور قدرة لا يعتريها القصور.

برهان المحرك

فإذا كانت الموجودات غير واجبة لذاتها فلابد لها من سبب يوجبها ولا يتوقف وجوده على وجود سبب سواه... ويسمى هذا البرهان فى أسلوب من أساليبه المتعددة: ببرهان المحرك الذى لا يتحرك، أو المحرك الذى أنشأ جميع الحركات الكونية، على اختلاف معانيها، ومنها الحركة بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، والحركة بمعنى الانتقال من حال إلى حال، والحركة بمعنى الانتقال من حيز الإمكان إلى حيز الوجود، أو من حيز القوة إلى حيز الفعل، وفحوى البرهان أن المتحرك لابد له من محرك، وأن هذا المحرك لابد أن يستمد الحركة من غيره، وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرك واحد لا تجوز عليه الحركة؛ لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان، وهذا هو (الله) كما يقول العقاد[1].

وهو متصف ضرورة بالقدم والبقاء ونفى التركيب «لأنه لو لم يكن كذلك لكان حادثًا، والحادث ما سبق وجوده بالعدم، فيكون وجوده مسبوقًا بعدم، وكل ما سبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود، وإلا لزم رجحان المرجوح بلا سبب، وهو محال، فلو لم يكن الواجب قديمًا لكان محتاجًا فى وجوده إلى موجد غيره، وقد سبق أن الجواب ما كان وجوده لذاته، فلا يكون ما فرض واجبا واجبًا، وهو تناقض محال.

الواجب لا يقبل القسمة

ومن أحكامه ألا يطرأ عليه عدم وإلا لزم سلب ما هو للذات عنها، وهو يعود إلى سلب الشىء عن نفسه وهو محال بالبداهة... ومن أحكامه ألا يكون مُركَّبًا، إذ لو تركَّب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته التى هى ذاته، وكل جزء من أجزائه غيرِ ذاته بالضرورة، فيكون وجود جملته محتاجا إلى وجود غيره، وقد سبق أن الواجب: ما كان وجوده لذاته، ولأنه لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفاً على الحكم بوجود أجزائه، وقد قلنا إنه لذاته من حيث هى ذاته؛ ولأنه لا مرجح لأن يكون الوجوب له دون كل جزء من أجزائه بل يكون الوجوب لها أرجح فتكون هى الواجبة دونه، ونفى التركيب فى الواجب، شامل لما يسمونه حقيقة عقلية أو خارجية، فلا يمكن للعقل أن يحاكى ذات الواجب بمركب، فإن الأجزاء العقلية لابد لها من منشأ انتزاع فى الخارج، فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة فى الخارج، وإلا كان ما فرض حقيقة عقلية اعتبارا كاذب الصدق لا حقيقة، وكما لا يكون الواجب مركبًا، لا يكون قابلاً للقسمة فى أحد الامتدادات الثلاث: أى لا يكون له امتداد؛ لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول، وصار إلى وجودات متعددة وهى وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة فيكون ذلك قبولاً للعدم أو تركًا وكلاهما محال كما سبق»[2].



العقاد

الفكر الملحد هو منطق الرفض

وهكذا يلوح الفكر العقيدى فى قضية وجوب الوجود فكرًا متوازن المنطق، صحيح المقدمات والنتائج بحيث يبدو الفكر الملحد إلى جواره عبثًا من العبث وتجديفًا بلا جدوى؛

---

(١) عباس محمود العقاد (الله) ص ٢١٤/٢١٦.

(٢) محمد عبده (رسالة التوحيد) ص ٢٢١/٢٢٢.

لأن هذا الفكر الملحد فى تطوافه العابر أو المتأنى حول هذه القضايا، لا يتصدى لبناء منهج فكرى متوازن الأبعاد والأعماق، ولكنه يتكئ على منطق الرفض الذى يطيقه الصغار، فلا يكلف أحدهم نفسه غير أن يقول: «لا» فى وجه كل «نعم»، وإذا كان الفكر العقيدى فى مواجهة هذا الفكر العابث يحرص على بناء مقولاته بناء فلسفيًا ملتزمًا بأخلاقيات المنهج العلمى، فلأن لديه ما يحرص عليه من قضايا حقيقية يريد توصيلها إلى الناس، ولأن مالديه من هذه القضايا يمتلك اقتدارا ذاتيا على العطاء والاتساق، وإقامة بناء فلسفى يدعم مضامينه الخالدة فى مواجهة أعتى الرياح وأعتى التحديات.

فإذا تأكد بالبرهان الجازم واليقين القطعى أن الله واجب الوجود لذاته، وأنه متصف ضرورة بالقدم والبقاء ونفى التركيب، استتبع ذلك على الفور قضية أخرى هى قضية وحدانية الواجب، وقد حسم القرآن الكريم هذه القضية بنوع من الاستدلال المنطقى القاطع فقال:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

(الأنبياء: ٢٢)

وقال:

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

(المؤمنون: ٩١)

وقال:

﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

(يوسف: ٣٩)

وجود إلهين مستحيل

وقد سمى علماء التوحيد هذا البرهان ببرهان التمانع، وقد اختلفوا فيه ولكنه اختلاف لا موجب له مع فهم البرهان على معناه الصحيح الذى لا ينبغى أن يطول الجدل عليه كما يقول العقاد.

«وصواب الأمر أن وجود إلهين سرمديين مستحيل، وأن بلوغ الكمال المطلق فى صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال آخر فى تلك الصفة، وأن الإثنينية لا تتحقق فى موجودين كلاهما يطابق الآخر ولا يتمايز منه فى شىء من الأشياء، وكلاهما بلا بداية ولا نهاية ولا حدود ولا فروق، وكلاهما يريد ما يريده الآخر ويُقدِّر ما يُقدِّره ويعمل ما يعمله فى كل حال وفى كل صغير وكبير فهذان وجود واحد وليسا بوجودين، فإذا كانا اثنين لم يكونا إلا متمايزين متغايرين..... فلا ينتظم على هذا التمايز والتغاير نظام واحد، وإذا كانا هما كاملين، فالمخلوقات ناقصة، ولا يكون تدبير المخلوق الناقص على وجه واحد بل على وجوه... وعلى هذا: فبرهان القرآن الكريم على الوحدانية برهان قاطع وليس ببرهان خطاب أو إقناع... وشأن القرآن فى عالم الدين والعقيدة معروف، وهذا شأنه فى عالم الحكمة الإلهية إذ يتناول وجود الله ووحدانية الله»[3].

(٣) عباس محمود العقاد (الله) ص ٢٢٤.

حاجة العقل الإنسانى

ومتى استقرت فى أخلاد الأجيال قضيتا وجود الله ووحدانيته، فكل قضايا الذات والصفات والرسالات بعد ذلك تكون محلولة بلا جدال؛ لأن الذى يتلقى قضية الوجود والوحدانية، ويرسو منهما على شاطئ يقينى، يستطيع بقليل من التفكر والإدراك السديد، أن يعطى اعترافه الكامل لذاتية الموجود، وتعالى هذه الذاتية بصفاتها وكمالاتها عن التحديد والتجسيد والتشبيه، كما يعطى اعترافه الكامل لضرورة الرسالة، وذلك لحاجة العقل الإنسانى فى قيادة القوى الإدراكية والبدنية إلى معين من بنى جنسه يفهم عنه، ويحس فيه بامتياز خاص يؤهله للحديث عن الله، فإن هذا المعين، وهو النبى أو الرسول - يقرب أمام العقل الإنسانى قضايا الذات والصفات والغيب على سوائها الحقيقى، فينقذ هذا العقل من وهدة التخبط الغاشم فى أودية ما لا يستقل بفهمه من القضايا والمقولات.

وإذن فالإيمان بوجود الله ووحدانيته يشكل الأساس الذى يرتكز عليه الوعى الإنسانى فى لقائه المثير بعناصر الوجود، لأنه يدعم مركز الإنسان فى الكون كخليفة لله ومخلوق على صورة خالقه، وكلما أوغل الإنسان فى عرفانه بخالقه وتنزيهه عن المحدودية والمثلية والزمانية والمكانية، كلما ازداد رسوخًا فى قلب الحركة التاريخية وارتفاعًا بها من مراغة الخبط والتشويه إلى قمم الحكمة والوسامة، لأن قيادته للواقع التاريخى تكون مقيسة حينذاك إلى هدف واضح، ومشدودة إلى مثال تصدر الجماليات عنه كما يصدر الضوء عن الفجر، والحركة عن الطاقة، والعبير عن حدائق الورد.

الكمال ليس له حدود

«وقد تخيل بعض المتكلمين فى الأديان أن هذا التنزيه البالغ يعزل الخالق عن المخلوقات، ويبعد المسافة بين الله والإنسان، وإنه لوهم فى الشعور وخطأ فى التفكير... لأن الكمال ليس له حدود، وكل ما ليست له حدود فلا عازل بينه وبين موجود، وفى القرآن الكريم:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾

(البقرة: ١١٥)

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

(ق: ١٦)[4]

فإذا كانت القضية الإيمانية على هذا النحو من التغور فى صميم الذات المخلوقة، وعلى هذا النحو من التناغم المنطقى الذى تفضى مقدماته إلى نتائجه، فلماذا يستطيع الفكر الملحد - فى كل العصور - أن يجد له جيوشًا وألوية وأرضًا يقاتل من فوقها الفكر العقائدى؟!!

(٤) عباس محمود العقاد (الله) ص ١٦١.

السبيل

إلى دور الأمة القيادى

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر سابقا
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

إن ما تعانيه أمتنا فى هذه المرحلة من معاناة وما تواجهه من تحديات يستوجب على الحكماء والعلماء من هذه الأمة أن يبادروا بتدارك الموقف، بما يجب عليهم من إبداء الرأى النافع، والعلاج الناجع، لتستعيد أمتنا دورها القيادى الذى كلفها الله - سبحانه وتعالى - به ومن أجله جعلها خير أمة أخرجت للناس كما قال جل شأنه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

وخيرية هذه الأمة قائمة على أسس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة حدود الله ونشر الإيمان، وهذا لا يتأتى من الأمة الضعيفة، فالأمة الضعيفة لا تستطيع أمرا ولا نهيا ولا دعوة للإيمان، والأمة الضعيفة تتلقفها أيادى الأمم من حولها وتصبح كالقصعة يلتف حولها آكلتها، وهذا ما حذر منه رسول الله ﷺ حيث قال: «يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يؤمئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن»[1].

(١) سنن أبى داود ج ٤ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤

وفى هذا التوجيه النبوى الحكيم تنبيه للأمة حتى تأخذ بأسباب القوة ولا تضعف أمام عدوها وأن ترى العالم قوتها وهيبتها حتى لا يستهان بها، ولقد كان من سنة رسول الله ﷺ إظهار القوة والهيبة للمسلمين فعندما جاء المسلمون من المدينة دخلوا مكة المكرمة وكان المشركون يقولون عن المسلمين: قد وهنتهم حمى يثرب، فشرعت الهرولة والرمل فى الطواف وفى السعى بين الصفا والمروة وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «رحم الله امرءا أراهم اليوم من نفسه قوة»[2] فإظهار قوة الأمة وإظهار مهابتها من الأمور المهمة التى تصون كيان الأمة وتحفظ لها مكانتها بين الأمم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[3].

إعداد القوة

وتلاحظ فى أعقاب غزوة أحد وبعد أن أصاب المسلمين ما أصابهم خرج رسول الله ﷺ بالمسلمين فى غزوة حمراء الأسد وأقام بها ليرى المشركين قوته وعندما حاول المشركون أن يثبطوا همة المسلمين وأن يرسلوا من يقول لهم: إن القوم قد جمعوا لكم فاخشوهم كانت قوة الإيمان أعظم من كل قوة، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت النتيجة هى ما ذكره الله - تعالى - فى القرآن الكريم:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

(آل عمران/ ١٧٣: ١٧٤)

لقد أقام رسول الله ﷺ ومعه المسلمون وخرجوا إلى حمراء الأسد، فأراهم قوة المسلمين واسترد هيبتهم حتى لا يطمع فيهم أعداؤهم.

وحتى عندما يجنح الأعداء إلى السلام، ويريد المسلمون أن يلبوا دعوة السلام، نلاحظ أن القرآن الكريم قبل أن يأمر المسلمين بالاستجابة إلى السلام يأمرهم بإعداد القوة التى تحفظ كيان الأمة، ولأن السلام لابد له من قوة تحميه.

وفى الموقف نفسه، قبل أن يأمرهم بالسلام أمرهم بإعداد القوة، وقبل أن يأمرهم بإعداد القوة وضح رب العزة - سبحانه وتعالى - للمؤمنين أن أعداءهم الظالمين مهما جمعوا من أسباب القوة فلا يحسب الظالمون أنهم بهذا سبقوا وأنهم صاروا أقوى من فى الأرض، كلا كلا، إنهم لن يعجزوا الله، فالله لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء والله هو الواحد القهار يقول للشىء كن فيكون.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٢٧

(٣) صحيح مسلم كتاب القدر رقم ٣٤ ج٤ ص٢٠٥٢

قدر الله فوق كل شيء

ومن أجل ذلك بين سبحانه قبل الأمر بالاستجابة للسلام وقبل الأمر بإعداد القوة، بين سبحانه أن الأعداء مهما كانوا في قوة فلن يسبقوا القدر ولن يعجزوا خالق القوى والقدر وهو الله رب العالمين قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(الأنفال/ ٥٩: ٦٠)

ثم قال سبحانه بعد ذلك:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(الأنفال: ٦١)

وإن الدور القيادى لهذه الأمة كما يكون ببناء القوة التى تمكن الأمة من دورها ومن أداء رسالتها، فإنه لا يمكن أن تقوم هذه القوة إلا بالعلم ولذلك كانت أول آية فى القرآن الكريم تدعو إلى العلم والقراءة والمعرفة

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق/ ١: ٥)

وعندما بين الله - تعالى - لملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفة، وقالت الملائكة

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

(البقرة/ ٣٠: ٣٣)

فنرى فى الآيات السابقة أن أساس خلافة آدم على الأرض كان أساسها العلم وأن تفضيل آدم - عليه السلام - كان بالعلم.

ومادام العلم هو أساس الخلافة وأول آية نزلت من القرآن كانت تدعو إلى العلم، فإن واجب الأمة وهى تصوغ بناء دورها القيادى أن تحرص على التقدم العلمى لمواجهة التحدى الحضارى الذى يشهده العالم اليوم.

وواجب الأمة كذلك أن تتدبر ما أشار القرآن الكريم إليه من آيات فى الآفاق وفى الأنفس:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

وأن العلم سيكشف فى كل عصر، الجديد ثم الجديد من آيات الله تعالى قال سبحانه:

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

(ص: ٨٨)

النظام العالمى والمصداقية الضائعة

وإذا كنا نطالب علماء الأمة ومفكريها وخبرائها أن يشخصوا الداء وأن يصفوا الدواء، فإن من أولويات ما ننادى به هو أن يصلح - أولا - هؤلاء النخبة ما بينهم حتى لا يتبدد الوقت فى أمور هامشية وصراعات جانبية وخلافات فى الرأى كما هو حادث الآن فعليهم أن يصلحوا ما بينهم وأن يوحدوا رأيهم وأن يسعوا - مجتهدين - إلى التقريب بين الآراء وأن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه.

وإلا فإنه إذا كان الإصلاح يطلب ممن يحتاجون هم إلى إصلاح ما بينهم فكيف يتم هذا؟! إن فاقد الشىء لا يعطيه، فإذا كان المصلحون يحتاجون إلى إصلاح فمن يصلحهم؟ كما قال القائل:

علماء الدين يا ملح البلد

من يصلح الملح إذا الملح فسد

إن السبيل إلى استعادة الأمة الإسلامية إلى دورها القيادى يتطلب.

- أولا: العودة إلى كتاب الله - تعالى - ونشره وتدارسه وتطبيق توجيهاته وتوجيهات رسول الله ﷺ الذى قال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى»[4].

- ثانيا: بناء القوة الحضارية التى أمر الله - تعالى - بها:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

- ثالثا: مضاعفة الجهود فى التقدم العلمى لمواجهة التحدى الحضارى الذى يعيشه العالم من حولنا.

- رابعا: توحيد صف الأمة الإسلامية، وترشيد الصحوة، ومعالجة الأزمة الفكرية التى تغشى شرائح كثيرة فى مجتمعاتنا.

- خامسا: على النظام العالمى والمجتمع الدولى ومنظمات حقوق الإنسان أن تكون لها مصداقيتها بحيث لا تتجاهل ما يجرى على مسرح الأحداث، وألا تزدوج لديها المعايير، وألا تكيل بمكيالين، فإن قيام العدل فى الأرض يرسى دعائم الأمان فيها، وإن السكوت على الظلم يؤذن بخراب العمران، وإن سياسة الاستكبار والتحدى لن تدوم طويلا، مهما كان لها من قوة فدولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة.

***

(٤) المستدرك للحاكم ج١ ص٩٣

طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

بعث الله - سبحانه - محمداً ﷺ بالكتاب والسنة، وبهما أتم الله على أمته المنة، قال - تعالى -:

﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

(الآيات ١٥٠-١٥٢ سورة البقرة)

وقال - تعالى -:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾

(آية ١٦٤ من سورة آل عمران)

وقال - تعالى -:

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾

(آية ٢٣١ من سورة البقرة)

وقال - تعالى -:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

(آية ٢ من سورة الجمعة)

وقال تعالى عن الخليل:

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(البقرة: ١٢٩)

وقال - تعالى -:

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾

(آية ٣٤ من سورة الأحزاب)

وقد قال غير واحد من العلماء: منهم يحيى ابن أبي كثير، وقتادة، والشافعي، وغيرهم: «الحكمة» هي «السنة» لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وماسوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة.

وقد جاء عن النبي ﷺ من عدة أوجه من حديث أبي رافع وأبي ثعلبة وغيرهما أنه قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: بيننا وبينكم القرآن فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه». وفي رواية «ألا وإنه مثل الكتاب»[1].

يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «ولما كان القرآن متميزا بنفسه - لما خصه الله به من الإعجاز الذي باين به كلام الناس، كما قال - تعالى -:

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

(آية ٨٨ من سورة الإسراء)

وكان منقولاً بالتواتر - لم يطمع أحد في تغيير شئ من ألفاظه وحروفه، ولكن طمع الشيطان أن يدخل التحريف والتبديل في معانيه بالتغيير والتأويل، وطمع أن يدخل في الأحاديث من النقص والازدياد ما يضل به بعض العباد.

فأقام الله - تعالى - الجهابذة النقاد، أهل الهدى والسداد، فدحروا حزب الشيطان، وفرقوا بين الحق من البهتان، وانتدبوا لحفظ السنة ومعاني القرآن من الزيادة في ذلك والنقصان.

وقام كل من علماء الدين بما أنعم به عليه وعلى المسلمين - مقام أهل الفقه الذين فقهوا معاني القرآن والحديث - بدفع ما وقع في ذلك من الخطأ في القديم والحديث، وكان من ذلك الظاهر الجلي: الذي لا يسوغ عنه العدول، ومنه الخفي: الذي يسوغ فيه الاجتهاد للعلماء العدول.

وقام علماء النقل والنقاد: بعلم الرواية والإسناد، فسافروا في ذلك إلى البلاد، وهجروا فيه لذيذ الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد، وأنفقوا فيه الطارف والتلاد، وصبروا فيه على النوائب، وقنعوا من الدنيا بزاد الراكب، ولهم في ذلك من الحكايات المشهورة، والقصص المأثورة، ما هو عند أهله معلوم، ولمن طلب معرفته مرسوم، بتوسد أحدهم التراب، وتركهم لذيذ الطعام والشراب، وترك معاشرة الأهل والأصحاب، والتصبر على مرارة الاغتراب، ومقاساة الأهوال الصعاب، أمر حببه الله إليهم وحلاه ليحفظ بذلك دين الله. كما جعل البيت مثابة للناس وأمنا يقصدونه من كل فج عميق، ويتحملون فيه أموراً مؤلمة تحصل في الطريق، وكما حبب إلى أهل القتال: الجهاد بالنفس والمال حكمة من الله يحفظ بها الدين ليهدى المهتدين، ويظهر به الهدى ودين الحق، الذى بعث به رسوله ولو كره المشركون.

فمن كان مخلصا في أعمال الدين يعملها لله: كان من أولياء الله المتقين، أهل النعيم المقيم كما قال - تعالى -:

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(الآيات ٦٢-٦٤ من سورة يونس)

وقد فسر النبي ﷺ البشرى في الدنيا

(١) سنن الترمذي ٢٦٦٣.

بنوعين:

● أحدهما: ثناء المثنين عليه.

● الثاني: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو ترى له. فقيل يا رسول الله: الرجل يعمل العمل لنفسه فيحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[٢]

وقال البراء بن عازب: سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى:

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(يونس: ٦٤)

فقال: «هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو ترى له»[٣]...

وأهل العلم المأثور عن الرسول: أعظم الناس قياماً بهذه الأصول، لا تأخذ أحدهم في الله لومة لائم، ولا يصدهم عن سبيل الله العظائم، بل يتكلم أحدهم بالحق الذي عليه، ويتكلم في أحب الناس إليه... ولهم من التعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح، من السعي المشكورة والعمل المبرور: ما كان من أسباب حفظ الدين وصيانته عن إحداث المفترين، وهم في ذلك على درجات: منهم المقتصر على مجرد النقل والرواية، ومنهم أهل المعرفة بالحديث والدراية، ومنهم أهل الفقه فيه، والمعرفة بمعانيه.

وقد أمر النبي ﷺ الأمة أن يبلغ عنه من شهد لمن غاب، ودعا للمبلغين بالدعاء المستجاب، فقال في الحديث الصحيح: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٤]، وقال أيضاً في خطبة الوداع: «ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع»[٥]، وقال أيضاً: «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[٦].

ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث يعظمون نقلة الحديث حتى قال الشافعي -رضي الله عنه-: اذا رأيتُ رجلا من أهل الحديث فكأني رأيتُ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ. [٧]

سبق أن أشرت -في المقال السابق- إلى أن الله -تعالى ذكر طاعة الرسول وأتباعه في نحو من أربعين موضعاً من القرآن الكريم- ذكرتُ بعضها -وهي صريحة لا لبس فيها ولا غموض، وواضحة كل الوضوح في أن الله -تعالى- أمر المسلمين أن يلتزموا بطاعة الرسول ﷺ في كل ما أمر به ونهى عنه، وأن طاعة الرسول هي طاعة لله...

كما أن آيات القرآن الكريم بشرت المؤمنين الصادقين الذين يطيعون الله ورسوله بالفوز والفلاح، وبالجزاء الأوفى والنعيم المقيم.

قال الله -تعالى-:

(٢) صحيح مسلم، البر والصلة ص٦٦.
(٣) مسند أحمد ٦/٤٠٢، ٥/٦٢١.
(٤) البخاري ٤/ ٢٠٧.
(٥) مسند الإمام أحمد ج٥ /٤٩.
(٦) مسند أحمد ٥/١٨٣ بلفظ مختلف.
(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، المجلد الأول، الصفحات من ٩-١١ بتصرف

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾

(الآيتان ٦٩، ٧٠ من سورة النساء)

تُبيّن الآيتان الكريمتان الثواب العظيم، والنعيم المقيم الذي أعده الله للطائعين من عباده الذين يطيعون الله ورسوله.

وقد روى المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات متعددة، منها ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ -وهو محزون- فقال له النبي ﷺ: «يا فلان مالي أراك محزوناً؟ فقال الرجل: يا نبي الله شئ فكرت فيه. فقال: ما هو؟ قال: نحن نغدوا عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك. وغدا ترفع مع النبيين فلا تصل إليك. فلم يرد النبي ﷺ شيئاً. فأتاه جبريل بهذه الآية:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾

(النساء: ٦٩)

قال: فبعث إليه النبي ﷺ فبشره»[٨].

أي: ومن يطع الله بالانقياد لأوامره ونواهيه، وتنفيذها عن تسليم ورضا، ويطع الرسول في كل ما جاء به من ربه عن قناعة وإيمان، فأولئك المطيعون لله والرسول، المتصفون بتمام تلك الطاعة يكونون يوم القيامة في صحبة ورفقة الأنبياء الذين أرسلهم الله للناس مبشرين ومنذرين، فبلغوا رسالته، ونالوا من الله أشرف المنازل، وكوفئوا بنعم الله عليهم التي لا تعد ولا تحصى..

وبدأ -سبحانه- بالنبيين لعلو درجاتهم، وسمو منزلتهم على من عداهم من البشر، وقوله: ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾

وهم الذين صدقوا بكل ما جاء به الرسول تصديقاً لا يخالطه شك، ولا تحوم حوله ريبة، وصدقوا في دفاعهم عن عقيدتهم وتمسكهم بها، وسارعوا إلى فعل وعمل كل ما يرضى الله بدون تردد أو تباطؤ، وقوله: ﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾

وهم الذين استشهدوا في سبيل الله، ومن أجل إعلاء دينه ونصرة شريعته، وقوله:

﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾

وهم الذين صلحت نفوسهم، واستقامت أفئدتهم، وأدوا كل ما يجب عليهم نحو خالقهم ونحو أنفسهم ونحو غيرهم.. هؤلاء هم الأخيار الأطهار الذين يكون المطيعون لله ولرسوله في رفقتهم وصحبتهم.

قال الفخر الرازي -رحمه الله[٩]-: «وليس المراد بكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين... كون الكل في درجة واحدة، لأن هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول، وأنه لا يجوز.. بل المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر، وإن بعد المكان، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا، وإذا أرادوا الزيارة والتلاقي قدروا عليه، فهذا هو المراد من هذه المعية، ثم قال: «وقد دلت الآية الكريمة على أنه لا مرتبة بعد النبوة في الفضل والعلم إلا هذا

(٨) تفسير ابن جرير، جـ ٥/١٣٢
(٩) تفسير الفخر الرازي جـ ١٠/١٧٦

الوصف، وهو كون الإنسان صديقاً، ولذا أينما ذكر في القرآن الصديق والنبي لم يجعل بينهما واسطة، كما قال ـ تعالى ـ في صفة إدريس:

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾

(مريم: ٥٦)

وقوله تعالى:

﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾

(النساء: ٦٩)

ترغيب في العمل الصالح الذي يوصل المسلم إلى صحبة ورفقة هؤلاء الكرام، ويتضمن معنى التعجب من حسنهم، والمعنى: وحسن كل واحد من أولئك الأخيار ـ الأربعة ـ رفيقاً ومصاحباً في الجنة.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾

(النساء: ٧٠)

أي: ذلك الفضل العظيم الذي ثبت للمطيعين لله والرسول واستحقوه كائن من الله ـ تعالى ـ لا من غيره.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾

(النساء: ٧٠)

أي: كفى به ـ سبحانه ـ عليماً بمن يستحق فضله وعطاءه، وبمن لا يستحق ذلك، فهو ـ سبحانه ـ عليم بكل شئ لا تخفى عليه خافية من شئون خلقه.

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد بشرتا المطيعين لله ولرسوله بأحسن البشارات وأرفع الدرجات.

وقال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

(الآيتان ٦٤، ٦٥ من سورة النساء)

أنكرت الآيات السابقة على هاتين الآيتين الكريمتين موقف المنافقين الذين كانوا يدعون الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء السابقين، وهم مع ذلك يريدون أن يتحاكموا في فصل الخصومات التي تحدث بينهم إلى غير كتاب الله تعالى، وإلى غير رسول الله ﷺ، وحذرت المؤمنين منهم ومن سلوكهم وكذبهم ونفاقهم.

ثم بين ـ جل شأنه ـ أنه ما أرسل رسله إلا ليطاعوا فيما أمرهم الله بتبليغه إلى خلقه لا ليخالفوا، وأرشد ـ سبحانه ـ المخالفين إلى ما يجب عليهم فعله للتكفير عن مخالفتهم، أي: وما أرسلنا رسولاً من الرسل بشريعة من الشرائع إلا ليطاع فيما أمر ونهى وحكم، فطاعته فرض على من أرسل إليهم، وإنكار فرضيتها كفر، لأن طاعة الرسول طاعة لله، ومعصيته معصية لله، فهو ـ سبحانه الذي أمر بهذه الطاعة لرسله.

وقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾

(النساء: ٦٤)

بيان لما كان يجب على هؤلاء العصاة المذنبين أن يفعلوه بعد وقوعهم في الخطأ، أي: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بسبب تحاكمهم إلى غير رسول الله، وإلى أحكام باطلة بعيدة عن الحق وعن شريعة الإسلام وتعاليمه.. لو أنهم جاءوك تائبين توبة صادقة من هذا النفاق «فاستغفروا الله»

مما اجترحوه من ذنوب وآثام وسيئات، ودعوا الله أن يقبل توبتهم ويغفر لهم، وسألوك أيها الرسول الكريم أن تدعو الله لهم أن يقبل توبتهم ويغفر لهم ذنوبهم

﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾

كثير القبول للتوبة، كثير التفضل على عباده بالرحمة والمغفرة.

وإنما قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾

ولم يقل: واستغفرت لهم، تعظيماً للرسول ﷺ، وتأكيداً على أن الله قد خصه برسالته، وأكرمه بوحيه، ومن كان كذلك فإن الله لا يرد شفاعته.

ثم بيّن ـ سبحانه ـ أن كل من يدعي الإيمان لا يكون إيمانه صادقاً إلا إذا تقبل حكم رسول الله ﷺ عن رضا واقتناع:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

(النساء: ٦٥)

أي: فيما اختلفوا فيه وتخاصموا وتنازعوا.

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾

(النساء: ٦٥)

أي: ضيقاً وشكاً في قضائك بينهم

﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

أي: ويخضعوا لحكمك خضوعا تاما لا شك فيه ولا ارتياب.

والمعنى: إذا ثبت ما أخبرناك به يا محمد ـ قبل ذلك ـ فإن هؤلاء المنافقين وحق ربك لا يؤمنون إيماناً صادقاً حقا يقبله الله ـ تعالى ـ حتى يجعلوك حاكما بينهم، ويلجئوا إليك فيما اختلفوا فيه من الأمور، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً وشكاً في قضائك بينهم:

﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

تاما بظاهرهم وباطنهم لحكمك من غير ممانعة ولا ارتياب...

والمتأمل في الآية الكريمة يراها قد بينت أن المؤمن لا يكون إيمانه تاماً إلا إذا توفرت فيه صفات ثلاث:

- أولها: أن يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في حياته، وإلى شريعته بعد وفاته.
- وثانيها: أن يتقبل حكم الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي ﷺ برضا وطيب خاطر، وأن يؤمن إيماناً تاماً بأن ما يقضي به هو الحق والعدل

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾

- وثالثها: أن يذعن لأحكام شريعة الله إذعاناً تاماً في مظهره وحسه

﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

فقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾

يمثل الانقياد الباطني والنفسي، وقوله تعالى:

﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

يمثل الانقياد الظاهري والحسي.

مواقف إسلامية

شباب في حكمة الشيوخ

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

جاء في معجم الأدباء لياقوت الحموي:

لما سمع الشافعي بأن «الإمام مالك» صار إمام المسلمين قال: «.. فوقع في قلبي أن أذهب إليه. فاستعرت كتاب «الموطأ» من رجل بمكة. فحفظته، ثم دخلت على والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة.. وبه توصية إلى مالك ابن أنس. وقدمت المدينة، وأبلغت الكتاب فقال والي المدينة: يا فتى: لو كلفتني المشي من جوف مكة إلى جوف المدينة.. راجلا.. حافيا.. كان أهون عليّ من المشي إلى باب مالك.

فقلت: إن رأى الأمير أن يحضره. قال: هيهات! ليتنا إذا ركبنا إليه ووقفنا على بابه يفتح لنا الباب. قال: ثم ركب، وذهبنا معه إلى دار مالك، فتقدم رجل وقرع الباب، فخرجت لنا جارية سوداء، فقال الوالي: قولي لمولاك إني بالباب. فدخلت الجارية فأبطأت، ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقول لك: إن كانت لك مسألة فارفعها في رقعة حتى يخرج لك الجواب، وإن كان المجيء لشيء آخر فقد عرفت يوم المجلس، فانصرف. فقال لها: قولي إن معي كتاب والي مكة في أمر مهم، فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي، ثم وضعته، فإذا مالك شيخ طوال، قد خرج وعليه المهابة وهو متطلس [1]، فدفع الوالي الكتاب إليه فتفحصه، فلما بلغ إلى قوله: «محمد بن إدريس رجل شريف، من أمره ومن حاله كذا وكذا»، رمى الكتاب من يده وقال: سبحان الله! صار علمُ رسول الله يحيث يطلبُ بالوسائل!!

قال الشافعي: فتقدمتُ إليه فقلت: أصلحك الله، إني رجل مُطلبي، من حالي ومن قصتي كذا وكذا».. فلما سمع كلامي نظر إليّ ساعة ـ وكان لمالك فراسة ـ فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. قال يا محمد، اتق الله واجتنب المعاصي فسيكون لك شأن من الشأن. فقلت: نعم وكرامة. فقال: إن الله ـ تعالى ـ قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية. ثم قال: غداً تجيء بمن يقرأ لك الموطأ.

قلت: إني أقرؤه من الحفظ، فرجعت إليه من

(١) مُتطلس: أي لابس الطيلس أو الطيلسان وهو ضرب من الأكسية (أسود).

الغد وابتدأت بالقراءة، وأردتُ قطع القراءة خوفاً من ملالته، فأعجبه حسن قراءتي، فكان يقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمتُ بالمدينة إلى أن توفي مالك ـ رحمه الله ـ.

تمهيد

يقولون: إن ذكر الماضي حلو في الأفواه، ولو كان هذا الماضي مرّ المذاق..

لذلك.. كان من أعظم فنون الشعر العربي القديم: الوقوف على الأطلال.. وبكاء الديار:

لا يبكي الشاعر حجرا ميتا. كما زعم أبونواس ساخرا.. بل يبكي زمانا كان حيا يبكي من عمره قطعة كانت، فبانت..

لذلك قال «دانتي» شاعر الطليان الأكبر:

«إن ذكرى اللذات الماضية تؤلمنا».

ولعل مفهوم كلامه صحيح أيضا، فذكرى الآلام الماضية تسرنا، وتؤلمنا ذكرى اللذات، لأنها مقرونة بفقدها. وتسرنا الآلام لأنها مرتبطة بخلاصنا منها.

وإذا كان ذلك شأن الذكريات الشخصية.. فإن الذكريات العامة بما تحمله من قيم عليا.. لا تكون إلا سارة بما تشم فيها من خصائص تاريخنا.. الذي عمره أسلافنا بما جعله عصيا على النسيان: (فإن محمداً ﷺ قد وضع في دمائهم «المصل الواقي» من الخور والجبن والتهافت، وصبّ المناعة في أعصابهم صبا، وعلمهم الصبر على المصائب وإن تتالت، والشدائد وإن تعاقبت مع العمل على دفع المصائب.. ورفع الشدائد. فكان الجهاد في سبيل الله وبذل النفس من أجل الدين والشرف، فطرة في أتباع محمد ﷺ وخلقه فيهم. لو أرادوا الانفكاك عنه، ما طاوعتهم قلوبهم) أ.هـ.

وإذا أنت من تاريخنا في بستان زكي العطر، هذا العطر الذي كان من زكائه: أن أريجه ولو أخفيته في ثيابك ـ يظل يعلن عن نفسه، دلالة عليه وإرشادا إليه، فإذا أنت أمام تاريخنا تشم ريحه الطيب:

- أطلالٌ: ولكن لم تزل تحتفظ بثباتها.. وتفاخر بلبناتها المضمخة [2] بعبق التاريخ وعرق الرجال. وبقايا جدار آيل للسقوط، ولكنها تعلن رفضها لتهديد الآلة العصرية.. رغم محاولات الإغراء المادي.
- ودروبٌ: تروي حكايات الطفولة الخالة. وتباهي بخطى «الشباب المطمئن» وتروي أسرار تجاريب ذوي النهى، وكل أثر حي أو معنوي يعيدنا إلى تذكر ما مضى.. واستلهام ذاكرة التاريخ حين تبتعد المسافة الزمنية.. وذلك لنعرف ما سجله التاريخ.. أ.هـ.

ونحن اليوم.. مدعورن لتأمل واحد من مواقف هذا الشباب المطمئن في شخص.. محمد ابن إدريس.. الشافعي.. تبصرة وذكرى.. فماذا في الموقف من معان؟

همة معقودة بالثريا

لقد كان الشافعي آمنا في سربه.. معافى في بدنه.. ميسراً له في رزقه.

فلماذا لم يستسلم للواقع. ويرضى بما هو فيه؟

إنه واحد من الشباب يشارك زملاءه حياتهم العامة.. لكنه يتفرد دونهم بالهمّ والقلق على المستقبل.. إلى الحد الذي يحملك على أن تقول: إذا كان في الإمكان أن يُستدل بفرد واحد على أخلاق أمة.. لكان هذا الفتى: محمد بن إدريس! هذا الذي اقتحم الأهوال. ونازل الرجال..

(٢) التضمخ: التلطخ بالطيب وغيره والإكثار منه.

وإذا كان بعض الشباب اليوم أمام الأحداث: غصنا يلوى.. أو شمعة تذوب.. فإن «محمداً بن إدريس».. كان بطلا.. واجه من الأحداث التى كانت بين يديه «مخالب» تمزق جلد التمساح.. وأنياباً تفتت الحجر. ولكنه وجد همته أقوى.. وقامته أرفع.. ومساحة نشاطه أوسع. ولهذه الأسباب اختار مهجره: مكة المكرمة.. ؛ لأنها الوحيدة التى تشبع جوعه إلى المجد!.. ذهب إليها بهمة وثابة.. لا يعرف البشر مثلها.. فى مثله!

قيمة السفر

وإذا اصطدم السفر بغريزة «حب الوطن».. فإن ما تحصله الحركة أربى فى الميزان من الاستسلام لخواطر القعود.. ولعل الشافعى هو الذى قال:

سافر: تجد عوضا عمن تفارقه

وانصب فإن كريم العيش فى النَصَب

إنى رأيت وقوف الماء يفسده

إن سال طاب.. وإن لم يجر لم يطب

ماذا فعل الفتى؟

- لقد حدد الهدف أولا.. وتحديد الأهداف ابتداء أعون على الوصول إليها. ومن لم يحدد هدفه أولا.. لا ترتفع له راية.. ولا تتحقق له غاية.
- ثم وضع الخطة التنفيذية لإنجازه.

أما الهدف: فهو لقاء الإمام مالك، والإفادة من علمه.. لكنه.. وقد آلت إليه رياسة العلم.. فإن لقاءه ربما كان عسيرا. ومن أجل ذلك فقد كان من خطته:

أ- الاتصال بالحاكم لييسر له السبيل إلى لقاء الرجل.. وسط هذا الزحام. ولا بأس أن يتصل طالب العلم بالحاكم.. ما دام ذلك لمصلحة الدعوة التى توظف «المسئول الحكومى» ليساعدنا على تحقيق آمالنا فيها.. ولم يكن ذلك مخصوما من كرامتنا لحسابه.

ب- ولأنه سيمثل بين يدى الإمام مالك فيما يشبه «المقابلة الشخصية» -بلغة زماننا- فقد استعار كتابه: «الموطأ» ليعايش أفكار الشيخ.. واتجاهاته.. وآراءه..

ولم يكتف بمجرد قراءته.. ولكنه حفظه تماما.. ثم أزف الرحيل.. وشدت الهوادج.. وإذا الفتى «محمد بن إدريس» فى المدينة المنورة: وعندئذ:

جاشت النفوس بالبكاء.. ولكن

سكنت عندما ذكرن المدينة

كيف لا تسكن النفوس ارتياحا

عند من أنزلت عليه السكينة؟!

جلال العلم

وقد فوجىء الفتى لما أبدى محافظ المدينة رهبته من لقاء الإمام.. وكان ذلك أول درس تلقاه عن كثب.. يؤكد ما قيل بحق:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولأن الفتى حريص على بلوغ أمله.. فقد اقترح على المحافظ استدعاء الإمام.. والذى بدا مستحيلا.. على نحو حصر الأمل فى أن يتفضل مالك ويفتح لهما الباب!!

وفى المواقف الصعبة.. لابد أن يكون للعقل حظه من التأمل. وللقلب نصيبه من الإحساس.. وللروح قسطها من المثل العليا.. وهذا هو الذى كان ولاحظ أن الحاكم لم يجرؤ على الاستئذان ابتداء.. بل (تقدم رجل وقرع الباب).

السكرتيرة المثالية

نسمع اليوم ونقرأ رغبة بعض المؤسسات فى «سكرتيرة» شريطة أن تكون: جميلة. وتحت العشرين!

لكن «سكرتيرة» الإمام هنا (جارية.. سوداء)!

وهى وإن فقدت الإغراء. فإنها لم تحرم الذكاء.. الذى أعانها على إبلاغ رسالة الشيخ.. فى لهجة الآمر.. الحازم.. والذى لا يخضع بالقول.. فيطمع فيه الطامعون!!

إنها «سكرتيرة» عزيزة النفس.. لها مهمة غير الإغراء والإغواء: فلم تكن بحاجة إلى أن تكون مادحة.. أو أن تكون جارحة! وإذا كانت لهجتها صارمة جازمة.. فلم يكن مصدرها القوة.. وإنما مصدرها أن الحق معها.. وأن الذى تخاطبه وإن كان محافظ الإقليم.. ولكن الحق أكبر منه.

الأمراء يرجون العلماء

كرر المحافظ رجاءه أن يعيد الإمام النظر فى قرار عودته صفر اليدين.. لأن المهمة خطيرة..

وإذا كان المحافظ فى الموقف الأضعف.. مع أنه يملك الإقليم ولكن العالم كان أقوى: بما يملكه من إيمان يقله، وثقافة إسلامية تظله وإذا كانوا يقولون:

إن نارا تطفىء نارا.. ومسمارا يُخرج مسمار..

لكن المحافظ لم يستطع بمنصبه أن ينال من العالم.. لماذا؟ لأن العالم هناك فى الأعالى:

إنه يحلق مع «البازى» فى الآفاق..

أما رجل الدنيا فكان: مبعثر الخواطر، مفكك الأواصر.. أمام رهبة العالم.. فلم يكن يملك إلا الرجاء.

ولئن كان من خلف مكتبه الوسيم فى الديوان الفخم يملك «حلو الكلام» و«الفعل المر» إلا أنه هنا لا يملك إلا حلو الكلام.. والأمر بيد الشيخ الذى فرض احترامه على الآخرين.

المفاجأة المذهلة

كان من الممكن أن يرد الشيخ «على» الخطاب.. لا أن يمزق الخطاب.. وأن يرد برفق ولين بدل هذا السلوك المُهين!

ولكنه رمى بالكتاب.. متناسيا مركز الشفيع وأنه حاكم الإقليم.. وإذا كان هناك من يتساهل من العلماء فإن الإمام مالك لم يكن واحدا منهم..

وقد وجد «المحافظ» نفسه فى موقف لا يحسد عليه.. فقرر الإمساك على بقية من عزته.. حيث كان جوابه: السكوت.. فى معركة لا ناقة له فيها ولا جمل.. ولا شاة ولا حمل!

صاحب القضية

ولكن «الشافعى» كان صاحب القضية.. فكان طبعيا أن ينقذ ما يمكن إنقاذه.. فوثب كرمية السهم.. ثم توسل إلى الإمام أن يحقق أمله: فدعا للشيخ أولا: (أصلحك الله). ثم ذكر له شرف نسبه (إنى رجل مُطلبى). ثم ذكر بعد ذلك قصته.

مفتاح الشخصية

ونجح «الفتى» فيما فشل فيه «محافظ الإقليم».. بهذا الالتماس الذى بلغ من الإمام مكامن الإقناع بهذه الكلمات قليلة العدد.. لكنها زاخرة المدد! كلمات: من معدن الحق، خصبة النماء.. قوية الانتماء ولو أنه كان فظا: خشن الكلام.. غليظ القلب، قاسيه، لما حقق هذا الانتصار:

(إن صندوق الحديد فى «المصرف» يوزن بالقناطير.

ولا يستطيع أن يحمله بعير. ولا تحطمه المطارق.

ولا تحرقه النار.. ولكنه على هذا الوفر كله وهذه النعة كلها.. يفتحه مفتاح صغير بمقدار عقدة الإصبع. وربما فتحت بابه كلمة. كلمة سر: ركبت حروفها.. بحيث يغلق الصندوق بها.. ويفتح عليها. .ذلك هو مفتاح شخصية الرجل. فمن الناس من تدخل إلى قلبه بإخافته منك بقوتك. ومنهم من تصل إليه بإثارة شفقته عليك. لضعفك ورقتك أو بإطرائه. حتى يشل الإطراء أعضاءه. ويخدر جسده. أو بإطماعه حتى يتزل لك عن الكثير أملا بما هو أكثر، ومفاتيح أخرى. لا أستطيع إحصاءها.

وليس حتما أن يكون للشخصية مفتاح واحد. بل قد يُحتاج معرفة ما في باطنها إلى سلسلة مربوط فيها عدد من المفاتيح) أ.هـ.

رد الفعل

وقد قالها الفتى كلمة باقية.. فتح بها قلب الإمام «مالك» فماذا فعل؟

سأله أولا عن اسمه.. فوجد في الاسم رائحة الإسلام.. فمال إليه.. ثم وضعه تحت الاختبار وقتا طويلا.. حتى يجيء حكمه صادقا.

فراسة المؤمن

ولقد توسم فيه الإمام الخير.. فوصاه بترك المعاصي حتى يصل بالطاعة إلى ما يرجوه له من كمال.. واتقوا فراسة المؤمن. فإنه ينظر بنور الله.

المقابلة الشخصية

ولأن «الفتى» سوف يأخذ الراية غدا من شيخه.. ليواصل المسير.. فلابد من اختبار يأتي من بعده الحكم على الشافعي.. أو له.. ونجح الفتى في الامتحان.. بمجهوده الشخصي.. وليس بشفاعة أحد..؛ لأن علم محمد ﷺ لا ينال بالشفاعة.. أو كما قال الإمام!

شباب.. وشباب

وإذا كان هناك من الشباب اليوم من تجرحه هبة النسيم.. ولمس الحرير يدمي بنانه.. فقد كان الشافعي فوق هذا المستوى فارقا بين فريق نجا من الخطر.. وفريق غريق في أمانيه:

شــباب قُنّع لا خــيـر فـيـهم
وبورك في الشـباب الطامحينا

لقد كان موقف الفتى يضج بالشجاعة الأدبية.. ولكن الشافعي كان أشجع منه!

ولاحظ أن الإمام.. لم يعجبه من الفتى مجرد حفظ كتابه.. وإنما الذي لفت نظر الأستاذ من تلميذه هو: حسن أدائه.. والذي يعبر عن فطرة صالحة لتحمل المسئولية العلمية من بعد.

أدب التلميذ

لم يواصل التلميذ القراءة في «الموطأ» خشية أن يملّ الشيخ.. ولكن الشيخ -إعجابا به- كان يقول له: (يا فتى: زد..)

ولكن هذا التواضع وهذا الأدب.. لم يمنع الشافعي من أن يكون شخصية مستقلة.. صالحة من بعد لملء الفراغ الناشيء بوفاة الشيخ.

ولم يكن عند الشيخ -بنفس القوة- مانع من أن يثبت التلميذ استقلاله. فالأستاذ الحق هو من يخلف من ورائه رجالا.. ذوي شخصيات مستقلة.. قادرة على قيادة القافلة إلى التي هي أقوم: أما الأساتذة الراغبون في السيطرة والتفرد. ولو على حساب تلاميذهم.. فليسوا من الريادة في شيء.

ذكروا أن تلميذا كان يحضر مجالس شيخه العلمية.. وذات يوم انصرف التلميذ إلى شيخ آخر.. في نفس المسجد.. فلما عاتب الشيخ تلميذه على هذا الانقلاب.. قال له التلميذ: أنت تنقل إلينا النصوص من الكتب.. ثم لا تقول لنا رأيك فيها.. وقد نستطيع أن نقرأ هذه النصوص.. كما قرأتها.. وفي مصادرها.

وكلنا نرجو منك أن تقول لنا رأيك في هذه النصوص. ولكنك لم تفعل.. فكان ما رأيت!

التلميذ.. الدءوب

قال محمد -ابن أخت الشافعي- عن أمه قالت: ربما قدمنا -وفي ليلة واحدة- قدمنا المصباح ثلاثين مرة بين يدي الشافعي وكان يستلقي. ويتذكر. ثم ينادي: يا جارية: هلمي مصباحا.. فتقدمه، ثم يكتب ما يكتب. ثم يقول لها: ارفعيه.

وقد قيل للإمام أحمد يوما: لم أمر بردّ المصباح؟ فقال: الظلمة أجلى للقلب!

وهكذا كانت البركة في البيوت بتقوى شبابها. وعلمهم أيضا.

إنا إذا اشـــتـد الزمـــــا
ن.. ونــاب خــطــبٌ وادلــهــمّ
ألفـــيت حـــول بيـــوتنا
عُــدد الشـــجـــاعـــة والكرم

تجريح الرموز إضعاف للإسلام

وقد كان الشافعي ذلك التلميذ الوفي: الوفي للدعوة أولًا: ذلك بأنه لم يبادر بمهاجمة الإمام.. لما رفض الوساطة.. وكان من الممكن أن يقول فيه ما قال مالك في الخمر! لكنه احترم رمزا من رموز الإسلام..، لأن هجومه عليه يعني نزيفا في جسم الإسلام.. إن تجريح الرموز إضعاف للإسلام.. بالنيل من جنوده الذين يدافعون عن بيضته..

وإذا كان الإسلام محروسا بهذه الرموز التي ترد عنه كيد الكائدين.. فإن الإفادة من الشباب مهم بنفس الدرجة.. حتى تتم كلمة ربك صدقا وعدلا.. وهذا ما فعله الإمام.. والذي أكد بتصرفه حاجة الأمة إلى شيوخها.. وبنفس القوة حاجتها إلى شبابها.. وإلا.. فإن اختلافهما مبدد طاقاتها.. على نحو يسرّ أعداءها.

والمفروض علينا هو أن نغيظ أعداءنا بشفقة الكبار على الصغار.. ثم باحترام هؤلاء الصغار.. لأولئكم الكبار!

أريحية الحاكم

وإذ يتراجع المحافظ.. فتغيب عنا صورته.. فإن له في قلوبنا مكانا مكينا..

وإذا كان من مصلحة الدعوة هذا الوفاق بين الرفاق.. شيوخا وشبابا.. فإن من مصلحتها هذا الوفاق بين الأمراء من جهة.. والعلماء من جهة أخرى.

لقد استقبل المحافظ الفتى وأفسح له من مكتبه.. بل من صدره.. فحقق أمله في الحصول على توصية تمكن له في الأرض. عونا له على أداء رسالته.

وهذا ما فعله «والي» مكة.. والذي شغله الشباب بما يفيد.. فلم يتبق لديه وقت للغضب.. أو سوء الأدب.

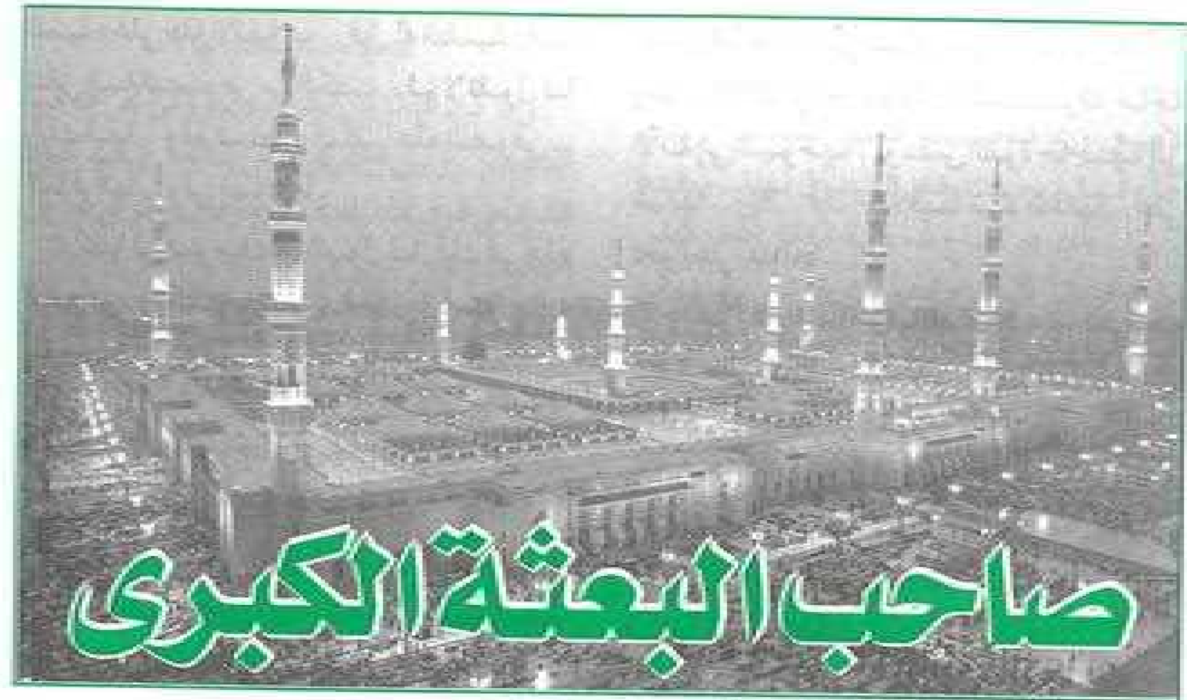
ولم يكن أجمل من حاكم مكة في أريحيته وحكمته إلا حاكم المدينة.. الذي لاقى الأمرّين في سبيل الفتى الداعية..

إن في ذلك لعبرة تؤكد لنا كم نكون سعداء بهذا الإخاء وهذا التعاون.

بين طلاب العلم.. وأساتذته

ثم بين هؤلاء العلماء.. والأمراء..

وعندما يتحقق ذلك الإخاء.. فذلكم هو الرخاء.



صاحب البعثة الكبرى

للشاعر العراقى الأستاذ/ محمد بهجة الأثرى

(إلى القطيع المشرد التائه، المتمدن الوحشى، السابح فى الدماء...)

خلت الدهور وأنت الأوحد   ذكرى مقدسة ومجد سرمد!
تتضاءل العظماء عندك والكنى   وتحط شاهقة ويصغر سؤدد
كالطود تضرب فى السماء شعافه   وعلى قواعده المنازل ترقد!
قدس النبوة من يطاول سمكه   أو من يروم سماءه أو يصعد؟
هى مظهر لله جل جلاله   لم يعطها غاو ولا متمرد
قد كنت صفوة خلقه فحباكها   شرفا. فأنت المصطفى المتفرد
وقف الفلاسفة الكبار تخشعا   من دون بابك ظامئين ليجتدوا
رادوا الينابيع التى فجرتها   ماء وظلا باردا واستوردوا
ما كل ماء كالفرات مذاقه   كلا، ولا كل المراعى يحمد
كم من زعامة سيد محصتها   فأتى عليها النقد لا تتجلد
يبنون مجدهم على قهر الورى   والمجد يبرأ منهم والسؤدد!
الفتح عندهم هوى وتعسف   وممالك تهوى وأخرى تخمد
أسراء أهواء النفوس فحمدهم   يوم، وأما ذمهم فمؤبد
لم يظهروا إلا ليخفوا مثلما   تبدوا فقاقيع السيول وتهمد
وظهرت مثل الشمس إلا أنها   تخفى ونورك فى الخليقة سرمد!
وبنيت بالحق المبين فلا هوى   يطغى عليك ولا منى تترصد
الفتح عندك شرعة وعقيدة   وأخوة وتراحم وتودد
دستورك الفرقان: أما وعظه   فهدى، وأما حكمه فممدد
عال على الأهواء لا متملق   أحدا ولا متعسف يتمرد!
كالسرحة الغيناء غصن مثمر   وخميلة تندى وظل أبرد!
تأسو جراح الخلق بالخلق الذى   تروى القلوب به وتشفى الأكبد
ولك السماحة والسجاحة والندى   وهدى النبوة والفعال الأرشد
نسق من الخلق العظيم كأنه   فلق الصباح وحسنه المتوقد
تدعو إلى أدب الحياة وعلمها   وتنير دونهما السبيل وترشد
تسع الأنام جميعهم لك ملة   غراء تهدى العالمين وتسعد
أزلية أبدية لا نورها   يخبو ولا إشعاعها يتربد!
يزكو عليها الروح فهو منزه   عما يشين وجوهر يتوقد
الوحى أس بنائها العالى الذرا   والحق حائط ركنها والمحتد
والفتح والعمران من آرابها   والعدل والعيش الرخى الأرغد
دنيا أقمت على العقيدة ركنها   ومن العقائد ما يشيد ويخلد
هى هيكل فان، فإن حلت به   رقت بها الحوباء وهى ترأد
ينبوعها التوحيد: مشرع مائه   للواردين، ونبعه لا ينفد
جم الأيادى فالأنام بخيره   وبخصبه متقلبون وهم يد
ما الناس - لولا البغى - إلا أمة   والدين - لولا الجهل - إلا أوحد

ما أحسن التوحيد يجمع شملهم   فيعود وهو منظم وموحد!
بسناه أخرجت الشعوب من العمى   وهديتها للنهج وهو معبد
فاستؤصلت فوضى وقامت دولة   وخبت هياكل واستنار المسجد
ومشت على يبس الصعيد حضارة   باليمن تشرق والهناءة ترغد
إن الجمال خفية وجلية   إكسيرها وشعاعها المتجسد!

***

بعدا لمفتونين لم يعرف لهم   رأي يجل ولا مقال يحمد
نفوا الرسالة وارتأوها دعوة   زمنية أفلت وليس لها غد
خصت بجيل قد مضى، وبحقبة   طويت، وأمر رث لا يتأبد
خسئوا. فما عرف الحقائق ماجن   خلع العذار، ولا غبي ملحد
البعثة الكبرى حياة للورى   أبد الزمان ونعمة تتجدد
عمت ولكن قد خصصت بفضلها   يا آخرا هو أول متفرد!
إن الألى زعموك سيد قومه   كذبوا. فإنك للبرية سيد!
شمس، وهل تختص ناحية بها   وشعاعها في كل أفق عسجد؟!
المرسلون، وأنت درة عقدهم   ختموا بسرك في الزمان ومجدوا
أيدت دعوتهم وصنت جلالهم   فأريتنا كيف الإخاء يوطد!
يا رائد الإصلاح يلتمس الهدى   هذى متابعة، وهذا المورد!

***

ومن العجائب معشر أنجبتهم   تبعوا بدينك في العلى واستمجدوا
من بعد رعي الشاء قد رعوا الملا   فانصاع جبار، ودان مسود!
أطلعتهم غررا بآفاق العلى   يمشي بنورهم الزمان ويسند
تتخايل الدنيا بعزة ملكهم   وتكاد من فرح بهم تتميد!
من معجزات الدين في أخلاقهم   خصوا بصنع المعجزات وأفردوا
من كل وضاح الجبين كأنه   ينشق في الظلماء عنه الفرقد
جم الجلال تكاد تستذري به   شم الجبال وتتقيه المزبد

يمشي بهم للفتح يحدو شوقهم   دين يثوب لآيه المتشدد
أذكى عزائمهم وأورى زندهم   فاستفتحوا سرر البلاد وأبعدوا
نظموا الممالك بين قطبيها، ولو   وجدوا وراء البحر أرضا أوردوا
في حقبة قصرت كأن زمانها   يوم الوصال وحسنه المتورد!
حفلت بآيات الجلال زواهرا   يفتن فيها الناظر المتصعد

***

تلك الحضارة لا مظاهر زخرف   تغري وباطنها العذاب الأسود!
نار ولا نور، وطغيان ولا   زجر، وأهواء ولا مسترشد!

***

يا رب أهل الغرب جن جنونهم   وطغى القوي على الضعيف يعربد
الأرض نار، والسماء جهنم   والبحر بركان يثور ويزبد
لم يبق شبر لم يصب بمجازر   أو لا يراع بمثلها ويهدد
عز السلام وأنذرت غاراتهم   أن القيامة حان منها موعد!
يا رب! والقوم الهداة تعسفوا   سبل العماية خلفهم وتوردوا
هجروا سبيلك طالبين نفوسهم   فتفككت أوصالهم فاستعبدوا
سلب الطغام ديارهم وتأسدوا   وبغى اللئام جلاءهم وتوعدوا
وهم شتات: دينهم متفرق   سبلا ودنياهم شقاء أنكد
شيع تطاعن بينها ومذاهب   شتى وأحوال تقيم وتقعد
قوم وراء الغرب في آثامه   ركضوا خيول الموبقات وأطردوا
ومصرعون من الضلال كأنما   أوهامهم سم يدب ومرقد
هي أزمة يا رب لطفك وحده   يرجى لها فلعل لطفك ينجد
النور أطفئ والزعامة أخفقت   والبغي طبق والقطيع مشرد
يا رب! فليطلع (كتابك) بالهدى   يا رب! وليقم النبي (محمد)

***

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

مجلى شمائله ﷺ

٢

كنا على موعد لتشرح حديث أنس ابن مالك - رضى الله عنه - الذى يصف فيه رسول الله ﷺ ويقول: «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط»[١] أو كما قال. واليوم يوم وفاء. بإذن الله. فاستعين بالله تعالى. وإن لم أكن لذلك أهلاً. وأبسط قول العلماء فيه، وأوضح بعض معانيه بما يستجلى شمائله ﷺ فأكون سبباً فى غرس بذرة حبه فى قلبك. وإذا أردت الدقة فقل: نتعاهد سوياً بذرة حبه ﷺ، لأنها موجودة فى سويداء قلب كل مسلم. ترويها أنت بكثرة الصلاة والتسليم عليه وعلى آله وصحبه ونسير الهوينى نترسم سنته وهديه وشريعته دون مغالاة أو انفعال أو تشدد متبعين قوله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، وما شاد الدين أحد إلا غلبه»[٢]

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

قال أنس بن مالك -رضى الله عنه- : «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن»: يعنى هو فى عداد الطوال لكن طوله ليس مفرطاً مخلاً مزرياً، «ولا بالقصير..» «الذى تقتحمه النظرة السريعة، إنما هو التوسط والاعتدال حتى فى الخلقة، وفى رواية لابن عساكر ترى فيها الإعجاز الإلهى واضحا جلياً يقول: لم يكن يماشيه أحد من الناس إلا طاله ﷺ - يعنى لم يمش معه أحد وإن كان طويلاً إلا ساواه أو زاد عليه فى الطول، ولربما اكتنفه الرجلان - أى مشى بينهما - فيطولهما فإذا فارقاه نسب إلى الربعة- يعنى وُصف بأنه متوسط -. فهذا من الإعجاز الجميل فى الخلقة، كما أنه إذا جلس كان كتفه أعلى من الجالسين معه، قال: ولعل السر فى ذلك أنه لا يتطاول عليه أحد فهو عالى القدر رفيع الشأن حساً ومعنى، «ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم»، فهو يميل إلى البياض المشرب بحمرة المحبب إلى النفس، كما أنه ﷺ ليس بالآدم، -شديد السمرة- إنما هو كمال الاعتدال فى اللون والبدن «ولا بالجعد القطط» الخشن المتكسر - «ولا بالسبط» شديد النعومة - والمقصود أن شعره فيه جمال الرجولة وحلاوتها، إنما هو كمال وجمال واعتدال فى كل شيء فى الخلقة والخلق.

وتصف رسول الله ﷺ أم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنها - فتقول: «كان إذا تكلم كأنما حبات لؤلؤ يتحدرن، إذ أراد العاد أن يعدهن لعدهن» أو كما قالت: يعنى إذا أراد السامع، أن يحصى كلماته لأمكنه ذلك، لأنه كان يتأنى فى كلامه، كما أن مخارج ألفاظه واضحة وحروف الكلمات متقنة، فذلك يريح السامع فلو أراد أن يحصر كلماته لاستطاع أن يعدهن، وذلك لحلاوة منطقه ﷺ وتأنيه ووضوح مخارج حروفه، نسأل الله أن يمن علينا بذلك، آمين.

قال صاحبى فى انبهار واضح وانشراح صدر: زدنى جزاك الله خيراً، فأنا أستطيع الآن أن أقول لك إننى أزددت حباً واعياً لهذه الرجولة المعجزة الجميلة فيه ﷺ.

قلت لصاحبى: ما دمت قد طلبت الزيادة فلعلى أجدها لك فى وصف (أم معبد) وأظن أنك تعرف من هى أم معبد؟، وإن لم تكن تعرف فهاك حديثها أرويه لك وأرجو أن تحرص عليه وتعض عليه بالنواجذ لأسباب كثيرة منها:

- أولاً: أنه سنة رسولك ونبيك، فهو وصف له ﷺ إذن فهو حديث.
- ثانياً: لأنه وصف من امرأة لم تكن دخلت فى الإسلام بعد، فهو بعيد كل البعد عن المجاملة والمحاباة، قريب كل القرب من الصدق، لأنه تلقائى لأول وهلة من أول لقاء وانطباع فطرى أخاذ.
- ثالثاً: لأنه تاريخ حدث فى أيام مجيدة مُشْرِقَة مُشْرِقَة.
- رابعاً: إن شعوباً كثيرة اليوم لا تملك مثل تراثك ولا تستطيع أن تطاول تاريخك وهى تعربد وتزعم أن لها حضارة وتزيف لها تاريخاً.

وأولاً وأخيراً أننا نحكى الصدق كله والإعجاز كله والكمال كله، ليهتدى أى صاحب فطرة سوية باحث عن الحق والهدى، لم تبلغه الدعوة فى الشرق أو فى الغرب، فينجذب لهذه الأوصاف.

أستطيع بعد ذلك أن أقول لك إن حادثة (أم معبد) أو حديث (أم معبد) كان أثناء هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة وقبيل نهاية الرحلة الشاقة المضنية وقد كلت الرواحل وأجهدها طول السير ونفذ زاد المسافرين فلم يعد طعام ولا ماء - ولم يبق إلا الله وكفى به حارساً ومعيناً وهادياً - ولم يكن فى الطريق الموحش الخشن إلا خيمة فيها عجوز ليس عندها طعام ولا ماء، تلك هى (أم معبد)، ودار الحوار التالى بينها وبين رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ

(١) البخارى ج٤ / ٢٢٨، ج٧ / ٢٠٧.

(٢) سنن البيهقى الكبرى ج٣ / ١٨، ١٩.

يخاطب (أم معبد): «هل عندك من طعام تشتريه؟».

●● (أم معبد): لو كان عندنا ما أحوجناكم إلى شراء. (تأمل السجايا العربية النبيلة والخلق الرفيع الفطرى الذى تحول على أيدينا إلى شره، وأنانية وخسة وجشع متوحش، أنّ الوطنُ من وطأته فما عادت لنا أوطان، فقد بعناها بأبخس الأثمان لمن لا يستحقون حتى المشى على ثراها الطيب الطاهر).

● رسول الله ﷺ نظر فوجد شاة، فقال يستأذن: «هل تأذنين لى فى حلبها؟».

●● (أم معبد): دونك إن وجدت فيها حلباً، قد خلفها الجهد ولم يطرقها فحل، وقدّمت الشاة وكأنها تقدم دليل صدقها.

● رسول الله ﷺ يمسك بالشاة ويمسح على ظهرها وضرعها فباعدت بين رجليها الخلفيتين وامتلأ ضرعها باللبن، وطلب رسول الله ﷺ إناءً فحلب فيه ما يُشبع الرهط وأبى أن يشرب هو أولاً بل كان آخر الشاربين، حتى يُعلم أمته أصول الزعامة الحقيقية، فليست الزعامة استئثاراً بالخير واحتكاراً للتميز، وإنما فى شريعته ﷺ إيثار ورعاية وحدب على الرعية، ثم قال ﷺ: «ساقى القوم آخرهم شراباً»[٣] وترك الإناء مملوءاً.

● وعاد زوج (أم معبد) ورأى اللبن فعجب وقال يسأل عن مصدر اللبن: يا (أم معبد) من أين لك هذا اللبن ولا حلوب فى البيت؟

فكان هذا الوصف الدقيق الأمين لرسول الله ﷺ:

●● أجابت (أم معبد) زوجها فقالت: مر بنا رجل مبارك.

● (أبو معبد): صفيه (وكأن أم معبد وجدتها فرصة سانحة لتحكى شدة إعجابها بمَجْلَى شمائله[٤] ﷺ.

●● (أم معبد): رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه (يعنى مشرق الوجه) حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (الثجلة: كبر البطن) ولم تزريه صعلة (لم تنقص من روعته صغر الرأس ونحول البدن، يعنى ليس ذا كرش منتفخ البطن، ولا نحيلاً نحولاً معيباً) وسيماً قسيماً، فى عينيه دعج: (شديد سواد العين)، وفى أشفاره وطف (يعنى فى رموش عينيه طول وإنحناء إلى أعلى)، وفى صوته صحل، أو قالت صهل (أى فى صوته بحة، يعنى ليس حاد الصوت مزعجاً منفراً).

كم تأملت هذه المرأة العجوز!، وكم أحصت جوانب الحسن فيه ﷺ، لقد شغلها بحسن طلعته وبهائه عن كل شىء حتى كأنها تفرغت للتأمل فيه وتتبع منابع الجمال والجلال والوقار والرجولة وروعة قيادته لمن معه حتى أنهم أصبحوا

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى ج٦/ ١٧٦.

(٤) مجلى: هو الوضع الذى يتجلى فيه الأمر من الأمور على غاية الوضوح وتمام الجلاء، والشمائل: جمع شمال، وهو الخلق الذى أخذ الإنسان نفسه به من شريف الأدب حتى صار كالخلقة فيه.

أسرى أمره وطوع يديه. وواصلت قولها أو إعجابها قائلة: وفى عنقه سطع: (أى نور)، وفى لحيته كثاثة، أزج أقرن: (يعنى حاجبيه مستويان متساويان متصلان مما يزيد العيون حلاوة ويضفى على الوجه جمالاً) شديد سواد الشعر.

قال صاحبى متسائلاً متعجباً: هل كان مع (أم معبد) كاميرات أو آلات تصوير دقيقة صورت كل ذلك فى إتقان وتلوين فائق الدقة والروعة؟

قلت لصاحبى: ليس هذا فقط، فلم ينته حديثها عند هذا الحد، بل تخطته فى ثبات وإعجاب لتصف شخصيته بين صحبه ومدى تعلقهم به فقالت: إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما به (علا وارتفع من السمو والرفعة) علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد.

كم تأملته ﷺ هذه العجوز وكم أسرتها هذه الشخصية العظيمة الخُلُق والخِلْقة؟- وأحسنهم من قريب، حلو المنطق فصل لا نذر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، ربعة لا تشنؤه[٥] (أى لا تبغضه من طول أى من فرط طول يعنى أنه طويل ولكن طوله محبب) ولا تقتحمه عين من قصر (يعنى لا تتجاوزه عين وتتجه إلى غيره لشدة قصره).

لم تكتف (أم معبد) بتصويره ﷺ والتأمل فى ملامحه الشخصية وجماله وروعته، بل تجاوزت ذلك إلى الحديث عنه مع رفقته وأن حسنه تعدى ذاته الشريفة حتى فاض على من معه، يا لها من امرأة فذة عبقرية لماحة دقيقة الملاحظة والتعبير، فها هى تصف حسنه الذى فاض على من معه كأنه نهر يروى الربوع حوله فتهتز وتربو ينّبت فيها الحسن ويفيض فيها الجمال، أو هو نهر خير وبر فاض على الإنسانية لو أنها اقتدت به وتمثلت خلقه وصفاته، وهيهات هيهات، وصدق القائل:

إنما مثلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الماء

تقول (أم معبد) تصف هذا الفيض الغامر منه، فلم يبخل على رفقائه، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، لم تكتف بهذا بل تخطت جانب الجمال الحسى الأخاذ وقفزت برقة ورشاقة إلى جانب الشخصية المبهرة وأثره فيمن حوله، فقالت: له رفقاء يحفون به، هل قالت يحيطون به؟ لا، لأنهم لا يلتفون حوله ويتحلقون، إنما قصدت الحفاوة والتبجيل والاحترام، فهى جمعت بين تحوطه والاجتماع حوله مع الحفاوة والتقدير له ﷺ كل ذلك لم يكسر حاجز المكانة والمهابة، فإن كثرة الاختلاط قد تؤدى إلى رفع الكلفة، لكنها عبرت عن كل ذلك بقولها: إن قال (إذا تكلم) أنصتوا

(٥) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣) يعنى أن كارهك هو مقطوع الأثر، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (المائدة:٨)

لقوله، وإن أمر ابتدروا إلى أمره: (يعنى تسابقوا فى تنفيذ الأمر، أيهم يسبق فينال شرف المبادرة)، ثم قالت: محفود محشود، ثم تمادت العبقرية الفطرية عند (أم معبد) حتى علت فوق القمة فبادرت إلى أن هذه المهابة التى جعلت رفقاءه ينصتون إليه إذا تكلم ويتسابقون لتنفيذ أمره، لم يكن ذلك لخوف تسلط على قلوبهم، ولا نتيجة لصرامة وعنف بدت فى أوامر كأنهم جند يأتمرون فى ساحة حرب فى التقاليد العسكرية تحول دون التأخر والإبطاء فى تنفيذ الأمر (تعدت كل ذلك فى كلمات قليلة) وإنما الدافع هو الحب والتعلق، فقالت: لا عابس ولا مُفَنَّد (يعنى لا مكفهر غاضب يخافون تسلطه، ولا يكثر اللوم والعتاب فيتوجسون من لومه وعتابه [٦]، لك الله يا أم معبد، فلا نقول أنك أطلت الوصف والتعريف، فأنت لم تبلغى بما قلت إلا عند حكاية ما بدى لعينيك.

● وبعد ما رأى وسمع زوجها منها قال لها: «ما أظنه إلا صاحب قريش الذى يتحدثون عنه»

هكذا قال رغم أن كفار قريش لم يتركوا عيباً إلا ادعوه على محمد ، لكن النار، -نار الحقد- لا تزد الذهب إلا ضياءاً وتوهجاً، ويصدق قول الله تعالى:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾

(الرعد:١٧)

وصدق ظن الرجل، فكان هو الأمين محمد ﷺ.

تروى كتب السيرة أن آل معبد كانوا يؤرخون من ذلك اليوم، يقولون فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك أو بعد أن جاءنا الرجل المبارك، كما يروى أن أم معبد أتت المدينة (المنورة) بعد ذلك بما شاء الله ومعها ابن صغير قد بلغ السعى فمر على مسجد رسول الله ﷺ والنبى يكلم الناس على المنبر، فانطلق الصبى - إلى أمه يشتد - يسرع، فقال: يا أماه رأيت اليوم الرجل المبارك، فقالت: ويحك إنه رسول الله ﷺ [٧].

قال صاحبى فى شوق وفرح ولهان: إنه وصف رائع حقاً، لماذا لا تنشره حتى يعرفه المسلمون؟

قلت مصوباً: إنه وصف صادق أولاً وقبل كل شىء، أما عن النشر فها أنا ذا أفعل، ومن خلال مجلة (الأزهر الشريف)، وقد دونته كتب السيرة والحديث أثناء تعرضها للهجرة، لكن ما نقوله ليس هو البضاعة الرائجة فى هذه الأيام، إنما الرواج لأشياء أخرى استحى من ذكرها وربما تعرفها أنت.

(٦) انظر السيرة الحلبية جـ١ ص٤٤١، مطبعة الحلبي بمصر، رجب ١٣٤٩هـ.

(٧) ويحك كلمة زجر، وقولها: «إنه رسول الله» لأن الله أكرمها بالإسلام، فلم يعد وصف الرجل المبارك يليق به ﷺ. انظر الإصابة.

ثم قلت: تعال إلى جانب آخر من جوانب شخصيته ﷺ، تعال إلى الرفق كله، وإلى التعليم كله، وإلى الحلم كله، لتعرف رسالة الإسلام وبعض السجايا والأخلاق والشمائل المحمدية، بل ليعرف العالم بأسره حتى لا يتطاول السفهاء.

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن معاوية بن الحكم - وكان حديث عهد بالإسلام لم يعرف شرائع الإسلام كلها - قال: «بينما أنا مع رسول الله ﷺ فى الصلاة إذ عطس رجل فقلت: يرحمك الله، فحدقنى القوم بأبصارهم، قال: فقلت: يرحمك الله، فحدقنى القوم بأبصارهم، قال: قلت واثكل أماه، ما لهم ينظرون إلىّ؟ قال: فضرب القوم بأيديهم أفخاذهم، فلما رأيتهم يُسكتوننى سكت، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته (يعنى أنه لما قال للرجل الذى عطس يرحمك الله ونظروا إليه لم يفهم مغزى نظرهم أولاً، أو لم يبال له فقال ثانياً يرحمك الله، فنظروا إليه ثانياً، فأدرك مغزى نظرهم، لكنه تكلم وقال: «واثكل أماه» فكان كلامه أشد قبحاً وخروجاً عن الصلاة مما جعل المصلين يضربون أفخاذهم بأيديهم، عند ذلك أدرك أنهم استقبحوا فعله ويطلبون منه السكوت فسكت، ومن نظراتهم وضربهم أفخاذهم بأيديهم وكراهيتهم لتصرفه، توقع بعد سلام رسول الله ﷺ أن يكون عقابه أشد وتعنيفه أقسى وعقوبته مؤلمة)، يقول ابن الحكم: فلما سلم رسول الله ﷺ دعانى - وتأهب لتلقى العقوبة لكن توقعه لم يكن في محله، حيث كانت معاملة النبى ﷺ وتعليمه فوق ما كان يتوقع وأسمى مما كان يحلم به - يقول: فبأبى هو وأمى ما رأيت قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه!!! والله ما ضربنى ولا سبنى ولا نهرنى، وهكذا تهيأ ابن الحكم لسماع ما يقوله النبى ﷺ وأفرغ قلبه من كل الشواغل، فأفاض عليه رسول الله ﷺ بما يجب أن يكون عليه الإنسان بعد الدخول فى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «إن صلاتك هذه لا يصلح فيها شىء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

صدقت يا ابن الحكم والله، لا أنت ولا أنا رأينا قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ﷺ.

ثم قلت لصاحبى: اسمح لى أن أقول لك إننى لا أحكى لك ذلك للتسلية ولا لتزجية الفراغ، لكن أرجو لك اتباعاً رشيداً وتأسياً حميداً وحباً لجنابه العظيم تكون به فى صحبته فى الجنة -بإذن الله تعالى-.

آمين.. آمين.. آمين.

❋❋❋

خطبة الجمعة

الدين الإسلامي وحاجة الإنسانية إليه

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فإن جميع النبوات قبل الرسالة الخاتمة كانت نبوات محلية محدودة الزمان والمكان تستغرق جزءا من الزمن لا تتجاوزه وجزءا من الوقت لا تتعداه، يستوي في ذلك المرسلون كلهم بدءا من نوح - عليه السلام - إلى عيسى - عليه السلام.

يقول الله تعالى في رسالة نوح:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (نوح: ١، ٢)

ويقول في رسالة عيسى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الصف: ٦)

وفي إنجيل متى: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[1]

أما الرسالة الخاتمة فجاءت على غير ذلك، خالفت جميع الرسالات السابقة من ناحية الأبعاد الثلاثة: طولا وعرضا وعمقا..

● طولاً: استغرقت الزمن كله إلى قيام الساعة.

● عرضاً: استغرقت البشر جميعا في المعمور من أرض الله.

● عمقاً: تناولت ما يحتاج إليه البشر من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، ووضعت القواعد العامة والمبادىء المنيرة التي توجه الناس إلى ما يضمن لهم الصالح في معاشهم ومعادهم على سواء.

رسالة لا معقب عليها

وبذلك أصبحت هذه الرسالة لا معقب عليها وأصبح نبيها صلى الله عليه وسلم مسك الختام، فلا وحي بعد ذلك ولن يجيىء من عند الله هدى جديد يحمله بشر آخر.. كان الناس قبل محمد صلى الله عليه وسلم يشبهون الغلام الذي يعيش مع أبيه فهو يأخذ بيده ويمضي به في الطرق حتى إذا بدأ الغلام يكبر قال له أبوه: لست باستمرار معك ادرس هذه الخريطة فإن لك عقلا تستطيع أن تعيش به وأن تتعرف به الطرق وأن تدرى به المزالق التي تتلفك والمصالح التي تجديك، خذ هذه الخريطة وامض بها!! كذلك صنع الله للعالم مع النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم كان جل جلاله يستطيع أن يبعث في كل قرية مرسلا، وماذا يكلفه هذا؟ لا يكلفه شيئا:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥١)

لكنه جل جلاله لم يشأ واكتفى بأن أرسل النبي الذي رسم الخريطة للعالم بعد ما كبر وقال له: هذا الوحي بيدك مصباح يلقي بضوئه على الطريق فتنتفع به وتعرف كيف تضع قدمك في حاضرك ومستقبلك.

الإسلام دين السموات والأرض

وهكذا من أربعة عشر قرنا إلى الآن لم يجيء كتاب ولن يجيىء كتاب، ولم يبعث نبي، ولن يبعث نبي، اكتفت الحكمة العليا بهذا القرآن الكريم مع النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

ولما كان الإسلام دين الإنسانية منذ بدأت - بمعنى أن العقائد الركينة فيه هي ما بعث به المرسلون السابقون - فإن الإسلام بوصفه الجديد يعتبر دين السموات والأرض، دين الأزل والأبد، وليس وراء ذلك شيء له قيمة:

﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (يونس: ٣٢)

ولأن هذا الدين ساوى الإنسانية كلها فهو كون آخر يضارع ويساوي الملكوت الكبير الذي تعيش الدنيا تحت سمائه وفوق أرضه، ولذلك جاءت ثلاثة أقسام في القرآن الكريم، كل قسم يوجه النظر إلى عظمة هذا القرآن تنبيها إلى عظمة النبي الذي بلغه وإلى ضخامة الرسالة التي ورثنا إياها.

قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (78) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الواقعة: ٧٥-٨٠)

مواقع النجوم: محطاتها في مدارات الفلك الواسع.

والوحدة التي يقيس بها علماء الفلك سير

---

(١) إنجيل متى الإصحاح الخامس عشر.

الكواكب فى هذا الكون الضخم وحدة مذهلة، فإن السنة الضوئية تعنى المسافة التى يسيرها الضوء فى سنة والضوء يقطع فى الثانية (١٨٦ ألف ميل) أو (٣٠٠ ألف كيلو متر) (٢).

الرسالة الخاتمة كتاب ممتد

ولذلك كان الكلام للعرب الأميين:

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة: ٧٦)

وكيف يعلمون وهم يومئذ لا يعرفون المراصد ولا يعرفون الأبعاد الشاسعة التى تنتقل فيها الكواكب ولكن وجه نظرهم إلى أن هذه الكواكب ومن فيها من أفلاك وهذه الأرض وما عليها من جن وإنس يجب أن يعنو لله وجهه وأن ينحنى له صلبه وأن يخضع لأمر ربه وأن يستكين لحكمه وأن ينفذ تعليماته:

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٣)

● القسم الثانى: قسم بالمرئى وغير المرئى بالمبصرات وما يعجز البصر العادى عن إدراكه:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحاقة: ٣٨-٤٣)

● والقسم الثالث: قسم بالكواكب وهى تذهب وتجيء فى الفلك الرحب:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ (التكوير: ١٥-٢٢)

سمى الله ذهابها وعودتها انخناساً وكنساً.. تنخنس: تعود. تكنس: تدخل فى فلكها الذى تدور فيه.

عسعس: رق ظلامه وبدأ يختفى.

هذه الأقسام فى القرآن الكريم تعطى لمحة عن عظمة هذا الكتاب لكن لكى تنكشف الحقائق فى هذه اللمحة ينبغى أن نقول: إنه مادامت الرسالة الخاتمة أيدت بهذا الكتاب المعجز فلابد أن يكون هذا الكتاب ممتدا - كما قلت - مع الأعصار المختلفة ومعنى هذا: أن المعجزات القديمة الحسية كان ينتفع بها من رأوها فالذين رأوا عصا موسى تتحول إلى ثعبان واضح وتلتقط ألاعيب السحرة يمكنهم أن يؤمنوا بل يجب أن يؤمنوا لأنهم رأوا بأعينهم كيف تلتقط العصا ألاعيب السحرة، أو كيف تضرب الحجر فينبجس منه الماء أو كيف تضرب البحر فيتحول إلى شاطئين بينهما طريق يبس إلى آخر ما زود الله به موسى أو ما زود به الأنبياء الآخرين.

(٢) أى أنه يقطع فى الدقيقة (١١ مليوناً و١٦٠ ألف ميل) وفى السنة الواحدة من سنيننا يقطع (ستة ملايين مليون ميل أو ستة آلاف مليار ميل تقريبا) وهذه المسافة هى التى اصطلحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليعبروا بها عن أبعاد السماء الهائلة، فمتى قيل لنا إن نجماً يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل!!

القرآن محق الباطل

طبيعة هذه المعجزات أنها تبعث الإيمان فى قلب من شاهدها، لكن المعجزة الجديدة مكلفة بأن تبعث الإيمان فى قلوب الناس إلى قيام الساعة، ومن هنا كان القرآن الكريم قديرا على محق الباطل ودمغه وعلى إعلاء الحق وإبرازه، كان القرآن الكريم قديرا على حث العقل البشرى كى يؤدى وظيفته ويعمل فكره فى استبانة هذه الحقائق التى تعرض:

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (الرعد: ١٦)

هذه آية نزلت من أربعة عشر قرنا، لكنها تخاطب العقل الإنسانى فى هذا القرن: أين الآلهة التى خلقت مع الله؟ أين الآلهة التى رزقت مع الله؟ أين هى: لا وجود لها:

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

عندما اقترح الكفار قديما معجزات لكى يؤمنوا قيل لهم: لن تجابوا:

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٠-٩٣)

لماذا ينتظر البشر على ظهر الأرض أن تنزل ملائكة من السماء لتشق لهم قناة أو تجرى لهم نهرا؟ وما عملهم إذن على ظهر الأرض؟ وهل زودهم الله بالعقل والمواهب وكرمهم على سائر الخلق إلا ليفجروا طاقتهم البشرية فى صنع هذه القنوات وفى غرس هذه الحدائق وفى استنبات التربة حتى تخرج البساتين وتخرج الزروع والثمار؟

هذا الدين جاء - كما قلت - ليقول للبشر: لستم فى وصاية أحد، ما تحتاجون - كما يحتاج الصبى - إلى ولى أمر يأخذ بيده وهو يمشى به فى الشوارع والميادين، كبرتم، سيروا وحدكم، استغلوا عقلكم، قدروا فكركم.

ديننا باق إلى قيام الساعة

هذا هو الذى صنعه الإسلام فى معجزته الأخيرة، ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم - واضعا الفرق بين معجزته ومعجزات من قبله: «ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (٣).

(٣) رواه البخارى فى فضائل القرآن - باب كيف كان نزول الوحى ٦/٢٢٤ وسلم فى الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ٢/٩٣.

يقول الفيلسوف المسلم ابن رشد: إن الفارق بين المعجزة الجديدة والمعجزات القديمة أن هذه من جنس القضية التي جاءت للاستدلال عليها، أما غيرها فلا صلة له بالقضية وموضوعها.

وضرب ابن رشد لذلك مثلاً: أرأيت إذا جاءك طبيب يقول لك: أنا طبيب تقول له: ما الدليل على طبك؟ يقول لك: الدليل أني أمشي على الماء: فلو مشى على الماء فأنت مضطر لأن تصدقه، ولكن ما صلة الماء بالطب؟ لا صلة.. لكن عندما يقول لك الطبيب أنا طبيب تقول له: ما الدليل على طبك؟ يقول لك: المرض العضال أشفيه، هات ما عندك من مرضى أعجزوا الأطباء فتجيء له بالمرضى الذين حيروا الأطباء فيداويهم ويشفيهم ويردهم معافين سالمين يمشون على الأرض آمنين مطمئنين!!

هذا دليل من جنس الدعوى، هذا دليل من نفس القضية، ولذلك كان القرآن دليلا على صدق صاحبه، دليلا من نفس الدعوى. ما هو الدين؟ أليس إحياء للقلوب؟ أليس إنارة للفكر؟ أليس هداية للسلوك؟ أليس شفاء من العلل النفسية؟ فقد فعل محمد صلى الله عليه وسلم ذلك كله بكتابه، ولذلك كان هذا الدين دينا باقيا إلى قيام الساعة لو أن إنسانا آخر بعث من السماء - فرضا - فإنه لن يقول إلا ما قاله القرآن من أن الله واحد، وأن الطريق إليه هو القلب السليم والعمل الصالح، وأن هداية الناس ما تكون إلا بيقظة ضمائرهم وصلاح عقولهم.

المسلمون خانوا دينهم

ربما تساءل البعض: إن هذا الدين - فعلاً - أدى دوراً عظيماً في خدمة الإنسانية وارتقى بها ارتقاء لا يمكن إنكاره ولكن هل ظلّ العالم يحتاج إلى الإسلام؟

نقول: مايزال العالم محتاجا إلى القلم الأحمر الذي أمسك به الإسلام ليشطب هذه الخرافات التي استولت على عقول شتى وليقول:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

(الإخلاص: ١-٤)

لكن المسلمون في أيام عجاف، ولكن العالم في شرقه وفي غربه لايزال أفقر ما يكون إلى الإسلام رسالة تصلح له أوضاعه السياسية والاقتصادية، وأوضاعه الخلقية والاجتماعية.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله ثم قدروا الدين الذي شرفكم الله به، قدروا النبوة التي حملتم رسالتها وآلت إليكم موازينها.

إن المسلمين فقراء في ميادين شتى، لعل أولها ميدان المعرفة، ميدان التطبيق العلمي، ميدان الحضارة الصناعية، أو لعلهم قبل ذلك قد خانوا دينهم في مجالات شتى.

أنا لا أستطيع لو أن ملكا مصابا بجرب أو مصابا بحمى خبيثة لا أستطيع أن أحمد له ملكه وهو مصاب بالحمى أو مصاب بالجرب، لابد أن يصح أولا قبل أن أحترم

جلده وأعترف له بعافيته. ربما كان ناس كثيرون في هذه الدنيا على درجات ملحوظة من الحضارة أو القدرة العلمية والصناعية ولكنهم ماداموا يجهلون الله أو يجحدونه فهم كالحيوان أو أضل سبيلا، لكن إذا حقرنا ما وصلوا إليه من مستويات علمية فما أستطيع أن أحترم ما وصلنا إليه من منحدرات فكرية وصناعية، لأننا خنا ديننا لأننا لم نحسن العمل به.

إن القرن الخامس عشر الهجري يجيء وبين المسلمين خلافات كثيرة تدل على أن ضمائرهم نائمة وشهواتهم يقظى تدل على أن الخرافات تغدو وتروح في بلادهم وأن الحقائق مستغربة أو مستنكرة في أوهامهم.

العداوات الإسلامية!!

إن الأمة الإسلامية في مجالات سياسية واجتماعية واقتصادية تحترف التسول أو الصعلكة ولا تحسن الأخذ من ينابيعها ولا تحسن إدراك ما لديها من نفائس!!

لذلك يجيء هذا القرن وأنا حذر أشفق على مستقبل أمتنا، لا أزال أهيب بكل ذي ضمير أن يفكر فإن العداوات العالمية والعداوات المحلية في كثير من الأقطار الإسلامية مخوفة، فإن كنا سنمضي على أحوالنا هذه فإن المصير مخوف والعاقبة قلقة، أما إذا استيقظنا وتشبثنا بمواريثنا وعرفنا عظمة الكتاب الذي آل إلينا وشرف النسب للنبي العربي المحمد الذي كرمنا الله به فإننا نبدأ طريقنا صاعدين ونضع أقدامنا على أول السلم لكي نرتفع مرة أخرى.

«اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر»(٤).

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الحشر: ١٠)

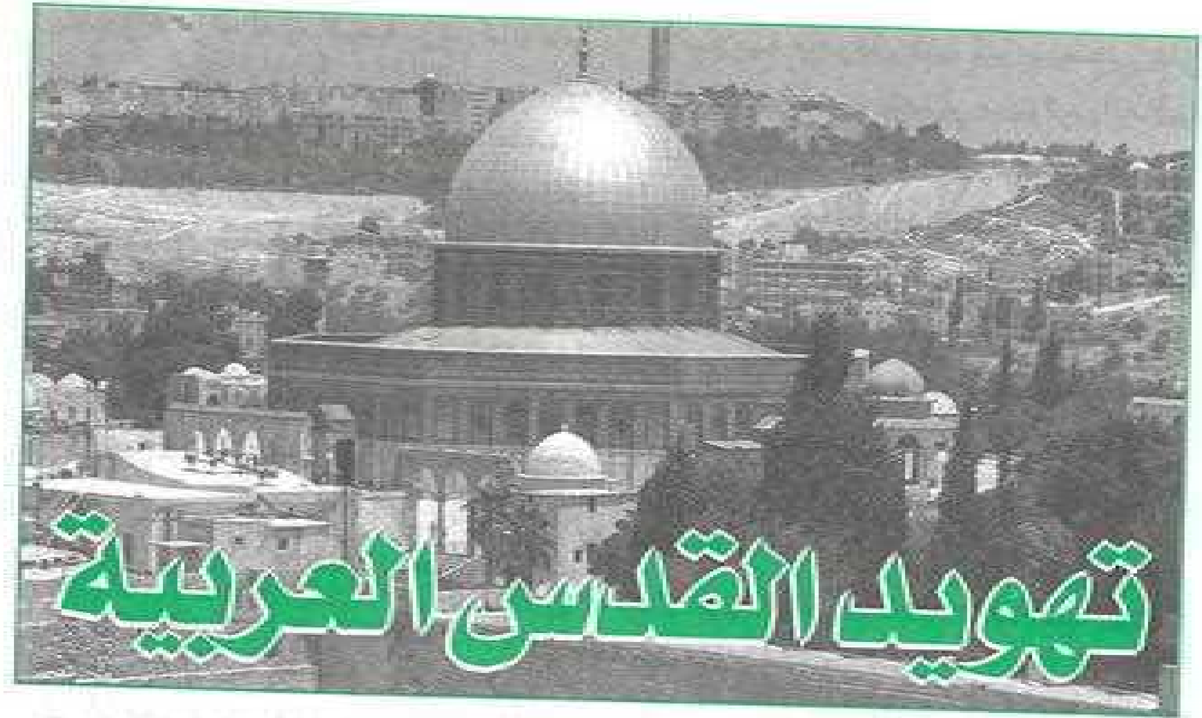
عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل: ٩٠)



(٤) رواه مسلم في الذكر باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨١/٨.



تهويد القدس العربية

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

«يتساءل الكثيرون ماذا فعلت الدولة العبرية بالقدس الشرقية عندما دخلتها قواتها غازية، فى غفلة من الزمن، فى السابع من يونيو ١٩٦٧. لقد وقف موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى حينذاك، أمام الجدار الغربى للحرم القدسى الشريف، وصاح فى غطرسة وغرور قائلا: «الحائط لنا، لقد حررنا القدس، لقد وحدنا المدينة المجزأة، عاصمة إسرائيل وها نحن قد عدنا إلى قدس الأقداس، وسوف لا تنفصل عنه مرة أخرى».

وهكذا فى نشوة النصر الكاذب، يكذب «ديان» على التاريخ، ويزيف الحقائق، ويضلل الرأى العام، ويدعى -زورا- أن القدس يهودية اغتصبها العرب الفلسطينيون، ويتناسى أنها عربية سكانا، وأرضاً ولغة، وحضارة بناها اليبوسيون العرب، منذ ما يقرب من خمسة آلاف سنة وظلت عربية، وغريبة بالنسبة لليهود بنص التوراة.

ولم يكد الجيش الإسرائيلى يسيطر على القدس، حتى سارعت السلطات الإسرائيلية بطرد أعداد كثيرة من سكانها، ومصادرة مساحات كبيرة منها، وهدم أحياء عربية بكاملها، مثل حى المغاربة، الذى شردت سكانه، وربط المدينة المقدسة بشبكة المواصلات التليفونية الإسرائيلية، ولجأت إلى إحصاء السكان وتوزيع بطاقات هوية إسرائيلية على سكان القدس، فى الوقت الذى دعا فيه «بن جوريون» أمام الكنيست «البرلمان الإسرائيلى» إلى الإسراع فى توطين اليهود بالقدس القديمة، وقال: «إن توطين ٢٠ ألف أسرة يهودية فى المنطقة المحيطة بالقدس (أى تطويق القدس باليهود) سينهى إلى الأبد كل حديث حول فكرة تدويلها»، ومن ثم بادرت السلطات الإسرائيلية المحتلة بإلغاء جميع القوانين والأنظمة الأردنية، واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية وفرضت بالقوة «جهازاً عسكرياً» إسرائيليا، وأخضعت سكان القدس لحكمه، غير أنهم اعترضوا ورفعوا شكواهم إلى الأمم المتحدة، فأصدرت العديد من القرارات التى اعتبرت جميع إجراءات إسرائيل باطلة، وطالبت بإلغائها، والعدول فوراً عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

إلغاء التعليم والقضاء الفلسطينى

واللافت أنه فى مجال التعليم وضعت إسرائيل يدها على جميع المدارس الحكومية العربية فى القدس، وألغت برامج التعليم الأردنية، وأعلنت إخضاعها لبرامج التعليم التى تطبقها على المدارس العربية فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، وطلبت من جميع موظفى ومديرى ومديرات مدارس القدس الشرقية تقديم طلبات للالتحاق بأجهزة التعليم الإسرائيلى، كما أصدرت سلطات الاحتلال «قانون الإشراف على المدارس» لسنة ١٩٦٩ للإشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والأهلية، وأصبح لها الإشراف على البرامج والتمويل.

وفى مجال الاقتصاد، أغلقت إسرائيل البنوك العربية فى القدس، وصادرت أموالها، واستبدلت العملة الإسرائيلية بالعملة الأردنية، ومنعت إدخال أى إنتاج زراعى أو صناعى إلى القدس الشرقية، وأباحت أسواقها للإنتاج الإسرائيلى.

كما أصدرت سلطات الاحتلال قانون التنظيمات القانونية والإدارية لسنة ١٩٦٨ الذى اشترط تسجيل الشركات والجمعيات التعاونية، وأصحاب المهن وأرباب الحرف والمحامين والأطباء والمهندسين حسب القوانين الإسرائيلية، وهو ما يعنى فرض أمر واقع على عرب القدس، والتعامل مع السلطة المحتلة على أساس القوانين الإسرائيلية.

وفى مجال القضاء أغلقت سلطات الاحتلال، جميع المحاكم النظامية فى القدس واتخذت اجراءات عدة من شأنها تهويد القضاء، منها نقل مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى رام الله، وإدماج محاكم الصلح والبداية بالمحاكم الإسرائيلية المماثلة والقائمة فى القدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٨، وفصل القضاء القائم بالقدس عن شئون الضفة الغربية، وإلحاقه كليا بالقضاء الإسرائيلى، ومطالبة القضاة والموظفين فى القدس، بتقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الإسرائيلية، كما قامت السلطات الإسرائيلية بحل مجلس أمانة

القدس، وأصبحت هذه الأمانة خاضعة لقانون قضاء وإدارة الدولة الإسرائيلية، بموجب أمر القانون والنظام رقم (١) لسنة ١٩٦٧.

والجدير بالذكر أن الخريطة السكانية للقدس بدأت منذ عام ١٩٦٧، حيث أعدت السلطات الإسرائيلية المشاريع التى تكفل بقاء المدينة المقدسة، بعد ضمها إلى القدس الغربية، عاصمة موحدة للدولة العبرية.

أحزمة استيطانية

وقد نفذت إسرائيل أولى مصادرتها للأراضى فى عام ١٩٦٧، عندما استولت على مساحة ٣,٥ كيلو متر مربع لبناء الأحياء اليهودية، وربطها بالجامعة العبرية فى القدس، وفى خلال سنوات قليلة من احتلال القدس، أقامت إسرائيل ثلاثة أحزمة استيطانية فيها:

الحزام الأول: يشمل منطقة التلة الفرنسية، ورامات أشكول، وجفعات همفتار، ومعالوت دفنه.

والحزام الثانى: بدأ عام ١٩٧٠، عندما صادرت إسرائيل مساحة ١٢ كيلومتراً مربعاً من الجزء الشمالى من مدينة القدس والمعروف بالنبى يعقوب، والجزء الجنوبى المتمثل فى منطقة تلبيوت، وفى الشمال الغربى والمعروف بمنطقة تراموت.

والحزام الثالث: بدأ عام ١٩٨٠ بعد مصادرة ٤,٤ كيلو متر مربع فى الجزء الشمالى من القدس، المعرف بمنطقة بسجات زئيف، حيث تم بناء ٢٠ ألف وحدة سكنية يهودية.

وتشير الإحصاءات أنه فى عام ١٩٦٧ كان عدد الوحدات السكنية التى يقطنها فلسطينيون فى القدس ١٢ ألف وحدة سكنية، ارتفع عددها حتى نهاية عام ٢٠٠٦ إلى ٣٨ ألف وحدة سكنية عربية، منها ١٥ ألف وحدة سكنية مسجلة لدى السلطات الإسرائيلية بأنها غير قانونية، وهو ما يعنى احتمال صدور قرارات قريبة بهدمها، ويسكن هذه الوحدات العربية ٢٨٠ ألف فلسطينى، وفى المقابل لم يكن يوجد فى عام ١٩٦٧ أى وحدة استيطانية يهودية فى القدس، بينما فى الوقت الراهن يوجد فى القدس ٥٩ ألف وحدة سكنية يهودية جميعها غير قانونية، لأنها أقيمت على أرض محتلة، يحظر البناء فوقها حسب القانون الدولى.

وفى إطار مخطط تهويد القدس، استحدثت إسرائيل قانونا يمنع أى بناء من دون الحصول على ترخيص من السلطات الإسرائيلية بذلك فيقول مدير جمعية الدراسات العربية فى القدس «خليل تفكجى»: إن سياسة المماطلة فى استصدار الرخص، تندرج ضمن السياسة العامة إزاء القدس، حيث تستخدم إسرائيل ثلاث وسائل لتضييق الخناق على الفلسطينيين، فالتكاليف الباهظة المطلوبة من السكان والتى تتجاوز أحيانا، عشرة آلاف دولار، تحول دون تقديم الطلبات، ثم تأتى المماطلة التى تصل إلى سنوات طويلة من دون الحصول على رخصة وفى هذا السياق باشرت إدارة الحدائق العامة والمحميات الطبيعية الإسرائيلية القيام بأخطر المشاريع فى البلدة القديمة تحت عنوان: «مخطط الحدائق العامة فى حوض البلدة القديمة» ويشمل هذا المشروع إقامة حديقة عامة على مساحة ٨٠٠ دونم (الدونم ١٠٠٠ متر مربع) على منحدرات جبل المطلع «هازهتسوفيم» والواقعة على حدود العيسوية والطور، وتطوير خط سياحى يخترق الأحياء الفلسطينية شرق وجنوب البلدة القديمة فى منطقة أبو طور، وسلوان، ووادى النار، ويهدف المشروع إلى إحاطة القدس والبلدة القديمة بحزام أخضر من الحدائق والمحميات، لمنع تمدد السكان العرب فى المنطقة المذكورة، وهو ما يجعل الأحياء العربية خارج مدينة القدس، فى حال التوصل إلى تسوية سياسية بين الإسرائيليين والفلسطينيين فيما يتعلق بالقدس والبلدة القديمة.

ومن جهة أخرى قامت «شركة تطوير شرق القدس والبلدية»، بتنفيذ مشروع يشمل بناء فندق من أربعة طوابق، ومحلات تجارية، وأبنية أخرى فى الجزء الجنوبى الشرقى من البلدة القديمة، وتحديدا فى المنطقة الواقعة غرب «باب المغاربة» وحارة الشرف، أو ما يعرف بـ «الحى اليهودى»، وسيكون هذا المشروع جزءاً من حى استيطانى يقام فى هذه المنطقة لتعزيز الوجود اليهودى فيها وإحكام القبضة عليها خاصة أنها تتاخم حرم القدس الشريف، كما يشمل هذا المشروع شق نفق يربط مغارة سليمان القريبة من باب العمود، بمنطقة الميلوية، وهو ما يعنى ابتلاع ١٢ دونماً من أراضى القدس العربية، وسيمر هذا النفق تحت الحى الإسلامى فيها.

الأحياء العربية بين فكى الكماشة

وفى إطار المشاريع الاستيطانية الحديثة فى ظل سياسة التهويد تمت مصادرة ٢٠٠٠ دونم من أراضى بلدة «الولجة» لبناء خمسة آلاف وحدة سكنية يهودية، كما بنيت ٤٦٠٠ وحدة سكنية يهودية على أراضى بيت صفافا، بالإضافة إلى بناء فنادق تتسع لـ ١٥٠٠ غرفة، ويقضى «مشروع أبو غنيم» ببناء ١٧٥٠٠ وحدة سكنية يهودية، أما آخر مشروع استيطانى، أعلن عنه في يناير ٢٠٠٧ فيشمل بناء ١٠٠٠ وحدة سكنية يهودية فى أبو غنيم، وهى المنطقة التى أقيمت عليها من قبل ٤٠٠٠ وحدة سكنية يهودية.

وثمة مخطط جغرافى يستهدف فى الأساس تهويد القدس العربية، وتمزيق الوحدة الجغرافية للضفة الغربية يقوم على ثلاثة محاور رئيسية:

الأول: اقامة بلدية إسرائيلية موسعة فى القدس الشرقية، تلتهم المزيد من الأراضى بالضفة الغربية، بما يطوق المدينة المقدسة من الجهات الأربع بواسطة الطرق الطولية والعرضية لعزل الأحياء

العربية فيها عن الأحياء العربية فى القدس الغربية، وعن تلك الواقعة خارجها، بهدف إيجاد «واقع جغرافى جديد»، تكون فيه الأحياء العربية بين فكى كماشة لمحاصرتها وخنقها لدفع أهلها إلى الرحيل أو العيش فى أحياء منعزلة.

والثانى: شطر الضفة الغربية إلى قسمين رئيسين، تفصل بينهما منطقة القدس الكبرى المهودة، بإحداث تواصل جغرافى بين المستعمرات اليهودية الواقعة فى الضفة الغربية وخارج حدود البلدية عن طريق شبكة واسعة من الطرق العرضية والطولية لتقطيع أوصال الضفة وإحكام السيطرة عليها، وتمتد هذه المستعمرات لتصل إلى البحر الميت وحدود أريحا شرقا ومنطقة رام الله شمالا والخليل جنوبا.

والثالث: التأكيد على تغيير التركيبة السكانية للقدس الكبرى، وتحويلها إلى مدينة أغلبيتها الساحقة من اليهود لتستوعب مليون يهودى فى مطلع عام ٢٠١٠.

تهويد القدس العربية

وفى هذا الصدد يذكر الكاتب الفلسطينى الراحل «د. إدوارد سعيد» ما قاله الجغرافى الإسرائيلى «جان دى جونج» عن القدس الكبرى المهودة بقوله: «الذين يتوقعون أن تكون خريطة القدس المطروحة على مائدة مفاوضات الوضع النهائى مطابقة لقدس ١٩٦٧، سيفاجأون تماما، لأنه من المرجح أن القدس الجديدة ستمتد من بيت شمش وموديعين غربا إلى كيلو مترات قليلة من حلحول والخليل جنوبا، إلى ما بعد رام الله شمالا، إلى بضعة كيلو مترات من أريحا شرقا، وهذه المساحة الهائلة التى تعتبرها إسرائيل القدس الكبرى تبلغ ١٢٥٠ كيلو مترا مربعا، وتقع ثلاثة أرباعها فى الضفة الغربية»، واللافت أن ثمة خطة إسرائيلية تشمل ثلاث خرائط لاستكمال تهويد القدس العربية، مرتبطة بمشروع «إيهود أولمرت» المسمى «خطة الانطواء» أى الانسحاب الأحادى من الضفة الغربية، وتعمل حكومة أولمرت من خلال الخرائط الثلاث على أن تقتطع، من مساحة الضفة الغربية، ثمانية أحياء عربية، يعيش فيها ١٢٠ ألف فلسطينى، لتسليمها للسلطة الفلسطينية، لترسيخ أغلبية يهودية داخل القدس العربية، ورفع نسبة اليهود فيها إلى ٨٠٪ على المدى البعيد، وتستند هذه الخطة إلى التخلص من أكبر نسبة من السكان الفلسطينيين في ضواحي القدس، لضمان استمرار وجود أغلبية يهودية في المدينة المقدسة، برغم أن النسبة العددية السكانية فيها تميل لصالح اليهود ٦٦٪ يهود، مقابل ٣٤٪ عرب، والخريطة الأولى: تضمن أغلبية يهودية بنسبة ٨٣٪ وذلك بإخراج أحياء عربية من جنوب شرق القدس الشرقية وهى أم طوبا، وصور باهر، وعرب السواحرة، ومخيم اللاجئين فى عناتا، وشعفاط، وبيت حنينا في الشمال، وهى المنطقة المعروفة بمنطقة (ب) التى تخضع للسيطرة الأمنية الإسرائيلية، والسيطرة الإدارية الفلسطينية وفى المقابل تبقى إسرائيل على الأحياء العربية، وهى: الشيخ جراح، ورأس العمود وسلوان، والعترربة، والصوانة، والبلدة القديمة، وجميعها ضمن القدس الإسرائيلية، مع ضم الكتل الاستيطانية وهى معاليه أدوميم، وميتشور أدوميم، وهيشوف أدام، شمال شرق القدس وناقيه يعقوب، وجيلو، جنوب القدس إلى القدس الكبرى المهودة، لتحقيق أغلبية يهودية مطلقة داخل المدينة المقدسة، بحيث يصل عدد اليهود إلى ٥٤٠ ألف نسمة مقابل ١١٠ ألف من العرب.

وتضم الخريطة الثانية: نفس المناطق السابقة إلى إسرائيل فى مقابل التخلى عن مناطق أخرى، يسكنها فلسطينيون فى القدس، مثل حى العيسوية ومنح البلدة القديمة، وما حولها مكانة خاصة تعرف بـ «الحوض المقدس» تطمس فيها قضية السيادة، وتعطى الطوائف الدينية مكانة واضحة، بحيث يزورون مقدساتهم الدينية بلا عائق، وافتتاح مطار عطروت / قلنديا، ليصبح مطارا مشتركاً، بحيث تكون نسبة اليهود وفق هذه الخريطة ٨٨٪ وعددهم ٥٧٣ ألف يهودى، ونسبة العرب ٢٣٪، وعددهم ٧٧ ألف عربى.

والخريطة الثالثة: وتسمى «خطة القدس الموحدة» تحت السيادة الإسرائيلية وتضمن عدم اقتطاع أى من الأحياء العربية، وتؤكد على توسيع الأحياء والمستوطنات اليهودية داخل وخارج القدس، بمعنى المحافظة على أغلبية يهودية تصل إلى ٧٦٪ مقابل أقلية عربية، تصل إلى ٢٤٪، واللافت فى هذا الصدد أن ثمة نسبة لا تقل عن ٦٦٪ من مناطق القدس تمت مصادرتها بالقوة، فقد أقدمت السلطات الإسرائيلية على مصادرة أكثر من ٢٣٣٨٠ دونما (الدونم ١٠٠٠ متر مربع) من الأراضى التى تعود ملكيتها للفلسطينيين لبناء المستوطنات عليها، وهو ما يقارب ثلث مساحة القدس الشرقية، والهدف كما سبق، هو تأمين أغلبية يهودية فى القدس التى يسكنها الآن أكثر من ١٩٠ ألف مستوطن يهودى، وأكثر من ٢٨٠ ألف عربى.

مشروع توسعة ساحة البراق

وعلى الرغم من القيود والسياسات الإسرائيلية للحد من التطور السكانى والعمرانى الفلسطينى فى القدس الشرقية، إلا أن نسبة المساكن قد ارتفعت إلى نحو ٧٠٠٠ مسكن خلال السنوات الأخيرة، وذلك، لأن عرب القدس اضطروا لإقامة أبنية غير مرخصة، لتلبية احتياجاتهم الطبيعية فى النمو السكانى، بسبب سياسة الرفض من جانب السلطات الإسرائيلية بحظر إعطاء تراخيص البناء لهم، وفى إطار تهويد المدينة المقدسة أكد تقرير نشرته صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية فى ٢٣ / ٢ / ٢٠٠٧ أن ثمة مشروعاً لتوسيع

ساحة حائط البراق (حائط المبكى) غرب المسجد الأقصى وبناء كنيس يهودى فوق مبنى المحكمة التابع للوقف الإسلامى، وقد حصل صاحب المشروع وهو «بورام زاموش» أحد ضباط الاحتياط فى الجيش الإسرائيلى، على دعم مطلق من وزير السياحة الإسرائيلى السابق «بينى الون»، وأيضا من جانب البليونير اليهودى الأمريكى «إيرا رنرت» الذى تعهد بالتبرع الفورى بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لتنفيذ هذا المشروع.

وقد التقى «إيبرا» منذ أقل من عامين يشارون فى مكتبه، وحاول الضغوط عليه لإقرار مشروع «زاموش».

كما نشرت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية فى ١٦/٢/٢٠٠٧ تقريرا بأن أعمال الحفر والهدم الجارية فى طريق باب المغاربة المتاخم للمسجد الأقصى، ومشروع بناء «جسر «فولاذى» لا علاقة لها بالادعاء الإسرائيلى الرسمى بأن الغاية منها «حماية سلامة المصلين اليهود» فى مساحة -ما يسمي- «حائط المبكى» أى حائط البراق، ويضيف التقرير «أن الغرض الأساسى من الحفريات الحالية فى محيط المسجد الأقصى، هو البحث عن آثار ما يعرف بـ «الهيكل الثانى»، فى حين أن الجسر الرابط بين باب المغاربة والمسجد الأقصى يستهدف توفير مكان لـ ٣٠٠ شرطى إسرائيلى لمنع أى شغب للفلسطينيين، فى حال اقتحام اليهود لساحة المسجد الأقصى، ويشير التقرير -أيضا- إلى أن هناك جمعيات استيطانية مهمتها «تهويد مدينة القدس» وتمويل ما تقوم به «هيئة الآثار الإسرائيلية» من عمليات حفر وهدم، وأن السلطات الإسرائيلية تملك منذ عام ١٩٦٧ «مفتاح باب المغاربة»، بعد أن أرغمت مسئولى الأوقاف الإسلامية فى القدس المحتلة، على تسليمها المفتاح ليكون «باب المغاربة» هو الباب الوحيد تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة.

التطهير العرقى

ومن ناحية أخرى يتحدث خبير الخرائط فى جمعية الدراسات العربية فى القدس الشرقية «خليل التفكجى» عن جدار التطهير العرقى الذى يهدد عرب القدس، فيقول: «إن الجدار يعزل حوالى ٢٠٠ ألف من سكان القدس خلفه، ويبقى فقط على أقلية من ٨٠ ألفا فيها، ويفصل بين الأب وابنه، وبين التلميذ ومدرسته فى بعض المناطق، وقد فرغت إسرائيل من بناء ثلثى الجدار الجارى إقامته فى القدس بطول ٨٢ كيلو مترا، ويشير «التفكجى» إلى وجود قانون إسرائيلى ينص على مصادرة بطاقة الهوية من كل مقدسى يعيش خارج القدس لسبع سنوات أو أكثر، وصدور أمر عسكرى إسرائيلى، يقضى بمصادرة بطاقة هوية كل عربى فى القدس، يحمل «جواز سفر أجنبى» أو ينتمى إلى «منظمة إرهابية»، وأن الهدف من ذلك هو تقليص عدد الفلسطينيين فى القدس عبر تجريدهم من بطاقات الهوية التى

يحملونها، وقد طردت إسرائيل ١٦ ألف فلسطينى من القدس منذ احتلالها عام ١٩٦٧ بسبب مصادرة بطاقات هويتهم، وعلى هذا النحو تتبع إسرائيل سياستين أخريين لتهويد القدس.

اشتر بيتا واحفر نفقا!!

الأولى: سياسة «اشتر بيتا فى القدس» التى أدت إلى الاستيلاء على عشرات المنازل فى البلدة القديمة التى يعيش فيها ٢٤ ألف فلسطينى، و٤٠٠٠ يهودى، والثانية: سياسة «احفر نفقا فى القدس» بهدف تقويض أساسات المسجد الأقصى لبناء الهيكل المزعوم محله، ويذكر فى هذا الشأن أن ثمة حواجز تحولت معها التجمعات السكانية العربية فى القدس ومحيطها إلى ما يشبه المعازل، ففى شمال غرب القدس: يعزل «حاجز راموت» ١٤ قرية مثل: بدو، وبيت عنان، وبيت إكسا وغيرها، وفى الشمال: يعزل «حاجز قلنديا» مخيم قلنديا، وقرية كفر عقب، وفى الشرق: يعزل «حاجز شعفاط» مجموعة كبيرة من القرى، مثل: عناتا، وحزما، ومخماس، وشعفاط، وضاحية السلام وغيرها، ومن الجنوب: يعزل «حاجز جيلو» بيت لحم والمدن والبلدات المحيطة بها عن القدس، كما يعزل «حاجز الزعيم» البلدات الأربع المشار إليها، وفى هذا السياق أعلنت الحكومة الإسرائيلية العام الماضى ٢٠٠٦ عن توسيع حدود القدس الشرقية لتشمل أكثر من ١٢ كيلو متراً مربعاً جديدا فى إطار ما أطلقت عليه «خطة E1» لبناء ٤٠٠٠ وحدة سكنية يهودية، وإقامة أربعة فنادق، بالإضافة إلى مخطط آخر لبناء ١٥٣ ألف وحدة سكنية يهودية حتى عام ٢٠١٠، وبهذا التوسع الجديد أصبحت القدس الجارى تهويدها تشكل ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية، وهى ما تعرف بالقدس الكبرى.

وفى الختام: يمكن القول أنه مهما فعلت الدولة العبرية لتغيير الهوية العربية للقدس، وطمس الوجه العربى والإسلامى لها، فستظل المدينة المقدسة عربية بسكانها وأرضها وحضارتها، بفضل صمود أبنائها البواسل، ودعم العرب والمسلمين لها.



توبة شاعر

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

كان جبل غزوان بالطائف جنة وارفة بالكروم والنخيل والأعناب، وكان شباب ثقيف لا يبرحونه، إذ هو مكان اللهو والسمر، ينشدون فيه الشعر، ويسمعون القيان، ويطربون للألحان الشاجية التي يحبها الشباب المتحمس للطرب واللهو، وكان أبومحجن الثقفي الشاعر من أحرص الشباب على الاجتماع برفقته في ساحة الجبل، وقد اشتهر هُيامه بالخمر وشرابها هياماً جعله يقول:

إذا متُّ فادفنِّي إلى أرضِ كرمةٍ
تُروِّي عظامي بعدموتي عُروقُها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني
أخافُ إذا ما متُّ ألا أذوقُها

وفي ضحوة يوم من أيام الربيع، جاء النذير للمجتمعين بأن جيوش المسلمين قد حاصرت الطائف، وأنها على وشك التسليم، لأن زعماء المدينة قد اقتنعوا برسالة الإسلام، وستنقضي معالم اللهو والطيش، إذ ينشر الإسلام فضائله، ويحمي الشباب من رذائله الفاتكة، ودُهش أبومحجن لما سمع، وجعل يسأل: وبماذا أمر الإسلام؟ فقال قائل:

إن الله تعالى يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾

(النحل: ٩٠)

وإن الله تعالى يقول:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥١)

قال أبو محجن وقد تأمل معاني هذه الآيات: إن هذه أحكام رائعة، وإن الإسلام سيصلح النفوس وسينقذها من رجس الجاهلية، وإني أول مؤمن به.

.. فقال رفيق خبيث: يا أبا محجن نسيت أن الإسلام يحرم الخمر والزنا، وسيحرمك من ألذ ما تبتغي من الحياة!. فقال أبو محجن: أما الزنا فأستطيع الاستغناء عنه بالزوجة الصالحة، وأما الخمر فهي العقبة الكأداء، ولكن لابد من الإسلام!

قال زميل له.. إنك يا أبا محجن تمدح بالفضائل وأنت الذي تقول:

لاتسألي الناسَ عن مالي وكثرته
وسائلي الناسَ عن حَزْمي وعن خُلُقي
القومُ أعلمُ أني منْ سراتِهمْ
إذا تطيشُ يد الرِّعديدة الفرِقِ
عفَّ الطالب عما كسبتُ نائله
وإن ظُلمتُ شديد الحقد والحنقِ

وإذن فأنت قريب من الإسلام!

فصاح أبو محجن.. لست قريباً منه، ولكني منه في صميم الصميم!

دوهمت معاصر الخمر في الطائف، بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان أبومحجن بضعف نفسي لديه، يلجأ إلى هذه المعاصر سراً، فيشرب ويطرب فلما أغلقت المعاصر تأوه تأويهة حارة في أبيات قال فيها:

وإني لذو صبرٍ وقد مات إخوتي
ولستُ عن الصهباء يوماً بصابرِ
رماها أميرُ المؤمنين بحتفِها
فخلانُها يبكون حول المعاصرِ

وتجرأ فجعل يغرق في الشراب في منزله، وجاءت الأنباء إلى ولي الأمر بالمدينة فأعلن عليه الحد، وجلد ثم شرب، فجلد ثم شرب فجلد، وعلم عمر بما كان من أمره، فأمر بنفيه إلى جزيرة نائية، ومعه شرطي يحرسه كيلا يعود.

انتقل أبو محجن من حال إلى حال، فهو طريد شريد، ولا يجد في منفاه من يواسيه ويشاطره الأسى والحزن، وجاءته الأنباء أن جيوش المسلمين قد زحفت إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، لقتال الفرس، فأيقن أن من العار على مثله، وهو البطل الشجاع، أن يتخلف عن الغزاة، وأن من واجبه أن يرحل إلى ميدان القتال، ولم يدر أن الأنباء قد وصلت إلى سعد بن أبي وقاص بأنه طريد، وأنه لا يزال يعاقر الخمر، فما أعلن للقائد عن رغبته في الجهاد، حتى عرف أنه مطلوب مؤاخذ بجرائر الشرب، وأن رأى أمير المؤمنين فيه صريح بمعاقبته، ولكن شئون الحرب جعلت سعداً يأمر باعتقاله في منزله حتى يفرغ من أمر المعركة المشتعلة، وهكذا وضعت الأغلال في قدمي أبي محجن، ودارت المعركة قريباً من منزل سعد، وسمع أبومحجن هتاف التكبير والتهليل، ودعوات الجهاد في سبيل الله، فعز عليه أن يكون أسيراً رهن القيد، وألا يخوض المعركة مع الخائضين، وقد تسمَّع إلى حديث دار بين سلمى زوجة سعد وسمع عن تقاعس المسلمين في بعض الجبهات، وقد صاحت في وجهه: «وامثنياه! لا بطل اليوم بعد المثنى!» والمثنى بن حارثة قائد الحرب قبل أن يستشهد وكان زوجها الذي تعجب به، فغضب سعد، وقال:

– إذا جهرت بذلك فقد ضاعت مكانتي!

قالت له:

– دعني فأنا مستعدة للقتال كما كنت أفعل أيام المثنى!

. فقال سعد: الصبر جميل!

عرف أبو محجن روح سلمى وقوة شجاعتها، من هذه المحاورة، فصاح بها

والأغلال في قدميه:

. يا سلمى! أنا من أبطال الحروب ويعز عليّ أن تدور المعركة وأنا بعيد عنها، ووالله ثم والله، لأن فككت عقالي وركبت الفرس الناهض أمام المنزل، ليفعلن الله بالأعداء ما ترين، ثم أنشدها قوله:

كفى حزناً أن تطعن الخيلُ بالقنا
وأُترك مشدوداً عليّ وثاقيا

إذا قُمتُ عنّاني الحديدُ وغُلّقت
مغاليقُ من دوني تُصمّ المناديا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ
فقد تركوني واحداً لا أخا ليا

هلُمّ سلاحي لا أبا لكَ إنني
أرى الحرب لا تزدادُ إلا تماديا

ولله عهد لا أخيسُ بعهده
لئن فُرّجت ألا أزور الحوانيا

فرقت له سلمى! وقالت.. قد أقسمت بالله أنك تُبت عن الخمر وأنه إذا أطلقت سراحك لن تزور الخمارات بعد الآن.

فقال.. هذا عهدي، ويشهد الله.. ففكت عقاله، وقالت: دونك البلقاء، وهي فرس سعد فاركبها وانهض للقتال.

وفي الصباح التقى الجمعان، وشاهد المسلمون عجباً، شاهدوا بطلا لا يعرفونه، يخترق صفوف الأعداء وحده ويطعن باليمين والشمال حتى ينهزم من أمامه، ثم يفر من ناحية ثانية.. فيعيد الكرة، ويطعن طعنات الباسل الصنديد فيندحر الأعداء ويهتف بالتكبير والتهليل، وسعد بن أبي وقاص في أعلى القصر يتعجب، ويقول: من هذا؟ الفرس هي البلقاء فرسي فمن الذي يقودها إلى المعمعة؟

وواصل أبو محجن القتال حتى غربت الشمس، وانتهت المعركة إلى حيث تستأنف في الغد، فرجع عائدا إلى قصر سعد، وطلب من سلمى أن تضع رجله في القيد، على أن تطلقه في الغد، ليكمل ما بدأ به اليوم وكان سعد قد أخبرها بهذا البطل الذي يركب البلقاء ويمزق الأعداء شر ممزق، فحدثته بحديثه، وأنه اعترف أنه لن يذوق الخمر بعد الآن، وذلك في قوله:

ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهده
لئن فُرّجت ألا أزور الحوانيا!

فنهض إليه في محبسه، وقال:

● لقد أطلقتك يا أبا محجن، ولن أقيم عليك الحد، بعد أن أعلنت توبتك وسأبلغ أمير المؤمنين بلاءك في سبيل الله وما بذلت في دحر الأعداء، وسيعفو عنك

● قال أبو محجن: وأنا من الآن، جندي في معارك الإسلام، فإن للحرب نشوة يعرفها البطل المحارب ليست لكؤوس الشراب!

وعاد أبو محجن إلى الطائف، فجعل يتحدث عن القادسية، وبلائه في مقدمة الصفوف، وصاح به صائح: - لقد نسيت قولك يا أبا محجن:

إذا مت فادفني إلى أرض كرمة
تُروّي عظامي بعد موتي عروقها

● فقال له: الأمر ليس كذلك الآن، ولكنه كما قال معن أبي أوس:

ولست كعهد الدار يا أم مالك
ولكن أحيطت بالرقاب السلاسل!

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

الإسلام.. وتحديات العصر

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

أبرز ما يتميز به عصرنا الذي نعيش فيه، تلك الحملات المتكررة التي يحملها الغرب- بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية - على الإسلام، والتي كان آخرها تهجم بابا الفاتيكان على هذا الدين، وبمباركة أمريكية مفضوحة، حينما أعلن «بنديكيت السادس عشر» أن محمدا - ﷺ - لم يأت إلى العالم إلا بكل ما هو سيء وشرير، وأنه لم ينشر دينه إلا بالحرب وسفك الدماء.. فأوجد بندكت بكلماته تلك حالة من الغضب والاحتقان لدى الشعوب الإسلامية أنى وجدت.

والحق أننا لا نتوقع أن تكون هذه آخر الحملات التي يحملها الغرب على الإسلام، وإنما ستتلوها حملات وحملات صليبية، فكل ذي نعمة محسود، والإسلام نعمة كبرى من الله بها على المسلمين، قال الحق -تبارك وتعالى- في محكم التنزيل:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

فأعداء الإسلام، يرون أن هذا الدين - دين الفطرة النقية الخالصة - يكسب كل يوم أرضا جديدة في نفوس البشر، بالرغم من هذا الهجوم الشرس الذي يقومون به ليل نهار، وبشتى الأسلحة والوسائل لصد الناس عنه، مما أثار في نفوسهم كوامن الحقد والغضب..!! وبدلا من أن يدرسوه دراسة واعية متفحصة، تستجلي أسباب انتشاره المتزايد، وتضع أقدامهم - بالتالي - على الطريق الصحيح في التعامل معه، والحوار المناسب مع المسلمين، بغية العمل به واعتناق مبادئه وآدابه.. بدلا من هذا أخذوا يكيدون له، ويعملون على القضاء عليه وعلى أهله. «وكان للأعداء على مختلف ألوانهم ـ وميادينهم

وفي كل العصور منذ جاء هذا الدين، أساليب متنوعة في هذا السبيل وقد سمعنا في التاريخ عن الغزوات التي وجهت إلى الإسلام، إما بالسلاح المادي في الميدان المكشوف، وإما بالسلاح المعنوي من وراء الجدر، فمرة بالتشكيك في أصل الدين، وبالدعوة إلى الإلحاد، ومرة بالغزو الثقافي لتحل الآراء الهدامة محل الآراء الدينية، وأخرى بالغزو الخلقي والاجتماعي، لينسلخ المسلمون من مقومات شخصيتهم الأصلية، وكذلك بالنظم السياسية وقواعد الحكم بمسمياتها المختلفة، وعناوينها الخلابة»[1].

أعداء اليوم وأعداء الأمس

فإذا خصصنا الحديث وركزناه حول ما يحدث للشرق الإسلامي في هذا العصر، لما وجدنا اختلافا كبيرا في الأهداف التي يسعى إليها أعداء اليوم، عما كان يسعى إليه أعداء الأمس القريب أو البعيد، وصدق الحق تبارك وتعالى في محكم كتابه حين قال:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(التوبة: ٣٢)

ولكن الوسائل هي التي اختلفت، والذي لاشك فيه أن وسائل الأعداء في هذا العصر أكثر شراسة وأشد فتكا عن ذي قبل:

فضلا عن الاتجاه الصريح في معاداة الإسلام والهجوم عليه وعلى المسلمين بالحرب العسكرية الشرسة التي نشهدها اليوم، وقد استخدمت فيها كل أدوات الدمار الشامل، سواء في أفغانستان وفي العراق، فضلا عن فلسطين ولبنان، مع ما يحاولون التمهيد له في السودان وسوريا وإيران.. وتلك التصريحات الكلامية، على غرار ما حدث من بابا الفاتيكان، ومن الرئيس الأمريكي «جورج بوش» الصغير، ومن الرسومات الكاريكاتورية التي حدثت في الصحف الدنماركية، فضلا عن هذا وذاك هناك الحرب الخبيثة التي لا يفطن إليها إلا أصحاب الفكر، وقادة السياسية، وأصحاب الرأي الشجاع من المحللين الذين مرنوا على النظر الدقيق، وقراءة ما ترمي إليه السياسية الماكرة المعادية للإسلام:

هناك اتجاهات تهدف إلى تمييع الإسلام، وإخراجه عن سواء قصده إلى مفاهيم غريبة عنه تخدم أهداف «العولمة» التي تسعى إليها، ومنها تثبيت دعائم «العلمانية» التي يرفضها المسلمون رفضا قاطعا، هذه الاتجاهات المغرضة والمشبوهة - على اختلافها وتباينها - حاولت وتحاول جاهدة تحريف الإسلام عن حقيقته، ولي عنانه عن غايته، وتطعيمه بعناصر غريبة عنه، وحذف أشياء تعد من مقوماته الذاتية، وتفسير مبادئه وأحكامه بما يخدم أهدافها، ويتفق مع مصالحها.

«فهناك اتجاه يمكن أن نسميه «تنصير الإسلام» أي تفسيره تفسيرا يذيب الفوارق بينه وبين النصرانية، يسوي بين التوحيد والتثليث، وبين القرآن المحفوظ والإنجيل، ويزعم أن الجميع مسلمون: هذا مسلم عبد الله بشريعة محمد، وذاك مسلم عبد الله بشريعة المسيح، واليهودي -أيضا- مسلم، فقد عبد الله بشريعة موسى!!

تسويق الشذوذ

«ومما يدخل في هذا الاتجاه: الحملات المنكرة على خصائص الإسلام في أحوال الأسرة في إباحة الطلاق، وتعدد الزوجات، والمحاولات المتكررة هنا وهناك لمنعهما، وتحريم ما أحل الله، تأثرا بالأفكار الغربية النصرانية»[2].

ومن هذه المحاولات -أيضا- التي يقوم بها النصارى واليهود في العالم الإسلامي والعربي، تحريم الزواج المبكر بين الجنسين، وإباحة الزنا، وهو ما أعلن عنه مؤخرا في أحد المؤتمرات العالمية الخاصة بالمرأة، وقد انعقد في القاهرة في العقد الأخير من القرن العشرين، وأعلن علماء المسلمين عن بكرة أبيهم يومئذ رفضهم لهذه القرارات الخارجة عن آداب الإسلام، وأخلاقه جملة وتفصيلا.. ونضيف إلى ذلك أن هذه القرارات كانت بمثابة التمهيد لأن يقبل المسلمون قرارات أخرى أكثر خروجا على آداب الإسلام، بل على آداب الأديان السماوية كلها والأعراف الآدمية، وهو إباحة الزواج بين الرجال بعضهم من بعض، على غرار ما أباحته بعض الدول الأوروبية ورضيته لنفسها!!

ولا تزال قوى النصارى واليهود والملحدين تحاول تسويق مثل هذه القرارات داخل المجتمعات الإسلامية.. مستغلين في ذلك معاناة الشباب من الجنسين..!! كما لا تزال المحاولات المشبوهة تتكرر، وتتنوع مجالاتها في داخل المجتمع الإسلامي بغية تطويق الإسلام، وإفراغه من مضمونه العظيم، الذي يرقى بإنسانية الفرد والمجتمع، ليصلهما بالله - تبارك وتعالى -: عقيدة، وشريعة، وآدابا، وأخلاقا، ويحكم الروابط بين الإنسان وبين مرضاة الله - عز وجل -، ويجعل من الدولة سياجاً قوياً وحارساً أميناً على هذه العلاقة الطاهرة، لتبقى أبد الدهر بعيدة عما يصيبها بالوهن والضعف.

«ومن صور محاربة الإسلام والمسلمين التي قد لا يفطن إليها الكثير:

«طرح الديمقراطية الغربية بمفهومها الغربي العلماني المتكامل، والترويج في بعض بلاد المنطقة لها بدلا من الشورى - التي أشاد بها الله في كتابه الكريم -بأن جعلها أساس الحياة، وقاعدة الحكم، ومنطلق الحركة في الإسلام، حينما قال:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وبأن أشاد بها في ضبط أمر المسلمين، حينما قال:

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(الشورى: ٣٨)

حتى انخدع بها (أي بالديمقراطية الغربية) بعض المفكرين المسلمين، الذين

(١) المرحوم الشيخ عطية صقر في كتابه (الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه) ص ٩٥ بتصرف يسير.

(٢) د. يوسف القرضاوي في كتابه «الصحوة الإسلامية» ص ٦١.

يرون إمكانية الأخذ بها وسيلة، ولا يدركون حقا أنها منهج حياة غربى، إذا أخذناها بخيرها وشرها! إذ لا يمكن فصل الحرية كقيمة عظيمة عن بقية سمات هذه الديمقراطية التى سلكها حتى أصبحت قيمة غربية متكاملة مثل برامج الحاسب الآلى، أو الصفقات التجارية أو الأفلام الدعائية، التى تقدم مفهوما متكاملا، إما أن تأخذها كلها أو تتركها برمتها، لا حسب إرادتك، بل حسب تماسك هذا المنهج، وترابط جزئياته، وصلاحية البيئة الغربية لذلك، وأيضا بسبب بعد المنهج الإسلامى عن قبول الترقيع»[٣].

السياسة الأمريكية

ولم تتوقف المحاولات الغربية عند هذا الحد، وإنما أخذت بعض المبادىء الرائعة التى سبق إليها الإسلام كل دساتير العالم بأكثر من ألف وثلاثمائة سنة، وصبغتها بصبغتها الغربية ذات الطابع الأمريكى لتخدع العالم كله زاعمة أنها صاحبة الفضل فى إنشائها، مستغلة فى ذلك جهل كثير من الشعوب الأوروبية بحقيقة الإسلام وبشرائعه وآدابه، بغية التأثير فى هذه الشعوب وصرفها عن الاعتراف بأن الإسلام العظيم هو أول من نطق بها وعمل على ترسيخها بين البشر جميعا، ومن أبرز هذه المبادىء التى أخذها الغرب ونسبها إلى نفسه، مبدأ حقوق الإنسان، يقول الأستاذ كمال الهلباوى فى كتابه «السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط»[٤]: لقد قام الغرب بـ«طرح مفهوم حقوق الإنسان، حتى ينسى الناس المفهوم الإسلامى لحقوق الإنسان وهو أشمل مما فى الديمقراطية والمفهوم الإسلامى لتكريم الإنسان يتمثل فى الآية الكريمة.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾

(الإسراء - ٧٠)

ومن ثم يرد الناس هذه القضايا الإنسانية إلى نظم وضعية، ولا ترد إلى المنهج الربانى فى تكريم الإنسان»، ومما يجب أن نذكره فى مثل هذا الموقف، ما أعلنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى خطبته الجامعة التى ألقاها فى حجة الوداع، ومما جاء فيها: «أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا.. ألا لا يبغى بعضكم على بعض.. ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب..!!»[٥]

العلمانية ضد الشريعة

ومن الشعارات التى يستغلها العلمانيون استغلالا سيئا، شعار «الدين لله، والوطن للجميع»، وهو شعار صحيح فى ذاته، ولكنه أسىء استغلاله لحاجة فى نفوس هؤلاء العلمانيين، فهى «كلمة حق أريد بها باطل» فالدين لله حقا، وهو سبحانه الذى سيحاسب عليه فى الدار الآخرة، وهو ما يسير فى ركاب قول الله - عزت كلمته -:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وفى ركاب قوله - تباركت أسماؤه:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

لكن أصحاب هذا الاتجاه العلمانى، الذين تساندهم السياسة الأمريكية والغربية فى هذه المنطقة من العالم، يفسرونه تفسيرا يخدم أهدافهم، ويحقق آمالهم، فهم يفسرون هذه العبارة بمعنى أن «قضية الدين» قضية فردية فى فلسفتها وأهدافها، فلا معنى إذن لأن تقوم الدولة بمؤسساتها، وأجهزتها الرسمية برعايته والسهر على تنفيذ أحكامه وتشريعاته، ولا داعى لأن تعلن الدساتير فى الدول الإسلامية أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، وأن شرائعه وقوانينه يجب رعايتها والعمل على إقامة مؤسساتها، فالعلمانية لا تقبل التعايش مع الدين الإسلامى كما أنزله الله - عز وجل - وإنما «هى قد تقبله عقيدة فى ضمير الفرد، ولكنها لا تقبل هذه العقيدة أساسا للولاء والانتماء، ولا ترى أن من موجبات العقيدة الالتزام بحكم الله ورسوله».

الاستعمار

«وهى قد تقبله عبادة ونسكا، لكن على أن تكون شأنا موكولا إلى الأفراد لا على أن ترعاه الدولة، وتحاسب عليه، وتقدم الناس أو تؤخرهم على أساس الالتزام بذلك أو عدمه».

«وهى قد تقبله أخلاقا وآدابا، ولكن فيما لا يمس التيار العام، المقلد للغرب، فالأصل لدى العلمانيين أن يبقى الطابع الغربى سائدا، غالبا على عاداتنا وتقاليدنا فى المأكل، والملبس، والزينة، والمسكن، والعلاقات بين الرجال والنساء، ونحوها ضاربين عرض الحائط، بما قيد الله به الفرد المسلم والمجتمع المسلم، من أحكام الحلال والحرام».

«أما الشىء الذى تقف العلمانية ضده بكل صراحة وقوة، فهو «الشريعة»، التى تنظم بأحكامها الحياة الإسلامية، وتضع لها الضوابط الهادية، والعاصمة من التخبط والانحراف، سواء فى ذلك ما يتعلق بشئون الأسرة «الأحوال الشخصية» أو المجتمع، أو الدولة، فى علاقاتها الداخلية أو الخارجية، السلمية أو الحربية، وهو ما عنى به الفقه الإسلامى بشتى مدارسه، ومختلف مذاهبه، وخلف لنا فيه ثروة تشريعية طائلة، تغنينا عن استيراد القوانين من غيرنا، وهى قوانين لم تنبت فى أرضنا ولم تنبع من قيمنا وأعرافنا، وهى بالتالى تظل غريبة عنا، مرتبطة فى أذهاننا، وقلوبنا بالاستعمار الدخيل، الذى فرضها علينا دون إرادة ولا اختيار منا»[٦].

وهكذا، يعيش الإسلام والمسلمون بين تحديات كبيرة، لا قبل للشعوب الإسلامية بمواجهتها إلا بالاعتصام بحبل الله، ليكونوا أقل اختلافا وتدابرا وأكثر يقظة وترابطا، فدينهم واحد، وربهم واحد، وهدفهم واحد، ومصيرهم واحد.. قال تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

(٣) كمال الهلباوى فى كتابه «السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط» ص ٨٣ بتصرف يسير اقتضاه المقام.

(٤) ص ٨٣ بتصرف.

(٥) مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٦٨.

(٦) د. يوسف القرضاوى فى كتابه «الإسلام والعلمانية وجها لوجه» ص ٧٤.

من هنا نبدأ

للدكتور / حمدى فتوح والى

إن أخطر ما تصاب به الأمم، أن تصاب فى عقيدتها. وتستهدف فى دينها وقيمها وتظهر آثار هذا الخطر فيما تعانيه الأمة المصابة من انحلال العزيمة، وغياب الهدف، وضعف الحافز، وفقدان الثقة بالنفس. مما يجعلها هدفًا لأعدائها ولقمة سائغة فى فم المتربصين بها. ومهما حاول المخلصون من أبناء هذه الأمة أن يوقفوا سقوطها أو يكملوا نقصها، ويتولوا ستر هذه الأمراض بالتجميل والترميم، بعيدًا عن معرفة أسباب الداء، والشروع الصادق فى تقديم الدواء فلن تفلح هذه الجهود مهما عظمت، ولن تجدى تلك المحاولات مهما صاحبها من دواعى الإخلاص والإتقان.

إن الطريق واضحة بيّنة، والبدء بالإصلاح له أدواته ووسائله، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وأول الإصلاح وأعظمه هو إصلاح النفوس وتهذيبها، والصبر على تخليصها مما خالطها من شوائب الجهل، وما استقر فيها من رواسب الخرافات. وما سيطر عليها من خلل فى الفهم وخطأ فى التصورات. فهذا الخلل الذى أصابها أفقدها القدرة على وضوح الرؤية، وحال بينها وبين سداد الرأى وإصابة الهدف وصدق الشاعر الحكيم حيث يقول:

يقضى على المرء فى أيام محنته
حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

ومن هنا كان ضروريًا أن نبدأ الإصلاح من بدايته الصحيحة، وأن ندخل إليه من بابه الحقيقى. وهذا الباب الذى يؤدى إلى الإصلاح قد تعبت البشرية فى البحث عنه طويلاً، وظهرت آثار بحثهم فى ركام هائل من الفلسفات والاجتهادات والتجارب والمحاولات. وظهرت فى عالم الفكر مدارس واتجاهات. بدءًا من «جمهورية أفلاطون» ورؤيته المثالية. ومرورًا بمحاولات ماركس وفلسفته الشيوعية. ووصولاً إلى رؤية جون ديوى ونظريته البراجماتية. وانتهاءً بفوكوياما. وهنتنجتون، ورؤيتهما العنصرية الاستعلائية التدميرية، التى تقوم على فكرة «صراع الحضارات»، وهى الفلسفة التى تغذى عقول القادة السياسيين فى أمريكا ويصدرون عنها فى اتخاذ قراراتهم التى يقودون بها الأرض. ويشكلون على أساسها طبيعة العلاقة مع الناس شعوبًا وحكومات.

طبيعة العقل البشرى

وإذا كانت تلك الفلسفات قد جاءت نتيجة إعمال العقل البشرى وإقحامه فى الحكم على كل شىء، حتى فيما لا طاقة له بالنظر فيه، أو الوصول إليه، مثل المعنويات والروحانيات والغيبيات. فهذا - يعنى بداهة - عجز هذه الرؤية وقصورها، مهما بذل الفلاسفة والحكماء من جهود، ومهما اجتهدوا وأبدعوا من تصورات؛ لأن العقل البشرى نفسه غير قادر على الإحاطة بالمطلق. واستيعاب اللامحدود، وإنما سيظل أسيرًا لما يحسه ويلمسه ويعقله من هذه المحسوسات والمعقولات. أما ما عدا ذلك من أمور الخلق والتكوين والرزق والإحياء والإماتة والبعث والحشر والنشور، وما يحفز الإنسان للعمل وما يحجزه عن الضرر. وما يمنحه الشعور بالأمان والاطمئنان وراحة الضمير. هذا كله لا تعرفه تلك العقليات الجامدة الجاحدة، وإنما هو شأن الله الذى له الخلق والأمر.

وإذا عرفنا أن تلك طبيعة العقل البشرى من القصور والعجز والوقوف عند ظواهر الأشياء وعدم الإحاطة بما لا يقع تحت إدراكه، أو إدراكنا سبب ما يعانيه الغرب من أزمات واضطرابات. وقلق. وانتحارات. ورغبة فى التخلص من الحياة، عندما تغدو فى نظر أصحابها عبئًا ثقيلاً وكابوسًا لا يطاق، وهذا ما عبر عنه الشاعر اللبنانى «إيليا أبو ماضى» بقوله:

جئتُ لا أعرفُ من أين ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قُدامى طريقًا فمشيتْ
وسأبقى أمشى هكذا إن شئت هذا أو أبيت
كيف جئت.. كيف أبصرت طريقى.. لست أدرى

وأنا أصدق كل من لم يقرأ القرآن ليتلقى حقائق الكون عن رب الكون إذا قال لست أدرى.

الإيمان كبرى المنن

«إن الإنسان يدّعى العلم، وهو لا يعلم نفسه، ولا ما يستقر فيها من مشاعر، ولا يدرك حقيقة نفسه، ولا حقيقة مشاعره، فالعقل نفسه لا يعرف كيف يعمل، لأنه لا يملك مراقبة نفسه أثناء العمل، وحين يراقب نفسه يكف عن عمله الطبيعى، فلا يبقى هناك ما يراقبه!. وحين يعمل عمله الطبيعى لا يملك أن يشغل فى الوقت ذاته بالمراقبة!. ومن ثم فهو عاجز عن معرفة خاصة ذاته، وعن معرفة طريقة عمله!. وهو هو الأداة التى يتطاول بها الإنسان».

«إن الإيمان هو كبرى المنن التى ينعم بها الله على عبد من عباده فى الأرض إنه أكبر من منّة الوجود الذى يمنحه الله ابتداء لهذا العبد، وسائر ما يتعلق بالوجود من آلاء الرزق والصحة والحياة والمتاع.

إنها المنة التى تجعل للوجود الإنسانى حقيقة مميزة، وتجعل له فى نظام الكون دورًا أصيلاً عظيمًا»[1].

(1) فى ظلال القرآن - سيد قطب ط ٧ ص ٣٢٥٠ - دار الشروق.



يد الله

لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل

تأليف

جريس هالسيل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

٣

النفاق من أخطر ما تصاب به المجتمعات البشرية. ويتمثل خطره فيما يشيعه فى المجتمع من بلبلة واضراب يفقد الأفراد ثقتهم بعضهم ببعض، بل قد يمتد هذا الأثر إلى أن يفقد الإنسان ثقته بنفسه، فلا يدرى إن كان محقًا فيما يصنع أو هو مخطئ يجانبه الصواب!.

ويشتد هذا الخطر عندما يتغلغل النفاق فى كيان المنافق ويستشرى فيه، فيصبح فاقد الأمل فى علاجه وعودته إلى الرشاد. عندئذ يصير هذا المنافق كيانًا لا أساس له، مثل الريشة التى تتقاذفها الريح، فلا تستقر على حال:

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾

(النساء: ١٤٣)

لذلك... كان المنافقون فى المجتمع الإنسانى بؤرة شر وخطر، لا يسلم من سمومهم خلية واحدة من خلاياه، فكان وصف المولى - سبحانه وتعالى - لهم أدق وصف يكشف عن حقيقتهم وما تنطوى عليه مكنوناتهم، بما يشيعونه من شر، حيث يقول:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

(التوبة: ٦٧)

ولكنهم - بما طبعوا عليه من خداع - قبل أن يأمروا بالمنكر يلبسون هذا المنكر ثوب المعروف، ثم يأمرون به ويحضون عليه بتقديره معروفًا، وقبل أن ينهوا عن المعروف يلبسون هذا المعروف ثوب المنكر، ثم ينفرون منه، وينهو عنه بتقديره منكرًا.

كما كان وصف المولى - سبحانه وتعالى - لهم أدق وصف، يكشف عن أثرتهم، وأنانيتهم، وجبنهم، رغم تظاهرهم بالشجاعة والقوة، والإيثار والإقدام، كما جاء فى قوله - عز شأنه -:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

(الحشر: ١١ - ١٣)

فهم يدفعون غيرهم ليصنع ما يريدون، حتى يلوذوا بالفرار عندما تنكشف الحقيقة.. وهم يعدون ولا يوفون.

ومن هنا... رأينا القس (جيرى فولويل) وأعوانه لا يبالى واحد منهم بأى وازع يردعه عن السعى لتدمير البشرية بما يبثه من فكر ضال، وأحاديث ملفقة، ونصوص مزيفة، تحت ستار (العودة الثانية للمسيح).

لقد رأيناهم مستغرقين فى نشوة انتصار النفاق، وانتشار الكذب، وإشاعة الأضاليل، يقضون حياتهم فى اختراع المفتريات وجعلها زيتا ليصبوا عليها نيران أحقادهم فتظل على اشتعالها لتهلك الحرث والنسل، كما بدا فيما أطلعتنا عليه (جريس هالسل) من مسيرتهم، وما كشفته من مقاصدهم وأساليبهم المضللة..

القدس بين حقائق التاريخ والأقاصيص الإنجيلية

وعلى هذا الطريق الكاشف أوضحت الكاتبة فى الفصل الثامن (القدس فى التاريخ): أن زيارتها لمدينة القدس، وتجولها فى أنحائها - بصحبة واحد من مواليدها اسمه «محمود على حسن» - كشف لها من الحقائق ما أكد لها أن ما عرفته عنها فى طفولتها - وما عرفه معظم البروتستانت الغربيين - بعيد عن الحقيقة تمامًا؛ لأن مرجعهم الأساسى فيما عرفوه إنما هو القصص الإنجيلية، وأخبار اليوم التى لا تفتأ تردد ما يدعيه اليهود الإسرائيليون من أن لهم حقًا مطلقًا وأبديًا فى القدس.

فقد عرفت من هذه الزيارة أن سكان المدينة القديمة المسوَّرة كانوا - فى أكثريتهم الساحقة - عربًا على مدى التاريخ، حيث يستطيع أى عربى أن يسرد من أسماء أجداده عشرة أجيال. وعرفت: أن أسرة مرافقها محمود عاشوا فى البيت العائلى ثلاثمائة سنة المنصرمة، ورأت: أن تسعين فى المائة من المدينة القديمة يشكله الأسواق العربية، والبيوت العربية.

وعرفت: أن القدس واحدة من أقدم مدن العالم، حيث أقامها الأموريون قبل أربعة أو خمسة آلاف سنة لتكريم إلههم المدعو «شالم» ثم جاءت أفواج غيرهم؛ منهم الكنعانيون الذين جعلوا من القدس مركزًا مبكرًا لعبادة الله - الواحد -، فإن العبرانيين لم يصلوا إلى القدس إلا بعد عدة قرون، ولم تستمر إقامتهم بها أكثر من أربعمائة سنة.

فقد تم إبعادهم منذ حوالى ألفى سنة.

وعرفت: أن المسجد الذى ينسب إلى عمر ابن الخطاب إنما بناه الخليفة الأموى الذى كانت دمشق عاصمة له، وأن دُرَّة القدس الهندسية بنيت لسبب واحد هو حماية الصخرة الضخمة وتزيينها لاعتقاد أن الله ـ سبحانه ـ أسرى بمحمد ﷺ من هذه الصخرة المقدسة إلى السماء.

وفى طريقها إلى الدير الذى تقيم به داخل المدينة القديمة أخبرها محمود: أن المواقع التى يَعُدُّها اليهود والمسيحيون أماكن مقدسة هى كذلك... يَعُدُّها المسلمون أماكن مقدسة، وأن الأنبياء الذين يقدسهم اليهود والمسيحيون يقدسهم المسلمون كذلك.

وذكر لها: أنه لا توجد حقوق مطلقة لأى شخص أو لأى جماعة؛ فكل فئة أخذت عمن قبلها، وأن السلطة العبرية لم توجد هنا إلا منذ ستين سنة فقط.

تجلية الأساطير اليهودية... أولاً

وفى الفصل التاسع (المسيحيون غير المرئيين) قدمت الكاتبة (جريس هالسل) تفسيراً لتعمد القس «فولويل» حجب المسيحيين الأمريكيين عن لقاء المسيحيين الفلسطينيين، وصرفهم عن زيارة المعالم المقدسة فى أرض المسيح وذلك عن طريق فرضه أدلاء سياحيين إسرائيليين لمرافقة السائحين الأمريكيين، وجعل إقامتهم وتناول طعامهم فى فنادق إسرائيلية، ومطاعم إسرائيلية.

وقد وقفت الكاتبة على ذلك حين تهربت من إحدى الزيارات المفروضة وتسللت مع «جوناثان كتّاب» المحامى المسيحى الفلسطينى إلى مكتبه؛ فعرفت منه عمق تألم المسيحيين الفلسطينيين من حجبهم عن لقاء إخوانهم الأمريكيين... هذا الحجب الذى بدأ الغربيون يمارسونه منذ حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا، بعد أن كان الفكر الكاثوليكى التقليدى يَعُد هذه الأرض أرضاً مقدسة لعيسى المسيح، فلم تكن التعاليم تتضمن إمكانية عودة اليهود إلى فلسطين، أو أى شكل من أشكال منطق «الشعب المختار»، أو وجود أمة يهودية؛ ففى الأساس كان إجماع القادة المسيحيين على أن النبوءات التى تتعلق بالإحياء اليهودى... إنما تتعلق بعودة الإسرائيليين من المنفى فى «بابل»، حتى إن الحاكم «سايروس» الفارسى فى القرن السادس قبل الميلاد... حين سمح لليهود الذين أبعدوا عن فلسطين بالعودة إليها عَدَّ ذلك تحقيقاً لنبوءة عودة اليهود إلى فلسطين؛ فالتعاليم المسيحية منذ ١٦٠٠ سنة تقول: إن الكنيسة هى الوارث المباشر للديانة العبرية؛ ولذلك لم ينظر أحد إلى اليهود على أنهم «شعب مختار» ولم يكن لأى مسيحى أية عواطف رومانسية تجاه الانتصارات القديمة لأحد من المقاتلين العبرانيين.

ومما يؤكد ذلك... ما جاء فى كتاب «مدينة الله» للقديس «أوغسطين» فى القرن الخامس الميلادى، وغيره من الأعمال، من أن الكنيسة المسيحية تشمل «مملكة الرب الألفية».

وهكذا... بدلاً من تعاليم المسيح البسيطة... تحول الكهنة المسيحيون إلى قصص الحرب فى العهد القديم، بل إن المسيحيين بدأوا يتعاملون مع «التوراة» على أنها المرجع الوحيد للتاريخ؛ فأصبحوا مهووسين بالعالم الذى سيأتى، وتوجهوا إلى مظهرين اثنين من مظاهر التقاليد اليهودية، وهما: «المسيحانية»، و«الألفية».

وبهذا وذاك... تبين للكاتبة: أن القس «جيرى فولويل» وأتباعه الذين تحولوا بالمسيحية هذا التحول، ونحوا بها ذلك المنحى فأقاموا صروح المسيحية على قصص «الأرض المختارة للشعب المختار»... تبين لها: أن هؤلاء يتصرفون فى المسيحية كأنها ملك لهم وحدهم، وليس معهم أحد آخر يعتز بمسيحيته.

استنفار عام... لتدمير المسجد الأقصى

وفى الفصل العاشر «حصار مسجد» أوضحت الكاتبة مدى تآزر القوى الصهيونية مع «القدريين» من المسيحيين الإنجيليين من أجل إزالة جميع الصروح الإسلامية فى القدس، لإقامة الهيكل الثالث، حيث قامت ببحث استقصائى، التقت فى أثنائه بنوعيات مختلفة من اليهود والمسيحيين والإنجيليين شملت المسئولين الرسميين، ورجال الدين، وضباط الجيش، والعاملين فى مجال السياحة والإعلام، وغير ذلك... فى أمريكا وفى إسرائيل... فوجدت أن جميعهم يتحدثون لغة واحدة، لا يكاد يختلف فيها واحد عن الآخرين حول الخطة المرسومة، والعمل الدائب لتنفيذها.

وبدأت ذلك بالحديث عن مجموعة من القدريين الأمريكيين الذين قدموا من «دنفر بكولورادو» أطلقوا على أنفسهم اسم «المسيحيون الهتمون»، وقد اعتقلتهم الشرطة الإسرائيلية سنة ١٩٩٩ بتهمة التخطيط للقيام بنهاية دموية للإسراع بالعودة الثانية للمسيح، متوسلين إلى ذلك بتدمير الصرح الإسلامى الأكثر قداسة فى القدس؛ إيماناً منهم ـ مثل غيرهم من القدريين ـ بأن الله يريد ذلك.

وشفعت الكاتبة ذلك بما فهمته من المسيحيين الذين التقتهم فى أثناء الجولة التى يتظمها «فولويل» من أنهم يحيطون هذه الفكرة بالسرية.

ثم... بما ذكره المرشد السياحى قائلاً ـ وهو يشير إلى القبة، والصخرة، والمسجد الأقصى ـ: «هناك.... ستبنى الهيكل الثالث.. لقد أعددنا كل الخطط اللازمة للهيكل، حتى إن مواد البناء أصبحت جاهزة أيضاً، إنها محفوظة فى مكان سرى. هناك عدد من المحلات التى يعمل فيها الإسرائيليون لإعداد اللوازم التى ستستخدمها فى الهيكل الجديد، ويقوم أحد الإسرائيليين بنسج قطعة من الكتان الصافى لاستخدامها فى صنع ملابس كهنة الهيكل».

وبعد صمت قصير.. استطرد قائلاً: «فى مدرسة دينية تدعى: «تاج الكهنة» (ياشيفا اتيريت كوهانيم) وتقع بالقرب من مكان وقوفنا... يقوم الحاخامات بتعليم الشبان كيف يؤدون مناسك التضحية بالحيوان، على نحو ما فعلنا فى الهيكل الأول والثانى؛ لأن إهمال دراسة تفاصيل الخدمة فى الهيكل هو إثم، كما تعلمنا من معلمينا.

ولما لفتت الكاتبة نظر زميلها فى الرحلة، ضابط الجيش الأمريكى «أوين» إلى قصر

المرشد إعادة بناء الهيكل على موقع الصخرة دون بقية الصروح الإسلامية، أجاب: «سوف يتم تدميرها، فلا يوجد مكان آخر لبناء الهيكل سوى هذه المنطقة، كما جاء في قانون موسى؛ والكتاب المقدس في حزقيال ٢٩ / ٤٤ ينبئنا: أنه في نهاية الزمان سيجدد اليهود التضحية بالحيوان، ولا يهمنا ما يقال حول التضحية بالحيوان. إنما يهمنا ما يقوله الكتاب المقدس، خصوصًا أن الذين سيبنون الهيكل ليسوا مسيحيين؛ بل هم يهود أرثوذكس، يلتزمون بتعاليم العهد القديم.

وفى واشنطن ... صدى هذا الحديث

وفى واشنطن علمت الكاتبة (جريس هالسل) من «تيرى ريزنهوفر» المولود ثانية من أوكلاهوما: أنه جمع أموالاً لمساعدة إرهابيين يهود يخططون لتدمير الصروح الإسلامية، وأنه كان يدعي باستمرار إلى البيت الأبيض خلال إدارة الرئيس ريجان للاشتراك فى لقاءات القدريين، حيث كان يعد صاحب مبادرات منفردة، وأن «دوجلاس كريجر» كان يعاونه كمدير تنفيذى، والحاخام «دايفيد بن آمى» المقرب من «آرييل شارون»، وأنه اختار «ستانلى جولد فوت» أمينًا عامًا للعلاقات الخارجية فى المؤسسة؛ لأنه صلب جداً، وإرهابي شرعي، ومؤهل لتنظيف الموقع اللازم لبناء الهيكل، على الرغم من أنه لا يؤمن بالله، ولا بالمقدسات الواردة فى العهد القديم.

فالمهم بالنسبة له... هو سيطرة إسرائيل على فلسطين كلها. وقد أكد القس «جيمس دى لوش»: أن صديقه الحميم «ستانلى» رجل قوى جداً، وأن «رزينهوفر» موهوب جداً فى جمع المال، فقد قام بجمع مائة مليون دولار أرسل الكثير منها إلى مدرسة «أتيريت كوهانيم ياشيفا» التى تعد الطلاب لتقديم التضحيات بالحيوان.

وذكرت الكاتبة: أن قس هيوستن أنبأها أن الدكتور «لامبرت دولفين» العالم البارز فى معهد الأبحاث بجامعة «ستانفورد» كان يلتقط صوراً بأشعة إكس لأرض المسجد لبناء الهيكل، وأنه مبتدع خطة تقضي باستخدام «رادار» أرضي يعمل على طريقة أشعة إكس لأهداف تنقيبية من خلال التصوير الجوى، والانعكاس الحرارى، والاختراق الأرضى بواسطة الرادار أو الموجات الصوتية.. كل ذلك من دون القيام بأى حفريات.

وبعد قضاء عدة أسابيع فى الموقع الإسلامى مع فريق عمل مزود بأجهزة إليكترونية بدعوة من «مؤسسة هيكل القدس»، وبتمويل من كنيسة الفرسان لتشاك سميث... اضطر إلى جمع معداته، والعودة إلى «كاليفورنيا» بسبب غضب المسلمين واحتجاجاتهم الشديدة. ولكنه ظل حتى سنة ١٩٩٩ قدريا متحمساً، مصراً على مواصلة العمل لإزالة المسجد، وبناء الهيكل اليهودى.

يضاف إلى هذا... أن المسلحين اليهود ـ ومعظمهم من الحاخاميين المسلحين والجنود، وطلاب المدارس الدينية ـ قاموا بأكثر من مائة اعتداء على الأراضى الإسلامية الأكثر قداسة.

وأن هناك خطة يهودية لتدمير المسجد، حتى لو تسبب ذلك فى نشوب حرب كبرى؛ لأن وجود مسجد قابع بينهم يشعرهم بوجود وصمة عار فى جبينهم.

وقد حاولت مجموعات من اليهود المحملين بالقنابل سنة ١٩٨٥ أن يقفزوا فوق جدار المدينة المقدسة إلى ساحة المسجد، ولكنهم اعتقلوا قبل تنفيذ مخططهم، فكانوا فى أثناء محاكمتهم يعاملون كما يعامل الأبطال الكبار. وقد اعترف أحدهم ـ ويدعى: «إيهود إتيزيون» ـ: «بأن تقصير الحكومة الإسرائيلية فى تطهير الموقع الإسلامى هو الذى أوجب عليه أن يقوم بذلك، دون شعور منه بالندم.

الإصلاحيون المسيحيون .. ومعاداة السامية

وفى الفصل الحادى عشر «اليمين المسيحي واللاسامية» ذكرت الكاتبة: أن الكنيسة المسيحية كانت على مدى تاريخها معادية للسامية، فقد مارست الكنيسة الكراهية المؤسسة على قضايا عقائدية على مدى ألف وسبعمائة عام.

وذكرت أن معاداة الكنيسة للسامية كانت شديدة بصورة خاصة خلال الثلاثمائة سنة الأولى من العصر المسيحى؛ فقد وافق «جوستن مارتن» على تدمير إسرائيل، واعتبر معاناة اليهود حقاً، ونقل عن أشعيا قوله: «إن بلادكم قفر، ومدنكم طعم للنار، أرضكم مستباحة للغرباء وأنتم تشاهدون».

وإن «تارتوليان» تحدث عن اليهود بكراهية واضحة، وقال: إن تحول هيكلهم وبلادهم إلى ركام، وإن تشتت شملهم فى العالم كله عقاب لهم.

وإن «هيبوليتوس» اتهم اليهود بالمشاركة فى اضطهاد المسيحيين.

وفى كتاب: «تاريخ الطقوس الكنسية قال (أوسيبيوس)»: إن نبوءات العهد القديم تحققت فى المسيح، وأن القوة والقيادة فى إسرائيل أصبحت بين مسيحيى المسيح، وأن البعثة العالمية التاريخية لشعب إسرائيل انتزعت منهم وأعطيت للكنائس المسيحية».

وأن «إبحرام» ذكر فى دراسته: أنه بعد مرور ثلاثمائة سنة على تأسيسها تحولت المسيحية من فئة مضطهدة إلى قوة مارست الاضطهاد، وآذت الآخرين.

وأن الصليبيين ـ خصوصًا الانجليز ـ كانوا غلاظًا فى اضطهادهم لليهود؛ إذ حرموهم من التمتع بثرواتهم غير الشرعية فى الوقت الذى كان الجنود يحاربون من أجل طرد المسلمين من الأرض المقدسة، والانتقام لصلب المسيح؛ فقد أباد الجنود المسيحيون مجتمعات يهودية من جذورها.

وأن أوروبا الغربية المسيحية أغلقت كل أبوابها فى وجه اليهود؛ ففى سنة ١٢٩٠ طرد اليهود من انجلترا، وفى سنة ١٤٩٢ طردوا من أسبانيا، وبعد ذلك بوقت قصير طردوا من البرتغال.

وأن «مارتن لوثر» قائد الإصلاح الدينى أبدى كرهاً مراً لليهودية ولليهود فى قوله: «يجب أن يطرد اليهود من ألمانيا، وأن يمنعوا من عبادة الله، وأن تصادر التوراة وسائر كتب الصلاة لديهم، ويجب أن تحرق كنسهم وتدمر بيوتهم».

.... يتبع ....

المسلمون مطالبون بالتفاعل مع مستجدات العصر والحفاظ على قيمنا

توصيات المؤتمر تؤكد على:

- خصوصية القيم والتقاليد الإسلامية وضرورة المحافظة عليها فى مواجهة تيارات العولمة
- رفض كل المحاولات الظاهرة والمستترة التى تحاول طمس الهوية الإسلامية واستبدالها بغيرها.
- الإسلام أنصف المرأة ونبذ كل أشكال التمييز ضدها.
- مطالبة الفضائيات العربية بعدم الانسياق وراء نشر الجوانب السلبية من العولمة فى ديارنا
- مطالبة مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة واليونسكو بالتصدى لما تقوم به اسرائيل من أعمال هدم وتغيير بالمسجد الأقصى.

احتشد علماء ومفكرون وشخصيات إسلامية كبيرة يصل عددهم إلى ٢٥٧ شخصية تمثل ٨٨ دولة ومؤسسة وهيئة علمية.. وكان فى مقدمة هذه الشخصيات السيد محمد خاتمى رئيس جمهورية إيران الإسلامية السابق، والمرجع الشيعى آية الله تسخيرى، ود. عصام البشير وزير الأوقاف السودانى السابق، وحمود عباد وزير الأوقاف اليمنى..

وفى حفل افتتاح المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية كان السيد الأستاذ الدكتور أحمد نظيف نائباً عن السيد رئيس الجمهورية فى هذا المؤتمر الذى تناول فى دورته هذه «مشكلات العالم الإسلامى وعلاجها فى ظل العولمة».

الحلقة الثانية: الأبعاد الثقافية والاجتماعية وذلك فى الفترة من ٨ ـ ١١ ربيع الأول ١٤٢٨هـ.

وكان فى مقدمة حضور حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والبابا شنودة الثالث والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وكوكبة من أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومن

متابعة الأستاذ/ عاطف مصطفى

الأزهر الشريف وجامعاته وكلياته المختلفة.

وهذه الدورة تميزت بوجود وفود مشاركة على هامش المؤتمر من غير المسلمين، وهذه تعد حسنة من حسنات أى مؤتمر يفسح المجال لغير المسلمين لكى يتعرفوا عن قرب على ديننا الإسلامى السمح والاستماع من علمائه مباشرة فى الرد على الشبهات عن هذا الدين العظيم، وخصوصا فى هذه الفترة الأخيرة التى بدأت بالرسوم المسيئة ضد نبى الإسلام ﷺ، وتلك الكلمات غير المفهومة من البابا بندكت -بابا الفاتيكان- والذى أساء بها لمشاعر المسلمين، الذين يصل عددهم الآن إلى ما يزيد على المليار ومائتى مليون نسمة ينتشرون فى كل بقاع العالم.

وقد واصل المؤتمر هذا العام ما بدأه فى العام الماضى من مناقشة العولمة وتأثيراتها المختلفة على العالم الإسلامى ومشكلاتها.

وفى الكلمة التى ألقاها الدكتور أحمد نظيف رئيس الوزراء نيابة عن السيد الرئيس حسنى مبارك.

قال الرئيس: يسعدنى أن أرحب بكم على أرض مصر، مهد التوحيد، وبلد التسامح والتعايش بين مختلف الأديان والحضارات، ويسعد مصر كلها شعبا وحكومة أن تحتضن مؤتمركم هذا للعام التاسع عشر على التوالى لتدارس قضايا الأمة الإسلامية، والتحديات التى تواجهها، وموقفها إزاء ما يجرى فى عالمنا المعاصر من تطورات وصراعات ودورها فى الإسهام البناء فى إرساء قواعد الأمن والسلام والاستقرار فى هذا العالم الذى هو عالمنا جميعا.

وأضاف: إن المسلمين فى هذا العالم لا يعيشون وحدهم فهم جزء لا يتجزأ من هذا العالم، يتأثرون بما يدور فيه من تطورات غير مسبوقة.

وقال الرئيس مبارك فى كلمته للمؤتمر: وإذا كان مؤتمركم فى هذا العام يركز على الأبعاد الثقافية والاجتماعية للعولمة ومدى تأثيرها على العالم الإسلامى، وانعكاس ذلك على الحلول المقترحة للمشكلات

الخاصة بالعالم الإسلامى فإن من المعروف أن التحولات الاجتماعية والثقافية فى المجتمعات الإنسانية بصفة عامة، هى تحولات مستمرة ومتواصلة، تبعا لتطورات الزمان والمكان، ولكن هذه التحولات الجديدة تختلف اختلافا واضحا فى طبيعتها عن التحولات الاجتماعية والثقافية فى مجتمعات ما قبل عصر العولمة، ذلك لأن تحولات ما قبل عصر العولمة كانت محكومة أو متوائمة بشكل من الأشكال مع الخصائص التى يتميز بها كل مجتمع، وبالتالى فإنها لم تستطع أن تخلخل هذه الخصائص بشكل يذيبها أو يقضى عليها ولكن الأمر فى عصر العولمة يختلف، فمستجدات عصر العولمة تدخل كل مجتمع دون استئذان، ولن يفيد فى هذا المجال غلق الأبواب وسد النوافذ، فلم يعد ذلك أمرا ممكنا كما كان عليه الحال من قبل.

وأشار إلى أن المسلمين فى عالمنا المعاصر يقفون فى مفترق طرق، وهم يواجهون ظاهرة العولمة، وعلينا أن نسعى للاستفادة مما تتيحه من فرص ومكاسب، وأن نحمى مجتمعاتنا فى ذات الوقت مما تنطوى عليها من انعكاسات سلبية فى أبعادها الثقافية والاجتماعية، علينا أن نحصن مجتمعاتنا بما يحفظ هويتها وخصوصياتها وقيمها الدينية والثقافية.

حضارتنا منفتحة على العالم

وبين أن عالمنا الإسلامى فى سعيه لتحقيق ذلك، يتعين أن يمتلك رؤية واضحة قائلا: أود أن أطرح عليكم بعضا من معالمها: ضرورة الاسترشاد بما فعلته الحضارة الإسلامية فى السابق، فقد كانت هذه الحضارات فى بداية نشأتها وفى أوج عظمتها منفتحة على جميع الحضارات والثقافات، ومن هنا وجدنا أن الفيلسوف العظيم ابن رشد يجعل التعرف على ما لدى الآخرين متطلبا يرقى إلى مستوى الواجب الشرعى، ويوصى بأن ننظر فى ذلك نظرة نقدية، ونستفيد من الإيجابيات، ونتجنب السلبيات.



د. أحمد نظيف

وأهمية الحفاظ على قيمنا الاجتماعية والأخلاقية فى مجتمعاتنا الإسلامية عن طريق المناهج التربوية والوسائل الإعلامية، ترسيخاً لهويتنا ودفاعا عنها من مخاطر تذويبها، وضرورة التجديد والتطوير المستمر فى ثقافتنا وفى فكرنا وفى خطابنا الدينى، كى نكون قادرين على تحقيق المواءمة بين الحفاظ على هويتنا وخصوصياتنا وثوابتنا والانفتاح فى ذات الوقت على العالم، وتعزيز الحوار بين أمتنا الإسلامية والعالم، على نحو جاد، وبناء يقوم على الاحترام والتكافؤ والمصالح المتبادلة، ويتصدى لدعاوى ونظريات صدام الحضارات والأديان.

واختتم الرئيس كلمته قائلا: إن الأمل معقود على علماء الأمة وقادة الرأى والفكر كى ينشروا الوعى فى أرجائها وينعشوا الأمل فى نفوس أبنائها، حتى تتحرك الطاقات الإبداعية، وتنبعث الهمم وتتجه الأمة بكل طاقتها نحو البناء والتعمير على المستويين المادى والمعنوى لتتبوأ مكانتها اللائق بها فى عالم اليوم.

تجدد الإخاء الإنسانى

وفى كلمته للمؤتمر قال فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر: عندما يقف الإنسان منا فى هذا الحفل الكريم بين إخوته وبين إخوانه من صفوة العلماء الذين نلتقى بهم فى هذا المكان الطيب من ثمان وثمانين دولة نقول ما قاله الصالحون قبلنا:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

(الأعراف: ٤٣)

والعقول الإنسانية مثلها كمثل تلك الثريات التى نراها من حولنا، كلما تقاربت كلما شاع ضوؤها، وكلما ازداد ضياؤها.

ومصر بقلوبها قبل ألسنتها ترحب بالإخوة الذين جاءوا لكى نتعاون جميعاً على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، لكى نناقش مشكلاتنا، ونعمل بإذن الله - سبحانه وتعالى - على حلها، ولو لم يكن لهذه الاجتماعات وتلك اللقاءات من فضل سوى أنها تجدد الإخاء الإنسانى فيما بيننا لكفاها شرفاً ولكفاها فخراً.

وقد رحب بالسيد محمد خاتمى بقوله: ويزداد السرور عندما نجد من الذين شرفونا فى هذا المؤتمر فخامة السيد محمد خاتمى رئيس الجمهورية الإيرانية الإسلامية السابق، وهو رجل - والحمد لله - رزقه الله - عز وجل - القلب السليم، والفكر المستنير، واللسان الصادق، ونسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يجعله وأن يجعلنا جميعاً ممن قال الله سبحانه وتعالى فيهم:



د. محمد سيد طنطاوى

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

(الحج: ٢٤)

طرح مفاهيم مستقلة

وقال السيد محمد خاتمى فى كلمته فى حفل الافتتاح:

لابد للعالم الإسلامى أن يحدد موقعه وموقفه إزاء العولمة، والخطوة الأولى فى هذا السبيل تتمثل فى اجتياز مرحلة الاضطراب فى المفاهيم، حيث عانى مفهوم العولمة من عدم التقويم النظرى ولا البلوغ العلمى فى الأوساط الأكاديمية.

وبين السيد خاتمى ضرورة التفريق بين العديد من المصطلحات المتداخلة فى هذا الشأن مثل: العالمية، والتعولم، والعولمة والتوجه العولمى، لأن ذلك يثير اضطرابا فى أذهان العامة.

ثم تساءل فى كلمته قائلاً: عن أى شكل من أشكال التعولم يمكن القبول به، بحيث يمنح للعالم الإسلامى موقعاً ومكانة أكثر إشراقا، موضحا أن أمامنا روايتين عن التعولم.

- الأولى: تفسره بأنه نظام موحد للحياة، نموذج إدراكى موحد، ومنظومة قيمية واحدة على الصعيد العالمى، وفى ظل هذه الرواية مطلوب كل

النماذج الثقافية في بوتقة هذه العملية العالمية، وغالباً ما يستند أصحاب السلطة الذين يدعون أنهم قادة العالم، والمنبهرون بثروة أمريكا وقوتها العلمية إلى هذه الرواية، على أمل تحويل العالم إلى عالم أمريكي، وتغليب النظام العالمي الجديد الذي تشكل أمريكا مركز الثقل فيه.

● أما الرواية الثانية: عن التعولم، فهي تلك العملية التي كانت مرتكزة على نوع من منح الأولوية للثقافة الغربية والارتباط الأحادي الجانب بين الثقافة الأوروأمريكية، وبين الثقافات الأخرى تحت عنوان الحداثة.

ولو اعتمدنا هذه الفرضية، يمكن اعتبار العولمة حينئذ عملية تتضمن فرصاً جديدة للثقافات والحضارات، والتي من شأنها بل وينبغي أن تستبدل سوء التفاهم والنزاع بالتفاهم والتعاطي البناء لمواجهة التحديات المشتركة بآليات موحدة.

وفي معرض حديثه عن ضرورة الحوار بين الحضارات والثقافات، فقد أكد السيد محمد خاتمي على أن الحوار تنتج عنه رؤية عالمية، ولكل حوار مقتضياته والتزاماته التي ينبغي الرضوخ إليها، ولعل أهم هذه المقتضيات:

● ضرورة تحاور الحضارات غير الغربية مع الحضارة الغربية الجديدة.

● ضرورة أن يحاور كل طرف الآخر، انطلاقاً من مواقفه وقيمه.

● ضرورة أن ترتكز كل حضارة على مبادئ خاصة بها وتساؤلات بنيوية.

ولو أدركنا عملية العولمة بدقة لرأينا أن الإيمان بالدين والقيم الإلهية لا تتهدد في جميع الحالات في عصر العولمة، بل وأخذت تنمو في مجالات كثيرة، وذلك ناتج عن عدة قضايا منها:

● أن الكثير من المبادئ العالمية غير منسجمة مع القيم الإسلامية التي تنبع من الفطرة الإنسانية وفقا للتعاليم الدينية.

● أن العولمة تلازم نوعاً من الأقلمة، فالقيم العالمية لن تنتشر إذا لم تتوافق مع خصائص الثقافات المحلية.


محمد خاتمي

● تخلص الثقافات تدريجياً من قبضة السلطات يوفر الأرضية لتبلور الحاجة الذاتية والفطرية للإنسان إلى القضايا، ويتجلى ذلك في الثقافة والفولكلور.

● رغم محاولات وسائل الإعلام المسيطرة أن تعطي للجمهور صورة سلبية عن الإسلام، وتروج لنوع من الإسلاموفوبيا، إلا أن صورة الإسلام الجديدة والتي تتضمن حق الشعوب وحاكميتها في الأمور أخذت تنمو وتنتشر.

وفي ختام كلمته في الجلسة الافتتاحية أكد السيد محمد خاتمي على ضرورة عدم التقوقع في فخ المفاهيم الناقصة والمضطربة وأن نتمكن من طرح مفاهيم مستقلة بدلاً من أن تفرض علينا المفاهيم العالمية وأن نفكر بالعقل بدلاً من ردود الفعل، وبهذا الشكل سيكون ممكنا توصيل ديننا الإسلامي إلى الموقع اللائق والمطلوب في العالم المعاصر.

تحديات ومسئوليات كبيرة

وفي كلمته تساءل الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف: إلى أين يسير عالمنا الإسلامي؟ وهل أصبح مجرد مستقبل لما طرأ ويطرأ على عالمنا المعاصر من متغيرات دون أن يكون له دور ما في صنع الأحداث أو حتى اختيار ما يتفق مع خصائص حضارته، ويتلاءم مع هويته الدينية

والثقافية؟

إن هذا التساؤل ليس مجرد تساؤل عابر ضمن تساؤلات عديدة تظهر على السطح ثم تختفي، إنما هو تساؤل سيظل قائماً مادامت التحديات قائمة، وسيظل مطروحا لتذكير المسلمين بمسئولياتهم تجاه أمتهم، فالأمر جد لا هزل فيه، فنحن نعيش اليوم في قلب الأحداث، خاصة أحداث عصر العولمة بما جاء من متغيرات لا قبل للمسلمين بتجاهلها، والصراعات العالمية تجري أحداثها الآن كما هو معروف في قلب العالم الإسلامي: في العراق وأفغانستان والصومال ولبنان وفلسطين والسودان وغيرها، ولا يعلم إلا الله ما تخبئه الأيام للعالم الإسلامي من مفاجآت في المستقبل القريب أو البعيد.

وأكد الدكتور زقزوق أنه إذا كان العالم الإسلامي يواجه تحديات كثيرة في عالم اليوم، فإن هذه التحديات تفرض عليه مستويات كبيرة لمواجهتها والبحث عن أفضل السبل للتغلب على كل ما يعترض طريقه من عقبات، وهذا كله من شأنه أن يحفز المسلمين للنهوض، ويحرك طاقاتهم نحو العمل الجاد والتعاون المخلص بين أبناء الأمة على جميع المستويات، من أجل تحقيق الآمال المرجوة، حتى تتبوأ الأمة مكانها اللائق بها في عالم اليوم.

الاستفادة من تجارب الأمم

وفي الكلمة التي ألقاها الشيخ عبدالله السالمي وزير الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة عمان باسم الوفود قال: إن المؤتمر يأتي وسط ظروف صعبة، وتراكمات حضارية وردود فعل متباينة جعلت ثقافة العنف يعلو صوتها، حيث ظهرت ملامح اليأس من قبل جميع الفئات في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم فقد أدت تلك الأوضاع مع الخلل في التدبير إلى ردود فعل غير مقبولة.

وأشار إلى أن المسلم يجب أن يكون راضيا بقضاء الله، وينظر في الوجه الجميل في الدنيا، فليس في ذلك ضعف أو هروب، فالأمة من حيث الماضي واقع تاريخي، ومن حيث الحاضر قوة اقتصادية، ومن حيث المستقبل آمال وتفاؤل.


د. محمود حمدي زقزوق

وأكد الشيخ السالمي أن الفكر الإسلامي ليس إلغاء الآخر، ولكن الاستفادة من تجارب الأمم والتعلم عبر التسامح في السلوك.

فإن نهج الفلاح والنجاح هو نهج العقل والعدل، موضحاً أنه لابد من فهم الذات قبل فهم الآخر، حيث إن تقويم الإنسان لذاته أولى من تقويم غيره، ومن الضروري التركيز على المنظومة الأخلاقية، فهي اللبنة الأولى في بناء الأمة، وأن نحسن استغلال قدراتنا من خلال الفكر الإسلامي القويم، وبهذا سيعرف العالم جوهر الإسلام وموقفه من حقوق الإنسان.

عمل متصل ودءوب

كان المؤتمر قد واصل هذا العام ما بدأه في العام الماضي من مناقشة العولمة ومشكلاتها وتأثيراتها المختلفة على العالم الإسلامي وذلك على مدار أربعة أيام.

وتمثلت المحاور في أقسام:

● القسم الأول: الأبعاد الثقافية، وهذه يتفرع منها:

●● المحور الأول: الإسلام والآخر.

●● المحور الثاني: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامي.

- أما القسم الثانى: عن الأبعاد الاجتماعية ويتفرع بدوره إلى:
- المحور الأول: الترابط الاجتماعى.
- والمحور الثانى: مشكلات الأسرة.

والمحور الأول عن الإسلام والآخر تفرعت منه موضوعات شتى وهامة منها:

- الإسلام وحوار الأديان
- الحضارة الإسلامية وحوار الحضارات «تعايش أم صراع»
- الهوية الثقافية «العقيدة والشريعة واللغة»

ويندرج تحت هذا منظومة القيم الإسلامية باعتبارها رافدا من روافد الهوية الثقافية.

- العقل والعقلانية
- حقوق الإنسان الثقافية والاجتماعية.. وبرغم حداثة هذا المصطلح فقد نادى به الإسلام منذ القدم
- التجديد والحداثة
- التعددية الدينية والحضارية

ويندرج تحت المحور الثانى مخاطر العولمة على الهوية الثقافية للعالم الإسلامى:

١ـ التعليم «اللغة ـ الدين ـ التاريخ»

٢ـ الإعلام

٣ـ السينما والمسرح

٤ـ ثورة المعلومات والاتصالات

٥ ـ استنزاف العقول

- القسم الثانى: الأبعاد الاجتماعية
- المحور الأول: الترابط الاجتماعى

١ـ وحدة النسيج الاجتماعى للأمة

٢ـ إحياء النزعات الدينية والعرقية

٣ـ أنماط السلوك

٤ـ المنظمات والجمعيات غير الحكومية

- المحور الثانى: مشكلات الأسرة

١- قضايا المرأة.

٢- الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة.

٣- الصور الجديدة للعلاقات بين الرجل والمرأة.

٤- الآثار الاجتماعية والصحية «العنوسة ـ الإيدز ـ الاكتئاب- الانتحار ـ البطالة.. إلخ».

٥- الوثائق الدولية حول الأسرة والمرأة والطفل.

توصيات مهمة للمؤتمر

وكانت قد تشكلت لجنة لصياغة التوصيات برئاسة الدكتور صوفى أبوطالب وعضوية ممثلين عن الوفود المشاركة، لوضع مشروع التوصيات من واقع البحوث التى طرحت، وما أسفرت عنه المناقشات والمداخلات التى شارك فيها أعضاء الوفود من كبار المسئولين والعلماء والمفكرين من الدول المشاركة.. وانتهت اللجنة إلى مشروع التوصيات ومن بينها:

١- الحوار بين الأديان ضرورة دينية أقرها الإسلام منذ بدء الدعوة ومارسها الرسول ﷺ وأصحابه من بعده، ولهذا يؤكد المؤتمر ترسيخ الاحترام المتبادل بين الأديان، وما تنادى به من قيم وما تدعو إليه من أخلاق فاضلة وأخوة إنسانية، كما يدعو إلى ضرورة العمل على استظهار الجانب المشترك بين هذه الرسالات بما يحقق الخير والسعادة للإنسانية.

٢- يؤكد المؤتمر ضرورة تكثيف لقاءات الحوار مع غير المسلمين حيث أثبتت التجارب فاعلية مثل هذه اللقاءات فى التفاهم بين الشعوب وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام.

٣- يدين المؤتمر وسائل الإعلام التى تسىء إلى العقائد والديانات كافة تحت دعوى حرية التعبير، ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية العمل على

استصدار قرار من الأمم المتحدة يدين هذه الاعتداءات ويجرم فاعليها.

٤- يقوم الفكر الإسلامى على مبدأ التعايش بين الحضارات ويرفض دعوى الصراع بينها واستعلاء بعضها على البعض الآخر، بمحاولة فرض نماذج معينة على الحضارات الأخرى.

٥- يؤكد المؤتمر على خصوصية القيم والتقاليد الإسلامية، وضرورة المحافظة عليها فى مواجهة تيارات العولمة وغيرها.

٦- يطالب المؤتمر بعدم تغييب العقل الإسلامى، مع ضرورة استنهاضه ليؤدى دوره تجاه متطلبات الأمة للحاق بركب الحضارة دون مساس بالأحكام القطعية.

٧- يطالب المؤتمر بإعادة النظر فى الأحكام الفقهية الاجتهادية لمواجهة التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية، فى العالم المعاصر بغية إنزال حكم الشرع على الوقائع المستجدة، دون المساس بالثوابت، مع ضرورة مراعاة الواقع السياسى والاجتماعى لكل دولة.

٨- أقر الإسلام منذ ظهوره حرية الاعتقاد، كما أوجب المساواة بين المسلمين وغيرهم فى المجتمع الإسلامى، ولهذا يرفض المؤتمر كل اتهام للإسلام بأنه انتشر بالسيف، أو أنه لا يعرف حقاً للآخر، أو أنه يتناقض مع العقل الإنسانى.

٩- يرفض المؤتمر كل المحاولات الظاهرة والمستترة التى تحاول طمس الهوية الإسلامية أو استبدالها بغيرها.

١٠- إن الإسلام منذ ظهوره أنصف المرأة، ونبذ كل أشكال التمييز ضدها، واعترف لها بشخصية قانونية مستقلة فى جميع مجالات الحياة، كما أقر مبدأ المساواة بينها وبين الرجل مساواة نوعية وليست حسابية.

ويوصى المؤتمر بضرورة الفهم الصحيح للعلاقات الزوجية بناء على المساواة فى التعامل، مع تميز المرأة فيما بينهما بحقوق أوجبها على الرجل تكريما لها.

١١- يهيب المؤتمر بالمسلمة أن تعرف ما أقرته الشريعة لها من حقوق حتى لا تكون نهباً لثقافات العولمة، والتى تخرج بها عن دائرة الفضيلة فى بعض الأحيان، كما يدين المؤتمر الاستغلال المهين للمرأة والطفل.

١٢- دأبت بعض اللجان التابعة للأمم المتحدة على إصدار وثائق تخالف الشرائع السماوية مثل وثيقة الأمم المتحدة للسكان.

ويناشد المؤتمر الدول التوحد فى رفض مثل هذه الوثائق أو التحفظ عند التصديق عليها، مع مطالبة الدول الإسلامية باستمرار تمسكها عند التصديق على مثل هذه الاتفاقيات بعدم التعارض مع الشريعة.

١٣- يدعو المؤتمر الدول الإسلامية إلى ضرورة مناشدة الدول الغربية تصويب ما ورد فى المقررات الدراسية من معلومات مغلوطة عن الحضارة الإسلامية.

١٤- يطالب المؤتمر الفضائيات العربية بعدم الانسياق وراء نشر الجوانب السلبية من العولمة فى ديارنا، وتقديم الإبداع الفنى القائم على القيم الإسلامية.

كما يعرب المؤتمر عن قلقه الشديد بشأن ما يجرى من أعمال هدم وتغيير من قبل إسرائيل فى المسجد الأقصى، الأمر الذى يؤدى إلى تغيير معالمه، وسيطرة إسرائيل على الجزء السفلى منه، ويؤكد المؤتمر مخالفة ذلك للشرعية الدولية، ويطالب مختلف المنظمات والهيئات الدولية وعلى رأسها مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو بالتصدى لهذه الجرائم ووقفها على الفور.

سيجريد هونكه تشهد على العقل الغربى

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

«لقد ألح الإنجيل على خطيئة آدم، مبينا أن كافة الويلات والشرور المستشرية فى هذه الدنيا مصدرها الأول آدم».

لكن الإسلام لايرى هذا، إذ ينص على أن الله غفر لآدم بعد أن تاب:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(البقرة:٣٧)

والإسلام لا يقول أساسا بوراثة «الخطيئة الأصلية»، ولا بأن أول إنسان كان أثيما، بمعنى أن الخطيئة أو الإثم ليس أصل الفطرة التى فطر الإنسان عليها، بل إن الإثم قد يغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحا، حيث يغفر التواب الرحيم الذنوب.

سيجريد هونكه

● «إن العقل اليونانى الإغريقى عقل تأملى.. يرتاب، ويزدرى، ويتجنب الخبرة الملموسة، والعمل الذى يتطلب الملاحظة المكثفة، مثلما ينكر على الرجل الحر العمل اليدوى الموكول للعبيد فقط في الحقول، متمما بذلك تحليقه شطر مملكة الأفكار العامة والقوانين. لذا، فإن اليونانى يذعن للصيغ الفكرية الهندسية المجردة، ولأشكال الفضاء المثالية، فى الوقت الذى يترك مزاولة الأعمال الحسابية إلى البائع فى السوق..

وهذا التصنيف ينطبق على المراتب الاجتماعية بدءًا بالهيئة الحاكمة، ونزولا إلى المهن المبتذلة، كأصحاب الحرف والمهندسين ومهندسى البناء والفنيين، وختاما بالعبيد».

● «والمادة (الطبيعة) لدى حكماء اليونان: نقيضة لله تماما.. والحركة والصيرورة والتحول هى علاقة اللاكمال..»

«ورجال من أشباه هيبارش» (١٢٥ - ١٩٠م) و«آريستارش» (٣١٠- ٢٥٠ق.م) و«أرخميدس» (٢٨٧- ٢١٢ق.م) و«حيرون» (حوالى سنة ١٠٠ق.م)، نادرا ما ينجحون فى إقامة مدرسة فى بيئة لازال العمل الذهنى فيها يعتبر من مهن الأجراء، ويُترفّع فيه عن قذارة العمل اليدوى، الذى لا يُسند إلا للعبيد، وبالتالى لا لزوم إلى التقنية فيه».

«ولقد اعترف «هوميروس» (القرن التاسع ق.م.)، بعد صراع طويل مع نفسه، وبندم شديد، أنه طرح جانبا محاولة الغوص فى الحكمة اللاروحية لكتابات الوثنية» حيث قال: «أيها السيد، لو عدت إلى قراءة تلك الكتب الأرضية مرة أخرى، فإنما أنكر بذلك وجودك»!

«وبقدر ما حركت الطبيعة حكماء الإغريق، بدءًا من «بتاليس» (٦٢٤ - ٥٥٠ق.م) وانتهاء بـ«هيراقليط» (٤٨٧- ٥٤٤م)، كان لفاعل «أفلاطون» (٤٢٧ - ٣٤٧ق.م) معها ضعيفا، وجاء فى سن متأخرة، والفلاسفة الثلاثة متفقون على ذلك تقريبا، إن الحواس لا تقدر على تمييز (المعرفة) الوجود الصادق، لأنها «الحواس» تخدع الإنسان، إنها لا تدرك غير الظاهر، الشىء المتقلبة فى تياره على الدوام، مما كان، عبر ما هو كائن، فيما يؤول إليه، إنها مصدر المعرفة الضبابية، «غير الصافية»، ونفس النقص الذى يلزم المعرفة الحسية البشرية، يلتصق بعالم الظاهر المضطرب، المبتدأ التلون، المتداخل، الهائج النامى، المتحرك، المنتظم والمضطرب، دائم التغير فظيعة «العفونة» فى «المادة»!

ومن خلال اكتشاف عالم المادة والطبيعة، لا يتسنى الحصول على المعرفة. إن التعرف الفعلى على أى شىء لا يتم إلا حين يغادر الإنسان الجسد، لأن الاتحاد بالجسد لا يسمح للروح بالعثور على المعرفة».

«وفى الأفلاطونية الجديدة كان محب الجمال، صاحب الشعور المرهف، يخجل إن هو ملك جسدا؟ لذا، فإن الروح ذاتها تصبح شريرة حالما تلامس المادة، تُلوث بها وتُلطّخ، وتصاب بالشهوة».

«ولقد ابتعد أرسطو طاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ق.م) عن الحقيقة لدى تعرضه لطبيعة الطيور، لأنه لم يمارس صيد الطيور أبدا».

«لقد رسّخ أرسطو طاليس الفلسفة، وأيقظ متعة العقلانية، كما أيقظ ولعا ذاتيا فاترا فى فن البرهنة والحاجة والجدلية المصاغ منطقيا، كالتحليل والتمييز، والمفاضلة، والاستنتاج، والتصنيف، والتى تحولت، بالنظر لبقائها بدون مضمون، إلى صيغ هشة».

«لقد وضع أرسطو طاليس نفسه - كمعلم للمنطق والجدل - وهو الوحيد الذى حكّم العقل وحده، فاتخذ القوانين المنطقية المجردة وسيلة لتأمل الله والعالم».

«لقد أعار أرسطو طاليس اهتماما لكل التفاصيل فى حقل المعرفة الحيوانية. لكن مقومات العلم اليونانى لم تتبدل بذلك، إن الفلك والفيزياء ونظرية الموسيقى، والكيمياء، والطب، وعلم الحيوان، والنبات اليونانية» تبقى على الراجح فلسفية، وبذلك يونانية المنطق. لقد كانت الحقيقة لدى الحس اليونانى

حارب آباء الكنيسة العلم والبحث بحجة أن ذلك يجعلهم يترددون فى الخطيئة

التأمل، ليس مما تعتبره الحاسة واقعا، بل واقعا عقليا فقط»[١]

العقل المسيحى الأوروبى

● «يقول «بولس»: «لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله.. والرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة»!

«ولقد حارب آباء الكنيسة العلم والبحث بحجة أن ذلك «يجعلهم يترددون فى الخطيئة».. مرددين بذلك ما أكده لهم «ترتوليان»، حيث زعم أنه «بعد مجيء عيسى» لايحق لهم «أن يكونوا محبى استطلاع، أو أن يبحثوا فى العلوم، ففى الإنجيل الكفاية».

ولذلك، فلا الروم البيزنطيون، ولا فرق النصارى، سواء الأقباط أو النساطرة، أو القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح هم الذين سعوا إلى إنقاذ حضارة إغريق هلينية التى كان بعضها قد أبيد إبادة تامة على أيدى متحمسى النصارى النشطين فى مهاجمة العلوم..»

● وفى النصرانية: «الإيمان هو أن لا ترتاب، وأن لا تسأل»..

«ولقد وصف الأب الروحى «تيرتوليان» فضول العقل بأنه إثم، فضول فاحش.. أو ليست الشهوة، وهى الأكل من شجرة المعرفة، بقصد الارتقاء إلى مستوى الله، هى الخطيئة التى هبطت بالإنسان إلى الأرض، فمن خطيئة الأولى فى الجنة، حظر الإنسان على نفسه بعدها أن يدعى معرفة ليست من حقه.. ذلك الذنب!.. وكان حريا به أن يسعى إلى النجاة بروحه، بدل أن ينحرف بالرغبة الجامحة الخاطئة فى معرفة المزيد!..

أو لم يصف الله المعرفة فى الدنيا بأنها غرور؟ ونهى بولس الرسول، عن أى نوع من أنواع البحث عن الحقيقة فى هذا العالم؟ لقد جاء: «سأبيد حكمة الحكماء أنبذ معرفة العارفين».

فإلى جانب الطريق الوحيدة التى تزكى الروح، كان ثمة طريق أخرى خاطئة ملحدة، أى البحث عن الحقيقة، فى مكان آخر غير ما أوحى به من السماء»..

● «لقد تحولت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورية مسيحية (وقد اعتبر ذلك من أخطر صيغ المحاولة) لاستقاء المعرفة. هذا ما قدمه «أوغسطين» مرة وإلى الأبد: «لأنه فضلا عن شهوة الجسد التى تكمن فى متعة حواسنا واستمتاعنا - وعبيدها مآلهم إلى الفناء حين ينأون عنك- يحيا فى النفس من خلال نفس الحواس ميل وفضول.. يسيج بقناع العلم والحكمة..»

ومن هذا الفضول القاتل، الذى ينشأ من هرش نحو حب المعرفة والابتكار، رغب الناس المتطلعون إلى اكتشاف الطبيعة -ولئن كانت

(١) سيجريد هونكة (العقيدة والمعرفة) ص٢٣، ٤٨، ٤٩، ١٢٤، ٢٢، ٣٢، ٣٤، ١٦٨، ٣٦، ٣٧، ١١١. ترجمة عمر لطفى العالم. طبعة دمشق سنة ١٩٨٧م.

هذه المعرفة ليست ذات قيمة لهم- فى الاكتشاف لمجرد الرغبة فى المعرفة، وانصرفوا إلى الاهتمام بمسار الكواكب بدلاً من العناية بشفاء روحهم المذنبة التى تحدق بها الأخطار. ولقد أطلقوا على ذلك أيضا، سوء استعمال قوى العقل، إن هو عُنى باستكشاف الطبيعة، بدلا من التوجه إلى تعاليم الدين الموحى به..».

«وكما قال بولس الرسول: «يوجد مكتوب: أريد أن أهدم حكمة الحكماء وأحطم عقل العقلاء.. وإن الغباء الموجود فى الوجود اختاره الله. وهذا يسيء إلى الحكماء»!

«أينما وضعت المسيحية قدمها، فى الإسكندرية وبيزنطة، فى اليونان وروما، فى فرنسا وبريطانيا، أدت إلى تقلص مروع للثقافة»

«لقد فصلت المسيحية فصلا مطلقا، بين الحياة الأخروية العلوية، والدنيوية الأرضية المكتظة بالنقائص. وكل ما هنالك قابل للقسمة بعمق، وتُلقى بينهما العداوة بلا أمل للتوفيق: الله والعالم، الروحى والدنيوى، والروح الجسد، الرجل والأنثى. لقد تعلموا ذلك من أوغسطين أساسا»

● «لم يكن لدى المسيحية، كهدى سماوى، أسئلة توجهها إلى العالم، ولقد سمحت للإنسان كذلك بتوجيه أسئلة إليها:

- أولم تكن الشهوة إلى المعرفة هى السبب فى إنزال الخطيئة إلى العالم؟

- أولم يصف الله حكمة العالم بأنها غباء؟ «ورفض بولس كل أنواع البحث عن الحقيقة»

وإلى جانب الطريق الروحية الوحيدة الموصلة للروح، إلى الله، اعتبر كل طريق للبحث عنها فى أى مكان آخر عدا الوحى خاطئا مارقا.. أن تكون محبا للاطلاع، وأن تبحث بعدما بُشّر بالإنجيل، أمران جعلهما «تيرتوليان» و«أوغسطين» ورئيس أساقفة «تمبير» إثما عظيما وخطيرا».

«ولقد شهّر الراهب «أبسالوم» -من دير سانت فكتور- بالفضول الكافر المتزايد نحو معرفة شكل الأرض، وطبيعة عناصرها، وموقع النجوم، وطبيعة الحيوانات، وقوة الرياح، وحياة النباتات والديدان»

«إن الديانة المسيحية السماوية، لم تكن خالية الوفاض فقط من أسئلة توجهها إلى العالم، لأن مشيئة الله ليست موضع سؤال، بل لأنها فضلا عن ذلك غير قابلة للحساب، وفى رأيها: لم يكن ثمت باعث، بل ولاحق أيضا فى تقصى الأسباب»

واستنادا إلى خلفية الفكرة المسيحية عن العالم (صورته)، كما رسمها اللاهوتيون طبقا للإنجيل، ومؤازرة من خادمهم -سواء بأوغسطين أو أفلاطون، أو الأفلاطونية الجديدة، أو الفلسفة الأرسطوطاليسية- فإنه لم يكن بالإمكان أبدا نشوء علم طبيعى.. لماذا؟

إن الثنائية المسيحية عملت على رفد الطبيعة بنظام خارجى، عن طريق أنه أخروى، دخل فى هيئة غيبية سواء أكان بمعجزة، بالرحمة أو العقاب، بتقمص صورة إنسان، فى عالم أبدى تسيطر عليه العفاريت، وبعد أن انسحب، ما انفك يتدخل يوميا من خلال سر الأقداس، ومن خلال تقبل الصلوات والجزاء والأعمال الخيّرة.

الكنيسة اعتبرت العلاج شعوذة وخرافات.. والصليبيون طلبوا العلاج من خصومهم العرب

ولم يكن العلم أن يتقدم في ظل الثنائية - الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة، طالما أن العالم المنظور للطبيعة السماوية والأرضية- هو لاشيء، مجرد ظل واهن لعالم الفكرة، وأن كل مجهود يبذل لاكتشافها عبث، لا يستسيغه العقل، كما قال أفلاطون: «يجب، بدلا من ذلك أن تنكب على المهام المجردة، سواء في الفلك أو الرياضيات والأجرام السماوية، إذا ما طمحنا بصدق إلى فهم الفلك»

● «لقد جاء في مرسوم رئيس أساقفة باريس «تيمبر» بإلحاد «سيجر، بارينانت» (... ...): «إن ما هو صحيح في نظر العقل، قد يكون خطأ في نظر العقيدة»

● «وإن انصراف أوروبا ذات النشأة المسيحية إلى الله والنفس، في ذات الوقت الذي تم فيه إعطاء الطبيعة الصبغة الشيطانية، وتلحيد المحيط، أدى إلى تخلف الثقافة، وإلى الركود العقلي إلى درجة العقم، وبدافع الازدراء لأعمالهم اليومية غير المقيدة، انتقد «ايوسيبوس» «Eusebius» الباحثين في مصر، قائلاً: «قليلا ما نفكر في أشيائهم، وتيمم روحنا شطر أشياء أفضل».

«حدث هذا في الوقت الذي بلغ فيه العالم الإسلامي مستوى عريضا على طريق تطوير العلوم الطبيعية.. انطلاقا من الحافز الديني على النظر في ملكوت السماوات والأرض.. لقد خلق العرب الفلك خلقا جديدا.. ولقد ظهر بينهم فلكيان عظيمان يسمى كل منهما (عمر)، وقد جلسا يوما من الأيام عند عمود مسجد من المساجد، وأمامهما كتاب الماجسطي، فعبر عليهما جماعة من العلماء فوقفوا وسألوهما بماذا يدرسان؟ فأجاب: «نحن نقرأ -أجاب أحد العمرين: «تفسير قوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾

(الغاشية: ١٧، ١٨)

● «لقد حرمت الكنيسة طرق المداواة الجديدة باعتبارها شعوذة وخرافات باطلة، وظلت ستمائة سنة بحالها مشلولة دون المضي قدما في تطوير الطب وتوظيفه في خدمة الإنسان.. وكالصليبيون في حملة «دمياط» الصليبية (١٢١٨- ١٢٢١) يؤثرون علاج جراحهم لدى أطباء خصومهم العرب»

● «ولقد عبر «القرافي» (٦٨٤هـ- ١٢٨٥م) -في سياق الأسئلة الجريئة- عن ذلك، فقال:

«يحرص اليهود والنصارى على القول بأن النصب المقدسة تذرف الدمع، ومن أثدائها ينضح اللبن»!

على هذا النحو احتقر العربي المتنور أمثال هذه الخزعبلات، فيما قدر عاليا أصحاب الرأي المشابه في المسائل التي تتعلق بالكائنات في الطبيعة، الذين هتكوا حجاب المعجزة الذي غطى في أوروبا كل شيء».

● «لقد قرأ «البرت الكبير» (١١٩٣- ١٢٨٠م) شيئا حول الجبر والهندسة، وألف كتابين عن الحساب كما تعلمها على يد الأخوة موسى الثلاث- محمد بن موسى بن شاكر (٢٥٩هـ- ٨٧٣م) وأحمد بن موسى ابن شاكر (كان حيا قبل ٢٥٩هـ- ٨٧٣م) وحسن موسى بن شاكر (٢٠٠هـ- ٨١٥م)- وثابت بن قرة (٢٤٨- ٢٨٩هـ- ٨٦٢- ٩٠١م)، وبحافز من العرب اهتم بدراسة السكونيات والميكانيك.. وتطلب الأمر من هذا الرجل العنيد.. أن يبذل جهدا كبيرا من أجل الحصول على ترخيص استثنائي يخوله حق التعاطي والتعامل مع الفلاسفة الوثنيين (المسلمين) بواسطة من رؤسائه، الذين حرّموا المضي بالانحراف من خلال الاحتكاك بأولئك الكفرة (المسلمين) مرة وإلى الأبد»

«ولقد نص مرسوم سنة ١٢٢٨م الكنسي: «إن على أعضاء الطائفة أن لا يدرسوا الفلاسفة الملحدين.. وعليهم أيضا أن لا يتعلموا الفنون الحرة إذا ولا المبادىء الأولية أيضا كالحساب والتعداد، وحساب الأعياد الكنائسية، وأن استثناء خاصا منح لبعض الشخصيات»

«وكان فلاسفة اللاهوتية عندما يصل إلى علمهم أن شخصا ما يبحث، يرفعون عقيرتهم: إنه ملحد! لأنه يطالب بحق الفهم، وبالحق في معاينة وتحليل ادعاءات السلطات.. وحين يعثرون على شيء غير مدون في مكان ما حينئذ يطالبون بإلصاق تهمة الهرطقة.. لقد نظرت الكنيسة إلى العلم بتقزز واشمئزاز، وحذّرت وحرّقت الطامحين في المعرفة الإنسانية.

ولا عجب أن احتل مؤلف «سكوت إريوجينا» (٨١٠ - ٨٧٧م) الرئيس الرائع، النابع عن المعية في العقل، وعمق في التفكير، والذي يدور حول (تسخير الطبيعة) يحتل المرتبة الأولى في قائمة الكتب التي حكم عليها بالمروق والمطاردة من قبل رابطة الرهبان، واعتبر في المقدمة، والأكثر قدما في الإلحاد حتى سنة ١٩٤٨م، كما جاء في آخر إصدار رسمي شهّر به دون هوادة.. لقد اتهم بأنه صبي طائش، وأكبر مفتر بالإلحاد الجنوني والحجج الشيطانية المارقة، آثم، بشع، كافر بالله».

«إن حكما باللعنة صدر حول كتاب (حول الطبيعة) لإريوجينا من سنة ١٢٠٩م -ومنع من الأديرة.. وجمعت سائر النسخ المتوفرة وأحرقت.. ومن احتفظ بنسخة منه عرض نفسه للطرد من الكنيسة وللحكم عليه أمام الرأي العام بالإلحاد»

وعند «أريوجينا»، فإن الألوهية التي لا تُدرك، هي التي تخلق الطبيعة، من حيث يخلق فيها كل شيء ذاته في خلق دائم، إن الله يبسط ذاته فوق كل شيء مثلما يكمن فيه، ومنه وبه كل كائن حي، والله هو الذي يسع كرسيه السماوات والأرض، الفعال لكل شيء، وبدونه لايتم شيء، ولا شيء سواه يمتد، لأنه هو المكان والمحيط لكل شيء.. كل شيء من الله، والله في كل شيء، ولم يخلق شيء من هباء، بل منه وبه قد صار..

إن ماذكر هنا يناقض كلية سائر المعتقدات المسيحية في الخلق، ويناقض الأفلاطونية، والأفلاطونية الجديدة، والأرسطوطاليسية».

«ولقد استخلص «أريجينا» أن الطبيعة لم

تعد الأسفل، المضاد لله، بل إنها خلقت وسخرت للإنسان.. إن لها قيمة، وكينونة وحركة في ذاتها.. لقد تحررت الطبيعة لتصبح موضوع البحث العلمي».

● «وكان أفلاطون قد شدد على استحالة المعرفة بواسطة الحواس.. واجتمعت الكنيسة والأفلاطونية والأرسوطاليسية على وصف الأرض وما يعيش عليها كبؤس وضيع، وشبح مرتم في النتانة، ومادة معتمة فوضوية، في مقابل عالم فوقي مثالي، علوي، خليق بالطموح».

● «لقد كان الله، في نظر ـ القرون الوسطى ـ الواقع تحت التأثير الشديد للأفلاطونية الجديدة.. هو: المطلق والسكون الأبدي اللامتحرك. في حين كانت الحركة، على الطريقة الأوروبية، بمثابة شيء رديء يبعث على الغيظ.. وهكذا قوبل كل تقدم باستنكار، وأصبحت كل محاولة لتغيير الحالة الراهنة وإحلال شيء جديد محلها، أقرب مايكون إلى الإثم..

وفضلا عن الخوف من التحديث، عم ازدراء العمل اليدوي الذي جعل العقلانيين يفضلون التعامل مع الأدوات اليدوية العقلية الخالصة على المادة الوضعية سهلة التناول..

أو لم يعد «توما الأكويني» [١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م] إلى الأذهان تفاهتها إبان الخصومة في القرن ١٣؟.. في هذه النقطة أيضا يتفق الفكر المسيحي واليوناني: «إن أدنى قدر يمكن لأحد أن يلم به عن الأشياء الواقعة تحت نظره، أجدر بالطموح من المادة معنية بالأشياء التافهة».

● «لقد ألح الإنجيل على خطيئة آدم، مبينا أن كافة الويلات والشرور المستشرية في هذه الدنيا مصدرها الأول آدم».

لكن الإسلام لايرى هذا، إذ ينص على أن الله غفر لآدم بعد أن تاب:

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

(البقرة: ٣٧)

والإسلام لا يقول أساسا بوراثة «الخطيئة الأصلية»، ولا بأن أول إنسان كان أثيماً، بمعنى أن الخطيئة أو الإثم ليس أصل الفطرة التي فطر الإنسان عليها، بل إن الإثم قد يُغتفر إذا تاب الإنسان توبة نصوحا، حيث يغفر التواب الرحيم الذنوب[٢].

رفض المسيحية للفكر اليوناني

● «لقد اعتبر القديس «هيرو تيموس» الفكر اليوناني لعنة على البشر، فترجم الإنجيل إلى اللاتينية، بحيث قلبت «الفولجاتا» ⋆⋆⋆⋆⋆⋆ (الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس لهيروتيموس) ١٥٤٦م كلا من هوميروس وفرجيل (٧١ ـ ١٩ ق.م) رأسا على عقب».

● ولذلك كانت الحرائق المدمرة، وأعمدة

(٢) سيجريد هونكة (الله ليس كذلك) ص٧٧، ٧٨، ٣٧. و(العقيدة والمعرفة) ص٢١، ١٥٩، ٢٢، ٤٢، ٢٠١-٢٠٣، ٢٠٣، ١٩٤، ١٨٧، ١٨٢، ١٨١، ١٦٧، ١٦٥، ٨٣، ٩٤، ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٥٥، ٧٩، ٢٣٧، ١٩١، ١٩٢. و(فضل العرب على أوروبا) ص٣٧٤، ٣٧٥، ٩٠، ٩١. ترجمة د. فؤاد حسنين علي. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.

إحراق مكتبة الإسكندرية تم قبل الفتح الإسلامي بأربعة قرون!

الدخان المتصاعدة فوق الإسكندرية، كنز المعرفة اليونانية والهلينية على مدى مئات السنين.. تلك الحرائق التي أشعلتها المسيحية في هذا التراث اليوناني.

إن السماء تصطبغ باللون الأحمر فوق عاصمة المعرفة على دلتا النيل. هذا في الوقت الذي تتهاوى فيه درر لا تعوض من الأشعار والفلسفة اليونانية والعلوم الإغريقية ضحية لعمليات إبادة من تدبير التعصب المسيحي.

إن إحراق مكتبة الإسكندرية الكبرى.. الذي يصرون بعناد على تحميل العرب مسئوليته، رغم أنهم فتحوا المدينة، بعد انقضاء أربعة قرون على ذلك الحدث -قد دل هذا الحريق على أنه- بعد دراسة وافية- هو من أعمال الإبادة المسيحية، فضلا عن أنه دعاية موجهة ضد الإسلام.

البطريرك أغلق المجمع العلمي

وفي عام ٤٧ قبل الميلاد، وفي أثناء مرابطة يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ ق.م) قدمت ٧٠٠ لفافة من كتب مكتبة الاسكندرية طعما للنيران.. لكنه في القرن الثالث، وضعت خطط التدمير المنتظمة، فقد قام بطريرك مسيحي بإغلاق المجمع العلمي، وطارد أعضاءه، وفي عهد الامبراطور البيزنطي «فالنوس» عام ٣٦٦م تم استبدال المجمع العلمي بكنيسة، ونهبت مكتبته وبددت، وتعقبوا فلاسفتها تحت غطاء وبتهمة السحر والشعوذة». وفي عام ٣٩١م استصدر البطريرك «تيوفيلوس» (٣٨٥- ٤١٢م) إذنا من القيصر ثيودوسيوس يقضي بتدمير أكبر وآخر صرح للعالم القديم، وهي أكاديمية الإسكندرية الكبرى (السيرابيون)، وبتقديم ٣٠٠ لفافة طعما للنيران، وبذلك تعرضت البشرية لأفدح خسارة في تاريخها.

وفي القرن الخامس يعترف آنيوشين - صديق البطريرك سيفيروس، بأنهما كانا عضوين في مجموعة إرهابية مسيحية في الإسكندرية، وأنهما قاما بمحاربة العلماء الوثنيين وبمهاجمة دور الثقافة، ودمروا مكتباتهم ومنشآتهم، واختفى بذلك ملاذ آخر من معاقل العلم الهليني».

وفي عام ٥٢٩م تم إغلاق آخر مدرسة فلسفية في أثينا. وفي عام ٦٠٠م أحرقت مكتبة بلاتين، التي انشئت في روما من قبل أوغوسطوس (٦٣ق.م - ١٤م) ومنع تداول المؤلفات الكلاسيكية عامة، والرياضيات بصفة خاصة»[٣]

❖❖❖

(٣) (العقيدة والمعرفة) ص٢٦٩٤.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

كيف يرى الأمريكيون سياسة بلادهم؟

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/ محمد أبوالحديد هذا المقال بجريدة الجمهورية نقلا عن المحلل السياسي «نيكولاس كريستوف» ونشرته صحيفة «نيويورك تايمز» تحت عنوان: «تشيني.. هل هو عميل طهران في البيت الأبيض؟!».

يعد المقال وثيقة إدانة قوية للسياسة الامريكية، ليس تجاه إيران فقط، بل تجاه العالم العربي، والإسلامي بكل قضاياهما.

يقول فيه: «إذا ما تم القبض على جندي أمريكي في الثامنة عشرة من عمره وهو يسرب أوراقا عسكرية سرية إلى جواسيس إيرانيين، فإن الأمر المؤكد هو أن هذا الجندي سيتم القبض عليه وفضحه في وسائل الإعلام، ثم الزج به في غياهب السجون.

مع ذلك نجد أن هناك أمريكيا هو «ديك تشيني» نائب الرئيس، قد قدم لإيران خدمات أكبر قيمة من ذلك الجندي الافتراضي، فهل يمكن لنا بناءً على ذلك القول إن «ديك تشيني» عميل إيراني؟

ثم يسرد الكاتب بعض الأدلة على ذلك منها:

١ـ الإطاحة بنظام «طالبان» عدو إيران اللدود على حدودها الشرقية.

٢ـ الإطاحة بعدو أكثر خطورة وشراسة بكثير هو نظام صدام حسن على حدودها الغربية فالولايات المتحدة من بين ١٩٣ دولة قد شنت الحرب على هاتين الدولتين تحديداً من أجل تقديم الخدمات لإيران.

ثم يقول: إن هناك حقيقة ثانية هي أننا قد خضنا الحرب ضد العراق، ولكننا لم نكسبها، وأن الذى كسبها هم الإيرانيون.. فهل كان ذلك مجرد مصادفة كذلك؟

٣ـ سياسة إدارة بوش التى ظلت لسنوات تؤيد المتشددين الإيرانيين، وترفض الانخراط بشكل جدى فى الصراع الاسرائيلى ـ الفلسطينى، وهو ما أدى إلى تغذية النزعة المعادية لأمريكا فى المنطقة.

٤ـ دعم الغزو الإسرائيلى للبنان الصيف الماضى، مما أدى إلى ارتفاع شعبية «حزب الله» فى معظم أنحاء العالم العربى.

٥ـ استعداء حلفاء أمريكا السابقين فى أوروبا وآسيا بشكل قوض أى فرصة لتكوين جبهة موحدة لمواجهة البرنامج الإيرانى النووى، مما حال دون اتخاذ إجراءات اخرى أقسى ضدها بالاضافة إلى تغاضيه عما يحدث من انتهاكات وتعذيب وعمليات اعتقال خارج النظام القضائى فى جوانتانامو، فإن البيت الابيض أغضب المسلمين، وجعلنا نبدو وكأننا منافقون عندما نقوم بانتقاد انتهاكات حقوق الإنسان فى العالم العربى وفى إيران.

وعلى الصعيد الداخلى، فإن دوره فى فضيحة «سكوتر ليبى» ورفضه المشين شرح ماذا كان يفعل فى مسرح الجريمة لهو دليل آخر يثبت أن تشينى كان ينفذ التعليمات التى يتلقاها من رؤسائه الإيرانيين من أجل الإضرار بأمريكا».

فالرجل «تشينى» ليس عميلاً لإيران فى البيت الأبيض، ولا كوريا الشمالية على الرغم من أن سياسته القائمة على عدم التفاوض معها، قد جعل هذا النظام ينجح فى مضاعفة ترسانته النووية أربع مرات، وليس عميلاً «للقاعدة» على الرغم من أن غزو العراق، قد أدى إلى توفير قاعدة دعم جديدة ومهمة لهذا التنظيم فى بلاد الرافدين.

إن تشينى ورئيسه قد أضرا بالمصالح الامريكية بسبب ضعف الكفاءة.

ثم يختم الكاتب مقاله بالدعوة إلى ما يجب عمله تجاه هذه القضايا قائلا:

إن أول ما يتوجب علينا عمله هو التخلى عن تلك السياسات التى أخفقت على نحو كارثى. والخيط المشترك بين هذه السياسات المدمرة واضح ولا يحتاج إلى دليل:

إنه يتمثل فى رفض التفاوض مع دول محور «الشر» والرغبة الملحة فى استخدام القوة العسكرية فى حل المشكلات، واحتقار الحلفاء، والعمل على تحريف المبادىء القانونية والأخلاقية كى يمكن اعتقال الأشخاص لأمد غير محدد بل وتعذيبهم أيضاً وخصوصاً لو كان هؤلاء الأشخاص يحملون بشرة سمراء واسماً يبدو إسلامياً.

فى كل مرة كنا نرتاب فيها بوجود عميل بين صفوفنا كنا نبذل غاية جهدنا من أجل العثور عليه وكشفه، ولكننا فى هذه المرة لسنا فى حاجة إلى ذلك.. لماذا؟ لأن تعرضنا لخيانة هذه المرة لم تتم على أيدى عميل وإنما كان بسبب سياسات فاشلة. لذلك علينا أن نعقد العزم على اقتلاع تلك السياسات التى ساهمت على مدار السنوات الست الماضية فى إلحاق ضرر بالمصالح الأمريكية، يفوق أى ضرر يمكن لأى عميل إلحاقه بتلك المصالح خلال ٢٠٠ عام.

التدخل الأمريكى فى شئون بلادنا مرفوض

تحت هذا العنوان كتب د.وجدى عبدالواحد فى جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ٢٧/٣/٢٠٠٧ يوضح السيطرة الصهيونية على الإدارة الأمريكية قائلاً:

بعد سقوط أقنعة الإدارة الأمريكية لم يعد يخفى على أحد ممن يطلون من نافذة الأحداث الدولية أن الإدارة الأمريكية أداة طيعة فى قبضة الصهيونية العالمية توجهها حيثما شاءت لخدمة الكيان الصهيونى، وقد جرى التخطيط لذلك بدقة منذ حرب استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا العظمى عام ١٧٧٦م، فقد هاجرت جموع كثيرة من دول الغرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية عقب استقلال أمريكا

وهاجرت جماعات من اليهود ضمن جموع المهاجرين وكان المهاجرون من غير اليهود فقراء وقد هاجروا إلى أمريكا طمعاً فى الثراء، فقد كان فى وسع المهاجر آنذاك أن يحصل على مساحة ألف فدان أو يزيد وقام اليهود الذين يمتلكون المال بإقراض المهاجرين بفائدة تتراوح بين ١٨، ٢٥٪ بطرقة ملتوية حيث كانت الحكومة الفيدرالية تحدد أقصى سعر للفائدة بعشرة فى المائة.

ومن أجل ذلك كانت الهيمنة على الإدارة الأمريكية لليهود الذين ينفذون مخططات حكماء صهيون.

وهكذا ركبت الصهيونية العالمية ظهر أكبر دولة فى العالم وتحقق لهم ما أرادوا وخططوا له.

والصهيونية تمثل خطراً محدقاً بالشعوب العربية بصفة خاصة فمن خلال السيطرة الصهيونية علي القرار الأمريكي تم توقيع قرار غزو العراق وتدميره تحت شعار الديمقراطية في المنطقة العربية وأن العراق سيكون نموذجا يحتذي.. فهل نشرت أمريكا الديمقراطية فى العراق؟؟!!!

اليونسكو تطالب إسرائيل بوقف حفريات المسجد الأقصى

فى تقرير لمنظمة التربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» طالبت المنظمة بتعليق المشروع الإسرائيلى قرب باب المغاربة ووضع خطة عمل جديدة بالتشاور مع السلطات الأردنية وهيئة الوقف الإسلامى التى تشرف على الحرم القدسى الشريف.

واعتبر التقرير الذى نشرت فحواه جريدة اللواء الإسلامى فى عددها الصادر فى ٢٩/٣/٢٠٠٧. أن عمليات التنقيب التى تمت فى الموقع «كافية للوفاء بغرض تقييم الأوضاع المتعلقة بإنشاء الممر الذى يؤدى لباب المغاربة».. وخلصت اليونسكو من تقريرها إلى أنه فى حالة استمرار الحفر يجب أن يتم تحت إشراف دولى.

وكانت الحفريات قد أثارت الغضب فى العالمين العربى والإسلامى فيما اعتبرتها الهيئات الفلسطينية والأردنية القائمة على المسجد الأقصى تهديداً حقيقياً لأساسات المسجد الأقصى ومحاولة جديدة لتهويده من خلال استغلال عملية الحفر لبناء مواقع أثرية سياحية أسفل المسجد.

ومن ناحية أخرى طالب الشيخ تيسير التميمى قاضى قضاة فلسطين المجتمع الدولى بالتحرك الفورى لحماية المسجد الأقصى فى القدس وفك الحصار الدولى المفروض على شعبنا الفلسطينى.

ودعا التميمى المجتمع الدولى إلى العمل والتدخل الفورى من أجل وقف الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى، منبهاً إلى أن ما تقوم به إسرائيل من حفريات تهدد المسجد الأقصى بالانهيار.

وأوضح أن المسجد الأقصى المبارك أصبح معلقا فى الهواء.

مشروع سرقة!

البترول العراقى المملوك بالكامل ـ حالياً ـ للحكومة العراقية فى خطر، لأن النية تتجه إلى عودة ملكيته مرة أخرى إلى الشركات الأجنبية.

هناك مشروع قانون جاهز الآن يسمح للشركات الأجنبية بأن تمتلك ٧٠٪ من هذا البترول بما فى ذلك المخزون! كما يمنح المشروع هذه الشركات ميزة التمتع بعقود المشاركة فى الإنتاج، وهى عقود مرفوضة من جانب جميع الدول المنتجة للبترول فى الشرق الأوسط.

ومن ثم، فإن هذا المشروع الخطير الذى أقره مجلس الوزراء العراقى فعلاً، تمهيداً لموافقة البرلمان العراقى عليه خلال أبريل المقبل يجب التصدى له وبقوة، لأنه ـ فى حالة موافقة البرلمان ـ ستنتقل ملكية البترول من الدولة إلى كل إقليم من أقاليم المقترحة بين السنة والشيعة والأكراد، مما يكرس فكرة تقسيم العراق التى تسعى إليها القوى الأجنبية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أن القانون ـ لو صدر ـ سيعطى أمريكا المبرر للاحتفاظ بقواعد عسكرية دائمة بحجة حماية مصالح الشركات البترولية الأجنبية من مخاطر الخلافات بين السنة والشيعة والأكراد والطوائف الأخرى.

المشروع بمجرد الإعلان عنه أثار غضب خمسة اتحادات لنقابات عمالية عراقية، وأصدرت بياناً عارضت فيه القانون ورفضته جملة وتفصيلاً وأوضح البيان أن تسليم السيطرة على بترول العراق إلى الشركات الأجنبية سوف يقضى على سيادة الدولة وكرامة الشعب العراقى» وينبغى أن يثير أيضاً غضب كل العرب ومنظمة الأوبك حيث سيؤثر بالسلب فى سعر بترول دولها.

عبدالمعطى أحمد

الأهرام: ٢٦/٣/٢٠٠٧

إسرائيل والدم الأمريكى

منذ أشهر أصدر باحثان أمريكيان من جامعة هارفارد هما: جون مارشيمر، وستيفن وولت، دراسة عن قوة نفوذ إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية، كشفا فيها أن اللوبى الصهيونى المتغلغل فى العاصمة واشنطن وكل المراكز الأمريكية العامة سيطر على الإدارة الجمهورية، وكيف هيمن هذا اللوبى على صناعة القرار بوسائل جهنمية حتى بات الشعب الأمريكى مكروها فى جميع أنحاء العالم فى حالة غير مسبوقة لأى شعب فى القديم والحديث، إن أمريكا تحولت من الحلم إلى الكابوس تحت سيطرة الإدارة الجمهورية والمحافظين الجدد، واللوبى الذى بات اليوم أخطر ليس على الشعب الأمريكى وحده، إنما على شعوب العالم بأسره.

فبعد كارثة العراق ننتظر أن يقدموا على إشعال واحدة أخرى فى إيران ويجوز أن تطال دولاً أخرى كمصر والسعودية.. وقال أولمرت: «أولئك الذين يخشون على أمن إسرائيل وأمن دول الخليج واستقرار الشرق الأوسط بأكمله يجب أن يعترفوا بالحاجة إلى نجاح أمريكا فى العراق».. مؤكداً أن كل من يخشى على أمن ومستقبل دولة إسرائيل يتفهم أهمية أن تتصدى القيادة الأمريكية القوية للتهديد الإيرانى». هذا ما قاله أولمرت بوضوح وكأنه يستكمل عمل الأستاذين فى هارفارد فلماذا غضبوا فى واشنطن من الباحثين الأمريكيين، ولماذا يدفن بعضنا رأسه فى الرمال؟ إن كل ما يحدث لنا لحساب إسرائيل وسيظل الأمر هكذا حتى نفيق.

الأهرام العربى

٢٠٠٧/٣/١٧

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

فى الحث على بذل المال

قال الله تعالى:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة الحشر الآية رقم ٩)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «اصطناع المعروف يقى مصارع السوء» وقال: «إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويبغض سفسافها».

وقال أكثم بن صيفى حكيم العرب: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر». أخذ شاعر هذا المعنى فقال:

أمن خوف فقر تعجلته
وأخرت إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى
وما كنت تعدو الذى تصنع

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوفه بالفقر. فرد عليه يقول:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾

(سورة البقرة الآية رقم ٢٦٨)

وإنى أكره أن أترك أمراً قد وقع، لأمر لعله لا يقع».

وكان خالد بن عبدالله القسرى يقول على المنبر: «أيها الناس عليكم بالمعروف فإن الله لا يعدم فاعله جوازيه، وما ضعفت الناس عن أدائه قوى الله على جزائه».

وقد أحسن الحطيئة حيث قال وفيه معنى قول خالد المتقدم:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر: «من رزقه الله رزقاً حسناً فلينفق منه سراً وجهراً حتى يكون أسعد الناس به.

الأدب

قال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك، فإن الكرامة تزول بزوالهما، ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب.

وقال الأحنف بن قيس: رأس الأدب المنطق، ولا خير فى قول إلا بفعل، ولا فى مال إلا بجود، ولا فى صديق إلا بوفاء، ولا فى فقه إلا بورع، ولا فى صدق إلا بنية.

التثبت فى العلم

قيل لمصقلة: ما أكثر شكك! قال: محاماة عن اليقين.

وسأل شعبة أيوب السختيانى عن حديث فقال: أشك فيه. فقال شعبة: شكك أحب إلى من يقينى.

وقال أيوب: إن من أصحابى من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل حديثه.

وسأل إبراهيم النخعى عامراً الشعبى عن مسألة فقال: لا أدرى. فقال إبراهيم: هذا والله العلم، سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم.

وقال مالك بن أنس: إذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله.

الفخر بقلة العدد مع الكرم

قال السموءل:

تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

وقال شاعر فى تعليل قلة الكرام:

بغاث الطير أكثرها فراخا
وأم الباز مقلات نزور(١)

الكرم واللؤم

قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: «كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به».

معنى هذا الكلام الثمين أن أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه، فإن كان هو كريماً وآباؤه لئام، لم يضره ذلك ويصف بالكرم وإن كان لئيما وآباؤه كرام، لم

(١) المراة المقلات والنزور: القليلة الأولاد.

ينفعه ذلك ويوصم باللؤم.

وهذا حق ويطابق قوله تعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

(سورة النجم الآية رقم ٣٩)

الرضاء بالظاهر من المودة

ارض من المرء في مودته
بما يؤدي طليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحداً
يصح منه غداً سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ
في كل زلاته تنافره
إن ساءني صاحبي احتملت وإن
سر فإني أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وإن طلب العذ
ر فإني عليه عاذره

وصاة ابن صرحة الأنصاري

أوصيكم بالله أول وهلة
وأحسابكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم
وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعوزتوا فتعففوا
وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا

من وصايا عبدالله بن الحسن لابنه

أوصى عبدالله بن الحسن ولده فقال:

أي بني: إني مؤد حق الله في تأديبك، فأد إلي حق الله في الاستماع مني.

أي بني: كف عن الأذى، وارفض البذاء، واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى الكلام، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ، ولا ينفع فيه الصواب. واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً، لأنه برديك بمشورته. واعلم يابني أن رأيك إذا احتجت إليه وجدته نائماً ووجدت هواك يقظان، فإياك أن تستبد برأيك فإنه حينئذ هواك. ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك، وأن نتيجته لا تجني عليك. وإياك ومعاداة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم، أو معاداة لئيم.

دعاء

اللهم إني أستغفرك لما تبت منه ثم عدت فيه.

وأستغفرك لما وعدتك من نفسي وأخلفتك.

وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك.

وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها علي فتقويت بها على معصيتك.

وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها.

***

بيوت الله!

للشاعر الأستاذ/ السيد الصديق حافظ

بيوتُ الله في الأرضِ المساجدْ	مُصلّى خاشعٍ ومقامُ عابدْ
ومنزلُ رحمةٍ ومناطُ برٍّ	ومُرتادُ المكارمِ والمحامدْ
تحلُّ بها ملائكةٌ كرامٌ	وتنبذُ كلَّ شيطانٍ ومَاردْ!

***

ضيوفُ الله أطهارٌ تُقاةٌ	يؤلّفُ بينهم نُبْلُ المقاصدْ!
تلاقوا طائعين على يقينٍ	وإيمانٍ بأنَّ الله واحدْ!
توحّد جمعُهم فهمو سواءٌ	كما انتظمتْ قوافيها القصائدْ!

***

تراهم رُكّعاً خرّوا سجوداً	لمن خلق الجداولَ والجلامدْ!
وفيهم من بكى وشكا زماناً	تولّى في المناكرِ والمفاسدْ!
يرجّي توبةً وبلوغَ قصدٍ	وتوفيقاً إلى خيرِ المراشدْ!
وفيهم ضارعٌ لله داعٍ	يؤمّلُ عونَه عند الشدائدْ!
وفيهم فتيةٌ غُرٌّ سماحٌ	تضيءُ وجوهُهم مثلَ الفراقدْ!
إذا سمعوا كتابَ الله يُتلى	تناثرَ دمعُهم نثرَ الفرائدْ!

***

بيوتُ الله حصنُ الدين فيها	تراثُ نبوّةٍ للمجدِ رائدْ!
تربّى في محاريبها رجالٌ	جهابذةٌ وفرسانٌ أماجدْ!
أقاموا الدين والدنيا جميعاً	وكانوا للعدالة خيرَ شاهدْ!
فلا تغزوا بيوتَ الله يعلو	منابرَها سقيمُ الفكرِ جامدْ!
يميتُ القلبَ مكثارٌ دعيٌّ	تضيقُ به المنابرُ وهو صاعدْ!
وعند الغافلين – وهم قليلٌ –	تشابهتِ الموائدُ والمزاودْ!

***

أراها قمةً ما بين داعٍ	ومدعوٍّ إلى حقٍّ يجاهدْ!
يعضُّ بناجذيه على صحيحٍ	ولا يبغي الجدالَ ولا يعاندْ!
ويغضي عن هناتٍ قد براها	فمن ذا وحدَه حازَ المحامدْ؟!

منذر بن سعيد البلوطى

٢

للأستاذ/ عادل خفاجة

عود على بدء

قد لا يعبأ الإنسان برأى يخالف رأى الجماعة فى بادئ الأمر لأن الواقع يقر بأن الخطأ فى جانب الجماعة أمر مستبعد، غير أن من ينشد الحق عليه أن يستبين الأمر فى تؤدة وروية؛ لأنه قد تذهب القلة إلى رأى مرجوح، ويظاهرهم أعوان، فتصبح القلة كثرة ويبدو المرجوح راجحًا. فلا سبيل لمن ينشد الحق إلا أن يتثبت بالبحث والتقصى.

أقول ذلك لأنه أثناء اطلاعى على ما كُتب عن المنذر بن سعيد وجدت آراء تقدح قمة شاهقة مثل البلوطى!

ففى حين أجمعت كتب التراث على استحقاق البلوطى منزلة عالية بعد خطبته الشهيرة التى ألقاها أمام الملك الناصر، نجد الشيخ علام سلامة - رحمه الله - يقول:

«على أنا لا نجد فى هذه الخطبة من المحاسن إلا ارتجالها إن صح أنها مرتجلة، أما هى فحديث معاد وإسهاب ممقوت وعبارات تقعقع فى الأسماع، دون أن تترك أثرًا فى النفوس»[١].

وكذلك قال الشيخ عبدالجواد رمضان:

«ولعمرى لقد اتهمت ذوق الناصر وذوق ولى عهده لإعجابهم بهذه الخطبة التى لا تزيد فى نظرى على خطبة من خطب الجمعة التى فى ديوان ابن نباتة، ويكررها «سيدنا» الشيخ صالح وبعيدها فى جامع بلدنا»[٢].

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن مباشرة: هل يستطيع الشيخ صالح أن يلقى خطبة من خطبه المحفوظة فى مثل هذا الموقف الذى وقفه منذر بن سعيد؟!

لقد تراجع «على القالى» وتراجع غيره، وصمد منذر لقوة جنانه لا لقوة بيانه!!

غير أننا نود أن يشاركنا القارئ استبانة الحقيقة، لذلك نقدم شطرًا من هذه الخطبة؛ لنرى أين وجه الحق فى هذا الأمر؟.

لقد استهل البلوطى خطبته بالحمد والثناء على الله - تعالى - ثم قال:

«أما بعد فإن لكل حادثة مقامًا ولكل مقام مقالاً وليس بعد الحق إلا الضلال وإنى قد قمت فى مقام كريم بين يدى ملك عظيم فاصغوا لى بأسماعكم، إن من الحق أن يقال للمحق: صدقت، وللمبطل: كذبت. وإن الجليل - تعالى - فى سمائه وتقدس بأسمائه - أمر كليمه موسى أن يُذكِّر قومه بنعم الله عليهم وأنا أذكِّركم نعم الله عليكم»[٣].

ويقول فى موضع آخر فى نهاية الخطبة:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

(النور: ٥٥)

وليس فى تصديق ما وعد الله - عز وجل - ارتياب، ولكل نبأ مستقر، ولكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه، وسلوه المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله - تعالى - بالعصمة والسداد، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد، فاستعينوا على صلاح أحوالكم، بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم»[٤].

منزلة البلوطى الأدبية

ولعل القارئ - بعد اطلاعه على أسلوب الرجل - يكون قد كوَّن رأيًا، أو وصل إلى حكم!!

وإنَّا نلتمس فى هذه المسألة حكمًا صائبًا، نستخلصه من أهل الخطابة ومن أهل الأدب، وحسبنا من أهل الخطابة الشيخ الشرباصى، وحسبنا من أهل الأدب أستاذنا الدكتور رجب البيومى قمة الأدب بلا منازع.. الذى يشهد للبلوطى بأنه خطيب تهتز له المنابر، ليس ذلك فحسب، بل جعله على مرتبة عالية الشأو، ومكانة تصبو إليها النفوس، حيث جعله المشبه به عند إشادته بالشيخ محمد الغزالى فى قوله:

وكم لك فى أعلى المنابر وقفة
كأنك فيها المنذر بن سعيد

ثم هذه شهادته باعتراف أهل الأدب بمنزلته بينهم إذ يقول:

«وقد نشأ القاضى الخطيب بالأندلس وتتلمذ على جهابذتها من الفقهاء والأدباء، ثم أغذ السير إلى بلاد المشرق، فلقى كثيرًا من العلماء والرواة، ونسخ أوراقًا كثيرة مما قرأ وسمع ورجع إلى الأندلس حاملاً من كل فن ثمارًا طيبة مشتهاة، فعرف له العلماء مكانه من الفقه والدين وأنزله الأدباء بينهم منزلة عالية لما له من ذوق جيد فى الفهم، ونقد بصير بالشعر ورواية حافلة للأدب والتاريخ»[٥].

(١)، (٢) فضيلة الشيخ الشرباصى.. الخطابة فى الأندلس.. مجلة الأزهر المجلد الثامن عشر السنة ١٣٦٦هـ.

(٣)، (٤) أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض للمقرى التلمسانى.

(٥) أ.د. محمد رجب البيومى: علماء فى وجه الطغيان هدية مجلة الأزهر صفر ١٤٢٣هـ ج ٢ ص ١٢

البلوطى خطيبا

أما شهادة الشيخ الشرباصى فنتعرف عليها من وصفه للخطبة بأنها: «قوية الأسلوب جميلة المعنى، تدل على سليقة عربية، وبديهة حاضرة، وامتلاك لنواصى العبارات، وقد كان صاحبها موفقًا فى الطريقة التى سلكها والغاية التى أهدف إليها لأنها ألقيت فى حضرة ملك يزوره رسول ملك آخر، وهذا الرسول سيكون عينا تنقل إلى مولاها وسيدها كل ما رأت وسمعت.....»(٦).

ثم هو يؤكد أن البلوطى حاز زعامة الخطابة فيقول:

«إن الأسلوب الخطابى لا يلزم فيه تنسيق الفكرة، أو تدعيم الحجة، أو ترتيب الأجزاء، أو تحديد الألفاظ والعبارات، وإنما يطلب به الإيضاح والتأثير، ولا شك أن البلوطى قد فعل ذلك ووفق فيه توفيقًا كبيرا.

فإذا ذكرنا بعد هذا أو مع هذا رهبة الموقف وجلال المخاطَبين، وخوف الزلل، وتوقع اللحن وخشية النقد من الجموع السامعة، مما يبلبل الخاطر ويقلقل المستمر، أدركنا أن ما قاله البلوطى فى هذا الموقف من خير ما يقال فى أمثال تلك المناسبات. الحق أن هذه الخطبة قوية، وهى تدل على ما عند البلوطى من قدرة على الخطابة أهلته لزعامة أهل هذا الفن الأدبى فى ذلك البلد العربى الجميل»(٧).

وتعود للدكتور البيومى إذ يقول:

«وكان المنذر حاضر البديهة جيِّد النادرة، ينظم الشعر الرقيق فى دقائق اللغة وضروبها من بلاغة وتصريف وقد أفادته رحلته إلى الشرق معرفة بالناس، ودراية بشئون البلدان، ومشافهة للأئمة ومناظرة للعلماء فنضج عقله وسلس بيانه، وتحرر من ربقة الجمود، فكان لا يتقيد فى الإفتاء بمذهب مالك بن أنس، بل قارن ووازن وحلل وعلل واكتسب سمعة فقهية رشحته للإمامة والإفتاء»(٨).

ويؤيد ذلك الرأى ما قاله البلوطى شعراً:

عذيرى من قوم إذا ما سألتهم
دليلاً يقولوا هكذا قال مالك
فإن زدت قالوا قال سحنون مثله
وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن قلت قال الله ضجوا وأعولوا
علىّ وقالوا أنت خصم مماحك(٩).

هذا هو البلوطى يشهد له عملاقان ـ فى الأدب والخطابة ـ بسمو منزلته الأدبية وتمكنه فى الفقه وثباته على عرش الخطابة، وتمكنه من النقد البصير للشعر، ولنقترب منه أكثر لنتبين مسألة نقده للشعر.

(٦) الشرباصى الخطابة فى الأندلس ـ مجلة الأزهر المجلد الثامن عشر السنة ١٣٦٦هـ ص ٧٧٧.

(٧) المرجع السابق.

(٨) أ.د محمد رجب البيومى: علماء فى وجه الطغيان مجلة الأزهر هدية شهر صفر ١٤٢٣هـ ج ٢ ص ٢٠

(٩) الروض العطار لابن عبدالمنعم الحميرى

البلوطى ناقداً

يقول البلوطى:

«أتيت وابن النحاس فى مجلسه بمصر يملى فى أخبار الشعراء شعر قيس (المجنون) حيث يقول:

خليلىّ هل بالشام عينٌ حزينة
تبكى على نجد لعلى أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة
مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة
يكاد يدنيها من الأرض لينها

فقلت له: يا أبا جعفر ماذا ـ أعزك الله ـ باتا يصنعان؟. فقال لى: وكيف تقوله أنت يا أندلسى؟. فقلت له: بانت وبان قرينها(١٠). فاستبان أبوجعفر ما قال.

هكذا نرى أن البلوطى لم يكن ينقصه الحس الأدبى، ولم تغب عنه أدوات النقد الأدبى اليقظ، غير أنه حين يقول الشعر لا يسلم هو ـ أيضاً ـ من النقد، ولعل ذلك لأن غالب شعره موقوف على الزهد والوعظ. مثال ذلك قوله:

كم تصابى وقد علاك المشيب
وتعامى جهلاً وأنت اللبيب
يا مقيمًا قد حان منه رحيل
بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها
لا يداويك إذا أتتك طبيب

ولنا أن نقارن هذا القول بقول ابن الرومى:

وكيف تصابى المرء والشيب شاملٌ
وليس جميلاً منه والشيب واخط

وقول جرير:

ألا يا قلب مالك إذ تصابى
وهذا الشيب قد غلب الشبابا
كما طرد النهارُ سواد ليل
فأذمع حين حلّ به الذهابا

إذا قارنّا هذه الأبيات فى نفس الغرض بقول منذر نعلم أن الرجل اختار الأسلوب الوعظى المباشر الذى يلائم الخطيب، بل هو أحد أدواته؛ إذ لو تحول عنه إلى أسلوب آخر أكثر بلاغة، ربما جنح السامع إلى تأمل الصور البيانية التى يحملها الأسلوب، وفقد متابعة الخطبة وبعُد عنه هدفها.

ولننظر إلى معنى آخر فى شعره حيث يقول:

بأنور المعاد أنت عليم
فاعملن جاهداً لها يا أريب
وتذكر يومًا تحاسب فيه
إن من يذّكر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلا
للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترميك منها بسهم
إن يخطئ يوما فسوف يصيب

ولنقارنه بقول حافظ إبراهيم:

(١٠) الوافى فى الوفيات وراجع ـ أيضا ـ جذوة المقتبس للحميرى.

حنْ جنـيــــاى إلى بـرد الثـــــرى

حـيث أنْسى من عـدو وحـبيب

مـضـجع لا يشـتكى صـاحبـه

شـدة الدهـر ولا شـدّ الخطوب

لا ولا يـــشــــــــد ذاك الذى

يسـئم الأحـيـاء من عـيش رتيب

فبرغم ما تحمله أبيات حافظ إبراهيم من جمال فى الصياغة إلا أنها تحمل دعوة لاعتزال الحياة، أما قول منذر «المباشر» فيفوقه جمالاً ؛ لأنه يحمل دعوة للدخول فى معترك الحياة والعمل الجاد، مع إيقاظ القلوب ليوم الحساب !!

إن من الحق أن نشير إلى أن من يقارن ما كتبه «منذر» من الشعر بما كتبه فحول الشعراء، إنما يعقد مقارنة ظالمة ؛ فلم ينصب الرجل نفسه للشعر، فإذا أراد أحد أن يؤاخذه فلينظر إليه قاضياً ولينظر إليه خطيباً. وهو ما أسلفنا الكلام عنه بعدد (صفر ١٤٢٨هـ).

إن من يتتبع شعر البلوطى يرى أن أغلب ما كتبه فى غرض الوعظ والإرشاد وهو مجال يزدهر فيه الأسلوب المباشر ويؤتى التأثير المنشود فى النفس. وشعر البلوطى لا تنتشر فيه الحكمة كما فى قوله:

المـوت حـــــــــوضٌ وكلّـنـا نـرده

لم ينج مما يخـافـــــه أحــــد

فـــلا تكن مـغـــرمًــا برزق غـد

فلـسـت تـدرى بما يجىء غــــد

وخُــــذ من الدهـر مــــا أتاك به

ويسلم الروح منك والجـــــسد

والخـيـر والشـرّ لا تـدعـه فـمـا

فى الناس إلا التشنيع والحسد

ولا يخلو شعره من معنى رائق يدل على نفس رجل عالم متأمل، ومنه هذا القول الذى قاله فى شخص آذاه فخاطبه بالكُنْية. فقيل له: أيؤذيك وتخاطبه بالكنية؟! فقال:

لا تعـجـبـوا من أننى كنّيتـه

من بعـد مـا قـد سبّنا وآذانا

فـالله قــد كنّى أبا لهبٍ ومـا

كـنـاه إلا خـــــزية وهـوانًا

وبعد...

فإذا كان هناك من رأى أن خطبة المنذر ضعيفة واهية، فإنا نراها طوق النجاة التى حفظت للحفل بهجته ورونقه وهيبته، ولنا أن نتصور كيف كان يسير هذا الاحتفال بدون هذه الخطبة، وكيف يمكن الانتقال إلى الفقرة التالية دون غيظ فى الصدور مكظوم؟!.

.. ألا يرى القارئ بعد هذا العرض أنه ليس من الإنصاف أن نقلل من شأن هذا العالم رفيع القدر بمثل ما قاله الأستاذان: علاّم سلامة وعبدالجواد رمضان اللذان نسأل الله لهما الرحمة والمغفرة!.



آنّا مارى شيمل

بقلم: أ.د. أحمد فؤاد باشا

> **ان متابعتنا لما يكتب فى الغرب عن الإسلام تقوم على احترام الجهود الجادة المخلصة والمعالجات الموضوعية الهادفة فى إطار التفاعل البناء بين الحضارات والحوار المتكافىء بين الثقافات وفى الوقت نفسه تتحاشى التعامل مع دعاة التصادم وأسرى الأيديولوجيات الجامدة وأصحاب النزعات التعصبية وذوى الكتابات العابرة والآراء المتسرعة، لأن دوافعهم فى العداء على الإسلام والمسلمين لم تعد خافية على أحد.**

وتتميز البحوث الإسلامية التى قامت بها المستشرقة الألمانية آنا مارى شيمل بالأمانة العلمية والدقة والموضوعية، فقد أولت عناية خاصة بالتصوف الإسلامى، ولها فى هذا الجانب مؤلفات قيمة بالانجليزية والألمانية، وقد عملت أستاذة لفترة طويلة بجامعة هارفارد فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهى تحظى بالاحترام والتقدير فى أوساط المستشرقين والمستعربين فى أوروبا وأمريكا.

وقد نجحت آنا مارى شيمل من خلال جهودها وكتاباتها فى أن تناقش كل ما يتعلق بالإسلام دينا ودولة بدءا من الحديث عن نشأة الإسلام وانتشاره والتعريف بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف ومصادرها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما تقدم رؤية صادقة عن الجوانب الإسلامية الإنسانية فى الشريعة الإسلامية، وتستعرض تاريخ الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ونشأة الفرق، ثم تبحر بقرائها فى عالم التصوف لتعرفهم برجالاته ومن مؤلفاتها: «الصوفية وأثرها فى أوروبا» (١٩٧٧م) و«الأبعاد الصوفية فى العالم الإسلامى» (١٩٨٦م) وكتبت أيضا عن «محمد رسول الله» (١٩٨١) وعن مفهوم الإدارة الإلهية وعن تحسين الخطوط

في الحضارة الإسلامية (١٩٨٤)..

وقد نالت آنا ماري شيمل جائزة السلام عن دور النشر الألمانية وتسلمتها من الرئيس الألماني السابق «رومان هرتسوج» في ١٥ من اكتوبر عام ١٩٥٥م كما كرمتها وزارة الأوقاف المصرية عن مؤلفاتها الموضوعية في الإسلام والحضارة الإسلامية.

وفي نهاية شهر يناير ٢٠٠٣م توفيت عن عمر يناهز الثمانين عاما تاركة وراءها تراثا غنيا من الدراسات الإسلامية، سيظل دائما شاهدا على نبل القصد ومحبة الحقيقة وشرف الكلمة والتجرد من الهوى والغرض.

الاستسلام لإرادة الله

تقول آنا ماري شيمل في تعريف كلمة «إسلام» والفرق بين كلمتي «مسلم» و«محمدي» أن كلمة إسلام تعني الاستسلام تماما إلى إرادة الله ومن يظهر هذا الإسلام يسمى «مسلما» أما التسمية «محمدي» والتي ترد أحيانا في كتابات الأوروبيين باعتبارها وصفا لاتباع شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحبذها المؤمنون بالإسلام، لأنها وصف غير صحيح وضع قياسا على تصور آخر يتمثل في التسمية «مسيحي» أما في التصورات الصوفية المتأخرة فقد يتكرر ذكر التسمية «محمدي» وصفا للمؤمن أو المتصوف خاصة، وهي تسمية يرى الصوفيون فيها تعبيرا صادقا عن انتمائهم ووفائهم للرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المثل الأعلى لهم، وتستطرد المستشرقة الألمانية قائلة: «المسلم الذي يؤمن بالله الواحد خالق الكون والديان يعرف تماما أن مسئوليته هي الإيمان بالكتب السماوية كلها التوراة والإنجيل والمزامير والقرآن الكريم» وكذلك الإيمان بكل الأنبياء منذ آدم وموسى وعيسى وسائر المسلمين وانتهاء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك كل الملائكة ويوم الحساب، ويشعر المؤمن في كل مشاهداته اليومية بوجود الله، وهنا تمثل فروض العبادة واجبات عليه الوفاء بها لأنها أوامر إلهية مثل الصلاة والزكاة المرتبطتين ببعضهما»..

الأسلوب القرآني معجز

وتحدثت آنا ماري شيمل عن عالمية الإسلام ورسالته، موضحة انتشار الفتوحات الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وكان لحركة الترجمة العربية تأثير كبير على تطور العلوم العربية والعلوم الأوروبية.

وتقول عن القرآن الكريم إنه كلمة الله الصحيحة، ولم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم سوى دور توصيل هذه الكلمة الإلهية للمسلمين وللناس أجمعين بلسان عربي مبين، ولا يمكن نقل نص القرآن الكريم بكل معانيه ودلالاته إلى لغة أخرى ولذلك فكل ترجمات القرآن الكريم تعتبر نقلا لمعاني القرآن الكريم، والأسلوب القرآني أسلوب معجز ولا يمكن تقليده أو مضاهاته، لأنه يسمو فوق اللغة الإنسانية، ونظرا لغياب الترجمة الأوروبية المتجانسة فكريا حتى اليوم، فإنه من الصعوبة على الأوروبيين بمكان فهمه واستيعابه، وتتجلى عالمية الإسلام في تكريمه للإنسان بصورة عامة وحثه على تحصيل العلم النافع لما فيه خير الناس جميعا إلى يوم الدين.

ومما أثار اهتمام المستشرقة الألمانية في الأحكام الشرعية وموادها القانونية ذلك الشكل الإنساني الجديد الذي يميز أحكام الميراث، حيث نص القرآن الكريم على منح المرأة قدرا مناسبا عن الميراث بالمقارنة مع أحكام الميراث المألوفة لدى العرب قبل الإسلام فحفظ بذلك حقوق المرأة.

وترى آنا ماري شيمل فيما ترى من أحوال المسلمين في العصر الحديث مقارنة بماضيهم المجيد أن الإسلام هو الأساس النموذجي لإعادة بناء الدولة الإسلامية الحديثة وتشكيل سياستها، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحمي الاخوة الإنسانية، وهو حصن التوحيد الأوحد، ثم تستدرك قائلة: «إلا ان تشكيل دولة إسرائيل في المنطقة العربية يمثل إشكالية كبيرة للعالم العربي».



المستشرقون المعتدلون

وهي ترى أن العالم الإسلامي يمر حاليا بمراحل جديدة ولا يمكن التنبؤ بالدور المستقبلي الذي سيلعبه على المستوى العالمي، لكنها تعول كثيرا على أن يكثر في الإسلام الإصلاحيون أمثال محمد إقبال، لأنهم قادة النهضة، وتستشهد بقوله تعالى:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (سورة الرعد: ١١)

إن جهود المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل في الدراسات الإسلامية تمثل الجانب الإيجابي المشرق في دراسات المستشرقين المعتدلين على أساس من الاحترام المتبادل، والحوار مع هؤلاء يمكن أن يؤدي بدوره إلى المزيد من التفاهم المشترك، وإلى تصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة عن الإسلام عقيدة وتاريخا وحضارة، ويزيل الكثير من الأحكام المسبقة على كلا الجانبين.

مع أديب الفقهاء وفقيه الأدباء

١

للأستاذ عبدالعزيز بن عبدالله الربيعي

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، الذى أرسله على فترة من الرسل، وانقطاع من الوحى، فوصل به حبل الدين، ولم به شعث المسلمين، وأنار به سبيل الحق، وختم به الرسالات، وأنزل عليه كتابه الكريم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا..

الحمد لله القائل:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

(آل عمران/١٨٥)

لم يخلق الخالق -جل ثناؤه- يقينا لا شك فيه مثل الموت، فكل إنسان يعلم علم اليقين أن الموت حقيقة لا ريب فيها، وأن الأجل آت لا محيص منه أو عنه، ومع ذلك يتعامل معه المخلوق وكأنه مشكوك فيه.

منذ وجد الموت والحياة، والبشر ترتعد فرائصهم لمجرد ذكر اسمه، فلو قيل لأحد بأنك سوف تموت بعد عشرات السنين لمات من توه، خوفاً من الموت.

ومن عادات بعض القبائل فى الجزيرة العربية أنها ترحل من مكان سكناها إذا مات واحد من أفرادها فيه، حيث يتطيرون من ذلك الموقع ويتشاءمون من البقاء فيه.

وعود على بدء.. يتساءل الكثير من الناس ما هو الموت؟

يقول بعضهم: إن الموت عملية تنظيمية للكون وتجديد للبشرية.. حيث يتم التجديد والتبديل..

وأقول ما قاله خالق الكون:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

الملك (١-٢)

ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القائل: «العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

وأبو الطيب المتنبى يقول:

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا ... وأعيا دواء الموت كل طبيب

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب

تملكها الآتى تملك سالب ... وفارقها الماضى فراق سليب

ولا فضل فيها للشجاعة والندى ... وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

وأوفى حياة الغابرين لصاحب ... حياة امرىء خانته بعد مشيب

وكل إنسان بطبعه يكره الفناء، ويتمنى البقاء.. فمن أراد أن يبقى ذكره خالداً محموداً فما عليه إلا أن يحسن مخالطة الناس، ويصبر على أذاهم.. وما أجمل قول الحكيم العربى فى هذا المعنى: «خالطوا الناس مخالطة إذا غبتم حنوا إليكم، وإذا متم بكوا عليكم».

إن الأجل لا يزيد ولا ينقص، وإن الخالق تبارك وتعالى كتب وفاة كل نفس بإذنه كتابا مؤجلا، وقال إن الأسباب لا تفضى إلى المسببات إلا عندما يريد الله جل ثناؤه، حيث قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾

(آل عمران/ ١٤٥)

إن هذه الصيغة، صيغة الفناء المقترنة بـ «كان» وبـ «لام الجحود» إنما تأتى لأجل تأكيد عدم وقوع المنفى، فيقال: ما كان لى أن أفعل كذا، بمعنى: أننى لست فاعلاً ذلك الأمر بحال من الأحوال. أى لو قال قائل: لا أفعل هذا الشىء، فمعناه يحتمل أن يكون: يقصد أن يفعله فى وقت آخر.

ولكن إن قال ما كان لى أن أفعله فإنما يؤكد إنه لن يفعله بأى حال من الاحوال.

روى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ فقال: «أيكم يعرف قس بن ساعدة الإيادى؟ قالوا: كلنا يعرفه يا رسول الله، قال فما فعل؟ قالوا: هلك. قال: ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر، وهو يخطب الناس ويقول: «من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن فى السماء لخبراً، وإن فى الأرض لعبراً، سحائب تمور، ونجوم تغور فى فلك يدور- ويقسم قس قسما إن لله لديناً هو أرضى من دينكم هذا- ثم قال: مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ ثم قال رسول الله ﷺ لهم: أيكم يروى من شعره؟ فأنشد بعضهم قوله:

فى الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها ... يمضى الأكابر والأصاغر

أيقنت أنى لا محالة

حيث صار القوم صائر

والمسلم يتفرد بخاصية دون غيره من المخلوقين عندما يموت، ويستوفى عمره المقدر له، يقدم على رب رحيم، كريم، يعطى الجزيل، ويغفر الذنب العظيم، تاركاً أثراً طيباً، وذكراً حسناً، مقروناً بالدعاء له. قال الشاعر:

وأحسن الحالات حال امرىء

تطيب بعد الموت أخباره

يفنى ويبقى ذكره بعده

إذا خلت من شخصه داره

عش ما شئت فإنك ميت.. واعمل ما شئت فإنك مجازى به.. وأحبب من شئت فإنك مفارقه..

ولا ينبئنك عن خلق الليالى

كمن فقد الأحبة والصحابا

أقول هذا بمناسبة الذكرى الثانية لرحيل الصديق العزيز والفقيه الأديب الشاعر الشيخ الأستاذ الكبير/ أحمد بن على الحميدان- رحمه الله- كان صديقاً، وظل صديقا إلى أن رحل، ظل وفياً فى و قت عز فيه الوفاء.

الصداقة الحقيقية تتناثر مشاعرها الجميلة فى كل عصر، وفى كل زمان، فتعيش فى قلوب الصادقين من الرجال، وتترجم صدق مودتهم مكارم أخلاقهم، إيثاراً وتضحية ووفاء على مر الليالى والأيام:

لهو طابع يجرى عليه وإنما

تفاضل ما بين الرجال الطبائع

إذا كانت الأيام تمر، والسنون تمضى، والبشر إلى زوال فإن مكارم الرجال لا تزول ولا تنسى، ما دامت الحياة تنبض فى قلوب الشرفاء الأوفياء، وستقلها الأجيال بعد الأجيال.. الناس تبحث عن القدوة تفتش عنها فى حاضرها وغابرها فى التاريخ البعيد والقريب، إذ بغير القدوة والمثل الأعلى يبقى البناء بغير أساس، ولا سقف ويبقى الطريق بدون النجوم التى تنير معالمه.

فى ذكرى رحيله، يتأجج الشوق إليه.. لقد كان صاحب قلب كبير ورحيم، وخلق عظيم، وتواضع جم.. إنه الإنسان الذى إذا عرفته لا يمكنك إلا أن تحبه وتقدره.. تحبه لتواضعه.. تحبه لصدقه.. تحبه لواسع معرفته.. تحبه لأنه لايجرح أحداً.. تحبه للكلمة الطيبة.. والصوت الهادىء.. تحبه لإخلاصه، وسماحته التى تشيع فى النفس الراحة والاطمئنان.. قد تختلف معه فى الرأى لكنه لا يصدمك بتسفيه رأيك، بل تجده فى لطف ولين يشرح وجهة نظره، وكأنه يختار كلماته ليقنعك برأيه، وهو فى الحقيقة لا يختار الكلمات بل هى طبيعته وسجيته التى فطر عليها.. وكأن أبا تمام عناه بقوله:

من لى بإنسان إذا أغضبته

وجهلت كان الحلم رد جوابه

وإذا صبوت إلى المدام شربت من

أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغى للحديث بسمعه

وبقلبه ولعله أدرى به

من الناس تمر حياتهم فى حساب الزمن ركام من الأيام، والأشهر، والأعوام قصرت أم طالت، هى فى كل حال اجترار وتكرار يضاف إلى ركام الملايين من المخلوقين.. ومن الناس شعاع متوهج يمر.. فإذا الدرب يوح الخزامى، ونفح العرار.

يقف الواقفون ويقولون من هنا مرّ فلانٌ وعبر.. ومن تكتب اليوم عن ذكراه كان فى طليعة هذه الفئة من الكرام التى كان بينها وبين مكارم الأخلاق موعدٌ وتلاق.. كان ثابت المهابة فى الجد والهزل.. جده الصرامة.. وهزله الابتسام.. كان قدوة.. يحفظ للصداقة دفء المعنى.. ويبذل لصديقه ما يبذله الكرام للكرام.

كان فى مجال العمل قدوة.. خطواته.. مواعيده..حضوره.. انصرافه.. الاحترام قاعدة أصيلة فى تعاطيه.. يحترم العمل، ويحترم القيم، ويحترم المبادىء، ويحترم الناس.. وفى احترامه للناس لاشك احترام لذاته.. هذا النوع من الرجال الانتساب إليه شرف.. سواء ابناً أو أخاً أو تلميذاً أو صديقاً.. ما أخذ فى عمله أبداً «بالرقاق» وإنما كان دأبه الغوص فى الأعماق، يخرج كنوز اللغة وأصولها معيداً عهد الرواد الأوائل فى أصالة البحث وتتبع الشوارد.. هذا جانب، ومن جانب آخر كان يوجد فى قرانا نفر كالمعالم يجسدون ما تتصف به هذه القرى من عزة وإباء ومن كرم وسخاء، ومن صدق ووفاء..

فقيدنا الغالى كان فى طليعة هذا النوع الخير من الناس كان صديقا فى الاصدقاء وكان وفياً فى الأوفياء، وكان سخياً فى الأسخياء.. ما تعثرت قدمه فى دروب الفضيلة، ولاكبا جواده، ولا هفا فؤاده، ولا تلجلج لسانه، بل كان يمضى إلى غايته كما يمضى الرجال الكبار، لا يحابى، ولا يلين، ولا يتعصب، ولا يمالى.. فهو رجل القضاء الذى يموت فى نظره الهوى، ويحيا فى قلبه الحق، تعلم دروس الحق من صحبته لكتاب الله وسنة رسوله عليه- وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل وجميع أنبياء الله ورسله- أفضل الصلاة والسلام، فأتقنها، وأجاد.

وأعتقد أن تاريخ القضاء فى بلادنا العزيزة إذا كتب سيذكر أن واحداً من بنيه من هنا من هذه الأرض الطيبة قد اعتلى مناصب القضاء، ومضى من هذه الدنيا نظيف اليد.. واللسان.. طاهر الذيل.. سيذكر هذا، ويذكر غيره، وقبل هذا سوف يذكر تاريخ التربية والتعليم ما أعطاه من معرفة وعرفان. لقد أعطيت الناشئة فيه الصدق فأعطوك المحبة، وأعطيتهم العفة فأعطوك الإخلاص، وأعطيتهم العزة وشرف النفس، فأعطوك الوفاء والمودة، تجردت عن الأهواء والشهوات فاشتد تعلقهم بك، لأنهم يطلبون هذه القيم فيمن يلى أمورهم، تصديت للعمل فسرت به فى دروب الشرف والفضيلة، فازدادوا بك تعلقاً ووثوقاً، وكانوا يتيهون بك فخراً واعتزازاً، ويتباهون بأن لهم معلماً فذاً بارعاً عفيفاً شريفاً، صديقاً وفياً، ولقد سمعت الوفاء ينطقهم، وأنهم على العهد باقون، وأنك باق بينهم بروحك وذكراك

يذكرونك ذكر ود وعرفان.

إن درب الحق والفضيلة شاق وطويل، وقد ارتضيت المسير فيه غير هياب ولا وجل، فكنت عدوا لكل فساد وشر، ونصيراً لكل عدل وحق وخير إلى أن تركت هذه الدنيا لأهلها.

أين؟ أين؟ الرعيل من أهل بدر
طوى الفتح واستبيح الرعيل

وداعا يا أبا حميدان.. يا أبا الشرف.. والنبل.. والعزة.. والكرامة.

أما الأدب والشعر فحدث ولا حرج، فهو معطر مجالس عشاق الشعر والأدب، يلقى بالجواهر الثمينة بين الفينة والفينة، ويزين حواشيها بالقصص، والنوادر، والطرف التي لا تقف عند التسلية، بل يرفدها بالرواية، وإليه يعود الفضل فيما يثير اهتمام إخوانه ومحبيه بتراث الآباء والأجداد، وما يجدد الصلة به، وينعش الذاكرة، مع ضروب التراث الأخرى وهو في ذلك كله يصادف توفيقاً وقبولاً لدى كل من جالسه لا يمل الاستماع إليه، والاستمتاع بمعالجاته النابهة، وذكائه التلقائي، واستعادته للموضوعات من الذاكرة بما يوحي بتعلقه بالتراث على نحو تعلقه بتراب الجزيرة العربية.

إنه خل التراث الوفي، إذ تستمع إليه فأنت أمام ذاكرة عجيبة، ممتدة ومتحركة، تعرف القبائل، وتوثق لأنسابها، وتدرك تحركها التاريخي، والاجتماعي، وهجراتها، وتأثرها، وتأثيرها، حتى تصرفات الأفراد.. ما أن يتصرف أحدهم حتى يقول لك: هذا ما فعله فلان من جدوده.

ثم تفيق على قوله انظر الحال اليوم لقد أصبحنا في زمن عز فيه الوفاء، والنخوة، والإيثار، والتضحية، وكأن هذه القيم انقرضت أو ضاقت حلقاتها، ومع هذا فهو دائم الميل لغربلة التراث والتبشير بمثله الراقية.

شيء من ترجمة حياته

● نسبه:

أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عثمان بن علي بن عيسى بن عثمان بن أحمد المكنى «بحميدان» ابن عبد الله بن إبراهيم بن عيسى البدراني الدوسري.

● مولده ووفاته:

ولد في بلدة «الزلفي» في ١ من شوال سنة ١٣٢٩هـ وتوفي- رحمه الله في ١٦ من صفر سنة ١٤٢٦هـ.

● حياته العملية:

١- عين للعمل «بالظفير» في ١ من شعبان سنة ١٣٥٥هـ وبقي في عمله حتى ١١ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠هـ.

٢- كلف بالعمل مرشداً للبادية عندما نقلوا من «الرياض» إلى «بنبان» من ١ شوال من ١٣٦١ هـ وحتى ١ من رجب سنة ١٣٦٢هـ.

٣- عين عضواً شرعياً في «هيئة الجنوب» التي كلفت بأمر الملك عبدالعزيز- رحمه الله- بالتفتيش على جميع الدوائر الحكومية هناك: قضاة، وأمراء، ورؤساء مالية، وبلديات، وكان ذلك في آخر عام ١٣٦٣هـ.

وعند اجتماعهم مع الملك عبدالعزيز- رحمه الله- قال لهم: «ترانا اخترناكم من طلبة علم، ومن كتابنا، ومن موظفينا، قصدي أنكم تبرون ذمتي. وستجدون قضاة طلبة العلم، وأهل تقى، لكنهم لا يحسنون إتقان الأحكام، دينهم وعلمهم لهم، ونقص أحكامهم علينا. وستجدون قضاة طلبة علم، ودينهم فيه ما فيه، ولكن أحكامهم ما عليها مدخل. أحكامهم لنا ونقص دينهم عليهم، والله حسيبهم. وعليكم بالأمراء ترى الأمراء ظلمة بروا ذمتي منهم» وبعد رجوعهم من هذه المهمة التي أنهوا فيها كثيراً من المشكلات، طلب أهل البلدان المجاورة إرسالهم إليهم للنظر في أوضاعهم.

٤- عين للعمل عضواً «بهيئة الفوج الملكي» في ١٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤هـ وحتى ٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٨هـ.

٥- تم تعيينه مديراً لمدرسة «الغاط» في ٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٨هـ وهو الذي أسسها وبقي فيها حتى ١ من محرم سنة ١٣٧٤هـ، وأثناء وجوده «بالغاط» جاءه كتاب من الملك عبدالعزيز- رحمه الله- في ١٢ من شعبان سنة ١٣٧٠هـ، يكلفه بقضاء «الغاط»، وقد اعتذر لجلالته عن قبول القضاء.. وقد قبل الملك عبدالعزيز اعتذاره.

٦- عينه الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمهما الله- مدرساً في المعاهد والكليات «بالرياض» في ١ من محرم سنة ١٣٧٤هـ.

وفي أثناء عمله بالتدريس انتدبه الشيخ محمد بن إبراهيم للقضاء بإقليم «وادي الواسر» وكان الاتفاق مع الشيخ محمد أن يذهب بهذه المهمة حتى يتم تعيين من يقوم بها، ولمدة أربعة أشهر فقط. مددت بعد ذلك لفترات عدة. ولما طالت مدة التكليف شك بأنه لن يأتي من يستلم العمل منه، فكتب للشيخ بأنه ترك «الوادي» وسافر إلى «الزلفي»، فكتب له الشيخ بأنه قد طوى قيده من التعليم وليس له إلا القضاء وعليه مباشرة عمله، فاعتذر عن العودة للقضاء، فاستدعاه الشيخ للمقابلة شخصياً وعند حضوره أمره بمباشرة القضاء دون الاستماع إلى رأيه، فأصر على الاعتذار- رحمهما الله- فقال له الشيخ محمد إذا لم تباشر سنكتب لولي الأمر بأنك غير مطيع وعندها سيلزمك بالتنفيذ، فكان جوابه: أنا أعرف بنفسي منك بأني لا أصلح للقضاء. فقال الشيخ اذهب للقضاء وما جاء به من نقص في عملك فهو في ذمتي. فقال: سمعا وطاعة وباشر القضاء في بلدة «نادق» «الحمل» وكان ذلك في ١ من صفر سنة ١٣٧٩هـ ثم انتقل من «الحمل» إلى مناطق أخرى سوف نأتي على ذكرها مع ترجمة حياته العلمية والعملية إذا شاء الله ذلك في مناسبة أخرى.

ولما توفي الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله- قدم استقالته وعاد إلى مسقط رأسه وتفرغ لنفسه وأهله وقبل ذلك وبعده لعلاقته بربه.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

المسلمون بين الأمس واليوم

آفة المسلمين اليوم أنهم يباهون ويفاخرون بتاريخهم العظيم، وهو بالفعل عظيم لأن صانعيه كانوا عظماء، وسر عظمتهم كان فى قوة إيمانهم وثقتهم بالله، فنصرهم الله وأعزهم على قلتهم وفقرهم وأذل لهم أعداءهم على كثرتهم وقوتهم وثرائهم.

آفة المسلمين اليوم أنهم يعيشون فى ظلال مجد آباء وأجداد صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

آفة المسلمين اليوم أنهم بلا حاضر وبالتالى فهم بلا مستقبل ومن ثم هانوا على العالم.

آفة المسلمين اليوم أنهم لم يتمسكوا بما ساد به آباؤهم وأجدادهم، بل فرطوا فيه بجاه دنيوى زائل، فتعالوا بنا نستعرض بعضا من أحداث شهر كانت لنا فيه فى الماضى أيام مشهودة، وأخرى فى الحاضر لسان حالها البؤس والشقاء علنا نلتمس العبرة والعظة فنتمسك بما فرطنا فيه، ونلفظ ما نتنازع عليه:

● فى غرة ربيع الآخر سنة ١١هـ/ ٢٧ من يونيو ٦٣٢م:

خرج أسامة بن زيد رضى الله عنه على رأس الجيش الذى أعده رسول الله -ﷺ- فى حياته، وحرص الخليفة أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- على أن يخرج بنفسه لوداع الجيش ممسكا بخطام البغلة التى يركبها أسامة، ثم أوصاه بوصية جامعة جاء فيها: «... لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».

● فى ٤ من ربيع الآخر سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م: بدأ الظاهر بيبرس سلطان مصر عملياته العسكرية لتطهير الشام من الصليبيين وتولى بنفسه قيادة العمليات العسكرية

واستمرت المعارك ثلاث سنوات متتالية بدأت بسقوط قيسارية من ٨ من جمادى الأولى سنة ٦٦٣هـ، وانتهت بفتح انطاكية فى ٤ من رمضان سنة ٦٦٦م.

● فى ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٤هـ/ ٢٢ من مارس سنة ١٩٤٥م: وقعت كل من مصر، والسعودية، والأردن، والعراق، ولبنان، وسوريا، واليمن، على ميثاق جامعة الدول العربية فى القاهرة.

● فى ٩ من ربيع الآخر سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٨ من مايو سنة ٢٠٠٤م:

٣٧ جندياً من جيش كوريا الجنوبية يشهرون إسلامهم فى المسجد الرئيسى بالعاصمة «سول» بعد أن تعرفوا على الإسلام من خلال دورات دراسية نظمها الجيش الكورى عن ثقافات وعادات الشعوب ومن بينها ثقافات الشعوب الإسلامية وعاداتها.

● فى ١٨ من ربيع الآخر سنة ٢٠هـ/ ١٦ من أبريل سنة ٦٤١م: سقط حصن بابليون فى يد جيوش المسلمين بقيادة الصحابى الجليل عمرو بن العاص -رضى الله عنه- والذى لقى كل الترحيب والمساعدة من أهل مصر الذين استبشروا بقدم المسلمين لتخليصهم من الحكم الرومانى، لتبدأ مصر عهدا جديدا، أهلها بعد ذلك لقيادة الأمة الإسلامية فى مواجهة أطماع الاستعمار عبر العصور.

● فى ٢٠ من ربيع الآخر سنة ٦٤٦هـ/ ١٢ من أغسطس سنة ١٢٤٨م: لويس التاسع ملك فرنسا يقلع من الموانئ الفرنسية على رأس الحملة الصليبية السابعة قاصدا غزو واحتلال مصر، ولقيت الحملة هزيمة كبرى فى مدينة المنصورة وسقط الملك لويس التاسع نفسه أسيرا فى أيدى الجيش المصرى.

● فى ٢٣ من ربيع الآخر سنة ١٤٢٥هـ/ ١١ من يونيو سنة ٢٠٠٤م:

حكومة جمهورية صرب البوسنة تعترف رسميا بمسئوليتها عن مجزرة سربرينتشا التى راح ضحيتها آلاف المسلمين خلال الحرب الأهلية فى البوسنة عام ١٩٩٥.

● وفى ٢٤ من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/ ٤ من يوليو سنة ١١٨٧: انتصر صلاح الدين الأيوبى على الجيوش الأوروبية المعتدية التى قدمت إلى فلسطين تحت شعار الصليب، ومثلت هذه الهزيمة كارثة كبرى للدول الأوروبية التى فقدت فى هذه المعركة أعدادا هائلة من فرسانها ما بين قتيل وأسير، كما مثلت هذه المعركة- أيضا- بداية النهاية للوجود الصليبى فى المشرق العربى آنذاك، وقد تمكن صلاح الدين عقب هذه المعركة من استرداد بيت المقدس وتطهيره من الغزاة فى ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣هـ/ ١٢ من أكتوبر ١١٨٧م.

● فى ٢٦ من ربيع الآخر سنة ١٤٢٦هـ/ ٣ من يونيو سنة ٢٠٠٥:

اعترف الجيش الأمريكى لأول مرة بوقوع خمس حالات لتدنيس المصحف من قبل حراس أمريكيين فى معتقل جوانتانامو بكوبا، وقد تعددت حالات التدنيس بين التبول، والوطء بالقدم، والركل، وكتابة عبارات نابية على المصحف الشريف.

فمتى نسترد كرامتنا ونستلهم من ماضينا الجميل وسير أسلافنا العظام ما نعيد به ما فرطنا فيه؟!

أحمد تقى الدين

ألأنك ابن أمير المؤمنين؟!

وعن الفاروق عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- جاءت هذه الكلمات من القارئ: أحمد محمود -من الإسكندرية، قال:

قيل لسيدنا أبى بكر الصديق -رضى الله عنه: ماذا تقول لربك وقد وليت عمر، قال: أقول له: «وليت عليهم خيرهم» (أخرجه ابن سعد).

وقال على بن أبى طالب -كرم الله وجهه: «إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر (أخرجه الطبرانى فى الأوسط).

وقال حذيفة -رضى الله عنه: «والله ما أعرف رجلا لا تأخذه فى الله لومة لائم إلا عمر».

أجل أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- كان كل هذا بل وأكثر.

ومما يروى من سيرة الفاروق عمر -رضى الله عنه- مواقفه مع ابنه عبدالله.. ابن أمير المؤمنين:

● روى أنه دخل يوما دار ابنه عبدالله أيام قحط عام الرمادة -وهو العام الذى لم يجد فيه المسلمون ما يقتاتون به- فوجده يأكل شرائح لحم فغضب وقال له: «ألأنك ابن أمير المؤمنين تأكل لحما والناس فى خصاصة؛ ألا خبزا وملحا؟ ألا خبزا وزيتا»!!

● ورأى عمر ذات يوم إبلا أعجبته فقال: لمن هى؟ فقيل له: إبل عبدالله بن عمر. فانتفض عمر وقال: إبل عبدالله بن عمر!! بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين. وأرسل فى طلبه، فمثل أمامه فسأله: ما هذه الإبل يا عبدالله؟ فقال: إبل اشتريتها بمالى وبعثت بها إلى الحمى أتاجر فيها وابتغى ما يبتغى المسلمون. فغضب عمر وقال: ويقول الناس حين يرونها ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، وهكذا تسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين!! ثم قال عمر: يا عبدالله بن عمر خذ ما دفعت فى هذه الإبل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين.

عمر بن الخطاب قال هذا وأكثر منه لابنه عبدالله، وعبدالله بن عمر هو ذلك الصحابى الجليل وهو من هو فى التقوى والزهد والورع.

● بل إنه عندما حضرت عمر الوفاة وأشار البعض على عمر -عن أمانة وإخلاص فى النصيحة لا عن خبث وسوء طوية- أن يستخلف ابنه عبدالله من بعده، أبى عمر، ورفض، وقال: «بحسب آل الخطاب أن يعذب منهم واحد».

أين تكمن السعادة؟

تحت هذا العنوان كانت كلمة القارئ الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابى قال:

الكل يبحث عن مكمن السعادة ويتساءل بينه وبين نفسه أين تكمن السعادة؟ ولقد أجاب لنا العقلاء والحكماء عن هذا التساؤل الذى تشغل إجابته الجميع فقالوا:

- أحسن إلى الناس، وقدم الخير للبشر لتلقى السعادة من عيادة مريض، وإعطاء فقير، والرحمة بيتيم.

- من أعظم أبواب السعادة دعاء الوالدين فاغتنمه ببرّهما ليكون لك دعاؤهما حصنا حصينا من كل مكروه.

- اجتنب الصخب والضجة فى بيتك ومكتبك، ومن علامات السعادة الهدوء والسكينة والنظام.

- السعادة شجرة ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها الإيمان بالله والدار الآخرة.

- من السعادة الانتصار على العقبات ومغالبة الصعاب، فلذة الظفر لا تعدلها لذة، وفرحة النجاح لا تساويها فرحة.

- السعادة ليست فى الحسب ولا النسب ولا الذهب، وإنما فى الدين والعلم والأدب وبلوغ الأرب.

- أسعد عباد الله عند الله أبذلهم للمعروف يداً، وأكثرهم على الناس فضلاً، وأحسنهم على ذلك شكراً.

- من عرف الاعتدال عرف السعادة، ومن سلك التوسط أدرك الفوز، ومن اتبع اليسر نال الفلاح.

- ليس فى ساعة الزمن إلا كلمة واحدة: الآن، وليس فى قاموس السعادة إلا كلمة واحدة: الرضا.

- اسأل الله العفو والعافية، فإذا أعطيتهما فقد حزت كل خير، ونجوت من كل شر وفزت بكل سعادة.

- السعادة فى التضحية وإنكار الذات، وبذل الندى وكف الأذى، والبعد عن الأنانية والاستئثار.

- العبادة هى السعادة، والصلاح هو النجاح، ومن لزم الأذكار وأدمن الاستغفار وأكثر الافتقار فهو أحد الأبرار.

- السعادة أن يكون مصحفك أنيسك، وعملك هوايتك، وبيتك صومعتك، وكنزك قناعتك.

- أربعة يجلبون السعادة: كتاب نافع، وابن بار، وزوجة محبوبة، وجليس صالح، وفى الله عوض عن الجميع.

- السعادة: انجلاء الغمرات، وإزالة العداوات وعمل الصالحات، والانتصار على الشهوات.

- الابتسامة مفتاح السعادة، والحب

بابها، والسرور حديقتها، والإيمان نورها، والأمن جدارها.

- سعيد من طال عمره، وحسن عمله، وموفق من كثر ماله فكثر برُّه، ومبارك من زاد علمه فزادت تقواه.

- السعيد من اعتبر بأمسه، ونظر لنفسه، وأعد لرمسه وراقب الله فى جهره وهمسه.

- السعادة هى أن تصل النفس إلى درجة كمالها، والفوز أن تجد ثمرة أعمالها، والحظ أن تخدمه الدنيا بإقبالها.

- أتريد السعادة حقا؟ لا تبحث عنها بعيداً، إنها فيك، فى تفكيرك المبدع، فى خيالك الجميل، فى إرادتك المتفائلة، فى قلبك المشرق بالخير.

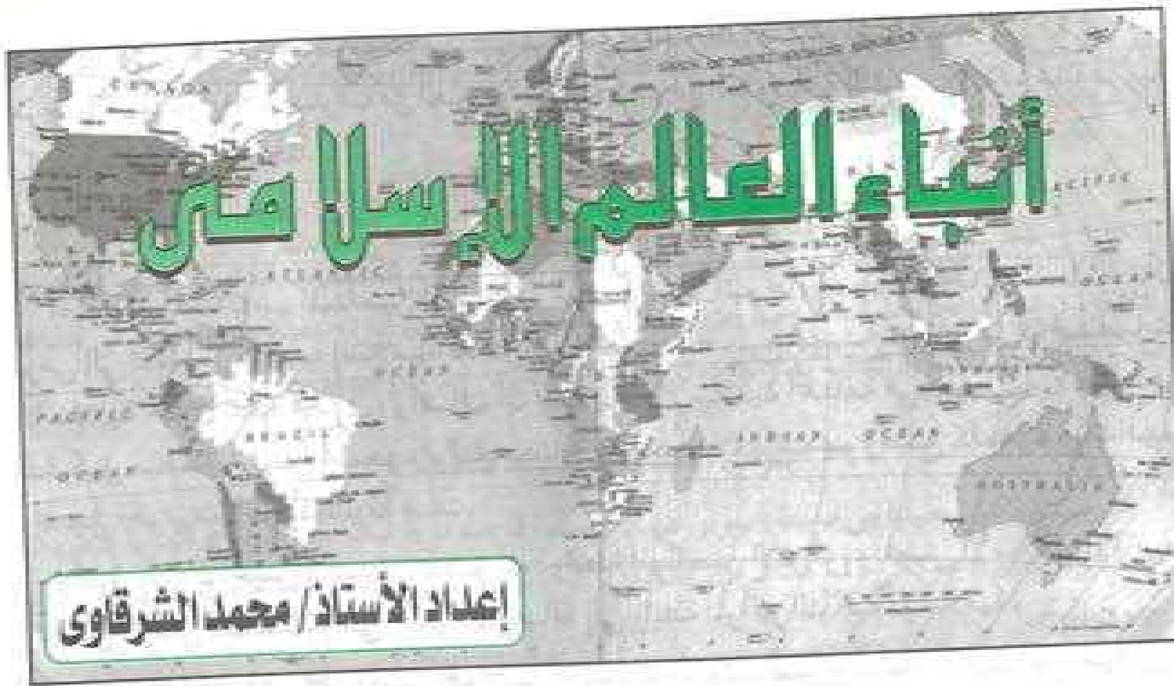
- كل العقلاء يسعون لجلب السعادة بالعلم، أو بالمال، أو بالجاه، وأسعدهم بها صاحب الإيمان، لأن سعادته دائمة على كل حال حتى يلقى ربه.



فى ذكرى شيخنا الإمام الغزالى

وفى ذكرى وفاة العالم الجليل «الشيخ/ محمد الغزالى» رحمه الله - وافانا الصديق: محمد فريد عبدالخالق بهذه الأبيات:

ذكرى الغزالى الإمام نعيشها ... أبداً يفيض عطاؤه فى جدة
طوبى لما خطت يمينك من ترا ... ث نفعه باق ليوم الأوبة
قد نال علمك فى زمانك قدره ... واليوم ضوعف باشتداد الحاجة
يا شيخنا مازال صوتُك داويا ... فى الصحوة الكبرى خلاصُ الأمة
كم قد سعدتُ بقربة وحوارنا ... فى أمر أمتنا وعود الصحوة
لازلتُ أذكر كيف كان حديثه ... ثراً بنور الصدق جمُّ الحكمة
لازلتُ أوصى بانتهاج تراثه ... جيلَ الشباب ففيه بعثُ العزة
عشتَ الحياة لوجه ربك سائلا ... مرضاته فحياكَ خير معيّة
أحييت بالفقه البصير بديننا ... أجيالنا وتركت أكرم قدوة
الظلم عشتَ عدوه والظالمو ... ن تروعهم بنزال أهل النجدة
والحق تنصره وتنصر أهله ... مهما استعان المبطلون بعدة
عرفتك مصر وأمة الإسلام بالـ ... علم الفتى مجاهداً فى الحومة
عرفان فضلك عند أهل الفضل ليـ ... س مجّهلا.. وكذلك عطر السيرة



القضاء الفرنسى يبرئ مجلة برغم نشرها رسوما كاريكاتورية مسيئة للرسول ﷺ

قرر القضاء الفرنسى تبرئة المجلة الأسبوعية الفرنسية الساخرة «شارلى ايبدو» برغم نشرها رسوما كاريكاتورية للرسول «صلى الله عليه وسلم» العام الماضى، وزعمت المحكمة أن المجلة لم تتجاوز حدود حرية التعبير بنشرها هذه الرسوم.

ورحبت منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا بتبرئة مجلة «شارلى ايبدو» وأعرب ميكلوس هاراشتى ممثل المنظمة لحرية وسائل الإعلام عن سعادته إزاء قرار المحكمة، وزعم أن القرار جعل نظام حرية التعبير فى فرنسا أكثر متانة ـ كما أعرب «هاراشتى» عن سعادته لأن المدعين «المسجد الكبير فى باريس واتحاد المنظمات الإسلامية فى فرنسا» ـ استخدموا النظام القانونى عندما أرادوا معالجة مشاعرهم التى انجرحت.

كما رحبت الصحيفة الدانماركية «يلاندس بوستن» بتبرئة المجلة، وتعد «يلاندس بوستن» أول صحيفة تنشر الرسوم الكاريكاتورية.

موسوعة عن مدرسات القرآن فى جامعة اكسفورد

تم فى جامعة اكسفورد البريطانية تأليف موسوعة من ٤٠ مجلداً حول عالمات الإسلام فى مجال تدريس القرآن الكريم ونقل الحديث، يبلغ عددهن أكثر من ٨ آلاف امرأة مسلمة منذ ظهر الإسلام وحتى اليوم.

وقال مؤلف الموسوعة الأستاذ فى مركز الدراسات الإسلامية فى جامعة اكسفورد: إنه توصل إلى أن هناك الكثير من النساء اللاتى نشطن فى مجال تدريس القرآن الكريم ونقل الحديث.. وأشار إلى أنه بدأ بتأليف هذه الموسوعة منذ ٨ سنوات.

وقال: كنت أظن أن هذه الموسوعة ستنتهى فى مجلد واحد يضم سيرة ونشاطات حوالى ٢٠ إلى ٣٠ امرأة عالمة، ولكن بعد ٨ سنوات من العمل والجهد تمكنت من العثور على أكثر من ٨ آلاف عالمة قرآنية وكتبت عنهن فى ٤٠ مجلداً.

تأسيس منظمة للتحدث باسم المسلمين فى ألمانيا

أعلن المتحدث باسم المسلمين الاتراك فى ألمانيا «بكير البوجا»، أن جهود الجالية المسلمة الآن ترمى إلى تأسيس منظمة إسلامية تعمل تحت مظلتها جميع الهيئات والمراكز والجمعيات الإسلامية خلال العام الجارى، وأضاف أن المنظمات الإسلامية المختلفة فى ألمانيا تبذل جهودها لتشكيل منظمة رئيسية تجمعهم وتمثل مصالحهم وتتحدث باسمهم وتجمع كلمتهم وأهدافهم وتسهل الحوار مع أجهزة الدولة هناك.

وأشار إلى أن المجلس يضم فى عضويته: رابطة المسلمين الاتراك، والمجلس الإسلامى الألمانى، والمجلس الأعلى للمسلمين فى ألمانيا، بالاضافة إلى رابطة المراكز الثقافية الإسلامية.

وتأتى هذه الخطوة فى إطار تعزيز الحوار بين أجهزة الدولة والمسلمين ومتماشية أيضا مع رغبة وزير الداخلية الالمانى «فولفجانج شويبله» المعلنة فى مؤتمر الإسلام فى سبتمبر من العام الماضى والرامية إلى إيجاد هيكل واحد رئيسى للمسلمين ليكون جهة التخاطب والتفاوض مع الدولة. ويتراوح عدد المسلمين فى المانيا بين ٣,٢ مليون و ٣,٥ مليون شخص من بينهم نحو ٣٠٠ ألف ينتمون لاتحادات إسلامية منظمة فى الوقت الذى تعتبر أعداد كبيرة نفسها من المسلمين العلمانيين ولا ينتمون إلى عضوية أى منظمة إسلامية.

بلجيكا تفرض رقابة خاصة على السجناء المسلمين

أعلنت الحكومة البلجيكية عن تعيين «٢٤» مرشداً دينياً يتولون أعمال المراقبة الدينية والإرشاد للمسجونين المسلمين فى السجون البلجيكية، وسيتم إعداد هؤلاء المرشدين من خلال دورة تدريبية مكثفة تستمر شهرين.

وأوضحت الحكومة البلجيكية أن مجموعة المراقبة والإرشاد ستقوم برصد تحركات وتصرفات المسجونين المسلمين للكشف عن أى «جنوح أو ميل للتطرف والعنف داخل السجن» ومراقبة أحاديثهم وتسجيلها وتحليلها بجانب تقديم النصح والإرشاد.

تنحية قاضية ألمانية استعانت بآيات من القرآن

قررت محكمة الأسرة فى مقاطعة «فرانكفورت» الألمانية تنحية قاضية استدلت بآية من القرآن الكريم فى قضية أحوال شخصية وذلك بعد أن شنت وسائل الإعلام الألمانية حملة شرسة ضد القاضية «داتر وينتر». كانت القاضية «وينتر» نظرت فى قضية أحوال شخصية رفعتها ألمانية من أصل مغربى ضد زوجها، واستدلت القاضية بآيات من القرآن الكريم تؤكد إعطاء الزوج حق تأديب زوجته إذا كانت ناشزاً وأحقيته فى القوامة على زوجته، وسارعت صحف ألمانية إلى نشر تعليقات مطولة لمفكرين وقادة حركات

تحرر نسائية وأساتذة جامعات ومحامين، وخلصت إلى أن حكم القاضية ينم عما وصفوه «بفرض الشريعة الإسلامية بطريقة غير معلنة فى ألمانيا».

فى كندا منع المنتقبات من التصويت فى الانتخابات

قرر مدير عام الانتخابات فى مقاطعة «كيبيك» الكندية منع المسلمات اللاتى يرتدين النقاب من التصويت فى الانتخابات التشريعية جاء هذا القرار بعد الجدل الذى أثارته تحقيقات صحفية فى المقاطعة حول إمكانية إدلاء المرأة المنتقبة بصوتها دون إمكانية التأكد من صورة وجهها.

كرمها الإسلام وأهانها الأمريكان

فى مسافة غير بعيدة من مدينة «نيويورك» الأمريكية توجد قرية سكانها يحملون الهوية الأمريكية ويرفعون العلم الأمريكى ومع هذا فإنهم يعاملون المرأة بشكل لا يتفق وما تروجه المفاهيم الأمريكية لحقوق المرأة.

فالنساء فى هذه القرية يحظر عليهن قيادة السيارة ليس ذلك فحسب بل إنه يحرم عليهم الجلوس فى المقعد الأمامى إلى جانب الزوج أو الإبن، كذلك يحظر على المرأة السير برفقة الرجال ولو كان أحدهم ابنها وبالتالى ألزمت الرجال والنساء فى جانبين مختلفين على الطريق. مما يذكر أن سكان هذه القرية من اليهود الأرثوذكس والذين لهم موقف خاص من المرأة حيث يمتنع الآباء عن تعليم بناتهن التوراة لأن معظم النساء ليست لديهم نية تعلم أى شئ وسوف يقمن بسبب سوء فهمهن بتحويل التوراة إلى هراء.

بل إن من معتقدات هذه الفرقة أن الشال الذى يرتديه الرجال للصلاة من أهم شروط طهارته ألا تلمسه المرأة ولو حدث وفعلت ذلك فإنه لا يجوز غسله بل يجب استبداله.

كذلك فإن شهادة الرجل تعدل شهادة مائة امرأة فى هذه القرية بل إنهم يرون أن المرأة كائن شيطانى وأدنى من الرجال.

ومن الدعاء الذى يتلوه الرجال فى هذه القرية مع إطلالة كل صباح:

«مبارك أنت يارب لأنك لم تخلقنى وثناً ولا امرأة ولا جاهلاً» فأين حقوق المرأة الأمريكية على الأرض الأمريكية بدلاً من البحث عن حقوق المرأة المسلمة التى كفلها الإسلام دون انتظار تدخل الأمريكان.

الخارجية المصرية تنتقد تصويت الغرب ضد مكافحة تشويه الأديان

اعتمد مجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة قراراً يدين محاولات ربط الإسلام بالإرهاب والعنف وانتهاك حقوق الإنسان؟ كما يدين الأنشطة التى من شأنها تشويه الأديان أو ازدرائها ويدعو جميع الدول لمواجهة مظاهر الإساءة للأديان والرموز الدينية.

رحب وزير الخارجية «أحمد أبو الغيط» باعتماد القرار مؤكداً أن ما شهدته السنوات الأخيرة من ممارسات معادية للأديان قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك وجود حاجة ملحة لتدخل المجتمع الدولى لمكافحة تلك الظواهر التى من شأنها استمرار استدعاء أجواء المواجهة بين الشرق

والغرب وإنجاح مساعى من يعملون على إذكاء الخلافات بين الجانبين.

بينما انتقد تصويت عدد من الدول الغربية ضد مشروع القرار معتبراً أن هذا الموقف لا يتفق وما تزعمه تلك الدول من الحرص على حماية وتعزيز حقوق الإنسان.

الإسلام فى عيون الآخر

دشنت جامعة الأزهر مؤخراً موقعاً إلكترونياً على شبكة المعلومات الدولية تحت عنوان «الإسلام فى عيون الآخر».

أكد الدكتور «أحمد الطيب» رئيس جامعة الأزهر أن هذا الموقع سوف يقوم بالرد على كافة الشبهات التى تثار حول الإسلام وما يتناول من مغالطات خاصة فى الغرب وذلك بثلاث لغات إنجليزية وألمانية وفرنسية إلى جانب اللغة العربية، كما أن هذا الموقع من شأنه الاستفادة من أساتذة جامعة الأزهر للرد على هذه الافتراءات وإتاحتها للمسلمين وغير المسلمين للاطلاع عليها.

أحزاب هولندية تطالب بعدم رفع الأذان بالمساجد

طالبت ثلاثة أحزاب هولندية باصدار قانون يحظر على المساجد إطلاق صوت الأذان لنداء الصلاة بزعم أن ذلك يهدف إلى أسلمة المجتمع الهولندى بصورة غير مرغوب فيها ويسبب الإزعاج والخوف للهولنديين لانطلاق الأذان بصوت مرتفع وبلغة عربية لا يفهمها الهولنديون.

والأحزاب المطالبة بحظر الأذان هى: «الليبرالى الحر الديمقراطى»، وحزب الحرية اليمينى «والحزب السياسى الإصلاحى البروتستانتى» وجاء ذلك بسبب تقدم مسجد «الأمة» بمدينة فلاردنجين الهولندية بطلب لمجلس المدينة للسماح له برفع صوت الأذان أسوة بمساجد أخرى فى العديد من المدن الهولندية حيث يتطلب رفع الأذان موافقة خاصة من مجلس المدينة.

ورغم عدم إصدار مجلس المدينة أى قرار للبت فى طلب المسجد إلا أن الأحزاب سالفة الذكر فجرت قضية رفع صوت الأذان بقوة لحرمان المسلمين من أحد الحقوق التى اكتسبوها بعد صراع طويل مع الحكومة.

وقد أحدثت مواقف الأحزاب الهولندية الثلاثة انقساماً داخل البرلمان بين موافق على تشريع قانون لإلغاء رفع صوت الأذان، وبين رافض لهذا المنع حيث يرى الموافقون أنه من حق المسلمين رفع صوت أذانهم أسوة بصوت أجراس الكنائس فى هولندا فالمساواة فى الطقوس الدينية أمر يقره الدستور الهولندى.

أما المعارضون فيرون أن أجراس الكنائس أمر مختلف لكونه يرتبط بالثقافة الهولندية منذ عقود طويلة أما أذان المساجد فهو أمر آخر يزعج الهولنديين.

يذكر أن أصوات الأذان لا يتم رفعها إلا فى الصلوات الثلاث النهارية وهى الظهر والعصر والمغرب أما العشاء والفجر فلا يتم رفع الأذان بهما حيث يحظر القانون الهولندى ارتفاع أى أصوات بعد الساعة العاشرة مساء.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل محمد خاتمى

.. استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم الخميس الموافق ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٧م فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السابق/ محمد خاتمى والوفد المرافق لفخامته - وكان يرافقهم معالى الدكتور/ محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف المصرية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بفخامة الرئيس والوفد المرافق لفخامته، معرباً بأن الأزهر الشريف سعيد بهذه الزيارة الكريمة وأن حضوره للأزهر هو محل تقدير واعتزاز فنحن نكن لسماحته كل احترام لفكره السليم وقلبه الطاهر تجاه العمل الصادق لخير الأمة الإسلامية، وقدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر شرحاً مبسطاً عن الدراسة فى الأزهر الشريف التى تمتاز بالوسطية والاعتدال والابتعاد عن التعصب الأعمى وعن العنصرية البلهاء، مشيراً إلى أن عدد المعاهد الأزهرية فى مصر وصل إلى (٨٠٠٠) معهد للبنين والبنات، عندما ينتهى الطالب من الدراسة فيها يدخل جامعة الأزهر وهو حافظ للقرآن الكريم كله، وجامعة الأزهر بها أكثر من (٧٠) كلية منها كليات العلوم العربية والشرعية والدراسات الإنسانية، والكليات العملية التى منها الطب والهندسة والزراعة والتجارة واللغات والترجمة كنظيراتها بالجامعات المصرية الأخرى، وعدد الطلاب الدارسين بالأزهر حوالى (٢ مليون)، والأزهر الذى انشأ سنة ٣٦١ هـ وحتى يومنا هذا يسير العمل فيه من أجل خدمة الإسلام والمسلمين بدراسته السمحة التى تدعوا للتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

ومن جانبه شكر سماحة الرئيس الأسبق/ محمد خاتمى - فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - على إتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء الذى حقق له رغبته الطموحة بتواجده بالأزهر الشريف وأن أول كتاباته الأولى كانت عن مصر والأزهر الشريف - ثم قام بالكتابة عن بيروت ثم عن أمريكا، مشيراً بأن قلبه كان يتشوق دائماً للأزهر الشريف الذى يعتبره منارة لنا، وللآن الأزهر هو مصدر الأمل فى العالم الإسلامى ويلعب الدور الهام للتصدى لما تتعرض له الأمة، محاولاً إطفاء نار الفتن من خلال التقريب بين المذاهب الفقهية.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الهيئة الإسلامية العليا بفلسطين

.. استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى. شيخ الأزهر يوم السبت الموافق ٣/٣/٢٠٠٧م فضيلة الشيخ/ عكرمة سعيد صبرى - رئيس الهيئة الإسلامية العليا بفلسطين والشيخ/ رائد صلاح - رئيس الحركة الإسلامية فى الداخل الفلسطينى، والسيد/ مصطفى توفيق أبوزهرة، ورئيس لجنة مقابر القدس، والأستاذ/ صالح لطفى اغبارية باحث فى مركز الدراسات المعاصرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بفضيلة الدكتور/ عكرمة صبرى والوفد المرافق له، سائلا المولى عز وجل أن يفرج كرب الشعب الفلسطينى، وأن يكلل مساعيهم بالنصر لوقوفهم بقوة والتصدى لما يحدث من هدم وتخريب أسفل المسجد الأقصى من جانب إسرائيل، فنحن نتعاون جميعا ضد الباطل حتى يندحر ونقف إلى جانب الحق حتى ينتصر، وإننا عقب الأحداث المؤسفة التى قام بها الإسرائيليون دعونا مجمع البحوث الإسلامية للانعقاد فى نفس اليوم وأصدرنا بيانا استنكرنا فيه ما تقوم به إسرائيل من تخريب فى المسجد الأقصى وقلنا إنه يجب على الأمة كلها بل والعالم أجمع وعلى مجلس الأمن أن يتحرك لوقف هذا العمل بإرسال خبراء أو إصدار حكم عادل لوقف ما يحدث ودراسة الوضع طبقا للوثائق المتاحة، ونحن على يقين بأن شعب فلسطين على حق، وإننا نتطلع إلى نتائج مباحثات وزراء الخارجية العرب ونتائجه التى سترفع لمؤتمر القمة العربى القادم. وأكد فضيلته على استمرار مصر بالوفاء والتأييد والمناصرة لإخوانها فى فلسطين داعين لهم بالثبات والصمود لكى تقوم دولتهم حرة أبية عظيمة بإذن الله.

ومن جانبه أعرب فضيلة الشيخ/ عكرمة لفضيلة الإمام الأكبر عن سعادته لإتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء، وأنه جاء من أرض القدس إلى أرض الكنانة مصر التى روت أرض فلسطين بدماء شهدائها، كما أن شعبنا الفلسطينى المرابط المجاهد يدافع عن أرضه ومسجده الأقصى، مؤكداً بأنه لن تسقط قلعة فلسطين وحصون فلسطين فى وجود من يدافع بالعدل عن القضية الفلسطينية، وسنظل صامدين ثابتين محتسبين فى جهادنا إلى أن يحقق الله لنا ما نصبو إليه فى دولة فلسطين المستقلة.

الإمام الأكبر يؤكد: الإسلام ينبذ العنف والإرهاب

.. استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ١٨/٣/٢٠٠٧م سمو الأميرة (ماها تشاكرى) ولية العهد والنجلة الثانية لجلالة ملك تايلاند وسفير تايلاند بالقاهرة والوفد المرافق لها وسعادة السفير أشرف الخولى سفير مصر بتايلاند.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف، مشيدا بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، وبين أن الأزهر يستقبل أبناء تايلاند للدراسة وعدد الدارسين يقارب ١٥٠٩ طلاب يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة، كما أنه توجد بعثة من علماء الأزهر بتايلاند يقومون بالمشاركة فى تدريس العلوم العربية والشرعية الى جانب مدرسى وأساتذة تايلاند، بمعهد نهضة العلوم بجالا والمعهد العالى الدينى ومدرسة إسلام سرى رانا، وهذه تستعين بمناهج الأزهر، وأكد فضيلته خلال اللقاء أن الدين الإسلامى ينبذ العنف والإرهاب بكل صورهما.

ومن جانبها شكرت سمو الأميرة فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة والاستقبال لهذا اللقاء، معبرة عن إعجابها بما شاهدته فى زيارتها لمجمع مدينة نصر النموذجى حيث شاهدت طابور الصباح كما شاهدت

بعض الفصول الدراسية والمكتبة الخاصة للمجمع ومعامل الكمبيوتر والتى تساعد فى تعليم النشئ والأخذ بأساليب التكنولوجيا الحديثة ومتابعة أحدث وسائل التقدم العلمى كما أبدت إعجابها فى نهاية الزيارة بما رأته فى دور الحضانة التى تعلم البراعم الصغيرة الأخذ بأساليب التقدم، كما أعربت عن إعجابها الشديد بالطلاب والمعلمين والمعلمات والعملية التربوية والتعليمية بالمجمع.

جزر القمر تطلب تدريب وعاظها فى الأزهر الشريف

.. استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه يوم ١٥/٣/٢٠٠٧م - السيد السفير جعفر عبد الله أحمد الشيخ - سفير جمهورية القمر المتحدة بالقاهرة، برافقة السيد الأستاذ/ سيد شيخ سيد حسن المستشار الثقافى للسفارة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بسعادة السفير بمناسبة تسلمه العمل كسفير لبلادة بالقاهرة، مشيدا بعمق العلاقات بين الأزهر وجمهورية جزر القمر المتحدة، موضحا بأنه يوجد بالأزهر الشريف طلاب من جزر القمر يقارب عددهم (٢٠٢٠) يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، وقد تم تخصيص (٢٥) منحة دراسية هذا العام. وأن هولاء الطلاب والطالبات يمتازون بدماثة الخلق والاجتهاد فى تحصيل علوم الأزهر، كما أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء جمهورية جزر القمر.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء وقدم باسم شعب وحكومة جمهورية جزر القمر الشكر والتقدير على ما يقوم به الأزهر فى إعداد الكوادر الذين يحملون رسالة الإسلام واللغة العربية لشعب جزر القمر، وطلب من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تمثيل أئمة ووعاظ من دولة جزر القمر فى الدورات التدريبية للأئمة والوعاظ التى يعقدها الأزهر كل ثلاثة اشهر.

الإمام الأكبر فى ملتقى خريجى الجامعات السعودية

.. توجه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر يوم الأربعاء الموافق ٧/٣/٢٠٠٧م إلى المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - لرئاسة الجلسة السابعة من جلسات الملتقى الثانى لخريجى الجامعات السعودية من أفريقيا والتى انعقدت يوم الخميس الموافق ٨/٣/٢٠٠٧م الساعة التاسعة صباحا وذلك تحت رعاية صاحب السمو الملكى الأمير/ عبد العزيز بن ماجد بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة المدينة المنورة فى الفترة من ٦ ألى ٨ مارس ٢٠٠٧م.

ترقيات

.. أصدر فضيلة الإمام الأكبر/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر قرارا بالإسناد لفضيلة الشيخ/ محمد عبدالمجيد بكر الخزرجى - رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية - القيام بعمل وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.

كما أصدر فضيلته قرارا بالإسناد للسيد الأستاذ/ عبد اللاه عكاشة إبراهيم - مدير عام التحقيقات بالإدارة المركزية للشئون القانونية للقيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية للشئون القانونية.

Some of the holy Hadiths present this in a way that terrifies the hearts of the enemies of the patrons of Allah, and their organs shrink, if they really hear.

The rest of the Qudsi hadish relating to patronage:" I was his hearing, eyesight and hand...etc." is that – Allah knows most- I will be like his hearing in informing him whatever he does not know , and in bringing him good news.

When he listens to any information, he will not be misguided as right does not intermingle with wrong, nor lying does with truth, nor the scruple does with inspiration.

I will be like his eyesight in interpreting the vague verses, ambiguous significances and delicate hints. When he looks around, he finds out that Allah has many evidences and indications, even in every movement and tranquility, he finds out His effect and will.

I will be like his hands with which he strikes, when he does whatever he wants, exploits whatever he needs. If his hands extend to take something, it becomes within reach. If he assaults with his hands, he will not be hindered by any stubborn tyrant, because he assaults with the Hands and power of Allah. He is advocated by the spirit of Allah, and is supported by His soldiers. He fights by the power of Allah, and attacks with His arrows.

I will be like his legs on which he walks, when he reaches his intentions and aims. When he seeks a target, many targets seek him, and victory always keeps close to him. High mountains, seas and oceans submit to him. Even all of the creatures support and advocate him. All of the causes and motives are led by his will, even all the impossible matters become at hands for his wish. This is because he walks by Allah's will, carries on by His support, and steps by His light. Everything becomes easy for him due to the fact that when he submits to and worships Allah, He subjects everything to him. When he subdues his heart to Allah, He subjects everything to Him.

I will light his heart by which he realizes matters, as he gets wisdom, inspiration and acumen from My light which gets into his heart and the secrets I reveal to him.

religious obligations, and the strong love for Allah by adhering to the supererogatory performances, till He becomes his eyesight and hearing...etc. The actions that Allah loves most are the imposed worships such as prayers, alms, fasting, benevolence, communication and other Islamic rituals, not the fabricated offerings based on deprivation from the permitted and allowable actions. It was mentioned that the Prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) allowed somethings that were forbidden by some people, then he said, "I see those people forbid some actions I do, I swear that I know Allah more than anybody else, and I fear Allah most."

(Narrated by Al-Bukhary).

Allah loves also getting close to Him by doing the supererogatory performances as you perform more than the imposed actions. Allah informed the enemies of His patrons of a coming war, as He will destroy them. Information is one of the customs and laws of Allah in this life, by which many nations and peoples became straight on the right path by preachers and warners.

{Surely We indeed vindicate Our Messengers and the ones who have believed in the present life and upon the Day when the (noble) Witnesses rise up}
[Ghafir (The Forgiver): 51]

{No indeed, We hurl the Truth against the untruth; so (Truth) smashes it; then, only then does (untruth) expire. And woe to you for whatever you describe}
[Al-Anbiya' (The Prophets): 51]

{Might belongs to Allah, and to His Messengers, and to the believers}
[Al-Munafiqun (The Hypocrites): 8]

{And you are the most exalted in case you are believers
[Al-'Imran (The Family of 'Imran): 139]

Allah's Vindication for His Patrons...!

By: Mahmud Farag Al-`Uqdah

Allah loves His patrons as they do, sides by them as they do, and gets close to them by generosity and benevolence as they do by work and belief:

{Allah is the Most Exalted likeness; and he is the Ever-Mighty, the Ever-Wise}

[An-Nahl (The 0.Bee): 60]

The meaning of the Most Exalted likeness appears in the following verse:

{That is for that Allah is the Supreme Patronizer of the ones who have believed and (for) that the disbelievers have no patronizer}

[Mohammad: 11]

The meaning of patronizing is revealed by Allah in his verse:

{Verily the patrons of Allah surely will have no fear on them, nor will they grieve – (They are) the ones who have believed and have been pious}

[Yunus / (Jonah): 62/63]

This fact unites the truthful believers. Ibn Taymiya says in this respect, "The best patrons of Allah are His prophets, the best of whom are those who have strong will. The best of all of the prophets is Mohammad (May the blessings and peace of Allah be upon him). This means that Mohammad is the Imam of the patrons and Prophets as well.

This reveals the reality of patriotism, which means love and the matters that suit it. It is the fruit of sticking firmly to the religious obligations, and the supererogatory performances. Thus we understand that there is no contradiction between Allah's love and getting close to Him by performing

invocation, "Thank you Allah, You are the light of heavens and earth, You are the right and the source of right...then, he (may Allah forgive him) said:

We listened to Qur'an which was soft and fresh, as if the inspiration has just descended with it. This beautiful voice revolved in the soul, as if it were a secret revolving in the world system. When the heart received these verses, it acted as if it were the heart of a tree at the time of taking water by which it was dressed. The place and time shake, as if Allah, Glory be to Him, was revealed throughout his words. The dawn seemed to ask for permission to enlighten the world out of this Light.

As for the child who was inside me at that time, it was as if invited to bear this message, and to deliver it to the coming man. At every time I submit to this voice:

{Call to the way of Allah}

An- Nahl(The Bee)125]

Whenever I feel agonized, I submit to this voice:

{Be patient, Allah helps you to be patient}

These lines are enough in talking about the family of the fresh youth who memorized Qur'an with good recitation before being ten years old, and found the effect of worshiping at his home ranging from prayers, fasting, almsgiving and seclusion. He found also at his home the effect of good treatment such as faithfulness, truthfulness and honesty, in addition to the effect of religion with its dignity, glory and loyalty. He used to go to the mosque to stay with his father, and then he woke up before dawn to perform the ritual ablution and prayers and eat the last meal before fasting. He shake when he listened to the one who recited the verse of Allah, Glory be to Him,

{Call to the way of your Lord with wisdom and fair admonition, and dispute with them in the way (which is) fairest. Surely your Lord is The One who knows best the ones who have erred away from His way, and He is The one (who) Knows best of the right-guided}

An-Nahl(The Bee) 125)

Mustafa Sadiq Ar-Rafi`y...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The one who studies the history of Ar-Rafi`y does not need to revise documents and files. This man did not move amidst schools, institutions and universities as a student, neither did he move from a position to a higher one, nor from a presidency to another. On the contrary, he was a simple employee who was destined to stay along his life in the legal court in the financial department. He is Mustafa Sadiq Ar-Rafi`y

But he became the Arab's man of letters and the Islamic authoritative source by an act of Allah, Who prepared him in a believing family. It formed everything in his religious and literary education and his moral attitude, as it was a family of legislation, Fiqh and legal opinion (Fatwa). His uncles and grandfathers emigrated from Lebanon to Egypt to occupy positions in the legislative courts, being equipped with its cultural tools and practical studies. Even those who stayed in Tripoli in Lebanon were practicing the matters related to Fiqh and legal opinion.

Religion and literature are the most common sciences in the family of Ar-Rafi`y. The one who studied the Qur'an with understanding, read the Prophetic Hadith with realization, memorized the questions of Ash-Shafi`y and Abu Hanifah with superior skill must be skillful in his speeches, writings and arguments. Moreover, he has superior dignity enhanced by real and truthful belief. The branches and roots of the family had eternal situations known by the people who were attracted by their good manners and attributes, not by their money and positions. Prolixity in this respect, however extends to the furthest extent, can not reach, in its decisive effect, that of the prince of poets, Ahmed Shawqy who wrote about this respectable family in one of the occasions.

Shawqy was not obliged to say about Ar-Rafi`y's family what he did not believe because this poem was written at the end of his life; he had a

position in the East that can not be surpassed by anyone. However, the truthful history let him write the lines of that poem.

The above-mentioned was written about Ar-Rafi`y's big family, while the small family of Ar-Rafi`y was a smart branch of this huge and fruitful tree. His father was Sheikh Abd Al-Raziq Ar-Rafi`y, who was one of the legislative judges in Damanhur and Al-Mansurah. Then, he stayed in the legislative court of Tanta, the city where he died and left his son Mustafa. Thus, Tanta became the place where he reached glory and became one of its departed remarkable figures.

Whatever we mentioned about the religious atmosphere in which the talented writer was brought up under the shadow of this fruitful tree, we can not find more eloquent words than the sentences he wrote about his father in the introduction of his essay (Qur'an Al-Fajr):

"I was ten years old when I memorized the noble Qur'an to the best extent. We were in Damanhur, the capital of Al-Beheirah, where my father –may Allah forgive him- worked as senior legislative judge. He used to stay every year in one of the mosques the last ten days of Ramadan, as he used to enter the mosque and stay there till the night of the feast after the end of fasting. In the mosque, he used to meditate and worship. He looked to vanishing as if it were eternal; he looked at the life in the way of the one who stands on the passing days.

He changed the days in his work and thinking, leaves the dust without walking or even touching the dust of the earthy meanings. He entered a time liberated from the strictest limitations of the soul, and waited at the place in which all of the people had one unchangeable idea. He also did not see except those people whose souls were relieved by ablution, and they were called to enter the mosque by the call of the sublime power. Moreover, they leant in their kneeling to submit to something other than the humble meaning, to be in the hands of Allah to realize the meaning of the great owe.

One day I went to stay with my father in the mosque, and at the last part of the night, he awakened me to eat before fasting and to perform the ritual ablution for Al-fajr prayer. He started reading, and said the well-known

When he died, he did not leave except five camels and some ewes. Thus, he lived and died in poverty. He left his armor mortgaged by a Jew to feed his family. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was not afraid of poverty, although he did not find enough food to calm his hunger. His food was a few dates and water, and he suffered a lot from hunger as he used to put a stone on his belly to release his pain. If someone asked him for food, he would give him all of his own without leaving anything for himself.

Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him)

Was the first teacher for the humanity, the educator of all of the peoples as he was an example for the best attributes and graces. Some of the Western authors, who hated fanatics, noticed these attributes of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him); they admitted his good manners, superiority of his soul, nobility, courage and greatness. One of these authors is Thomas Carlyle in his book (The Heroes in History) as he ranked the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) the first of the hundred heroes.

This is Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) set the best nation in the world out of conflicting and separate tribes which were torn by fighting and dispersal, throwing it out of the memory of history. He unified it rich and poor making it one nation feared by other nations. It is characterized by belief in Allah, and its religion of Islam. It adheres to brotherhood, equity, altruism and benevolence; it rejects cruelty and tyranny, and respects the human self and its rights. One of the principles of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was, "you should assist the weak of you. For, Allah, The most high assisting you, always, because of them." He was described in a great way by Allah, Glory be to Him, in surat al- Qalam (The Pen) verse four:

{And surely you are indeed of magnificent character}

As he had never knelt to an idol, and had never participated in the festivals of the pre-Islamic era. He had an attractive personality that was never shared by anyone. Everyone who knew him admitted that his superiority, perfection, greatness, purity of heart, well-manners, wisdom, intelligence, strong will, kindness, and fairness.

Allah, Glory be to Him, created Mohammad as a great person to prepare him for the message which he perfectly performed. He was a guide and an example for all of the people. Allah, Glory be to Him, says in the Noble Qur'an:

{Allah knows best where He makes His Message}

{Al-An'am (The Cattle): 124}

The best evidence is that he established the best nation, set the bases of the great Islamic state and formed the best leaders who developed it in the least possible time. It is enough to say that the Messenger of Allah appeared among the Arabs who had social deterioration and entire literacy, the attributes that kept them far from civilization and progress in sciences, industry, religion and politics. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) formed out of it a great and wide nation, and set a strong generation who was characterized by superiority, strong belief and creed, well-manners, honesty, fairness, spreading good, and clemency for the poor and needy.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said in his first speech in Media after immigrating from Mecca, " save your face from Fire even by a small part of a date, if you could not find it, you could say a good word which is accounted by ten folds." The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was ascetic in life, as he did not think of any power or authority, was far from superficiality, humble without weakness, sensitive with every poor or needy. He usually prefers to meet the requirements of the needy than to meet his own requirements. At home, he was not proud to patch his clothes, cobble his slippers, milk his sheep, did not hesitate to help in the household affairs.

feelings, kind wishes, faithful intentions, good manners and lovely attributes.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was not tough, but he was delicate and tolerant, the attributes that were revealed at Mecca conquest. He was softhearted and merciful while the residents of Mecca were weak in front of him, although they antagonized him for years, hurt him and his companions, planned his killing and obliged him to leave Mecca. He met all of these misdeeds with mercy; he said his famous saying, "what action will I take from your point of view?" They say humbly, "you are a generous brother and a son of a generous brother." Then, he told them, "Go away, you are free." He meant that they would neither be hurt nor suffer from revenge.

Many books and volumes were written about the biography of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Research on his noble manners is still wide for everybody who wants to know more about the personality of the great Prophet. Allah, Glory be to Him, created the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to be the first guide to the world till his death and the end of life on earth.

Allah created and chastened Mohammad to enhance morals, and to reveal and to brighten the path to Allah, to set the systems of the respectable life. He was acquainted with the secrets of existence, and he received words from Allah who ordered the people to obey him:

{Whoever obeys the Messenger, then he has already obeyed Allah}
[An-Nisa'/ (women): 80]

Allah made the Prophet's heavenly message the last one and it was directed to all of the kinds and colors of people whether near or far from the Arab peninsula. To perform this universal message, he had to have some remarkable attributes that differentiated him. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "I hated pagans and poetry, and I did not like to do anything related to the pre-Islamic era except twice:

I said once to a boy who worked as a herder like me,' If you took care of my goats till I enter Mecca, I will enjoy my time in the way the other youths do. I went for this intention till I reached the first house in Mecca, and I heard the sounds of clarinets and tambourines for the wedding of some of them, I sat and slept. Then, I was awoken up by the hot sunrays. I went out without doing anything. Then, I thought of doing this once again, but I gave up the idea." It was never mentioned that he ate any meat intended as an offering for the idols.

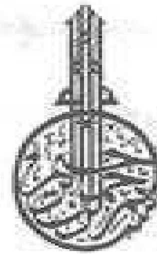
Abu Taleb said at the engagement of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) to Mrs. Khadija, "my nephew, Mohammad Ibn Abdullah can not be compared with any other person in his honor, nobility and grace. If he lacks money, it is well-known that money is not eternal, but I swear by Allah that Mohammad will have a remarkable position."

When Quraysh differed about the person, who would put the black stone of Ka'ba, they took the opinion of the first person passing by, who was Mohammad Ibn Abdullah. Then, there were at ease as they said, "this loyal person is accepted as a judge." They regarded him as their judge because they knew well that he was fair, and did not seek flattering out of his judgment, nor was he afraid of any dispraise. An-Nadir Ibn al-Harith said," when Mohammad was a boy, he was the most truthful and the most loyal. When he grew up and informed you about his message, you said that he is a magician. No, I swear that he is not a magician."

When Heraql, the emperor of Rome, asked Abu Sofyan Ibn Harb, "have you ever accused him of lying before, he responded: No."

One of the remarkable evidences is that Abu Bakr (may Allah be pleased with him) hurried to believe him when he called for Islam saying, "I swear that you are truthful, and I swear that Allah is the only God, and you are the Messenger of Allah." Abu Bakr was one of the famous people of Quraysh, and he was rich, well-mannered, and was loved by his family. Allah saved Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him)

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabuil-Akher, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
May. 2007

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Mohammad

(may the blessings and peace of Allah be upon him)

the well-mannered...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was famous for kindness, mercifulness, self-denial, generosity and love for everyone around him. He hated to say no to anyone asking for help; if he could not help him, he preferred to keep silent. The prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was known for simplicity as he was kind with everybody. He allowed others to share him his food, and he did his best to provide his companions with all of the means of comfort.

He was a faithful friend as he loved Abu Bakr as if he were his brother. It was mentioned that his servant, Zaid Ibn Haritha, preferred to stay with him, not to go with his father saying, "I will not leave you. You are my dear father." This event occurred when his father wanted to take him back to his family. His wife, the mother of the believers, Khadija, said, "He was generous with the guest, was tolerant with everyone, assisted in good actions and consoled the distressed."

It was well-known that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was supported by neither relative nor group, and he did not depend on money, superiority or influence inherited from father and grandfathers; he was poor and orphan as well.

Usually, the children who are brought up in similar circumstances do not have desire for glory, perfection and superior aims due to negligence. On the other hand, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was not like this in his childhood and manhood; he was ambitious and hard worker. His soul was full of superior meanings, sublime

الفهرس

الأزهر

هدية العدد
نظرات في الأسلوب القرآني
ج (٢)

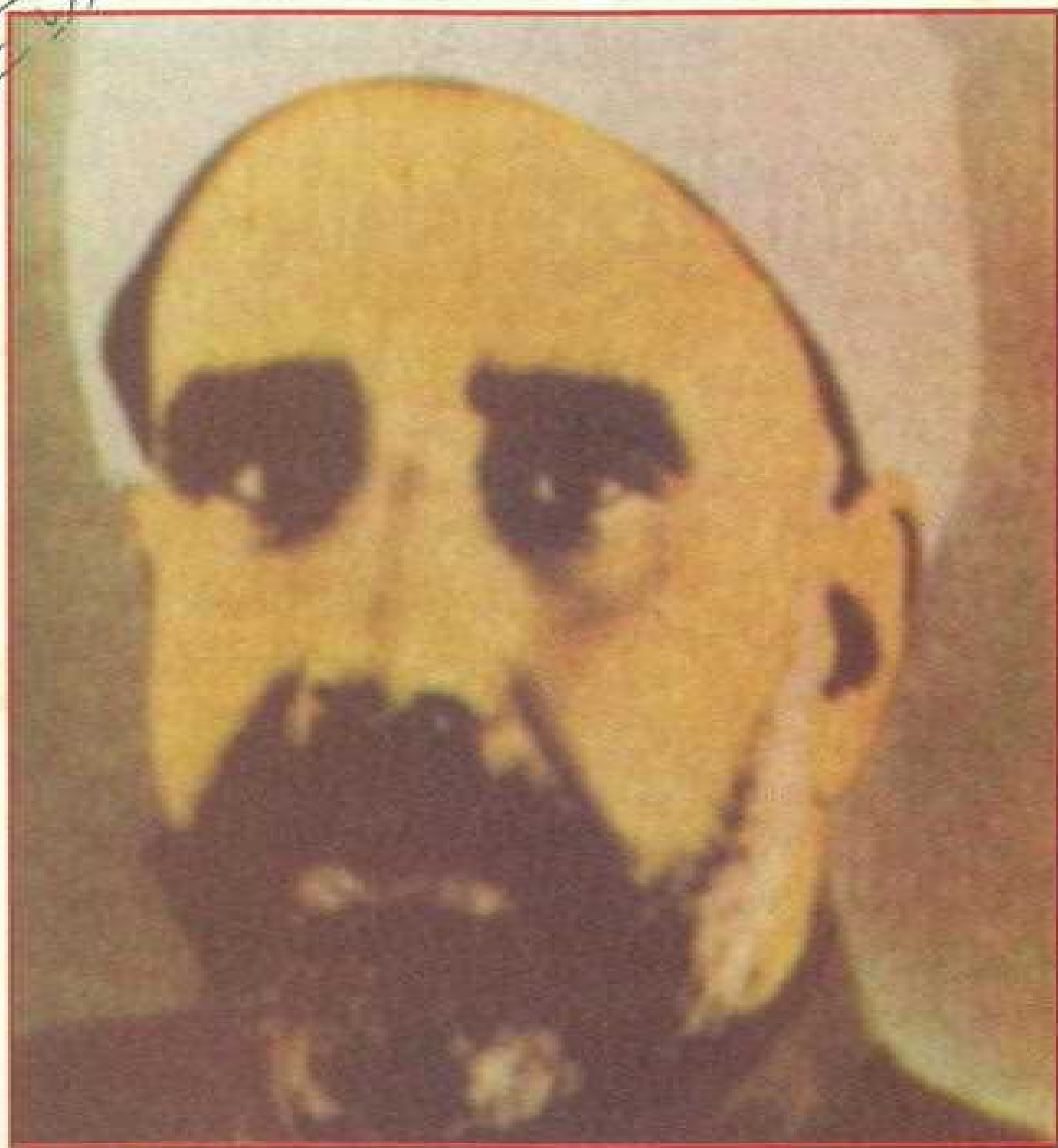
وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ

جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - يونيه ٢٠٠٧م - الجزء (٥) السنة (٨٠)
VOL. 80 , Part VI.

AL AZHAR MAGAZINE

Jumadal-oula, 1428 A.H. June, 2007.
Vol. 80, Part VI





احتفال الأزهر الشريف بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ محمد مصطفى المراغي - رحمه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

احتفال الأزهر بالإمام المراغي

شهدت قاعة الإمام محمد عبده في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق التاسع والعشرين من ابريل ٢٠٠٧م احتفالية كبرى نظمها مجمع البحوث الاسلامية احتفاء بالإمام محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق.

والإمام المراغي ـ على حد قول المفكر الاسلامي الكبير الأستاذ الدكتور محمد عمارة: ـ «كان أنجب تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده»؛ لذلك فإن النزعة الإصلاحية تبدو واضحة في حياة الإمام المراغي.

ويتضح ذلك جلياً من الأبحاث التي قدمت عن الإمام الراحل المحتفى به، والتي تتمثل في:

١ـ بحث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي بعنوان: «الإمام المراغي مفسراً للقرآن الكريم».

٢ـ بحث الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم بعنوان: «الإمام المراغي وجهوده في الدعوة».

٣ـ بحث الأستاذ الدكتور محمد عمارة بعنوان: «الإمام المراغي والإصلاح الديني في القرن العشرين».

٤ـ الإمام المراغي وملكة التوازن، لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالفضيل القوصي.

٥ـ الإمام المراغي وقضايا المجتمع، للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندي.

٦ـ ملامح الاجتهاد عند الإمام المراغي، للأستاذ الدكتور عبدالله النجار.

٧ـ ثم الإمام المراغي ومواقفه السياسية للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي.

وقد تكونت الاحتفالية من جلستين صباحية ومسائية خصصتا لإلقاء تلك الأبحاث القيمة التي أعدها عدد من كبار أساتذة الأزهر الشريف.



أما الجلسة الافتتاحية فقد اشتملت على كلمة لسعادة السفير شريف المراغى وأخرى لسعادة المستشار مدحت المراغى - رئيس محكمة النقض - سابقا.

وبقدر ما كان جميلا حضور عدد لا بأس به من أسرة الإمام المراغى، كان الأكثر جمالاً أن جاءت كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - فى هذه الجلسة الافتتاحية - مقتطفات من كلمة للإمام المراغى بعنوان: «الأزهرى كما ينبغى أن يكون». التى نُشرت بمجلة الأزهر بالمجلد التاسع، فكان التوفيق من الله - تعالى - فى هذا الاختيار، حيث ساد الحضور جو من المهابة، وكأن الإمام المراغى شيخ الأزهر الأسبق قد جاء يحاضر القوم بصوت الإمام الطنطاوى شيخ الأزهر الحالى.

وفيما يلى نقدم للقارىء بحث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بعنوان: «الإمام المراغى مفسراً للقرآن الكريم»، ونتبعه بنص كلمة الإمام المراغى كما نشرتها مجلة الأزهر من قبل؛ ليستمتع القارىء بعبق التاريخ، وليعلم أبناء الأزهر أين هم من توجيهات شيخهم الإمام المراغى!

وسنوالى فى أعداد قادمة نشر باقى الأبحاث تباعا.

وعلى الله قصد السبيل

مدير التحرير

الإمام المراغى مفسراً للقرآن الكريم

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

هناك رجال رزقهم الله - تعالى - سلامة التفكير، وعمق الإيمان، وسمو الوجدان، وحب الأوطان، والحرص على نشر العلم النافع الذى من يتحلى به يبنى ولا يهدم، ويُعَمِّر ولا يُخرِّب، ويُصلح ولا يُفسد، ويتعاون مع غيره على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

وعلى رأس هؤلاء الرجال العظام: الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى - شيخ الأزهر الأسبق - الذى كان مولده سنة ١٨٨١م، وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ١٩٤٥م.

***

وقد نشأ فضيلته فى رحاب الأزهر - طالبًا - ثم مدرسًا به - ثم قاضيًا ضُربت الأمثال بنزاهته وعدله - ثم قاضيًا للقُضاة بالسودان - ثم شيخًا للأزهر سنة ١٩٢٨م وسنه سبع وأربعون سنة - ثم شيخًا للأزهر للمرة الثانية من ١٩٣٥م إلى أن لحق بربه سنة ١٩٤٥م.

وللإمام المراغى - رحمه الله تعالى - بحوثه ومؤلفاته الرصينة متنوعة ومنها -

على سبيل المثال ـ بحث فى جواز ترجمة معانى القرآن الكريم، وآخر فى الاجتهاد، وثالث فى التشريع الإسلامى، ورابع يتعلق بالنهوض بالأزهر، وخامس يتعلق بقوانين الزواج والطلاق....

أما بحوثه التى تتعلق بتفسير القرآن الكريم فهى كثيرة، ومنها:

تفسير سورة «لقمان».. وتفسير سورة «الحجرات».. وتفسير سورة «الحديد».. وتفسير آيات بعضها من سورة «البقرة»، وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

وبعضها من سورة «آل عمران» وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾

(آل عمران: ١٣٣)

وبعضها من سورة «النساء» وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

(النساء: ٥٨)



وبعضها من سورة «الأنعام» وهى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

(الأنعام: ١٥١)

وبعضها من سور أخرى، تصل إلى ما يقرب من عشرين سورة، سنعمل ـ بإذن الله ـ تعالى ـ فى أقرب وقت على جمعها فى مجلد واحد.

***

ومنهج فضيلته فى التفسير للقرآن الكريم، يمتاز بالإشراق والوضوح، وباختيار أصح الآراء وأفضلها، وببيان هدايات القرآن الكريم، وأنها

الهدايات التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٩)

وهذا طرف من هذا المنهج الحكيم:

***

أولا:

ثناؤه على المفسرين القدامى والمحدثين:

ومن الأدلة على ذلك أن الذى يقرأ ما كتبه فضيلته فى تفسير بعض السور والآيات، يراه يجمع ما كان من الآيات فى موضوع واحد، معتمدًا على أن ما أُجمِلَ فى موضع قد فُسِّرَ فى موضع آخر، وما أُبهِم فى آية قد وُضِّح فى آية أخرى.

ثم يستند إلى الأحاديث النبوية الشريفة، التى تؤيد ما جاء فى الآيات القرآنية التى هو بصدد تفسيرها، ثم يسوق ما يختاره من أقوال المفسرين القدامى والمحدثين.

وكان من عادته ـ رحمه الله ـ ومن تواضعه الجم، وأدبه العالى، أنه ينظر قبل أن يكتب فى كتب التفسير المتعددة، ثم يختار منها ما يراه مناسبًا..

وكثيرًا ما كان يقول عما كتبه من تفسير لكتاب الله ـ تعالى ـ: «هذا الذى كتبناه، ما هو إلا ثمرات من غرس أسلافنا الأكرمين، وزهرات من بساتينهم».

ولم يتحامل ـ رحمه الله ـ على واحد من المفسرين السابقين، بل كان عفًّا فى نقده، نزيهًا فى عبارته.

***

ثانيًا:

عدم خوضه فيما أبهمه القرآن الكريم من أحكام:

فهو ـ رحمه الله ـ لا يحب أن يدخل فى جزئيات سكت عنها القرآن الكريم، ولم يصل إلينا فى حديث مقبول أن الرسول ﷺ قد تعرض لتفسيرها.

ومن الأمثلة لذلك أنه ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

(البقرة: ١٨٣)

نراه يقول ما ملخصه: «ونحن لا نعلم ما الذى فرضه الله ـ تعالى ـ من صيام على الأمم السابقة؟. أهو شهر رمضان كما قال بعض الناس أم غيره؟ وليس لنا ما يهدينا إلى شيء مبين من دليل يطمئن إليه القلب»....

ثم يقول ـ رحمه الله ـ: «والتشبيه لا يدل على المماثلة فى كل شيء، فنحن نؤمن بأن صومًا قد فرض على الأمم السابقة، ولكننا لا نعلم مقداره ولا كيفيته، ولا يزال الصوم معروفًا عند الأمم الأخرى على أوضاع مختلفة...».

ونحن علينا ـ كمسلمين ـ أن نقتدى بالرسول ﷺ فى صلاتنا وفى زكاتنا وفى صيامنا وفى حجنا، فهو القائل: «صلوا كما رأيتمونى أصلى»[1]... وهو القائل: «خذوا عنى مناسككم»[2].

***

ثالثًا:

حرصه على إبراز المشكلات الاجتماعية وبيان علاجها من شريعة الإسلام:

ومن الأدلة على ذلك أنه عندما فسر قوله ـ تعالى ـ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

(الشورى: ١٣)

قال ـ رحمه الله ـ: «والحكمة من هذه الشرائع الإلهية: أن الإنسان إذا ترك إلى مداركه الحسية، ونظرياته العقلية، ضلّ وكان أشقى من أنواع الحيوان، وشقاؤه قد يكون من ناحية هواه الذى انقاد له عقله.

ولقد دلّت التجارب على أن العقل إذا لم يهتد بالشرع كان ضلاله أكثر من صوابه...

كما دلّت التجارب ـ أيضًا ـ على أن الأمم التى عملت بهدايات الشرع

(١) صحيح البخارى ١٦٢/١. (٢) السنن الكبرى للبيهقى ١٢٥/٥.

سعدت وارتقت، وقويت وعزّت.. إن دائرة العقل محدودة، وهى قاصرة عن إدراك خفايا المستقبل.

ولا يقال: إن الإسلام مقيد للحرية، وإن التدين مانع من التمتع بالطيبات، لأن الإسلام أباح الطيبات وحرّم الخبائث، ولم يمنع إلا الملذات التى تضر الإنسان...

وليست السعادة فى حرية البهائم، بل فى حرية فيها خير الإنسان وسعادته....

***

رابعًا:

عنايته بإظهار أن شريعة الإسلام أمرت أتباعها بالأخذ بأسباب القوة العادلة الرشيدة:

فقد قال ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحديد: ٢٥)

ذكر الله ـ سبحانه ـ فى هذه الآية الكريمة، ألفاظ: الكتاب، والميزان، والحديد، وقرنها بعضها ببعض...

فالكتاب: إشارة إلى الأحكام المقتضية للعدل والإنصاف.

والميزان: إشارة إلى سلوك الناس على وفق هذه الأحكام.

والحديد: إشارة إلى ما يحملهم على اتباع هذه الأحكام إذا تمردوا.

والله ـ تعالى ـ وهو العليم الحكيم ـ لا يضع للناس من القوانين إلا ما فيه مصلحتهم.

والعقلاء من الناس تكفيهم تلاوة الكتاب واتباعهم لأحكامه عن اقتناع وامتثال...

أما السفهاء فلابد لهم من رادع يردعهم، وزاجر يزجرهم عن الظلم والعدوان...

وذلك الرادع الزاجر هو سلطان الحاكم المشار إليه بالحديد...

ولذلك وجدت التعازير فى الإسلام، ووجدت العقوبات...

ولقد كانت «دِرَّة» عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سلكًا قويًا للنظام

الإسلامى، فلما رُفِعتْ ضَعُفَ ذلك الرباط.

وقد ذكر الله - تعالى - فى هذه الآية الكريمة فائدتين للحديد:

الفائدة الأولى: أن فيه البأس والشدة، والقوة التى تحمى المظلوم، وتردع الظالم..

والفائدة الثانية: أن فى الحديد منافع للناس، وذلك واضح، فما من شىء من ضروريات الحياة أو من كمالياتها إلا وللحديد دخل فيه...

هذا طرفٌ من المنهج الحكيم الذى سلكه الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى، فى تفسيره لبعض سور وآيات القرآن الكريم.

وإنَّا لَنتضرَّع إلى الله - عزّ وجلّ - أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جنته، وأن يلحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقًا.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾

(النساء: ٧٠)

***

الأزهرى كما ينبغى أن يكون

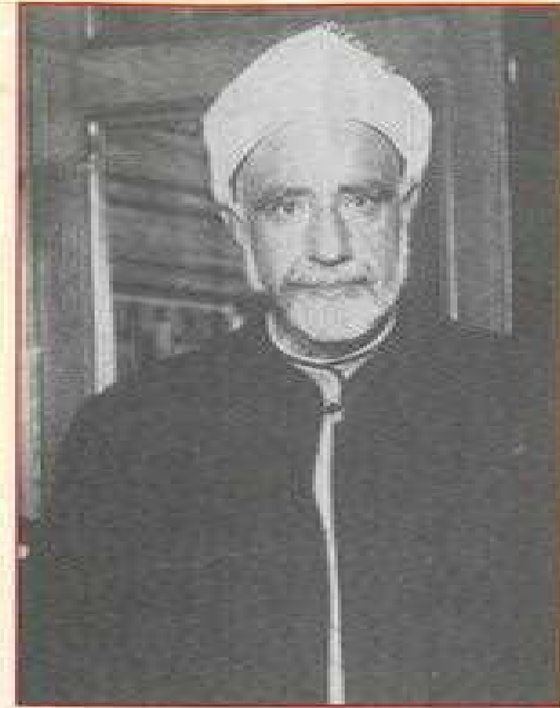
لفضيلة الشيخ/ محمد مصطفى المراغى
شيخ الأزهر الأسبق - رحمه الله -

طلبت إلىّ جريدة «الدستور» كتابة كلمة فى موضوع «الأزهرى كما ينبغى أن يكون». وقد أبديت رأيى فى هذا الموضوع مرات فى مناسبات مختلفة، ومع ذلك فلا أجد مانعًا من الإعادة على سبيل الذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

محمد مصطفى المراغى

أول مـــا يجب أن يكون عليـــه الأزهرى: هو المحافظة على الشعائر الإسـلاميـة محافظة تامة بحيث لا يقـصـر فى شيء منهـا، ولا يمكن غيره من الاحتفاظ عليه بزلة، حتى يكون قدوة بعمله لا بقوله فحسب، والقدوة العملية تترك فى النفوس أثراً صالحا، وتؤثر فيها ما لا تؤثره الأقوال، والشعائر الدينية -فى جملتها- من أكبر الوسائل لطمأنينة النفس والتحلى بالأخلاق الفاضلة، وهى التى توجد الصلة بين العبد وربه، وتقوى صلات الأفراد، وتحسن حال الجماعات.

ويصاحب هذا ملازمة الأخلاق النبوية، والتبصر فى هدى القرآن والسنة، ومجاهدة النفس ورياضتها على احتمال الأذى والمكروه فى سبيل العمل بالأخلاق الدينية وأداء الشعائر الإسلامية، حتى تصير الفضيلة شعاراً وملكة، وحتى تصدر



أعمال الخير عن غير تعمل وروية.

ومن لوازم الداعى والمرشد أن يكون شجاعا صادقا قوى الإيمان بما يدعو إليه، يرى فى الإقدام لذة، وحقا للنفس الخيرة يؤديه احتسابا لله، لا على أنه مكلف به يؤديه للأجر وزيادة الدرجات والمرتبات.

ومن حق الداعى أن يكون بصيراً بالوسط الذى يعيش فيه، خبيراً بأحوال النفوس، واسع الحيلة فى

التنقل من طريق إلى طريق، يقصد إلى الهداية المطلوبة من طريقها النافع.

وليس أفعل فى النفوس من جلال تسكبه التقوى وملازمة حدود الله، ومن جمال يلقيه العلم الناضج على صاحبه، ومن هيبة يوجدها الإعراض عن الدنيا وعدم الحرص عليها، وقد شاهدنا فقراء ليس لهم جاه رسمى، ولا عزة عصبية، يهابهم أصحاب المقامات الرفيعة والأموال المكنوزة، وينكمشون أمام هيبتهم التى بسطتها التقوى وزانتهم بها العزيز الحكيم.

والحرص على الدنيا يفسد على العالم لذة العلم، ويفسد عليه الغاية التى يطلبها، وهى الهداية، والناس -لاشك- زاهدون فى العلماء إذا رأوهم مقبلين عليها معرضين عن الآخرة.

فلتكن الدنيا مطلوبة بالقدر الذى تستحقه، وفى الدرجة التالية لدراسة العلم وتحصيله، واللذة به نفسه، وباعتباره وسيلة من وسائل الآخرة، وطريقاً لرضى الله ورسوله.

ولقد كانت للأزهريين تقاليد متوارثة محمودة، وهى عطف الكبير على الصغير، وتوقير الصغير الكبير، واحترام الأسلاف، والصبر على الدرس والتحصيل، وتفهم المسائل بعللها وأسبابها وما يتفرع عنها ويتولد منها، لا يألون فى سبيل ذلك بالوقت والجهد، ويرونه أكبر لذة للنفس، وأكبر متاع للعقل، ويرونه واسطة المجد وطريق الشرف والكرامة، وكان طالب العلم إذا لم يفهم كتابا أعاده، وإذا لم يفهم مسألة فتش عمن يفهمها منه، وكانت اجتماعاتهم لا تخلو من المذاكرة فى مسألة من مسائل العلم، وقد رأينا منهم من كان أهلا للتدريس وللتقدم للامتحان وكان

يحجم، لأنه يريد الاستزادة وتكميل النفس، فالعلم نفسه تفوق لذته لذة الحصول على الدرجة، والدخول فى مضمار الحياة، كانوا يجيدون تحضير الدروس قبل إلقائها على التلاميذ بقدر ما يسمح به الجهد، وكانوا يجيدون تحضير الدروس وفهمها قبل تلقيها عن الشيوخ، بل كان توابع الطلبة لا يذهبون إلى تلقى الدروس إلا لحل مشكلة عرضت لهم، أو انتظاراً لتحقيق مسألة من مسائلها.. كانوا يفعلون هذا مع الطمأنينة واللذة وسعة الصدر، لا للنجاح فى الامتحان، ولا لطلب الرزق. وكانت القناعة تجمل فقرهم وتزين علمهم، لا يمكن أن يمر فى خاطر أحدهم أن الفقر نقيصة، وأن الإسراف فى البحث مضيعة للوقت.

ولا ننكر مع هذا أن ملازمة بعض المؤلفات المختصرة، وترك المناهل العذبة من كتب الأسلاف، وعدم التوسع فى الاطلاع على تراث الأقدمين، ضيق دائرة التفكير، وأوجد إسرافا فى تحليل الألفاظ وإبداء ما تحتمله من الوجوه، وأوجد انحرافا عن الجادة القويمة فى طلب العلم وبحث مسائله وتحقيقها، وبعدا عن أساليب اللغة العربية الصحيحة، وإعراضا عن مسايرة الناس فى الحياة وإدراك ما تتطلبه الحياة، بل وشغلهم عن القرآن والسنة من ناحية الهداية التى جاء لها القرآن، إلى نواح أخرى متكلفة. وتلك هى الأدواء التى ألم منها الناس وسعوا لإزالتها.

لكن فى الوقت الذى نريد فيه إزالة هذه الأدواء، لا يصح أن ينسى الأزهرى جوهر تقاليده، بل يجب عليه أن يحافظ عليها، وأن يصرفها إلى وجوه الخير، وما يعود على دينه وأمته وملته بالصلاح والفلاح.

وقد اشتد تطلع الناس إلى الأزهر،

واشتد شوقهم إلى رؤية منتجات العقول فيه. يريدون منه كتبا قيمة سهلة التناول، جيدة التحرير، تهذب فيها المسائل، وتجذب القارىء إليها، وإلى بحوث شائقة جذابة تذلل مسائل العلوم وتدنيها إلى مستوى تفكير الجيل، وتزيل عن الدين الشبه التى يلقى ظلها التعليم المدنى الحديث وفروعه.

واشتد شوق الناس إلى مشاركة أهل الأزهر فى الحياة العامة لإصلاحها وتهذيب نظمها وردها إلى الحياة الدينية البريئة النافعة، وإلى الدعوة الحقة إلى الدين، وتقويم المعوج من الأخلاق، ومقاومة تيار الإلحاد والمادة.

يتطلع الناس إلى الأزهر فى هذا، فى مصر، وفى غيرها من البلاد الإسلامية، ولا أنكر أن فى بعض المطالب إسرافا وشيئا من عدم الإنصاف، لكن هذه هى آمال الناس، يجب أن تُحترم بقدر الاستطاعة، وأن يعمل الأزهر على تحقيقها كلها، أو تحقيق ما يمكن تحقيقه منها.

وفى البلاد الإسلامية حركة ترمى إلى أن يسيطر التشريع الإسلامى على الحياة فى جميع فروعها، فماذا أعد لهذا قبل الشروع فى تنفيذ؟

هل فكر الناس فى درس الحياة، وفى درس القوانين التى تبسط ظلها على البلاد والحكومات، وفى درس طرق التعامل الجديدة، التى أصبحت من مقومات الحياة، ومن مقتضيات العصر وظروفه؟

وهل فكر الناس فى آمال الجيل الحاضر ومطالبه؟ وهل أعدوا العدة لذلك؟

وهل وازنوا بين القديم والجديد، ورأوا أن ما كان متبعا من النظم من قبل يكفى أتباعه الآن لاستقرار الحياة؟

لا أريد أن أقول رأيا فى هذا

بالنفى أو الإثبات، ولكنى أريد أن ألفت نظر أهل العلم إلى هذا، وإلى ما يتطلبه منهم من التبعات، وإلى ما تتطلبه تلك التبعات من الإعداد العلمى القوى، والبحث والدرس.

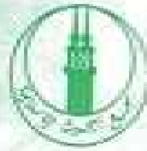
وفى الحق أن الحياة تسير بخطى مسرعة على النمط الذى وجد فى تقريب المسافات من سفن بخارية وكهربائية، وطائرات تقطع أجواز الفضاء، ومخاطبات تجرى فى سرعة البرق، والحياة العلمية فى البلاد الراقية تجرى على هذا النهج، لكن الحياة تسير عندنا سير الجمل فى البادية.

ونحن نقرأ كتبا لا فهارس لموضوعاتها، ويصيبنا الإعياء - أحيانا- قبل أن تصل إلى معرفة المراجع الوافية فى مسألة من المسائل، وكذلك الكتب تحوى أحسن الأفكار لكنها غير حسنة الوضع والتبويب تختلط فيها مسائل باب بمسائل باب آخر، هذا إلى أننا لم توجد جديداً نافعًا فى علم من العلوم حتى الآن.

تلك خطرات سريعة تحتاج إلى تفصيل، وعسى أن يوجد من يفصلها، والله المستعان.

***

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٢٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - يونية ٢٠٠٧م - الجزء الخامس - السنة الثمانون

من غرائب المجتمع!

مضحكات المآتم!

وهل تكون المآتم الحزينة مسرحا للمضحكات؟ تلك مُفارقة مذهلة حقاً إذا كانت كذلك، ولعلّها بعض ما عناه أبو الطيب حين قال:

وكم ذا بمصر من المضحكات ... ولكنه ضحك كالبكا!

لقد كتبتُ عدة مقالات حول ما يبدو في المآتم المصرية من المضحكات، وآخرها ما نشرته في صحيفة «صوت الأزهر» تحت عنوان (إعلانات التعازي) وكنتُ أظن أني أفرغتُ كل ما في نفسي فما بي من حاجة إلى إعادة القول، ولكن حادثًا طريفًا حتّم عليّ أن أعود إلى الموضوع من جديد، فقد رأيت ألا أحرم القارئ من طرافته النادرة وللقارئ حقّ لا يغيب.

كان أحد المديرين العامين في وزارة كبيرة ينتظر رحيل صهره المريض عن قريب، وحين جاءه النعي، وتأهّب للسّفر مُعزّياً، أحضر سكرتير مكتبه وأمره أن يتصل بكلّ مدرسة تتبعُ إدارته ويطلبُ منها أن تكتُب نعياً يحمل التعزية الصادقة لحضرته، وعدّد أسماءَ المدارس طالبًا أن يكون النشر بالأهرام، وأن يتتابع في عمود واحد، ليقع موقعه من التقدير، ولكن السكرتير فوجئ بمن يدعوه إلى القرية لارتحال والده المفاجئ، فشغل عن المهم بالأهم وتوجه ليتلقى العزاء في أبيه حين يقف مع أقربائه في صف التشييع، وسافر المدير مترقبا ظهور التعازي الصادقة فلم ير شيئا. وضاعف من لوعته أن عديله قرين أخت زوجته، وهو مأمور بأحد المراكز قد قام بالتوصية الواجبة، وظهر العمود الباكي في الأهرام يحمل التعازي لسيادته! فتضاعف الألم تضاعفاً لا مزيد عليه، ولم يُطق البقاء حتى تنقضي الأيام الثلاثة، وحين حضر إلى مكتبه سأل عن السكرتير فعلم أنه في القرية نظراً لوفاة أبيه! وكان في ذلك ما يشفعُ له لدى من يُقدّر مشاعر المرءوسين، ولكن المدير اشتعل غيظا وأصدر أمره بنقله إلى مكان آخر في غير مقر الإدارة. بعد أن كان صاحب الحظوة البالغة

والتقدير الحفيل.

إن الاهتمام الكبير بهذه المسائل الصغيرة، من كبار القادة في الإدارات المختلفة، يذكرنا بحقيقة أليمة هي أنّ الارتقاء إلى المناصب القيادية منذ قامت الثورة، وكذلك التعيين في كثير من الوظائف، لا يخضعُ إلى الكفاءة الذاتية. بل إلى (تقارير الداخلية) فكم من كفايات أُهدرت في الترقية وفي التعيين، وتقدّم مكانها مَن لا يبلغ مبلغها من الدراية والإخلاص، لأن تقريرا مُغرضا كاذبا قال عن المرشح المسكين، إنه وفدى، أو إخواني أو شيوعي، فألغى كل مؤهل دراسي، وعصف بكل تقدم علمي، وهكذا، أخذت القيادات تمتلئ بالإمّعات ممّن لا يشتهرون بنباهة أو كفاءة، فإذا رأينا ظواهر التفاهة والوصولية تنتشر في كل مجال، فقد عرفنا علّة العلل، وهي سوء الاختيار.

وقبل أن أذكر طرفا من التبذير المسرف في نفقات المآتم، أخالف بعض من يتحدثون عن هذا الموضوع من مدرسي علم الاجتماع حين يرجعون به إلى شعائر إسلامية تجيز ذلك في وهمهم وهذا هو الخطأ بعينه، لأن رحلة الميت إلى قبره في الشريعة الإسلامية لا تُوجب غير الغُسل والكفن والصّلاة على الميت، ثم التشييع إلى حفرة يُوضع عليها ما يشير إلى أنها قبر، وهذا كلّ ما جاء في كتب الفقه، وفي بلادٍ أخرى غير مصر يُقتصر على هذه الأربعة! دون أن تُقام السرادقات، أو يُدعى المقرئون، إنما انحدرت هذه التقاليد من العصر الفرعوني، حين كانت الحياة الأولى في عُرف المصريين مقدمة للحياة الثانية بعد الموت، وهي الجديرة بالاهتمام، لذلك أعدت الأهرامات لتكون مقبرة، والمصاطب لتكون مقبرة والتوابيت لتكون مأوى للموميات! والتحنيط، ليحمي الجسم من الفناء! وأدوات الطعام والشراب، وحاجات الملبس والنوم تُدخر في المقبرة الفسيحة لتجد الروح ما تطلب من الغذاء والشراب والكساء! وقد لاحظ المستشرق الإنجليزي السير ادوارد وليم لين في كتابه: «المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم» أن ما شهده من تقاليد الجنائز وتشييع الموتى في عصر محمد علي يشابه في أكثره ما روى عن المصريين القدماء! فتلطيخ وجوه النسوة بالطين، والصراخ والندب واللطم، والابتعاد عن الغسل بالماء وعن التنظيف إظهاراً للحزن.. كل ذلك مأخوذ أو ممتد من العصر الفرعوني، وإذن فالمسألة ذات تاريخ بعيد ولا تمت للإسلام بشيء!

ونترك تقاليد ما قبل القرن العشرين إلى القرن العشرين نفسه، لنشير إلى مقارنة بين ما حدث في أوائله وبين ما انتهت إليه تقاليد المآتم في أواخره، وقد كتب الأستاذ القانوني الكبير أحمد فتحي زغلول باشا فصلاً اجتماعيا شافياً يصوّر هذه المزعجات كما رآها في مفتتح هذا القرن، فعرفنا منه ما لانزال نرى بعضه الآن، وما حجبه الزمن بتقلبه السريع في مناحي الاجتماع وإن كان الإسراف المبذر أمراً مشتركا بين العهدين، لأنه مظهر الأبهة الكاذبة، وأول ما سطره الكاتب الكبير هو ما لاحظه عن العامة حين يزورون المريض في أيامه الأخيرة، إذ يوالون البكاء فيزعجونه ويزيدونه مرضا على مرض، إذ ربما أمل الشفاء فأيأسوه! كما لاحظ أن القوم لا يدفنون الميت إذا كان من ذوى الثراء إلا بعد ثلاثة أيام، حيث يقومون بنشر النبأ في القرى المختلفة ليحضر من المشيعين من يملئون

السرادق الحافل، والطريق المنتهى إلى القبر، وهذه العادة قد بطلت تماما، لأن انتشار الصحف صباحية ومسائية، جعل الإعلان يمتد إلى أقصى الجهات فى ما لايزيد عن يوم! كما أنّ إقامة المأتم ثلاثة أيام تجمع عشرات الغرباء من الوافدين فيهيّأ لهم الطعام والشراب والمثوى على مستوى يُشرّف عائلة الفقيد، هذه الإقامة بتكاليفها الباهظة تُرهق وتُزعج، وتُلجئ إلى الاستدانة فى كثير من الأحوال، فلا يكاد ينقضى المأتم، حتى يفاجأ أهل الميت بمصيبة ثانية هى مصيبة الدين الثقيل، وكيف يؤدى؟ وقد تُباع الأرض فى سداده، فلا يكون للأيتام ما يكفيهم ضرورة الحياة!

أمّا طوائفُ النّدابات والمأجورات ممن يلطمن الخدود، ويشققن الجيوب، وينادين بالصراخ المفجع، فأظن ذلك قد اختصر اختصارا بحيث لا يلحق بما سجله الكاتب فى هوله المفجع، وهذا مما نحمده دون شك، ولكن اختفاء بعض هذه المظاهر، قد أعقب ظهور منكرات أخرى، أشد منها خطرا، لأنها مصدر إسراف بغيض يأكل اليابس والأخضر، كما أن خطرها قد انتقل من أقارب الميت إلى غير الأقارب ممّن يلزمهم نشر المواساة فى الصحف على نحو ما نشير إليه ببعض التفصيل.

يموت الميت فيكون أول ما يفكر فيه ذووه بعد تهيئة القبر طبعا، هو الإعلان فى الصحيفة اليومية، وكان الإعلان سهل التأليف والأجر معاً قبل أن نعيش عصر الانفتاح، وقبل أن تتدفق الأموال فى أيدى من كانوا مستورين من قبل، ثم أرادوا أن يظهروا ما غرقوا فيه من نعيم مفاجيء، فكان إعلان الوفاة أحد مظاهر هذا الثراء، فهم لا يقنعون بسطور متواضعة كبقية السطور التى تمتلىء بها الجريدة، ولكن لابد من حيّز كبير، ومن إطار ضخم يملأ نصف الصفحة وأحياناً يشغل فراغها جميعه، وتتصدره صورة الفقيد أو الفقيدة، مكبّرة مضخمة، وقد تكون الفقيدة عالية السن، وقد شوّه الكبر وجهها مما يدعو إلى حجب رؤيته عن الأنظار، ولكن القوم يأبون إلا أن يطالعوا القرّاء بما ينفرهم، وكأنهم يستفزون مشاعرهم بما يفعلون، وتأتى السطور المتعاقبة مطبوعة بحروف كبيرة كى تشمل الفراغ الذى لابد أن يتسع ليبهر الأنظار، وكان العقلاء فى الزمن الماضى يكتفون بذكر الأصول والفروع، اقتصاداً وتواضعا، فأصبح التباهون اليوم يذكرون الأصهار والأعمام والأخوال، وكأنهم يسجلون مفاخر أبطال سقطوا شهداء فى حومة الدفاع عن الوطن، ثم يحوّط الإطار الضخم عدّة أطر صغيرة يركب بعضها بعضا، قدمها المواسون ردًا على جميل سبق به أهل الميت، أو زلفى لبعض من وردت أسماؤهم فى النعى، وكم تقلب كفا على كف حين ترى صفحة الأهرام ذات الأعمدة الثمانية قد شغلت فضاءها بالراحلة العزيزة وحدها، بما لم يهيأ لمثل مارى كورى وغيرها من الفضليات! وفى النعى يحدد مكان العزاء فى موضع جهير، كى يتوافد عليه المعزون وإذا كان هذا الموضع المختار مما يضيق بعدد الراحلين والراحلات، فلا يأتى أن يرجأ الوعد يوما أو يومين استكمالاً للصورة الرائعة التى يجب أن يشهدها الناس، فإذا حان الموعد أخذ المهتمون بالمظهر التافه يرصدون من جاءوا من الكبار رصداً دقيقا ليكون لهم مجال فسيح فى الشكر التالى بمناسبة الأربعين! وقد يذكر فى الشكر من لم يقم بالتعزية من الكبار اعتمادا على أنه لا يكذب أحدا بشكره! فأى مهزلة هذه؟! هذا ما يتعلق بالأسرة فى هذا المجال، والمسألة لا تقف

عندها، وما كان لها أن تقف فى زمن التزلّف والمحاباة، فقد وردت بالنعى أسماء شهيرة لبعض المرموقين من الرؤساء، وقد تكون قرابتهم قاصية، ولكنها حُشرت حشرا، فلابد إذن من مشاطرة أصحاب هذه الأسماء فى تعزيات خاصة ترسل إلى الجريدة، تعبيراً عن المشاركة الوجدانية فى هذا الخطب الجليل، لقد ذكر اسم الوزير أو المحافظ أو المدير العام أو وكيل الوزارة، وإذن فمن واجب كل إدارة تتبع هؤلاء الكبار أن تنهض بواجب المروءة تخفيفا لهول المصاب، وبرح الفجيعة المشتعلة فى قلب الرئيس الحبيب! ولن تكون التعزية فى سطر أو اثنين أو ثلاثة بل لابد أن تكون فى إطار بارز، وبحروف لافتة للنظر، هكذا يريد من دعا للنشر العاجل، وكل ذلك يتطلب أجراً باهظا، فمن أين يجىء؟ أيدفع من قام بالدعوة للمواساة؟ إنه أذل من أن يتورط فى مليم واحد، ولكن الأمر سيظل مكتوما، حتى يجىء أول الشهر، فيفاجأ كل موظف فى مدرسة أو مستشفى أو مصنع باقتطاع عشرة جنيهات من مرتبه الذى لا يكفيه عشرة أيام من أيام الشهر! فإذا سأل عن ذلك؟ قيل إنه اشترك فى مواساة السيد الوزير أو السيد المحافظ أو السيد الوكيل أو السيد المدير العام، وهو لا يعرف شخصه، ولا يذكر أنه قابله مرة واحدة، فيعض على شفته، ولا يجد من يلتجىء إليه شاكياً، وقد يصرخ لجاره قائلاً: إنه اشترى الحذاء لابنه بالتقسيط، وأن ما حذف من مرتبه كان له موضعه المقرر من النفقات. يجد الجار يشاركه بلواه، ويلعن أرباب النفاق من الوصوليين.

أذكر أنى كتبت معنى هذا الكلام فى جريدة صوت الأزهر فى المقال الذى أشرت إليه من قبل، فجاءنى من لا أعرفه من قبل، وشدّ على يدى قائلاً فى ألم: لقد خصموا منى فى شهر واحد مبلغا للتعزية ومبلغاً لتهنئة محافظ جُدد له، ومبلغاً لشراء هدية لمدير عام رقّى إلى درجة الوكيل! فليست التعزيات وحدها هى التى تروع! بل التهنئات!

ومن النوادر أن يكتفى كاتب إعلان الوفاة ببعض الأسماء اقتصاداً للنفقات، فلا يروق هذا من يتصلون بالميت من أبناء الأعمام والأخوال، ويأتون لائمين فى شبه غضب متوتر، فإذا اعتذر الكاتب بالنسيان، جابهوه بأنه ترك الكثيرين، والنسيان يُعذر فى واحد، وهنا يضطر إلى كتابة ملحق إضافى تحت عنوان (سقط سهوا) فيذكر كل من تناساه عامدا، والقارىء الذى يطالع العنوان «سقط سهوا» يعرف أن السّهو غير وارد، وأن معركة كلامية اقتضت النشر السريع، فيعجب لعقول بلغت مبلغ الرجولة ثم هى لاتزال فكريا فى دور المراهقة! على أن النشر التالى لا يشفى الجراح إذ وقر لدى هؤلاء التالين، أنهم فى الدرجة الثانية، كما صرّح أحدهم بذلك، أفلو كان لدينا تربية اجتماعية سديدة أكنا تشغل خواطرنا بهذه التوافه التى تتكرر دائما دون احتشام!

ومن الطرائف -إن عُدّت هذه طرائف- أن قريبا للمتوفى يحمل درجة (عميد) إذ ترقى إليها منذ أيام دون أن يعلم كاتب النعى خبر ترقيته، فذكر اسمه مقرونا بدرجة العقيد، فجاء صاحبنا ثائرا مهتاجا صاخبا، يقول: ماذا يظنّ الناس عنى، وأقاربى لا يعرفون من أنا؟ وثار اللجاجُ حتى لفت الأنظار فقام قروى ساذج يقول للعميد فى تبرّم، افرض يا أخى إن اسمك لم يذكر، فهل ستقوم


حسنين مخلوف

القيامة، فضحك الناس فى مأتم العزاء!

وقد يقام للميت سرادقان فى القرية وفى القاهرة، وطبيعى أن يلتقى أهل القرية بالسرادق المنصوب فى الليلة الأولى، تاركين لأهل القاهرة أن يقوموا بالعزاء فى جامع عمر مكرم أو سواه، ولكن أقارب الميت الأدنين يصرون على أن يذهب كل من ينتمى إلى الأسرة إلى القاهرة ليقف فى صف العزاء فى الليلة التالية، ليملئوا الفراغ الذى يجب أن يكتظ حتى يزدحم، ولا تسل عن الموظف المسكين حين يستجيب مكرها فيتكبد نفقات الذهاب والإياب، ثم المبيت ببعض الفنادق إذ لا يسع المنزل القاهرى هؤلاء الوافدين، ويصبح الصباح فيجر قدمه جرا إلى قريته، وذلك كله ليقف فى الطابور، فيسلم على من لا يعرف، ويظل منتصبا كالشادوف!

وهل ننسى المقرىء الكبير؟ إن أهل الريف يرون من باب الوجاهة أن يكون قارىء الليلة من شيوخ الصف الأول ممن يقرءون القرآن فى الإذاعة ثم يعلنون ذلك فى القرى المجاورة فيتدافع الجموع حتى تغص بهم الحوارى والزقاق، والقارىء يعرف مكانته لدى هؤلاء، فيطلب من الأجر ما يعتبر تعجيزا للكثيرين، ولكنهم وراء الشغف بالمظهر الخادع يستجيبون، ويدفعون الألفين والثلاثة فى الليلة الواحدة! وهو عبث لا يكاد يصدق! ومما علمته عن أحد هؤلاء الكبار أنه حضر قبل الغروب فقرأ (ربعا) واحدا، ثم استراح إلى بعد صلاة العشاء! وقد تزاحمت الحشود لسماعه، فقرأ (ربعا) آخر، ثم اتجه للرحيل إذ أثبت وجوده الشخصى وهذا ما يكفى فى رأيه، ولكن أصحاب السرادق ثاروا عليه، وصمموا على أن يقرأ حتى ينتهى الحفل فقد أخذ ثلاثة آلاف من الجنيهات! وأصر الشيخ على الامتناع، ولكن شابا هدده بأنه سيحرق العربة (المرسيدس) التى جاء بها، لأنه لم يؤد واجبه، ورأى القارىء المرتبك أن الأمر جد، وما هو بالهزل، وقد تحرق العربة دون أن يعرف الفاعل، فيرجع على قدميه، ويفقد أضعاف ما أخذ، فاستكان، ورجع ليرتل، ولكن الاحترام مفقود! والشماتة واضحة!

نسيت أن أتحدث عن يوم الأربعين، وعن إعلان الشكر الجامع فى الصحف، إذ أن ذلك مما يكمل مظاهر الاحتفاء بالفقيد! وكلنا نعلم أن الفقيد قد ذهب إلى ربه يتقدمه عمله، ولا يهمه أن يشكر الكبار أو الصغار، بل ذلك ما يهم الأسرة التى استجابت إلى تقليد راسخ، ومن حقه أن يزول!

لقد فكر الأستاذ الجليل الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ رحمه الله ـ حين كان مفتيا للديار المصرية فى الحد من مظاهر التبذير، والبذخ فى مناسبات المآتم، فكتب مقالا بالأهرام يوضح ما سنه الشرع فى هذا المجال داعيا إلى الاكتفاء به، ثم امتحن بفقد ولده وكان من رجال القانون النابهين، فكتب فى نعيه سطرا واحدا بالأهرام يقول فيه: «احتسب حسنين مخلوف ولده فلان. ولا مرد لقضاء الله والعزاء بالمسجد» وتوافد الناس لتعزيته بالمسجد، فألقى محاضرة يدعو فيها إلى نبذ

مظاهر الترف عند الرحيل، وقال: لقد ضربت المثل. وكنا نأمل أن يكون لما قام به الرجل الكبير قولا وفعلا أثر قوى فى كبح جماح المسرفين، ولكن الطباع الراسخة لا تنتقل فى يوم واحد، بل لابد من مواصلة الطرق الملح حتى تستبين الطريق.

ومما نقرؤه بين الحين والحين حديث عن وصية الراحل بالاكتفاء بتشييع جنازته دون سرادق، ودون إعلان صحفى، وهذا ما يحدث فعلا، ولكن ليس من الضرورى أن يكون التزام السلوك الحميد وقفا على الوصية وحدها، بل تجب الدعوة المخلصة المتكررة، حتى تصبح عادة متبعة! وأعتقد أنها ستجد القبول إذا قام بالتنفيذ ذوو الشخصيات البارزة فى المجتمع، ومن لؤم بعض الناس أن يتساءلوا: هل أوصى الميت حقا بالاكتفاء بتشييع الجنازة دون سرادق؟ وهو تساؤل يفقد معناه، لأن من حق كل إنسان أن يسير فى ما يعتقد صوابه، وقد رأى من أعلن الوصية أنه لم يضر بأحد، بل رسم نهجا يجب أن يتبع، فكيف نظن به الظنون؟!

كنت أسمع من بعض الأصدقاء أنه لا يقرأ من الجرائد غير صفحة الوفيات، ويعلل ذلك بأنها هى الصفحة الصادقة التى لا تحمل أخبارا كاذبة، وقد جاءنى ذات عشية فقال لى: إن الكذب تطرق إلى هذه الصفحة أيضا! فقلت: وكيف؟ قال: لقد «ازدحمت» بالتعازى الكاذبة، لأن أرباب الأهواء قد جعلوا من الموت ذريعة للملق الرخيص، فلم تنج الصفحة من النفاق وصارت كغيرها سواء بسواء! قلت وأعجب شىء أن تكون التعازى للأحياء وحدهم، فقد يموت قريب من الدرجة الثالثة لبعض الوزراء أو المحافظين، فتنهال التعازى مواسية داعية، ثم يخرج الوزير أو المحافظ من منصبه، ويأتى يومه الموعود بعد حين، فلا يسارع أحد بنعيه، ولولا أن الأسرة قامت بنعاه لما سمع به أحد!! فأين الذين واسوه من قبل فى قريب بعيد يمت إليه بأوهن الأسباب؟! أليس فى ذلك عبرة لأولى الأبصار، ممن يتركون السطح الظاهر ويلجون إلى ما يتوارى طى الشغاف! وهى الدنيا بيلائها المتواصل، فلا مناص!

لم آت بجديد قطعا فى كل ما ذكرت، فالقراء يعرفون جيدا أنى لم أبالغ فى شىء، ولكنى رأيت أن أنفس عن صدرى بعض ما يتقد به من جذوات، إذ أجد شيئا من الراحة حين أطالع أصدقائى بما أكن، زاعما أنى أديت فرضا يجب أن أتخفف من وخزه الأليم.

كما قد حملت العبء ثم طرحته
وقد كان صخرا فوق صدرك جاثيا!

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾

(الآيتان: ١٣٥ : ١٣٦)

أما الصفة الرابعة من صفات هؤلاء المتقين فقد ذكرها ـ سبحانه ـ فى قوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

والفاحشة من الفُحْش وهو مجاوزة الحد فى السوء. والمراد بها الفعلة البالغة فى القبح كالزنا والسرقة وما يشبههما من الكبائر.

والمعنى: سارعوا أيها المؤمنون إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدها خالقكم ـ عز وجل ـ للمتقين الذين من صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم فى السراء والضراء، ويكظمون غيظهم، ويعفون عن الناس، وأنهم إذا فعلوا فعلة فاحشة متناهية فى القبح، أو ظلموا أنفسهم، بارتكاب أى نوع من أنواع الذنوب «ذكروا الله» أى تذكروا حقه العظيم، وعذابه الشديد، وحسابه العسير للظالمين يوم القيامة «فاستغفروا لذنوبهم» أى طلبوا منه ـ سبحانه ـ المغفرة لذنوبهم التى ارتكبوها، وتابوا إليه توبة صادقة نصوحاً.

وعلى هذا يكون قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ ﴾

معطوفاً على الصفة الأولى من صفات المتقين، ويكون قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

جملة معترضة بين الصفات المتعاطفة.

قال الفخر الرازى: واعلم أن وجه النظم من وجهين:

الأول: أنه ـ تعالى ـ لما وصف الجنة بأنها معدة للمتقين بيّن أن المتقين قسمان: أحدهما: الذين أقبلوا على الطاعات والعبادات، وهم الذين وصفهم بالإنفاق فى السراء والضراء، وكظم الغيظ والعفو عن الناس.

وثانيهما: الذين أذنبوا ثم تابوا وهو المراد بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾

وبيّن ـ سبحانه ـ أن هذه الفرقة الأولى فى كونها متقية..

والوجه الثانى: أنه فى الآية الأولى ندب إلى الإحسان إلى الغير، وندب فى هذه الآية إلى الإحسان إلى النفس، فإن المذنب إذا تاب كانت توبته إحساناً منه إلى نفسه [1].

وقوله:

﴿ أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾

معطوف على قوله:

﴿ فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾

من باب عطف العام على الخاص، وهذا على تفسير الفاحشة بأنها كبائر الذنوب، أما ظلم النفس فيتناول كل ذنب سواء أكان صغيراً أم كبيراً.

(١) تفسير الفخر الرازى ج٩ ص٩.

وبعضهم يرى أن الفاحشة وظلم النفس وجهان للمعصية لا ينفصلان عنها، بمعنى أن كل معصية لا تخلو منهما فهى فاحشة وظلم للنفس، وعلى هذا تكون «أو» بمعنى الواو.

ويكون المعنى: ومن يرتكب فاحشة ويظلم نفسه، ويتذكر الله عند ارتكابها فيعود إليه تائبًا منيبًا يكون من المتقين.

وفى التعبير بقوله:

﴿ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾

بصيغة الشرط الجواب، إشعار بوجوب اقتران الجواب بالشرط. أى أن الشخص الذى يدخل فى جملة المتقين هو الذى يعود إلى ربه تائبًا فور وقوع المعصية، بحيث لا يُسوِّف ولا يؤخر التوبة حتى إذا حضره الموت. قال: إنى تبت الآن.

وقوله:

﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

جملة معترضة بين قوله:

﴿ فَاسْتَغْفَرُوا ﴾

وبين قوله:

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا ﴾

والاستفهام فى قوله:

﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

للإنكار والنفى.

أى: لا أحد يقبل توبة التائبين، ويغفر ذنوب المذنبين، ويمسح خطايا الخطئين، إلا الله العلى الكبير «الذى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل، ويتوب الله على من تاب». ـ كما جاء فى الحديث الشريف ـ ولذا قال صاحب الكشاف عند تفسيره لهذه الجملة ما ملخصه: فى هذه الجملة وصف لذاته ـ تعالى ـ بسعة الرحمة، وقرب المغفرة، وأن التائب من ذنبه كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه. وفيها تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط، وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل، وكرمه أعظم. والمعنى أنه وحده عنده مصححات المغفرة، وهذه جملة معترضة بين المعطوف، والمعطوف عليه[2].

وقوله:

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص٤١٦.

بيان لشروط الاستغفار المقبول عند الله ـ تعالى ـ.

أى أن من صفات المتقين أنهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم، سارعوا بالتوبة إلى الله ـ تعالى ـ، ولم يصروا على الفعل القبيح الذى فعلوه، وهم عالمون بقبحه، بل يندمون على ما فعلوا، ويستغفرون الله ـ تعالى ـ مما فعلوا، ويتوبون إليه توبة صادقة.

وقوله:

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا ﴾

معطوف على قوله:

﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾

وقوله:

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

جملة حالية من فاعل «يصروا» أى ولم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه.

ومفعول يعلمون محذوف للعلم به أى يعلمون سوء فعلهم، أو يعلمون أن الله يتوب على من تاب، أو يعلمون عظم غضب الله على المذنبين الذين يداومون على فعل القبائح دون أن يتوبوا إليه.

فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة قد فتحت باب التوبة أمام المذنبين، وحرضتهم على ولوجه بعزيمة صادقة، وقلب سليم، ولم تكتف بذلك بل بشرتهم بأنهم متى أقلعوا عن ذنوبهم، وندموا على ما فعلوا، وعاهدوا الله على عدم العودة على ما ارتكبوه من خطايا، وردوا المظالم إلى أهلها، فإن الله ـ تعالى ـ يغفر لهم ما فرط منهم، ويحشرهم فى زمرة عباده المتقين.

إنه ـ سبحانه ـ لا يغلق فى وجه عبده الضعيف المخطئ باب التوبة، ولا يلقيه حائراً منبوذاً فى ظلام المتاهات، ولا يدعه مطروداً خائفاً من المصير، وإنما يطمعه فى مغفرته ـ سبحانه ـ ويرشده إلى أسبابها، ويغريه بمباشرة هذه الأسباب حتى ينجو من العقاب.

ولقد ساق ـ سبحانه ـ فى عشرات الآيات ما يبشر التائبين الصادقين فى توبتهم بمغفرته ورحمته ورضوانه، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾

(الفرقان: ٦٨-٧١)

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى ومن ذلك ما رواه أبوداود والترمذى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[3].

وقال القرطبى: وأخرج الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه».

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم».

ثم قال القرطبى: «والذنوب التى يتاب منها إما كفر أو غيره فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على ما سلف من كفره، وغير الكفر إما حق لله - تعالى - وإما حق لغيره؛ فحق الله - تعالى - يكفى فى التوبة منه الترك، غير أن منها ما لم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك، بل أضاف إلى ذلك فى بعضها قضاء كالصلاة والصوم، ومنها ما أضاف إليها كفارة كالحنث فى الأيمان والظهار وغير ذلك، وأما حقوق الآدميين فلابد من إيصالها إلى مستحقيها، فإن لم يوجدوا تصدق عنهم، ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعسار فعفو الله مأمول، وفضله مبذول، فكم ضمن من التبعات، وبدل من السيئات بالحسنات»[4].

ثم بيّن - سبحانه - عاقبة من هذه صفاتهم فقال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾

أى: أولئك الموصوفون بتلك الصفات السابقة من الإنفاق فى السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس.. إلخ.:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾

تستر ذنوبهم، وتمسح خطاياهم.

وفى الإشارة إليهم بأولئك الدالة على البعد، إشعار بعلو منزلتهم فى الفضل، وسمو مكانتهم عند الله - تعالى -.

(3) تفسير ابن كثير جـ1 ص407.

(4) تفسير القرطبى جـ2 ص336.

وقوله:

﴿ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾

معطوف على

﴿ مَّغۡفِرَةٌ ﴾

أى لهم بجانب هذه المغفرة جنات تجرى من تحت أشجارها وثمرها الأنهار.

وقوله:

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾

حال مقدرة من الضمير المجرور فى

﴿ جَزَآؤُهُم ﴾

لأنه مفعول به فى المعنى، إذ هو بمعنى أولئك يجزيهم الله - تعالى - جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها. فأنت ترى أن الله - تعالى - قد وعد أصحاب هذه الصفات بأمور ثلاثة:

وعدهم بغفران ذنوبهم وهذا منتهى الأمانى والآمال.

ووعدهم بإدخالهم فى جناته التى يتوفر لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

ووعدهم بالخلود فى تلك الجنات حتى يتم لهم السرور والحبور.

وقوله - تعالى -:

﴿ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾

تذييل قصد به مدح ما أعد لهم من جزاء، حتى يرغب فى تحصيله العقلاء.

والمخصوص بالمدح محذوف، أى ونعم أجر العاملين هذا الجزاء الذى وعدهم الله به مغفرة وجنات خالدين فيها.

وبذلك نرى السورة الكريمة قبل أن تفصل الحديث عن غزوة أُحُد، قد ذكرت المؤمنين بطرف مما حدث من بعضهم فيها، وبالنتائج الطيبة التى حصلوا عليها من غزوة بدر، ثم أمرتهم بتقوى الله، وبالمسارعة إلى الأعمال الصالحة التى توصلهم إلى رضاه.

***

أُمَّتِى .. صَلاحُ أَمْـــرِكِ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُه

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخارى ـ رحمه الله ـ فى صحيحه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبى ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبىّ يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثمّ ائتنى، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثمّ رجع إلى أبى ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر..

التعريف بالراوى

هو الصحابى الجليل عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، ابن عم النبى ﷺ، كان يسمّى البحر، وحبر الأمة؛ لسعة علمه، ولد وبنو هاشم فى الشعب بمكة فأتى به النبى ﷺ فحنّكه بريقه، واستعمله علىٌّ ـ رضى الله عنه ـ على البصرة، وشهد معه صفّين، وحجّ بالناس لما حُصر عثمان، وكان قد عمِىَ فى آخر عمره. توفى سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة.

أما أبو ذرّ فصحابى من كبار الصحابة وفضلائهم، وأصح ما قيل فى اسمه جُندب بن جُنادة، وهو من السابقين إلى الإسلام، توفى بالرَّبذة سنة ٣١ هـ، وصلى عليه عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ثم مات بعده فى ذلك العام.

الشرح والبيان

إن الأخلاق الكريمة هى الأساس الذى قامت عليه الشريعة الإسلامية، وتوطدت عليه أركان الدين الحنيف؛ حيث كان رسول الله ﷺ وأصحابه مضرب الأمثال فى كرم الأخلاق، وحسن المعاملة، وطهارة القلب، ونقاء الضمير، وعفة اللسان، ولقد ربطت هذه الصفات بين قلوبهم، فكانوا على قلب رجل واحد، توحدت كلمتهم، وانتظم صفهم، ولذلك انتشرت دعوتهم فى الآفاق، وعمّ نورها الخافقَيْن فى زمن قصير، دانت لهم البلاد، وخضع لهم العباد، وأصبحوا سادة الدنيا وسلاطين الأرض، فبالأخلاق سادوا، وبالأخلاق أسسوا دينهم، وأقاموا دولتهم، ورفعوا رايتهم.. بالأخلاق مكّن الله لهم فى الأرض، ومن ثَمّ أنشد الشاعر ممتدحًا النبى الكريم، والرسول العظيم ﷺ فقال:

أقَمْتَ على الأخلاق بُنْيانَ دولة
لها كالجبال الراسيات خُلُود

وقال رب العالمين ـ سبحانه ـ:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(الأنفال: ٢٦)

حسن الخلق

وقال رسول الله ﷺ: «إنما بُعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق»[1]. فما بعث الله الرسل وأنزل الكتب إلا لنشر الأخلاق الحميدة، إذ هى أساس السعادة، وسبيل النجاح والفلاح، وبها يسعد الأفراد، ولقد أنشد الشاعر:

صلاحُ أمْرِك للأخلاق مَرْجِعُه
فقَوِّمِ النفس بالأخلاق تستقم

والنفسُ من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم

كذلك بها تصلح الأحوال، وتنجز الأعمال، وتتقدم الأمم ولذلك أمر الإسلام بالأخلاق الحسنة، وحثّ عليها، ورغب فيها، ونهى عن الأخلاق السيئة، وحذّر ونفّر منها، وبيّن الآثار المترتبة على الأخلاق الحسنة والسيئة، وقد امتدح القرآن الكريم النبى العظيم ﷺ بحسن الخلق، فقال:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

[1] سنن البيهقى الكبرى: ج ١٠، ١٩٢.

﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

فإذا كنا نتقرب إلى الله بالطاعات، من صلاة وصيام، وصدقة وقيام، وحج وصلة أرحام، وجهاد بالنفس والأموال.. فإن أفضل عمل يقدمه المرء طاعة لربه، وزلفى لخالقه ومولاه هو حسن الخلق، كما أن حسن الخلق أثقل شيء يوضع في الميزان يوم القيامة.

دروس نبوية

روى الترمذي عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المسلم يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»، وروى أبو داوود عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسلم ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»... ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فقد كان في خلقه آية الجمال، وكان حسن العشرة، لين الكلام، باش الوجه، متواضعا.

لقد روى أبو داوود عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب -وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ- قال: فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس، اذهب حيث أمرتك»، قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين، أو تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟. ولا لشيء تركت: هلا فعلت كذا وكذا.

كما كان رسول الله ﷺ حليما صبورا، يقابل الجهل بالحلم، والإساءة بالإحسان، والظلم بالصفح والعفو.

لقد روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة «أي: أدركتهم القيلولة في واد كثير الشوك»، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اخترط علي سيفي -أي: سله من غمده، وأنا نائم، فلما استيقظت وهو في يده صلتا[٢]، فقال: من يمنعك مني، فقلت: الله (ثلاثا) ولم يعاقبه وجلس.. وقد كان هذا حال الذين تربوا في مدرسته، فقد أورد الإمام القرطبي -رحمه الله- في تفسيره سورة الانفطار عن علي -رضي الله عنه- أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب: فقال: ما لك لم تجبني؟. قال: لثقتي بحلمك، وأمني من عقوبتك، فاستحسن رأيه، فأعتقه.

وإذا كان الله -عز وجل- قد أدب رسوله الكريم ﷺ بقوله -جل شأنه-:

(٢) صلتا: أي مصلتا بارزاً ومستويا.

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

فقد أدب أمته بقوله:

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾

(فصلت: ٣٤، ٣٥)

فمن أراد أن يقتدي بالرسول الكريم ﷺ في أخلاقه وسائر صفاته فعليه بالقرآن الكريم، يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقف عند حدوده.

روى الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة، فقلت يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن: قول الله -عز وجل-:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم: ٤)

والقرآن -كما تعلم- أدب الرحمن، ومصدر الإحسان، وينبوع الفضائل، وجماع المكارم، وقد كان لهذه الأخلاق أثرها الفعال في إسلام كثير من المشركين الحاقدين الكارهين. روى البخاري -رحمه الله- في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله».

روح الإسلام.. وجسده!

وهكذا انتشر الإسلام بقوته الذاتية، وبتمسك المسلمين بأخلاقه ومبادئه. أما اليوم فعندنا من الإسلام جسده فقط.

التقى أحد المتأسلمين بصحفي ألماني، فقال المتأسلم: ما أخر الشرق إلا الإسلام، فقاده الألماني إلى أحد المستشفيات، وأشار إلى مكتوب على باب غرفة العمليات بلغته: «ما ملأ ابن آدم وعاء قط شرا من بطنه، فإن كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» القائل / محمد بن عبدالله.. وسأل الألماني المتأسلم: أتعرف محمدا هذا؟!. قال له: نعم، إنه نبينا، فقال له الألماني -بلسان اليقين، ومنطق الحق المبين-: يؤسفني أن تكون روح الإسلام في بلادنا، وجسده في بلادكم.

ولذلك لما قال بطريرك الروم للإمام الباقلاني: إن كتابكم خلا من الطب.. قال له: بل إن كتابنا جمع الطب في نصف آية:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾

(الأعراف: ٣١)

شريعتنا.. وواقعنا

واليوم عباد الله ترى المسافة شاسعة بين شريعتنا وواقعنا، بين أخلاقنا وأخلاق الرعيل الأول، والسلف الصالح -رضوان الله عليهم-. فقد ظهرت عيوب أخلاقية، خطرها أعظم من خطر الأمراض

الفتاكة، والحروب الطاحنة، والمجاعات المهلكة، والزلازل المدمرة؛ ظهرت في البيت، وفي الشارع، وفي العمل، وفي المجتمعات العامة، ومظاهر ذلك كثيرة متعددة، فكثيراً ما ترى إنساناً يخالط أخاه المسلم، ويظهر له الإخلاص والود، ويطمئن إليه، ويطلعه على أسراره، ومع ذلك يعامله بوجهين، ويخاطبه بلسانين، إذا التقاه ابتسم له، وحياه، وأثنى عليه، فإذا تركه، وتقابل مع غيره اغتابه، وذمه، وعابه، وأذاع عنه أحاديث السوء، وأقاويل الشر، وهتك عرضه، ولوث شرفه، وهذا وأمثاله يصدق عليهم قول الله -تعالى-:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾

(البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥)

وإذا كانت الآية نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي -على بعض الأقوال- حين أقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة، فأظهر له الإسلام، فأعجب النبي ﷺ ذلك منه، وقال: إنما جئت أريد الإسلام، والله يعلم أني صادق، ثم خرج من عند النبي ﷺ فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر.. فإن الآية عامة في المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون، ويحلفون على ما يقولون وهم يعلمون أنهم كاذبون.

وكثيراً ما ترى قوياً يتعامل بالغلظة والفظاظة، مع ضعفاء، ويتغطرس عليهم، ويهدر كرامتهم، مع أن الإسلام علمنا أن الناس جميعاً -مهما اختلفت أجناسهم وأقطارهم، وتباينت لغاتهم- من أب واحد، وأم واحدة. قال -تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾

(النساء: ١)

وروى جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع، فقال: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فليبلغ الشاهد الغائب»[٢].

فأمة محمد جميعاً إخوة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وإن تباعدت ديارهم، وهم جماعة واحدة وإن اختلفت آراؤهم. قال -تعالى-:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(التوبة: ٧١)

فمن أساء إلى أخيه فقد أساء إلى نفسه، ومن خدش عرض أخيه فقد خدش عرض نفسه؛ لأن الله -سبحانه- نهانا عن ذلك. قال -تعالى-:

---

(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ٦١٢.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الحجرات: ١١)

أخلاقنا المفقودة!!

هذا ديننا، وتلك أخلاقنا، ولكنك لو فتشت في أسواقنا وصناعاتنا وتجاراتنا، وسائر معاملاتنا لوجدت من أسف: كذباً شائعاً، وحقاً ضائعاً، وغشاً واضحاً، ووفاء مفقوداً، وخلفاً للوعد، وبالتالي قل الأمان، وذهب الاطمئنان، وحل الخوف، ولو ظل الحال على هذا حل الخراب، وقد أنشد الشاعر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلا

وأنشد آخر:

وليس بعامر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

وأنشد ثالث:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فإذا كان للأمة أن تنهض من كبوتها، وأن تفيق من غفلتها، فعليها أن تتخلق بأخلاق القرآن، وسنة النبيّ العدنان ﷺ، روى البيهقيّ في السنن الكبرى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه»، إذ هما المصدران الأساسيان للتشريع، وفي التمسك بهما سعادة الأفراد والجماعات، وصلاح المجتمعات، وقد أنشد الشاعر:

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا
فليس وراءها للعز ركن

ولهذا كان حكيم العرب المشهور يقول حين سُئل عما جاء به محمد ﷺ فقال: «لو لم يكن ما جاء به محمدٌ ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً، فهو يأمر بالفضائل، وينهى عن الرذائل»، وقال: يقول الله -عز وجل-:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل: ٩٠)

وهكذا نعلم يقيناً أن ديننا القويم، وتشريعنا الحكيم أصلح الحياة، وأقام الصلات، وأحكم الروابط بين الناس على أساس متين من الحب والألفة، ورباط قوي من المودة والأخلاق؛ ليشعر المؤمن أنه حين يقدم العون لإخوانه إنما يرضي ربه، ويطيع خالقه، وقد أثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: «لكل بنيان أساس، وأساس الإسلام هو الخلق الحسن»، وروى أحمد في مسنده عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار».

وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

توجيهات إلهية للأزواج المطلقين

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

إن الله سبحانه وتعالى شرع الطلاق حينما تستحيل العشرة بين الزوجين وجعل ذلك أبغض الحلال ووضع لذلك حدوداً يجب أن يلتزم بها كل من الطرفين، ولم يترك ذلك طبقاً للأهواء ولا تبعاً لما تأمر به النفس البشرية، فجعل الطلاق وسيلة لرد القلوب عن الزيغ والانحراف تحت شتى المؤثرات والملابسات، ولذلك لم يترك القرآن هذه الرخصة تتلاعب بها الأهواء أو تحكمها الحالة النفسية للزوج، بل جعل لها قواعد وأصولاً.

فقد حدد القرآن الطلاق الذى أباحه الله وجعله مرتين ولا يجوز أن يتجاوز الزوج هذا العدد. فإذا تجاوزهما لم يكن إلى العودة من سبيل إلا بشرط تنص عليه الآية الكريمة التى جاءت فى هذا السياق يقول تعالى:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٢٩)

فإذا خافت الزوجة ألا تقيم حدود الله وكانت كارهة لهذا الزوج وتخشى أن ترتكب معصية إذا بقيت مقيدة بهذا الزواج الذى تكرهه أباح لها الشرع أن ترد عليه ما دفعه لها وهو ما يسمى بالخُلع. وأما هذا التقييد بطلقتين فقد ورد فى سبب نزول هذا القيد أنه فى أول العهد بالإسلام كان الطلاق غير محدد بعدد من المرات فكان للرجل أن يراجع مطلقته فى عدتها ثم يطلقها ويراجعها هكذا ما شاء، ثم إن رجلاً من الأنصار اختلف مع زوجته فوجد عليها فى نفسه فقال: «والله لا آويك ولا أفارقك» قالت: وكيف ذلك؟ قال: «أطلقك فإذا دنا أجلك راجعتك» فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾

(البقرة: ٢٢٩)

وهذا التقييد يجعل الطلاق محصوراً ومقيداً بقيد الشريعة لا سبيل إلى العبث باستخدامه كيف شاء ومتى شاء الأزواج. فإذا وقعت الطلقة الأولى كان للزوج فى فترة العدة أن يراجع زوجته دون أن يحتاج إلى أى إجراء آخر أما إذا انقضت العدة وأراد أن يراجعها فلأنها أصبحت بائنة منه لا يملك ردها إلى عصمته إلا بعقد ومهر جديدين وفى هذه الحالة يكون له طلقة ثانية بنفس الأحكام والشروط السابقة. وأما إذا طلقها الثالثة، فقد بانت منه بينونة كبرى بمجرد وقوع هذه الطلقة، فلا رجعة فيها أثناء العدة ولا سبيل إلى ردها إلى عصمته، إلا أن ينكحها زوج آخر ثم يقع الطلاق من الزوج الثانى فلم يراجعها أو استوفى عدد مرات الطلاق عندئذ يجوز أن تعود إلى زوجها الأول والحكمة فى تحديد عدد مرات الطلاق، وتقييدها أن تكون الطلقة الأولى محكاً وتجربة لاستمرار العلاقة الزوجية من عدمه. وأما الطلقة الثانية فهى تجربة أخرى وامتحان أخير فإن صلحت الحياة بعدها فبها ونعمت، وإذا لم تصلح الحياة بعدها فالطلقة الثالثة دليل على فساد أصيل فى هذه الحياة الزوجية لا تصلح فيه استمرار هذه العلاقة وتلك الحياة وفى جميع الأحوال لا يجوز الطلاق إلا إذا كان علاجاً أخيراً لعلة لا يجدى فيها سواه فإذا وقعت الطلقتان فإما إمساك للزوجة بمعروف واستئناف حياة هادئة وإما تسريح لها بإحسان لا عنت فيه ولا إيذاء، وهذا هو التشريع الذى يحترم العقل والواقع الذى يواجه المشكلات الزوجية التى قد تقع بين الزوجين بالحلول العملية.

الخلـــع

أما الخلع فقد شرعه الله عندما تشعر المرأة بأنه لا سبيل إلى استمرار الحياة الزوجية مع زوجها بأن أصبحت كارهة له وخشيت الوقوع فى معصية وخافت من عدم إقامة حدود الله وشرعه، وأن كراهيتها للزوج أو نفورها منه سيقودها إلى الخروج عن حدود الله فى حُسن العشرة أو العفة أو الأدب؛ فهنا يجوز لها أن تطلب الطلاق منه وأن تعوضه عن تحطيم عش الزوجية بلا سبب متعمد منه، وفى هذه الحالة ترد عليه الصداق الذى أمهرها إياه وبنفقاته التى أنفقها عليها كلها أو بعضها لتعصم نفسها من معصية الله وتعدى حدوده، وهكذا يراعى الإسلام جميع الحالات الواقعية التى تعرض للناس ويراعى مشاعر القلوب التى لا حيلة للإنسان بها. ولا يجبر الزوج زوجته على استمرار حياة تنفر منها وفى نفس الوقت لا يفقد الرجل من وراء ذلك ما أنفقه من صداق ونفقة بلا ذنب جناه، وتذكر فى هذا المقام تلك الواقعة التى حدثت على عهد رسول الله ﷺ تكشف عن مدى التقدير لمشاعر القلوب والقصد والعدل فى هذا الشرع

الحنيف وهذا المنهج الرباني القويم فقد جاء في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه: «أن حبيبة بنت سهل الأنصاري كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وأن رسول الله ﷺ خرج في الصبح فوجد حبيبة بنت سهل عند بابه في الغلس فقال رسول الله ﷺ: من هذه؟ قالت: أنا حبيبة بنت سهل. فقال: ما شأنك؟ فقالت: لا أنا ولا ثابت بن قيس (زوجها) فلما جاء زوجها ثابت بن قيس قال له رسول الله ﷺ: هذه حبيبة بنت سهل قد ذكرت ما شاء الله أن تذكر. فقالت حبيبة: يارسول الله كل ما أعطاني عندي. فقال رسول الله ﷺ: «خُذ منها». فأخذ منها وجلست في أهلها.

وروى البخاري بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن امرأة ثابت بن قيس ابن شماس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله. ما أعيب عليه في خلق ولا دين ولكن أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته»؟ وكان قد أمهرها حديقة. قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة.

وروى ابن جرير بإسناد أنه سأل عكرمة: هل كان للخلع أصل؟ قال: كان ابن عباس يقول: إن أول خُلع كان في الإسلام في أخت عبدالله بن أبيّ أنها أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبدا. إني رفعت جانب الخباء فرأيته قد أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً. فقال زوجها: يا رسول الله. إني قد أعطيتها أفضل مالي، حديقة لي، فإن ردت على حديقتي!! قال: ما تقولين؟ قالت: نعم. وإن شاء زدته. قال: ففرق بينهما.

فكل هذه الروايات تدل على أن الرسول ﷺ قد واجه هذه الحالة النفسية لتلك المرأة فقد أدرك صلوات الله وسلامه عليه أنها حالة قاهرة لا فائدة من استكارها وإجبار المرأة على دوام العشرة، ولا خير في عشرة هذه المشاعر التي يغطيها النفور والبغض.

التوجيه الإلهي للأزواج المطلقين:

فقد وجه القرآن الكريم المطلقين إلى المعروف واليُسر والحُسنى بعد الطلاق في جميع الأحوال يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٣١)

إن المعروف والجميل والحُسنى يجب أن تسيطر على جو هذه الحياة سواء أكانت الحياة مستمرة أو انفصمت عُراها ولا يجوز أن تكون نية الإيذاء أو الضرر واردة في حسابات أي من الطرفين، وهذا هو المستوى الرفيع الذي يقره الإسلام، المستوى الرفيع من السماحة وحسن المعاملة، ولا يتحقق هذا المستوى الرفيع من السماحة في حالة الانفصال، ولا ضمان إلى تحقيق ذلك إلا بعنصر الإيمان بالله واليوم الآخر، وتذكر نعمة الله في شتى صورها، ابتداء من نعمة الإيمان أسمى وأرقع النعم، إلى غير ذلك من النعم، نعمة الصحة والرزق.

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾

(النحل: ١٨)

هذا التشريع الحكيم يقصد إلى تنظيم الحياة وإقامتها على الجد والصدق والعدل.

حكم رضاع الأطفال بعد الطلاق

إن دستور الأسرة لابد أن يتضمن بياناً عن تلك العلاقة التي لا تنفصم بين الزوجين بعد الطلاق، علاقة النسل والأطفال الذي ساهم كلاهما فيه وارتبط كلاهما به، فإذا تعذرت الحياة بين الوالدين فإن الأطفال الرُضع لابد لهم من ضمانات وقد راعى التشريع الإسلامي أن تكون دقيقة مفصلة تستوفي جميع الأحوال، يقول تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

إن على الوالدة المطلقة واجباً تجاه طفلها الرضيع، واجبا قد فرضه الله عليها ولا يتركها فيه لفطرتها وهواها وعاطفتها التي قد تكون الخلافات الزوجية قد أفسدتها فيقع الضرر والغرم على هذا الصغير بغير ذنب جناه، وهنا تتدخل العناية الإلهية فيكفله ربه ويفرض له في عنق أمه حقا لابد من أدائه، فالله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأبر منهم وأرحم من آبائهم وأمهاتهم، ولهذا فإن الله تعالى يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين، لأنه سبحانه يعلم أن هذه الفترة هي المُثلى من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل، وقد أثبت العلم الحديث أن الطفل الذي يتم الرضاعة حولين كاملين من أمه تكون لديه مناعة وحصانة من كثير من الأمراض التي تصيب الأطفال في سن الرضاعة وهذا من إعجاز القرآن الكريم وبرهان ودليل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، وفي نهاية آية الرضاعة يربط الحق تبارك وتعالى الالتزام بذلك وتنفيذ شرع الله برباط إلهي، ألا وهو تقوى الله، هذا الشعور العميق اللطيف:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة: ٢٣٣)

هذا والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

واجب الأمة فى مواجهة التحديات

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

إن سبيل الأمن والسلام، والطمأنينة والاستقرار، يتمثل فى الإيمان والعمل الصالح على مستوى الأفراد والمجتمعات، والأمم والشعوب قال الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة النحل: ٩٧)

والحياة الطيبة هى الحياة الآمنة السعيدة، التى يشرق فيها الإيمان والعمل الصالح، وتنتشر فيها العدالة، وبالايمان والعدل يتحقق الأمن الذى وعد الله تعالى به فى قوله جل شأنه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الأنعام: ٨٢)

وحين يكمل الإيمان يصبح المؤمنون كالجسد الواحد، كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» رواه أحمد ومسلم.

وتتساوى دماء المؤمنين، فيتعاونون على درء أى خطر، ويكونون يداً على من سواهم، قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم» رواه أحمد وأبوداود.

الإيمان والعمل

والإيمان لا يقتصر على التصديق فحسب بل لابد مع التصديق الإقرار قولاً والعمل بالجوارح.

● ويُذكر الإيمان فى القرآن الكريم مقرونا بالعمل قال الله ـ تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

(سورة الكهف: ٣٠)

فبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ ثمرة الإيمان والعمل الصالح بأن الله ـ تعالى ـ لا يضيع أجر من أحسن عملاً بل إن له أجره الوافر وجزاءه الكامل فى الدنيا والآخرة.

● كما بين رب العزة سبحانه جزاء الإيمان والعمل الصالح فى الآخرة حيث جنات الفردوس، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾

(سورة الكهف: ١٠٧)

● وتتجلى ثمرة الإيمان والعمل الصالح بالود الذى ينعم به الإنسان والحب من ربه سبحانه وتعالى، وبالحب الذى يحظى به من الخلق وبحبه هو لربه وبحبه للناس، وبحب الله ـ تعالى ـ له يحظى بحب الملائكة وبحب البشر، كما جاء فى قول رسول الله ﷺ: «إذا أحب الله عبداً نادى: يا جبريل إنى أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى الملائكة إنى أحب فلاناً فأحبوه فتحبه الملائكة ثم يوضع له القبول فى الأرض»[1].

وبمحبة الله يصبح الإنسان فى رعاية ربه وعنايته كما جاء فى الحديث القدسى: «... ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه»[2] ويقرّر القرآن الكريم أن بلوغ هذه الدرجة من الودّ بين العبد وربه، وبينه وبين العباد يكون بالإيمان والعمل الصالح كما قال الله سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

(سورة مريم: ٩٦)

استخلاف الإنسان

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح أن يستخلف الإنسان فى الأرض، وأن يمكن الله له الدين، وأن يبدله بعد خوفه أمناً، قال سبحانه:

(١) إتحاف السادة المتقين ٨/-٣٦٠.

(٢) فتح البارى ١٠/-٤٦٢.

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾

(سورة النور: ٥٥)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الوصول إلى جنة المأوى قال الله ـ تعالى:

﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ﴾

(سورة السجدة: ١٩)

وقال سبحانه:

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾

(سورة هود: ٢٣)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح تكريم المؤمنين الصالحين بدخولهم جنات تجرى من تحتها الأنهار وبأن يحلوا فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ، ولباسهم فيها حرير قال الله ـ تعالى:

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾

(سورة الحج: ٢٣، ٢٤)

● ومن ثمرات الإيمان أن الله تعالى يدافع عن المؤمنين الصادقين في إيمانهم القائمين بالعمل الصالح وطاعة ربهم سبحانه وتعالى، قال جل شأنه:

﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾

(سورة الحج: ٣٨)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح: مغفرة الذنوب والرزق الكريم قال الله ـ تعالى:

﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾

(سورة الحج: ٥٠)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح أن يوفى الله المؤمنين أجورهم ويزيدهم من فضله، كما قال جل شأنه:

﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾

(سورة النساء: ١٧٣)

● ومن ثمرات الإيمان مع الاعتصام بالله ـ تعالى ـ أن يدخل الله المؤمنين في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً، قال الله ـ تعالى:

﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ﴾

(سورة النساء: ١٧٥)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح هداية

الله للمؤمنين طريق الخير ودخولهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، قال ـ سبحانه:

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم (٩) دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾

(سورة يونس: ٩، ١٠)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح أن يصبح المؤمنون الصالحون خير خلق الله ويكونون في مرضاة الله ـ تعالى ـ سعداء في الدارين، قال سبحانه:

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية (٧) جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه (٨) ﴾

(سورة البينة: ٧، ٨)

● ومن ثمرات الإيمان والعمل الصالح وتقوى الله ـ تعالى ـ أن الله ـ سبحانه ـ وعد المؤمنين أن يفتح عليهم بركات من السماء والأرض، وأما إن كذبوا ولم يؤمنوا فإنه يأخذهم بما كانوا يكسبون قال ـ تعالى:

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾

(سورة الأعراف: ٩٦)

الإسلام دين عالمي

● وكما أن الإيمان تصديق وعمل وإقرار، فإنه أيضاً معاملة بين الخلق بعضهم مع بعض، لأن الدين المعاملة، ومن عظمة الإسلام أنه لا يطالب أتباعه بحسن المعاملة بينهم وبين بعضهم فحسب بل يأمرهم بالمعاملة بينهم وبين غير المسلمين أيضاً، قال الله ـ تعالى:

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾

(سورة الممتحنة: ٨)

وقال ﷺ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» رواه الخطيب بإسناد حسن.

ونهى الإسلام عن ظلم غير المسلمين، أو انتقاصهم حقوقهم، أو تكليفهم فوق طاقتهم، أو أخذ شيء منهم بغير طيب نفس، فقال ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أبو داود والبيهقي.

وهكذا نرى أن الإسلام دين يدعو إلى الإيمان والعمل وحسن المعاملة مع المسلمين ومع غير المسلمين من أهل الأديان الأخرى، لأنه دين عالمي، لا يقتصر على قوم دون قوم، ولا على زمان دون زمان، ولا على مكان دون مكان، بل هو دين عالمي قال الله ـ تعالى:

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

● وكما دعا الإسلام إلى الإيمان والعمل الصالح فإنه أكد على السعي في الحياة، والعمل بكل أنواعه الزراعي والصناعي والتجاري والذهني، إلى غير ذلك من أنواع النشاط الإنساني الذي تقوى به الحياة، قال الله ـ تعالى ـ في الحث على إعداد القوة:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(سورة الأنفال: ٦٠)

وقبل آية الأمر بإعداد القوة، أشار القرآن الكريم ووجه الأمة إلى أن الكافرين أعداء الأمة الإسلامية مهما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التحدي الحضاري فلا يظنون أنهم سبقوا وأنهم تفوقوا وأنه لا أمل للمسلمين في النصر فوضح الله ـ تعالى ـ أنهم مهما تكن قوتهم، فإنهم لا يعجزون الخالق المدبر الذي يقول للشيء كن فيكون، فعلى الأمة الإسلامية أن تؤكد صلتها بالله ـ تعالى ـ وأن تعد العدة بأقصى ما يمكن قال الله تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾

(سورة الأنفال: ٥٩)

سلام القوة

وحتى لا تتكل الأمة الإسلامية على أن أعداءها لا يعجزون الله وأنه يمكن أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، حتى لا يتكل أحد على هذا كان الأمر بإعداد القوة بكل ما يستطيع المسلمون:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

(سورة الأنفال: ٦٠)

ثم وضح بعد ذلك، إذا جنح الأعداء للسلم فعلينا أن نستجيب وأن نجنح إلى السلام، ولكن الجنوح إلى السلام إنما هو من سلام من منطلق القوة، سلام له قوة تحميه، فقال الله ـ تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(سورة الأنفال: ٦١)

ثم كان التحذير من خداع الأعداء، فنبه إلى الأخذ بالأسباب وأخذ الحيطة مع التوكل على الله، فهو حسبنا ونعم الوكيل، قال الله تعالى:

﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الأنفال: ٦٢)

وإن واجب الأمة الإسلامية هو انتهاج منهج الأمن والاستقرار والأخذ بأسباب القوة.

ما نزل بلاء إلا بذنب!!

ولا يتأتى هذا إلا بالإيمان الصادق وترسيخ العقيدة الصحيحة، وتوثيق الصلة بالله قيوم السموات والأرض، وإلى جانب هذا الأخذ في الأسباب، وإعداد العدة وتوحيد الصفوف، وطي صفحة الإرهاب في كل أشكاله والتلاقي على صعيد الاستقرار ووحدة الصف وجمع الكلمة حتى تتمكن الأمة من مواجهة التحديات التي تعترض طريقها.

ولو نظرنا إلى أمتنا الإسلامية في دور تكوينها الأول لوجدنا أن رسول الله ﷺ قضى شطر الدعوة الأول في مكة المكرمة يعمل على ترسيخ العقيدة الصحيحة في قلوب المسلمين ويوحد الصفوف، وبعد هجرته كان أول ما وجه إليه هو بناء المسجد لتوثيق الصلة بالله ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتوثيق صلة المسلمين بعضهم مع بعض، ثم المعاهدة بين المسلمين وغير المسلمين في إبرام أول وثيقة لحقوق الإنسان عرفتها البشرية على ظهر الأرض صانت حقوق المسلمين وغير المسلمين وجعلت الجميع صفا واحدا في مواجهة الأعداء، حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وما أحوج أمتنا الإسلامية في هذه المرحلة إلى الأخذ بهذا المنهج الرباني الذي يأمرنا بالإيمان والعمل الصالح، والتوبة النصوح، حتى ينظر الله إلى الأمة نظرة رحمة وتأييد، فما نزل بلاء بالأمة إلا بذنب ولا يكشف عنها إلا بتوبة، وإلى جانب ذلك تضاعف الجهود في العمل والإنتاج، ومضاعفة الدخل، والعمل على إعداد القوة لمواجهة أي تحد يعترض طريق هذه الأمة.

الانتصار لدين الله

وللأمة الإسلامية في مواجهة التحديات والعدوان حالتان:

● الحالة الأولى: هي حالة القوة والكثرة والقدرة على العدو وفي هذه الحالة نهوا عن أن يضعفوا ويسالموا عدوهم الذي اعتدى عليهم وفي هذه الحالة قال الله ـ تعالى:

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

(سورة محمد: ٣٥)

● الحالة الثانية: إذا كانوا أقل من عدوهم عدداً وعُدداً جازلهم مسالمتهم كما قال الفقهاء ونماذج هذا كثيرة في مصالحة النبي ﷺ ومهادنته للكثيرين، وكما صالح قريشا عام الحديبية، وقال قبل عقد هذا الصلح: «والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها» رواه أحمد والبخاري.

ولكن عندما يقتحم العدو حمى الإسلام يصبح الجهاد فرض عين على الجميع.

من كل ما سبق ندعو أمتنا الإسلامية في كل مكان إلى الانتصار لدين الله لينصرها الله ـ تعالى كما قال جل شأنه:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾

(الحج: ٤٠)

وندعوها إلى إعداد القوة التي أمر الله بها في قوله:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

وندعوها إلى وحدة الصف التي دعا القرآن الكريم إليها في قول الله ـ سبحانه:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

وبالله التوفيق،

مع سيدات بيت النبوة:

خديجة رضى الله عنها

رفيقة المواقف الصعبة

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

من زمن بعيد أرانى أحيا مع أم المؤمنين الأولى السيدة خديجة - رضى الله عنها - التى يغنى معها الحسب عن اللقب، ويشمخ بها النسب على الرتب، وأستشعر دائما معايشتى لها، ولمسيرتها الفذة الباهرة، وسيرتها العطرة الزاهرة، كما أحرص على مطالعة ما كتب وما يكتب عنها، وتأمل ما قيل ويقال فيها فلا أجد فى هذا كله شفاء لغليل أو ريا لظامىء مما يتسق مع الطريق الطويل الحافل بالجهاد الجليل والعمل النبيل لهذه الفاضلة العظيمة منذ نشأت فى بيت أبيها «خويلد» أحد سادات قريش والذى كانت داره مثابة للناس يجدون فيها الظل الظليل والرحمة الحانية والعافية الآسية.

ومن هنا نشأت الفتاة خديجة سمحة كريمة النفس لم يبطرها الغنى، ولم يصرفها ماحولها من الخدم والحشم، ولم يلهها الجاه عن شكر الله رب كل شىء.

ثم عرفت بعد ذلك أحزان الترمل فى شرخ الشباب مرتين وذلك بعد وفاة زوجها الأول (عتيق بن عابد المخزومى) ثم رحيل زوجها الثانى (النباش بن زرارة التميمى) الذى أنجبت منه ولديه: هالة، وهندا، ثم عاشت بعد ذلك حياة اليتم والانقطاع بعد وفاة أبيها خويلد الرءوف العطوف.

بين خديجة وآمنة

ومن الموافقات التى يسميها الناس بالصدف، ويسميها الحق بالقدر أن تترسم خديجة الأم الأرملة نهج جارتها الحبيبة (آمنة بنت وهب) الأرملة الشابة التى مات زوجها عبدالله بن عبدالمطلب عن جنين فى بطنها وقفت عليه نفسها بعد ولادته دون زواج حتى فارقته وفارقت الحياة وهو لم يزل بعد فى السادسة من عمره.

وهكذا شهدت مكة تلك المشابهة المباركة فى الوفاء بين أرملة آل وهب وأرملة آل خويلد، حتى تتعرف الإنسانية على ملامح القيم الأخلاقية الرفيعة عند نساء البيوتات العربية الأصيلة النبيلة التى كانت مهيأة بعد حين لاستقبال الإسلام الحنيف، وكأن الله -سبحانه- قد أراد أن تنبت النبتة عند آمنة، ثم تتولى جارتها المحبة الوفية خديجة تعهد هذه النبتة والوقوف بجانبها تذود عنها كل أثيم وتدفع عنها كل لئيم من قريب أو من بعيد

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النور - ١٩)

كانت حياة هذه الكريمة الفضلى قبل اتصالها بمحمد ﷺ إرهاصا صادقا، وعلامة ناطقة لما ستكون عليه حياتها بعد ارتباطها بالنبى الكريم ﷺ أمينا على تجارتها، ثم شاهدا على فراستها حينما ألقى الحق -سبحانه- فى وجدانها النقى قيمة ذلك القرين المنتظر، كما ألقى -سبحانه- فى حنايا حبيبه وصفيه الموافقة والقبول فكان الزواج الذى أراده الله- عز وجل- ليكون له ما بعده فى بزوغ الحق وتفجر النور.

والنقى الترمل الأبى الوفى الوقور واليتم الزكى الندى الصبور فكان الرباط النقى التقى الذى أسفر عن زواج كونى يلد للإنسان عبر الزمان والمكان عقيدة لا تعرف الزيغ، وشريعة لا يشوبها الباطل، واستقامة لا ينال منها الاعوجاج أو الانحراف.

ولكم تشوقت البشرية لمثل ذلك الزواج بعد طول فرقة، ولكم تشوقت الإنسانية لهذه الولادة بعد طول مخاض أليم وعسير.

والمتأمل فى دقائق هذه الزيجة الفذة التى لا تظن لها نظيرا من قبل ولا من بعد، يرى حكمة الله عجبا، ولا غرو، فهو -سبحانه- الذى جعل لكل شىء سببا بحيث تنجذب المسببات إلى أسبابها، والمعلولات إلى عللها فى منظومة بصيرة ومبصرة، باهرة ومبهرة، قديرة ومقدرة، بما يستجيب مع إرادة الله- سبحانه- وميزانه الحكيم الذى ينطق بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾

(القمر - ٤٩)

شطحات الجهلاء

لقد كانت أمنا خديجة -رضى الله عنها- قد ولدت قبل مولد محمد ﷺ بخمسة عشر عاما على أرجح الأقوال [١]، وهنا يصول ويجول ويتخبط كثير من المغرضين من المستشرقين والمستغربين والجهلاء جميعا (فتشطح) [٢] بهم

(١) تقول ولدت قبله ولا تقول تكبره تمشيا مع أدب العباس -رضى الله عنه- عن النبى صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فأجاب إجابة تجمع بين اللباقة العربية والكياسة والفطنة الإسلامية فى أدب رفيع: «هو أكبر منى، وأنا ولدت قبله».

(٢) يقال شطح فى السير أو القول: تباعد واسترسل (المعجم الوسيط).



الأقوال ذات الشمال وذات الشمال (وليس أبدا ذات اليمين) محاولين النيل من الحياة المطهرة التى تحققت بمشيئة ربانية مقدرة (وأيضا مبررة) ولك أن تتصور بالإدراك البشرى المحدود لو أن خديجة- رضى الله عنها- كانت أحدث سنا من محمد ﷺ حين جاءها ذات ليلة قادما من غار حراء وقد طرأ على إهابه الشريف الفزع والذعر قائلا: (زملونى.. زملونى) أى لفونى بالغطاء، وهى -رضى الله عنها- تدرك أنه ﷺ قادم من قفار الصحراء وفيافى البيداء حول مكة المكرمة حيث يطل (الأخشبان) شاهقين على هذه الأرض الجرداء قبل أن يطرأ عليها ما نراه اليوم من تمهيد للطرق، وشق للأنفاق، وتعمير للجبال وانتشار للعمران، وإضاءة للطرقات والأجواء بأنواع شتى من الإضاءة التى تمخضت عنها (التكنولوجيا) الحديثة، أو فى عبارة وجيزة قبل أن يعى الناس قول لحق- سبحانه- عن هذا المكان

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾

(القصص - ٥٧)

كان محمد ﷺ يقطع هذه الفيافى والقفار فى صعود شاهق، وهبوط سحيق طيلة ما يقرب من أربعة كيلومترات من البيت المبارك (حيث باب النبى الآن بالمسعى الشريف بين المروتين) إلى جبل النور، ثم ناهيك بتسلق هذا الجبل الموحش الوعر الذى تتسم أحجاره وصخوره بالتنافر والنبو ومشقة الصعود، ولكن الطاقة النورانية، والقوة الإيمانية الدافعة والمتطلعة إلى الاهتداء للحق المبين والوصول إلى اليقين كانت هى الدافع القوى والحافز المتين فى إيناس مطمئن يملأ الجوانح المحمدية بالأمن دون الخوف، ويعمرها بالأمل دون اليأس.

ولقد قضت المشيئة الإلهية أن تتوالى هذه الرحلة المحمدية فى شهر رمضان المعظم حيث يقضى النبى ﷺ الليالى ذوات العدد يتحنث، ويتعبد فى طاعة وابتهال، وتقرب وامتثال.

وكانت خديجة -رضى الله عنها- تعرف ذلك المكان وذلك الزمان وتدرك أن زوجها الشاب النقى يترك فراش الزوجية فى تلك الليالى قاطعا هذه الأميال أفقيا إلى الجبل، ورأسيا إلى الغار، ليخلص إلى ما يحب من عبادة وضراعة وقنوت.

بل إنها كانت كثيرا ما تذهب إليه إذا تأخر عن موعد عودته حاملة إليه المزيد من الزاد، ومشجعة له على ما يريد [٣].

ثم إذا كنا نستوحش ذلك الطريق الذى كان وعرا قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان بالنسبة للرجل الشاب الفتى، فما هو شعورنا إذن ونحن نرى آنذاك تلك المرأة التى تجاوزت الخمسين وهى تصارع الصخور الكبار، والصغار وتشق -فى مشقة- طريقها ذلك الوعر الموحش الذى يتنادى فيه الوحش، وتتعاوى فيه الذئاب، وتصفر فيه الحيات، وتنتشر فيه الحشرات بين زاحف ومحلق؟

ألا ندرك عندئذ أن هناك أيضا طاقة هائلة كانت تدفع خديجة الشجاعة الجسور إلى تخطى هذه الصعاب، وخوض هذه الأهوال؟ وألست معى أن هذه الطاقة تتجمع عناصرها جميعا لتمثل الحب الرحيم للحبيب الكريم الذى تستشف بحدسها الصادق أنه لذو شأن عظيم وأى شأن؟ [٤].

ألا تتساءل عقولنا: لو أن خديجة حينذاك كانت أحدث سنا من محمد ﷺ حين قدم إليها من الغار فى خوف وفزع بعد لقائه الأول بجبريل -عليه السلام- وهو الموقف الذى لم يكن له عهد به من قبل وعبر لها عن خوفه على نفسه من أن يكون الأمر فيه شيطان، فكيف كانت الفتاة الأحدث سنا ستستقبله.

ألم يكن من المتوقع منها -فى لغة الفتاة المدللة الرعناء الطائشة- أن تواجهه بالصوت العريض والمعنى المريض: «أين كنت؟ ألا فلتعد إلى شياطين الجبل الذين كنت معهم» إلى غير ذلك، مما ينطق به الفكر السطحى، والوجدان المتخبط، والسلوكيات الهوجاء!!!

رفيقة ليلة القدر

ولكن خديجة ذات الرجاحة والحنكة من جانب، وذات القلب الحانى والضمير الواعى من جانب آخر، لقيت زوجها فى روعه فهدأت منه، وخففت عنه، وعبر لسانها الطاهر عما يجيش بالقلب الرقيق من حب عميق، عما فى العقل الراجح من نهج ناجح، فبادرته بالقول: «الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون

(٣) قيل وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه أن الكعك والزيت يبقى المدة الطويلة فيمكث جميع الشهر الذى يختلى فيه (من السيرة الحلبية جـ١).

(٤) يروى أن خديجة- رضى الله عنها- رأت فى نومها كما لو كانت الشمس قد هبطت فى بيتها ثم انتشرت منه إلى كافة الأنحاء وعندما قصت رؤياها على ابن عمها ورقة بشرها بأنها ستتزوج نبيا تطبق عقيدته الآفاق.

نبى هذه الأمة»، ثم أخذت -رضى الله عنها- بالأسباب التى يأخذ بها الدين، ويتعلق بها العلم (الآن) فصحبته ـ كما نعرف ـ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل[٤] لعلها تجد لديه تفسير ما كان، غير أن الزوجة المخلصة ذات الشفافية الخالصة توقعت قبل أن ينطق ورقة بكلمة أن زوجها الصادق الأمين على الحق وأنه ذو شأن عظيم، فالمقدمات التى عرفتها عنه ولمستها فيه طيلة خمسة عشر عاما من سلوك فريد وخلق سديد لا شك مؤدية إلى النتيجة التى تنشأ عنها وتتسق معها دون تناقض أو تضاد فأخذت تناجيه «كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل (تنفق على الضعيف)، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق».

وفى هذا أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة- رضى الله عنها- وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها.[٦]

وقد كان.. فإذا بورقة وهو الذى هجر ملل الجاهلية فتنصر يبادر محمدا ﷺ بقوله: يا ابن اخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: «هذا الناموس[٧] الذى أنزل على موسى، ياليتنى فيها جذعا (شابا قويا) حين يخرجك قومك» قال رسول الله ﷺ: «أو مخرجى هم»؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا عودى[٨] وإن أدركت يومك أنصرك نصرا مؤزرا» وفى بعض الروايات أن خديجة -رضى الله عنها- قبل أن تذهب إلى ورقة ذهبت إلى «عداس» وكان نصرانيا من أهل نينوى «قرية سيدنا يونس -عليه السلام» فقالت: يا عداس أذكرك الله إلا ما أخبرتنى، هل عندكم علم من جبريل؟ فقال عداس: قدوس قدوس، ما شأن جبريل أن يذكر بهذه الأرض التى أهلها أهل أوثان؟ فقالت: أخبرنى بعلمك فيه، قال: «هو أمين الله بينه وبين النبيين».[٩]


العقاد

ولئن دل هذا على شىء فإنما يدل على قلق[١٠] خديجة على زوجها الحبيب واحتفالها بشأنه، واهتمامها بحاله، فهى تنتقل من «عداس» إلى «ورقة» أملا فى أن تقر عينها بالخير الذى ينتظر الصادق الأمين ﷺ ولاسيما عندما

(٤) ابن عم خديجة يجتمعان فى (أسد)، وكان قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد ذهب بصره، وقيل إنه كان يشجع بلالا -رضى الله عنه- على تحمل التعذيب قائلا له: (أحد.. أحد.. يا بلال) فيكله عنه المشرك أمية بن خلف.

(٦) من شرح صحيح مسلم، ومن دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى.

(٧) إن موسى هو صاحب سر الخير ويقال: إن جبريل عليه السلام سمى بالناموس لأن الله تعالى خصه بالغيب والوحى.

(٨) قد نطق بذلك القرآن الكريم قال تعالى فى سورة إبراهيم «وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا» (إبراهيم ـ ١٣) (كتاب سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى).

(٩) السيرة الحلبية.

(١٠) القلق فى علم النفس هو أحد الانفعالات (الشاقة) أى التى تشتق من حال المرء فى موقف معين.

كانت تذكر بمكة بعض البشريات بين حين وآخر بنبى جديد يتحدث عنه أهل الكتاب.

فقد ذكر ابن إسحاق أنه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمعن يوما فجاءهن يهودى وقال: «يامعشر نساء قريش إنه يوشك فيكن نبى قرب وجوده، فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل»، فحصبته النساء (أى رمينه بالحصباء) وقبحنه وأغلظن له، وأغضت خديجة على قوله، ووقع فى نفسها، فلما أخبرها (ميسرة) بما رآه من الآيات (عندما كان يصاحب محمد ﷺ فى تجارتها) قالت: إن كان ما قاله اليهودى حقا ما ذاك إلا هذا».[١١]

مفتاح شخصية خديجة

ومن المأثور عن عملاق الفكر المعاصر «عباس محمود العقاد» أنه كان حريصا فى ترجماته للقيادات الإسلامية فيما يعرف (بالعبقريات) على تحليل كل شخصية للتنقيب عما أسماه (مفتاح الشخصية) أى المحور الذى تدور حوله شخصية المرء، والذى من خلاله يمكن تفسير كل ما يصدر عنه من فكر وسلوك، بل والتنبؤ بما يمكن أن يصدر عن المرء من الفكر والسلوك فى مختلف المواقف والأحوال.[١٢]

فإذا كلفنا بهذا «النهج العقادى» المستنير وحاولنا اصطناعه فى التعرف على «مفتاح الشخصية» ونحن نعايش سيرة ومسيرة أمنا الرائدة والرائعة «خديجة» -رضى الله عنها- أمكننا أن نهتدى بتوفيق من الله إلى أن مفتاح هذه الشخصية الغنية النادرة هو ما يعرف «باستبصار الذات».

و«الاستبصار» هو ضرب من المعرفة الإنسانية يعلو على مستوى المعرفة الحسية بل والعقلية إلى مستوى اختراق الحجب الداكنة التى تطمس الحقيقة أو على أفضل تقدير تغيرها أو تضع عليها طبقة من الطلاء والألوان.

وهكذا نرى أن كلمة «الاستبصار» مشتقة من «البصيرة» Insight التى يتحلى بها من يقال عنه إنه امرؤ بصير، أى فطن يتعمق المسائل بعيدا عن السذاجة والسطحية والتعجل فى الأمور، ويطلق الفلاسفة والمناطقة على البصيرة كلمة (الحدس) intuition ويقولون إنه هو الإدراك المفاجىء والمباشر لأمر ما دون حاجة إلى استدلال وذلك بما يشبه الإلهام inspiration.

وقد قيل إن (الحدس القلبى) هو الذى نقل حجة الإسلام الغزالى- رحمه الله- من ضلال الشك إلى نور اليقين حين قال فى سيرته الذاتية أنه عرف الحق «بنور قذفه الله فى قلبه» دون حاجة إلى دليل أو برهان فذاق فعرف وكذلك يقول الغزالى: (من ذاق عرف)[١٣] ولذا يقال إن هذا هو طريق (أهل الذوق).

(١١) السيرة الحلبية.

(١٢) يقول العقاد فى (عبقرية الصديق) «إن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التى تفتح لنا أبوابها وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت فى كثير من المشابه والأغراض، فيكون البيت كالحصن المغلق ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التى قد تحملها فى أصغر جيب، فإذا عالجته بها فلا حصن ولا إغلاق».

(١٣) المنقذ من الضلال، للإمام الغزالى.

وهكذا يمكننا أن نطمئن إلى القول بأن مفتاح الشخصية فى تأملاتنا فى سيرة السيدة خديجة -رضى الله عنها- هو «استبصار الذات» أى إدراكها- رضى الله عنها- لذاتها إدراكا مباشرا وعميقا وصادقا يرتقى إلى مراتب النورانية والبداهة واليقين.

لقد عرفت -رضى الله عنها- ذاتها فلم يطغها المال، ولم يلهها السمت، و الجمال فى عصر كان المال فيه هو سيد الرجال حيث قال شاعرهم «أذل الحرص أعناق الرجال»، وكان الجمال فيه محط الأنظار ومطمع السادة والكبار، وعرفت -رضى الله عنها- ذاتها فلم تأبه للخاطبين من وجوه قومها وكثير ما هم، و كان لها فى جارتها «آمنة بنت وهب» المثال القيم والقيمة المثلى للأرملة الشابة الصامدة فوجدت نفسها فيها كما يقال وحذت حذوها فى التعقل والاصطبار وكأنها كانت -ببصيرتها النفاذة، وعبقريتها الأخاذة قد ألهمت أن محمداً ﷺ سيكون الحلقة النورانية بينها وبين آمنة فتصبح آمنة بنسبه أعظم الأمهات وتصبح خديجة بنسبه أعظم الزوجات، ذلك لأنه ﷺ أعظم الأنبياء والخلق أجمعين.

زواج على نهج علمى

ولئن كلف المعاصرون بالمنهج العلمى فنادوا به شعارا للفكر وتطبيقا فى السلوك فليت هؤلاء يدركون أن هذا الأسلوب كان دائما سمة ظاهرة فى الفطرة العربية وفى الهداية الإسلامية.

إذ ليس المنهج العلمى هو مجرد تقنيات ومختبرات ثم خواء فى الفكر وتخبط فى السلوك وتدبير للشر وتدمير للحياة، وإنما هو أولا وأخيرا ينبغى أن يكون منهج بناء وعمران لا يمثل فى مسار الحضارة مجرد طلاء خارجى جذاب وكذاب، وإنما هو فى البناء صميم القواعد والأساس.

ولقد كان الأساس العلمى هو الخيط الذى انتظمت فيه خطوات الزوجية التى ربطت بين نبى الإسلام وأول من صدق به دون أن تغفل الإطار الإلهى المُريد الذى أحاط بهذه الخطوات المقدسة من قبل ومن بعد.

أليس من خطوات الأسلوب العلمى أن يبدأ المرء بملاحظات وتجارب وغيرها إلى أن يصل إلى النتائج التى تتسق مع هذه التجارب والملاحظات؟

وهل فعل محمد ﷺ وخديجة -رضى الله عنها- غير ذلك إبان فترة التعارف العملى والتعامل الميدانى بينهما؟

لقد أجرت خديجة من خلال غلامها (ميسرة) تجربتها المصيرية مع الزوج المنتظر، فأكثرت من سؤالها عن شخصية محمد ﷺ وصحبته، ومعاملاته وأخلاقياته فى السفر والتجارة إذ ليس مثل السفر والتجارة محك للكشف عن معادن الرفقاء حيث تحمل المشاق واختيار الرفيق، وأمانة العرض، وصدق القول، والنأى بالنفس عن الجشع والكذب والاستغلال، والتحلى بالسماحة فى البيع والشراء والاقتضاء.

وكشفت فراسة خديجة وشفافيتها وذكاؤها فى هذا السياق عن التزامها بفحوى حديثين شريفين لم يكونا قد ظهرا بعد وهما:

- «رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى».[14]

- «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض».[15]

وأى خلق ودين أفضل مما يتحلى به صاحب تجارتها وأمين معاملاتها؟ لقد بهرها أن هذا الشاب القرشى لم يسجد لصنم قط، وأن كبراء القبائل وساداتها يلجأون إلى خلقه الرشيد وفكره السديد كلما حزبهم أمر وحيرهم هم، فإذا به ييسر لهم ما تعسر عليهم، ويفتح أمامهم ما أغلق دونهم فى سهولة ويسر وتواضع دون كبر وكأنه -أمامهم- يشرق فى جوانحه الإلهام فيكون على يديه الفتح، وقد كان فعلا كذلك.

وراق ذلك كله لصاحبة الجلال المهيب والجمال الوقور[16] لأنها كانت تحظى بالحظ الأوفى من الوجدان الدينى الطاهر دفعها- بفكرها الصائب -إلى مشورة ابن عمها المؤمن خير من يرشدها عن موقف محمد ﷺ حين عودته فزعا مذعورا من الغار السامق البعيد.

لقد أدت هذه المشاهدات العملية والتجارب الميدانية من الطرفين إلى التجاذب الروحى والنفسى بينهما مما غرس لدى كل منهما الأمل فصدقه من الله العمل، وكان الزواج المبارك المشهود الذى كان -فيما بعد- من الدعائم المتينة التى أراد الحق- سبحانه- أن تساند مطلع الدين الجديد بقوة الترابط بين الزوجين على أساس من «المودة والرحمة والسكن»[17] التى هى المعيار الإلهى الذى جعله بارىء البشر أساسا للزواج الصادق الذى يظل ينبض به القلب، وتحلق به الروح ولو بعد الرحيل.

وهكذا توارت فى هذا الزواج المحمدى معايير المال والجاه والسلطان والوجاهة والمظهرية، وتجلت مكانها معايير الخلق والاستقامة وحسن السمعة وسلامة السيرة ونقاء السريرة، ومن ثمة قام البيت على أساس راسخ ليكون المثال الرائع للبيت الذى يقوم بنيانه على تقوى من الله فلا تقربه شياطين الإنس ولا شياطين الجن مهما عصفت الأنواء وكاد الأعداء.

وصدق البارىء سبحانه

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾

(التوبة-١٠٩)

ولعل المشيئة الإلهية قد قضت بأن تتم هذه الزيجة المطهرة حتى يكون من مبررات نجاح الدعوة فى مولدها أن تبادر سيدة بنى خويلد ذات الحسب والجاه والجمال إلى الإيمان بها فى مواجهة الكافرات المشركات من أمثال (أم جميل بنت حرب) زوجة أبى لهب التى وإن تمتعت بالحسب والجاه والجمال إلا أنها حرمت رجاحة العقل، ونور البصيرة ودماثة الخلق وضبط

(١٤) عن جابر: الجامع الصغير للسيوطى.

(١٥) عن أبى هريرة: الجامع الصغير للسيوطى.

(١٦) يروى أنها -رضى الله عنها- كانت أجمل نساء مكة.

(١٧) ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم - ٢١).

اللسان واتزان الجنان حتى وصمت فى القرآن الكريم «بحمالة الحطب»[١٨] وكذلك من أمثال (هند بنت عتبة) زوجة أبى سفيان التى لم يمنعها حسبها ونسبها من التصرف الطائش والسلوك الأعمى، والحمق البغيض حين كانت تشعل أوار الحروب ضد الداعين إلى عقيدة الحق ونور الإسلام والمدافعين عنها حتى سافها سفهها ومروقها وحقدها (قبل أن تهتدى) إلى تحريض (وحشى) على قتل أبى الشهداء حمزة بن عبدالمطلب كما هو معروف فى «غزوة أحد» لتبقر جوفه الطاهر وتخرج كبده النابض وتلوكه فى غل وحشى أحمق مقيت.

ومن هنا كانت مبادرة السيدة خديجة -رضى الله عنها- إلى الإيمان بدين الفطرة الحنيف إشارة إلى أن الإسلام يجتذب من النساء أصفاهن روحا، وأنبلهن خلقا، وأدقهن حسا وأعدلهن حكما على الأشياء، وإن اتفقت الكثيرات فى الوجاهة والثراء وأرومة الانتماء.

وكذلك حتى يكون من مبررات هذه الزيجة المثالية المطهرة إشارة ناطقة إلى أن من القيم الإسلامية غلبة جاذبية النفس على جاذبية الجنس مع تقدير الإسلام للفطرة الجنسية التى هى من خلق الله -سبحانه[١٩]- على أن يكون ترتيب الأولويات فى الحسبان تحقيقا للعمران، وحتى لا تضطرب كفتا الميزان، وحتى تتحقق الوسطية والاعتدال فى تكامل واكتمال.

وكم حاول هواة (أفعل التفضيل) ومناطقة القضايا الشرطية (إما.. أو) أن يضعوا خديجة أولى المؤمنين والمؤمنات، وعائشة بنت الصديق فى كفتى ميزان فيرجح بعضهم إحدى الكفتين على الأخرى، حتى لقد ذهب بعضهم إلى تفضيل فاطمة[٢٠] بنت خديجة على أمها -رضى الله عنهن جميعا- وكان ينبغى على هؤلاء وعلينا أيضا نحتكم إلى الحديث الشريف الحاسم الحازم الذى وضع خديجة -رضى الله عنها- فى المكان الذى أراده لها الله ورسوله وذلك فى الحديث الذى روى عن عائشة -رضى الله عنها- إذ قالت: «كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام فأخذتنى الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها؟ فغضب ثم قال: «والله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء» قالت عائشة: فقلت فى نفسى: «لا أذكرها بعدها بسيئة أبدا»[٢١].

فتأمل هذه المبررات المحمدية لتقريظ خديجة -رضى الله عنها- إنه زوج لا يطلق القول أمام زوجته جزافا -وحاشاه- ليكيد لها أو يثير غيرتها، ولكنه -وهو المربى العظيم- يربى الزوجات والأزواج عبر العصور والأجيال من خلال هذا الموقف وأمثاله فى أدب لا ينطق عن الهوى، وتربية تسرى فى الكيان مسرى الروح وليس مسرى الدم، وذلك مماحدا «بالحميراء»[٢٢] -رضى الله عنها- وهى ابنة صديق مسراه ومعراجه ورفيق هجرته ومنهاجه- أن تناجى نفسها بما يشبه الاعتذار لروح خديجة، وبما يمثل الاعتراف بدورها العظيم فى مسيرة الرسالة، والرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة.

وقد دعم مناجاة عائشة -رضى الله عنها- لنفسها أنها كانت تذكر دائما أن الرسول ﷺ -كما جاء فى الصحيح- كان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة» تقول عائشة -رضى الله عنها- «فذكرت له يوما» فقال: «إنى لأحب حبيبها»[٢٣] فلله ما أبلغ التأكيد النبوى وما أدق أدواته المؤكدة التى تجيش فيها مشاعر الوفاء وينتشر منها أسطع السنا، وأصدق الثناء.

وعن أنس رضى الله تعالى عنه- قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بالشىء يقول: «اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة خديجة»[٢٤].

وعن عائشة -رضى الله تعالى عنها- قالت: «كانت عجوز تأتى النبى ﷺ فيبش لها ويكرمها (وفى لفظ) كانت تأتى النبى ﷺ امرأة فقلت يارسول الله: من هذه؟ (وفى لفظ) فلما خرجت قلت: يارسول الله ﷺ: «تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «ياعائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان (وفى لفظ) فإن كرم العهد من الإيمان»[٢٥].

ومن دلائل عظمة عائشة -رضى الله عنها- أنها هى التى روت هذه الأحاديث فى موضوعية ونزاهة، وهى الأحاديث التى تجلى قدر خديجة عند النبى ﷺ وذلك دون أن يستقر فى نفس عائشة شىء من الغرض أو المرض، و لا غرو فعائشة هى ربيبة «الصديق» صاحب السبق إلى الحق فسمعت من أبيها- رضى الله عنه- ووعت عنه من هو محمد ﷺ وما هو الإسلام، (فالغيرة لم تكن لتتغلغل إلى أعماقها بل كانت تقف عند الحدود التى تقضى به قواعد الدين والعدل)[٢٦].

وما أروعه من حشد عظيم يزاحم بعضه بعضا من القيم الفضلى والمثل العليا يتسق فيه عظمة الوفاء وحفظ العاشرة، وذكر الجميل، وصدق الوعد والتمسك بالعهد وغير هذا

---

(١٨) سورة المسد - أى المرأة النمامة الواشية التى تؤجج النار بين الناس بنميمتها كأنها تحمل الحطب لتحرق ما بينهم من صلات - (الشيخ محمد عبده فى تفسير جزء عم).

(١٩) «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات - ١٣).

(٢٠) لعل خديجة -رضى الله عنها- قد أطلقت اسم فاطمة على ابنتها (أم الحسن والحسين) إحياء لذكرى أمها التى كانت تدعى فاطمة أيضا.

(٢١) أخرجه أبوعمر فى الاستيعاب.

(٢٢) الحميراء هى الصفة التى أطلقها النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة -رضى الله عنها- عندما قال: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء».

(٢٣) أخرجه البخارى ومسلم.

(٢٤) رواه الطبرانى فى الكبير.

(٢٥) رواه الحاكم فى المستدرك.

(٢٦) د. عائشة عبدالرحمن: سيدات بيت النبوة.

وذاك من المعانى الرفيعة التى إن قالها نبى أو رسول فلا يقولها إلا محمد ﷺ خلاصة الأنبياء وصفوة الرسل.

نعم: لقد قدمت خديجة قبل رحيلها تراثا عبقريا من الخلق الرفيع والسلوك النبيع وضعته بين يدى الصادق الأمين ﷺ فظلت تحيا معه، وتحيا معها حتى بعد أن رقدت فى مرقدها الطاهر بين مقابر (المعلا) بالحجون فى مكة المكرمة. ولقد كان من الغريب على البسطاء من أمثالنا ولكنه من الطبيعى على محمد ﷺ أن يبادر عند فتح مكة المكرمة إلى زيارة قبر خديجة بعد أن حيا البيت الحرام بالطواف وكأنه يناجيها وتناجيه، وتشد على يده (أن الله قد نصرك) وتذكره بقولها له فى ليلة القدر الأولى: «لا والله لا يخزيك الله أبدا» فتبرز فى الذاكرة المحمدية الحية الناصعة كم كانت خديجة تعظمه، وتصدق حديثه قبل البعثة وبعده، ويذكر ابن إسحاق (كان عليه الصلاة والسلام لا يسمع شيئا من رد عليه أو تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت).[٣٧]

وحسبنا أن نعلم أن من كلماتها المودعة لرفيق الدنيا والآخرة وهو يتلقاها على صدره الرحب الشريف: «ما أشق الفراق».. ذلك فقط ما كان يعنيها وهى فى لحظاتها الأخيرة، فراق محمد ﷺ الزوج المثالى، والإنسان المثالى، ولعلها كانت آنذاك تعول همه بعدها مما سيلقاه من عنت الشرك والمشركين دون أن تملك حينذاك أى دور فى مواصلة مؤازرته والوقوف بجانبه إذ يخرجه قومه كما أخبر بذلك ابن عمها ورقة.

ولكن يبدو أنها ارتضت طى هذه الصفحة الصعبة التى عاصرتها، إيمانا منها بأن نصر الله سيتوج بقية الصفحات القادمة بحلوها ومرها والتى ستزدان فى النهاية بنصر الله والفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا.

وذلك إرهاص المؤمنين وشفافية الموقنين وفى مقدمتهم السباقة إلى الحق التواقة إلى اليقين خديجة- رضى الله عنها-

وبعد فإن سيرة خديجة -رضى الله عنها- ليست مجرد حكاية تحكى للاستماع أو رواية تروى للاستمتاع ولكنها مواقف سلوكية يتأسى بها ونماذج تربوية تترسم خطاها، وخطاب مباشر من خديجة لنساء هذا العصر وكل عصر وزوجات هذا الزمان وكل زمان اللواتى تقوم عليهن الأسر وتبنى بهن البيوت وتشيد بجهدهن الأجيال وترفع بهن عماد المجتمعات.

ونحن لا نقول: إن وراء كل عظيم امرأة بل نقول كمسلمين أن وراء كل زوج زوجة تدفعه إلى الأمام وتمنعه من الزلل وتبعده عن الخطأ.

إن التربية الواعية التى لقيتها خديجة وهى فى بيت أبيها، والمسئولية العملية التى تجشمتها خديجة وهى تتصدى للمجتمع

(٣٧) بعض ما ذكره ابن اسحاق رواه النسائى والحاكم وابن حبان.

كصاحبة تجارة وغير ذلك من العوامل الخاصة والعامة كان لها الدور الفعال فى تكامل هذه الشخصية الفذة مما انعكس بدوره على حسن اختيارها للزوج وتفانيها فى الوفاء له، والوقوف بجانبه فى الشدائد حتى الرمق الأخير وذلك كله فى إطار من توفيق الله الذى يتوج النوايا العملية الصادقة.

وليس النوايا العشوائية الكاذبة، مصداقا لقول نبيه ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى.. الحديث».[٢٨]

ولئن قال هنا قائل: لكن أين دور الزوج؟ قلنا: إن القرآن الكريم قد تولى عنا الإجابة كشأن الذكر الحكيم الذى يرسم لنا الطريق، ويوضح أمامنا السبيل كلما حزبنا الأمر أو تاه الفكر، فيقول الله -عز وجل-:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾

(الأحزاب ـ ٢١)

فهو ﷺ أسوتنا زوجا وأسوتنا معلما، وأسوتنا داعيا، وأسوتنا صديقا، وأسوتنا فى كافة الأمور والأحوال.

ومن هنا كان على الرجل الذى يريد أن تكون له القوامة فعلا، وأن يكون مسئولا عما كلفه الله به أن يتأسى برسول الله ﷺ فى أسرته زوجا وأبا وهكذا.. «فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته... الحديث»[٢٩] وصدق رسول الله ﷺ وهو القائل: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم»[٣٠] إنه عليه السلام خيرنا، لأهله لأنه هو الأسوة الحسنة لنا. فالبناء الأسرى كأى بناء يقوم على التكامل بين لبناته، والتساند بين أجزائه وكم من مبان هدمت لأنها فقدت التكامل بين مكوناتها فبدلا من أن تتماسك الجدر تفككت وانحلت حتى انهارت.

وكذلك التكامل بين الزوج والزوجة فى الفكر والمعاملة والتعاون والمودة والرحمة كل ذلك هو قوام الأسرة التى تريد أن تقوم ولاتريد أن تنقض. أما الشد والجذب لأتفه الأسباب، وأما التمسك بالاستقلالية الحادة بين الزوجين، وتفضيل المظهر المتغير الزائل على الجوهر الثابت الدائم وغير ذلك من توافه الأشياء وسفاسف الأمور فإن هذا لايرضى الله ولا يرضى رسوله ﷺ ولا الصامدة الرائدة خديجة- رضى الله عنها- التى قال فيها القائل[٣١]:

ذكرت خديجة زوجا أثما
تذود عن النبى أذى وهما
ترعى حبه زوجا وأما
فنعم السبق فى دنيا ودين

(٢٨) كتاب الأذكار النووى.
(٢٩) عن ابن عمر (الجامع الصغير السيوطى).
(٣٠) عن عائشة- رضى الله عنها- (الجامع الصغير للسيوطى).
(٣١) من قصيدة الكاتب المقال.

الدعوة بين التكريس والبناء

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى بسنده عن أنس -رضى الله عنه- قال: كان غلام يهودى يخدم النبى ـ ﷺ ـ فمرض فأتاه النبى ـ ﷺ ـ يعوده. فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه - وهو عنده - فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم فخرج النبى ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذى أنقذه من النار(1)

مدخل

كانت المرأة فى الجاهلية لا يعيش لها ولد فتُلزِم نفسها: إن جاءها ولد أن تهوده ليعيش. فلما أجليت «بنو النضير» كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا.. فأنزل الله ـ تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وقال ـ ﷺ ـ لما نزلت:

«قد خير الله أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم. وإن اختاروهم فهم منهم»(2).

ومعنى هذا أن قضية الإيمان والكفر بيد الإنسان وحده.. فى إطار من مشيئته ـ سبحانه ـ..

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾

(الكهف: ٢٩)

وهؤلاء الأبناء الذين تهودوا تحت إشراف آبائهم وأمهاتهم لهم الخيار.. فإن شاءوا ظلوا يهودا.. أو عادوا إلى قواعدهم سالمين.. فلا إكراه فى الدين.

وظيفة الرسول ﷺ

ولقد كانت وظيفته ـ ﷺ ـ قائمة على هذا الأساس: كان يبين للناس ما نزل إليهم.. جاعلاً من نفسه قدوة حسنة تملأ وعيهم.. وهذا هو البلاغ الذى تنتهى به مهمته.. ليكون قرار الإيمان بعد ذلك من صنع الإنسان.. وبمحض اختياره.

ذلك بأن الإيمان إذعان النفس من الداخل.. وهو سر بين العبد وربه ـ سبحانه ـ.. ومن المستحيل أن يفرض الإذعان بالقوة. فلا سبيل لأحد إليه ولا سلطان لجبار عليه!

وإذا كان للمعجزات المادية قبل الإسلام سلطانها فى مخاطبة الحواس.. حيث لم يكن العقل الإنسانى حينئذ قد بلغ رشده.. فقد واجه الإسلام عقولاً راشدة.. فتعامل معها.. بالكلمة الهادية.. والقدوة البانية.. فربى أمماً.. وصاغ رجالاً.

وقد مارست الدولة الرومانية ألواناً من الضغط ضد قلة اعتنقت المسيحية فلما دخل الإمبراطور قسطنطين المسيحية.. بدأت حملة الإرهاب لفرض المسيحية بالقوة. بل إن الدولة باشرت الإرهاب حتى ضد قلة من المسيحيين لم يكونوا مع الدولة وخالفوها فى تصور طبيعة المسيح ـ عليه السلام ـ وكان فشلها الذريع برهانا على أن العقائد لا تفرض بقوة السلاح، وأن حرية الاعتقاد حق أساسى من حقوق الإنسان، فحرمانه منها سلب لكرامته وإهدار لآدميته. ومن هنا جاء قوله ـ تعالى:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

يمثل قاعدة ذهبية.. تجعل من حرية الإنسان بديهة من البداهة لا تحتمل المناقشة.

ولأن يتخبط الإنسان فى الظلمات مستقلاً برأيه خير ألف مرة من أن يمضى معصوب العينين خلف كل ناعق.

إن ركوب الخطأ عن رأى الإنسان وتقديره غير المدخول عليه بإكراه أو خداع أو تضليل ـ هو خير من الانقياد للصواب عن قهر وقسر. وعن تمويه وتلبيس، إذ الأول يسير عليه ومعه عقله وتفكيره، وليس ببعيد أن يلتقى يوماً بالصواب الذى ضل عنه. أما الآخر فهو يسير بلا عقل ولا تفكير.. ويسير بعقل غيره وتفكير غيره، وليس ببعيد أن يلتفت يوماً فلا يجد من أعاره عقله وتفكيره. فإذا هو كتلة خامدة أو تمثال من لحم ودم لا حياة فيه ولا معقول له، إن الأول مصر يتخبط فى الظلام. ولكنه إذا رأى النور أبصر واهتدى واستقام على سواء السبيل. أما الآخر: فهو أعمى يقاد لكل يد تمتد إليه. ومن ينصح له ويهديه. فإنه لن يمتنع عن الانقياد لمن يمكر به ويضله وهل يمكن لأعمى أن يأخذ طريقاً غير

(1) فتح البارى، ج ٣، كتاب الجنائز.

(2) سنن البيهقى ج٩ ص١٨٦.

طريق من يقوده ويمسك بيده(٢).؟!

فى مجال التطبيق

والحديث الشريف الذى نحن بصدد التعليق عليه صورة مشرقة تشكل منهجاً عملياً فى الدعوة ينبغى أن يحتذى.

لقد كان ـ ﷺ ـ حريصاً على إسلام قومه إلى حد يظن من يراه أنه قاتل نفسه هما.. حرصاً عليهم ورأفة بهم، وذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(الشعراء: ٣)

ولاشك أن حرصه على إسلام غلامه اليهودى كان أقوى.. وفاء بحق العشرة الدائمة.. وإنقاذاً لنفس تقاسمه بأساء الحياة وضراءها..

ولنا أن نقول أيضاً: إن خبثاء الدين قالوا لما ضلت ناقة الرسول: يزعم محمد أنه يأتى بخبر السماء. ثم هو لا يعرف أين ضلت ناقته؟!

هؤلاء الخبثاء ربما قالوا: هذا الذى يزعم أنه جاء بالهدى.. لم يستطع أن يهدى غلاماً سلس القياد سهل القبول!

القدوة تتحدث عن نفسها

إن محمداً ﷺ سيد البيت «وولى نعمة الخادم اليهودى» وكان المتوقع أن يستغل سلطته لفرض دعوته محققاً بذلك أملاً يراوده بالليل والنهار.

ومع قدرته ﷺ على الضغط ومشروعية رغبته الملحة فى إسلام الفتى إلا أنه لم يسمح لنفسه أن يلوى عنقه إلى الحق.. منطلقاً فى ذلك من قاعدة قرآنية تقول:

﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾

(الشعراء: ٤)

فلم يشأ سبحانه أن يفرض الإيمان بالقوة..

وكذلك فعل الرسول ﷺ حين استبعد القوة من قاموس الدعوة. لتكون للقدوة داخل البيت دورها فى تشكيل عقل الغلام اليهودى ووجدانه.

ماذا يرى الغلام؟

إنه مع سيد البيت ﷺ على مائدة واحدة! يأكل مما يأكل.. ويلبس مما يلبس.. يتعاونان معاً على إنجاز مصالح البيت:

يكلفه بما يطيق.. فإن عجز ساعده.. لا يقول لشىء صنعه: لم صنعته..؟ ولاشىء تركه: لم تركته..؟

ويتحرك الغلام داخل بيت النبوة بلا حساسية مفوضاً من قبله ﷺ.

لذلك توافرت فرصة الهداية والتوفيق. وهذا وده ﷺ يبلغ مداه حين يمرض الفتى.. فماذا حدث؟ لقد ذهب إليه بنفسه.

ولاشك أن لهذا الذى رآه الفتى تأثيره

(٢) عبدالكريم الخطيب. التفسير القرآنى: ج ٢/ ٢١٩.

القوى إلى حد وضعه على مشارف الإيمان فلما وافت ساعة الصفر.. كان مستعداً لهذا الإيمان.

بين التكريس والبناء

يحرص «الانتخابيون» من الناس على وفرة الأعداد المرتبطة بهم ضماناً للنجاح المأمون فى المعركة الانتخابية..

لا يهم إن كان هؤلاء التابعون رجالاً.. أو كانوا ظلالاً! ولكن الرسول الأعظم يتصرف طبق منهج آخر: كان ﷺ يريد رجالاً:

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الفتح: ٢٩)

يحمل أحدهم روحه على كفه رخيصة. وهب هذه الروح ليرثها.. ليبقى الحق من بعده أبداً.. لم يكن يهمه الكم بقدر ما أهمه الكيف.

من أجل ذلك لم يفرض الإيمان على غلامه اليهودى راجياً أن يزداد الطابور واحداً. وإنما كانت له خطته الرامية إلى أن يأتيه طائعاً: من الداخل. حتى إذا اقتنع بالتوحيد ديناً رصد نفسه من أجل ذلك التوحيد.. وبدا الموحدون للأعين بناء مرصوصاً على تقوى من الله ورضوان.. غير قابل للهدم.

لقد استأذنه بعض المشركين فى تأجيل إسلامه شهرين.. فأجله أربعة أشهر.

ولقد كان العباس فى بيعة العقبة الثانية يأخذ العهد على ثلاثة وسبعين من الرجال.. واثنتين من النساء.. وكان العدد كبيراً يغرى بالتساهل لكن العباس سألهم عن مدى استعدادهم لنصرته.. فإن استطاعوا فبها، وإلا فلا عهد بينهم، من حيث كان محمد فى عزة من قومه ومنعة.

وكان موقف العباس منسجماً مع منهج الرسول ﷺ فى الدعوة التى تصوغ الرجال.. ولا تبحث عن جماهير غفيرة.. على طريقة سدنة المعارك الانتخابية الباحثين عن الأصوات.. ولو كانوا فى برزخ الأموات!!

ولعلنا نذكر أنه ﷺ وعلى مدى ثلاث عشرة سنة فى مكة المكرمة لم يسلم معه إلا أقل من مائتين.. لكن الواحد منهم كان كما يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٥)

ولما هاجروا إلى المدينة على قلتهم كانوا نواة جيش قوى.. جاهد فى الله حق جهاده بالكلمة قبل أن يجاهد بالسيف حتى أفزع اليهود انتشار الإسلام بين الأوس والخزرج بينما لم تنفع فيهم دعوة اليهود أربعة قرون!!

التخطيط للدعوة

إن القلب المجلوب إلى مريض، والمزروع خلف ضلوعه. سوف ينبذه الجسم يوماً لأنه مملكة غريبة. أما القلب المطبوع، فهو

القادر على منح صاحبه الحياة بإذن واهب الحياة ـ سبحانه ـ.

وكذلك الفكرة: إنها غريبة. إذا فرضتها فرضاً.. فإذا أردت لها أن تنمو وتزكو.. فهيىء لها التربة الصالحة.. والجو المناسب.. لوضعها أيضاً فى الوقت المناسب.. وسوف تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.. وكذلك فعل ﷺ ذلك.

من خصائص المنهج النبوى

لم تكن القدوة حركة آلية داخل البيت.. يستقبلها ذهن غافل وقلب ذاهل.. وإنما هى القدوة المدعومة بالتخطيط البالغ حد الدقة احتواء للفتى من داخله وبدا ذلك واضحاً فيما يلى: ـ

(أ) اختيار المكان المناسب للدعوة.

(ب) والظرف المناسب أيضاً..

(ج) والأسلوب المركز الذى يجيىء فى أوانه فيصيب الهدف.

● أما عن المكان المناسب:

فقد كان من الممكن دعوة الغلام إلى الإسلام فى بيت النبى ﷺ.. لكنه لم يفعل.. لماذا؟ ربما جاز لنا أن نقول: إن أعداء الدعوة قد ينتهزونها فرصة زاعمين أن محمداً استغل تبعية خادمه له واحتياجه إليه ففرض عقيدته.. فقبلها الفتى حياء.. أو خوفاً.. أو مصلحة..

ومن ثم.. كان من الأوفق أن تكون فى عقر داره وفى بيت أبيه.. بل ومشورته أيضاً!.

● أما عن الظرف المناسب:

فقد مرض الخادم.. ونقل إلى بيت والده.. ولم يشأ ﷺ أن يرسل «مندوباً» ينقل عنه مشاعر الود وخالص الدعاء ولكنه ذهب بنفسه.. فكانت زيارته شرفاً عظيماً. ترك آثاره على كل من فى البيت الذى أيقظت المبادرة قلوبهم فتفتحت على شخصية من الرأفة والرحمة بمكان.. مع اختلاف الأديان..

(١) إن لحظة المرض فرصة يحس فيها المريض بالضعف يكون فيها أحوج ما يكون إلى القوة العليا التى لم ينقذه من محنته إلا هى.. بعد أن تعطلت أسباب الدنيا وهنا تكون النفس أقرب إلى الإيمان فى حالة ضعفها أكثر منها فى حالة حيويتها وتدفقها.

(٢) من أجل ذلك يختار ﷺ هذه اللحظة الخصبة فى حياة الغلام:

(أ) قلب سعيد بالزيارة.. شاكرٌ لها.. مقبل على صاحبها..

(ب) نفس تحس بالضعف.. وتبحث عن المعين.. فإذا هو يحتويها بقلبه الكبير الواسع..

(٣) وتجيىء الدعوة إلى الإسلام فى كلمة واحدة لا تزيد: (أسلم) وفى عقر دار أبيه!.

مسك الختام

ويحتار الخادم: بين الرسول عن يمينه ووالده.. عن شماله!!

ولم تطل حيرة الغلام.. فقد أمره والده بطاعة أبى القاسم.. فأعلن إسلاماً ليس وليد ساعته إنما كان ناراً تحت الرماد.. لم ينطفىء جمرها يوماً.. فلما وافت الحكمة البالغة أعلنت عن نفسها بلا تردد..

ولم يكن الوالد اليهودى أن يأذن لولده بالإسلام من فراغ.. فقد ترامت إليه عن طريق ولده أنه خلق عظيم تفرد به ـ ﷺ ـ وما أسعد ولده أن يكون ممن يستظلون بهذا الشرف العظيم ولقد أثمرت الحكمة النبوية ثمرتها بإيمان الغلام..

وقد كان من ثمراتها ـ أيضاً ـ أن فرضت احترامها على الوالد الذى لم يعلن إسلامه لكنه أعلن اعترافه بعظمة الإسلام فى شخص رسوله العظيم.. ولعلها تكون بداية النهاية التى يعلن فيها الوالد ـ أيضاً ـ إسلامه، ليلحق بولده.

سعادة الداعية

ويسلم ويسجل الرسول الكريم سعادته بإسلام خادمه قائلا:

(حمداً لله الذى أنقذه من النار).

وفى الوقت الذى يتراشق فيه بعض المسلمين اليوم بالنبال.. والسلاح من أجل ركعتين.. تعددت حولهما الآراء.. وفى الوقت الذى يرسم كل فريق فى خياله صورة لجهنم وهى تحرق الفريق الآخر.. لأنه خالف رأيه.. فإن الرسول يطل على الدنيا بقلب يسع الناس جميعاً.. قلب يغرس الطريق بالأزاهير.. ويتفتح كهذه الزهور للأعداء.. الذين يصيرون أصدقاء بهذا التسامح وهذا الفهم لأصول دعوة تريد للمتحمسين أن يفهموها.. وأن يفقهوا ما قاله الإمام الثورى ـ رضى الله عنه ـ:

إنما الفقه: الرخصة من ثقة..

أما التشدد.. فيحسنه كل أحد!

وبعد:

فلقد كان ﷺ فوق القمة.. وها هو ذا يفرح بالقادم الجديد.. ليأخذ مكانه فى عليائها.. كان الرسول من أهل الجنة.. وها هو ذا يفرح بالضيف الوافد.. وهو بهذا يعالج مرضاً اجتماعياً تمكن من قلوب أناس يحبون أن يظلوا وحدهم فى الجنة.. ووحدهم على القمة.. فإذا حاول تابع من أتباعهم أن يقترب من مكانتهم.. ردوه بعنف.. وما أشد الخسران حين يموت هؤلاء القادة الأنانيون.. فلا تجد من يحمل الراية من بعدهم.

أما محمد ﷺ فمازال كما يقول الشاعر:

إن النبى لحى فى ضمائرنا فقُل
على الزمان يرى منها ويستمع
قلوب يقوم الدين يحرسها
وفى قلوب يقوم الحب والولع

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٧٩ لسنة ٢٠٠٧ المتضمن الأسئلة الآتية:

القـــروض

● السؤال الأول: ورد من السيد/ م أ ع

يحدث كثيراً أن يقترض شخص مبلغا من المال لكن القوة الشرائية لهذا المبلغ تتغير بارتفاع أسعار الأشياء، فهل يلزم المقترض رد هذا المبلغ أم رد أكثر منه مراعاة لقيمته؟

●● الجـواب: من ناحيـة اللزوم والوجوب لا يجب على المقترض إلا مثل المبلغ الذى اقترضه، إلا إذا كان مماطلاً - بأن حلّ ميعاد السداد وكان قادراً عليه ولم يفعل - فيجب عليه تعويض الدائن مقابل المماطلة، حيث إن الدَّين يُردّ بمثله إلا أن تنهار العملة بالكلية فيُعطى الدائن قيمة القرض الذى أقرضه للمقترض، وهذا على الرأى المختار فى الفتوى.

هذا من ناحية اللزوم والوجوب، أما من ناحية الأخلاق وحسن المعاملة، فاللائق مقابلة إحسان الدائن بالإقراض بإحسان فى الأداء

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

(الرحمن: ٦٠)

وفى الحديث: «خيركم خيركم قضاء» رواه النسائى وأحمد عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - ورواه النسائى وغيره عن العرباض بن سارية - رضى الله تعالى عنه -.

● السؤال الثانى: ورد من السيد ع أ ر

اقترضت مبلغا من المال نظير قطعة أرض ينتفع بها صاحب المال حين رد القرض فهل يعتبر ذلك من قبيل الربا؟

●● الجواب: نعم؛ لأنه قرض جرّ نفعا، والقاعدة الشرعية أن «كل قرض جرّ نفعا فهو ربا».

الربح فى التجارة

● السؤال الثالث: ورد من السيد ى م س

هل هناك نص شرعى يحدد قيمة الربح فى التجارة؟

●● الجواب: لا، ولكن ذلك ليس معناه استغلال عباد الله، وانتهاز حاجاتهم.

التسعير جائز بشروط

● السؤال الرابع: ورد من السيد م ع م

هل يجوز شرعاً تسعير السلع؟

●● الجواب: الأصل فى ذلك المنع؛ فقد روى أبو داود والترمذى (وقال حسن صحيح) وابن ماجه وأحمد وغيرهم عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، سَعِّر لنا، قال: «إنّ الله هو المُسَعِّرُ القابضُ الباسطُ الرَّزّاقُ، وإنى لأرجُو أن ألقى ربى وليس أحدٌ منكم يطلُبنى بمَظلَمة»، ولكن المقصود بذلك حرية الأسواق والمتعاملين؛ وصولاً إلى تحقيق المصلحتين: الخاصة والعامة أى الخاصة بالأفراد والعامة التى تشمل المجتمع، فعند عدم التعارض بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة لا يجوز الاعتداء على المصلحة الشخصية بكبتها أو تحجيمها فى المباحات الشرعية، وعدم التسعير من ذلك، وأما عند التعارض بين المصلحتين الخاصة والعامة فتقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، كما هو مقرر فى القواعد الشرعية الفقهية؛ درءاً لأعظم المفسدتين (مفسدة عموم المجتمع) بارتكاب أخفهما (مفسدة خصوص بعض الأفراد)، وحصول التعارض من عدمه مردّه إلى الحاكم الذى يستشير فى ذلك أهل الرأى والخبرة؛ لأن أفعاله منوطة

بالمصلحة، فله حينئذ أن يُسعِّر، وبهذا يُفهم تسعير بعض الخلفاء في بعض الأزمان، ويجمع بين فعلهم وبين النصوص المانعة للتسعير. قال الحافظ أبو عمر ابن عبدالبر فى كتابه «الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار»: وقال الليث بن سعد، وهو قول ربيعة ويحيى بن سعيد: لا بأس بالتسعير على البائعين للطعام إذا خيف منهم أن يُفسدوا أسواق المسلمين ويُغلوا أسعارهم، وحق على الوالي أن ينظر للمسلمين فيما يُصلحهم ويعمهم نفعه. أ.هـ.

فمن مواطن استحباب التسعير بل وجوبه: تعدى أرباب الطعام عن القيمة تعدياً فاحشاً، وحاجة الناس إلى السلعة، واحتكار المنتجين أو التجار، وانحصار الباعة فى أناس بعينهم، وتواطؤ البائعين ضد المشترين أو العكس، واحتياج الناس إلى صناعة طائفة، وهذا مما وردت نصوص الفقهاء بإباحة التسعير أو بوجوبه فيه.

عمل السمسار

● السؤال الخامس: ورد من السيد أ ر

ما حكم عمل السماسرة؟ وما حكم المال الذى يحصلون عليه من هذا العمل؟

●● الجواب: السمسرة هى وساطة بين بائع ومشتر بأجر منهما أو من أحدهما، فلذلك تكيف بأنها وكالة بأجرة. وأخرج البخارى فى صحيحه قال: باب أجر السَّمسرة. ولم يرَ ابنُ سيرين وعطاءٌ وإبراهيمُ والحسنُ بأجر السِّمسار بأساً. أ.هـ.

وهى محل جواز فى العموم عند الجمهور، ولكن فى التفاصيل خلاف، وبالأخص فى مسائل يحصل فيها بعض الجهالات، وعندما يكون الأمر متعلقاً بأخذ الأجرة من الطرفين؛ لأن السمسار وكيل عنهما بأجر -كما سبق تكييفه-، وعليه فيجب عليه النصح لكليهما وفعل ما فيه المصلحة للاثنين، وقد تتعارض مصلحتهما، فالأمر من الدقة بمكان بحيث تنصح بسؤال العلماء فى كل عقد على حدة.

لكن مما لا خلاف عليه اشتراط كون عقود السمسار مع الطرفين أو مع أحدهما فى المباحات، وأن تكون سالمة من الغرر والخلل فى أركان العقود وشروطها.

زكاة الحلى

● السؤال السادس: ورد من السيدة ع م ش

هل على حلى المرأة زكاة؟ وما مقدارها؟

●● الجواب: جمهور الفقهاء لا يوجبون الزكاة فى حلى المرأة الذى ليس لمحض الادخار (بأن كان مستعملاً فعلاً أو محفوظاً على احتمال الاستعمال وإن لم يستعمل فعلاً) ولم يوجب فيه الزكاة إلا السادة الحنفية، وعلى رأيهم تكون زكاته ربع العُشر.

زكاة الأسهم

● السؤال السابع: ورد من السيد أ أ ت

نود توضيح كيفية إخراج الزكاة عن الأسهم؟

●● الجواب: زكاة الأسهم بحسب نشاط المؤسسة المصدرة للأسهم: فإن كانت تجارية فهى زكاة عروض التجارة، أى ربع العُشر فيما حال عليه الحول القمرى، وإن كانت خدمية أو صناعية فلا زكاة فيها.

لا زكاة على السيارة ولا العمارة

● السؤال الثامن: ورد من السيد ع ر خ

ما حكم الزكاة على الراتب والعمارة والسيارة؟

●● الجواب: لا زكاة على العمارة، لكن إذا كان لها عائد يبلغ مع غيره من الأموال نصاباً أو أكثر وحال عليه الحول القمرى ففى ذلك ربع العشر، والسيارة الخاصة لا زكاة فيها، وسيارة الأجرة يقال فيها ما قيل فى العمارة، والراتب زكاته فيما يبقى منه حولاً قمرياً ويكون مع غيره نصاباً، وفيه ربع العشر حينئذ.

فى الاستثمار

● السؤال التاسع: ورد من السيد م ص أ

يوجد فى بلدتى شخص (س) يقوم باستثمار الأموال على النحو التالى:

يأتى إليه شخص (ص) ويخبره بأن معه مبلغاً من المال، وليكن خمسة وعشرين ألف جنيه، فيقول له (س): «سوف نشترى سيارة ميكروباص بمبلغ مائة ألف جنيه، وبذلك يكون نصيبك فى السيارة الربع، وتقوم بتأجير هذا النصيب لى بمبلغ خمسمائة جنيه شهرياً، لكن السيارة ستكون باسمى من أجل التعامل مع المرور والضرائب وإصلاح السيارة وخلافه من الأعمال الخاصة بالسيارة، وعندما تريد أن تسترد مالك عليك أن تخبرنى قبلها بشهر على الأقل حتى أستطيع تدبير المبلغ لك»، ويقوم بإعطائه إيصال أمانة بالمبلغ. فالرجاء من فضيلتكم بيان الحكم الشرعى فى هذه المعاملة؟

●● الجواب: حتى تكون هذه المعاملة صحيحة يجب أن يكون مضمونه واقعياً، بمعنى أنه يجب أن يتم عمل عقدين منفصلين بين (س) و(ص): الأول عقد شراء السيارة بحيث يكون كل من (س) و(ص) مشتريين، فهما معاً طرف، والبائع طرف آخر، فيكون (س) و(ص) شريكين فى السيارة، وإذا أراد (ص) استرداد نصيبه منها يكون له قيمة ربع السيارة، لا أصل المبلغ المدفوع، ثم يجريان عقداً ثانياً بينهما هو عقد إجارة محددُ المدة بإيجاب وقبول وبقية أركان عقد الإيجار وشروطه.

أما الاستثمار بالطريقة المعروضة فى السؤال فلا تجوز؛ لتداخل العقود فى بعضها بلا حاجة، وللجهالة والغرر.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

محمد ﷺ في أدب الزيات

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر



ربما كان من الأوفق أن أعيد ما قررته طويلا. من أن كاتبنا العربي الكبير الراحل، أحمد حسن الزيات، كان واحدا من أروع من حملوا أمانة القلم.. وأداروا معارك الفكر.. وصوبوا منطق الأشياء.. وهو في كل أولئك جميعا قد ينزع عن فكر واضح ومحدد. ولكنه ينزع بالدرجة الأولى عن تعاطف شاعرى متوامض الآفاق.. ويمكن للحزن أن يستقطر من شقلم الزيات مالا يستقطر الجزل. فإن حسا مأساويا شفيفا يغيم دائما كلماته ويتمطى فاجعا في سطوره. ويهيم بلا حدود في رؤيته حتى لمباهج الكون وأعراس الطبيعة الفيحاء!!

وكان موضوع كموضوع «محمد الوالد» بمثابة الكنز لهذا الشاعر المأساوى الحزين.. الذى عايش مرارة الفقد في ولده «رجاء» متعاطفا مع الفقد في كل شيء.. وكأنما أحس بأن فقد محمد ﷺ لولده الوحيد إبراهيم.. يمكن أن يكون معراجا لإفراغ أحزانه الثرة.. وتصعيداً لآهاته المكوحة، فعطف على هذا الموقف النبوى.. وصور الجو النفسى القاتم الذى كان يلف بيت النبوة حين فرغ الرسول ﷺ من مصاولة الكفر، ومقارعة المشركين.. «وتنبهت في الإنسان الأعلى مشاعر الطبيعة، وتحدرت في العربي الرسول عواطف الأبوة، وحز في نفس محمد ﷺ أن يرى أمهات

المؤمنين يعقمن عشرة أعوام متتابعة، فبيوتهن التسعة حول المسجد الهل الذاكر غرقى في السكون الرهيب، والصمت الموحش، لا يؤنس حجراتها غناء المهد، ولا يبهج أفنيتها مرح الطفولة»!! وكأنما أحس الزيات بعد هذه الكلمات الصادقة أن عيونا تحدق في قلمه بقسوة.. وتكاد أن تتهمه بالمروق.. فقد ألف الناس أن يتحدثوا عن محمد ﷺ حديثهم عن كائن مبتوت الجذور بالأرض، مقطوع الصلة بالمادة، مبتور الإحساس بعواطف الحب ونوازع الأبوة، وهواتف الحنين.. كأنما أحس الزيات فعلا بهذه المحاصرة غير المرئية.. فعطف من فوره يقول:

«لاريب أن أسرة محمد الرسول ﷺ شملت جزيرة العرب كلها وستشمل عالم الإسلام أجمع، ولكن أسرة محمد ﷺ الرجل لا تزال لنقصها ألما من آلام العبقرية ومحنة من محن البطولة»!!

لا أرى أبدا مبررا لإيراد هذه الحقيقة بعد كلمات كاتبنا الكبير عن حنين النبي ﷺ إلى طفولة تولد له.. إلا أن يكون إحساسه بحصار الأعين.. وحصار الرجم بالمروق.. وكاتب كالزيات كان يجب أن يرتفع بقلمه وبإيمانه جميعا.. أن يكونا موضوع مساومة من أحد أو مع أحد.. فلا شيء يضيع روعة العمل الفني والفكرى أبشع من محاولة استرضاء كل التافهين..

إن محمداً النبي ﷺ إنسان قبل أن يكون أى شيء آخر.. ولو تعطلت فيه حاسة الأبوة لتعطل فيه حس أن يكون أبا للمسلمين بشيل أحزانهم في مآقيه.. وينحني على عذاباتهم في رفق حميم!.

ويمضي الزيات في وصفه الرائع لملاحم الصدام بين محمد ﷺ وقبيلته.. حتى أخرس الشرك.. وحطم الوثنية.. ثم يعطف إلى استقباله الحميم لوليده المبطيء القادم.. وفرحه الباذخ بجمال الطفل.. وقفزات الرؤى في عينيه الضائعتين في أبد الزهول!!

ولكن الموت الصديق لايترك الوليد يشد أقماطه.. فيأخذه في حضنه البارد ويغيب به عن عيني والده الجاهد الحزين!!

«أخذ النبي ﷺ إبرهيم من حجر أمه فوضعه في حجره، ثم نظر من خلال الدمع إلى قسماته المشرقة تغشاها ظلال الموت، وقال بصوت متهدج، وفؤاد متأجج، واستسلام مطمئن: «إنا يا إبراهيم لا نغنى من الله عنك شيئا»[1]

قد يكون الرصد التاريخي لهذا الحدث الإنساني معروفا لدى كل الدارسين.. ولكنني لا أتحدث من أدب الزيات عن جانب الرصد التاريخي فيه.. إنما عن جانب الاحساس بإيقاع الحدث التاريخي كأنما هو متفجر للحظته من أعماق البداهة الأولى.. وهو ما برع فيه قلم الزيات بلا حدود.. حتى ليحس المتلقى أن الرجل قد شاهد الميلاد والموت.. وما بين الموت والميلاد من إيقاع متوتر النبض.. مخطرف الأسارير!!

فإذا تركنا «محمداً الوالد» إلى.. «محمد الزعيم».. راعنا أن الزيات يهتف بكل زعامات العالم اليوم: «تعالوا يا زعماء اليوم عانين خاشعين

---

(١) البخارى - ج٦/٤٣٦.

ألق عليكم درسا من زعامة محمد ﷺ !! إن فيكم زعماء أحزاب وليس فيكم زعيم أمة، أما هو فكان زعيم الإنسانية جمعاء»!!! وراعنا كذلك أن الزيات يلفت إلى حقيقة هائلة يقول لزعماء العالم المعاصر: «إنكم تكونون قبل الزعامة ناسا كالناس، ثم تصبحون بعدها آلهة كالآلهة، تتكرون الخاصة، وتزدرون العامة، ثم تمتازون فتدخلون بفضل المبادىء المزورة، والمناصب المسخرة في دنيا النبلاء والأغنياء، وماذا بعد هذا؟ أما هو فقد ملك الحجاز واليمن، وجبى الجزيرة كلها وماداناها من العراق والشام، وظل ينام على فراش من أدم حشوه ليف، ويبيت هو وأهله الليالي طاوين لا يجدون عشاء، ويمكثون الشهر لا يستوقدون نارا، إن هو إلا التمر والماء، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على الناس أقبية الديباج المخوص بالذهب، فإذا أقبل على أصحابه فقاموا إجلالا قال لهم: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا، إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»[٣]!!!

وراعنا كذلك أن الزيات يلخص فلسفة الدعوة الإسلامية في قوله: «..... ثم كانت سياسة كنوز الله لاتعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن، إنما هي سر الخالق العظيم استعلن في سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم ﷺ، ثم دوى في غياهب الآفاق ومجاهل الأبد ليكون الشعاع الهادى لكل ضال، والنداء الموقظ لكل غافل»!!!

هذه ملامح الزعامة كما استنبطها الزيات في تأمله لمواقف النبي ﷺ زعامة أروع ما فيها أنها شاملة.. وأعمق ما فيها أنها أصيلة، وأخلد ما فيها أنها على الأرض وفوق الأرض.. وفي الزمن وأعرض الزمن.. ومن الناس وأروع من عبقريات كل الناس!!!

الزعامة هنا ليست احتجانا لثروة طائلة.. أو اعتسافا لسلطة غاشمة.. أو ارتياء لقمة زعامية مهجورة.. وإنما هي زعامة مقاتلة بلا حدود ـ ومقاتلة في كل اتجاه ـ وقاتلت الجمود.. وقاتلت الخرافة والجهل.. وقاتلت انطفاء المعنى في الشيء.. وطغيان الشيء على المعنى.. وقاتلت حتى استتب العدل في الأرض.. والعلم في العقول.. والرحمة في الناس.. والتطور في التاريخ!!! وحين تفقد الزعامة واحدا من هذه العناصر.. تصبح بالضرورة زعامة مجوفة.. لا تقدر على العطاء الموصول في زمن مائر بالفعل ورد الفعل.. وبالشيء ونقيضه.. وبالتطور الخارق المحدث آثاره على كل جبهات القتال!!

في نهاية هذه الرحلة مع أدب الزيات.. أستطيع أن أقول ـ في وثوق لا يهزمه التردد: إن الزيات مايزال حيا.. بكلماته الشاعرة.. وبحسه المرهف.. وبسياقه الفنان.. وبتعاطف حروفه الملهمة مع كل ذكريات تاريخنا المكتنز.. وبهذه القوة الدافقة التي يسكبها عصيرا في شرايين موضوعه.. فإذا القديم جديد على يديه.. وإذا الأمس ماثل لنا في اليوم.. وإذا الزمن كله مسرح تتراقص على حواشيه مأساته وملهاته.. وإذا نحن جمهوره وممثلوه.. مزاميره وأغنياته.. حطبه وناره.. شهوده وقضاته!! ومن خلال هذا المجال التدامج الكوني نحس لحظة أننا.. نحن.. وما أروع أن نحس ذواتنا حتى للحظات!!!

---

(٣) مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٠٣.

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟

اللورد هيدلي داعية إسلامي

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة «سابقا»

«ليس هناك في الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه، إنه إمام الجميع، وفوق الجميع، وليس هناك قدوس آخر نشركه معه، إنه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء، رؤية ربهم القهار، المتصل دواما بكل مخلوقاته، سواء كانوا عاديين أو أولياء مقدسين.. مفتاح السماء موجود دائما في مكانه، ويمكن إدارته بأذل وأقل المخلوقات دون أية مساعدة من نبي أو كاهن أو ملك، إنه كالهواء الذي نستنشقه مجانا لكل خلق الله.

لورد هيدلي

يقول اللورد هيدلي في كتابه «إيقاظ الغرب للإسلام»: «من عدة سنين خلت كان أحد أفكاري الرئيسية هو كيف يمكن للإسلام أن يتغرّب (أي يصبح غربيًا)، حتى يمارس في الأمم الأوروبية؟.. وبعبارة أخرى.. كيف يمكننا نحن معشر الغربيين أن نعدّ أنفسنا لنكتب ونفقه معنى الإسلام الحقيقي.. ثم تلا ذلك فكر آخر وهو كيف أننا لم نشك من جنسية المسيح الذي نعرف أنه كان آسيويا محضا؟ كانت أمه العذراء مريم آسيوية، وكان موسى وكل الأنبياء

الوحى إليهم شرقيين. وكان النبى محمد شرقيا مثل الآخرين، وأنزلت عليه الشريعة من الله. فالقرآن من عند الله- عز وجل- كما كان الإنجيل وباقى الكتب المنزلة الأخرى، والقرآن يثبت ويحقق الكتب المقدسة الأخرى..».

لقد أعلن اللورد هيدلى إسلامه فى شجاعة وثقة، وأحدث هذا ضجة كبيرة- لمركزه، ولما يعلمه فيه عارفوه من نضج فى التفكير، وتروّ فى الأمور.. فما سبب تحوله إلى اعتناق الإسلام وحرصه على الدعوة إليه والدفاع عنه؟

يورد الدكتور عبدالحليم محمود فى كتابه «أوروبا والإسلام» جملة من النصوص ترشدنا إلى الإجابة عن هذا السؤال، وإلى معرفة تصور اللورد لكثير من وجهات النظر الإسلامية.

الإسلام هو الدين العالمى

يقول اللورد: «عندما كنت أقضى- أنا نفس- الزمن الطويل من حياتى الأولى فى جو المسيحية، كنت أشعر دائما أن الدين الإسلامى به الحسن والسهولة، وأنه خلوّ من عقائد الرومان والبروتستانت.. وثبّتنى فى هذا الاعتقاد زيارتى للشرق التى أعقبت ذلك، ودراستى للقرآن المجيد.. فكرت وصليت أربعين سنة، كى أصل إلى حل صحيح.. ويجب على أن اعترف أيضا أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراما عظيما للدين المحمدى السلس الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طوال مدة الحياة، لا فى أيام الآحاد فقط».

لكن تألم اللورد وقاسى فى سبيل وصوله إلى الحق، وبلوغه اليقين بأن الإسلام هو الدين العالمى حقا.. وأن الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ضرورة واجبة.. فهو يقول: «أيمكن إذن أن يوجد دين يمكّن العالم الإنسانى من أن يجمع أمره على عبادة الله الواحد الحقيقى، الذى هو فوق الجميع، وأمام الجميع بطريقة سهلة خالية من الحشو والتعقيد؟.. فكر لحظة- وذلك تفكير لازم لكمال البشر فى الحقيقة- أنه إذا أصبح كل فرد فى الإمبراطورية الانجليزية محمديًا حقيقيا، بقلبه وروحه، أصبحت إدارة الأحكام أسهل من ذلك، لأن الناس سيقادون بدين حقيقى».

وها هو ذا يعبر عن الشكر حينما هداه الله قائلا: «روح الشكر هى خلاصة الدين الإسلامى، والابتهال أصل فى طلب القيادة والإرشاد من الله، إنه وإن كان شكرى لله على كرمه وعنايته، كان متأصلا فىّ، من صغرى وأيام حداثتى، فإننى لا أستطيع أن أشاهد ذلك من خلال السنين القليلة الماضية التى قرع فيها الدين الإسلامى لُبى حقا، وتملّك رشدى صدقا، وأقنعنى نقاؤه، وأصبح عقيدة راسخة فى عقلى وفؤادى، إذا التقيت وشعرت بسعادة وطمأنينة ما رأيتهما أو شعرت بهما قط من قبل، كما استنشق هواء البحر الخالص النقى، وبتحققى من سلامة الإسلام وضيائه وعظمته ومجده، أصبحت كرجل فرّ من سرداب مظلم، إلى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار».

ليس فى الإسلام إلا إله واحد

ويشيد اللورد هيدلى بتعاليم الإسلام قائلا: «ليس هناك فى الإسلام إلا إله واحد نعبده ونتبعه، إنه إمام الجميع، وفوق الجميع، وليس هناك قدوس آخر تشركه معه، إنه لمن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول

والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء، رؤية ربهم القهار، المتصل دواماً بكل مخلوقاته، سواء كانوا عاديين أو أولياء مقدسين.. مفتاح السماء موجود دائما فى مكانه، ويمكن إدارته بأذل وأقل المخلوقات دون أية مساعدة من نبى أو كاهن أو ملك، إنه كالهواء الذى تستنشقه مجانا لكل خلق الله. أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك، مادعاهم إلى هذا العمل إلا حب الفائدة. ليس غرضى الرئيسى أن أهاجم أى فرع معين من فروع الديانة، لأبين جلال وسلامة الديانة الإسلامية، التى هى خالية فى نظر الكاتب المنصف من العوائق الظاهرة جليا فى كثير من الديانات الأخرى».

ويرد اللورد هيدلى على دعاوى البعض وافتراءاتهم على الإسلام قائلا: «ليس فى وسع الإنسان، فى الحقيقة، إلا أن يعتقد أن مدبجى هذه الافتراءات وناسجيها لم يتعلموا حتى ولا أول مبادئ دينهم، وإلا لما استطاعوا أن ينشروا فى جميع أنحاء العالم تقارير معروف لديهم أنها محض كذب واختلاق».

يوم عفا ﷺ عن كل أعدائه

إن تعاليم القرآن الكريم قد نفذت ومورست فى محمد الذى أظهر- سواء فى أيام تحمله الألم والاضطهاد، أو فى زمن انتصاره ونجاحه- أشرف الصفات الخلقية التى لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها. فكل صفات الصبر والثبات فى عصره كانت ترى فى أثناء الثلاث عشرة سنة التى تألمها فى مجاهداته الأولى بمكة، ولم يشعر فى كل زمن هذا الجهاد بأى تزعزع فى الثقة بالله، وأتم كل واجباته بشمم وحمية. كان صلى الله عليه وسلم مثابراً، ولا يخشى أعداءه، لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه الرسالة من قبل الله، وأن من كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه. لقد أثارت تلك الشجاعة إعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين كان يشتهون قتله.. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا، وازداد إعجابنا به بعد ذلك فى أواخر حياته أيام انتصاره بالمدينة، عندما كانت له القوة والقدرة على الانتقام، واستطاعته الأخذ بالثأر ولم يفعل، بل عفا عن كل أعدائه.

العفو والإحسان والشجاعة، ومثل هاتيك الصفات، كانت ترى منه كل تلك المدة حتى إن عدداً عظيما من الكافرين اهتدوا الى الإسلام عند رؤية ذلك. ويرى المفكر البريطانى فى محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل، فيقول: «نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقية، وزنت واختبرت فى كل خطوة من خطى حياته، ولم ير فيها أقل نقص أبدا. وبما أننا فى احتياج إلى نموذج كامل يفى بحاجاتنا فى خطوات الحياة، فحياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم تسد تلك الحاجة».

وحينما أراد اللورد هيدلى الحج مر بالإسكندرية، فأقام له أهالى الثغر حفلة كبرى برئاسة شيخ علماء الإسكندرية.

رحم الله الداعية الإسلامى اللورد هيدلى، بقدر ما قدم للإسلام وعمل على نشره بين ربوع الغرب.

المؤتمر الدولى للفلسفة الإسلامية يؤكد:

العناية بتراثنا العلمـــى العربى الإسلامى

متابعة الأستاذ عاطف مصطفى

توصيات المؤتمر

- العناية بالبحث العلمى والذى يعد الآن مصدر القوة الأولى فى العالم قبل السياسة وقبل الاقتصاد.
- ضـــرورة تطوير مناهج علومنا الإسلامية وتقديمها بصورة عصرية تعالج مشكلاتنا الواقعية.
- هدف أساسى للمؤتمر: دراسة مناهج علومنا الإسلامية لبيان أصالتها وتأثيرها فى الفكر العالمى والحضارة الإنسانية.

عقد المؤتمر الدولى الثانى عشر للفلسفة الإسلامية، والذى يعقده قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بالتعاون مع كلية العلوم جامعة القاهرة ومركز الدراسات المعرفية بالقاهرة على مدى ثلاثة أيام (٧ ـ ٩ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ ٢٤ ـ ٢٦ أبريل ٢٠٠٧م).. وقدمت بحوث كان عددها ٦٥ بحثا من ١٣ دولة عربية وإسلامية وأفريقية هى المملكة العربية السعودية وقطر والكويت والإمارات والبحرين وسوريا وسلطنة عمان وليبيا وتونس وأوغندا والسودان والجزائر ومصر.. وهذه البلاد كلها شارك بعض الباحثين منها فى هذا المؤتمر كما شاركت أيضا مؤسسات علمية كأكاديمية البحث العلمى ومراكز لتحقيق التراث فى مصر وبعض المراكز المعنية بالفكر الإسلامى كالمعهد العالمى للفكر الإسلامى.

وقد شهد المؤتمر فى كلمته الافتتاحية كلمة توجيهية من للدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس الجمعية الفلسفية المصرية، كما شارك بكلمة فى الافتتاح الدكتور أحمد عبدالعزيز كشك عميد كلية دار العلوم، وأيضا رئيس جامعة القاهرة ورئيس المعهد العالمى للفكر الإسلامى، وعميد كلية العلوم جامعة القاهرة، حيث قدموا جميعا كلمات للتعريف بالمؤتمر وأهدافه وأهميته.

ويقول د. عبدالحميد مدكور مقرر المؤتمر ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية: إن فكرة هذا المؤتمر هذا العام فكرة جديدة.. والأفكار الأساسية التى تناولها الباحثون هى دراسة مناهج العلوم، وخصوصا مناهج العلوم الإسلامية والعلوم الطبيعية لبيان أصالتها وإسهام المسلمين فيها، وتأثيرها فى الفكر العالمى والحضارة الإنسانية، وهذا جانب مهم جدا من الجوانب التى يقوم عليها المؤتمر، لأننا نسعى إلى إيقاظ الأمة وإحساسها بذاتها وهويتها وشخصيتها وأصالتها، حتى تتمكن من استئناف دورة حضارية جديدة، تمكنها من أن تثبت وجودها فى العالم الذى لايعترف إلا بالأقوياء، وإلا بأهل العلم الذين يمكن لهم أن يعيشوا فى هذا العالم الذى يتميز بالصراع والقوة هذه الأيام.

وقد بحث المؤتمر أيضا التطورات العلمية المعاصرة، وبيان الآثار التى تترتب عليها فى الحياة البشرية، وتأثيرها على الإنسان، وتأثيرها فى نظرتنا إلى الكون، وتأثيرها على البيئة، وبيان المخاطر التى يمكن أن تترتب على هذه التطورات، إذا لم يلجم العلم بلجام من الأخلاق..

ومن أجل هذا كان لابد من العناية ببحث مثل هذه التطورات، ومن الأمثلة التى نوقشت على سبيل المثال: الاستنساخ، والجينوم البشرى، والبصمة الوراثية، وأمثال هذه المعضلات التى يقدمها العلم للناس الآن، وتترتب عليها آثار قد تكون نافعة أحيانا، وقد

تكون ضارة أحيانا أخرى، والتركيز على الجوانب النافعة، والتقليل من آثار الجوانب الضارة بأن يكون لدينا مجموعة من المعايير والضوابط، التى ينبغى أن يضبط بها البحث العلمى، حتى لا تتحول إلى إداة تدمير للبشرية.

العناية بتراثنا العلمى العربى الإسلامى

واتجهت البحوث الوجهة التى تغطى المفاهيم الأساسية التى قام من أجلها المؤتمر، وتجلت من البحوث مسائل ذات قيمة عالية منها مثلا: العناية بتراثنا العلمى الإسلامى، والاعتماد على البحث العلمى بوصفه القاطرة الحقيقية للتقدم، والوسيلة الإيجابية التى تمكن العالم العربى والإسلامى من أن يحتفظ لنفسه بموقع داخل هذا العالم، وهذا يقتضى دعم البحث العلمى والتنسيق بين مؤسسات البحث العلمى على مستوى مصر وعلى مستوى العالم العربى والإسلامى، ثم الجمع بين البحوث النظرية والتطبيقية. ولا يصح أن يكون المفكرون فى جانب والتطبيقيون فى جانب، وإنما يجب أن تكون هناك رؤى مشتركة، وأن تكون هناك ورش عمل مشتركة، حتى تدرس هذه المسائل التى تجد فى حياة الناس وتحتاج إلى نتائج قوية هى ثمرة لفكر مشترك بين هؤلاء وهؤلاء.

● كذلك التأكيد على أن العلم والدين لا يتعارضان، لأن الدين وحى الله - عزوجل- والعلم الحقيقى المنضبط بالأخلاق، ثمرة لهذا العقل الذى يتوجه إلى الله -عزوجل- ويرى آثار قدرته وحكمته فى هذا العالم، فهما لا يتعارضان ولا يتناقضان.

● ضرورة ربط العلم بالأخلاق.

● ضرورة تطوير مناهجنا التعليمية، حتى لا تعتمد على الحفظ والتكرار، وإتاحة الفرصة بصفة أكبر للابتكار والتأمل والنظر، حتى نتمكن من تخريج أجيال قادرة على أن تنهض بأعباء الفكر وأعباء العلم على حد سواء.

١٠ جلسات للبحث والحوار

واصل المؤتمر الذى ناقش مناهج العلوم وفلسفتها من منظور إسلامى أعماله على مدار ١٠ جلسات شارك فيها من الدول العربية حوالى ٢٢ باحثا بنسبة الثلث من عدد ٦٥ من المشاركين، وجاء هؤلاء الباحثين بأبحاث قيمة، وهم فى كل ما يقدمون، يقدمون شكرهم لمصر التى تتيح لهم الفرصة أن يأتوا ليحضروا وليستمعوا إلى العلماء، وهم يقدمون أيضا بحوثا جيدة نتيجة لممارسات ونتيجة لمشكلات واقعية يواجهونها، ويلتقون بكبار الأساتذة والعلماء، ويجرى الحوار بين أهل العلم، ويفيد كل منهم صاحبه، ويتقدم البحث العلمى بهذه الطريقة القائمة على العقلانية، والقائمة على التكامل الفكرى بين هؤلاء الباحثين.

مناهج العلوم وفلسفتها من منظور إسلامى

من بين البحوث التى قدمت فى المؤتمر بحث للدكتور أبواليزيد العجمى من الكويت، وينطلق البحث من رؤية للتحول الذى حدث

مؤخرا فى العلاقة بين الدين والعلم، وقد جاء هذا التحول تطورا فى العلاقة فى الفكر العربى فلسفة وعلما، حيث كان الأمر على خلاف ما هو عليه الآن.. لكن ما يقابل هذا التحول فى المجال الإسلامى، هو صحوة ودعوة إلى الأصول، حيث كان القرآن والسنة محورين لكثير من العلوم، نشأت لخدمتهما كعلوم اللغة والقراءات ونحوها وعلوم الحديث مصطلحا.

كذلك كان للقرآن والسنة مصدرين لاجتهادات علماء المسلمين فى باب العلم التجريبى كالطب والفلك ونحوها، الأمر الذى يجعلنا نقول إن وجود ظاهرة الاهتمام بالإعجاز العلمى فى الكتاب والسنة عود حميد إلى تأصيل علاقة الدين بالعلم فى الإسلام، وإن كنا لا نجد أثر التحول فى العلم الغربى على بحوث المسلمين تجريبيها وإنسانيها، ولا ضير فى هذا فالعلم ليس له وطن، وطالما أخذت الحضارات وأعطت فى هذا الباب.

اهتم البحث فى مقدمته ببيان وجود علاقة بين الدين والعلم فى شكل جديد فلدى الغربيين بحوثا تبرز هذا الاتجاه مثل: الله يتجلى فى عصر العلم، والعلم يدعو إلى الإيمان.

ولدى علماء المسلمين المعاصرين وجدنا الانطلاق من إشارات قرآنية ونبوية لبحوث علمية جادة، آخذة بشروط البحث العلمى وضوابطه، بل وبالسعى إلى اعتراف الهيئات العلمية الغربية بخطوات ونتائج هذه البحوث.

وعلى كلا الجانبين تجىء الدلالة الواضحة لحاجة الإنسان إلى الدين والعلم، وأنهما لا يتعارضان بل يتكاملان فى نطاق خدمة الإنسان والحياة.

فى المبحث الأول وعنوانه «العلم والدين فى الفكر الغربى» تناول الباحث:

١ـ الفلسفة الغربية والعلم التجريبى وموقع الدين فيها. حيث غلبت النظرة الحسية والتجربة، وطبقت مقياسا حتى على الدين لدى من يعترفون به.

٢ـ العلم وفتنته بمنجزاته وجحوده أصل الدين، غرورا بنتائج العلم واعتقادا بأنه لا حاجة لغيره، الأمر الذين جعل العلم طريقا للإلحاد.

٣ـ اكتشاف الحقيقة وتواضع العلم، الأمر الذى ظهر فى مجالات منها:

ـ اعترافات للعلماء بمحدودية العلم و ظاهريته.

ـ اعترافات بوجود الخالق، وأن العلم يضاد الخرافة وليس الدين.

ـ وجود بحوث تمثل أدلة على أن العلم يخدم مسائل الإيمان، مثل بعض الكتب التى بينها البحث وهى كثيرة.

ـ ظهور وانتشار قوانين تخدم مسائل الإيمان بالله مثل:

● قانون بداية الكون ونهايته.

● قانون القصور الذاتى للمادة.

● قانون عجز الصدفة عن خلق نظام.

وكلها تدل على وجود خالق لهذا الكون، له من الصفات مالا يتشابه مع البشر.

تناول البحث أيضا ظاهرة البحوث العلمية فى مجال الإعجاز العلمى فى الكتاب والسنة ومنها :

ـ الاهتمام بهذه الظاهرة ووجود هيئات تهتم بها.

ـ البحوث العلمية فى هذا المجال وتنويعها تجريبيا وإنسانيا.

ـ الأثر العلمى والعملى لهذه البحوث مثل :

● تصحيح بعض المفاهيم الفقهية والعقدية.

● تغيير سلوكيات المسلمين إلى الأفضل.

وقد اهتمت خاتمة هذا البحث بدلالة هذا التحول فى العلم الغربى، وبيان عدم تعارض الحقائق التى مصدرها الله - سبحانه (العقل والنقل) أيضا دلالة الظاهرة -لدى المسلمين- على صحوة وعودة إلى الأصل لرد فرية الصراع بين العلم والدين فى الإسلام، ثم هى إسهام حضارى باعتبار إفادة البحوث لكل من يطبقها، لعله يكون البداية التى تعيد المسلمين إلى خروجهم من المأزق الحضارى الذى شكلته ظروف، بعضها داخلى وبعضها خارجى، وكلاهما لا يعفى من المسئولية.

أيضا الإشارة إلى أن هذا التوجه من المسلمين يمثل لغة جديدة فى الخطاب الدينى الموجه إلى الغرب حيث يفهمه، وربما أخذ بيده إلى تأمل بعض الحقائق الدينية التى قد تؤدى إلى الهداية، وهذا قد حدث لكثير ممن أخذوا بهذا المنهج.. وهذا المنحى يعمق إيمان المؤمنين بربهم ودينهم إذ يصبح الإقناع العقلى معضدا، بل وطريقا إلى اليقين القلبى.

إلى جانب هذا البحث.. نوقشت بحوث لها أهميتها وقيمتها ومن بينها: مناهج البحث عند علماء المسلمين وأثرها فى تكوين المنهجية التجريبية والعقلية- فلسفة العلم بين التصور الإسلامى والفلسفة الغربية -التواصل العلمى فى الحضارة الإسلامية - المنهج العلمى للغزالى فى البحث عن الحقيقة والوصول إلى اليقين.

البصمة الوراثية

وفى بحث حول «موقف الفكر الإسلامى من البصمة الوراثية» أشار إلى أن من الثمار التى أنتجها العقل البشرى، تلك الوسائل والمخترعات المستحدثة فى الحياة الدنيا، والتى لا تتعارض مع حقائق وثوابت دين الله - تعالى - على مر العصور والأزمان.

وإذا كان من الخصائص المنفردة لشريعة الإسلام الصلاحية للتطبيق فى كل زمان ومكان، فإن فى الأخذ بهذه الثمار ما يحقق هذه الخاصية، ومن هنا كان إقبال المسلمين منذ فجر الدعوة المباركة على البحث العلمى الجاد، والمشاركة الفعالة فى الكشف عن غوامض الكون والوقوف على المجهول فيه، والرواد منهم فى هذا الميدان من الكثرة بمكان، بما لا يقع تحت حصر، فى كل جيل حتى يومنا هذا.

ومن بين هذه الوسائل المستحدثة فى دنيا الناس، التى توصل إليها العقل البشرى حديثا، ما يعرف بالحامض النووى أو البصمة الوراثية، وهو كشف علمى له أهمية خطيرة فى كثير من المجالات ومنها الأحكام الشرعية.

وقد استعرض هذا البحث النقاط الأساسية

التى تجلى الفكرة العامة للبصمة الوراثية، وأثرها الخطير فى حياة الناس، وبيان موقف فكر الشريعة الغراء منها، مع الإشارة إلى أحد التطبيقات العلمية لهذه البصمة.. وأيضا البصمة الوراثية والإشارة القرآنية لهما وأحكامها فى الشريعة الإسلامية.

العناية بتراثنا العلمى العربى الإسلامى

ومن أبرز توصيات هذا المؤتمر:

● العناية بمناهجنا التعليمية، وضرورة أن يتحول العلم إلى صفة أساسية فى تكويننا، وأن يكون له دخله فى صياغة تفكيرنا.. وينبغى أن تكون المناهج موجهة فى هذا الشأن.

● ضرورة الربط ما بين البحوث العلمية التطبيقية، لأن هناك أرضا مشتركة يجب أن تكون بين هؤلاء جميعا.

● العناية بتراثنا العلمى العربى الإسلامى، وهو تراث عظيم مؤثر فى تاريخ البشرية كلها، وكلما نقبنا فيه نجد مظاهر الأصالة والإبداع الموجودة فيه، ولا يصح أن ننتظر حتى يأتى الآخرون من أجل بيان قيمة هذا التراث، وإنما ينبغى أن ننهض ببيان هذا التراث لعله يوقظ فينا غيرة ويوقظ فيها حماسة تمكننا من مواصلة الجهد مرة أخرى، وعدم الركود والقعود فى مؤخرة الصفوف، حتى نتقدم مرة أخرى إلى هذه المجالات التى ينبغى أن تكون لنا فيها كلمة.

● العناية بالبحث العلمى، فالبحث العلمى الآن هو مصدر القوة الأولى فى العالم، وقبل السياسة وقبل الاقتصاد لأنه يحرك السياسة ويحرك الاقتصاد، ويحرك القوة العسكرية، ويحرك الاختراعات.

وثورة الاتصالات الآن قائمة على العلم، والتطور فى مجال البيولوجيا الحيوية الآن قائم على العلم، وكذلك غزو الفضاء والذرة.

وكل شىء قائم على العلم فى حياة الناس، فيجب أن يتوطن هذا فى فكرنا وفى سياساتنا، حتى تتمكن من النهوض بهذه المجتمعات التى نحيا فيها، وتؤدى لها ضريبة إنفاقها وضريبة تربيتها لنا، وننصح النصيحة الواجبة التى تكون موضع نظر من يضعون السياسات ومن يقررون القرارات حتى تنهض فعلا بهذا المجتمع الذى نعيش فيه.

كما دعا المؤتمر إلى تطوير مناهج علومنا الإسلامية وتقديمها بصورة عصرية تعالج المشكلات الواقعية، ولا تقودنا إلى أفكار قديمة، فيما يتعلق بدراسة علوم العقيدة وعلوم الفقه.. والفقه الآن يجب أن يشهد تطورا كبيرا لأن هناك مسائل كثيرة تحتاج إلى رأى الفقهاء، حتى لا يظن الناس أن الشريعة قاصرة عن الوفاء بتقديم الأحكام لمثل هذه المسائل فى الاقتصاد وفى علوم البيولوجيا على سبيل المثال.

وهذه كلها مسائل جوهرية.. لابد من تطوير مناهجنا فيها حتى تكون عصرية وواقعية وليست أثرية ولا تاريخية وهذا أمر مهم.

بين الإسلام والغرب

للدكتور/ حمدى فتوح والى

لم يعد يخفى على أحد طبيعة ما يدور على الأرض اليوم من صراع، وما ينطوى عليه هذا الصراع من تمويه وتضليل وخداع. إن جاز أن يصدقه الجاهلون والمغفلون فإنه لا يخفى على من أوتى حظا من الفطرة السوية والعقل السليم.

ولك أن تسرح بخاطرك وتنظر إلى مواطن الصراع، لتدرك من أول وهلة أن المسلم، وحده هو الهدف لأى صراع يقوم فى الأرض، ويزداد الصراع حدة، والقتال وحشية كلما كان هذا المسلم ممن ينشدون الإسلام عقيدة، والقرآن دستورا ومنهاج حياة.

خذ هذا المعيار وانظر فى ضوئه إلى ما فعله الصليبيون فى بلاد البلقان وما فعله الروس بأفغانستان ثم ما يفعله به الأمريكان اليوم، ثم انظر إلى ما يفعله الروس بالشيشان واسأل العالم الأخرس بأى جريمة يباد المسلمون فى هذا البلد الحبيب على يد الدب الروسى الجبان. وانظر ما يقع فى العراق واسأل من دخل على هذا الشعب الآمن فحاصره وجوعه وأفقره، وفجر فيه شلالات الدم تنزف من شرايين الرجال والنساء والأطفال بالليل والنهار؟!! ثم انظروا إلى موقف أمريكا من حرب إسرائيل ولبنان، وقل لى بربك هل يحتاج هذا الموقف الفاضح الحاقد إلى إقامة برهان كي يعلم أهل الأرض جميعا مدى ما يكنه الغرب الصليبى من حقد وبغض وحسد وعداء، يفرى أكبادهم، ويأكل قلوبهم. وهل بقى إنسان على ظهر هذه الأرض به بقية من عقل أو ذرة من إحساس لم يفهم دوافع الحصار والتجويع والإبادة التى تشنها أمريكا عن طريق إسرائيل على شعب فلسطين؟!

ماهى جريمة الصومال

إننى أقول لكل من لم يفهم بعد ـ جهالة أو ضلالة أو عمالة ـ مغزى الحرب فى كل ما سبق، أتحداه، أن يأتى لى بمبرر واحد لتدخل أمريكا بطيرانها لتضرب أبناء الصومال ـ الذين يعانون الفقر والحرب والجوع والمرض ـ وكل جريمة أهل الصومال أنهم اختاروا الشريعة الإسلامية منهج حياة وقارب نجاة ليخرجوا أنفسهم وأهليهم من مستنقع الحرب الأهلية والجوع والدمار والحصار، فأى جريمة اقترفها هؤلاء المسحوقون فى نظر الغول الأمريكى الحاقد إلا إيمانهم بالله

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

(البروج:٨)

وهل تريد بعد ذلك جريمة تستوجب ذبحهم وتستدعى تدميرهم، وهم الذين أعلنوا الإسلام دينا والشريعة الإسلامية نظام حكم ومنهاج حياة؟!

إن أردت إجابة عن هذا التساؤل واستيضاحا منهم يبرر فعلهم هذا فلن تجد أدق ولا أعمق من قول الخالق الحكيم سبحانه وتعالى يلقن نبيه هذا السؤال بقوله سبحانه:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾

(المائدة:٥٩)

الإرهاب فى نظر أمريكا!!

لقد انكشفت سوءة الحقد الصليبى الغربى بتحالفه الشيطانى، وإن ظن أن بعض السذج من أبناء المسلمين قد انطلى عليهم تصنيف المسلمين إلى إرهابيين ومسالمين. وإنى أتحدى أمريكا أن تعلن بشجاعة عن عقد مؤتمر عالمى تناقش فيه قضية الإرهاب. وتحدد فيه بدقة. ماذا تقصد بالإرهاب؟ وأنا واثق أنها لن تفعل أبدا، لأن الإرهاب فى نظر أمريكا وحلفائها هو الإسلام، وهى أزكى وأخبث من أن ترتكب أكبر حماقة فى تاريخها بإعلانها المباشر بأن الإسلام هو الإرهاب، لأنها بذلك ستفقد رصيدا كبيرا وضخما لدى العوام والجاهلين وتكسب عداوتهم ونقمتهم عندما تستهدف هذا الرصيد التاريخى الذى ألفوه وتعودوه ويقر عليهم أن يفقدوه، تماما كما يعز على الإنسان بعض متاعه أو بعض ذكرياته التى عاش بها وعاشت معه، كما أنها لن تخرج أتباعها وسماسرتها الذين يروجون لها ويخدمون مصالحها، ويفتحون لها كل مغلق لتعربد فى الأرض كما تشاء. عندما تضعهم فى موقف الاختيار بين الإسلام الذى هو عقيدة شعوبهم وهوية أمتهم، وبين خدمة مصالح أعداء الإسلام الذين أعلنوا عداوتهم للإسلام باعتباره إرهابا لهم وخطرا على كيانهم.

إن رفع كلمة «الإرهاب» شعارا واستخدامها فزاعة فى وجه كل من يعارض أو يتمرد، أو يكشف سر اللعبة، أصبح أمرا معلوما لدى أهل الأرض جميعا.

وإن بقاء هذا المصطلح مطاطا وفضفاضا هو أمر مقصود، حتى تستطيع أمريكا أن تدخل تحته من تشاء متى تشاء، ممن يعلنون الكفر بالعولمة الأمريكية، ويختارون الإيمان بالله. وبرغم وضوح هذه الألاعيب، وإدراك أصحابها بأنها مكشوفة ومفضوحة، فإن أمريكا وحلفاءها لا يتحرجون من تكرار نفس اللعبة، وبنفس الطريقة مستندين إلى قوة جيوشهم وكثرة عتادهم، ومستفيدين من حالة الرعب التى تسكن قلوب من حجبوا عن

الله، وحرموا العزة التى تستمد من جبروته وحماه.

الحرب الصليبية

إن الوقت قد حان لتسمى الأشياء بأسمائها، وتظهر المواقف على حقيقتها، وأن تتوقف هذه اللعبة السمجة التى اخترعها شياطين الفكر فى أمريكا وأوروبا، وأقنعوا بها شياطين السياسة فى بلادهم باسم «الإرهاب» ليكون وسيلتهم إلى تأديب كل من يخالف أفكارهم، أو يحتفظ بكيانه أمامهم. أو يبدى اعتراضا أو قلقا من هيمنتهم واستعلائهم. ومن يسترجع أحداث الحادى عشر من سبتمبر سيتذكر بوضوح قولة الرئيس الأمريكى يومها «من ليس معنا فهو علينا» وقولته التى أدهشت الدنيا كلها «لقد بدأنا حربنا الصليبية من جديد».

وبرغم محاولته التخفيف منها والتقليل من خطورتها، أو الاعتذار عنها، فقد ظلت هذه الجملة هى الحقيقة الوحيدة التى تفسر مواقف الحقد. وحملات الدمار وضربات الإبادة بكل ما أوتى من وحشية وهمجية. وصدق الله العظيم القائل:

﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٨)

حقيقة الصراع

وأمام وضوح هذه الحقيقة، التى لا أظن أنها كانت تخفى على أصحاب الفطر السوية والعقول السليمة. لم يبق أمامنا إلا أن نؤمن بحقيقة واحدة واضحة بينة أضوأ من الشمس، وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار. وهى أن الصراع بيننا وبين الغرب صراع دينى حضارى: بين حضارة الغرب بكبره وجموده وغروره وقسوته، وبين حضارة الإسلام باستعلائه وشموخه واعتداله وإنسانيته، بين حضارة مادية طينية جسدية، لا تعرف الإنسان إلا ظالما قاهراً، أو مستضعفا مقهوراً. وبين حضارة يقول سيدها: «من ظلم معاهدا وانتقصه حقا من حقوقه فأنا حجيجه يوم القيامة» (١).. وبين حضارة لا تتورع أن تقتل من البشرية عشرات الملايين من البشر فى حربين عالميتين فى أقل من ثلاثين عاماً، وبين حضارة تحترم آدمية الإنسان حتى بعد موته فيقوم صاحب هذه الحضارة ـ صلوات الله عليه ـ احتراما لمرور جنازة، وعندما يقول له أصحابه: إنها جنازة يهودى ـ يقول صلوات الله وسلامه عليه: «أليست نفساً؟» (٢).

حضارتنا وحضارتهم

بين حضارة لا تتورع أن تحرق مدينتين عظيمتين بضغطة حمقاء على «زر» فتحيلهما ناراً تأكل أجساد ملايين البشر فى «هيروشيما» و«نجازاكى» فى اليابان. وبين

(١) سنن أبوداود ج٣/٤٣٧

(٢) صحيح البخارى ج٢/١٠٨

حضارة تحرم على أتباعها حبس «هرة» وتجويعها، وتتوعد من يفعل ذلك بدخول النار «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» (٣).

وأخيراً بين حضارة ترمى فائض إنتاجها من القمح فى البحر حتى تحتفظ بقيمة سعره، بينما ملايين البشر فى إفريقيا وآسيا يموتون جوعا وفقرا، وبين حضارة الإسلام التى تبشر رجلا بالجنة لأنه سقى كلبا كان يلهث من العطش. وتدعو أتباعها إلى رحمة كل مخلوق حى بقول نبيها «صلى الله عليه وسلم»: «فى كل كبد رطبة أجر» (٤).

ومع وضوح الفارق بين الحضارتين حضارة الإسلام التى تستمد أسرارها من وحى السماء وتتلقى منهجها من العزيز الحكيم، وبين حضارة المخلب والناب ومنهجها القائم على إمتاع الجسد والتفنن فى الإكثار من الشهوات والملذات، ولا يبقى أمامنا إلا أن نشكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ على نعمة الإسلام التى جعلنا بها خير أمة أخرجت للناس.. وأعظم شكر يكافئ هذه النعمة ويزكيها هو حسن الاستقامة على هذا الدين، وصدق الإيمان بالله رب العالمين وأن نرى الله منا ما يرضى به عنا. ويحقق لنا النصر الذى أوجبه على نفسه بقوله سبحانه:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم: ٤٧)

الفصام

وهذا يتطلب منا أن نتخلص من هذا الفصام النكد بين ما هو مدون فى قرآننا، وبين ما يمارس واقعاً فى حياتنا.

بين الإسلام ثقافة تاريخية ومعارف باردة تتعامل مع الأذهان المجردة، وبين الإسلام الذى يتحول إلى واقع يحكم الأرض ويتمثل فى أمة تقود البشرية كلها إلى الخير والنماء والصلاح.

فليس هناك إيمان هو مجرد شعائر تعبدية أو تصورات ذهنية لا ترجمة لها فى الواقع، ولا أثر لها فى تنظيم شئون الحياة. ويوم يقوم الإيمان فى حياتنا عقيدة تنبثق منها شريعة، يقوم على حراسة هذه الشريعة نظام.. يومها لن تستطيع أمريكا ولا حلفاؤها أن يهددوا وجودنا بقطع المعونات، ولا أن يرهبونا بكثرة التهديدات لأن إيماننا بالله يرفعنا عن مقام التسول، ويقيننا بنصره يجعلنا فى مأمن من كل تهديد. ويومها ندرك حقيقة قول ربنا سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

(٣) صحيح البخارى ج٤/١٥٧

(٤) صحيح البخارى ج٣/١٧٤

قصيدة العدد

المجد الماضي (*)

لشاعر العرب الشيخ/ عبدالمحسن الكاظمي

قَدْ ذَكَرْنَا مَجْدَنَا العَذْبَ الرُّوَاءْ ... وَانْثَنَيْنَا تَنْدُبُ العَذْبَ الرُّوَاءْ(1)

وَكَنَيْنَا عَنْهُ تَخْوَافَ العِدَى ... تَلْفِتُ الطَّرْفَ لِكَانِيهِ اشْتِقَاءْ(2)

أَيُّهَا المَجْدُ تَرَاجَعْ وَأَقِمْ ... وَاقْصُرِ اللَّبْثَ عَلَيْنَا وَالثَّوَاءْ(3)

لا تَكُنْ مُغْتَرِبًا عَنْ عُصَبٍ ... أَصْبَحُوا مِنْكَ جَمِيعًا غُرَبَاءْ(4)

بِنْتَ لا بِنْتَ فَهَلْ بَعْدَ النَّوَى ... نَلْتَقِي أَمْ أَنْتَ لَمْ تَنْوِ اللِّقَاءْ(5)

هَذِهِ الأَوْطَانُ تَدْعُوكَ فَعُدْ ... وَأَعِدْ فِي أَهْلِهَا ذَاكَ البَهَاءْ

لا تَدَعْ عَيْنَ العِدَا تَنْظُرُنَا ... نَظَرَ الغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ ازْدِرَاءْ

••• ... •••

أَيُّهَا الرَّامِي إِلَى غَايَاتِهَا ... مُحْسِنًا عَنْ قَوْسِ فِكْرَيْهِ الرِّمَاءْ(6)

(*) من ديوان الكاظمي ج٢ص٢٩٤ وشاعر العراق عبدالمحسن الكاظمي اشتهر بجزالة اللفظ وسرعة الارتجال مات في مصر سنة ١٩٣٥م.

(١) الرواء: البهيج، تندب: تطلب. (٢) كنينا: لم تصرح، تخواف: خوف.

(٣) اللبث والثواء: بمعنى الإقامة. (٤) عُصَب: جماعات.

(٥) بنت: بعدت، لا بنت: جملة دعائية. (٦) الرامي: من يرمي صائداً، الرماء: تسديد السهم.

أَجِلِ الطَّرْفَ وَجُلْ بَيْنَ الوَرَى ... وَابْعَثِ الفِكْرَ هُبُوطًا وَاعْتِلاءْ(7)

تَجِدِ الشَّرْقَ هَوَى مِنْ صَرْحِهِ ... وَتَرَى الغَرْبَ تَعَالَى حَيْثُ شَاءْ

إِنَّ ذَا مِنْ كَسَلٍ نَامَ وَذَا ... قَامَ يَشْأَى عَزْمَهُ السَّيْفُ مَضَاءْ(8)

وَكَذَا مَنْ كَانَ فِي يَقْظَتِهِ ... تَرَكَ الرَّاقِدَ فِي الشَّوْطِ وَرَاءْ(9)

وَالَّذِي يَرْجُو المَعَالِي رَاقِدًا ... فَاتَهُ اليَقْظَانُ عِزًّا وَاعْتِلاءْ(10)

ظَلَّ هَذَا يَنْشَقُ الهُوجَ وَذَا ... رَاحَ لا يَنْشَقُهَا إِلَّا رُخَاءْ(11)

أَبَدًا مَنْ جَالَ فِي أَنْحَائِهِ ... لا يَرَى غَيْرَ رَزَايَا تَتَرَاءَى(12)

لا يَرَى غَيْرَ أَسًى يَتْلُو أَسًى ... وَعَنَاءً لا يَلِي إِلَّا عَنَاءْ(13)

وَفَتًى مِنْ جَنْبِهِ بَعْدَ فَتًى ... يَتْرُكُ الجَمَّ وَيَرْتَادُ اللَّغَاءْ(14)

وَحِمًى مُنْتَهَكٌ بَعْدَ حِمًى ... لَيْسَ يَلْقَى فِيهِ ذُو الرَّوْعِ احْتِمَاءْ(15)

كُلَّ يَوْمٍ أَزْمَةٌ تَفْرُسُهُ ... بِنُيُوبٍ تَدَعُ الطَّوْدَ هَبَاءْ(16)

يَسْرِقُ الأَزْلَمُ مِنْ أَحْدَاثِهِ ... لَمْحَةَ الطَّيْرِ إِلَى الفَخِّ اقْتِدَاءْ(17)

وَيَرُدُّ اللَّحْظَ فِي أَجْفَانِهِ ... دَامِيًا يَعْثُرُ بِالفَجْرِ عَشَاءْ(18)

وَأُولُو الأَمْرِ كَمَا تَنْظُرُهُمْ ... أَغْفَلُوا الأَمْرَ وَعُدُّوا أُمَرَاءْ

قَرَّبُونَا لِلْبِلَى وَابْتَعَدُوا ... قَاتَلَ اللهُ الطُّغَاةَ البُعَدَاءْ(19)

---

(٧) الطرف: النظر، هبوطاً: نزولاً.

(٨) ذا الأولى: تعود على الشرق، وذا الثانية تعود على الغرب، يشأى: يفوق.

(٩) الراقد: النائم، الشوط: السباق. (١٠) فاته: خلّفه وراءه وسبقه.

(١١) ينشق: يشم، الهوج: الرياح. (١٢) رزايا: مصائب، تتراءى: تلوح.

(١٣) لا يلي: لا يتبع. (١٤) اللغاء: الخسيس، الجم: الكثير.

(١٥) منتهك: مستباح، الروع: الفزع. (١٦) تفرسه: تأكله، نيوب: جمع ناب، الطود: الجبل.

(١٧) الأزلم: الدهر الغاشم، اقتداء: إغماضاً، أي يرى الخطر ولا يتنبه له.

(١٨) يعثر بالفجر عشاء: أي أنه لا يرى النور فهو في عشاء.

(١٩) البلى: الهلاك.

مَنْ يدٍ للظُّلْمِ أَقْوَى مِنْ يدٍ ... لَمْ تَنَلْ إلاَّ العِبَادَ الضُّعَفَاءْ[٢٠]
مَنْ أُقَاضِي وغَرِيمِي ذُو القَضَا ... فَخُذُونِي والقُضَاةَ الغُرَمَاءْ[٢١]
أَيْنَ لا أَيْنَ الأُلَى قَدْ أَنِفُوا ... وأَبَوْا إلاَّ المَعَالِي والإِبَاءْ[٢٢]
رَجَحُوا حِلْمًا وخَفُّوا هِمَمًا ... ونَشُوا صِيدًا وشَبُّوا زُعَمَاءْ[٢٣]
لِلْهُدَى كَانُوا أَدِلاَّءَ ولِلْعَدْلِ ... والمَعْرُوفِ كَانُوا خُلَفَاءْ
لَوْ دَعَاهُمْ صَارِخٌ لانْتَفَضُوا ... عَنْ بُطُونِ الأَرْضِ واحْتَلُّوا السَّمَاءْ
أَطْلَقُوا كُلَّ أَسِيرٍ مِثْلَمَا ... مَلَكُوا الأَحْرَارَ جُودًا وسَخَاءْ
لَوْ تَبِعْنَا فِي العُلا آثَارَهُمْ ... لَزَحَمْنَا الشَّرْقَ والغَرْبَ عَلاءْ
تَرَكُوا المَنْزِلَ مَعْمُورًا لَنَا ... ثُمَّ جِئْنَا فَتَرَكْنَاهُ خَلاءْ[٢٤]
ضَرَبُوا العِزَّ لَنَا أَخْبِيَةً ... فَنَقَضْنَاهَا خِبَاءً فَخِبَاءْ[٢٥]
وبَنُوا المَجْدَ عَلَيْنَا صَرْحًا ... فَعَقَرْنَاهَا بِنَاءً فَبِنَاءْ[٢٦]
وبَقِينَا صُوَرًا جَامِدَةً ... لا يَرَى فِيهَا أَخُو الرُّشْدِ ثَمَاءْ[٢٧]
كُلُّنَا نَلْهَجُ بِالعِلْمِ ولا ... أَحَدٌ مِنَّا يُبَارِي العُلَمَاءْ[٢٨]
لَيْسَ لِلْفَضْلِ نَصِيبٌ عِنْدَنَا ... غَيْرَ أَنْ تَعْرِفَ مِنْهُ الفُضَلاءْ
تَدَّعِي العِلْمَ ولَوْ أَنْصَفْتَنَا ... أَنْصَفَتْنَا لَدَعَتْنَا جُهَلاءْ
عُلَمَاءُ الأَرْضِ قَوْمٌ عَلِمُوا ... أَنَّ فِي الأَرْضِ نَعِيمًا وشَقَاءْ

(٢٠) يريد أن أمراءنا لا ينالون من غير ضعفائنا ويتركون أعداء البلاد خوفاً.
(٢١) القاضي: الحاكم، ذو القضا: الحاكم نفسه. (٢٢) أنفوا: ترفعوا.
(٢٣) نشوا: يريد نشئوا بتخفيف الهمزة، صيداً: جمع أصيد وهو النبيل ذو الكبرياء.
(٢٤) خلاء: قفراً لا يسكنه أحد. (٢٥) الخبية: خياماً، نقضناها: أزلناها.
(٢٦) صرحاً: جمع صرح، وهو القصر العالي، عقرناها: يريد هدمناها.
(٢٧) ثماد: بقية. (٢٨) يباري: ينافس.

عَلِمُوا مِنْ أَيْنَ يَجْتَاحُ الشَّقَا ... فَأَزَاحُوهُ وعَاشُوا سُعَدَاءْ[٢٩]
شَمَّرُوا والشَّكُّ فِي حِنْدِسِهِ ... فَأَحَالُوا ظُلَمَ الشَّكِّ ضِيَاءْ[٣٠]
كَشَفُوا كُلَّ غِطَا واكْتَشَفُوا ... كُنُزًا كَانَ بِهَا التُّرْبُ مَلاءْ[٣١]
سَخَّرُوا البَرْقَ فَأَضْحَى طَوْعَهُمْ ... واسْتَقَادُوا مِنْ لَظَى النَّارِ العِصَاءْ[٣٢]
وأَذَابُوا مِنْ حَدِيدٍ زُبَرًا ... وأَعَادُوهُ رِشَاءً فَرِشَاءْ[٣٣]
ثُمَّ مَدُّوهُ عَلَى هَامِ الوَرَى ... وأَمَدُّوا فِي حَشَاهُ الكَهْرَبَاءْ[٣٤]
جَعَلُوا البَحْرَ قُصُورًا والثَّرَى ... أَبْحُرًا تَزْخَرُ صَيْفًا وشِتَاءْ[٣٥]
ولَقَدْ عَبُّوا بِأَصْفَى مَائِهَا ... وشَرِبْنَا فَضْلَةَ الرَّنْقِ حُسَاءْ[٣٦]
وخَلِيقٌ بِالرَّوِي مِنْ جَعَلَ ... الكَدِرَ الآجِنَ عَذْبًا ورَوَاءْ[٣٧]
لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَطْلَقَهُمْ ... مِنْ عِقَالٍ وذَعَانَا أُسَرَاءْ[٣٨]
مَا لَنَا نَحْنُ ضَعُفْنَا وقَوُوا ... أَوَ لَسْنَا كُلُّنَا طِينًا ومَاءْ

❁❁❁

(٢٩) يجتاح: يكتسح. (٣٠) حندسه: ظلامه، أحالوا: صيّروا.
(٣١) كُنُزاً: جمع كنز، ملاء: ممتلئة.
(٣٢) استقادوا الشيء: جعلوه منقاداً لهم، العصاء: جمع عاصٍ.
(٣٣) زبراً: قطعاً من الحديد، رشاء: حبالاً يريد الأسلاك الكهربائية التي امتدت كالحبال.
(٣٤) هام: رءوس، حشاه: داخله.
(٣٥) قصور البحر: البواخر العالية أما أبحر الثرى فهي الأنهار الصناعية التي حفروها.
(٣٦) الرنق: الكدر، حساء: جرعاً. (٣٧) خليق: جدير، الآجن: الكدر الآسن.
(٣٨) أسراء: جمع أسير.

الأمم بين الصعود والهبوط

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فقد بحثت في علاقة بني إسرائيل بنبيهم موسى -عليه السلام-، وحاولت أن أعرف حقيقتها وأن أشرحها للناس وأشرح ما أعقبها وما صاحبها من نتائج، فإن قصص القرآن الكريم مصباح تنطلق أشعته منه لكي يعرف الناس الطريق الصحيح فلا يزيغوا ولا يضلوا.

بدا لي أن علاقة بني إسرائيل بموسى لم تكن علاقة إيمان بالله وتقدير لحقوقه وتكريم لنبيه، وإنما كانت أشبه ما تكون بعلاقة قوم مع من جاء يحررهم ويدفع العذاب عنهم، أو علاقة قوم برجل من بني جنسهم يتعصبون له ويحتفون به، وأخذت أتأمل ما جاء في القرآن الكريم في هذا المجال.. رأيت أن موسى - عليه السلام - بعد أن انتصر على سحر فرعون فاهتزت ألوهية الرجل الأحمق، وانكشفت صورته أمام الناس فإذا هو

مخذول تافه، ثم كان إيمان السحرة بموسى - عليه السلام - وإيثارهم للآخرة على العاجلة كان ذلك ختماً لدعوى المفتون بأنه إله.

لكن هذا النصر الذى أحرزه موسى على خصومه لم يدم طويلاً حتى بدأت المحنة تنزل بقومه وبدأ سيل جديد من المحن والفتن ينزل ببني إسرائيل:

﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك﴾

(الأعراف: ١٢٧)

الحاشية الضالة تُغري فرعون بنبي الله، الحاشية الضالة تُملي للرجل المغرور أن يمضي في طريق الفتك والأذى:

﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾

(الأعراف: ١٢٧)

ماذا يصنع موسى أمام هذا البلاء؟ لا طاقة له على دفعه، ولذلك أخذ يصبرهم على لأواء هذه المتاعب:

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾

(الأعراف: ١٢٨)

ماذا كان جوابهم؟ كان جواباً رديئاً، فقد قالوا له: ما استفدنا منك شيئاً، بعثتك كانت صفراً، تعبنا قبلها وتعبنا بعدها:

﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾

[الأعراف: ١٢٩]

صلاح الشعوب

مصاير الشعوب بين يدى الله، مستقبل الدول فى أصابع القدر ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، من يدرى؟ قد يهلك عدوكم ثم تتولون الأمور من بعده، ترى هل ستكونون فراعنة مثلهم تذلون الناس، وتنصرون الباطل، وتتبعون الشهوات أم ستكونون قوماً صالحين؟ هذا هو معنى كلمة موسى لبني إسرائيل:

﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾

(الأعراف: ١٢٩)

مما يذكر هنا أن صلاح الشعوب جملة أو كون الصلاح ينتظم أكثر الناس لا يتم إلا بعد مراحل طويلة، أما في المرحلة الأولى فالناس خليط وأغلب الناس يتبع ما شاع من تقاليد وما انتشر من بدع وأحكام ولا يعنيه أن يحيى كما ورث الحياة، وأغلب اليهود عندما ظهر موسى كان الذل قد رسم خطوطاً عريضة عميقة

في أعصابهم، وكما قال أبو الطيب المتنبي[١]:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

فأكثر أتباع موسى ألفوا الذل والهوان، ألفوا إذلال الفراعنة وأن تنحني أصلابهم لغير الله، وأن يضربوا فلا يتألموا، لكن عدداً قليلاً من الناس سلمت فطرته وصحت عقيدته وعرف الدين صلة بالله ترفع الرءوس وتزكي النفوس وتجعل المؤمن يجتاز دروب الحياة وهو لا يعرف إلا ربه ولا يبغي إلا رضاه ولا ينتظر إلا جداه[٢].

جيل الشباب الناشيء

وقد صرح القرآن الكريم في سورة يونس أن الذين آمنوا إيماناً فيه صلاحية وقبول هم الجيل الناشيء، أما الجيل الذي ألف الدنايا وتحمل ذل فرعون دون أن يتمرد فقد فسد، قال تعالى:

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[يونس: ٨٣]

الشباب الجديد الناشيء هو الذي مضى مع خيالات المجد والتحرر ومعرفة الله وحده، ورفض الألوهية الأرضية واحتقار الأصنام الحية التي يعبدها الناس في كل عصر ومصر.

وبعد زمن من التعذيب والتقتيل جاء الأمر لموسى بأن يتحرك من هذا البلد، وأصدر موسى أمره إلى بني إسرائيل بأنه في ليلة كذا يتركون بلادهم متجهين نحو الصحراء الشرقية إلى شاطيء البحر، وعرف بنو إسرائيل أنهم خارجون من مصر ولن يعودوا فاستعاروا الحلي من المصريين على أن تبقى معهم قليلاً، ثم ترد وهربوا بها!!.

انظروا الفارق بين مسلكين، عندما قرر النبي «ﷺ» الهجرة من مكة إلى المدينة وكانت في بيته ودائع كثيرة للمشركين استبقى بعده علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كي يرد الودائع إلى أصحابها[٣] فلا يكون اختلاف الدين سبباً في التهام مال أو إضاعة حق!!.

وخرج بنو إسرائيل - وهم سارقون - وراء موسى، وبداهة ليسوا كلهم لصوصاً ولكن عدداً كبيراً منهم كان يحمل حلى المصريين معه، وبدأ معدن القوم يتكشف.

عرف فرعون أن بني إسرائيل خرجوا هاربين:

(١) ديوانه: ٢٣٧/١. (٢) الجد: العطاء.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١٢٦/٢، ١٢٧ وتاريخ الطبري ٣٧٨/٢.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾

[الشعراء: ٥٣ـ٥٦]

وانطلق فرعون وراء بني إسرائيل، وبدأ الجيش الفرعوني يقترب من اليهود، فلما أحس اليهود بأن المراحل تطوى وراءهم وأن الجيش المصري يقترب منهم صاحوا بموسى:

﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾

[الشعراء: ٦١ـ٦٢]

مهما اشتدت الظلمة ومهما كثر الحرج فإن المؤمن لا يضطرب يقينه، ولا يتصدع إيمانه، ولا تضعف بالله صلته، فهو لآخر لحظة واثق من أن الله لن يضيعه:

﴿ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

[الشعراء: ٦٢ـ٦٦]

كيف غرق الآخرون؟.

أمر موسى بأن يترك البحر على النحو الذي حدث له. جبال من الأمواج عن اليمين، وجبال من الأمواج عن الشمال، وقاع يبس:

﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[٤]

[الدخان: ٢٤]

وانطلق فرعون وجنوده وراء الإسرائيليين حتى اجتمع الجيش كله داخل البحر فانطبقت الأمواج وهلك المفسدون!!.

نتابع القصة لنعرف طبيعة بني إسرائيل، فإنهم ما كادوا يخرجون للشاطيء الآخر ويسيرون قليلاً حتى وجدوا قوماً يعبدون الأصنام فانكشف الضلال في معادنهم:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٣٩ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[الأعراف: ١٣٨ ـ ١٤٠]

ومشى بهم قليلاً، وهنا نقف وقفة تأمل فيما يقصه القرآن علينا، لقد اجتازوا الخليج إلى سيناء، ومضوا في سيناء في طريقهم إلى الشاطيء الآخر، والشاطيء

(٤) واترك البحر رهواً: اتركه ساكناً على هيئته التي هو عليها بعد ضربه بالعصا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم. يقال: رها البحر يرهو: سكن. وجاءت الخيل رهواً: أي ساكنة. أو اتركه مفتوحاً على حاله منفرجاً، من رها الرجل رهواً: فتح بين رجليه وفرج بينهما، وهو حال من البحر. والمراد به البحر الأحمر.

الآخر كان فلسطين، الأرض المقدسة، من كان يسكنها؟

كان يسكنها جنس عربي، كان يسكنها الكنعانيون وهم جنس عربي فيه أخلاق العروبة قبل أن يؤدبها الإسلام، فيه خصال العرب من جبروت وفتك ومفاخرة قبل أن يجيء الإسلام فيرفع خسيستهم ويلزمهم الأدب.

كلَّف الله بني إسرائيل أن يدخلوا فلسطين ليقاتلوا جبابرتها:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

[المائدة: ٢٠ - ٢٦]

كانت النتيجة أن الله جعل سيناء مصيدة لليهود، أحكم جدرانها عليهم فلا يخرجون منها أبداً، وظلوا هكذا أربعين سنة حتى هلكت الأجيال الجبانة المنافقة التي استمرأت الدنايا والمذلة، وتكونت أجيال أخرى تعرف الله وتحب رضاه وتبذل حياتها في سبيله، ثم دخل اليهود بعد ذلك فلسطين يقاتلون الجبابرة.

ونسأل: ماذا كان حال الدنيا خلال أربعين سنة؟.

كان الجبابرة يفسدون في الأرض، وقبل الله أن تبقى الأرض أربعين سنة يحكمها الجبابرة، لأن الحياة اختيار، وسيبقى الكافرون يحكمون الأرض ما بقيت الأرض ليس فيها العنصر الذي يخلف الظلمة ويستطيع أن يطبق آيات الرحمن بدل تعاليم الشيطان.

دروس من التاريخ

لابد أن يبقى زمام العالم بين أيدي عبيد الشيطان، لأن عباد الرحمن بالمفاسد التي استقرت بينهم ليسوا أهلاً لأن ينتصروا، ولا أهلاً لأن يقودوا، لابد لكي تكون الأمة سيدة أن تستجمع أسباب السيادة.

قرأت في التاريخ الإسلامي أن «هولاكو» دخل بغداد وقتل نحو مليون أو مليون ونصف المليون من الناس حتى إن الفرات احمرَّت مياهه من كثرة الدماء التي سُفكت!! وكان المسلمون يومئذ أهلاً للهزيمة وكانوا جديرين بها، ثم مضى القرن السابع الذي انهزم المسلمون فيه، وجاء القرن الثامن الهجري وما جاء القرن التاسع الهجري حتى كان المسلمون

يثأرون لأنفسهم مما نزل بهم، ودخل المسلمون القسطنطينية وجعلوها عاصمة الإسلام!!.

متى انتصروا؟ لما صلحت أحوالهم واصطلحوا مع الله!!.

هناك فارق كبير بين الخليفة العربي الذي قُتل مع قومه في بغداد وبين الخليفة الذي انتصر على أعداء الإسلام وافتتح القسطنطينية.

يقول التاريخ عن «محمد الفاتح»: كان رجلاً صواماً قواماً، وكان كثير القراءة للقرآن الكريم، وقبل أن يموت جمع أولاده وأوصاهم بأن يظلوا مجاهدين لنصرة الإسلام وألا يشغلهم شيء عن مرضاة الله!!.

انظر لصلتك بالله ثم انتظر أنى يصنع الله لك؟ والذي حدث أن أمتنا لم تعرف حقيقة الصلة بالله.

أتظنون العرب لما ملكهم الله الفرس والروم كانوا: عنترة بن شداد، وامرأ القيس، وبقية الشعراء والدجالين؟ لا، لا، كانوا نوعاً آخر من الناس، كانت فلسفة الحكم في العالم يومئذ: الحق الإلهي للملوك[٤]. فإذا في المدينة فلسفة جديدة للحكم يقول فيها الخليفة: «... أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله»[٦].

ويشرح عمر - رضي الله عنه - سياسته في المال فيقول:

«ما مثلي ومثل هؤلاء إلا كقوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل معهم، فقالوا: أنفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء»؟.

قالوا: لا يا أمير المؤمنين، قال: «فكذلك مثلي ومثلهم»[٧].

وكان يقول:

لا شيء فيما ترى إلا بشاشتهُ

يبقى الإله ويودي المال والولد[٨]

سياسة جديدة في المال، سياسة جديدة في الحكم، سياسة جديدة في البحث العلمي تقوم على التجربة والملاحظة

(٤) نظرية سياسية تعرف كذلك باسم نظرية التفويض الإلهي، والمقصود بها أن الملوك أو رؤساء الدول قد اختارهم الله تعييناً لحكم شعوبهم، فمن ثم فهم لا يستمدون سلطاتهم من شعوبهم بل من هذا التفويض الإلهي، وتفريعاً من هذه النظرية تعتبر كل ثورة على الملوك اعتراضاً على حكم الله، وهذا ما عناه لويس الرابع عشر بقوله: «أنا الدولة والدولة أنا».

(٦) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٦/١ - ٣٠) وقال: هذا إسناد صحيح.

(٧) مناقب عمر لابن الجوزي: ١٠٢.

(٨) نفس المرجع: ١٨٨ وتاريخ الطبري ٢٩/٥.

ورفض الأخيلة الفلسفية الشاردة، سياسة فى الخلق والسلوك، سياسة جديدة فى كل شىء، غيّر المسلمون وجه الحياة وطلعوا على الناس بثقافة جديدة وحضارة جديدة.

كيف وقع هذا؟.

هنا نقارن بين فترتين، يقول المؤرخون: احتاج بنو إسرائيل إلى أربعين سنة حتى يتحولوا إلى جيل يصلح لوراثة الحكم أو لقيادة الناس أو لإمامة الخليقة

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾

[الأعراف: ١٣٧]

من الممكن جداً أن تتحول الأمم إلى أضدادها، لكن الأمر لم يحتج إلى أربعين سنة بالنسبة إلى النبى العربى محمد ﷺ، فخلال ثلاث وعشرين سنة غير العرب السارحين فى الصحراء كأنهم إبل هائمة إلى شعب ثقافة وحضارة يحتقرون اللذات ويطلبون الآخرة، ويمشى أحدهم إلى ميدان الوغى وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التُّقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكلُّ زادٍ عُرضة النفاد
غير التقى والبِرّ والرشاد[٩]

بهذا التغيير الذى حدث للجيش العربى أصبح أهلاً للسيادة وأهلاً لأن يؤخر الرومان من هنا والفرس من هنا، ويتصدر قافلة البشرية ويقودها بجدارة.

عاقبة الانسلاخ من الإسلام

الأمة العربية الآن تلقى الويل والاحتقار لأنها تحاول الانسلاخ من الإسلام، وقد قلت لبعض إخواننا الفلسطينيين: لماذا تطلبون إقامة دولة علمانية؟.

إن إخوانكم فى الجزائر كانوا يحاربون تحت علم التوحيد وتحت هتاف الله أكبر وكانوا يسمون من قُتل: شهيداً، وكانوا يسمون أعداءهم: كفاراً، ووقعت المعجزة وانتصر الجزائريون على الاستعمار الفرنسى.

●●●

إن الأمم ليست بالمزاعم أو الهتافات فإن شيئاً من هذا لا ترجح به كفة ولا ينتصر به ضعيف، لكى تكون الأمة الإسلامية أهلاً لنصرة الله يجب أن ينظر الله إليها فيرى أن الأسرة الإسلامية ألطف وأحكم وأفضل من الأسرة غير الإسلامية، وأن الموظف المسلم أرعى للأمانة وأحفظ

(٩) هذه الأبيات قالها عمير بن الحمام وهو يقاتل فى غزوة بدر، وقد رواها ابن جرير كما ذكر الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية ٣/٢٧٧.

للحدود وأطوع للنظام من أى موظف آخر، وأن الشارع المسلم أنظف من أى شارع فى شرق الدنيا أو غربها.

الأمم المنهزمة

الإسلام دين جاء رحمة للناس وخروجاً بهم من الظلمات إلى النور:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

[إبراهيم: ١]

ما هى الظلمات التى تخرج منها؟ ظلمات الليل؟ كلام فارغ لا يقوله عاقل، ظلمات الجهل والفوضى والتسيب وضعف اليقين وضعف الأخلاق، وما أكثر هذا فى الأمة الإسلامية!!.

ـ يجب ـ كما تُدرس فى كليات الطب الجثث لتُعرف أسباب الوفاة وينتفع بها فى علاج الأحياء ـ أن تُدرس الأمم المنهزمة ويعرف ما فيها من علل، فإذا كُشفت هذه العلل، وعرفنا جراثيم الداء أمكن الخلاص منه والبعد عنه، أما الأمم التى تنافق أمراضها ولا تريد أن تبحثها ولا أن تبتعد عنها فستبقى بعلتها إلى أن تموت بها.

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الحشر: ١٠]

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[النحل: ٩٠]

●●●

سيجريد هونكه تشهد على العقل الغربى

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

> «إن الفكر العربى يحتفل بالواقع الحقيقى، بينما نرى الفكر الهندى يحتفل بالناحية الذاتية كل الاحتفال خلافاً للفكر اليونانى الذى ينتقل طفرة من الجزئى إلى الكلى، من الحقائق المفردة إلى الفكرة المجردة.
>
> فالفكر الإغريقى لم يكن همه الحقائق الملموسة المحسوسة، وإنما وقف بحوثه على مثله العليا، وتحركت دراساته النظرية حرة طليقة من إسار التأثيرات المادية فى مجال الفكر البحت.. أما العرب، فقد سلكوا نهجاً وعراً، صعوداً من أسفل الدرج فى تسلسل تدريجى يتغلغل دنيا الحقائق العلمية كل منها على حدة، المنهج التجريبى القائم على الرصد والملاحظة دون ملل أو كلل، والقياس، والمعادلات والحلول الرياضية، والترقى فى صبر وكبد من الخاص إلى العام، ولئن كان اليونانى فى جوهره من فلاسفة الطبيعة (مع وجود استثناءات) فإن العربى قد غدا عالم الطبيعة بالمعنى الحرفى للكلمة، ومخترع علم الطبيعة التجريبى، ولقد عبد العربى بآلامه حقول العلوم البكر الوعرة تعبيداً، ومهد طرق البحث تمهيداً».

العرب أنقذوا التراث الأوروبى

● «ومن الثابت أن العرب توسطوا لأوروبا فى نقل التراث القديم، بعد أن أنقذوا من الضياع ما تبقى من الأعمال التى تعرضت للدمار بمرور القرون وبسبب التعصب المسيحى، فى واحدة من أ:بر عمليات التنقيب والإنقاذ المنتظمة فى تاريخ الفكر البشرى.. وفى وقت قصير آتت البذار اليونانية والهندية غلالاً فائضة، بعد أن أجدبت الحضارة اليونانية منذ زمن بعيد، هل أحدث الرومان أو الفرس الذين كانت المعرفة تحت تصرفهم، ما يمكن مقارنته بهذا؟

إنه التسامح الإسلامى الذى أتاح للعالم الإسلامى أن ينهل من مصادر المعرفة، حتى الوثنية: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».. فى حين أن بولس الرسول قذف «الكافرين الباحثين عن الحكمة»، وسخر «تيرتوليان»: «أى توافق يوجد بين الأكاديمية والكنيسة؟ وأى شىء يربط أثينا والقدس؟».. وقد وصف الأب الروحى «أوغسطين» الفضولى الملحد بأنه ضرب خطير من المرض»

لقد كانت العبادة -فى الإسلام- هى التطبيق السلوكى للمعرفة منذ الوهلة الأولى..»

حقيقة الفكر العربى

● «وعلى حين يصنف اليونانيون البشرية، فى ضوء رؤيتهم المزدوجة، إلى شيئين مميزين كل التمييز: إما وإلا، هلينيين أو برابرة، أبيض أو أسود، وعلى حين نجد الاصطفاء المسيحى الجنونى المزدوج، إما مؤمنين أو غير مؤمنين.. نجد المذاهب الشتى قد عاشت بين ظهرانى المسلمين، فلم يفكروا يوما أن يشنوا عليها حرباً مقدسة.. فالفكر العربى لا يكاد يوجد فيه أبيض أو أسود، إنه يقر تعدداً، ويعترف فيه الواحد للآخر بأحقيته، فهو يوفق بين الأضداد، ولا تتضارب فيه الشهوة والروحانية، والإيمان والبهجة فى الحياة، والدنيوى، والأخروى، بل إنها أشد ما تكون ميلا إلى بعضها (فيما بينها). وهكذا أيضا نفهم النظرية والتطبيق».

● «وبفضل أسلوب العرب الخاص فى التفكير، وتسامحهم، لم ينظر علماء المسلمين -كما هو الشأن لدى المسيحيين- إلى الإنسان مطلقاً من خلال نظارتهم الإسلامية، لقد نظروا إلى الفرديات، وهكذا أيضا قامت العلوم المقارنة- فالبيرونى (٣٦٢- ٤٤٠هـ- ٩٧٣- ١٠٨٤م) سجل الرقم القياسى بكتابه (تاريخ الهند)، وإلى جانب التاريخ السياسى والوضع الروحى للأديان الهندية، وضع فى حسبانه الانتصارات الحضارية والعلمية، وفى (آثار الماضى) يستعرض الأنظمة التاريخية للعرب والفرس والسيثيين والأشوريين واليونانيين واليهود والمسيحيين فى سياق أعيادهم المقدسة، ودياناتهم، وتاريخهم.. وكذلك صنع ابن حزم (٣٨٤- ٤٥١هـ- ٩٩٨- ١٠١٤م) فى مقارنة الأديان.. وابن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨هـ - ١٣٣١- ١٤٠٦م)..»[1]

● «إن المرء ليسخر من مقولة «هيجل» (١٧٧٠- ١٨٣١م) الشهيرة قاعدة: «كان يجب أن تنقضى مئات السنين قبل أن يصبح العقل الأوروبى قادرا على مغادرة عشه، وعلى تحريك جناحيه والاستعداد للطيران».

لكن هذه القاعدة لا تنطبق على العالم العربى الإسلامى، الذى زخر، على العكس منهم، بالإنجازات العلمية الهامة فى تاريخه البكر بالذات..

إن السيادة الإسلامية فى الشرق خلقت فى وقت قصير حضارة مزدهرة امتد بنيانها زهاء

(١) سيجريد هونكه، العقيدة والمعرفة ص٣-١-٦-١٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٨١، ١٥٢.

سنة إلى ثمانية قرون، حتى منغوليا فى الشرق الأقصى سنة ١٢٥٨م وفى اسبانيا سنة ١٤٩٢م إلى أن اغتالتها الصفوة الروحية المسيحية وضحت بمحتويات المكتبات الضخمة».

● «وإذا احتقر اليونانى الحر العمل البدنى، كاليدوى والزراعى، أو عمل الرقيق فى عقل غير مفيد، باعتبار أن هذا العمل غير كريم (شريف)، اعتبر الاستعمال التطبيقى للمعرفة بمثابة حط من شأن الفكر، وتدنيس للمثل العليا لرؤية الأفكار الصادقة، فإن هذا يتعارض تماما مع الواقع التجريبى للعرب.. وهنا تكمن جذور نوع معين من توجيه المعرفة، والتى بسببها أصبح العرب يتمتعون بوزن خاص، علميا وتاريخيا، وبتأثير حاسم على أوروبا، وبفضل هذا الفرق كان العرب أكثر من مجرد وسطاء للتراث اليونانى، أكثر من سعاة بريد للقديم.. فلم يرتضوا أن يرددوا كالببغاء معارف القدماء، وإنما ابتكروا شيئاً خاصاً وجديداً».

العرب وراء البحث التجريبى

«لم يعمل العرب على إنقاذ تراث اليونان من الضياع والنسيان فقط، وهو الفضل الوحيد الذى جرت العادة على الاعتراف به لهم حتى الآن- ولم يقوموا بمجرد استعراضه، وتنظيمه، وتزويده بالمعارف الخاصة، ومن ثم إيصاله إلى أوروبا، بحيث أن عددا لا يحصى من الكتب التعليمية العربية حتى القرنين ١٦ و١٧ قدمت للجامعات أفضل مادة دراسية، وقد أصبحوا - وهذا أمر قلما يخطر على بال الأوروبيين- المؤسسين للكيمياء والفيزياء التطبيقية، والجبر، والحساب بالمفهوم المعاصر، وعلم المثلثات الكروى، وعلم طبقات الأرض، وعلم الاجتماع وعلم الكلام.

وإلى جانب الابتكارات والاكتشافات الفردية التى لا حصر لها فى سائر العلوم التجريبية - التى إما أنكرها أو نسبها الكتاب الأوروبيون إلى الغير - فقد وضعوا فى يد العالم الأداة المتكاملة الجاهزة، ألا وهى النظام العددى والحسابى، ومناهجهم العلمية الطبيعية فى مجال البحث التجريبى، الذى من العسير تقييم دوره الفعال فى التطور العلمى الأوروبى».

«إن عددا كبيرا من الأعمال اليونانية والإغريقية لـ: «أبو كير» و«جالينوس، وبطليموس، وغيرهم قد تم تجاوز بعضها من قبل العرب الذين أمسكوا بزمام التراث اليونانى على مدى مئات السنين، وواصلوا السير فيه وتعدوه»[٢].

● «وبالعرب أيضا، أصبحت الحقائق المتفرقة موضوعا لسائر البحوث، وهنا أيضا تولد الصعود التدريجى المتأنى، الذى يركن إليه، من الحالات الفردية إلى العموميات، وذاب المنهج الاستقرائى ليشق طريقه لمنهج علمى، فيه تحاصر الحقائق بمشاهدات ومقايسات لا تعرف الكلال، وبعدد لا يحصى، وصبر لاينفد، وعمل منتظم، من التجارب المتكررة، تحت شروط مختلفة، ثم الحصول على قواعد وقوانين ثابتة، وأعيد النظر فى النظريات، فمنها ما استبدل، ومنها ما اعتمد فى ضوء من حرية الفكر، الذى ظل الشك كالشوكة فى جنبه».

(٢) المرجع السابق، ص١٥٨، ١٥٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٣، ١٩.

النقد البناء عند العرب

«ولكى نفهم ملمح العلم العربى، وتمطه التميز بالمقارنة إلى اليونانى، يجب أن ندرك أنه فى حين يتوق اليونانى إلى المتجرد من الحس- إلى الصادقة، والتغاضى عما هو فردى، كى يصدر نحو المفهوم المجرد، تحتل الخصوصية الفردية مكان الصدارة بالنسبة للعربى..»

● «وفى الوقت الذى كانت فيه أوروبا منغلقة، تجدف فى وحل المؤسسات السلطوية، محرومة تماما من الوقوف على قدمين ذاتيتين، تعالت فى العالم العربى دائما أبدا أصوات: «لا أستطيع أن أجارى ارسطو طاليس فى هذه النقطة»، «لقد لاحظت».. «أنا نفسى قد رأيت».. «لأننا رغم إجلالنا الكبير لجالينوس، فإن ما شاهدناه ملء أعيننا أقرب إلى التصديق».

عبد اللطيف البغدادى

إن النقد البناء للطبيب عبداللطيف البغدادى (٥٢٠- ٦٢٨هـ- ١١٢٦- ١٢٣١م) - المتواضع، الذى كان مدرسا فى سائر العواصم تقريبا- فجالينوس (١٢٩- ١٩٩م) قد درّس بأن الفك الأسفل يتكون من عظمتين مجتمعتين معا، وقد كتب البغدادى: «إلا أننا شاهدنا ألوفا من العظام والهياكل، وقمنا بفحصها بدقة متناهية، وتحصلنا على نصيب وافر من المعرفة من هذه الدراسة، وهى معرفة ما كنا لنتحصل عليها من دراسة الكتب.. وكان جالينوس قد علمنا، بأن الفك الأسفل يتألف من عظمتين يجمع بينهما نسيج ضام، غير أنا عاينا ألفى عظم ولم نجد فيها فكا واحدا مؤلفا من عظمتين، إنه عظم واحد دون أى رفو».

ابن النفيس والدورة الدموية

وصوت آخر من ابن النفيس (٦٨٧هـ- ١٢٨٨م): «إن ما قاله جالينوس خطأ» فلقد اكتشف ابن النفيس، لأول مرة، خطأ جالينوس حول دخول العرق من خلال ثقوب الحجاب الحاجز من حجرة إلى أخرى (الأذين والبطين) فصحح الدورة الدموية الصغرى بمساعدة التشريح، وهو اكتشاف انتحله بعده بثلاثة قرون الإسبانى ميخائيل سيرفت لقد كتب ابن النفيس: «لكى نصف مهمة كل عضو على حدة، تستند إلى ملاحظة دقيقة ودراسة صريحة، دون الاكتراث ما إذا كانت تلك من علوم الأولين الذين سبقونا أم لا».

التسامح حتى فى القضايا الدينية

● «لقد قال النظام (٢٢١هـ- ٨٣٦م): إن أول شرط للمعرفة هو الشك.

وبهذه الكلمة المدهشة، وفى زمن سادت فيه العقائد السلطوية، وجه إبراهيم النظام علماء العرب نحو الطريق، وبذلك أصبحت التربة ممهدة أمام التجربة العلمية «أى التعرف على الشىء عن طريق أفضل معرفة» اكتشاف الطبيعة الحقيقية للأشياء، كما هى عليه، وبالقدر المتاح للإنسان. وهذا برنامج عمل لا يسلم بشىء قبل أن تؤكد التجربة..

لقد تطلب العلم العربى:

١- التسامح السخى مع كل ما هو غريب،

حتى في القضايا الدينية.. والتسامح مع معرفة الكفار.

٢- استعداد النبي بالوحي، وعبر الهداية الدينية الخاصة والعالمية، لا لقبول المعرفة البشرية العقلانية فقط، بل والحث عليها، حتى أن مداد طالب العلم ارتفع إلى درجة التقديس، وأصبح بمثابة دماء الشهداء -وليس كما فعلت الكنيسة-: حشر المؤمن في حيز عقائدي ضيق، بعيدا عن التنفس.

٣- ولوج الحياة الفعلية، والتوجه الدائم نحو الحاجات العملية، التي أدت إلى التقارب بين النظرية والتطبيق، لا كما كانت عليه الحال مع اليونانيين البعيدين عن الحقيقة، المتنقلين بين الأعمدة الخرساء، أو غير المعقول، كما هو الشأن في الدارسين المسيحيين المتزمتين من فلاسفة أوروبا في جدلهم العقيم، الذين كانوا ينظرون إلى العمل نظرة مهينة.

٤- الاستعداد للشك، والإصرار على عدم الانصياع للعقائد والآراء الجاهزة، والإقبال على سبر غور كتب المعرفة الذاكنة بالحواس والفهم، وشرحها بشهادة العينين والأذنين.

ابن الكاتب وحقيقة العدوى

لقد قال الطبيب الغرناطي والوزير ابن الكاتب: «إن القاعدة التي يجب أن تنطلق منها دائما هي أن برهانا اقتبس عن المنقول، عليه أن يخضع للتغيير، حين يقف على النقيض الظاهر مما تشير حواسنا إلى صدقه».

ولقد تعرف هذا الطبيب العربي إلى طبيعة الأمراض التي وصفت من قبل اليونانيين بأنها دنس أرضي، ومن أوروبا المسيحية على أنها عقاب رباني.. فعزى وباء الطاعون إلى العدوى، وقال: «إن وجود العدوى قد ثبت بالتجربة، وبالبحث، وبالفهم، وبالتشريح والأدلة الموثقة. وهذه العوامل تهيء الدليل غير القابل للنقض. إن حقيقة العدوى تتأكد للباحث الذي يلاحظ كيف أن الشخص الذي يحتك بمريض، يصاب هو أيضا بالمرض، في حين أن الشخص الذي لا يحتك لا يصيبه المرض، وكما أن نقل المرض في بيت أو ربع يتم بواسطة لباس أو إناء، علاوة على ذلك، فإن العدوى قد ثبتت عن طريق وافد من قطر يعاني من الوباء في مدينة ذات ميناء، وعن طريق حصانة الأشخاص المعزولين».

● «ولقد كتب ثابت بن قرة (٨٣٦ هـ- ٩٠١م) إلى زميله في الترجمة اسحاق بن حنين (٢٠٢- ٢٩٨هـ- ٨١٧- ٩١٠م) حول ألواح بطليموس- التي ثبت خطأها-: «نحن -بطبيعة الحال- لسنا بعدُ في وضع يمكننا من الإجابة القاطعة على مثل هذا السؤال. والحسم الموضوعي فيها كان ليتم لو أننا قدرنا على مراقبة الشمس في الفترة الواقعة بين بطليموس ويومنا هذا. فإذا وجدت إحداها لدى المؤلفين اليونان، فأرجو إفادتي بها، بحيث أتمكن من تكوين حكم أكيد حول ذلك، وأود أن أضيف، بأنه، بعد جلاء هذه النقطة، فإنني سوف أعالجه هنا، غير أنه لازال مظلما، ويبدو أنه مجرد تخمين، وعليه لا يمكن قبول هذا الكتاب لأنني -من جانبي- لا أريد أن أتبنى ما هو ليس بحكم الأكيد، بل العاري من الشك من

كل جانب».

خاصية العقل العربي

● «وثمة خاصية للعقل العربي في الحساب، كانت في صالح الثقافة والعلم التطبيقي والتجربة، وهي الحدس تجاه كبر الأعداد، والبهجة في المسائل الحسابية.. لقد جعلوا الأرقام الهندية الغامضة، بواسطة الصفر، أداة طيعة منظمة، سهلة الاستعمال للتعداد العملي والرياضيات التي اعتبرت من علوم المستقبل، وبذلك تفوقوا بالخطوة الحاسمة على البابليين واليونان والرومان، وحتى على الهنود، الذين اشتهروا بموهبتهم في الرياضيات، وعلى المسيحيين المثابرين في الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية، في المدن الأشورية وما بين الرافدين».

ـ «لقد حوّل العرب موروث اليونان في العدد والحساب من العلاقات الهندسية.. إلى تجبير وتربيط الحساب، ثم أخذه رياضيونا الأوروبيون وظلوا محتفظين به حتى يومنا هذا».(٢)

جابر بن حيان عبقري الكيمياء

● «لقد كان جابر بن حيان (٢٠٠هـ- ٨١٥م) -الصيدلي- هو «هيبوقراط الكيمياء» المؤسس لعلوم الكيمياء، والمتحدث باسمها حتى مطلع العصر الحديث.. كان باحثا أصيلا مستقلا، خلّف دونه، بطرقه التجريبية المبتكرة، واكتشافه لعناصر ومركبات كيميائية جديدة، نظريات وتجارب الشرق واليونان الكيميائية، وحتى الهيلينية ذاتها بمسافات طويلة، أجل، بما أجرى على الحيوانات من تجارب.. وقد تصدى بنقد لاذع لمعالجة الأولين للمسائل الكيميائية والفيزيائية، الفلكية والغيبية.

هنا يتوضح دور العرب الأصيل الذي تتبع واقعيته وحقيقيته المبصرة من القناعة، وتقترب من الأشياء بمساعدة الوقائع والتفكير، اللذين بني عليهما علمه، وبذلك أصبح النزاع مع التراث اليوناني أمرا محتما وقوعه..

والعلم لدى جابر ممكن فقط، حتى يتعرف ويستفسر المرء عن سبب وجود الشيء، وبفضل نظرة جابر الجديدة إلى الحقيقة، يتجاوز جابر كيمياء الأولين المتوقعة، ويطهرها من أجزائها التأملية غير العلمية، حين ينقي من كيمياء البابليين، واليونان، والمصريين المتأخرين، والفرس اللاهثين خلف المعجزة، العنصر السحري المجازي».

ويدعو، من خلال تجارب عملية ومنتظمة إلى تحليل المواد الأولية وإلى فرزها، وإلى تعريفها، وبدلا من طريقة الصهر البدائية والمستعملة حتى ذلك الحين للحصول على الذهب، كما كانوا يتوهمون، من المعادن، ابتكر محلولا حصل عليه من أحماض الملح وماء الملك (مؤلف من ثلاثة محاليل مركزة لروح الملح + حمض النتريك)- كما نجح أيضا في الحصول على النشادر المعدني وعلى مشتقاته، الأمر الذي استبدلته الكيمياء القديمة بشكل جوهري.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٤، ١٢٥، ١٢٠، ١٢١، ١٦٥- ١٦٧، ١٢٠، ١٣، ١٦٥، ١٦٦.

وثمة فرع آخر يعد شيئا مثيرا للقرن الثامن، يعكس عبقرية جابر، وبه بز العلماء اليونان والهيلينيين، أيضا من خلال تصوره للكيمياء العضوية، إن تحليل الجسم إلى العناصر الأولية التي يتكون منها، احتل جانبا جوهريا من علمه، وهو في النهاية مرتبط بتحليل الكائن العضوي: «فقد حضّر من المواد الحيوانية والنباتية أشربة (الكسير)، سجل مواصفاتها على أسس حسابية.

وثمة مؤلف من نوع خاص يتحدث عن السموم، قام جابر بتجريب تأثيرها على الحيوانات أولا.. على أن ولع جابر بالتجربة مضى إلى مدى أبعد، إنها المغناطيسية التي كانت تأسر لبه، والتي كسب بها قصب السبق. إن المغناطيس بتأثير يخترق صفائح النحاس السميكة أجل، المغناطيسية تحوله إلى معدن آخر، لقد قاس جابر حمولة المغناطيس تبعا لقدرة الرفع في وزنها، وأثبت أنها تتناقص بمرور الوقت.. كما نستدل على ذلك من أقدم الوثائق التي يرجع تاريخها إلى عام ٨٥٤م- حيث اصطحب البحارة العرب حجر المغناطيس لتحديد وجهة إبحارهم في الرحلات الطويلة في حالة حجب الليل لنجوم السماء».

الرازي رائد علوم الصيدلة

● «ومن بين أبرز تلاميذ جابر بن حيان، الرازي الطبيب (٢٥١- ٣١١هـ- ٨٦٥- ٩٢٥م) الذي صنع من الكيمياء علما للشفاء، والذي كان إلى عهد قريب فرعا من فروع الطب، فرفعه إلى مرتبة مستقلة، علم يقوم على مبدأ خاص، فإذا ما اشتغل جالينوس، ومن بعده ديو سكوريدوس (القرن الأول الميلادي) ذات مرة بالمستحضرات النباتية، فقد قدم الرازي الآن - واضعا أستاذه نصب عينيه - الكيمياء غير العضوية كعلم تجريبي، وعن إدراك سابق في خدمة الطب، وجعلها طوع الاستعمال للعلاج الطبي بهدي التجارب على الحيوانات. وقد اتضح له أنه من خلال تحسين واستبدال المواد الطبيعية صناعيا، يمكن الحصول على أدوية جديدة لا يمكن وجودها في الطبيعة. وهذه إحدى مكتشفاته الحديثة، بالقياس إلى القديم، وفضلا عن المواد النباتية، والحيوانية، كالدم والحليب والبول والسموم، فقد كان السبّاق إلى استعمال عدد كبير من المعادن، الملح، والبوريك (بوراكش) -وهي كلمة من أصل عربي - والزاج، والمعادن والأحجار، والزئبق، والكبريت، وسلفات الزرنيخ.. فقبل استعمالها، اختير حسب أفضل - منهج، منهج عربي منذ أيام جابر- المواد المستحضرة بطريقة تركيبية، في التجارب على الحيوان وبالتجريب على القردة، طور مركبات الزئبق كعلاج -على سبيل المثال- لبعض أمراض الجلد- وفي حوزتنا مواصفات كاملة على مثل هذه الاختبارات.

وفي حقل التجارب على الحيوانات، استكمل صيدلة الحشيش والأفيون لغرض التخدير، الذي أثراه العرب من عدة جوانب، في حين أنه في أوروبا العصر الوسيط، سرعان ما كان يُرتاب في أمره على أنه من أعمال الشعوذة ساعة تدريسه فيلاحق ويطرد!

وكان الرازي أول من حضّر أحماض الكبريت الهامة. وقد درس بالتفصيل اثنين وثمانين سما متفرقا، من عالم الحيوان، والمعادن، وعالم النبات، وعلى سبيل المثال، سموم الفطريات، ويعتبر، بالتعرف إليها معالجتها، ومداواتها لسموم مضادة- يعتبر مكتشفا ومخترعا- ولازال المستهلك حتى يومنا هذا، يبتهج في مودة زائدة بالأدوية سيئة الطعم، قدمها الرازي في أقراص غلفها بقشرة ظاهرة.

وأخيرا، ومن السوائل المتخمرة المقواة، أو المحتوية على السكر، صنع الكحول- كلمة عربية.. ومعناها الناعم.

وقد تم لجابر والرازي، ومن تلاهما وصف عدد كبير من المركبات الكيماوية، ومن بينها اكسيد الزئبق، والزنجفره، والزرنيخ، ونترات الفضة، والشب أيضا.. والزاج الأزرق، والحامض الملحي، ومحلول البوتاسيوم، ومحلول النطروين، ومستحلب الكبريت، ومستحلب الكبد الكبريتي، وأشياء أخرى.

وقد تحصلوا على الكحول النقي الذي استعمل في الجراحة، وميزوا بين الأحماض والقلويات، وراقبوا زيادة وزن المعادن بالتأكسد والتكبرت، كما عرفوا قبل غيرهم أن النار تنطفيء بمنع الهواء، وطوروا العمليات الكيماوية الأساسية، كالتبخير، والتصعيد، ومزج المعادن بالزئبق، والتبلر، والتكلس، والتصفية، والتقطير، بحيث فرقوا بين التقطير المباشر بواسطة الحمام الرملي أو المائي.

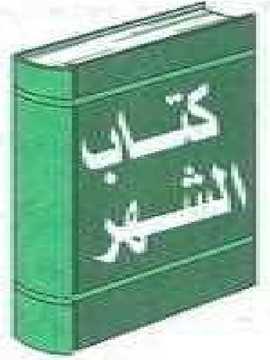
العرب وراء صناعة الزجاج

ولأجل هذا الغرض، وضع صانعو الزجاج السوريون والمصريون، تحت تصرفهم، انتاجهم الرفيع في فن تكوير الزجاج بواسطة النفخ، والذي صاغوا من مصهوره اللزج الأشكال التي يريدون، ومن هنا وضعت صناعة الزجاج قدمها بواسطة المصنعين العرب في مورانو بإيطاليا، وغزت بجمالها غير المعهود أوروبا منذ القرن ١٣، وتخص بالذكر الحلبي منه، الذي كانت ساعته الزجاجية تمثل إحدى أكثر السلع المصدرة إقبالا، وصدرت إلى المختبرات العربية القوارير الزجاجية، وأنابيب الاختبار مع الأنبيق والعدل الذي اخترعه العرب للتقطير، والذي لازال يحمل الإسم العربي حتى الآن.

أبو القاسم الزهراوي

وإضافة إلى الفرن الآلي المستعمل من قبل الكيماويين، صمم الطبيب الأندلسي أبو القاسم الزهراوي (٣٢٤- ٤٠٣هـ ٩٣٦- ١٠١٣م) فرنا خاصا للتقطير بشكل آلي، ومن أجل إثبات الوزن النوعي لمادة قيد الاختبار وتثبيتها، ابتكر ميزانا حساسا بخمس صحاف، إحداها تطفو فوق سطح الماء»[٤].

(٤) المرجع السابق: ص١٣٤- ١٣٨.



يد الله

لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل

تأليف

جريس هالسل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

٤

عبر اتصال تليفونى جاء صوت محدثى - ممزوجا بالاستنكار والدهشة -: ألست معى فى أن ما جاء على لسان الكاتبة «جريس هالسل» فى كتابها «تشوبه المبالغة» التى قد تدفع إلى الشك فيه؟

فأجبت: إن الكاتبة - كما وضح من تعريفها بنفسها - مسيحية كاثوليكية أمريكية، نشأت فى الريف الأمريكى، فى أسرة مسيحية كاثوليكية متدينة، تعتز بالذهاب إلى الكنيسة لتلقى المواعظ وللصلاة مع أسرتها منذ نعومة أظفارها، حيث نشأت على أن تلوذ بالكنيسة لتنال رضوان الله، فأنى يتأتى لمثلها الرغبة فى فضح مسلك طائفة من رموز تلك الكنيسة، ومثلها يكون من أحرص الناس على التستر على الرموز الدينية، وعدم الإعلان عما قد يشينهم، توقيرا لهم، وثقة فى علو قدرهم؟!..

والكاتبة - بعد أن ثبت عن الطرق كما وضح من تعريفها بنفسها كذلك - كانت قريبة من مراكز القيادات الأمريكية، حيث عملت كاتبة فى البيت الأبيض، وعاصرت الرئيسين «جيمى كارتر»، و«رونالد ريجان» وهما على رأس الولايات المتحدة، مما كفل لها التعرف على كثير من أسرار الرموز السياسية، والوقوف على كثير من التوجهات السياسية، ودور الرموز الكنسية الإنجيلية الأصولية فيها، ومكانهم منها.. من كل ما يبدد احتمالات التشكك فيما تحكيه عن هؤلاء وأولئك.

ثم إن دعم الكاتبة كل ما قدمته بتحديد الأحداث الواقعية، والوثائق والمعلومات والتحليلات المرجعية.. لمما يؤكد الثقة فى صدقها، خصوصا أنها تسند كل حدث أو حديث إلى مصدره فى غير مواربة، وأكثرهم مازالوا على قيد الحياة، بحيث يستطيع أى واحد منهم أن يقاضيها عما قد تكون افترته عليه، كما يستطيع أن يعلن بوسائل الإعلام الكثيرة كذبها، ويبرىء نفسه مما نسبته إليه - ولم يصل إلى علمنا شىء من ذلك - فالكتاب فى أصله باللغة الإنجليزية، ومنشور فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأمره ليس خافيا على من يهمه الأمر هناك، خصوصا رجال السياسة والإعلام، ورجال الدين، وقيادات الجيش.

هذا.. إلى ما يُحسُّه متلقى الكتاب من روح الإحباط السارية فيه.. هذا الإحباط الذى أصاب الكاتبة عندما صدمها سلوك القس «جيرى فولويل» بعد أن ملك عليها أقطار نفسها هو وأمثاله فى مرحلة الصبا، وعندما أدركت تعسفه فى تفسير عبارات الكتاب المقدس، وتبينت تلاعبه بعقول محاوريه فى أثناء حوارها معه، وعندما عرفت بتحوله من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بالمعتقد المسيحى الموروث فى شأن الجرائم اليهودية مع المسيح - عليه السلام - والمكائد التى حاكوها للإيقاع به.

أبعد هذا وغيره يمكن أن يسمح إنسان بتسلل الشك إلى نفسه فيما قدمته الكاتبة؟!.

لقد كان تحول هذا القس وجماعته، وتعسفهم فى تفسير النصوص، ولَيِّهم ألسنتهم بها.. وراء تحول كثير من المسيحيين الإصلاحيين الأمريكيين إلى موادة الصهيونيين تحت ستار «موادة اليهود» على ما تضمنه الفصل الحادى عشر من الكتاب من وقائع تقرر مدى الافتعال والتصنع بقصد تغيير الحقائق وتزييفها.

التحايل بـ «اللاسامية الفلسفية»

وتذكر الكاتبة أن هؤلاء المزيِّفين المضللين استطاعوا بتمويه النصوص والتعسف فى تفسيرها أن يحولوا - فى العصر الحديث - كثيرا من الإصلاحيين المسيحيين عما توارثوه من كراهية اليهودية واليهود إلى نوع آخر مضاد تمام التضاد لما كان عليه الأسلاف، إذ لم يكتفوا بالتسامح معهم وغفران ما قر فى معتقداتهم من معاداة المسيح - عليه السلام - ولكنهم تجاوزوا ذلك كله إلى اختراع نوع من التمييز لهم يدعى «السامية الفلسفية» تلك التى تعد اليهود الشركاء المحبوبين.. ليس لأنهم يهود، ويمارسون اليهودية، ولكن لأن لهم دورا فى خلاص المسيحيين مما يهيأون للقيام به، وأداء دورهم فيه.

وهكذا.. تحول هؤلاء الأصوليون المسيحيون مما استقر عليه معظمهم من أن اليهود كانوا وراء كل متاعب العالم، وبدلا من الحرص على تعليم أتباعهم هذه المقررات أصبحوا - بفضل القس «جيرى فولويل» وأتباعه - أذكياء ولطفاء ومتعاونين؛ لأن اليهود لن يثبتوا على

سيرة أسلافهم، وإنما هم الآن يفعلون ما هو مفترض أن يفعلوه؛ مثل: مغادرة بولندا، وروسيا، وألمانيا، وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، والتوجه إلى فلسطين لإعادة إحياء إسرائيل.

فالأصوليون المسيحيون لجأوا إلى تأييد الدولة اليهودية بقوة، وسعوا إلى إحياء دولة إسرائيل مغفلين تمام الإغفال عداوة اليهود للمسيح وللمسيحية وللمسيحيين منذ ميلاد المسيح، ومتناسين كل تاريخ اليهود قديما وحديثا وما أحدثوه من فتن؛ لأنهم يأملون أن يجعلوا من تجميع اليهود فى أرض فلسطين آلية تتحقق بها معتقداتهم القدرية التى تقوم على حتمية المجيء الثانى للمسيح المنتظر وهبوطه فى فلسطين.

ومن هذا المنطلق التأييدى والسعى الإحيائى لدولة إسرائيل، التزم هؤلاء الأصوليون المسيحيون بألا يقبلوا حول إسرائيل ما قد يقبلونه لأوطانهم، فليس لديهم ما يمنع من قبولهم توجيه النقد إلى فرنسا، أو إلى إنجلترا، أو إلى ألمانيا، أو إلى إيطاليا، أو إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو أى دولة أخرى فى العالم فيما عدا دولة إسرائيل، لأن انتقاد هذه الدول قضية سياسية، أما انتقاد إسرائيل فهو بمثابة انتقاد لله!

يسعى الأصوليون المسيحيون إلى هذا كله متوهمين أن اليهود - فى استجابتهم - قد خدعهم هذا التدبير الذى يقودهم إلى التدمير والفناء، والذى يريح العالم الغربى من فتن اليهود وتدابيرهم.. ولكن اليهود - فيما بينهم - يدركون هذا كله، ويقبلون معونة الأصوليين لهم، مرجئين التفكير فى المستقبل الآن، موقنين أن هذا المسعى من الأصوليين المسيحيين إن هو فى الحقيقة إلا شكل جديد لمعاداة السامية، فبدلا من أن تقوم «اللاسامية» على كره اليهود والسعى إلى التخلص منهم وإبعادهم بكل الوسائل الممكنة، تقوم لاسامية هؤلاء الأصوليين على كره اليهود أيضا، والسعى إلى تجميعهم فى مكان محدد هو فلسطين ليكون هذا المكان مهبط المسيح فى مجيئه الثانى المنتظر!.

فمع أن هؤلاء المسيحيين الأصوليين القدريين يتحدثون بألسنتهم عن حبهم لإسرائيل.. نجد أنهم يطوون صدورهم على بغضهم لليهود، ولا يكادون يخفون ذلك، على نحو ما ذكره «دونالد واجنر» أستاذ علوم الدين، من أن رجل الخير البريطانى اللورد «شافتسبرى» كان قدريا نموذجيا لأنه أراد أن يذهب كل اليهود إلى فلسطين، قائلا: فاصنعوا إسرائيل إذن، ولكنه لم يحب اليهود كيهود، فقد كان يصفهم بأنهم ذوو قلوب سوداء، ورقاب غليظة، وأنهم غارقون فى الإثم وفى الانحلال الأخلاقى، وفى جهل المسيح ومملكة الرب، وهذا «جيرى فولويل» نفسه يقول: «من هو عدو المسيح؟ بالطبع سيكون يهوديا».

ولكن.. لأن العودة الثانية للمسيح لا تتحقق إلا إذا كان اليهود يعيشون فى إسرائيل المسترجعة، فالخطة الإلهية بشأن العودة الثانية للمسيح - كما يرى اللورد «شافتسبرى» - تعطى اليهود دورا أساسيا.

يضاف إلى هذا الهدف العقيدى.. ما يوفره انتقال اليهود إلى فلسطين من مكاسب تجارية، ففى إقامة نقطة ارتكاز يهودية فى فلسطين، تحت سيطرة بريطانيا تمكن بريطانيا من التفوق على فرنسا، والهيمنة على الشرق الأدنى كما توفر لبريطانيا ممرا مباشرا إلى الهند، وتفتح أسواقا كبيرة أمام مصالحها الاقتصادية، كما قرر «دونالد واجنر» أستاذ علوم الدين والكاهن المشيخى فى كتابه «التوق إلى هرمجدون»، والذى جاء فيه أيضا: إن هذه الأهداف السياسية تتوافق مع أهداف وزارة الخارجية البريطانية.

إسرائيل أولا.. ثم الدين وروحانياته

وفى الفصل الثانى عشر «اليمين المسيحى.. ويهود أمريكا» أوضحت الكاتبة «جريس هالسل» سرّ تحول يهود أمريكا من الليبرالية - بما تفرضه من محاربة العنصرية التى يتوقون إليها ليمارسوا حياتهم بين الآخرين - إلى اليمين المحافظ بعد سيطرة إسرائيل على الأراضى العربية سنة ١٩٦٧، رافضة أن تتخلى عنها.

وقد حرصت الكاتبة فى هذا الإيضاح: أن تستدل بفكر قادة اليهود الأمريكيين، وزعماء اليمين المسيحى المحافظ فى أمريكا.

فذكرت ما لاحظه «إيرفن هوى»، و«برنارد روزنبرج» فى كتابهما «المحافظون الجدد» من أن الأمر المثير الذى لابد من ملاحظته هو: «أنه فى الوقت الذى تتصرف فيه إسرائيل كدولة مع دول أخرى، فإن نفوذها على يهود أمريكا ربما يكون - بل يجب أن يكون - محافظا»، وعندما أصبح يهود أمريكا محافظين أكثر.. تبين لهما: أن اليمين الإسرائيلى، واليمين المسيحى لهما عقيدة تتمحور حول إسرائيل والأرض.

وذكرت ما قدمه «ناثان بيرلموتر» - أحد أعضاء منظمة «بناى بريث» اليهودية المتطرفة - من شرح واضح حول أسباب تأييد أمريكا لليمين المسيحى، حيث أصبح اليمين المسيحى يقيس كل قضية فى حياته بمقياس وحيد هو: البحث عما فى هذه القضية من مصلحة يهودية، فإذا كان الجواب كافيا انتقل بعد ذلك إلى الأمور الثانوية؛ فمصلحة اليهود يجب أن تكون فى المقدمة.

ومن هنا.. أصبح على اليهود الليبراليين أن يدعموا القس «جيرى فولويل»؛ لأنه يدعم إسرائيل حتى لو لم يرضوا عن سياسته المحلية؛ مثل تعزيز الترسانة النووية، والإجهاض، والصلاة فى المدارس، فذلك كان مجرد قضايا ثانوية يجب ألا تؤثر فى دعمه والتعاون معه؛ لأنها جميعها قضايا ليست فى مستوى

أهمية إسرائيل؛ بل إن هذا ليوجب على هؤلاء اليهود أن يلموا بتفسير الأصوليين الإنجيليين للنص الديني، هذا التفسير الذي يفرض على جميع اليهود أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يقتلوا في معركة «هرمجدون».

ويحتج اليهود لهذا بأنهم - في الوقت الحاضر - يحتاجون إلى جميع الأصدقاء لدعم إسرائيل، ثم عندما يجيء المسيح.. عندها يفكرون في الأمر، أما الآن - يقول «بيرلوتر»: فلنمجد الرب ولنرسل الذخيرة إلى إسرائيل».

حتى بالتخلي عن الحرية

وهذا «إيرفين كريستول» المعبر عن الشريحة المنشقة من يهود نيويورك يحث الأمريكيين اليهود على دعم القس «جيري فولويل» وغيره من اليمينيين الأصوليين، ويدعوهم - بإلحاح - إلى تناسي الليبرالية، وإلى الانضمام إلى اليمين المتطرف، وأن على كل واحد من اليهود أن يسير في هذا الاتجاه، دون أن يكترث بما قد يصدر عن المبشر المسيحي الأصولي مما لا يقبله اليهود، من مثل قوله: «إن الله لا يسمع صلاة اليهودي» فليقل ما يشاء مادام اليهود لا يصدقون أن لهذا المبشر صلاحية التحدث عن مدى اهتمام الله بصلاة الإنسان، فلا ضير على اليهود من كلامه ولا من معتقداته مادام هذا المبشر يؤيد إسرائيل بقوة.

وهذا هو الحاخام الإصلاحي «الكسندر م. شيندلر» رئيس اتحاد المؤتمرات العبرية الأمريكية.. يدعم هذا التوجه بقوله: «إن معظم القادة اليهود على استعداد للتسامح في كل شيء طالما أنهم يسمعون كلاما طيبا عن إسرائيل».

وعلى هذا النهج سار «جاك تورزايمر» المدير التنفيذي للفرع الأمريكي في المنظمة الصهيونية العالمية، و«إليك رستيك» رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية، و«لاري هوروفيتز» ضابط الارتباط بين إسرائيل والإنجيليين، والذي يعمل في مكتب رئيس الوزراء.

بل.. لقد أنشأ قادة الميليشيات اليهودية، وقادة المسيحيين الإنجيليين القدريين حلفا يتبنى هذه العقيدة التي لا تتعلق بالقيم الروحية أو بتوفير حياة رغيدة بقدر تعلقها بالقوة السياسية والتملك؛ فهي عقيدة تتمركز بصورة كلية حول كيان سياسي صغير هو إسرائيل؛ فتملك الأرض عند القادة اليهود، والقادة المسيحيين القدريين يأتي على رأس جميع الأولويات؛ فالقادة اليهود، والقادة القدريون يضعون تملك الأرض على رأس الأولويات في حياتهم، حتى إنهم يصنعون لذلك فرقة دينية، وكل فريق منهم يؤدي ذلك الدور بخبث، ولتحقيق أهدافه الأنانية الخالصة من أي تقدير آخر؛ فلا يخشون مثلا ما قد يترتب على مصادرة الأراضي العربية من انتشار «اللاسامية» في الغرب، لأنهم «يستطيعون - كما يقول «دوجلاس كريكر» أحد القادة الإنجيليين - أن يحولوا

دون ذلك من خلال تحالف إسرائيل مع اليمين المسيحي الجديد، فبإمكان إسرائيل استخدام الأصوليين الإنجيليين ليقدموا من خلال شبكاتهم الإذاعية والتليفزيونية صورة عن إسرائيل تعجب الأمريكيين وتحملهم على قبولها ودعمها، وأكثر من ذلك.. يستطيع اليمين الديني أن يسوق للأمريكيين الفكرة بأن الله يريد إسرائيل عسكرية ومعسكرة، وأنه كلما كانت إسرائيل معسكرة كان اليمين في الولايات المتحدة أكثر دعما لها، وأشد انجذابا إليها».

من أجل إسرائيل.. لا شيء ممنوع

وفي الفصل الثالث عشر «اليمين المسيحي وسياسة الشرق الأوسط» قدمت الكاتبة «جريس هالسل» ما يؤكد أن أولوية إسرائيل في تقدير المسيحيين الإنجيليين قد تجاوزت كل الحدود؛ فلا شيء يحقق هذا ممنوع، ولا مجال لتحكيم العقل فيما يراد من أجل إسرائيل.

وقد فضلت الكاتبة الاعتماد في ذلك على المواقف والأحداث الواقعية الثابتة؛ إذ هي بمثابة الوثائق والمستندات التي لا يرقى إلى مدلولاتها أي شك أو ارتياب.

وقد بدأت ذلك بعرض ما دار بين الرئيس الأمريكي «روزفلت» والملك عبدالعزيز آل سعود خلال الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، حيث أراد «روزفلت» أن يعوض اليهود بوطن في فلسطين لقاء اضطهاد هتلر والنازيين لهم،



الملك عبدالعزيز — روزفلت

فرد الملك عبدالعزيز بقوله: «ليس الفلسطينيون هم الذين اضطهدوا اليهود، ومن الخطأ معاقبة الفلسطينيين بسبب ما فعله النازيون».

ولكن الحقيقة المستورة.. أن توطين اليهود في فلسطين لم يكن تعويضا عن اضطهاد النازيين لهم، وإنما كان لأن فيه تحقيقا للنبوءة التوراتية، وتعجيلا للعودة الثانية للمسيح.

ففي سنة ١٩٤٨ كان الرئيس الأمريكي «ترومان» من أوائل الذين اعترفوا بالدولة اليهودية، مع أن الأكثرية الساحقة من يهود أمريكا كانت تعارض قيام دولة يهودية، ولكنه استجاب لضغط حفنة صغيرة من الصهيونيين التي تمكنت من أذن «ترومان»، مضافا إليهم كثرة من المسيحيين الأمريكان، غير ملق بالا لأصوات عشرات الملايين من العرب والمسلمين في شتى أنحاء العالم.

وفي سنة ١٩٥٦ هاجمت إسرائيل مصر بدعم فرنسي وبريطاني، أراد الإسرائيليون من ورائه سيناء، بينما أراد الفرنسيون



سفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى»

والبريطانيون قناة السويس.

ولما عارض الرئيس الأمريكي «أيزنهاور» هذا الهجوم، كان هو الرئيس الأمريكي الوحيد الذى يعارض اعتقادا واسع النطاق بأن الله يرعى أى عمل تقوم به إسرائيل.

وفى سنة ١٩٦٧ بدأت الولايات المتحدة بالسماح لليهود الأمريكان بالتصويت فى الانتخابات الإسرائيلية، خلافا لما جاء فى الجزء (٤٠١) من القانون الوطنى الصادر سنة ١٩٤٠ من أن أى مواطن أمريكي يفقد جنسيته الأمريكية بمجرد تصويته فى انتخابات سياسية فى دولة أخرى.

وفى هذه السنة نفسها هاجمت إسرائيل العرب المجاورين لها، وخوفا من تدخل سفينة التجسس الأمريكية «ليبرتى» الموجودة فى البحر المتوسط بما يؤثر على طموحات الإسرائيليين التوسعية.. لذلك أطلقوا عليها قذائف الطوربيد، فقتلوا أربعة وثلاثين بحارا أمريكيا، وأصابوا مائة وواحدا وسبعين بجراح، ولم يعرف بهذا الأمر أحد من الشعب الأمريكي باستثناء الرئيس «جونسون» الذى تواطأ مع الإسرائيليين فى غزوهم سوريا، واحتلال مرتفعات الجولان.

ومع أن القانون الدولى يعُد احتلال الأرض ومصادرتها عسكريا.. عملا غير شرعى.. مع هذا لم يطبق هذا القانون على إسرائيل؛ استجابة لإرادة اليمين الدينى فى أمريكا، بل إن القس «جيرى فولويل» يدعو زعماء إسرائيل إلى عدم الخضوع لهذا القانون.

معركة الإسلام فى زمن العولمة

للأستاذ/
صديق بكر عيطة

فى مقال له فى مجلة «الأزهر»[1]، وتحت عنوان «مناعة الإسلام» كتب الأستاذ «محمد فريد وجدى» يقول: «لقد دلّ الإسلام على مناعة لا تُرام فى جميع أدوار تاريخه فاحتكّ بالأديان التى سبقته، وقد كان يتولاها رجال بلغوا من الثقافة العلمية ما لم يكن له ظل فى البيئة التى ظهر فيها الإسلام، ومرنوا على الجدل مرانا طويل الأمد فى مجادلة الخصوم، ومجالدة المبتدعة؛ فلو لم يكن فى الإسلام من عناصر الغَلَب إلا ما تسمح به الأمية التى كانت عليها الأمة العربية، والجاهلية التى كانت ضاربة بجرانها فيهم، لظهر ضعفه من أول صدمة، ولما اجتذب من صميم الديانات التى كانت عليها الأمم المتمدنة إذ ذاك، رجالا كانوا فى الذؤابة من ذويهم».. ولقد كتب الأستاذ «وجدى» هذا المقال منذ ما يقرب من سبعين عاما، وقبل أن تظهر معالم النظام الدولى الجديد بزمن بعيد، ذلك النظام الذى يتميز بصراعاته الحادة، فى كل مجالات الحياة، ولا تستثنى مجال الأديان، بل إنه أبرز مجالات الصراعات الأيديولوجية الشديدة مما كان سببا فى إراقة كثير من أنهار الدماء؛ حيث إن كل طرف يبغى لنفسه الغلب والبقاء على حساب الآخر، واليوم نجدنا فى أمسّ الحاجة لأن نتذكر ما قاله المرحوم الأستاذ «وجدى» وغيره من المفكرين وقادة الرأى فى أمة الإسلام فى الماضى والحاضر، فالإسلام اليوم يخوض أشرس معاركه، ضد المضللين والمتهوّسين ودجالى الفكر الدينى من متعصبى النصارى والصهيونيين، الذين يعملون ليل نهار على طمس معالم الإسلام فى أذهان الشعوب الإسلامية وتزييف حقائقه بين الشعوب الأخرى

(١) المجلد الثالث عشر ص ٦ سنة ١٣٦١هـ.

غير المسلمة بغية إبعادهم عن مفاهيمه الصحيحة؛ حتى لا ينخرطوا فى صفوف المسلمين.

نكون أو لا نكون

ومما تجدر الإشارة إليه، أن من يطلع على تاريخ الإسلام، سيرى أن هذا الدين لم يثر فى أى مرحلة من مراحل تاريخه الطويل معركة مع خصومه؛ وإنما كانت المعارك هى التى تفرض عليه من خلال افتراءات الكذبة والدجالين من تجار الديانات الأخرى، حينما يغمضون أعينهم عن حقائق الإسلام الساطعة ويتعامون عن التعامل بصدق مع وقائعه التاريخية الثابتة، التى تحفل بها صفحاته الوضاءة، ولكنهم فى كل مرة كانوا يتساقطون من حوله كأعواد القش، ولا يبقى لهم إلا الخزى والعار.. فأمتنا الإسلامية والعربية تمتلك على مر التاريخ كله من الأسلحة العلمية والذخائر الدينية، ما يمكنها من أن تخوض المعركة بثقة فى النصر، فهى صاحبة الدين الخالد، وهى حاملة لواء القرآن، وتستطيع أن تخاطب كافة العقول بمبادئه وأخلاقه وآدابه.. ولا نمل عرض قضيتنا عرضا أخاذا وبكل لغات العالم: فالقضية هى «نكون أو لا نكون».. ولنوطن أنفسنا على أننا سنواجه من أعدائنا بكل شراسة، وبكل ادعاء كاذب: بدءاً من الادعاء بالتعصب الدينى، ومعاداة السامية.. وهو السلاح الذى تشهره دول الغرب بتحريض من الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية.. وانتهاء بالاتهام بالإرهاب الفكرى والسياسى، بل والتهديد بشن الحروب على غرار ما حدث لأفغانستان والعراق. فما نحن بصدده الآن ليس نزهة ولا ترفا فكريا.. وإنما نحن بصدد حرب شرسة تواجه فيها الصليبية الغربية وقد أسلمت قيادها للصهيونية العالمية، بعد أن اتحدت كلمتها على حرب الإسلام والعمل للقضاء عليه بكل وسيلة ممكنة.. والباطل له جولة أو جولات ينتفش فيها ريشة، ويعلو فيها صليل سيوفه.. ولكن الحق الأبدى له رزانته، وله ثباته، وله من الثقة فى النصر ما يرفع هامته فوق كل موجة عاتية، وهو صاحب الكلمة الأخيرة فى نهاية كل معركة..!!



محمد فريد وجدى

التراث الإسلامى

إن من الأهمية بمكان، أن يقوم المسلمون فى هذا العصر بتفعيل التراث الإسلامى، ووضعه فى إطار من الموضوعية، التى تقوم على متطلبات الفكر الإنسانى فى العصر الحديث؛ فالتراث الإسلامى لا يعرف الوقوف عند حد ولا يقتصر قبوله للأفكار على زمن معين.. ولو أننا وعينا وأدركنا صيغ الخطاب القرآنى الموجهة إلينا ليل نهار، بأن نتدبر، وأن نتفكر، وأن نعتبر لقلنا: إن الوقوف بالفكر والإدراك والاستنباط عند زمن معين مخالف للنص القرآنى ذاته؛ لأن خطاب الله ليس قاصراً على زمن ولا طائفة ولا فرد ولا أمة، بل هو خطاب عام، أوحى به إلى المصطفى - ﷺ - فبلغه ولا يزال الخطاب يتلى للعمل به، لا للتبرك به مع ترك العمل به.

إن كل من يقرأ أو يسمع هذه النصوص فهو مخاطب بها:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

(محمد: ٢٤)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ٨٢)

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾

(سبأ: ٤٦)

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل: ٤٣)

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(فاطر: ١٤)

لماذا نعطل هذه النصوص - ومثلها كثير - عن العمل؟ ونقول: إن السابقين قد كفونا النظر فى القرآن، ونحن عالة عليهم، هل صيغ الخطاب هذه بطل العمل بها؟ وأصبح الترك مطلوبا؟ أم هى دعوة قائمة ليل نهار؟

ومن هنا أقول: من خصائص التراث الإسلامى قابليته للتجديد، وإن الإضافة للتراث الإسلامى مطلب قرآنى ومطلب نبوى شريف[2].

وبالرغم من أن ثقافتنا الدينية «الإسلامية» تمتلك من الحقائق العقدية والسلوكية ما يمكنها من الثبات والغلبة فى كل معترك جدلى، فإنه لا ينبغى أن نركن إلى هذه الحقيقة زاعمين أنها لابد واصلة إلى مرماها الذى تهدف إليه صارفين النظر عما سوى ذلك، وإنما يجب علينا أن نعى إلى جانب ذلك حقيقة واقعة أخرى باتت مؤكدة، وهى ضرورة استخدام أحدث تقنيات العصر «فهذه الثقافة» لا تظهر تلقائيا بقدر ما تجرى صناعتها عبر وسائل الاتصال. فهى على رغم تجسدها فى صور واقعية - فى السلوك والفكر - تتكون من بناءات عقلية مصنوعة.. ومن خلال الممارسات والطقوس السياسية التى تعول على التقاليد تارة؛ وعلى الثقافة الحديثة تارة أخرى على المنوال نفسه؛ تصنع ثقافة العولمة من خلال عملية انتقائية، يجرى بمقتضاها جمع عناصر ثقافية من هنا

(٢) التراث الإسلامى بين التقديس والتقييس أ.د بكر زكى عوض. من منشورات وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ١٢٥ ص٣١-٣٣.

وهناك، ووضعها داخل تقنيات الاتصال، لتشكيل أبنية ثقافية.. تتجاوز حدود المكان الذى انطلقت منه، والزمان الذى ظهرت فيه»[3]

الشيوعية ـ الصهيونية ـ الصليبية

إن حصيلة المواجهات الدينية والسياسية والأيديولوجية، التى عانيناها فى القرن الماضى، لتؤكد أن هناك ثلاث قوى رئيسية تواجه الإسلام هى: الشيوعية الملحدة، والصهيونية العالمية، والصليبية الغربية التى تتعاون مع الصهيونية.. غير أن الشيوعية الملحدة باتت تلفظ أنفاسها الأخيرة اعتبارا من العقد الأخير من القرن العشرين، ولم يعد لها خطر كبير، بعد أن انفجر ظهيرها الأقوى «الاتحاد السوفيتى» على نفسه، ونُعى إلى العالم أجمع.. وأما الصهيونية، فهى كتلة سياسية أيديولوجية بالدرجة الأولى، همُّها الأول هو الإمساك بمقاليد السياسة والاقتصاد فى العالم، وتسيير دفة الأمور على هواها لصالح يهود العالم، وإن كانت تتخذ من الدين ستارا لها.. أما صليبية الغرب، فهى التى لاتزال تناوش الإسلام والمسلمين بكافة الوسائل، ودون مواربة، متخذة من اليهود، ومفكريهم وأموالهم الظهير الأقوى لهدم الإسلام، والقضاء على فضائله وأخلاقه.

وعلى الرغم من عمق الخلافات القائمة بين هذه القوى الثلاث، وهى خلافات تشق اللحم وتصل إلى العظم..!! على الرغم من ذلك، فقد اجتمعت كلمتها على هذا الهدف وهو القضاء على الإسلام إن أمكن ذلك. مع أن الإسلام طوال تاريخه لم يقدم إساءة واحدة لليهودية أو النصرانية وحتى يومنا هذا والتاريخ شاهد.

قال تعالى:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

(البقرة: ١٢٠)

وإذا لم يتمكنوا من ذلك دفعة واحدة، فلتكن محاصرته داخل المساجد ودور العبادة ريثما يتم القضاء عليه تماما أو يموت ويتزاح من طريقهم. هذا هو الهدف الأسمى لهم جميعا، الذى يسخرون من أجله كل إمكاناتهم المادية والمعنوية والعلمية والإعلامية؛ حتى أصبح أحد أهداف «العولمة» وإن لم يصرحوا بذلك. وإنما كان أحد المفاهيم المستخلصة من «عولمة الثقافة». ومما يؤكد على ما قلناه. هو تبنى الرئيس الأمريكى «جورج بوش» – الصغير – مشروع «الفرقان الحق»، وهو مشروع صليبى صهيونى مشترك، الهدف منه ألا يكون هناك مسلم واحد على ظهر الأرض خلال عشرين عاما، وهو ما يلقى بمزيد من التبعات الجسام على كاهل علماء المسلمين ومفكريهم وأدبائهم وساستهم.

(3) د. أحمد زايد فى مقاله «عولمة الحداثة، وتفكيك الثقافة الوطنية» مجلة «عالم الفكر» – مجلد ٣٢ عدد ١» – يوليو – سبتمبر ٢٠٠٣م.

إذ إن من الواجب التصدى لهم بكل حزم وقوة وبوسائط ووسائل لاتقل فعالية عما بأيديهم إن لم تزد فى قوتها وفعاليتها. ومما يضمن لنا الغلبة إن شاء الله فى نهاية المعركة، أننا على الحق وهم على الباطل..

التحدى الأكبر

إذن، فإن الأمة الإسلامية فى عالم اليوم، إنما تواجه تحديا أكبر يلقى عليها مزيدا من التبعات الجسام، هذا التحدى الأكبر هو كما يقول: الدكتور/ السيد نصر الدين السيد، – فى كتابه «إطلالات على الزمن الآتى»–: «تأسيس منظومة جديدة، وغرسها ليس فقط فى نفوس النخبة، بل ـ أيضا ـ وهو الأهم، فى نفوس العامة، منظومة تمكننا من مواجهة التنوع المفرط فى مكونات الواقع الجديد، ومن إدارة التعقد البالغ لعلاقاته، ومن العمل على إشباع الحاجات المادية والمعنوية لأفراده، ومن مواكبة سرعة إيقاع تحولاته. ومن حسن الحظ أن العصر الجديد الذى يغمرنا بمعطيات متطلباته المتلاحقة، قد جاء ومعه رؤاه العلمية ومنتجاته التكنولوجية التى تساعد الراغبين على مواكبة إيقاعاته والوفاء باحتياجاته. ومن بين هذه الرؤى تبرز «السيبرنطيقا»، التى تعنى بموضوع السيطرة والاتصالات فى الكائنات المخلوقة والمصنوعة، بقوانينها التى ترشدنا إلى الشروط الواجب تحققها فى المنظومة الثقافية المنشودة. ومن أهم تلك القوانين قانون «آشبى» للتنوع اللازم، الذى ينص على أن: «مواجهة أى واقع وإدارته والسيطرة على مقدرات الأمور فيه، لا تتأتى إلا بامتلاك القدرة على إنتاج أفكار وابتداع أوضاع وخيارات تفوق فى تعددها وتنوعها تلك الموجودة فى ذلك الواقع».

«وهكذا، يحدد قانون «آشبى» واحدا من أهم العناصر المفقودة لتلك المنظومة الثقافية الجديدة، والفشل فى الاستجابة لهذا التحدى، لابد وأن يؤدى إلى حالة من الاغتراب والضياع على المستويين: الفردى والقومى.

حالة ستقودنا أفرادا وجماعات إلى الهروب إلى الماضى، فينشأ التطرف، أو إلى الخيال المريض فينشأ الإدمان، وهكذا سيكون علينا إن قبلنا المواجهة ـ ولابد من أن نقبلها ـ إقامة البنى الأساسية: المعنوية والمادية اللازمة لإقامة تلك المنظومة»[4].

تلك هى المعركة الحقيقية، وهذا هو التحدى الأكبر الذى يواجهنا فى عصر «العولمة»، «نكون أو لا نكون».. ولن نكون إلا ببقاء هذا الدين، ولا سيادة لنا على أرضنا إلا بالاعتصام بحبل الله المتين، ولا تقدم لنا إلا بمقدار ما نعتصم بما فيه من الآداب والأخلاق، التى يحرص عليها هذا الدين، والحمد لله أن جعلنا مسلمين ومن أمة سيد المرسلين:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

(4) إطلالات على الزمن الآتى ص١٢٢، ١٢٣ من منشورات مكتبة الأسرة، مع التصرف اليسير فى النص المنقول.

تحديات المواجهة الأمريكية الإيرانية

للأستاذ/
صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشئون السياسية

يبدو أن المواجهة العسكرية بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية الإيرانية باتت أمرا، يصمم عليه الجانب الأمريكي، لعدة أسباب، أبرزها حصول إيران، في وقت ليس ببعيد، على سلاح نووي، خاصة بعد إعلان الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد» يوم الاثنين ٩ من أبريل ٢٠٠٧ دخول بلاده مرحلة الإنتاج الصناعي للوقود النووي، وهو ما يجعل منها قوة نووية مهيمنة على منطقة تعتبر حيوية اقتصاديا للدول الغربية بعامة والولايات المتحدة الأمريكية بخاصة.

كما أن حصول إيران على السلاح النووي، من شأنه تشجيع دول أخرى في المنطقة للحصول عليه، وهو ما لا تسمح به أمريكا، باعتباره تهديدا لمصالحها في الشرق الأوسط، وكسرا للاحتكار النووي الإسرائيلي في هذه المنطقة الحساسة من العالم، ومن ناحية أخرى فإن مسألة توجيه ضربة عسكرية ضد إيران، في رؤية كثير من المحللين، ليست أمرا هينا، فالأرجح ألا يصادق مجلس الأمن الدولي عليها، ولن تتردد روسيا والصين في نقض الإجماع الدولي على مهاجمة إيران، كما لا يؤيد الأمريكيون سواء أكانوا جمهوريين أم ديمقراطيين، خروج الرئيس الأمريكي «بوش» على قرارات مجلس الأمن خاصة بعد فشل التجربة العسكرية في العراق، وفوق ذلك، فإن حلفاء أمريكا المقربين لن يسايروها في مغامرتها العسكرية الجديدة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

المبادرة الفرنسية

ولقد جاءت تصريحات الرئيس الفرنسي «جاك شيراك» في ١٨ من سبتمبر ٢٠٠٦ لتؤكد من جديد على ألا حل دون اللجوء إلى الحوار في الأزمة النووية الإيرانية، إذ طرح من جانبه مبادرة من أربع نقاط:

● الأولى: تحديد جدول عمل مشترك بين إيران والمجموعة السداسية «الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الأمن وألمانيا».

● والثانية: استمرار المحادثات بين إيران والمجموعة السداسية.

● والثالثة: التخلي عن إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن.

● والرابعة: امتناع إيران عن تخصيب اليورانيوم خلال المفاوضات.

ويرى الكثيرون أن هذه المبادرة الفرنسية، يمكن الاعتماد عليها كمبدأ رئيسي لأي حلول مستقبلية حول الأزمة النووية الإيرانية، وعودتها إلى مسارها الطبيعي، بحيث تحل من خلال الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وليس عبر مجلس الأمن بفرض مزيد من العقوبات على إيران. وفي هذا السياق تشير «مجلة «نيوزويك» الأمريكية إلى أن كل سياسات المواجهة التي جربتها واشنطن مع إيران، منذ ثورتها الإسلامية عام ١٩٧٩، لم تفلح العقوبات الأمريكية ضدها في تحقيق أية نتيجة، كما أن التهديد بالحرب لا يخيف طهران، وتضيف المجلة الأمريكية قولها: «إن واشنطن هي التي تحتاج إلى إيران، إن أرادت النجاح لأية تسوية سياسية. كما أنه مادام الانسحاب الأمريكي من العراق، يكاد أن يكون مستحيلا، حاليا، دون إبرام صفقة مع إيران لترتيب الأوضاع، فلا مفر من محاورة إيران العنيدة»، وتؤكد المجلة الأمريكية «أن المطلوب هو ترويض القوة الإيرانية المتنامية لنزع مخالبها النووية المحتملة، ولن يتحقق ذلك إلا إذا تجنبت واشنطن التلويح بالقوة العسكرية، وفرض شروط مسبقة للتفاوض. والأهم من ذلك - كما تقول المجلة - هو أن تعترف واشنطن بأن إيران قوة إقليمية، لها نفوذها في محيطها الإقليمي، وأنه من غير الممكن إسقاط نظامها».



شيراك

«٢٦٠» رأسا نوويا تملكها إسرائيل

والمثير للدهشة أنه في الوقت الذي تقف فيه الولايات المتحدة في وجه إيران المسلمة في امتلاك برنامج نووي سلمي، فإنها تغض البصر عن امتلاك إسرائيل، ٢٦٠ رأسا نوويا، تهدد بها دول المنطقة، ولا تحثها على قبول دعوة مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية «محمد البرادعي» بفتح منشآتها النووية أمام مفتشي الوكالة، بل وصل الأمر من جانب إسرائيل إلى رفض مبدأ المفاوضات حول برنامجها النووي.

لا شك أن هذه الازدواجية في التعامل بين إيران التي تسعى إلى امتلاك تكنولوجيا نووية سلمية، وإسرائيل التي ترفض حتى التفتيش الدولي على ترسانتها النووية الضخمة، تثير قلق دول المنطقة، وتشكل في الوقت نفسه أكبر التحديات التي تواجه واشنطن في معالجة الأزمة النووية الإيرانية.

واللافت للأنظار أن ثمة مؤشرات تشير إلى أن الحل العسكري لم يستبعد بعد،

كأحد الخيارات لحل الأزمة النووية الإيرانية، إن لم تكن من الجانب الأمريكي، فإنه حتما من جانب إسرائيل، فقد أعلن «إفيجدور ليبرمان»، وزير الشئون الاستراتيجية الإسرائيلية «وهي وزارة أنشئت مؤخرا للتعامل مع الملف النووي الإيراني»: «أن إسرائيل تستطيع أن تتصدى وحدها لأي تهديد نووي إيراني، إذا لم تُعط العقوبات الاقتصادية النتائج المرجوة».

والجدير بالذكر في هذا المقام أن ثمة أوساطا غربية، واستخباراتية أمريكية تشير إلى أن الولايات المتحدة في تقديرها أن تقوم بإسناد مهمة ضرب المنشآت النووية الإيرانية إلى إسرائيل، برغم كل المؤشرات التي ترجح قيام واشنطن بإنجاز هذه المهمة بنفسها، حيث بدأت القوات الأمريكية في الخليج بأكبر مناورات عسكرية منذ الغزو الأمريكي للعراق في مارس ٢٠٠٣، كما تواترت المعلومات التي تشير إلى أن البنتاجون «وزارة الدفاع الأمريكية» قطع مراحل متقدمة في التخطيط لهذه الضربة، بوجود حاملتي الطائرات «دوايت أيزنهاور»، و«جون ستينيس»، وحاملة الطائرات الفرنسية «جان دارك» في منطقة الخليج، وإرسال مجموعات قتالية «كل مجموعة تضم ما بين أربع وخمس فرقاطات ومدمرات وغواصة» ناهيك عن إرسال منظومات وبطاريات صواريخ «باتريوت» والمزيد من كاسحات الألغام، وفي هذا الإطار أعلن «تشارلي براون» الناطق باسم الأسطول الخامس الأمريكي في المنامة، عاصمة البحرين، أن البحرية الأمريكية اختتمت في ٢٩/٣/٢٠٠٧ أكبر مناوراتها في الخليج منذ عام ٢٠٠٣ وقال: «إن المناورات ترمي إلى طمأنة حلفاء الولايات المتحدة إزاء التزامها بإقرار الأمن والاستقرار في المنطقة» والهدف هو ردع إيران بالطبع.

الهجوم الإسرائيلي

وفي هذا السياق يرى «برادلي تاير» أستاذ في قسم العلوم السياسية في «جامعة مينسوتا»، «أن الولايات المتحدة تستطيع أن تؤمن لإسرائيل، فتح المجالات الجوية، وربما يمكن استخدام قوات العمليات الخاصة، أو قوات الموساد السرية، مع الضربات الجوية، منفردة أو منفصلة للتأكد تماما من تدمير المنشآت النووية الإيرانية كليا بواسطة القنابل أو بواسطة التخريب الكامل».

ويضيف «برادلي» قوله: «إن الهجوم الإسرائيلي على المنشآت النووية الإيرانية، سيعفي الولايات المتحدة من تحمل نتائج القيام بهذا العمل العسكري، ويتيح لها الفرصة لتركيز اهتمامها على «حالة عدم الاستقرار» الحالية في العراق، كما أن قيام إسرائيل بهذه الضربة العسكرية، سيقلل من خطر انتقام إيران، بضرب ناقلات النفط في الخليج، وهو الأمر المتوقع من إيران للانتقام من الولايات المتحدة الأمريكية، في حال إقدامها على هذه الضربة العسكرية ضد إيران بنفسها، خاصة أن الرئيس «بوش» لا يملك، حاليا، خيار الحرب ضد إيران، في ظل الكونجرس الحالي الذي تسيطر عليه

الأغلبية الديمقراطية التي تدعوه إلى سحب القوات الأمريكية من العراق».

مجلس النواب يرفض خطط بوش

ومن ناحية أخرى يشكك الخبراء الاستراتيجيون، في قدرة إسرائيل على مهاجمة إيران بقصف جوي يدمر المنشآت النووية لها، ويضعون لهذه المهمة ثلاثة شروط عملية مسبقة، وهي توفر معلومات استخباراتية دقيقة عن الأهداف، وتوفر السلاح الملائم القادر على تدميرها، والتنسيق السياسي مع الأمريكيين، وفي هذا الصدد يقول السيناتور «ريد» زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ بشأن احتمال توجيه ضربة عسكرية ضد إيران: «أنه على الرغم من عدم وجود احتمال للهجوم العسكري على إيران، حيث أعلنت حكومة بوش نفيها لهذا الاحتمال، لكننا نعتقد أن إصدار مثل هذا القرار، أمر ضروري لأن هذا الهجوم في حالة وقوعه، سيمثل كارثة بالنسبة للولايات المتحدة».

كما صرحت «نانسي بيلوسي» الرئيسة الجديدة لمجلس النواب قائلة: «لن نسمح لجورج بوش بأن يصنع كارثة جديدة للولايات المتحدة بالهجوم على إيران» في إشارة إلى الكارثة التي حلت بالقوات الأمريكية في العراق، ولقد كشف «وين وايت» الخبير في شئون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية عن جزء من الحرب النفسية ضد إيران فيقول: «لا يوجد شيء اسمه هجمات عسكرية منتقاة، وإنما أهداف متعددة، سيتم الهجوم عليها» ويضيف قوله: «إن المشروع الذي اطلعت عليه العام الماضي (٢٠٠٦) كان يشمل هجوما على مواقع حربية ودفاعية بحرية، من بينها الغواصات والسفن، وقصف المنشآت الصاروخية الإيرانية، ولكن عندما وضعت ورقة عن النتائج الوخيمة لهذا الهجوم العسكري، قام الرئيس «بوش» باستبعاد الخطة».



بوش

إيران والحركات اليسارية

وما يثير قلق الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهتها مع إيران، هو ما تشير إليه تقارير أجهزة المخابرات الأمريكية إلى أن «مكتب حركة التحرير» الذي يعمل في إطار «فيلق القدس» الإيراني، قام بتنشيط اتصالاته مع حزب الله اللبناني، لدعم الحركات اليسارية المتطرفة في أمريكا اللاتينية وأوروبا، بل وداخل الولايات المتحدة نفسها، استنادا إلى محور التحالف القائم بين كوبا «فيدل كاسترو» وفنزويلا «هوجو شافيز» الذين يتعاونان مع إيران في صراعها مع الولايات المتحدة.

وتذكر هذه التقارير الأمريكية، أن قاعدة خلايا فيلق القدس الإيراني تقع في جزيرة «مارجريتا» في فنزويلا، وتشمل أيضا

بوليفيا ونيكاراجوا، إلى جانب إحياء الخلايا الإيرانية في أوروبا، وتنسيق عملياتها مع المنظمات الناهضة للأنظمة الحاكمة في أوروبا مثل «منظمة إيتا» لتحرير الباسك في إسبانيا و«حركة ١٧ نوفمبر» اليسارية في اليونان، وكان من ثمار تعاون مكتب حركة التحرير الإيرانية مع هذه المنظمة الأخيرة هو قصف السفارة الأمريكية في أثينا بعد يوم واحد من عملية اعتقال موظفي القنصلية الإيرانية الخمسة في أربيل في العراق بمعرفة القوات الأمريكية هناك.

وتعتقد الأجهزة المخابراتية الأمريكية أن عائدات شبكة «حزب الله» في مثلث أمريكا اللاتينية «باراجواي - الأرجنتين - البرازيل» تتجاوز المليار دولار سنويا، وفي الجانب الآخر تشير التقارير الصحفية الأمريكية أن وزارة الخارجية الأمريكية، خصصت مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لإثارة أزمة طائفية في إقليم خوزستان الواقع جنوب غرب إيران وتحويله إلى ما يشبه ما يحدث في إقليم دارفور السوداني.

وتضيف هذه التقارير أن الخطة التي وضعها «مركز الدراسات الاستراتيجية» في البنتاجون، وكلفت وكالة المخابرات المركزية بتنفيذها، أفادت بوجود ثلاث منظمات سياسية رئيسية في إقليم خوزستان تتحدث اللغة العربية، التي يتعامل بها سكان هذا الإقليم، ستستفيد بصورة مباشرة من هذه الأحوال، بدءا من المجلس الوطني الأهوازي، إلى المجلس الأعلى لأمر الأهواز، وانتهاء بمجلس قيادة الثورة في الأهواز.

الأقليات داخل إيران

وأضافت هذه التقارير الصحفية الأمريكية أن قيادة هذه المنظمات ستعمل على إعادة تفعيل إعلانها السابق بتشكيل «حكومة مؤقتة» وإجراء انتخابات حرة نزيهة تفسح المجال أمام إنشاء «دولة» في الأهواز، يتم الاعتراف الدولي بها فور إعلانها، وفي هذا السياق أشارت صحيفة «صنداي تايمز» اللندنية في ٢٥ فبراير ٢٠٠٧ إلى أن جماعات الأكراد في غرب إيران والأذربيين في الشمال الغربي، والأهواز العرب في الجنوب الغربي، والبلوش في الجنوب الشرقي نفذوا عدة عمليات تخريبية ضد النظام الحاكم في إيران، بتحريض وتخطيط وتمويل من أجهزة المخابرات الأمريكية، ولقد نقلت الصحيفة اللندنية عن «فريد برتون» مسئول مكافحة الإرهاب السابق بوزارة الخارجية الأمريكية قوله: «إن الهجمات الأخيرة في إيران تتناغم مع الجهود الأمريكية لإعداد وتدريب «الأقليات العرقية» في إيران لزعزعة استقرار النظام الإيراني»، كما تذكر هذه الصحيفة اللندنية أن الأحداث التي وقعت داخل إيران في الشهور الأخيرة لم تكن وليدة مخططات أمريكية جديدة، وردا على الخسائر الأمريكية الجسيمة التي وقعت مؤخرا في العراق، بل هي امتداد لخطة سابقة وضعتها إدارة بوش في بداية عام ٢٠٠٥، وقد ظهرت ملامحها في أبريل ٢٠٠٥ عندما اندلعت ما سُمي «انتفاضة عرب الأهواز» وهو ما أثار قلق الدوائر الحاكمة في إيران، حيث جاءتهم الضربة من الداخل بدلا من أن تأتيهم من جانب الولايات المتحدة الأمريكية كما كان في حسبانهم.

واللافت أن الخطة الأمريكية - كما تتحدث الصحيفة - تستند إلى استغلال الاختلافات العرقية والمذهبية المتواجدة في «المحافظات الحدودية الإيرانية» لإثارة الاضطرابات ضد النظام الحاكم في إيران، بما يؤدي إلى التورط في صراعات داخلية «إيرانية - إيرانية» تكون من شأنها أن ينكفيء النظام الإيراني على ذاته، ويبتعد عن التدخل في العراق.

لذلك فإن القيادة الإيرانية تدرك خطورة الدور الأمريكي في إثارة الأقليات العرقية من أكراد وأذربيين وعرب وتركمان وبلوش التي تمثل ٥٠٪ من سكان إيران.

المعارضة الإيرانية

وفي إطار المواجهة الأمريكية مع إيران لا يقتصر المخطط الأمريكي على إثارة الاضطرابات في الداخل الإيراني، بل يمتد ليشمل «جماعة مجاهدي خلق» المعارضة للنظام الإيراني، وهم حوالي ١٥ ألف مقاتل يقيمون ـ حاليا ـ في «معسكرات أشرف» في العراق، تحت السيطرة الأمريكية، وقد بدأت هذه الجماعة بإرسال رسائل إلى الشعب الإيراني، تدعوه إلى الثورة على النظام الحاكم في إيران، كما ظهر لوبي داخل الولايات المتحدة يطالب برفع جماعة «مجاهدي خلق» من قوائم الإرهاب الأمريكية، بل والتعاون معها، على غرار تعاون واشنطن، في السابق مع التحالف الشمالي في أفغانستان التي ساعدت على الإطاحة بنظام طالبان، كما أشارت تقارير غربية إلى أن وحدات من «مجاهدي خلق» تقوم منذ عام ٢٠٠٥ باختراق الحدود الإيرانية، بمساعدة وحدات أمريكية خاصة لرصد وتصوير المنشآت النووية، والأهداف الاستراتيجية ذات الأهمية الخاصة، بالإضافة إلى الاتصال بالمعارضة في الداخل الإيراني، وإثارة الرأي العام ضد النظام الإيراني الحاكم، لإلهائه عن أهدافه القومية العليا، وامتدت المواجهة الأمريكية مع إيران إلى نطاق أوسع - كما تقول التقارير الغربية - بإنشاء مكتب داخل القنصلية الأمريكية في إحدى دول الخليج تضم عشرة دبلوماسيين أمريكيين لإجراء حوارات مع معارضين إيرانيين في المنفى، وقد خصص الكونجرس الأمريكي مبلغ ٧٥ مليون دولار لدعم الديمقراطية في إيران تحت اسم «مشروع دعم حرية إيران»، بالإضافة إلى تخصيص مبلغ ٥٠ مليون دولار لإنشاء «قناة تليفزيونية» باسم «آزاد حرة» موجهة إلى إيران باللغة الفارسية تحت إشراف «ليز تشيني» مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية، والمكلفة بملف نشر الديمقراطية في بلدان الشرق الأوسط، كما أن الكونجرس وافق في السابق على تخصيص ميزانية إضافية لدعم المعارضة

الإيرانية بمبلغ ٣ ملايين دولار، وفى هذا الصدد يذكر أن واشنطن قد رصدت فى الفترة من ٢٠٠٠ حتى ٢٠٠٥ أكثر من ٢٠ مليون دولار للبث الإذاعى فى اتجاه إيران، وأكثر من ١٠٠ مليون دولار لاستخدامها لتأليب المعارضة الإيرانية ضد النظام الإيرانى الحاكم.

ولم تكن التفجيرات التى شهدتها مدينة «زهران» الإيرانية فى منتصف فبراير ٢٠٠٧ سوى حلقة فى مخطط أمريكى لتفجير الجبهة الداخلية الإيرانية، ردا على الهجمات التى تتعرض لها القوات الأمريكية فى العراق بدعوى التدخل الإيرانى هناك.

جيش المهدى.. وفيلق بدر

ويرى كثير من المراقبين أن قرار بوش بالتصدى لعملاء إيران وسوريا فى العراق ولبنان وخارجهما يعنى تقريب موعد المواجهة والحسم العسكرى مع إيران، وقد بدأت بالفعل مواجهة القوات الأمريكية مع القنصلية الإيرانية، كما ذكرنا من قبل، فى أربيل عاصمة إقليم كردستان فى شمال العراق، واعتقال خمسة مسئولين إيرانيين، وتذكر مصادر أمريكية من أن بينهم ثلاثة ضباط من فيلق القدس الإيرانى، يعملون تحت ستار دبلوماسى، بهدف تنسيق هجمات الميليشيات الشيعية العراقية الموالية لإيران ضد القوات الأمريكية، هناك، ويذكر فى هذا الصدد أن «جيش المهدى» التابع لمقتدى الصدر، وأيضا «فيلق بدر» التابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، كان قد تم تدريبهم وتسليحهم وتمويلهم فى إيران، إبان حكم صدام حسين، وبعد سقوط نظامه عادوا للعراق، وأصبحوا يشكلون القوى السياسية والعسكرية المناوئة للاحتلال الأمريكى هناك. غير أن «جيش المهدى» الذى يقوده مقتدى الصدر بدأ يناوىء الوجود الأمريكى فى العراق ويضع انسحاب القوات الأمريكية على قمة أولوياته، بينما فيلق بدر يحاول مهادنة الاحتلال، ربما بهدف التقية، وتجنب تعرضه لأية ضربات من جانب القوات الأمريكية.

حزب الله الخليجى

والجدير بالذكر، أن ثمة مصادر غربية، تشير إلى أن طهران أسهمت فى إنشاء ما يسمى «فيلق الخليج» أو ما يطلق عليه أيضا «حزب الله الخليجى» فى سياق المواجهة مع أمريكا، وهو يضم أكثر من ١٥٠٠ مقاتل فى دول الخليج من الشيعة والسنة على السواء، ويتوزعون على كتائب باسم هذه الدول، مثل «كتائب البحرين»، و«كتائب الكويت»، وتشير التطورات المتلاحقة فى المواجهة الأمريكية - الإيرانية إلى أن إيران تبدو متمسكة بالمضى قدما فى برنامجها النووى دون مساومة على ما تعتبره حقها المشروع فى تخصيب اليورانيوم على أرضها، وهو ما ترفضه واشنطن، بما ينذر بمواجهة شبه

حتمية، تسعى إيران من ورائها إلى تحقيق أهداف عدة، أهمها الحصول على اعتراف واشنطن بها، والحصول على دور أساسى كقوة إقليمية، لها دور متميز فى منطقة الخليج العربى، وحمل أمريكا وأوروبا على إعطائها ضمانات أمنية للمستقبل، والحصول على القدرات النووية دون تصنيع القنبلة النووية فى الوقت الراهن، بمعنى أن طهران تريد امتلاك التكنولوجيا النووية السلمية، ولكن لا يمنع فى المستقبل من تصنيع قنبلة نووية، خاصة فى حال شعورها بتهديد قد يأتيها من إسرائيل التى تملك ترسانة نووية تبلغ ٢٦٠ رأسا نوويا.

أوراق إيران الرابحة

ومن جهة أخرى تواجه الولايات المتحدة الأمريكية خصما إيرانيا عنيدا يتميز بامتلاك معظم الأوراق الإقليمية مع القدرات العسكرية والإمكانات النفطية، يديرها «عقل سياسى مقتدر» يفوق ما اعتادت عليه واشنطن من قبل فى تعاملها مع خصومها السابقين، وصحيح أن قدرات إيران العسكرية لا تقارن بما تملكه الولايات المتحدة، ولا يمكن أن تتصور أن ينتهى الصراع بين الجانبين باحتلال طهران أو واشنطن، لكن أوراق إيران الردعية تقف حائلا حتى الآن، أمام استخدام واشنطن آلتها العسكرية بالسهولة التى اعتادتها فى تجاربها السابقة مع الصومال وصربيا وأفغانستان والعراق، لقد شهد شهر مارس ٢٠٠٧ على وجه الخصوص بعض مظاهر التصعيد من الجانبين الإيرانى والأمريكى، بصدور القرار ١٧٤٧ بفرض عقوبات إضافية لإجبار إيران على إيقاف تخصيب اليورانيوم واعتقال إيران ١٥ جنديا من البحرية البريطانية، ثم الإفراج عنهم طواعية بوساطة عربية، ولا شك أن هذا الإجراء من جانب طهران يمثل ورقة رابحة جديدة من أوراق المساومة والتفاوض حول ملفها النووى، يكشف عن فكر واع فى إدارة أزمتها الراهنة مع الولايات المتحدة.



نجاد

كلمة أخيرة

وفى الختام يمكن القول إن ما أعلنه الرئيس الإيرانى «محمود أحمدى نجاد» فى التاسع من أبريل ٢٠٠٧، عن انضمام إيرانى إلى نادى الدول المنتجة للوقود النووى على النطاق الصناعى، يمثل أكبر تحد يمكن أن تواجهه واشنطن فى صراعها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والسؤال الذى يطرح نفسه بإلحاح على الساحة العالمية، ماذا ستفعل الولايات المتحدة إزاء ما أعلنه الرئيس الإيرانى بأن بلاده أصبحت دولة منتجة للوقود النووى، على المستوى الصناعى؟.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«من جوامع الكلم فى القرآن الكريم»

قال الحارث الأعور: حدثني علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى لاتزيغ به الأهواء، ولاتشبع منه العلماء، ولايخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله. هو حبل الله المتين، والذكر العظيم، والصراط المستقيم. خذها إليك يا أعور.

وقال رسول الله ﷺ: «سيكون فى أمتى قوم يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شر الخلق والخليقة».

وقال ﷺ: «إن الزبانية لأسرع إلى فساق حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان، فيشكون إلى ربهم فيقول: ليس من علم كمن لا يعلم».

وقال الحسن: حملة القرآن ثلاثة نفر: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس، ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده، واستدر به الولاة، واستطال به على أهل بلده، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا أكثرهم الله، عز وجل! ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه، فسهر ليلته، وهملت عيناه، وتسربل الخشوع، وارتدى الوقار، واستشعر الحزن، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، بهم يسقى الله الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء.

الإجمال فى الطلب

قال العتابى: إن طلبت حاجة إلى ذى سلطان فأجمل فى الطلب إليه، وإياك والإلحاح عليه، فإن الحاجة تكلم عرضك، وتريق ماء وجهك، فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك، ولعل الإلحاح يجمع عليك إراقة ماء الوجه، وحرمان النجاح، فإنه ربما مل المطلوب إليه حتى يستخف بالطالب وقال شاعر:

إن كنت طالب حاجة فتجمل ... فيها بأحسن ما طلبت وأجمل
إن الكريم أخا المروءة والنهى ... من ليس فى حاجاته بمثقل

«كلمات بليغة»

دخل خالد بن عبدالله القسرى على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة فقال:

يا أمير المؤمنين: من تكون الخلافة قد زانته، فأنت قد زنتها، ومن تكون قد شرفته، فأنت قد شرفتها كما قال الشاعر:

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

«من حكم خالد بن يزيد»

كان خالد بن يزيد بن معاوية وقد تولى الخلافة ثم استقال منها تورعا، عالما كثير الدراسة للكتب، وربما قال الشعر فمن شعره قوله:

هل أنت منتفع بعلـ ... ـمك مرة والعلم نافع
ومن المشير عليك بالر ... أى المسدد أنت سامع
الموت حوض لا محا ... لة فيه كل الخلق شارع
ومن الشقي فازرع فإ ... نك حاصد ما أنت زارع

«استكمال العرف»

كتب أبوتمام الطائى إلى أحمد بن أبى داود قاضى القضاة فى زمن المعتصم:

أعلم وأنت المرء غير معلم ... وافهم جعلت فداك غير مفهم
أن اصطناع العرف ما لم توله ... مستكملا كالثوب ما لم يعلم
والشكر ما لم يستتر بصنيعة ... كالخط نقرؤه وليس بمعجم
ويفوتنى فى القول إكثار وقد ... أسرجت فى كرم الفعال فألجم

«القبيح لا يدفع الإحسان»

كان الحسن البصرى إمام المحدثين مع سعيد بن جبير، وهو من أجلاء علماء التابعين يشيعان جنازة، فسمع سعيد أصوات النوائح فهم بالانصراف إنكارا لهذه المنكرات، فقال له الحسن: إن كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك.

أبيات وعظية

أمـــــا والله لو علم الأنام
لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقـــد خلقـــوا لأمـــر لو رأته
عيـــون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قـــبـــر ثم حـــشـــر
وتـــوبـيـــخ وأهـــوال عـــظـــام
ليوم الحشر قد عملت رجال
فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمـــرنا أو نهـيـــنا
كـــأهل الكهف أيقـــاظ نيـــام

«من الكلام ما يجب تخليده»

قال سهل بن هارون: ومما حفظ من كلام ذى الرياستين مما رأينا تخليده فى الكتب ليؤتم به، وينتفع بمقول حكمته، قوله: من ترك حقا فقد غبن حظا، ومن قضى حقا فقد أحرز غنما، ومن أتى فضلا فقد أوجب شكرا، ومن أحسن توكلا لم يعدم من الله صنعا، ومن ترك لله شيئا لم يجد لما ترك فقدا، ومن التمس بمعصية الله حمدا عاد ذلك على ملتمسه ذما، ومن طلب بخلاف الحق له دركا عاد ما أدرك من ذلك له موبقا، وذلك أوجب الفلاح للمحسنين، وجعل سوء العاقبة للمسيئين المقصرين.

«حقيقة»

حكى الأصمعي قال: مر بى أعرابى سائلا فقلت له: كيف حالك؟

قال: أسأل الناس إلحافا فيعطونى كرهاً فلا يؤجرون على ما يعطونى ولا يبارك لى فيما آخذ.

«دعاء»

اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وفتنة القبر، وأعوذ بك من شر ما يلج فى الليل، وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الريح وشر بوائق الدهر.

جليلة فى مهب الريح

للدكتور أبى حسام

كانت سمراء فاتنة جذابة الملامح، ومنذ طفولتها وسمات الذكاء تلوح واضحة لمن يراها، حتى أن أباها الشيخ مُرة كان يقول: لن تتزوج جليلة ابنتى إلا من ملك.

وكأن قول الأب المعجب، قد تناقله الناس، فأخذوا يتساءلون: وهل لقبيلة ربيعة ملك، حتى تتزوجه جليلة؟!. والشيخ الأب يبتسم ويقول: هذا ما تحدثنى به نفسى!.

وطافت عرافة نجد بالخيام، فكانت تقرأ أكف الفتيات والفتيان، وتنبئ كلّ واحد وواحدة بما يتخيل لها من شئون مُستقبله، وكأنها علمت ما يقوله الشيخ مُرة عن جليلة ابنته فتجاهلت ما علمته، وتقدمت لكشف الحجاب عن مستقبلها، فتمتمت بكلمات مع نظرات فى الوجه واليد والقدمين، ثم صاحت فى فرحة: ما هذا الذى أرى؟. ستكونين ملكة!. وجاء النبأ إلى الشيخ فهرع إلى العرافة باسماً مغتبطا، وقال: هذا ما تأكد لى. فأردفت العرافة تقول: ولكن للبشارة بقية، فستظل ملكة ثم ينطفئ كوكب زوجها، ويقوم ولده يأخذ الثأر من قاتله!.

شحب وجه جليلة، وقالت: قُبحًا لها من خاتمة!. لا أود أن أكون فى مهب الريح بعد استقرار، وتساقطت من عينيها الدموع، فقال الوالد: إن صدق كلام العرافة، فإن

ولدك لن يدرك ثأر أبيـه إلا بعـد أن يكون شابًا . ومعنى ذلك أنك ستتمتعين بالملك ما لا يقل عن خمسـة وعشرين عامًا في ظلّ ملكٍ خطر تدين له الرقـاب ! ، على إني إذا صدقت كلام العرافة في الأولى ، فلن أصدقه في الثـانيـة ، لأن كـفّك تتـحـدث عن مستقبلك ، ولن تتحدث عن مستقبل ولدك بحال .

الملــك

ومضت الأيام ، فاشتعلت حرب طاحنة بين ربيعة وجيرانها من القبائل العدنانية ، وبين أحد ملوك اليمن ، حين وقعت في يديه كتيبة من أسـارى مضر وقضاعة وربيعة ، وحبسهم وعذبهم في قسوة ، ثم أعلن في جبروت أنه لن يسمح بإطلاقهم حتى يحضر رءوس القـوم في هذه القبـائل ليكونوا بدائلهم في السجن ، ثم المحاكمة . وطار النبأ لربيعة ، وكان كليب بن وائل أحد شبابها المرموقين ، فصمم على مواجهة جيش اليمن ، وتطوع معه لفيف من قبائل تهامة ، وكلهم ذوو جراح من جبروت طاغية اليمن ، ودارت المعركة حول جبل خزار ، وكـانَ اليمنيين قد استهزءوا بجيش ربيعة فلم يأخذوا الأهبة ، ففوجئوا بسيل جارف يقتحم عليهم كل موقع ، وانهزمت مذحج وتناثر قتلاها على نحو مرعب مخيف ، وفرّ من بقى جازعًا يخشى على نفسه ، ورجعت ربيعة منتصرة . وقد حفظت لكليب موقعه ، فوافق شيوخها على أن يكون رئيس القوم ، وأن يأخذ حقوق الملك من الطاعة والإذعان وأخذ اسمه يتردد مقرونًا بالعزة والسيادة ، حتى قيل في المثل : «أعزّ من كُليب وائل» .

المصــاهـرة

كان كليب من ربيعة ، وهي ذات فرعين ، تغلب وبكر ، فأراد كليب في مبتدأ حكمه أن يسترضى قبيلة بكر كي لا يشذ عن طاعته أحد في ربيعة ، فأرسل إلى شيخها – وهو في سن متقدمة جعلته رئيس البكريين – ، يطلب جليلة التي تحدثت الأنباء عن جمالها وفصاحتها وعزتها بين فتيات بكر ، لتكون زوجًا له ، ولم يردّ مُرّة بن ذهل بن شيبان لابنته أكفأ من كليب ، إذ هو رئيس القوم ، وقد تودى بالمُلك ، وكأنه قال في نفسه : لقد صدقت النبوءة ! وظنت بكر بهذه المصاهرة أنها أصبحت شريكة نافذة الأمر ، فدوّت الفرحة ، وتم الزفاف على وجه سريع ! .

ولم يكن كليب في شبابه الثائر بالذى يترك أحدًا ما يرفع رأسه أمامه ، وقد سمع أقوال من ينافقونه باللفظ الخادع ، فيزعمون أن بكرًا تتحدث أنها أصبحت شريكة في حكمه ، وأنها يجب أن تكون في المرتبة الأولى ، فلا تنال سطوة تغلب ، وقد استجاب إلى ما سمع فأصدر أمره بتحديد منازل بكر في حلّهم وترحالهم ، على ألا يهمّوا بالرحلة إلا بعد استئذانه ، وألا يُجير بكرىّ أحدًا دون أمر منه ، وألا يردوا ماء لم يحدده لهم ، وأن يكون له حمى خاص به لا يقربه أحد تغلبى أو بكرى ، واصطنعت بكر الصبر ، فتركت ربوع ربيعة ، ونزلت على ماء بعيد ، وتجبّر فأمر ألا يذوقوا قطرة من مائه ، فتركته إلى ماء ثان ثم إلى ماء ثالث ، وهو يتعقبهم وكأنهم ألدّ الأعداء ، وحار الشيخ مُرّة فيما يفعل صهره الذى اعتز بنسبه إليه من قبل ، فولى وجهه شطر منزله وقابلته جليلة ، فرأى في وجهها ما يدل على الكدر ، فعرف أن شقاقًا حادًا قام بين الزوج وزوجه وأنها قد خاصمته منذ تنكر لبكر ، ولم يشأ أن يشعل الحريق ، بل انتظر حتى حضر كليب فقابله الشيخ بالبشاشة ، ولكنه لمس فتورًا لا عهد له به في لقائه ، فلم يفتح باب العتاب ، ورأى كليب أن يترك الأب مع ابنته ، فانصرف غير حافل .

وقد تحدثت جليلة لوالدها فقالت : إنها لم ترد أن تُشمت البكريات والتغلبيات حين يتأزم الموقف فتهجر منزلها مُطلّقة تعيسة ، وبين أحشائها جنين ترجو أن يكون واسطة وفاق بينها وبين كليب ، فبارك الأب حزمها العاقل ، وأثنى على موقفها الدقيق ، وخرج عائدًا إلى مقرّه ، وفي نفسه شجون لا تهدأ ولا تستكين ! .

كان الشيخ مُرّة والدًا لعشرة من الأبناء كلهم شجاع مغوار – وكان يصطنع الرفق بهم ، ويحاول أن يهدئ من شجونهم التى لا مفر من ثورتها حين حمى كليب الماء عن بكر في عدة مواقع ، وحين أصر على ألا يجير بكرى أحدًا إلا بتصريح منه ، وكان الإخوة يستمعون إلى والدهم كاظمين ما في نفوسهم من غيظ ، حتى لا يهيجوا دفائنه الأليمة إلا واحدًا منهم هو أصغرهم سنًا ، وأكثرهم حدة ، هو جساس بن مُرّة ! .

الغرور القاتل

وكان استشفاف الغيب من وراء ستر رقيق ، أكبر ميزة تمتاز بها جليلة ، فهى تفكر في المستقبل على ضوء الحاضر ، فترى طيوفًا من الأحداث توشك أن تقع ، إنها تعرف في أخيها الصغير حمية مشتعلة ، كأنها النار العاصفة ، وتعرف أنه يعارض إخوته الكبار معارضة من يعتقد أنه وحده الذى يرى الحق ، كما تعلم أنه همّ بأن يضرب أخاه بالسيف حين وقف دون إرادته ، لولا أن الضربة قد ندّت عن موقعها ، فإذا كان هذا موقفه من ابن أمه وأبيه ، فماذا يكون موقفه من زوج أخته كليب وقد استعلى على أبناء بكر ، ثم تطاول فاستعلى على السادة الكبار ! . كما تعرف أن زوجها كليبًا قد ملكه الغرور القاتل ، فهو لا يعبأ بجساس ويعده شابًا طائشًا يستطيع أن يسحقه بقدمه لو أراد ، ولم يفكر لحظة واحدة في خطر ما سيتعرض له إن دام على تهاونه معه ، ومع سادة بكر ، بل ربما ضحك في سرّه ساخرًا حين تبلغه الأنباء عن معارضة جساس له في بعض ما يقوله حين يخلو بسادة بكر ! . ويتساءل في استحقار : من جساس ؟ ومن سادة بكر ؟ . أليس هو الذى قاد الجموع في معركة خزار ، ودحر جنود اليمن ، وتمّ النصر على يده لربيعة ، واحتفلت بكر بفوز كان كليب صاحب أمره ؟ ! . لقد فكرت جليلة في موقف جساس وتأملته عن واقع مشهود ، كما فكرت في موقف كليب ، وعرفت نتائجه المنذرة ، فرأت أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأنّ أحداثًا كبارًا ستقع ! .

دمـــوع جليـــلة

ومضت ليلة، وجاءتها الأنباء أن كُليبًا قد ضرب ناقة البسوس بسهمه، فأرداها صريعة تجرى دماؤها على الأرض، وأنها كانت فى حمى جساس، وقد استصرخت البسوس سادة بكر، ونظمت أبياتا فى روعة مصابها، وكان بها من التحريض على إدراك الثأر، ما سيشعل النار فى قلب جساس، وحين حضر كليب إلى المنزل فى المساء سألته عما اقترف حين خفر زمام جساس!. فقال فى استهزاء!: ومن جساس؟. لقد جاءنى مستنكرا غاضبا، ولولا أنه أخوك لعاجلته بسيفى، ما الناقة؟. ومن البسوس هذه التى آنف أن أذكر اسمها؟، وأخشى أن أنتقم منها لما قالته من الشعر فيقال: إن سيد العرب قد اهتم بامرأة عجفاء!.

لقد بكت جليلة حين حدثها كليب بما كان من أمره مع جساس حين قابله اليوم، ورأى الزوج دموع زوجته تتقاطر، فصاح بها غاضبا: ما يبكيك؟. وماذا تخشين؟. أنا سيد الوادى، ولن أسمح لشاب جموح أن يجير علىّ، وإن كان ابن مُرة وصهر كليب!.

وأوى كليب إلى مرقده، فنام هادئا مستريحا، وكأنه لا يحفل بشىء ما يتوقعه من قريب أو بعيد.

أما جليلة فلم يطرق جفنها النوم لحظة، وظلت تتقلب ذات الشمال وذات اليمين على مثل الجمر المشتعل باللهيب، حتى إذا أصبح الصباح نهض كليب إلى غَدْوَه المعتاد، حيث يجلس فى عريش خاص به، وليس معه غير كلبه وخادم تحضر الطعام ثم تغيب، فاعترضته جليلة باكية وأقسمت عليه باللات أن يبقى معها هذا اليوم، ولا يخرج إلى العريش، فإنها لم تذق النوم ليلتها، وهى فى حاجة إلى مواساته، ووقفت أمام الباب تعترض خروجه، وقد أحس بما يكتنفها من مشاعر الخوف عليه، ولكنه تجاهل هذه المشاعر، وأزاحها برفق عن الباب، وتهيأ للخروج، وعادت متكسرة تتوقع الخطر الباغت بين الحين والحين.

المأســاة

لقد كانت صادقة فى كل ما أحسّت به منذ ساءت علاقة زوجها بأخيها، وكأنها أخذت تمد أذنها لاستماع نبأ مفاجئ تتوقعه عن يقين ولم تلبث أن سمعت الصراخ الباغت يعلو، وإن وجدت الجموع تتزاحم وتتراكض فى الطريق وكلٌ يقول: قتل كليب، قتله جساس!. وماج منزلها بالتغلبيات الحاقدات من أقارب كليب، وبدل أن يسكتن فلا يثرن لواعج الزوجة المنكوبة فى أعز الناس عليها، أخذن يشتمنها ويقلن: هيا اخرجى من ديار تغلب، أنت شقيقة القاتل، وقد اشتركت معه فى الجرم، ولا بقاء لك معنا أيتها البكرية الآثمة، لقد كان اقتران كليب بك شؤما عليه وعلى تغلب، ولولا أن النساء لا تُقتل، لقتلك المهلهل البطل شقيق كليب!!.. وما نظنه سيبقى فى بكر شابا أو شيخا دون أن يجعله موضعا للثأر من مصرع

أخيه.

إن المهلهل قادمٌ، فهيا عجلى بالرحيل أيتها التعساء!. فخرجت تجر قدميها جرا، وهى تقول: لقد أصبحت فى مهب الريح!.

وكان من الطبيعى أن ترحل الزوجة المسكينة حاملة بين جنبيها حُشاشة من كليب لا تدرى أذكرا كان أم أنثى، وكان من الطبيعى أن تجد أباها وإخوتها فى انتظارها وهم من هول الموقف على زلزال عصوف!.

اشتدت الحرب اشتدادا رهيبا، حيث تعاطفت القبائل مع المهلهل، لأنه طالبُ ثأر، لأن بكرا رفضت أن تسلم القاتل لتنتهى بمصرعه ملحمة الدماء، وما كان لها أن تفعل ذلك، وجليلة تسمع صرخات البكريات على مَن فُقد من أبنائهن وبعولتهم، وخيرة الشباب الذين أكلتهم الحرب دون هوادة، فرأى همام -شقيق جليلة- أن ترحل بأحزانها إلى حىّ الحارث بن عباد البكرى الذى اعتزل الحرب، ولها من هدوء الحال فى ديار الحارث ما يساعدها على تناسى شجونها الدامية، وإذا قدر لها أن تضع الحمل، فلن تذكر للقوم أنه ابن كليب، بل هو نجل أحد الأبطال الذين صُرعوا فى حومة النضال، ولهم جميل الذكر! وهكذا نشأ الطفل بكريا لا يعرف أباه الحقيقى، وقد ظهرت عليه مخايل الفتوة، وشارك فى القتال على حداثة سنه، فاحتضنه خاله جساس ورآه جديرا بأن يُعدّ فى أبطال بكر، وكلما ظهرت دلائل فروسيته ازداد جساس به إعجابا، وخالطه بنفسه وقال لجليلة إنه أعز علىّ من جاسر ولدى، وسيكون رئيس البكريين يوم تنتهى الحرب، وظنى به لن يخيب!.

وتحققت النبوءة

لكن عشيرة الحارث بن عباد لم تُحكِم الأمر الذى يرجوه جساس على وجهه، ففى إحدى المعارك الضارية قتل «الجرو» -وهذا اسمه- ثلاثة أبطال من تغلب، وعاد يحمل رءوسهم مباهيا، فاعترضه من أسر له أنه مخدوع حين يقتل ثلاثة أبطال من جيش عمه المهلهل الذى يأخذ بثأر أبيه كليب بطل العرب، وقد قتله جساس!.

فضرب الجرو يده فى صدره وكأن أفعى لسعته، وقال: أبى كليب، وعمى المهلهل يحترق بنار الحرب آخذا بثأر أبى؛ وأنا مع بكر يخدعنى جساس قاتل كليب؛ سيطلع الغد بما يصيح حديث البكريين، ولن أستقر بمهجع حتى أبلغ ما أريد.

وفى الصباح حمل سيفه واتجه إلى منزل جساس فظنه جاء لتحيته، واستماع رأيه فى بعض ما جدّ، ولكنه عاجله بالسيف الباتر، وصاح به: أنا ابن كليب يا وغد، وأنت قاتل أبى، وسألحق بعمىّ المهلهل لأكون ذراعه الأيمن، وسأقبّل قدمه قبل أن أقبل يديه!. الموت لبكر، والحياة لتغلب!.

وجاء النبأ لجليلة، فبكت كثيرا، ثم قالت: «تحققت نبوءة العرافة، وليس لى أن أعيش بعد أن فارقت كل أحبائى، وآخرهم جساس، أما ولدى فليس لى أن ألومه، لأنه ابن كليب!. ولكن ألوم حظى الذى جعلنى دائما بين المطرقة والسندان!».

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

الأمانة

في القرآن الكريم والسنة النبوية

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

جاء الإسلام بأركانه وفرائضه، وأحكامه وتعاليمه، وأخلاقه وفضائله ليجعل من المسلم صاحب ضمير حي يقظ، يراقب الله في كل حركاته وسكناته، وأفعاله وأقواله، وسلوكه وتصرفاته.. وبذلك تصان حقوق الله وحقوق الناس، ويكون ضمير المسلم حارسا أمينا عليه، يحميه من التفريط والإهمال، ومن التجاوز في الأفعال والأقوال.. ومن أجل تحقيق هذه الغايات والأهداف أوجب الإسلام أن يكون المسلم أمينا..

يقول أستاذنا الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله[1]

والأمانة في نظر الشارع واسعة الدلالة، وهي ترمز إلى معان شتى، مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه، على النحو الذي فصله الحديث الكريم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة

(1) كتاب «خلق المسلم».

عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته»[2] قال ابن عمر راوي الحديث: سمعت هؤلاء من النبي «ﷺ» وأحسبه قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته».

السعادة القصوى

والعوام يقصرون الأمانة في أضيق معانيها وآخرها ترتيباً، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل..

إنها الفريضة التي يتواصى المسلمون برعايتها، ويستعينون بالله على حفظها، حتى أنه عندما يكون أحدهم عى أهبة سفر يوصيه بها فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفرا: ادن مني أودعك كما كان رسول الله «ﷺ» يودعنا: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»[3]، وعن أنس ـ رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله «ﷺ» إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[4].

ولما كانت السعادة القصوى أن يوقى الإنسان شقاء العيش في الدنيا، وسوء المنقلب في الآخرة فإن رسول الله «ﷺ» جمع في استعاذته بين الحالين معاً إذ قال: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»[5] فالجوع ضياع الدنيا والخيانة ضياع الدين.



الغزالي

ولقد أكثر القرآن الكريم من ذكر «الأمانة» في آيات سوره، تعظيما لشأنها، وترغيبا في الاتصاف بها والتمسك بأدائها، وترهيبا من إهمالها وضياعها.

الأمانة في القرآن

ذكر ابن الجوزي ـ نقلاً عن بعض المفسرين ـ أن الأمانة في القرآن الكريم وردت على ثلاثة أوجه:

- أحدها: الفرائض. ومنه قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(الأنفال: ٢٧)

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله: بأن تهملوا فرائضه وأوامره، وتتعدوا حدوده، وتنتهكوا حرماته التي نهاكم عن الاقتراب منها، ولا تخونوا الرسول ﷺ: بأن تتركوا سنته وتتصرفوا

(2) البخاري، جـ2، ص6. (3) سنن أبي داود، جـ3 / ص76.
(4) مسند الإمام أحمد، جـ3/ 154. (5) أبو داود، جـ2/ ص91.

إلى غيرها، وتخالفوا ما أمركم به، وتجترحوا ما نهاكم عنه، ولا تخونوا أماناتكم بأن تفشوا الأسرار التى بينكم، وتنقضوا العهود التى تعاهدتم على الوفاء بها، وتنكروا الودائع التى أودعها لديكم غيركم، وتستبيحوا ما يجب حفظه من سائر الحقوق المادية والمعنوية، وأنتم تعلمون سوء عاقبة الخائن لله ولرسوله وللأمانات التى أؤتمن عليها... فعليكم أن تتجنبوا الخيانة فى جميع صورها وأشكالها وأنواعها لتنالوا رضا الله ومثوبته.

● الثانى: الوديعة. ومنه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

(النساء: ٥٨)

والمعنى: أن الله يأمركم - أيها المؤمنون - أن تؤدوا ما أؤتمنتم عليه من الحقوق، سواء أكانت هذه الحقوق لله - تعالى -، أم العباد، وسواء أكانت فعلية، أم قولية، أم اعتقادية...، وقد أتى الطلب فى الآية الكريمة بصيغة الأمر من الله - تعالى - اهتماماً بالمأمور به، وحضا على أداء ما يؤتمنون عليه، أيا كان على وجه العموم، من علم ومال وودائع وأسرار، وغير ذلك مما تبتغى المحافظة عليه، ومعنى أدائها إلى أهلها: توصيلها إلى أصحابها كما هى من غير بخس أو تطفيف أو تحريف و غير ذلك مما يتنافى مع أدائها بالطريقة التى ترضى الله.

● الثالث: العفة والصيانة. ومنه قوله تعالى:

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

(القصص: ٢٦)

فقد ورد أن سبب وصف «إحدى ابنتى الرجل» موسى بالقوة: أنه استطاع وهو فرد غريب بين أمة من الناس يسقون دوابهم أن يزاحم تلك الكثرة من الناس، وأن يسقى للمرأتين الضعيفتين غنمهما، وروى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال أو عشرة فأقله موسى وحده... وأن وصف موسى بالأمين: أنه لما ذهب معها إلى أبيها - تلبية لدعوته - تقدمت أمامه: فقال موسى لها: كونى من ورائى، فإذا اجتنبت الطريق فاقذفى - أى فارم - بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدى إليه.

أهل الثقة.. وأهل الخبرة!

والمجالات التى تدخل فيها الأمانة كثيرة ومتعددة.. منها: الدين، والأعراض، والأموال، والأجسام، والأرواح، والمعارف، والعلوم، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، ونقل الأحاديث، والأسرار، والرسالات والسمع، والبصر، وسائر الحواس... ولكل مجال من هذه المجالات شرح وتوضيح يناسبه.

فمن معانى الأمانة: الالتزام التام بدقة المعايير، ومطابقة الشروط، ومراعاة الصالح العام عند اختيار الأشخاص الذين تسند إليهم مناصب عامة فى الدولة، فيتحتم عند اختيارهم: أن تنحى الأهواء الشخصية وأن تستبعد المجاملات الاجتماعية، وأن تجنب الميول إلى ذوى القربى، وأن تغلق أبواب الرشوة والمحسوبية، وأن يقطع دابر الشفاعات المغرضة.. فلا يختار لشغل المكان إلا الشخص المناسب له، الجدير بملئه، الكفء فى إدارته، الملتزم بمراعاة الأمانة فيه.

فما أضاع الدول، ولا قضى على الأمم، ولا عانت الشعوب من القهر والظلم والاستبداد والطغيان، ومن الفقر والحرمان، إلا عندما طبق الحكام عند اختيار الأشخاص الذين يتولون المناصب العامة فى الدولة قاعدة: «أهل الثقة مقدمون على أهل الخبرة»، و«أهل القرابة والعصبية القبلية مقدمون على أصحاب الحق والمصلحة العامة»، فأسندوا المناصب إلى الجهلاء أهل الثقة من الأقارب والأصدقاء ومن الطفيليين والمرتشين ومن المنتمين إلى كوادر أحزابهم السياسية.. وتركوا الأكفاء أهل المعرفة والخبرة، والحنكة والدراية، الذين يرعون الأمانة، ويخشون الله فى دينهم ودنياهم، ويراقبون الله فى كل أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم.

واعتبار الولايات والمناصب العامة أمانات مسئولة يسأل عنها الحكام أمام الله ثابت ومعلوم من الدين بالضرورة، فالإمام راع ومسئول عن رعيته،، فعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: «يا رسول الله، ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبى. ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها»(٦).

مظاهر الفساد

فظاهر وواضح أن أبا ذر - رضى الله عنه - لما طلب الولاية لم يره رسول الله «ﷺ» جلداً ومناسبا لها، رغم مكانة أبى ذر وعلمه ومنزلته وقربه من مجالس رسول الله «ﷺ»، ومعنى ذلك أن الأمانة تقتضى أن نصطفى للأعمال ونختار لها أحسن الناس قياما بها، وأداء بواجباتها، فإذا ملنا عنهم إلى غيرهم - لهوى أو قرابة أو رشوة أو مجاملة أو كرها وبغضا للأصلح، أو غير ذلك من الأسباب الفاسدة - فقد ارتكبنا بتنحية القادر وتولية العاجز خيانة فادحة، حسابها وعقابها عند الله عسير..

قال رسول الله «ﷺ»: «من استعمل رجلاً من عصابة وفى تلك العصابة من هو

(٦) صحيح مسلم، ج٣/ ص١٤٥٧، رقم ١٦/١٨٢٥.

أرضى لله منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»(٧).

وعن يزيد بن أبى سفيان قال: قال لى أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ حين بعثنى إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قاله رسول الله ﷺ: «من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»(٨).

والأمة التى لا أمانة فيها، هى الأمة التى تعبث فيها الشفاعات والمجاملات والأهواء بالمصالح المقررة، وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم دونهم الجهلاء والمنافقين، وقد أرشدت السنة النبوية إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذى سوف يقع آخر الزمان، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: بينما النبى ﷺ فى مجلس يُحدِّث القوم جاء أعرابى فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٩).

نعم الله

ومن مجالات الأمانة التى يجب على الإنسان أن يراعيها فيؤدى حقوقها، نعم الله التى أنعم بها ـ سبحانه ـ على الإنسان، فيتحتم عليه أن يستعملها فيما أحل الله وشرعه ويصونها عن استخدامها فيما حرم الله ونهى عنه، ومن هذه النعم الحواس، ومن الحواس نعمة السمع..

وتقتضى الأمانة فى استخدام نعمة السمع أن يكون الإنسان شديد الحرص على الدقة فى نقل الكلام الذى يسمعه «من غير تجسس أو تنصت، لأن التجسس والتنصت حرام أصلاً» دون زيادة أو نقصان أو تحريف، وأن يكون القصد من النقل تحقيق أغراض شريفة، مثل: نشر العلم والفضائل، أو فعل الخير والسعى بين الناس بما يجمع شملهم ويوحد كلمتهم، أو الصلح بين متخاصمين، أو الحث على البر وصلة الرحم. واستهانة الفرد بنقل الكلام محرفاً ـ حتى وإن كان تافهاً ـ تستتبع شيوع التفريط فى حياة المجتمع، ثم استشراء الفساد فى كيان الأمة وتداعيه برمته، وانهيارها وسقوطها، لأن من يقوم بمثل هذا العمل لا يؤمن شره ولا يرجى خيره.

روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بشراركم

(٧) الحاكم ج٤/ ص٩٢، ٩٣.
(٨) الحاكم، ج٤/ ص٩٣.
(٩) البخارى، ج١/ ص٢٣.

قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله، قال: فإن شراركم الذى ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رفده، أفلا أنبئكم بشر من ذلكم قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله. قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلكم قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله، قال: الذين لا يقيلون عثرة، ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»(١٠).

المجالس بالأمانة

فكم من حبال تقطعت، وروابط تفككت، وأسر تشتت، وحقوق ضاعت، وبيوت خربت، ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجالس، وذكرهم ما يدور فيها من كلام منسوباً إلى صاحبه أو غير منسوب صحيحاً كان أو محرفاً، قال رسول الله ﷺ: «إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهى أمانة»(١١).

فيجب إذن على من سمع شيئاً أن يراعى الأمانة فيما سمع، وأن يراعى حرمات المجالس وأسرار الناس، فإن للمجالس التى يشارك فيها الإنسان حقوقاً وحرمات يجب أن تصان، فلا تدع لسانك يفشى أسرارها ويسرد أخبارها، وإن نقلت شيئاً من ذلك فلا توسع الخرق على الراقع، فرب كلمة شر تموت مكانها لو تركت حيث قيلت، ورب كلمة شر سعرت الحروب لأن غراً نقلها ونفخ فيها، فأصبحت شرارة تلهب نار الصراع والفتن والحروب.

غير أن حرمات المجالس تصان، وحقوقها تؤدى، مادامت الأحاديث التى تجرى فيها مضبوطة بقوانين الأدب وشرائع الدين، ومحكومة بأخلاق الإسلام، وإلا فليست لها حرمة.

وعلى كل مسلم شهد مجلساً يمكر فيه المجرمون بغيرهم وتحاك فيه المؤامرات لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين، وسرقة أموالهم أو متاجرهم، أو هتك أعراضهم، أو قتل أرواح بريئة.. ويتفنن فيه أصحاب السوء والأشرار فى تدبير المكائد للأكفاء المخلصين لتشويه صورتهم وإبعادهم عن أماكنهم وسلب حقوقهم.

على كل مسلم يخشى الله ويراقبه ويرعى أمانة الله، ويحمى نفسه من السؤال والحساب والميزان ونار جهنم وبئس المصير يوم القيامة، يوم لا ينفع فيه مناصب ولا تشفع فيه الأموال التى تجمع سُحتاً.. عليه أن يسارع إلى الحيلولة لمنع هذا الفساد فى هذه المجالس جهد طاقته.

قال رسول الله ﷺ: «المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق»(١٢).

(١٠) المعركة الكبير للطبرانى، ج١٠/ ص٢٨٧، مجمع الزوائد للهيثمى ج٨/ ص١٨٣
(١١) أبوداود، ج٥/ ص١٨٩.
(١٢) أبوداود، ج٥، ص١٨٩.

مع أديب الفقهاء وفقيه الأدباء

٢

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

مازالت الذاكرة تختزن ذكريات عزيزة عن مواسم الأمطار، حين تهطل ونسمع بعد ساعات من هطولها خريرها وهى تنحدر فى الشعاب والأودية، متجهة إلى المزارع وأهلها يتسابقون فى تحفزهم لإدخال السيول إليها، من خلال المجارى، والقنوات، والجسور التى يدأبون فى تجهيزها قبل موعد الأمطار فى كل عام، إذ كانت تلك أهم وسيلة لتوافر الماء فى الآبار بعد شحها ونضوبها، ولتجديد التربة وزيادة خصوبتها.. كان موسم الأمطار والسيول بالنسبة للشباب موسم فرح كبير، حين تمتلىء الحفر الضخمة التى يستخرج منها الطين، والرمل، والحصى لبناء المساكن والمرافق العامة.. كانت تلك الحفر الضخمة تمتلىء بالماء وتصبح بركاً جاهزة للسباحة، للصبيان مثلنا، ولسقيا قطعان الماشية، من الجمال، والأغنام، و... و... الخ.

لقد كتبت للصديق الشاعر الشيخ أحمد ابن على الحميدان أريد أن يمثلنى فى مثل هذه المناسبة لما هاجرت من القرية ويكتب لى عن ذلك، وقد فعل وأسعدنى بما فعل.

١- لما كنت أشرف على مجلة الجزيرة الشهرية قبل- ٤٧ عاماً ونيف- كتبت قائلا: تتوارث الشعوب مع خطوات الزمن، وتوالى الأجيال، ما توافر لديها من أسباب الحضارة ومقومات الحياة الكريمة، ومن الطبيعى والمنطقى أن تضيف الأجيال اللاحقة إلى الموروث عن الأجيال السابقة ما تستطيعه من تنمية وبناء، وعلى هذا المنوال تسير الحياة الطبيعية فى كل زمان ومكان، ومن بدهى القول أن تعمل الأجيال اللاحقة على تواصلها مع تراثها الحضارى، الذى يجرى فى دم الشعب حتى يستقيم عود الحضارة ويستوى على ساقه، خاصة أن هذا التراث يحمل حضارة الإسلام الشامخة، التى تركت بصماتها، وآثارها، وملامحها فى كل مجالات الحياة فى وقتها وبعد وقتها.

فكتب لى رحمه الله يطلب منى المزيد، فطلبت منه المشاركة بذلك ووعدنى، ولكنه لم يحقق الوعد، وأنا اعتقد أن السبب احترامه -الذى لا يحد- لقيمة الكلمة، وهيبته منها هى التى منعته من تحقيق ما وعد به.

٢- كتبت أكثر من مرة عن الأخلاقيات التى حرمها الإسلام وذلك لتجنب التخلق بها.. فكتب لى- رحمه الله- قائلاً: «ليتك تكتب عن الأخلاقيات التى حث عليها الإسلام لتكتمل الصورة، ويتضح إبراز الضدين من الصفات والأخلاق». حيث تكلمت عن الرياء وضده الإخلاص.. وتدل مادة الإخلاص كما هو معروف فى اللغة، على الصفاء والنقاء، والتنزه من الشوائب، وتدل كذلك على السلامة والنجاة.

أما المعنى الشرعى للإخلاص فهو: تجريد كل عمل أو قول قصد به التقرب إلى الله عن الشوائب، والعلل، والأغراض. والارتباط بين المعنيين اللغوى والشرعى واضح لا يحتاج إلى بيان، وحياة المسلم كلها لابد أن تكون خالصة لوجه الله جل ثناؤه.. قال تعالى يخاطب نبيه ﷺ:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام: ١٦٢- ١٦٣)

والإخلاص قبل ذلك وبعده خلق كريم، وعزيز، لا يتصف به إلا الصفوة من عباد الله، يضىء به قلوب المصطفين من عباده، وأصفيائه، وأوليائه، فيهدى به طريقهم إليه، ويشرح به صدورهم، فتسموا هممهم وتعلو عزائمهم، وتزكو نفوسهم، فلا أثرة، ولا أنانية، ولا رياء، ولا سمعة، ولا نفاق، ولكن طهر وصفاء وإخلاص ونقاء، وبالإخلاص يبلغ المرء الذرى من السمو والرفعة ويتبوأ منازل الأبرار.. اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٣- كتبت مرة قائلاً:

«الإنسان فى خاصة حياته أو فى عموم ما حوله أميل إلى الشكوى والخوف من المجهول والشعور بالألم من ضربات الدهر الموجعة ونوازله القاسية ومن الصعب أن يتحكم الإنسان فى هذه الحالة الأكثر تحسساً لأسباب العذاب والشقاء من أسباب الرضا والهناء.. لذلك يبدو مثل كائن ضعيف أمام هذا السيل الهادر من الهموم وكأن الحكمة الإلهية قدرت أن يعيش الإنسان هذا القلق والشعور بالتعاسة لسر إلهى مكنون لا يعلمه إلا الخالق جل جلاله. ولنستمع إلى التصوير القرآنى فى ذلك. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

(الانشقاق / ٦)

والسعادة قريبة من كل الناس.. لكن حاسة الشقاء تجعل الأحداث فى حياتهم أكثر مرارة فهم دائماً يتشنون ويتكدرون

ويشكون دهرهم، ويرون الآخرين دائماً أفضل منهم حالاً ومالاً. فالغنى لا يرى فى حياته إلا الشقاء، ومنغصات الأحلام التى تطارده هنا وهناك.. لجمع الأموال والمحافظة عليها وتجده يغبط الفقير على راحة باله، واستقراره. والفقير هو الآخر تحت وطأة العوز والحاجة يرى الغنى يستمتع بفضل أمواله، ورغد عيشه، يشترى ما يشتهى.. وينال ما يطلب. إذاً السعادة فى هذه الحياة مستحيلة، وهى لا توجد فى المطلق لا مع الأغنياء، ولا مع الفقراء وحتى فى هذه الحالة لا تأتى من خارج النفس بل من داخلها أعنى بذلك النفس المطمئنة يستدعيها العقل بالتأمل المصحوب بالأناة وحسن البصيرة فهى هنا ليس لها علاقة بالمتع الحسية والطيبات من المأكولات أو اللهو أو اللعب أو.. أو.. إلخ.. فالإيمان الذى فطر الله الإنسان عليه هو الملاذ الآمن فى الشدة.. والرخاء.. والعسر.. واليسر.

فالمؤمن المخلص فى وده وإحساسه.. راجح العقل.. ثاقب النظر.. واسع العلم.. سديد الرأى.. صادق الوعد.. وافر الأدب.. متواضع إلى مستوى لا يحد وهيهات.. هيهات.. أن يستهوى مثله بهرج الحياة.

فكتب لى قائلاً: «لعلك تواصل الكتابة فى مثل هذه الموضوعات». وكان دائماً -رحمه الله- ينظر إلى ما أكتب بعين الرضا، وعين الرضا عن كل عيب كليلة.

٤- عندما كان يشرف على التعليم فى قرية «الغاط» كتبت له قائلاً: ليتك تكتب للوزارة عن الأسلوب الأفضل للتقويم فى الامتحانات. وخلاصة ما دعوت إليه.. ينبغى أن تكون أسئلة الامتحانات مشجعة للطالب على الإبداع، والتصرف فى الإجابة، ومحفزة للأستاذ مقدر الدرجات فى حرية التقويم فى إطار مفهوم السؤال والجواب، وليس فى حدود الإجابة التى توقف العقل، وتعطل الإرادة، وتغلب الآلية على المرونة، وذلك مع مراعاة إعطاء كل ذى حق حقه. وفى اعتقادى أن الدعوة مازالت قائمة رغم هذه السنوات الطويلة.. فاللهم اهدنا إلى سواء السبيل.

٥- كتبت مرة قائلاً: أن حياة الإنسان تقاس بمقدار ما يقدمة من عطاء، لذلك فكل يوم يمر عليك دون أن تعطى فيه شيئاً لغيرك، لا تحسب هذا اليوم من أيام حياتك، فإن أنعم الله عليك ببعض الخيرات فلا تظن أنها لك وحدك، بل إن الله فيما يعطيك إنما يختبرك، هل أنت بدورك سوف تعطى مما أعطاك الله؟ أم سوف تملكك الأنانية، فتستأثر بكل شىء لك دون غيرك ومن نبل الأخلاق العطاء من العوز، أى أن تعطى ما أنت محتاج إليه، ومن هنا يظهر لنا أن فضيلة العطاء ليست موقوفة على الأغنياء فقط، إنما يقوم بها من فطرت نفوسهم على الخير.. الذين يعطون رغم عوزهم وهم الذين عناهم الخالق جل ثناؤه فى قوله:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر / ٩)

فكتب لى:.. ليتك تكتب عن شىء من عادات أهل القرى النجدية مثل «البكور». والمقصود بالبكور أن الناس كانوا.. يعطون ما يسمى بالبكور أى: أوائل الأشياء فيعطى المزارع أول نتاج زرعه للمحتاجين والمعوزين.. ويعطى صاحب الماشية أول نتاج ماشيته.. ويعطى صاحب النخل أول ثمار نخله.. وهكذا.. وهكذا.. فيبارك الله لكل فى حقله.

٦- كتب لى مرة بالكلمة النفيسة التى تروى للتابعى الجليل بكر بن عبد الله المزنى وهى: «من مثلك يا ابن آدم خلى بينك وبين المحراب، تدخل فيه متى شئت وتناجى ربك، ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان، إنما طبيب المؤمنين الماء المالح، هذه الدموع» قائلاً: ليتك تختار مثل هذه الكلمات الكريمة فتوالى نشرها كمختارات تهذيبا للقارىء.

٧- كتبت مرة عن الحياء قائلاً: الحديث عن خلق الحياء ذو شجون، لقد حث الإسلام على الحياء ورغب فيه ودعا إلى التحلى به فى كل مناسبة، إن الحياء طريق للجنة، لأنه من الإيمان قال ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» رواه أحمد والترمذى.

وفى الأثر: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وكفى به خيراً أن يكون على الخير دليلاً. وكفى بالقحة والبذاءة شراً أن يكونا إلى الشر سبيلاً».

والحياء يجعل بين صاحبه وبين الفواحش والنقائص سدا منيعا، يعصمه من الوقوع فيها، ويحول بينه وبين ما يغضب الله.. لذا كان الحياء زينة المرء، وتاج وقاره، وكان من علامات حب الله لعبده.. وما أجمل ما قاله الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاء

فكتب لى يطلب المزيد.

٨- ليست الأحاسيس الرقيقة، والمشاعر العذبة، قاصرة على شعراء الغزل والتشبيب، بل كان للعلماء، والفقهاء، وبعض الأئمة، وأعلام الدين والمعرفة، نصيب وافر من ذلك، أودعه الله تعالى فى صدورهم.

فقد كتبت له -رحمه الله- يقول الفقيه العالم الجليل المحدث عروة بن أذينة، شيخ الإمام مالك -رحمهما الله-

إن التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وكان غرضى من هذا لعله يتحفنى بشىء من غزلياته فأنشرها وأهديها لشيوخه، لكنه كان أبعد متى تظرا فلم يحقق مطلبى.

٩- كتب لى مرة يقول الشاعر:

خاط لى عمرو قباء
ليت عينيه سواء
قل لمن يعرف هذا
أمديح أم هجاء

يسألنى رأيى فى هذا القول وهى من طرائفه ومداعباته- رحمه الله-

فكتبت له قائلاً: من عرف فنون العربية أراح واستراح:

نسيت أن أقول إنه قال: فماذا يكون جوابك لو علمت أن عمراً هذا كان كريم عين فهل يريد الشاعر أن تستوى عيناه فى الصلاح أم فى الفساد؟ فقلت له: العرب يقولون لمن يحسن شيئاً: ثكلته أمه ما أحسن حديثه، وما أشجعه. وهم لا يريدون له الموت.. والرسول الكريم ﷺ يقول: «فاظفر بذات الدين تربت يداك». ومعناه المباشر لصقت بالتراب، وهو ذم ولكنه غير مراد الرسول فى الحديث الشريف، وإنما هى أساليب حث وإغراء. انتهى ما جاء فى جوابى.

١٠- كان من عادته عندما تلتقى يبادرنى قائلاً: ألا تريد أن نحمض اليوم؟

والمعنى لغة: أحمض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث، وأحمض المكان: كثر منه الحمض. ومسقط رأسه- رحمه الله- كان يحيط به الحمض من كل الجهات الأربع حينذاك. أما الآن فقد غطى البنيان جميع منابت الحمض، ولم يتبق له أثر بعد عين.

١١- كتب مرة عن التربية قائلا: التربية لغة تعنى: السيادة، والنماء، والزيادة، والملك.

فرب الدار: مالكها وسيدها، ورب المال: أى نماه وزاده، ومن هذه الدلالة اللغوية تتجلى جوانب أساسية فى المربى والتربية منها.. تميز المربى فى ملكاته وقدراته، وهذه بدهية من مقتضيات الملك والسيادة.. ومنها الحماية والوقاية إذ هذه طبيعة المالك فى ملكه، فالنفس البشرية تجمع المتناقضات والتقلبات.. وقد أوجز هذه التناقضات والتقلبات ابن القيم- رحمه الله- فى وصف رائع، صور فيه طبائع النفس البشرية، حين قال: سبحان الله فى النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، واستطالة فرعون، وبغى قارون، وقحة هامان، حيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبى جهل، وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطواويس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراشة، ونوم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك» «الفوائد» ص٩٨

فهنا تظهر صعوبة هذه النفس وتربيتها، وتهذيبها، ويضيف قائلاً: «كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وجار لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا ينصفه، وعدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمارة بالسوء، ودنيا متزينة، وهوى مرد، وشهوة غالبة، وغضب قاهر، وشيطان مزين، وضعف مستولى عليه، فإن من تولاه الله وجذبه إليه انقهر له هذا كله، ومن تخلى عنه وكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة» «الفوائد» ص٦٣

فكتب لى: طالبا الإكثار من اختيار مثل هذه القيم ومواصلة نشرها.

كان كما قلت بين أصدقائه بشوشاً، لين العريكة، هادىء البال، ليس من السهل أن تستثيره...، كان بين أهله وأولاده رقيق الحاشية، نقى اللسان.. حنون النظرات .. حبيب اللفتات.. مسئولاً عن الحاجات.. متابعاً للروحات والغدوات.. غنى الجلسات.. معبراً عن حبه بأجمل الكلمات وأرق ا لعبارات...، كان فى مسجده مطمح عيون المصلين.. ومنتهى سؤال المستفتين.. خاشع الصلوات.. كثير العبرات.. كثير التلاوات والمراجعة.. يصوم باشتياق.. ويقوم بحزم.. مهما ثقل المنام.. وطالت الأيام.. لقد كان سراً من أسرار سعادة حيه.. ومرتادى مسجده.. صفات كثيرة تحمل التبجيل والتقدير.. وكان.. وكان..

كان يقول: الأولاد نعمة جليلة، وهبة من الخالق جميلة، بهم تعمر الأرض وتزدان الحياة.. وتتحقق المنافع.. وتكتمل سعادة الآباء.

قال تعالى:

﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

النحل/ ٧١، ٧٢

عندما ذهبت للمشاركة فى الصلاة عليه- رحمه الله- وتقبل العزاء فيه..

عدت لأجد المكان الذى تركت غير المكان، والزمان غير الزمان.. فقد تغير المكان والزمان الذى تركت وألفت،.. الأرض تعنى للمحبين أكثر مما تعنيه للمؤرخين، ومحبة الإنسان للأرض قد تكون لذاتها، وقد تكون لمن يعيش عليها، وقد تكون لكليهما معاً.. و.. و.. على حد قول جميل بثينة:

وأهوى الأرض عندى حيث حلت
بجدب فى المنازل أو خصيب

ومن سنن الحياة التغير والتبدل.. لقد تشكل الزمان بعوامل المد والجزر، تلك التى لا تنفك تغالب بعضها البعض.. والزمان ما يزال هو الشاهد الأكبر على تلك الذكريات، وترحاله هو المرآة الصادقة، التى تعكس كل ما ألم بذلك الزمان من عكر، وكدر، وألم.

لا يكفى أن نقول بأن هناك حقبة كالحة قد ولت، فتلك الحقبة بكل آلامها لم

تذهب طائعة مختارة، فقد دفعت إلى ذلك دفعاً، خاصة ونحن نرى الآن من يحاول أن ينفض كلتا يديه من تلك الأيام.. وما أتت به من العجز والبجر، هذا من جهة.. ومن جهة أخرى فإن ظروف المكان وما حوى وما حوت.. وتصاريف الزمان وما أعطى وما أعطت.. هما من وفى دائرة المتحول، ومن بين ذلك الثابت، وفى هذا الثابت تكمن المفارقة والمفاجأة، والدهشة، وتداخل المشاعر الخاصة والعامة، التى تدفع الإنسان دفعاً لا هوادة فيه، للتأمل والتفكر، ومن ثم قراءة هذا الواقع.. والواقع لاشك حمال أوجه.. فهناك وجه يبدو من البعيد يبدى أشياء، ويخفى أخرى، غير أن الذى يبدو واضحا للعيان- بعدت المسافة أو قربت- هو ذلك الذى سوف أتحدث عنه فى مناسبته، ومكانه- إذا شاء الله ذلك- وما ذلك عليه بعزيز.

لحظة رحيل الراحلين لا يجوز أن تكون مجرد لحظة حزن، وحنين فقط، بل يجب أن تكون لحظة تأمل، وعظة، وعبرة، وبحث، وشحن لذاكرة الناس خاصة الجيل الجديد، الذى ولد فى زمن الخير والنعيم دون أن يعرف حجم المعاناة، والتحدى، والحفر فى الصخر، والمغامرة فى صحراء الجزيرة العربية، ومتاهاتها، بين شرقها، وغربها، وشمالها، وجنوبها، من أجل الحصول على لقمة شريفة، ومن أجل خدمة الوطن وأهله.. وكان الراحل واحداً من أولئك الفرسان الذين تحدوا المستحيل فى تنقلهم هنا وهناك.

ما أوجع الفراق عندما يذهب الأحباب إلى أن نلحق بهم.

سنة الحياة أن يغيب الماضى فى وهج الحاضر، فتقبل الأيام مثقلة بالآمال، والأحلام، وتطغى على جميع الذكريات بخيرها، وشرها، إلا ما كان منها لصيقا بالنفس هذه هى الحياة كما شاءها الخالق للمخلوق.

وما أصدق قول الشاعر:

سألف فقدان الذى قد فقدته
كإلفك وجدان الذى أنت واجد

لقد حاولت معه أكثر من مرة، قائلاً له: إنك تعرف أن الموت غيابا وزوالا إلا لمن يترك له أثراً مكتوبا يكون إيذانا بذكر جديد، وبحياة لا تزول، لعلك تسجل بعض الشىء من ذكرياتك ليبقى ذكرها ترجيعا كريما فى مسمع الدهر على مر الأيام، وعظة وعبرة للأجيال القادمة، وذكرته بقول أبى الطيب:

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته
ما قاته وفضول العيش أشغال

لكنه لم يقبل بحجة أنه ليس هناك ما يستحق الكتابة والتسجيل.

***

بينى وبينك ياشيخ ذكريات وأحاديث كثيرة.. لقد شاء القدر أن يجمع بينى وبينك.. وأن يباعد بينى وبينك فى نفس الوقت دون اختيار منى ولا منك.. لقد وصلت إلى قرية الغاط، وأسست

مدرستها من لاشىء، حتى صارت شيئاً يذكر، وفى الوقت نفسه أنا رحلت عنها للبحث عن العيش الشريف- لنضوب الآبار، وقلة الأمطار- لما عز الحصول عليه فى قريتى، ولم يسعدنى الحظ بأن أكون من طلبة العلم لديك، ورغم أن كلينا لم يستقر مع بعضنا فى مكان واحد طيلة حياة كلينا.. إلا أنك كنت أقرب إلىّ من القريب.. ما أسرع مرور الأيام والليالى.. وما أشد وقع انقضائها على من يحس بها.. ويراقب دوراتها، ويعرف مصيرها.

أيام تمر وأعوام تكر.. وأجيال تذهب.. وأخرى تولد.. هكذا هى الحياة.. آجال أجلت وأقدار قدرت.. سبحان الذى خلق الموت والحياة للابتلاء.. فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

الموت سنة الله الماضية فى خلقه، ولا يبقى للراحلين بعد رحيلهم إلا ما تركوه من عمل صالح، والدعاء لهم. وللأحياء العظة والاعتبار والاستعداد لدورهم.

كأننى أراك حيث أنت، فى ضيافة البر الرحيم، فى صحبة الأبرار والأطهار، حيث لا كذب، ولا رياء، ولا ظلم، غادرت هذه الدنيا ولم تترك فيها بفضل ربك من يكرهك.. لأنك بفضله لا تعرف البغضاء ولا الحقد.. وكيف يعرف البغضاء، والحقد، والحسد، من قلبه عامر بالحب، والتسامح، والتراحم، والغفران، وكنت دائما تتألم لهؤلاء التعساء، والأشقياء والذين خدعتهم صغائر الحياة، وأفرغوا جهدهم فى الشحناء، والصراع على سفائف الأمور الذين أهدى لهم فى ذكراك قول الشاعر:

بنى وطنى وكلكم خبير
بما فى الخلف من سوء المآل
دعوا حب الظهور فذاك داء
بنا يوفى على قرن الزوال
وشدوا من تآزركم وكونوا
رجالا تبتغى حسن الفعال
أسائلكم أصيحابى سؤالا
وإن جل المقام عن السؤال
وأنتم فى البلاد منار هدى
وأنتم فى البلاد لسان حالى
لماذا نقطع الأوقات لهوا
ونفنى العمر فى قيل وقال
وهل تبنى الشعوب بلا اتحاد
وهل تغنى اليمين عن الشمال
يحارب بعضنا بعضا ويغدو
على أبناء ملتنا يمالى
إذا ما العلم لم يلهم نفوسا
تقاها فهو مندرجة الضلال

فما عساى أن أقول فى ذكراك، أيها الراحل الكريم.. سوف أكتب عن الطفولة.. والشباب.. والكهولة.. والهرم.. فى كتاب، أهديه لأحفادى وأحفادك إن كان فى العمر بقية، بإذن الله.

بين الصحف والمجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الخيانة وحرية الرأى

فى جريدة اللواء الإسلامى وتحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمد الزرقانى يقول:

لاشك أننا جميعا نتابع باهتمام أخبار سقوط جواسيس وعملاء العدو الصهيونى الذين يخونون وطنهم وشعبهم ودينهم مقابل دولارات «حقيرة»، وبالطبع فإن خيانة الوطن جريمة لاتغتفر فى الدنيا والآخرة.. والعمالة للعدو لم تعد تقتصر على تقديم المعلومات العسكرية فقط كما كان يحدث فى الماضى ولكنها تعدت ذلك إلى تقديم جميع أنواع المعلومات، الاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية، وكل مايمكن أن يستفيد منه الأعداء فى إلحاق الضرر بالوطن.. وهناك عملاء من نوع آخر، وهم هؤلاء الذين يساهمون - بالاتفاق مع الأعداء فى إشاعة روح اليأس والقنوط بين المواطنين، وإشاعة الفوضى فى مؤسسات الدولة، وإيجاد الأسباب التى تؤدى إلى التوتر ونقص الإنتاج وتدهور الصحة، وكل أنواع الضرر التى يمكن أن تحيق بالوطن والمواطنين.. وتحت دعاوى حرية الرأى والفكر انتشر هؤلاء العملاء فى بلاد الأمة الإسلامية.. وهم يحملون أسماء إسلامية، وتجرى فى عروقهم دماء مثل تلك التى تجرى فى عروق المسلمين، ولكنها - للأسف - محقونة بالعمالة والخيانة للأعداء.. ومنذ سنوات ونحن نعانى من أمثال هؤلاء العملاء وظهرت كتابات تقطر بالغل والحقد ضد الإسلام، تناولت الرسول ﷺ، وشككت فى السنة النبوية الشريفة، وتهاجم الشريعة الإسلامية الغراء، ووصلت إلى قمة «البجاحة» إلى حد الإساءة إلى الذات الإلهية.. وهذه الأيام ظهرت موجة جديدة من تلك الكتابات العميلة، تهاجم صحابة رسول الله «رضوان الله عليهم جميعا» وتدعى عليهم الأكاذيب القذرة، وتتهمهم بكل مايشين الإنسان العادى، فما بالك بصحابة رسول الله الذين دعانا للاقتداء بهم، بعد ان وصفهم بالنجوم، فى قوله صلى الله عليه وسلم «أصحابى كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»..

فتبا لها من حرية، تلك التى تسعى لهدم الدين والإساءة للإسلام الحنيف.. وتبا لمحاولاتهم القذرة لبث بذور الفتنة فى صفوف الشعب المؤمن.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جدار العزل فى الأعظمية وتقسيم العراق

وفى جريدة المساء الصادرة فى ٢٠٠٧/٤/٢٣ جاءت هذه الكلمة التى حملت توقيع «عربى أصيل»:

ماذا يعنى بناء جدار عازل حول مدينة «الأعظمية» العراقية بطول يبلغ حوالى ٤ أميال وبارتفاع يصل إلى ٤ أمتار؟ الإجابة عند الحكومة العراقية تقول إن ذلك جزء أساسى من الخطة الأمنية لحماية سكان هذه المدينة ذات الأغلبية السنية من هجمات من تسميهم بالإرهابيين؟ أليس هذا اعترافا صريحا بأن هناك حربا أهلية طائفية بالعراق؟!

الأخطر من ذلك حتى بفرض صحته وهو ليس صحيحا بالطبع، هو أن بناء جدار عازل حول مدينة أو حى معين بالعاصمة العراقية أو جوارها أو فى أى بقعة من بلاد الرافدين يعنى بوضوح تكوين فكرة تقسيم العراق على أساس طائفى مهما كانت الأسباب أو الذرائع أو الحجج التى تسوقها الحكومة أليس هذا ما نقوله تقريبا بالحرف الواحد عن الجدار العازل الذى أقامته ولاتزال إسرائيل داخل الأراضى المحتلة؟!

إنه نوع من العزل العنصرى أو الطائفى الذى لا تقره القوانين الدولية ولا حتى المحلية وإذا كان ذلك هو الأساس الذى بنيت عليه الخطة الأمنية التى وضعتها الحكومة الاستراتيجية التى أقرتها أمريكا فمعنى ذلك أن العراق مع نهاية هذه الخطة سيتحول فعلا إلى «كانتونات» طائفية.

إن هذا الجدار دليل واضح على أن خطة تقسيم العراق ماضية على قدم وساق ورغم ذلك نؤكد للمرة الألف أن ذلك لن يحدث طالما بقيت المقاومة العراقية الباسلة وأنه لا يقبل ذلك إلا عميل لا يعرف ما هو «الوطن» مهما صدع رءوسنا بالوطنية والمواطنة!!

دعم السودان.. واجب عربى ودولى

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة بجريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٧/٤/٢١ فى زاوية «الجمهورية تقول»:

أكدت مصر رفضها فرض أية عقوبات على السودان بدعوى عدم استجابتها للقرارات الدولية الخاصة بدارفور، وهى الدعوى التى تتخذها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها مطية للتدخل فى شئون الدول الأخرى وإرغامها على الاستسلام لمخططات التفرقة والانفصال الهادفة فى النهاية إلى فرض الوصاية الأجنبية بل الاحتلال كما حدث فى أفغانستان والعراق اللتين وقعتا فى مستنقع من الدماء لم يخرجا منه بعد.

إن دعم السودان والمحافظة على ما تبقى من وحدة أراضيه فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية والانفصالية هو واجب كل دولة عربية وفى مقدمتها مصر التى يجمعها مع السودان شريان للحياة واحد، وواجب كل دولة تحترم سيادتها وتتمسك بحريتها، وتدرك أن دفاعها عن حق السودان فى السيادة على أراضيه وصد الغزاة عن أراضيه، هو دفاع عن مبادئ يؤمن ويلتزم بها أى مجتمع دولى لو كان حراً طليقاً

إسلام على الموضة!

تحت هذا العنوان كتبت «هبة عمر» فى جـريدة اللواء الإسـلامى الصـادرة فى ٢٠٠٧/٤/٢٦ ومما جاء فيه:

مـازالت الولايات المتحـدة الأمـريكيـة التى أصـبحت القطب الأوحد فى العالم - شئنا أم أبينا - تبحث عن شريك إسلامى فى المنطقة العربية، بمواصفات وضعتها كما تريدها هى، بعضها متأثر بتجربتها فى دولة مثل تركيا، التى يمكن القول أنها قدمت بعض التنازلات حتى تضمن دعم أمريكا لها فى محاولاتها الانضمام للاتحاد الأوروبى!

والمواصـفـات الأمـريكيـة المطلوبة فى الشـريك الإسـلامى تتفق مع «الموضة» الأمريكية السـائدة فى السنوات الأخيرة، والتى ظهرت بوضوح فى عام ٢٠٠٤م خلال انعقاد مؤتمر نظمته الولايات المتحدة الأمريكية فى دولة الكويت، حول دور الجماعات الإسـلاميـة فى الإصـلاح الاقـتـصـادى فى الشـرق الأوسط وهذه المواصفات تقتضى أن يكون الشريك الإسلامى أكثر تحررا، أى مستعدا للتنازل عن موروثه الدينى والثقافى، وأكثر تفهما، أى أنه لن يربط بين تعـامله مع أمـريكا وبين تأييـدها الدائم والكامل للدولة المعادية للعرب والمسلمين - أى إسرائيل - وأن يكون هذا الشريك الإسـلامى أيضـا أكـثـر استيعابا للديمقراطية التى تريدها أمريكا فى الشرق الأوسط، وهى ديمقراطية «ذات وجهين»، فهى ترفع شعارات مثل احترام حقوق الإنسان وحق الشعب فى اختيار حكامه، وحرية المجتمع المدنى فى العمل ولكنها فى الوجه الآخر تقف ضد كل مايتعارض مع مصالحها، فتحارب حكومة «حماس» التى تسلمت السلطة فى فلسطين بإرادة الشعب وتقود حملة ضغوط مالية لحصارها اقتصاديا وإسقاطها، وهى تضغط لإغلاق مركز «زايد» للدراسات، لمجرد أنه ناقش أحداث «١١ سبتمبر» من وجهات نظر أخرى غير وجهة النظر الأمريكية؟

هذه الديمقراطية «ذات الوجهين» أصبحت تعتبر أى محاولة للتعبير عن الرأى المعارض لسياسات أمريكا وتوجهاتها فى المنطقة، هو معاداة للسامية حتى لو كان هذا الرأى لكاتب عربى تنشره صحيفة عربية وربما تصل الضغوط الأمريكية إلى حد المطالبة بعزل رئيس تحرير هذه الصحيفة التى تجرأت ونشرت رأى الكاتب.

قالوا عن الإسلام

تحت عنوان قالوا عن: «الإسلام» نشرت جريدة «عقيدتى» الصادرة فى ٢٠٠٧/٤/٢٤ كلمة للمستشرق الأمريكى «واشنجتون إيرفنج»:

واشنجتون إيرفنج .. مستشرق أمريكى .. أولى اهتماما كبيرا لتاريخ المسلمين فى الأندلس .. من آثاره: سيرة النبى العربى، مدلية بخاتمة لقواعد الإسلام ومصادرها الدينية - وفتح غرناطة وغيرها.

يقول: «كانت التوراة فى يوم ما هى المرشد للإنسان وأساس سلوكه .. حتى اذا ظهر المسيح - عليه السلام - اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل .. ثم حل القرآن مكانهما فقد كان القرآن أكثر شمولا وتفصيلا من الكتابين السابقين. كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل .. حوى القرآن كل شىء وحوى جميع القوانين .. إذ أنه خاتم الكتب السماوية فالقرآن يدعو إلى الرحمة والصفاء .. وإلى مذاهب أخلاقية سامية».

لحظات طيبات مع سيف الله خالد بن الوليد

للأستاذ/ عادل خفاجة

إذا كانت أمتنا الإسلامية مازالت تغط فى سبات عميق، ولا يعلم إلا الله متى تستيقظ. فليس من الإنصاف أن يترك تاريخها المشرق المشرف نهبا لكل حاقد أو جاهل يغيير فيه ويبدل كيفما يهوى جريا وراء عرض زائل..

نقول هذا بعد أن تطاول الأقزام على قمم الإسلام.. فمرة على النبى ﷺ وأخرى على مجموع من الصحابة الكرام وأخيرا على سيف الله خالد بن الوليد رضى الله عنه وفى هذه السطور نقدم نبذة عن حياته رضى الله عنه.

هو «خالد بن الوليد بن المغيرة بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب «سيف الله تعالى» وفارس الإسلام، وليث المشاهد وقائد المجاهدين

هاجر مسلما فى صفر سنة ثمان ثم سار غازيا فشهد غزوة مؤتة وتأمر على الجيش بعد أن استشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين وابن رواحة. فحمل على العدو وكان النصر.[1]

نظرة على حياته قبل الإسلام:

ولد خالد بن الوليد رضى الله عنه فى بيت عزة وكرامة ولما اشتد عوده، كان فتى قريش المشار إليه بالبنان، صقلته حروب الجاهلية التى كانت تشب لأوهى الأسباب وأتاح له ذكاؤه الوقاد أن يكون مقاتلا من طراز فريد مما أهله أن يكون حامل لواء قريش عن جدارة واستحقاق لذلك نجده «قد جمع بين طرفى الشرف: شرف البيت وشرف الشخصية؛ فقد أسند له قومه فى جاهليتهم أهم مناصب الحرب: القبة والأعنة».. وتقريب هذا فى عرف العصر الحاضر ولغته أن خالد بن الوليد كان يجمع فى الجاهلية زمن الحرب بين منصبى رئيس الإمدادات ورئيس هيئة أركان الجيش؛ لأن الخيل كانت لها المنزلة

(١) سير أعلام النبلاء.

الأولى في حروب تلك الأعصر، فقائدها هو القائد الأعلى للحرب.[٢]

عبقريته العسكرية في غزوة أحد

كان رسول الله ﷺ قد صف جند المسلمين في غزوة أحد ووصى كل فريق بمهمة قتالية لايتعداها وكان من وصيته ﷺ للرماة: بعد أن أقامهم في موضع «احموا ظهورنا؛ فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا»[٣] كانت هذه الوصية لعلم الرسول القائد بأهمية هذا المكان الذي يقف عليه الرماة حماية لظهور الجيش.

وكانت الغلبة في جانب المسلمين بل كان النصر حليفهم، لولا تخلى الرماة عن أماكنهم حينما بان لهم أن النصر قد تحقق، وأنه قد جاء دورهم في ملاحقه المنهزمين طمعًا في الغنيمة.

وهنا تظهر عبقرية خالد العسكرية حيث لم تتزلزل أقدامه، وظل ثابت الجأش متقد الذهن يبحث عن حل في وسط هذه الهزيمة المنكرة حتى لمح بعين القائد الخبير هذه الثغرة التي تركها رماة المسلمين فاهتبلها فرصة قلبت موازين الحرب لصالح المشركين.

ويصور الأستاذ الصادق عرجون هذا الموقف بقوله: «وفي الحق إن خالدا كان في هذه الواقعة جنديا بأوسع وأعمق ما تحمل الجندية من معنى كريم والجندية الصادقة هي التي تنسى شخصها في مواقف الوغى، ولا تعرف إلا واجبها نحو جيشها الذي نيط به عزها وشرفها: وخالد رأى جيش قومه تعركه الهزيمة عركا، وهو أحد فرسانها فاحتال في دورة عسكرية بارعة ورمى بنظرة إلى مكان الرماة في مؤخرة جيش المسلمين، فرأى كتيبتهم قد زايلت أماكنها، ولم يبق على الجبل منها إلا نفر قليل فحمل عليهم بخيله حتى أبادهم، وركب أكتاف المسلمين فأدهشهم وأوقع الاضطراب والخلل في صفوفهم فتبدل الموقف»[٤]

إن خالدا رجل مطبوع بالفطرة على البطولة لايتركها وتتركه، وقد علمت قريش دهاءه الحربي ومقدرته على المراوغة في أحلك أوقات الشدة لذلك نجد أن: «قريشًا لم تكن في مواقفها لجند الإسلام تزورّ عن مكانة «خالد» وبطولته التي كانت تعرفها له من قبل، بل كانت أحفل به وأعرف لحقه؛ لأن خالدا كان يعرف مكان نفسه من البطولة فيضعها حيث شاء من أسنمة المجد، فهي في غزوة (الخندق) تضع بطلها خالدًا على رأس أغلظ كتائبها وأقواها، وتخصه بشرف الوقوف أمام كتيبة رسول الله ﷺ، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ لا يقوم لشجاعته أحد من البشر، وتعلم أنه يكون في أمنع الكتائب وأعظمها، فتنحية خالد للوقوف أمامه، فيضٌ من الثقة والتقدير لفتى مخزوم، انفرد به، ولم يكن لقائد عربي سواه، وهكذا كان ذلك كله إرهاصًا لما ينتظر خالدًا من مجد إسلامي عريض، يملأ أرجاء التاريخ».[٥]

إسلامه

يقول خالد: «لما أراد الله بي من الخير ما أراد قذف في قلبي حب الإسلام، وحضرني رشدي وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم؛ فليس موطن أشهده إلا وأنصرف وإني أرى في نفسي أني موضع في غير شئ، وأن محمدًا سيظهر، فلما خرج رسول الله ﷺ - الى الحديبية خرجت في خيل المشركين، فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان، فقمت بإزائه، تعرضت له، فصلى بأصحابه الظهر إمامًا: فهممنا أن نغير عليه، فلم يعزم لنا، وكان فيه خيرة، فاطلع على ما في أنفسنا من الهجوم به فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك مني موقعًا وقلت: الرجل ممنوع»[٦]

كانت هذه الومضة الأولى التي تسللت إلى قلب خالد، فقدحت زناد فكره، لتنكشف أغطية قلبه غطاء تلو الآخر فيتبدى من ورائها قلب عامر بفطرة نقيه تتوق إلى معرفة الحق، وإلى نبذ عقيدة الأوثان والعودة إلى دين الفطرة.

ثم جاءه كتاب أخيه الوليد فإذا به «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك!! ومثل الإسلام يجهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ، فقال: أين خالد؟

فقلت: يأتي الله به.

فقال: ما مثل خالد يجهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرًا له: ولقدمناه على غيره؛ فاستدرك يا أخي ما فاتك، فقد فاتتك مواطن صالحة»[٧]

يقول خالد: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة رسول الله ﷺ.

ويتهيأ خالد للقاء النبي ﷺ ليعلن إسلامه بين يديه.

يقول خالد: «فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ، فلقيني أخي فقال: أسرع فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك فسر بقدومك، وهو ينتظرك».[٨]

ويغذ خالد السير ويقف بين يدي النبي ﷺ فيسلم عليه بالنبوة وهنا يسمع خالد تلك الكلمات من النبي ﷺ: «الحمد لله الذي هداك؛ قد كنت أرى لك عقلًا، رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير».[٩]

أي وسام هذا الذي وضعه رسول الله ﷺ على صدر خالد!! ورسول الله ﷺ أصدق الناس فراسة!!

فماذا فعل عقل خالد في أول لقاء له

---

(٢) صادق إبراهيم عرجون. خالد بن الوليد صـ٢٢، مكتبة الكليات الأزهرية طبعة ١٩٦٧م.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل صـ١

(٤) صادق عرجون. خالد بن الوليد صـ٢٢.

(٥) الصادق إبراهيم عرجون. خالد بن الوليد صـ٢٨.

(٦) كنز العمال ٣٤-٣٧، البداية والنهاية

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق.

بالعدو بعد الإسلام؟

عبقرية خالد العسكرية في غزوة مؤتة:

يعث النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي رسولاً إلى ملك بصرى يدعوه إلى الإسلام فلما نزل الحارث مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فعدا عليه وقتله.

فبعث رسول الله جيش الأمراء، فقال: «عليكم زيد بن حارثه، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة، فوثب جعفر فقال يا رسول الله ما كنت أذهب أن تستعمل زيداً عليّ، قال: امض فإنك لا تدرى أى ذلك خير؟

فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر، وأمر فنودى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إلى رسول الله فقال: «باب خير، باب خير، باب خير، أخبركم عن جيشكم هذا الغازى؛ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيداً واستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على القوم حتى قتل شهيداً، فشهد له بالشهادة، واستغفر، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً، فاستغفر له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، (ولم يكن من الأمراء) ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه سيف من سيوفك، فأنت تنصره، فمنذ يومئذ سمى خالد سيف الله». (١٠)

إن من يتفكر في أمر هذا الجيش الذى استشهد قادته الثلاثة ليعلم أن قائده الجديد في موقف لا يحسد عليه فالروح المعنوية منهارة، بعد استشهاد قادته، وتحقيق النصر على العدو أصبح في عداد المستحيلات.. وقرار القائد الجديد لابد أن يكون أحد أمرين: إما الفرار إنقاذاً لما بقى معه من جند وإما الثبات حتى آخر رجل معه! فماذا فعل خالد؟!

روى أن خالداً لما أصبح أخذ اللواء، فبعد ما صفوا للقتال غير صفوف جيشه فجعل المقدمة مكان الساقة، والساقة مكان المقدمة والميمنة مكان الميسرة، والميسرة مكان المقدمة، فوقع الكفار في غلط، فحسبوا أن لحق المسلمين مدد، فوقع في قلوبهم من ذلك الرعب، فانهزموا فتبعهم المسلمون يقتلون كيف شاءوا فغنم المسلمون من أموالهم فرجعوا إلى المدينة،

لقد أنقذ خالد جيش المسلمين بحنكته العسكرية وعقله اليقظ الذى لم تطح به تلك الشدة التى تعرض لها الجيش، ولنا أن نتذكر في هذا المقام قول النبي ﷺ: «قد كنت أرى لك عقلاً، رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير».

وهل من خير أكثر من أن يسلم خالد ويسلم معه جيش المسلمين

نعم.. لقد أسلمه عقله إلى خير أى خير!

وبعد... فهذه لحظات سريعة وسطور قليلة من سجل الشرف الذى سطره خالد وتلك أوسمة ونياشين حصل عليها ابن الوليد عن جدارة واستحقاق قلده إياها سيد الخلق أجمعين فمن في الناس -سيف الله- حتى تقوم الساعة غير خالد؟!

(١٠) تاريخ الطبرى جـ٣ صـ١٥

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

ارفعوا أيديكم عن الإسلام

أصبح الإسلام هو الشغل الشاغل لعدد من الصحف حديثة النشأة وتحديداً الصحف التى ارتبط إنشاؤها أو تواكب إنشاؤها مع المطالب الأمريكية بتعزيز الديمقراطية والحريات في الشرق الأوسط، والحرب الأمريكية على الإرهاب التى أعلن عنها الرئيس الأمريكي جورج بوش منذ بدايتها أنها حرب صليبية.

فوجدنا إحدى الصحف تتطاول على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلصق بهم كل نقيصة، مفصحة عن الوجه الحقيقي للحزب الذى يصدرها والذى تقدم رئيسه ذات يوم للترشيح لمنصب رئيس الجمهورية!!

ومؤخراً تطاولت صحيفة من تلك الصحف المتسمية لحقبة الديمقراطية الأمريكية فتتهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول بأنه مجرم حرب!!

هكذا فتحت الصحيفة كل كتب التاريخ فلم تجد شخصاً تستطيع دمغه بهذه الصفة سوى خالد بن الوليد!!

لم تجد الصحيفة المأجورة جرائم حرب ارتكبها الأحباش أثناء احتلالهم لليمن.. لم تجد الصحيفة المأجورة جرائم حرب ارتكبها «هرقل» في الشام ومصر لم تجد الصحيفة المأجورة جرائم حرب ارتكبها الاحتلال الفرنسى في سوريا وتونس والجزائر والمغرب والصومال وجيبوتي، علما بأن الجزائر وحدها سقط فيها مليون شهيد! لم تجد الصحيفة المأجورة جرائم حرب ارتكبها الاحتلال الإيطالي في ليبيا، لم تجد الصحيفة المأجورة جرائم حرب ارتكبها الانجليز أثناء احتلالهم لمصر والسودان واليمن!!.. إذ يبدو أن الصحيفة التى تصدر داخل جمهورية مصر العربية لا ترى جرائم حرب إلا للمسلمين فقط.

بل لم تسمع الصحيفة المأجورة عن جرائم الرئيس الأمريكي «ترومان» أول شخص في العالم والوحيد حتى الآن الذى أصدر الأمر باستخدام القنابل النووية ضد أهداف مدنية فقتل على الفور

ما يقارب مائتى ألف شخص وشوه ثلاثة أضعافهم وقتل الحياة البيئية حتى يومنا هذا، ومن لا يصدق فليذهب إلى مسرح الجريمة فى اليابان حيث الجزيرتان المنكوبتان «هيروشيما» و«ناجازاكى» التى لازالت أراضيهما غير صالحة للزراعة ومياههما غير صالحة للصيد!! ولايزال سكانهما يعانون من كثير من الأمراض التى لا يوجد لها مثيل فى العالم كله جراء التلوث البشع الذى أحدثه قصف نووى استهدف المدنيين الذين لم يكونوا أبداً هدفاً خالد بن الوليد سيف الله المسلول، إنما خاض المسلمون تحت لواء خالد حروباً شرسة وعنيفة ضد كل من حمل السلاح ضدهم معتدياً باغياً!!

ألم تسمع الصحيفة المأجورة عن جرائم الرئيس الأمريكى «جونسون» فى فيتنام التى جرى حرق غاباتها بالنابالم والغازات السامة بحثاً عن المقاتلين الفيتناميين الذين رفضوا الخضوع لسيطرة «العم سام»؟! الأمريكيون سقط منهم فى فيتنام خمسين ألف قتيل، وهم الذين قاموا بالعدوان فكم قتلوا من أهل البلد المعتدى عليه؟! الفيتناميون قدروا عدد قتلاهم بمليون قتيل.. والأمريكيون يرفضون هذا التقدير ويرفضون أن يضعوا تقديراً لعدد من قتلوهم.

نفس الشىء تكرر فى الحرب الكورية التى استخدم الأمريكيون فيها قنابل «بيولوجية» ألحقت خسائر مروعة فى صفوف الكوريين الشماليين والضحايا فى معظمهم كانوا مدنيين.

نفس الجرائم تكررت فى أفغانستان والعراق، والأخيرة ترفض الولايات المتحدة عمل إحصاء دقيق للضحايا المدنيين الذين سقطوا فيها فى حين تقدرهم منظمات العمل الإنسانى بنحو ربع مليون قتيل، أما أفغانستان فلم تسمح الولايات المتحدة لأى مخلوق بدخولها للاطلاع على ما يحدث فيها.

فمن هو المجرم... خالد بن الوليد الذى قاتل على رأس جيش لم يتجاوز تعداده فى معظم المعارك التى خاضها ربع تعداد الجيوش الأجنبية الغازية من الفرس والروم، أم «ترومان» و«جونسون» و«بوش الأب والابن» الذين استباحوا الكرة الأرضية وقتلوا الملايين وشوهوا الملايين وشردوا الملايين!!

ومن الغريب أنهم يهاجمون الخليفة الراشد «أبوبكر الصديق رضى الله عنه» بسبب قتاله للمرتدين ومانعى الزكاة ومنكرى فرائض الإسلام الذين قتلوا كل من عارضهم.. ألم يبلغ هؤلاء ما فعله «ابراهام لينكولن» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب الأهلية الأمريكية عندما رفض الموافقة على انفصال عدد من الولايات الأمريكية وإعلانها الاستقلال.. هل رحب «لينكولن» بهذا الموقف أم قاتل وأشعل الحرب حفاظاً على كيان دولة كانت لم تزل بعد وليدة؟!

أيها المجرمون.. هل ذكر أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية جنوده بألا يغدروا ولا يغلوا ولا يقطعوا شجرة، ولا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً ولا يتعرضوا لكل من لم يحمل السلاح على نحو ما كان خلفاء المسلمين يوصون جيوشهم؟!..

ارفعوا أيديكم عن الإسلام.

أيها المصريون قاطعوا الصحف المأجورة.. ولا تشتروها ولا تعلنوا فيها حتى لا تساهموا فى الحرب العالمية التى قادها بوش -ولايزال- ضد الإسلام!!

أحمد تقى الدين

أى عروبــــة؟!

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئة «خلود فوزى حسن موسى» طالبة بالفرقة الأولى شعبة اللغة الإنجليزية بكلية التربية جامعة الزقازيق:

أردت أن أكتب كلمة عن العروبة، لكن هل تعتقدون أن كلمة، أو مقالاً أو حتى كتاباً تكفى لتدوين كل ما يمكن أن يدونه أعظم البلغاء عن العروبة؟ والعروبة كلمة تتردد على مسامعنا منذ سنين طويلة وهى كلمة جاءت من العرب وهم جنس أو سلالة من البشر، وتنسب إليهم العربية وهى اللغة التى يتحدثون بها.. ولكن عندما نتحدث عن العروبة فماذا نقصد؟ عروبة الماضى أم عروبة الحاضر؟ عروبة الماضى بفخرها وعزها وأوج عظمتها أيام الدولة الإسلامية أيام خير الخلق صلى الله عليه وسلم، وأيام الفاروق (عمر بن الخطاب)، وأيام عمرو بن العاص، أيام الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله ﷺ.. عروبة الفتوحات والغزوات والانتصارات.. عروبة الإسلام والحق والخير والوفاء.

أم عروبة الحاضر الذى تصفه بوطن مقهور مدحور تتحكم فيه أنظمة هى فى جوهرها العوبة البيت الأبيض حاميها والحق يقال حراميها، ما عاد لها وزن، راحت فى غيبوبة. ما قامت يوماً ضاربة، ما نامت إلا مضروبة.. أى عروبة؟ عروبة التفكك والانحلال والفساد والفرقة؟ أم عروبة الإرهاب كما يقولون؟ أهى إرهاب حقاً كما يزعمون؟ لم تكن إرهاباً بل كانت سلاماً.. لم تكن إرهاباً بل كانت أماناً. وبهذه الكلمات التى هى قليل من كثير وإيجاز من سرد لم أقصد أن أقلل من شأن عروبتنا، بل أريد أن أتساءل: هل فعلاً العرب اتفقوا على ألا يتفقوا؟ لماذا التفرق؟ فنحن منذ نعومة أظافرنا يعلموننا أن الاتحاد قوة والاختلاف والتفرق ضعف. فلماذا نرضى بالضعف ولا نحاول أن نسعى إلى القوة؟ لماذا لا نرد أقصانا؟ لماذا لا نرد قدسنا التى هى درة الأمة العربية ومهجة قلوب أبنائها التى تسرى فى أوردة البلاد كما تسرى الدماء فى شرايين الجسد ومن أجلها يقاتل السياسيون حالياً بسيوف السلام، والشعراء بالأقلام ويستشهد من أجلها الفدائيون وكذلك الفدائيات. لكن لم يفكر أحد فى الاتحاد.

من ثمرات التقوى

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن على محمد -ناظر بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى:

● التقوى سبب فى محبة الله للعبد. كما قال تعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران: ٧٦)

● التقوى سبب لمعية الله تبارك وتعالى مع العبد فمن أراد أن يكون الله معه فليكن من المتقين.

● التقوى سبب لدخول الجنة والتنعم بالأنهار والحصول على رضوان الله.

● التقوى سبب فى صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب.

● التقوى سبب للنصر على الأعداء.

ولذا كتب عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- إلى سعد بن أبى وقاص -وكان قائداً على جيش المسلمين- قال: أما بعد، فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب.

● التقوى سبب لمعرفة الحق من الباطل، والنور من الظلام.

من أعلام الحديث: إبراهيم النخعي

وعن العالم الجليل «إبراهيم النخعي» جاءت رسالة القارئ «فرج مجاهد عبدالوهاب» عضو اتحاد الكتاب -شربين -دقهلية:

هو إبراهيم النخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران، فقيه العراق، من أكابر التابعين، من أهل الكوفة. قال عنه المغيرة كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير. كان متواضعا يكره الشهرة والإفتاء، إذا سئل عن مسألة لم يزد عن جوابها.

تحلق أهل الكوفة حول سعيد بن جبير، وانهالوا عليه يسألونه، ويصوبون إليه أسئلتهم.

فقال سعيد متعجبا: أتستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي. كان إذا جاء الليل، واختفى الناس في بيوتهم يتطيب ويلبس حلته، ثم يذهب إلى مسجده لا يبرحه حتى يصبح، فإذا أصبح نزع حلته ثم ذهب للصلاة.

توفيت امرأة إبراهيم النخعي، وكان لها مال فأعطاه لأهلها فقيل له: ألم تهبه لك؟

قال: بلى، ولكن وهبته لي وهي مريضة، ثم دفعه إلى ورثتها.

كان مثلاً في الورع، امتلأ قلبه شفافية حتى لم يعد فيه موضع لشهوة أو شبهة.

استأجر إبراهيم النخعي دابة، فسقط سوطه من يده، فنزل وربط الدابة، ثم رجع فأخذ السوط، فتعجب الناس من فعله!! وقالوا: لو حولت الدابة إلى الموضع الذي سقط فيه السوط فأخذته كان أسهل لك!! فقال بصوت خاشع: إنما استأجرت الدابة لأمضي هكذا، لا لأن أعود هكذا.

أحاط به الموت وحضرته الوفاة فبكى، وتدحرجت دموعه على خديه فقيل له: يا أبا عمران ما يبكيك؟

قال: وكيف لا أبكي وأنا أنتظر ملك الموت، ولا أدري أيبشرني بالجنة أم بالنار. وأخذ يردد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. فلما زادت شدته، قال: لا إله إلا الله وحده، لا إله إلا الله، ثم قبض.

سافرت روحه إلى الله سنة ٦٩هـ في خلافة الوليد بن عبدالملك بالكوفة وهو ابن تسع وأربعين سنة. رحمه الله.

الشيخ/ محمد رفعت

وعن قيثارة السماء القارئ الشيخ/ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ جاءت رسالة الأستاذ/ صفوت عكاشة، تذكر فيها:

قال رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» الواقع أن الإنسان إذا سمع القرآن استجاب، ولكن لما حيل بينه وبين قلبه صار أصما - والأصم أبكم - وكلاهما أعمى «مغلق الأبواب والمنافذ» فمن أين يصل إليه النور، فالنور منحة من الإيمان ويراد به الهداية والاستجابة لله والرسول - لا تكن إلا بعد الاستماع إلى دعوتها - ولهذا يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الأعراف: ٢٠٤)

والاستماع والإنصات هما مبعث النور المؤدي إلى الرحمة، وهل توجد رحمة أعمق أثرا في القلب من وصول النور إلى عيني الأعمى ليصير بصيرا.. وبهذا يتبين وجود علاقة وثيقة بين السمع الحقيقي وبين حصول الهدى والنور في نفس وقلب المستمع المؤمن، فهكذا قدر لشيخنا أن يصاب بالعمى مبكرا ليسمو وينشط السمع الصافي إلى قلبه ويعي كلمات الله ويقدرها حق قدرها ثم تنعكس على الأمة الإسلامية في شرح واف عبر الحنجرة الذهبية وتوظيفها حق توظيف.

إن الذين أخلصوا دينهم لله شف عنهم حجاب البشرية الداكن وتخلصت بصائرهم من ركامها الحالك، فانطلقت تلك البصائر من أغطيتها تطالعها الحقائق سافرة فلم تكن أعينهم لحظة في غطاء عن ذكر الرحمن لأنهم لا يريدون تحصيلا في الدنيا ولا جمعا وبذلك كانوا يحسنون سمعا.

والناس صنفان موتى فوق الأرض، وأحياء في بطن الأرض.

هكذا كان شيخنا الجليل ذا الروح الشفافة وكان آيات الرحمن طبعت في قلبه بكل معانيها وأسرارها حتى تسيطر هذه الروح على المستمع، فكأنه يرى ويحس الآيات مفسرة في قلبه فيعمق إيمانه ويصل إلى الأعماق، ويسلم من كان غير مسلم، ويثبت من كان على الهدى، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أرسل الهداية والثبات بصوت هاد من الهداة لكتاب الله وهو صوت الخلود في الحياة الدنيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هكذا كان المرحوم العارف بالله الشيخ/ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة ـ وأسكنه فسيح جناته، وتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة مع الشهداء والأبرار والصالحين وحسن أولئك رفيقا.



الشيخ محمد رفعت

أستاذ حمام

اختلطت الأمور على أحد قرائنا الكرام فأرسل رسالته الساخرة التي يتهكم فيها من ترقيم بعض صفحات المجلة بأحرف الأبجدية فنسب حروف الأبجدية العربية (أبجد، هوز، حطي، كلمن) للسيدة «ليلى مراد» بحكم الأغنية المشهورة واعتبر باقي الكلمات الواردة في الأغنية مكملة لها: «شكل الأستاذ بقى منسجم»!! ومن هذا المنطق أخذ علينا استخدام حروف الأبجدية في ترقيم بعض صفحات المجلة.

أقول للقارئ الفاضل:

أبجد أول ألفاظ الأبجدية العربية: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ) التي جمعت فيها حروف الهجاء عند العرب قبل أن يرتبها «نصر بن عاصم الليثي» الترتيب الذي يحمل اسم: «الألف بائية». والمغاربة يخالفون في ترتيب الألفاظ بعد: (كلمن)، فيجعلونها: (صعفض، قرست، ثخذ، ظغش).

وقد وضع العرب قديما -وفقا للأبجدية- ضربا من الحساب يسمى «حساب الجمل» يجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية ما يقابله من الأرقام من الواحد إلى الألف وفقا لترتيب الأبجدية.

ومن هنا فإن استخدام مجلة الأزهر حروف «أبجد هوز» في ترقيم بعض الصفحات لا يعد ابتداعا، وإنما استنادا لموروث ثقافي عربي.

بقي أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن أحرف الأبجدية العربية، هي التي دوّن بها تاريخ العرب وتراثهم، وذات الأحرف نستخدمها حتى اليوم، ومنها وبها صنع المسلمون حضارة يفاخرون بها عبر الأجيال، ويكفي أن هذه الأحرف نزل بها وحي السماء.

فبأي منطق أخي الكريم تنسبت أبجدية العرب إلى اليهود؟!

والمفروض أن كل هذه الأمور بديهية، ولكن ماذا نفعل مع انحدار مستوى التعليم.

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

موريتانيا تطرح مصير علاقتها مع إسرائيل للنقاش الشعبي

أبدى الرئيس الموريتاني الجديد «سيدى ولد الشيخ عبد الله» رغبته في تنظيم نقاش شعبي وإعطاء الكلمة الأخيرة في علاقات موريتانيا مع إسرائيل للشعب الموريتاني.

وأكد أن الواقع هو أن هناك سفارة إسرائيلية في موريتانيا وسيتم اتخاذ موقف بعد نقاش مع الشعب الموريتاني. وأضاف أن الملف سيطرح على البرلمان والطبقة السياسية وجمعيات المجتمع المدني وسيكون النقاش حراً.. وقال: أتعهد بذلك والكلمة الأخيرة ستعود إلى الشعب الموريتاني.

تزايد أعداد الأسرى في السجون الإسرائيلية

يتزايد عدد الأسرى العرب والفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي يوماً بعد يوم نتيجة عمليات الملاحقة المستمرة للفلسطينيين في العديد من المناطق الفلسطينية مع ممارسة كافة أشكال الاعتداء على الكرامة وانتهاك حقوقهم الإنسانية.

وأشار تقرير بمناسبة مؤتمر الإعلام لنصرة الشعب الفلسطيني إلى أن عدد المعتقلين عام «٢٠٠٦» بلغ «٤٠» ألف أسير. وأضاف التقرير بأن هناك المئات من الأسرى القدامى داخل السجون الإسرائيلية ممن مضى عليهم مدد تتراوح ما بين «٢٠» إلى «٣٠» عاماً ويعيشون في ظل ظروف وأوضاع غاية في الصعوبة حيث يتعرضون لعمليات استفزاز متعمد من قبل إدارة السجون الإسرائيلية من حملات مداهمة

مفاجئة وإجراء تنقلات لهم بين السجون مع استخدام سياسة العزل الانفرادي وفرض غرامات مالية عليهم. وأشار التقرير إلى أن سلطات الاحتلال استخدمت معهم أبشع طرق المعاملة والتي تمثلت في منع زيارة ذويهم لهم مع عدم توفير المناخ الصحي لهم مما أسهم في تفشي الأمراض بينهم.

مسلمة تثير جدلاً في الدانمارك لاعتزامها الترشيح في الانتخابات

أعلنت «أسماء عبدالحميد» - وهي سيدة دنماركية مسلمة - ترشيح نفسها للانتخابات البرلمانية المقرر إجراؤها عام «٢٠٠٩» لتفجر بذلك جدلاً كبيراً بين السياسيين الدنماركيين حول قضايا الهجرة والاندماج وامتد هذا الجدل إلى داخل الحزب الذي تنتمي إليه أيضاً حيث تساءل الكثير من أعضاء الحزب حول ما إذا كانت المرشحة المسلمة التي وصلت إلى الدانمارك وهي في السادسة من عمرها مقتنعة حقاً بقيم المجتمع الدنماركي خاصة أنها ترتدي الحجاب وترفض مصافحة الرجال. ومن جانبها أكدت «أسماء» خلال مؤتمر صحفي أنها تتبنى القيم الدنماركية الأساسية، وقالت: «أريد دنمارك أخرى يمكننا فيها التحدث عن مجموعات مختلفة من البشر يجب أن نكون منفتحين للمناقشة مع الآخرين.. مسلمين أو غير مسلمين».

مسلمو هولندا يعانون من نقص التعليم الديني

كشف «محمد بيلار» رئيس المؤسسة الإسلامية للعناية الروحية في هولندا عن التأثيرات السلبية لنقص التعليم الديني خاصة على الأجيال المسلمة القادمة والتي تذوب تدريجيا في المجتمع الهولندي، وقال: إن عدد المسلمين في هولندا يناهز المليون من إجمالي عدد السكان البالغ «١٦» مليونا.

وأضاف رئيس المؤسسة التي تعنى بالإشراف على الوعظ والإرشاد في السجون الهولندية تحت إشراف وزارة العدل أن عدد المسجونين المسلمين بلغ ثلاثة آلاف سجين، موضحاً أن المؤسسة خصصت العديد من الأئمة والوعاظ يجوبون السجون الهولندية للدعوة وتوعية المسجونين وتعريفهم بأمور دينهم. وأشار إلى أن هناك أماكن مخصصة لأداء الصلوات في السجون الهولندية بعد تدخل المؤسسة في المطالبة بذلك؟ مؤكدا اعتناق الكثير للإسلام من المساجين غير المسلمين نتيجة لما لمسوه من معاملة طيبة.

وطالب «بيلار» بإنقاذ الشباب المسلم في هولندا من الحياة المادية التي يعيشها وذلك من خلال دعم الدول للمؤسسات الإسلامية وفتح مدارس وكليات إسلامية تكون مزودة بالمراجع والكتب الدينية والمدرسية والدعاة؟ مطالباً بفتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي في هولندا ليكون همزة الوصل بين المسلمين وباباً للحوار مع الهولنديين للتعرف على الإسلام.

اتحاد علماء المسلمين يشكل لجنة لإصلاح ذات البين


القرضاوى

قرر المكتب التنفيذى للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين تشكيل لجنة «المساعى الحميدة» لإصلاح ذات البين فى القضايا الإسلامية العامة ورأب الصدع فى جسد الأمة الإسلامية بحيث تكون ذراعاً للاتحاد فى الجانب السياسى.

ويجرى تسمية أعضائها ورئيسها بحسب القضية المطروحة من قبل مجلس الأمناء بالاتحاد.

جاء ذلك فى الاجتماع الذى عقده المكتب فى بيروت بحضور عدد من أعضاء مجلس الأمناء وترأسه «د. يوسف القرضاوى» رئيس الاتحاد.. وتم خلال الاجتماع استعراض نتائج الزيارة التى قام بها وفد الاتحاد العالمى إلى إيران.

كما شدد د. القرضاوى على أهمية تواصل الحوار لحماية الأمة من المخاطر.. كما تطرق لمساعى اتحاد علماء المسلمين فى تخفيف الاحتقان بين السنة والشيعة.

وشدد الأمين العام للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين على أن الاتحاد ضد محاولات زيادة الاحتقان الطائفى أو المذهبى فى أى بلد إسلامى أو مكان فيه أقلية مسلمة لأن هذا الاحتقان لا ينفع إلا أعداءنا.

تدنيس مقابر المسلمين فى فرنسا

اعترف شابان فرنسيان بتدنيس مقابر الجنود المسلمين الذين حاربوا فى الجيش الفرنسى وذلك برسم صلبان معقوفة ووضع عبارات عنصرية نازية على «٥٢» ضريحاً للمسلمين فى منطقة «أراس» واعترف الشابان بأن أسباباً عنصرية وراء فعلتهم .وبأنهم يؤمنون بالأيديولوجية النازية وبنظريات حليقى الرأس، وقال أحدهم: إن هتلر هو معبوده.

وسوف يحاكم الشابان أمام محكمة جنح «أراس» وقد تصل العقوبة التى توقع عليهما إلى السجن لمدة خمسة أعوام وغرامة قدرها «٧٥» ألف يورو.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبد الله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية أرمينيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فخامة الرئيس روبرت كوتشاريان رئيس جمهورية أرمينيا والسادة وزراء الخارجية والثقافة والتجارة والتنمية الاقتصادية ورئيس ديوان رئيس الجمهورية يرافقهم معالى الدكتور ماجد جورج وزير الدولة لشئون البيئة المصرى رئيس بعثة الشرف.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بفخامة الرئيس والوفد المرافق لفخامته، مشيدا بالصلات القوية التى تربط البلدين والمصالح المشتركة وتبادل النافع. وأكد فضيلة الإمام على أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال وتقوم الدراسة على أساس أن الناس جميعا أخوة فى الإنسانية، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، وأن لكل انسان عقيدته، فنحن فى مصر نعيش مسلمين ومسيحيين أخوة متحابين نتساوى فى الحقوق والواجبات، ومن الأخوة الأرمن الذين يعيشون فى مصر يتمتعون بكافة الحقوق والواجبات، والأزهر يعلم الدارسين فيه أن الجميع أخوة فى الإنسانية، وأن الذي يحاسب على العقائد هو الله، وعلينا أن نتعاون، لأن التعاون يأتى بالمحبة، والخير يأتى بالخير، وأن الصلة الطيبة تنفع الجانبين ونحن نأسف لما يحدث فى بعض دول العالم من عنصرية عمياء وتخريب فنحن نحب التعمير ونكره التخريب نحب العدل ونكره الظلم نحب الإخاء ونكره العداء، ونقول بأن العقلاء منذ فجر الإنسانية اتفقوا على أن الصدق فضيلة وأن الكذب رذيلة، والعدل فضيلة والظلم رذيلة، ونحمد الله على أننا متفقون على أن التعمير والفضائل أفضل من سوء الظن والعداء. ومن جانبه أعرب فخامة الرئيس عن شكره الجزيل لهذا الاستقبال الحار الذى هو شرف كبير لتواجده فى هذا المكان الدينى، وقال إنه من الممتع أن أستمع إلى الكلمات والمعانى والأفكار البناءة من علماء الدين، وإن عقولنا وأرواحنا ومعانينا متقاربة فكلنا والحمد لله نحب التعمير ونكره التخريب وأنه بسماعه إلى حديث فضيلة الإمام الأكبر كأنه اعتنق نفس الدين، وإن دعوة فضيلتكم إلى الخير والسلام تأتى بالتعاون المثمر البناء بين شعبينا.

ويستقبل رئيس وزراء العراق

كما استقبل فضيلته بمكتبه صباح يوم ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٧ معالى السيد نورى الدين المالكى رئيس وزراء العراق والوفد المرافق لسيادته يرافقهم معالى الدكتور مفيد شهاب وزير الدولة للشئون القانونية والمجالس النيابية رئيس بعثة الشرف المصرية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالى رئيس الوزراء والوفد المرافق لسيادته فى الأزهر الشريف مشيرا إلى الأخوة

الصادقة والخية الخالصة للشعبين المصرى والعراقى، وأن كلا من البلدين يعتبران قطعة واحدة، وأكد فضيلة الإمام الأكبر بأن العالم الذى نعيشه الآن يحتاج إلى التكاتف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن ما يحدث فى العراق الآن نحن نستنكره، وندعو الله أن يجنب العراق الفتنة ما ظهر منها وما بطن وأن يزيد عدد العقلاء فى العراق للتغلب على ما يحدث وذلك بتكاتفهم وترابطهم ونسيان الماضى، وأن تبدأ العراق حياة جديدة تقوم على العدل والبعد عن التعصب الأعمى مادامت المقاصد الطيبة قائمة، واستبعد فضيلة الإمام الأكبر أن تكون الخلافات مذهبية، مشيراً إلى ما يحدث فى العراق بين الشيعة والسنة والأكراد وغيرهم، وإنما تكمن بؤرة الخلاف فى الحزبية المقيتة التى تدعو إلى أن من يخالفك فى الرأى اقتله، وهى تحمل فى طياتها الظلم ونحن نأخذ دائما بالخامس لأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وحج البيت لمن استطاع فهو مسلم وهو مبدأ العدل والموضوعية فى الإسلام. ومن جانبه شكر السيد رئيس وزراء العراق باسمه وباسم أعضاء الوفد فضيلة الإمام الأكبر لإعطاء الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء، وعلى كلمات فضيلة الإمام الأكبر التى تحمل فى طياتها الوسطية والاعتدال.

ويستقبل وزير خارجية تايلاند

واستقبل فضيلته بمكتبه يوم الأربعاء الموافق ١٨ / ٤ / ٢٠٠٧ م معالى السيد ساوانيد كونجيرى - وزير خارجية تايلاند وسعادة سفير تايلاند بالقاهرة والوفد المرافق لهم. رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف، مشيدا بعمق العلاقات والروابط الأخوية بين البلدين، وأوضح أن الأزهر يستقبل أبناء تايلاند للدراسة به، وعدد الدارسين يقارب ١٥٠٩ طلاب يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة. كما أنه توجد بعثة من علماء الأزهر بتايلاند يقومون بالمشاركة فى تدريس العلوم العربية والشرعية إلى جانب مدرسى وأساتذة تايلاند.

هذا وقد قدم فضيلته شرحاً موجزا عن مراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، مؤكدا على أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال.. مبينا أن الدين الإسلامى ينبذ العنف والإرهاب بكل صورهما لأنه دين تسامح ومحبة وتعاون وتعارف، ويدعو إلى العدل والإنصاف والوقوف إلى جانب المظلوم حتى ينتصر، ونعلم أبناءنا وبناتنا فى الأزهر أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وقد أدلى فضيلة الإمام الأكبر بكلمة لتليفزيون تايلاند المرافق لمعالى الوزير. ومن جانبه شكر وزير خارجية تايلاند فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء.. كما ذكر السيد السفير بأن معالى رئيس الوزراء حمله تجديد الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر التى وجهت إليه من قبل لزيارة تايلاند وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية هذه الدعوة عندما تسمح له الظروف بذلك.

الإمام الأكبر يستقبل سفير اليابان

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ٣ / ٤ / ٢٠٠٧ سعادة السفير كازرو إيشيكاوا - سفير دولة اليابان بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير والوفد المرافق لسيادته كما قدم فضيلة الإمام الأكبر شرحا موجزا للتعليم الأزهرى الذى يمتاز بالوسطية والاعتدال وأن الناس جميعا أخوة وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله كما أننا فى الأزهر الشريف نقول بتعاون الحضارات ولا نقول بتصادم الحضارات وأن لكل بلد حضارتها تستفيد من بعضها البعض وهذا هو الإخاء الإنسانى. ومن جانبه شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا كويتيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى وفداً نسائيا من دولة الكويت برئاسة السيدة عائشة الرشيد - رئيسة مؤسسة «نحو أداء برلمانى متميز». وقد أكد فضيلته بأن المرأة هى أمنا وأختنا وبنتنا وأن من يقلل من أهمية المرأة لا يعرف الشريعة الإسلامية جيدا وأن هناك مساواة فى أصل الخلقة، فالمرأة من الرجل، والرجل من المرأة وهما متساويان فى أصل الخلقة وهناك مساواة فى التكاليف الشرعية إلا فى الخصوصيات، وهناك مساواة فى طلب العلم، والرسول (ﷺ) كان يعلم الرجال وكذلك النساء وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. كما أن المساواة فى العمل الشريف الذى أحبه الله، والمساواة أيضا فى الكرامة الإنسانية فكرامة الرجل من كرامة المرأة وكذلك كرامة المرأة من كرامة الرجل كما أنه لا يعمر هذا الكون إلا اذا كان فيه رجل وفيه أنثى. وللمرأة الحق فى أن ترشح نفسها فى البرلمان، والشعب هو الذى يختار طالما بالانتخاب وطالما كانت أهلا لهذا المنصب.. والعفاف شرط أساسى للمرأة بكل معانيه أى تظهر المرأة بالمظهر اللائق ظاهرا وباطنا. وفى النهاية اللقاء شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة لهن لهذا اللقاء.

دورة تدريبية جديدة لوعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ / ٤ / ٢٠٠٧ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية السادسة والسبعين للأئمة والوعاظ والوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١ / ٢ / ٢٠٠٧ ولمدة ثلاثة أشهر لعدد ٢٠ إماما وواعظا من دول: (الجزائر - السودان - موريتانيا - الكاميرون - نيبال) وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية لمدة ثلاثة شهور، وقد تلقوا خلالها العلوم العربية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف.

كما وافق فضيلته على افتتاح أعمال الدورة التدريبية رقم (٧٧) لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وذلك اعتبارا من ١ / ٥ / ٢٠٠٧ ولمدة ثلاثة شهور لعدد ١٥ إماما وواعظا من دول (اليمن - السودان - سيراليون - السنغال - نيجيريا).

وكيل الأزهر يستقبل وفد كنيسة كانتربرى

التقى فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر ورئيس لجنة الحوار بين الأديان بوفد من كنيسة كانتربرى بإنجلترا برئاسة السيدة كليرى - منسقة الحوار بالكنيسة يرافقهم القس «راجا» من الكنيسة الأسقفية بالقاهرة، وتأتى هذه الزيارة من منطلق الترتيب والتنسيق لعقد اجتماع لجنة حوار الأديان فى شهر سبتمبر القادم ٢٠٠٧ بإنجلترا.

وقد أكد فضيلة وكيل الأزهر خلال اللقاء بأن الأزهر الشريف يرحب بكل من يأتى للتحاور معه، لأن الإسلام يعتبر الناس جميعا جاءوا من أب واحد وأم واحدة من أجل التعارف والتعاون معا لإسعاد البشرية جمعاء، مشيرا بأننا فى مصر لا فرق بين مسلم ومسيحى فالكل يتساوون فى الحقوق والواجبات.

ترقيات

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ٢٨٣ لسنة ٢٠٠٧م بالموافقة على تعيين فضيلة الشيخ إبراهيم عبد العال عبد الرحمن الرهبانى بوظيفة رئيس الإدارة المركزية للتعليم الإعدادى - بالدرجة العالية.

Bird in paradise is Unusual ambassador...!

By: The Honorable Sheikh At-Taher Al-Hamedy

He is Ja'far Ibn Abi Taleb, the second leader of Mu'tah which is called by the Muslims an invasion (Ghazwah) as it means that the Muslims started this war.

Actually, this battle was launched only for defending an international principle which should be kept and maintained.

Those who do not follow the law should be disciplined. Those who spoil the land should be plucked just like any dangerous plant because they killed the prophet's envoy.

It is worth mentioning that the principled people, when called for help, hurry to help without thinking about the plan of retreat.

However, we see that they destroy the plans of retreat themselves, and cut the bridges of return due to the fact that the principle which they seek is the only thing they think about.

On the contrary, we see thieves and highway men determine accurately and precisely the plan of leaving before invasion.

Allah divided the two groups in a way that caused their eternal separation. Both of them do not ever mix or meet in the way Allah divided the human kind and the animals. Be careful of the animal if it becomes hungry, but be careful of the human being when he becomes angry. Thus Allah gives each category its attributes.

The number of the Roman troops was a hundred thousand fighters, while that of the Muslim troops was three thousands only. It is said that the Roman troops were supported by another ten thousand.

You may become terrified by the great difference in number between the two forces in addition to their equipments. But the balance of power and sovereignty differs greatly between greedy robbers and those fighting for a principle, and between highway men and message holders.

Message holders and principle owners who go out for the sake of Allah are merely concerned with responding to the call without regard for any human being.

Also, they do not care about booty or gains. They are merely concerned with the misguidance of human beings, and with the correction of those that have deviated.

This situation is referred to by the prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) saying

"One of the best men is a man who rides his horse and goes for help if he

hears a call for help".

The teenager husband does not deny his marriage and confesses to it. He depends on his father economically, and the father refuses to spend money on a wife about whom he was not consulted. If he had room for her in his house, the situation would have become better. His house is hardly enough for his own family.

I went to the father to find a solution. But I felt sad when I found the man weeping and saying in sorrow, he was just as surprised by the situation as I was. His house was even smaller. He suggested that the daughter can stay with her family, and he will sustain her with money as much as he can. Then, he looked at me saying: "What else can I do? Help me".

I cannot let this incident pass by without thinking quickly about it. The young spouses have not surpassed twenty two years, so they cannot complain since the future is still great for them. What is the reason for this painful situation? The educational system in the university is the main reason for this deviation because the lectures, in most of the faculties, do not follow each other frequently.

The student attends the first lecture at eight o'clock, then the second lecture at eleven o'clock, and the third one may be at one o'clock according to the lecturers and their personal wishes. Every male student searches for a female friend who searches for him in turn. They do not get separated. We see a huge crowd of students outside the university campus.

Thus, we get an idea that the scholastic timetable helps in this hateful free time. The male and female students talk all the time about the films they watch and the attraction to certain actor or actress.

This situation leads to an emotional story acted out by these students. These roles lead quickly to this miserable end. In the past, the university used to be a respectable place that has moral ties that prevent these horrible

situations. We did not hear about this kind of marriage in the sixties and seventies. Also, we hear about the secret marriage in the first of the eightieths in shyness, then the matter has increased till the secret marriage spread between the students in the university and secondary school which horrifies the reformers. So, the saying that the mixture in the education is the cause for this tragedy is exaggerated where the mixture was existing since the foundation of the first university, and followed it this number of the universities but the goodness of the order, regularity of the appointments, awareness of the professors and the breeding of the home and school stopped as a strong barrier against the strongest storms where the observed professor forbids a special system in his lectures and all of the students respond to him in all love and respect. The grand Professor Muhammad Abu Zahra ordered that the female students to sit in the first ranks and behind them were the ranks of the male students. He didn't find who objects whether from the students or the university administration! But every one knew restriction of the moral observance that made a distance between them and the nonsense! So we can't say afterwards that the mixture led to these crisis but we say that loss of the example, has resulted in a great evil which is four hundred states of the secret marriage.

We can hear the speech of the male and female students who dropped in the track of the secret marriage to the speech of the greatest darkness who left the education to the general space in life where Al-Wafd newspaper (23/02/2005) mentioned that a statistic with which one of the formal departments perform for those who declared about their secret marriage that their number reached four hundred states!. Not only that number, but there are those who hidden their secret marriage and they are more and more. The reader should not wonder at this abundance of this number because of the material state in Egypt.

Murder continues especially when the world has a great war at present with the rulers of religious states.

The doctor says that the leaders of this state believed that Allah preferred them to others as they are "the best nation in the world".

Then, he says, lamenting the situation, in an article entitled *"Inescapable warning"* published on March 19, 2007 on the series of dangers, "As for discrimination against women, it starts by the spread of veil in an unprecedented way. In the sixties, we did not see many veiled women and girls everywhere".

These sentences reminded me of the bitter fact that the doctor is a new member in the sect of "This is Christ, take him". When the betrayers wanted to forsake Jesus Christ and kill him, God saved him. God's verse is true in saying:

"And in no way did they kill him and in no way did they crucify him, but a resemblance of him was presented".

[An- Nisa' (The women): 157]

The doctor is wrong in belonging to a category believing that it is the victorious one about which Allah says:

"They would like to extinguish the Light of Allah with their mouths; and Allah is perfecting his Light even though the disbelievers hate (that)".

[As- Saff (the ranks): 8]

Then Allah says:

"He is The One wWho has sent His Messenger with the guidance and the religion of truth that He may make it topmost over all religion, though the associators hate (that)".

[Attawba (the repentance): 33]

Some of the Miseries of Secret marriage...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al- Bioumy

The danger of secret marriages increases daily. Although many people deny it, it increases continuously, and its methods vary.

Previously, it was limited to writing a paper in the presence of two witnesses. Nowadays, it has many shapes, one of which is that both of the spouses write each others' names in a remarkable size on part of the other's body.

This action is used to pretend irrevocable confession. Another action by which many people marry is the mixing of the blood of the two spouses fingers in front of two witnesses, revealing and indicating the long lasting attachment. I swear that it is an absolute mockery, if any of the spouses denies this marriage. But the emotional imagination of teenagers allows undesirable and incredible acts.

One of the ways of this marriage is using a recorder which performs the role of the traditional paper, as it records the acceptance of both parties, along with the sayings of the two witnesses attending the ceremony.

The methods vary and spread as an epidemic which has no resistance, causing the downfall of many victims. I wrote this article on this supposed marriage because other sociologists and scholars have better ability to present and suggest the reasons of avoiding it, but I realized its grave danger in a situation to which I was called. I saw its blazing evil which made me ask Allah to forbid it.

One father came to me as he knew my relation to another father, saying that he wants to find a solution for his frivolous daughter. She married secretly the son of a certain man, who then left her pregnant.

Due to the severe insistence of Dr. Asfour on the importance of a civilized state, the grand Imam Dr. Mohammad Sayed Tantawy, Al-Azhar Sheikh, wrote on March 16, 2007 an article entitled *"This is Islam"* in which he wrote about

"The civilized state Established by Islam"

His Excellence said, "The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) established a civilization based on humanitarian brotherhood and sound scientific bases which is a balance for weighing the effects of progress in the history of every country."

Moreover, it made science, in its widest meaning, the guide to the future. The Islamic shari'ah urges its followers to go in the path of progress and improvement in agricultural, industrial, medical, engineering, constructional, military and scientific fields.

Science, from the Islamic point of view, is the maker of civilizations and the establisher of cultures; putting the Islamic society in the first rank... till the end of the valuable essay in which the grand Imam Dr. Muhammad Sayed Tantawy revealed that Islam is the real establisher of the civilized state.

Dr. Jabir 'Asfour was hiding behind a mask in his writings, so that I, as well as others, thought that his writings do not have any relation to Islam. Then, I was surprised to find him taking off the mask and revealing his real face. He attacked some Islamic symbols saying, *"There is no one but the Muslim and non-Muslim under Islamic rule in this state in which people are placed in categories ordered according to suppression and discrimination. In addition, we can not forget the principle of slavery which may return to this state."*

Then he continued in his error, saying that their scholars do nothing except advising the ruler who may accept it or not. If he doesn't accept it, he kills those scholars announcing that he does not agree with them.

by the region of Islamic and Arab worlds in the present critical circumstances.

This famous academic writer should direct his attention, in this time, to finding solutions for the miseries of Iraq, Afghanistan, Palestine, Lebanon and Darfur instead of renewing speech in issues that occupied the Arab and Muslim writers in the beginning of the last century as a reaction to the blazing war launched by the Western fanatic orientalists.

Dr. Jabir surprised the readers with another article entitled "response to Al- Azhar Sheikh" dated February 26, 2007, and started by thanking the Grand Imam Dr. Mohammad Sayed Tantawy for his interest in reading and responding to his articles.

The article of Dr. Asfour included 6 points: the first of which is: no reasonable person, religious or a citizen behaving in the modern civilization, or living under the shadow of this civilization can deny the importance of religion and its vital and inescapable role in forming the personality of the individual and improving the nation.

Then he moved to the second point saying, *"The expression of the religious state was transferred from the European countries"*. It became known after 'the civilized countries' overcame the absolute authority of the church that made the priestly government a basis for the sovereignty of the ruler, being God's representative on earth and supporting the absolute reign.

In the third point, Dr. Jabir says, the expression *"The civilized state"* is regarded as the opposite of *"The religious state"* in our contemporary Arab culture. The call for establishing *"religious state"* governed by representatives of a certain religious sect, religious men or fanatic religious priests is a situation that brings us back to destruction related to fanatism which is the other side of political tyranny.

As for the last three points, the writer did not make any comments worth mentioning.

Islam is a creed and Shari'aa, as well as a complete system for life including principles, laws, matters concerning the life affairs of the individual and the society, and the relationship between the Muslims and non-Muslims. This is unlike the principles of Christianity that state,

"what concerns Caesar is for Caesar, and what has to do with Allah is for Allah".

Islam requires Muslims to have a positive attitude towards the environment, society and individuals. It obliges every Muslim to encourage good deeds and to forbid abominable deeds. Muslims should not be separated from each other. On the contrary, they should mingle and interact together. The relation between the state and politics in the state was clearly established by prophet Mohammad (may the blessings and peaces of Allah be upon him). This continued in the same direction during the caliphate and the eras of the Islamic regime.

It is obvious that Islam did not specify a particular regime in the Islamic country, so long as the regime is based on justice, consultation, equity and freedom. Thus, the Islamic state doesn't have one form, and the word *"caliphate"* doesn't indicate a specific regime. Any form of regime that includes the previously mentioned four principles is approved by the Islamic country.

Islam has nothing to do with the priestly regime, since Islam doesn't include mediators between the individual and Allah. A scholar in Islam is not favored over others in the Islamic state except by his good deeds. He may only be consulted in some matters of Islamic law.

The above mentioned was an inescapable introduction before discussing what Dr. Asfour wrote under the title *"The Dangers of the Religious State"*, a series of four articles in four weeks. The grand Imam, Dr. Mohammed Sayed Tantawy Al Azhar sheikh responded to him in a long article published in Al Ahram news paper dated February 21, 2007

and entitled "This is Islam, where is the Religious state, A Quiet Discussion with Dr. Jabir Asfour".

In the article, His Excellence Dr. Tantawy said: "I hope that Dr. Jabir Asfour would be tolerant enough to discuss some matters, the most important of which is:

First: what is meant by thes religious state? If he means the country demanded for by fanatics who interpret religion according to their desires, as well as corrupters, then the title of his articles are not accurate, and are mistaken. This is because many of the readers believe that the writer of these articles attack every thing related to religion. If it is so, the meaning here is dangerous and grave.

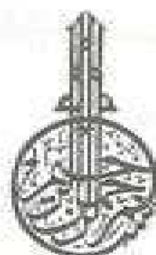
It would have been better if the title of these four articles became for example *"The Dangers of the Country whose Demanders hide behind Religion"*, or *"The Dangers of the One who hides Behind Religion and Acts Against it"*. If he means by *"The dangers of the Islamic state"* threatening, attacking and driving away from any country that takes its rules and principles from the guidelines of religion, the matter becomes more dangerous.

Any reasonable person, in every place and time, would agree on the fact that religion is a heavenly guide sent by Allah, Glory be to Him, upon His prophets. Allah ordered his prophets to inform their peoples of these guides to be happy in their life and after life. They stated the rights of Muslims and non-Muslims".

The grand Imam continued his discussion of the writings of Dr- Jabir Asfour quietly, as he did not leave any ambiguous matter without revealing it, so as not to cause any doubt in the minds of the readers.

I expected, like the other readers who read the writings of Dr. Jabir and the quiet persuasive reply, that he will announce acceptance, and stop writing his dangerous articles, so as not to create sedition that is not needed

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadal-Oula, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
June. 2007

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Imported ideas are the Reason for All the Perils As Visualized by Dr. Jaber Asfour...!

By Dr. Ibrahim Al-Assil

I would like to attract the attention of readers of this part of Al-Azhar magazine to the comments made by Dr. Jaber Asfour, that were published in Al-Ahram newspaper, about the dangers of the religious state. This is due to my belief that a lot of attention is given to any article attacking and insulting Islam.

Thus, I wish to attract attention to its writer, and to the decisive response made by the gtand Imam, Dr.Mohammad Sayed Tantawy Sheikh Al-Azhar, in addition to some comments that I would like to emphasize. I hope this will clarify the picture for those participating in the war presently launched against Islam by non-Muslims and some Muslims.

I should point out to the readers of the English section of Al Azhar magazine, especially those in the non-Muslim countries and those attacking Islam and Muslims, that Islam and the Islamic regime were the topic on which Dr. Asfour wrote, following some misguided writers such as Ali Abd Al-Raziq who was deprived of the titles "scholar" and "sheikh" by the authority of Al Azhar's senior scholars. His book (Islam and the Islamic regime) contained fabricated matters about the Islamic regime.

Many of those to whom I referred do not realize the importance of Islam and its role in life. I start by saying that religion and politics go hand in hand in Islam; and they can never be separated.

Islam is not a religion for worshipping only. It is a religion concerned with both life and religion. It is concerned with all Muslim affairs and with all treatments and dealings including all economic details, morals, behaviors, protecting and defending the country, and every thing in life.

الفهرس

هدية العدد
الاجتهاد

الأزهر

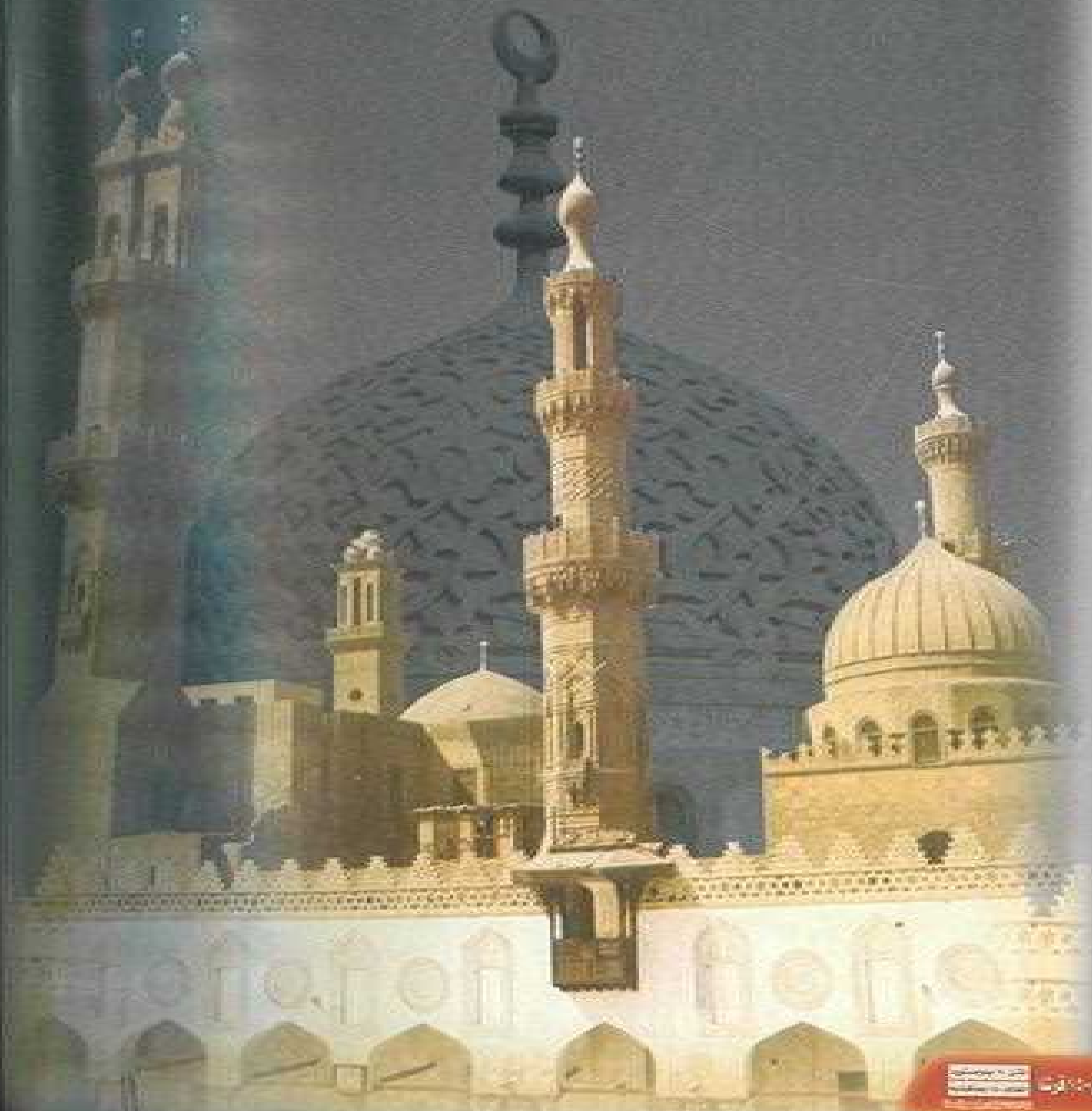
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - يونيه / يوليه ٢٠٠٧ - الجزء ٦ - السنة ٨٠

هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
١٣٩ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ يونيه/يوليه ٢٠٠٧م الجزء (٦) السنة (٨٠) Part VI VOL. 80

AL AZHAR MAGAZINE

Jumadal-Akhera 1428 A.H. Jun/July 2007.
Vol. 80, Part VI



بسم الله الرحمن الرحيم

احتفالية الأزهر الشريف بالإمام المراغى



فى إطار احتفال الأزهر الشريف بالإمام محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق شهدت قاعة الإمام محمد عبده فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر ١٤٢٨هـ الموافق التاسع والعشرين من أبريل ٢٠٠٧م احتفالية كبرى نظمها مجمع البحوث الإسلامية.

وقد ألقيت بهذه المناسبة العديد من الأبحاث التى تناولت شخصية الإمام المراغى من عدة جوانب وأبرزت جهوده فى الإصلاح وقد نشرت مجلة الأزهر فى عددها السابق بحث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بعنوان: «الإمام المراغى مفسراً للقرآن الكريم» وفى هذا العدد نقدم بحثين آخرين هما: «الإمام المراغى وملكة التوازن» لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالفضيل القوصى و«الإمام المراغى وقضايا المجتمع» للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى.

وفى هدية هذا العدد ننشر بحث الإمام المراغى عن: «الاجتهاد فى الإسلام» وستوالى فى الأعداد القادمة ـ بمشيئة الله تعالى ـ نشر باقى الأبحاث.

والله الموفق والهادى إلى سواء الصراط

مدير التحرير





الإمام المراغي وملكة التوازن

للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الفضيل القوصي
عضو مجمع البحوث الإسلامية

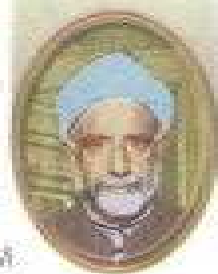
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا الشيخ الجليل المهيب الطلعة، الناصع البيان، الباسم الثغر، الذي إذا نظرت في عينيه -من خلال ما حفظه لنا التاريخ من صوره- لمحت ذكاءً نفاذًا، ونفسًا متوثبة، وقلبًا جريئًا، وعقلاً متوقدًا، وكل ذلك في هدوء ذهن وسماحة نفس.

إذا أردنا أن نعثر على مفتاح لشخصية الرجل، فإن أدق ما يمكن أن يقال إنه رجل يتمتع "بملكة التوازن".

والذي نقصده بملكة التوازن كمفتاح لشخصية ما، هو أنك تجد نفسك بإزاء اتجاهين أو سمتين قد يظن -بادئ الرأي- أن بينهما ضربًا من التناقض أو التنافر أو التباعد، فإذا بهذين الاتجاهين أو بهاتين السمتين وقد انصهرتا في بوتقة تلك الشخصية، وامتزجتا في سبيكتها، وإذ بك تجد هذين الاتجاهين أو السمتين وقد تآلفتا وانسجمتا وتساوقتا دون تعارض أو تعاند، أو تصارع أو تنازع.

ويمكن أن نرصد في هذا الصدد مظاهر عدة تبدو فيها هذه الملكة الفريدة على أتم ما تكون جلاء ووضوحًا.



أولاً: في مواقفه الحياتية توازن رصين بين الصلابة والرفق

● فهو حين يعين في وظيفة قاضي قضاة السودان بأمر من الحكومة الإنجليزية يرفض ذلك، ويصر على أن يكون ذلك التوظيف بأمر من ملك مصر المسلم، وذلك في وقت كانت سياسة الحكومة الإنجليزية تقوم على قطع كل صلة تربط السودان بمصر.

هذا الموقف الصلب الراسخ يجتمع في شخصية المراغي مع عاطفته الرقيقة إذ يقول -وهو ملء الأعين حين كان شيخًا للأزهر ترمقه العيون بالإعجاب-:

(أنا في هذه السن أقبل هذا العمل في وقت أعلم فيه عيوبي، فلي عيوب يعلمها الله تعالى وأسأله أن يغفرها لي).

● وفي مواقفه العملية تبرز علاقته بالملك فاروق فهو لم يكن معاديًا للملك، ولا كان تابعًا ذليلاً له.

● فقد كان على علاقة ودية حميمة مع الملك، لدرجة أن الملك كان يحضر مجالسه العلمية في المساجد ليستمع إلى دروسه، وهذا الود نفسه هو الذي مكن الشيخ الجليل من أن يفسر قوله -تعالى-:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (النور: ٥٥)

والملك حاضر أمامه ينصت لكلامه فيقول -أعني الشيخ المراغي-: (إذا انصرف أمراؤنا إلى الترف ووزراؤنا وكبراؤنا إلى التمتع بمتع الحياة وزينتها ولم يذكروا الله إلا قليلاً فلن تنتظر من الله -تعالى- إلا مقتًا).

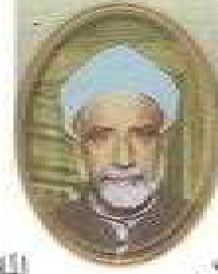
وفي نفس الوقت فإن الإمام المراغي قد وقف من الملك نفسه موقفًا قويًا حين رفض أن يصدر فتوى بحرمة زواج الملكة فريدة بعد طلاقها من الملك قائلاً: (إن المراغي لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله تعالى).

ثانيًا: التوازن بين التعمق العلمي وبين الجانب الاجتماعي

نأتي إلى مظهر ثان من مظاهر التوازن الفعال في شخصية الإمام المراغي وهو التوازن بين التعمق العلمي في مختلف فروع العلوم الإسلامية وبين الجانب الاجتماعي في التعامل مع من يحيطون به.

فهو رجل يغوص في دقائق العلوم الإسلامية على اختلاف مناحيها، فتراه في ميدان اللغة والفقه والعقائد والتفسير عالمًا جليلاً مطلعًا على المتون ودقائق العلوم، متضلعًا بأدق مباحثها.

● وهو رجل يحسن التعامل مع الناس كبيرهم وصغيرهم، خبيرًا بما تدعو به العلاقات الاجتماعية وآداب السلوك (الإتيكيت)،



والأمثلة في هذا الجانب كثيرة ووفيرة.

وقلما تجتمع الميزتان في رجل واحد، وإن اجتمعتا فالواحدة منهما على حساب الأخرى.

ثالثاً: موقفه من الحضارة الغربية

نأتي إلى مظهر ثالث من مظاهر التوازن الفعال في شخصية المراغي وهو موقفه من الحضارة الغربية:

كان المثقفون- بعامة- في عصره- يقفون بإزاء[1] الحضارة الغربية الناشطة آنئذ: أحد موقفين:

إما رجل يرى فيها الشر كل الشر، وإما رجل يرى فيها الخير كل الخير، لكن الفكر التوازني عند الإمام المراغي دفعه إلى اتخاذ موقف ثلاثي التكوين:

فهو ناقد بصير لتلك الحضارة، وهو منصف بصير أيضاً لها في الآن نفسه

حين فحص الإمام المراغي الحضارة الغربية التقط منها ثلاثة جوانب:

(١) نقداً للمنهج الذي تسير عليه.

(٢) ونقداً لمجريات تلك الحضارة ومنجزاتها.

(٣) إنصافاً متعقلاً لهذه الحضارة وتفاؤلاً بنهاياتها.

(١) نقد المنهج

لقد كان من الشائع آنئذ أن منهج الملاحظة والتجربة والتجرد من كل مألوف حتى يتم الوصول إلى الحق منهج أوروبي لحمة وسدى.

لكن الإمام المراغي يُرجع هذا المنهج إلى العلم الإسلامي الرصين[2]:

ألم يقل المتكلمون: إن أول واجب على المكلف هو المعرفة؟ بل قال بعضهم: إنه الشك، ألم يبدأ الإمام الغزالي مسيرته العلمية- في المنقذ من الضلال- بالشك؟

لكن المسلمين - كما يتابع - قد أهملوا هذا المنهج، فأخذه الأوروبيون، ثم يقول معقباً: (وبعد أن أبرزها الغربيون رجعنا نأخذها عنهم، ونراها طريقة في العلم جديدة)!!

لكن هل حرصت الحضارة الغربية على اتباع هذا المنهج وتطبيقه بدقة؟

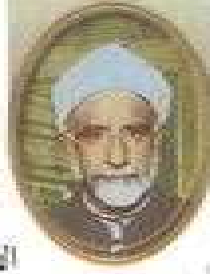
يجيب الإمام المراغي: إن تجريد النفس، والملاحظة والتجربة، والموازنة والاستنباط كلمات سهلة، لكن تطبيقها عسير، بل غاية في العسر.

ثم يتابع في عبارة صريحة:

لقد تبدلت الفلسفات والآراء كما تبدل النساء أزياءها، وقل أن تجد من هذه الآراء شيئاً يصونه حرز أو يقيه حصن، بل سرى التبدل إلى قواعد العلم التي لم تكن طوال الأجيال الماضية موضع شك، حتى إن نظرية النسبية التي احتفل بها العلماء سرعان ما قام من يهدمها من أساسها.

(١) إزاء: أي مقابلاً له - "إزاء الأمر" سائسه. "فلان إزاء فلان" قرن له يقاومه. المعجم العربي لاروس ص ٦٩ مكتبة لاروس فرنسا.

(٢) الرصين: المحكم الثابت. المعجم العربي لاروس ص ٥٨٨ مكتبة لاروس فرنسا.



ما النتيجة في نظر الإمام؟

النتيجة أننا أصبحنا لا نجد أماناً فيما أنتجه العقل وحده، إلا ما كان (البرهان) متوافراً فيه بشروطه كلها.

ولكن ما نسبة هذه الأفكار (البرهانية) بالنسبة إلى غيرها مما تمليه الظنون وتعبث به الأوهام؟ إن الجواب هو الحيرة.

هذه الحيرة- كما ينتهي الإمام المراغي - ستخفف غلواء[3] العلماء المعتزين بالعقل وحده، وتلوي عنانهم يوماً ما: إلى حمى الحق وحصن اليقين، وهو الوحي الصادق من القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

(٢) نقد منجزات الحضارة الغربية والآثار التي أثمرتها

لعل أهم نقد وجهه الإمام المراغي في هذا الصدد يمكن تلخيصه في عبارة واحدة (هو انفصال تلك الحضارة عن عمود الأخلاق).

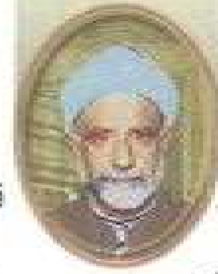
في هذا الصدد يذكر للشيخ المراغي أنه أول من نظم ابتعاث البعثات الأزهرية إلى أوروبا، ولكي تتبين أهمية هذا الابتعاث في نفس الشيخ، نذكر أنه حين سافرت أولى تلك البعثات، ذهب الشيخ بنفسه إلى المحطة لكي يودعهم، وفي مشهد مهيب أطل الشيخ من إحدى نوافذ القطار وخطب في أعضاء البعثة قائلاً:

أريد منكم ومن الأزهر الشعور بالواجبات الإنسانية العامة، لقد أدى العلم واجبه نحو الجماعة الإنسانية، وفكر في الكون وقدّر، واهتدى إلى بعض السنن الإلهية في الكون فأفاد منها الناس خيراً عظيماً.

ثم يتابع في ألمعية نادرة: وقد صحب هذا الخير شرور طغت عليه، وترتب على ذلك أن تقدم العلم لم يسايره تقدم التأثير الديني والروحي، فجاءت آثار العلم، والقلوب مقفرة من خشية الله تعالى ورهبته.

ثم يتابع: (ولو أن حملة الدين سايروا حملة العلم، وتقدموا بقوة اليقين يحببون الدين إلى الناس، ويرغبونهم في الفضيلة من حيث هي هي، ويدعمون الحياة الروحية بالأساليب الجذابة، ويؤاخون بين العلم والفضيلة لكان الناس جميعاً في سعادة وهناء)

(٣) غلواء - الغُلَواء - الغلْو - أول الشباب «خفف من غلوائه» أي من كبريائه وحدة نشاطه. المعجم العربي الحديث لاروس ص ٨٨٤ مكتبة لاروس بفرنسا.



وأكبر الظن.. بل أكبر اليقين أن هذه الكلمات القيمة، تصلح لهذا العصر المائج بالفتن والأزمات، صلاحيته لعصر الإمام، بل ولكل عصر.

(٣) إنصاف الإمام لهذه الحضارة وتفاؤله بنهاياتها

لم يفقد الإمام المراغي إيمانه برغم نقده لتلك الحضارة الأوروبية بأن هذه الحضارة ستؤول يومًا إلى طريق الهدى، فقال -في عبارة لا أجد نفسي في حل من اختصارها-:

(فإن ما يرى الآن من عناية الغرب ببحث آثار الشرق ومن عناية علمائه بدارسة الإسلام من نواحيه المختلفة، ودراسة تاريخه وأممه، ومن إنصاف بعض علمائه للنبي صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى ما أيدته التجارب من أن الحق لا محالة غالب: كل ذلك يرشدنا إلى أن الإسلام سينشر لواءه على العالم، وسيكون أشد الناس عداوة له اليوم هم أشد الناس غيرة عليه ودفاعًا عنه، وكما نصره - أول أمره - الغرباء عن البيئة التي نشأ فيها فسينصره آخر أمره- الغرباء عن لغته ووطنه، وقد بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ).

ثم يضيف إلى ذلك إضافة ذات بال قائلاً:

(وإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء، وليس للعالم بعده هاد أو مرشد، وكان دينه أكمل دين بنص الوحي الساطع، فلا يمكن أن يقف أمره على ما هو عليه الآن، ولابد أن يمحو نوره: نور غيره، كما تمحو الشمس أضواء غيرها من الكواكب.

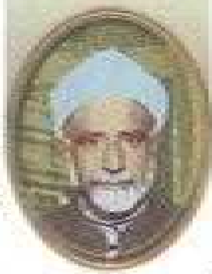
رابعاً: التوازن الفعال في رؤيته المستقبلية

نأتي إلى مظهر رابع من مظاهر التوازن الفعال في شخصية الإمام المراغي، وهو التوازن الفعال في رؤيته المستقبلية:

ففي عهد الإمام المراغي كانت الثورة الكمالية في تركيا على أشدها، وكان الرأي العام في مصر يموج بالقلق الشديد على مصير المسلمين في تركيا، فقال الشيخ المراغي في عبارة واضحة: (قد تخرج أية حكومة إسلامية عن دينها فتصبح حكومة لا دينية، لكن هذا لن يمنع ذلك الشعب المسلم من البقاء على إسلامه).

وقد تعرض الشيخ من أجل هذا التصريح لإنكار المنكرين (١)، لكن الأحداث المتتالية والمعاصرة كانت شاهد صدق على ألمعية الإمام المراغي وصدق فراسته.

(١) حصافة: كان جيد الرأي محكم العقل. المعجم العربي الحديث معجم لاروس ص ٤٠١ الطبعة الفرنسية.



خامساً: توازن موقفه من قضية القدر

نأتي إلى مظهر خامس من مظاهر التوازن الفعال في شخصية المراغي، وهو توازن موقفه من قضية القدر:

لقد كان عصر الإمام المراغي عصراً انفتحت فيه الثقافة الإسلامية على ثقافة الغرب، وكان الشباب آنئذ يعبُّ منها بقدر ما يستطيع، لا يلوى في ذلك على شيء، وكانت قضية القدر إحدى القضايا الشائكة في أذهان الشباب.

لقد هدته ملكة التوازن إلى أن يصطنع في قضية القدر موقفًا هو أقرب إلى مذهب المعتزلة.

يقول: إن القول بالجبر يصادم العقل، ويناقض ما أجمعت عليه الأمم، ثم يقول: إن علم الله -سبحانه وتعالى- تتبعه إرادته، والعلم صفة انكشاف لا إلزام فيها، والعلم الصحيح هو العلم المطابق للواقع مطابقة تامة، فلا أثر للعلم الإلهي في أفعال العباد، وعلم الله تعالى تبع المعلوم، والله -سبحانه- قبل أن يخلق الخلق قدّر الخلق، ووضع هذا النظام التام الذي هو خير كله، وقد علم -سبحانه- ما سيختاره كل أحد من خلقه، فوضعه في كتاب، وفعل العبد تابع لاختياره المحض.

ورغم اختلافي مع الأستاذ الإمام في بعض ما قاله إلا أن هذا لا يقلل من حصافة(٢) هذا الرأي، ومتانة بنائه الفكري.

ونفس ما قاله الأستاذ الإمام المراغي قاله الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد حين قال: (فانكشاف الواقع للعالم لا يصح في نظر العقل ملزمًا ولا مانعًا).

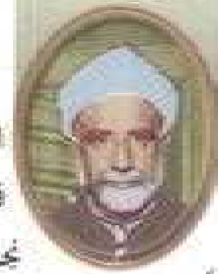
وحين قال أيضًا: (فلا شيء من العلم بسالب للتخيير في الكسب، وكون ما في العلم يقع لا محالة إنما جاء من حيث هو الواقع، والواقع لا يتبدل).

سادساً: التوازن بين النص والمصلحة

نأتي إلى مظهر سادس من مظاهر التوازن الفعال في فكر الإمام المراغي وهو التوازن بين النص والمصلحة:

أبرز الأمثلة على ذلك هو قانون الوصية الواجبة الذي أسهم الإمام إسهامًا كبيراً بصدده، وهو ذلك القانون الذي يحكم بإرث الأحفاد الذين يموت والدهم في حياة أبيه بمثل ما كان يستحقه هذا الولد ميراثًا في تركته لو كان حيًا في حدود الثلث استناداً إلى فهم دقيق لقوله تعالى:

(٢) طنّ: طنطنة الجرس والباب وتحوها: أي صوت. المعجم العربي لاروس ص ٧٩٣ مكتبة لاروس بفرنسا.



﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾

(البقرة: ١٨٠)

وما كان أحد ليستطيع التصدي لهذا الاجتهاد إلا رجل في قامة الإمام المراغي ومكانته العلمية.

في هذا المقام يقول الإمام المراغي: (ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، وسآتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما صنعتم).

لقد طنطن بعض التنويريين والعلمانيين[٦] بهذه العبارة ظنًا منهم أنهم قد عثروا فيها على كنز ثمين، وصيد سمين!! ففهمها بعضهم على أن المصلحة غالبة على النص قطعيًا أو ظنيًا، وأن الواقع حاكم على هذا النص مستعينين في ذلك بفهم مغلوط لرأي نجم الدين الطوفي في المصلحة كما فهمها بعض منهم على أن شرائع الإسلام وأحكامه تفتقر إلى الصلابة والثبات، وأن كل الآراء- مهما كانت غرابتها أو نأيها عن الأصول الثابتة - يمكن أن تجد لها سندًا إسلاميًا بحسب المزاج الشخصي للمجتهد.

ونحن نقول:

أولاً: إن الإمام المراغي بسعة أفقه وقدرته على التوازن بريء من هذا كله، فهو يقول في العبارة نفسها: (إن الشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة، ما يجعلنا نجد في تفريعاتها وأحكامها في القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا، ونحن في ذلك كله ملتزمون بحدود شريعتنا، فالمسائل الفقهية التي ليست قطعية قابلة بحكم الشرع للتجديد والتغيير).

ثم نقول ثانيًا: لو كان الأمر كما زعم هؤلاء الزاعمون لما كان يصح أن يوصف الإسلام بأنه هاد ومبين، إذ ما قيمة الهداية والبيان إذا كان الواقع والمصلحة حاكمين على النص القطعي؟.

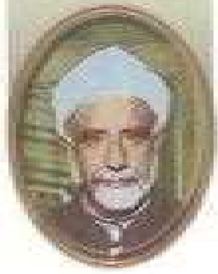
إن الإسلام قد جاء لكي يصحح الواقع وينير ظلماته ويحكم مسيرته، لا لكي ينساق معه، ويسير مع أهوائه وتقلباته، ثم إن للاجتهاد أصولاً وضوابط تحكم عمل المجتهد وتضبط استنباطه وفهمه.

بهذه المظاهر تتضح لنا شخصية الإمام المراغي في نصاعة ووضوح بحيث يمكن أن يقال عنه تلك المقولة الذائعة عن المتنبي (رجل ملأ الدنيا، وشغل الناس).

رحم الله الإمام المراغي، وأجزل مثوبته وألحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

---

(٦) العلمانيون: العلماني ما ليس كنسيًا ولا دينيًا، المعجم العربي لاروس ص ٨٤١، مكتبة لاروس بفرنسا، والعلماني عند القرنيين المسيحيين أي من يعنى بشئون الدنيا نسبة إلى العلم بمعنى العالم وهو خلاف الكهنوتي المعجم الوجيز ص ٤٣٢ طبعة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٨٠م.



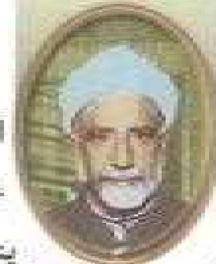
المراغي وقضايا المجتمع

للأستاذ الدكتور / محمد الشحات الجندى
عضو مجمع البحوث الإسلامية

تنوعت شخصية الإمام المراغي بتنوع المجالات الحياتية، في مناحيها المختلفة، وكان لهذه الشخصية الثرية عطاؤها المستنير، المستند إلى قيم الإسلام وإسهامه الحضاري، ولنلقي الضوء على بعض جهوده في هذا الشأن.

المراغى والإصلاح الاجتماعى

حمل الإمام المراغي هموم مجتمعه مع هموم أزهره، لاعتقاده بأن رسالة الإصلاح لن تبلغ مداها إلا بإصلاح أحوال أمته التي نبت من ترابها، وتربى في أحضانها وعاش في كنفها، وانطبع في أعماقه هويتها، وأيقظ ضميرها، وكانت رحلة حياته نضالاً وصراعًا ضد قوى الظلام، التي أخذت على عاتقها إطفاء كل مصباح يضيئ، فتصدى الشيخ



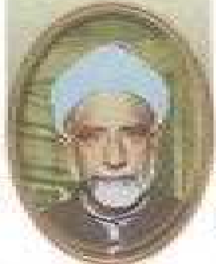
بذكائه، وبما أنعم عليه من علم وعمل ضد هذه القوى الشريرة، وصارعها بسيف الحق، فدان له الانتصار في أغلب معاركه.

البعد الاجتماعي في رسالته في الإصلاح

كان الشيخ محمد مصطفى المراغي رجلا من طراز فريد احتشدت فيه صفات متعددة، فكان الفكر الديني، والمصلح الاجتماعي، امتلك المقدرة على أن يطبع بصمته على الفكر الديني، والحياة العامة للناس، وكان كما يقول عنه الأستاذ محمد كرد علي: يستميل بحديثه قلوب سامعيه، وتؤثر في نفوسهم نبراته اللطيفة، وإن كانوا ممن لا يوافقونه على آرائه كلها، تأدب بأدب الدنيا وأدب الدين، وإذا عاشرته تتحقق أنه بلغ الغاية في التهذيب مضافًا إلى ما تحلت به نفسه من فضائل الإسلام، ولا تلبث إلا أن تقول: إن الشيخ يصلح لإمامة الدين، كما يصلح لإمامة الدنيا، أي أن يكون "شيخ الإسلام" يدعو إلى عقيدة وإيمان، وأن يكون "رئيس وزراء" يعاني من أحداث الزمان ما يعاني، ولا نكون مغالين إذا ادّعينا أنه قل في أمثاله من استجمعوا صفات العظمة الحقيقية، وله في باب الأريحية أشياء عرفت عنه تدل على صفاء روحه وفضل نجدته، كان يتصدق في السر، وهو ليس بغني، ويأخذ العهد على من يعطيه؛ أن يكتم ما وصل إليه منه.

هذه الطبائع الاجتماعية للمراغي، هي من صميم شخصية هذا الرجل، فلم يكن مثله يقنع بإلقاء دروس الوعظ التقليدية وكفى، وما كان بوسعه أن يقف عند حدود القاضي الذي يحبس نفسه على إصدار الأحكام، دون معايشة للواقع الاجتماعي للناس في كل مجالات الحياة ودون تواصل مع مشاكلهم، ولم يكن من ديدنه[1] أن يحيا لفئة من فئات المجتمع، حتى لو كان هو نفسه أحد أفرادها، ومهما بلغت أهمية دورها- وهي فئة الأزهريين- ولكن الرجل هو جماع الشخصية الإسلامية التي تحيي عصرها بأحكام دينها، وترسم إنسانية الإسلام في تصرفاتها وسلوكها، فهو إن شئت أن تنعته شخصية المصلح الديني الاجتماعي، ويتجلى ذلك في قوله: (اللهم أصلح حال المسلمين) بل يسعى بنفسه إلى هؤلاء الناس ليصلح ما استطاع من أمور دينهم ودنياهم.

(١) ديدنه: الدأب والعادة المعجم العربي الحديث (لاروس) ص٥٤٨ مكتبة لاروس - باريس.



دعوته إلى الوحدة والتماسك الاجتماعي

كان الشيخ على دراية بأحوال العصر، والظروف الاجتماعية والسياسية السائدة من حوله، وفطن إلى جمع الناس حول أيدولوجية الإسلام، ومشروعه الحضاري؛ لأنه الهوية التي لا خلاف عليها؛ ولأنها الرباط الذي يجمع ولا يفرق؛ لذلك ركز في دعوته الإصلاحية إلى وصل الدين بالمجتمع، وتعانق كل منهما مع الآخر والالتفاف حول رؤيته في الاجتماع والتعايش، القائم على التعاون والتفاهم ونبذ الانقسام والتشرذم، وهو القائل في هذا الموضع: إضعاف سلطات الدين على النفوس، والتفريق بين قواعد الدين، وانتزاع سلطانه على الحياة يضعف نفس المسلم، ويبعده عن دينه، ويضعف خلقه، ويجعله أهلا للذلة والاستكانة، والمسلم محكوم له بالعزة من الله:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

أولئك الذين يحاولون إبعاد الدين عن الحياة الاجتماعية، ويحاولون إخفاء شعائره ومظاهره، هم في الواقع أعداء الإسلام.

والمراغي واع بآفة المسلمين التي جعلتهم شيعًا وأحزابًا، ومكنت منهم أعداءهم، وجعلت بأسهم بينهم شديدًا، ذلك هو داء الفرقة والانقسام والتشرذم؛ لذلك فإنه كان يُذكّر بالنداء القرآني الذي يدعو إلى الاعتصام بحبل الإسلام، والتخندق حول تعاليمه، لتلافي ما عانت منه الأمة الإسلامية على مدار السنوات الطوال، فيقول: "غضوا الطرف عن الفروق الطائفية والمذهبية، ولا تجعلوا تلك الفروق سببًا في الفرقة، وسلاحًا بيد عدوكم، يخرب به بيوتكم"[2].

وهو بهذه الدعوة تمثل للنصوص القرآنية التي تنهى عن الفرقة وتمزق الصف الإسلامي في مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٤٦)

ولاشك أن من يعاين الواقع الإسلامي، يدرك حيوية دعوة المراغي حيث عاش في عصر تفشت فيه القطرية الضيقة والعصبية الجنسية البغيضة المتفشية في

(٢) صحيفة البلاغ في ١٢ فبراير ١٩٣٨م.

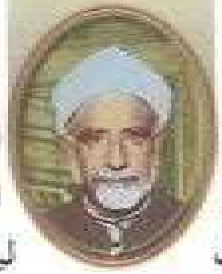


العالم العربي والإسلامي، وضعف التلاحم والتماسك بين المسلمين، الذي صار في حده الأدنى، وطفت على السطح النعرات القومية والنزعات العنصرية، وأصبح لها الغلبة في العلاقات بين المسلمين وكان من الطبيعي أن تقع الأقطار الإسلامية فريسة للمستعمرين الأوروبيين فقطعوا أوصال العالم الإسلامي، وغزوا فيه النعرات العرقية، والولاءات للأجناس لا للدين إلى الحد الذي غلب فيه المسلمون على أمرهم، وقدموا زهرة شبابهم وقودًا لصالح الحلفاء في صراعهم ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية، وهو ما حدا بالمراغي أن يستغيث بالكف عن إزهاق أرواح الشبيبة المسلمين والمسيحيين في حرب لا ناقة فيها للأمة ولا جمل.

مناشدة المراغي للعلماء بالتلاحم الاجتماعي

إن الراصد لأحوال علماء الأزهر في عصر المراغي، يدرك ما كانوا عليه من العزلة، والارتماء في أحضان التقليد، وعزوفهم عن المشاركة في الحياة العامة على كثرة ما فيها من أمور تنافي الشريعة الإسلامية، ومن مفاهيم مغلوطة عن التنظيم الإسلامي للعلائق الاجتماعية الإسلامية؛ لذلك أخذ المراغي على عاتقه- من جملة رسالته الإصلاحية - تنبيه علماء الأزهر بواجبهم في الحياة، وضرورة انغماسهم واهتمامهم بأحوال العامة، ووجوب انشغالهم بهموم الناس، وتقديم الحلول لها بدلاً من تشرنقهم داخل المهمة التقليدية، بسرد التعاليم الإسلامية مجردة من مضمونها، ومغيبة عن الواقع العام للمسلمين، وقد أحسن الشيخ صنعًا بهذا المسلك، الذي شخص فيه الداء، ووصف فيه الدواء، فهو يقول: ولكن العلماء في القرن الأخير، استكانوا إلى الراحة، وظنوا أنه لا مطمع لهم في الاجتهاد، فأقفلوا أبوابه، ورضوا بالتقليد، وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم، وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة، فجهلهم الناس، وجهلوا طرق التفكير الحديثة، وطرق البحث، وجهلوا ما جد في الحياة من علم، وما جد فيها من مذاهب وآراء، فأعرض الناس عنهم، وتقمصوا هم على الناس، فلم يؤدوا الواجب الديني الذي نذروا أنفسهم له، وأصبح الإسلام بلا حملة، وبلا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين.

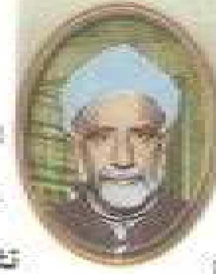
كان الاجتهاد، والالتحام بالواقع، وتوجيه الاجتهاد إلى مصلحة المسلمين وانتشالهم من تخلفهم، والتنبيه على التفكير الحر السديد، وهو في ذلك



حافظ لوصية إمامه محمد عبده الذي وجهه إلى العلم الصحيح في الإسلام بقوله: العلم هو ما ينفعك وينفع الناس، ثم سؤاله للمراغي: هل انتفع الناس بعلمك؟ قال له: لا، قال: إذن أنت لست بعالم، اذهب فانفع الناس بعلمك لتكون عالمًا تلك هي أعظم رسالة للعلم، ومن خير الثمار التي يجتنيها العالم والناس من العلم، لقد تلقف المراغي هذا التوجيه السديد، ونذر حياته لنفع الناس كل الناس وقضى أيامه في ترسم خطى الإصلاح: إصلاح الفكر، وإصلاح التعليم، وإصلاح القضاء، وتجديد الدنيا بالدين فهي سلسلة من الإصلاح الشامل للدين والدنيا وفي كلمة: فقد أراد الشيخ أن تجرى حياة المسلمين في رحاب الدين، يقول عنه الباقوري في تأبينه: لئن استطاع الموت، أن يحجبه وراء سبعة أعوام، فإنه لم يستطع أن يطوى ذكراه عن القلوب، التي تربطها به صلة من النسب، أو صلة من العلم، أو صلة من ذوق أدبي رفيع، أو صلة من مذهب في الإصلاح، أو صلة من العناية بشئون الوطن وقضاياه العامة، وإن الناس هؤلاء وغيرهم ليذكرون الشيخ المراغي كلما جرت أمور الدنيا والدين في هذا البلد رخاء، وكلما انتكست في سيرها فتولدت عنها الزوابع والأعاصير، وإنهم ليذكرونه كلما أهاج سوء التصرف نفوس الشعب، فاهتاجت أشد ما يكون الشعب حاجة إلى الهدوء والاطمئنان، وإنهم ليذكرونه كلما استقام الحكم في البلاد، فرضي الساخط وأمل اليائس، وكلما التوى الحكم بأهله، والتوى أهله به، فسخط الراضي، ويئس الآمل، وهم كل مواطن أن يعيش في نفسه أمة وحده، لا يعنيه مما يجرى حوله شيء إلا بمقدار ما فيه من نفع ذاتي أو مضرة ذاتية، وإنهم ليذكرونه كلما أريد أمر ذو بال بواقع دين الأمة، فلقد كان الشيخ -رحمه الله- يعيش مع كل أمر ذي بال في تلك الدنيا، وكان الناس من حوله فيها أحد رجلين: محكوم يرجو به أمنًا من خوف، وعدلاً من ظلم، وعافية من بلاء، وحاكم يخشى منه غضبة حق، تزلزل من تحته أرض السلطات التي يقف عليها، وتنقض في يده حبل الثقة الذي يتمسك به.

مواقف المراغي في الإصلاح الاجتماعي

جسد المراغي في مواقفه وسلوكياته شخصية اجتماعية نشطة في شئون الناس الدينية والاجتماعية بمفهومها الشامل شمول الحياة، ولقد ألزم نفسه وقدم أعماله على هذا النمط من التنظير



والتطبيق، وتبرهن مقولته صدق نهج المراغي في الحياة بقوله: «قدموا ما يفيد الناس، وأنا آتيكم بسند له في الشريعة الإسلامية».

لقد انعكس هذا النهج في تعامله مع الأمور الحياتية في الأزهر والشئون العامة للناس، وربما لا يستشعر قيمة هذا النهج للمراغي الآن، لكن المتابع لتعاملات المراغي ومواقفه إزاء القضايا في الأزهر وخارجه يدرك مدى المعاناة، وقوة الأثر التي يحدثها من روض نفسه على إصلاح الواقع الاجتماعي القائم آنذاك، ويتضح له عمق التخلف الذي كان ينظر به بعض شيوخ الأزهر إلى مسلك المراغي، عندما همس شيخ إلى زميل له فقال: «والله لقد سمعت ممن أثق بخبره والعهدة عليه- ثم انقطع عن الحديث وتلفت يمينًا وشمالاً ليستوثق من أن أحدًا في الخارج لا يسمعه، وواصل حديثه بصوت خفيض- سمعت أن الشيخ المراغي يمشط شعره، فصرخ زميله: يا شيخ قل كلامًا غير هذا، فأقسم الشيخ أنه لا يحرف فيما سمع، وإن كان لا يقطع بصحته».

في وسط هذه البيئة يتجلى الأثر الاجتماعي لمواقف المراغي، وجهوده في تغيير المفاهيم المنغلقة، والآفاق الضيقة، حتى فيما تأكد نفعه، وصار من متطلبات التقدم، وترقية الحياة، أو كان من المسلمات التي لا تحتاج إلى قول أو تثير التعليق عندما أدخل المراغي علم الطبيعة ضمن مناهج العلوم الأزهرية، ثار الأزهريون على هذه التسمية؛ لأن فيها إلحادًا فاضطر الرجل إلى تغيير الاسم وأطلق عليها مسمى: علم الخصائص التي أودعها الله -سبحانه وتعالى- في الأشياء.

وزاد الطين بلة- كما يقول الدكتور/ سيد أبو النجا-: أن الإمام المراغي قد استهل عمله بإدخال الكهرباء في الأزهر، وحرم النوم والطبخ فيه، وفصل الأروقة عن المسجد، فسد أبوابها من الداخل، وفتحها من الشارع، ولم يكفه ذلك فأدخل النظام في الأزهر تمييزًا له عن القسم العام، فأنشأ فصولاً وضع فيها مقاعد خشبية للتلاميذ، وطلب من الشيوخ أن يجلسوا على مرتفعات أمام المناضد، فكان الكثيرون منهم يفضلون أن يخلعوا نعالهم، ويتربعوا فوقها.

وكانت التقاليد تقضي بأن تكون أول حصة في الصباح للفقه، فوضع المراغي جدولاً للحصص يجعل الفقه في بعض الأيام متأخرًا عن الحساب.

جهود المراغي في مكافحة التبشير والبدع والخرافات

لقد أوجد الاستعمار البيئة المواتية للغزو الثقافي، ونهض المراغي لمقاومة التبشير.

ومن مواقفه المشهودة: معارضته لحملات التبشير التي غزت العالم الإسلامي وتسللت إلى السودان، واتخذت أساليب مضللة، ووسائل خادعة للتوصل إلى أغراضها، فتارة تلبس مسوح العلم كما في الجامعة الأمريكية والجمعيات الدينية الاجتماعية، وتارة في صورة تقديم معونات، وهبات مالية، وتارة ثالثة في شكل منتديات فكرية وحوارات علمية.

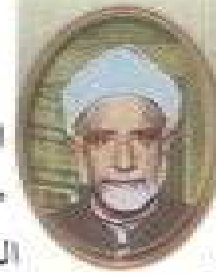
وفي مجابهته لهذه الحملات التبشيرية، أنشأ المراغي سنة ١٩٢٣م لجنة لجمع التبرعات لمقاومة حملات التبشير، وجمع من أجل ذلك حوالي سبعمائة من الجنيهات (محضر الجلسات السرية بين المراغي وأغا خان، الجلسة الأولى).

ولم تقف جهود المراغي عند حد جمع التبرعات لمقاومة الأنشطة التبشيرية. بل واصل صده لكل الحركات التبشيرية، والتحذير من خطورة أثرها، وجرائمها في العالم الإسلامي، وأعلن في غير مرة شجبه لها، ومن ذلك أنه عندما علم بنشاط المبشرين في السودان، احتج على هذا العمل الخبيث، وأرسل إلى حكومة السودان، يخبرها بموقف الأزهر ضد هذه الأنشطة، طالبًا من هذه الحكومة التدخل لإيقاف هذا النشاط، ليعيش المسلمون آمنين على دينهم وأموالهم وأولادهم وأعراضهم، وأرسل رسالة أخرى إلى الحاكم العام في السودان يحتج فيها على هذه الأعمال.

وقد حمل هذا الموقف المناهض من جانب المراغي للنشاط التبشيري في السودان أن قام رئيس الوزراء بإرسال برقية إلى الحاكم العام في السودان، يبلغه احتجاج مصر وعلمائها على هذا العمل، فرد الحاكم العام (سايمس) بشرح الموقف، وطمأن مصر وعلماءها والإمام الأكبر على المسلمين في السودان[٣].

من مواقفه كذلك متابعته لقضايا المسلمين، والحرص على مساعدتهم والتضامن معهم بقوة الأزهر العلمية ونفوذه في العالم الإسلامي، ولم يمنعه من

(٣) مجلة الأزهر- المجلد السابع، ص ٦٥٦.



القيام بهذه الرسالة تنائى بعض الأقاليم الإسلامية، وتواضع الإمكانيات المادية للأزهر، فقد بعث لجنة أزهرية لتقصى الحقائق والوقوف على مشكلات المسلمين فى الهند، وقد كان لجهود هذه اللجنة أثر إيجابى، فقد نجحت فى مهمتها الأمر الذى جعل مسلمى الهند يعجبون بحكمة المراغى، ويهدون إليه وساما، لا يهدى إلا لكبار الشخصيات الإسلامية فى العالم، وقد كتب على هذا الوسام قوله تعالى:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾

(الحج: ٤)

كما أذاعت جمعية (إسلام سينا سماح) الأعمال التى قام بها المراغى لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية[٤].

مناهضة المراغى للجهل والتخلف

ومن مواقفه فى الإصلاح الدينى الاجتماعى، محاربته للجهل والتخلف، والفهم المغلوط، والتدين المعادى للحياة، ومسيرة المجتمع.

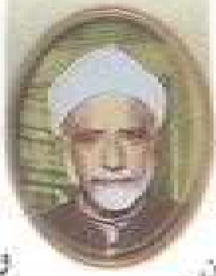
ولقد كانت مجمل مواقفه الإصلاحية حربًا على تغلغل البدع والخرافات فى حياة العامة من المسلمين والخاصة من العلماء، وقد أدرك بخبرته أن صحيح العلم، وشجاعة العلماء هو الكفيل بالقضاء على هذه البدع والخرافات، وتوعية الناس بالإسلام من منابعه الصافية؛ لذلك وجه حديثه إلى العلماء بقوله: يجب أن يعنى الأزهر بتطهير الدين الإسلامى من البدع، وما أضيف إليه بسبب الجهل بأسراره ومقاصده.

ثم يقول: جردوا دينكم من كل ما غشيه، وخذوه من الينابيع الصحيحة، وخذوه من الكتاب والسنة، وآراء السلف الصالح من الأئمة، واتركوا بعد ذلك ما جد وما عرض، فإذا فعلتم ذلك اهتديتم، واهتدى الناس بكم، وحققتم أمل أمتكم، وأمل الناس فيكم[٥].

وقد وقف المراغى سدًا منيعًا ضد سيل الاتهامات الظالمة ضد الإسلام، الذى يوصم بالتخلف والرجعية؛ بسبب ما انطوى عليه سلوك وفكر بعض المسلمين من أغاليط وأساطير وممارسات خاطئة. وهو ما برز جليًا على الساحة الإسلامية من السلوك الظالم لبعض الجماعات المسلمة من ترويع للآمنين فى بلاد المسلمين وصار مسلكهم المتخفى تحت

(٤) مجلة الأزهر- المجلد الثامن، ص ٢٨١

(٥) مجلة الأزهر، المجلد العاشر، ص ٢٤١

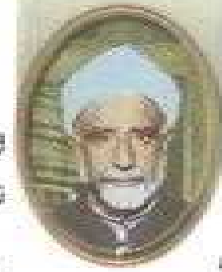


ستار الدين حربًا على الدين وأهله.

ولقد أسفرت هذه التصرفات البعيدة عن الدين عن سلسلة من الحملات المكثفة لترهيب العالم من الثقة فى الإسلام، ونفى دوره فى خدمة الحضارة والمدنية الإنسانية، وشن حرب على الإسلام السافك للدماء، المنتقص من حقوق المرأة المعادى للعلم، الذى لا يعرف إلا لغة القوة والعدوان. الإسلام الواقف ضد الحضارة، الغارق حتى آذانه فى الجنس، الرافض للتطور إلى غير ذلك من النعوت التى يطلقها الغرب ضد الإسلام، والإسلام منها براء، وسببه الحقد على الإسلام، وجهل المسلمين، ووقوعهم فريسة للبدع والخرافات والأباطيل والترهات[٦] التى تجدها فى أحيان غير قليلة تجافى الإسلام، وبينها وبينه بونًا شاسعًا إلى الحد الذى يجعل نمط حياتهم بفكرهم الضيق، ومسلكهم المعيب وتدينهم الزائف يسدون أكبر خدمة لأعداء الإسلام ويهدمون قيم الإسلام وحضارته وتعاليمه باسم فهمهم السقيم للإسلام، وحبذا لو كشف الإمام المراغى جهوده المستنيرة فى هذا المجال الحيوى الهام، وأسهم بمزيد من فكره ومواقفه لنفض الغبار عن الإسلام، وتصحيح مفاهيم المسلمين، وتوجيههم إلى صحيح السلوك، وتعبيرهم عن الجانب الحضارى للإسلام، بالنظر إلى أن مسالك المسلمين وتصرفاتهم يُعد عبئًا على الإسلام فى هذا المجال، ويشكل دعاية سيئة له.

ومع هذا المنحى للمراغى فى الجانب الاجتماعى، والحاجة إلى المزيد فيه، فإن هذا القول لا ينبغى أن يغمط الشيخ حقه، فإن مما لا شك فيه، أن هذا الجهد رغم وقوفه عند هذا الحد هو جهد طيب، كما شهد بذلك الزيات فى شهادته بقوله: (الحق أن المراغى كان «عالم جيله») إذا أردنا من العالم الدينى أن يكون عليمًا بأحوال العصر خبيرًا بسير الزمن، بصيرًا بطبائع الناس، يوفق بين الدين والعلم فى قصد، ويجمع بين الشريعة والمدنية فى حكمة، وقد هيأه لهذه المزايا بعد الاستعداد الطبيعى فيه عوامل اجتماعية، أهمها اتصاله المباشر بالموظفين الإنجليز فى السودان، أيام كان قاضى القضاة فيه، والموظفون الإنجليز فى مصر والسودان،

(٦) الترهات: الطرق الصغار غير الجادة تتشعب عنها الواحدة (تُرَّهَة) فارسى معرب ثم استعير فى الباطل مختار الصحاح- ص٧٢- المطبعة الأميرية ١٩٢٢م.



كانوا الصورة الحقيقة للمدنية الغربية في سمو الخلق، وحسن النظام وحرية الفكر وسداد المنهج، كما كانوا في الإدارة والسياسة الكمال الذي يظهر لك النقص واضحًا في شتى النواحي الاجتماعية المصرية، فكان الطبيعي أن يطمح المراغي إلى الكمال من طريق الإصلاح الديني والاجتماعي بحكم منصبه، كما فعل الإمام محمد عبده حين اتصل بالفرنسيين في المنفى وبالإنجليز بعد الاحتلال[7].

موقف المراغي من المرأة

عبر الشيخ المراغي عن الموقف الإسلامي من قضية المرأة، وكان مجمل موقفه في هذا الجانب الهام من الحياة الاجتماعية المصرية موقفًا وسطًا بين الإفراط والتفريط، فهو لم يشايع الموقف التقليدي لعلماء الدين في إنكارهم على المرأة دورها في الحياة الاجتماعية، ولم يكن من الجامدين الغافلين عن إنصاف الإسلام للمرأة، والانتصار لكرامتها في مجتمع المؤمنين، كما أنه لم يركب الموجة الجديدة التي طفت على السطح، والتي دعت إلى إطلاق الحرية للمرأة، وانخلاعها عن ممارسة الحقوق في نطاق الضوابط الشريعة.

وإنما دعا المرأة إلى خطة الاعتدال في الحياة بالحصول على حقوقها في حدود الشريعة، وتحت مظلتها الواقية لها من الجموح والشطط.

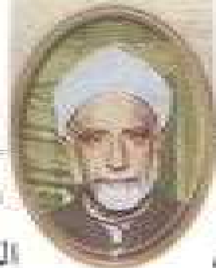
والمراغي بهذا المسلك يؤيد حقوق المرأة القائمة على منهج الشريعة الإسلامية، ويلخص نظرته هذه بقوله: (مهما تكن المرأة تسعى في حدود حقوقها، وفي حدود تعاليم الإسلام، فأنا لست ضد هذا)[8].

ومن مواقفه المشهودة، وقوفه إلى جانب تحرير المرأة من القيود التي تحول دون حصولها على حقوقها الشخصية والأسرية، ويتجلى ذلك في معالجته لقضية الفتيات اللاتي فقدن أزواجهن، وهي مشكلة أرقت العديد من الفتيات.

ويقول الشيخ عبد الجليل عيسى عنه: إنه قد عالج كابوسًا كان جاثمًا على طائفة من فتيات مصر، إن لم يكن مثل حرمان الخفيد، فهو أثقل منه وأشد، ذلك هو الحكم الذي كان جاريًا في المحاكم الشرعية منذ دخل الأتراك مصر، وهو الحكم الذي

(7) مجلة الرسالة العدد ٦٣٤، ٢٧ أغسطس ١٩٤٥م.

(8) مجلة روز اليوسف في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م.



ينص على: أنه إذا أصاب البلاد وباء شديد أو دهمها عدو بحرب، وبعد انتهاء الوباء أو الحرب، ويتبين أن بعض الأزواج مفقودون، ولم يعودوا لزوجاتهم، وقد يكون الزوجات لازلن شابات، بل كانوا كلهم كذلك في الحرب العالمية الأولى، حيث جند الإنجليز من شباب المصريين نحو مليون شاب، واستصحبوهم مع جيوشهم في آسيا والأناضول وأوروبا، وبعد انتهاء الحرب لم يعد منهم إلا القليل.

وهنا برزت حالة شاذة وقاسية على زوجات هؤلاء المفقودين، ولجأ أغلبهن إلى القضاء يطلبن مخرجًا مما هن فيه، حفظًا لأنفسهن من الجوع، ولعفافهن من الضياع، وكلهن في سن العشرين أو نحو هذه السن، فكن لا يسمعن من القاضي إلا ما هو مدون أمامه في صورة قانون، وهو أن زوجة المفقود تنتظر بلا زواج حتى تصل سن زوجها إلى الستين، وهي السن التي يمكن أن يموت فيها أمثاله، فيخرجن من المحكمة يصرخن: يا رباه، ماذا نعمل الآن- ونحن في العشرين- حتى تصل أعمارنا نحن -أيضًا- إلى الستين؟

فأغاثهن الله بالمراغي الموفق- من الله- فجعل مدة الانتظار بعد انتهاء الوباء أو الحرب عامًا واحدًا، وليس وصول الزوج إلى الستين كما حرص عليه القانون في مصر لمئات السنين، فإذا انقضى العام، ولم يرجع الزوج يحكم القاضي بالطلاق ويرزقها الله تعالى بزوج غيره، فتأمن من الجوع والتشرد وضياع العفاف.

وينهي الشيخ عبد الجليل عيسى حديثه بقوله:

وقد سمعت كثيرًا من المثقفين الآن يندهشون عندما يسمعون ما كان عليه القانون عندنا، ويقولون: كيف تتحمل أمة مثل الأمة المصرية، هذا القانون الجائر، ويقول بعضهم: إن لهذا القانون الجائر أسرارًا تخفى على المعاصرين، وقاتل الله تسلط الجاهل الجبار، وخوف الذليل الخوار).

ويقول الأستاذ رجاء النقاش: (والذي لم يفصح عنه الشيخ عبد الجليل عيسى لشدة تهذيبه وعفته من أسرار هذا القانون الجائر، أن هذا القانون كان يتيح للمتسلطين على البلاد من الترك والجركس وأعوانهم، أن يخوضوا في أعراض نسائنا، تحت ستار أنهن ينتظرن أزواجهن المفقودين، ولا حق لهن في الزواج قبل أن يبلغ المفقود سن الستين).

وقد مثل هذا الاجتهاد كسابقه علامة مضيئة على طريق هذا النمط من الاجتهاد



التشريعي، الذى استنقذ به المراغى أحوال هؤلاء الفتيات، نتيجة فقد العائل والسند، وصيرورتهن تعيسات بائسات من غير رعاية اجتماعية لاكتساب معيشتهن، وصيانة لأعراضهن، وشرفهن من الدنس والفجور.

رأى المراغى فى عمل المرأة

على الرغم من أن الدعوة إلى تمتع المرأة بحق العمل والاكتساب كانت ضرباً من الأمانى حيث كانت لا تسعفها التقاليد الاجتماعية لوضع المرأة فى ذلك الوقت، وكان البحث عن دور للمرأة فى الحياة الاجتماعية فى مصر، يشكل ضرباً من الأمانى، والأحلام، فإن المراغى لم يتردد عن المجاهرة برأيه فى إعطاء المرأة حقوقها فى العمل والاكتساب، وكأنه بذلك يتمثل قوله تعالى:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾

(النساء: ٣٢)

وقوله جل شأنه:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

(آل عمران: ١٩٥)

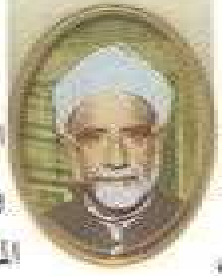
ولأن الشيخ يفقه نصوص الشريعة فإنه قد أعلن بوضوح، «أن الإسلام أعطى للمرأة حقوقها، ولم يمنعها إلا من وظيفتين اثنتين: وظيفة قاضى الجنايات، ووظيفة الخلافة.. إلى قوله: «ولا محل على الإطلاق لشكوى المرأة من ضآلة الحقوق التى منحها الإسلام إياها»(٦).

السعى إلى حل مشاكل المرأة

لم يصم الشيخ المراغى آذانه عن الدعوات الإصلاحية لتحرير المرأة، ولم ينكر على الحركة النسائية النشطة آنذاك حقها فى التحدث عن حقوق المرأة، ومطالبتها للدولة والأزهر بالعمل على إعطاء المرأة هذه الحقوق فى نطاق الدين والشريعة، ومع مراعاة التطورات التى طرأت على العصر.

لقد نادت الحركة النسائية بمنع تعدد الزوجات، وتقييد الطلاق فى أضيق نطاق فلم يتجاهل المراغى نداء الحركة، ولم يهاجمها، وإنما وقف موقفاً حضارياً، فما كان من الشيخ إلا أن دعا المتزعمات لهذه الدعوات إلى الحوار والتناقش حول هذه القضايا.

(٦) محضر الجلسة السرية الرابعة من جلسات المراغى والقاياتى، بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٩٣٨م.



على هذا النمط المدرك لأبعاد المشكلات والهموم الاجتماعية للمرأة المصرية، مضى الرجل فى طريقته الإصلاحية بمعالجة الأمور على أساس من التفاهم والتفهم لمعطيات العصر، مدركاً معاناة المرأة من جراء وجود بعض القوانين والمواد التى بحاجة إلى تغيير وإصلاح لمواكبة ما جد من تطورات، ولتلافى أوجه القصور والانحباس فى نطاق المذهب الواحد والرأى الواحد، وقد أشرنا من قبل عند الكلام عن الإصلاح القضائى، وجهود المراغى ودوره الحاسم فى الاستعانة بالمذاهب الفقهية جمعاء، وعدم الاقتصار على المذهب الحنفى وحده، وإلى وجوه الإصلاح المتعددة التى أدخلها على أنواع من الطلاق فى القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٩م، كذلك قانون الوصية الواجبة.

ولقد كان لهذه المواقف البناءة من جانب الإمام المراغى، أن وجدت تقديراً من التنظيمات النسائية، وهذا ما عبرت عنه بعض زعيمات هذه التنظيمات بقولها: «إنما أريد أن أسجل موقفك النبيل من المرأة المصرية، ومن الإصلاح الاجتماعى والنسوى.. فقد كان بين الأزهر والمرأة المصرية نزاع وخصومة استمرا عدة سنوات، بسبب الحركة النسوية التى كنت أقودها، والمطالب التى كنت أنادى بها، هذه المطالب التى عدها رجال الدين- فى ذلك الوقت- متطرفة، فحملوا علىّ من أجلها حملة شعواء، ثم جئت أنت أيها الأستاذ الأكبر فاضطلعت بشئون الأزهر، ثم فتحت أبوابه على مصراعيها أمام المرأة المصرية مرحباً بها مشجعاً لها، عاطفاً على أمانيها، فكان هذا صلحاً بين الأزهر والمرأة. أعقبه تحالف كان لك أيها الأستاذ الأكبر الفضل الأول والأخير فى وضعه وتوطيد دعائمه، وكان ذلك فى ديسمبر ١٩٣٩م. وإلى جانب هذا فإن الشيخ المراغى أباح للمرأة أن تتعلم، وأن تكتسب العلوم والمعارف العصرية، فإن التعليم تاج على رأس المرأة المصرية، يرفع من قدرها، ويعلى من كرامتها، ويرتقى بتربية وتنشئة أولادها. على أن الشيخ المراغى فى مشروعه الإصلاحى للتعليم الأزهرى على جرأته وعميق فكرته، لم يتضمن برنامجاً لتعليم المرأة، ولم يناد بوجوب تعليمها وتثقيفها، وقد كان حرياً به أن يوليها هذا الاهتمام، ويجعل أمر تعليمها واجباً، وهو الشيخ المستنير العالم الذى يدرك أهمية التعليم للمرأة، وخطورة ما يحاك بالمرأة المسلمة من مؤامرات ودسائس، بغرض تشكيكها فى



موقف دينها من وجودها وقضيتها فتنصرف عنه إلى الدعاوى الزائفة التى تكيد بأساليب خادعة، وخطاب مداهن يدغدغ مشاعرها ليوقع بها فى حبائل الشيطان، ومهاوى الرذيلة والتعليم يمدها بالوعى الذى يمكنها أن تتسلح به ضد هذه الوسائل الماكرة.

المراغى نصير للوحدة الوطنية

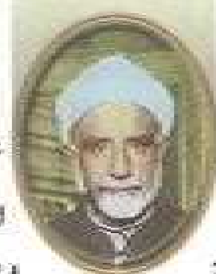
إن المتابع لفكر المراغى ورؤيته فى الدين والحياة، سينتهى إلى أن المراغى كان بلا شك من أنصار الوحدة الوطنية، وممن ارتبط بعلاقة ودية مع الأقباط والكنيسة وهذه هى شهادة مستر دوجلاس رئيس مجلس الكنيسة فى انجلترا، أدلى بها بمناسبة تعزية مجلس الكنيسة الإنجليزية فى وفاة الشيخ المراغى، حيث قال:

إن فقده- يقصد المراغى- يُعد خسارة فادحة يشعر بها على الأخص هؤلاء الذين كان لهم حظ الاتصال به، والوقوف على ما كانت تنطوى عليه نفسه من المبادئ النبيلة، مبادئ الأخوة والحرية والعدالة البشرية، التى هى روح الإسلام، هذا إلى جانب تسامحه ومساعيه للوفاق مع المسيحيين.

ثم اختتم المستر دوجلاس شهادته بقوله: وإنى لأجترئ فى غيبة رئيس أساقفة كانتربرى على تقديم تعزيتى بصفة رسمية وقلبية إلى العالم بأسره وإلى الجامعة الأزهرية مركز الثقافة الإسلامية العظيمة، خاصة وأرجو أن يظل العمل الذى قام به الفقيد متواصلاً يؤتى ثمره(١٠).

وبجانب ذلك يذكر الأستاذ لمعى المطيعى موقف الشيخ المراغى من ثورة ١٩١٩م، وكيف قام بمؤازرتها عندما كان قاضيًا بالسودان، ونداءه إلى المصريين بالسودان التبرع المالى لإنقاذ منكوبى الثورة، وقد أدت هذه الخطوة إلى استياء الحاكم العام الإنجليزى، حيث اعتبر ذلك موقفًا مناهضًا للإنجليز، ويذكر الأستاذ لمعى المطيعى أن مبلغ التبرع وصل إلى ستة آلاف جنيه، سلمه المراغى للأستاذ محمد العشماوى- الوزير محمد العشماوى باشا فيما بعد- والذى كان قاضيًا مدنيًا بالخرطوم، ليقدمه بدوره إلى الجمعيات الخيرية الإسلامية والقبطية فى مصر، تتصرف فيه

(١٠) الأهرام فى ٧ أكتوبر ١٩٤٥م.



بمعرفتها، حدث ذلك فى شهر يونيه ١٩١٩م.

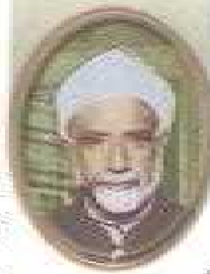
ويفند الأستاذ رجاء النقاش تهمة عداء الشيخ المراغى للأقباط بقوله "ثم تأتى الأدلة القاطعة على أن المراغى بعظمته الفكرية والدينية، لم يكن يحمل للأقباط كرهًا فى أقواله أو أفعاله أو عقيدته.

ويذكر من بين هذه الأدلة القاطعة أن المراغى وطنى ينادى باستقلال بلاده ونهضتها، والوطنيون فى مصر يعلمون أن نهضة البلاد لا تتم إلا بالأخوة الوطنية المتكاملة بين الأقباط والمسلمين. ومن ناحية أخرى، فإن وقائع التاريخ المصرى الحديث، تثبت بالدليل القاطع أن الشيخ المراغى كان صديقًا للأنبا "كيرلس" بطريرك الأقباط، وكان صديقًا بعد ذلك للأنبا "يؤنس" والاثنان من كبار الزعماء المعاصرين لأقباط مصر.

فدعوى التعصب وتمزيق وحدة الأمة، بما لا طائل من ورائه، لا يلجأ إليه إلا شخص جامد الفكر، لا يحسن فهم الإسلام، ضيق الأفق متحجر العقل وهى سمات تتناقض مع شخصية الشيخ المراغى وفهمه المستنير للإسلام فإن عقلية الشيخ المراغى برحابتها وعمقها، تبرز بجلاء، وتنبسط فى وضوح بشأن رؤيته العريضة للتعايش الإنسانى فى وئام وسلام، فى إطار من تعدد الأديان والأوطان والأجناس واللغات والشرائع، والمثل الساطع على ذلك رسالته فى الإخاء الإنسانى نقتطف منها قوله: «اليوم وقد نشأ شعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة فى البشرية كلها بمأمن من الغوائل، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية، لا تستقل بها أمة، بل تحتاج إلى مشاركة عامة، وأخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنسانى كله، ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية، بل هى حاجة طبيعية تولدت فى النوع البشرى منذ دور الطفولة، ومنذ إدراك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعد على قطع مفاوز(١١) الحياة بأمان، ويعود عليه بالخير".

ويقول: «والتدين حين يعالج هذه المشكلة، يجب أن يذكر أن الأديان كلها قد اعتمدت فى الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين، ودفعته إلى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة

(١١) مفاوز- وهى (المفازة) أيضا والجمع (المفاوز) سميت بذلك: لأنها مهلكة وبقوله تعالى: (بمفازة من العذاب) أى بمنجاة منه مختار الصحاح- ص٥١٤، المطبعة الأميرية ١٩٢٢م.



تسودها قوة مديرة حكيمة عادلة ترقب النيات، وتحكم الضمائر».

ثم يقول: وقد عنى الإسلام بفكرة الأخوة الإنسانية. فقد نبه القرآن الكريم إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعاون والتعارف والتناصر، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل، ولم يقم وزناً لشرف المولد وكرم الجنس، ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل هو تقوى الله. وفي القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

طلب القرآن الكريم إلى المسلمين، إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا في حالة العدوان، وفي القرآن الكريم:

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨- ٩)

وقد عمل الرسول الأكرم محمد- صلوات الله عليه- وخلفاؤه من بعده، على وفق هذه المبادئ السامية، حتى أبيح الإصهار إلى أهل الكتاب، مع ترك الحرية للزوجة، وعدم منعها من شعائر دينها. هذا هو الفهم السليم للإسلام من واقع رسالته الاجتماعية والإنسانية، ورؤيته الحياتية، التي تخول العيش والكرامة وحق الاختلاف ونمط [١٢] التعددية والتنوع بين البشر على المستوى الداخلي وعلى المستوى الخارجي في إطار من العدالة، ومنع التظالم والاقتتال والعدوان وما كان للمراغي وهو يقف على رأس أكبر صرح إسلامي وهو الأزهر، أن يحيد [١٣] عن هذه المبادئ أو يتنكر لها، خاصة بين بني جلدته وأهل وطنه.

***

(١٢) نمط- النَّمَط بفتحتين الجماعة من الناس أمرهم واحد. مختار الصحاح- ص-٦٨١- الطبعة الأميرية ١٩٢٢م.

(١٣) يحيد- حاد عنه يحيد (حَيْدَةً)، حُيُوداً، حَيْدُودة- أي مال عنه وعدل مختار الصحاح ص١٦٩- نفس الطبعة.

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير: عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير: أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٢٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - يونية/ يولية ٢٠٠٧م - الجزء السادس - السنة الثمانون

افتتاحية العدد

من آلام المجتمع المصرى

مُبكِيَاتُ الأَفْرَاحِ

تكلمتُ فى مقال سابق عن مضحكات المآتم، فعرضتُ بعضَ ما يُرهق المجتمع المصرى من التقاليد الجائرة التى يضيق بها الناس، ثم يخضعون للعُرف الشائع فلا يملكون عنها حولا، وإذا كانت المآتمُ ذات مضحكات، فالأفراحُ لدينا ذاتُ مبكيات، لأنها أبهظت الناس بما ينوءون به من أثقال، فُرضت عليهم فرضا، وهم أيضا لا يستطيعون عنها حولا، لأن مجاراة العُرف الطارىء أصبحت قانونا لازماً، ومَن يخالفه يقعْ فى عذاب نفسى، دونه عذاب القانون القضائى، وألسنةُ الناس فى مثل هذه المناسبات أقوى من السياط.

وأطرف القارئ بواقعة مشهورة فى بعض الإدارات الحكومية لها مدلولها الصريح، حيث ضَمَّتْ هذه الإدارة فيمن ضمَّتْ من الموظفين والموظفات أربعاً يَحملْن الدرجة الجامعية العالية، وقد تجاوزن الخامسة والثلاثين، وهُنَّ عانسات، كما ضمَّت خمساً من العاملات المتواضعات اللاتى يَقُمن بالفراشة، ولم يتجاوزن الخامسة والعشرين وكلُّهن متزوجات! مع أنّ الجامعيات ذواتُ رونق لافت فى الهيئة والملبس والمظهر العام، والعاملاتُ ليسَ معهن غير الشباب المتدفق بالحياة، الجيّاش بالأمل، فكيف وقعت هذه المفارقة، وما تعليلها؟

تعليلها هو الالتزامُ بالتقاليد الصارمة التى ارتضاها المجتمع، وجعلَها سُوراً حديديا منيعاً لا يكادُ أحدٌ من الشباب المتطلع يخرجُ عن دائرته، فالموظفة الجامعية تُريدُ شقة ذات حجرات متعددة وأثاثاً يملأ الحجرات، والتزاما بالكماليات الوافدة التى أصبحت مجالَ المباهاة، والزوج إن وُجد ليس فى يده ما يُرضى فتاة أحلامه! أما الموظفةُ العاملة فترضى بمنْ هو فى مستواها الاجتماعى وكلاهما يبحث عن الستر فى حُجرة أو حجرتين، وعن الأحياء المتواضعة المناسبة، وكلُّ ذلك ميسور متى تلاقت الرغبتان، واتفق الطرفان! لذلك نعمت الثانية بالاستقرار، وظلّت الأولى فى مهب الرياح.

المتعلمون والأميون أصبحوا سواء!!

قلتُ إن الزوج إن وُجد ليْس فى يده ما يُرضى فتاة أحلامه، وإنّ هذه -كما يقول النحاةُ- للشك لا لليقين. إذ أنّ وجود الزوج الشاب القادر فى هذه البطالة المكتسحة قليلٌ قليل، لأن هذا المسكين يبحثُ عن المأكل لا عن المنزل، يبحثُ عن المأكل فإذا وجده فى بيت أبيه فقد حَمد الله أن وجده حيث لا يستطيع أن يرهقه بما فوق ذلك، وقد بذل الشيخُ جهده الجاهد حتى أتم تعليمه وتعليم بعض إخوته، فماذا يفعل بعد ذلك وهو لا يملك خزائن الأرض؟ أمّا إذا لم يجد المأكل -وكثيراً ما يحدث- فهو يتطلّبُ ما لم يُهيأ له من المهن التى لم يكن يعرف من أمرها شيئا، وقد نشرت الجرائد اليومية آهات حارة لبعض المتخرجين فى الجامعات، وقد أصبحوا يغسلون الأطباق ويمسحون الموائد فى الفنادق الراقية بالمصايف، يجدون هذا العمل فى أيام، وينقطع فى أيام، تبعا لارتياد الوافدين وانقطاعهم، وهم أحسن حالاً ممن لا يجد عَملا بالمرة، وهم كثير كثير، وأنا أعرف بنّاء أمّيا عصاميا بالمنصورة قد أتقنَ عمله. فأصبح رائج السوق فى المدينة، هذا البناء لديه سبعةٌ من خريجى كلية الهندسة يعملون لديه أجراء، يَعملون ما يَعمل الأمّى الّذى لم يتعلم شيئا، ولم يفك الخط فى مدرسة، فيحملون الطوب على الظهر، ويحفرون الأرض ويرصفون البلاط، وهمْ حامدون شاكرون، إذ يتقاضون راتباً يوميا من هذا البناء العصامى، وقد حَسدهم زملاؤهم ممن لا يجدون مثل حظهم فى العمل، فجعلوا يتوسلون للبنّاء كى يُلحقهم بإخوانهم والرجلُ يأخُذ الأسماءَ لديه مع العناوين. واعداً من يتوسّم فيه النشاط بالعمل إذا خلاَ مكانٌ لسبب من الأسباب. وهيهات أن يخلو! وأنا أرثى لهؤلاء المساكين حين انتشوا بالفرحة الغامرة يوم ظهرت نتيجة الثانوية وأخذوا من الدرجات ما فوق الخامسة والتسعين، وقدّموا الأوراق للالتحاق بإحدى كليات القمة، كلية الهندسة. ثم أصبحوا بعد التخرج فى وضع سواء مع من لم يقرأ صحيفة، أو يدخل مدرسة! فكيف يوجد الزوج المناسب فى هذا المأزق الأليم! كيف يوجد؟


ميلاد حنا

وقد يُيسّر الله، فيكون الأب على شيء من القدرة، أو يكون الشاب قد سعد بعمل حكومي بعد الكدح الطويل، فيبحثُ عن المسكن والزوجة. ولكن هل يبحث عمّن يشتهي ويرغبُ لصفات تجذب نفسه؟ ذلك مما يتعسّر في كثير من الأحيان. ولكنه يبحث عن شريكة في محل تجاري تماما، يبحث عن موظفة يعرف راتبها على حقيقته، وهي أيضاً تبحث عنه عارفة ما يتناول من الأجر، وبدل أن تكون أيام الخطوبة مسرحا للأحلام الدافئة، والأشواق الحارة فإنها تكون في الحديث عن الوضع المادىّ المنتظر، وعمّا يجب نحو الشقة، والأثاث وضروريات الحياة، وتظلّ أوجه الخلاف في الرأى كثيرا كثيرا، حتى يتوسط أولو الأمر في تذليل العقبات! ثم يأتي اليوم الموعود، فتطّرد الحياة على نحوٍ من الأنحاء!!

بلاءٌ متراكب

إن اليُسر المريح الذى يتمّ به زواجُ العاملة والعاملِ يُقابله عُسْرٌ شاق عند زواج غيرهما من أرباب الوظائف أو العمل الحرّ، فقد كان العُرف في الجيل الماضى عند الزواج يمضى بالتيسير إلى أبعد غاياته، فالخطبةُ لا تتطلّب غير الدّبلة أو ما هو قريب من أجرها كسوار المعصم مثلاً، وكان المهرُ مناسباً لمقتضى الحال مالاً، وحفلُ الزفاف في المنزل لا يخرج إلى حد السرف، وكذلك حُلّة العروس. وهذا كل ما يتطلب، كان هذا من قبل، أما الآن فللخطبة شبكة عالية تُقدّر بالآلاف لا بالمئات، ولها أيضا حلّةٌ مناسبة تتفق مع ما تُرجوه العروس من نفاسة المادة ورونق المنظر، ثم يكونُ المهر من الجسامة بحيث يقضى كماليات الترف، وأبّهة المنزل، وتلى ذلك حفلة الزفاف التى يتحتّم أن تكون في مكان مرموق يُدعى له الصفوة من المعارف والوجهاء وبعد ذلك يأتى مكان شهر العسل الذى يجب أن يكون مطمح الأنظار!! بلاءٌ متراكب إن تنازل بعض الواقعين عنه عُدّ نقصاً واضحا لدى من يتمترون خراب المنزل قبل أن يسكن، وأصبح موضع ملاحظة لدى ذوى الغرض فيكثر اللغط السفيه دون مبرر.

حل مناسب لمشكلة الإسكان

وقد فكر كثير من المخلصين في تجاوز بعض هذه الأعباء، ووضعوا من الاقتراحات ما يخفف العبء الثقيل لدى المرهقين والمرهقات في زمن التكاثر بالأموال والمناصب، ويحضرنى هنا اقتراحان واقعيان، أحدهما خاص بالشقة، وثانيهما خاصّ بالأثاث.

وهما عمادُ الأسرة الضرورى مما لايمكن الاستغناء عنه إذا استغنينا عن سواهما في جراءة تُحمد ولا تذمّ بحال، أما اقتراح الشقة فقد تقدم به المهندس الكبير الدكتور ميلاد حنا، حين استنكر وجود هذه الأبراج العالية التى تهيأ لنفرٍ من الخاصة، وهم قلّة لا تسدّ هذا الفراغ الذى اتسع اتساعاً. كانت عقباه أن تظل الشقق الفسيحة خاوية على عروشها، وأن يبحث أصحابها عن ذوى الجيب الثقيل فلا يجدون غير أن يعضوا بنان الندم آسفين. هذا الاقتراح يقضى أن تبنى عمائر خاصة بالشباب الطامح للزواج، على أن تكون نوعين، نوع يحتاجه من تزوج منذ ثلاثة أعوام، ورُزق طفلا أو اثنين وهما حَسْبُه دون أن يزيد، ونوعٌ آخر لمن يُنشىء الأسرة السعيدة عقب الزفاف. فالفريق الأول في حاجة إلى العمارة التى تضم ثلاث حجر فحسب، والفريق الثانى في حاجة إلى العمارة التى تضم حجرتين، يظل بهما حتى يأتى الطفلان فيتركهما لعروس جديدة ثم يلحق بالعمارة ذات الحجر الثلاث! وعلى هذا النحو تسير مشكلة الإسكان نحو الحل المناسب، دون بهرجة أو اتساع! وقانون المساكن الجديد يُعطى الحق في تحديد المدة، وجواز الانتقال من مكان إلى مكان، ولو عرف أصحابُ الأبراج العالية أنّ الكسب الشره لا يتيسر دائما، وأنّ المسألة لا تخرج عن حدود العرض والطلب، لأعدوا الشقق المتواضعة لمن يتطلب اليُسر دون إرهاق، ولما أصبحوا الآن يعرضون الشقق للإيجار بنصف ما كانوا يفرضون من الأجر بعد أن أعياهم التمليك الدائم كما كان من قبل، وقاتل الله الأطماع!

نموذج لأسرة سعيدة

أما غلاء المهور فهو مشكلة مزمنة، لا تتقيد بجيل دون جيل، وفى السنوات الأولى من الثلاثينيات كانت الأزمة المالية آخذة برقاب الدول جميعها، إذ كانت أزمة عالمية، وقد تأثرت بها مصر تأثرا بالغا، وهنا ظهرت أزمة المهور بصورة أوجبت الوقوف لديها من كبار المفكرين، وكان في طليعتهم الأستاذ الكبير محمد مظهر سعيد الذى درس علم النفس في أرقى مدارس إنجلترا، وكان عضوا من أعضاء المجمع العلمى البريطانى ثم عميداً لدار المعلمين العالية ببغداد، وأستاذاً لعلم النفس بالجامعة الأزهرية. وله صيته المدوى حينئذ في الندوات والصحف، وكان من حظه أن تشاركه زوجته المربية الأستاذة نظله الحكيم في اتجاهاته الاجتماعية، وهى متخرجة في كلية اكسترا الإنجليزية، وأستاذة بمعهد البنات العالى بمصر، وقد راعهما تفاقم أزمة الزواج لغلاء المهور، فعقدا ندوة علمية توضح علاج هذه الأزمة بما فعلاه فعلاً حين قررا زواجهما

السعيد، وقد نشرت مجلة المعرفة الصادرة بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٣٢ خلاصة ما قاما به معاً لحل هذه الأزمة، وكان مما قاله الأستاذ محمد مظهر سعيد: إن غلاء المهور هو العامل الحقيقي في تصاعد هذه الأزمة. وقد اتفق مع السيدة نظله الحكيم قبل الزفاف على أن يشتركا في شراء أثاث المنزل قطعة قطعة بعد الاقتران الذي لم يكلفهما غير الضروري من الفراش، وقد قاما بشراء ما يلزم بالتدريج شهرا بعد شهر دون أن يثقلا على نفسيهما بشراء كلّ ما يلزم مرة واحدة، إذ تعودوا على ادخار جزء من الراتب الشهري لكل منهما، يقوم بشراء شيئ جديد يحتاجه المنزل، وقدّرا للاكتفاء عامين يتم فيهما الأثاث على أفضل ما يريدان دون إرهاق! وهذا ما كان.

وقد أسهب الأستاذ محمد مظهر سعيد في توضيح فكرته كي تحوز القبول من السامعين، وترك المنبر لزوجته الفاضلة الأستاذة نظله الحكيم، فأيّدت كل ما قاله الأستاذ مظهر وفاخرت به زوجًا مدبّرا، ثم تطرقت إلى نقد ما عُرف بين الخطيبين من ضرورة الشبكة الذهبية، فقالت: «إنه لا ضرورة لها على الاطلاق، لأنها تقف عائقاً دون إتمام الزواج على وجه سريع، لأن الذي دفع ثمن الشبكة سيحتاج إلى أمد طويل حتى يجد المهر المتفق عليه، والذين يتباهون بغلاء ثمن الشبكة وارتفاع قيمة المهر، يخضعون لعقل مادي لا يلتفت إلى المعاني الروحية الجميلة التي يجب أن تكون في اعتبار الزوجين، كما أنها لا تقبل هذا التبذير الفاضح في نفقات ليلة الزفاف، إذ الأحرى أن تصان هذه النفقات لإسعاد الأسرة مستقبلاً حين تضطر إلى مزاولة أسلوب الحياة على وجه منطقي مريح»، وكانت السيدة نظله الحكيم قد درست من قبل بعض المرهقات ذات العبء الملموس، فشنت حملة على ما يُسمى بالنقوط وهو أمر لايزال مستمرا في كثير من الأوساط فقيرة أو مثرية، لأن النقوط دين سيسترد فيما بعد، وسيحاسَب عليه العروسان بعد أن يُبدداه في كماليات غير ضرورية، وقد يفاجآن برده في وقت لا تسمح ظروفهما بالسداد عند مناسبة تطرأ دون موعد محدد، وبذلك أصبح النقوط ديناً، ومن يتأخر عن سداده يقابل بالتقريع وكأنه أتى جُرماً شديدا!!.

وقد قالت مجلة المعرفة بعد أن نشرت كل ما قيل في هذا المجال: «إن هذه الآراء لو وجدت طريقها للذيوع لحققت لمن يريد الزواج أسباب التغلب على صعوبة المهر وشقاء الحياة الزوجية التي مازالت أنباؤها تؤلف لنا أفجع المآسي وتظهر حياتنا في أسوأ الصور».


خليل مطران

الوجاهة الكاذبة!!

وهذا الكلام الذي قيل منذ سبعين عاما لم يشمل ما جدّ من تطورٍ باهظ في الإسراف البالغ حدّ السفه، إذ لو امتدت الحياة بالأستاذين مظهر سعيد ونظله الحكيم، لتحدثا عن الفنادق الرفيعة التي تقام بها حفلات الزفاف، ويُحدد لكل مَدعوّ ثمناً للمأكل والسهرة لا يقلّ عن مائة جنيه، فإذا كان المدعوون مائة، فهذه عشرة آلاف مع أنّ هؤلاء المتظاهرين بالوجاهة يدعون في كثير من الأحيان من لا يكترث بدعوتهم، لكنهم يلحّون في حضوره استكمالاً لما يتوهمونه من الوجاهة الكاذبة، ثم يأتي بعد ذلك النشر في الجرائد في مساحات تقلّ وتزيد وفق ما يدفع من الأجر الفادح أو اليسير فلابد أن يظهر العروسان في أجمل مظهر، وقد يُذكر من شرّف الحفل بالحضور، والمكان الذي سيقضي فيه العروسان أيام الهناء الأولى، ثم يلحق ذلك بتهنئات من الأحبة يُقدّر حسابها فيما بعد إذ أنها كالنقوط دين يجب أن يُسترد! فبالله، فيم هذا العناء فيما لا طائل تحته غير الولوع بالتقليد السفيه!

لقد كان الريف بعيداً عن هذه المظاهر الكاذبة قبل أن يتصل بالمدينة اتصالاً تؤكده أدوات الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون، حيثُ ساعد ذلك على إحكام التقليد بين المدينة والقرية، بحيث يرى أثرياء القرية من التباهة في قومهم أن تُقام الأفراح في المدينة، وفي أفخم قاعاتها المعدة لذلك، والخاسرُ في هذا المجال هم الفقراء وحدهم، إذ كان من عادات الأثرياء في القرية منْ قبل أن تذبح الذبائح يوم الفرح، وأن يحضر الفقراء صفوفاً لأخذ ما يلذ لهم من اللحم الطيب، وهم يترقبون هذه المناسبات ويعدونها عيداً ينفحهم بالخير، فبطَل ذلك، وقَام مقامه التباهي بالذهاب إلى المدينة، وإذا لم تكن عاصمة المحافظة لائقة، فالعاصمة الكبرى وهي القاهرة أفخم وأروع، وكم يتكلف ذلك، ولكنه التكاثر بالمال والجاه.

الماضي الجميل!!

لكمْ تطورت الأيام في أقل من نصف قرن، فقد كان احتفالُ الزفاف في كثير من حالاته يتجه في إحدى ليلتيه إلى قراءة كتاب الله من تلاوة قارىء حسن الصوت يقوم مقام الطبل والرقص والمزمار، وقد شاهدت في الخمسينيات بمدن الصعيد، هذه

الظاهرة الحميدة التي تذكر الناس بالتقوى والبر، وتبعد بهم عن سفاسف اللهو والعبث، وهي ظاهرة تمتد بعروقها إلى زمن متقدم، ولعلّ قراء الهلال يذكرون أني أشرتُ في بعض مقالاتي، إلى وصف شائق بديع كتبه الشاعر الكبير خليل مطران عن حفلة زفاف، اكتفى صاحب أمرها، وهو من وجهاء القاهرة وكبراء أثريائها، بإقامة حفل قرآني تتصدره قارئةٌ ذات صوت مؤثر، بلغت من نفوس السامعين أشجى وأعذب ما يبلغه مغرد طروب، وأنقل هنا بعض ما هتف به الشاعر الكبير في مقاله الفريد بعد أن ذكر اسم صاحب الاحتفال، واسم القارئة المجيدة أسمهان،

«كان صوتها يسلسل الآيات كعد الجواهر، على صفاء، وكان يلحّنها مستويا كأنه يمهّد لما سيتلوه، وأخذ الصوت يتنقل بين الحزن والفرح، والترغيب والترهيب والزجر والوعد، وكلما تمادت في القراءة عظم الشعور في نفوس الحاضرين، وجميعهم من ذوي المقام، فيكون صدى شعورهم التكبير والتهليل».

ولا أطيل في اقتباس ما ذكره الأستاذ خليل مطران، حيث أشرت إليه في مقال سابق، ولكني أتساءل: أيهما أدعى إلى الروعة والتسامي في هذه المناسبة، قارئة حسنة الصوت تتلو كتاب الله فتقابل بالتكبير والتهليل، أم بذل آلاف الجنيهات في حفلة تنتهي برقص ماجن كريه، ثم تكون العاقبة إهدار المال في أخسّ وجوه الإنفاق! وإذا كان كثير من المدعوين ذوي الوجاهات المزعومة لا يحضرون، فإن ما يترك من الطعام يضيع ثمنه على الداعي الفخور، أفلو كان هذا المال أو بعضه تبرعاً لعائلة مسكينة أخنى عليها الدهر، أو جمعية خيرية تعين أرباب الحاجات، أو نقودا مجزية تفرق على الأسر الكادحة في القرية التي أنجبت صاحب هذه الوليمة، أفما كان ذلك جميل الأثر لدى الله ولدى الناس؟

الأمية الخلقية

على أنني قرأت منذ شهور ما يدعو إلى العجب حقاً، فقد ذكرت باحثة اجتماعية في رسالة تحدثت الصحف عن بعض نتائجها، إن نسبة كبيرة من زوجات هذه المحافل قد طلبن الطلاق بعد أقل من عام، كما أن إحصائية دقيقة ذكرت أن نسبة المطلقات من المتعلمات! أضعاف أضعاف نسبة غير المتعلمات! فما معنى ذلك؟ معناه في الحالة الأولى أن الزواج كان صفقة بيع لا ثمرة حبّ وتقدير، وأن الأيام القليلة التي أعقبت الزواج قد كشفت مطامع أحد القرينين قدب الخلاف بدرجة لم تحتمل الصلح إذ كان أبغض الحلال لدى الله هو الحلّ، ومعناه في الحالة الثانية أن المتعلمة ذات الوظيفة

المحسوبة، قد أفاقت من غشيتها فعلمت أنها تقوم بما يجب أن يقوم به الزوج من أعباء! وإذا كانت ذات استقلال مادي مضمون فلمَ تتحمل نفقات كان من الواجب على الزوج الطامع أن يقوم بها؟ وقد كنا في الماضي قبل أن تكثر وظائف المتعلمات نرجع في تعليل هذه الظاهرة -ظاهرة الطلاق- إلى أمية الزوجة، وعدم ثقافتها التي توجب عليها أن تكون زوجة ذات رسالة، فماذا يقول الآن أصحاب هذا التعليل حين يرون أن غير المتعلمة المخلصة تؤدي دور الزوجة في رضا وابتسام، وتعرف أن سعادة الأسرة لا تتم بغير التسامح والاحتمال، وبذلك تستمر الحياة العائلية دون شقاق، ويعيش الأبناء في جو طبيعي لا تعصف به الأهواء! ثم يرون في الناحية الأخرى بواعث الشقاق تحتدم عند المتعلمات، لقد كانت الأمية مظلومة كل الظلم، حين أرجعنا إليها السبب في الشقاق! على أننا في الحقيقة نجهل معنى الأمية حين نحصرها دائما في التعليم المدرسي وحده، وهو حصر لا يجد مدلوله المنطبق تماما، لأنّ الأمية الخلقية أدهى عاقبةً، وأشد نكالاً من الأمية التعليمية، فإلى حين نستطيع أن نمحو الأميّة فترتفع بالسلوك الإنساني إلى مستوى لائق، نكون قد عرفنا الأمية بمعناها الشامل الأكيد، وأقول بعد ذلك إن من ذوي الشهادات الجامعية أميّين وأميّات، لأنهم لم يجدوا التربية الخلقية الدافعة إلى التسامح والحلم والإيثار! وأن مناهج الدراسة في حاجة إلى توجيه جديد!

السعادة الحقيقية

إن التواضع المعقول في حفلات الزواج، يعطي الزوجين درساً نافعا في ضرورة الاعتدال، والبعد عن التبذير، فيستقبلان الحياة استقبالا طبيعيا لا مجال فيه للتزيّد والادّعاء، كما يفهمان منه أن السعادة الحقيقية تنبع من داخل الإنسان، ولن تأتي من المظاهر الخارجية الجوفاء، فإذا استشعرا السعادة الداخلية فإنهما يتغلبان على العقبات دون عناء، ويكونان من الذين قال الله فيهم:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾
(الفرقان: ٦٧)

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الآيات: ١٣٧: ١٣٩)

قال الفخر الرازى ما ملخصه: اعلم أن الله ـ تعالى ـ لما وعد على الطاعة والتوبة من المعصية، الغفران والجنات، أتبعه بذكر ما يحملهم على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية، وهو تأمل أحوال القرون الخالية من المطيعين والعاصين فقال:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾

وأصل الخلو فى اللغة: الانفراد، والمكان الخالى هو المنفرد عمن يسكن فيه، ويستعمل أيضاً فى الزمان بمعنى المضى، لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه، وكذا الأمم الخالية. والسنن جمع سنة وهى الطريقة المستقيمة والمثال المتبع، وفى اشتقاق هذه اللفظة وجوه منها: أنها فعلة من سن الماء يسنه إذا والى صبه، والسن الصب للماء، والعرب شبهت الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالى أجزاء الماء فيه على نهج واحد يكون كالشىء الواحد[1].

والمراد بالسنن هنا: وقائع فى الأمم المكذبة، أجراها الله ـ تعالى ـ على حسب عادته، وهى الإهلاك والدمار بسبب كفرهم وظلمهم وفسوقهم عن أمره.

والمعنى: أنه قد مضت وتقررت من قبلكم ـ أيها المؤمنون ـ سنن ثابتة، ونظم محكمة فيما قدره ـ سبحانه ـ من نصر وهزيمة، وعزة وذلة، وعقاب فى الدنيا وثواب فيها، فالحق يصارع الباطل، وينتصر أحدهما على الآخر بما سنه ـ سبحانه ـ من سنة فى النصر والهزيمة.

وقد جرت سننه ـ سبحانه ـ فى خلقه أن يجعل العاقبة للمؤمنين الصادقين، وأن يملى للكافرين ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

فإن كنتم فى شك من ذلك ـ أيها المؤمنون:

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

أى: فسيروا فى الأرض متأملين متبصرين، فسترون الحال السيئة التى انتهى إليها المكذبون من تخريب ديارهم، وبقايا آثارهم.

قالوا[2]: وليس المراد بقوله:

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾

الأمر بذلك لا محالة، بل المقصود تعرف أحوالهم، فإن حصلت هذه المعرفة بغير السير فى الأرض كان المقصود حاصلاً، ولا يمتنع أن يقال أيضاً: إن لمشاهدة آثار المتقدمين أثراً أقوى من أثر السماع كما قال الشاعر:

تلك آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا إلى الآثار

والتعبير بلفظ كيف الدال على الاستفهام، المقصود به تصوير حالة هؤلاء المكذبين التى تدعو إلى العجب، وتثير الاستغراب، وتغرس الاعتبار والاتعاظ فى قلوب المؤمنين، لأن هؤلاء المكذبين، مكن الله لهم فى الأرض، ومنحهم الكثير من نعمه، ولكنهم لم يشكروه عليها، فأهلكهم بسبب طغيانهم.

فهذه الآية وأشباهها من الآيات، تدعو الناس إلى الاعتبار بأحوال من سبقوهم، وإلى الاتعاظ بأيام الله، وبالتاريخ وما فيه من أحداث، وبالآثار التى تركها السابقون، فإنها أصدق من رواية الرواة ومن أخبار المخبرين.

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

والبيان: هو الدلالة التى تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة.

والهدى: هو الإرشاد إلى ما فيه خير الناس فى الحال والاستقبال.

والموعظة: هى الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى من الأمور الدينية أو الدنيوية.

قالوا: فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان:

- أحدهما: الكلام الهادى إلى ما ينبغى فى الدين وهو الهدى.
- والثانى: الكلام الزاجر عما لا ينبغى فى

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص١٠.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٩ ص١٢.

الدين وهو الموعظة، فعطفهما على البيان من عطف الخاص على العام (٣).

واسم الإشارة يعود إلى ما تقدم هذه الآية الكريمة من أوامر ونواه، ومن وعد ووعيد، ومن حض على السير في الأرض للاعتبار والاتعاظ.

أي هذا الذي ذكرناه لكم من وعد ووعيد، ومن أوامر ونواه، ومن حض على الاعتبار بأحوال المكذبين، ﴿ بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ يكشف لهم الحقائق ويرفع عنهم الالتباس ﴿ وَهُدًى ﴾ يهديهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ أي تخويف نافع ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يعتبرون بالمثلات، وينتفعون بالعظات.

وقيل: إن اسم الإشارة يعود إلى القرآن.

أي هذا القرآن بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين.

وقد رجح ابن جرير الرأي الأول فقال: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: قوله: ﴿ هَٰذَا ﴾ إشارة إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله ـ عز وجل ـ المؤمنين، وتعريفهم حدوده، وحضهم على لزوم طاعته، والصبر على جهاد أعدائه، لأن قوله: «هذا» إشارة إلى حاضر إما مرئي وإما مسموع، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة، فمعنى الكلام: هذا الذي أوضحت لكم وعرفتكموه بيان للناس» (٤).

والمراد بالناس جميعهم، إذ أن ما ساقه الله ـ تعالى ـ من دلالات وهدايات وعظات هي للناس كافة، إلا أن الذين ينتفعون بها هم المتقون، لأنهم هم الذين أخلصوا قلوبهم لله، وهم الذين طلبوا الحق وسلكوا طريقه.

والكلمة الهادية لا يستفيد بها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى، والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب الخاشع المنيب، والناس في كل زمان ومكان لا ينقصهم ـ في الغالب ـ العلم بالحق وبالباطل، وبالهدى والضلال.... وإنما الذي ينقصهم هو القلب السليم الذي يسارع إلى الحق فيعتنقه ويدافع عنه بإخلاص وإصرار، ولذا وجدنا القرآن في هذه الآية ـ وفي عشرات الآيات غيرها ـ يصرح بأن المنتفعين بالتذكير هم المتقون فيقول:

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

وبعد هذا البيان الحكيم، يتجه القرآن إلى المؤمنين بالتثبيت والتعزية فينهاهم عن أسباب الفشل والضعف، ويأمرهم بالصمود وقوة اليقين، ويبشرهم بأنهم هم الأعلون فيقول:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

وقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ من الوهن ـ بسكون الهاء وفتحها ـ وهو الضعف، وأصله ضعف الذات كما في قوله ـ تعالى ـ حكاية عن زكريا:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾

(مريم: ٤)

(٣) حاشية الجمل على الجلالين.

(٤) تفسير ابن جرير جـ٤ ص١٠٦.

أي: ضعف جسمي، وهو هنا مجاز عن خور العزيمة، وضعف الإرادة، وانقلاب الرجاء يأسا والشجاعة جبنا، واليقين شكا، ولذلك نهوا عنه.

وقوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ من الحزن وهو ألم نفسي يصيب الإنسان عند فقد ما يحب أو عدم إدراكه، أو عند نزول أمر يجعل النفس في هم وقلق.

والمقصود من النهي عن الوهن والحزن، النهي عن سببهما وعن الاسترسال في الألم مما أصابهم في غزوة أحد.

والمعنى: لا تسترسلوا ـ أيها المؤمنون ـ في الهم والألم مما أصابكم في يوم أحد، ولا تضعفوا عن جهاد أعدائكم فإن الضعف ليس من صفات المؤمنين، ولا تحزنوا على من قتل منكم فإن هؤلاء القتلى من الشهداء الذين لهم منزلتهم السامية عند الله.

وقوله: ﴿ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ جملة حالية من ضمير الجماعة في ولا تهنوا ولا تحزنوا والمقصود بها بشارتهم وتسليتهم وإدخال الطمأنينة على قلوبهم.

أي لا تضعفوا ولا تحزنوا والحال أنكم أنتم الأعلون الغالبون دون عدوكم فأنتم قد أصبتم منهم في غزوة بدر أكثر مما أصابوا منكم في غزوة أحد، وأنتم تقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت.

وأنتم سيكون لكم النصر عليهم في النهاية، لأن الله ـ تعالى ـ قد وعدكم بذلك فهو القائل:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر: ٥١)

وقوله:

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

جملة شرطية، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله.

أي: إن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا بل اعتبروا بما سبقكم ولا تعودوا لما وقعتم فيه من أخطاء فإن الإيمان يوجب قوة القلب، وصدق العزيمة، والصمود في وجه الأعداء، والإصرار على قتالهم حتى تكون كلمة الله هي العليا.

والتعليق بالشرط في قوله:

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

المراد منه التهييج لنفوسهم حتى يكون تمسكها بالإيمان أشد وأقوى، إذ قد علم الله ـ تعالى ـ أنهم مؤمنون، ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن بسبب ما أصابهم في أحد صاروا بمنزلة من ضعف يقينه، فقيل لهم: إن كنتم مؤمنين حقا فاتركوا الوهن والحزن وجدوا في قتال أعدائكم، فإن سنة الله في خلقه اقتضت أن تصيبوا من أعدائكم وأن تصابوا منهم إلا أن العاقبة ستكون لكم.

فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على الجهاد والصبر، وتشجيع على القتال وتسلية لهم عما أصابهم، وبشارة بأن النصر في النهاية سيكون حليفهم.

السنة:

مَنْ وَصَلَهُ وَصَلَهُ اللهُ

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه (كتاب الأدب - باب من وصل وصله الله) عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال:

«إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرّحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب. قال: فهو لك: قال رسول الله (ﷺ): فاقرءوا إن شئتم:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٢)

اللغـــويات

● خلق الخلق: أي جميعهم أو المكلفين منهم.

● حتى إذا فرغ: أي مما كان فيه من أمر الخلق، والله (سبحانه) لا يشغله شأن عن شأن، وإنما وقع ذلك على طريق المثل.

● قالت الرحم: أي بلسان الحال، أو بلسان المقال وعند أحمد (رحمه الله) أنها تكلمت بلسان طلق ذلق (أي: فصيح بليغ.

● مقام العائذ: أي مقام المستجير بالله من القطيعة.

ترضين أن أصل من وصلك: أي: بأن أتعطف عليه وأرحم.

وأقطع من قطعك: يعني فلا أرحمه.

قالت: بلى يارب: أي رضيت.

الشرح والبيان

هذا حديث رائع يحثّ فيه رسول الله (ﷺ) على صلة الرحم، وينهى فيه عن القطيعة، لما في ذلك من محبة الخلق والخالق؛ ولما فيه من التماسك والترابط ووحدة الصف، وجمع شمل الأمة.

ومعنى صلة الرحم: أداء الواجب لها من حقوق الله التي أوجبها لها، والتعطف عليها بما يحق التعطف به عليها. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

وقال:

﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال ٧٥)

فما الأرحام؟

الأرحام جمع رحم، والرحم: كل من بينك وبينه قرابة، فالإخوة والأخوات وأولادهم رحم، والأعمام والعمات وأولاد كل رحم، والأخوال والخالات وأولاد كل رحم، وبهم جميعاً تكون الأسرة، ومن مجموع الأسر تتكون الأمة، فإذا كانت الأسرة مترابطة متماسكة، يشعر كل فرد فيها بحاجة أخيه، ويمد له يد العون والمساعدة - كانت الأمة كذلك، وشاع الحب، وعم الأمن وانتشر الرخاء، وعاش الناس جميعاً في نعمة كاملة، وسعادة تامة، وسلام ووئام قال تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١)

قاطع الرحم مقطوع عن الله

ولذلكم حثّ الإسلام على صلة الرحم، وأوجب على المسلم أن يصل رحمه، وأن يبر أقاربه، وأن يعاونهم بماله، وأن يحفظهم بجاهه، وأن يقابل إساءتهم بالإحسان، وقطيعتهم بالصلة، وجهلهم بالحلم، ووعد الواصلين بجنات النعيم، فقال وهو أصدق القائلين:

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد ٢١: ٢٤)

وتوعد القاطعين بسوء المصير، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

(الرعد: ٢٥)

هذا ويؤكد رسول الله (ﷺ) فى نفوس المسلمين معنى صلة الرحم، ليشتد حرصهم عليها، ويقوى تمسكهم بها، فيبين لهم أن الواصل موصول بالله، وأن القاطع مقطوع عن الله (عز وجل)، فقد روى البخارى ومسلم ـ واللفظ له ـ عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): (الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله)، وفى حديثنا الذى نشرحه: (أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يارب. قال: فهو لك. قال رسول الله (ﷺ): فاقرءوا إن شئتم:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

(محمد: ٢٢)

وقد قال رسول الله (ﷺ): (يقول الله تعالى مخاطباً الرحم: خلقتك بيدى، وشققت لك اسماً من اسمى، وقربت مكانك منى، وعزتى وجلالى لأصلن من وصلك، ولأقطعن من قطعك، ولا أرضى حتى ترضين) ـ رواه الحاكم وابن عساكر.

وهكذا يعلم الإسلام أتباعه أن الجزاء من جنس العمل، وأن العقوبة من جنس الجريمة:

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

غرور ابن آدم!

ولكن ابن آدم ـ للأسف ـ شديد الجهل، كثير التمرد والعصيان، يحاول جاهداً أن يرضى غروره، وأن يشبع كبرياءه، فلا يهتم إلا بنفسه، ولا ينشغل إلا بتحقيق هدفه وإن هلك الناس من حوله، فلا يهاب لوماً ولا ذماً، ولا يخشى أحداً ولا رباً، ولا يخاف من يوم شديد الهول عظيم الحساب:

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(الحج: ٢)

روى الإمام أحمد (رحمه الله) فى مسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) عن النبى (ﷺ) أنه قال: (الرحم شجنة من الرحمن (عز وجل) تجىء يوم القيامة تقول: يارب قطعت، يارب ظلمت، يارب أسىء إلىّ) ـ والشجنة أصلها عروق الشجر المشتبكة، والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها.

ومظاهر ذلك فى الحياة كثيرة متعددة، فما أكثر ما ترى بين الأقارب من خصومات فاجرة، وعداوات غادرة، وتنكر للحقوق، وهضم لها، وطغيان فى المعاملة، نار الكراهية دائماً مشبوبة، ولظى الأحقاد دائماً مستعرة،

أراد لهم رب العالمين أن يتحابوا فتباغضوا، وأن يتحدوا فتفرقوا، وأن يكونوا إخوة يظلهم الحب والوئام، فكانوا فرقاً يظلم قلوبهم البغض والخصام.. باختصار تمزقت الروابط، وتقطعت الصلات، وتناكرت الوجوه، وتشققت الأرحام، وقطع الأقرباء ما أمر الله به أن يوصل، أو كأنهم لم يقرءوا ولم يسمعوا هذا التهديد الإلهى:

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

(الرعد: ٢٥)

صلة الرحم طريق للجنة

ألا يعلم هؤلاء أن الصدقة على المحتاج صدقة، وعلى القريب اثنتان؟! فقد روى الإمام النسائى (رحمه الله) عن سلمان بن عامر (رضى الله عنه) أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم اثنتان، صدقة وصلة).. وقد روى الحاكم (رحمه الله) عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قلت: يارسول الله، أنبئنى عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة. قال: (أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام).. فاتقوا الله عباد الله فى أنفسكم، وفى أسركم، وفى أمتكم، وأصلحوا ذات بينكم ـ يصلح الله أحوالكم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

وأطيعوا ربكم فى كل أمر ونهى.

﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

(الشعراء: ١٥١، ١٥٢)

وكفى ما كان من خلاف وتمزق بين الأسر والجماعات والأمة، كفى من السم جرعة، فليس العيب أن تخطىء، ولكن العيب أن تتمادى فى الخطأ، والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، قال رسول الله (ﷺ): (ألا أخبركم بشراركم: المشاءون بالنميمة؟)[1].. وعن ابن الزبير (رضى الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: (دب إليكم داء الأمم من قبلكم، البغضاء والحسد، والبغضاء هى الحالقة، ليس حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين، والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبت لكم ذلك: أفشوا السلام بينكم)[2].

صلة الرحم زيادة رزق!

فمن أراد زيادة فى الرزق، وبركة فى العمر فليصل رحمه: فقد ورد فى

(١) كنز العمال ج١٦ ص٨٠.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٦٥/١، ١٦٧.

الحديث الشريف الذى رواه البخارى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) (من سرّه أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)، فينبغى أن تصل أقرباءنا وإن قاطعونا، فليس الواصل بالذى يصل من وصله، ولكن الواصل من يصل من قطعه. روى البخارى رحمه الله عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما): قال رسول الله (ﷺ): (ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها)[3]، ومن ثم أنشد الشاعر:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً

يُرمى بصخر فيلقى خير أثمار

ولا تظلم أحداً من أقربائك فإن أشد أنواع الظلم ظلم القريب قريبه: لأنه لا ينتظر منه إلا البر والإحسان، فإذ به يفاجأ بالظلم والطغيان، ولذلك أنشد الشاعر:

وظلم ذوى القربى أشد مرارة

على المرء من وقع الحسام المهند

درس من حديث الإفك

ولذلك لما خاض مسطح بن أثاثة فى حديث الإفك قال أبو بكر (رضى الله عنه) ـ وكان ينفق على مسطح، لقرابته منه وفقره ـ: «والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة، ولا أنفعه بنافعة أبداً، فأنزل الله تعالى قوله:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(النور: ٢٢)

أى: لا تحلفوا ألا تصلوا أقرباءكم المساكين والمهاجرين؛ لما صدر عنهم من إساءة، ولهذا قال بعدها:

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾

(النور: ٢٢)

عند ذلك قال الصديق (رضى الله عنه وأرضاه): (بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا)، ثم أعاد إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: (والله لا أنزعها منه أبداً) فى مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً).

ولذلك كان عبدالله بن المبارك يقول عن هذه الآية: (هذه أرجى آية فى كتاب الله)، ولذلك لما جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) ـ فيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ـ يشكو إليه قائلا: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ، وأحلم عنهم ويجهلون علىّ. فقال: (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله (ظهير) عليهم مادمت على ذلك) (أى: ناصر ومعين).

عقوبة قاطع الرحم

ويكفى شاهداً على ذلك أن قطيعة الرحم، وظلم ذوى القربى من الذنوب التى يعاجل الله مرتكبها بالعقوبة العاجلة فى الدنيا قبل الآخرة. روى البيهقى فى السنن الكبرى والألبانى فى صحيح الجامع عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (ليس شىء أطيع الله فيه أعجل ثوابا من صلة الرحم، وليس شىء أعجل عقاباً من البغى وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع) ـ والبلاقع جمع بلقع، وهو الخالى من كل شىء. وفى رواية أخرى: (خمس يعاجل الله صاحبهن بالعقوبة فى الدنيا: البغى، والغدر وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، ومعروف لا يشكر)، ويؤكد ذلك أيضاً قوله (ﷺ): (أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم)[4]... وإذا كانت هذه هى عقوبة قاطع الرحم فى الدنيا فما العقوبة التى أعدها الله (سبحانه) له فى الآخرة؟

روى الشيخان البخارى ومسلم (رحمهما الله) عن أبى محمد جبير بن مطعم (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (لايدخل الجنة قاطع)...

أقوى أواصر العلاقات الاجتماعية

هذا وإذا كانت الصلة مطلوبة بالطلب العام بين الناس جميعاً بحق الإنسانية المشترك، ومطلوبة بين المؤمنين على وجه الخصوص بحق الأخوة الدينية:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

فإنها مطلوبة بين الأهل والأقارب على وجه أخص، وعلى نحو ألزم؛ قياما بحق الرحم التى كانت ـ ولا تزال ـ محل عناية عظيمة فى قرآن ربنا، وسنة نبينا (ﷺ) من جانب، ومن جانب آخر لتحقيق الثمار المرجوة من صلتها، ويكفى أنها تُكسب محبة الخلق، ورضا الرب وأنها علامة على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وأنها تحقق السعة فى الرزق، والبركة فى الأعمار، كما أنها تقوى أواصر العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، وبين الأسرة والأسر التى تربطها بها مصاهرة، إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره.. وعلى كل فقد ورد فى الحديث الشريف: (البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان)[5].

هذا وبالله التوفيق.

❁❁❁

(٣) مسند الإمام أحمد ج٢ ص١٩٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٤٢٦٢.

(٥) كشف الخفاء ١/٣٣٦، ٢/١٨٢.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

مُعجزة الحياة

لفضيلة الشيخ / عمر الديب
وكيل الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد، فيقول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ **(الأنعام:٩٥)**

تنبه الآية الكريمة إلى المعجزة التى لا يدرك سرها أحد، فضلا عن أنه لا يستطيع صنعها أحد، إنها معجزة الحياة فى نشأتها وحركتها، ففى كل لحظة تنفلق الحبة الصامتة فتخرج منها نبتة نامية، وفى كل لحظة تنفلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة، وهذه الحياة الكامنة فى الحبة والنواة النامية فى النبتة والشجرة سر مكنون لا يعلم حقيقته إلا الله ولا يعلم مصدره إلا الله، ولقد حاول البشر إدراك جوهر هذه الحياة ومصدرها، وبعد كل ما رأوا من ظواهر الحياة وأشكالها، إلا أنهم وقفوا عاجزين عن إدراك سر تلك الصنعة والمعجزة تقع كل لحظة أمام أعينهم، ومنذ البدء أخرج الله الحى من الميت، فقد كان هذا الكون أو على الأقل كانت هذه الأرض، ولكنها لم تكن هناك حياة، ثم كانت بعد ذلك الحياة أخرجها الله من الموات، ولكن كيف حدث هذا؟ لا ندرى وهى منذ تلك

اللحظة أول لحظة فى الحياة تخرج من الميت فتتحول الذرات الميتة فى كل لحظة -عن طريق الأحياء- إلى مواد عضوية حية تدخل فى كيان الأجسام الحية ثم تتحول -بالرغم من كون أصلها ذرات ميتة- تتحول إلى خلايا حية والعكس صحيح، ففى كل لحظة تتحول خلايا حية إلى ذرات ميتة إلى أن يتحول الكائن الحى كله إلى ذرات ميتة، وسبحانه:

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾

(الأنعام: ٩٥)

ولا يقدر على صنع ذلك إلا الله الذى أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، ولقد حاول العلماء الملحدون تفسير ظاهرة الحياة على غير أنها ليست من الله، وقد حاولوا تكرارا ومرارا أن يفسروا نشأة الكون ونشأة الحياة على الأرض دون الالتجاء أو الاعتراف بوجود الله - تعالى - ولكن هذه المحاولات كلها باءت جميعا بالفشل.

إن معجزة انبثاق الحياة من الموات يجئ ذكرها كثيرا فى القرآن الكريم، كما يجئ ذكر خلق الكون ابتداء فى معرض التوجيه إلى حقيقة الألوهية وآثارها الدالة على عظمته وكمال قدرته والدالة على وحدانية الله - تعالى - لينتهى إلى ضرورة وحدة الخالق الذى يدين له العباد ويعبدونه لا يشركون به شيئا، وذلك بالاعتقاد الراسخ بألوهيته وحده، والطاعة لربوبيته وحده، والتقرب إليه - تعالى - بالشعائر التعبدية. والقرآن الكريم يهدف من وراء ذلك تصحيح العقيدة عند البشر، ولذلك يُعقّب الله - تعالى - على معجزة الحياة بقوله - تعالى:

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾

(الأنعام:٩٥)

أى فكيف تصرفون عن هذا الحق الواضح للعقول والقلوب والعيون.

الخالق المتفرد

ثم يبين الله - تعالى - أن الذى انفرد بأنه فالق الحب والنوى فهو فالق الإصباح أيضا وهو الذى جعل الليل ليكون سكنا وراحة للعباد من عناء الجهد والتعب، كما أنه - سبحانه - وبقدرته جعل الشمس والقمر يتحركان بحركة محسوبة فى غاية الدقة، كما أن دورة كل منهما مقدرة وثابتة لا تتخلف، ولو حدث اختلاف فى ذلك لفنيت وبادت الحياة على هذا الكوكب الذى نعيش فيه.

وأما انفلاق الإصباح من الظلام فهو حركة تشبه فى شكلها انفلاق الحبة والنواة، وأن ظهور النور من بين ظلمة الليل تشبه ظهور البراعم على النبات بعد أن كانت حبة أو نواة، ولهذا نجد أن بينهما تشابها كبيرا من حيث الحركة

والخيرية والبهاء والجمال، فهى صفات مشتركة وكلها تدل على وحدانية الله - سبحانه - وتفرده بالخلق والإيجاد، كما أنه بيّن انفلاق الحب والنوى، وانفلاق الإصباح وسكون الليل صلة وثيقة.

حساب دقيق!

إن الإصباح والإمساء والحركة والسكون فى هذا الكون أو فى هذه الأرض ذات علاقة مباشرة بالنبات والحياة، فالأرض تدور حول نفسها وذلك أمام الشمس فى الفضاء الخارجى وكون القمر بهذا الحجم وبهذا البعد من الأرض، وكون الشمس كذلك بهذا الحجم وهذا البعد وهذه الدرجة من الحرارة، هذه تقديرات من الله -العزيز ذى السلطان القادر العليم وعلمه شامل- ولولا هذه القدرة القادرة ما دبت الحياة على سطح الأرض على هذا النحو الذى نراه ونشاهده، ولولا هذه القدرة ما ظهر النبت والشجر من الحب والنوى، إنه كون مُقدّر بحساب دقيق ومُقدّر فيه حساب الحياة، ودرجة هذه الحياة ونوع هذه الحياة ولا مجال فى صنع هذه الأمور وتقديرها للمصادفة كما تدعى الملاحدة، وهؤلاء الذين يقولون: «إن هذه الحياة فلتة عابرة فى الكون وأن الكون لا يحفل بها بل يبدو أنه يعاديها، وأن ضآلة الكوكب الذى قام عليه هذا النوع من الحياة توحى بهذا كله»، بل يقول بعضهم: «إن هذه الضآلة توحى بأنه لو كان للكون إله ما عنى نفسه بهذه الحياة!.. إلخ»، وما جاء فى هذا اللغو الهراء.

بحوث وأدلة علمية!!

وقد تكاثرت البحوث والأدلة العلمية - فى وجوه هؤلاء الملحدين -لتعلن عجز المصادفة عجزاً كاملا عن تعليل نشأة الحياة بما تستدعيه هذه النشأة، وما يلزم للنمو والبقاء والتنوع بعدها من الموافقات التى لا تعد ولا تحصى فى هذا الكون، إنها صنعة الله الذى خلق فسوى والذى قدّر فهدى، ولا يقدر على ذلك إلا العزيز العليم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.

والله نسأل أن يوفقنا إلى فقه إدراك صنع الله فى هذه المعجزة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه ولا نملك بعد هذا الفقه والفهم إلا التسليم بوحدانية الله - تعالى - وألوهيته والله الهادى إلى سواء السبيل.

***

ظاهرة الثأر.. وموقف الإسلام منها

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

إن ظاهرة الثأر من أبشع الجرائم وأشنعها، ومن أسوأ الظواهر وأخطرها، إذا تفشت فى مجتمع أو انتشرت فى بيئة أوردت أهلها موارد الهلاك، إنها تفتح أبواب الشر، وتحول حياة الناس إلى صراعات لا تنتهى إلا بترميل النساء، ويتم الأبناء، والقضاء على الروابط الإنسانية، وتحويل الحياة إلى سلسلة من الاغتيالات على مذابح الأضغان العائلية. فيظهر فى كل يوم دم من هنا ودم من هناك.

وظاهرة الثأر من العادات السيئة، ومن بقايا الجاهلية التى كانت منتشرة فى الناس قبل الإسلام، فلما أشرق الإسلام بتعاليمه السمحة قضى على هذه الظاهرة وشرع القصاص، حيث يطبق بالعدل، ويقوم به ولى الأمر، وليس آحاد الناس حتى لا تكون الحياة فوضى.

وما يجرى فى صعيد مصر من قتل لعدد كبير من الناس فى حوادث ثأر شىء خطير، وشر مستطير، يندى له الجبين، لأنه يحدث فى عصر وصلت فيه الثقافة المستنيرة، والحضارة الإسلامية قمتها، فلا يجب أن يحدث فى مصر بلد الأزهر الشريف والحضارة العريقة.

ومن أجل ذلك كان من واجب كل قطاعات المجتمع وهيئاته، الدينية فيها والأمنية، والعلمية، والثقافية، والإعلامية وغيرها أن تؤدى الدور المنوط بها لمناهضة هذه الظاهرة حتى لا تتكرر، فإن الإسلام قد طوى رسوله سيدنا محمد ﷺ صفحة هذه الظاهرة حين أعلن فى حجة الوداع، وفى حشود المسلمين وضع دم الثأر وإنهاء هذه الظاهرة إلى غير رجعة، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع.

كما أعلن - يومها أيضاً - حرمة الدماء والأموال والأعراض حين قال عليه الصلاة والسلام: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

وقرر القرآن الكريم مشروعية القصاص، وليس الثأر، وجعله بيد الحاكم أو ولي الأمر وليس بيد أفراد المجتمع، صيانة للحرمات وحقناً للدماء، وتطبيقاً للعدالة، ونشراً للاستقرار والأمن بين ربوع الأمة.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(سورة البقرة: ١٧٨، ١٧٩)

وكان في الجاهلية حيَّان من العرب اقتتلوا قبل الإسلام بقليل، فكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدة والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم، والمرأة منا بالرجل منهم، فنزل فيهم:

﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى ﴾

(سورة البقرة / ١٧٨)

ومذهب الجمهور والأئمة الأربعة أن الجماعة يقتلون بالواحد، وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في غلام قتله سبعة، فقتلهم وقال: «لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم».

وحكي عن الإمام أحمد رواية أن الجماعة لا يقتلون بالواحد، ولا يقتل بالنفس إلا نفس واحدة.

وقد شُرع القصاص لحكمة دقيقة وعظيمة وهي حياة النفوس، لأن القاتل حين يعلم أنه لو قتل سيقتل قصاصاً منه ينكف عن القتل وينزجر، فيكون في كفه حياة لمن كان سيقتله، وحياة لنفسه التي كانت ستقتل قصاصاً منه.

ولقد عقب القرآن الكريم على أول جريمة قتل حدثت في الدنيا حين قتل أحد ابني آدم أخاه، ببيان حرمة النفس الإنسانية وأن العدوان على نفس بغير حق عدوان على الإنسانية جمعاء، وأن الحفاظ على حياتها حفاظ على الحياة الإنسانية حيث قال الله تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ سورة المائدة «٣٢»

ضعف الإيمان

● ولابد من التعرف على أسباب ظاهرة الثأر لإنهائها ومنعها وعدم تكرارها:

● فمن أسباب هذه الظاهرة: «ضعف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»، ولاشك أن ضعف الإيمان يكون بسبب ضعف الأعمال الصالحة وقلتها، وأن قوة الإيمان وزيادته تكون بزيادة الطاعات والقرب من الله -سبحانه وتعالى- لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بزيادة الأعمال الصالحة وينقص بنقصها، فمن سمات المؤمنين الكاملين ما ذكره الله -تعالى- في قوله في وصف الكاملين في إيمانهم:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٢ - ٤)

فأصحاب الإيمان الكامل قلوبهم وجلة عند ذكر الله -تعالى- ويزدادون إيماناً على إيمانهم حين تتلى عليهم آياته، ويتوكلون على ربهم ويفوضون الأمر إليه، ويوثقون صلتهم بالله عن طريق الصلاة ويوثقون صلتهم بالمجتمع فينفقون مما رزقهم الله.

فحيث وجد الإيمان، وجدت قيمه ومبادئه، وأخلاقه التي يتحلى بها المؤمنون حيث يصبح بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتواصون بالحق وبالصبر، ويتحلون بالخلق الفاضل والصفح والتسامح والعفو والمحبة.

● ومن أسباب ظاهرة «الثأر»: رواسب الحقد والضغائن وحب التشفي والانتقام من الغير، والتباغض والتقاطع والتدابر، وقد نهى الإسلام عن هذه الرذائل التي تشعل نار البغضاء والانتقام، عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه البخاري ومسلم.

إن الشحناء التي تندلع في نفوس بعض الناس هي التي تؤجج نار الثأر عند بعض الناس، ولذا كان الوعيد الشديد لأهل الشحناء، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا» رواه مسلم، ومعنى أنظروا: أمهلوا.

بقايا جاهلية

● ومن أسباب «ظاهرة الثأر»: التحريش بين النفوس، والإفساد وتغيير القلوب عندما يستجيب أصحابها لوساوس الشيطان، عن جابر -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون

في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» رواه مسلم. والتحريش: هو الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم.

وقد تبدأ ظاهرة الثأر في بعض قطاعات الحياة، وبعض دوائر الأعمال بين أفراد الناس ومن يتقلدون بعض الأعمال فلا ينسى بعضهم حقده على الغير، فيبدو منه ما يعرف عند البعض بتصفية الحسابات فإن كان أخوه قد أساء إليه في شيء يسير يكيل له الصاع صاعين، ويثأر للماضي، ويسلك سبيل التشفي والظلم والعدوان.

وتتشكل ظاهرة الثأر وتتلون في كل بيئة أو موقع حسب أحوال الناس وعقولهم ونشأتهم، وما طبعوا عليه من الخلال والصفات.

• ومن أسباب ظاهرة «الثأر»: العصبية البغيضة، وهذه العصبية التي تظهر الآن، في بعض البلدان، هي من نوع العصبية القديمة التي كانت تتفجر بين الأوس والخزرج، إنها من بقايا الجاهلية ومن رواسب الماضي السحيق.

لقد كان بين الأوس والخزرج حروب كثيرة في الجاهلية وعداوة شديدة، وثارات وإحن، وضغائن وفتن، فكان بينهم قتال شديد، ووقائع كثيرة، حتى جاء الإسلام فدخلوا فيه، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا.

وبعد أن أصلح الإسلام شأنهم وأصبحوا متحدين متعاونين مرّ رجل من اليهود بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هم عليه من الألفة والتعاون والوفاق، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث، وتلك الحروب، ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوسهم وغضب بعضهم على بعض وتثاوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!»، وتلا عليهم هذه الآية:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

فعندما تلا عليهم الرسول ﷺ هذه الآية ندموا على ما كان منهم، وتصالحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح.

وهكذا نرى أن الإسلام قضى على تلك العصبية البغيضة، وقضى على الفرقة والشحناء، والحقد والبغضاء، وأسباب الصراعات التي يكون الثأر أحد نتائجها السيئة.

البداية غضب!!

ومن عجب أن تطل هذه الظاهرة البغيضة برأسها في بعض مجتمعاتنا الإسلامية وهي أبعد ما يكون عن الإسلام وأصحابها في إيمانهم ضعف، إنهم لم

يتحلوا بفضائل الإسلام التي تدعو إلى العفو والتسامح، وإلى الأمن والاستقرار، ولقد صفى الإسلام نفوس المسلمين منها تماماً، حتى في حروبهم مع أعدائهم وجه الإسلام إلى العدل والصبر والتسامح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة -رضي الله عنه- حين استشهد، وقد مُثّل به، فقال: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك» فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

(النحل: ١٢٦-١٢٨)

فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد» رواه الحاكم والبيهقي في الدلائل والبزار.

إنني أدعو الذين تحدثهم أنفسهم الأمارة بالسوء إلى البعد عن ظاهرة الثأر، أدعوهم إلى أن يتوبوا إلى الله -تعالى- حتى لا يموتوا على شعبة من شعب النفاق وضعف الإيمان، لأن ظاهرة الثأر تخرج صاحبها من حظيرة الإيمان، وتلعب برأسه وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمارة بالسوء، وأدعو الذين يتورطون في هذه الظاهرة فيما دون القتل أن يحافظوا على أنفسهم، فهذه الظاهرة قد تبدأ بما دون القتل من نحو اختلاف في الرأي، أو غضب من بعض الناس، أو كراهية، أو تنافس في أمور الدنيا، إلى آخر تلك الأسباب التي تجعل بعض النفوس القاسية تضمر الشر ولا تنسى ما لم يعجبها من الغير، فتلجأ إلى بعض وسائل الانتقام للنفس ولا تعفو عن الغير.. وهذه صورة مصغرة لظاهرة الثأر البغيضة في مهدها.. ولننظر إلى رسولنا ﷺ وهو القدوة الحسنة ما انتقم لنفسه قط، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى» رواه البخاري ومسلم.

الدعاة والمفكرون

كما أدعو الدعاة والمفكرين والكتاب والمسئولين وجميع أهل العلم والخير والإصلاح أن يقوموا بدورهم في تصفية جيوب هذه الظاهرة وأن تنهض الأسرة بواجبها ورسالتها، وبدل أن تورث أبناءها ظاهرة الثأر التي فيها مقت الله وغضبه، تورث الأبناء مكارم الأخلاق وكظم الغيظ والعفو والتعاون على البر والتقوى، وعلى جميع قطاعات المجتمع تنقية المجتمع من شوائب الشر والرذائل فإن وقاية المجتمع من الظواهر السلبية من أهم أسباب الأمن والاستقرار وعلى الإعلام بكل وسائله أن يؤدي أشرف دور إيجابي في الدعوة إلى الله وإلى الحق، والله الهادي إلى سواء السبيل.

خطبة الجمعة

نَظْرَةُ الإِسْلَامِ إِلَى المَالِ

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي

إعداد الشيخ/ علي عامر عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا رسول الله، الرحمة المهداة والنعمة المسداة، والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فإن المال لا يطلب لذاته في هذه الدنيا وإنما يطلب عادة لما يضمنه من مصالح ولما يحققه من منافع، إنه وسيلة، والوسيلة تحمد أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة أو سيئة.

المال كالسلاح، والسلاح في يد المجرم يقتل به الآخرين ولكنه في يد الجندي قد يدفع به عن وطنه أو يحرس به الأمن في بلده، فليس السلاح محمودا أو معيبا لذاته والمال كذلك وقد قال الله -تعالى- في المال وما يسوق لأصحابه في الدنيا والآخرة من خير أو شر، قال:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

(الليل: ٥ / ١١)

والمال كما يكون زينة الحياة ييسر مباهجها ويقرب شهواتها، فقد يكون كذلك سياج الدين وضمان بقائه، ومدد تسليحه وحمايته وقد قال الله في وصف المال والبنين:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(الكهف: ٤٦)

وقال كذلك في قيمة المال والبنين لإحراز النصر، ورفع الشأن، قال:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

(الإسراء: ٦)

فتنتصر الأمم بالمال والبنين، وتنهزم كذلك بالمال والبنين يوم يكون مالها أداة ترف، ويوم يكون مصدر استعلاء وطغيان، ويوم يكون أبناؤها طلاب ملذة، وأحلاس لهو ولعب.

وللإسلام موقف من المال نحب أن نشرحه، فإن بعض المثقفين الجدد يظنون أن الدين تحدث في العقائد أو في العبادات، وأن حدوده شرقا وغربا تنتهي بالعقائد والعبادات، أما حديثه عن المال والاقتصاد فإن هذا الحديث مستغرب منه ومستكثر عليه، وما درى أولئك المثقفون الجدد من ضحايا الغزو الثقافي الاستعماري العالمي ما درى هؤلاء أنهم ينتمون إلى دين ما ترك خيرا إلا أمر به ولا شرا إلا نهى عنه، ولا مصلحة تقرب العباد إلى الله إلا أكدها ولا مضرة تصرف الناس عن ربهم إلا أبعدها وندد بها وبارتكابها.

والإسلام ينظر إلى المال من نواح عديدة والناحية التي نتحدث عنها اليوم نريد أن نتدبرها بأناة، لأنها تفرق بينه وبين بعض المذاهب الاقتصادية السائدة في الدنيا.

سداد الدين مقدم على فريضة الجهاد!!

والإسلام يضمن أو يبيح ويقر حرية التملك، ويعتبر حق التملك حقا له قداسته ومكانته، ويعتبر أن الجور على هذا الحق أو توهينه في المجتمع ليس من شأن المسلمين، ولا هو من مسالك الأتقياء، لكل إنسان الحق المطلق في أن يكتسب بكد يمينه، وعرق جبينه ما يقيم به معايشه، وما يصون به مروءته، وما يربي به ولده، وما يحفظ به عرضه، لكل إنسان الحق كاملا في هذا، والله عز وجل يرفض أي عدوان على حق التملك أو اجتياح لحقوق الناس المالية دون سبب مشروع، فيقول جل شأنه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

(النساء: ٢٩)

ويقول -جل شأنه-:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٨)

ويقول جل شأنه:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾

(النساء: ٥)

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «كل

المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1].

وكما أن العدوان على الدم والعرض منكر لا يقبل، فكذلك العدوان على المال، وفي خطبة الوداع بين النبي -عليه الصلاة والسلام- ما ينبغي لحقوق الناس المالية من قداسة فقال بعد أن تساءل: أي شهر هذا؟.. أي بلد هذا؟.. قال: «فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا»[2].

وكان أبو الدرداء -رضي الله عنه- يقف على ممر الناس إلى طريق الجهاد ويقول: «أيها الناس من كان يعلم أنه إذا مات في هذا الوجه وعليه دين لا يدع له قضاء فليرجع فإنه لن يصيب أجرا بجهاده».

أي أنه يقول للمدين: قبل أن تجاهد سدد الدين الذي عليك ربما خرجت فمت دون أن تدع تركة تكفي سداد دينك فتلقى الله وأنت مدين.

الإنسان عبد لله وحده

وهكذا كان المسلمون يحترمون حق التملك، لكن الإسلام الذي احترم حق التملك أثقله بالقيود، وقبل أن نقول ما هي القيود التي أثقل الإسلام بها حق التملك، أريد أن أشرح شرحا عقليا السبب في أن الإسلام احترم الملكية الخاصة، ورفض ما تبنته بعض النظريات القديمة والحديثة من شيوع المال ورفض الملكية الخاصة. الواقع أن الإسلام احترم الملكية الخاصة؛ لأنه يحترم حرية الإنسان، ولما كان حق التملك جزءا من الحرية الإنسانية فإن الإسلام لم يصادره، والله -سبحانه وتعالى- لم يخلق الإنسان ليكون عبد أحد، وإنما خلقه ليكون عبد ربه وحده -جل شأنه- ومن حق الإنسان أن يكون حرا ومن تمام حريته أن يمتلك، هذا سبب، وسبب آخر أن تثمير الأموال وزيادة الإنتاج إنما يكونان مع الملكية الخاصة، فإن صاحب المال الذي يعلم أن يده عليه وحقه فيه يسهر على حمايته ويفتن في إبعاد الآفات عنه، ولكنه يوم يعلم أن هذا المال ليس له، وأن زيادته لن تعود عليه، فإنه لا يبالي زاد أم نقص، وإن بالى فإن دوافعه إلى حفظه ستكون أضعف من دوافعه النفسية يوم يكون المال ملكا له.

وقد ثبت عن طريق التجربة أن المال الخاص أنمى وأقدر على المضي في سلم الترقي والزيادة من أي مال عام!! هذه هي الأسباب، وهناك أسباب أخرى جعلت الإسلام يحترم الملكية الخاصة.

(1) رواه مسلم في البر- باب تحريم ظلم المسلم ٨/١٠/٦١ وأبو داود في الأدب باب في الغيبة- عون المعبود ١٣/٢٢٦ والترمذي في البر- باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم تحفة الأحوذي ٦/٥٤، وابن ماجة في الفتن- باب حرمة دم المؤمن وماله ٢/١٢٩٨ وأحمد ٢/٢٧٧، ٣/٤٩١.

(2) رواه البخاري في الحج- باب الخطبة في أيام منى ٢/٢١٥ ومسلم في القسامة- باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٥/١٠٧، ١٠٨.

الإسلام يرفض الملكية المستغلة

ومع احترام الإسلام للملكية الخاصة، فإنه أثقل هذه الملكية بالقيود، ولعل أول هذه القيود وأجدرها بأن ينبه إليه أن الإسلام لا يحترم الملك الخاص إلا إذا كان من وجه صحيح ومن طريق مباح.

أما أن يكون التملك من ربا، أو من احتكار، أو من غصب، أو من قمار، أو من احتيال، أو من أي باب من أبواب السحت، فإن الإسلام يرفض هذا التملك رفضا باتا، بل يرى أن المرء إذا كسب ثوبا من حرام فصلى فيه لم تقبل صلاته، وإذا غذى جسمه من سحت فإلى جهنم.. «لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به»[3].

هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الأرض الزراعية بالذات يقول: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»[4].

أول ما يقيد الإسلام الملكية به أن يقول لك: أبصر جيدا القرش الذي تكسبه أمن حرام هو أم من حلال؟ فإن كان من حرام فلا حق لك فيه وما يجوز أن تستبقيه، بل يجب أن تتركه فورا، فإذا كسبت من حلال فللإسلام هنا توجيهات:

- التوجيه الأول: ألا تظن نفسك المالك الأصيل لهذا المال، بل أشعر أن المالك الأصيل له هو ربك الذي خولك وملكك ومنحك وأعطاك!! وأنت لست إلا صاحب يد عارضة عليه، ومن فضل الله عليك أن جعل يدك في هذا المال تعطي نفسك، وتعطي غيرك، والمالك الأول هو رب العالمين.

وهذا المعنى هو الذي أكده القرآن في قوله -جل شأنه-:

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾

(الحديد: ٧)

سئل أعرابي كان له قطيع غنم يملكها.. سئل لمن هذا القطيع؟ كان جواب الرجل: هو لله عندي!! وهذا جواب سديد فلا تظن نفسك بالتملك قد أصبحت مالك الملك

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

(الشورى: ٤٩)

نظرية الاستخلاف

فاعتبر نفسك مستخلفا، وهذه النظرية -نظرية الاستخلاف- تجعلك تدقق فيما تنفقه على نفسك أو على غيرك أي ليست حريتك مطلقة فأنت مراقب في تصرفك، مراقب من صاحب المال الذي وظفك فيه. المال مال الله هذه ملاحظة، الملاحظة الثانية.. أن الإسلام يطلب من أبنائه أن يكونوا أصحاب همم

(3) رواه أحمد ٣/٣٢١، ٣٩٩ والدارمي في الرقاق- باب في أكل السحت ٢/٣١٨ وذكره الهيثمي في المجمع وقال رواه الطبراني في الأوسط من رواية أيوب بن سويد عن الثوري وهي مستقيمة ١٠/٢٩٣.

(4) رواه البخاري في المظالم باب إثم من ظلم شيئا من الأرض ٣/١٧٠ ومسلم في المساقاة- باب تحريم الظلم وغصب الأرض ٥/٥٨، وأحمد ٤/١٧٣، ٦/٦٤.

فكسب المال عندهم يخضع لتصرف الهمة الكبيرة، قد يكون المال قريبا منك، ولكن لا ينبغي أن تأخذه من أيسر سبيل وتقعد.

عندما عرض على عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- أن يتملك وأن يعيش على فضل أخيه كان جواب عبدالرحمن: لا دلوني على السوق.

وبهذا الخلق استطاع المهاجرون أن يزاحموا الاقتصاد اليهودى في المدينة المنورة وأن يجعلوا المال إسلاميا، وهذا شيء له خطورته في كسب النصر للدين نفسه، فإن الاقتصاد يوم تعبث به أيدى من لا ملة لهم ولا شرف فإنهم يسخرونه في ضرب الملة السمحة.

ومن هنا اعتبر أن يد المعطى هي اليد العليا، الله هو الأعلى، ويد المعطى يد عليا، والآخذ يده دنيا ولأن تكون أسدا تأكل الثعالب من فضلاته أشرف من أن تكون ثعلبا تأكل من فضلات الناس.

فقدنا الحس بالدين والدنيا

ولذلك كان الإسلام شديد الحض على أن ينطلق المؤمنون في المشارق والمغارب يكسبون رزقهم ويطلبون فضل الله في فجاجه المبعثرة هنا وهناك، أو المخبوءة تحت طباق الثرى وهذا سر قوله -جل شأنه-:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾

(الأعراف: ١٠)

وقوله جل شأنه:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(النحل: ١٠-١٤)

والمدهش أن البحر المسخر للناس يستخرجون منه اللحم الطرى أعجز أهل الأرض في استخراج سمكه هم المسلمون.

إن أمتنا في الحقيقة معطوبة في صميمها، لأنها فقدت الكثير من حسها الدقيق بالدين والدنيا معاً.

أكاذيب تشاع باسم الإسلام

احترام الإسلام حق التملك، يسر للناس أسباب التملك كما سمعتم:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(هود: ٦١)

ومع ذلك يجيء من ينتسب إلى العلم الديني وهو جهول يجب طرده من ميدان العلم والدين معا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث بخراب الدنيا لا بعمارتها.

وما أكثر الأكاذيب التي تشاع باسم الإسلام والتي جعلت المسلمين يعيشون في الدنيا على فضلات الأقوياء وبذلك أصبحت أياديهم الدنيا.. وفي الوقت نفسه أصبح دينهم في المرتبة الدنيا، لأنه ما ينتصر دين بغير دنيا، كيف تنصره إذا كنت فارغ اليد؟ كيف تحميه إذا كنت فقيرا لا ثروة لذلك؟ كيف.. كيف..؟

فإذا ملكت من حلال فإن الإسلام يوجب عليك أمورا أول ما يوجب الإسلام فريضة الزكاة، وهي فريضة ليست هينة، ولو أن المسلمين أخرجوا زكاة أرصدتهم وأموالهم، وتتبعوا بها ثغرات المجتمع وعورات الناس لأراحوا الأمة من بلاء كثير.

ولقد حدث أيام الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز -رضي الله عنه- وكان أميرا عادلا وخليفة راشدا حدث ببركة العدل، وبركة الإيمان والتراحم، أن الزكاة أخرجت في أفريقيا أي في مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش خرجت الزكاة فلم يوجد لها من يأخذها في هذه الأقطار الرحبة كلها، لأن الله أغنى الناس بعدل عمر. فماذا صنع عمر؟ أمر بأن يشترى بالزكاة عبيد ويحررون بمال الزكاة واعتبر ذلك مصرفا بنص الآية:

﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾

(التوبة: ٦٠)

إن الخير الكثير يمكن أن يتحقق إذا وجدت فيه نية التراحم والعطاء، ووجد القصد الذي يستهدف وجه الله بما يعطى وبما ينفق، وقد قاتل الإسلام من أجل الزكاة، وكان قتاله فيها حاسما، ولعله أول قتال ظهر في تاريخ البشرية.

كان الناس يتقاتلون لأمور كثيرة، ولكن أول جيش ظهر في تاريخ الإنسانية يحارب ليرغم الأغنياء على إخراج الحق المعلوم للفقراء والمساكين ما فعله أبوبكر الصديق -رضي الله عنه.

قد تكون الزكاة حدا أدنى، فإن المجتمع ربما ظهرت له حاجات، وهنا على الناس أن ينفقوا، وهنا يجيء دور الصدقة، وهو ما أشار إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو يعلم الناس في مجتمع المدينة المنورة كيف يتعاونون ويتراحمون: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس»[٥]، وفي الحديث -أيضا-: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» قال أبوسعيد: «فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في الفضل»[٦].

وفي حديث رواه أبو داود، قال رسول

(٥) رواه البخاري في مواقيت الصلاة- باب السمر مع الضيف والأهل ١/١٥٦.

(٦) رواه مسلم في اللقطة- باب استحباب المؤاساة بفضول المال ٥/١٣٨ ورواه أبو داود في الزكاة- باب حقوق المال- عون المعبود ٥/٨١ ورواه أحمد ٣/٣٤.

الله صلى الله عليه وسلم: «تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين فأما إبل الشياطين، فقد رأيتها، يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرا منها، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله»(7).

إن النبى -عليه الصلاة والسلام- طبق على نفسه هذه القضية، فعندما كانوا يسيرون إلى «بدر» والمسافة بين بدر والمدينة المنورة أكثر من مائة كيلو متر، كانوا يتعاقبون كل ثلاثة على جمل، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم واحدا من ثلاثة أظن فيهم على بن أبى طالب -رضى الله عنه- فخجل من مع رسول الله أن يمشى وهم يركبون فقالوا يا رسول الله: اركب أنت ونمشى نحن فرقض.. وقال: «ما أنتما بأقوى منى على المشى ولا أنا أغنى منكما عن الأجر»(8) لست بأغنى منكما عن ثواب الله.. الخطوات فى سبيل الله لها أجرها وأنا فقير -وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلى هذا الأجر هذه هى طبيعة الكبار، طبيعة النفس الكبيرة!!.

تراثنا الذى ضيعناه!!

وما قرره الإسلام فى هذا جاءت به مكارم الأخلاق فى بلاد العرب من قديم.. ومما نحفظه من شعر حاتم يقول:

إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فإن حملتكما
فذاك وإن كان العقاب فعاقب (9)

القلوص: الناقة.. وإن كان العقاب فعاقب: أى إن كانت تضعف عن حملكما معا فتعاقبا عليها.. أى أنت تسير وتعقبه وهو يركب ثم يعقبك.. وهكذا.

ومما يعرف فى تاريخنا العربى الأدبى -ولكن العصر الحديث لا يعرف هذا- أن شاعرا اسمه بن الورد يقول مخاطبا آخر ويبدو أن الآخر كان بدينا قويا، يقول:

إنى امرؤ عافى إنائى شركة
وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى
بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد (10)

ومعنى الأبيات الثلاثة يقول الرجل لصاحبه أنت تهزأ بى؛ لأن شحوب الحق أجهدنى، والحق قد يجهد أصحابه، إذا كنت تهزأ بى فالسبب واضح، إنى امرؤ طبقى شركة بينى وبين غيرى، أما أنت فتنفرد بطبقك تأكله وحدك.

هذه المعانى أو هذه الآداب لو كانت فى أوروبا أو أمريكا لكتبت بماء الذهب كما يقولون وقيل: هذا تراثنا من أنضر صور الاشتراكية وهذه كلمة ضقت بها من كثرة ما لوثت من تطبيقات رديئة ومما اكتنفها من لصوصيات خبيثة.

إن عندنا فى الإسلام نظما اجتماعية لا نظير لسموها وشرفها، يقول ابن حزم فى كتابه «المحلى»: «ولكل مسلم الحق فى بيت يأوى إليه ويصونه من الحر والبرد وعيون المارة».

لو قال هذه الكلمة شيوعى لطوفت الدنيا!! على أن هذا المبدأ يعطى الناس كراماتهم المادية والأدبية، ويجعل لكل إنسان بيتا لكن قائل الكلمة فقيه مسلم مسكين!! فقيه مسلم ليس له أهل.. ليس له ورثة.. ليس له رجال يحتضنون مواريثه!! فقيه مسلم.. هذا عيب الكلمة.. وهكذا الدنيا.

صح ما قيل إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإن أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

أصالة أمتنا

إن الاقتصاد الإسلامى اقتصاد فريد وليس شيئا مجلوبا من شرق أو غرب لأنه ناضج من وحى السماء ومن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد تحدث فقهاؤنا عن التسعير، والمعروف أن الإسلام يعتبر التجارة حرة، ويتدخل فى التسعير للضرورة ولكنه عندما يسعر وهو دين فقه وتشريع لا أظن أحداً ممن درس الفقه الرومانى، أو الفقه الفرنساوى، لا أظن أحداً قرأ أن هناك تسعيراً للخدمات الاجتماعية والأدبية، لكن فى كتاب «الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية» لابن القيم وجدت تسعير الخدمات وهو ما يطبق الآن فى البلاد الراقية.

ففى انجلترا يضرب العمال؛ لأنهم يرون أن جهدهم ينبغى أن يباع لصاحب العمل بجنيه وصاحب العمل يرى أنه لا يساوى غير نصف جنيه.

فالتسعير للجهد، للمواهب، للنواحى العلمية والفنية، للشهادات والإجازات العلمية، هذا التسعير من تحدث فيه؟

وجدت أن فقهاء المسلمين تحدثوا فيه ويمكن لأى هيئة قضائية محترمة أن تسعر الجهد المبذول، المواد التى يستهلكها الناس فى ضروراتهم.

إن الإسلام دين خصب وفيه من النصوص فى الكتاب والسنة ما يؤسس اقتصادا له ملامحه المتميزة، وله آثاره المباركة، وعندما نرفض وصفا يستجلب من الخارج فنحن إنما نقدم بدله من تراثنا

(7) وبقية الحديث: «.. وأما بيوت الشياطين فلا أراها إلا هذه الأقفاص التى يستر الناس بالديباج» رواه أبو داود فى الجهاد- باب فى الجنائب عون المعبود ٧/٢٣٦.

(8) عن عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- قال: لما كان يوم بدر كان كل ثلاثة على بعير = كان على بن أبى طالب وأبو لبابة زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فكان إذا كانت عقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: نحن نمشى عنك. فقال: «ما أنتما بأقوى منى ولا أنا أغنى عن الأجر منكما» ذكره الهيثمى فى المجمع، وقال رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ٦/٦٨.

(9) ديوان حاتم الطائى: ٣٧ دار بيروت.

(10) ديوان عروة بن الورد: ٢٩.

الأصيل ما يغني.

الآفة أن بعض الناس لا يعرف هذا التراث، ولذلك لا يعرف الأصالة لأمتنا، ولذلك هو بجهله حرب عليها، ودققوا النظر فإن بعض الصحف تريد أن تطبق العلمانية، أى مبدأ العيش بلا دين وهى تسعى إليه بالكلمة، بالصورة، بالالتفاف والدوران، كى تهيأ النفوس لهذا.

ونحن نريد أن نلفت النظر إلى أصالتنا، وإلى أن لدينا من لبنات البناء ما يمكن أن نقيم به مجتمعا صلبا، واقتصادا ناجحا، وليس من الضرورى أن نتسول من شرق أو غرب.

الإصلاح ونزعة التدمير

عباد الله: أوصيكم ونفسى بتقوى الله عز وجل.. واعلموا أيها الناس أن الإصلاح ليس تجارة التافهين، إن للإصلاح قواعده، وإن له رجاله: والمصلحون الأصلاء قبل أن يمحوا وضعا رديئا يعرفون كيف يجيئون بالبدل الصالح، هناك ناس تغلب عليهم نزعة التدمير ونزعة العداوة للماضى. أنا لست من أنصار لبس الطربوش، لأنى لم ألبسه ولم آلفه، ولكن العقل المحترم الذى يريد محاربة الطربوش كان ينبغى عليه قبل أن يحاربه أن يقول: دعوا هذا.. هذا خير منه، لكن الطبيعة المدمرة عند بعض الناس عرت رءوس المصريين وجعلتهم شعبا عارى الرأس فى أرض الله، ليست له شارة قومية خاصة يعرف بها فوق رأسه، والسبب أن الذى دمر كان يحسن التدمير فقط، ولا يحسن البناء، ويوجد ناس كثيرون من هذا النوع وهذا سر قول القائل:

أيها العائب أفعال الورى
أرنى بالله ماذا تفعل

لا تقل عن عمل ذا ناقص
جىء بأوفى ثم قل ذا أكمل

إن يغلب عن عين سار قمر
فحرام أن يلام المشعل

لكن هناك ناساً يحسنون النقد والتدمير، ولا يحسنون البناء والتعمير وما أكثرهم فى بلادنا، وعداوتهم تكون ضارية عندما يشتبكون بالإسلام وأهله.. ألفت النظر إلى هؤلاء، إننا نريد أن نبنى على ديننا، وأن ننطلق من قواعدنا، وأن نحترم الأصالة التى أقامها الله علينا.

«اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر»[11].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة الحشر: ١٠)

عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل: ٩٠)

(١١) رواه مسلم والنسائى وأحمد.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

الأمانة

فى القرآن الكريم والسنة النبوية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

أشق وأثقل وأضخم وأعظم التكاليف التى حملها الإنسان الأمانة..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(الأحزاب: ٧٢)

لقد بين الله - عز وجل - فى هذه الآية الكريمة ضخامة التبعة والمسئولية التى حملها الإنسان من التكاليف والفرائض الشرعية التى كلف الله بها عباده.. من إخلاص فى العبادة، ومن أداء للطاعات، ومن مجانبة للمحرمات، ومن محافظة على آداب هذا الدين وتعاليمه، وأخلاقه وشعائره وسننه، والتى عبّر عنها - سبحانه - فى الآية الكريمة بالأمانة.

فهذه التكاليف بجميع أنواعها وصورها، العقائدية والجسدية والمالية والسلوكية من حقوق أمرنا الله برعايته وتنفيذها، وائتمننا على أدائها كما طلبها الله، عندما قبل الإنسان حمل هذه الأمانة عند عرضها عليه، بعد أن أبت السموات والأرض والجبال حملها عند

عرضها عليها، لثقلها وضخامتها ومشقتها، إلا أن بعض جنس الإنسان لم يلتزموا بأداء ما كلفهم الله - تعالى - بأدائه على الوجه الذى طلبه الله وأمرنا به، فظلموا أنفسهم خيانتهم هذه الأمانة.. فالإنسان إذن مطالب بأداء هذه الأمانة أيا كان موضعها، وأيا كان نوعها، ومسئول عن التقصير فى أدائها.. والذى نشاهده من سلوك كثير من الناس أنهم فسّروا الأمانة وقصروها على رد الودائع التى يؤتمنون عليها، مع أن تفسير الأمانة وقصرها على هذا المعنى يعتبر إهمالا جسيما، وبعدا شاسعا عن معانيها وصورها المتنوعة والمتعددة فى جميع التكاليف والفرائض والسنن، قولا وفعلا وسلوكا.

فمن معانى الأمانة - التى أهملها بل وأغفلها كثير من الناس - أن يحرص الإنسان على أداء واجباته كاملة فى كل عمل يسند إليه، وأن يبذل جهده فى إنجازه وإتمامه على أحسن وجه، وفى أتم صورة، وأن يعمل على قضاء مصالح الناس التى وضعها الله أمانة بين يديه، وأن يراقب الله عند اتخاذ أى قرار يأمر به أو يُوقعه، فلا يحابى قريبا، أو يجامل صديقا، أو يسلب حقا، أو يمنع عدلا، أو يتقاضى مالا عن طريق الرشوة أو عن طريق التحايل واستغلال السلطة لصرف مكافآت مالية عن أداء أعمال وهمية، أو عن أداء أعمال لم يزاولها ولم يشارك فيها، بل ولا يعرف عنها شيئا، مستغلا منصبه الوظيفى، وما أكثر هؤلاء!!! الذين غرتهم الدنيا فنسوا الله، ونسوا الموت، ونسوا البعث، ونسوا الحساب والجزاء.

أمانة ولى الأمر

إن أعظم خيانة للأمانة أن يتولى إنسان أمور الناس فيهملها وينام عنها حتى يضيعها، كما أن الاستيلاء على المال العام دون وجه حق، والتربح منه بالطرق الملتوية هو مال سُحت، قال رسول الله ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»(١)؛ لأنه اختلاس من مال الجماعة الذى يُنفق منه فى حقوق الضعفاء والفقراء، ويُرصد للإنفاق على المصالح والخدمات العامة، يقول الله - تعالى -:

﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ١٦١)

وقد شدد الإسلام فى ضرورة البعد عن استغلال النفوذ، وشدد فى رفض المكاسب المشبوهة، فعن أبى زُرارة عدى بن عميرة الكندى - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتى به يوم القيامة» قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار، كأنى أنظر إليه، فقال: يا رسول الله اقبل عنى عملك، قال: «وما لك؟» قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: «وأنا أقوله الآن، من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتى منه أخذ، وما نُهى عنه انتهى»(٢).

أما الإنسان الذى يلتزم حدود الله فى وظيفته، ويراقب الله فى عمله، ويخشى الله فى أقواله وتصرفاته، فيؤديها بأمانة، ويأنف من خيانة الواجب الذى كلف به، فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه وإعلاء كلمته، قال رسول الله - ﷺ -: «العامل إذا استعمل فأخذ الحق، وأعطى الحق، لم يزل كالمجاهد فى سبيل الله حتى يرجع إلى بيته»(٣).

الأمانة فى العلاقة الزوجية

وللعلاقات الزوجية فى نظر الإسلام قداسة، لها حرمتها التى يجب أن تُصان، وأسرارها التى يجب أن تظل فى طى الكتمان، وخصوصياتها التى يجب أن تحفظ فى أمان، فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل وزوجته يجب أن يُطوى فى أستار مسبلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، ولا يعلمه إنسان مهما كانت صلته.. غير أن السفهاء من العامة، والوضعاء من البشر، وفاقدى المروءة، وعديمى الحياء يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهليهم من أمور، ويكشفون الأسرار التى سترها الله، ويتحدثون عما يجرى فى الحجرات المغلقة بين الزوج وأهله من أقوال وأفعال، بل يتباهى بعضهم بالحديث عن أدق الخصوصيات فى العلاقات الزوجية، لا يمنعه أدب، ولا يرده حياء.

وهذا العمل.. نذالة فى السلوك، وسفالة فى الأخلاق، ووقاحة حرّمها الله، وخيانة للأمانة، فعن أسماء بنت زيد أنها كانت عند رسول الله - ﷺ - والرجال والنساء قعود عنده، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «لعل رجلا يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها! فلزم القوم «سكتوا وجلين» فقلت: أى والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن! قال: فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون»(٤).

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة - أى أعظم خيانة الأمانة - الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر سرها»(٥) فهذا العمل فحش وخيانة للأمانة التى أمر الله بسترها وحفظها.

وهؤلاء الذين يفعلون ذلك العمل الفاحش يبغضهم الله - تعالى - ومَن يُبغضه الله فقد خرج من دائرة رحمته، وحُرم من النعيم المقيم الذى أعده الله لعباده المؤمنين؛ واستحق أن يلقى جزاءه فى نار جهنم وبئس المصير.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - قال: «إن الله يُبغض الفُحش والتفحش، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُخوَّن الأمين، ويؤتَمن الخائن، حتى يظهر الفحش والتَّفحش، وقطيعة الأرحام، وسوء الجوار، والذى نفس محمد بيده، إن مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذهب، نفخ عليها صاحبها فلم تغيَّر ولم تنقُص، والذى

(١) أخرجه أبوداود.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٣) وأبوداود.

(٣) أخرجه الطبرانى.

(٤) أخرجه أحمد.

(٥) أخرجه مسلم (١٤٣٧).

نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل النَّحْلة أكلت طيبا، ووضعت طيبا، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد» قال: وقال: «ألا إن حوضا ما بين ناصيتيه كما بين أيلة إلى مكة – أو قال: صنعاء إلى المدينة – وإن فيه من الأباريق مثل الكواكب، هو أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدا»[٦].

وخيانة الأمانة من صفات المنافقين، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، يقول الله – تعالى –:

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

(النساء: ١٤٥)

عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال: «أربع من كُنَّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٧].

فالأمانة من أعظم الصفات الخُلُقية التي مدح الله بها عباده المؤمنين، والتي أوصلتهم إلى أعلى درجات الفلاح عند الله.

الأمانة من صفات المؤمنين

والأمانة هي إحدى الصفات التي من أقامها والتزم بتنفيذها وحرص على أدائها دخل الجنة، عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: كان إذا نزل الوحي على رسول الله – ﷺ – نسمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوما، فمكثنا ساعة، فسري عنه، فاستقبل القبلة، فرفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا» ثم قال: «لقد نزلت عليَّ عشر آيات، مَنْ أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(المؤمنون: ١-١١)

والفلاح: الظفر بالمراد، وإدراك المأمول من الخير والبر مع البقاء عليه، والمعنى: قد فاز وظفر بالمطلوب أولئك المؤمنون الصادقون الذين من صفاتهم.. أنهم يقومون بحفظ ما ائتمنوا عليه من أمانات، ويؤمنون بعهودهم مع الله – تعالى – ومع الناس، ويؤدون ما كلفوا بأدائه من عبادات ومعاملات وواجبات وأداء حقوق وأوامر ونواه بدون تقصير أو تقاعس.

(٦) مسند أحمد وابن ماجة.

(٧) متفق عليه.

العناية الإلهية بالأمانة

ولقد حظيت الأمانة بتلك العناية الإلهية، وهذا الفضل الرباني، وأجزل الله الثواب والجزاء لمن يتصف بها ويحافظ على أدائها، لأن أي أمة من الأمم لا تستقيم حياتها، ولا تستقر أوضاعها، ولا ترقى أحوالها إلا إذا أديت فيها الأمانات، وحفظت فيها العهود، واطمأن فيها كل صاحب حق إلى وصول هذا الحق إليه.. ولذا أمرنا الرسول – عليه الصلاة والسلام – بأداء الأمانة، ونهانا عن الخيانة حتى ولو مع الخائنين، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[٨]، ووصف الرسول – ﷺ – المؤمن بأنه الذي يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويديه، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[٩].

ضياع الأمانة فساد للمجتمع

وحذرنا رسولنا الأمين – عليه الصلاة والسلام – من عاقبة ضياع الأمانة، وما يترتب على ضياعها من فساد المجتمع، وضياع الحقوق، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «كيف بكم، وبزمان يُوشك أن يأتي يُغربل الناس فيه غربلة «يذهب خيارهم ويبقى شرارهم»، ثم تبقى حثالة من الناس «الحثالة: الرديء من كل شيء»، قد مَرِجت «فسدت» عُهودهم وأماناتهم، فاختلفوا هكذا – وشبّك بين أصابعه – قالوا: كيف بنا يارسول الله إذا كان ذلك؟ قال: تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتُقبلون على خاصتكم، وتذرون أمرَ عوامكم»[١٠].

واعتبار الوديعة غنيمة باردة، هو ضرب من السرقة الفاجرة، عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «القتل في سبيل الله يُكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة – وإن قُتل في سبيل الله – فيقال: أدِّ أمانتك! فيقول: أي ربِّ، كيف وقد ذهبت الدنيا؟، فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، وتُمثل له أمانته كهيئتها يوم دُفعت إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملُها على منكبيه، حتى إذا ظنَّ أنه خارج زلت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدَّها، وأشد ذلك الودائع»[١١].

قال راوي الحديث: فأتيت البراء بن عازب، فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال: كذا! قال البراء: صدق، أما سمعت الله يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

(سورة النساء: ٥٨)

(٨) أخرجه أبوداود والترمذي.

(٩) أخرجه الترمذي.

(١٠) أخرجه ابن ماجة وأبوداود.

(١١) أخرجه أحمد.

مِنْ أمْثَالِ السُّنَّةِ المُطَهَّرَة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة[1].. ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة.. لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة.. ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة.. ليس لها ريح، وطعمها مر»[2] حديث حسن صحيح.

تمهيد

الأترجة، والتمرة، والريحانة، والحنظلة.. كلها نباتات وثمرات يعرفها العربى.. ولكل منها فى حسه مذاق فأطيبه وأحسنه.. مذاق الأترجة، وأمرّها هو.. الحنظلة.

حكمة الداعية

وإذ يريد الداعية تزويد المؤمن بما يجدد إيمانه.. فإنه يستثمر هذا المذاق فى محاولة لربط المؤمن بالمثل الأعلى، من حيث كان المحسوس سبيلا إلى ترسيخ المعانى المجردة فى النفوس.

ولما كانت الأترجة أعلى هذه الثمرات.. وكان لها فى الحس العربى شأن أى شأن.. ولما كان المقصود هنا أن يكون القرآن زاد المسلم اليومى.. فلا جرم أن كان هذا المثل.. وكانت هذه المقارنات لينقل إحساسه بها إلى هذا المقصود.. ليصير القرآن رائده وقائده مؤكدا ما يلى:

أن كلام الله - تعالى - له تأثيره فى باطن العبد وظاهره، وأن العباد متفاوتون فى ذلك.. فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء.

- ومنهم من لا نصيب له البتة، وهو المنافق الحقيقى.

(١) الأترج: معروف واحدته ترنجة وأترجة، والعامة تقول أترنج وترنج، والأول كلام الفصحاء.

(٢) صحيح البخارى ٦/٢٣٥، ٧/٩٩، صحيح مسلم صلاة المسافرين ٢٤٣، فتح البارى ٩/٦٦.

- ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائى أو بالعكس وهو المؤمن الذى لا يقرأه.

- ومن مظاهر حكمته أيضا مطابقة الحديث للواقع، فواقع الناس شاهد بما يلى:

فهم: إما مؤمن، أو غير ذلك.

والثانى: إما منافق صرف، أو غير ذلك.

والأول: إما مواظب على قراءة القرآن، أو غير مواظب.

من خصائص الأترجة

وللأترجة خصائصها التى تجعلها حقا مثال المؤمن، فهى من ناحية الشكل أحسنها عند العرب.. ومن ناحية القيمة فهى أنفس الثمار.

وقد تكون هذه النفاسة راجعة إلى اتساع مدى المتعة بها، فالحواس الأربع تشترك فى هذه المتعة: حاسة البصر، والذوق، والشم، واللمس.. فحجمها كبير، ومنظرها أخاذ، وطعمها طيب، وريحها كذلك طيب وملمسها ناعم.

وقد يكون من عمق متعتها أن النفس تتوق إليها.. قبل أكلها.. ثم وبعد أكلها فهى رباغ[3] للمعدة.. سهلة الهضم.. وأثناء ذلك كله، فهى طيبة الرائحة.

المستحق لهذا المستوى

وفى الحديث الشريف إشارة إلى المستحق لهذه الدرجة العالية، إنه القارىء العامل «كما جاء فى رواية أخرى» لقد جاءت الرواية بالمضارع: «يقرأ» و«يعمل به».

ومعنى ذلك أن هذه الدرجة لا يستحقها إلا من كانت صحبته للقرآن الكريم متجددة دائمة بحيث صار القرآن فى حياته زاده اليومى.. إنه ذلك الفلاح الذى قال لى: لا يكفينى «المسجل» فى البيت يردد القرآن دائما.. وإنما أن أقرأ أنا القرآن.. فى محاولات للأنس به.. بل والامتلاء به امتلاء يخلصنى من التعلق بالدنيا.. لأعيش به هناك فى دار هى الحيوان.

وإذ ينجح الحديث الشريف فى تحريض المؤمن على أن يكون «أترجة».. لا تمرة، ولا ريحانة، ولا حنظلة.. فقد بقى عليه أن يصحبه حتى يتجاوز به عقبات الطريق ليظل نسرا يحلق فى الأجواء العالية، وهذا ما يتكفل به هذا الحديث الشريف:

«مثل المؤمن كمثل الزرع.. لاتزال الرياح تفيئه.. ولا يزال المسلم يصيبه بلاء، ومثل المنافق.. كمثل شجرة

(٣) الرَّبْغُ: الرِّيُّ، الأرباغ: إرسال الإبل على الماء ترده أى وقت شاءت، ناقة مُرْبِغَة: أخصب بدنها وسمنت، وعيش رابغ أى ناعم.

الأرز.. لا تهتز حتى تستحصد» حديث حسن صحيح[٤].

مقصود الحديث

والمقصود بهذا الحديث إحاطة المؤمن علما بأن هذه الدنيا ليست داره، وإنما دار قراره هي.. الآخرة ولن يكون جديرا بالبقاء فيها إلا إذا دفع الثمن بلاء.. ويقينا بضرورة الكف عن لذاذات الدنيا.. والثمن هو هذه الابتلاءات والتي كأنما هي رياح تحركه ذات اليمين وذات الشمال.. كما تحرك النبات الطرى فلا تكسره.. ولاحظ أنها «رياح» بالجمع.. وليست «ريحا» بالإفراد: لأنها لو كانت «ريحا» لكانت من ناحية واحدة.. فكان تفريغ الهواء من الجانب المقابل.. ثم كان الدمار.

أما الكافر.. فقد قل بلاؤه.. حتى يظل عذابه شديدا بعد أن ينكسر فجأة.. وفى مهب ريح عاصف.

ومن أجل ذلك كان إخبار المؤمن بهذا ليتخلق لديه شعور بأنه من أهل الآخرة.. ولأنه كذلك.. فلابد من هذه الابتلاءات فى دار هو فيها ضيف أو سحابة صيف!.

ولأن النفس والهوى والشيطان والدنيا، فى وسوسة دائمة إرادة ألا يواصل المؤمن المسير إلى هذا المصير.. فإن الحديث الشريف يقوى إحساسه ليتحمل من البلاء ما ينتهى به إلى الرخاء، فإن النخلة الفرعاء تستمد من معدن الأرض أشتاتا من الغذاء مختلفة الطعوم.. ولكنها فى النهاية تثمر ثمرا حلو المذاق.. والعبرة بالخواتيم.

عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهى مثل المؤمن.. ثم قال - ﷺ -: هى النخلة»[٥] حديث صحيح.

وجه الشبه

ووجه الشبه بين المؤمن والنخلة هو عدم سقوط الورق، وكذلك المؤمن.. لا تسقط له دعوة.

وهناك جواب أعم من ذلك وهو بركة المسلم، وبركة النخل.

قال فى «تحفة الأحوذى»:

«وبركة النخل موجودة فى جميع أجزائها مستمرة فى جميع أحوالها.. فمن حين أن تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعا، ثم بعد ذلك.. ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى فى علف الدواب، والليف فى الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المؤمن.. عامة فى جميع الأحوال.. ونفعه مستمر له ولغيره، حتى بعد موته» أ. هـ.

من بركات المؤمن

ومن بركات المؤمن أنه حريص على أن يكون يومه أفضل من أمسه.. وأن يكون غده أفضل من يومه.. إنه إذا كان حريصا على «تحسين مجموعه» فى باب العلم.. فلابد أن يكون أحرص على ترقيه فى باب الأخلاق.. بهذا الإسلام: الذى يمسك الضعيف.. فلا يسقط، والقوى.. فلا يجمح، والمغلوب.. فلا ييأس، مستعليا بإيمانه «سفوح» النفاق الهابطة: ذلك بأنه لا بركة فى حياة المنافقين.. لأنهم:

أ- يسخرون فى وقت الجد.

ب- يخرجون من موضوع الحوار إلى ما لا يفيد.

جـ- ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

وقد يسوء فى ناظريك مشهد المنافق.. ولكنك حين تختبره.. فسوف تجد مظهره أحسن من مخبره.

أما المؤمن.. فهو خير كله، ظاهره وباطنه

هو البحر.. من أى النواحى أتيته..

فلجته المعروف والجود ساحله!

قد يكون فى العبادة.. لكنه لا ينسى الدنيا ثم هو لا ينسى الآخرة.. إذا أقبلت عليه الدنيا.

وقد يسلط الإعلام أضواءه على غيره.. وإذا بك أمام حياة.. فيها معان.. إلا معنى الشرف، وفيها مواقف.. إلا مواقف المروءة.

الآخرة فى وجدانهم

فإذا رحت تتلمس لهذا الورع أو لهذه البركة سببا وجدت «الآخرة» حية فى وجدانهم لا تغيب فكانت البركات النازلة عليهم من السماء، النابتة من الأرض:

كان رجل على فرسه، ثم ألقى عليه رماد.. فماذا حدث؟

نزل، ثم سجد لله وشكره.. فلما سئل فى ذلك قال: إن رجلا صولح على التراب.. وفر من النار، إنه لمن الفائزين؟!!.



(٤) سنن الترمذى ٢٨٦٦، مسند الإمام أحمد ٢/٢٨٤.

(٥) صحيح مسلم ٢٦٦٥، التاريخ الكبير للطبرى ١٣/١٣٧، ١٣٨.

قراءة فى أوراق مؤتمر مكة السابع:

نصرة نبى الأمة ﷺ

متابعة الأستاذ / عاطف مصطفى

تناولنا فى عدد سابق ما دار فى مؤتمر مكة المكرمة السابع حول «نصرة نبى الأمة ﷺ»، والذى شارك فيه نخبة من كبار علماء المسلمين، وقدم فى هذا المؤتمر الدولى ثلاثون بحثًا كان من بينها بحث قدمه الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديسى إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا الشرعية فى جامعة أم القرى بعنوان «الحملات فى عصر النبوة».

وقد تضمن هذا البحث مقدمة وتمهيداً وثلاثة فصول.. تناول البحث الأول بعثته عليه الصلاة والسلام، ودلائل نبوته، وبشارات الأنبياء برسالته، كما تناول شرفه وفضله ورفعة منزلته ﷺ، ووجوب تعظيمه وتعزيزه وتوقيره.

وتناول الفصل الأول الحملات التى شنها أعداء الدين على الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام، وحجم الإبتلاءات التى عانوها، كما تناول أيضاً الحملات على الرسول الكريم فى عصر النبوة، وأهمها حملات كفار قريش، حيث اتهموه بالعديد من الأباطيل، التى عرضها القرآن الكريم، وفندها، كما عرض ما قامت به قريش من حملات لإثناء الرسول ﷺ عن تبليغ الرسالة والتى استخدموا فيها عدة أساليب، مثل التعجيز والمفاوضة والمساومة والترغيب والمقاطعة والإبعاد، ومختلف حملات الكيد والعناد.

● على الغربيين أن يفهموا وأن يعرفوا أن كلمة الإسلام جاءت فى اللغة العربية من كلمة السلام.

● البابا بنديكت لم يفهم حقيقة الدين الإسلامى فهماً علمياً، ولم يكلف نفسه عناء تحرى الموضوعية فى الدراسة المقارنة للأديان.

● مجموعة كبيرة من الباحثين المحايدين فى الغرب، أبرزوا عظمة محمد ﷺ وعظمة الإسلام عقيدة وشريعة، وجوته يقول: لقد بحثت فى التاريخ عن مثل أعلى للإنسانية فلم أجد أفضل من النبى محمد الذى نجح فى توحيد العالم كله بكلمة التوحيد.

● سيجريد هونكه: كل ما فى أوروبا من علم وتقدم ونهضة إنما يرجع للإسلام والمسلمين.

حملات المنافقين واليهود

كما ناقش د. السديسى من خلال بحثه، حملات المنافقين على الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث عرض غزوة الأحزاب، وما ورد بشأنها فى القرآن الكريم، الذى فضح المنافقين، وغزوة تبوك التى تفضح ضغائن المنافقين، وموقف المنافقين وحملاتهم ضد الإسلام، ومسجد الضرار الذى بنوه لتشتيت صف المسلمين.

كذلك عرض د. السديسى حملات اليهود ضد الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث عرض خمسة عناصر: الأول منها: إفتراء اليهود وكذبهم على النبى ﷺ، ثم استخفاف بنو قينقاع بالوعيد النبوى، ثم تآمر بنو النضير على قتل النبى ﷺ.

كما عرض البحث للعديد من حملات اليهود وغدرهم بالرسول، ومحاولة قتله بالشاة المسمومة، وأخيرا عرض مجموعة من رءوس اليهود الذين تولوا حملات الشتم والسب للرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد عالج د. السديسى فى الفصل الثانى من البحث، نصرة رب العالمين سبحانه وتعالى لرسوله الكريم، والأدلة من القرآن الكريم على هذه النصرة، والأدلة من السنة المباركة على تلك النصرة.



الشيخ السديسى

أما الفصل الثالث والأخير، فقد خصصه د. عبدالرحمن السديسى للحكم على من يسيئون للرسول عليه الصلاة والسلام، وأدلته من الكتاب والسنة والإجماع، كما عرض أيضاً لأقوال الفقهاء والنقول عنهم فى هذه القضية، حيث عرض للمذهب الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى.

شهادات الأعداء!!

ثم أشار د. السديسى إلى أن شهادات الأعداء تنتصف لمقام سيد الأنبياء، وأن الحملات على الرسول عليه الصلاة والسلام فيها مجموعة من الفوائد التى يجب استثمارها، تأكيداً لقوله تعالى:

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

(النور: ١١)

وقد انتهى إلى وجوب نصرة النبى ﷺ والذود عن جنابه.

وقد خص د. السديسى بحثه فى عشر نقاط:

● شرف العلم بشرف المعلوم، وشرف البحث بشرف المبحوث، وبحثنا عن الشخصية الفذة التى تتضاءل أمامها كل الشخصيات البحثية، ولهذا كان ذلك من أهم أسباب أهمية الموضوع.

● مكانة النبى ﷺ وفضله وما تبوأه من المنزلة العظيمة.

● وجوب محبته وتعظيمه واتباع سنته، ولزوم طاعته وضرورة الاقتداء به

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
(الأحزاب: ٢١)

- ما تعرض له عليه الصلاة والسلام من حملات متتابعة في عهد النبوة، مما كان له الأثر البالغ في صبره على الدعوة وتبليغ الرسالة.
- ما أوجبه الله على أتباعه من وجوب نصرته والدفاع عنه.
- ما أشبه الليلة بالبارحة، فها هي الحملات تعيد نفسها، وها هم الأعداء يقومون بنفس الدور، بل بأشد ضراوة وأنكى خطورة، باستغلال وسائل العصر وتقنياته في أخطر حرب عدائية، ضد الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام.
- ما تمخضت عنه الرسوم الكاريكاتورية الدانماركية من هجمة شرسة، وواجب الأمة الإسلامية حيالها.
- ضرورة تحديد النصرة وأساليب النصرة وضوابطها ووسائلها المشروعة.
- ما أخذه الله على أهل العلم والدعوة من البيان وعدم الكتمان.
- مسئولية المؤسسات الدعوية والجهات العلمية والأمة خاصة تجاه هذا الحدث المؤسف.

مفكرو الغرب ومواقفهم

وقد قدم الدكتور نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية سابقاً وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر في هذا المؤتمر بحثاً بعنوان «مفكروا الغرب ومواقفهم المتناقضة من نبي الإسلام.. نحو استراتيجية علمية منهجية لنصرة الرسول ﷺ»، عرض خلالها للحملات الشرسة التي تهاجم الرسول عليه الصلاة والسلام، وتعبث برموز الإسلام وعقيدته وشريعته ونبيه عليه الصلاة والسلام، كما تعبث بسيرة الصحابة - رضوان الله عليهم.

الخطر الأخضر!!

وقد ازدادت واحتدت هذه الهجمات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، حيث اعتبر الغرب الإسلام هو العدو البديل بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، واعتبرته الخطر الأخضر بعد سقوط الخطر الأحمر «الخطر الشيوعي» سنة ١٩٨٩م، وبعد تسوية الأمور مع الخطر الأصفر، أو التنين الصيني.

ومن أبرز هذه الإساءات احتلال أفغانستان، وتدمير العراق دون مبرر عقلي أو شرعي، ومن بينها أيضاً إصدار ما أطلقوا عليه «فرقان الحق» كبديل عن القرآن الكريم، ومنها أيضاً التهجم على شخصية رسول الإسلام، والتي كان من مظاهرها محاضرة البابا بنديكت السادس عشر في جامعة ألمانية، والتي قال فيها في مجال المقارنة بين الإسلام والمسيحية، أن العقيدة المسيحية تقوم على المنطق، ولكن العقيدة الإسلامية تقوم على أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل أو المنطق، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام، لم يأت إلا بما هو سيىء أو غير إنساني، كأمره بأن ينتشر الإسلام بالسيف.

ولا شك أن البابا بنديكت السادس عشر وهو أستاذ اللاهوت المقارن لم يفهم حقيقة الدين الإسلامي فهماً علمياً، ولم يكلف نفسه عناء تحري العلمية والموضوعية في الدراسة المقارنة للأديان

الإسلام دين العقل والمنطق

وقد شهد شاهد من أهلها.. فهذا «جيل كيبل» الباحث الفرنسي المتخصص في الدراسات الإسلامية يؤكد أن البابا حاول الدخول في منطقة النص القرآني، وأن هذا الدخول سيدفع بعضاً من المسلمين إلى التطرف.

كذلك حذر «هانس كومخ» عالم اللاهوت الألماني المتشدد من أن هذه التصريحات لن تلق ترحيبا من المسلمين وتتطلب توضيحا عاجلا.

ولا شك أن البابا قد جهل أو تجاهل أن الإسلام دين العقل والمنطق، حيث جعل إعمال العقل فريضة إسلامية، وجعل طلب العلم - بحيدة وموضوعية - فريضة إسلامية، ورفض إيمان المقلدين، دون إخضاع لمنطق العقل والقناعة الشخصية.

وقد عرضت الورقة للعديد من ألوان الهجوم الشرس على الإسلام من جانب «الرسوم الكاريكاتيرية» في بعض دول أوروبا، ومن جانب بعض الحاقدين على الإسلام، المتخوفين من إطلاق للمشروع الحضاري الإسلامي، الذي يستنهض تحقيق العدالة الاجتماعية والإخاء الإنساني في كل مكان.

حوار أم صراع؟!

وقد عرض البحث لقضية الإسلام والغرب، حوار أم صراع، ومفهوم حرية الرأي.. فالحرية لها مجموعة من الضوابط، ولابد وأن تنضبط بضوابط أخلاقية وإنسانية، وفي مقدمتها منع التطاول على الأديان، أو على المقدسات، وعدم الانطلاق من نزعات عنصرية، وأهمية احترام فكر الآخر ومقدساته.. على أن هناك مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية، التي تقف وراء هذه الهجمة الشرسة الحاقدة على الإسلام والمسلمين منها:

١- الحساسية التاريخية إزاء المسلمين منذ الحروب الصليبية وما تزال آثارها باقية في العقل الغربي، وفي مناهج التعليم عندهم.

٢- عمليات الإثارة والتحريض المستمرة ضد الإسلام التي تمارسها الأبواق الإعلامية العملاقة، الموجهة من الحركة الصهيونية العالمية.

٣- إن أوروبا حسب الإحصاءات الواقعية، يعيش فيها اليوم ٤١ مليون مسلم، وهو أمر يقض مضاجع السلطات في أوروبا، لأن هذا التزايد مع التراجع الديموجرافي للسكان النصارى واليهود، يمكن أن يوصل المسلمين إلى منصة الحكم في أوروبا، وهذا بالضبط هو التخوف الذي أبداه البابا بولس الثاني بشكل واضح وصريح وعلني.

إن الغرب الذي يتشدق بحقوق الإنسان والعدالة والمساواة، ومبادئ الثورة الفرنسية، يمارس أبشع انتهاك لهذه الحقوق، عندما يكون الآخر مسلما، ولا يطبق فكرة حرية التعبير، إلا في البذاءات والعدوان على المسلمين، وهذا يقتضي منا تغيير في سياستنا الداخلية والخارجية، وأن تنصر الرسول ﷺ أولاً في أنفسنا، وفي نظمنا، ومجتمعاتنا وسلوكياتنا، فليست النصرة فقط في مجال القتال، ولكنها في إحياء سنته المهجورة، والالتزام بهديه ومنهجه، وتحقيق التقدم الذي طالبنا به الإسلام بالاستحواذ على كل مصادر القوة، حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس.

عظمة النبي وعظمة الإسلام

وقد عرض بحث الدكتور السمالوطي مجموعة كبيرة من الباحثين الموضوعيين والمحايدين في الغرب والذين أبرزوا عظمة محمد ﷺ وعظمة الإسلام عقيدة وشريعة.

فقد عرض أولاً لمايكل هارت، صاحب كتاب «العظماء مائة، وأعظمهم محمد رسول الله ﷺ»، والذى قدم له أنيس منصور فى الترجمة العربية، وقد وضع محمد (ﷺ) فى المرتبة الأولى بينما وضع عيسى - عليه السلام - فى المرتبة الثالثة، ووضع موسى - عليه السلام - فى المرتبة السادسة عشرة. وقد تم هذا الترتيب بناء على عدة أسس أهمها أن تكون الشخصية واقعية وحقيقية وليست أسطورية.

- ثانياً: لا تكون شخصيات مجهولة مثل الذى اخترع النار أو العجلة أو الكتابة.
- ثالثاً: أن يكون أثره عميقاً، سواء أكان طيباً أم خبيثاً، فقد اختار «هتلر» وهو عبقرية شريرة!
- رابعاً: أن يكون للشخص أثر عالمى، وليس مجرد أثر محلى.
- خامساً: أن يكون متوفياً.
- سادساً: أن يكون له أثر شخصى عميق متجدد على الإنسانية.

وقد كتب «مايكل هارت» كتابة طيبة عن الرسول ﷺ، وإن كان لا ينظر إليه على أنه نبى يتلقى الوحى من السماء، وهناك أيضاً برناردشو، الذى ألف كتاباً ينصف فيه محمداً عليه الصلاة والسلام بعنوان «محمد» يقول فيه إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد.. إنه أعجوبة خالد، بل هو فى الواقع منقذ البشرية.

وبسبب هذه الآراء قامت السلطات البريطانية بإحراق نسخ هذا الكتاب.

وهناك الأديب الألمانى «جوتة» الذى قال: «إننا أهل أوروبا لم نصل إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد من عظماء المفكرين والمصلحين».

ويقول أيضاً: «لقد بحثت فى التاريخ عن مثل أعلى للإنسانية فلم أجد أفضل من النبى محمد الذى نجح فى إخضاع وتوحيد العالم كله بكلمة التوحيد.

وأورد بحث الدكتور نبيل السمالوطي أيضاً «سيجريد هونكه» فى كتابها بعنوان «شمس الإسلام تشرق على الغرب» والتي أكدت فيه أن هذه الحملات الظالمة المتعصبة عرقيا وثقافيا ولغويا وأخلاقيا التى تقودها أوروبا وأمريكا والغرب، ضد كل ما هو عربى، وما هو مسلم، آن لها أن تتوقف.

وأشارت إلى أن كل ما فى أوروبا من علم وتقدم ونهضة، إنما ترجع للإسلام والمسلمين.

وذكر البحث أيضاً «كارين أرمسترونغ» وهى مستشرقة إسكتلندية منصفة إلى حد كبير للإسلام والمسلمين.

فقد ذكرت «كارين» العديد من أفضال المسلمين على العالم، وملامح حضارتهم.

وقالت: «من أفدح الأخطاء اعتبار أسامة بن لادن ممثلاً للإسلام، واعتبار جيمس كورب سفاح نيويورك ممثلاً للمسيحية، أو اعتبار باروخ جولدشتين - سفاح الحرم الإبراهيمى ممثلا لليهودية. وقد أكدت أن للإرهاب أسباباً أخرى، وبذلت جهوداً علمية متعمقة لتصحيح التاريخ، والكشف عن الأخطاء الشائعة حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ، والدور الذى لعبه الصهاينة فى هذا التزييف، نتيجة لما يكنونه من عداء وكراهية دفينة للإسلام!

كلمة الإسلام جاءت من السلام

ومن أهم ما قالته «أرمسترونغ» لمفكرى الحضارة الغربية: «لا يعقل أن يكون ألف ومائتا مليون مسلم من الإرهابيين، فهم أصحاب حضارة، لا تقل مكانة وثقلاً عن حضارة الغرب، وعلى الغربيين معرفة أن كلمة الإسلام جاءت فى اللغة العربية من كلمة السلام.

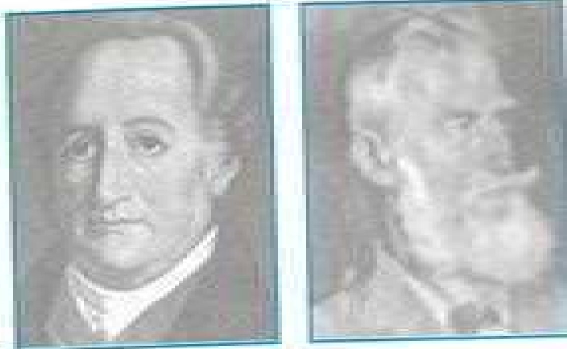
وقد أنهى د. نبيل السمالوطى بحثه بعرض استراتيجية علمية للدفاع عن الإسلام ونبى الإسلام، تضمنت مجموعة من النقاط من بينها:

١- الحرص على إعادة ترتيب البيت الإسلامى من الداخل وأن ننصر الإسلام ونبيه الكريم فى أنفسنا وفى مجتمعاتنا.

٢- نشر الثقافة الإسلامية الصحيحة داخل مجتمعاتنا، لأن الكثير من جوانب هذه الثقافة، تفشل عمليات التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها فى غرسها فى النشء.

٣- مخاطبة الغرب والشرق كل بلغته، ولا نظل نحدث أنفسنا، ومن الواجب الوصول إلى رجل الشارع الغربى، ومن خلال كتيبات مبسطة وصحيحة حول الإسلام.

٤- استثمار آراء الغربيين المنصفين للإسلام، وأصحاب الكتابات الموضوعية، وهم كثر لعرضها على مثقفى الغرب، ورجل الشارع ليدركوا أن



برنارد شو

جوتة

هناك العديد من المسيحيين واليهود قد فهموا الإسلام بشكل صحيح.

٥- التعاون والتواصل مع مراكز دراسات إسلامية فى الغرب، تتسم بالحيدة والموضوعية والإنصاف للإسلام ونبى الإسلام.

٦- تأييد الجهود التى تبذلها هيئات دولية مثل اليونسكو وجامعة الدول العربية والمعهد السويدى بالإسكندرية لتنقية المناهج الدراسية فى دول الغرب من الأخطاء الفادحة حول حقائق الإسلام وأهدافه ومبادئه وقيمه.

٧- تجديد الخطاب الإسلامى، وهذا مجال واسع للبحث والدرس.

٨- التواصل مع الجاليات الإسلامية فى الغرب وربطهم بأوطانهم، مع مساعدتهم على الإندماج فى مجتمعات المهجر ولا تناقض بين الأمرين.

فضلاً عن تفعيل الأجهزة والمؤسسات التى تخدم الإسلام والمسلمين.. مثل منظمة المؤتمر الإسلامى، ورابطة العالم الإسلامى والإيسسكو.

ودعوة كبار المشتغلين بالفكر الإسلامى من الشرق والغرب لإلقاء محاضرات فى دولنا، وإطلاق حالة حوار وتواصل معهم، لإطلاعهم على حقائق الإسلام الصحيح.

حقيقة الرجولة.. فى مرآة القرآن الكريم

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

من الواضح أن لفظ «المرآة» مشتق من «الرؤية»، وكل مرآة تعكس ما أمامها، فلعلك تلاحظ أنك إذا وقفت إزاء أية مرآة فإنك ترى يمينك شمالاً، وشمالك يمينا، فهى فعلا «تعكس» أى تبين العكس رغم ما يتداوله الناس من أن المرآة تعكس أى «تظهر».

ونحن نلمس أن كل المرايا كذلك لأنها «تعكس» صورا مادية محسوسة وفق مسار الأشعة الضوئية الساقطة منها والعكسية.

أما المرآة القرآنية الربانية فإنها لا تعكس الأشياء، وإنما تزيدها كشفا و بيانا و وضوحا، وتجسمها تجسيما، ذلك أنها تعالج أمورا يفصح عنها كتاب مبين لا يظهر «العكس» ولكنه كتاب ينطق بالحق(١) الذى:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢)

فالصورة فى مرآة القرآن صورة حقيقية أصيلة لا تحتاج إلى مرآة أخرى «تعكس العكس» لكى تعيد صورة الشىء سيرتها الأولى لأن المرآة القرآنية الصادقة لا تتعامل مع أشعة «ساقطة» وأخرى «معكوسة» كما يقال فى علم الضوء، ولكنها تتعامل مع صور بيّنة مبيّنة لا تتخلل أوساطا مادية وموجات حسية، إنما تتخلل أعماقا روحية، وآفاقا نفسية ومجالات عقلية تخترق ظواهر الزيف إلى بواطن الكيف لتكشف بيقينها الحق ما خفى عن مدركات الخلق.

ولما كانت الصورة القرآنية الأمينة كذلك فإنها تتطلب منا أن تحدق فيها بصائرنا لا أبصارنا، و أن تدقق عقولنا لا حواسنا، وأن تعمق أرواحنا فى تدبر صادق عميق وتأمل خالص دقيق.

ولا شك فى أن هذه «الآيات» جميعا من البصائر والعقول والأرواح، لا يمكن أن تسعفنا فى استكناه هذه الصورة القرآنية المعجزة، ولا يمكن أن تعيننا على الإمعان فيها، والتطلع - قدر الطاقة - إلى ما وراءها، نقول إنه لا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا رزقنا الحق - سبحانه - العون من عنده والمدد من لدنه إذ هو - عز و جل - مصور هذه الصور، والقادر وحده على تهيئة الطاقة البشرية القاصرة والمقصّرة لتدبرها، و الكشف عنها وفق ما يشاء جل و علا.

ومن هذا الصور القرآنية التى ضمنها الحق - سبحانه - كتابه العظيم لتكون مع غيرها من الصور الباهرة والآيات المعجزة نبراسا لابن آدم الذى عهد إليه - سبحانه - بالخلافة فى الأرض، وسبيلا قويما لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الرجولة فى معاجم اللغة

نقول: إن من هذه الصور القرآنية المبينة صورة «حقيقة الرجولة»، و قد عنيت المعاجم اللغوية بمصطلح «الرجولة» فى مادة «رجل»، فقيل مثلاً:

- رجل الشاة أى عقلها برجليها - والرجلة هى القوة على المشى، ومنها اشتق «الرجليون» الذين كانوا رجالا يعدون على أرجلهم فلا تدركهم الخيل وهم: سليك بن سليكة الغطفانى، والمنتشر بن ذهب الباهلى، وأوفى بن مطر المازنى.
- كما قيل «ترجلت الشمس» أى ارتفعت تشبيها بارتفاع الرجل عن الصبا «وارتجل النهار» أى ارتفع ويقال: فلان رجل فى الرجال، بمعنى أنه كامل الرجولية بينهم.
- وقيل: إن الرجل الرجيل هو الشديد الصلب، كما اشتق من هذه المادة: الرجولة، وكذلك الرجولية التى هى كمال الرجل، كما يقال إن الأرجل هو الأسد، وفلان هو أرجلهم أى أشدهم وأكملهم فى الرجولية.
- ومن طريف ما ذكر فى اللغة فى هذا السياق أن الرِّجل من أصل الفخذ إلى القدم وقيل سميت به لأنها «تحمل» البدن وتقوى على الحركة.(٢)
- وكثيراً ما يقال إن فلانا قد ارتجل الكلام، ويقصد بهذا أنه تكلم من غير أن يهيئه، ومن ذلك قولهم «ارتجل الشعر» وذلك كناية عن الثقة بالنفس والإقدام والجرأة وعدم التردد.

ولقد قصدنا من الإسهاب فى ذكر هذه اللغويات الخاصة بالرجولة إلى تأكيد ارتباطها بالقوة والرفعة والترفع والشدة والصلابة

(١) مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ سورة المؤمنون آية ٦٢.

(٢) فرائد اللغة فى الفروق - طبعة بيروت ١٨٨٩م.

والاكتمال والتحمل والثقة بالنفس والإقدام والجرأة وعدم التردد وغير ذلك من الصفات التي تتحلى بها الرجولة وتسمو بها من مجرد سجايا التشريف إلى مزايا المسئولية والتكليف.

والمعروف من استعراض التاريخ البشري أن أصل الإنسان هو الرجل، فقد كان آدم - عليه السلام - ، كما هو معروف للكافة أبا البشر.

بين الرجولة والذكورة

وكم يتوهم الكثيرون من المتسرعين في الحكم على الأشياء أن الرجولة- في صورة من الصور- تعني «الذكورة»، وقد غفل هؤلاء عن أن الذكورة هي سمة بيولوجية، يشارك فيها النوع الإنساني غيره من أنواع الجنس «الحيواني»، وأهمية «الذكورة» عند الذكر، و«الأنوثة» لدى الأنثى هي التناسل والتوالد وحفظ «الأنواع» عند الإنسان وغيره.

ولقد بيّن الحق - سبحانه - ذلك في مجال «النوع الإنساني» حيث قال:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

«الحجرات: ١٣»

ونفهم من هذا السياق القرآني الحكيم أن الذكورة والأنوثة هي خلق إلهي، وإبداع رباني، أما «الشعوب والقبائل» بعد ذلك فهي «جعل» يترتب بقدرة المولى سبحانه على الذكورة والأنوثة[3].

ولنا- بل علينا- في هذا المقام أن نتأمل قوله تعالى:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

«الذاريات ٤٩»

وكذلك قوله سبحانه:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

«يس ٣٦»

وكذلك:

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾

«النجم ٤٥»

وغير هذه وتلك من الآيات المحكمات التي تشير إلى إعجاز الخلق الإلهي في الحفاظ على حياة السلالات في الأنواع والكائنات- بما في ذلك الإنسان- من خلال «خلق» الذكر والأنثى.

ثم ألا يذكرنا هذا بالتوجيه الإلهي إلى نوح - عليه السلام - أن يحمل في سفينة النجاة من كل زوجين اثنين حماية لأنواع الكائنات من الغرق والفناء والانقراض حتى إذا بلعت الأرض ماءها وأقلعت السماء وغيض الماء:

﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[4]

«هود: ٤٤»

(٣) الخلق تقدير وإيجاد، والجعل بمعنى التصيير «فرائد اللغة في الفروق».

(٤) الجودي: جبال ارتفاعها ٤٠٠٠ متر في إقليم بهتان على بعد نحو أربعين كم شمالي شرقي جزيرة ابن عمر، وقيل هو جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل ببابل «تفسير البيضاوي» وغيره.

كان هناك امتداد للخليقة من جديد لتستأنف الحياة مسيرتها، وتستعيد الكائنات دبيبها على الأرض وتحليقها في السماء، ويتفاعل من جديد موكب الإنسان والزمان والمكان حتى يتم ما أراده الخالق - سبحانه - من خلافة الإنسان للبناء والعمران.

رجال حُمّلوا الرسالات فحملوها

ومن هنا فقد حُملت الرسالة الإلهية العظمى إلى أهل الأرض على عاتق «رجال» أخيار مصطفين وصفهم ربهم - عز وجل - بأنهم أولو العزم:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

«الأحقاف: ٣٥»

كما قال سبحانه:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾

«يوسف: ١٠٩»

وقد بدأت هذه المسيرة السماوية المطهرة بأول الرجال آدم - عليه السلام - إلى خير الرجال وسيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام.

وذلك أن الذي يتأمل مسيرة هذه الرسالة المقدسة التي تبلورت في الإسلام الحنيف يجدها مسيرة حافلة بمواجهة العنت والمشقة والنضال، وغير ذلك مما لا يستطيعه إلا الرجال، إذ: «كلٌ ميسر لما خلق له»[5] وما أصدق عليا - كرم الله وجهه - عندما كان يشيد بشجاعة أستاذه ومربيه وابن عمه ﷺ وسلم فيقول: «كنا إذا اشتدت الحرب وحمي الوطيس احتمينا بالنبي ﷺ الذي كان أقربنا إلى العدو» (أي في صدارة المجاهدين).

أما عندما ادّعت «سجاح»[6] النبوة مع اللعين «مسيلمة الكذاب»[7] فإنما كان ذلك على سبيل المسخ والمهاترة في موكب إبليس لعنه الله.

والمتأمل في كتاب الله - عز وجل - يرى كيف تُذكر الرجولة في مواقف الجدية، وتحمل المسئولية، والأمانة، والتطهر وحفظ الوعد وصدق العهد.

ومن هنا يمكن أن نقول إن أبرز سمات الشخصية في الرجل من الناحية الجسمية: القوة البدنية التي تعينه على القيام بأعباء المسئولية الملقاة على عاتق الرجل في تحصيل الرزق لمن يعول، والقدرة على مواجهة المخاطر التي تهدد من يعول في قوة شكيمة وبسالة بأس.

● أما من الناحية العقلية: فشخصية الرجل تتطلب القدر المناسب من الذكاء وحسن التفكير

(٥) عن عمران بن حصين «الجامع الصغير».

(٦) هي سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية ادعت النبوة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه- تزوجت مسيلمة الكذاب- ثم بعد ذلك أسلمت وحسن إسلامها، وما كانت نبوتها إلا ارتفاقاً على مسيلمة، وما كانت هي إلا امرأة «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي».

(٧) مسيلمة بن حبيب الكذاب تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله ﷺ بعد أن وفد عليه كان يصانع كل إنسان ويتألفه ولا يبالي أن يطلع أحد منه على قبيح لأنه إنما يتخذ النبوة سبباً إلى الملك حتى عرض على رسول الله ﷺ أن يشركه في الأمر ويجعله له من بعده «المصدر السابق».

ومهارة التصرف وشدة الانتباه[7].

● ومن الناحية الوجدانية: نرى الشجاعة الواضحة، والاتزان الانفعالي وضبط النفس بعيداً عن التهور والاندفاع.

● ومن السمات الاجتماعية: المعرفة التامة لدور الرجولة في المجتمع، والتصرف الجاد في إطار هذه المعرفة.

ولقد وُفقت أمنا السيدة خديجة - رضي الله عنها - أيما توفيق عندما ضمت خصال الرجولة في عبارة واحدة وصفت فيها زوجها النبي الحبيب ﷺ عندما عاد من حراء متأثراً أشد التأثر بلقاء جبريل - عليه السلام - لأول مرة فما أعظمها وأحكمها عزماً إذا تهدئه من روعه وتقرر الحقيقة: «والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[8].

وتتشعب هذه الخصال لتضم حسن القيام بحق الضيف وإجارة المستجير والحلم واليقظة والحزم وعلو الهمة وغير ذلك من سمات الأسوة الحسنة الهيبة الغراء.

ورحم الله أستاذنا المفكر الإسلامي الأشهر مصطفى صادق الرافعي عندما وصف الرجولة الحقيقية في بيت واحد من الشعر إذ يقول:

وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه
ليطحن، لا يعنيه حلو ولا مُرُّ

كتيبة السابقين

وبالتأمل الإيماني الصادق في آي القرآن الكريم نرى أن مادة «رجل، رجال» جاءت مرات كثيرة بين دفتي المصحف الشريف، ولاسيما في سور مكية، حيث كانت مرحلة تربية الرجال، وتطهير الأنفس من دنس الشرك، وتدريب هذه الكتيبة من السابقين والسابقين الذين شرح الحق - سبحانه - صدورهم للإسلام على خوض المشاق، وتحمل المعاناة، لحمل لواء الرسالة الحنيفية المطهرة، يتذوقون عذوبة التعذيب الجاهلي الأليم، ويواجهون خطاب المشركين الأثيم ويشقون طريقهم المميز بين دياجير الظلام الدامس الظلوم.

وكيف لا وهم طلائع الزحف المقدس إلى هدى العالمين، كما أنهم كذلك خط الدفاع الأول في مواجهة جحافل الشرك والظلام التي تراكمت بعضها فوق بعض عبر عصور المغالطة والبهتان.

تلك إذن كانت مرحلة إرساء القواعد «الرجولية» الراسخة والشامخة التي أُعدت لقيام البنيان الصامد الإيماني المهيب الذي وضع «تصميمه» بين الصخور الصلبة من «جبل النور» في غار حراء بيد الخلاق العظيم وبلسان جبريل الملك الكريم.

ذلك البنيان «الرجولي» الذي بدأت لبناته القوية في المدرسة المحمدية المتفردة، وبدأت مراحله التربوية والتعليمية في دار «الأرقم بن أبي الأرقم»[9] في ساحة المسعى العتيد قريباً من جبل الصفا والذي شهد معاناة الظامئ إسماعيل - عليه السلام -، ومجاهدة العظيمة الصابرة «هاجر» التي ضربت

(8) نور اليقين للشيخ محمد الخضري.

(9) كان الأرقم بن أبي الأرقم ممن حضروا بدراً وهو من بني مخزوم «ابن هشام عن ابن اسحق» وقد ذكر صاحب «السيرة الحلبية» أن دار الأرقم عرفت فيما بعد بدار «الخيزران» لما اشتراها الخليفة العباسي المنصور وأعطاها ولده المهدي الذي أعطاها بدوره لأم ولديه الهادي والرشيد وهي «الخيزران». وقد حدثت السيرة أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يقيمون الصلاة بها وكان عدد أصحابه ﷺ آنذاك تسعة وثلاثين، فصاروا أربعين بإعلان عمر رضي الله عنه إسلامه بهذه الدار التي ظلت الدعوة بها سراً حتى أمر الله نبيه ﷺ بإظهار الدين في السنة الرابعة.

المثل، وحققت الأمل في الأمومة المثالية في تربية الرجال في خضم الوحشة والأهوال، وكأن المشيئة العليا قد أرادت أن تستحث عقولنا على الكشف عن عبقرية هذا المكان الذي ينطق بنجاة إسماعيل من وطأة الظمأ إرهاصاً بنجاة البشرية بعد ذلك من وطأة الضلال على أن تبدأ هذه الرحلة المقدسة بتربية الرجال.

وهذا ما فعله النبي الملهم الذي لا ينطق عن الهوى عندما اختار دار الشاب اليافع «الأرقم» في رحاب المسعى بجوار البيت العتيق ليكون مصنعاً للرجال ومدرسة للأبطال الذين كان لسان حالهم حينذاك يعايش قول الشاعر:

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مسلماً
على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

ولم تزل هذه «المدرسة» الأرقمية الرائدة تعلمنا أن مسيرة الرجال ليست بكثرة الكم ولكن بعظمة الكيف، فلقد بدأت هذه المدرسة بالكم القليل والكيف الجليل، وكأنها كانت مصداقاً لقول شاعر آخر:

تعيّرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل

وفي رواية «إن الرجال قليل».

وهؤلاء هم السابقون الأولون الذين انتظم في عقدهم الفذائي الصالح كوكبة الرجال الرواد مثل: علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وزيد بن حارثة مولى الرسول، وأبي بكر الصديق، وعثمان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وكلهم شباب يافع مفعم بالفتوة والحماسة والتطلع إلى انتصار الحق والعدل وكرامة الإنسان.

وتأمل فيهم «عليا» - كرم الله وجهه - في هذه السن المشرقة وهو يعلن عن رجولته بما يثير ما فوق الإعجاب، وذلك حين أعرض القوم عن مبادرة النبي ﷺ حين جهر لهم بالدعوة السمحاء، وكان عجيبا أن ينهض علي فيقول: «أنا يا رسول الله، أنا حرب على من حاربت» وحينئذ قهقه بعض بني هاشم وأخذ نظرهم يتنقل بين أبي طالب وابنه ويقولون لأبي طالب في سخرية: «لقد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه» ثم انصرفوا مستهزئين»[10].

ولكن المسيرة الإيمانية العظمى كانت تدخر هذا الصبي «الرجل» - كرم الله وجهه - وأقرانه من الشباب الرجولي لمواقف ومواقف فيما بعد سجلها تاريخ البطولة في الإسلام.

وكيف لا، ومعلم هذه المدرسة هو «المصطفى» وهو «المختار» لتعليم كل البشر في كل زمان ومكان عدد لا ينفد ممن بعثه الحق في الأميين رسولاً ليتحقق الإعجاز الإلهي المبهر فيعلّم الأمي هؤلاء الأميين، وما تلبث هذه الأمية أن تصبح فيضا من نور العلم، وفيوضات من حكمة العقل، وإلهام الروح تلفّ الكون كله بنورانية العلم الهادي والمعرفة المشرقة التي لا تعرف الغروب، ولا يعرفها الغروب.

يتبع

(10) سيرة الرسول ﷺ: د. محمد الطيب النجار.

فى مجلس المنصور العباسى

للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف محمد الحديدى
الأستاذ بجامعة الأزهر

-١-

جلس معن بن زائدة الشيبانى حزيناً مكتئباً حين بلغه مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية مع قيام دولة بنى العباس، وقد أنذرت كل من كان يساعد الأمويين بالحضور إلى دار الخلافة ليفصل فى أمرهم أمير المؤمنين وقد حضر من صدّق وعود القوم فلاقوا مصارعهم دون رحمة، ومعن أحد هؤلاء الذين آزروا الدولة الأموية، وبذل جهده فى قتال أشياع بنى العباس، إذ كان العضد الأول لابن هبيرة قائد جيوش الأمويين فى العراق، وبذل من البلاء ما سجل اسمه فى خصوم بنى العباس، فماذا عسى أن يفعل!

لقد اعتزل الناس فى خيمة من خيام الأعراب، وغيّر هيكله جسماً ووجهاً ولباساً، ولم يكن معه غير تابعه الأمين وائل بمهد وسائل العيش فى معتزله البعيد، وقد جلس ذات عشية مع وائل فقال له:

● اسمع يابنى لقد سئمت العيش فى هذه الخيمة كما أن شعورى بأنى مطلوب بالاسم من أبى جعفر المنصور يزيد فى ألمى، لأن المنصور طاغية جبار عنيد، وقد قتل عمه وقائد جنده، ومن كانوا السبب الرئيسى فى قيام الدولة العباسية فكيف يعفو عنى وقد بذل ألف دينار لمن يأتى بى حياً، كما ضاقت بى الحياة، والموت أهون من مذلة العيش تحت الرهب والخوف وتوقع المكروه!

●● قال وائل: إنك ذو فضل على الناس، وقد شاعت مآثرك فى الكرم والجود حتى قيل: «أجود من معن»... كما يقال: «أجود من حاتم»، والله لا يضيع كريماً مثلك، أنقذ مئات البيوت من غوائل الفقر والحاجة، وكان المقصد الأول للفقراء والمساكين وابن السبيل.

● فرد معن يقول: إن ذلك يحسب علىّ فى دولة بنى العباس فهى تضيق بمن يحبه الناس من أهل الفضل، ولعل هذا ماجعل أباجعفر يرسل عيونه فى المدن بحثاً عنى! وكأنى سأسقط دولة بنى العباس وأحيى دولة بنى أمية من جديد.

●● قال وائل: لقد علمت أن جيوشا من خرسان قد حضروا للثأر من مقتل أبى مسلم الخرسانى، وهم يتفرقون بين الأحياء انتظاراً لساعة الثأر، وأبوجعفر يبدى التهاون فيما يسمع من أمرهم، وما أرى إلا أن تذهب إلى العاصمة مستخفياً، وقد تغير مظهرك فلايعرفك أحد، فإذا حانت الواقعة، وهى حائنة عن قريب، فأعلن عن نفسك، وتقدم إلى فرس المنصور بنفسك لتتولى جهاد هؤلاء الثائرين، وابذل من شجاعتك وإقدامك، ماتجعل المنصور يتعجب من ذكائك ورجولتك، وستدور الدائرة على القوم لأنهم قلة إذا قرنوا بجيش الخلافة، وهنا تجد الطريق ممهداً للعفو عنك.

● قال معن: إن المخاطرة هى باب الانتقاء لمثلى، وإذا صح ماتقول من أن جيوش الخرسانية ستقتحم قصر المنصور، فأنا أول من يحمى صاحب القصر وموتى فى هذه المعركة أهون علىّ من التخفى فى البادية مهملاً طريداً، والحياة مع الذل خير منها الممات!

ثم اشتعلت الحمية فى صدر معن، فقوض خيمته وارتحل إلى بغداد متنكرا ينتظر وقوع الأحداث.

-٢-

لكأن معنا ووائل كانا يطالعان صحيفة الغيب، فما هى إلا أيام قضاها معن فى بغداد متنكرا حول قصر الخليفة، حتى دهمت جيوش الخراسانية قصر أمير المؤمنين ليلاً بعد أن انصرف أكثر الحرس، وغابت كتائب الجيش، وسمع المنصور اللغط فتوقع الكارثة، واستنهض الباقين من الحرس، وكان شجاعا غير هياب، ولاوجل فركب فرسه وتوسط أعداءه غير هياب، وكانت مخاطرة ستقضى إلى مصرعه لو بقى وحيداً، ولكن معن بن زائدة، اخترق الصفوف، ومعه سيفه وجعل يضرب ذات اليمين وذات الشمال، حتى تفرق القوم قليلاً، ثم تقدم إلى فرس أمير المؤمنين فقاده وسيفه بيمينه يضرب به كل من تحدث نفسه بالوصول إليه فيقع صريعاً، وظن القوم أن وراء معن الذى ظهر فجأة جيشاً سيقتحم المعركة عن قريب. فتفرقوا مذعورين، ومعن من ورائهم بسيفه، وقد ركب فرساً مما تركه المنهزمون، وجعل يتتبع الفلول، وعين المنصور تلحظه فى إكبار واعتزاز، ثم

رجع بعد انتهاء المعركة، وقاد فرس الخليفة إلى القصر واستأذن فى الانسحاب، فقال المنصور:

• لابد أن تجلس، لأعرف من أنت؟

•• قال معن: أنا طلبتك ياأمير المؤمنين أنا معن بن زائدة الذى انضم إلى الأموية بدافع المروءة، وكان ماكان حتى صدر أمرك بالبحث عنه لينال جزاء ماقدمت يداه.

• فابتسم المنصور، وقال: أنت شريف شريف يامعن، لم تخذل الأموية حين أدبر أمرها قياما بواجب المروءة، ولولاك اليوم لأصبحت خبراً من الأخبار وقد عفوت عنك، وستكون معى أسبوعا تاماً لأستأنس بحديثك ثم تسافر إلى اليمن واليا عليها! من قبل الخلافة، وهذا أيسر ماتستحق!

- ٣ -

صلى أبو جعفر المنصور العشاء ليلة الجمعة، واجتمع فى ندوته الأسبوعية مع حاشيته من الوزراء والولاة يتدارسون أحداث الأسبوع ويدلى كل برأيه وكان معن من شهود الندوة لأول مرة، فاتجهت إليه أنظار المجتمعين، وعجبوا كيف يكون العدو صديقاً أثيرا لدى أمير المؤمنين، ولكنهم لم يظهروا ما فى نفوسهم رهبة من المنصور، وأراد الخليفة أن يفسح مجال القول لمعن، فقال له دعابة:

• يا معن لقد اختفيت عن الناس أربع سنوات لايعلم أحد مقرك مع حرص الخلافة على القبض عليك، ثم أذن الله فعدت إلى بغداد سالماً ممتعاً برضا أمير المؤمنين، فاذكر لنا أعظم حادث وقع فى نفسك، وأنت مختف عن الأنظار!

•• فابتسم معن، وقال: إن أذن أمير المؤمنين فإنى أذكر حادثا كان له أبلغ الأثر فى نفسى، ففى صباح يوم كنت أمام الخيمة أحلب الشاة واستنشق هواء الصحراء، فكأنما انشقت الأرض عن عبد أسود ضخم وفى يده سيف باتر يلمع الموت فى صفحته، وصاح بى:

• قدم رجلك للقيد يامعن فأنت طلبة أمير المؤمنين.

•• قلت وقلبى يرتجف من الخوف، وأنا ألمح الشرار يطير من عين العبد ومن سيفه معاً:

- ومن أنا حتى أكون طلبة أمير المؤمنين.

• فصاح العبد متضاحكا: لاتخدعنى يامعن، حين غيرت هيئتك وملبسك وحلقت لحيتك وعارضيك، أنت معن بن زائدة، ولن أتركك حتى أصحبك إلى بيت الخلافة فى بغداد.

•• فلما رأيت الأمر قد وصل إلى مرحلة الجد، دخلت الخيمة، وكنت أحتفظ فيها بعقد لؤلؤ ثمنه عشرة آلاف دينار، فأخرجته وقدمته إليه، وقلت له:

- هذه هدية منى إليك لتتركنى وشأنى، ولك المثوبة من عند الله.

• فتضاحك العبد وقال كالمستهزىء: أخبرنى عن قيمة هذا العقد.

•• قلت: لا أقل من عشرة آلاف دينار، وهى ثروة لاتخطر على بال أحد من الأثرياء، فكيف بك وأنت كما أرى فى حاجة إلى المال؟

• فابتسم العبد، وقال متسائلاً فى جد: قل لى يامعن هل تبرعت ذات يوم بنصف مالك لمن جاء يسألك الإحسان؟

•• فقلت: لا

• قال: وهل تبرعت ذات يوم بربع مالك لمن جاء يسألك الإحسان؟

•• فقلت: لا

• قال: وهل تبرعت ذات يوم بثمن مالك لمن جاء يسألك الإحسان؟

•• فقلت: لا

• قال: وهل تبرعت ذات يوم بعشر مالك لمن جاء يسألك الإحسان؟

فاستحييت أن أقول لا فقلت: نعم

فقال:

- يامعن، أنا عبد أخذت حريتى منذ أسبوع وليس فى يدى درهم واحد، ولم أوفق للآن إلى طعام الإفطار، ولكنى أتبرع لك بالعقد كله، وهو كل ما أملك الآن! أتبرع به إليك لتعلم أن فى الناس من يجود بجميع مايملك لابالنصف ولابالثلث، ولابالعشر، فخذ العقد مشكوراً وسأذهب إلى طيتى، دون أن أخبر أحدا بمثواك، ولكن عليك أن تذكر أن فى الناس من يتبرع بكل ما يملك حسبة لوجه الله، دون أن يذكر أحد أنه من المحسنين.

ثم رمى العقد فى خيمتى وانصرف.

وأنا الآن ياأمير المؤمنين سأبذل كل جهدى فى العثور عليه، لأجزيه بما يستحق، فمثله نادر المثال، لقد أخجلنى كثيراً بأسئلته ثم بما أظهر من تعفف عن المال، ويقينى أنه من كبار الصالحين.

دهش السامعون لما سمعوا من أمر هذا الكريم النبيل، وكان أكثرهم دهشة أمير المؤمنين، فقال لمعن:

• بربك إذا أسعدك الحظ ولقيته، فاحضر به إلىّ فهو من طراز رفيع!



العمل قوام الحياة الكريمة

للمستشار / حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

الإنسان أوجده الله على هذه الأرض، ليقوم بمهمة جليلة فيها، وهى التى أفصح عنها قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة: ٣٠)

ومن أهم مقتضيات القيام بهذه المهمة، أن يتخذ الإنسان كل ما يحقق عمارة الأرض التى يعيش عليها، بالصالح والنافع من الأعمال، والمبدأ العام الذى يحكم هذه الأعمال، هو الاستجابة لأمر الخالق جل شأنه، الوارد فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة: ١٠٥)

ونظراً لأهمية قيمة العمل في حياة كل من الفرد والمجتمع، فإننا نتناول هنا جانباً من فقه بعض المهن، التى تباشر هذه الأعمال، وذلك كما سيأتى:-

نماذج لبعض المهن التى أشار إليها القرآن الكريم

باستقراء آيات الكتاب العزيز، نلحظ أنه وردت به إشارات واضحة، عن بعض المهن المتنوعة فى الحياة، التى تقدم نوعاً من الخدمة للفرد والمجتمع على السواء، ومن هذه الإشارات على سبيل المثال الآتى:-

١- بناء السفن: وقد أشار إلى ذلك قول الحق -تعالى- فى أمره لسيدنا نوح -عليه السلام:

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧)
وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ ﴾

(هود: ٣٦-٣٨)

٢- رعى الغنم: كما أشار إلى ذلك قول الحق تعالى، على لسان سيدنا موسى -عليه السلام- عندما سأله الله عما بيده، قال:

﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾

(طه: ١٨)

وكما روى البخارى والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ، قال: «ما بعث الله نبياً، إلا رعى الغنم، وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط».

٣- صناعة الدروع وغيرها: كما أشار قوله تعالى عن كل من سيدنا داود، وسيدنا سليمان- عليهما السلام:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا
يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ
سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ
الشَّكُورُ ﴾

(سبأ: ١٠-١٣)

٤- صناعة الطوب الآجر: كما أشار إليها قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(القصص: ٣٨)

وقد روى ابن المنذر عن ابن جريج قال: فرعون أول من أمر بصنعة الآجر وبنائه.

٥- السقاية والعمارة: بمختلف أعمالها من بناء الحوائط وطلائها ونظافة وغيرها: كما أشار إليهما قوله -تعالى- عن أهل مكة:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾

(التوبة: ١٩)

بعض القواعد العامة التى تحكم هذه المهن

يمكن الإشارة إلى بعض هذه القواعد، كما وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، على النحو التالى:-

أ- اختيار أفضل الأعمال:

كما روى الديلمى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «أفضل الأعمال الكسب من

الحلال»[1] وذلك لأن طلب الحلال فريضة بعد الفريضة، كما روى عن الرسول ﷺ في حديث آخر قوله: «إن الله يحب أن يرى عبده، تعبا في طلب الحلال»[2]، وقال حجة الإسلام الغزالي: إذا كان الرجل معيلاً محترفا، فقام بحق العيال فكسب الحلال، فإنه يكون أفضل من العبادة البدنية، لكنه لا ينبغي أن يخلو وينفك عن ذكر الله- تعالى.

كما روى البيهقي في شعب الإيمان عن الإمام علي- كرم الله وجهه- أن رسول الله ﷺ، قال: «أزكى الأعمال، كسب المرء بيده».

ب- القدرة على العمل:-

وهي قدر الطاقة، كما أخبر الرسول ﷺ، فيما رواه الطبراني عن عمران بن حصين- رضي الله عنه- أنه قال: «عليكم من الأعمال بما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»، وفي رواية أخرى عند مسلم ولفظها:

«يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دوم عليه وإن قل، وإن كان آل محمد، إذا عملوا عملاً أثبتوه» وفي رواية ثالثة عند البخاري عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، فقال: من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها، فقال:

«مه عليكم من الأعمال بما تطيقون، فوالله لا يمل الله، حتى تملوا»، أي الزموا ما تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، ولا تحملوا أنفسكم ما لا يطاق من العمل لما فيه من مشقة، أو يخل الاشتغال به بالعلم، لأن الاشتغال بالعلم من أفضل الأعمال، قال البيضاوي: الملل فتور يعرض للنفس، من كثرة مزاولة شيء معين، فيورث الكلال في الفعل والإعراض عنه.

ولفظ الأعمال جاء في الحديث عاماً، يشمل كل أنواع العمل، التي يقوم بها الإنسان، سواء كانت من أعمال الدنيا أو الآخرة أو هما معاً، وحتى لو كان سبب هذا الحديث، أعمال العبادة، ولكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

اتقان العمل ضرورة

من أهم عناصر القيام بأي عمل، أن تتوافر له مقومات حسن الأداء، وهو إتقان العمل، حتى يحصل العامل على المقابل المناسب لقاء قيامه به، وقد تضمنت مبادئ شريعة الإسلام، ما يكفل تحقيق التوازن بين هذين العنصرين، وذلك كما روى البيهقي في سننه عن السيدة عائشة- رضي الله- عنها، أن رسول الله- ﷺ- قال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، وفي رواية عند مسلم والترمذي عن السيدة عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ، كان إذا عمل عملاً أثبته.

(1) كشف الخفاء للعجلوني ج١/١٧٦

(2) اتحاف السادة المتقين ٥/٤١٥

والمقصود بالإتقان في هذا الحديث، هو إحسان العمل بقصد نفع خلق الله، ولا يعمل على نية: قدر العمل وحده، أي أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة، بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة، وذكر بعض العلماء: أن المراد بالإتقان الإخلاص، لما ورد في رواية أخرى لهذا الحديث ولفظها: «إن الله لا يقبل عمل امرئ حتى يتقنه، قالوا: يا رسول الله: وما إتقانه؟، قال: «يخلصه من الرياء والبدعة».[3]

كما روى من أن صانعاً عمل عملاً، تجاوز فيه ودفعه لصاحبه فلم ينم ليلته، كراهة أن يظهر من عمله أنه غير متقن، فشرع في عمل بدله، حتى أتقن ما تعطيه الصنعة، ثم غدى به لصاحبه، فأخذ الأول وأعطاه الثاني، فشكره، فقال: «لم أعمل لأجلك، بل قضاء لحق الصنعة، كراهة أن يظهر من عملي عمل غير متقن» فمتى قصر الصانع في العمل لنقص الأجرة، فقد تنكر لما علمه الله، وربما سلب الإتقان.

ومن أفضل أنواع شكر النعمة، ما كان بالعمل، وذلك عندما يسبغ الله -تعالى- نعمة معينة على العبد، فيكون شكرها بإتقان العمل المكلف به، فمثلاً: من رزقه الله وظيفة مرموقة، فالشكر العملي لهذه النعمة، هو إتقان الأعمال التي تقتضيها هذه الوظيفة، فيكون العمل هنا بنية الشكر، وهذا ليس بالأمر اليسير على كل العباد، بل أهله قلة بين الناس، كما أشار إلى ذلك قول الحق تعالى مخاطبا آل داود:

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾

(سبأ: ١٣)

تحديد الأجر ودفعه للأجير

كما روى الدارقطني بسنده عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا استأجر أحدكم أجيراً فليعلمه أجره»، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «وأعلمه أجره وهو في عمله» -أي أثناء القيام بالعمل. أي أن المستأجر يجب أن يبين قدر أجرة الأجير وقدر العمل، ليكون على بصيرة ويكون العقد صحيحا، لأن من أركان الإجارة ذكر الأجرة وكونها مقدرة.

وقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ نهى عن استئجار الأجير، حتى يبين له أجره.

ويجب على المستأجر أن يسارع في الوفاء بالأجرة المقدرة للأجير، لما رواه البيهقي في سننه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ، قال: «أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه»، لأن أجره عمالة جسده، وقد عجل منفعته، فإذا عجلها استحق التعجيل، ومن شأن الباعة إذا سلموا قبضوا الثمن عند التسليم، فهو

(3) سنن النسائي ٥/٢٥

أحق وأولى، فيحرم مطله والتسويف به مع القدرة، فالأمر بإعطائه قبل جفاف عرقه، إنما هو كناية عن وجوب المبادرة عقب فراغ العمل، إذا طلب وإن لم يعرق أو عرق وجف.

وقد روى البيهقي في السنن عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه سلم، قال: «انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا البيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة، إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، .... إلى أن ذكر: وقال رجل منهم: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له، وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال:

يا عبدالله أعطني أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الابل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزىء بي فقلت: إني لا استهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

كما روى البخاري والإمام أحمد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا!، فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره»، لأنه استوفى منفعته بغير عوض واستخدمه بغير أجرة فكأنه استعبده.

التطبيق العملي لفقه المهن والأعمال

عملاً بالمصلحة المرسلة كأحد مصادر الشريعة الغراء، فقد تدخل المشرع القانوني، ونظم علاقات العمل في المجتمع، سواء في مجال الوظيفة العامة، بإصدار القوانين واللوائح التي تنظم علاقة الموظف العام بالدولة ومؤسساتها وإداراتها العامة، ووحدات الإدارة المحلية وغيرها، وفي مجال المهن الحرة أصدر قوانين العمل المتعاقبة، وآخرها إصدارا كان القانون رقم ١٢ لسنة ٢٠٠٣، الذي يقرر في أحكامه العامة، أن العامل هو: كل شخص طبيعي يعمل لقاء أجر، لدى صاحب عمل وتحت إدارته وإشرافه، وأن صاحب العمل هو: كل شخص طبيعي أو اعتباري يستخدم عاملا أو أكثر لقاء أجر، وأن الأجر هو: كل ما يحصل عليه العامل لقاء عمله، ثابتاً كان أو متغيراً، عينا أو نقدا، وغيرها من الأحكام التفصيلية في هذا القانون لعقد العمل وحقوق وواجبات العمال.

والله تعالى ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كَيْفَ نَصْنَعُ مُسْتَقْبَلَ الأُمَّةِ؟!

للدكتور/ حمدى فتوح والى

أمور كثيرة طرأت على حياة أمتنا الإسلامية فأفقدتها حريتها وأوقعتها ما بين التضليل والتجهيل وغيبتها طويلا عن إيقاع الحياة. وأفاقت بعد طول غياب فإذا الخلافة قد سقطت، والشريعة قد تعطلت، والمناهج قد تغيرت، والمرأة قد تبرجت، ومشاعر الناس قد تبدلت، فغلظت بعد رقة، وتكدرت بعد صفو واضطربت بعد هدوء واطمئنان.

وأصبحت الأمة تحكم بغير شريعتها وتساس بغير إرادتها، وتوجه لغير وجهتها، وتنقاد لرغبة ذابحيها الذى أوصلها بطول مكر ودقيق كيد إلى هذه الحال.

لقد أصبحنا لأول مرة أمام ظاهرة خطف الأمم، فإذا كان الناس قد عرفوا في هذا الزمان خطف أشخاص أو خطف سفن أو خطف طائرات فإن الذي يقع اليوم خطف لأمة الإسلام، ومن هنا تأتي دعوتي إلى ضرورة إيقاظ الأمة وإعادة النظر في طرائق التربية ووسائل الإيقاظ بدءاً من المنزل والمسجد والمدرسة.

والبداية تأتي بأن نذكر الناس جميعاً بأن الله هو خلقهم أسوياء متساويين في الحقوق والواجبات، وكفل لهم جميعاً ما يكفيهم من ضروريات العيش وأسباب الحياة، قال تعالى:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

(هود: ٦)

وهذا الفهم إذا توافر لإنسان فلابد أن يمنحه الأمان على رزقه، فلا ينافق، أو يتملق، أو يخاف، وعلى أجله فلا يجبن أو يتأخر عن أداء ما ينبغي أن يؤدى من نصرة العقيدة وأداء الحق، إنه لا بد أن يفقه جيداً أمر رسولنا ﷺ: «اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجرى بالمقادير»[1].

---

(١) رواه الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر.

الأجل والرزق في يد الله

وعندما يستقر في ضمير الإنسان شعوره بأن أجله ورزقه في يد الله وحده، فإنه يطمئن ويتحرر من عقدتي الدونية والفوقية، ويتمتع بنفس متوازنة سوية.

ومن المؤسف أن الإنسان الذي خُلق سويا في أحسن تقويم تراه إذا شب وكبر يصيبه التشويه والانحراف بسبب ما يتسلط عليه من أمور تفسد فطرته وتلوث طبيعته، قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢].

ولما كان الإنسان يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً، ثم يبدأ في اكتساب معارفه وميوله وعاداته وعقائده من خلال ما يرد إليه من أبويه وأهله وبيئته، لذا كان الأبوان مسئولين عن طبيعة هذا التكوين وكيفيته، وكانت الطريقة التي يتبعانها في تربية النشئ وتنميته هي المسئول الأول عن كل ما يصيب الطفل من سلبية وأنانية وخوف ورعب وما يسيطر عليه من شعور بالدونية والهوان.

فهم خاطئ!!

وينشأ ناشيء الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

إن كثيرا من الآباء والأمهات لا يسمحون للطفل بأية مساحة من الحرية أو استقلال الشخصية في إبداء الرأي أو التعبير عن الذات، ويقلقهم كثيرا أن يروا منه إحساسا بذاته أو شعورا بكرامته، أو استنكافاً من الهزء به، أو السخرية منه، أو النيل من كرامته، وكلما رأت الأم طفلها يبدي استياء من قهرها له وتسلطها عليه عدت ذلك تمردا عليها واستهزاءً بها وإهانة لها، فتزداد له إهانة وتضاعف له الألم ولا تصبر على سماع كلمة اعتراض منه أو إبداء أدنى شعور بالإباء أو التعبير عن ألمه للحوق الأذى والإهانة به. وهكذا لا يجد الطفل أمامه أدنى مساحة إلا أن ينهزم ذليلا مهينا بائسا كسيرا، ويظل هذا السلوك يمارس عليه حتى ييأس من محاولة إبداء أي شعور بالإحساس بالإهانة، ويظل كذلك حتى يألف هذه الحال ويتحول الخنوع والرضوخ والانهزام في حياته إلى سلوك عادي لا يأنف منه ولا يتحرج من إظهاره، بل قد يصل الأمر به إلى اعتبار كل سلوك سوى عزيز كريم هو الشائن الغريب، فهل يدرك الآباء والأمهات أنهم يصنعون للأمة- عن طريق التربية- الكرام الأعزاء أو العبيد الأذلاء. وأنهم بفعلهم هذا يقدمون لأعداء الأمة أعظم خدمة عندما يخرجون جيلا خانعا خائفا جبانا، وهكذا تتوارث الأمة- نتيجة الفهم الخاطيء لطرق التربية وكيفية التعامل مع الغير- أساليب القهر وتتبنى ثقافة الاستبداد والخنوع، فتتخرج أجيال لا

(٢) رواه الشيخان عن أبي هريرة.

تعرف لها حقا في إبداء الرأي أو إباء الضيم أو الحرص على ممارسة حقها الطبيعي في حياة كريمة عزيزة.

مدرسة للتعليم أم سجن محكم!!

وكما يحدث من الآباء والأمهات في البيوت، يمارس السلوك نفسه مع التلميذ في المدرسة، فالمعلمة التي تلقته من أبويه وحلت في حياته محلهما، وكان المفترض فيها الوعي بطريقة السلوك ومراحل النمو، تجدها قد نشأت هي الأخرى على سلطة الاستبداد وثقافة الفردية والتسلط. وإذا كان الأبوان يمارسان هذا الدور مع استصحاب غريزة الأبوة وحنان الأمومة، بما يخفف من أثره قليلا أو كثيرا فإن المعلمة تمارس الدور مع كثير من الغلظة والجفاء والقسوة.

ناسية أن الطفل جاء إليها بعد إلف طويل للحركة والنشاط واللعب في بيته، فإذا حاولت مصادرة هذه المساحة في حياته مرة واحدة مستعينة على ذلك بسلطتها وغلظتها وقسوتها فسوف تصنع بين يديها كيانا بائسا منكسرا حزينا، وسيظل يكره اليوم الذي ألقي به بين يدي هذه السجانة، ويكره الظروف التي ألقته في هذا السجن المحكم. لكنه مع الزمن عندما لا يجد أملا في بديل آخر عن هذه الحال فسيألفها ويتعايش معها، مدركا أنه لا حظ له في الحركة، ولا نصيب له في الحرية، وليست له أدنى مساحة في إبداء الرأي أو الاعتراض، وإنما هو كيان منهزم خائف.

ومن مجموع هؤلاء المنهزمين البؤساء تتكون مدارسنا الابتدائية التي تسلم حصادها إلى الإعدادية ثم إلى الثانوية. وكلما كان الولد أكثر استكانة واستسلاما كان أقرب إلى المثالية والأدب والاحترام في نظر المسئولين، وهكذا يكرّس الاستسلام والخنوع مرة أخرى عن طريق الأخصائي الاجتماعي الذي خلط بين السلبية والخضوع والاستسلام والخوف، وبين الأدب وحسن الخلق وسلامة السلوك. وإذا بأبنائنا يلاحظون أن من كان مطواعا خائفاً مستكينا هو النموذج الأمثل والشاب الكريم من أساتذته ومجتمعه.

أبناؤنا هم وطننا ومستقبلنا

فمتى يدرك الآباء والأمهات، ومتى يدرك المعلمون والمعلمات أن أبناءنا هم وطننا القادم ومستقبلنا الواعد وعزتنا الغائبة وأنهم نصف الحاضر وكل المستقبل؟!.

إن من بين الأطفال في سن الحضانة والمراحل الدنيا من الصفوف الابتدائية نماذج هم مشروع عباقرة، وعلماء ومخترعين، لو وجدوا من يحسن فهمهم، ويقدر مواهبهم، ويستثمر طاقاتهم ويوجهها التوجيه الأمثل. إن الطفل الكثير الحركة، الزائد النشاط، السابق لعمره وأوانه، طفل موهوب عبقري ذكي. لكنه يمتنع عن إبداء تلك العبقرية لعدم وجود من يثريها، أو يدعو إلى إدراكها واكتشافها.

إن على أجهزة التربية والتعليم مسئولية

النزول إلى الواقع وإعادة النظر فى منظومة التربية، ومناهج الدراسة، وتحرير العقل فى مراحل تكوينه وإبداعه الأولى من قيود الحفظ والتلقين، وإطلاق طاقاته العملية والإبداعية والابتكارية كل فى الميدان الذى يحبه، وفى التخصص الذى يهواه.

إننى أحلم باليوم الذى يهيىء للطالب فرصة الدراسة تبعا للذى يحبه ويحسنه من مهارات وميول، غير مقيد بنصف درجة صعدت أو نزلت، ليتحول على أساسها مستقبله ويتغير بها مسار حياته.

إننى أعجب أشد العجب لأمة تهدر عبقريات بنيها لتحولها إلى مجالات خدمات واستهلاك نائية بها عن مجالات التنظير والابتكار والإبداع.

لابد من احترام الطالب منذ مراحل التعليم الأولى

إن قطف زبد العقول والقلوب وتحويلها جميعا إلى أطباء ليس بالأمر الحكيم، فالطبيب مهما يرع لن يمتد أثره إلى أكثر من جسد المريض، أما مجالات التنظير والإبداع واستشراف المستقبل ووضع الخطط ورسم الملامح لمجتمع سليم نظيف كريم، فهذا مما لا يقع فى دائرة الأطباء والمهندسين، وإنما هو شأن المفكرين والسياسيين والعلماء. فإذا كان نصيب هذه الكليات التى تخرج هؤلاء هم الضعاف المهازيل، فهذا يعنى أننا حكمنا بالتخبط والعجز والجهل على مستقبل أمتنا ممثلا فى المتصدين لهذا المقام الرفيع، وتجارب الأمم الأخرى دليل على شذوذ الطرق المتبعة فى بلادنا، وبعدها عن الواقع، فالأصل فى دراسة أى علم هو الميل إليه والشعور بالتميز فيه وليس الإجبار والقصر وتجريع الطالب ما لا يحب وما لا يتوافق مع ميوله وقدراته، ثم الحكم عليه بأن يتخصص فى ذلك وأن يبنى حياته على ذلك. لا شك فى أن عطاء هذا الطالب لن يكون بنفس عطاء من تهيأ لهذا التخصص منذ الصغر ومال إليه بطبعه واشتاق أن يرى نفسه كبيرا فيه بقية حياته.

إن الدول التى قطعت شوطا فى حسن التخطيط، وعقلانية الإدارة، واحترام ميول الناس ورغباتهم، يهيئون الطالب لتخصصه منذ مراحل التعليم الأولى دون إجبار مادى أو معنوى ولهذا فقد استوت أمام أعينهم جميع الكليات ودخل كل طالب كليته عن قناعة وحب، ولو خير بينها وبين غيرها ما اختار غير كليته، ولذا لم يقع التناقس المحموم على كلية بعينها كالذى يقع على كليتى الطب والصيدلة فى بلادنا.

الثابت والمتغير فى منظومة القيم

إن نظام التعليم لدينا يحتاج إلى تغيير فى المضمون والشكل يساير ما طرأ على حياة الناس من تطور وينسجم مع ما تملكه الأمة من قيم، وينهض لمواجهة ما تعانيه من تحديات، وهذا يتطلب عقلية تؤمن بالتغيير لا الترقيع، وتنطلق من ثوابت لا من ردود أفعال، وتراعى فى نهضتها عقيدة الأمة

ومبادئها التى ينبغى أن يأتى التعليم ليدعمها ويقويها ويحافظ على لونها وصبغتها وليس القفز فوقها أو الطعن فيها أو النيل منها ورفع غيرها عليه وإلا كان ذلك خيانة من أعظم الخيانات.

لابد أن يأخذ واضع السياسة التعليمية فى اعتباره معرفة الثابت والمتغير فى منظومة القيم، فالثابت هو مجموعة القيم الأصيلة التى جاءت بها الأديان السماوية، واعتنقها الناس عقيدة، ومارسوا شعائرها عبادة، واستقاموا على نهجها أخلاقا وسلوكا وبها تتمايز الأمة عن باقى الأمم. فليس شرطاً أبدا لكى تنهض الأمم أن تتبنى أفكار غيرها لكى تنتج ما أنتجوا أو تصل إلى ما وصلوا إليه، وإنما ينبغى أن تستفيد منه طرائق التفكير ووسائل تيسير المعلومة وتوصيلها، أما المعلومة نفسها فإن كانت من الكم المشترك بين البشر من علوم الكون والحياة كالطب والفلك والأدوية والكيماويات وعلوم الفضاء والبحار والمعلومات الحديثة فلا بأس بأخذها والاجتهاد فى ذلك، وأما إذا كانت المعلومة تناقض قيمة أصيلة من قيم مجتمعنا وأخلاقنا فهنا ينبغى أن يدق جرس الخطر وأن يظهر الخط الأحمر وأن يقال لناقل الكفر: (لا) فنفرق بين أن نشرب من النهر وأن نغرق فيه، ولنتذكر دائما أن الأسد يتغذى على الخراف لا ليصير خروفا، وإنما ليقوى فيه كيان الأسدية. فلنمد العقل بما شئنا من غذاء معرفى وعلمى، شريطة أن يكون الغذاء تقوية لكياننا وليس إفسادا لعقولنا وتشويها لأفكارنا.

الغراب والحمامة

إن أمم الأرض جميعا تأنف من الاندماج فى غيرها والتنازل عن هويتها وعقيدتها لتنتسب إلى دولة أخرى أو عقيدة مخالفة مهما كان هذا الآخر قويا أو غنيا أو عظيما، ولم أر شيئا من المخلوقات رضى أن يتنازل عن جنسه أو ينتسب إلى سواه حتى فى عالم الحيوانات أو الطيور.

ومما يحكى من باب التندر أن الغراب أعجبته مشية الحمامة فجعل يقلد مشيتها فلم يستطع فأراد العودة إلى مشيته فنسيها، فأصبح مشيه قفزا كما نراه الآن، وهو مثل يضرب لمن ترك أصوله ليقلد الآخرين فعجز عن تقليدهم ولم يستطع الرجوع إلى أصله، فصار كالغراب لم يلحق بغيره ولم يحتفظ بأصله. وهو ما نرى عليه أمتنا اليوم، فقد تركت أصولها الإسلامية وذهبت تقلد الغرب فى حضارته وطريقة حياته فعجزت عن تقليده، وأرادات العودة إلى أصولها اليوم فوجدت من يضيعون لها معالمها ويشككون فى ثوابتها ويحولون بينها وبين عقيدتها، ويبقى الدور اليوم على عقلاء الأمة وحكمائها كى يساعدوا الأمة فى الخروج من مأزقها الحضارى والتصدى للسفهاء من بنيها حتى يسلم لنا ديننا وعقيدتنا ويسرى فى كياننا تيار الإيمان فنعود بحق:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

آل عمران: ١١٠



يد الله

لماذا تضحى الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل؟!

تأليف

جريس هالسل

ترجمة

محمد السماك

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

٥

وعاد صوت محدثي عبر اتصاله التليفوني، مؤكدا شكه في صحة حديث الكاتبة (جريس هالسل) قائلا: لو أن الكاتبة نسبت ما روته إلى شخص من عامة الناس لأمكن تصديقه، ولجاز أن يقبل ما نسب إليه من بيع دينه بدنياه، انسياقا وراء مطامعه، واستسلاما لإرادة القيادات الصهيونية.

أما أن ينسب هذا كله إلى قس أعد الإعداد الجاد من الكنيسة ليكون مثالا يحتذى، في مجال التبشير بالمسيحية التي يرى رموزها اللاهوتيون منذ مئات السنين في اليهود أعداء المسيح وقتلته... فهو أمر يدعو إلى الدهشة، بل يدعو إلى الشك.

هذا... إلى أن لهذا القس بين مريديه من المكانة والتأثير الفعال ما يؤكد أنه داعية ناجح في أداء دوره الدعوي والتبشيري، حتى إن هؤلاء المريدين يتهافتون على الذهاب إلى مواعظه، والإصغاء لما يتفوه به، والانصياع التام لما يصدر عنه من توجيهات.. كما جاء في وصف الكاتبة له ابتداء؛ فكيف يجتمع فيه هذان المتناقضان؟!

فأجبت: إن أمثال هذا موجودون، وقد عرف التاريخ البشري منهم كثيرين... ويكفي أن تذكر على سبيل المثال ما صنعه حاشية فرعون -أو ملؤه- مع فرعون- وكان أكثرهم من كبار الكهنة المهيمنين على عقول العامة -في إعلانه الألوهية، حيث زينوا له هذا المسلك، وبشروا به بين العامة، فتوهم أن في مقدوره بآلاته المختلفة أن يصعد إلى إله موسى، على نحو ما صوره القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ (٣٦) أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾

[غافر: ٣٦-٣٧]

فهذه الحاشية -أو الملأ- هم الذين استقبلوا دعوة موسى -عليه السلام- وما معه من آيات بالسخرية والضحك، حتى اندفع فرعون معتزا بما لديه من ملك، وما تحت يده من أتباع مناديا:

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

[النازعات: ٢٤]

بل... وتهدد من يرفض الاعتراف به إلها بالسجن:

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾

[الشعراء: ٢٩]

وزاد في غلوائه -بفعل حاشيته- فرفض أن يكون معه إله آخر:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾

[القصص: ٣٨]

والقرآن الكريم قد نبه -في مواطن كثيرة- إلى وجود أمثال هذا القس من بين أهل الكتاب، في نحو قوله -عز وجل-:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

[آل عمران: ١٨٧]

فإذا استحضرت ما يكون عليه أمثال هؤلاء المارقين من الجرأة والترقع، والاغترار بما أوتوه من مقدرة على إحقاق الباطل، وإبطال الحق، وتمكن من استغلال فطرة التدين في النفوس أسوأ استغلال... عندئذ لن تجد في الذي ذكرته الكاتبة من ارتقاء مثل (جيري فولويل) تحت أقدام الصهيونيين اليهود أي غرابة لأن الذي يشتري بعهد الله وميثاقه هذا الثمن الحقير، -دون حياء من الله تعالى- ... لا يستغرب منه أن تطويه وقاحة اليهود الصهيونيين وتغرقه في مغرياتهم الخداعة.

توقح إسرائيل في عربدتها

نعم... إن وقاحة إسرائيل لا تقف عند أي حدود؛ فقد عرف قادتها أن كل شيء معروض للبيع -دينا كان أو دنيا- وأن هناك من يمكن أن يبيعها أي شيء بأي ثمن.

ففي سنة ١٩٨٠ أرادت إسرائيل أن تتجاوز ردود فعل المعارضة بسبب استيلائها على شرقي القدس، فدعمت إنشاء منظمة مسيحية يمينية تدعى (السفارة المسيحية الدولية)، واستولت على منزل لعائلة (سعيد) الذي ينتمي إليها الكاتب الأمريكي الفلسطيني (إدوارد سعيد)، وجعلت من هذا المنزل مقرا لتلك السفارة التي تضم دعاة (هرمجدون)، ثم طاف قادة تلك السفارة حول العالم ليفتتحوا سفارات مماثلة في سبع وثلاثين دولة في أوروبا وآسيا وأستراليا، بالإضافة إلى مائتي مكتب لها في الولايات المتحدة... وجميع هذه المكاتب والسفارات تتظاهر بالعمل السياسي، بينما تخفي أعمالها التبشيرية.

وفي سنة ١٩٨٢ غزت إسرائيل -بمعاونة عدد كبير من المتطوعين الأمريكيين- لبنان المجاور

لها بقيادة (إيريل شارون) فكانت حصيلة هذه الغزوة مائتي ألف قتيل وجريح لبناني وفلسطيني معظمهم من المدنيين، محققة بذلك مشيئة الله، كما قال (بات روبرتسون).

وفي أغسطس سنة ١٩٨٥ كانت الكاتبة واحدة من ٥٨٩ شخصا من ٢٧ دولة يشاركون في مؤتمر الأيام الثلاثة، أول مؤتمرات المسيحية الصهيونية التي عقدت في بال بسويسرا، استجابة لتحريض من إسرائيل ومن المسيحيين القدريين، وعلى مدى ست وثلاثين ساعة استغرقت في الاجتماعات سيطر على المجتمعين فيها البحث عن معرفة كيف تستطيع إسرائيل دعم الرزنامة السياسية للقدريين، وكيف يستطيع القدريون دعم الرزنامة السياسية للإسرائيليين.

ودعم مطلق لوقاحتها

وكذلك أوضحت الكاتبة كيف أن حرب الولايات المتحدة على العراق سنة ١٩٩١ للتأكد من أن إسرائيل وحدها هي التي تملك أسلحة نووية في المنطقة، وكيف أن (نتنياهو) ترأس المجلس الإسرائيلي المسيحي سنة ١٩٩٦ ليدعو سبعة عشر من القادة الأصوليين والإنجيليين لزيارة إسرائيل حيث وقعوا عريضة يعربون فيها عن الأمل بأن لا تتخلى أمريكا أبدا عن إسرائيل، وكان بين الزائرين (دونالد ويلدمون) رئيس الاتحاد العائلي الأمريكي، و(دون آركي) رئيس التحالف الوطني الإنجيلي.

وفي سنة ١٩٩٧ نشر القدريون المسيحيون إعلانا مؤيدا لإسرائيل في صحيفة (النيويورك تايمز) مستخدمين عبارات من الكتاب المقدس للتأكيد على أن القدس هي العاصمة الروحية والسياسية للشعب اليهودي وحده طوال ثلاثة آلاف سنة. ووقع على الإعلان (بات روبرتسون)، و(رالف ريد) رئيس التضامن المسيحي، و(أ. ماكتير) عن منظمة الطاولة المستديرة الدينية، إضافة إلى (جيري فولويل).

وفي سنة ١٩٩٨ ساعد القس (جيري فولويل) على تنظيم لقاء بين رئيس الحكومة الإسرائيلية (نتنياهو)، ومؤيدي إسرائيل المسيحيين -بمن فيهم قادة الحقل العمداني الجنوبي (موريس تشامبان)، و(ريتشارد لاند)، وكذلك (جون هاجي) من سان أنطونيو- حيث تعهد المسيحيون باستنفار جماعاتهم ضد الضغوط التي تمارسها إدارة (كلينتون) على إسرائيل للتخلي عن أراض فلسطينية.

وأبلغ (جيري فولويل) نتنياهو بوجود ٢٠٠ ألف كاهن إنجيلي في أمريكا: «سنطلب منهم جميعا -عبر البريد الالكتروني، والفاكس، والرسائل، والهاتف- أن يتوجهوا إلى منابرهم الكنسية، وأن يستخدموا نفوذهم لدعم دولة إسرائيل ورئيس وزرائها».

وفي أبريل سنة ١٩٩٨ خاطب رئيس الحكومة الإسرائيلية (نتنياهو) المؤيدين المسيحيين لنظمة (التحالف الوطني الوحدوي من أجل إسرائيل) -بمن فيهم: (كاي آرثر)، و(تيري هيدسن)، و(بيج باترسون) رئيس الحقل العمداني الجنوبي، والمعلق الصحفي (كالي توماس)، إضافة إلى: السيناتور (تريت لوت)، والسيناتور (سام براونباك)... وتحدث في هذا اللقاء (جيري فولويل) مطالبا المسيحيين

أن يؤيدوا إسرائيل، ومطالبا إسرائيل بامتلاك القدس كلها.

وفي هذا الشهر من العام نفسه... تشابكت مرة ثانية أيادي إسرائيل واليمين الديني، وتعاهد ثلاثة آلاف إنجيلي على دعم إسرائيل.. حتى قال الرئيس الإسرائيلي: «ليس لنا أصدقاء وحلفاء أعظم من الناس الذين يجلسون في هذه القاعة».

وفي هذا العام ١٩٩٨ جمع (جون هاجي) الكاهن القدري مليون دولار لمساعدة اليهود السوفييت على الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وعندما ووجه بتناقض ذلك مع القانون الدولي أجاب قائلا: «أنا عالم بالكتاب المقدس ولاهوتي، ومن منظاري... فإن قانون الله يعلو فوق قانون حكومة الولايات المتحدة ووزارة الخارجية الأمريكية».

ولما ألغت إسرائيل سنة ١٩٩٨ التزاماتها باحترام اتفاقات سلام (واي) مع الفلسطينيين أشاد التحالف المسيحي بإسرائيل لتشددها، ولرفضها السلام.

إسرائيل أولا ... ثم تأتي أمريكا

وفي الفصل الرابع عشر (اليمين المسيحي والسياسة الخلية) قدمت الكاتبة من الأحداث والوثائق ما يؤكد: أن الأمريكيين البروتستانت القدريين أمثال (جيري فولويل) ومن يسيطرون عمليا على أكبر مجموعة من الأمريكيين البروتستانت كالحقل العمداني الجنوبي... هؤلاء جميعا قد تعاهدوا مع إسرائيل والكثيرين من يهود أمريكا على تبادل الدعم، وقد لجأت إسرائيل إلى ذلك بعد أن بدأت تخسر تأييد بعض اليهود الليبراليين في أمريكا في احتلال الأراضي العربية.

أما دعم القدريين الأمريكيين فيتمثل في التأييد المطلق لكل ما تصنعه إسرائيل في الأراضي المحتلة.

وأما دعم الإسرائيليين للقدريين فيتمثل في الإنفاق ببذخ على أشخاصهم، كما صنعوا مع القس القدري (جيري فولويل) باستضافته، وتسديد نفقات رحلته، والاحتفاء به، ومنحه طائرة نفاثة يطير بها حوالي عشرة آلاف ميل في الأسبوع لدعم المرشحين السياسيين المفضلين لديه.

وما قوبل به هذا من (فولويل) حيث أعلن -وهو محاط بالمستوطنين اليهود-: «إن الله كان لطيفا مع أمريكا؛ لأن أمريكا كانت لطيفة مع اليهود».

وكما كان من (بيجن) مع (فلويل) نفسه في احتفال كبير أقيم في نيويورك، منحه فيه أعلى جائزة إسرائيلية، وقد لوحظ أن هذه الجائزة تحمل اسم (فلاديمير زئيف جابوتنسكي) فيلسوف العقيدة الصهيونية، واليميني المتطرف الذي أثر عنه قوله: «لتكن القوة هدفكم».

فكان منح (فولويل) هذه الجائزة إعلانا عن تماثل (فولويل) مع (جابوتنسكي)

وفي المقابل كان على القس (جيري فولويل) وغيره من القدريين أن يحافظوا على تلك العلاقة، وذلك بحرصهم على انتخاب من يتعاونون معهم للرئاسة الأمريكية، كما كان الحال في إنجاح (ريجان)، و(جورج بوش)، مما منح اليمين المسيحي قوة واضحة، فتعزز دور المبشرين القدريين في الإذاعات ومحطات التلفزة.

وكان على (دانيال كويل) نائب الرئيس الأمريكي الذى توقفه قدريته إلى يمين (جيرى فولويل): أن يعلن سنة ١٩٩٩ عزمه على أن يصبح مرشح الحزب الجمهورى لرئاسة الولايات المتحدة.

فإذا وصل إلى هذا المنصب وصلت يده إلى الزر الذى يطلق الأسلحة النووية؛ ليستعجل معركة (هرمجدون) إيمانا منه بضرورة تلك المعركة، وبأن جهود السلام فى العالم لابد أن تفشل؛ لأن الله يريد عالما متصارعا، كى يدمر الأرض.

بل إن (روبرت ب. تيم) كاهن كنيسة (بيرانا) فى هيوستن، القدرى المتطرف يقيم مواعظه على: أن الفترة الرهيبة فى المحنة الكبرى هى فترة يأس الشيطان، وسيحدث ذلك فى الوقت الذى تقع فيه المعركة الأخيرة التى قد تدمر الأرض.

ويوصى أتباعه بأن لا يقلقوا؛ لأنهم سينعمون بالنشوة الكبرى، وينقذون من الدمار.

ومن اللقاءات المباشرة.. تؤكد ذلك

ولا تكتفى الكاتبة مع ما توصلت إليه- من مظاهر تلك العلاقات وآثارها- عن طريق الوثائق، والتصريحات، والنشرات الإعلامية. ولكنها تؤكد وقوعها بما تلقته فى لقاءاتها المباشرة.

ففى لقاء الكاتبة مع (جون ف. بوخ) فى هيوستن سنة ١٩٩٦ أخبرها: أن المحفل المعمدانى الجنوبى، أكبر المنظمات البروتستانتية على الإطلاق- وتزيد قيمة ممتلكاته على عشرة مليارات دولار- هذا المحفل قد تمت مصادرته من أجل السلطة والسياسة، وليس من أجل الخلاف على النص الدينى؛ فبعد أن ظل طوال مائة وخمسين عاما مجسدًا لتضامن أصحاب عقيدة واحدة، ومحافظا على تقاليد لاهوتية مشتركة.. بعد هذا جاء (بول برسلر)، و(بيج باترسون) سنة ١٩٦٧ وخططا لمصادرة هذا المحفل. وفى سنة ١٩٧٨ وجها الدعوة إلى أصوليين آخرين لينضموا إليهما. وفى العام التالى -خلال اللقاء الوطنى للمحفل- تمكنا من السيطرة عليه، وفرضا مرشحهما القدرى (إدريان روجر) من ممفيس رئيسا وذلك عن طريق تجاوزات كثيرة فى عملية التصويت انتهك فيها قانون المحفل؛ مثل: مشاركة (بيسلر) فى التصويت، على الرغم من أنه لم ينتخب رسولا من كنيسته المعمدانية الأولى فى هيوستن. وعندما جوبه بهذا التناقض... ادعى أنه عضو شرف فى كنيسة أخرى فوَّضته فى التصويت.

ومن هذه التجاوزات: أن بعض كنائس أرسلت أكثر من عشرة رسل للتصويت- وهو الحد القانونى لكل كنيسة، وأن بعض الرسل قد سجّلوا أكثر من مرة، حتى إن أحد القساوسة سجل نفسه، وزوجته، وأربعة من أولاده. وعندما سئل عن حقيقة ذلك اعترف بأن الأولاد لم يكونوا فى المحفل.

وبهذه التجاوزات -وغيرها- تمكن الأيدولوجيون من السيطرة على مؤسسة لم يمولوها، ولم يؤيدوها، ولم يكن لهم دور فى بنائها... فتمكنوا بذلك من أن يكون لهم دور أساسى فى الانتخابات المحلية والوطنية، وعملوا على تحويل المحفل المعمدانى الجنوبى إلى قاعدة سياسية.

وفى سنة ١٩٩٨ قام (جيمس د. درابر) أحد كبار مسئولى المحفل بحملة قوية لمصلحة (بات روبرتسون) فى سعيه لموافقة الحزب الجمهورى على ترشيحه للرئاسة فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى هذا العام نفسه تطلع جميع كبار مسئولى المحفل للقاء (نتنياهو) رئيس وزراء إسرائيل، ليقدموا دعمهم لرزنامته، وليتلقوا دعمه لرزنامتهم.

حقيقة القدريين

وفى الخاتمة أجملت الكاتبة ما قدمته، منبهة إلى أن القدرية التى اتسعت فى السنوات الأخيرة اتساعا ملحوظا، تتصف بأربع صفات أساسية:

١- الأولى: أنهم لا ساميون، ولا يكنون لليهود إلا كل احتقار، ولكنهم يدعمون إسرائيل، لأنهم يريدون أن تقوم إسرائيل فى مكان يصلح أن يكون محطة نزول المسيح، ومجيئه الثانى.

٢- الثانية: أن هؤلاء القدريين ينظرون إلى الله نظرة ضيقة... وكذلك ينظرون إلى ستة البلايين من البشر الذين يعيشون على الأرض.

فالله فى نظرهم إله قبلى، لا يهتم إلا بشعبين اثنين فقط، هما اليهود والمسيحيون، ويتمسكون بفكرة تقول: إن الله وضع اليهود الذين يبلغ عددهم الآن حوالى أربعة عشر مليونا، على مسار أرضى، ووضع مليارا من المسيحيين على مسار سماوى. أما المليارات الخمسة الباقون من البشر فإن شاشة الرادار الإلهى لا تسجل وجودهم، إلى أن يدعوهم الله للتقدم إلى محرقة (هرمجدون).

٣- الثالثة: أنهم يعتقدون -بجزم- أنهم يفهمون عقل الله، فهم يطرحون سيناريو كالنص السينمائى يكشف عما هو مقدَّر؛ مستقطبين -بذلك- اهتمام أولئك الذين يريدون أن يشعروا بأنهم من مجموعة «داخلية» على معرفة بالأسرار، وبالمعلومات العميقة، وبالوحى. حتى أصبحت سلطتهم أكبر بكثير من سلطة المطارنة وغيرهم من القادة فى المؤسسات الكنسية، ومن سلطة العلماء واللاهوتيين فى المسيحية الليبرالية.

٤- الرابعة: أنهم يبشرون بإله الغضب والانتقام والحرب، معلنين: أن الله لا يريدنا أن نعمل من أجل السلام، إنما يطلب منا أن نشن حربا نووية تدمر الكرة الأرضية.

وبعد

فالكتاب -على محدودية صفحاته- صيحة صادقة أطلقتها كاتبة مسيحية متدينة تعتز بتدينها، تكشف عما يدبره الأصوليون المسيحيون الإنجيليون لليهود، وما يدبره اليهود لهم وللعالم بأسره من مكائد تدفع به إلى الدمار تحت ستار (النزول الثانى للمسيح) من كل ما يوجب على كل إنسان يدرك قيمة إنسانيته أن يتدبر ما تضمنه هذا الكتاب من حقائق موثقة، تكشف توجهات الساسة فى أمريكا وإسرائيل، وتميط اللثام عن الدوافع التى تجعل القيادات الأمريكية تدوس على مصالحها الحيوية من أجل استرضاء إسرائيل. والله من وراء هؤلاء وأولئك محيط

القرآن وافتراءات الأعداء

للأستاذ / صديق بكر على عيطه

دأب الغرب على محاربة الإسلام بكل الوسائل: بغية إنهاكه أو القضاء عليه إن أمكنهم ذلك. والسر فى ذلك أنه الدين الخاتم، الذى جاء ليصحح للبشرية عقيدتها بعد أن زاغت عن جادة الصواب، ويقوم ما اعوج من سلوكها بعد أن انحرفت عن طريق الله المستقيم، ويعيدها إلى عبادة الله الواحد، الذى خلق السموات والأرض وما فيهن، ويكشف للأمم والشعوب ما عليه أصحاب هذه العقائد الباطلة، من زيف فى الدين وزيغ فى العبادة. فتارة يحاربونه بالحديد والنار، وأخرى يحاربونه بالحصار والتجويع، وثالثة بالإشاعات الكاذبة، ورابعة بالطعن فى مبادئه وتشريعاته، وخامسة بالتشكيك فى رموزه وأعلامه...!!

وإن من يقلب صفحات التاريخ، ليعجب كثيراً: كيف أصر الأعداء فى كافة العصور كل هذا الإصرار على محاربة هذا الدين، الذى جاء ليخرجهم من ظلمات الجهل وخرافات العصور البائدة، إلى نور العلم والإيمان والاعتراف بكرامة الفرد وكرامة الجماعة البشرية كلها، ويضع نصب أعين الناس كلهم معالم الطريق الى خيرى الدنيا والآخرة...!! ويشتد العجب، حينما يرى من يتصفح التاريخ، أن هذا الدين قد خرج منتصراً من كل تلك المعارك، ساخرا من هؤلاء وأولئك، الذين يكيدون له ليل نهار...!! وحينما يرى أتباعه يزدادون يوما بعد يوم وهم يدخلون فى دين الله أفواجاً من كل أرجاء الأرض...!!

أكاذيب دحضها القرآن

ومما تجب ملاحظته ان أكاذيب الأعداء فى هذا العصر الذى نعيشه، هى هى أكاذيب الأعداء منذ أن جاء الإسلام.. وقد حكاها القرآن الكريم ورد عليها بما أفحمهم، ورد كيدهم فى نحورهم. ولكنهم لا يزالون يرددون نفس الأكاذيب، ويروجون لها، دون أن يتعلموا الدرس، ويفيدوا من التجارب التى حفظها التاريخ.

ولما رأوا القرآن الكريم، ينتشر فى كل مكان ويقرأه العامة والخاصة حتى اقتحم عليهم بيوتهم.. زعموا أن هذا القرآن من عند محمد - ﷺ - وليس من عند الله - تبارك وتعالى - زعموا هذا الزعم وقد نسوا أو تناسوا أن هذه الأكذوبة، قد سبق بها أهل مكة، ولكن القرآن رد عليهم بما أخرس ألسنتهم مع أنهم أهل الفصاحة وأرباب البيان...!! ولم يفلحوا فى صد هذا القرآن، أو الإقلال من قوة اندفاعه نحو النفوس والعقول والقلوب.

فلقد قال بعضهم:

﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾

(الفرقان: ٤)

فرد عليهم القرآن رد الواثق قائلاً:

﴿ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾

(الفرقان: ٤)

وقالوا عنه:

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

(الفرقان: ٥)

فرد عليهم قائلاً:

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(الفرقان: ٦)

وعندما يئسوا من نجاح فريتهم، ورأوا ما فيه من القوة الروحية والأخلاقية ما يوشك أن يعصف بأباطيلهم وافتراءاتهم قالوا حاقدين ناقمين:

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(الزخرف: ٣١)

فوبخهم الله - عز وجل - وندد بهم قائلاً:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾

(الزخرف: ٣٢)

وعندما خافوا على أنفسهم من أن يجرفهم تيار القرآن الهادر، ويقتحم عليهم بيوتهم عن طريق أبنائهم ونسائهم وعبيدهم قالوا لهم:

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾

(فصلت: ٢٦)

وهى حيلة العاجز الذى لا حيلة له وهى اعتراف صريح بهزيمتهم.

أعداء اليوم لا يتعلمون الدرس

وتستمر فصول الحرب جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن، إلى أن يأتى أعداء اليوم ولا يتعلمون الدرس، ليكرروا نفس القولة الخرقاء، ويزعموا

أن هذا القرآن من عند محمد - ﷺ - وقد ألفه ليخدع به الشعوب ويدعو الى دينه الجديد..! وأنه استعان ببعض علماء عصره، مستوحيا إياه من كتب التوراة ومن الأناجيل ولكن نرد عليهم قائلين: «لو كان القرآن بالفعل ملفقا من الكتب الدينية السابقة، فهل كان معاصرو محمد - ﷺ - ومعارضوه من كل الاتجاهات سيسكتون عنه؟».

«لقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من التشريعات والتعاليم التي لا وجود لها في كتب الديانات السابقة فضلاً عن إحاطته بتفصيلات لأخبار الأمم السابقة واشتماله على أمور غيبية تحققت بالفعل، كما أخبر بذلك القرآن»[١].

ولنأخذ على سبيل المثال قصة «الطوفان» فقط؛ حتى لا يطول بنا البحث، هذه القصة التي تحدثت عنها كتب التوراة وتحدث عنها القرآن الكريم بعد ذلك بقرون. فلقد جاء حديث التوراة في هذه القصة مضطربا وغير متطابق من خلال روايتين: هي الرواية اليهودية، والرواية الكهنوتية، وباختصار، فلقد ذكر الباحثون أن هاتين الروايتين - كما يقول الدكتور «موريس بوكاي» في كتابه «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» - تختلف فيها العوامل التي أدت الى الطوفان، كما يختلف زمن وقوعه، ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة.

«إن رواية الطوفان في العهد القديم (التوراة) غير مقبولة في إطارها العام وذلك لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة:



موريس بوكاى

(أ) يعطي العهد القديم للطوفان طابعا عالميا.

(ب) وعلى حين لا تعطي فقرات المصدر اليهودي للطوفان تاريخا، وتحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة من هذا النوع.

ويستمر الدكتور «بوكاي» في استعراضه لهذا الحدث الكبير من وجهتي النظرة التوراتية من خلال مصدريها السابقين، والقرآنية من خلال ما ورد في سور: هود (الآيات من ٢٥ - ٤٩) وسورة نوح التي تذكر بشكل خاص موعظة نوح، والشعراء (الآيات من ١٠٥ - ١١٥). وغيرها من السور التي أفاضت في الحديث عن الطوفان، ليخلص إلى النتيجة التالية حيث يقول: «في نهاية الأمر، فالاختلافات بين روايات القرآن وروايات التوراة موجودة، وهي هامة. وبعض هذه الاختلافات يفلت من أي فحص نقدي؛ إذ هناك انتقادات للمعطيات الموضوعية، ولكن إذا كان بالإمكان التحقق من معطيات الكتب المقدسة، وذلك بمعونة معطيات أكيدة، يصبح واضحا تمام الوضوح عدم إمكانية اتفاق رواية

(١) د. محمود حمدي زقزوق في كتابه «الإسلام في مواجهة حملات التشكيك» ص ٧٣.

التوراة في تقديمها للطوفان بزمنه ومدته - مع مكتسبات المعرفة الحديثة، وعلى العكس من ذلك، فإن رواية القرآن تتضح خالية من أي عنصر مثير للنقد الموضوعي. فمن عصر رواية التوراة إلى عصر تنزيل القرآن، هل حصل الناس على معلومات من شأنها أن تلقي نورا على حدث مثل هذا؟ بالتأكيد لا - لا يزال الدكتور «موريس بوكاي» يتحدث - فمن العهد القديم (التوراة) إلى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هي التوراة بالتحديد. وإذا لم تكن العوامل الإنسانية تستطيع أن تشرح في التغيرات التي طرأت على الروايات لتتجه إلى التوافق مع المعارف الحديثة فيجب أن تقبل شرحاً آخر، وهو أن هناك تنزيلاً من الله قد جاء بعد التنزيل الذي تحتوي التوراة عليه»[٢] ويلاحظ أن هذه الانتقادات لم يقم بها باحث مسلم، وإنما وردت على لسان باحثين من اليهود والنصارى، استعان الدكتور «بوكاي» بنتائجها؛ مما كان سببا في أن أعلن هذا الرجل إسلامه ودخل في دين الله..!!

وهناك الكثير من القضايا التي أثبت العلم الحديث انفراد القرآن بصحة روايته لها أو انفرد بعرضها أصلا وأكدت المعارف الحديثة صحتها القاطعة لكل شك..!!

زعم الغرب أن هذا القرآن، ألفه محمد - ﷺ - ليخدع به الشعوب ويستعين به على نشر دينه، ولكن تعالوا بنا نرد على هذا الزعم من باب آخر: من القرآن ذاته، الذي يحمل بين طياته ما يؤكد فساد هذا الزعم الأخرق: إن كل من يدعو الى مبدأ حتى ولو كان سياسيا أو اجتماعيا أو غير ذلك، يتزعم من ورائه جمهرة من الناس، أو يتكسب عن طريقه مكانة بين قومه لم تكن له من قبل، لابد من أن يضفي على نفسه هالة من القداسة، ترفع من شأنه، وتضعه في مصاف الناس غير العاديين. فماذا فعل محمد لنفسه في هذا الكتاب الذي ادّعوا أنه من تأليفه..؟! إنه لم يصنع لنفسه شيئا، وهو الآن - وسيظل حتى قيام الساعة - بين أيدي البشر جميعا يقرءونه، إنه يبدئ ويعيد في قيادة الناس إلى الله - عز وجل - واستثارة مشاعرهم من الأعماق كي يرتبطوا به، ويتوجهوا إليه سبحانه ويستعدوا للقائه.

فالحديث في هذا الكتاب دائم متصل عن الله، وما ينبغي له..! وعن جعل الحياة الدنيا مهادا لما بعدها، وليس فيه شيء صنعه محمد لنفسه إلا أنه عبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا؛ عبد فقير إلى الله كسائر العباد.

إن الحماس يشتعل في الآيات النازلة على مدى ربع قرن - تقريبا - تسبيحا لله وتمجيدا واقتلاعا للأهواء والخرافات التي صرفت الناس عن ربهم الكريم.. فماذا لمحمد في هذا الكتاب الذي قالوا إنه ألفه؟»[٣].

لو أن هذا القرآن من عند محمد - ﷺ

(٢) من أراد المزيد من التفصيل في هذه القضية فليرجع الى كتاب «القرآن والتوراة والانجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» للدكتور «موريس بوكاي» فصل «الطوفان»، والكتاب قد عنيت بطبعه أكثر من دار نشر.

(٣) عن كتاب «المحاور الخمسة للقرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله ص ١١ ، ١٢.

ـ أكان ـ عليه السلام ـ يغش نفسه، ويعرّضها للقتل على يد المتربصين به ليل نهار؟ لقد حكى التاريخ أن بعض الصحابة السابقين إلى الإسلام، كانوا يقومون على باب دار الأرقم بن أبى الأرقم، يحرسونه ممن قد تسول له نفسه من المشركين الاعتداء على رسول الله ـ ﷺ ـ وعندما نزل قول الحق ـ تبارك اسمه ـ بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾

(المائدة: ٦٧)

أمر هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أن يتركوا الباب؛ اعتمادًا على وعد الله بأن يعصمه من الناس، ووعد الله لا يتخلف، وذلك مع علمه ـ ﷺ ـ بأنه محوط بالمشركين الأشداء الذين يحرص كل منهم على أن يكون أسبق الناس للقضاء على محمد، فهل كان محمد ـ ﷺ ـ غاشا لنفسه بهذه الآية معرّضا إياها للهلاك؟!.

العتاب القرآنى

إن فى هذا القرآن الكريم، عددًا من الآيات البينات التى عوتب فيها من قبل الله ـ عز وجل ـ؛ لأنه فعل خلاف الأولى. فنزلت كل آية لتصحح للرسول ـ ﷺ ـ الموقف الذى نزلت بشأنه، ولتظل قرآنا يتلى إلى يوم القيامة؛ ولتؤكد على حقيقة أن هذا الكتاب من عند الله ـ تبارك وتعالى ـ وليس من عند محمد ـ ﷺ ـ.

● خذ مثلا قوله ـ تعالى ـ فى سورة «الأنفال»:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٦٧)

ومعروف أنها نزلت فى شأن أسرى بدر، حينما استشار الرسول ـ ﷺ ـ صاحبيه الكريمين ـ أبا بكر وعمر ـ رضى الله عنهما، حيث أشار الأول بأخذ الفدية منهم ليستعين بها المسلمون، وإطلاق سراحهم. أما الثانى فقد أشار بقتلهم؛ لأنهم ما جاءوا إلا لقتل الرسول ـ ﷺ ـ والمسلمين والقضاء على هذا الدين الوليد. غير أن الرسول ـ ﷺ ـ اختار رأى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ على رأى عمر، فنزلت هذه الآية المباركة لتصحح لرسول الله ـ ﷺ ـ الرأى، وتبين ما كان أولى أن يفعله، وهو قتل المشركين؛ لأن ذلك إضعاف لجانب الشرك، وإذلالا لأعداء الله..

● مثال آخر: ما نزل بشأن المتخلفين عن الجهاد فى سورة التوبة وهو قوله تعالى:

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(التوبة: ٤٣)

وهذه القصة أيضا معروفة، حيث إن بعض ضعاف الإيمان تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك نظرا لشدة الحر يومئذ واستأذنوا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأذن لهم فى التخلف مع شدة حاجة الجيش الإسلامى إلى المجاهدين إيثارا لحسن النية فيهم، وحرصا منه على أن يكون الدافع لدى المجاهدين؛ إنما هو حب الله ورسوله ولنصرة الإسلام، فنزلت هذه الآية المباركة وغيرها بيانا لحقيقة هؤلاء المتخلفين عن الجهاد، وأن الرسول ـ ﷺ ـ بإذنه لهم بالتخلف، إنما فعل خلاف الأولى، وكان عليه ألا يأذن لهم فى ذلك حتى ينكشف أمرهم ويفتضح بين الناس قصدُهم، ويعلم الصادق منهم فى إيمانه من الكاذب.

● مثال ثالث: لو أن هذا القرآن من تأليف محمد ـ ﷺ ـ وليس من عند الله ـ عز وجل ـ فلماذا إذن يعرّض نفسه للعتاب من قبل الله ـ تبارك وتعالى ـ فى شأن عبدالله بن أم مكتوم؟، عندما فعل خلاف الأولى، وأعطى اهتمامه الشريف لنفر من المشركين طمعا منه فى إسلامهم، وأخر اهتمامه بعبد الله بن أم مكتوم الضرير الذى جاء يسأله عن أمر من أمور الدين، فعاتبه الله ـ تعالى ـ بقوله:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾

(عبس: ١ ـ ١٠)

● مثال رابع: وهو قصة صلاته ـ ﷺ ـ على عبدالله بن أبى بن سلول رأس المنافقين: فقد صلى رسول الله ـ ﷺ ـ على هذا الرجل، تلبية لرغبة ابنه ـ عبدالله بن عبدالله بن أبى بن سلول ـ وكان ممن حسن إسلامهم ورفعوا راية الدين. وتطييبا لخاطره، وقد عارض عمر بن الخطاب رسول الله فى صلاته على هذا المنافق ولكن الرسول الكريم صلى على هذا الرجل، فنزل بشأن ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة. ـ قال تعالى ـ فى سورة التوبة:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

(التوبة: ٨٤)

الله تكفل بحفظ كتابه

فهل كان محمد ـ ﷺ ـ فى هذه المواقف، مؤلفا للقرآن، ومدّعيا أنه من عند الله رب العالمين، ليقف فى موقف المعاتَب من قبل الله ـ عز وجل ـ وتسجل عليه الآيات هذه المواقف وأشباهها قرآنا يتلى إلى يوم القيامة؟!.

لقد دأب أعداء الإسلام على التشكيك فى كتاب الله؛ لأنه كتاب المسلمين الأول وهو الذى عصم الله به دينه إلى يوم القيامة، وتكفل ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظه من الضياع والتغيير كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

هدانا الله إلى صراطه القويم، ومتعنا دائما وأبدا بتلاوة كتابه الكريم، والنظر فى آياته البينات، التى تهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

بالقرآن

وليس بالشعر أيها الخابطون

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر

الذين يعترضون بأن القرآن معجز للعرب وحدهم لأنه بلغتهم نزل ولا يمكن أن ينسحب إعجازه على غيرهم ممن لا يتكلمون العربية لأن لكل لغة أسرارها الخاصة ينسون أو يتناسون أن اللغة بعامة ليست معجزة فى حد ذاتها عربية كانت أو غير عربية. ولكن المعجز هو النفاذ إلى سر عبقريتها التركيبية والتعبيرية. وهو كذلك إخراجها من حدود العادة اللغوية إلى حدود الإعجاز اللغوى والدليل أن لغة كالعربية. كانت تدور على أقلام المبدعين وألسنتهم. فلما جاء القرآن الكريم فجر فيها قوة فذة وإعجازا فريدا: تحوى بهما كل مستويات التعبير البيانى الذى أعطته هذه اللغة والذى يمكن على مر الأيام أن تعطيه.

من الضرورى أن تتوفر الجهود على تصحيح الفهم فى قضية النظر إلى علاقة الإعجاز القرآنى بعبقرية اللغة العربية؛ لأن هذه القضية ظلمت ظلما فادحا حين تصور الذين تصدوا لها - حديثا - أن علماءنا القدامى كانوا يخوضون فى قضية الإعجاز على ضوء المقاييس البلاغية التى اقتنصوها من عبقرية التعبير فى الشعر العربى ناسين أو متناسين أنهم بذلك يتجاهلون حقيقتين تاريخيتين:

● الأولى: أن الدراسات البلاغية والدراسات القرآنية تعاصرتا فى النشوء والتطور، وأن ما تم تمامه فى الدراسات البلاغية قبل نشوء الدراسات القرآنية لم يتجاوز كثيرا بعض الملاحظات البيانية، والبديعية التى ربما تصادفها فى كتب التراث موزعة بلا منهج هنا أو هناك، والتى لا يمكن أن تشكل أساسا لعلم مستقل وقائم بذاته.

● والثانية: أن علماءنا الكبار الذين ألفوا فى الإعجاز القرآنى كانوا دائما متفطنين إلى أن القرآن الكريم هو المقياس وليس الشعر العربى، وأن ما جرى من موازنات بين التعبير القرآنى والتعبير الشعرى كان نوعا من التدليل المادى على وقوع الإعجاز فى تعبير - هو القرآن - دون تعبير آخر - وهو الشعر، مع وحدة اللغة المعبر بها ووحدة الحس المتلقى عن هذه اللغة ووحدة الإطار الزمانى الذى تخلقت الظاهرة المقارنة فى أحضانه.

وإذن.. فلا مبرر للقول بأن علماءنا القدامى كانوا يقيسون بلاغة القرآن الكريم على بلاغة الشعر العربى؛ لأن معنى ذلك أنهم كانوا يقيسون الأعلى بالأدنى ماداموا يقولون بأن بلاغة القرآن من بلاغة الشعر، لأنه من المعروف أن المستويات الفذة فى الشعر - أى شعر - مقدور عليها دائما مهما بلغت من تسامى الشكل والمضمون وما هكذا القرآن الكريم.

إن رجوع علمائنا إلى الشعر العربى فى مجال دراستهم لقضية الإعجاز كان نوعا من التعبير عن روعة ما يجدون حيال النص القرآنى ونوعا آخر من إقامة الدليل على أن هذا الكلام ليس من جنس ما يتلاغط به الشاعرون والكاتبون قبل نزول القرآن وبعد نزوله، على السواء، والعجيب الذى راعهم أن كل ما فى الشعر العربى من التقاليد البلاغية موجودة مثله فى القرآن وكذلك فإن ما فى القرآن، من: مجاز، واستعارة، وكناية، وتشبيه، وتمثيل، وتقديم، وتأخير، وقصر، وفصل، ووصل، إلى آخر ما يرد فى هذا المجال، موجود مثله فى الشعر العربى.

القرآن الكريم قمة

ومع ذلك فإن القرآن الكريم يقف وحده من كل هذه الألوان على قمة منقطعة دون أن يستطيع الشعر أو غير الشعر مع ثبوت الشبه البلاغى أن يدنو إلى مواقع السفح من قمة إعجازه وخلوده.

كان هذا هو المثير الحقيقى وراء قضية الموازنة من خلال قضية دراسة الإعجاز، وكان رجوع علمائنا إلى الشعر محاولة للإجابة الحائرة عن التساؤل الأبدى.

إن كثيرا من القضايا الشكلية والمضمونية يشترك فيها أو فى التعبير عنها كل من القرآن الكريم والشعر العربى. فلماذا فى القرآن الكريم وحده يقع الإعجاز وتتحقق المعجزة؟!

شىء آخر تخالج القوم وهم يغوصون وراء حقائق الإعجاز، هو عبقرية اللغة العربية، فمعروف أن اللغة حين يُقيض لها المبدع الحقيقى تصل إلى مستوى بشرى معجز، وقد قُيض للغة العربية فى الشعر العربى والجاهلى منه على وجه

التحديد ـ عديد من المبدعين العمالقة ومع ذلك فقد جاء القرآن الكريم ليتسع هذا المستوى المعجز، ويعلو فوقه طبقات بلا حدود، وهذا دليل على عبقرية اللغة التى وسعت طبقة فى البلاغة فوق طبقة الإبداع الذى تخيلته وجهة النظر النقدية العربية قمة الإعجاز والإبداع، أى أن لغة ما تعطى إمكان التفوق على نفسها لهى لغة عبقرية بكل المقاييس.

عبقرية اللغة العربية

بهذا الفهم ينبغى أن نرجع إلى قضية الإعجاز وإلى قضية علاقته بعبقرية اللغة العربية التى وسعت بمتنها نفسه وبتركيباتها نفسها، هذا الإعجاز الخارق، واستطاعت من خلاله أن تسع كل هذه الدلالات المعجزة التى يتحدى بها القرآن العظيم كل الزمان وكل المكان.

القياس كان إذن بالقرآن وليس بالشعر فكلما كانوا يحسون بالانبهار أمام حقائق التركيب أو التعبير فى القرآن الكريم كانوا يهرولون إلى الشعر العربى فيجدون شكلا من الشكل، ولكنهم سرعان ما يكتشفون أن الشكل القرآنى دال ومعجز وخارق ومكتنز، وأن الشكل البشرى مضل وعادى ومقدور عليه ومنخوب القرار، أى أنهم كانوا يجدون فى القرآن جذوة مقدسة توحى وتلهم وتحرك، بينما لا يجدون فى الشعر غير نار منطفئة تختنق بالدخان أو تعفر بالتراب، وإذن فالرجوع لم يكن لقياس البلاغة القرآنية على بلاغة الشعر كما وهم بعض الساذجين وإنما كان رجوع التوثيق كما خلط بعض الخالطين، وإنما كان رجوع العجز والحيرة فالمادة الأولية ـ التى هى اللغة ـ هى هى ولكن السر الكامن فى كل من النمطين (القرآن والشعر) مختلف بلا حدود، وأيضا فإن اللغة التى استطاعت أن تحمل هذا الإعجاز وأن تكون إطاره التعبيرى والتركيبى هى لغة مقتدرة وواعدة دائما بمزيد من الاقتدار.

الإعجاز القرآنى

والذين يعترضون بأن القرآن معجز للعرب وحدهم لأنه بلغتهم نزل ولايمكن أن ينسحب إعجازه على غيرهم ممن لا يتكلمون العربية لأن لكل لغة أسرارها الخاصة ينسون أو يتناسون أن اللغة بعامة ليست معجزة فى حد ذاتها عربية كانت أو غير عربية، ولكن المعجز هو النفاذ إلى سر عبقريتها التركيبية والتعبيرية، وهو كذلك إخراجها من حدود العادة اللغوية إلى حدود الإعجاز اللغوى والدليل أن لغة كالعربية، كانت تدور على أقلام المبدعين وألسنتهم، فلما جاء القرآن الكريم فجر فيها قوة فذة وإعجازا فريدا، تحوى بهما كل مستويات التعبير البيانى الذى أعطته هذه اللغة والذى يمكن على مر الأيام أن تعطيه.

ويمكن القول بأن تيار الدراسات البلاغية، أضاء علاقة الإعجاز القرآنى بعبقرية اللغة العربية، بما كشف عنه فى النص القرآنى من أسرار المعانى وأوجه البيان وروائع البديع كذلك يمكن أن يتأكد القول بأن المصطلح البلاغى قد استفاد فى تأصيله من الدراسات القرآنية بما مكن له فى تاريخ الحركة العلمية، وهذه بديهية ينبغى أن تقر فى الأذهان لأن هذه الألوان البلاغية ما كانت لتكون على هذا النحو من التأصل و التجذر والشمول لو لم يكن القرآن الكريم الذى أمدها بعنصرى الأصالة والخلود.

لقد أعطاها بالأصالة شرعية الوجود الحقيقى، وأعطاها بالخلود ديمومة هذا الوجود الحقيقى، ومايزال القرآن الكريم يتردد ولن يزال فى كل قراءة جديدة ينبع فهم، وتبزغ قضايا، ويتواتر إعجاز، فكيف يكون الحس البلاغى بعيدا عن منطقة الإشعاع الإلهى فى القرآن الكريم؟

قضية البلاغة العربية

لقد مرت قضية البلاغة العربية فى مراحل نشوئها وارتقائها، ومرت كذلك قضية الإعجاز فى مراحل النشوء والارتقاء.

وتولد عن لقاء هذين الشقيقين تيار من الدراسات اللغوية والنقدية ماتزال ثماره تتضح يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل، وما نظن أن حركة الزمن بقادرة على وقف هذا التيار المتدفق إلا أن تغيب شمس الحياة ويصبح العالم بلا حضارة روحية تعطى للحياة معنى الحياة، هذه التيارات من الدراسات البلاغية والقرآنية واللغوية والنقدية أبانت بشكل واضح عن عبقرية اللغة العربية وعن امتلاكها لمزيد من عناصر الإبداع والعطاء إذا هى صادفت نوعية معينة من القادرين على تفجير طاقاتها الكامنة أو إخراجها من عزلة (الوضعية اللغوية) إلى فضاء (الجدل التاريخى) كما استطاع ذلك بحق أولئك الأعلام من أسلافنا الرائعين.

وبعد.. فالذين يخبطون فى علاقة الإعجاز بعبقرية اللغة مطالبون بالكف عن ملامسة السطوح والقشور، وبالعودة إلى مضامين الحركة العقلية المسلمة فى حقائقها وليس فى تجاوزاتها وبالنفاذ إلى صواب القضية التى تضع القرآن مصدرا يقاس عليه وليس هامشا يقاس، وبالهجرة الكاملة من ظلام الترديد الأعمى لكل ما قيل إلى نهار العطاء الذاتى الذى يحمل قدره بيديه خائضا فى أحشاء ما ينبغى أن يقال..

وعلى ضوء ما نفعل فى هذا الصدد يجب أن نقيس مسافة قربنا أو بعدنا من الإسلام العظيم..

***

هل أنصف المستشرقون والمؤرخون حضارة الإسلام؟

إتيين دينيه

فنَّانٌ أَحبَّ الإسْلامَ عقيدةً وحضارةً

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة «سابقا»

«إننا نلمس من خلال كتابات المستشرقين أن محمداً يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان الكاتب ألمانيا، ويتحدث بلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطاليا. وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب. إن المستشرقين يقدمون لنا صوراً خيالية هي أبعد ما تكون عن الحقيقة».

(إتيين دينيه)

ولد ألفونس إتيين دينيه في باريس سنة ١٨٦١م، وكان فنانا يتملكه شعور ديني يغمره ويسيطر عليه. اعتنق الإسلام بعد تأمل وتفكير، واختار اسم ناصر الدين، وكرس حياته لنصرة الدين الإسلامي. ومن أهم كتبه رسالة قيمة بعنوان «أشعة خاصة بنور الإسلام»، جعلها بحثا عصريا في مبادئ الدين الإسلامي، وأراد إظهار هذه المبادئ واضحة جلية، وأنها تفضل مبادئ المدنيات المعاصرة، وهي رد على من يزعمون أن الإسلام لم يأت بجديد. وله أيضا كتاب «الحج إلى بيت الله الحرام»، وكتاب «الشرق كما يراه الغرب» ورسائل أخرى تحت عنوان «آراء غربية في مسائل شرقية»، وموسوعة «السيرة النبوية» التي جعلها تاريخا لحياة الرسول - ﷺ -، وكتاب «حياة العرب» وكتاب «حياة الصحراء»، وكلها تشير إلى ما يحمله في قلبه من حب للإسلام وتقدير للشرق والشرقيين.

من ناحية أخرى كان «المسيو دينيه» من كبار أهل الفن ورجال التصوير وصاحب اللوحات النفيسة التي تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم. وله في متحف «لوكسمبرج» - وهو متحف كبار المصورين العصريين بباريس - عدة صور، منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم «غداة رمضان». وقد درس الروح العربية، وامتاز بتخصصه في تصوير الحياة الإسلامية، وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر التي أحبها واتخذ له في إحدى واحتها الهادئة الجميلة «بو سعادة» مقاماً طيباً، ينتقل إليه ويسكنه نصف العام كاملا. وكان قد زين كتابه «السيرة النبوية» الذي وضعه بالفرنسية بالعديد من الصور الملونة البديعة، من ريشته الخاصة، يمثل فيها المناظر الإسلامية، ومشاهد الدين ومعالمه، وطبعه بعناية وإتقان، حتى ليُعدّ تحفة من تحف الطباعة. وكان قد أعلن إسلامه رسميا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧م، وطلب أن يدفن في قبره مسلما حنيفاً، وهو القبر الذي شيده لنفسه في بلده «بو سعادة» بالجزائر.

وقد رد دينيه على افتراءات بعض المستشرقين وفند مزاعمهم إيمانا منه بصلاحية العقيدة الإسلامية لكل زمان ومكان. ذلك أن العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير، فقد يكون المرء صحيح الإسلام، وفي الوقت نفسه حر التفكير، وكما أن الإسلام قد صلح - منذ نشأته - لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات.

وهو يقول فيما يتعلق بالصلاة والنظافة: إن الحركات والأقوال التي في الصلاة الإسلامية هي ذات بساطة ولطافة لم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها، وهي ذات دلالة على الهدوء والاطمئنان، وهي تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية، فهي مفروضة الأداء خمس مرات في اليوم الواحد، وكم من شيخ كبير، وبدين سمين، يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة، مما لا يستطيعه المسيحي في مثل هذه السن، أو في مثل هذا الحال ما لم يكن قد رُوّض على ذلك من قبل. أضف إلى ذلك حكمة الوضوء الذي يسبق كل صلاة، ففيها للبدن انتعاش وصحة ونظافة. والنظافة من الإيمان.

تحريف المستشرقين!!

وحينما ألف السيد ناصر الدين كتابه «السيرة النبوية» عن حياة سيدنا محمد - ﷺ - معتمدا على المنقول من الأخبار

الإسلامية الصحيحة، هاجمه بعض المستشرقين لأنه خالفهم فى قليل أو كثير مما قالوه. وهو يرى أنه من المتعذر، إن لم يكن من المستحيل، أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم وبيئتهم، ونزعاتهم المختلفة، وأنه لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبى - ﷺ - والصحابة مبلغا يغشى على صورتهم الحقيقية من شدة التحريف فيها. وبرغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد الحديثة ولقوانين البحث العلمى الجاد، يقول دينيه: «فإنا نلمس من خلال كتاباتهم أن محمداً يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان الكاتب ألمانيا، ويتحدث بلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطاليا، وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب. إن المستشرقين يقدمون لنا صوراً خيالية هى أبعد ما تكون عن الحقيقة».

ومن الأمثلة التى يضربها «دينيه» لإيضاح تخبط المستشرقين وفساد النتائج التى توصلوا إليها فى أبحاثهم التى يزعمونها علمية صحيحة، قولهم: إن نوبات الصرع كانت عاملاً فى بعثة محمد ورسالته. والحقيقة العلمية تقول إن الحافظة فى المصروع تكون معطلة، على حين أن حافظة محمد - ﷺ - كانت غاية فى الجودة كلما نزل عليه الوحى. فالعلم ينفى أن الصرع كان يعترى محمداً ﷺ، ولهذا لم يقل بهذه الفرية إلا الأقلون من المستشرقين الذين افتروا على القرآن الكريم. ولو أن نزاهة القصد كانت رائدة هؤلاء المستشرقين لما حملوا العلم ما ينكره.


عبدالحليم محمود

وحول هذه الفرية جاء فى كتاب «أوروبا والإسلام» للإمام الأكبر عبد الحليم محمود، نقلا عن الدكتور هيكل فى كتابه «حياة محمد» ما نصه: «شتان ما بين هذا «أى الصرع» وبين نشاط روحى قوى قاهر يصل صاحبه بالملأ الأعلى عن شعور تام، وإدراك يقينى، ليبلغ من بعد ما أوحى إليه. فالصرع يعطل الإدراك الإنسانى وينزل بالإنسان إلى مرتبة آلية يفقد فى أثنائها الشعور بالحس أما الوحى فسمو روحى اختص الله به أنبياءه ليلقى إليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كى يبلغوها للناس».

عبقرية الحضارة الإسلامية

وتحدث دينيه كثيراً عن أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا علميا وتقنياً وثقافيا وأخلاقياً وربط الفنان المسلم بين الأسلوب المعمارى العربى وفن الزخرفة الخطية الذى استخدم لتمجيد كلام الله، وقال: «لقد سعى فن الزخرفة الخطية العربية - بعد أن أصبح تعبيراً صادقاً لمثل الأمة العربية - إلى أن يخضع لاتجاهاته - التى يغلب عليها الطابع الدينى، كل ما من شأنه أن يعين على استكماله، ووضعه فى الإطار المناسب مرغما فن العمارة والنظم الزخرفية الأخرى على ترسم أساليبه وأشكاله.. ولقد خضعت لسيطرته وسلطانه قبة بيزنطة الكروية الثقيلة، فاتخذت هيئة أشبه ما تكون بهيئة الخوذة العربية، وتحولت انحناءات رواقها الذى لم يكن فيه شىء من العبقرية إلى أشكال عربية بالغة الروعة، بينما اتخذت الطوابى الوضيعة صور المآذن الأنيقة التى ترتفع إلى قمم التجلى».

واستمر المسيو إتيين دينيه أو الشيخ ناصر الدين، طيلة حياته يناضل عن الإسلام كدين، ويدافع عن المسلمين كشعوب إلى أن توفى بباريس سنة ١٩٢٩م، بعد أدائه لفريضة الحج بنحو عام، ثم نقل جثمانه إلى المقبرة التى بناها لنفسه ببلدة «بو سعادة» بالجزائر تنفيذاً لوصيته.. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

خاتمة

لقد كتب الكاتبون كثيراً، فى الشرق والغرب، عن علاقة الشرق بالغرب سياسيا واقتصاديا لكن التفكير فى صلة الشرق بالغرب دينيا وثقافيا وحضاريا، وتعميق فهم الإسلام وحضارته عند الغربيين، لم يسترع عناية الباحثين بعد إلى الحد الذى يتناسب مع جلال الموضوع وخطره.

الصهيونية العالمية

إن عناصر كثيرة قد تجمعت الآن فى موقف عدائى للإسلام والمسلمين، تريد أن تقضى على الإسلام.. وكل عنصر من العناصر وضع خطة مدروسة مستقلة أو متعاونة مع الآخرين لهدم الإسلام فى جانبه الأخلاقى، ولهدمه فى جانبه العقدى ولهدمه فى جانبه التشريعى، ولطمس حضارته وتشويه عطاءاتها الرائدة للإنسانية. ومن أسف أن نجد هذه العناصر قد نجحت فى اصطناع معاول من الداخل - فى مختلف الدول الإسلامية - تتخذ صور المقالات أو الكتب أو الإذاعات، وتقنيات الاتصالات الحديثة للعمل على التحلل الأخلاقى، والتشكيك العقدى، والنيل من التشريع الإسلامى، وإن الغرب والصهيونية العالمية من وراء ذلك كله، ولهذا يتحمل المسلمون جميعهم التبعة كاملة، وعليهم جميعا تقع مسئولية نشر الدعوة الإسلامية الرشيدة فى ربوع المعمورة وليس الغرب وحده، فالإسلام دين التوحيد والعدل والأخوة الإنسانية، وهى حاجات أساسية لإصلاح المجتمعات وترقية الحياة على الأرض إلى ماشاء الله.

أصوات منصفة

ومن حسن الحظ أن نجد أصواتا منصفة فى الشرق والغرب على حد سواء تدعو إلى فهم أعمق للإسلام ورسالته وتصالح آمن مع المسلمين وقد صدر فى ألمانيا مؤخراً كتاب بعنوان «عوالم الإسلام»، شارك فى تأليفه تسعة وعشرون من علماء الإسلاميات فى ألمانيا وخارجها، بإشراف جيرنوت روتر GERNot rotter وذلك فى محاولة جادة للتعريف بالإسلام وتفنيد الدعاوى والافتراءات غير العلمية التى

يبثها أدعياء المعرفة عبر وسائل الإعلام المختلفة وتتناول البحوث المنشورة في هذا الكتاب عدداً كبيراً من الموضوعات الهامة المتعلقة بالشئون الإسلامية مثل قضايا الجهاد الأصولية، والحرية والديمقراطية، وحقوق المرأة، والتخوف من الإسلام والإسلام السياسي، والقومية العربية، والوحدة الإسلامية، والأقليات الإسلامية في أوروبا، والإسلام في إفريقيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وصلة الغرب بإنجازات الحضارة الإسلامية، وصورة الإسلام لدى الألمان ومقالات أخرى عن عدد من البلدان العربية.

ويهدف الكتاب إلى تنبيه الغرب بأن عليه أن يتوقف عن جعل العالم الإسلامي شيطاناً مخيفاً، فهذا الهجوم الذي لا مبرر له يؤدي إلى عواقب وخيمة.

وبدلاً من ذلك ينبغي أن يكون هناك موقف متفهم ومتسامح إزاء العالم الإسلامي الذي يعد أقرب الدوائر الحضارية إلى أوروبا.

تصورات خاطئة

ويلفت الكتاب الأنظار إلى أن العالم الإسلامي يشتمل على الكثير من الظواهر الحضارية، ويوجه نقداً حاداً لأصحاب الدعايات المغرضة في وسائل الإعلام الغربية الذين ينشرون تصورات خاطئة عن الإسلام وحضارته بعيدة كل البعد عن الأمانة العلمية والضمير الأخلاقي، ويشير الكتاب في هذا الصدد إلى أن التصوير المشوّه للحضارات الأخرى يجعل من المستحيل الحصول على صورة حقيقية، ويؤدي بالتالي إلى استحالة الوصول إلى حل حقيقي للمشكلات القائمة بل يضيف إليها مشكلات جديدة.

ويصف الكتاب الحضارة التي نشأت في ظل الإسلام بأنها تعدّ واحدة من الأعمال الإبداعية الجبارة في تاريخ الإنسانية، وقد استفادت أوروبا في العصر الوسيط الكثير من هذه الحضارة، إلا أنها ـ أي أوروبا ـ للأسف لم تعترف للحضارة الإسلامية بهذا الجميل.

من ناحية أخرى، يوضح الكتاب أنه إذا كان تخوّف الغرب من الأصولية الإسلامية لا أساس له، فإنه ليس هناك أيضاً مبرر لما ينشر في العالم الإسلامي من أحكام تعميمية عن عداوة الغرب للإسلام، فهناك في الغرب جهود جادة كثيرة تسعى للحصول على فهم حقيقي للإسلام وتفسير مقبول لما يجري في العالم الإسلامي.

تميز الحضارة الإسلامية

وكمثال على موضوعية المقالات التي تضمنها الكتاب نجده يشير إلى أنه قد نشأت في القرنين الأولين من تاريخ الإسلام حضارة إسلامية متميزة، وقد استفادت هذه الحضارة من الحضارات الرومانية واليونانية والفارسية، ثم استقلت بنفسها وأصبحت لها شخصيتها المتميزة وفي القرن العاشر الميلادي وما بعده بدأ الغرب في ترجمة المؤلفات العربية، وبذلك حصل على علم المسلمين وأصبح وارثاً للعلم الطبيعي العربي وفي الوقت نفسه خاضت أوروبا المسيحية حرباً دينية مريرة مع المسلمين الذين وصفتهم بأنهم «وثنيون» وبعد أن تم ترجمة مئات الكتب العربية في الرياضيات والفلك والطبيعيات والطب إلى اللاتينية اتضح مدى التفوق الضخم الذي وصل إليه المسلمون في مجال العلوم الطبيعية والفلسفية، وكان ذلك بمثابة صدمة للعقول الرائدة في الغرب ـ كما يقول الكتاب – فقد جاء على لسان أحد رجال الدين البارزين آنذاك وهو «لوبيتوس البرشلوني» «حوالي عام ١٠٠٠م» ما نصه: «لقد نسينا نحن المسيحيين حكمة القدماء، وقد منحها الله لنا مرة أخرى عن طريق العرب».

ولقد تجلت الاتصالات الحيوية بين الحضارتين في عهد الإمبراطور «فردريك الثاني»، وبدا واضحاً مدى ضخامة الميراث الثقافي الذي خلفه العلم العربي الإسلامي للغرب، ولكن الحروب الدينية قد غطت في نهاية الأمر على خمسة قرون من الاستفادة الغربية من إنجازات العرب في مجالات العلوم المختلفة، وقدم الدكتور محمود زقزوق في كتابه «الإسلام والغرب» عرضاً موجزاً لما ورد في محتويات هذا الكتاب.

نظرة تعصبية مجحفة


د. محمود حمدي زقزوق

وبصورة عامة يمكن القول بأن مؤلفي كتاب «عوالم الإسلام» قد بذلوا محاولة علمية جادة يقصد من ورائها إعادة النظر في الكثير من الأحكام المسبقة والمفاهيم المغلوطة المنتشرة في الغرب عن العالم الإسلامي وعن الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً وثقافة. والأمل معقود على أن يأتي اليوم الذي تحظى فيه مثل هذه المحاولات الجادة بما تستحقه من اهتمام وتقدير العالم الغربي حتى ينتصر الفهم السديد للإسلام في الغرب على النظرة التعصبية المجحفة وتتغلب الموضوعية في البحث على الغوغائية الإعلامية التي لا همّ لها من وراء التشويه المتعمد للإسلام وحضارته إلا ترسيخ أسباب الكراهية بين الإسلام والغرب.

على أننا في الوقت نفسه ينبغي أن ندرك أن المستشرقين ليسوا عرباً ولا مسلمين، وأن نلتمس لهم بعض العذر بسبب تقصيرنا نحن معشر العرب والمسلمين في حق حضارتنا وتراثنا، وعجزنا عن تسخير التقنيات الحديثة في التعبير لهم عن صورتنا الحقيقية، خاصة وأن العربية ليست لغتهم مهما أتقنوها، فلن تدركها عقولهم على الفهم الذي ندركها به نحن أهلها وأصحابها.

هذا والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

سيجريد هونكه

تشهد على العقل الغربي

٤

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

«إن العرب هم الذين أدخلوا النور والنظام على أعمال الأقدمين، التى كان يكتنفها الغموض فى وضعها المتفكك وهذه شهادة باعتراف جماعى ممن أرخ للطب. ولقد أعطتهم أوروبا -وهو أمر تندر معرفته اليوم- الأفضلية كأساتذة، وأخذت عنهم معارفها الطبية، أكثر مما أخذت من مصادر اليونان المشوشة المحدودة»

ولقد كانت براعة العرب فى التجربة، وإبداعهم للمنهج التجريبى، سبيلهم إلى نقد الموروث العلمى القديم..

فعلى بن العباس، طبيب عضد الدولة (٣٣٧- ٣٧١هـ ٩٤٩- ٩٨٢م) يقول: «لم أجد بين مخطوطات الأطباء الأقدمين والمحدثين كتابا كاملا، يحتوى على كل ما هو ضرورى من أجل تعليم فن الطبابة.

هيبوقراط كتب باختصار شديد، وكثير من تعابيره ضبابية وتحتاج إلى شرح وجالينوس ألف عدة كتب لا يحتوى كل منها إلا على جزء يسير من فن الطبابة، غير أن كتبه مفرطة الطول، كثيرة الإعادة والتكرار. لم أجد له كتابا واحدا متكاملا ومناسبا لتعليم المتدربين..

أما ما يتعلق بى، فإنى سوف أعالج فى كتابى كل ما هو ضرورى للحفاظ على الصحة وعلاج المرضى.. الأمور التى يجب أن يعيها كل طبيب مقتدر ذى ضمير حى»

● «وفى الأندلس، ألف الجراح أبو القاسم الزهراوى (٣٢٤- ٤٠٣هـ ٩٣٦- ١٠١٣م) كتابا جامعا فى الطب، يقوم على التجارب الشخصية، وضع فصله الثالث حجر الأساس للجراحة الأوربية، ورفع الطب الجراحى -الذى احتقرته المسيحية- كفرع طبى مستقل، يستند إلى التشريح العربى، إلى مصاف الاختصاصات الأخرى سواء بسواء»

● «وفى الأندلس، ألف ابن زهر (٤٨٤- ٥٥٧هـ- ١٠٩١- ١١٦٢م) كتابه الرئيسى (المداواة بالحمية والتنفيس) مرشدا للطب، غرضه الأساسى تثقيف المبتدئين من الجراحين من خلال قصص المرضى والأطباء المبرزين.»

● «ومخطوط الرازى (حول الحصبة والجدرى) قد ظل يطبع فى أوربا حتى القرن ١٩.»

● «إن العرب هم الذين أدخلوا النور والنظام على أعمال الأقدمين، التى كان يكتنفها الغموض فى وضعها المتفكك وهذه شهادة باعتراف جماعى ممن أرخ للطب. ولقد أعطتهم أوروبا -وهو أمر تندر معرفته اليوم- الأفضلية كأساتذة، وأخذت عنهم معارفها الطبية، أكثر مما أخذت من مصادر اليونان المشوشة المحدودة»

● «ويقول الطبيب العربى ابن الخطيب (٧١٣- ٧٧٥هـ ١٣١٣- ١٣٧٤م): «إن القاعدة التى يجب أن تستند إليها دائما هى أن برهانا تاما، أخذ بطريق النقل، ينبغى أن يخضع للتعديل إذا ما اتخذ موقفا مناقضا مما يشير إليه إدراكنا الحسى».. ويقول ابن البيطار (٦٤٦هـ ١٢٤٨م): «كل ما كتبته هنا نابع من تجربتى الشخصية، أو من تقارير أمثال هؤلاء المخالفين، الذين تعرف عنهم أنهم كتبوا ما وجدوه ثابتا من خلال التجربة الخاصة»[1]

● «ومما لا سبيل إلى تجاهله، عدد الفلكيين العرب الذين لم ينساقوا خلف الاعتقاد السائد الأعمى، الذى قابلت به أوروبا فى القرون الوسطى، أمير الفلك الهلينى بطليموس، بل أعادوا النظر فى النتائج التى توصل إليها من خلال المشاهدات الجديدة والحسابات والنظريات المستحدثة فحسنوها، وصححوا الأخطاء، وتجاوزوها فى بعض المسائل..

لقد وضع الفلكيون اليونان بين أيدى العرب بعض أجهزة القياس، غير أنها سرعان ما عجزت عن تلبية المتطلبات المطروحة للقياسات التى يحتاجها العرب لأغراض العبادة اليومية، ولكونهم تقنيين غزيرى الخواطر، وميكانيكيين مهرة، فهم يسعون دائما إلى التحسين، ويجرون تعديلات، ويفكرون فى الجديد، ويطورون فى أساليب مشاهداتهم وأدوات القياس المختلفة لديهم نحو الكمال، بينما يأخذها الغرب عنهم، ويستعملها على صورتها دون إدخال تعديلات عليها حتى عصر ابتكار التلسكوب.

وفى هذه الأثناء تحولت المراصد الفلكية إلى منشأة لا غنى عنها، تم بناؤها من قبل الأمراء الهواة وطلاب العلم، وغالبا ما ارتبطت بأكاديمياتهم، ومن أشهر هذه المراصد، المرصد الذى بناه المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ ٨١٣- ٨٣٣م) فى بغداد.. وفى سامراء.. وفى دمشق..

---

(١) (العقيدة والمعرفة) ص١٥٤- ١٥٧، ١٨٠، ١٨٨، ١٧٠.

ومرصد العزيز (٣٦٥- ٣٨٦هـ ٩٧٥- ٩٩٦م) والحاكم (٣٨٦- ٤١١هـ ٩٩٦- ١٠٢٠م) فى القاهرة.. ومرصد عضد الدولة (٣٣٧- ٣٧١هـ- ٩٤٩- ٩٨٢م) فى بغداد.. ومرصد ملك شاه فى نيسابور.. ومرصد أولوغ بيك فى سمرقند».

• «لقد كان البيرونى (٣٦٢- ٤٤٠هـ - ٩٧٣- ١٠٨٤م) أحد أهم علماء العرب فى عصرهم «ولقد ذهب فى ابتلائه -(اختباره)- الناقد لعقيدة الهيليين الفلكية مذهبا بعيدا، بحيث رفض صورة العالم البطليموسية الشاملة للشمس الدائرة حول الأرض.. وفى رأيه أن الشمس ليست هى المسئولة عن تناوب الليل والنهار، بل الأرض بذاتها التى تدور حول محورها مرة فى اليوم، ومرة تنتقل فيها حول الشمس فى عام، وظل البيرونى يقف وحيدا أمام المعتقد السائد حول فكرة «الزحزحة المقدسة».

• «واكتشاف البقع الشمسية على يد ابن رشد (٥٢٠- ٥٩٥هـ- ١١٢٦- ١١٩٨م) الذى أقدم هو وزميله البطروجى (٥٨٠هـ- ١١٨٤م) على رج العقيدة البطليموسية، وعلى تقديم تفسيرات أخرى لمنحنيات الكواكب.

ومارس ابن باجة الأندلسى (٥٣٣هـ- ١٣٣٨م) تأثيرا، أشد بالنسبة إليه فإن القوة لديه واحدة، وهى ذاتها، سواء منها ما يحرك الكواكب أو التى تجعل تفاحة تسقط من شجرة، وهو الرأى الذى يجابه الازدواجية اليونانية، والذى يؤثر -بصفته فيزيائيا- على جاليلى (١٥٦٤- ١٦٤٢م) عن طريق العلاقة التى يفترض وجودها بين القوة -السرعة- والمقاومة فى الأجسام المتحركة».

• «لقد أجرى الفلكى الكبير السّرقلى (٤٢٠- ٤٨٠هـ ١٠٢٩- ١٠٨٧م) فى طليطلة ما لايقل عن ٤٠٢٠ مشاهدة، فكان أول من برهن على أن تغيير بعد الأرض والشمس، التى اعتبرها اليونانيون ثابتة، ملائمة (لتقدم نقاط تعادل الليل والنهار). وقد قام جيرهارد كريمونا، بترجمة مؤلف السرقلى هذا إلى اللاتينية، وعرف باسم المؤلف Arzachel وفى عام ١٥٣٠م استشهد كوبرنيكوس (١٤٧٣- ١٥٤٣م) فى كتابه الذى نشر بالفرنسية تحت اسم De Revelatio-nibus بهذا الكتاب، وبكتاب البتانى (٢٤٤- ٣١٧هـ ٨٨٥- ٩٢٩م)..

• «ولقد تحدث الطبيب الطبرى (كان حيا قبل ٣٦٦هـ ٩٧٦م) عن كرة نحاسية ضخمة أثارت إعجابه فى عام ٨٥٠م، أمام مرصد فى سامراء شاهدت جهازا أشرف على بنائه عالما الفلك والميكانيكيان الأخوان محمد وأحمد بن موسى، وهو يشبه شكل الكرة، ويصور النجوم ورسم البروج، ويعمل بالطاقة المائية، فإذا أفل فى السماء الفعلية نجم، اختفت صورته فى نفس اللحظة من الجهاز فى الوقت الذى يغيب تحت خط الدائرة التى تمثل مجال الرؤية، فإذا طلعت فى الطبيعة صورة نفس الكوكب، أشرقت صورته أيضا على الجهاز فوق خط الأفق»[٢].

(٢) المرجع السابق، ص١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ٣٢٨، ١٤٦، ١٤٧.

• «على أن العامل المساعد الضرورى للبحث والتجربة لدى العرب، هى الرياضيات، لقد رأينا كيف أرسى الخوارزمى الأصول الطبيعية للرياضيات التى تمكن من جميع العمليات الحسابية لكن لا يكتفى بمساهمته تلك فقط، إنه يضع بين يدى زملائه الباحثين (جهازا يدويا لاغنى عنه: الجبر، أو علم المعادلات) الذى يسمح بموجب هذا العلم باستخراج العدد الصحيح، لعدد واحد أو كثر من المجاهيل. وقد ألف كتابه فى سنة ٨٢٠م، وهو كتابه الثانى الذى دخل به التاريخ.

وهذا المؤلف البالغ الأهمية، الذى أدخل فيه الجبر ضمن نظام للمرة الأولى، حظى بتقدير كبير فى العالم العربى، وأعارته أوروبا أهمية غير عادية.. ولقد تتلمذ ليوناردو بيزا (أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣)، رياضى القرون الوسطى الكبير على يد الخوارزمى

ومن كتاب الجبر لأبى كامل (١٣٣هـ- ٧٥٠م) -الذى عاش فى مصر- ومخطوطات البيرونى، وابن سينا (٣٧١- ٤٢٨هـ ٩٨٠- ١٠٣٧م) والقرشى نهل ليوناردو معارفه حول المعادلات من الدرجة العالية، وبلغ الجبر ذروته على يد عمر الخيام (٥١٧هـ ١١٢٣م) الذى اعتبر حجة فى نظر الرياضيات القروسطية.

ولقد أصبح العرب أيضا، المؤسسين للرياضيات الكروية، وهى حقل للعلوم لم يكن له وجود عند اليونان. ووضع العرب الجيب، ونظريات المماس والصيغ الأساسية لعلم المثلثات، وبذلك يكونون قد أحيوا حقلا غير معروف حتى ذلك الوقت، ما لبث أن احتل منزلة مرموقة فى مجال الفلك والملاحة البحرية والمسح الأرضى».

• «إن بطليموس لم يعرف سوى وجهين من أوجه الاستعمال الفلكى، وهذه النقطة تلقى الضوء على الفروقات فى الأوجه وحول طبيعة العلوم العربية، وهكذا يعرض الخوارزمى لأربع وثلاثين مسألة، ثم لا يلبث خلفه أن يتم العدد حتى الألف».

• وعلى حين كان علم الحساب عند اليونان يعنى التسلية بالتصرف فى الأعداد، والترف الفكرى الخص للمولعين بالتأمل.. مضى الفلكى والحسابى الرقاش بعلم الحساب نحو مرتبة أعلى على سلم الكمال. ففى كتابه (المفتاح إلى علم الحساب) قدم لنظام المراتب العددية آخر شكل من الكمال، وذلك حين استبدل- كأول شخص (عالم)- الكسور بالخط المرصوف، وعلم الحساب بالكسور العشرية، وهو إنجاز ما كان لبائعة البيض أو بائع الحليب التوصل إلى نتيجته من دونه فى عالمنا اليوم، ولا كان حساب اللوغاريتمات ممكنا بدونه كذلك»[٣].

• يقول ابن الهيثم: «وليس شعاعا يغادر العين هو الذى يسبب الرؤية. وعلى الأغلب، فإن شكل الجسم الملموس يشع فى العين، ويستدل بجسمه الشفاف».

ويصف وصفا دقيقا عدسة العين، الملتحمة والإفرازات، وأعصاب الرؤية التى ترسل انطلاقا

(٣) المرجع السابق، ص١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٣٢.

من الأجسام انطباعات الحواس.

هل تنشأ هنا صورة مصغرة بسيطة طبق الأصل؟ إن ابن الهيثم لا يحسم المشكلة بهذه السهولة، فاستنادا إلى التجارب المختزنة، يتوصل الدماغ إلى الانطباعات الحسية الملتقطة -فى الحالة الراهنة- إلى استنتاجات عن بعد وإلى شكل الجسم المدرك.

ترى، ما الذى جعله يتوصل إلى هذه النظرية الصاعقة حول الرؤية، وطبيعة الأشياء وإنجازات الحواس؟

فكونه فلكيا، واعتمادا منه على مشاهداته، اكتشف بأن سائر الأجرام السماوية ترسل ضوءا ذاتيا، بينما القمر وحده يستقبل نوره من الشمس. ولقد اقتبس من ذلك تصورا جديدا عن طبيعة الإشعاعات الضوئية.. كل موضع فى الجسم المقابل تجرى مستقيمة فى كل الاتجاهات. وقد برهن على ذلك الشىء فى كل تجاربه بدقة حسابية.

وفى تجاربه التى أجراها.. قاس كل مجالات البصريات الهندسية وإحياء احدى حقول الدراسة.. وفى ذات الوقت، وبينما كان الناس فى ألمانيا يبذلون جهدهم، عند الخسوف لطرد الغول الذى ابتلع القمر، عن طريق العويل والصخب، فى ذلك الوقت. كان الناس على النيل يتساءلون: كيف تحدث ظاهرة الخسوف، طالما أن القمر ذاته يستقبل ضوءه من الشمس التى تكبره، ويظهر مع ذلك ظلها محجوبا جزئيا أو كليا؟ وعلى الفور كوّن مصادر استيحاله، ودرس فى ضوء أشد اختلافات التجربة تباينا كل شىء يمكن أن يكون مفيدا فى كتابه (حول طبيعة التظليل) -كما أحب أن يسمى كتابه- وقد سجل سبقا كذلك، حين جرّب بآلة تصوير ذات ثقب واحد، وهو نموذج لأقدم آلة تصوير دلته على انتشار الأشعة الضوئية المستقيم -وقلما كان يطمئن إلى نظره- وقدمت له العالم مقلوبا من خلال انعكاس الصور. وفى هذا الصدد استخدم نفس الترتيب الذى لابد وإن كان بالمصادفة، استعمله ليوناردو دافنشى فيما بعد. وقد عثر على تعليل لانكسار الضوء الذى يحدث عن طريق الوسائط كالهواء والماء أو الزجاج، وحسب من بعدها ارتفاع الغلاف الجوى الأرضى بما مقداره ١٥٠ كم تماما، وهو أمر يدعو إلى الدهشة، وأعمل الفكر فى نشوء هالة القمر، والغسق، وقوس قزح، والتى فشل أرسطوطاليس فى إعطاء تفسير فيزيائى لها من ذى قبل، وسلط معرفته كذلك على الأجهزة البصرية.

لقد برز الكندى (١٨٥ - ٢٦٠هـ - ٧٩٦ - ٨٧٣م) فى القرن ٩ معرفة اليونان بتجاربه على المرآة الحارقة، أما ابن الهيثم فقد درس الانعكاس وحسبه فى المرآة الحارقة (كرة ومقطعا مخروطيا) وعثر على قوانين تأثير الكثاف. ولقد فحص تأثير الاحتراق والتضخيم لا بواسطة المرآة المجوفة فقط، بل بواسطة العدسة المجمعة المكبرة أيضا، وابتكر كذلك أول نظارة للمطالعة. وقد برهن على تفوقه الهائل كمنظّر ومجرّب فى التجارب التى أجراها على سير الأشعة داخل كرة، وهى تجارب ما لبث أن واصل تنفيذها بعقله نظير له -كمال الدين- من بعده بثلثمائة سنة.

- يتبع -

قصيدة العدد

مِيلادُ أُمَّةٍ

للشاعر الكبير الأستاذ/ حسن كامل الصيرفى

ثَراكَ يا أرضَ أجدادى وأحفادى ... أغلى من الدمِ عند الواهبِ الفادى[1]

حملتُ ذكراكِ فى سرّى وفى علنى ... أنّى حللتُ وفى نومى وتسهادى[2]

رحلتُ عنكِ غداةَ اليأسِ ذا أملٍ ... وطال بعدكِ تجوالى وتردادى[3]

وطوّحتْ بى النوى حُراً على مضضٍ ... أستعذبُ الموتَ فى إحياءِ أمجادى[4]

حياتُكِ الحرّةُ الشمّاءُ أغنيتى ... وعزّةُ الوطنِ القعساءِ إنشادى[5]

سنُونَ كفاحٍ مضتْ بى وهى غايةٌ ... تلفّنى بين آلامٍ وأنكادى[6]

حتّى إذا لمعتْ للغزوِ بارقةٌ ... من الأمانى عَبَرنا البحرَ للوادى[7]

تشقُّها ظلمةٌ كاليأسِ غامرةٌ ... وراءها أملٌ فى النصرِ لى بادى

والعزمُ يخلقُ فى ليلِ الخطوبِ منّى ... واليأسُ يقتلُ ما لا يقتلُ العادى[8]

وراءَ كلِّ خفىٍّ من طرائقنا ... بابٌ من الشرِّ لم يأذنْ بإيصادِ[9]

(*) من ديوان صدى ونور ودموع ص ٩٢ والأستاذ الصيرفى شاعر مصرى من جماعة «أبولو» ومحقق للتراث، توفى سنة ١٩٨٤م.

(١) الفادى: الذى يقدّم روحه فداء.

(٢) أنّى حللت: أين نزلت.

(٣) تجوالى وتردادى: ذهابى ومجيئى.

(٤) مضض: ألم.

(٥) الشمّاء: كالقصاد العالية.

(٦) سنون: جمع سنة.

(٧) يريد أنهم اقتحموا الأهوال وخاضوا العباب.

(٨) العادى: الواثب المعتدى.

(٩) إيصاد: إغلاق.

وتحت كل سفين من سفائننا ... لقىً من الهول مرهون بميعاد(١٠)
تطوى بنا السفن أمواجا مزمجرة ... مجنونة بين إرغاء وإزباد(١١)
كأنها نفس موتور قد اضطرمت ... صخابة بحزازات وأحقاد(١٢)
تلاطم الموج خفاقين، يدفعنا ... موج من الليل مشدود بأوتاد(١٣)
نسائل الظلمة الصماء ما خبأت ... ونسأل النجم عن إشعاعه الهادى(١٤)
ونحن نسبح بالأفكار فى لجج ... محجبات بأختام وأرصاد(١٥)
تراقب الشط ملهوفين شاخصة ... أبصارنا فى حنين الشيق الصادى(١٦)
ما زفرة الماخرات اليم غير صدى ... لأكبد موقدات أى إيقاد(١٧)
بدا لها الشط فاكتظت جوانبها ... بأرؤس مشرئبات وأجياد(١٨)

***

أما جراحى أن هللت فى فرح ... لهابطين تدنوا بعد إبعاد(١٩)
لقيت فوق ثراك الطهر أندادى ... ورد هذا اللقاء الحلو أعيادى(٢٠)
هبطت فاهتاجت الذكرى وروحنى ... نسيمك العذب فى ترنيمة الشادى(٢١)

***

ما لقاؤك آلامى وأنكادى ... ورد عمرى رد الروح للوادى(٢٢)
وقبضة من تراب منك ألثمها ... أعز ما فى الوجود الرحب من زاد
فيها من الذكريات الغر أقدسها ... ومن شلية آبائى وأجدادى(٢٣)
ومن بقية أزهار قد انتثرت ... ومن عصارة أرواح وأكباد

---

(١٠) لقىً: يريد لقاء.
(١١) مزمجرة: مدوية.
(١٢) حزازات: ضغائن.
(١٣) خفاقين: أولو خفق مسموع.
(١٤) الصماء: التى لا تسمع.
(١٥) أرصاد: حُرّاس.
(١٦) الشيق: المشتاق.
(١٧) الماخرات: السُّفُن.
(١٨) اكتظت: امتلأت، مشرئبات: مرتفعات.
(١٩) إسآد: إبرا.
(٢٠) أندادى: نُظرائى.
(٢١) روّحنى: أنعشنى.
(٢٢) أنكادى: متاعبى.
(٢٣) شلّية: ذخيرة.

رويتها بدموعى بعد ما سقيت ... دم الوفيين فى استشهاد أجواد(٢٤)
باعوا الحياة ليشروا حق أمتهم ... فسودوها وماتوا خير أسياد(٢٥)
مطالع النور كانت من ينابعنا ... وصرخة الحق كانت فوق أعوادى(٢٦)
ومعقل الفرد أعملنا معاولنا ... فيه، وكان حمى بغى وإفساد

***

رواد حرية الأفكار روادى ... وجندها الواهبون النفس أجنادى(٢٧)
إذا مشت أمة فى ظل حاكمها ... طليقة الرأى كنت المشعل الهادى
خلدت للدهر فى أدمى صحائفه ... تاريخ مجد لأجيال وآباد(٢٨)

***

بسمت للهول إذ أبدى نواجذه ... وقلت للموت: هذا يوم ميلادى(٢٩)
ميلاد أمتى الشماء، فانكشفت ... لى الطبيعة من وهد وأطواد(٣٠)
ورجعت سموات الله صرختنا ... كأنها غابة ضجت بآساد(٣١)
وقوضت عزمات الباسلين ذرا ... شما تحصن فيها الغاشم العادى(٣٢)
كتائب فى سبيل الحق غازية ... ترد من لهوات الجائع الصادى(٣٣)
عادت إلى الوطن المجروح تنقذه ... بعد الذلة من غل وأصفاد(٣٤)
لا عار فى فشل ماض إذا انبعثت ... بعد الهزيمة روح الثائر الفادى(٣٥)

***

---

(٢٤) أجواد: كرماء.
(٢٥) سوّدوها: جعلوها ذات سيادة.
(٢٦) أعوادى: منابرى.
(٢٧) روّاد: قادة.
(٢٨) آباد: عصور متوالية.
(٢٩) أبدى نواجذه: كناية عن الاستعداد للشر، والنواجذ: أقصى الأضراس.
(٣٠) الشماء: الأبية، وَهْدٌ: منخفض، أطواد: جبال.
(٣١) سموات: يريد سماوات وحذفُ الألف ضرورة.
(٣٢) الغاشم: الظالم ويريد به المستعمر.
(٣٣) لهوات: حلوق، الصادى: العطشان.
(٣٤) غلّ: حقد، أصفاد: قيود.
(٣٥) الفادى: الذى يفدى وطنه وأمته.

كركوك بين مطامع الأكراد ومخاوف الأتراك

للأستاذ:
صلاح عبد الرحيم محمد
باحث فى الشئون السياسية

تعتبر كركوك من المدن التاريخية، فى بلاد الرافدين، فقد مر على بنائها ما يقرب من خمسة آلاف سنة، فهى تزخر بمعالم أثرية عديدة، مثل: «قشلة كركوك» التى اتخذتها القوات العثمانية مقراً عسكرياً لها، وتعد الآن مركزاً ثقافياً، ومزاراً للرواد والسائحين، و«قلعة جرمو» وهى من أقدم قرى العصر الحجرى الحديث، و«قلعة كركوك» وهى معلم أثرى من أقدم أجزاء هذه المدينة العريقة، و«جامع النبى دانيال» ويقع فى رحاب قلعة كركوك، و«قيصرية كركوك» وهى سوق عريق فى قدمه، يوجد بالقرب من قلعة كركوك. وتقع كركوك على أطلالة مدينة آشورية قديمة تدعى «أررابخا»، يخترقها «نهر الخاصة» الذى يشطرها شطرين، ويمر على بعد ٤٥كم من مركزها «نهر الزاب الصغير» أحد روافد نهر دجلة، وتحدها جبال زاجروس شمالاً، ونهر الزاب الصغير غرباً، وسلاسل جبال حمرين جنوبا، ونهر ديالى «المعروف باسم نهر سيروان عند الأكراد» من الجنوب الغربى. وتبعد كركوك ٢٥٠كم شمال شرق العاصمة بغداد، وهى مدينة متعددة الأعراق، يسكنها الأكراد، والتركمان، والعرب، وأقلية كلدوآشورية.

وفى هذا السياق التاريخى والجغرافى، يُذكر أن تسمية كركوك جاءت من الكلمة «كرخاد بيت سلوخ» وتعنى مدينة الملك سلوخ المحصنة بجدار، وهى تسمية شاع استخدامها فى عهد الآشوريين، وأطلق عليها -فى زمن الساسانيين- اسم «كرمكان» ومعناه «الأرض الحارة»، وقد تحول اسمها بعد ذلك إلى «جرميق» فى العربية، و«كرميان» فى الكردية. كما اشتق اسمها من كلمة «كرك» وهى تعنى «الجمال» فى اللغة التركية القديمة.

كركوك.. عربية أم كردية؟!

ويرى الأكراد أن مدينة كركوك كانت، فى السابق، عاصمة لإمارة «شهرزور» الكردية فى القرن التاسع عشر، لذلك فهم يعتبرونها جزءاً من كردستان العراق. وفى الرؤية التركمانية، فإن كركوك كان يستوطنها التركمان فى أثناء حكم السلاجقة، عندما دخلوا العراق عام ١٠٥٥ ميلادية، على رأس جيش مؤلف من قبائل الأوغور التركية، بقيادة «طغرل بك»، فحكموها ٦٣ عاماً، ويذكر المؤرخون أن تركمان العراق كانوا جزءاً من جيش السلطان العثمانى «مراد الرابع» الذى احتل العراق، بعد طرد الصفويين منها عام ١٦٣٨ ميلادية.

ويرى العرب أنه كان يسكن «منطقة كركوك» عشيرتان عربيتان رئيسيتان، هما عشيرة التكريتى التى وفدت إلى كركوك من سوريا فى القرن السادس عشر مع السلطان العثمانى «مراد الرابع»، وعشيرة العبيد التى جاءت من الموصل، واستقرت فى «منطقة الحويجة» عام ١٩٣٥ فى فترة حكومة «ياسين الهاشمى». ولقد ظلت كركوك الغنية بالنفط، البوتقة التى صهرت كل هذه الأعراق والقوميات فى سبيكة واحدة متحابة ومتآلفة، تدين بالولاء لوطن واحد، هو الوطن العراقى.

ومنذ الاحتلال الأمريكى للعراق فى ٩ أبريل ٢٠٠٣، وسقوط نظام صدام حسين، بدأ الآلاف من الأكراد والتركمان يتوافدون إلى مدينة كركوك، بعد أن هُجّروا منها أثناء النظام السابق، حيث ثارت خلافات ومنازعات حول ملكية الأراضى والعقارات التى كان قد خلفها هؤلاء الأكراد والتركمان، ومُنحتْ للعرب القادمين من وسط وجنوب العراق، كجزء من «سياسة التعريب» التى انتهجها الرئيس الراحل صدام.



شاه إيران

وقد بدأت مشكلة كركوك تطفو على السطح، مع إعلان الأكراد عن رغبتهم فى وضع نظام فيدرالى فى عراق جديد، يضمن استقلال كركوك عنه، وضمها لاحقا إلى إقليم كردستان الذى يتألف حاليًا من أربيل ودهوك والسليمانية. ويعتقد الأكراد أن لهم حقا تاريخيا فى كركوك، فقد كتبت على سفوح جبال إقليم كردستان عبارة تقول: «كركوك قلب كردستان» وهو ما يكشف عن إصرار كردى لضم كركوك إلى إقليم الأكراد فى الشمال العراقى. لقد كانت هذه المدينة أحد أهم الأسباب لرفض الأكراد تطبيق اتفاقية الحكم الذاتى فى ١١ مارس ١٩٧٠، لأن النظام العراقى حينذاك، صمم على أن تكون كركوك خارج المنطقة الكردية، وقامت حرب الشمال صيف عام ١٩٧٤ بين الأكراد وحكومة العراق إلى

أن توقفت بعد توقيع «اتفاقية الجزائر» في مارس ١٩٧٥، والتسليم من جانب النظام العراقي لمطالب شاه إيران باقتسام السيادة على شط العرب مقابل تخلي طهران عن دعم أكراد العراق، ويرى العرب والتركمان أن مدينة كركوك هي مدينة عراقية، ويعارضون أي تغيير في طبيعتها، ويرفضون ضمها إلى إقليم كردستان.

تطلعات الأكراد الانفصالية

أما موقف تركيا من كركوك، فهو واضح ومعلن، ففي الأدبيات التركية يلاحظ وجود عبارة تقول «كركوكن بيزين» وهي تعني كركوك لنا، ولتركيا خطوط حمراء ثلاثة، يشكل تجاوز أي منها، مبرراً لتدخلها في شمال العراق، أهمها استيلاء الأكراد على كركوك، أو تعديل التركيبة السكانية بها، ولقد أعلن رئيس الوزراء التركي السابق «بولنت أجاويد» -عقب انتخابات تركيا عام ٢٠٠٢- «أن كركوك والموصل وديعتان لدى الحكومات العراقية المتعاقبة وقد حان الوقت لاستردادهما». وترى تركيا أن سيطرة الأكراد على كركوك وحقولها النفطية الضخمة أول خطوة نحو «إقامة دولة كردية» وهو ما تخشاه أنقرة، لأنه قد يذكي مشاعر الانفصال بين ٢٠- ٢٥ مليون كردي، يعيشون في جنوب شرق تركيا، وقد أكدت الخارجية التركية في بيان صادر عنها يقول: «إن وفداً دبلوماسياً تركيا زار كركوك بين السادس والحادي عشر من يوليو ٢٠٠٥، ولاحظ جهوداً جدية لتعديل التركيبة السكانية للمدينة (تركمان وأكراد وعرب وكلدانيون وآشوريون) لصالح أغلبية كردية. وهو ما يخيف أنقرة من أن يؤدي ذلك إلى تأجيج نزعة الأكراد إلى الاستقلال عن العراق، أو أن يؤدي ذلك – أيضا– إلى إحياء التطلعات الانفصالية للأقلية الكردية في جنوب شرق تركيا».

الصراع التركي الكردي

ويرى المحللون السياسيون أن صراع السياسيين على كركوك أخذ ثلاثة أشكال رئيسية.

الأول: تخوف الحكومات العراقية المركزية من انفصال كركوك، خصوصا عندما تم اكتشاف النفط فيها بوفرة، وسيطرة هاجس عدم التفريط في هذه الثروة النفطية باعتبارها مصدرا مهماً من مصادر التمويل لميزانية الدولة، وهو ما أثار النزاعات بين الحكومات العراقية المتعاقبة، والقيادات الكردية في شمال العراق.

والثاني: إعلان تركيا عن وجودها على خطوط التماس بينها وبين العراق، تحت ذريعة الدفاع عن تركمان كركوك، خشية تعرضهم لأي اضطهاد من جانب أكراد المدينة. ومن الواضح أن تركيا تسعى من خلال استغلال مسألة الدفاع عن التركمان إلى تحقيق هدفين رئيسيين.

الأول: مواصلة الضغط على أكراد العراق في إقليم كردستان في الشمال العراقي، حتى لا يقدموا على إقامة دولة لهم تضم كركوك الغنية بالنفط، وحتى لا يثيروا نعرة الانفصال ونوازع الاستقلال لدى أكراد تركيا في الجنوب الشرقي منها.

والثاني: الضغط باتجاه استمرار ضخ نفط كركوك من خلال الأراضي التركية، لضمان وصوله إلى ميناء جيهان التركي الذي يحقق موارد مالية للخزينة التركية.

أما الشكل الثالث من أشكال الصراع السياسي على كركوك: فيتمثل في حرص القوى السياسية الكردية على ضم كركوك إلى إقليم كردستان طمعاً في ثروتها النفطية التي تشكل مورداً ماليا لخزينة الدولة الكردية المرتقبة. فالحقيقة التي لا يختلف عليها المحللون السياسيون هي أن سر تمسك قادة الأكراد بكركوك هو ثروتها النفطية الهائلة، بحيث إذا غابت عنها غاب الاهتمام بكركوك.

المادة «١٤٠»

واللافت أنه في اليوم الأول من أيام عيد الأضحى (٣١/١٢/٢٠٠٦) وهو اليوم الذي فيه أعدم الرئيس العراقي صدام حسين، أكد رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان»: أن بلاده لن تسمح بتحول كركوك إلى «ناجورنو كرباخ» جديدة، في إشارة إلى ما يحدث في الأراضي التي احتلتها أرمينيا من أراضي أذربيجان من حركات نزوح وتهجير. ولقد هدد رئيس الوزراء التركي بأن «أنقرة لن تقف مكتوفة الأيدي أمام ضم المدينة إلى إقليم كردستان». كما انعقد في ١٥ من يناير ٢٠٠٧ في أنقرة، مؤتمر «كركوك ٢٠٠٧»، نظمه المعهد الاستراتيجي العالمي، حيث طالب المشاركون فيه، بتعديل الدستور العراقي. في إشارة إلى المادة ١٤٠ من هذا الدستور الجديد، والتي تقضي بتطبيع الأوضاع وإجراء إحصاء سكاني، واستفتاء في كركوك لتقرير مصيرها قبل نهاية عام ٢٠٠٧. كما طالب هؤلاء المشاركون في هذا المؤتمر بإلغاء الاستفتاء على وضع مدينة كركوك، وحذروا من المحاولات الكردية المستمرة لتغيير التركيبة الديموجرافية فيها، إلا أن ممثل «الاتحاد الوطني الكردستاني» في تركيا «باهروس غلالي» انتقد هذا المؤتمر باعتباره يمثل تدخلاً في الشئون الداخلية العراقية، مؤكداً في الوقت نفسه أن كركوك «مدينة كردستانية». وكان رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» قد أكد في يناير



رجب طيب اردوغان — جلال طالباني

٢٠٠٧ أن «أية محاولة لتنظيم استفتاء تكون نتائجه أمراً واقعاً في كركوك، فإنه يمكن أن يؤدى إلى تطورات بالغة الخطورة في العراق والدول المجاورة». ومن ناحية أخرى أكد الرئيس العراقي «جلال طالباني» يوم ٢٣ من مارس ٢٠٠٧ على «ضرورة إجراء الاستفتاء حول مستقبل كركوك في موعده» أي قبل نهاية عام ٢٠٠٧ وفق ما نصت عليه المادة ١٤٠ من الدستور العراقي الجديد، وأضاف «طالباني» قائلاً: «باستحالة تأجيل هذا الاستفتاء بأي شكل من الأشكال حيث إن التأجيل لن يكون في مصلحة أحد».

وفي هذا السياق يتحدث «مسعود بارزاني» حول المادة ١٤٠ من الدستور العراقي فيقول: «نحن اتفقنا دستوريا بموجب المادة ١٤٠ على كيفية حل موضوع كركوك. ومن يريد أن يفجر الوضع يعطل تنفيذ هذه المادة. ومن يريد مصلحة العراق وحل مشكلة كركوك في شكل نهائي، يجب أن يساعد في تنفيذ هذه المادة». غير أن الأكراد يشيرون «إلى ضغوط قوية تمارسها الحكومة التركية على بغداد للحيلولة دون تطبيع الأوضاع في كركوك، بحيث تبقى «ذريعة أبدية» للتدخل في الشأن العراقي بحجة حماية التركمان». وفي هذا الصدد يتهم «محمد إحسان» -وزير شئون المناطق الخارجية في حكومة إقليم كردستان- «نوري المالكي» -رئيس وزراء العراق- بعرقلة تنفيذ المادة ١٤٠ بشأن تطبيع الأوضاع في كركوك، وقد اشتكى من أن الحكومة العراقية تتلكأ في تنفيذ هذه المادة، وتريد تمديد فترة التنفيذ، وتضيف مصادر كردية «أن المالكي» يهدف من وراء سياسة التلكؤ إلى تأجيل البت في وضع كركوك إلى مرحلة ما بعد مراجعة الدستور العراقي الجديد، على أمل أن تفضي هذه المراجعة إلى إدخال تعديلات على المادة ١٤٠. ويؤكد بعض الأكراد «أن حكومة المالكي تراهن على قيام الإدارة الأمريكية بممارسة ضغوط على الأكراد لإقناعهم بقبول تأجيل جديد لحل قضية ضم كركوك لإقليم كردستان أو بقائها على حالها، إلى ما بعد الانتهاء من الخطة الأمنية وهي «خطة فرض القانون» في بغداد».

عرب كركوك!!

ومن ناحية أخرى أعلن «محمد صديق» مسئول مكتب كركوك وعضو اللجنة العليا لتطبيق المادة ١٤٠، في مؤتمر صحفي في ٣٠ أبريل ٢٠٠٧، مصادقة رئاسة الوزراء رسميا على قرارات اللجنة العليا، بعد إجراء بعض التعديلات عليها وإضافة كلمة «الراغبون» على القرار الثاني والثالث فقط حيث ينص القراران على إعادة العرب الوافدين في كركوك إلى مناطقهم الأصلية، بينما عُدِّل ليُخيِّر العرب بين البقاء في كركوك أو المغادرة شريطة عدم مشاركتهم في التصويت حول حسم مستقبل كركوك الذي سيجرى في ٣١ من ديسمبر ٢٠٠٧. وفي هذا السياق

أوضح «محمد صديق» رئيس مكتب كركوك أن اجتماعاً عقد في مقر الأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي في ١٦ من يناير ٢٠٠٧ تم خلاله بحث محورين رئيسيين:

الأول: آلية إعادة العرب الوافدين في كركوك إلى مناطقهم الأصلية (ويقدر عدد العائلات العربية الراغبة في مغادرة كركوك إلى مناطقها الأصلية نحو ١٢ ألف عائلة، أي حوالي ٨٠ ألف شخص).

والثاني: عودة المهجرين الأكراد إلى كركوك. وقد تم الاتفاق على منح كل عائلة كردية تعود إلى محافظة كركوك قطعة أرض و١٠ ملايين ديناراً (أي حوالي ٧ آلاف دولار). وقد وافقت الحكومة العراقية مؤخراً على منح كل أسرة عربية راغبة في العودة إلى مناطقها الأصلية ٢٠ مليون ديناراً أي حوالي ١٥٠٠٠ دولار، بالإضافة إلى قطعة أرض. وقد أثارت «خطة التعويض» الخاصة بكركوك غضب كثير من السنة والشيعة من نواب البرلمان العراقي، خاصة أنه من شأن تدفق عدد كبير من الأكراد إلى كركوك احتمال أن ينتهي الاستفتاء بتحويل كركوك إلى جزء من إقليم كردستان نتيجة لهذا التغيير في تركيبة السكان الطائفية لصالح الأكراد.

مخاوف تركيا

وتأتي مخاوف تركيا على خلفية التطورات الجارية في العراق ذات الحدود المشتركة على امتداد حوالي ٣٥٠كم، خاصة، كما ذكرنا، ما يتعلق بوضع ومستقبل مدينة كركوك التي تشير الدلائل إلى أنها مقبلة بالفعل على الانضمام لإقليم كردستان وفقا للمادة ١٤٠ من الدستور العراقي الذي حدد ميعاداً أقصاه ٣١ من ديسمبر ٢٠٠٧ لإجراء عملية تطبيع للأوضاع وإجراء إحصاء سكاني واستفتاء يتم بمقتضاه تقرير «مصير مدينة كركوك» سواء بالانضمام إلى إقليم كردستان، أو بقائها كما هي.

غير أن تركيا ترصد في الوقت الحالي وتتابع الإجراءات التي يتم اتخاذها بهدف تغيير البنية السكانية لمدينة كركوك بعد أن تم تهجير أعداد ضخمة من الأكراد إلى المدينة، وترحيل آلاف العرب منها تحت غطاء المادة ١٤٠، ومن دون أي اعتراض من السلطة المختلة على تلك الجراحة السكانية التي تصب في مصلحة الأكراد في المقام الأول. لذلك فإن التحركات والإجراءات المرصودة من جانب الاستخبارات التركية جعلت رئيس الوزراء التركي «رجب طيب أردوغان» يصرح أن «العراق أصبح يمثل الأولوية الأولى الآن لتركيا، وليس ملف الانضمام للاتحاد الأوروبي» مشبهاً الوضع الحالي في كركوك بـ«القنبلة الزمنية»، وأن تركيا لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء ما يجرى في هذه المدينة الغنية بالنفط، ولن تكون في موقف المتفرج»، في الوقت الذي شدد فيه على إمكانية منحها «وضعاً متميزاً»، ومطالباً «بتأجيل الاستفتاء حول

مصير المدينة». وتخشى تركيا، كما سبق القول، أن يسيطر أكراد العراق على مدينة كركوك نتيجة الاستفتاء المزمع إجراؤه فى نهاية عام ٢٠٠٧، واتخاذها عاصمة جديدة لإقليم كردستان.

ومن هنا صرح «مسعود بارزانى» مؤخراً أنه «لن يسمح لتركيا بالتدخل فى كركوك» وأكد «بارزانى» على الهوية الكردية لكركوك، قائلاً: «لا يحق لتركيا أن تتدخل فى موضوع كركوك، وإن سمحت لنفسها أن تتدخل فى مسألة كركوك، فسوف نتدخل فى موضوع «ديار بكر».. فى إشارة منه إلى إثارة سكانها الأكراد ضد السلطات التركية. وقد رد رئيس الوزراء التركى على تهديدات «بارزانى» بعنف شديد بقوله: «إن أى عمل عدائى من جانب أكراد العراق نحو بلاده سيكلفهم ثمناً غالياً جداً». وأضاف «أردوغان» قائلاً: «يجب أن يكون الأكراد العراقيون حريصين للغاية فى انتقائهم للكلمات وإلا ستسحقهم هذه الكلمات».

نشاط عسكرى وتهديدات متبادلة

ومن جهة أخرى قال «كمال سيسيك» المتحدث باسم الحكومة التركية فى مؤتمر صحفى: «إن شمال العراق هو مصدر الإرهاب، لأن متمردى الأكراد الأتراك يستخدمون هذه المنطقة كقاعدة انطلاق لهجماتهم على أهداف عسكرية ومدنية داخل تركيا». فى هذا الصدد قال «مسعود بارزانى» رئيس إقليم كردستان: «إن مشكلة حزب العمال الكردستانى التركى هى مع تركيا، وهى قضية سياسية، وإذا لم تحل بطريقة سياسية، ستبقى المشكلة قائمة، فالحزب موجود على الشريط الحدودى، وربما له مقرات، لكنها فى المنطقة النائية والجبلية الوعرة». وأضاف برزانى قائلاً: «إن كركوك مدينة عراقية، لا دخل لتركيا بها، ولا نسمح لتركيا أن تتدخل فى موضوع كركوك على الإطلاق، لأنها دولة أجنبية، ولن نسمح بتمرير أجندتها فى المدينة، فبأى حق تتدخل فى شأن عراقى؟». وأضاف «مسعود بارزانى» قائلاً: «إننا لا نهدد تركيا. كما أننا لن نتنازل عن كركوك، ولا يوجد أى كردى يستطيع التنازل عنها، لأنها جزء من كردستان». وفى إطار حملة الاتهامات المتبادلة بين القادة الأتراك والقادة الأكراد، تشهد العلاقات التركية- العراقية، توتراً بلغ أقصاه، حينما صرح رئيس هيئة الأركان التركى، الجنرال «يشار بويوك أنيط» فى مؤتمر صحفى فى ١٣ أبريل ٢٠٠٧ قائلاً: «إنه من الضرورى القيام بعملية عسكرية وراء الحدود، للقضاء على الانفصاليين الأكراد» فى إشارة إلى قيادات حزب العمال الكردستانى، الذين حشدوا أربعة آلاف مقاتل كردى على الحدود التركية العراقية.

ويبدو أن القيادة العسكرية التركية قد اتخذت بالفعل قرار غزو شمال العراق،

خاصة بعد تهديد «مسعود بارزانى» رئيس إقليم كردستان، بتحريك ٣٠ مليون كردى ضد تركيا، وهو ما دفع تركيا إلى إرسال تعزيزات عسكرية إلى حدودها مع شمال العراق، لتنضم إلى نحو ٥٠ ألف جندى تركى، متواجدين هناك منذ خمسة أشهر.

ويرى البعض أن سعى الأكراد لضم كركوك الغنية بالنفط، إلى الكيان الكردى فى شمال العراق، ورفض تركيا مجرد مناقشة فكرة تقسيم العراق، يكفى مبرراً للتدخل العسكرى التركى، لأن ذلك يعنى فى نظر الأتراك، إيقاظ حلم الدولة لدى أكراد تركيا (حوالى ٢٠ مليون) وهو ما يثير طموحات بقية أكراد المنطقة لإقامة «دولة كردستان الكبرى» التى تضم أكراد تركيا وسوريا وإيران بالإضافة إلى أكراد العراق (وهم جميعا حوالى ٤٠ مليون كردى فى بعض التقديرات).

صراع حول الذهب الأسود

ومن ناحية أخرى يؤكد كثير من المحللين أن الصراع الدائر بين الأتراك وأكراد العراق هو -فى الأساس- صراع حول الذهب الأسود فى كركوك (حوالى ٣٥٠ ألف برميل يوميا فى الوقت الحالى، و٦٠٠ ألف برميل يوميا فى المستقبل القريب) وليس من أجل حماية تركمان كركوك كما يذهب الأتراك، إذ أن ضم كركوك بثروتها النفطية هو ما يقلق ويخيف تركيا، خاصة أن مقومات إقامة دولة كردية، كادت أن تكتمل، فلدى الأكراد الآن حكومة ذاتية، وبرلمان، وعلم، ونشيد وطنى، ولغة، وقضاء، وصحافة كردية، وحدود، ونواة جيش يتمثل فى قوات البيشمركة، وسلطات جمركية مستقلة، وسلطات كافية لإعطاء امتيازات التنقيب عن البترول للشركات الأجنبية، ولا ينقص مقومات الدولة الكردية إلا ثروة كركوك النفطية، باعتبارها تمثل المورد المالى الرئيسى لتمويل الخزانة الكردية.

وفى الختام نتساءل: هل يُفضى هذا الصراع حول كركوك وذهبها الأسود إلى غزو تركيا لشمال العراق، بحجة القضاء على قيادات حزب العمال الكردستانى التركى وحماية تركمان كركوك؟ وهل تستجيب تركيا لنداء الإدارة الأمريكية بعدم شن أى هجوم عسكرى ضد أكراد العراق؟ وهل ستبقى كركوك الغنية بالنفط، المحرك الفاعل للصراع بين الجانبين التركى والكردى، خاصة أنها تمثل خطاً أحمر للأكراد والأتراك فى آن واحد؟ وهل حل مشكلة كركوك -كما يقترح البعض- فى أن تبقى هذه المدينة «إقليماً خاصاً» بإرادة مشتركة تضم الأكراد والتركمان والعرب والأقلية الكلدو آشورية، على أن يكون هذا الإقليم تابعاً للدولة العراقية، وليس لإقليم كردستان؟

الفتوى بين القول المرتجل والفقه الواعى

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

(الإسراء/ ٣٦)

● قال صاحبى وقد أدرك أنى غير مستريح: أحس أن فتوى سمعتها ضايقتك وأن الجواب عنها لم يعجبك!!.

● قلت على الفور: ليست العبرة بضيقى أو إعجابى فليست المسألة مجرد ضيق أو إعجاب، إنما المهم وجه الصواب أو الخطأ والتأسيس الفقهى السليم فإرسال القول بما يرضى العواطف ويريح الناس مؤقتا ليس من العلم فى شىء إنما لابد أن يكون القول مؤسسا على فقه جيد وأصول شرعية معتمدة صحيحة.

وحتى نضع النقط على الحروف كما يقولون يلزم توضيح الأمر ونستشهد بواقعة نشرت فى جريدة «الأهرام» فى «بريد الجمعة» قصة موجعة مؤثرة نشرت منذ فترة ليست بالقصيرة حاولت خلالها أن أتجاوز القول فيها والحديث عنها لكنى رأيت أن ذلك تقصير لهن غير محمود، خصوصا وأنى أقدر هذا الباب منذ أيام الراحل الكريم الأستاذ/ عبد الوهاب مطاوع ورغم أن ما جاء فى الرد على صاحبة الرسالة حسن وجميل. يدخل فى باب الإرشاد وحسن المعاملة وبر الوالدين، أكثر مما يدخل فى باب الفقه، ولعل الكاتب لم يعمد إلى الفقه والفتيا على أساس أنه باب يختص بحالات إنسانية عامة.

لكنى رأيت أن الأمر غير ذلك وأنه يحتاج إلى توضيح واجب.

وخلاصة الرسالة موضوع البحث أن فتاة ذهب والدها فى رحلة عمرة وانقطعت أخباره وبعد حوالى ست سنوات استصدروا حكما بوفاته وتوزيع تركته على الورثة، وذات يوم كانت البنت فى أحد المساجد للاحتفال بعقد قران إحدى صديقاتها وفجأة وهى خارجة من المسجد متوجهة إلى قاعة الاحتفال نظرت خلفها فوجدت رجلا جالسا فى أسمال بالية واقتربت منه فإذا هو والدها فاقد الذاكرة ذليل، لا يدرى من أمره شيئا واقتربت منه، وحاولت أن يعرفها لكنه لم يتعرف عليها وأعطته ما جادت به نفسها، ثم هرولت إلى الحفل وهى فى حالة من الذهول فاقدة الاتزان، ثم ذهبت إلى أخواتها تحكى لهن قصة ما رأت وما أذهلها.

ترددن، ماذا يفعلن فقد كان ظالما وقاسيا، خشين أن يعالجنه ويعدن به إلى البيت فتعود له الذاكرة ويعود إلى قسوته وظلمه فهو لم يكن أبا ولكنه كان سجانا، وكن هن السجينات!! قل إنه كان قائد سجن أبو غريب أو مسئول سجن جوانتانامو، لم يكن يعرف الرحمة، وكانت أمهن مريضة من شدة قسوته، وماتت فى المستشفى، فلم يلن قلبه، ولم يقم بتسلم جثمانها، وكان بخيلا عليهن بدرجة مزرية، رغم ثرائه الشديد، وبعد اختفائه لمدة طويلة جدا، تم توزيع تركته، وأصبح لكل واحدة منهن مال حتى الأعمام أخذ كل واحد منهم نصيبه من الميراث. تلك خلاصة أرجو أن لا تكون مخلة بما حدث لم يجدن ملجأ لما أصابهن إلا بريد الجمعة.

وانحصرت حيرتهن فى الإجابة عن ثلاثة أسئلة:-

- أولاً: هل يعالجنه بأمواله التى آلت إليهن ويأخذنه إلى بيته؟ وماذا لو عادت إليه الذاكرة؟

- ثانياً: هل يتركنه ويتولين الصرف عليه، أو التصدق عليه كإنسان غريب؟

- ثالثاً: هل يرددن إليه ماله وهو ما يرفضه أعمامهن -إخوته- ؟

كل هذا طلبن الإجابة عنه ولجأن إلى المحامى الذى أشار بالرجوع إلى المحكمة لكنهن رفضن وتركن هذا القول.

كان رد (بريد الجمعة) لا أقول أنه كان قاسيا لكنه كان من قبيل الشفقة والرحمة والبر بالوالدين، وأن ظلمه لهن لا يبرر ظلمهن له، ثم من أدراهن أن ذاكرته سوف تعود إليه، فلعله يعيش كذلك فاقد الذاكرة أو قل يموت كذلك، وكان هذا أقسى ما قرأته. أن يرى ولد أباه فاقد الذاكرة، وينتظر موته، وأقسى منه أن يقول لهن سوف تحجرن عليه فلا يتصرف فى ماله.

أكل هذا من أجل المال؟ أهكذا يفعل الولد بأبيه؟ ألا يبر به، ويرده له وقد فقد الذاكرة بعد أن وصل إلى أرذل العمر، لا على أنه لن تعود إليه الذاكرة، وإن عادت فالموت أقرب والحجر على تصرفاته سيف قائم يحول دون تصرفه؟

أهكذا تكون العلاقة التى قال الله - سبحانه وتعالى - فيها:-

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

(النساء/ ٣٦)

أنا أعلم – من خلال الرسالة – أن الأب لم يكن أبًا وإنما كان حسب ماوصفته ابنته سجانًا وأن البيت لم يكن بيتًا إنما كان سجنًا قاسيًا.

لكن هل ظلم الآخرين لنا يسوغ لنا ظلمهم إذا قدرنا عليهم، وكانوا هم في وقت يستحقون العطف، فما بالك وهم آباء؟.

ولذلك رأيت أن استعرض معك أحكام المفقود في الشريعة الإسلامية، وسوف ترى فيها عبقرية اجتهاد الفقهاء وفق أصول متبعة وشروط أنتجتها عقول وقرائح تجردت من الأهواء والفوغائية، في تفصيل رائع، وإحكام دقيق وإليك البيان. لقد قسموا حالات المفقود خمسة أقسام:-

– الأول: مفقود في بلاد الإسلام في زمن وباء «الوباء الأمراض الخطيرة التي تنتشر بشكل وبائي مثل الكوليرا أو الطاعون – نسأل الله السلامة.»

– الثاني: مفقود في بلاد الإسلام في غير زمن وباء.

– الثالث: مفقود في زمن قتال بين المسلمين «مثل حرب إيران والعراق، أو العراق والكويت.

– الرابع: مفقود في بلاد غير المسلمين.

– الخامس: مفقود في زمان قتال بين المسلمين وغير المسلمين مثل الحرب بين المسلمين واليهود.

هذه هي الأحوال الخمسة التي يتناولها البحث في أحوال المفقود ولا تخرج عنها حالات المفقود.

تناول الفقهاء في وضوح، وموضوعية ووعي، وحيدة، وقواعد ثابتة لا تحكمها العواطف، تناولوا متى يكون الحكم بوفاته ومتى تطلق زوجته؟

لأن الفقهاء جعلوا للزوجة الحق في طلب الطلاق للضرر كما للفقد.

لأن الفقهاء جعلوا للزوجة الحق في طلب الطلاق في حالات الفقد في حالة الحرب أو الأسر أو الوباء، دون انتظار مدة أربع سنوات، وذلك للضرر أو لعدم الإنفاق، كما أنها بعد مضي أربع سنوات إذا طال غيابه في زمن الحرب أو الوباء، تعتد عدة وفاة.

ثم هناك بحث آخر: وهو ماذا لو عاد الزوج المفقود بعد تطليق زوجته وانقضاء عدتها معه؟

وماذا لو عقد عليها زوج آخر، لكن لم يدخل بها؟ وماذا لو دخل بها؟ هذه مسائل تناولها الفقه بالتفصيل والتوضيح البيّن، لمن تكون الزوجة في كل حالة من هذه الأحوال؟

● قال صاحبي: دعني من الزوجة ولمن تكون فإنها في حالتنا هذه توفيت في حياة الزوج ولكني أسألك عن أمواله ولمن تكون؟ وما هو السند الشرعي في الانتظار مدة أربع سنوات؟.

●● أجبت قائلاً: تسأل عن ماله الذي وزع على ورثته بعد الحكم بوفاته، هل يسترد منهم مع أنهم أخذوه بوجه شرعي، أي أنهم لم يأخذوه غصبًا ولا سرقة مثلاً.

أقول لك: نحن لا ندعي ولا نزعم أنهم أخذوه بغير وجه شرعي، فلم يأخذوه اغتصابًا ولا سرقة، لكن كما أخذوه بوجه شرعي وهو الحكم بوفاته، كذلك يؤخذ منهم بوجه شرعي، حيث إن صاحب المال قد رجع من غيابه ثانية فهو أحق بماله لأنه حيّ فلا يورث الحي.

ثم قلت لصاحبي: إن الأسئلة التي دارت بذهنك وسبق أن وجهتها أجاب عنها الفقه الإسلامي في صراحة ووضوح إجابات سهلة مبنية على قواعد أصولية تفيد العالم المفتي، فلا تزيغ به أهواؤه، ولا تتشعب به الطرق لو أنه سلكها واهتدى بها، وسوف أحاول أن آخذ بيدك برفق – إن شاء الله – إلى علم أصول الفقه، حتى نتبين معًا وجه الصواب فيما نحن بصدده.

– أولاً: واجه الفقهاء مسائل كثيرة نتيجة الحوادث المستجدة ببصائر واعية وعقول ناضجة، نحن اليوم في أشد الحاجة إلى مطالعة ما أنتجته عقولهم ووصلت إليه بصائرهم، ولم يقفوا أمامها مكتوفي الأيدي غلق القلوب والعقول، بل وضعوا وحددوا مصادر التشريع التي تحدد الإطار الذي يصول فيه المجتهد ويعمل فيه ما لديه من نصوص ويطابق عليها ما يجد له من حوادث ويستخرج منها فتواه سليمة منضبطه بعيدة عن الهوى، سليمة من غرور التعالي وجموح النفس.

قالوا: إن مصادر التشريع تنحصر في الكتاب والسنة، ثم الإجماع، ثم قول الصحابي، ثم القياس، ثم الاستحسان، ثم المصالح المرسلة، ثم العرف، ثم شرائع من قبلنا، ثم الاستصحاب، على أن المسألة لم تترك هملاً، لكنهم تكلموا في طرق وكيفية استنباط الأحكام، وذلك مجال رحب فسيح جيد، شيق واضح مستقيم، لكني لا أكتمك فإن معالجته ليست باليسيرة السهلة تبعًا لتطور لغة التأليف والكتابة سهولة ويسرًا أو تكلفًا وتعقيدًا.

وأحسب أن الذي يعنينا اليوم هو بيان مستند المتكلمين في أحوال المفقود.

– أولاً: - الشافعية ومن وافقهم من الحنفية.

– ثانيا: المالكية.

– أما الحنابلة فإنهم قالوا برأي بين الرأيين ولم يذكروا الأصل الذي استندوا إليه.

قال الشافعية ومن معهم: تبقى زوجة المفقود في عصمته، وكذلك أمواله تبقى في ملكه لا يجوز التصرف فيها. واستدلوا بواحد من الأدلة الشرعية الذي سبق أن ذكرناها من قبل. (وهو الاستصحاب)

● قال صاحبي - في عجلة ظاهرة - ولم يمهلني حتى استرد أنفاسي. قال:

ماهو الاستصحاب؟ وكيف يصبح دليلا شرعيا؟ أرجوك أن توضح لي ذلك.

●● قلت - وأنا أرفق بصاحبي: لقد عرفه علماء الأصول (بأنه الأمر الثابت في الزمن الماضي إلى أن يقوم الدليل على تغييره).

● قال صاحبي: بالله عليك هل هذا تعريف تتوقع أنني فهمت منه شيئا؟

●● قلت لو أنا جلسنا أنت وأنا إلى عالم في الذرة فهل سنفهم عنه نظرياته المعقدة أو معادلاته الصعبة؟ أعتقد أننا سنكون بين أمرين: إما أن نصبر عليه حتى نفهم ما يقول، ونحصل على أعظم نتيجة، ونخطو بثبات نحو رقي حقيقي، أو أننا نضجر ونمل ونخسر مستقبلنا كما ضيعنا ماضينا. ثم قلت لصاحبي إن ما ذكرته لك عن (الاستصحاب) هو تعريفه.

والتعريف علميا يشترط فيه أن يكون جامعا مانعا. بمعنى أن يكون شاملا لكل معاني المعرّف فلا يخرج شيئا من معانية. وكذلك يكون مانعا من دخول أى معان أخرى في المعرف. فالتعريف ببساطة سياج منيع لمعنى من المعاني يشمل الشيء المعرف ولا يسمح بدخول شيء آخر فيه وإلا كان التعريف بعيدا. ولهذا تجد التعريفات كلها شديدة الإيجاز دقيقة التعبير، وكذلك تداول العلماء عبارة تقول: «لابد أن يكون التعريف مانعا جامعا» وتعريف الاستصحاب الذى ذكرته لك «استبقاء الأمر الثابت في الزمن الماضي إلى أن يقوم دليل على تغييره» ليس فيه تعقيد أو صعوبة، وإنما فيه دقة وإيجاز بلا تزيد أو إسهاب. وكما يقولون: بالمثال يتضح المقال. أو تدرى أن من أوضح ما يدل على حجة الاستصحاب وأن الفقهاء يعتمدونه دليلا، قوله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم الشهر فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما» هل كنت تتصور أن في هذا دليلا أصوليا يمكن أن تستند فيه إلى حكم فقهي؟!

صمت صاحبي ولم يجبني ولكني قلت له: إن عبقرية الأصوليين استنتجت من قول النبي ﷺ هذا دليلا أصوليا واعتمدته لأحكام فقهية، والأمر سهل ميسور فالحديث يشير ويحكم ببقاء شهر شعبان وهذا هو الأمر الثابت المتيقن، ونظل على هذا اليقين حتى يأتي يقين آخر يزيل ما نحن عليه من يقين ويثبت بيقين آخر، وهو في مثالنا ثبوت هلال رمضان برؤيته وإكمال شعبان ثلاثين يوما.

أما الشك فلا يزيل اليقين، وببساطة شديدة ووضوح: لو أن شخصا ما سافر إلى اليابان مثلا للدراسة أو للسياحة أو للتجارة، فالثابت المتيقن منه أنه سافر وأنه حي يمارس تعليمه أو تجارته أو سياحته، ونحن نتعامل معه من منطلق هذا الأمر الثابت المتيقن، وهو أنه حي عاقل وكذلك لو أنه عقد على امرأة ودخل بها فالأمر الثابت هنا هو «حل» هذه المرأة لهذا الرجل، فنحن نتعامل من منطلق هذا الأمر الثابت المتيقن، فنحكم بأن هذه زوجته وأن هذا ماله وهكذا، ونراسل أخانا الذى رحل إلى اليابان ونحكم له بملكية أمواله فنحن «نتصرف» ونحكم بهذه الأحكام والتصرفات مثلا في يوليو، في حين أنه سافر في شهر يناير من أول العام أليس كذلك؟ وقد يطرأ خلال هذه المدة ما يسلب ملكيته لأمواله بالبيع، أو أنه فارق زوجته بالطلاق مثلا خلال هذه المدة، فهل نحكم بنفي ملكيته لأمواله بمجرد سماعنا أنه باعها، أو نحكم بحرمة زوجه لمجرد أننا سمعنا أنه طلقها، أو أنه لمجرد أنه كانت بينهما مشكلات نشك معها أنها وصلت إلى حد الطلاق؟ فهل مجرد شكنا حتى في البيع، أو في الطلاق يجعلنا نحكم بهما ونلغي البينة الأولى الثابتة عندنا بأنه سافر حيا ولم يبع أملاكه، ولم يطلق زوجته لمجرد الشك، لا: لا يقول عاقل بذلك وإلا لتزعزعت المعاملات، من هنا جاءت قاعدة عند السادة الشافعية ومن معهم وهي قولهم «اليقين لا يزول بالشك» وهي تعني أن اليقين الذى كان ثابتا في الزمن الأول في مثالنا «شهر يناير» يظل

باقيا إلى الزمن الذى بعده «فبراير، ومارس، وإبريل» حتى يحدث يقين آخر يزيله، أما أن يطرأ شك فلا يمكن أن يزيل يقينا لأن الشك أضعف واليقين أقوى ولا يزيل الضعيفُ القوى، بناء على هذه المعادلة العقلية والحجة المنطقية قال الشافعية ومن معهم قالوا حكماً شرعيا لو أن رجلاً توضأ فهذا يقين، طرأ له شك هل أحدث بعد الوضوء أم لا؟ فإن وضوءه لا ينتقض لأن اليقين الثابت هو الوضوء بأنه متيقن أنه توضأ والناقض للوضوء مشكوك فيه، فبناء على هذه النتيجة المنطقية الفطرية التى تحكم بها الفطرة تقول بأن وضوءه لا ينتقض، كذلك فطرة الناس وعاداتهم وعرفهم وما درجوا عليه أن من يسافر يراسلونه ويتتبعون أخباره، وينتظرونه بناء على اليقين الثابت حياته، حتى يتبين العكس، فهم يستصحبون - أى يصحبون - ويظلون على يقينهم الثابت في الزمن الماضي عند سفره «شهر يناير» حتى يقوم دليل عندهم يزيل هذا اليقين، وبناء على هذا حكم السادة الشافعية ومن وافقهم بحياة المفقود في المستقبل من الزمان حتى تثبت وفاته إما حقيقة بأن يعثروا عليه ميتا أو يمضي زمن لا يعيش فيه أمثاله، ومن هم في مثل سنه، ويحكم القاضي بوفاته، هذا هو الاستصحاب الذى جعله الشافعية مستنداً لهم في الحكم بوفاة المفقود، وبنوا علية قاعدة مهمة وهي: «اليقين لا يزال بالشك» كما بينت لك في الوضوء.

● قال صاحبي، وقد انفرجت أساريره: لقد عرفت شيئاً من أصول الفقة الذى أسسه السلف وبنوا عليه فتواهم فكانت بحق سليمة غير ذات عوج، ثم قال: ما هو أساس رأى المالكية؟

●● قلت: المالكية أسسوا رأيهم على أن قول الصحابي من الأدلة الشرعية، ورغم أن بعض المخالفين لم يعتبروا قول الصحابي من الأدلة الشرعية التى بنيت عليها الأحكام الشرعية «إلا أن الصحيح الثابت أن قول الصحابي حجة» وقد أقام ابن القيم الأدلة الدافعة على حجية قول الصحابي وصحته حتى أوصلها الى أربعين دليلاً في الجزء الرابع من كتابه إعلام الموقعين، وأقول إضافة إلي رأى ابن القيم: من الذى يكون رأيه دليلاً شرعياً إذا لم يكن رأى الصحابي دليلاً شرعياً؟؟؟ وجرى المالكية وفعل أكثر الفقهاء على أن قول الصحابي دليل شرعي واستدلوا بفعل سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- حين فقدت امرأة زوجها فقضى لها أن تعتد عدة وفاة «أربعة أشهر وعشراً» بعد أربعة أعوام، فكان عمله دليلاً شرعياً، أما إذا تضررت الزوجة قبل الأربعة أعوام أو لم يكن لها مال تنفق منه فلها أن تطلب الطلاق قبل هذه المدة، وفي هذه الحالة يكون الطلاق للضرر، وليس للفقد، أرأيت الفقة الإسلامي الاجتهادى وأسس الأحكام فيه، إنها ليست اعتباطًا ولا تزلفا.

قال صاحبي في فرح ممزوج باعتزاز: نعم. لكنا أهملنا وضيعنا كثيراً.

●● قلت: أسأل الله أن يعيدنا إلى ديننا و تراثنا عودا جميلاً حميداً.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«تشاؤم الأدباء والرد عليهم»

غرى الأدباء فى كل زمان ومكان بذم الزمان، والشكوى من الإخوان، حتى زعموا أن الإقتار من نصيبهم، والحرمان مغرى بهم، فقال أبوالنصر بن أبى الفتح كشاجم:

غبط الناس بالكتابة قوما ... حرموا حظهم بحسن الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة حظ ... سقطت تاؤه فصارت كآبة

وقال ابن صادة الأندلسى:

أما الوراقة فهى أنكد حرفة ... أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بإبرة خائط ... تكسو العراة وجسمها عريان

وقد رد الحسن البصرى عليهم ردا حكيما، فقد سأله سائل فقال: لم صارت الحرفة (أى الحرمان) مقرونة بمن جعل العلم والأدب شعاراً، والثروة بمن كساه الجهل والحمق عاراً؟

فأجابه بقوله: ليس الامر كما زعمتم، ولكنكم طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم: طلبتم المال وهو قليل، عند أهل العلم والأدب وهم قليل، ولو نظرتم إلى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر إقتارا، والمال عنهم أشد نقاراً.

أبلغ ما قيل فى الاعتذار عن الذنوب

● قال خالد بن عبدالله لسليمان بن عبدالملك أمير المؤمنين حين وجد عليه: يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة، وأنت تجل عن العقوبة، ونحن مقرون بالذنب، فإن تعف عنى فأهل ذلك أنت، وإن تعاقبنى فأهل ذلك أنا.

● وأمر معاوية بن أبى سفيان بمعاقبة روح ابن زنباع. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تضع منى خسيسة أنت رفعتها، أو تنقض منى مريرة أنت أبرمتها، أو تشمت بى عدوا أنت وقمته، إلا أتى حلمك وصفحك عن خطئى وجهلى.

فقال معاوية: خليا عنه، إذا أراد الله أمرا يسره.

● وروى أن عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين وجد على رجل فجفاه وأطرحه، ثم دعا به ليسأله عن شيء، فرآه شاحبا ناحلا. فقال له: متى اعتللت؟ فقال الرجل: ما مسنى سقم، ولكنى جفوت نفسى إذ جفانى الأمير، وآليت أن لا أرضى عنها حتى يرضى عنى أمير المؤمنين. فأعاده معاوية إلى سابق منزلته.

● وروى الهيثم بن عدى: لما انهزم عبدالله ابن على من الشام قدم على المنصور وفد منها، فتكلموا عنده. ثم قام الحارث فقال: يا أمير المؤمنين إنا لسنا وفد مباهاة، وإنما نحن وفد توبة، ابتلينا بفتنة استخفت كريمنا واستفزت حليمنا، ونحن بما قدمنا معترفون، ومما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فقد أجرمنا، وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء منا. فقال المنصور للحرسى: هذا خطيبهم. وأمر برد ضياعه عليه.

«عهد المهدى لابنه موسى»

لما أسند أمير المؤمنين المهدى ثالث خلفاء بنى العباس إلى ابنه موسى ولاية خراسان، قال له كلاما حسنا نجتزىء منه بما يأتى:

«أى بنى! إنك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا، ولمثنى أعطاف الرعية غاية، فحسنتك شاملة، وإساءتك نائية، وأمرك ظاهر. فعليك بتقوى الله وطاعته، فاحتمل سخط الناس فيهما، ولا تطلب رضاهم بخلافهما، فإن الله -عز وجل- كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه، وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارك رضا من سواه.

«ثم أعلم أن -لله تعالى- فى كل زمان فترة من رسله، وبقايا من صفوة خلقه، وخبايا لنصرة حقه، يجدد حبل الإسلام بدعواهم، ويشيد أركان الدين بنصرتهم، وإن أهل خراسان أصبحوا أيدى دولتنا، وسيوف دعوتنا، فظاهر عليهم لباس كرامتك، وأنزلهم فى حدائق نعمتك.

أى بنى! ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل فيها، واستجلب مودتها بالإنصاف لها.

لا تجزعى

لما قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمه فقال: لا تجزعى فإنى ابنك بعد ابنك. فقالت: أفلا أبكى على ابن أكسبنى ابنا مثلك!

القول اللين

قال رجل لهارون الرشيد: إنى أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها.

قال الرشيد: كلا إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر منى، قال لنبيه موسى - عليه السلام - إذ أرسله إلى فرعون:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾

(طه: ٤٤)

حقـــــا

إن الليــــالى للأنام مناهل

تطوى وتبسط بها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة

وطوالهن مع السرور قصار

فمــا هــذا الســويق؟

قال الأصمعى: مررت بأعرابية وبين يديها فتى فى السياق[1] ثم رجعت ورأيت فى يدها قدح سويق تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟ فقالت: واريناه، فقلت: فما هذا السويق؟ فقالت:

على كل حال يأكل القوم زادهم

على البؤس والبلوى وفى الحدثان

ليس مثل أبيه

ذهب ثرى كبير إلى أحد الفنادق، وطلب حجز حجرة له، فدهش صاحب الفندق وقال للثرى:

إن ابنك عندما ينزل فى فندقنا يحجز أفخر جناح بكامله.

فهز الثرى كتفيه قائلاً:

إن لابنى أباً من أصحاب الملايين أما أنا فليس لى مثل أبيه.

هين وعزيـز

مد الإمام الشافعى يده، وكان على مائدة قتيبة بن مسلم الباهلى يلتمس الشراب، فلم يدر الساقى ما يطلبه؟ العسل أم اللبن، فقال له: أى الأشربة أحب إليك؟ قال: أعزها مفقوداً، وأهونها موجوداً.

فقال قتيبة: اسقه ماءً.

دعـــاء

«اللهم بارك لنا فى ذكرك، ولا تشغلنا بغيرك، ووفقنا لحمدك وشكرك، وأدم علينا عفوك وسترك، وأيقظنا من رقاد الغفلات، وأنقذنا من وهاد السيئات، وأخرجنا من ذل المعاصى إلى عز الطاعات، فأنت القادر على ما تشاء لا يخفى عليك شىء فى الأرض ولا فى السماء».

(١) السياق: نزع الروح، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه.

بين الصحف و المجلات

إعـــداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

دماء عربية مستباحة

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادرة فى ٢٦/٥/٢٠٠٧:

قبل شهر واحد من حلول ذكرى عدوان إسرائيل على لبنان صيف ٢٠٠٦، عاد المخططون لإشعال الفتنة فى لبنان لأهداف مريبة، فلا يخفى عن المراقبين أسباب انفجار القتال فى طرابلس شمال لبنان بين عناصر ما يسمى فتح الإسلام، وبين الجيش اللبنانى، وحصار أكثر من ٤٠ ألف مدنى فى مخيم نهر البارد الذى يكتظ باللاجئين الفلسطينيين.

فهذه المعركة واحدة من سلسلة معارك يراد بها أن تمهد مسرح الشرق الأوسط لحروب صغيرة تهز ما تبقى من أمن واستقرار، فقد فشلت المعارك الكبيرة فى العراق ولبنان والسودان والصومال، والآن جاء دور الحروب على أساس قبلى وعرقى ومذهبى ودينى لصالح فوضى الشرق الأوسط الهدامة.

فمن الذى حرك الجيش اللبنانى فى هذا التوقيت، وهو بالطبع يدرك أن هناك سلاحاً فى المخيمات الفلسطينية، ومن الذى افتتح هذه المعركة؟!

إن أى مراقب لأوضاع لبنان وحجم التدخلات الإقليمية والدولية سوف يدرك أن المقصود هو نزع سلاح حزب الله، ولا بأس من ضحايا أولا قبل الوصول لهذا الحزب الذى يتمتع بقوة فى الشارع السياسى اللبنانى، وبالتالى فإن سلاحه لن ينتزع إلا بمعركة كاشفة عن قدرة الأطراف فى الطيف السياسى اللبنانى، وبالتالى فإن سلاحه لن ينزع إلا بمعركة، ولا بأس من اختيار الفلسطينيين لمجزرة جديدة، ولن يعارض أحد، لا مجتمع دولى ولا دول إقليمية، فإسرائيل تركت المجازر فى غزة بطائرات «الإف ١٦»، وهم أنفسهم يقاتلون بعضهم بعضاً فى قتال على السلطة، وفى العراق تقوم فرق الموت بتصفيتهم، وكل ذلك يأتى تحت عنوان أسود هو دفن قضية العودة لصالح إسرائيل.

ولأن ما يسمى بالمبادرة العربية تم طرحها، فإن هناك من يساعد إسرائيل على تجاوز هذه العقبة بإشعال معارك فلسطينية- فلسطينية كما فى غزة، ومعارك فلسطينية لبنانية كما فى لبنان، ومعارك فرق

الموت كما في العراق.

وتحذر المخططين من أن الشارع العربي - وصل إلى حد التخمة من الغضب، وقد قلنا إن الغزو الأجنبي لم يأت بالديمقراطية أو في صالح المنطقة في وقت كان فيه الأمريكون في وسائل الإعلام يرحبون بالخيار الأمريكي، ولا يزالون، برغم النتائج الكارثية فمتى نستيقظ؟

ضوء حمر

وفي جريدة الأهرام الصادرة في ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٧ جاءت هذه الكلمة نقلاً عن «أتش. دي. اس» جرنيوان بوسطن جلوب:

«تعجب كثير من العرب عن كيفية عرض الفلسطينيين لقضيتهم على إسرائيل والولايات المتحدة وعلى العالم كله، في الوقت الذي يعانون فيه من جانبهم مثل هذا التفكك. إن قتل الفلسطينيين للفلسطينيين كان كابوساً وأصبح حقيقة، ليس فقط بالنسبة للشرق الأوسط، ولكن أيضاً بالنسبة للجماعة الإسلامية الأكبر، فقد قال شوكت عزيز رئيس وزراء باكستان إن المشكلة الفلسطينية هي في «قلب العالم» وإن عدم حصول الفلسطينيين على حقوقهم سوف يعزز الإرهاب.

ونبه حامد قرضاي رئيس أفغانستان الفلسطينيين إلى أن الخلافات داخل بلاده قد أدت إلى خسائر أكبر مما تسبب فيه الغزو السوفيتي. كما ناشد الأمير تركي الفيصل سفير السعودية الأسبق لدى الولايات المتحدة، الفلسطينيين أن «يتوقفوا عن محاربة بعضهم بعضاً، والتوقف عن محاربة الإسرائيليين على أسس عسكرية». وقال إن إسرائيل قوية يصعب هزيمتها، وأن اللجوء إلى استخدام أسلوب غاندي في العصيان المدني هو السبيل للحصول على ما يرغبونه من الإسرائيليين. لقد أبرم السعوديون، أو هكذا تصوروا اتفاقاً بين الفلسطينيين، والآن يبدو أن المشروع قد أوشك على الانهيار بالرغم من وقف إطلاق النار الهش.

ويجوب الملك عبدالله الثاني ملك الأردن العالم محاولاً دفع وإحياء المبادرة العربية والتي تضمن اعتراف الـ٢٢ دولة عربية بإسرائيل والالتزام بالسلام مقابل انسحاب إسرائيل لحدود ١٩٦٧.

سلاح الفتنة.. أمريكي الصنع

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة بجريدة الجمهورية الصادرة في ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٧:

عاش لبنان في الصيف الماضي شهراً كاملاً تحت القصف الإسرائيلي المدمر وسقط من أبنائه أكثر من ألف شهيد، وتحطمت فيه البنية الأساسية من محطات للكهرباء والمياه، وتهاوت منازله فوق رءوس النساء والأطفال.

عاش لبنان المأساة كاملة رغم مناشدة المجتمع العالمي القوى الكبرى التدخل لوقف العدوان الهمجي البربري، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية وتوابعها، أصمت الآذان عن سماع الاستغاثة اللبنانية بل على العكس حركت جسراً جوياً يحمل القنابل الذكية لمساعدة إسرائيل، بدلاً من إرسال المؤن الغذائية والأدوية للجرحى والمشردين في لبنان، عندما وقفت المقاومة الوطنية اللبنانية صامدة في وجه العدوان.

اليوم.. تحلق في سماء لبنان علامات الاستفهام والدهشة أمام تحليق الطائرات الحربية الأمريكية فوقها حاملة المساعدات العسكرية إلى الجيش اللبناني الذي لا يواجه بالطبع عدواناً إسرائيلياً، بل يتم تجهيزه لمهمة تتوق الولايات المتحدة الأمريكية لإنجازها، بعد أن فشل في الصيف الماضي رهانها على إسرائيل!

منتهى الإنسانية والسماحة!!

في جريدة عقيدتي في عددها الصادر في ٥ / ٦ / ٢٠٠٧ كتب حسام وهب الله، تحت هذا العنوان، قال:

في دلالة جديدة على حقيقة العقيدة الفاسدة التي يتبعها الصهاينة اليوم والتي تختلف بكل تأكيد عن الدين اليهودي الذي بشر به النبي موسى - عليه السلام - أصدر الحاخام اليهودي الأكبر السابق في الكيان الصهيوني «مردخاي الياهو» فتوى جديدة تبيح للجندي الصهيوني استهداف المدنيين الفلسطينيين من نساء وأطفال وشيوخ من كبار السن مؤكداً أن الشريعة اليهودية تبيح استهداف غير اليهود أياً كانوا مقاتلين أو غير مقاتلين.

المثير للدهشة أن الحاخام اليهودي الأكبر أرسل برسالة مذيلة بتوقيعه إلى رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود أولمرت مؤكداً فيها الأدلة الصهيونية على حتمية استهداف المدنيين الفلسطينيين واستباحة دمائهم وممتلكاتهم.

ومن جانبه عرض أولمرت هذه الرسالة على مجلس الوزراء الإسرائيلي الذي أثنى على «الياهو» بسبب معاونته الصادقة لسلوكيات الجيش الإسرائيلي في مدن وقرى فلسطين.

ومن جانبها هللت وسائل الإعلام العبرية الصهيونية لهذه الفتوى وروجت لها عبر الصحف والفضائيات في محاولة لمخاطبة الجنود اليهود المعتدلين الذي أعلنوا لقياداتهم رفضهم قتل النساء والأطفال لأن المفروض أن كل الديانات السماوية تحرم ارتكاب المجازر في أوساط المدنيين حتى في ظل وجود معارك عسكرية.

وقال «إلياهو» في فتواه الإرهابية: لا يجوز لأي جندي أو ضابط يهودي إسرائيلي أن يمتنع عن المساس بالفلسطينيين بزعم أن من بينهم النساء والأطفال والكهول، فالفلسطيني عدو أياً كان جنسه أو سنه، ويجب قتله على الفور طالما أن المقاومة الفلسطينية مازالت ترسل صواريخها إلى المستوطنات اليهودية.

وأضاف إلياهو: إن الجيش الإسرائيلي يجب أن يصعد من عملياته العسكرية ويجتاح كل قرى ومدن فلسطين دون الاكتراث بإصابة أو مصرع مدنيين نساء كانوا أو أطفالاً. فحتى هؤلاء يجب أن يتم التخلص منهم فهم غير أنقياء ويشاركون بشكل أو بآخر في دعم العمليات التي تستهدف الشعب اليهودي.

وجاء «إلياهو» بأقوال تاريخية لزعماء دينيين يهود من العصور القديمة لتأكيد شرعية فتواه المتطرفة ومن أبرزهم الحاخام والفيلسوف اليهودي الشهير موسى بن ميمون.

وتتزامن هذه الفتوى مع تصريحات لوزراء ومسئولين إسرائيليين دعوا فيها لتصعيد العمليات العسكرية ضد غزة، وإحكام الحصار عليها وكان آخرها تصريحات منسوبة للإرهابي اليهودي «أفيجدور ليبرمان» التي دعا فيها إلى محاصرة قطاع غزة وفصل المياه والكهرباء وإمدادات الغذاء والدواء للتخلص من كل من يعيش فيها.

لحظات طيبات مع الإمام الزاهد

إبراهيم بن أدهم

للأستاذ/ عادل خفاجة

إذا تبيَّن المسلم طريقه بين معالم الإسلام الواضحة الجلية - مبتعداً بنفسه عن المشتبهات - أمكنه بعد ذلك أن يتبيَّن طرقاً أخرى فإن شاء سلكها بشرطها وإن شاء تركها، إنها طرق الزهد والتصوف والتنسك وشرطها ألا تخرج بصاحبها عن الطريق المستقيم وإلا يكون ممن انطبق عليهم قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

[الأنعام: ١٥٣]

الإسلام دين يُسر، يُلزم أتباعه بمعالم كلية يعلمها الإنسان دون عناء.

فإذا علمها كانت سبيله إلى القياس الصحيح، وطريقه إلى التعرف على معالم أخرى أكثر دقة وأبعد تناولاً، فمن المعالم الكلية التي نوه عنها وأشار إليها القرآن الكريم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾

الإسراء/ ٢٩

وقوله جل ثناؤه:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

الفرقان/ ٦٧

ومنها قول النبي ﷺ:

«الحلال بيّن والحرام بيّن وإن بين ذلك أموراً مشتبهات»[١].

ومنها قوله - ﷺ -: «إن الله حدَّ حدوداً فلا تعتدوها وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها وحرم

(١) سنن النسائي الكبرى جـ١

أشياء فلا تنتهكوها وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ولكن رحمة منه لكم فاقبلوا ولا تبحثوا فيها»[٢].

أقول إذا تبين المسلم طريقه بين هذه المعالم الواضحة الجلية مبتعداً بنفسه عن المشتبهات أمكنه بعد ذلك أن يميز طرقاً أخرى فإن شاء سلكها بشرطها وإن شاء تركها، انها طرق الزهد والتصوف والتنسك، وشرطها ألا تخرج بصاحبها عن الطريق السوي المستقيم، حتى لا يكون ممن انطبق عليهم قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

في هذا الطريق: طريق الزهد والتصوف سار «إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد الخراساني البلخي المولود في حدود المائة الهجرية»[٣].

وتختلف الروايات عن نشأة إبراهيم بن أدهم وإننا نميل إلى ترك قليل الخلاف وكثيره وإنما يعنينا من هذه الروايات ما أجمعت عليه، فقد كان ابن أدهم شاباً موسراً ترك لذائذ الدنيا وهي مقبلة عليه، وآثر الحياة الآخرة ونعيمها الدائم.

لقد ولى ابن أدهم وجهه إلى حياة الزهد والتصوف، والطريق إلى التصوف محفوف بالمخاطر ومليء بالمزالق: كالشهرة، ولا عاصم منها إلا الله، لذا نجد ابن أدهم يقول:

«ما صدق الله من أحب الشهرة».

وكان يقول: لو غسلت وجهي للناس ما كنت إلا مرائياً[٤] وكان ابن أدهم من هؤلاء الذين منّ الله عليهم برؤية واضحة وفي ذلك يقول أستاذنا الكبير الدكتور محمد رجب البيومي:

«ولئن ثبت للباحث في تاريخ المتصوفين تأثر بعضهم بمذاهب صوفية لا تنبع من الإسلام ولا تتصل بأسبابه في شيء، فإن هذا البعض لا ينتمي إليه ابن أدهم في قليل أو كثير فقد كان بعيداً عن أحوال الجذب والتواجد والهيام، ولم يتطرق إلى البحوث النظرية كما فعل الحلاج والسهروردي وابن عربي بل كان تصوفه زهداً خالصاً يترسم فيه مبادئ الإسلام، فهو يتمثل بالنصوص القرآنية ويروي الأحاديث النبوية، ويصدر تعاليمه لمريديه في نطاق قرآني تدعو إليه الفطرة الإسلامية وتتقبله العقول في غير عناء كبير»[٥].

وإذا كانت رحمة الله قد تداركت إبراهيم بن أدهم حين أبصر طريقه بعيداً عن حياة اللهو والانشغال بمباهج الحياة الزائفة، فقد تداركته مرة أخرى حين وجد شقيق البلخي رفيقاً للدرب يسير نفس خطواته، فماذا كان من ثمرات اللقاء؟!

يقول شقيق بن إبراهيم: قلت لإبراهيم بن أدهم: تركت خراسان؟ قال: ما تهنأت بالعيش إلا في الشام، أفر بديني من شاهق إلى شاهق، فمن رآني يقول: موسوس، ومن رآني يقول:

(٢) المستدرك (٣) سير أعلام النبلاء

(٤) تاريخ دمشق جـ٦ صـ٢٠٠

(٥) أ.د. محمد رجب البيومي - إبراهيم بن أدهم البطل الزاهد الشهيد - مجلة الأزهر - المجلد السادس والعشرون ١٣٧٤هـ.

حمال، ياشقيق: ما نَبُل عندنا من نبل بالجهاد ولا بالحج، بل كان يعقل ما يُدخل بطنه[6].

لقد بلغ بقوله هذا نصيباً من الحياء من الله الذي أشار إليه النبي الكريم - ﷺ - حين قال: «.. الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى...»[7].

«ولم يكن إبراهيم بدعاً في تنسكه، فقد كان معاصره شقيق البلخي ذا دنيا واسعة وجاه عريض، فاعتزل الثروة والضِّياع وتكلم في التصوف والزهد، وكأن أحدهما اقتدى بصاحبه، وهما من بلدة واحدة، فسار على منواله مما يعز وجوده بين أرباب الثراء.

ولقد كان لإبراهيم رسالة خالدة تكشف حقيقة الزهد وتقربه مثالاً ملموساً للجميع، زهد زهداً خالصاً فيما يملك، ولم يكن كهؤلاء الذين يتظاهرون بالورع ولو برقت لهم الحياة بشعاع كاذب لاندفعوا في تيارها الخادع. وكان من تمام رسالته أن يأكل من عمل يده، فلا يدع نفسه عالة على عشاقه ومريديه، وقد اشتغل بستانيا أجيراً يكدح يومه الطويل ليقتات من طريق حميد، وهنا يظهر تأثره بتعاليم الإسلام، فهو دين عملي يتبة التواكل، وليست فيه رهبنة تدفع صاحبها إلى العزوف والانطواء، لذلك نجد ابن أدهم يتشدد في تحرى المكاسب والمآكل ويرسل وصاياه الكثيرة فيقول: أطب مطعمك ولا عليك ألا تقوم الليل أو تصوم النهار، كما كان يرفض رفضاً باتاً أية هدية تقدم إليه لما يتدرج تحتها من معاني التواكل والخنوع، ولو فهم الناس الزهد كما فهمه إبراهيم لعطف الغني على الفقير بما يزيد عن حاجته، ولاجتهد الفقير في تحصيل رزقه دون أن يمد يده لإنسان، وبذلك يستشعر معاني العزة والكرامة ويعيش عالي الرأس مرتاح الضمير»[8].

جانب الزهد عند ابن أدهم

وكأني بابن أدهم يعلن أنه يعلم أن الزهد والتقوى لا يصح منهما شيء مع الجهل.

وإذا كان المعلوم المشتهر أن الزهد: ترك الشبهات خوفاً من الحرام، فإن ابن أدهم صنف الزهد إلى ثلاثة أقسام:

- الأول: فرض.. وهو الزهد في الحرام.
- والثاني: زهد سلامة.. وهو الزهد في الشبهات.
- والثالث: زهد فضل.. وهو الزهد في الحلال[9].

فأعلى هذه الأقسام الزهد في الحلال وهو ما فعله ابن أدهم حين ترك مال أبيه.

وقد علم إبراهيم أنه لا يحسن به أن يترك مال أبيه تنسكا ثم لا يبالي من أي الأبواب يكون طعامه! بل كان يقول: «المسألة مسألتان مسألة على أبواب الناس ومسألة يقول الرجل ألزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله فمن جاءني بشيء قبلته، فهذه شر المسألتين، وهذا قد ألحف في المسألة»[10].

وكان يقدر قيمة العمل وينزل العامل الذي يسعى لكسب قوت يومه منزلة الغازي حيث يقول: «إن الصائم القائم المصلي الحاج المعتمر الغازي من أغنى نفسه عن الناس»[11].

فضل الصمت

وكان على بلاغته وحكمته وكثرة معارضته أهل البيان يفضل الصمت فلامه مريدوه فقال: «الكلام على أربعة وجوه: فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل فيه السلامة منه، وكلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته فأقل ما فيه تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك، وكلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال، ومن الكلام كلام ترجو منفعته، ولا تخشى عاقبته، وهو الذي يجب عليك نشره»[12].

هكذا نراه قد أهدر ثلاثة أرباع الكلام ولا يعتد إلا بما هو نافع ولا تُخشى عاقبته.

وقد يساء فهم هذا المعنى، وقد يظن ظان أن ابن أدهم لاذ بالصمت خوفاً من سلطان جائر قد يُنقل إليه كلامه على غير ما يريد فتكون سوء العاقبة. ولكن شيئاً من هذا لم يدر بخلد ابن أدهم، فهو على قلة كلامه وكثير صمته يقول:

- كل ملك لا يكون عادلاً، فهو واللص سواء،
- وكل عالم لا يكون تقياً، فهو والذئب سواء،
- وكل من ذل لغير الله، فهو والكلب سواء[13].

إن ابن أدهم لم يكن ينتظر صلة من حاكم أو سلطان بل كان يكد، ليكسب قوت يومه من العمل الكادح فعن أبي علي البيروني قال: شارط إبراهيم رجلا على شيء يعمل في الأرض فعمل أياما فيه وأتاه صاحب الأرض فقال: أفسدت على أرضي، قال إبراهيم: ما أفسدت عليك أكثر أم كرائي؟ قال: الكراء. قال: فأطرح لك من الكراء بقدر ما أفسدت عليك، فقال الرجل: نعم. فولى إبراهيم فقيل للرجل: هذا إبراهيم بن أدهم فأتاه فقال: خذ كراءك وافياً وأجعلك في حل مما أفسدت من أرضي فقال إبراهيم: لا حاجة لي في الكراء، المسلمون عند شروطهم[14].

وكان - أيضاً - لا يقبل عطاءً من مريديه ولكن إذا أُهدي إليه فلا يرد هدية وإنما يكافيء بمثلها.

وكان له في قبول الهدية شرط:

كان ابن أدهم لا يقبل هدية من فقير، بل لا يقبلها من بعض الأغنياء إذا تحقق لديه حبهم وولعهم بالمال، وكان يتحقق من هذا الشرط ويتحرى عنه بالسؤال، فعن يزيد بن سفيان أن إبراهيم بن أدهم كان قاعداً في مشرفة بدمشق إذ مر رجل على بغلة فقال له: ياأبا إسحاق إن لي

---

(6) سير أعلام النبلاء.
(7) سنن الترمذي جـ١ صـ٢٩٨.
(8) أ.د. محمد رجب البيومي، المرجع السابق صـ٩٧.
(9) سير أعلام النبلاء.
(10) حلية الأولياء جـ8 صـ15.
(11) المرجع السابق جـ8 صـ16.
(12) أدب الخواص، الوزير المغربي.
(13) سير أعلام النبلاء.
(14) تاريخ دمشق.

إليك حاجة أحب أن تقضيها، فقال إبراهيم: إن أمكنني قضيتها وإلا أخبرتك بعذري فقال له: إن برد الشام شديد وأنا أريد أن أبدل ثوبيك هذين بثوبين جديدين فقال إبراهيم: إن كنت غنياً قبلت منك وإن كنت فقيراً لم أقبل منك فقال الرجل: أنا والله كثير المال كثير الضياع فقال له إبراهيم: إني أراك تغدو وتروح على بغلتك قال: أعطي هذا وآخذ من هذا فقال له إبراهيم: قم فإنك فقير تبتغي الزيادة بجهدك[65].

وعن أبي عاصم الحدادي قال رجل لإبراهيم بن أدهم العابد: إني أريد أن أواسيك من مالي قال: وكم تملك قال: مائة ألف أو زاد قال: وأنت في طلب غيره قال: نعم. قال: لا حاجة إلى ذلك، أنت فقير، إنا لم نؤمر أن نأخذ من الفقراء شيئاً[66].

الدعابة في حياة ابن أدهم

عن خلف بن تميم، قال: دخل إبراهيم الجبل، واشترى فأساً، فقطع حطباً، وباعه، واشترى (نوعاً من الحلوى)، وقدمها إلى أصحابه، فأكلوا، فقال يباسطهم: كأنكم تأكلون في رهن[67] (أي مراهنة أو مسابقة).

● ودعاه الأوزاعي يوماً إلى الطعام فتناول اليسير، فقال له الأوزاعي: رأيتك قصرت في الأكل فرد قائلاً: لأنك قصرت في الطعام[68].

ولعل ابن أدهم قد علم أن السبب في قلة الطعام إنما هو خوف الأوزاعي أن يجاوز حد الكفاية إلى حد الإسراف.

فأعد إبراهيم طعاماً ووسع فيه ودعا الأوزاعي، فقال الأوزاعي: أما تخاف أن يكون سرفاً؟!

وهو ما توقعه إبراهيم، وربما أعدَّ هذا الطعام للإجابة على هذا السؤال.

وجاءت إجابة إبراهيم: «إنما السرف ما ينفقه الرجل في معصية الله، أما ما أنفقه على إخوانه فهو من الدين».

ولابد لنا هنا أن نقول: إن ما قاله ابن أدهم هو عين الصواب لأن شيئاً مما أعده لم يذهب إلى القمامة، بل نستطيع أن نقول: إن كل ما صنع سد به رمق الجائعين، أما ما يحدث هذه الأيام في الولائم وغيرها فهو عين الإسراف.

وإنا لمسئولون أمام الله يوم القيامة عن أطنان الطعام التي تلقى من فنادق بلادنا الإسلامية هدراً دون أن يستفيد منها الفقراء.

كما أننا مسئولون - أيضاً - عن أطفال الشوارع الذين يتضورون جوعاً أو قل يموتون جوعاً.

ونعود إلى إبراهيم بن أدهم وقد تمثل بقول عدي بن زيد:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

لنقول: إذا كان ابن أدهم - على ما كان عليه من زهد - قد صدر عنه هذا القول فما عسانا نحن أن نقول؟!

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

(٦٥) المرجع السابق، والمشرقة: موضع القعود في الشمس.
(٦٦) المرجع السابق.
(٦٧) سير أعلام النبلاء.
(٦٨) تاريخ دمشق.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

يونيو ٦٧ وحلقات مستمرة من التآمر

أربعون عاما مضت على حرب الساعات الست، حرب الخامس من يونيو التي تعتبر بالفعل الميلاد الحقيقي للكيان الصهيوني.

ولازالت إسرائيل تحيي ذكرى انتصارها وتحرص كل الحرص على أن تحصل على مكاسب سياسية جديدة من هذا الانتصار.

آخر تلك المكاسب هو ما حدث في مجلس النواب الأمريكي الذي أقر يوم ٦ يونيو الماضي وبالإجماع قراراً يوافق على اعتبار القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، وطالب الرئيس الأمريكي جورج بوش بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

هنأ القرار إسرائيل بالذكرى الأربعين لانتصارها على أعدائها في يونيو ١٩٦٧، وما أسماه القرار بتوحيدها للقدس بعد أن ظلت مقسمة لأكثر من تسعة عشر عاما.

القرار تقدم به ١١ نائبا وتمت الموافقة عليه بالإجماع ونص على: «أن القدس كانت دائما بؤرة الدين اليهودي ومركز تواجد اليهود لأكثر من ثلاثة آلاف عام، وعاشت فيها أغلبية يهودية منذ عام ١٨٩٦م» هكذا نص القرار.

وهكذا تسفر الولايات المتحدة الأمريكية يوما بعد يوم عن حقيقة سياساتها في الشرق الأوسط، وهي اليوم تقف على أرض أكثر صلابة من ذي قبل.. فالعديد من نظم الحكم العربية اليوم يخطب ودها.. العديد من الدول العربية فتحت أراضيها لإقامة قواعد عسكرية أمريكية.. وبالتالي فإن أحدا لن يغضبه القرار الأمريكي!!

ولم ينس رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بهذه المناسبة رجله الدلل الذي حاول زراعته ذات يوم ليكون رئيسا لجمهورية مصر العربية في الانتخابات الرئاسية الأخيرة

التى شهدتها مصر مطالبا بالإفراج عنه!!

وبهذه المناسبة أيضا تفجرت العمليات العسكرية فى لبنان بين الجيش اللبنانى واللاجئين الفلسطينيين.. ولأول مرة فى تاريخ العلاقات العربية الأمريكية تتدفق الإمدادات العسكرية الأمريكية لمساعدة الجيش اللبنانى فى معاركه.

وبهذه المناسبة أيضاً بدأت أكبر مناورات عسكرية مشتركة بين الجيش الأمريكى والجيش الإسرائيلى فى صحراء النقب.

وكل هذا يصب فى إطار ما يمكن تسميته «نشاط مريب»!!

ترى ما هو الهدف المنتظر هذه المرة؟! هل هو حزب الله؟ هل هو سوريا؟! هل هو إيران؟! هل هو مصر؟!

يوما بعد يوم يتأكد البعد الاستراتيجى للشراكة الأمريكية الإسرائيلية.. ويتأكد يوما بعد يوم أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تكون صديقا وفيا أبدا لمصر، ولا للعرب، ولا للمسلمين.

يوما بعد يوم يتأكد أن هناك شيئا خطيرا يجرى الإعداد له فى الخفاء.

ضحكت كثيراً وأنا استمع إلى أحد رجال الأعمال المصريين ولعله أغنى أغنياء مصر.. الرجل قال: إنه معجب بالفكر الاقتصادى الأمريكى.. ولا يعنيه التوجه السياسى لها، لأنه رجل مال وليس رجل سياسة!! قال هذا وهو يدرك جيدا أن المال والاقتصاد هو الركيزة الأولى للتوجه السياسى للولايات المتحدة الأمريكية على طريقة: «اطعم الفم تستحى العين».

الولايات المتحدة الأمريكية لم تقدم معونتها الاقتصادية لمصر وهى منكسرة عقب حرب الخامس من يونيو.. وإنما قدمتها لمصر عقب انتصارها فى حرب السادس من أكتوبر.. فهل كانت المعونة الأمريكية مكافأة على الانتصار العسكرى المصرى.

الولايات المتحدة الأمريكية لم ولن تهنئ مصر أبداً على انتصارها العسكرى على إسرائيل فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، لأنه انتصار تعارض مع مصالحها السياسية فى الشرق الأوسط ولذا فقد قام الجيش الأمريكى بفتح مخازن سلاحه وقتها لإنقاذ إسرائيل من السقوط بشكل اضطر معه الرئيس المصرى البطل محمد أنور السادات إلى القبول بوقف إطلاق النار لأنه لم يعد نفسه للقتال ضد الولايات المتحدة الأمريكية وهو تصرف لاتزال مصر تحفظه لرئيسها البطل وتشكره عليه لأنه حفظ لمصر جيشها قويا للاستعداد لجولة جديدة فى مواجهة التآمر الدولى على مصر بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء ←

البُعد الإنسانى فى الفكر الإسلامى

من صديقنا الأستاذ: السيد حسن العزازى - وكيل وزارة سابق للكهرباء والطاقة كانت هذه الرسالة:

- نناقض أنفسنا ونستخف بعقيدتنا إذا تملكنا الظن بأن هناك من يهتم بأمر الإنسان أكثر من الإسلام، فإن كان الأمر لدينا على خلاف ذلك فمرده علينا دون رده على الدين. وإذا كنا نتفق على أن الإسلام هو آخر الأديان السماوية وأتمها وأشملها، فذلك لأنه تضمن حدوداً وضوابط ومعايير حاسمة ودقيقة تحكم علاقات البشر عبر دروب الحياة ومجالاتها، وكذا ما يتصل بمعطياتها وآلياتها من منافع ومصالح ومعاملات، إذ جعل العدل أساساً، والرحمة أسلوباً، والبر وسيلة، والعطف أداة، والتضحية سبيلاً، والمسئولية مناطاً، والتكافل التزاماً فى الخلق وحتمية فى السلوك. ومنهج الإسلام يحكمه منطق فريد فى التدرج والتدريب وفى إطار من التوازن الذى يحفظ على المسلم حياته ويصون عليه صلاحه وتقواه فيحيا راضياً ويلقى ربه مرضياً.

- فهو يبدأ بإقرار العبودية لله والتسليم بوحدانيته لا شريك له، وبالتالى فالكل سواء فى الخضوع لمعبود واحد أحد فرد صمد:

﴿ الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝ مالك يوم الدين ۝ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

- ويلى ذلك التعرض لخلق آدم وحواء باعتبارهما مصدر البشرية فى عمومها وإن تباينت أجناسها وتباعدت أوطانها:

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾

والله تعالى فى سابق علمه يعرف أن الخلاف سيدب بين البشر عن طمع أو جشع أو استئثار، لنزوعهم للأنانية، ولذا يحضهم على المصالحة والتآلف وتعميق التعارف بقوله تعالى:

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

ويحثهم على التعاون:

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾

ويحثهم على التماسك والتوحد:

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

وجعل الله العدل أساساً للملك ومتانة السلطان وتجسيداً للتقوى وصحة الإيمان:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾

وحثنا سبحانه على أن نتحلى بالشجاعة الأدبية وأمرنا بأن نحفظ الأمانات لوقتها ونردها لطالبها، وأن يكون العدل شرعتنا للاحتكام ورد المظالم وإنصاف المظلومين:

﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾

ومقتضى العدل ألا نظلم ولا نخدع ولا نكذب أو نداهن ولا نتطاول أو نستعلي وأن نكون على يقين بأن مردنا إلى الله وسنحاسب على أعمالنا:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

والأعمال تبدأ بالنية التي تستقر في الطوية ولأجل هذا لا يستساغ التناقض بين الأقوال والأفعال واعتبار ذلك زيفاً ونفاقاً يؤاخذ الله عليه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

والقول يجب أن يكون حسناً:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

وفي كل الأحوال فإن الكلمة الطيبة صدقة بل وقد تزيد عليها.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾

والفعل يجب أن يكون عطاء خالصاً لوجه الله والإنسانية ومعنى ألا تشوبه شائبة من نقص أو قصور فإن حدث وجب الاستغفار عما اقترفناه عفواً أو قصداً بشرط التوبة النصوح.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وعلى المرء وإن لم يحصد الجزاء تواً أن يتحلى بالصبر، فتلك من سمات المؤمنين الصالحين.

﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

ويظل الإنسان يطل على عالمه الرحيب ويتبادل مع مجتمعه الكبير النافع والمعارف والمصالح ويتحرك بشفافية مبرأة من الهوى فلا يرتاب في عقيدته ولا يزايد أو يتزيد في توظيف ماله وملكاته فيما يغضب الله فيعف عن الربا وأكل مال الناس بالباطل أو أكل مال اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ولا يستعدي أحداً، فإن اضطر فعليه أن يقتص بما شرع الله وإن عفا وأصلح فأجره على الله وعليه ألا ينتابه الوهن أو يستضعف فأرض الله واسعة ومبارحة الظالمين خير من الاستكانة لهم أو الرضوخ لبغيهم وللإنسان أن ينعم بخيرات الله الوفيرة وأن يشكره على النعم ويسأله الزيادة.

﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾

كل ذلك وأكثر منه اشتمله الإسلام كوعاء للإنسانية الرفيعة الجديرة بالاستخلاف في الأرض والجنة التي أعدها الله للمتقين. والإنسانية ككيان يجسد مفهوم الحياة في نظر الإسلام يستند على دعائم التوحيد والوحدة والتوحيد للخالق، والوحدة فيما بين البشر، والتوحد كتوجه ينبثق من الغيرية والخيرية والمشاركة الوجدانية والحرص التبادل على تحقيق السلام بدءاً من الفرد وصولاً للجماعة والمجتمع على امتداده. ولعلنا بذلك ندرك عظمة الإسلام الذي حوى أفضل وأعظم وثيقة تنظم حقوق الإنسان وتعتز بقدره وترتفع بمكانته على امتداد الزمان والمكان ويبقى أن نؤكد أن البعد الإنساني في الفكر الإسلامي أكبر من أن يحد لأنه ليس مجرد مساحة بل عمق ضارب في جذور العقيدة فيتحرك بها ومعها وتسري قوته لتربط الأعماق بالآفاق. ونعوذ بالله من الغفلة أو تجاهل هذه الحقيقة. وصدق الله العظيم:

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

دروس الإيمان من نملة سليمان

ومن الشيخ مصطفى الأزهري إمام وخطيب مسجد «سوق الحمام» بالسيدة عائشة كانت هذه الكلمة:

من جمال القصص القرآني وروعته أنه سهل في سرده يثير الفكر ويبهج النفس وينتقل بالقارئ إلى مشاهد عبر الزمن الغابر، وهو على ما فيه من بناء لفظي محكم، وإثارة للخيال ودعوة للتفكر - هو مع كل ذلك - واقع حدث يقصه على الحبيب المصطفى - ﷺ - علام الغيوب، فهو كما وصفه المولى الكريم:

﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾

ومن هذا القصص العظيم ما حكاه القرآن الكريم من قصة النملة التي ذكر الله حديثها في السورة التي سماها الله باسم هذا المخلوق العجيب وهي سورة «النمل» فقال تعالى:

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

هذا إعجاز يدعو للعجب ويثير الدهشة والإعجاب ويملأ نفس المؤمن إحساساً بروعة القص القرآني وجمال بيانه وحسن بديعه، ومن وراء ذلك الحكمة في أبهى صورها والتي يجليها مضمون القصص القرآني بعمومه، وقصة هذه النملة على الوجه الأخص.

فحين يتأمل «أولو الألباب» قول تلك النملة الحكيمة فإنهم - لا محالة - سوف تطوف بهم طائفة من الخواطر منها:

- النصيحة خطة الخطر: فالنملة بمجرد أن رأت سليمان - عليه السلام - وجنوده قادمين على واد النمل، صرخت في أصحابها لتستنقذهم من الهلاك، ولم تختر لنفسها - مع اقتراب الخطر - جحراً تفر إليه دون أهلها وأصحابها.
- النظام وقت الطوارئ: فخير ما يلجأ إليه العاقل ساعة اقتراب الخطر بيته ومسكنه، فالنملة حددت المكان لأصحابها كي لا يضطرهم اقتراب الهلاك إلى الفوضى والانتشار فيتدافعون في اتجاه الخطر، فقالت:

﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾

- تقدير الإمكانيات: فالنملة تعرف أنها مخلوق صغير جداً فليس من الحكمة أن تعرض نفسها لمخلوقات أضخم منها في خطة العمل أو المشي أو غيره فتهلك، لكنها في وقت آخر أكثر سعة واستقرارا تستطيع هي ومن معها من واد النمل أن تنخر في بيت كامل فتهدمه.
- شكر الله على نعمة الحكمة: فقد تبسم سليمان - عليه السلام - ضاحكاً من قولها وشكر ربه المنعم الكريم على أن وهبه من رعيته مخلوقا حكيما يحب الخير لأمته وينصح قومه ويستنقذهم من الهلاك، حتى ولو كان هذا المخلوق «نملة».

أحزان مقدسية



ويصيغ الشيخ: محمد محمود عبدالواحد ـ إمام وخطيب بأوقاف القاهرة ـ أحزانه على المسجد الأقصى والقدس الشريف شعراً، فيقول:

القدس عاد يناديها يناجينا ... يذكر القوم أشلاء المصلينا
يبكى لغدر أناس لا خلاق لهم ... يشكو جراحاً، يرينا من مآسينا
قد كان يسكنه قوم ذوو شرف ... فصار يسكنه هودٌ نسوا الدينا
واخيبتاه لقوم راعهم تذلٌّ ... دنسُ المروءة سفاحٌ يُعادينا
أحال ليلهمو ناراً وأسكنهم ... منازل الخوف تسرى فى نواحينا
ما بين هتك لعرض وانفجار دمٍ ... دارت مآذننا ترثى ليالينا
أنحمل الذل والأخلاق سلعتنا ... وترقص النصر والإسلام داعينا؟!
ونحمل الضيم والله العزيز لنا ... سندٌ قوىٌّ يبارك فعل أيدينا؟!
يا أمة الأمل المقتول هل صبحٌ ... يعيد فرحتنا والله يعطينا؟
إن عز طلبى على قومى فوا أسفا ... على ذبول زهور للرجا فينا

مسلم بن الحجاج

ومن الأستاذ: فرج مجاهد عبدالوهاب ـ عضو اتحاد الكتاب ـ شربين ـ دقهلية .. كانت هذه الكلمة عن الإمام مسلم بن الحجاج:

هو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيرى النيسابورى، يرجح أن يكون تاريخ ميلاده فى عام ٢٠٦ هـ، وتوفى فى يوم الإثنين الخامس من رجب سنة ٢٦١ هـ. تتلمذ على نخبة من علماء عصره مثل أحمد بن حنبل، ويحيى بن يحيى، وعثمان بن أبى شيبة. عاصر الإمام البخارى وصاحبه وكان شديد الوفاء له، لذا نجده يرتحل لتقصى الأحاديث والاستماع للثقات الرواة فى مصر والشام والحجاز والعراق.

روى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظه مثل: أبو القاسم الرازى، وموسى بن هارون، وأحمد بن مسلمة، والترمذى.

صنف الإمام مسلم كتباً عديدة أهمها على الإطلاق كتاب «المسند الصحيح» المشهور بصحيح مسلم وقد جمع فيه اثنى عشر ألف حديث أمضى فى جمعها وتصنيفها خمس عشرة سنة. كما صنف «المسند الكبير» وقد رتبه على الرجال ـ الجامع ـ ورتبه على الأبواب ـ الكنى والأسماء.

وقد توافر على ترجمته وشرح صحيحه كثيرون كما ترجم الكتاب إلى الكثير من لغات البلاد الإسلامية المختلفة لتعميم الفائدة منه.

ويتجاوز عدد الشروح المعروفة عشرين شرحاً ومن أشهر الشروح شرح الإمام النووى الذى قدم للشرح بمقدمة تعتبر دراسة ضافية عن علوم الحديث وعن الكتاب ذاته وعن منهج الإمام مسلم فى تصنيف مادته الحديثية. وهناك كتاب «المعلم بفوائد مسلم» للإمام المازرى، وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون فقال فى المقدمة: وأما صحيح مسلم فكثرت عليه عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله.

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

فيزا أمريكية لدعم التنصير

أعلنت منظمة تنصيرية مسيحية فى الولايات المتحدة الأمريكية عن إصدار «كارت فيزا» تخصص أمواله لدعم جهود التنصير فى الدول الفقيرة على مستوى العالم بغرض نشر الإيمان المسيحى ومساعدة الفقراء بحسب زعم المنظمة.

وقالت «جمعية نشر الإيمان» المسيحية - وهى جمعية إرسالية بابوية: إن البرنامج الخاص بهذه الفيزا سوف يقوم بجمع المبيعات اليومية لهذه الفيزا وتوجيهها لمساعدة برامج الكنيسة الكاثوليكية فى أكثر من «١١٥٠» أبرشية إرسالية فى دول العالم الأكثر فقرا وعلى رأسها السودان.

وأجرت الجمعية اتصالات بأكثر من «مليون» كاثوليكى فى الولايات المتحدة بشأن عرض هذه الفيزا عليهم ولأخذ موافقتهم على خصم «١٪» من صافى المبيعات والتعاملات على الفيزا لصالح حساب لها فى البنك. وذلك من خلال حملة للبريد المباشر والإعلانات فى الصحف الكاثوليكية. وقالت الجمعية: إن هذا البرنامج سوف يخدم أكثر من «١٢٠» دولة فى آسيا وأفريقيا وجزر المحيط الهادئ وأمريكا اللاتينية.

نسخة توراة أصلية باليمن تحمل البشارة بسيدنا محمد ﷺ

كشف كبير حاخامات يهود اليمن «يحيى بن يعيش» أنه يحتفظ بكتاب للتوراة يعود إلى ما قبل «٥٠٠» سنة تقريبا.

وقال يحيى الذى تسلم منصب كبير حاخامات يهود اليمن وعمره «٣٨» عاما: إن كتاب التوراة الذى ورثه عن أبيه كتاب صحيح لم يتعرض للتحريف كبقية كتب اليهود. ويستدل على كلامه بوجود بشارة النبى محمد عليه الصلاة والسلام فيه والمطابقة لما ورد فى القرآن الكريم مؤكداً أنه يؤمن بالرسول محمد كإيمانه بموسى وبقية أنبياء الله ورسله وأنه يصلى على النبى محمد وليس فى نفسه أى اعتراض على ذلك.

وحول كتاب التوراة الذى لديه قال: إنه كتب على الجلد والورق فى الوقت ذاته بالحبر المصنوع من مادة العصف والزعفران ويتكون من «٥٤» جزءاً كل جزء مكون من إصحاح وآيات.

وقال «يحيى بن يعيش» إن والده قبل وفاته فى أحد مستشفيات لندن فى شهر إبريل الماضى كان قد أوصاه بالوطن والدين والعمل الصالح والصلاة والصيام وعدم الكذب وعدم الدجل على خلق الله.

وكان الزعيم الجديد للطائفة اليهودية فى اليمن أعلن أنه لن يزور إسرائيل عملاً بوصية والده الحاخام الراحل «يعيش بن يحيى».

وكشف «يحيى بن يعيش» عن ضغوط تمارسها منظمات يهودية وصهيونية لترحيل ما تبقى من الأسر والعائلات اليهودية فى اليمن إلى إسرائيل، مشيرا إلى أن معظم اليهود يشعرون أن وطنهم الحقيقى هو اليمن» وليس لديهم استعداد للعيش فى بلد آخر، خصوصا أن من هاجروا إلى إسرائيل وجدوا أن الوعود والإغراءات التى دفعتهم للهجرة لم تكن سوى مجرد أكذوبة وخدعة، وأن استغلالهم وتشغيلهم كمزارعين فى أغلب الأحوال يكشف مدى التمييز الذى يمارس ضدهم.

حرب البوسنة زادت من تمسك النساء بالإسلام

أكد عدد كبير من الباحثين الاجتماعيين أن الحرب التى شهدتها البوسنة فى الفترة بين عامى ١٩٩٢ و١٩٩٥، ساهمت وبقوة فى عودة النساء البوسنيات إلى الإسلام.

ويقول الباحثون: إن السبب فى ذلك يعود إلى عدة عوامل، منها النشاط الاجتماعى لعدد من المؤسسات الخيرية الإسلامية فى البوسنة أثناء وبعد الحرب، وكذلك التحاق مسلمين من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بصفوف المقاتلين البوسنيين ضد القوات الصربية والكرواتية.

يقول. دنيو أبازوفيتش، أستاذ علم الاجتماع بجامعة سراييفو - إن أغلب نساء البوسنة كن قليلات الالتزام بالإسلام خصوصاً وأنهن كن يعشن فى بلد بعيد عن باقى البلدان الإسلامية وتربين فى بيئة تجمعهن مع مسيحيات ويهوديات!! وأضاف بأن البوسنيات احتضن هويتهن الإسلامية بشكل كبير، بل اعتبرنه شكلا من أشكال المقاومة لأن حوالى «١٠٠» ألف» قتيل من ضحايا الحرب كانوا مسلمين كما أن غالبية النساء ضحايا الاغتصاب من قبل الجنود الصرب كن مسلمات.

أما أستاذة العلاقات الدولية بجامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية «عايدة هوزيتش» البوسنية الأصل فترى أن البوسنيات تعلمن كيف يكن مسلمات لأن هناك من دفعهن إلى هذا الإحساس.

السلطات الأمريكية تمنع افتتاح مركز إسلامى بفلوريدا

فى إطار المضايقات المتواصلة التى يتعرض لها المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية أوقفت السلطات الأمريكية افتتاح مركز إسلامى مقام منذ أكثر من عشرين عاماً بعد تجديده، حيث تقدم أمريكى بدعوى لإيقاف بناء المسجد فى منطقته ومحاكمة القائمين عليه وهى خطوة وصفت بأنها معادية للمسلمين فى أمريكا.

زعم المتقدم بالدعوى والذى يدعى «روندى رايت» أن تجديد المركز الإسلامى بجنوب فلوريدا ليتحول إلى مبنى جديد فى منطقة «بومبانو بيتش» يمثل ضرراً كبيراً لمصلحة وأمان وصحة المجتمع فى المنطقة.

كما زعم «رايت» فى الدعوى التى رفعها ضد المركز الإسلامى أن الشيخ «حسن صبرى» إمام المسجد ارتبط بآخرين لديهم علاقات بالجماعات المسلحة من بينها حركة حماس وتنظيم القاعدة وحركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين - على حد زعمه.

وفى المقابل قال «الطاف على» المدير التنفيذى لفرع مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» فى جنوب فلوريدا: إننى أشعر بانزعاج شديد للغاية لأنك تجد فى هذا الوقت وهذا العصر أشخاصاً يصلون إلى هذه الدرجة من الإجراءات المتطرفة ليمنعوا داراً للعبادة من أن تبنى فى أية مدينة أمريكية، وأضاف إننى أنظر إلى هذا باعتباره فعلاً من التخويف الدينى.

والجدير بالذكر هنا أن المركز الإسلامى بجنوب فلوريدا ظل قائماً فى منطقة «بومبانو بيتش» الواقعة على بعد ثلاثين ميلاً من ميامى - طوال أكثر من عشرين عاماً.

مسلموا ألمانيا يحثون حكومة بلادهم على الاعتراف بالإسلام

طالب قادة الأقلية المسلمة في ألمانيا السلطات الألمانية بوضع ما أسموه «خريطة طريق» تنفذ بنودها وفق خطة زمنية محددة تنتهي بالاعتراف الكامل بالإسلام كدين رسمي في البلاد.

جاءت هذه الدعوة في ختام الجولة الثانية من أعمال مؤتمر الإسلام الذي رعته وزارة الداخلية في العاصمة برلين بمشاركة قيادات إسلامية والذي وصفت أجواؤه بالإيجابية.

وقال الناطق باسم المجلس التنسيقي للمسلمين في «ألمانيا»: يجب أن يكون هناك وضوح تام في الأهداف التي يرمي إليها انعقاد مثل هذا المؤتمر، مؤكدا على أن عدم الاعتراف رسمياً بالإسلام سيولد الانطباع بأن المؤتمر تحول إلى ساحة للنقاشات فقط، فالأمور لا يمكن أن تسير بهذه الطريقة دون هدف محدد ـ على حد قوله ـ وقال نحن نأمل في وضع خريطة طريق يتم من خلالها تحديد أهداف المؤتمر والاتفاق على خطة تحقيقها وصولا إلى الاعتراف بالإسلام كدين رسمي في ألمانيا.

روسيا تعرض مصحفاً من الذهب الخالص في أبرز متاحفها

يعرض متحف «بوشكين» الروسي للمصحف الذهبي الفريد من نوعه، أعلن ذلك «فلاديمير بروساكوف» رئيس الشركة المبادرة بالمشروع في الندوة الدولية التي عقدها مجلس المفتين في روسيا والذي دار حول علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الإنسانية الأخرى.

وأضاف «بروساكوف»: أن كل صفحة من المصحف الذهبي عبارة عن صفحة رقيقة من أجود أنواع الذهب ويتكون المصحف من «١٦٢» صفحة ووزنه يصل إلى ما يقارب «١٤» كجم، وقال «بروساكوف»: إن الدعوة ستوجه إلى رؤساء ثلاثين دولة إسلامية لمشاهدة المعرض وقد أعد المصحف في دار سك العملات بموسكو وهو الوحيد من نوعه، وقد تم نسخ المصحف من نسخة لأقدم مصحف مخطوط موجود في روسيا ويعود إلى القرن الثامن الميلادي وكان محفوظا في مجموعة خاصة بروسيا ثم نقل إلى معهد الاستشراق في بطرسبرج عام «١٩٣٦».

فتوى يهودية جديدة تدعو لقتل الفلسطينيين

دعا الحاخام الرئيسي السابق في إسرائيل «مردخاي إلياهو» الحكومة إلى شن حملة عسكرية على غزة معتبراً أن قتل المواطنين الفلسطينيين المدنيين أمر شرعي، كان «إلياهو» قد بعث برسالة قبيل جلسة الحكومة الإسرائيلية التي خصصت للشأن الفلسطيني ضمنها فتوى توجب التحرك ضد قطاع غزة حتى لو أدى ذلك لسفك دماء الأبرياء مسترشدا بقول منسوب للملك «داود» حث فيه على ملاحقة الأعداء حتى قتلهم؟ وأضافت الفتوى «إن أقوال الملك داود تستبطن تصريحاً لقادة إسرائيل بعدم إبداء الرحمة تجاه من يستهدف المدنيين لدينا بواسطة إطلاق صواريخ من داخل مناطق مأهولة بالسكان.

وقال الحاخام في فتواه: إنه لا يجوز الامتناع عن المساس بمن سماهم الخربين الخبيثين بين المدنيين فيما يعيش سكان مدينة سديروت في خطر دائم.

ألمانيا تمارس تمييزا ضد محطات التليفزيون الإسلامية

أوضحت كريستين هورز من جامعة إيرفورت الألمانية أن إجراءات الحكومة الألمانية تجاه المهاجرين خاصة الجالية الإسلامية اتسمت بتمييز واضح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وقالت هورز: إن تلك التدابير خاصة تجاه المحطات التليفزيونية التابعة للمسلمين والناطقة بلغاتهم الأم تنطلق من موجة الخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا» التي انتشرت في المجتمع الألماني وساهم الإعلام بشكل كبير في صناعتها.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبد الله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية أذربيجان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ٦ / ٥ / ٢٠٠٧م ـ فخامة الرئيس إلهامي علييف ـ رئيس جمهورية أذربيجان والسفير ـ فائق بحيروف ـ سفير أذربيجان بالقاهرة والوفد المرافق ـ يرافقهم السيد المهندس/ سامح فهمي ـ وزير البترول المصري ورئيس بعثة الشرف المصري المرافق للوفد.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بفخامة الرئيس والوفد المرافق في مصر وأزهرها الشريف مبيناً أن لدولة أذربيجان طلبة يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، كما أن للأزهر بعثة أزهرية بدولة أذربيجان تتعاون مع أبناء أذربيجان في تدريس العلوم العربية والشرعية. وقد بيّن فضيلة الإمام الأكبر لفخامة الرئيس أن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال في جميع مراحله التعليمية المختلفة، وأنه يهتم في المقام الأول بحفظ القرآن الكريم والتوسع في العلوم الشرعية والعربية، كما أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن شريعة الإسلام أمرتنا جميعا بأن نكون عادلين في أحكامنا، لأن العدل أساس الملك، مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد على أن العدل في شريعة الإسلام هو عدل مطلق بين الناس يعطي كل إنسان حقه، يعطي المسلم حقه وغير المسلم حقه، وأن شريعة الإسلام تمد يدها بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام.

ومن جانبه شكر فخامة الرئيس فضيلة الإمام الأكبر على استقباله والوفد المرافق له وقدم لفضيلة الإمام الأكبر الدعوة لزيارة أذربيجان، كما أشاد فخامته بالأزهر وجامعته العريقة كمؤسسة مشهورة في العالم وهي معروفة في أذربيجان ولها تاريخ قوي ومشهود له، كما أننا نقدر دورها الهام في تعليم النشء وتربيتهم، مضيفا بأنهم في بلدهم يعطون أهمية كبرى لحقل التعليم حتى يكون أبناء أذربيجان مثقفين من منطلق أن المعرفة والثقافة أساس الرقي والنمو في العالم.

الإمام الأكبر يؤكد: المؤسسة الدينية في مصر نسيج واحد

انعقد برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر يوم الثلاثاء الموافق ٨ / ٥ / ٢٠٠٧م بقاعة الاجتماعات بالأزهر الشريف، الاجتماع الأول لمديري عموم الوعظ بالأزهر، ومديري وعظ وزارة الأوقاف على مستوى الجمهورية، لبحث التنسيق بينهما لمشاركة وعاظ الأزهر في أداء خطبة الجمعة في بعض المساجد التابعة لوزارة الأوقاف وأكد الإمام الأكبر خلال الاجتماع على ضرورة التعارف والتنسيق بين إدارات الوعظ بالأزهر والأوقاف، والاستفادة من المتخصصين في أداء خطبة الجمعة وقال إن المؤسسة الدينية في مصر نسيج واحد تسعى لهدف واحد وهو الارتقاء بالخطاب الديني والدعوة الإسلامية.. وطالب الإمام الأكبر المسئولين في الوعظ والأوقاف بضرورة تدريب الأئمة والوعاظ على أداء خطب الجمعة وإعدادها إعدادا سليما لغويا وعلميا مع الاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية.

أفغانستان تطلب منحا دراسية أزهرية لأبنائها

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر بمكتبه يوم ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٧م- السيد حفيظ الله أيوبى -سفير أفغانستان بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير فى مصر والأزهر الشريف، ملقيا الضوء على الأزهر الشريف ومكانته العالية، ومشيدا بالعلاقات القديمة بين الأزهر وأفغانستان داعيا لدولة أفغانستان بدوام نعمة السلام والأمان والاطمئنان، مشيرا إلى أنه لدى أفغانستان طلبة بالأزهر الشريف عددهم حوالى ١٥٠ طالبا وطالبة يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة إلى جانب طلاب من أكثر من ١٠٤ من دول العالم يدرسون مناهج الأزهر، وأنه تم إرسال ١٥ من علماء الأزهر للمشاركة فى تدريس العلوم العربية والشرعية لدولة أفغانستان للمساهمة مع إخوانهم الأفغان بمعاهد ومدارس أفغانستان، حيث إن الدراسة بالأزهر لا تفرق بين سنى وشيعى، كما أن لدى أفغانستان العديد من الطلاب الذين تخرجوا فى جامعة الأزهر ومنهم الحاصل على الدراسات العليا والدكتوراه، وهؤلاء يمكنهم المساهمة فى العملية التعليمية بما درسوه فى الأزهر الشريف من سماحة ووسطية واعتدال والبعد عن التعصب الأعمى وهم بذلك رسل الأزهر فى بلادهم ، كما أن الأزهر لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لدولة أفغانستان.

ومن جانبه أعرب السيد السفير عن بالغ سعادته لهذا الترحيب الحار، وأشاد بدور الأزهر فى دعم أبناء أفغانستان باعتبار أن الأزهر الشريف هو المرجعية الأساسية للشريعة والثقافة الإسلامية، وفتاوى الأزهر مسموعة فى كل مدن وقرى أفغانستان، كما أبدى رغبة بلاده فى الحصول على مساعدات أكثر من الأزهر بزيادة عدد المنح الدراسية، وفتح المجال أمام المزيد من دعاة وأئمة أفغانستان لحضور الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر كل ثلاثة أشهر يتعلمون من خلالها الوسطية والاعتدال ومستجدات العصر من فتاوى وأحكام، كما طلب إمداد أفغانستان بالكتب والمراجع والمناهج والخطط الدراسية التى من شأنها أن تعطى نتائج أفضل لدارسيها.

وفى نهاية اللقاء أعرب السيد السفير عن سعادته البالغة لما سمعه واستفاد منه من كلمات وحكمة فضيلة الإمام الأكبر التى تسودها العقلانية الراجحة المعتدلة.

الإمام الأكبر يستقبل وفد طلاب الجامعة الأمريكية

التقى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر يوم ١٧ / ٥ / ٢٠٠٧م وفدا من طلاب الجامعة الأمريكية بالقاهرة الذين يدرسون الإسلام يرافقهم الدكتور/ سعيد صادق - أستاذ علم الاجتماع السياسى بالجامعة.

ودار اللقاء حول الاستفسار من جانب الطلبة والطالبات عن بعض الأسئلة المتعلقة بالمرأة فى الإسلام وبالحجاب، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الحجاب فرض بالنسبة للمرأة البالغ المكلفة، وإذا خالفت ذلك فهى تتحمل أمور نفسها.

كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن المسلمين والمسيحيين هم مواطنون مصريون متساوون فى الحقوق والواجبات، جاء ذلك حول سؤال عن الأحداث الأخيرة بمنطقة العياط، حيث بيّن فضيلته أن العقائد لا إكراه عليها، لأن الإكراه فى العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين، وإنما يأتى بمنافقين كذابين، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، والقرآن الكريم يعتبر الناس جميعا إخوة فى الإنسانية، والإسلام ينبذ التعصب الأعمى ويكره العصبية البلهاء، فالإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام.. وحول ما يحدث فى العراق من حرب بين السنة والشيعة- أجاب فضيلة الإمام الأكبر بأن ما يحدث ما هو إلا مطامع للوصول إلى السلطة أو الحكم أما العقائد فلا يمكن أن تكون السبب فى الحروب بل الحقد والجشع والسيطرة

والظلم هو سبب ما يحدث، كما أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن العديد من الأسئلة التى دارت حول زواج المرأة بغير إرادتها، كذا عمليات التجميل التى تقوم بها بعض السيدات.

وكيل الأزهر يستقبل المستشار الإعلامى والسياسى للسفارة البريطانية

استقبل فضيلة الشيخ/ عمر الديب -وكيل الأزهر بمكتبه صباح يوم الإثنين ١٤ / ٥ / ٢٠٠٧م السيدة/ كلير هيلرين - المستشار الإعلامى والسياسى للسفارة البريطانية لبحث تنفيذ برنامج التبادل الطلابى، والترتيبات الخاصة بالمؤتمر السنوى الذى يعقد بين لجنة الأزهر للحوار بين الأديان وكنيسة كانتيرى ببريطانيا، خلال شهر سبتمبر القادم بلندن وكذلك دراسة زيارة أحد كبار علماء الأزهر لجامعة كامبريدج لإلقاء عدة محاضرات بالجامعة ضمن برنامج الحكومة البريطانية لاستضافة أحد كبار علماء الدين الإسلامى من مصر سنويا. وصرح فضيلة وكيل الأزهر أن الحوار بين الأديان أصبح له دور مؤثر وهام فى الفترة الأخيرة خاصة فى تقريب وجهات النظر فى مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية.

المجلس الأعلى للأزهر يوصى بإيقاف الدكتور عزت عطية

أصدر المجلس الأعلى للأزهر توصية لرئيس جامعة الأزهر بإيقاف الدكتور/ عزت عطية -رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر عن العمل وإحالته إلى لجنة تحقيق جراء ما صدر منه فى بعض الصحف وما يقال فى بعض الإذاعات المرئية أو المسموعة عن موضوع (إرضاع الكبير) مما يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامى الحنيف ويخالف مبادئ التربية والأخلاق ويسىء إلى الأزهر كمؤسسة إسلامية مرموقة.

وكيل الأزهر يتفقد سير الامتحانات

تفقد فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر لجان امتحانات النقل بقسميها العلمى والأدبى للمرحلة الثانية وكانت الأسئلة فى مستوى الطلاب المتوسطين ولم تخرج عن المنهج المقرر الذى تم دراسته فى الفصل الدراسى الثانى، كما أنه لم تحدث أية شكوى من طول الأسئلة أو صعوبتها، وتفقد فضيلته والوفد المرافق له معاهد المعادى بنين، وفتيات المعادى، والمعهد النموذجى بالمعادى، وكذلك معهد فتيات عمرو بن العاص، هذا وقد شدد فضيلته على ضرورة الالتزام بنظام الامتحانات وعدم السماح بأى تجاوزات سواء من قبل الطلاب أو الملاحظين، كما شدد فضيلته فى نفس الوقت على ضرورة توفير المناخ المناسب للطلاب حتى يؤدوا امتحاناتهم فى سهولة ويسر.

عبدالله مجاور رئيسا لقطاع مكتب الإمام الأكبر

صدر قرار الدكتور/ رئيس مجلس الوزراء رقم (١٠٠٢) لسنة ٢٠٠٧م -بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر بتعيين فضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور حسين- رئيسا لقطاع مكتب شيخ الأزهر بالدرجة الممتازة، وذلك حتى بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

الخزرجى أمينا عاما للمجلس الأعلى للأزهر

كما صدر قرار الدكتور/ رئيس مجلس الوزراء رقم (١٠٠٣) لسنة ٢٠٠٧م -بتعيين فضيلة الشيخ/ محمد عبدالحميد الخزرجى- أمينا عاما للمجلس الأعلى للأزهر بالدرجة الممتازة، وذلك حتى بلوغه السن القانونية المقررة لانتهاء الخدمة.

handsomeness, beauty, sublimity and manhood. Also, she was attracted to his brilliant leadership for his followers to the extent that they obey him as if they were his slaves.

She continued her speech saying: "There is a light coming from his neck; moreover, his eyebrows are equal, straight and linked in a way that adds beauty to the eyes and face. His hair is extremely dark".

My companion asked me: had 'Umm Ma`bad a camera to say this accurate description?

I told my companion: This is not the whole of what she said, as she continued in steadfastness and admiration to describe his personality among his companions, and the extent of their adherence to him. She said: "If he stopped talking, he becomes sublime. He is the most handsome person".

The old woman contemplated the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) and was extremely attracted to this great personality from the physical and moral regard. "He is better than them, and his speech is sweet and seems to be pearls that are organized in a beautiful way that can never be hated. His height was not extreme but lovely. No eye can surpass him to be directed to someone else for his extreme shortness". 'Umm Ma`bad did not only speak about his beauty and handsome features, but she also spoke about his relation to his followers. His beauty surpassed his honorable self to flow over his companions.

She is really a genius, intelligent and unique, and has accurate observation. She expresses his beauty which flowed over his companions as if it were a river that irrigates the land making it marvelously green. He is a river of good and benevolence which would flow over humanity if it followed his principles.

'Umm Ma`bad continues describing his overflowing flood, that he was not stingy with his companions. He looked as a brilliant branch among two branches appearing the most marvelous of them. She was not restricted to this brilliant physical description, but she surpassed it to the sides of the great personality and its effect on the surrounding people. She said there are people who were surrounding him with welcome and high esteem. She meant meeting around him without decreasing his esteem and rank. Also, she said:

"If he spoke, they listen to him, and if he orders them, they compete with each other to carry out his orders for the sake of gaining the honor of initiation".

She described him as being surrounded and served by his companions. She continued to say that they were listening to him with honor, were competing to obey his orders not because of any fear dominating their hearts. They did not feel as soldiers who carry out military orders, but they did so out of great love and high esteem. (All of these sentences were told in only a few words).

She said: he is neither frowning nor blaming, as he is not angry to the extent that they fear his anger, and did not exaggerate in blaming as they fear his blaming.

O 'Umm Ma`bad! You had given a detailed description for a small incident that took place in front of her eyes.

When her husband listened to her description, he said, "I think that he is one of Quraysh about whom some people are talking."

He confessed this fact although the disbelievers of Quraysh accused Mohammed (may the blessings and peace of Allah be upon Him) of all vices and faults. But the fire of grudge increases the brightness of gold.

Allah, Glory be to Him, says:

{So, as for the scum, then it goes away as jetsam and as for whatever profits mankind, then it stays in earth [Ar-Ra`d (The Thunder): 17]

The books on Mohammad's conduct narrate that the family of Ma`bad started describing their history from that day. They used to say, "We did so and so before or after the visit of the blessed man." It is narrated that 'Umm Ma`bad visited Medina accompanying an infant who can walk. When he passed by the mosque of the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) while delivering a speech, he ran towards his mother saying, "I saw the blessed man"

She said, "Do not say this word; he is the Messenger of Allah (may the blessings and peace of Allah be upon Him)".

My companion told me that it is really a great description and asked why this description was not published to be known by all Muslims?

"When he speaks, it seems as if pearls are flowing down, if one tries to count them, he will be able to do so."

Her words mean that if the listener tries to count his words, he would be able to do so. He speaks slowly, his words are clear and the letters of his words are accurately spoken. This satisfies the listener because if he tries to count his words, he could due to the beauty of his words, and the care and clarity of his letters. We ask Allah to grant us this attribute.

One of the companions told him in clear tranquility and great interest, "Speak more". Now I can say that my love for this beautiful miracle of manhood increases.

I told my companion, if you want me to speak more; I will tell you the saying of `Umm Ma`bad, whom I think you know. If you do not know her, I will narrate her saying which I want you to keep for many reasons, among which are:

First: It is the Sunnah and description of your Prophet

Second: It is the description of a woman who had not entered Islam yet, so it is completely far from flattery, close to reality and resulting from a first meeting and great innate impression.

Third: It is the history of glorious days

Fourth: Many people do not own such heritage and history. However, they pretend to have a civilization to which they fabricate history.

What we narrate is regarded the whole truth, miracle and perfection to guide any one who has straight nature searching for right and guidance. Also, it is directed to the one whom Da`wah have not reached

Now I can tell you the speech of `Umm Ma`bad which was during the immigration of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him), and before the end of this hard trip. The immigrants were tired due to the long distance; and they had run out of water and food. There was no one in sight except a tent in which an old woman lived with neither water nor food: `Umm Ma`bad. The following dialogue took place between the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) and `Umm Ma`bad:

The prophet asked `Umm Ma`bad: "Do you have food to sell?"

`Umm Ma`bad: If we had, we would not let you buy it. (Contemplate the noble Arab attributes and innate morals which have nowadays changed

into the worst morals, selfishness and horrible greed. Our nation suffers from these attributes to the extent that we sold our homeland cheaply to those who do not deserve to walk on its honorable sand.)

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) looked around and found a goat. Then, he asked for permission to milk it.

'Umm Ma`bad said: It has no milk, and it is very tired. She presented the goat as an evidence for her truthfulness.

The Prophet held the goat and wiped its back and breast with his hands. The goat set its back legs apart and its breast became full of milk. The prophet asked for a pot and milked the goat. He refused to drink first; rather he was the last one who drank to teach his nation the basics of real leadership. Leadership does not mean monopolizing advantages, on the contrary, his Shari`a is the essence of selflessness, care and sympathy for the people. He (may the blessings and peace of Allah be upon Him) says, "The one who quenches the others' thirst is the last one to drink." Then he left the pot full.

The husband of 'Umm Ma`bad came back home and saw the milk, and this astonished him. He asked about the source of milk saying, "Where did you get the milk when you do not have diary cattle?"

Note the following honest and accurate description for the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him)

'Umm Ma`bad answered: A blessed man passed by

Abu Ma`bad said: Describe this person.

(It seems that 'Umm Ma`bad found a good chance to express her admiration for the attributes of the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him)

'Umm Ma`bad said: I found a man whose face is extremely bright, and well-mannered. His head is small without deformity, and does not have a potbelly. He is handsome with very dark eyes. His eyelashes are very long and are curved upward. His voice is not sharp in a disturbing and repulsive way."

The old woman contemplated in the features of the prophet to a great extent, as she was occupied with counting his good attributes. She was attracted to him for his good looks and perfection in every way. It seems as if she devoted herself to contemplating him, following the features of his

His attributes are perfect …!

(May the blessings and peace of Allah be upon Him)[1]

By: The Honorable Sheikh: At-Taher Al-Hamedy

It is time to discuss the speech of Anas Ibn Malik – may Allah be pleased with him- in which he describes the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him). He says, "The Prophet was not extremely tall or short, neither albino nor black, and his hair was neither frizzled nor lank." He says, "It is the day I keep my promise to explain and simplify- if God wills- the saying of the scientists and to clarify some of the meanings. I want to be a reason for implanting his love in your heart because this seed already exists in the deepest part of the heart of every Muslim. You show this feeling in praying for peace for him and his followers. We are guided by his Sunnah and Shari'ah without exaggeration following his saying (may the blessings and peace of Allah be upon Him):

"This religion is strong; thus, follow it. Anyone who tries to surpass the religion is defeated by it."

Anas Ibn Malik – may Allah be pleased with him – says, "The Prophet was not extremely tall", by which he means that he was not tall in an excessive and exaggerated way. Also, he was not extremely short; on the contrary, he was moderate even in his creation. In the narration of Ibn`Asaker, you can see the extent of Allah's miracle. He says, "He seems to be at the height of every person walking beside him. This means that his height was moderate, and clarifies the marvelous miracle of his creation. If he sits, his shoulders become higher that all of those sitting around him". Perhaps the reason is not to let anyone to be impudent to him.

"He was neither albino nor black." His skin (may the blessings and peace of Allah be upon Him) was white mixed with lovely rose color. Also, he was not black; his hair was neither frizzled nor lank, but has the handsomeness of manhood. He (may the blessings and peace of Allah be upon Him) was perfect and moderate in every way.

The mother of the believers, `Aishah, (may Allah be pleased with her) described the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him) saying:

[1] An article published in Arabic at Al Azhar Magazine.

be upon him), he mentioned all of the prophets starting from Adam. Then, he started to talk about the prophet in a marvelous way saying: "The history of humanity is a group of inspirations, as you can see from one time to another a scream in the night, and a call amidst silence. There comes a sober man who wakes up trembling to walk in the path of right in imbalance till he awakens the others from their deep sleep. The prophets resemble the useful powers of nature such as the sun, rain, winter storms that shake the earth and turn it green in a few days. The prophets are evaluated by the results of their messages, and the best certificate they gain is the peace of mind, tranquility, support, patience at hard times, recovering the ill morals, invocations and the prayers that ascend to heavens"

This is about all of the prophets, but when Mohammad is concerned, the writer introduced his writing with this nice introduction. He says about the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon Him): "He is an illiterate, pious and innate person who is perfect and free from any corruption of mind or heart. He calls for righteousness and reforms the crooked paths in which wise men are lost. The people listen to his inspired words and examples.

{Surely Allah does not shy away from striking a likeness of even a gnat, or anything above it} [Al-Baqarah (the cow): 26]

He takes them to the secrets surrounding them in a state of humbleness. They are guided to a living principle which they can not find in the advice of the philosophers and the opinions of the most famous politicians. Mohammad appeared at the darkest period of history in which the countries extending from Greece to India were disturbed and confused".

This comprehensive look at Mohammad among his fellow prophets and to the world of Quraysh was accurate and meditating. It aims at seeing the effect of Mohammad on the world of evils and sins, and the way the defenseless orphan was patient amidst the fierce monsters.

They insisted on killing him to get the enslavement and savagery they want, as they intended to let the poor struggle without getting anything except crumbs. It is natural that the researcher goes back to what is known throughout the life of this brilliant prophet to get back to this marvelous period according to his sharp sight and the great victory he carried out.

1 – Mohammad, in most of his life, was incredibly moderate. His final conquest implies greatness which rarely exists. He ordered his soldiers not to harm the weak, the old, the women and children, warning them not to destroy houses nor trample the plants and crops. He ordered his soldiers not to use their swords except in cases of dire necessity. He told them, "One soul is better than the richest conquests". Yet, we find them blaming some of his leaders and correcting their mistakes.

Mohammad knew that Allah is the Most Merciful. Thus, he exerted great effort to be sublime above the human nature, and to overcome his tendency for revenge. In this regard, he said, "The merciful person resembles the prophets". His pains may have resulted from feeling that he did not reach the wholesomeness which he sought.

B- Mohammad believed in the spiritual world. He was that person who believed that hidden matters are more important than the physical phenomena. Perhaps the unseen surpasses the seen, as he sees that the spiritual system is the main system. The heart which is free from any lying or fake culture is strong when it adheres to spiritualities.

Mohammad's Da`wa created in the Arab Peninsula progress that can not be denied either with regards to family or society. The position of women improved, and the illegal sexual relations and temporary marriage was prohibited. Also, female slaves were prevented from committing obscenity to enrich their masters. Religious and moral people and the hermits find in Mohammad's Da'wah the main principles of their knowledge, as they regard it as their guideline. Also, they maintain the substantial principle which is "God is the basis of everything."

We are satisfied with the above-mentioned selections in this book. It is normal to find some opinions that are objected to for its ignorance of realities. It is not the fault of the writer; rather it is that of some of the historians and explainers. They filled the inherited books with fake phrases without paying attention to accuracy. These fake opinions have been transformed from an age to another. It had an echo in what the contemporaries wrote, among those the writer of "The life of Mohammad".

The chapters follow each other regarding the war of the wantons, the lady Khadija, the torture of Muslims, the Islam of Hamzah and `Umar, the

year of sorrow, immigration, the subsequent battles, Zainab, `A'ishah, farewell pilgrimage and death of the prophet. All of the elements of this chapter are famous, but what is incredible about the writer is his literary expression by which he expresses the famous incident as if it were new due to his bright literary style and his sublime feelings. We can take as an example what he wrote about Thawr Cave in which Mohammad and his companion hid, and the disbelievers approached the entrance of the cave while Mohammad was praying. The writer said:

"The miracle occurred there when the human soul was linked to the outer world. One of the plants of the mountain grew in the hole of the rock, and its branches grew in the rocks. The air played its role with the wonderful branches as they seemed to cover the entrance of the cave. A pigeon laid her eggs in the shadow of this tree, and the spider completed the miracle as it weaved its threads with its accurate geometry among the fragile light, and the moist shadow of the cave till the white pigeon, which is the love bird in the desert, resided in the middle and slept and the male flew around it. What love it is in this part of life. The three miracles mentioned in the Islamic history are: the weaving of the spider, love of pigeon and the growth of a tree, which are repeated every day in the land of Allah.

One of the disbelievers said, "Enter the cave", then "Umaiah Ibn Khalaf said, "What on earth are you saying? There is a spider that may have existed even before Mohammad's birth". The Quraysh men looked at the entrance of the cave and found a pigeon whose eggs they did not like to break. Also, they saw a tree and a spider's web. They shook their head and called each other to go away. Then, the Messenger heard the sound of their footwear and said, "Thank God, Allah is the Greatest."

I have never seen such a quiet expression in any prose, but I saw what resembles or rather surpasses it in Al Baroudy's poetry expressing the situation and talking about the two pigeons.

This is an example of the literary expression in writing. On the other hand, you can realize the intellectual contemplation which opens frequent circles in front of the eyes of the reader moving him from the private to the public, and from the partial to the whole. When the writer wanted to talk about the prophecy of Mohammad (may the blessings and peace of Allah

religion far from politics, as Kamal Ataturk wanted, is not the secularism demanded by most of the Turkish people. They prefer the liberal secularism which emphasizes the necessity of maintaining the personal freedom of religion. This transformation in the Turkish concept of secularism is considered as correction for the secularism of Ataturk. It is well known that it was not due to historical development like the style of the European secularism.

The threat of the Turkish troop of interfering to protect Ataturk's secularism is, in fact, directed to democracy which should prevail in the Turkish political life. This interference was one of the issues raised by the European Union during the negotiations over the acceptance of Turkey in the Union. The Union had demanded an end to the presence of the military camps in the cities of Turkey. The military has been the main political power in Turkey since the establishment of the Turkish Republic at the hands of Mustafa Kamal Ataturk almost a century ago. Ending or reducing the interference of the Turkish military in politics and abiding by the changes in economical, cultural and political aspects are requirements demanded by the European Union for acceptance of Turkey.

The Justice and Development Party has been engaged in these negotiations since the year 2002. The leaders of this party have shown considerable self-confidence and ability to understand the principles of Islam in an accurate and complete manner. They are also enlightened democrats, and this gives them the ability to understand the European concepts. Even though the geographical connection between Turkey and Europe is a small boundary that makes up only about 3% of the total area of Turkey, there is a long history of contacts, especially through wars between the Ottoman Empire and Europe. Actually, the Ottoman muslims left a lot of valuable Islamic monuments and examples of their culture and heritage in a large part of the European continent all the way to Vienna, the capital of Austria.

Thus, we do not advise the Justice and Development Party to stop the attempt to join the European Union. However, we want it to realize that the countries of the Union in its current state are not ready to accept Turkey in its Union. Thus, the party leaders should unite with the Islamic countries to appear as an active power in the international theater. At that moment, the countries of the European Union will welcome Turkey for fear of the Islamic coalition.

A look at the book of "The Life of Mohammad"

(May the blessings and Peace of Allah be upon Him)

By: Dr. Mohammad Rajab Al-Bioumy

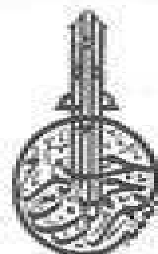
One of the companions talked about some of the attributes of the Prophet Mohammad (May the blessings and peace of Allah be upon Him) saying, "He was neither greedy nor tough. He was kind, merciful and hesitant when the inspiration did not appear for a long time, the matter that indicates the period of the abstention of the inspiration after the first time. He was kind with all, continuously simple in his appearance. He swept his room with his own hands, mended his cloths and shoes, milked his she-goats, lay on the ground in the mosque, rose up to open the door for a cat, cured an old cock, wiped the sweat of his horse with his handkerchiefs, gave alms all of his money, avoided all aspects of being a king in this life, prevented the people from calling him 'king', and did not have any minister or royal court except some consultants, books and a book and a ring in which "Mohammad, the Messenger of Allah" was engraved. There was no sieve in the house of Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon Him), so he kneaded the flour without a sieve. He blew the barley during its grinding to get rid of its bran. He used to make broth out of bran called khazirah. The well known bread of today was not known at that time. Sometimes, his food was limited to water, milk and dates. Food was put on a straw mat spread on the ground. He suffered from the pains of hunger more than once. He was forced to pawn his hauberk to a Jew because his house did not contain a measure of barley."

These selections are mentioned in the book "The Life of Mohammad".

I read an incredible chapter written by Dr. Mohammad Ghallab in a series of research papers published in Al-Azhar magazine in 1358 A.H. Its title is "Islam as viewed by the European people". He talked about Darmajam in his book in which this article is mentioned. I will quote some wonderful paragraphs from it which express the rank of the honorable Messenger in the writer's soul.

The following are parts of these paragraphs:

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadal-Akhera, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
July. 2007

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Turkey is a hand extended to the Islamic world and another attracted to the Christian west...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The West, with its unfair media, continue to attack Islam attributing it to terrorism. This is either due to awful racism, that is deep-routed in the souls of the western people, or ignorance of the reality of Islam and the noble Messenger sent by Allah, Glory be to Him, as a mercy for the people. They do so without exerting any effort in research or study, or any attempt to understand Islamic history.

Islam is a religion of guidance and reform. This fact is realized by everyone who reads the Noble Qur'an and the prophetic Sunnah. As for the wrong claims that Islam spread by the sword, it is a well-known fact that Islam spread in many places where the Islamic conquest did not exist such as in Africa, Asia and Europe. At the time when Islam is attacked and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is insulted, statistics indicate that the number of Muslims increases day after day.

In Turkey, Islam is embraced by its people, despite the secularism which was introduced by Kamal Ataturk. This fact explains the hesitation of the Christian West to allow Turkey to join the European Union. The cultural European heritage backs the Christian Greek and Roman eras. The West fears the integration of Turkey to it as it has seventy million Muslims; and its Ottoman conquests are still remembered.

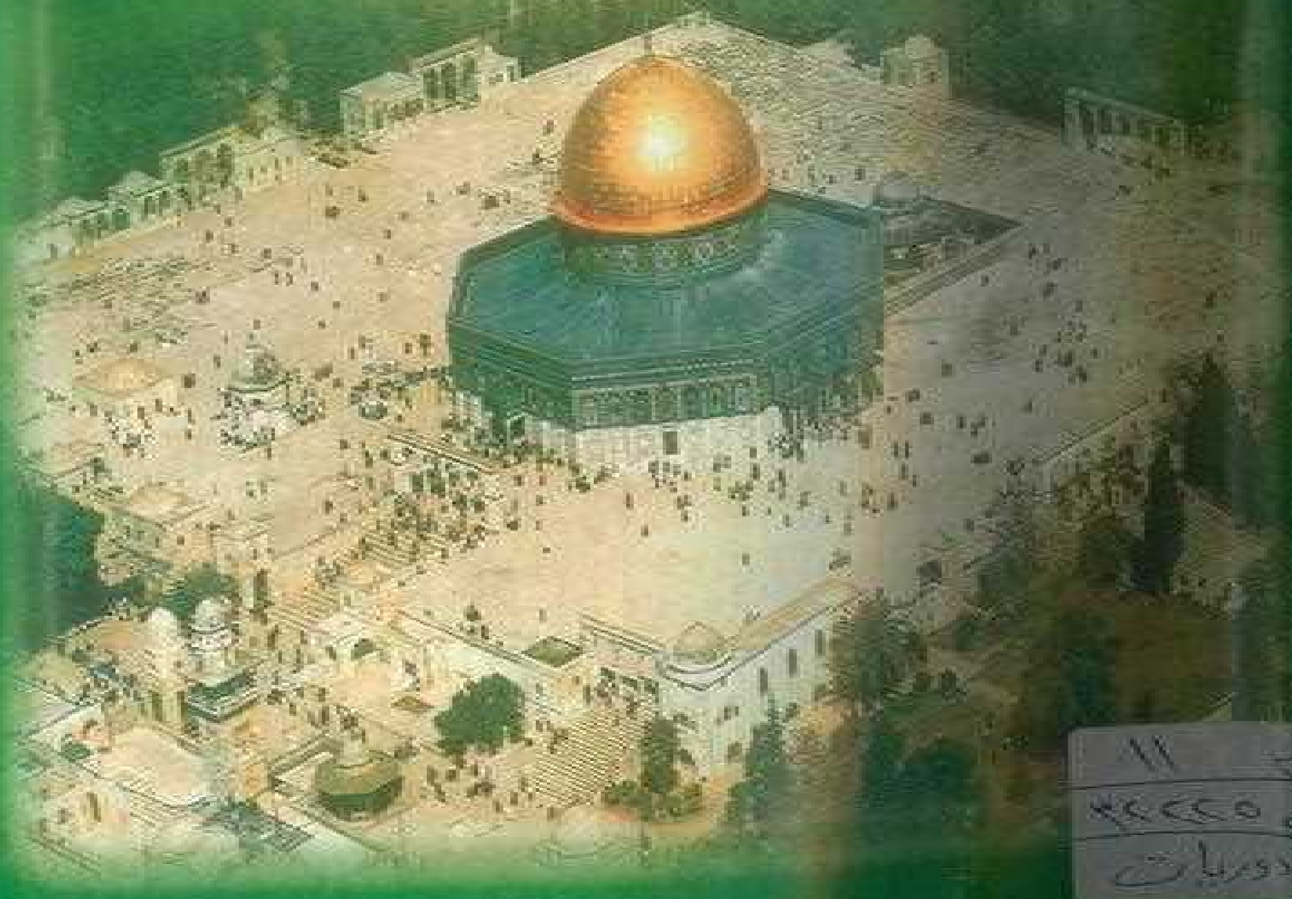
Moreover, the European leaders who tried to persuade the public opinion in the European Union to accept Turkey as a member such as Jack Shirak, Tony Blaire and Girha Rad Shruder have left or about to leave the political arena. Shruder has been replaced by the German consular, Angelia Mircl. Jack Shirake was substituted by Nicolay Sarcouzi who does not accept Shirake's political principles. Tony Blaire is about to leave the political arena. The new politicians, in general, do not want Turkey to have any existence in the European map. The obstacle which is put by the European Union in the way of Turkey's affiliation to it is the necessity of the commitment of Ankara to the Union customs agreement including the Greek Cyprus. This point is completely rejected by Turkey, as it considers it as a red line in abiding by conditions and standards necessary for gaining the membership of the Union. The secularism which is based on keeping

الفهـــرس

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
رجب ١٤٢٨هـ - يوليه / أغسطس ٢٠٠٧ - الجزء ٧ - السنة ٨٠

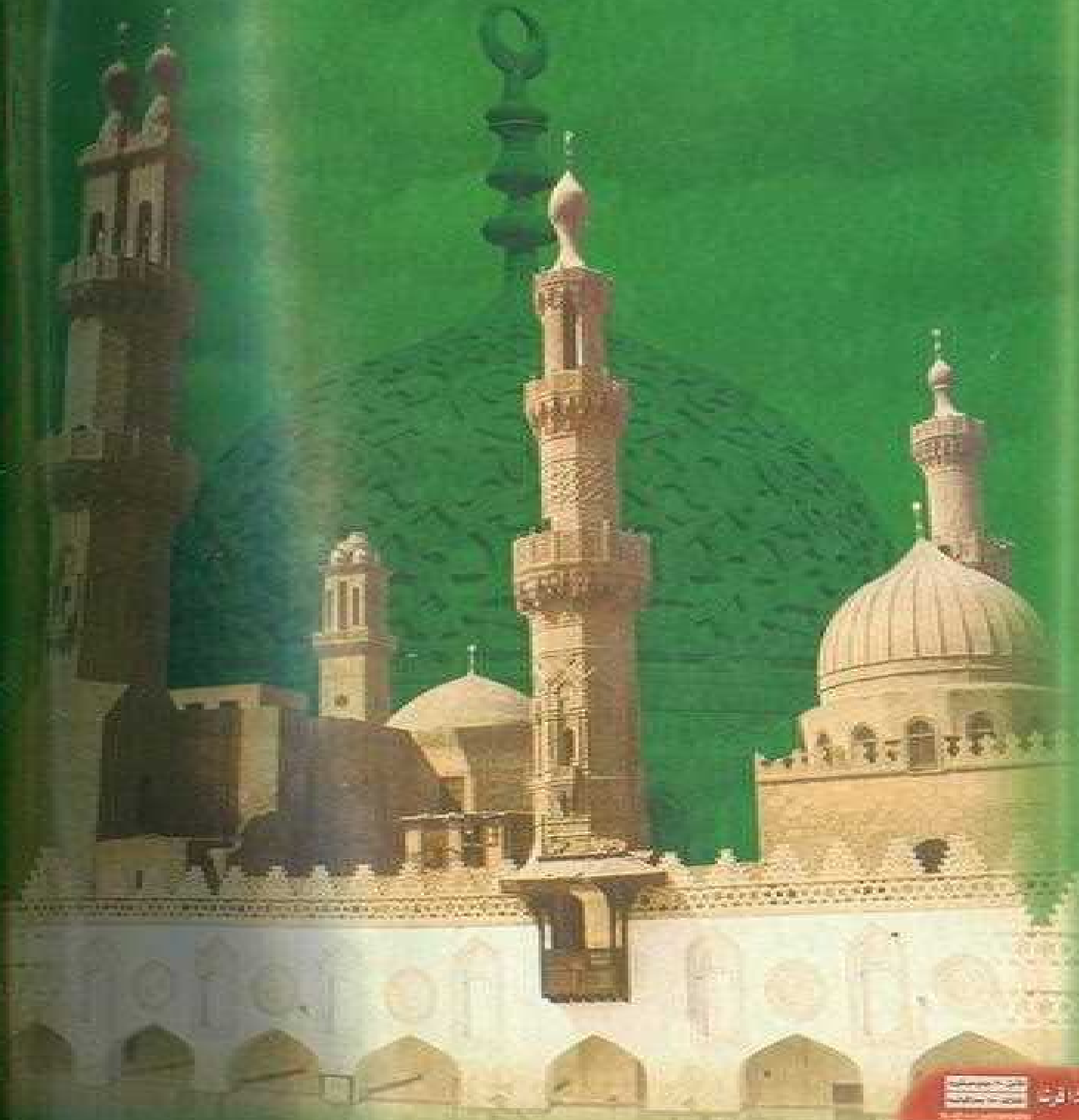
ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمرونه على ما يرى
(١٢) ولقد رءاه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى
(١٤) عندها جنة المأوى



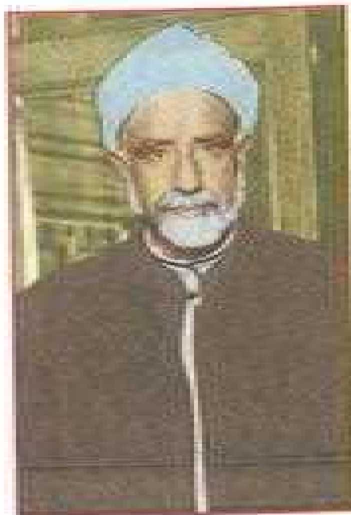
رجب ١٤٢٨هـ - يوليه/أغسطس ٢٠٠٧م - الجزء (٧) السنة (٨٠)
VOL. 80 , Part VII.

AL AZHAR
MAGAZINE

Rajab, 1428 A.H. July/Aug. 2007.
Vol. 80. Part VII.



بسم الله الرحمن الرحيم

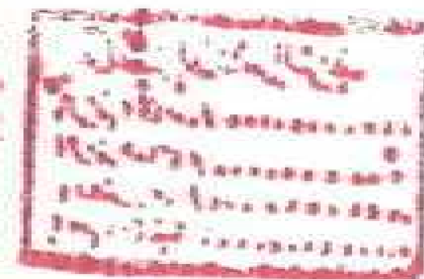


احتفالية الأزهر الشريف بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي «رحمه الله»

الجزء الثالث

الأزهر

يونيه / يوليه ٢٠٠٢م





الإمامُ المَراغيُّ وجُهودُهُ في الدَّعوةِ

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية

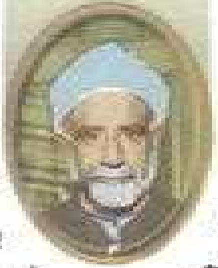
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..أما بعد:

فهذه دراسة عن حياة واحد من أئمة الإسلام، وعلم من خيرة الأعلام، هو الإمام الأكبر الشيخ /محمد مصطفى المراغي- شيخ الأزهر الأسبق-.

وتتناول الدراسة جانبًا مهمًا من حياة هذا الإمام الجليل، وهو جانب الدعوة وربما يظهر لبعض الذين يطالعون حياة هذا الإمام لأول وهلة أن جانب الدعوة في حياته غير بارز كغيره من الأئمة الآخرين، ولكننا حين ندقق النظر في جهوده ومواقفه التي خدم بها الأزهر والإسلام، والتي قام فيها بتطبيق عظمة الإسلام، والحرص على مكانة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وحين ندقق النظر في مواجهته للبدع، وتصديه لمن يحاول نشر ما ليس من الدين نرى أنه كان داعية بقوله وفعله.

وكان داعية بالقدوة والسلوك، ومما لا شك فيه أن الدعوة بالقدوة والسلوك أعظم تأثيرًا، وأقوى حجة وانتشارا؛ لأن حال فرد واحد في مائة بالقدوة أعظم وأكثر تأثيرًا من حال مائة متحدث في شخص واحد؛ لأن للقدوة أهميتها وأثرها، ومن هنا يتجلى لنا جانب الدعوة في حياة هذا الإمام الجليل الذي يعتز الأزهر الشريف به وبحياته وبتاريخه، وبمواقفه وجهوده التي تذكر فتشكر في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي خدمة الأزهر الشريف والأزهريين.

فجزاه الله خير الجزاء على ما قدم من جهود ومواقف وإصلاح في سبيل النهوض بالأزهر، وفي سبيل خدمة الدعوة الإسلامية بقوله وفعله وسلوكه وبالله التوفيق.



نشأة الإمام المراغي

اسمه ونسبه: هو الإمام محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، وينتسب إلى مراغة، وهي من أعمال جرجا.

مولده :ولد - رحمه الله - في اليوم التاسع أو الخامس من شهر مارس سنة إحدى وثمانين وثمانمائة وألف ميلادية.

نشأته :بدأ حياته منذ الطفولة بحفظ القرآن الكريم وتعلم في الأزهر الشريف حيث ألحقه والده بالأزهر .

واتصل الشيخ المراغي بالإمام محمد عبده واستفاد من محاضراته في التفسير والتوحيد والبلاغة وتأثر بمنهجه ودعوته الإصلاحية.

أول عمله :وبعد أن تخرج المراغي تولى قضاء (دنقلة) في السودان والذي اختاره لهذا المنصب هو الإمام محمد عبده عندما طلبت الحكومة السودانية من الشيخ /محمد عبده اختيار قضاة السودان الشرعيين، فكان المراغي في مقدمة القضاة الذين اختارهم الشيخ محمد عبده.

قال الشيخ المراغي :ذهبت لوداع الشيخ/ محمد عبده ليلة سفري إلى السودان لتولي قضاء مديرية (دنقلة) في نوفمبر سنة ١٩٠٤م، فسألني :هل معك رفقاء السفر؟، فقلت :نعم بعض كتب آنس إليها وأستديم بها اتصالي بالعلم، فقال :أو معك كتاب (إحياء علوم الدين للإمام الغزالي؟) فقلت :نعم، فقال «هذا الكتاب لا يجوز لمسلم أن يسافر سفرًا طويلا دون أن يكون رفيقه»، وكان الإمام المراغي محبًا للإمام الغزالي قال فيه : «إذا ذكرت أسماء العلماء اتجه الفكر إلى ما امتازوا به من العلم وشعب المعرفة»

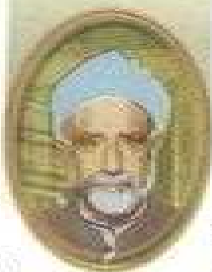
فإذا ذكر ابن سينا أو الفارابي خطر بالبال فيلسوف عظيم من فلاسفة الإسلام.

وإذا ذكر ابن عربي خطر بالبال رجل صوفي له في التصوف آراء لها خطرها.

وإذا ذكر البخاري ومسلم وأحمد خطر بالبال رجال لهم أقدارهم في الحفظ والصدق والأمانة والدقة ومعرفة الرجال.

أما إذا ذكر الغزالي فقد تشعبت النواحي ولم يخطر بالبال رجل واحد؛ بل خطر بالبال رجال متعددون لكل واحد منهم قدرته وخطره يخطر بالبال الغزالي الأصولي الحاذق الماهر، والغزالي الفقيه الحر، والغزالي المتكلم إمام السنة وحامي حماها، والغزالي الاجتماعي الخبير بأحوال العلم وخفيات الضمائر ومكنونات القلوب، والغزالي الفيلسوف الذي ناهض الفلسفة، وكشف عما فيها من زخرف وزيف، والغزالي المربي، والغزالي الصوفي الزاهد ..وإن شئت فقل :إنه يخطر بالبال رجل هو (دائرة معارف) عصره[1]، رجل متعطش إلى معرفة كل شيء نهم إلى جميع فروع المعرفة.

(1) مشيخة الأزهر /علي عبد العظيم جـ ٢



من جهوده فى الدعوة

كان الإمام المراغى فى دعوته يتمسك بمنهاج الإسلام الذى أمر الله- تعالى- به رسوله ﷺ فى قوله تعالى

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(النحل: ١٢٥)

والذى يتتبع آراءه وفتاويه يدرك أنه كان سمحًا ميسرًا؛ اتباعًا لتوجيه شيخه الإمام/ محمد عبده؛ وعملًا بنصيحته التى تصح، فكان يطبق نصيحة شيخه الإمام / محمد عبده فى هذا الصدد، وهى: «العلم هو ما ينفعك وينفع الناس».. ومن جهود الإمام المراغى قيامه بالدعوة العامة لإصلاح المجتمع، وقال فى هذا:

إن لدى الأمة قضايا كثيرة معقدة فى حاجة إلى الدرس والبحث، وفى مقدمتها:

١ - قضية الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين.

٢ - قضية التعليم الدينى على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب وأخرجته العقول.

٣ - حماية الدين من العدوان والدعوة إليه كما أمر الله تعالى.

٤ - قضية نظام الأمم الإسلامية وارتباط بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر.

٥ - قضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمورهم بحيث تخفف عنهم أعباء الحياة.

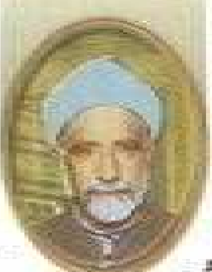
٦ - مقومات الأمم الإسلامية التى يجب أن يحافظ عليها.

وعندما اعترضته عقبات الدولة آنئذ فى تحقيق ما ينشده من أهداف كان عليه أن يوضح للجميع موقفه واحتجاجه فى أسلوب يدعو الجماهير والمسئولين وأبناء الأزهر أجمعين إلى التأمل فلم يتزلف إلى أحد ولم يمار أو يحاول الرجوع؛ بل أعلن احتجاجه بتقديم استقالته من منصبه فى العاشر من أكتوبر سنة ١٩٢٩م وقبلت استقالته ..وهو موقف يدل على تمسكه بالحق وإصراره على الأهداف التى رآها ضرورية.

وعكف بعد استقالته على البحث والعلم والدراسة ومراجعة ما قام به المصلحون من قبله وخاصة الإمام /محمد عبده.

وقام كثير من أهل العلم وأبناء الأزهر وعلمائه وطلابه واشتعلت مظاهرات واضرابات وتنادى المصلحون بعودته إلى الأزهر فلم يقف المسئولون فى مواجهة تلك الثورات فصدر المرسوم الملكى بإعادته شيخًا للأزهر فى السابع والعشرين من أبريل سنة ١٩٣٥م فعاد تؤيده الآلاف من العلماء ومن الطلاب والشعب والمسئولين والرأى العام وأخذ يباشر دعوته فى الإصلاح بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومن جهوده فى مجال الدعوة :إنشاء لجنة الفتوى بالأزهر واشترط أن تتكون من رئيس للجنة وأحد عشر عضواً؛ منهم ثلاثة من الأحناف، وثلاثة من المالكية، وثلاثة من الشافعية، واثنان من الحنابلة ..ولا تزال لجنة



الفتوى قائمة حتى الآن.

كما قام فى مجال الدعوة - أيضًا - بإنشاء "قسم الوعظ والإرشاد"، وأقام مسابقة لاختيار علمائه، ثم أنشأ تخصص الوعظ وكان هذا القسم فى بداية أمره آنئذ تابعًا لشيخ الأزهر.

نموذج من كلامه فى مجال الدعوة

لقد خرج بالدعوة من النطاق المحلى إلى العالم فأسهم فى بعض المؤتمرات الدولية، وذلك باشتراكه فى مؤتمر الأديان العالمى فى الثالث من يوليو سنة ١٩٣٦م، وقد أرسل رسالة إلى المؤتمر ألقاها نيابة عنه الأستاذ /عبد العزيز المراغى وترجمت إلى عدة لغات أجنبية، وعلى أثرها انتخب رئيسًا فخريًا للمؤتمر، وجاء فى كلمته:

"لا أعتقد أن التقدم العلمى والفلسفى قادر على التغلب على العوامل المدمرة وإزالة أسبابها، فقد شاهدنا الحروب تزيد هؤلاء وحشية كلما تقدم العلم ..إن الأديان كلها قد اعتمدت على أصل راسخ عن غريزة التدين دفعته إلى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر .وتعلم أن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسئولية والجزاء."

كما دعا إلى ترجمة معانى القرآن الكريم؛ لينير العالم ويدعوه بهدى القرآن، ومن أجل أن يدخل الناس فى دين الله أفواجًا، وقوبلت دعوته بالمؤيدين والمعارضين حتى كتب فى هذا بحثًا قيمًا نشره وأخذ رأى هيئة كبار العلماء فكانت الإجابة بالفتوى الشرعية الآتية:

«الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد :فقد اطلعنا على جميع ما ذكر بالاستفتاء المدون بباطن هذا، ونفيد بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلًا فى السؤال جائز شرعًا، والله - سبحانه وتعالى- أعلم."

وعقب على هذه الفتوى الشيخ /عبد الرحمن عليش الحنفى من جماعة كبار العلماء بهذه العبارة: «حيث إن الترجمة الواردة هى ترجمة لمعانى التفسير الذى يضعه فهى جائزة شرعًا بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة المذكورة"[٣]

ومع أن الشيخ المراغى لم تكن له شهرة بالدعوة والإكثار فيها إلا أن قيامه بالدعوة من الناحية الموضوعية والجوهرية جعل اسمه يتردد فى كل المجالات والأجيال وقد نقل الأستاذ الدكتور /محمد رجب البيومى فى كتابه "المجتهدون فى ميدان التشريع "ما يشير إلى ذلك حين نقل ما كتبه الشيخ/ محمد محى الدين عبد الحميد عن الشيخ المراغى فى مجلة (الكتاب) قوله:

«لقد ملأ الدنيا فما من رقعة من رقاع الأرض الفسيحة يعنى أهلها بشئون العرب والإسلام إلا وفيها عن بعض شأنه حديث، وما من بيت

(٣) مشيخة الأزهر للأستاذ على عبد العظيم.



من بيوت الشرق الإسلامي إلا كان في سامر أهله منه ذكر"(٣)

مناهضة المراغي للحركات التبشيرية

من أعظم محاور الدعوة لكل داعية أو مسئول ديني أن عليه مناهضة من يحاول العدوان على الإسلام ومحاربته ونشر الأفكار الفاسدة، أو النظريات الوافدة، فليست الدعوة أن تقوم بنشر تعاليم الإسلام فحسب؛ بل من أهم محاور الدعوة وأساليبها مناهضة التيارات والتحديات التي تحاول محاربة الإسلام، ونشر الأفكار الهدامة.

وفي هذا المضمار كان للمراغي دور مهم حيث واصل الجهود المكثفة في محاربة الحملات التبشيرية التي انتشرت في السودان آنئذ، فلما علم بنشاط المبشرين احتج ووضح موقف الأزهر ضد هذا التبشير وأرسل إلى حكومة السودان وطالب بالتدخل لوقف هذه الحركات.

«وقد حمل هذا الموقف المناهض من جانب المراغي للنشاط التبشيري في السودان أن قام رئيس الوزراء بإرسال برقية إلى الحاكم العام في السودان يبلغه احتجاج مصر وعلمائها على هذا العمل، فرد الحاكم العام (سايمس) بشرح الموقف وطمأن(٤) مصر وعلماءها والإمام الأكبر على المسلمين في السودان."

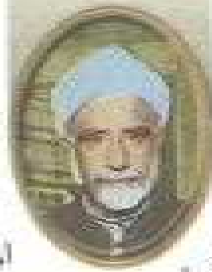
جهود الشيخ المراغي
في دعم الوعظ والإرشاد

نهض الإمام المراغي برسالة الوعظ والإرشاد باعتبارها رسالة الأزهر التي يجب الحفاظ عليها ودعمها، وقام بإرساء القواعد التي تنهض دعوة الوعظ والإرشاد عليها، وقد تحدث عن هذا العمل بقوله" :لقد كان الأزهر يحتضر منذ سنوات؛ ففي سنة ١٩٢٨م أرادت وزارة الأوقاف أن تنشئ مدرسة للوعظ والإرشاد ووضعت في ميزانيتها مبلغًا من المال لإنشاء هذه المدرسة، وفي ذلك التاريخ كانت هناك مدرسة للغة العربية، ومدرسة للقضاء الشرعي فلو أن مدرسة الوعظ كانت أنشئت في وزارة الأوقاف لكان علماء الأزهر الآن- بين جدران الأزهر- كأنهم من الآثار القديمة التي يجئ السائحون للنظر إليها ولا صلة لهم بالحياة العامة في بلادهم.

ولكن الأزهر الحديث استطاع أن يتصل بالعالم، وأن ينفرد بشئون القضاء والوعظ والإرشاد إلى أن قال: «منذ ثلاثين سنة كنت مفتشًا في وزارة الأوقاف وقد فكرنا في ذلك الوقت في إيجاد خطب للمساجد أحسن من تلك الخطب المطبوعة التي كانت تتلى دائما للناس ولا تتغير وأعلنا عن ذلك فجاءنا (٥٠٠) خمسمائة خطبة لم تستطع أن تنتقي منها واحدة تقول إنها صالحة؛ أما الآن فقد وجد في الأزهر

(٣) من كتاب "المجتهدون في ميدان التشريع" أ.د محمد رجب البيومي طبع الأزهر.

(٤) الإمام المراغي أ.د محمد الشحات الجندي.



خطباء ووعاظ ومرشدون يمكنهم أن يرتجلوا الخطب وأن يكتبوها»(٥)

وهكذا كان لهذا الإمام الجليل دور مهم في النهوض بالدعوة والدعاة؛ نظرًا لأن الدعوة هي جوهر رسالة الأزهر الشريف لنشر تعاليم الإسلام، وهو الدين العالمي الذي بعث به رسول الله ﷺ رحمة للعالمين.

نموذج من مواقفه البطولية في الدعوة

لقد كان لخطبة الإمام المراغي يوم أعلنت الحرب العالمية الثانية أكبر الأثر في نفوس الجميع وقال كلمته المشهورة: «هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل."

وكان لخطبته أكبر الأثر حيث أعلن فيها رأي مصر وأنها ليس لها مصلحة من الاشتراك في الحرب ..ومن مذكرات الأستاذ أبو الوفا المراغي نقلا عن كتاب" :الإمام المراغي" للأستاذ /أنور الجندي: ولقد أحدثت هذه الخطبة ضجة هائلة وقامت لها الحكومة المصرية وقعدت، واهتزت لها بريطانيا هزًا عنيفًا، وطلبت إلى الحكومة المصرية بيانًا عن هذه الفكرة، واتصل به رئيس الوزراء، وخاطبه في لهجة تفوح منها رائحة التهديد فثارت ثائرته، وقال له: «مثلك يهدد شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه- بين المسلمين- من رئيس الحكومة، ولو شئت لرقيت منبر مسجد الحسين وأثرت عليك الرأي العام ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب.."اهـ

وتعود فنقول :لقد كان لكلمة الإمام المراغي يوم إعلان الحرب العالمية الثانية:

"هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل "وقعها وأثرها فقد هزت الدنيا وهكذا تجلت شجاعته، وقوة شخصيته؛ لأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم.

والناظر إلى دروسه الرمضانية، والتي كان يحضرها الملك ويستمع إليها يرى فيها نماذج للشجاعة في قول الحق، وإبداء البطولة في المواقف وفي الدعوة، ولقد كانت دروسه قمة في الفكر وفي منهج الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى-.

وإذا قرأنا مقدمة هذه الدروس التي كتبها الشيخ المراغي نراه قال في افتتاحية الدروس يقول الله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

موسم من أكبر مواسم البر والخير يشتد فيه اتصال المؤمنين بربهم وتتحرك فيه عاطفة الخير وعاطفة الإحسان، وقد جرت عادتك فيه على إعزاز كتاب الله وإحياء سنة السلف الصالح من خيار المؤمنين، تستمع فيه إلى آي الكتاب وتفسير آي الكتاب، أعزك الله بدينه، وأعز دينه بك،

(٥) الإمام المراغي للأستاذ أنور الجندي.

وفقك للخير وأعانك عليه"[٦].

وهى دروس تفيض غزارة فى العلم ودقة فى التحليل، وتأثيرا فى النفوس اشتمل كل درس على معلومات ضافية ودعوة مخلصة أمينة للإسلام تسير على منهج الدعوة التى أمر الله بها فى قوله -تعالى-:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل: ١٢٥)

مؤلفاته

لم تكن مؤلفات الإمام المراغى كثيرة؛ لأنه كان مشغولا بالإصلاح فى الأزهر وخارج الأزهر، ومن مؤلفاته:

١ - الأولياء والمحجورون ..وهو بحث فقهى فى موضوع الحجر على السفهاء.

٢ - التفسير للمراغى.

٣ - بحث فى وجوب ترجمة معانى القرآن الكريم.

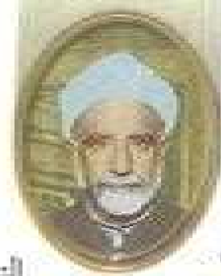
٤ - رسالة: «الزمالة الإنسانية» كتبها لمؤتمر الأديان بلندن.

٥ - بحوث فى التشريع الإسلامى.

٦ - مباحث لغوية بلاغية.

٧ - الدروس الدينية ..ونشرت فى كتيب

٨ - مقالات وخطب عديدة.



نماذج من دروس الإمام المراغى

ونقدم هنا بعض النماذج من الدروس التى كان يلقيها الإمام المراغى فى شهر رمضان المبارك، وكان الملك يحرص على حضورها والاستماع إليها.

نقدمها لما تشتمل عليه من دروس وعبر ومعلومات قيمة تدل على أنه كان ذا قدم راسخة فى العلم، وذا حجة قوية فى الدعوة إلى الله -تعالى-.

والذى يقرأ هذه الدروس، أو يستمع إليها يرى تحليلا علميًا دقيقًا، وفكرًا دينيًا عميقًا، وإلى جانب هذا وذاك يستشعر روح الداعية المخلص، الذى يعنى بالدعوة إلى الله فى خير وإخلاص، وحب شديد لله ولرسوله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

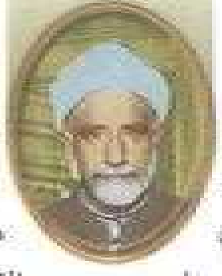
الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧) ﴾

(هود: ١١٢ - ١١٧)

(٦) الدروس الدينية، مطبعة الأزهر.



جاءت هذه الآيات إثر تمهيد طويل سيقت فيه أخبار أمم خلون، وبينت فيه دعوة الرسل وعلاقاتهم مع هذه الأمم، وما لقى الرسل من جحود وعناد، وما أصاب الأمم من القوارع والمحن بسبب هذا الجحود والعصيان.

وفى هذا القصص عبرة وعظة، وفيه تحذير من الوقوع فى مثل ما وقعت فيه تلك الأمم، حتى لا يقع من العذاب مثل ما وقع عليها، وفيه تسلية للنبى ﷺ عما يلاقيه من الأذى والعناد، ليثبت على الدعوة ويقوى ويصبر.

وبعد هذا القصص الذى يعد النفوس لقبول الحق، ويقوى الهمة لامتثال التكاليف، طلب الله- سبحانه- الاستقامة ونهى عن الطغيان والظلم، وطلب العبادة والصبر، وهذا هو كل الدين على طريقة الإجمال.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(هود: ١١٢)

قيل إنه لم ينزل على النبى ﷺ آية فى القرآن أشد من هذه الآية ..وروى عنه أنه قال: «شيبتى هود وأخواتها.»[٧]

والاستقامة :السير على الطريق المستقيم، وهو الدين القيم الذى ابتعث الله به محمدا ﷺ من عقائد وأخلاق وعبادات وشرائع، فهى كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل ..ومن الأمور المطلوبة منه ﷺ ما هو خاص به مثل تبليغ الأحكام والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء الرسالة ..ومنها ما هو مطلوب منه ومن أمته مثل الصلاة والصيام والحج وما إلى ذلك من التكاليف العامة ..ومعنى ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ أى وليستقم من تاب عن الكفر ورجع عنه وصار معك، وليحافظ على ما أمر به، وليؤده كما أمر به.

أمر ﷺ وأمر أتباعه بالاستقامة، ونهوا عن الطغيان وهو تجاوز الحد إما بالإفراط وإما بالتفريط، فليس لهم أن يحلوا حرامه ولا أن يحرموا حلاله، وليس لهم أن يغلوا فى الطاعات، فإن الغلو مذموم، كما أن التفريط مذموم و "لن يشاد الدين أحد إلا غلبه"[٨] "ألا وإن هذا الدين غض طرى، ألا فأوغلوا فيه برفق."[٩] ليس لهم أن يبدلوا كيفية العبادة، وليس لهم أن يجتمعوا على عبادة لم يجتمع عليها سلف الأمة، وليس لهم أن يتجبروا وأن يتكبروا، وأن يكونوا للناس سادة، وأن يتخذوا الناس عبيدا، وليس لهم أن يظلموا أحدا وأن ينالوه فى ماله أو نفسه أو عرضه؛ كل هذا طغيان نهى النبى ﷺ عنه ونهيت أمته.

وبعد أن أمرهم بالاستقامة ونهاهم عن

(٧) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص٩.

(٨) صحيح البخارى ج١ ص٢٣.

(٩) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١١ ص٢٩٧.

الطغيان حذرهم العاقبة وخوفهم نفسه فقال:

﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾

فهو عليم به وشاهده لا تخفى عليه خافية، وسيجازى عليه ..والآية تدل على وجوب اتباع النصوص كما هي في العقائد والعبادات، وعلى وجوب اجتناب الرأي فيها، والله- سبحانه- هو الذي طلب الشيء وطلب أن يكون كما أمر به، هو العليم بمعاني كلامه، فإذا لم تكن المعاني اللغوية مما يشهد لها صريح العقل وجب أن يفوض الأمر فيها إلى الله، والله- سبحانه- حدد طريقة عبادته، فليس لأحد أن يدخل الرأي فيها. وفيما عدا العقائد والعبادات مما وضع لإصلاح الاجتماع ونظام الأمم تتبع النصوص، وتطلب المدارك، ويصح القياس والاجتهاد، وتوضع النظم فيما لم يرد فيه نص، على أن يكون كل نظام غير مخالف لأغراض الكتاب.

﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

(هود: ١١٣)

الركون إلى الشيء :السكون إليه، والميل إليه بالمحبة والاستناد والاعتماد عليه، معاضدة الظالمين ومناصرتهم وحبهم ركون إليهم، وتحسين أعمالهم لهم وتزيينها للناس ركون إليهم، والاعتماد عليهم والانتصار بهم: ركون إليهم، وموالاتهم: ركون إليهم، وإقرارهم على الظلم في الأعمال العامة: ركون إليهم؛



وكل ذلك منهي عنه، وقد جعل الله جزاءه النار.

وإذا كانت النار جزاء الذي يركن إلى الظالم، فكيف يكون حال الظالم نفسه؟! والغرض من هذه الآية تقبيح الظلم والتنفير منه والنهي عنه بهذا الأسلوب القوي المنفر من الظلم والظالمين .وقد أخبر الله -سبحانه- أن الذين يركنون إلى الظالمين لا يجدون أولياء وأنصار يخلصونهم من النار، وأن الله- سبحانه- لا يغفر لهم ولا ينصرهم. وهذا معنى قوله:

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

(هود: ١١٣، ١١٤)

إقامة الصلاة أداؤها على الوجه الأكمل وإدامتها بعد أن أمر النبي بالاستقامة ونهى عن الطغيان، أمر بإقامة الصلاة التي هي أعظم العبادات، وهي الوسيلة التي يستعان على امتثال الأوامر واجتناب النواهي

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وهي العبادة المذكرة بالمعبود، والتي يستحضر فيها جلاله وجماله وعظمته ومجده.

وطرفا النهار :الغداة والعشي، أو

البكرة والأصيل .والزلف :ساعات من الليل قريبة من النهار .وقد أجمعوا على أن صلاة الغداة هي صلاة الفجر، واختلفوا بعد ذلك في صلاة العشي التي تقع في الطرف الثاني؛ فقال بعضهم هي صلاة الظهر والعصر، وروى ذلك عن مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي، وعلى ذلك تكون الآية مشتملة على الصلوات الخمس :الفجر في الطرف الأول، والظهر والعصر في الطرف الثاني، وصلاة الزلف من الليل وهي صلاة المغرب والعشاء.

وقال أبو جعفر :أولى الأقوال عندي أن الصلاة التي في الطرف الثاني هي صلاة المغرب؛ لأنهم حين أجمعوا على أن الأولى صلاة الفجر وهي تقع قبل طلوع الشمس، وجب أن تكون الثانية هي المغرب؛ لأنها تُصلى بعد الغروب.

وعن الحسن :بين الله ـ سبحانه- مواقيت الصلاة في القرآن، فقال:

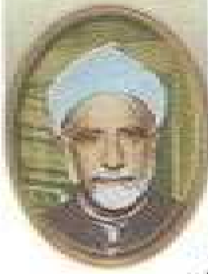
﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾

(الإسراء: ٧٨)

ودلوك الشمس :زوالها عن كبد السماء؛ حيث يكون لها فيء في الأرض، فهي صلاة الظهر، وقال:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾

(هود: ١١٤)



وهي :صلاة الفجر، وصلاة العصر، ثم قال:

﴿ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾

(هود: ١١٤)

والصلاة المقصودة بذلك صلاة :المغرب والعشاء .وعنه ﷺ (زلفتا الليل) المغرب والعشاء.[10].

وقد اختلف العلماء في الحسنات المرادة في هذه الآية؛ فقيل إن المراد بها الصلوات الخمس، وروى ذلك عن مجاهد والضحاك وابن عباس لقوله ﷺ (جعلت الصلوات كفارات لما بينهن)، ولقول: «مثل الصلوات الخمس مثل نهر جار على باب أحدكم ينغمس فيه كل يوم خمس مرات فماذا يبقين من درنه؟[11] "ويقرب هذا المعنى أن قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾

(هود: ١١٤)

جاء عقب الأمر بإقامة الصلاة، والوعد على إقامتها بالخير الجزيل من الثواب أولى من الوعد به على شيء لم يجر له ذكر من الأعمال الصالحة غيرها. وقيل إن الحسنات هنا عامة ولا شك أن الصلاة من أكبر الحسنات، كأنه قيل أقم الصلاة؛ لأنها حسنة من الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات .والمراد من السيئات هنا صغار الذنوب، والحسنات

(١٠) تفسير الطبري ٧/١٣٤.

(١١) صحيح مسلم ج١ ص ٤٦٣.

يذهبنها إذا اجتنبت الكبائر.

وقوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾

(هود: ١١٤)

معناه :أن ذلك الوعد الذى وعدت به من إقامة الصلاة، والوعيد الذى أوعدت به على الطغيان، تذكرة ذكرت بها أقواما يذكرون الله، ويخافون عقابه، ويرجون ثوابه ..أما الذين طبع الله على قلوبهم فلا يجيبون داعيا، ولا يسمعون زاجرا.

﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(هود: ١١٥)

الزم الصبر على ما تلقاه من أذى قومك، وعلى ما تسمعه من المكروه .والصبر أفضل الأخلاق وأكمل الحسنات، يُنال به الظفر، وتدنو الغايات، وتتحقق المقاصد:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(هود: ١١٥)

بل يوفر لهم الجزاء وهم أحوج ما يكونون إليه.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

(هود: ١١٦)

لولا :للتحضيض مع الأسف والتفجع الذى يقع عادة من البشر، على هذه الأمم التى لم تهتد؛ بل غرقت فى الضلالة حتى هلكت .ونظير ذلك:

﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(يس: ٣٠)

والمعنى أن هذه الحالة من شأنها أن توجد الأسف والحسرة، وأن يتمنى المرء أنه وجد فى هذه الأمم خيار لهم عقل وحزم ينهون عن الفساد فى الأرض، ويعتبرون بالآيات، ويتدبرون الدلائل، ويعرفون ما يكون لهم بالإيمان، وما يكون عليهم بالكفر والعصيان.

يقال :فلان من بقية القوم أى :خيارهم؛ وأصل ذلك أن الرجل يبقى مما يخرجه أجود ما عنده وأفضله، فصار ما يبقى مثلا فى الجودة.

وقوله: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ معناه :لكن كان منهم خيار قليلون نهوا عن الفساد فى الأرض؛ ولذلك نجاهم الله ـ سبحانه- من العذاب، وأهلك الأكثرين.

ومعنى:

﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ﴾

أى اتبعوا الشىء الذى أترفوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها، وآثروه على أعمال الآخرة، وتجبروا وتكبروا، وتركوا الحق، فصاروا بذلك مجرمين.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾

(هود: ١١٧)

فسر بعضهم الظلم هنا بالشرك، ومنه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(لقمان: ١٣)

والمعنى على ذلك :أن الله لا يهلك القرى بسبب الشرك إذا كان أهلها متبعين قواعد العدل والإنصاف، سائرين على المنهج القويم فى الحكم وفى إصلاح الأرض واستثمارها وجنى منافعها.. وقيل :إن المعنى أن الله لا يهلك القرى ظلما منه إذا كان أهلها مصلحين، وإذا أهلكها فهو يهلكها لفساد أهلها وبغيهم وظلمهم، والله -سبحانه- منزه عن الظلم

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

(الكهف: ٤٩)

الدرس الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

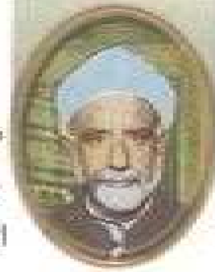
(هود: ١١٨-١١٩)

عندما وجد الإنسان على الأرض كان يعيش عيشة البداوة، لا هم له إلا أن يحفظ نفسه من عاديات الأنواع الأخرى، ومن قسوة الطبيعة، ولا يفكر إلا كيف يعيش، ليس لديه من المعلومات والمعارف ما به ينظر فى العلل والمعلومات وفى الحق والباطل، وتدرج بعد ذلك فى التفكير، وطرق النظر، فوجد الاختلاف؛ وهذا الاختلاف طبيعى فى نوع الإنسان، مثل اختلاف أمزجته فى الطعام والشراب وما يحب ويكره .وليس حاله كحال الملائكة خلقوا بطبعهم عارفين عابدين:

﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(التحريم: ٦)

ولا كجماعة النمل أو النحل ألهمت نوعا من النظام تسير عليه .وقد كان الله- سبحانه- قادراً على أن يخلق الإنسان كما خلق الملائكة، وكما خلق النمل يسير على نظام ملجئ يجعله متفقا فى الدين والعقيدة والرأى والعمل؛ ولكنه لم يخلقه هكذا؛ بل خلقه مختاراً مريداً متمكناً، وخلقه مفكراً مدبراً، ووكله إلى قواه من عقل وإرادة واختيار بعد أن أرشده ونصب له الأدلة من الكون، وأقام له البينات فى ألواح الوجود، ثم أتم عليه النعمة، وأكمل المنة، وأرسل الرسل تترى، وأنزل الكتب فيها الهدى وفيها الحق، وفيها الرشاد، وهذا كله من شأنه أن يوجد الاختلاف .فالناس على هذا لا يزالون مختلفين فى وجود الخالق، وفى إرسال الرسل وفى طرق العلم، ولا يزالون مختلفين فى الأديان؛ بل وفى الدين الواحد، منهم من يفسره على الحق،



ومنهم من يقصره على الباطل، ومنهم من يغلو، ومنهم من يفرط، لا يستثنى من ذلك إلا طائفة أدركها الله بلطفه وأعانها، فهديت إلى الدين الحق ورضيته، وهديت إلى التفسير الحق ورضيته، ودامت على الحق فى الرأى والخلق والعمل، واعتصمت بحبل الله.

هذا هو معنى قوله- سبحانه- وتعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾

(هود: ١١٨، ١١٩)

وقد قلت إن الاختلاف فى الرأى والعقيدة مثل الاختلاف فى الأمزجة لازم من لوازم خلق النوع الإنسانى على ما خلق عليه، فهو صائر إلى الاختلاف لا محالة، وكان الله خلقه لهذا الاختلاف؛ لذلك قال -سبحانه-:

﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

وقد قضى الله -سبحانه- بعد أن بيّن للإنسان طريق الخير وطريق الشر وأتم نعمته عليه من إقامة الأدلة فى السموات والأرض ومن إرسال الرسل مبشرين ومنذرين، وبعد أن وعد الطائعين بالرحمة والثواب والنعيم، وأوعد العصاة بالنقمة والغضب والعذاب الأليم- أن يكون الناس والجن فريقين: فريق الطائعين ينعمون فى جنات تجرى من تحتها الأنهار، وفريق الأشقياء يعذبون فى جهنم تلفح وجوههم النار، وهذا القضاء هو كلمة الله التى تمت ولا راد لها، ولا معقب لكلمته ولا لحكمه.

وهذا معنى قوله سبحانه:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

(هود: ١١٩)

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(هود: ١٢٠)

والمعنى :ونقص عليك يا محمد كل نوع من أنباء الرسل مما نثبت به فؤادك ونقويه ونجعله ثابتا كالجبال الراسيات، لا تزعزعه الخطوب، ولا تنال منه المحن والنوائب .وهذه الأنواع هى الأخبار الخاصة بعلاقاتهم مع أممهم فى تبليغ الدعوة إلى الدين الحق، ومحاجتهم بالأدلة القاطعة، وما لقى الرسل من هذه الأمم من عناد وجحود وجدل بالباطل، وما فعله الله بهذه الأمم من إهلاك العصاة وإنجاء الطائعين .ولم يقص الله -سبحانه- من أنباء الرسل الأخبار الخاصة بهم، والأخبار التى لا علاقة لها بالدعوة، والتى لا تفيد عبرة وعظة وتنبيها، ومثل هذه الأخبار الخاصة توجد فى غير القرآن.



هذه القصص تدل على ما لقى الرسل من العناد والجحود والإسراف فى العصيان والعدوان، وتدل على أن الرسل مع هذا كله صبروا وثابروا ونجحوا فى الدعوة إلى الواحد المعبود، وبلغوا المقصود؛ فبهذا تقوى عزيمة النبى ﷺ وتثبت، ويحمله ذلك على الصبر والمثابرة، وعلى تشمير ساعد الجد فى التبليغ واحتمال الأذى ..وقد قال له فى آية أخرى:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(الأحقاف: ٣٥)

وهذه الأنباء قصت الأمور كما وقعت من غير تحريف ومن غير زيادة، ففيها الحق، واشتملت على كل ما دعا إليه الرسل من توحيد الله وإفراده بالعبودية، ومن إقامة العدل فى الأرض وإصلاح الجماعة البشرية، ونفى البغى والفساد والطغيان، وهذا كله حق جاء فى هذه الأخبار، وفيها تخويف وموعظة، وفيها تذكرة للمؤمنين:

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾

(الأنفال: ٢)

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾

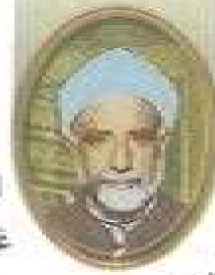
(هود: ١٢١، ١٢٢)

أمر النبى ﷺ أن يقول للكفار اعملوا على مكانتكم؛ أى على حالتكم التى أنتم عليها، وعلى الطريقة التى أنتم عليها، وإنى عامل على مكانتى وطريقتى وحالتى، وانتظروا ما أنتم منتظرونه من فشل دعوتى وحبوطها، ومن موتى قبل أن أتم الدعوة وقبل أن يسيح الإسلام فى الأرض، وقبل أن أظفر بهدم الأصنام وإزاحة الشرك؛ وإنى منتظر ما وعدنى الله -سبحانه- به من تمكين الدين، ومن الأمن والطمأنينة بعد الخوف؛ ومنتظر أن أمحو الشرك، وأكسر الأصنام، وأطهر الأرض منها؛ ومنتظر أن أعمرها بالتوحيد والإخلاص لله .وفى هذه الآية من القوة فى التثبيت ما يزيد على التثبيت الذى حصل للنبى ﷺ من ذكر أخبار الأولين، وفيها تهديد قوى للمشركين لاشك أنه أفعل فى فت عضدهم وكسر شوكتهم من كل تهديد.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(هود: ١٢٣)

علم ما غاب فى السموات والأرض لله وحده، وإذا كان يعلم ما خفى وغاب، فهو يعلم ما ظهر وحضر، وكيف لا يعلم كل ذرة فى السموات والأرض وهو الذى خلقها وقدرها وأرادها؟ فعلمه محيط بكل كلى وكل جزئى، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وإليه يرجع كل شيء فى السموات والأرض؛ لأن كل شيء فيها محتاج إلى مدد



الوجـــود منه فى كل لحظة، ولو أنه انقطع عنه الفيض ما بقى، فقدرته شاملة كما أن علمه شامل؛ لذلك من حقه وحده أن يعبد، ومن حقه وحده أن يتوكل عليه، فإنه لا يستطيع أحد غيره أن يضر أو ينفع، وهو غير غافل عن أعمال عباده؛ بل محيط بها ويعلمها..

وهذه الخاتمة من أجل خواتم السور، وصف الله -سبحانه- نفسه فيها بأكمل الصفات الثبوتية، وهى العلم الشامل، والقدرة الكاملة، وهما منبع الخير والنعمة على العالم، وبهما يتجلى جلال الحق وجماله. وقد جاءت آيات الأنعام مفصلة لهاتين الصفتين أكمل تفصيل:

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ (٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾

(الأنعام: ٥٩ - ٦٥)

الإنسان فى حاجة إلى معرفة الله، ومعرفة الله بحقيقته وكنهه غير ميسورة، فهو إنما يعرف بصفاته، ومن أجلّ صفاته: صفتا العلم، والقدرة؛ وكما أنه فى حاجة إلى تكميل نفسه بالمعارف فهو فى حاجة إلى تطهيرها من الأدران، وإلى وصلها بعالم القدس، وذلك يكون بالعبادات البدنية، وبالعبادات الروحية؛ وأفضل العبادات البدنية بالحركات الصلاةُ، وبالسكون الصوم، وأنفع البر الصدقة. والعبادة الروحية تأمل وفكر فى عجائب الصنع، وتدبر فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، ولا تكون العبادة خالصة إلا بإفراده وحده بالتوجه والقصد وطرح كل ما فى الوجود من المخلوقات، وذلك هو الإخلاص فى العبادة، المطلوب بقوله سبحانه:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

(الفاتحة: ٥)

وإخلاص العبادة لله، وهو ثمرة التوحيد، ينتج ثمرة أخرى فى الأعمال هى التوكل على الله -سبحانه- وهو المطلوب بقوله:

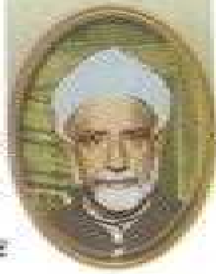
﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

(الفاتحة: ٥)

ومعنى:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

(هود: ١٢٣)



(اجعله وكيلا، فإنك إن جعلته وكيلا وجدت إلى الخير سبيلا؛ والله يقول:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾

(الطلاق: ٣)

أى كافيه وراعيه، وقال

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(الأنفال: ٤٩)

والعزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بحماه، والحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.

والتوكل: ثمرة من ثمرات الإيمان، وثمرات التوحيد، فإذا اعتقد شخص أنه الواحد القهار الفعال لما يريد، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه الحكيم العليم، انصرفت نفسه عن الأغيار، واتجه بكليته إلى الواحد القهار، وأيقن أنه الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وأنه الذى ينزل الغيث، وينبت الزرع، وبيده مقاليد كل شىء، والوكالة تستدعى الثقة بالوكيل والطمأنينة إليه، واعتقاد القدرة فيه وعدم التقصير.

وله درجات تتبع قوة الإيمان والمراقبة، فمن الناس من يكون حاله كحال الصبى مع أمه لا يعرف غيرها، ولا يفزع إلى أحد سواها؛ ومن الناس من يرضى بحاله ولا يفزع ولا يدعو ولا يتضرع اعتقادا منه بأن الله يطلبه وإن لم يطلبه، ويفتح عليه أبواب الخير وإن لم يحرك مغاليقها، وهو مقام يسكت فيه المؤمن عن الدعاء، ويصرف النظر عن الأسباب.

وليس التوكل منافيًا للأسباب جميعها، فإن ترك الأسباب جميعها نقض للشريعة وترك للسنة، والذى لا يحرث الأرض لا تنبت أرضه زرعا، والذى لا يسقيها لا تنبت له زرعا، فالأسباب والسنن التى ربط الله بها مسبباتها لا يجوز إغفالها، والتمسك بها لا ينقض الوكالة فإن الموكل يقدم البينات والحجج للوكيل، وهى أسباب، وذلك غير مناف للثقة به والطمأنينة إليه؛ والله يقول:

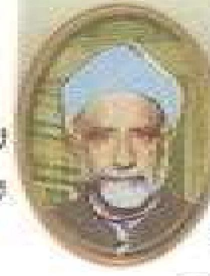
﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾

(الملك: ١٥)

والطير تتوكل على الله، وهى تغدو خماصا وتروح بطانا، وتلك أسباب سنها الله.. ويقول النبى ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير؛ تغدو خماصا وتروح بطانا»[١٢].

لكن الذى ينافى التوكل هو الاعتماد على الأسباب الموهومة، أو الاعتماد على الأسباب الطبيعية مع ترك الاعتماد على الله.

(١٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم جـ٤ ص٣٥٤.



العبادة: هي التي تذكر المعبود وتثمر التوكل؛ لذلك ذكرت العبادة قبل التوكل، وكانا معا ثمرة الاعتقاد بأن لله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله .وعلى كل حال فالمطلوب من المؤمن أن يعتقد أنه لا أحد من الخلق يضر وينفع إلا بإذن الله، وأن يكون حاله دائما حالة المطمئن الواثق بالله الذي لا يدعو أحداً غيره في جلب الخير ودفع السوء، وألا يتمسك إلا بالأسباب التي سنها الله، وليس منها اتخاذ الواسطة بين العبد والرب، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

إخواني :قيل إنه وقف على تحرير القبلة في هذا المسجد المبارك[١٢] سبعون من صحابة رسول الله «ﷺ»، فنحن في مقام ترفرف منه علينا أرواح الشهداء من المجاهدين الأولين، وتوحي إلينا العبرة والعظة بتذكر ماضي الإسلام، ومجد الإسلام، وعظمة الإسلام.

أسأل الله- جلت قدرته- أن يوفق ولاة الأمر من المسلمين إلى الوحدة والتآلف والتآزر، وإلى طرح الغل والحقد، وإلى ضم شتات المسلمين وجمع كلمتهم في الرأي والعقيدة والقصد والعمل، وإلى طرح الأنانية، ونبذ الشهوات .

وأسأله أن يلطف بعباده جميعهم، فإنه ربهم جميعهم، وأن يرحم الأطفال الرضع، والشيوخ الخشع، ويرفع غضبه ونقمته، ويفيض رحمته.

وأسأله أن يرعى برعايته، ويلحظ بعنايته صاحب الجلالة ملك مصر الفاروق المعظم، ويوفقه للخيرات، وللتمسك بكلمة الله، وإعزاز دين الله.

وفاته

وبعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والعمل والإصلاح والدعوة إلى الله تعالى- لقي الإمام المراغي ربه- سبحانه وتعالى- في ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٦٤هـ الموافق الثاني والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٤٥م.

وكان قبيل وفاته دخل مستشفى المواساة وكان وقتها يكتب تفسير سورة "القدر" ليلقي عنها حديثا في ليلة القدر.

وفاضت روحه إلى بارئها بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، وعظائم الأمور، والجهود التي تذكر فتشكر في خدمة الإسلام والمسلمين وإصلاح الأزهر والأخذ بيد الأزهريين فجزاه الله خير الجزاء على ما قدم من جهود في خدمة دينه وعقيدته، وعالمه وأمته، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا .

(١٢) مسجد عمرو بن العاص حيث ألقى الدرس



صفحات مطوية من تاريخ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي

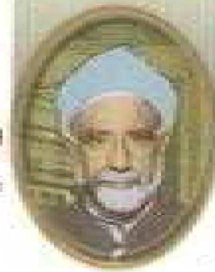
للأستاذ الدكتور / مجاهد توفيق الجندي
أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر

أسرته ونسبه

هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبدالمنعم القاضي، من أسرة عريقة في خدمة العلم والقضاء توارث القضاء فيها خلف عن سلف ومن قبل هذا تلقب بأسرة القاضي.

ولقد عرف والده بالورع والتقوى والعلم، وكان للأسرة مكانتها ومنزلتها، وكانت دارهم دار كرم، ومنتدى أفاضل القوم، بل كانت تعرف لدى الجميع بأنها مقصد أهل الخير، وذوي الحاجات الذين يريدون حلا لمشكلاتهم على يد الشيخ «مصطفى المراغي» وذلك لما له من تقدير خاص ومكانة ممتازة في نفوس القوم، ولازال الحي الذي تقع فيه دارهم يعرف بـ«حي القاضي أو «حي الشيخ»[١] كما لقبت هذه الأسرة بأسرة المراغي نسبة إلى

(١) الإمام محمد بن مصطفى المراغي والأدب الإسلامي في تراثه (رسالة ماجستير) إعداد: أحمد يوسف محمد خليفة، ص٣٧، إشراف أ.د. محمد عبدالمنعم خفاجي، عميد كلية اللغة العربية بأسيوط



بلده المراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر.

رزق والد صاحب بحثنا باثنى عشر مولوداً، أربعة أولاد، ثم أربع بنات، ثم أربعة أولاد هم[2]:

(١) الشيخ: «عبدالعزيز مصطفى» الإمام بوزارة الأوقاف وقد توفى فى السادس عشر من نوفمبر سنة خمسين وتسعمائة وألف وله من المؤلفات كتاب عن «ابن تيمية وبعض رسائل فى الشريعة الإسلامية».

(٢) المهندس «يوسف بن مصطفى» المفتش بتعمير الصحارى، والمتوفى فى الخامس من مارس سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف.

(٣) «مصطفى بن مصطفى» عمدة المراغة السابق، والمتوفى فى السادس والعشرين من مارس سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف.

(٤) الشيخ «عبدالله بن مصطفى» رئيس التفتيش الدينى بالأزهر سابقاً، والمتوفى فى السادس عشر من يونيه سنة خمس وستين وتسعمائة وألف، ومن مؤلفاته: «الزواج والطلاق فى جميع الأديان - حقوق أهل الذمة فى الإسلام - ديوان الخطب الرشيدة فى الوعظ والإرشاد. العظات البينات. الفتح المبين فى طبقات الأصوليين. الشهاب فى توضيح الكتاب» ورسائل أخرى.

(٥) «إسماعيل بن مصطفى» المزارع والمتوفى فى السابع عشر من يوليو سنة تسع وستين وتسعمائة وألف.

(٦) «الشيخ محمد بن مصطفى» وهو من تلامذة الإمام «محمد عبده» وأقربهم إليه ولد فى ٩ مارس سنة ١٨٨١م.

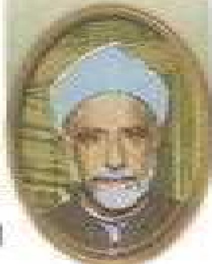
وقد درس فى الأزهر، وحصل على الشهادة العالمية، وعمل فى القضاء فى السودان، ثم نقل إلى مصر مفتشاً بوزارة الأوقاف ١٩٠٧م، ثم عاد إلى السودان وعين قاضياً لقضاة السودان سنة ١٩٠٩م، ثم نقل إلى مصر سنة ١٩١٩م بوظيفة رئيس للتفتيش الشرعي وتقلب بعدها فى عدة مناصب كان من أهمها رئاسة المحكمة العليا الشرعية فى سنة ١٩٢٣م وفى سنة ١٩٢٨م عين شيخاً للأزهر[3].

من أبرز أعماله: تقريره عن الأحوال الشخصية الذى صدر القانون المصرى عليه. ولم يتقيد فيه بالمذاهب الأربعة بناء على دعوته إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، وإصلاح الأزهر والعمل على تجديده، وفتواه فى جواز ترجمة القرآن.

مؤلفاته: بحث فى ترجمة القرآن الكريم «رسالة الأولياء والمحجوبين» بحوث فى التشريع الإسلامى، الدروس الدينية، التى كان يلقيها فى المسجد ويحضرها الملك فاروق الأول بالإضافة إلى تفسيره لأجزاء من القرآن الكريم، له بحوث فقهية فى قانون

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) محمد سليمان: دور الأزهر فى السودان ص٥٦، ١١١، ١١٣، طبع الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥م.



الزواج والطلاق، توفى فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥ بالإسكندرية[4].

(٧) الشيخ «أبو الوفا بن مصطفى» الأمين المساعد لمجمع البحوث الإسلامية سابقاً - رحمه الله.

ومن مؤلفاته: لباب البحث فى شرح كتاب البعث لابن أبي داود السجستاني، واللباب فى شرح الشهابى للقضاعى. من قضايا العمل والعمال، مبادىء الإسلام فى تنظيم الأسرة. فكرة التوحيد فى القرآن. من رياض السيرة النبوية، وهو أول واضع لفهرس مكتبة الأزهر.

(٨) «أحمد بن مصطفى»: ولد سنة ١٣٠٠ هـ فى العاشر من أكتوبر سنة ١٨٨٣م، ببلدة المراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر[5]، على الشط الغربى للنيل فى شمال جزيرة شندويل[6]، ونشأ فيها وبدأ تعليمه فى كتاب القرية فحفظ القرآن الكريم وجوده.

وقد ترجم للشيخ محمد مصطفى المراغى صديقه الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد[7] ترجمة ضافية يقول فيها:

سنتحدث إلى ناشئتنا عن الأستاذ المراغي الذى ملأ الدنيا وشغل الناس، والذى ترك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر، والذى شاد الزمان بذكره، وتزينت بحديثه الأسمار، إى والله، لقد ملأ الدنيا فما رقعة من رقاع هذه الأرض الفسيحة يعنى أهلها بشئون العرب والإسلام إلا وفيها عن بعض شأنه حديث، وما بيت من بيوت الشرق كله والعالم الإسلامى إلا كان في سامر أهله منه ذكر، وما لسان يتحدث عن العروبة أو شأن من شئون المسلمين إلا كان له فيه الشرد السائرات.

لقد خطا الأستاذ المراغي بالتعليم الدينى وأهله خطوات عملية جريئة موفقة وقف المصلحون من قبله متهيبين أن يذيعوها فى الناس على أنها آمال يحققها المستقبل الكفيل بتحقيق الآمال، وما منهم إلا من استقصى الجهد وأفرغ الوسع فى الوصول بهذا العهد إلى المنزلة التى تهيئه لها تاريخه المجيد.

نعم، خطا الأستاذ المراغي بالتعليم الدينى خطوات عملية جريئة موفقة تهيبها المصلحون من قبله رغم ما لكل منهم من المقام المحمود، والنظرة العجلى إلى مناهج الدراسة التى كان الأزهريون يعكفون عليها فى مستهل القرن الحاضر (القرن الرابع عشر

(٤) الإمام محمد بن مصطفى المراغي والأدب الإسلامي فى تراثه ص٣٧، والشيخ المراغي بأقلام الكتاب - تأليف أبو الوفا المراغي ص٢٤٩ - الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م منهج المدرسة العقلية الحديثة ١٩٣/١.

(٥) مجلة الأزهر - الجزء الرابع السنة السابعة والخمسون - ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - يناير ١٩٨٥م ص٤٦٣.

(٦) المنجد فى اللغة والأدب والعلوم تأليف لويس معلوف ص٤٠٩ الطبعة الكاثوليكية بيروت.

(٧) نشرت فى مجلة الكاتب فى نوفمبر ١٩٤٥، أبوالوفا المراغي: الشيخ المراغي بأقلام الكتاب ص١٠٧ - ١٢٣ طبعة أولى سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م المطبعة المنيرية بالأزهر د.ت.

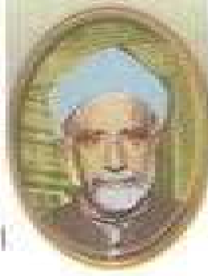


الهجري) ثم إلى المناهج التي كان للأستاذ المراغي شرف اقتراحها واستصدار الأوامر الملكية بها والإشراف على تنفيذها عقداً كاملاً[٨]. النظرة العجلى إلى كل أولئك كافية للشهادة على صحة ما يحمل هذا القول من الدعاوى.

وخطا بأهل التعليم الديني أنفسهم خطوات عملية جريئة موفقة لم تهيأ للمصلحين من قبله أن يسيروها. فقد كان الجمهرة من الأزهريين شيوخاً وطلاباً يتعارفون أفكاراً لم يكن ينبعث الأمل في الإصلاح معها إلا بمقدار ما تنبعث أشعة الشمس إلى مظلمات السجون أو إلى بيوت الريف في مصر. كانوا على أن في جواز الاشتغال بعلم المنطق ثلاثة أقوال: أحدها يحرم الاشتغال به البتة، وكانوا على أن العالم الذي يقرأ لتلاميذه المنطق، بله علوم الفلسفة، زنديق ملحد. وفي وقت ما ثار بعض كبار الأساتذة على الشيخ الإمام «محمد عبده» لأنه كان يقرر مذهب المعتزلة في بعض مسائل الكلام. ووجد الشيخ «محمد عبده» الجهد الجاهد حين أراد أن يعلم أبناء الأزهر «الحساب والجبر والجغرافيا والتاريخ». وقد اختصم جماعة منهم لأن واحداً من «طلبة العلم» كان يحمل في يده جزءاً من «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» وهو رجل يدعي الاجتهاد وينال من كرامة الأئمة وعلماء الدين. وكان الشيخ «سيد المرصفي» إلى أن مات رجلاً جاهلاً مبغضاً لأنه لا يحسن شيئاً إلا قراءة الأدب وفهمه، وكان شيخ من جلة شيوخي ينصحني ألا أقرأ كتب الأدب علانية، فإن ذلك في نظر كبار الشيوخ - وهم أعضاء لجان الامتحان - أمارة الجهل وعلامة على الانصراف عن العلوم النافعة. ولست أنسى ذلك اليوم الذي اجتمع فيه لفيف من العلماء في بيت عظيم من رجالات الأزهر، وكلهم متألم صاخب أو مشفق راث أو ناصح مستتيب، ذلك لأن ابن هذا العظيم الأزهري كتب في بعض المجلات مقالاً علمياً يحبذ فيه رأي ابن تيمية في أن الطلاق الثلاث دفعة واحدة تقع به طلقة واحدة ويلغو لفظ العدد.

فأين هذا مما عليه رجال الأزهر الآن؟ من العجيب أن كثيراً منهم يفخر اليوم بأنه من تلاميذ الشيخ «محمد عبده» وكانت التلمذة للشيخ - عند الأزهريين - سبة لا يقوى على احتمالها إلا من عصم الله، ومن العجيب أن كثيراً منهم يفخر اليوم بأنه قرأ كتب الفلسفة ودرس النحل كلها دراسة وافية، وكان الظهور بذلك إلى عصر قريب من وسائل هجران الإخوان وقطيعتهم، ومن العجيب أن كثيراً منهم يعلن رأيه في التشريع الإسلامي غير مبال ألا يوافق فلاناً أو فلاناً، بل هو يعلن زيف قول فلان وفلان، وكان ذلك إلى زمن أدركنا طلائعه. سبباً في النفي والتشريد. وأعجب من ذلك كله أن يبعث جماعة من

(٨) اقترح الأستاذ المراغي هذه النظم وتقدم بها في سبتمبر سنة ١٩٢٩ ثم استقال من المشيخة في ١٠ من أكتوبر سنة ١٩٢٩ فصدرت بعده معدلة، فلما عاد في ١٩٣٥ أعادها سيرتها الأولى.



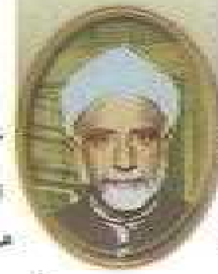
شباب الأزهريين إلى أوروبا ليتعلموا في جامعاتها ويخرج شيخ الأزهر بنفسه ليودعهم تحوطه الجمهرة من العلماء ويحدثهم أمام طلاب الأزهر وشيوخه عن آمال الأزهريين التي عقدوها عليهم، ثم يعود بعض هؤلاء فيجازيه شيخ الأزهر على سعيه، أوفى ما استطاع من الجزاء، ويرضى الأزهريون عن ذلك كله ولا يرون فيه مروقاً عن الدين ولا قطعاً لما أمر الله به أن يوصل، وقد كان حكمهم على ما دون ذلك إلى وقت قريب أفدح من هذه الأحكام، ذلك بعض ما هيأت له عقول الأزهريين موجة الإصلاح التي بدأها شيخ الإسلام ومفتي الديار المصرية الشيخ «محمد المهدي العباسي» وكان موجهها وداعية الخير فيها الشيخ الإمام «محمد عبده» ثم كان بطلها وفارس حلبتها شيخ الإسلام الأستاذ «محمد مصطفى المراغي».

كان من بعض آثار الأستاذ المراغي أن هيأ الأزهر ورجاله للقيام برسالتهم التي ينتظرها الإسلام والمسلمون منهم، وأن جلى لأعين الأزهريين الطريق إلى بلوغ الغاية التي يرتقبونها ويرتقبها منهم الشرق والشرقيون.

لقد كان الأزهر إلى عهد غير بعيد يعيش بمعزل عن الناس لا يشعر أهله بما يحيط بهم ولا يشعر الناس بهم. فلم يكن من هم أحدهم إلا أن يتلقى درسه أو يلقيه على النمط الذي تلاحقت عليه القرون، مكتفياً بما ينال من رزق ضئيل أو ربما يرسل إليه قومه من عيشة الكفاف، وكان يعتقد أن تغيير شيء مما جرى عليه سلفه من الشيوخ والطلاب أمر لا ينبغي له أن يفكر فيه، سواء أكان التغيير في أسلوب الحياة أم كان في أسلوب التعليم، ولقد كان من شأن بعضهم أن يدخل في أول العام الدراسي من باب الأزهر ثم لا يخرج منه إلا أن ينصرم العام كله وينصرف الأساتذة والطلاب إلى بلادهم، بل لقد كان من شأن بعضهم أن يحبس نفسه على الدراسة والاستذكار في داخل الأزهر فلا يبرحه حتى يصبح عالماً ويؤذن له في التدريس.

وشاهد الأستاذ المراغي بعض ذلك وهو طالب في الأزهر وأدرك أن لهذا من الأثر في طلاب الأزهر وعلمائه ما لا يمكن إصلاحه إلا بمجهود الجبابرة، وأى أثر أبلغ تأصلاً في نفس رجل يهيىء نفسه لتهذيب الناس ودعوتهم إلى الله بالأسلوب الذى يفهمونه من حياة كل ما فيها يدعوه إلى العزلة عن الناس والابتعاد عنهم إن لم يكن يدعوه إلى تهجينهم والنيل منهم بل كيف يتسنى لرجل يعد نفسه لتقويم الناس على الوجه الذى يفهمونه وهو لا يفهم أسلوبهم في الحياة ولا يعرف طريقهم إلى التفكير؟

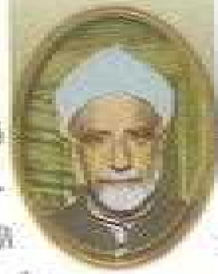
ثم كيف تكون حال الأزهريين أنفسهم بين غيرهم من صنوف المتعلمين في الأمة، وهؤلاء يسيرون إلى الأمام بخطى واسعة وأولئك يقفون في حياتهم عندما بلغته الحياة منذ قرون، إنهم لابد أن يعيشوا غرباء حتى عن أهليهم وذوى قرابتهم، وذلك بعض العلة في وجود الحواجز البعيدة الأثر بين الأزهر في عهده القديم وبين غيره من طوائف الناس؛ بذل الأستاذ المراغي إذن جهود الجبابرة التي



لم يكن له بد من بذلها لكي يخرج الأزهريين عن مألوفهم وليقترب بهم من صفوف المتعلمين في الأمة ليتعارف بعضهم إلى بعض.

وسلك لذلك الطريق الذي امتلأت نفسه يقيناً وقلبه عقيدة بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الغرض المنشود، وهو الطريق الذي سيعلم من لم يكن يعلم من الأزهريين أنه النهج الواضح والسبيل الصحيح، وبذل الأستاذ المراغي جهود الجبابرة ليقنع الطوائف المثقفة في الأمة بأن الأزهر الذي حفظ التراث الإسلامي في وقت كان العالم كله يهيم في بيداوات الضلال لا يمنعه من مسايرة الحياة العلمية الجديدة ذلك الركود الذي أصابته به الأحداث، وليقنع أولي الأمر في مصر بأن الأسباب التي دعت أسلافهم إلى التفكير في إنشاء معاهد تقوم بحراسة بعض ما كان الأزهر يقوم على حراسته من علوم الدين واللغة قد زالت الآن تماماً وأن الجو في الأزهر واستعداد أهله لتقبل النظام الحديث من حيث الجوهر والشكل معاً لم يبق معهما بد من إسناد كل ما كان يسند إلى أهله قبل التفكير في اقتطاع بعض ما هو من أخص شئونه، وبذل الأستاذ المراغي جهد الجبابرة ليقنع الأزهريين أنفسهم بأن صالح الجيل الحاضر منهم وصالح الأجيال الآتية يفرضان عليهم مسايرة النهضة العلمية الحديثة، وألا يقفوا حيث يسير الركب من حولهم، وأن ذلك لا يخالف شيئاً من قواعد الدين بل ولا يخالف شيئاً من صحيح ما جرى عليه سلف المؤمنين الصالحين، ومازال هو بهم حتى أقاموا الدليل على سلامة فطرتهم وكامل أهليتهم وأنهم بشيء من التوجيه الصحيح مستطيعون أن يكونوا أعضاء نافعين في هذا المجتمع، وليس على ولاة الأمر إلا أن يقبلوا عليهم بعض الإقبال، فإذا هم سباقون إلى تلبية أطماع الأجيال الحاضرة والآتية، فإن مما يقعد بالعامل المجد أن يجد عمله غير مقدور وسعيه غير مشكور، وأن يجد ميزان المكافأة لا يزنها بما يزلف الناس من أعمال وإنما يزنها بما يتقدمون به بين يدي رغباتهم من صيحات وبما يدلون به مما لا يتفق مع صفات المروءة وكرامة ذوي الكرامات.

ولد الشيخ «محمد مصطفى المراغي» في اليوم التاسع من شهر مارس عام ١٨٨١ الميلادي، في «المراغة» من أعمال مديرية «جرجا» بصعيد مصر الأعلى، وفي بيت أصدق ما يقال فيه إنه لم يبلغ به المجد المادي أن يكون من بيوت السراة في الصعيد، ولم يقعد به المجد الأدبي عن أن يكون مثابة للناس يقصدونه من بعيد فيضيفهم صاحبه ويفصل فيما يرفعونه إليه من مشاكلهم ويشير على من يستشيره بالرأي الأسد، وحساب الثروة في ريف مصر وفي قرى الصعيد مما لا يلتفت إليه غير «صراف» القرية و«أقلام الحسابات» في المديرية، فكم بيت تراه نجعة الرائد ونزل القاصد ومن حوله بيوت تعج بالناطق والصامت فلا يرتادها أحد ولا يلقى عصاه فيها إنسان، وكم بيت يكبر الناس أهله وينزلونهم بمنزلة الإجلال والاحترام ومن حوله بيوت فشت لأهلها فاشية من مال وهم يودون لو بسط لهم من المنزلة بعض ما أحاط بأهل ذلك البيت فلا يبلغون بعض ما يريدون.

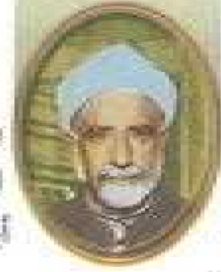


وتعلم الشيخ في القرية ما كان يتعلمه أمثاله وتظراؤه في ذلك العهد، فحفظ القرآن، وقرأ وكتب، ثم تلقى على أبيه بعض العلوم، فلما آن الوقت الذي يرتحل فيه قرناؤه إلى القاهرة ليلتحقوا بالأزهر سافر فيمن يسافرون من أهل القرى المجاورة لهم، وانتسب إلى الأزهر، وتلقى العلم على شيوخه من طبقة الشيخ الإمام «محمد عبده» ولم يقع لي على وجه التحديد ثبت بأسماء شيوخه وما تلقى عنهم من الفنون والكتب، غير أنني أذكر حديثاً له حدثنيه(*) يستفاد منه أنه تلقى علوم العربية على المرحوم الشيخ «علي الصالحي» وكان الشيخ علي يومئذ من شباب العلماء في الأزهر الناضجين المحققين وعليه تخرج جمهرة من الأساتذة الفحول، وهو عم المرحوم عبدالحميد سليمان باشا وأخيه أحمد سليمان بك، ولست أدري على وجه التحديد متى بدأ اتصال المراغي «المجاور» بالشيخ الإمام «محمد عبده»؟ ولكن الذي لا شك فيه أنه حضر دروس التفسير التي كان الشيخ يلقيها في «الرواق العباسي» وهي - فوق أنها تفسير للقرآن الكريم - دروس في الاجتماع والتاريخ الإسلامي والتوجيه العام لشباب المسلمين عامة وشباب الأزهريين خاصة.

وعكف الشيخ «المراغي» على دروسه يذاكرها ويبحثها بحث المستقصي الراغب في الوصول إلى الغاية واكتناه الحقيقة، حتى اشتهر بين إخوانه بالذكاء ووفرة التحصيل، وكانت له رفقة من شباب الأزهر النابهين فكانوا يجتمعون على استذكار الدروس قبل تلقيها على الأساتذة كما جرت عادة الأزهريين، كما كانوا يجتمعون على قراءة الكتب التي لم تكن في الأزهر، وتلك مزية ظاهرة من مزايا رفقة الأزهر يومئذ.

حدثني المرحوم الشيخ عبدالمجيد الشاذلي شيخ معهد طنطا الأسبق - طيب الله ثراه- وكان الشيخ عبدالمجيد - رحمه الله - أمة وحده، كما كان مثلاً للتصون والعفة ومكارم الأخلاق، وكانت قد جرت الأحداث عليه فمنعته ما كان يجب له من تقدم، ومشت الوشايات به فاضطهد وأبعد، وكان هذا الحديث في أوائل مشيخة الأستاذ المراغي الأولى، وكان الشيخ عبدالمجيد مدرساً في معهد طنطا قال: دعاني الشيخ المراغي إلى زيارته بمكتبه، فلما دخلت عليه بدأ الحديث بقوله: لقد هنأني بمشيخة الأزهر من أعرف ومن لم أعرف من العلماء، ولم يتخلف عن ذلك إلا رجل واحد كان يسرني أن يكون هو المهنيء، وإن تخلف أكثر المهنئين، فأجبته: إني عرفت في أيام طلب العلم شاباً ذكياً متوقد الذهن وافر المحصول هو الطالب محمد مصطفى المراغي، ثم عرفت في أول العهد بالتدريس مدرساً عميق الفكرة واسع الأفق جيد العبارة هو العالم المدرس الشيخ محمد

(*) مازال الحديث لفضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد... (مجلة الأزهر)



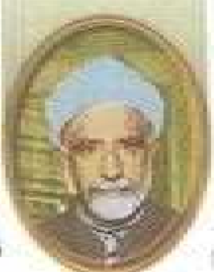
مصطفى المراغى، ثم سمعت أن الشيخ المراغى يتولى فى السودان قضاء القضاة وأنه موفق إلى القيام بواجبات هذا العمل ثم علمت أن الشيخ محمد مصطفى المراغى قد صار شيخاً للأزهر وللأزهريين كلهم، ولما كنت أحب الخير كل الخير للأزهر والأزهريين انتظرت ما يجرى به القضاء على يدى شيخ الأزهر الجديد، فإن رأيت خيراً جئت فهنأته بأنه قد جرى على ما كانت تدل عليه مخايل بدايته، وإن كانت الأخرى لم أجشم نفسى ما يتجشمه الناس ولم أندم على شىء، فقال له شيخ الأزهر: إنى أشكر لك هذا الشعور، ولعلّ الله أن يوفقنى إلى عمل أستحق به تهنئتك، وسألت الشيخ عبدالمجيد بعد هذا الحديث: أفكانت نعوتك التى أضفيتها على الطالب المراغى والمدرس المراغى حقيقة أم كنت تجامل بهذا القول بعض زملائك وقد صار أمر الأزهر بيده؟!

وكان الشيخ أستاذى ولى عليه دالة التلميذ الوفى، وكان من خلصان أبى ولى عليه دالة ابن الأخ الحبيب، ولكنه لم يحتمل هذا الكلام، ثم قال: «أفتظن بى وأنت تعرف الكثير عنى أنى أتملق الشيخ أو أعتذر له؟ الحق أنه كان طالباً ممتازاً، وأنه كان مدرساً ممتازاً، وأنه لو بقى فى الأزهر لم يقعد به ذلك الامتياز عما بلغه اليوم». هذا رأى إخوانه فيه، وإذا وقرك كبيراً من عرفك صغيراً فأنت بمنزلة فوق منازل التوقير والإجلال.

وفى عام ١٣٢٢ من الهجرة (١٩٠٤م) دخل امتحان شهادة العالمية، وحصل على الدرجة الثانية، وكانت سنه يومذاك أربعة وعشرين عاماً، ولعله أصغر علماء الأزهر سناً فى ذلك التاريخ من غير أبناء العلماء.

تعم، لعله أصغر من حصل على شهادة العالمية سناً فى ذلك التاريخ من غير أبناء العلماء! فقد كان العمل فى ذلك الحين جارياً فى الأزهر على أنه لا يتقدم لطلب الامتحان إلا من تلقى العلوم كلها وحضر الكتب «المعتبرة»، وآنس من نفسه الكفاية ونال بذلك شهادة من شيوخه، على ألا تقل مدة انتسابه فى الأزهر عن اثنتى عشرة سنة، ثم كان العمل جارياً فى ذلك الحين على أن تنعقد لجنة الامتحان فى الوقت الذى يختاره شيخ الأزهر فتمتحن من يسمح الوقت بامتحانه ثم تؤجل الامتحان إلى قابل، فربما بقى الطالب السنوات ذوات العدد ينتظر الدعوة إلى الامتحان ولا يسمح الوقت بامتحانه.

وليس عجيباً فى ذلك الحين أن يحصل الشيخ المراغى على الدرجة الثانية، وهو الطالب الذكى المتوقد الذهن والوافر المحصول، إذا علم أن الشيخ الإمام «محمد عبده» لم يحصل قبل ذلك على ما هو أوفر حظاً منه، على أن الدرجة الثانية نفسها لم يكن لينالها الطالب إلا بالجهد الجاهد والنصب العظيم، وكان يكفى أن يكون فى لجنة الامتحان عضو واحد يرى أن يحرمه الدرجة الأولى لينزل التقدير به إلى الثانية، إذ كان الشرط فى استحقاق الدرجة الأولى إجماع الآراء، ومن لك بأن يجمع على تفوقك ستة من أساطين العلماء؟



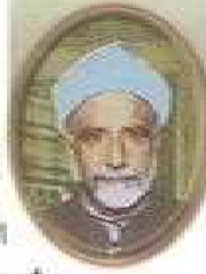
وكان الحصول على شهادة العالمية يتبعه لا محالة الإذن لحاملها بالتدريس فى الجامع الأزهر، لأن عدد الخريجين لم يكن يزيد عن أصابع اليدين فى العام، ولأن الدولة لم تكن تتكلف لعلماء الأزهر شيئاً يستحق أن يمنع منه الراغب فيه، وكانت للأحناف من الخريجين مزايا، ولمن يحصل منهم على إحدى الدرجتين الأولى والثانية خاصة، وبعض هذه المزايا أنهم يدرسون ريثما تدعوهم وظيفة القضاء الشرعى.

إذن لم يكن بد للشيخ الناشىء أن يتصدر حلقة التدريس فى الأزهر، وتبدأ هذه الفترة من حياته فى أول شهر «أغسطس» من عام ١٩٠٤ الميلادى وتنتهى فى ٣٠ من شهر «أكتوبر» من العام نفسه، ويظهر أن أثره كان ظاهرا فى هذا العمل فقد بقى الشيخ عبدالمجيد الشاذلى يحفظ للمدرس المراغى – على وجازة زمنه فى التدريس أنه كان مدرساً «عميق الفكرة واسع الأفق جيد العبارة». ولم يكن نظام الأزهر يومئذ يقيد الطالب بحضور درس معين أو يقيد العالم بقراءة كتاب معين أو بالتزام وقت، بل كان الطالب يتلقى الكتاب الذى يختاره له متولى أمره إن يكن فى بداية حياته، وعلى الشيخ الذى يختاره أو يختار له، وكان العالم يدرس الكتاب الذى يختاره أو يقترحه عليه أبناؤه، ويختار الوقت الذى تسمح به ظروفه، فكان أثر العالم الظاهر فى كثرة عدد طلابه وفى تزايدهم يوما بعد يوم.

وفى أول نوفمبر من عام ١٩٠٤ الميلادى، عين الشيخ «محمد مصطفى المراغى» قاضياً لمديرية دنقلا بحكومة السودان، وقاضى قضاة السودان يومئذ صديقه المرحوم الشيخ «محمد هارون عبدالرازق» وبعد قليل نقل الشيخ «المراغى» قاضياً لمدينة الخرطوم. وفى عام ١٩٠٧م اختلف هو وقاضى القضاة والسكرتير القضائى فى وجهة النظر على اختيار المفتشين بالمحاكم الشرعية فى السودان، فآثر أن يستقيل من منصبه وأن يعود إلى مصر فعاد فى أوائل سبتمبر من هذا العام.

وفى التاسع من شهر سبتمبر ١٩٠٧م عين مفتشا للدروس الدينية بديوان عموم الأوقاف بمصر، وفى هذا الوقت عاد للتدريس فى الجامع الأزهر مع تولى هذا العمل، وقصد درسه كثير من الطلاب النابهين فى الأزهر.

وفى عام ١٩٠٨م زاره «سلاطين باشا» وكان وكيلا لحكومة السودان بمصر، وعرض عليه أن يكون «قاضى القضاة» بحكومة السودان، فقال له: إن حكومة السودان فى العام الماضى أبت علىّ وظيفة «مفتش بالمحاكم الشرعية» فكيف ترضى اليوم أن أكون «قاضى القضاة»؟ قال: إنها اقتنعت اليوم بما لم تكن تقتنع به، وإننى أريد أن أعرف الشروط التى تجعلها أساساً لقبول هذا المنصب الخطير، فشرط شروطاً كان عقدة العقد فيها أن يكون تعيينه بأمر يصدره «خديو مصر» وكان «سلاطين باشا» مقتنعاً بأنه لا يصلح لتقلد هذه الوظيفة غير ذلك الشيخ الذى أبت عليه حكومته فى العام الماضى وظيفة دونها بكثير، فلم يزل «سلاطين باشا» يتلطف لحكومته حتى قبلت أن يعين الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضيا لقضاة السودان وأن يكون تعيينه بأمر يصدره «خديو مصر»، وفى



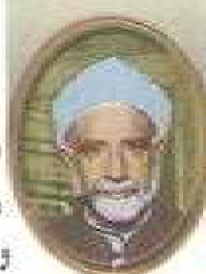
أول أغسطس من عام ١٩٠٨م صدر الأمر من «خديو مصر» بتعيينه قاضياً لقضاة السودان.

ويبدأ تاريخ المجد الذى بناه لنفسه الشيخ المراغى من ذلك الحين. فقد كان فى قضاء قضاة السودان المثل المضروب للعالم الفذ وللسياسى الخطير وللوطنى العظيم ومازال إخواننا من أهل السودان يحفظون له أجمل الذكريات، ولقد نسوا أو كادوا ينسون قاضيين توليا هذا المنصب قبله - على جلالتهما وعظيم خطرهما - وإنما ظلوا يتناقلون ذكرياته لأن شيئاً كثيراً من تاريخ السودان الحديث لايزال يعرف بينهم على أنه بعض آثار الشيخ المراغى. وأوجز ما تستطيع أن تذكره فى هذا المكان أن لك أن تضفى على الشيخ المراغى قاضى قضاة السودان ما شئت من صفات الرجال دون أن تتلبث أو تتحرج: لأنك لن تنسب إليه صفة إلا وجدت لها الشواهد من جلائل الأعمال.

أرادت حكومة السودان أن تغير لائحة المحاكم الشرعية فى السودان، وهى فى جملتها تشبه لائحة المحاكم الشرعية فى مصر، ولكنها تعطى قاضى القضاة سلطة واسعة المدى، وأدنى هذه السلطة أن له وحده أن يختار للقضاة الآراء الفقهية التى يحكمون بها، وتوقف السكرتير القضائى «السير بونهام كارتر» فى إقرار هذه السلطة، وتمسك قاضى القضاة المراغى بها ولم يقبل أن يحور فى صيغتها تحويراً ما، وبذل السكرتير القضائى ما استطاع من وسائل الإقناع، وعارضه قاضى القضاة بوسائل من مثلها، ولم يكن ذلك ليقرب ما بينهما من مسافة الخلف، وأخيراً قال الشيخ: لقد اختلفنا فى وجهة النظر. ولم يستطع أحدنا أن يقنع الآخر. فلم يبق بد من أن تختصم. وأنا لا ألجئك إلى الاختصام إلى علماء الشريعة فى مصر. ولكنى أقبل الاختصام إلى الحاكم العام على شريطة ألا تلقاه منذ الآن إلا معى. ونمى خبر اختلافهما إلى الحاكم العام، ونمى خبر هذه المخاصمة بشرطها إليه فلم يجد بداً من أن يرسل إلى السكرتير القضائى أنه قضى للشيخ المراغى عليه من غير أن يستمع إلى حجج الفريقين، ويقابل السكرتير القضائى الشيخ فيعلنه أنه نزل عن رأيه له، على أن يستأنف مجهوده متى تغير قاضى القضاة.

أى دلالة تدل عليها هذه الحادثة؟ أكانت منزلة قاضى القضاة من نفس الحاكم العام هى التى طوعت له أن يقضى له بالفلج على خصمه؟ أم كانت معرفته بأن قاضى القضاة إنما يستمسك بما هو حق؟ أم كانت ثقته بأن الشيخ المراغى قوى الاحتجاج لما يذهب إليه من الآراء؟ أم كان يخشى أن تفهم مصر وأن يفهم السودان معها أن الإنجليز يتدخلون فيما هو من شئون الإسلام والمسلمين؟ أم كان كل أولئك مجتمعاً أم كان شىء غير كل أولئك؟

وفى الوقت الذى اعتزمت فيه حكومة «إنجلترا» أن تحتفى فى الهند بتنصيب الملك «جورج الخامس» إمبراطورا على الهند صدرت الأوامر إلى كبار موظفى حكومة السودان وكبار الأعيان أن يسافروا إلى مرفأ البلاد لأن الباخرة التى تقل «جلالة الملك» إلى الهند



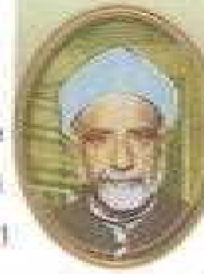
ستمر بهم، وسيكونون فى استقبال جلالته، وعلم الشيخ المراغى أنه مدعو فى طليعة هؤلاء، وأن النظام الذى وضعته وزارة الخارجية البريطانية يقضى ألا يصعد إلى الباخرة سوى الحاكم العام، وأن كل من عداه سيمرون فى محاذاة الباخرة وجلالة الملك مطل عليهم، فذهب إلى الحاكم العام يخبره بأنه إذا أصرت وزارة الخارجية الإنجليزية على هذا النظام فإنه لن يسافر إلى الميناء، ويبرق الحاكم العام بذلك إلى حكومته، فتبرق هى إليه بأن النظام قد عدل، وأنه سيصعد إلى الباخرة رجلان أحدهما قاضى قضاة السودان، وأنه قد اتخذت الإجراءات لإخبار حاشية الملك بهذا التعديل، إذ كانت الباخرة فى عرض البحر حينئذ.

أى دلالة تدل عليها هذه الحادثة؟ وهل فى سجل الاعتزاز بالكرامة ما هو أنصع إشراقا من موقف الشيخ؟

وفى أوائل عام ١٩١٩م اندلع لهيب الثورة فى مصر، وقام المصريون جميعاً يطالبون بحقوقهم فى الاستقلال، وحملت أسلاك البرق خبر هذه الثورة، وامتلأت الجرائد المصرية وغير المصرية بحوادث الاعتقال التى جرت بها أوامر السلطة الإنجليزية، فلم يكن بد لأهل السودان من أن يشاركوا إخوانهم الذين يقطنون مصب نيلهم ذلك الشعور، ولم يكن بد من أن يكون لهم زعيم يتولى قيادة هذه الحركة، وتجمع آراء أهل السودان وآراء كبار المصريين هناك - وهم إذ ذاك كثيرون - على قاضى القضاة المراغى، ويلبى الشيخ النداء فيخرج معهم فى طليعة «المظاهرات»، ويجمع التوقيعات لسعد زعيم مصر ولأصحاب سعد بأنهم وكلاء الأمة الذين يطالبون بحقوقها، وتغلى مراجل غيظ الإنجليز على الشيخ، ويقترح بعضهم اعتقاله أو إيداعه السجن، ويرى السكرتير القضائى ذلك من أفدح الأخطاء ويشير بمنح الشيخ أجازة عاجلة غير محدودة الآخر، ويعود الشيخ إلى مصر، وينتهى عمله فى السودان.

وفى يوم ٩ من أكتوبر من عام ١٩١٩م يعين رئيساً للتفتيش فى المحاكم الشرعية بمصر ثم يعين رئيساً لمحكمة مصر الكلية فى ٢١ من يوليه عام ١٩٢٠ وفى السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٩٢١ يعين عضواً فى المحكمة الشرعية، وفى ١١ من ديسمبر عام ١٩٢٣ يعين رئيساً للمحكمة العليا.

وفى المحكمة العليا يبدأ اتصاله بشئون الأزهر، فقد كانت للأزهريين ضجة وصيحات متلاحقة تطلب إصلاح هذا المعهد الخالد، وكانت هذه الصيحات ماتزال تقلق الحكومات وتقض عليها مضاجعها، فلم يكن للحكومة مناص من أن تشكل لجنة تهدىء بها ثائرة هؤلاء على الأقل، وتخيرت أعضاء هذه اللجنة من نخبة أهل الرأى من رجال الأزهر ومن رجال الحكومة معاً، وكان الشيخ المراغى واحداً من أعضاء هذه اللجنة، ولكنه - كما علمت - كان أكثر أعضاء اللجنة إشفاقاً على الأزهر والأزهريين، وكان أكثرهم تدقيقاً فى البحث عن حقيقة ما وصل إليه هؤلاء القوم الذين درج بينهم، وكان منهم إلى أن خرج إلى الحياة العامة فبلغ فيها أرقى ما تطمح إليه الأنظار،



ويظهر أن هذا الاستقصاء في البحث لم يرق جماعة الأزهريين من بين أعضاء اللجنة فانطلقوا يفسرون اتجاهه تفسيراً يوغر عليه صدور أهل الأزهر، ثم تعرض له أحدهم يكابره - أو يناوئه - وحين ولي الشيخ المراغي مشيخة الأزهر للمرة الأولى أسر ذلك المجادل إلى بعض أصدقائه أنه ينتظر أن يبطش به لمواقفه معه في لجنة إصلاح الأزهر، ولكنا لم ننتظر طويلاً حتى رأينا الشيخ يقفز بهذا المجادل في سلم الارتقاء قفزات سريعة.

وفي الثاني والعشرين من شهر مايو عام ١٩٢٨ الميلادي عين الشيخ «محمد مصطفى المراغي» شيخاً للجامع الأزهر، فلم يلبث أن أخذ أهبته لينقل الأزهر في أقصر مدى من معهد وقف عن التجديد منذ سبعة قرون تقريباً إلى معهد يسامي أرقى الجامعات الحديثة، وكان الذي يؤخذ عليه في هذا الحين أنه لم يحسب حساب الطفرة التي كان يود لو استطاع أن يطفرها، وعذره في ذلك أنه فهم حقيقة الأمر وعرف أن العالم كله يسير بخطوات سريعة، وأن الأزهر - إذا لم يساير القافلة - سيتخلف إلى الحد الذي لا يستطيع معه أن ينتعش مرة أخرى.

كانت سن الشيخ يوم تولى مشيخة الأزهر في عام ١٩٢٨ لا تزيد علي ثمانية وأربعين عاماً، وهذه أول مرة في تاريخ الأزهر - فيما نعلم - يتولى مشيخته شيخ في هذه السن، فلم يرض له نشاطه ولا رغبته الملحة في أن يبلغ بالأزهر المنزلة التي تؤهله لها تطاول السنين أن يقنع بما كان يقتنع به شيوخ الأزهر من قبله، فواصل ليله بنهاره في دراسة قوانين الأزهر ومناهج الدراسة فيه، وفي تغيير هذه القوانين وهذه المناهج، وبعث الحياة من جديد في علماء الأزهر وموظفيه، فكانت اللجان تجتمع عامة النهار وأكثر الليل في الإدارة العامة برآسته، وكان المدرسون يقضون عامة النهار وأكثر الليل في مراجعة دروسهم وتحقيقها، ولم يكتمل العام علي توليه المشيخة حتى خرج بقانون جديد للأزهر ينشيء فيه لوناً من النظام لم تتجه الأنظار إليه من قبل، وفيه يقسم الدراسة العالية إلى ثلاثة أقسام يسمى كل قسم منها «كلية» فكلية لعلوم الشريعة، وكلية لعلوم اللغة العربية، وكلية لعلوم أصول الدين، وينشيء أقساماً عديدة للتخصص، وينوع التخصص نفسه إلى نوعين رئيسين، فنوع للتخصص في المهنة، ونوع للتخصيص في المادة، وكل واحد من هذين النوعين له ضروب لا مجال لتفصيلها الآن.

وتشاء الأقدار ألا يتحقق للأزهر ما يريد الشيخ، وأن تقف في سبيله العقبات فيستقيل من منصبه في العاشر من شهر أكتوبر عام ١٩٢٩م.

ويعود الشيخ إلى مشيخة الأزهر في السابع والعشرين من أبريل سنة ١٩٣٥ بعد أن قامت في الأزهر ثورة عنيفة جامحة تنادى به وتعلن أنها لا ترضى بديلاً عنه، ويقضى في هذه المشيخة ما بقى من حياته الحافلة بجلائل الأعمال إلى أن يختاره الله - تعالى، وينتقل لجوار ربه في ليلة الأربعاء ١٤ من شهر رمضان ١٣٦٤هـ (الموافق ٢٢ من أغسطس ١٩٤٥م) فسح الله له في رضوانه، وجزاه خير ما يجزى عباده الصالحين!



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في مطلع كل شهر عربي

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٦٣٨٥٩٩٠

رجب ١٤٢٨هـ - يوليه/أغسطس ٢٠٠٧م - الجزء السابع - السنة الثمانون



افتتاحية العدد

من قضايا المجتمع:

مُستقبَل الطالبِ الجامعيّ

من عادة الجمهور أن يتبع كل ناعق، فما يقوم صائح بدعوى برّاقة حتى يلتف حوله من ينبهر بقوله دون تمحيص وتصبح هذه الدعوى الكاذبة بشيوعها المستفيض كأنها حق لا شك فيه، ولو خلا كل إنسان إلى نفسه وفكر تفكيرا سليما فيما شاع واشتهر كأنه أمر مفروغ من صحته، لبدا له الخطأ اللموس فيما سلم به الجمهور من أراجيف. وتلك قضية صحيحة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾
(سبأ: ٤٦)

فقد أطلق بعض الحاقدين من أعداء الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مطلع الدعوة الإسلامية عليه - صلى الله عليه وسلم - أنه مجنون! وما كاد يفوه بهذا اللغو حتى صادف هوى لدى المشركين فأخذوا يرددون هذا الإفك الكاذب غير مفكرين في حقيقة هذا الإنسان الذى خبروه أكثر من أربعين عاما، فما عرفوا عنه غير العقل الصريح! وإزاء هذه الشائعة الكاذبة وعظهم القرآن بأن يجلسوا إلى أنفسهم يخلو كل فرد إلى شعوره الخاص أو يجلس مع زميل واحد فيتدارسان هذه الفرية بعيدا عن تأثير العامة ويتساءلان: أبه جِنّة كما تزعم؟ أعرفنا عنه شيئا من الهوس في عمره المديد؟ وإذ ذاك يفيء الواحد أو الاثنان بعيدين عن الجماعة إلى عقلهما فيحكمان بأنه غير مجنون وذلك معنى قوله - عز وجل:

﴿ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾
(سبأ: ٤٦)

إن هذا الذى هتف به كتاب الله منذ خمسة عشر قرنا قرره الفيلسوف الفرنسى «جوستاف لوبون» فى كتابه «روح الجماعات» إذ جزم بتأثير الشائعات الكاذبة وأثرها فى ذيوع الأباطيل، ودعا إلى الاستقلال فى الحكم بعيدا عن هذا التأثير.

أكتب هذه المقدمة تمهيدا لما أعنيه وألمسه من جنون أولياء الأمور بالتعليم الجامعى وعده المنقذ الأول والأخير لمستقبل الأبناء، إذ هو فى رأيهم الضمان الأكيد لوظيفة ملحوظة، ذات كادر جامعى، وقد كان ذلك معقولا من قبل، إذ كانت الدولة تقوم بتعيين جميع الخريجين عن طريق القوى العاملة بحيث لا يهمل متخرج، بل يأخذ مكانه دون انتظار، كان هذا معقولا من قبل، أما الآن فقد تخلت الدولة عن تعيين الطلاب وأصبحت الطرقات تتقاذفهم فى الرواح والغدو بحثا عن لقمة العيش الضرورية، فتسد فى وجوههم الأبواب دون راحم! ومع ذلك كله فأولياء الأمور لا يهدأ لهم بال إلا إذا وجدوا أمكنة جامعية لأبنائهم، فإذا تعذر ذلك فى الجامعات المصرية فهم يبيعون العقار والأثاث والحلى ليلتحق الابن المسكين بإحدى الكليات الأهلية مع ما تتطلبه من أجر باهظ يتجاوز كل تصور! وستكون النتيجة الأليمة بعد بذل الدم والعرق والأعصاب فى سبيل هذه الشهادة الجامعية أن يكر المتخرج راجعا إلى منزله دون وظيفة ما، ويصبح عاطلا يأكل مما يأكل إخوته الصغار! فبالله ثم بالله لم كان هذا الهوس بالتعليم الجامعى الرسمى ثم بالتعليم الجامعى الأهلى؟ ولماذا أريقت هذه المصروفات فى الأعوام الأربعة والخمسة وكأنها تتدفق من معين لا ينضب؟! وماذا يفعل الأب لابنه العاطل وقد سدت السبل فى وجهه بعد أن باع فى سبيل تعليمه الجامعى كل غال وثمين، ولم يبق لديه شروى نقير؟!

وما يقال عن الكليات الجامعية الخاصة يقال عن المدارس الخاصة تماما فقد كانت هذه المدارس على تنوع أسمائها من حضانة وابتدائية وإعدادية وثانوية مثلا للتعليم النموذجى، إذ تختار أكفأ المدرسين وتعنى بالمواد الدراسية عناية كاملة تظهر فى ارتفاع النتائج ونباهة التلاميذ وحسن التربية العامة فى النشاط المدرسى وكان التلميذ بها لا يأخذ درساً خصوصيا، لأن التدريس على أحسن مستوياته، ورقابة الإدارة المدرسية كفيلة بإتمامه على أكمل وجوهه، لذلك كان العلية من أولياء الأمور يرتاحون إليه ويفضلونه على المدارس الحكومية، ثم انقلب الحال إلى ضده تماما منذ عدة عقود، فأصبحت المدرسة الخاصة موردا لكسب ذوى الخبرة فى اجتذاب الآباء وتغالت كثيرا فى ارتفاع أجورها لدرجة لا تكاد تحتمل، ثم تكون النتيجة بعد هذا البلاء أن التلميذ بها لا يستغنى عن الدرس الخصوصى فى كل مادة، فهى إذن قد فقدت دورها المأمول فى إراحة أولياء الأمور من نفقات الدرس الخصوصى إذ بذلوا أضعافه فى الرسوم المقررة عن رضا واستسلام! وكان فى ذلك الواقع الأليم ما يدعو إلى الانصراف عنها، ولكن الدعاية الكاذبة في الصحف والفخفخة المريضة فى النفوس قد شدتا الكثيرين إليها وأصبح الالتحاق بها مصدرا للمباهاة والاستعلاء، أقول ذلك عن تجربة قاسية كنت أحد شهودها، ففى

عمارة من عمارات القاهرة التى يسكنها الثرى ومتوسط الحال، أراد موظف متواضع أن يلحق ولده بالمدرسة الحكومية وذلك هو الأمر الطبيعي الذى لا شذوذ فيه ولا انحراف ولكن جارة عزيزة ولدها من أبناء المدارس الخاصة كانت تزور زوجة هذا الموظف المتواضع، فعلمت أن ولدها سينتسب إلى المدرسة الحكومية، فأظهرت الاستياء وقالت لصديقتها إن مدارس الحكومة أصبحت ملجأ لأولاد البوابين والفراشين ولذلك فأولادها لا يلتحقون إلا بالمدارس الخاصة حيث يحضر الأوتوبيس الأنيق لاصطحابهم فى الصباح، ثم مجيئهم بعد الظهيرة- وهذا أول ما ركزت عليه المتحدثة المغرورة- وهم بعد ذلك لا يختلطون بأولاد الشوارع! وأخذت تشحن الزوجة بهذا الهراء حتى أوغرت صدرها وما جاء الموظف المسكين حتى سمع ضجة عالية، ورأى استنكاراً وإصرارا على أن يذهب ابنه إلى المدرسة الخاصة، فليست بأقل من فلانة ولا هو بأقل من زوجها، وأن مركزها سيهبط فى نظر الجيران إذا لم تحمله سيارة المدرسة رائحة غادية فى الصباح والظهيرة! بهذا المنطق المغرور أقتنع الزوج أو أنه تحت الإلحاح، وتجنب الصراع أظهر الاقتناع واستدان لكى يلحق ابنه بالمدرسة المزعومة! ثم فوجىء بوجوب إعطاء الدرس الخاص فى أكثر المواد، وجاءت نتيجة امتحان الشهر الأول منذرة بفشل التلميذ إن لم يجتهد!! فبالله كيف يندفع أولياء الأمور إلى مدارس هى والتعليم العام فى مستوى واحد ثم يتكبدون أبهظ المصروفات؟! أعلم أن بعض هذه المدارس يباهى بنتائج المتفوقين فى شهادتى الإعدادية والثانوية بالجرائد اليومية وتنشر صور المتفوقين دعاية وترويجا، ولكن هذه النتائج تماما وقع مثلها وأكثر منها فى المدارس الحكومية، وليس للمدارس الخاصة ولا للحكومية فضل ما فى هذا التقدم المظهرى، إذ الفضل الأول والأخير فى الدرس الخصوصى فى المدرستين وبدونه لا يأتى التقدم المنشود! وقد قلت: إنه تقدم مظهرى لا حقيقى، لأعبر عن واقع مرير هو أن الذى أخذ ٩٨٪ أو ٩٩٪ لم ينل هذا المجموع لتفتح ذهنه واتساع أفقه وتهيئته للدراسة الجامعية، فكل ذلك مفقود تماما، ولكنه ناله بالتلقين الموجز فى عدة سطور تحفظ حفظا دون انتباه إذ ألف المدرسون أن يصوغوا الحقائق العلمية فى برشام للحفظ الآلى فقط وألف المصححون أن يجدوا هذه الإجابة المبتورة وأن يعتبروها مجال الصواب، بل مجال التفوق النهائى وكسب الدرجة العالية، وهكذا يظل التلميذ لدينا مدرسيا كالآلة الصماء إلا من عصم الله!

وفى ظل هذه المتغيرات التى حاقت بالمدارس والجامعات كان الواجب الألزم على أولياء الأمور أن يغيروا نظراتهم الخاصة بمستقبل أبنائهم؛ بحيث لا يصبح التعليم الجامعى هو الهدف المرموق مادام المتخرجون لا يجدون وسيلة للرزق من ورائه، وتبدأ هذه النظرة الواقعية من المرحلة الثانية من مراحل التعليم، لأن المرحلة الابتدائية ضرورة من الضرورات لا مفر منها، إذ هى التى تمحو الأمية وتنير الطريق الصحيح للمواطن، ولن تخلو هذه المرحلة من مرهقات يتحملها ولى الأمر مضطرا، لأن الدرس الخصوصى قد انتقل إليها بجبروته وأصبح التلميذ لا يستفيد من المدرسة إذا اقتصر على دروسها، بل هو معرض للرسوب، فالفصل إذا تكرر الرسوب! وأظرف ما شهدناه من مدرسى هذه المرحلة أنهم صاروا مؤلفين كمدرسى المرحلة الإعدادية والثانوية تماما، فكل مدرس يعد مذكرة مزركشة جميلة الغلاف تحوى المقرر، وهى خلاصة للكتاب المدرسى وعلى كل تلميذ أن يشتريها؛ لأنها مجال الشرح فى الفصل وفى الدرس الخارجى وبالله من بلوى الآباء حين يدفعون ثمن الكتاب المدرسى ثم يجرون على هذه المذكرات الساذجة التى جُعلت للكسب فحسب، إذ لابد أن تنتهى المرحلة الأولى بمصاعبها الضرورية، وهنا يقف ولى الأمر وقفة أمام النتيجة التعليمية التى انتهى إليها ولده؛ فإن وجد الدرجات مقنعة والاستعداد طيبا سارع بإلحاقه إلى المدرسة الإعدادية، وإن وجد الحظ العاثر قد تعقبه فى سوء الدرجات وانحدار المستوى فلابد أن يقتصر على ما أخذ فى المرحلة الأولى، وأن يبحث له عن عمل حرفى يعينه فى طريق الحياة، ولست مع الذين يجعلون المرحلة الإعدادية لازمة لا مفر منها كما هو المعترف به الآن! لأن محو الأمية يتم بانتهاء المرحلة الابتدائية فى رأيى.

وتمضى المرحلة الإعدادية كما مضت المرحلة الابتدائية وقد التحق بها أصحاب النتائج المبشرة بالنجاح! على أن يكون المنهج الدراسى بهذه المرحلة مليئا بأوجه النشاط المدرسى فى الجمعيات المختلفة بحيث يتعرف كل تلميذ على هوايته التى يحب مزاولتها، وسيبتهج أولياء الأمور بمن يسيرون إلى الغاية فى همة ونشاط فيأخذون الدرجات المناسبة ويتحقق هذا الابتهاج عند تقدير المجموع فى الشهادة الإعدادية! وهنا يكون هذا المجموع موضع الفصل فى مستقبل الطالب، فإذا لم يكن متوسطا أو فوق المتوسط فالأكفأ والأجدر أن يكتفى بهذا الحد من التعليم وأن يكون مستقبل التلميذ فى العمل الحر تاجرا أو صانعا أو مزارعا كأبيه! وسيجد من توفيق الله ما سيضمن له حياة كريمة قد يفوق محصولها أجر الشهادة الجامعية المحدود.

وواجب على المجتمع أن يغير نظرته إلى حملة الشهادات المختلفة وأن يكون التقدير لا بالدرجة الجامعية، بل بالكفاءة الشخصية فى مزاولة الأعمال الرابحة إذ أننا وجدنا للأسف من الآباء من يرفضون الزواج من غير الجامعى إذا كانت المخطوبة جامعية ويعدون ذلك انخفاضا لمستواها الاجتماعى! وبهذه النظرة السطحية كثرت العنوسة الأليمة بين المتخرجات وفاتهن القطار فأخذن يتلهفن بعد الثلاثين على من يجىء! ولن يجىء إلا من فاته دور الشباب ومن يكون سدا للفراغ! إن الشاب الناجح – وإن لم يحمل غير الابتدائية أو الإعدادية - سيكون مصدرا لسعادة منزلية موفقة وسيوفق فى الاهتمام بتربية أولاده على نحو يكون تعويضا لما فاته من قبل، وهو خير ألف مرة من موظف جامعى يحاسب زوجته الموظفة فيتعاملان كأنهما شركاء فى متجر لا شركاء فى عاطفة حميمة، ويدور الخلاف لأدنى مناسبة! وهذا ما نراه رأى العيان فلا مبالغة ولا افتعال!

وبعض الذين يخدعون أنفسهم يصيحون بك: إن المستوى الثقافى الذى أحرزته الزوجة الجامعية يمنع الانسجام بينها وبين غير الجامعى ممن لم يصل إلى مستواها الفكرى، وأقول لهؤلاء: إنكم تضعون رءوسكم فى الرمال حين تتحدثون عن المستوى العالى للجامعى الحديث فقد انحدر هذا المستوى منذ أعوام عدة وصار المتخرج لا يعرف الضرورى البدائى من البدهيات وفى اختبارات التعيين لبعض الوظائف انكشف المستور وظهر الجهل الفاضح حين يُسأل طالب الوظيفة عن عاصمة إقليم أو علم بارز من رجال أمته، أو مؤلف ذائع لبعض الكبار من الكتاب فلا يجيب بشىء، وإذن فقد أصبحت الثقافة العامة مشتركة بين الجامعى وغير الجامعى، لأنها ثقافة التليفزيون والفيديو والمسلسلات الإذاعية، وفيها القدر المشترك لتبادل السمر ومنعطفات الأحاديث!

فإذا جئنا إلى المدرسة الثانوية، وهى مربط الفرس فى هذا المجال فإننا ندعو إلى تغيير النظرة إلى رسالتها التوجيهية بحيث لا تكون مقصورة على الإعداد للالتحاق بالجامعة فقط، وبحيث لا يكون كل رجاء أولياء الأمور هو الكلية الجامعية المرموقة، وعلينا أن ننتفع بخبرات الدول المتقدمة فى هذا المجال، فاليابان مثلا تعد المرحلة الثانوية كافية لانتهاء التعليم الضرورى، لأن التدريس بها ينقسم إلى ناحيتين متلازمتين: ناحية علمية وناحية عملية، بحيث يتلقى الطالب دروسه فى الناحيتين على مستوى واحد فهو منذ السنة الأولى يلتحق بما يختار من المهن فيدرس التجارة، أو الزراعة، أو الحدادة، أو ملتزمات الصيد والحياكة والنسيج، وتكون السنوات المتوالية سلما تدريجيا لإتقان الحرفة التى اختارها مع ما يدرسه فى الناحية العلمية فإذا تخرج من الثانوية توجه تلقائيا إلى مزاولة ما أجاده من هذه الحرف، وتلقفته المصانع والمعامل والمتاجر ليؤدى دوره بأجر مجزىء، لا يجعله يفكر فى الكلية الجامعية التى لا يتهيأ لها غير ذوى المواهب الراقية وسيجدون ما يمتعهم من البحث العلمى فى كليات متخصصة ليست متخمة بالأعداد الكثيرة، ولم تتحول إلى مدرجات يسع الواحد منها عدة مئات ليسمع الطالب ولا يناقش وليكون الكتاب المفروض هو كل شىء وإن لم يُفهم على وجهه الصحيح!

وأوجه الكلام هنا إلى أولياء الأمور فأقول إن الواحد منهم يضطر إلى الكليات الخاصة شغفا بالانتساب إلى التعليم الجامعى، فيدفع فى العام الواحد أكثر من ثلاثين ألفا فى الكليات المتواضعة ويدفع لابنه مصروفه الشهرى بما لا يقل عن ألف جنيه فى الشهر الواحد فيزيد المجموع عن أربعين ألفا ثم تتوالى السنوات الأربع فيصل ما أنفقه إلى أكثر من مائة وستين ألفا! والكارثة كل الكارثة بعد ذلك أنه لن يجد مكانا محترما يشغله! فكيف لا يكون هذا المبلغ المرهق حقا موضعا للكسب من متجر أو مصنع أو مزرعة فيغنى صاحبه ويتيح الفرصة لعمال متعطلين لا يجدون بابا للارتزاق، وتنهض الحركة المعيشية حين يتيسر العمل الشريف لكل عاطل حزين بانتشار هذه المشروعات؟!

ولا أجد أقرب إلى الاقتناع وأدعى للتصديق من المثل الواقعى الملموس الذى يؤكد القضية التى أدعو إليها، وهو مثال كنت أحد شهوده بدءا وخاتمة، فقد كان بكلية اللغة العربية بالمنصورة طالب فى السنة الأولى رسب عامين متواليين فى ست مواد وتعين عليه أن يسحب أوراقه ليلتحق بكلية أخرى كما يتيح القانون، وحين ذهب بأوراقه إلى الكلية المجاورة وهى كلية أصول الدين قابله صديقى الراحل العزيز الدكتور عبدالحميد الطنطاوى ـ رحمه الله ـ وسأله عن مقصده فعرف ما ينتويه، ونظر الدكتور إلى الطالب وهو يعرف مقدرته الضعيفة التى لا تساعد على انتظامه فى السلك الجامعى وإن تبدل الوضع من كلية إلى كلية، فاصطحبه إلى مكتبه، وقال له فى رفق الوالد وحنان الأستاذ المخلص: يا فلان إن مواد الكلية التى تنوى الالتحاق بها لا تقل صعوبة عن مواد كلية اللغة العربية التى لم توفق فى استيعابها، وليست الكلية هى طوق النجاة الوحيد، وأنت شاب قوى البنية موفور الصحة، وأشير عليك أن تذهب للعمل فى الكويت والعراق ـ وكان ذلك قبل اعتداء صدام بعدة أعوام وطوائف الطلاب يرحلون فى المسامحة (الأجازة الصيفية) إلى العراق أو الكويت دون انقطاع ـ فارحل سريعا ولا تحضر عند الدراسة بل استمر حتى توفر لك قدرا من المال ترجع به ليكون نواة لعمل تجارى أو زراعى، وكان الطالب فى صميم شعوره يكره الدراسة ويبحث عن منفذ آخر فصادف الاقتراح قبوله، وعجل بالتنفيذ وبعد ستة أعوام رجع ليفتح فى قريته محلا لبيع الدواجن المذبوحة، وساعده الحظ الذى أخلفه من قبل فراجت تجارته واشترك فى مزرعة للدواجن مع بعض التجار المربيّن، فكان من العجب العاجب أن زملاءه الذين أكملوا الدراسة ولم يجدوا بابا للرزق أخذوا يسعون إليه كي يكونوا عمالا فى مزرعته! وكان كريما سمحا فأجزل لهم الأجر وهم الآن يعملون لديه شاكرين عطفه وسماحته!! ولولا اقتراح الفقيد العزيز ما أشرق نور الحياة فى وجه الطالب المسكين!

أفبعد ذلك نحصر آمالنا فى الكلية بالجامعة ونبيع العقار والحلى والأثاث لنلتحق بها ثم نخرج إلى الحياة عاطلين نتلمس الوظيفة الشحيحة كأنها الشىء الوحيد فى الحياة متجاهلين قول القائل:

وهم الذى حسب الوظائف راحة
هى راحة الأسرى إلى الأغلال

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

(الآيات: ١٤٠ : ١٤٣)

قال- تعالى:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾

فقال الفخر الرازى: واعلم أن هذا من تمام قوله - تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾

فبين - تعالى- أن الذى يصيبهم من القرح لا يصح أن يزيل جدهم واجتهادهم فى جهاد العدو، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك فى الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى [1].

والمراد بالمس هنا: الإصابة بالجراح ونحوها.

والقرح- بفتح القاف- الجرح الذى يصيب الإنسان، والقرح - بضم القاف- الألم الذى يترتب على ذلك، وقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو الجرح وأثره.

والمعنى: إن تكونوا- أيها المؤمنون- قد أصابتكم الجراح من المشركين فى غزوة أحد، فأنتم قد أنزلتم بهم من الجراح فى غزوة بدر مثل ما أنزلوا بكم فى أحد، ومع ذلك فإنهم بعد بدر قد عادوا لقتالكم، فأنتم أولى بسبب إيمانكم ويقينكم ألا تهنوا وألا تحزنوا لما أصابكم فى أحد وأن تعقدوا العزم على منازلتهم حتى يظهر أمر الله وهم كارهون.

وقيل: إن المعنى إن تصبكم الجراح فى أحد فقد أصيب القوم بجراح مثلها فى هذه المعركة ذاتها.

وقد ذكر صاحب الكشاف هذين المعنيين فقال: والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم، ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه:

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾

(النساء: ١٠٤)

وقيل: كان ذلك يوم أحد، فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله - ﷺ.

فإن قلت: كيف قيل «قرح مثله» وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين؟ قلت: بلى كان مثله، ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار، ألا ترى [2] إلى قوله - تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾

(آل عمران: ١٥٢)

ويبدو لنا أن الظاهر هو الرأى الأول، وهو أن الكلام عن غزوتى بدر وأحد، لأن الله - تعالى- قد ساق هذه الآية الكريمة لتسلية المؤمنين بأن ما أصابهم فى أحد من المشركين قد أصيب المشركون بمثله على أيدى المؤمنين فى غزوة بدر، فلماذا يحزنون أو يضعفون؟ ولأن قوله - تعالى- بعد ذلك

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١٤٠)

يؤيد هذا المعنى- كما سنبينه بعد قليل.

وجواب الشرط فى قوله:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾

محذوف والتقدير إن يمسسكم قرح فاصبروا عليه واعقدوا عزمكم على قتال أعدائكم، فقد مسهم قرح مثله قبل ذلك.

وعبر عما أصاب المسلمين فى أحد بصيغة المضارع: «يمسسكم» لقربه من زمن الحال، وعما

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٩ صـ ١٤

(٢) تفسير الكشاف جـ١ صـ ٤٦

أصاب المشركين بصيغة الماضي لبعده؛ لأن ما أصابهم كان في غزوة بدر.

وقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾

بيان لسنة الله الجارية في كونه، وتسلية للمؤمنين عما أصابهم في أحد.

وقوله: ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ من المداولة، وهي نقل الشيء من واحد إلى آخر.

يقال: هذا الشيء تداولته الأيدي، أي انتقل من واحد إلى آخر.

والمعنى: لا تجزعوا أيها المؤمنون لما أصابكم من الجراح في أحد على أيدي المشركين فهم قد أصيبوا منكم بمثل ذلك في غزوة بدر، وإن أيام الدنيا هي دول بين الناس، لا يدوم سرورها ولا غمها لأحد منهم، فمن سره زمن ساءته أزمان، ومن أمثال العرب الحرب سجال، والأيام دول فهي تارة لهؤلاء وتارة لأولئك، كما قال الشاعر:

فــــلا وأبى الناس لا يعلمــــــون

فــلا الخيــر خيــر ولا الشــر شــر

فيــــــوم علينـا، ويوم لنـا

ويوم نســـــــاء ويوم نســــــر

واسم الإشارة «تلك» مشار به إلى ما بعده، كما في الضمائر المبهمة التي يفسرها ما بعدها، ومثل هذا التركيب يفيد التفخيم والتعظيم.

والمراد بالأيام: الأوقات والأزمان المختلفة لا الأيام العرفية التي يتكون الواحد منها من مدة معينة.

وقد فسر صاحب الكشاف مداولة الأيام بتبادل النصر، فقال: وقوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ ﴾، تلك مبتدأ. والأيام صفته ﴿ نُدَاوِلُهَا ﴾ خبره.

ويجوز أن يكون «تلك الأيام» مبتدأ وخبراً، كما تقول: هي الأيام تبلى كل جديد.

والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة. ونداولها: نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء»[3]

وقد تكلم الإمام الرازي عن الحكمة في مداولة الأيام بين الناس فقال ما ملخصه: «واعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله – تعالى – ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين، وذلك لأن نصرة الله منصب شريف، وإعزاز عظيم فلا يليق بالكافر، بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين والفائدة فيه من وجوه:

● الأول: إنه – سبحانه – لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات. لحصل العلم الاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل، ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب، فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية، والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله.

● والثاني: أن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي، فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا أدباً، وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضباً من الله عليه»[4].

(3) تفسير الكشاف جـ1 صـ419.

(4) تفسير الفخر الرازي جـ9 صـ10.

ووجه آخر وهو شحذ عزائم المؤمنين في اتخاذ وسائل النصر فلا يركنوا إلى إيمانهم ويتركوا العمل بالأسباب.

ثم كشفت السورة الكريمة عن جوانب من حكمة الله فيما وقع من أحداث في غزوة أحد، وفيما وراء مداولة الأيام بين الناس فقال – تعالى:

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾

أي فعلنا ما فعلنا في أحد، واقتضت حكمتنا أن تداول الأيام بينكم وبين عدوكم، ليظهر أمركم – أيها المؤمنون – وليتميز قوي الإيمان من ضعيفه.

فمعنى علم الله هو تحقق ما قدره في الأزل فيعلمه الناس، ويعلمه الله – تعالى – واقعاً حاضراً، وذلك لأن العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإنما يترتبان على المعلوم إذا صار مشاهداً واقعاً في الحس.

قال صاحب الكشاف: وقوله:

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

فيه وجهان:

● أحدهما: أن يكون المعلل محذوفاً والمعنى: وليتميز الثابتون على الإيمان منكم من الذين على حرف، وهو من باب التمثيل بمعنى: فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت، وإلا فالله – عز وجل – لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها.

● والثاني: أن تكون العلة محذوفة، وهذا عطف عليه والمعنى: وفعلنا ذلك ليكون كيت وليعلم الله، وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة، ليسليهم عما جرى عليهم، وليبصرهم بأن العبد يسوؤه ما يجري عليه من المصائب، ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه»[5]

وقوله: ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾

بيان لحكمة أخرى لما أصاب المسلمين يوم أحد.. أي: وليكرم ناساً منكم بالشهادة ليكونوا مثالاً لغيرهم في التضحية بالنفس من أجل إعلاء كلمة الله، والدفاع عن الحق وهو – سبحانه – يحب الشهداء من عباده، ويرفعهم إلى أعلا الدرجات، وأسمى المنازل.

قال القرطبي ما ملخصة: قوله – تعالى:

﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾

أي يكرمكم بالشهادة، أي ليقتل قوم منكم فيكونوا شهداء على الناس بأعمالهم. وقيل: لهذا قيل شهيد.

وقيل: سمي شهيداً لأنه مشهود له بالجنة وقيل: سمي شهيداً، لأن أرواحهم احتضرت دار السلام لأنهم أحياء عند ربهم، فالشهيد بمعنى الشاهد أي الحاضر للجنة، والشهادة فضلها عظيم ويكفيك في فضلها قوله – تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾

(التوبة: ١١١)

(5) تفسير الكشاف جـ1 صـ420

وفي الحديث الشريف أن رجلاً قال: «يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال - ﷺ - «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»[٦] وقوله - تعالى -:

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

جملة معترضة لتقرير مضمون ما قبلها، أي: والله - تعالى - لا يحب الذين ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم ونفاقهم وتخاذلهم عن نصرة الحق، وإنما يحب المؤمنين الثابتين على الحق، المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء دين الله، ونصرة شريعته.

ثم ذكر - سبحانه - حكمتين أخريين لما جرى للمؤمنين في غزوة أحد فقال:

﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾

وقوله ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ﴾ من المحص بمعنى التنقية والتخليص، يقال: محصت الذهب بالنار ومحصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث. أو من التمحيص بمعنى الابتلاء والاختبار.

وقوله ﴿ وَيَمْحَقَ ﴾ من المحق وهو محو الشئ والذهاب به، وأصله نقص الشئ قليلاً قليلاً حتى يفنى. يقال: محق فلان هذا الطعام إذا نقصه حتى أفناه ومنه المحاق، لآخر الشهر، لأن الهلال يبلغ أقصى مدى النقصان فيختفى.

والمعنى: ولقد فعل - سبحانه - ما فعل في غزوة أحد، لكي يطهر المؤمنين، وتصفيهم من الذنوب، ويخلصهم من المنافقين المندسين بينهم، ولكي يهلك الكافرين، ويمحقهم بسبب بغيهم وبطرهم.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد ذكر أربع حكم لما حدث للمؤمنين في غزوة أحد وهي: تحقق علم الله - تعالى - وإظهاره للمؤمنين، وإكرام بعضهم بالشهادة التي توصل صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتطهير المؤمنين وتخليصهم من ذنوبهم ومن المنافقين، ومحق الكافرين واستئصالهم رويداً رويداً.

ثم بين - سبحانه - أن طريق الجنة محفوف بالمكاره، وأن الوصول إلى رضا الله - تعالى - يحتاج إلى جهاد عظيم، وصبر طويل فقال - تعالى -:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

و«أم» هنا يرى كثير من العلماء أنها منقطعة، بمعنى بل الانتقالية، لأن الكلام انتقل من تسليتهم الى معاتبتهم على ما حدث منهم في غزوة أحد من مخالفة بعضهم لأمر رسول الله - ﷺ - وفرارهم عنه في ساعة الشدة.

والهمزة المقدرة معها للإنكار والاستبعاد.

وقوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ معطوف على جملة ﴿ وَلَا تَهِنُوا ﴾ وذلك أنهم لما مسهم القرح فحزنوا واعتراهم شئ من الضعف، بين الله لهم أنه لا وجه لهذا الضعف أو الحزن لأنهم هم الأعلون، والأيام دول، وما أصابهم فقد سبق أن أصيب بمثله أعداؤهم، ثم بين لهم هنا: أن دخول الجنة لا يحصل لهم إذا لم يبذلوا مهجهم

(٦) تفسير القرطبي جـ٤ صـ ٢٦٨

وأرواحهم في سبيل الله، فإذا ظنوا غير ذلك فقد أخطأوا.

والمعنى: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة، وتنالوا كرامة ربكم، وشرف المنازل عنده مع أنكم لم تجاهدوا في سبيل الله جهاد الصابرين على شدائده ومتاعبه ومطالبه، إن كنتم تحسبون هذا الحسبان فهو ظن باطل يجب عليكم الإقلاع عنه.

ويحتمل أن تكون «أم» هنا للمعادلة بمعنى أنها متصلة لا منقطعة «ويكون المعنى عليه: أعلمتم أن الله - تعالى - سنناً في النصر والهزيمة، وأن الأيام دول. وأن الوصول إلى السنة يحتاج إلى إيمان وجهاد وصبر، أم حسبتم وظننتم أنكم تدخلون الجنة من غير مجاهدة واستشهاد؟.

وقوله:

﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾

معناه: ولم تجاهدوا جهاد الصابرين فيعلم الله ذلك منكم.

قال صاحب الكشاف: وقوله:

﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾

بمعنى ولما تجاهدوا. لأن العلم متعلق بالمعلوم، فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه، لأنه منتف بانتفائه، يقول الرجل: ما علم الله من فلان خيراً، يريد ما فيه خير حتى يعلمه، و«لما» بمعنى «لم» إلا أن فيها ضرباً من التوقع، فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يستقبل. وتقول: وعدني أن يفعل كذا ولما يفعل، تريد: وأنا أتوقع فعله»[٧].

وجملة:

﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾

حالية من ضمير «تدخلوا» مؤكدة للإنكار، فإن رجاء الأجر من غير علم مستبعد عند ذوي العقول السليمة، ولذا قال بعضهم:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال بعض الحكماء «طلب الجنة من غير عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة».

وقوله: ﴿ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾

أي ويتميز الصابرون في جهادهم عن غيرهم، فالآية الكريمة تشير إلى أن الشدائد من شأنها أن تميز المجاهدين الصادقين في جهادهم، الثابتين في البأساء والضراء من غيرهم، وأن تميز الصابرين الذين يتحملون مشاق القتال وتبعاته بقلب راسخ، ونفس مطمئنة من الذين يجاهدون ولكنهم تطيش أحلامهم عند الشدائد والأهوال.

فالجهاد في سبيل الله يستلزم الصبر، لأن الصبر هو عدة المجاهد وأساس نجاحه، ولقد سئل بعضهم عن الشجاعة فقال: الشجاعة صبر ساعة.

وقال بعض الشعراء يعتذر عن انتصار أعدائهم عليهم:

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

(٧) تفسير الكشاف جـ١ صـ ٤٢٠.

ولقد كان عدم صبر الرماة فى غزوة أحد، ومسارعتهم إلى جمع الغنائم، من أهم الأسباب التى أدت إلى هزيمة المسلمين فى تلك المعركة.

والآية الكريمة كذلك تشير إلى أن الطريق إلى الجنة ليس سهلاً يسلكه كل إنسان وإنما هو طريق محفوف بالمكاره والشدائد، ولا يصل إلى غايته إلا الذين جاهدوا وصبروا وصابروا، ولذا قال رسول الله - ﷺ - «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».[8]

ثم ذكرهم -سبحانه- بما كان منهم من تمنى الشهادة فى سبيله فقال:

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

قال ابن جرير ما ملخصه: كان قوم من أصحاب النبى - ﷺ - ممن لم يشهد بدراً، يتمنون قبل يوم أحد يوماً مثل يوم بدر فيعطون الله من أنفسهم خيراً، وينالون من الأجر مثل ما نال أهل بدر، فلما كان يوم أحد، فر بعضهم وصبر بعضهم، حتى أوفى بما كان عاهد الله عليه قبل ذلك، فعاتب الله من فر منهم بقوله:

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ﴾

وعن الحسن قال: بلغنى أن رجالا من أصحاب النبى ﷺ كانوا يقولون: لئن لقينا مع النبى ﷺ المشركين، لنفعلن ولنفعلن، فابتلوا بذلك -فى أحد-، فلا والله ما كلهم صدق، فأنزل الله -تعالى- ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ ﴾.. الآية[9].

والخطاب فى الآية الكريمة للمؤمنين الذين لم يفوزوا بالشهادة فى غزوة أحد، وهو خطاب يجمع بين الموعظة والملام.

والمراد بالموت هنا الشهادة فى سبيل الله، أو الحرب والقتال لأنهما يؤديان إلى الموت.

والمعنى: ولقد كنتم- يا معشر المؤمنين- «تتمنون الموت» أى الحرب أو الشهادة فى سبيل الله:

﴿ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾

أى تشاهدوه وتعرفوا أهواله:

﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ ﴾

أى فقد رأيتم ما تتمنونه من الموت بمشاهدة أسبابه وهى الحرب وما يترتب عليها من جراح وآلام وقتال:

﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

أى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أنتم أيها الأحياء أن تقتلوا.

وقوله:

﴿ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ ﴾

متعلق بقوله ﴿ تَمَنَّوْنَ ﴾ مبين لسبب إقدامهم على التمنى، أى من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا مصاعبه.

ففى الجملة الكريمة تعريض بأنهم تمنوا أمراً دون أن يقدروا شدته عليهم، ودون أن يوطنوا أنفسهم على تحمل مشقاته وتبعاته.

والفاء فى قوله: ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ ﴾

(8) صحيح مسلم.

(9) تفسير ابن جرير جـ4 صـ109.

للإفصاح عن شرط مقدر دل عليه صدر الكلام، والتقدير: إذا كنتم قد تمنيتم الموت فقد وقع ما تمنيتموه ورأيتموه رأى العين، فأين بلاؤكم وصبركم وثباتكم؟

وقوله: ﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

جملة حالية من ضمير المخاطبين مؤكدة لمعنى رأيتموه، أى رأيتموه معاينين له، وهذا على حد قولك: رأيته وليس فى عينى علة، أى رأيته رؤية حقيقية لاخفاء ولا التباس.

والتعبير بالمضارع ﴿ تَنظُرُونَ ﴾ يفيد التصوير وإحضار الصورة الواقعة فى الماضى كأنها واقعة فى الحاضر، فيستحضرها العقل كما وقعت، وكما ظهرت فى الوجود.

والنظر الذى قرره الله - تعالى- بقوله:

﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

يتضمن النظر إلى الموقعة كلها، وكيف كان النصر فى أول الأمر للمسلمين، ثم كيف كانت الهزيمة بعد ذلك بسبب تطلع بعضهم إلى أعراض الدنيا، ثم كيف تفرقت صفوفهم بعد اجتماعها وكيف تضعضعت بعض العزائم بعد مضائها وقوتها.

ولقد حكت الآية الكريمة أن المسلمين كانوا يتمنون الموت فى معركة، وليس فى ذلك من بأس، بل إن هذا هو شعار المؤمن الصادق، لأن المؤمن الصادق هو الذى يتمنى الشهادة فى سبيل الله ومن أجل نصرة دينه، ولقد قال رسول الله- ﷺ- «لوددت أنى أقتل فى سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل».[10]

وقال عمر بن الخطاب- رضى الله عنه: «اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك»، ولكن الذى يكرهه الإسلام هو أن يتمنى المسلم الشهادة ثم لا يفى بما تمناه، بمعنى أن يفر من الميدان أو يفعل ما من شأنه أن يتنافى مع الجهاد الحق فى سبيل الله.

ولذا قال الآلوسى: «والمقصود من هذا الكلام عتاب المنهزمين على تمنيهم الشهادة، وهم لم يثبتوا حتى يستشهدوا، أو على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمنى الشهادة نفسها لأن ذلك مما لا عتاب عليه كما وهم».[11]

فالآية الكريمة تعظ المؤمنين بأن لا يتمنوا أمراً حتى يفكروا فى عواقبه، ويعدوا أنفسهم له، ويلتزموا الوفاء بما تمنوه عند تحققه، ولقد رسم النبى - ﷺ - الطريق القويم الذى يجب أن يسلكه المسلم فى حياته، فقال فى حديثه الصحيح: «أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[12].

وبذلك نرى أن هذه الآية الكريمة قد أمرت المؤمنين بأن يعتبروا بأحوال من سبقهم، وأن يتجنبوا ما كان عليه المكذبون من ضلال وعصيان وأن يوطنوا أنفسهم على تحمل المصائب والآلام، فإن العاقبة لهم، وأن يعلموا أن الحياة لا تخلو من نصر وهزيمة، وسراء وضراء، حتى يتميز الخبيث من الطيب، وأن يعرفوا أن الطريق إلى الجنة يحتاج إلى إيمان عميق، وصبر طويل، وجهاد شديد، واستجابة كاملة لتعاليم الإسلام وآدابه.

(10) صحيح البخارى جـ1 ص33.

(11) تفسير الألوسى جـ4 صـ73

(12) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد جـ4 صـ62 ومسلم فى كتاب الجهاد والسير جـ5 صـ13.

السنة:

أعظم الكرامة لزوم الاستقامة

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن سفيان بن عبدالله الثقفى «رضى الله عنه» أنه قال: قلت يا رسول الله: قل لى فى الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم».

التعريف بالراوى

هو سفيان بن عبدالله بن أبى ربيعة الثقفى الطائفى، له صحبة ورواية، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب «رضى الله عنه» على الطائف. روى عنه ابنه عبدالله، وعروة بن الزبير، ومحمد بن عبدالله بن ماعز، ونافع بن جبير.

الشرح والبيان

يقول الله - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

والصراط المستقيم هو دين الله القويم الذى شرعه الله «عز وجل» لعباده، وأمرهم باتباعه، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كذلك.. قال «عز وجل»:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

وكما أمرنا الله «سبحانه» باتباع الدين القويم، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه - لنكون على تقوى من الله ورضوان - نهانا عن اتباع الأديان المختلفة، وسلوك الطرق الملتوية، حتى لا نحيد عن سبيل الهدى، وطريق الرشاد، وقد وضح ذلك رسول الله «ﷺ» فى حديث عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» قال: «خط لنا رسول الله «ﷺ» خطا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل (متفرقة)، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها»، ثم قرأ:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

- رواه الحاكم وصححه، وأحمد فى مسنده.

فالطريق إلى الله واضح وضوح الشمس فى كبد السماء، لا ينكر ضوءها إلا الأعمى كما أنشد الشاعر:

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة
ألا يشاهدها من ليس ذا بصر

وذلك أنه طريق واحد، لا التواء فيه، ولا خفاء، ولا غموض، أما طريق الشيطان فمتعدد بتعدد شياطين الإنس والجن، وقدرتهم على التزييف، و جلب الفساد إلى الطباع، والانحراف إلى النفوس، وقد برز نشاطهم فى عصرنا هذا حتى اختلط على البعض الحق بالباطل، والإيمان بالكفر، والتبس على البعض - الآخر - الرشد بالغىّ، والخير بالشر، وراح المؤمنون الصادقون المخلصون النابهون يبحثون عن مخرج من هذا الضيق، وعن عاصم يعصم من تيار هذه الفتن، لكن الله - تبارك وتعالى - جلت قدرته، وتعالت عظمته بيّن الخير من الشر، والحق من الباطل، والرشد من الغىّ، والإيمان من الكفر، فقال - وهو أصدق القائلين -:

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

(البلد: ١٠)

أى: الطريقين، طريق الخير والشر، والمعنى: بيناهما له بما أرسلناه من الرسل، ولم نجبر أحداً على اعتقاد:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

بل وجهناه إلى استباق الخيرات والتنافس على الطاعات:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة: ١٤٨)

وتعالوا بنا لنعيش مع صاحب الرأى الجيد، والفكر الناضج، مع الصحابى الجليل سفيان بن عبدالله الثقفى «رضى الله عنه» وقد أراد أن يظفر بقبس من هدى النبوة، يستغنى به عن طلب الهداية، والتماس النصيحة من أحد بعد رسول الله «ﷺ» فكان أن توجه إليه بهذا السؤال: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك.

أى: علمنى ـ يا رسول الله ـ فى الإسلام كلاماً جامعا، كافيا فى بيان مقاصده التى تكفل استقامة الفرد، وصلاح المجتمع، فأجابه الرسول «صلوات الله وسلامه عليه» قائلاً: «قل آمنت بالله ثم استقم».

تدبروا هذه الجملة التى أطلقها الرسول «ﷺ»، حكمة بالغة من جوامع كلمه «ﷺ»، والتى نفحت السائل، ونفحت الإنسانية كلها دستورا عظيما قويما فى كلمتين اثنتين، هما الإيمان والاستقامة، فما الإيمان، وما الاستقامة؟

الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، قال -تعالى-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

(النساء: ١٣٦)

فالإيمان كلمة جامعة لأصول الخير تنبثق عنها جميع القيم الخلقية والنفسية، فإذا استقر الإيمان فى القلوب وخالطت بشاشته النفوس أراك العجب العجاب، أراك الإنسان المثالى المتحضر، الذى يمشى على هذه الأرض ملاكا طيبا قبلته الخير، ووجهته المعروف ومعاملته الإحسان لا ترتفع يده إلا بالضراعة والدعاء، ولا تمتد إلا بالإحسان والإعطاء، ولا يلق الناس منه إلا الخير والإحسان والبر، هذا هو الإيمان، ما وقر فى القلب وصدقه العمل.

الإيمان الصحيح

أما الاستقامة: فهى الحركة الإيجابية للإيمان الصحيح، فالذين استقاموا لا يحيدون عن التوحيد، ويلتزمون طاعته -سبحانه وتعالى- إلى أن توافيهم المنية على ذلك، فالاستقامة سلوك الطريق السوى والنهج القويم فى العقيدة والخلق والعبادة والمعاملة، والاستقامة فى العقيدة أن يستعمل الإنسان عقله:

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

(الروم: ٣٠)

والفطرة: هى الاستعداد لقبول الحق، فإذا ألغى الإنسان عقله وقلد غيره فهو حائد عن طريق الصواب والرشاد ولقد نعى القرآن الكريم على من تركوا الحق الواضح وتعلقوا بباطل لا سند له إلا أن آباءهم كانوا مقيمين عليه:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٠)

ولهذا وجدنا أول الدعاة فى هذه الأمة محمدا ﷺ يخاطب العقول ويحرك الأفهام لتتجه نحو العقيدة الصحيحة بالحجة والبرهان والمنطق والبيان، فحينما أرسلت إليه قريش الحصين ليصرفه عن دينه، وكان رسول الله ﷺ يعلم أن الحصين تعظمه قريش وتجله، فلما رآه النبى ﷺ قادما إليه، قال لأصحابه: أوسعوا للشيخ، فآتت هذه الكلمة ثمرتها وأخذت طريقها إلى قلب الحصين حتى قال: ما هذا الذى بلغنا عنك؟ إنك تشتم آلهتنا وتذكرها بسوء، فقال رسول الله ﷺ: «يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال: سبعة فى الأرض وواحد فى السماء، قال: فإذا أصابك الضر من تدعو؟ قال: الذى فى السماء، قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال الذى فى السماء، قال: فيستجيب لك وحده وتشرك معه؟! أسلم تسلم» فأسلم الحصين فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «شيعوه إلى منزله» تكريما له، لأنه اتبع الحق حين تبين له. رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن عمران بن حصين.

الجدل والخصومة المذهبية!!

هذا ومن الضلال فى العقيدة اتباع الخرافات والأوهام والجدل فى الحق بعدما تبين، وما أضاع وقت المسلمين وصرفهم عن العمل النافع المثمر وأذهب مجدهم وهدم كيانهم إلا إغراقهم فى الجدل، وإمعانهم فى الخصومة المذهبية، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل».[1]

ويقول ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وقالوا بآرائهم وخالفوا سنن أنبيائهم» مروى فى الإبانة الكبرى لابن بطة عن حذيفة بن اليمان.

أما الاستقامة فى الخلق: فهى اعتدال فى السلوك والتزام للحد الوسط بين طرفين كلاهما شر ورذيلة مثلاً: لا يكون الإنسان جبانا رعديداً ينخلع قلبه لأقل حادث وأتفه سبب، ولا يكون متهورا يلقى بنفسه إلى التهلكة بل عليه أن يكون شجاعاً فى الدفاع عن حقه وماله ووطنه وعرضه، كذلك لا يكون الإنسان جبارا متكبرا على الناس ولا يكون وضيعا يفرط فى كرامته ويتبع غيره ويذل نفسه، قال رسول الله ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا» (من حديث أبى ذر فى المعجم

(١) مسند الإمام أحمد جـ٥ ص٢٥٢

الأوسط للطبراني) بل يكون عزيزا في نفسه متواضعا لغيره في غير ذل أو مهانة.

اعتدال لا يعرف التفريط

ولا ينبغي لإنسان أن يعيش عالة على أهله أو كلاً على غيره، كما أنه ينبغي ألا يتطلع إلى ما في يد غيره، بل عليه أن يعمل ويكدح ليأكل من كدّ يده وعرق جبينه، وأن يقنع ويرضى بما قسم الله له، كذلك لا يكون بخيلاً، مقتراً على نفسه وأهله، ولا يكون مسرفاً مبذراً، بل يكون كريماً مع نفسه وأهله وضيوفه. قال -تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٧)

أما الاستقامة في العبادة والعمل فهي اعتدال لا يعرف التفريط ولا الإفراط، فمن الناس من يرهق نفسه، ويكلفها فوق طاقتها، فيكون كالمنبت، لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى، ومنهم من يتحلل من جميع الواجبات، فلا دين يمنعه، ولا خلق يردعه، والإسلام لا يريد هذا من هؤلاء وهؤلاء، الإسلام يريد المسلم المعتدل الملتزم الذي يعرف حق ربه ونفسه ومجتمعه وقد ورد عن رسول الله «ﷺ» قوله: «إن لربّك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه» رواه البخاري.

وعن النواس بن سمعان «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله «ﷺ»: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله -تعالى- والأبواب المفتحة محارم الله «تعالى» وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله «عز وجل» والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم» رواه أحمد واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي ثم الألباني.

لهذا ينبغي أن نمتثل أوامر القرآن، وأن نجتنب نواهيه، وأن نقف عند حدوده، ففي الحديث المتفق عليه عن عائشة «رضي الله عنها» قالت: تلا رسول الله «ﷺ»:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران: ٧)

قالت: قال: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» ولقد روى الترمذي عن عبدالله بن عمرو «رضي الله عنهما» قال: قال رسول الله «ﷺ»: «ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

الصفوة المختارة

وعليه فالاستقامة من الأمور الشاقة الصعبة التي لا تطيقها إلا النفوس الكبيرة، فلا يقوى على الاستقامة الكاملة إلا الصفوة المختارة، ومن أجل ذلك أمر الله بالاستغفار عقب الأمر بالاستقامة -قال تعالى-

﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾

(فصلت: ٦)

ولقد نظر بعض الصحابة إلى رسول الله «ﷺ»، فوجد الشيب قد بدا في رأسه ولحيته، فقال: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشيب! فقال «ﷺ»: «شيبتني هود وأخواتها»[٢]، وقيل: إن الذي شيب النبي -صلى الله عليه وسلم- من سورة هود قوله- تعالي:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(هود: ١١٢)

فمن رزق الاستقامة فقد رزق الخير كله، وكيف لا؟ وقد قال -سبحانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

(فصلت: ٣٠)

وهكذا فإن أعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وفقنا الله جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه.

❁❁❁

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي جحيفة

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١]

دروس من الإسراء والمعراج

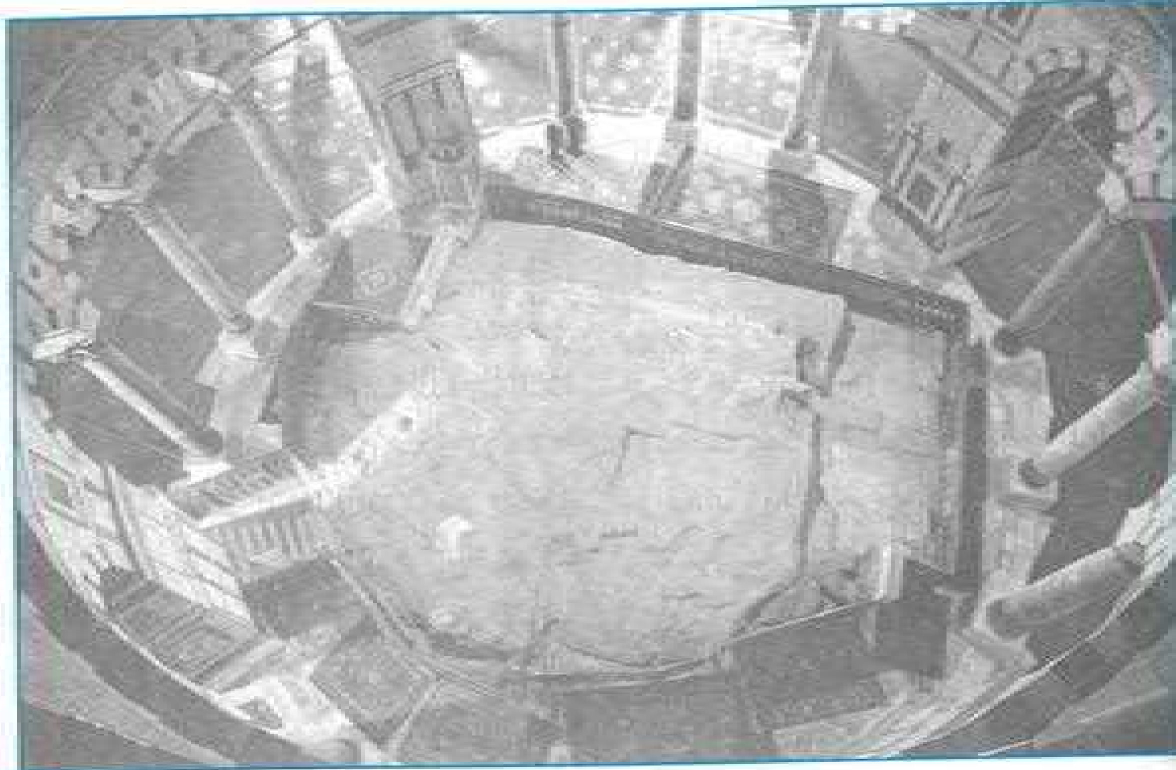
لفضيلة الشيخ / عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

حديث الإسراء أجمع عليه المسلمون قديما وحديثا وأعرض عنه وجحده الزنادقة والملحدون.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

(الصف: ٨)

إن قصة الإسراء ومعها قصة المعراج كانتا في ليلة واحدة وكان الإسراء من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس وكان المعراج من بيت المقدس إلى السموات العلى وسدرة المنتهى، وذلك العالم الغيبي المجهول لنا. تلك المعجزة الحسية كانت تحديا لهؤلاء الذين لم يؤمنوا بالمعجزات العقلية كي تكون تحديا لهم بأن هذه الرسالة من عند الله- تعالى- وأن ما جاء به محمد ﷺ إن هو إلا وحي يوحى فلا مجال للإنكار والعناد أيها المنكرون المعاندون فها هي المعجزة الحسية التي لا سبيل لإنكارها ولقد كانت تلك المعجزة كشفا وتجلية للرسول ﷺ عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة والذين يدركون شيئا من طبيعة القدرة الإلهية ومن طبيعة النبوة لا يستغربون في الواقعة شيئاً، فأمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وتصوره متفاوتة السهولة والصعوبة حسب ما اعتاده وما رآه، والمعتاد والمرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تدبير الأمور وتقديرها بالقياس إلى قدرة الله تعالى.



الصخرة الشريفة

طبيعة النبوة

أما طبيعة النبوة فهي اتصال بالملأ الأعلى على غير قياس أو عادة لبقية البشر وهذه التجلية لمكان بعيد أو عالم بعيد والوصول إليه بوسيلة معلومة أو مجهولة ليست أغرب من الاتصال بالملأ الأعلى والتلقي عنه، وقد صدق أبوبكر- رضي الله عنه- وهو يروي المسألة المستغربة المستهولة عند القوم إلى بساطتها وطبيعتها فيقول: «إني لأصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء» وقد ظهر لهؤلاء القوم وتبين لهم صدق هذه الواقعة ولذلك نجد أن الرسول ﷺ لم يستمع إلى تخوف أم هانيء- رضي الله عنها- من تكذيب القوم له بسبب غرابة الواقعة، فإن ثقة الرسول ﷺ بالحق الذي جاء به والحق الذي وقع له جعلته يصارح القوم بما رأى كائنا ما كان رأيهم فيه، وقد ارتد بعضهم فعلاً واتخذها بعضهم مادة للسخرية والتشكيك، ولكن هذا كله لم يكن ليقعد الرسول ﷺ عن الجهر بالحق الذي يؤمن به، وفي هذا مثل لأصحاب الدعوة أن يجهروا بالحق لا

يخشون وقعه في النفوس، ولا يتملقون به القوم، ولا يتحتون مواضع الرضى والاستحسان إذا تعارضت مع كلمة الحق التي تقال. ولذلك نجد أن الرسول ﷺ لم يتخذ من هذه الواقعة معجزة لتصديق رسالته، مع أن القوم يلحون عليه في طلب الخوارق. ومع حدوث هذه الواقعة قامت البينة عندهم على صدق الإسراء على الأقل، ذلك أن هذه الدعوة لا تعتمد على الخوارق إنما تعتمد على طبيعة ومنهاج، مستمد من الفطرة القويمة المتفقة مع المدارك بعد تصحيحها وتقويمها فلم يكن جهر الرسول ﷺ بالواقعة ناشئا عن اعتماده عليها في شيء من رسالته إنما كان جهرا بالحقيقة المستيقنة لديه لمجرد أنها حقيقة.

أبعد من حدود الزمان والمكان

هذا ولقد أفرد القرآن الكريم سورة من سوره لواقعة الإسراء هذه، السورة تبدأ بـ«سبحان»، وذلك كي تبقى للعقيدة الإسلامية بساطتها ونصاعتها وتنزيهها للذات الإلهية عن كل شبهة من شرك أو مشابهة من قريب أو بعيد، وذلك لأن الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- إلى محمد خاتم النبيين ﷺ. كما أنها تربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا، وكأنما أريد من هذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير والنبي الخاتم لمقدسات الرسل قبله واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان والمكان، وتتضمن معاني أكبر من المعاني القريبة التي تتكشف عنها للنظرة الأولى. ولقد ذكر الحق -تبارك وتعالى- في سورة الإسراء بداية رحلة الإسراء ومنتهاها وغايتها والهدف منها، فيقول- عز من قائل:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

واجب المسلمين

ونجد أن المولى- عز وجل- يصف المسجد الأقصى بقوله- تعالى:

﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

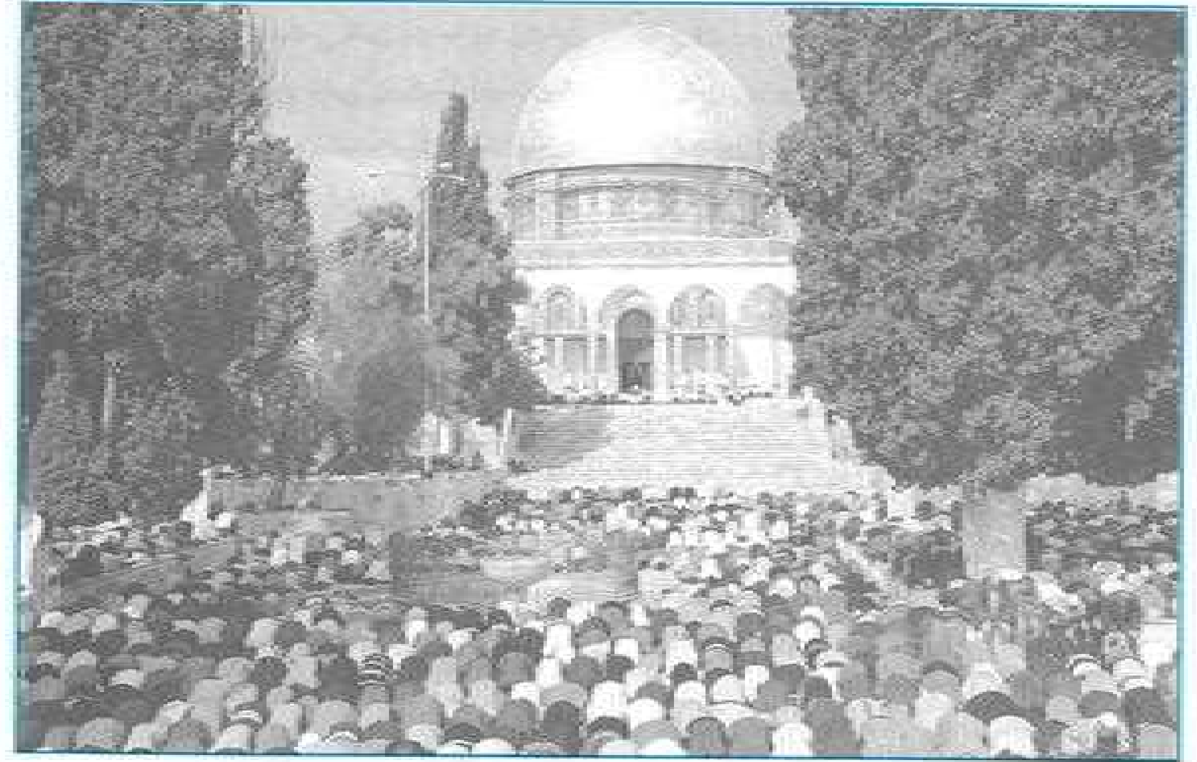
وهذا وصف يصوّر ويرسم أن البركة حافة بالمسجد تفيض عليه خيرا وبركة. وهذا كما يقول علماء التفسير: من دقائق التعبير القرآني العجيب.

وإذا كان الأقصى هو نهاية رحلة الإسراء فهذا دلالة على أن هذا المسجد يجب أن يكون تحت سيطرة المسلمين، وأن إمامة الرسول ﷺ للأنبياء لهو إيذان بسيطرة المسلمين والإسلام على هذه البقعة المباركة، وأنه لا يمكن التفريط فيها، أو التنازل عنها، بل يجب على كل مسلم أن يبذل كل ما يستطيع للدفاع عن هذه البقعة المباركة.

وعد الله لا يتخلف

وإذا كان اليهود قد استولوا على هذه الأرض المقدسة عام ١٩٦٧ ووقع الأقصى أسيراً لدى هؤلاء يدنسونه ويذيقون أهله وسكانه ألوان العذاب والهوان، إذا كان الأمر كذلك، فإن الله- سبحانه وتعالى- وعد بنصر المسلمين، وأنه سوف يرسل إلى هؤلاء من يسومونهم سوء العذاب ويخسف بهم وبديارهم الأرض، ولهذا نجد أن الله- تعالى- ذكر أيضا في سورة الإسراء قصة اليهود مع المسجد الأقصى وإفسادهم في الأرض مرتين، وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون. وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا، ولذلك يقول علماء التفسير: إن الله منجز وعده. ووقع الحق فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم فيها تدميرا، ولما عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد سلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين. ولقد عاد اليهود وبنو إسرائيل في صورة دولة إسرائيل التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات وتفننت في إيذائهم وقتلهم وتشريدهم وإجبارهم على ترك الديار والأموال والهجرة إلى أماكن أخرى داخل الأراضي المقدسة أو خارجها. إن إسرائيل هذه المرة سوف تكون في انتظار وعد الله للمؤمنين بأن الدائرة سوف تكون على بني إسرائيل وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع وفاقا لسنته التي لا تتخلف.

وإذا كان وعد الله لا يتخلف فالواجب على المسلمين أن يأخذوا بأسباب هذا النصر وأن يكونوا جند الله، يزودون عن مقدساتهم وحرماتهم ولا يتركون عدو الله يعبث بمسرى رسول الله ﷺ والذى أصبح وديعة لدى المسلمين ينبغي الحفاظ عليها، ويجب أن يكون تحت لواء الإسلام كي يتوفر الأمن والأمان لمن يدخله أو يجاوره، وكي يكون- كما أذن الله تعالى- مرفوعا مقدسا يُذكر فيه اسم الله ويصلي فيه المسلمون إلى أن



تقوم الساعة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الحفريات الإسرائيلية!!

إن هذه الأرض وهذا المسجد الذى كان أولى القبلتين، وهو ثالث الحرمين الشريفين، يجب أن يبقى ويظل مقدسا طاهراً من كل شرك ودنس وأن يظل مباركاً كما أراد الله- سبحانه وتعالى- أن تكون البركة لكل ما هو حول هذا المسجد، فكل شيء لابد وأن تحل فيه البركة طالما هو فى جوار تلك البقعة التى وصفها الله تعالى بقوله:

﴿ الَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

هذه الدروس لابد أن نعيها جيدا من رحلة الإسراء والمعراج واجبنا أن نذكر ما يحدث للأقصى الأسير من تدنيس اليهود له والعبث به والحفريات التى تجرى من تحته، بحجة أن هذا المسجد أقيم فى مكان يقع فوق هيكل سليمان ولقد حفروا الأنفاق يبحثون عن هذا الهيكل المزعوم، فلم يجدوا شيئا، إلا أنهم يدبرون ويريدون ما هو أكثر من ذلك، إنهم يخططون لهدم الأقصى جراء تلك الحفريات التى تجرى من تحته وعندئذ يتحقق لهم ما يريدون وما يعرضون، فتارة كانوا يعرضون بناء مسجد آخر فى مكان آخر ومرة أخرى تراهم يقسمون

المسجد للصلاة بين اليهود والمسلمين، فترى اليهود يدنسون المسجد ويدخلونه بحجة الصلاة.

إن واجب المسلمين جميعا أن يتنبهوا لهذه المؤامرة الدنيئة من جانب إسرائيل؛ فلقد التهمت إسرائيل كل أرض فلسطين وأصبحت تلك الأرض السليبة وهذه الدولة المهيضة «دولة فلسطين» أصبحت كلها تحت السيطرة الإسرائيلية.

فلسطين رمز السلام

وإذا كانت بداية الإسراء هى البيت الحرام فى مكة المكرمة ونهايته عند المسجد الأقصى، فما ذلك إلا ليكون الإسراء آية من آيات الله، وليظهر لنا أن المسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة وأن هذا المسجد بما حوله يجب أن يظل فى حوزة المسلمين، وأن يعمل المسلمون جميعا بكل طاقتهم وقوتهم سواء بالوسائل السلمية أو غيرها على استرداد الأقصى إلى ساحة الإسلام، وأن يعملوا على أن تظل تلك الأرض المباركة، وأرض فلسطين كلها مهد الرسالات كلها، لابد وأن تبقى رمزاً للسلام لا للقتل والتدمير، وعلى غير ما نرى اليوم ونشاهد من تحويل هذه الأرض إلى ساحة للفساد والهلاك وقتل الأطفال والنساء والشيوخ بلا هوادة ولا رحمة.

إننا معشر المسلمين مطالبون اليوم قبل الغد بالأخذ بجميع الوسائل السلمية وغيرها وذلك لتحرير الأقصى الأسير وتحرير الأرض المقدسة والمباركة وندعو الإخوة الفلسطينيين المتقاتلين أن يوحدوا صفوفهم، وأن يوحدوا كلمتهم، ويعملوا بقول الحق- تبارك وتعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

[آل عمران: ١٠٣]

والله الهادى إلى سواء السبيل.

***

خطبة الجمعة

الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله - عز وجل- هو بديع السموات والأرض:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (الملك:١)

أشهد أن لا إله إلا الله، تنزهت أسماؤه وتكاثرت آلاؤه، وهو صاحب الفضل العظيم، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، أشرف من سعى على قدم، وأبلغ من نطق بالحكم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ «البقرة:٥».

يا أتباع محمد -عليه الصلاة والسلام-..

في مثل هذا الوقت منذ ألف وثلاثمائة وست وثمانين سنة كان الله - تبارك وتعالى- يعد نبيه محمداً -صلوات الله وسلامه عليه- لحادث فريد عجيب في التاريخ تظهر به قدرة الخالق، وكرامة الإنسان، وصلة الأرض بالسماء، واتساع ملكوت الله الفسيح الأرجاء، وهو حادث الإسراء الذي افتتح الله بذكره إحدى سور قرآنه فقال:

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾

(الإسراء:١)

والمثير للتفكير أن هذا الحادث التكريمي الجليل قد وقع لسيد الأنبياء وإمام المرسلين بعد سلسلة ثقيلة من الشدائد والمتاعب، فقد دعا النبي القبائل بمختلف الوسائل، فتأبى عليه أكثرها واعتدى عليه أفجرها، وتواصوا بالإثم والمنكر، فحاصروه مع قومه في الشعب زمناً طويلاً، ثم مات عمه أبوطالب الذي كان يغضب له ويدافع عنه، وكانت القبائل تحسب حسابه وكذلك ماتت خديجة الزوجة الرحيمة الحنون، واست وآست، وعاونت وناصرت، حتى استحق عام وفاتهما أن يسمى «عام الحزن». وما كاد العم والزوجة يلحقان بربهما حتى انفجر طواغيت الشرك والكفر في فنون الإيذاء والتعذيب، واضطر الرسول أن يخرج من مكة إلى الطائف، لعله يجد هناك من هم أرق قلوباً أو ألين أفئدة، فإذا الكفر كله ملة واحدة، وإذا المقابلة هناك تدل على لؤم وجرم، فعاد الرسول جريحاً مهموما مغموماً، به من الآلام والأحزان ما الله به عليم، ولسانه يردد من قلبه هذه الكلمات:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا رب العالمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل عليّ غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[٢].

الغاية النبيلة

في هذا الجو المعتم المظلم، ومن خلال هذه الشدائد والمتاعب التي أثقلت وألحت، وألقت بكلكلها الحاطم على كاهل الرسول الرحيم المسالم امتدت يد الله - العلي الأعلى- لتنقذه وترفعه وتمجده، وتطلعه على ملكوت السموات والأرض، وتريه الآيات الكبرى، دون أن يزيغ البصر أو يطغى. فكان حادث الإسراء العظيم، الذي أرادت به العناية

(١) ٢٥ رجب سنة ١٣٩٣ هـ - ٢٤ أغسطس ١٩٧٣م

(٢) كنز العمال، جـ٦/ ٣٧.

الإلهية أن تظهر عن طريقه فضل الرسول الأكبر، فتسبغ عليه آيات التكريم والتمجيد في أعقاب تلك المشاق التي رآها وعاناها، لكي يتعلم أصحاب المبادئ العليا أن طريق الحق مهما كان فيه من أشواك أو متاعب سيؤدي إلى الغاية النبيلة والعاقبة الجليلة، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾

(القصص: ٥)

الإنسان الكامل

وإلى جانب هذا أرادت عناية الله ـ تعالى ـ أن تقوى روح الثقة والاطمئنان في صدر الرسول، فإذا كانت الطرق ضاقت على دعوة محمد في شعاب مكة، فإن الله قادر على أن يفسح له الطرق في رحاب الكون العريض الواسع، وإذا كانت الأرض بترابها لم تتمهد تحت أقدامه فإن آفاق الكون عن يمين وشمال تصبح ممهدة أمام ركابه، يتنقل بينها وفوقها حيث شاءالله - العلى الكبير - وإذا كان الكافرون قد تقاصرت هممهم، وضاقت عقولهم وسقمت نفوسهم، وعميت أبصارهم، فلم يروا ضوء الحق الساطع، ولم يدركوا دليل الصدق الناصع، ولم يفلحوا في اتخاذ الأسباب لإصلاح أرضهم، فإن الله ـ تعالى ـ قد هيأ الإنسان الكامل الماثل في شخص محمد -عليه الصلاة والسلام- لكي يتغلب على الأبعاد والمسافات، ولكي يربط أسباب الأرض بأسباب السماء، ولكي يشف ويرق، وبذلك يعلو ويسمو ويبعد ثم يدنو، فإذا هو قد عرف من مشاهد الطبيعة وأسرار الكون وأبعاد الخليقة ما يعد قدوة عليا لكل طامح إلى المعرفة الواسعة، أو راغب في المزيد من العلم بأمور الحياة والأحياء في الأرض والسماء، من هنا قال القرآن وهو يتحدث عن الإسراء:

﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء: ١)

وقال وهو يتحدث عن المعراج:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾

(النجم: ١٨)

امتحان وابتلاء

ومن اللافت للنظر أن الإسراء كان قبل الهجرة بقليل، وبعد سلسلة المتاعب التي عرفنا أمرها، فإذا كان الله - تعالى - قد اختار وقوع الإسراء بعد تلك المتاعب ليكون تكريما وتثبيتا، وتأكيدا لروح الرجاء والأمل في صدور المؤمنين المجاهدين، فإن الإسراء نفسه كان بالنسبة إلى كثير من العرب أمراً عجيباً وحادثا غريبا اهتزت له المشاعر، وثارت بسببه العقول حتى استغله جمع

الكافرين ليثيروا شكوكا أو أوهاما في صدور بعض الداخلين في الإسلام على رقة أو ضعف، وجعل هؤلاء الكافرون يقولون: إن أمر محمد بالأمس كان محتملا، وأما اليوم، وبعد أن يحدثنا بأنه أسرى به في ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مع أن قوافلنا تقطع ما بينهما في شهر ذهاباً وشهر إياباً، فدون ذلك يذهب حلم الحليم - فيما يزعم هؤلاء ويتوهمون ـ وهنا قد يتساءل الإنسان لماذا اختار الله هذا الوقت بالذات لحادث الإسراء، وهو سبحانه يعلم أن المسلمين سيهاجرون بعد قليل إلى المدينة تاركين أموالهم وديارهم وعقارهم؟ لعل الله قد اختار ذلك ليكون امتحانا وابتلاء للجماعة المؤمنة المجاهدة، حتى يتميز الخبيث من الطيب، وحتى تعد هذه الجماعة نفسها لما هو أكثر من المعارضة والاضطهاد والتعذيب، فتكون صالحة للتضحية الكبرى المتمثلة في الهجرة، حيث يتركون كل شيء ويخرجون مهاجرين إلى الله وحده بغير زاد، إلا التقى وعمل المعاد، متذكرين في إيمان عميق ويقين وثيق قول رسولهم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[٢].

ولقد نجح المؤمنون في الاختبار، وفازوا في الامتحان فواصلوا التصديق بالرسول، وعلموا أن الإسراء تكريم للإنسانية الفاضلة متمثلة في شخص أفضل إنسان، وتوجيه من الله لعباده كي يدركوا أن الإنسان الذي يمشي على الأرض، ويأكل منها ويرتبط بها يستطيع إذا واتته عناية الله أن يسمو بعلمه وشفافيته وروحانيته، فيجول خلال الملكوت الأكبر ليرى ما يرى من آيات ربه الكبرى.

يا أتباع محمد -عليه الصلاة والسلام-..

ما أكثر العظات والعبر التي نلحظها في حادث الإسراء. وإذا كان هناك بالأمس أو اليوم من يشكون أو يستبعدون وقوع الإسراء، فإن ما هدى الله إليه الإنسان من كشوف علمية قربت الأبعاد وألغت المسافات من أقوى الأدلة على أن الإسراء ليس ببعيد على من أمره أن يقول للشيء كن فيكون، وصدق القرآن حيث يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٥٣)

واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٢

قصيدة العدد

يا قدس (*)

للشاعر العربي الأستاذ يوسف العظم

يا قدس يا محراب يا منبر	يا نور يا إيمان يا عنبر(١)
أقدام من داس رحاب الهدى	ووجه من .. في ساحها أغبر؟(٢)
وكف من ترزع أرضي وقد	حنا عليها ساعدي الأسمر؟
من لوث الصخرة تلك التي	كانت بمسرى أحمد تفخر؟(٣)
وأمطر القدس بأحقاده	فاحترق اليابس والأخضر؟
ودنس المهد على طهره	إلا عدو جاحد أكفر(٤)
يا سورة الأنفال من لي بها	قدسية الآيات تستنفر(٥)
جنداً يذوق الموت عذب المنى	كالصبح عن إيمانه يسفر(٦)

(*) من ديوان «في رحاب الأقصى» ص١١، والقصيدة للأستاذ يوسف العظم، وهو من شعراء الدعوة الإسلامية وكتابها المعاصرين، عمل مدرساً بالكلية الإسلامية العلمية بعمان، ثم مديراً لمدارس الأقصى الإسلامية، وكان عضواً في مجلس النواب الأردني، من مؤلفاته: الإيمان وأثره في نهضة الشعوب، والإسلام بين دولة، سلسلة «المتهوسون»، أين محاضن الجيل المسلم.

(١) العنبر : نوع من الطيب. (٢) الأغبر : مغبر كالح.

(٣) مسرى: مصدر ميمي من الإسراء. (٤) المهد: أراد به مهد عيسى – عليه السلام. الجاحد: الكافر بالنعمة.

(٥) تستنفر: تستنهض وتستثير، وإنما خص سورة الأنفال لما فيها من آيات الحض على الجهاد.

(٦) يسفر : يكشف.

ومن يبع لله أزكى دم	يمت شهيد الحق أو ينتصر
والبغي مهما طال عدوانه	فالله من عدوانه أكبر

* * *

يا قدس يا محراب يا مسجد	يا درة الأكوان يا فرقد(٧)
سفوحك الخضر ربوع المنى	وتربك الياقوت والعسجد(٨)
كم رتلت في أفقها آية	وكم دعانا للهدى مرشد
أقدام عيسى باركت أرضها	وفي سماها قد سرى أحمد
أبعد وجه مشرق بالتقى	يطل وجه كالح أسود
وبعد ليث في عرين الشرى	يحل كلب راح يستأسد(٩)
وبعد شعب دينه رحمة	يحل من وجدانه يحقد
يا أفرع الزيتون في قدسنا	كم طاب في أفيائها الموعد(١٠)
إن مزق الغاصب أرحامنا	وفرقنا في الأرض قد شردوا(١١)
فما لنا غير هتاف العلا:	إنا لغير الله لا نسجد

* * *

القدس في أفق العلا كوكب	تشع بالنور فلا تعجبوا
آياتها بالحق وضاءة	كانت بأطراف القنا تكتب(١٢)
إن أطرب القيثار أسماعنا	فاللحن في أفق الهدى أعذب(١٣)
أو حلت الأمجاد ساح العلا	فالمسجد الأقصى لها أرحب
والمجد قد أشرق في قدسنا	ما باله في قدسنا يغرب؟
يا روضة كانت لنا مرتعاً	وكوثراً من فيضه نشرب(١٤)

(٧) الدرة: اللؤلؤة الكبيرة. الفرقد: نجم يهتدى به. (٨) العسجد : الذهب.

(٩) يستأسد : يتطاول كأنه الأسد. (١٠) الأفياء : الظلال.

(١١) مزق أرحامنا: يريد شتت شمل قرابتنا. (١٢) القنا : الرماح.

(١٣) القيثار : أراد القيثارة وهي آلة تشبه الكمان. (١٤) الكوثر : نهر في الجنة. فيضه: ما يتدفق من مائه.

وجنةٌ فيها ربيعُ المُنى … في ظلّها أكبادُنا تلعبُ(١٥)
مُذْ حلّ في أفيائها غاصبٌ … ما عاد فيها بُلبلٌ يطربُ
مَنْ لي بسيفٍ لا يهابُ الردى … في كفّ من يزهو به الموكبُ(١٦)
أو رايةٍ في جحفلٍ ظافرٍ … يقودُه الفاروقُ أو مصعبُ(١٧)

***

الوحيُ والتنزيلُ والأحرفُ … والآيُ والإنجيلُ والمصحفُ
وسورةُ الإسراءِ ما رُتِّلتْ … إلا وأسماعُ الدُّنا ترهفُ(١٨)
تباركَ القدسُ وما حولَها … وصخرةُ القدسِ بنا تهتفُ(١٩)
في كُلِّ صدرٍ من دمي دفقةٌ … وكلُّ عينٍ دمعةٌ تذرفُ(٢٠)
إن ضمّدَ الآسي جراحَ الورى … فالجرحُ مني راعفٌ ينزفُ(٢١)
يا دُرّةً في جيدِ تاريخنا … رُباكِ من كلِّ الرُّبى ألطفُ
كم قد مشتْ أكبادُنا فوقَها … من كُلِّ روضٍ زهرةً تقطفُ
وكم سقينا تربَها أنفُسًا … أصفى من الياقوتِ بل أشرفُ
يا قدسُ مهما باعَدُوا بيننا … ففي غدٍ جيشُ الهدى يزحفُ
كتائبُ الإيمانِ قد بايعتْ … لا فاسقٌ فيها ولا مُترفُ

***

يا قدسُ يا أُنشودةً في فمي … ويا منارًا في ذُرا الأنجمِ
في كُلِّ أُفقٍ منكِ تسبيحةٌ … وكُلِّ شبرٍ دفقةٌ من دمِ
وكُلِّ روضٍ نفحةٌ من شذى … وماؤكِ الرقراقُ من زمزمِ(٢٢)

(١٥) أكبادنا : أراد أولادنا. (١٦) يزهو : يختال معجباً.
(١٧) الجحفل : الجيش الكبير. الفاروق: هو عمر بن الخطاب ومصعب: هو مصعب بن عمير - رضي الله عنهما.
(١٨) ترهف : تصغي بانتباه. (١٩) تهتف : تصيح.
(٢٠) ذرف الدمع : سال. (٢١) ضمد الجرح : داواه. الآسي: الطبيب. راعف : نازف.
(٢٢) الرقراق: المتلألئ، اللامع لصفائه.

وكُلُّ صدرٍ زفرةٌ حرّةٌ … وكُلُّ خدرٍ عفّةُ المسلمِ
تحنو بقلبٍ خافقٍ بالمُنى … على بريءٍ رفّ كالبرعمِ(٢٣)
قد أغمضَ الأجفانَ في هدأةٍ … وثغرُه في الشدى لم يفطمِ(٢٤)
من مزّقَ الطفلَ بلا رحمةٍ … فماتَ بين المهدِ والمعصمِ
شظيةٌ عمياءُ من حاقدٍ … ورميةٌ من ساعدٍ مجرمِ(٢٥)
قد أطلقتْ هوجاءَ في غفلةٍ … وحلكةٍ من ليلنا المظلمِ(٢٦)
ما كان للهاماتِ أن تنحني … لو كان فينا عزّةُ المسلمِ(٢٧)

***

القدسُ واللطرونُ والمنتدى … وبلبلٌ في روضهِ غرّدا(٢٨)
وغابةُ الزيتونِ يا حُسنَها … تضوّعتْ زهرًا وطابتْ ندى(٢٩)
في ظلّها يحنو على نايهِ … فتى كريمُ الكفِّ عذبُ الصدى
من حطّمَ الناي على ثغرهِ … وشرّدَ الساجعَ والمنشدا؟
والمسجدُ الأقصى ومحرابُهُ … يحنو علينا رُكّعًا سُجّدا
قبابُهُ كانتْ تُناجي العُلا … وأرضُهُ كانتْ منارَ الهُدى(٣٠)
تُحدِّثُ الأكوانَ عن زحفِنا … وقد بسطنا للمعالي يدا
وهامةُ الفاروقِ مرفوعةٌ … أكرمْ بها في قدسِنا مشهدا(٣١)
يُعلي لواءَ العدلِ تكبيرةٌ … ويصنعُ الأمجادَ والسؤددا(٣٢)
يا قدسُ إن طالتْ بنا فُرقةٌ … فسيفُنا يا قدسُ لن يُغمدا(٣٣)

(٢٣) رف البرعم: اهتز نضارة وتلألأ. (٢٤) الهداة : الشطر الأول من الليل.
(٢٥) الشظية : أراد بها جزءًا يتشظى من القنبلة أو نحوها عند الانفجار.
(٢٦) هوجاء : غير محكمة التسديد لأنها أطلقت في تسرع وحمق.
(٢٧) الهامات : الرؤوس.
(٢٨) اللطرون : واد قريب من القدس. المنتدى: النادي، مجتمع القوم.
(٢٩) تضوعت : فاح شذاها. (٣٠) تناجي العلا : تسارّها.
(٣١) الهامة : الرأس. (٣٢) اللواء : الراية. السؤدد: السيادة.
(٣٣) الفرقة -بضم الفاء-: الافتراق والابتعاد.

التوظيف التربوى.. لقيم الرحلة الكونية

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

أما الرحلة الكونية فإنها معجزة الإسراء والمعراج، فلقد كانت هذه المعجزة رحلة كونية بكل المقاييس التى نعرفها والتى لا يعلمها إلا الله وحده.

ونحن نسمى «الإسراء والمعراج» رحلة كونية، لأنها استغرقت فى المكان السموات والأرض، واستغرقت فى الزمان «آنا فلكيا» يدق كثيرا عن مقياس «الفمتوثانية» الذى فتح الله به على عالمنا المسلم الدكتور أحمد زويل، إذ عندما يتوصل الإنسان للفمتوثانية مثلا فإن هذا مؤشر إلى مقاييس أخرى أسرع وأدق لم تزل فى عالم الغيب لا تفصح عنها المشيئة الإلهية للعقل البشرى إلا بمقدار اجتهاد البشر وسعيهم الحثيث فى البحث إيمانا بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

«الإسراء: ٨٥»

وقد قيل إن من خصائص التفكير العلمى استنتاج المجهول من المعلوم، فأنت عندما تستيقظ صباحا وترى الأرض مبتلة بالماء تستنتج من هذا أن السماء قد أمطرت من قبل وأنت نائم، فتكون هنا قد استنتجت ما لم تره بما تراه.

ومن هنا كان أى كشف مكانى أو زمانى إنما هو آية من آيات الله تشير لذوى الألباب إلى أن هناك المزيد والمزيد مصداقا لقوله عز وجل:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

«فصلت ٥٣»

فالإسراء والمعراج إذن هما رحلة كونية أكرم بها الحق جل وعلا نبيه المصطفى ﷺ، وكل من صدقوه واتبعوا نهجه واتخذوا من هذه الآيات مواقف سلوكية إيجابية تؤكد أنهم قد وعوا تماما دور الإنسان فى الأرض، وأنهم قد تدبروا المعنى الحقيقى لعبادة الحق - سبحانه - بعيدا عن مجرد الاجترار والظهرية والببغاوية فى الترديد دون إعمال طاقة الروح وملكة العقل فى القول والفعل.

ونحن لا نريد أن تمر ذكرى هذه المعجزة المتفردة مرور الحلم الرقيق فى السبات العميق أو الطيف الكريم بالخيال السقيم.

فمثل هذه المعجزة كأخواتها من معجزات الخلاق العظيم لحبيبه وصفيه النبى الكريم ﷺ هى كائن حى سرمدى النبض عبر الزمان وملء المكان، وإن كان جوهرها الروح الخفى ومكمنها النور الوضىء، وهى أمور تتطلب منا - لكى نتذكرها، ونتذاكرها - أن نكون على مستواها أو قريبا من مستواها من سمو الروح، وطهارة النفس، ونصوع العقل، وثبات اليقين.

وأعجب لقوم يعيشون عصر الفضاء، بل ينتقل هذا الفضاء إليهم حيث يقعدون أو يرقدون، ثم لا يتفكرون مع ذلك فى خلق السماوات والأرض، فربما تمتلىء كياناتهم بهذا التفكر الخلاق فيهتفون عن وعى مؤمن:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

«آل عمران ١٩١»

فأعظم به إذن من جهد جهيد - ذلك الذى يبذله - ويمكن أن يبذله - القائمون على جذب المارقين إلى حظيرة الحق، وهدى الضالين إلى سواء السبيل!!

إنه بلا شك استئناف لرحلة الانطلاق من الظلمات إلى النور، واختراق الحجب المتراكبة التى حاول - ويحاول - أعداء الفطرة السليمة النقية التى رجع الإسلام بالإنسان إليها منذ أكثر من خمسة عشر قرنا - أن يعيدوا إلى هذه الأعين الإنسانية الغشاوة، وأن يطمسوا هذه الفطرة البشرية - التى خلقها الله طاهرة - بالنجس والفساد، إذ يوقن أعداء الإنسانية هؤلاء تماما أن الإسلام - بفطرته السمحاء - سريع الانجذاب والاجتذاب مع

ذوى الفطرة السمحاء التى لم ينل منها أصحاب الغرض المنحرف، وذوو المرض المنحرف، فظلت كياناتهم الفطرية تحيا على المحجة البيضاء يستشعرون ـ عن بعد ـ مهاوى الهوى فيجتنبونها، وشبهات الغواية فينأون عنها.

ولا عجب فى انجذاب الفطرة إلى الفطرة، أليس شبيه الشىء منجذب إليه؟ وأليست الأرواح جنودا مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وهل هناك أقرب من روحية الإسلام وروحية الفطرة كل منهما للآخر؟

لقد علمنا رسول الله ﷺ ذلك فى قوله الحكم الأمين: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يعرب عنه لسانه، وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١).

وفى مقابل الفطرة يكون الفساد، فعندما يتدخل ابن آدم بحمق واندفاع وبلا وعى فى مسار الفطرة التى فطر الله الناس عليها يقع الفساد، وجل البارئ سبحانه عندما يقول:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

«الروم ٤١»

وها نحن أولاء نسمع ونرى ليلا ونهارا كيف أفسد الاستخدام الفاسد للمادة ما نتنفسه من هواء وما نشربه من ماء وما نطعمه من «مبيدات»، بل وما يصم آذاننا من ضجيج وما يقبض صدورنا من «احتباس حرارى»!!(٢).

فما بالك بفساد العقل والنفس بما يشيع بين الناس من معان مريضة يروج لها المفسدون والمبطلون!!

بين المستشرقين والمستغربين

ويا ذكرى المسجدين الطاهرين المكرمين عذرا أن دخلت إليك من هذا الباب الشاجن، ولكنى رأيت أن أبرىء نفسى ـ وأنا من الذين يعاصرون ظهور الفساد فى البر والبحر ـ مما يكون قد علق بى من الأغيار والأغيار حتى أدخل إليك عامر القلب صادق القلم مرتاح الجنان.

لقد قيل فى ليلة المسجدين ما قيل منذ انقسم الأولون إلى مصدق مثل الصديق ـ رضى الله عنه ـ الذى يرجح إيمانه إيمان الأمة، وإلى مكذب ومرتد وكثير ما هم، ولا يزال المصدقون والمكذبون يتحاورون

(١) أبو يعلى فى مسنده، والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن - الجامع الصغير
(٢) وهو ما يعرف بالانبعاث الحرارى الناشئ عن الارتفاع الهائل لدرجة حرارة الأرض بسبب «الانبهار الطفولى بلعبة التكنولوجيا» والتمتع وراءها لإفساد حياة كل شىء.

حول الإسراء والمعراج حتى اليوم، هل كان ذلك بالروح فقط أم بالروح والجسد؟(٣) وهل رأى النبى ﷺ ربه حقا؟ بل إن منهم من جادل فى حوار موسى ومحمد - عليهما السلام - حول عدد الصلوات وغير ذلك مما حلا لكل من الفريقين لإشباع شهوته فى الجدل والمراء، وصدق الله:

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

«الكهف ٥٤»

وكان أبرز هؤلاء هم من المستشرقين، ومن تباهى بالسير على دربهم من «المستغربين» الذى فتنتهم فتنة العلم الغربى والثقافة الأوروبية متناسين سبق العلم الإسلامى والثقافة العربية، وكذلك من الذين خدعهم الغربيون بالمديح والإطراء على أفكارهم «المستحدثة» فكان موقفهم مصداقا لقول شوقى:

خدعوها بقولهم حسناء
والغوانى يغرهن الثناء

ولقد قيل عن «رحلة» الإسراء والمعراج إنها تمت لرسول الله ﷺ تخفيفا لأحزانه وأشجانه بعد انتقال الحبيبة والرفيقة التى لم يبدله الله خيرا منها، خديجة ـ رضى الله عنها ـ وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وكذلك بعد وفاة العم المحب والمؤازر أبى طالب، فقد كان كل منهما ـ بإذن الله ـ الدرع المنيع، والحصن الحصين للدعوة الناشئة ضد الطغاة المكذبين، والعتاة المستكبرين من الكفار والمشركين.(٤)

ولا شك أن المجتهدين من حراس العقيدة السمحاء الذين يحيون بيننا حتى اليوم وبعد اليوم إن شاء الله بتراثهم الفياض الغزير وفكرهم المثمر الوفير ودورهم الذى يشهد لهم بالإيمان الحق والمبادرة والسبق، لا شك فى أن هؤلاء جميعا قد فتحوا أمامنا أبوابا فياضة من النور الذى يكشف لنا الطريق السوى والنهج الجلى.

وإذا كان لنا أن ندلى بدلونا فى هذا الخيط المتناغم ـ وليس المتلاطم ـ من فكر الصادقين، ورأى المخلصين فإننا نستشعر «النهج التربوى» فى حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى معجزة الإسراء والمعراج التى تعتبر بحق حصيلة هائلة من «وسائل الإيضاح» للنبى ﷺ وللأنام جميعا من بعده كمتأسين به إلى ما شاء الله.

(٣) يقول ابن حجر فى شرحه على البخارى: إن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسده وروحه.
(٤) كانت وفاة خديجة رضى الله عنها ووفاة أبى طالب فى عام واحد - سيرة ابن هشام.

من المشاهد التربوية

« العبودية لله وحده هي السيادة الحقيقية : ورحم الله أستاذنا الراحل الدكتور عبدالحليم محمود عندما كان يحاضرنا فيقول إنه كلما ازدادت عبودية الإنسان لله كلما ازدادت سيادته على الناس(*)، وفي إطار هذه العبودية الجليلة أسرى رب العالمين «بعبده» إلى المسجد الأقصى ثم عرج به ﷺ إلى حيث شاء - سبحانه عز وجل - وذلك إعدادا له - عليه السلام - لمواجهة ما يعلمه الله وحده من شدائد وصعاب وعقبات مقبلة حتى يجعل الحق - سبحانه - كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا».

ومن ثمة كان على كل من يقوم بالتربية في أي مجال أن يعمق لدى أبنائه وتلاميذه وجمهوره فكرة العبودية للواحد الأحد - سبحانه - ليس إلا، حتى يصبح معنى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

واقعا يتحرك على الأرض.

تعميق الإيمان بالغيب



عبدالحليم محمود

ولاسيما في مثل عصرنا الذي زحفت فيه المادة زحفها الطاغي، فتمكنت على الإنسان جوارحه وجوانحه ولقد قال علماء الاجتماع إن التغير المادي (ويسمونه الحضارة) يسبق دائماً التغير المعنوي (ويسمونه بالثقافة) فالظواهر المادية (كالمخترعات مثلا) بقربها من حواس الإنسان ومنفعته المباشرة تجتذب اهتمامه وعنايته أكثر مما تفعل المعنويات (كالقيم والأفكار والمعتقدات) ومن ثمة كانت معجزة الإسراء والمعراج - وغيرها من المعجزات التي أكرم بها الحق سبحانه (عبده) المختار ﷺ، والتي ثبت قطعيا - معلما أساسيا ليس في مجرد خدمة الدعوة فقط ولكن في تنشئة الأجيال المسلمة وتأكيد انتمائها للأصول الإسلامية التي لا ينال منها المغرضون أو المشككون (٦).

(*) كان ذلك في المعهد العالي للدراسات الإسلامية ضمن محاضرات فضيلته عن «التصوف عند الغزالي».

(٦) ومن ذلك حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة وحديث انشقاق القمر وغيرها من الأحاديث الموثقة التي أخرجها البخاري ومسلم.

الإعداد والتثبيت

لقد سبق في علم الله - عز وجل - أنه ستكون هناك هجرة يكلف بها النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أرض الله إلى الله وإليه، تلكم مكة المكرمة الوطن الحبيب الذي شهد الطفولة والصبا، ومن ثمة كان في الإسراء والمعراج تمهيد للهجرة وتثبيت فوق التثبيت استعداداً لمواجهة بدايات الهجرة وتبعاتها وهي أمور لم يكن محمد ﷺ بها عهد أن يغادر بيته، بل بلده إلى أن يأذن الله له في العودة وما سيترتب على هذا من معارك جماعية وليست فردية، لن يقف المؤمنون فيها موقف الدفاع فحسب بل قد يكتب عليهم القتال وهو كره لهم، ثم الخروج من مرحلة «دار الأرقم» وما بعدها إلى مرحلة أوسع وأرحب، حيث المسلمون فيها هم القوة المسيطرة والمنظمة والمرابطة، كما أن هناك في هذه المرحلة المستقبلية فئات معارضة جديدة هم اليهود الحاقدون، والمنافقون الحاسدون إلى جانب مشركي الأمس المتربصين.

لقد قضى الحق إذن أن يهيأ الرجل الذي وكل بأداء هذه المهمة الناهضة والتي لا عهد للجزيرة العربية بمثلها وقد كان.

أهمية الفطرة

وهي كما ذكرنا منذ قليل أساس متين من أسس الإسلام الذي قال فيه - عز وجل:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

لقد ذكر في رحلة الإسراء والمعراج أن جبريل - عليه السلام - عندما أتى مع النبي ﷺ بيت المقدس جاء له بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار النبي ﷺ اللبن فقال جبريل (اخترت الفطرة) (٧) ذلك أن اللبن مادة من خلق الله - عز وجل - وصنعته لا دخل لمؤثر دخيل في تكوينه، ويقول سبحانه عن هذه النعمة في سورة النحل:

﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾

(النحل ٦٦)

فتأمل كيف يخرج الحق - سبحانه - هذه المادة نقية تماما وشهية مستساغة دون أن تتأثر بما يحيط بها من مخلفات ودماء الأنعام التي يشمئز منها الذوق وتمجها النفس.

(٧) رواه الشيخان ونقله القاضي عياض في (الشفاء) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه.

حقــــا

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾

(النحل ٦٦)

وجل جلاله أحسن الخالقين، وفى هذا الإطار يلقى على عاتق المربين أهمية غرس معنى الصفاء والنقاء لدى الناشئة سواء فى القول أو السلوك دون تخبط أو افتعال، وتبصيرهم بأن الإسلام هو الدين الذى يتسق مع فطرة الإنسان، بل مع فطرة الكون، وتوعيتهم بكيفية تعامل المرء مع ما رزقه الله - سبحانه - من عناصر فطرية كالجسم والعقل والماء والهواء وغير ذلك بما يتفق وقيمة هذه الأشياء.

ألا ترى أن الإسلام ينهى عن كل ما يتعارض مع الفطرة من الطعام والشراب فحرم الخمر على سبيل المثال، فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رجالاً من أهل العراق قالوا له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نبتاع من ثمر النخل والعنب فنعصره خمراً فنبيعها فقال: «إنى أشهد الله عليكم وملائكته ومن سمع من الجن والإنس أنى لا آمركم أن تبيعوها ولا تبتاعوها ولا تعصروها ولا تشربوها ولا تسقوها فإنها رجس من عمل الشيطان»[8].

تجسيم معنى الثواب والعقاب فى الآخرة

وذلك حتى يستشعر المرء قيمة أعماله فى حياته الدنيا، وأن هذه الأعمال الدنيوية ينبغى ألا تصدر عنه عبثية أو عفوية ولكن يجب أن تكون مدروسة ومخططة تنبع من إرادة واعية ونية هادفة مصداقاً لقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى...»[9] الحديث، بحيث يؤمن الإنسان بعمق ويقين أنه محاسب على هذه الأعمال استجابة لقوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

(الزلزلة ٧، ٨)

وقوله عز من قائل:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

(المؤمنون ١١٥)

فالبشر مخلوقون لغاية إلهية وهى خلافة الأرض وعمارتها ومكلفون بهذا على نسق الميزان العدل الذى برأه البارىء - عز وجل - ليلتزم به كل كائن فى هذا الكون.

ومن هنا عرض الحق على نبيه ﷺ فى هذه الليلة (الكونية) والعلوية الجنة ونعيمها والنار وجحيمها، كما أطلعه سبحانه على نماذج ناطقة من العقوبات التى يقاسيها المذنبون، ويعانيها الآثمون كأصحاب المشافر الغليظة الذين يلتقمون قطع النار بأفواههم فتخرج من أدبارهم «فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: «هؤلاء أكلة أموال اليتامى»[10] ممن يصدق عليهم قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

(النساء: ١٠)

ومثل الرجال الذين يتركون اللحم السمين الطيب ويأكلون الغث المنتن: «قلت: «من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم عليهم منهن»[11] وكذلك النساء المعلقات بثديهن فقلت: «من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم»[12]، وصدق رسول الله ﷺ وهو القائل فى مثل هذا: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»[13] وغير هذا من النماذج الشارحة والمجسمات الواضحة التى رآها حبيبنا ﷺ رؤية العين حتى ينقلها إلينا وهو المشهود له حتى من أعدائه بالصدق والأمانة[14]، ليشفع بها دروسه المحمدية المؤمنة وهو يقدم رسالته العظمى إلى البشر كدروس تطبيقية لما جاء فى المنهاج الدراسى الإلهى الذى ضمه القرآن الكريم وشرحته السنة النبوية المطهرة.

أرأيت إلى «وسيلة الإيضاح» التى يحملها - باعتزاز - المعلم الواعى المحيط بمادته إحاطة الواثق المطمئن الذى لا يهزه سلوك تلميذ بليد ولا يزحزحه عن أدائه موقف عنيد، إنما كل همه أن تؤدى هذه (الوسيلة) دورها حتى يتفهم تلاميذه الدرس ويتعمقوا المادة الدراسية؟ وحسبه - عليه السلام - أن يتلقى هذه الطريقة التربوية المثلى من لدن من أدبه فأحسن تأديبه - عز وجل - عندما أوحى إليه:

(٨) من الموطأ للإمام مالك فى باب تحريم الخمر.
(٩) رياض الصالحين للنووى.
(١٠) سيرة النبى عليه الصلاة والسلام للإمام ابن هشام
(١١) المصدر السابق
(١٢) المصدر السابق
(١٣) عن أنس - الجامع الصغير
(١٤) كان المشركين يأتمنونه عليه السلام ودائعهم حتى كلف عليا رضى الله عنه بردها إليهم عند الهجرة.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية ٢١ و٢٢)

غير أن وسائل الإيضاح التي نقلها إلينا محمد ﷺ لم تكن ورقية أو (طباشيرية) أو (بردية) حاشا لله، ولكنها كانت وسائل ربانية عبرت عن مشاهداته - عليه السلام - في ليلة «السدرة والمسجدين» حيث كانت آنذاك أمام كيانه الشريف نماذج حقيقية ناطقة بالحق معبرة بالصدق.

الثقة في السيرة رغم العقبات

وكم من العقبات والصعاب والمشاق اعترضت مسيرة الدعوة السمحاء منذ بزوغها من «الغار الحرائي» المقدس لتشرق على الكون كله!! لا يجهل أحد ما اصطنعه الكفار والمشركون في مواجهة هذه الرسالة التي جاءتهم بالخير فقابلوها بالشر، وأتتهم بالحق فواجهوها بالباطل، ووافتهم بالعدل فعاندوها بالظلم، ودعتهم إلى الإصلاح فحاربوها بالفساد.

ومع ذلك فقد سارت القافلة رغم نباح الكلاب السعورة[١٥] الظامئة إلى الدماء، وهكذا واصل الحق مسيرته، فإذا كان شياطين الأرض قد ضاقوا بها لاهتمامهم فقط بالجزئيات المتنافرة المتناحرة فلتصعد يا محمد إلى ملائكة السماء بل إلى إله الأرض والسماء - سبحانه - حيث المبادئ الشامخة والأصول الراسخة والحقائق المطلقة التي يصدر عنها كل شيء في هذا الكون وليس في بادية قريش فقط.

وكأن الملائكة الأبرار تناجيه عليه السلام: لا يزعجنك يا محمد آثم، ولا يغضبنك ضال ولا لئيم، ولا يفت في عضدك عتل ولا زنيم، وحاشاك أن يهتز وجدانك- كما سيقول الناس من بعد- لغياب خديجة أو أبي طالب وأنت تعلم يقينا أن النصر من عند الله وحده لا شريك له، هذه هي الرحلة المقدسة التي أعدها لك ربك لتكون لك الزاد اللامحدود الذي لا ينفد والمدد اللامعدود الذي لا ينضب؛ لأن المسيرة الواثقة مازالت طويلة طول الأبد، عريضة عرض الأمد، ولأنه لا نبي بعدك سيكمل هذه المسيرة، إذ ستكمل إن شاء الله على يديك يا خاتم الأنبياء، وستدرك هذا عندما ينزل عليك جبريل بوحي ربك - سبحانه - بعد حين:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

(١٥) السعور: الحريص على الأكل وإن امتلأ بطنه «معاجم اللغة».

ذلك ما يحلق في جنبات الروح وهي تخال هذا الحديث الملائكي الودود موجها إلى الكيان المحمدي الكريم وهو يواصل رحلة الكون بدءا من أول بيت وضع الناس إلى البيت المعمور وسدرة المنتهى، مارا بالمسجد الأقصى الذي بارك الله - عز وجل - حوله وإلى أن تقوم الساعة ومن بركات الحق - سبحانه - حول هذا المسجد أنه لم يزل يرسل عن بعد وعن قرب استشعار الحماس في قلوب المؤمنين واستشعار الخوف والرعب في قلوب الغاصبين فقوله الحق سبحانه:

﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

هو من الحتميات الإلهية التي تظل قائمة رغم الزمان والمكان قيام السنن الكونية المسخرة من لدن حكيم عليم.

تعظيم أولى القبلتين

ومن إعجاز الحق - سبحانه - في ليلة المسجدين ما سمعته من داعية إسلامي فاضل منذ أكثر من أربعين عاما وهو يتحدث في هذه المناسبة الكريمة فيقول: «إن المتأمل تاريخيا في آية:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾

(الإسراء: ١)

وهو يدرك ان البيت الحرام لم يكن بعد مسجدا، وإنما كان يطلق عليه كلمة «البيت» كما أن المسجد الأقصى لم يكن بعد مسجدا، فمعنى هذا والله أعلم - والكلام لعالمنا الجليل - أن الحق - عز وجل - قد بشر الأمة في هذه الآية الكريمة بأن هاتين البقعتين الطاهرتين ستكونان فيما بعد مسجدين عظيمين كما سبق في علمه - سبحانه وتعالى.

وقد أراد - جل وعلا - أن يكون هذا المسجد الأقصى أولى القبلتين للمسلمين يولون وجوههم شطره في الصلاة إلى أن أراد الله - سبحانه - أن يتجهوا بعد ذلك إلى الكعبة المشرفة أثناء صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين في المسجد الذي يعرف اليوم بمسجد القبلتين بالمدينة المنورة، حتى إن السفهاء الذين يتصيدون الحقائق على أنها أخطاء:

﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾

(البقرة: ١٠٩)

بيتوا الوقيعة بين المسلمين كما أرادوا إظهار التباهي بين المشركين فقالوا عن المؤمنين:

﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾

(البقرة: ١٤٢)

وقد عايشت هذه الآية المباركة عمليا منذ حوالي خمسة أعوام عندما كنت في

زيارة إلى أمـــريكا حـــيث قطعت بنا الطائرة المسافة بين مطار القاهرة ومطار كنيدى بنيويورك فى أربعة عشر ساعة بلا استراحة عاينت فيها مشرق الشمس ومغربها عبر هذه الرحلة وعندما انتهت الرحلة ووصلت إلى منزل ولدى هناك فتحت خير رفيق وهو المصحف الشريف فإذا بعينى على الآية الكريمة:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾

«البقرة ١٤٢»

وهنا فاضت العين بدمع الاعتبار، وذلك لأن أسلافنا الصادقين المصدقين الذين نزلت عليهم هذه الآية لم يجتمع لديهم المشرق والمغرب آنذاك، ومع ذلك آمنوا دون أن يروا، بينما إنسان هذا العصر يرى ويسمع كل يوم وكل لحظة، ولكن نعوذ بالله من أن يكون على قلوب أقفالها.

مسئولية الخطاب الإسلامى

فى الإسراء والمعراج

وإن مسئولية الخطاب الاسلامى هى مسئولية تربوية فى الدرجة الأولى، وبالنسبة لتوظيف هذا الخطاب للقيم التى تسطع فى معجزة الإسراء والمعراج بحيث يكون لها دور ميدانى وعملى فى حياة المتلقين، ينبغى أن يكتشف القائمون على الخطاب الدينى الطاقة العلمية والعملية إلى أن يمكن بها اختراق ماران اليوم على كثير من القلوب والعقول من حجب تعنى فقط بالجانب المادى، ولاسيما الجسمى للإنسان حتى لقد أصبح الكائن الآدمى من عمق اختلاطه بالمادة كائنا ماديا فى كل شىء.

ومن هنا كان لابد للخطاب الإسلامى من بذل كل ما يمكن من جهد للتخفيف من التعلق الآدمى بالمادة والتكثيف من الارتباط بالجانب النفسى والعقلى والروحى، وبهذا لا نقضى على التعلق المادى تماما ولكن نحقق التوازن الذى أراده صاحب الميزان - عز وجل - بين جوانب الشخصية الآدمية ككل.

أرأيت إلى قائد السيارة فى الطريق الطويل فى الصباح الباكر حيث تتكاثف طبقات الضباب فماذا يصنع لكى يتبين طريقه؟ إنه مضطر إلى إضاءة الكشافات الإضافية للسيارة رغم ضوء الصباح، أى أن عليه أن يكثف الاضاءة إلى الدرجة التى تكشف له حدود الطريق فينجو هو ومن معه مما يخفيه الضباب من الأخطار.

كذلك المسئول عن الخطاب الإسلامى الذى يريد ان ينجو هو ومن معه من المتلقين من خفايا هذا الضباب المستحدث فى جنبات الحياة، إذ عليه أن يكثف الضوء الذى يخترق به هذا الضباب، وذلك بالتزود قدر الطاقة من فعاليات العلم وأساليب العرض وآليات الإيضاح، فالخطاب الذى كان يصلح لتنوير الناس قبل مائة عام غير الخطاب الذى يناسبهم اليوم، فقد تكاثف الضباب وازدادت وعورة الطريق مما يدعو إلى المزيد من المعرفة الجادة والتمتع بمهارة العرض والتوضيح ولقد كان النبى ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم وثقافتهم وعلومهم حتى دان لدينه علماء الفرس وعباقرة الروم مع بسطاء البدو، دون أن يحيد ﷺ - وحاشاه - عن جادة الهدف وجدية الوسيلة وعظمة الرسالة.

وإذا أردنا أن نصطنع مثل هذا فى عرض معجزة الإسراء والمعراج، فإنه لا يكفى كما نرى أن نستعرض مجرد الاستعراض ما تم للرسول ﷺ فى رحلته هذه المقدسة، أو أن نحكى مجرد الحكاية ما صادفه - عليه السلام - فى تلك اللحظات التى عادلت الدهر كله من أزله إلى أبده، ولكن علينا ان نستنبط منها العبر الأخلاقية ونستخرج منها الأفكار السلوكية ونعرضها على الناس بما يتفق مع ثقافة العصر المعنوية وحضارة العصر المادية، ولا شك فى أن هذا يتطلب من معلم الخطاب الإسلامى مهارة الموهوب وآليات المحترف، وذلك كله فى إطار توفيق الوهاب العظيم - عز وجل - الذى يقول فى كتابه المطهر

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

«البقرة ٢٨٢»

تنويــــه

وقع خطأ غير مقصود فى عدد «جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ» صفحة ٨٤٠ وصحته كالتالى:

ونفهم من هذا السياق القرآنى الحكيم أن الذكورة والأنوثة هى خلق إلهى، وإبداع ربانى، أما «الشعوب والقبائل» بعد ذلك فهى «جعل» يترتب بقدرة المولى سبحانه على الذكورة والأنوثة".

ولنا - بل علينا - فى هذا المقام أن نتأمل قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ «الذاريات ٤٩»

وكذلك قوله سبحانه:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ «يس ٣٦»

في ذكرى الإسراء والمعراج:

كيف دخل المسلمون القدس ؟!

للشيخ/ صديق بكر عيطة

تعرض المسجد الأقصى بفلسطين إلى سلسلة من الاعتداءات البربرية الوحشية على أيدى اليهود منذ إحراقه عام ١٩٦٩م. ولا يزال يتعرض لهذه الاعتداءات تحت سمع وبصر العالم كله، ووسط صمت مريب..!! بالرغم من أن ما به من مقدسات تهم شعوب الأرض كلها على اختلاف عقائدها. ولا يزال الشعب الفلسطيني يناضل من أجل صيانة هذه المقدسات وتحريرها من أيدى اليهود المغتصبين، الذين لا يعرفون للإنسانية معنى، ولا يرعون للمقدسات حرمة. ويدعون فى ذات الوقت أن لهم حقاً تاريخياً فى مدينة القدس وفى بيت المقدس، كما يزعمون أن المسلمين هم الذين اعتدوا عليهم وأخرجوهم منه أيام الفتح الإسلامى الأول لبلاد الشام.

ولكننا فى هذا المقال، وما سيتلوه إن شاء الله، سترد على هذه المزاعم ونبين ما بها من زيف، ليعرف المسلمون، وكل من يهمه أمر الحقيقة في هذه القضية، أن جرائم اليهود فى تزييف التاريخ وفى ملء أدمغة الشعوب بالترهات والأكاذيب لا تقل بشاعة عما ترتكبه في الحرم القدسيّ الشريف.

الكنعانيون

لقد أثبت التاريخ الحقيقي لهذه البقعة التى تقع شمال شبه الجزيرة العربية أنها عربية منذ ما قبل الميلاد بآلاف السنين، وأنا ليست يهودية، ولم يكن بها ما يدل على أية حضارة يهودية على أى مستوى. فلقد جاء في كتاب «قضية القدس» للدكتور عبدالتواب مصطفى أنه «قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام، كانت أولى الهجرات العربية الكنعانية إلى شمال شبه الجزيرة العربية، استقرت على الضفة الغربية لنهر الأردن، أى المنطقة الجبلية من فلسطين، متسابة إلى البحر المتوسط بـ (أرض كنعان)، وأنشأ هؤلاء الكنعانيون مدينة (أورسالم)، ثم استقبلت تلك المنطقة ـ ٢٥٠٠ ق. م ـ بعض القبائل القادمة من جزر البحر المتوسط تسمى قبائل (فلستين) إلى السواحل الشرقية الجنوبية، عرفوا بسكان السواحل أو (بالستين). واختلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالكنعانيين، لكن غلب الدم الكنعاني على هذا الشعب، وغلب اسم (بالستين) على المكان.


حريق الأقصى
صورة من صور الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية

كشف أثري يدحض الأكاذيب!!

وتؤكد أعمال التنقيب البريطانية التى تمت بتلك المنطقة عام ١٩٦١م أن الوجود الكنعاني اليبوسيّ بها ـ بالقدس تحديداً ـ يعود إلى ثلاثة آلاف عام.

«وكانت بعثة أثرية بريطانية قد أجرت أعمال التنقيب تلك، ولم تعثر من خلالها إلا على فخاريات منقوش عليها باللغة الكنعانية، أن المؤسسين الأوائل لمدينة القدس هم اليبوسيون، كما كشفت تلك البعثة أنه كان بالمنطقة التى وجدت بها تلك الآثار قلعة لليبوسيين» [١].

إذن، من الثابت تاريخيا أن مدينة القدس ـ التى كانت تسمى (أورسالم) ـ عربية منذ القدم، ولم يكن لليهود أى وجود فيها... ولا نستطيع الاستطراد فى هذا الجانب أكثر من هذا، وربما نعود إليه في مقال تال إن شاء الله ـ تعالى ـ ونتنقل الآن سريعاً إلى بداية عصر الإسلام لنتعرف على مدى ارتباط الحرم القدسيّ بالإسلام، عقديا، وتاريخيا، وعرقيا.

أول بقعة خرج إليها الرسول ﷺ

سأل أبو ذر الغفاريّ رسول الله ـ ﷺ ـ عن أول مسجد وضع فى الأرض، فقال: «المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى» [٢] وفى حديث نبوى آخر، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

(١) الدكتور عبدالتواب مصطفى فى كتابه «قضية القدس: دراسة فى أبعادها التاريخية والدينية والسياسية والقانونية»، ص ٩.
(٢) مشكاة المصابيح ص ٧٥٣، تاريخ أصبهان ١/١٧٢.

المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»[٣]، والله ـ جل جلاله ـ عرف مسجد القدس بأنه المسجد:

﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

«الإسراء آية: ١»

ولهذا كله ارتبط بيت القدس بالإسلام منذ أيامه الأولى.. وكان أول مكان هفت إليه أفئدة المسلمين، وتطلعت إليه أبصارهم خارج الجزيرة العربية»[٤]

فالقدس الشريف هو أول بقعة فى الأرض خرج إليها رسول الله ـ ﷺ ـ بعد نزول القرآن الكريم، وقبل هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة، حينما حمله البراق، وصحبه جبريل الأمين ـ عليه السلام ـ من المسجد الحرام، حتى وطئت قدمه الشريفة أرض هذا البيت الطيب المبارك، وتمت معجزة الإسراء والمعراج؛ حيث صعد إلى السماوات العُلا، منطلقاً من أرض هذا المكان، ثم إلى سدرة المنتهى حيث كلمه ربه ـ تبارك وتعالى ـ كفاحاً بلا واسطة، وفرضت أعظم أركان الإسلام، وأبقاها أثراً فى نفس المسلم، وهى الصلاة فى هذه المناسبة الفريدة، التى يزهو بها الزمان كله.

ولقد رسخ حب هذا البيت الطيب المبارك فى قلب رسول الله ـ ﷺ ـ منذ أول يوم فى تاريخ الدعوة الإسلامية، وعمل جاهداً على أن يكون فى عناق تام مع شقيقه الأكبر «البيت الحرام»، وفى حضن هذا الدين الذى جاء من عند الله ليكون مهيمناً على الدين كله ولو كره المشركون.

ولهذا انطلقت جيوش المسلمين صوب هذه الأرض الطيبة مرة بعد أخرى إلى أن تم للمسلمين دخول القدس الشريف فى العام الخامس عشر للهجرة وفى عهد الفاروق عمر بن الخطاب، الذى دخل إليه مطأطئاً هامته العالية، حمداً لله وشكراً على هذا النصر المؤزر، ليعطى أهل «إيلياء» هذا العهد العمرىّ، الذى تتوارى أمامه كل مواثيق الدنيا بعد ذلك خجلاً مما به من حقوق وواجبات لم يصل إليها البشر قاطبة فى أى عهد.. وإلى تفصيل القول بعض الشئ:

معركة التحرير الأولى

فلقد أعد الرسول ـ ﷺ ـ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وعين على رأسه ثلاثة من القادة العظام، يتناوبون القيادة واحداً تلو الآخر، كلما سقط منهم شهيد. هؤلاء الرجال هم: زيد بن حارثة، يخلفه جعفر بن أبى طالب، ثم من بعده عبدالله بن رواحة. وسار هؤلاء القادة على رأس هذه الحملة الصغيرة لملاقاة الروم بجحافلها، وهى أكبر دولة، ولها أكبر جيش عرفه الناس آنذاك؛ حيث كان عددهم مائتى ألف مقاتل، يتقدمهم هرقل نفسه.. والتقى الجمعان عند «مؤتة»، وهى الآن داخل المملكة الأردنية

[٣] مسند الإمام أحمد ٣٤/٢، ٤٥، سنن النسائى ٣٣/٢.

[٤] الأستاذ/ عبدالحميد الكاتب فى كتابه «القدس» ص ٢٢، ٢٣.

الهاشمية فى طريق القادم من مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ إلى فلسطين.. وفى ساحة القتال سقط هؤلاء القادة الكبار، واحداً بعد الآخر؛ حيث لم يعبأوا بضخامة جيش الرومان وصغر جيشهم، ولكنهم كانوا يعرفون الهدف الكبير، الذى خرجوا من أجله؛ فلم ينكصوا.. ولم يجبنوا.. ولم تلن لهم قناة. فقابلوا الموت راضين، محتسبين أرواحهم ودماءهم رخيصة فى سبيل الله، وفى سبيل الهدف الكبير، الذى خرجوا من أجله، وهو تمهيد الطريق إلى بيت المقدس، أمام الدعوة الإسلامية العظيمة..!! وتسلم الراية خالد بن الوليد، ورأى أن واجبه فى هذا الظرف العصيب أن ينقذ ما تبقى من جيش المسلمين من بين أنياب الروم، فأظهر براعة حربية لا نظير لها فى تاريخ الحروب، حيث قام بمناورة فريدة، أوهم من خلالها الروم أن مدداً من المسلمين قد لحقهم لينضم إليهم، وهو ما جعل الرومان يحجمون عن الهجوم عليهم، فانسحب خالد بمن معه من المسلمين. ولما وصلوا المدينة، عيَّرهم المسلمون قائلين لهم: «يا فرار.. فررتم من ميدان المعركة» فرد عليهم الرسول ـ ﷺ ـ قائلاً لهم: «لا. ليسوا بالفرار.. وإنما هم كرار إن شاء الله»[٥] مما يدل على الإصرار القوى منه ـ عليه السلام ـ على فتح بلاد الشام، بما فيها من أرض فلسطين، وبيت المقدس حيث كان إسراؤه ومعراجه الشريفان.

جيش العسرة

فبعد فتح مكة العظيم، أعد رسول الله ـ ﷺ ـ جيشاً كبيراً قوامه ثلاثون ألف مقاتل، وأعلن على غير عادته الوجهة التى سيتجه إليها بهذا الجيش، وهى «تبوك» التى تبعد عن المدينة المنورة بمسيرة حوالى عشرين يوماً، ولا يفصلها عن القدس الشريف سوى مسيرة يومين اثنين، وكانت حرارة الشمس على أشدها، ورمال الصحراء تفوح بلهيبها، وقيظها، مما كان سبباً فى تسمية هذا الجيش «جيش العسرة» وتخلف بعض الرجال عن المشاركة فى هذه المسيرة الهامة. ونزل فى ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة، ولا داعى للخوض فى هذه القضية؛ فليس الأوان أوانه.. ولكن جيش الروم لم يخرج لصدّ المسلمين. فعسكر الرسول ـ ﷺ ـ بالمسلمين فى «تبوك» عشرين يوماً متحدياً الروم فى أرضهم معلناً قوة المسلمين، حتى تسامع الناس بذلك، وعاد الجيش الإسلامى إلى المدينة المنورة رافعاً راية النصر، بعد أن ثأر لكرامته، بمقتل قواده الثلاثة فى غزوة «مؤتة». وعلاوة على ذلك ـ وهو الأهمّ ـ فقد اقتربوا حتى صاروا قاب قوسين أو أدنى من الهدف الكبير، وهو القدس الشريف، ليخلصوها من أيدى الرومان الذين كانوا يسومون أهلها الخسف والهوان. وكانت هذه الغزوة آخر الغزوات التى تمت فى عهد

[٥] الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٣/١/٢

الرسول ـ ﷺ ـ حيث أعد جيشاً كبيراً بعد ذلك وأقام على رأسه أسامة بن زيد؛ الذى استشهد أبوه فى غزوة «مؤتة»، ثم ثقل عليه المرض واختار جوار ربه على جوار الناس، قبل أن يسير جيش أسامة إلى حيث أمره رسول الله.

حملة أسامة بن زيد

وتولى أبو بكر الصديق بعد ذلك أمر المسلمين، ليكون هو القائد الأعلى للجيش الإسلامى. فأبقى تشكيل الجيش على ما كان عليه، واستبقى أسامة بن زيد على حداثة سنه بالرغم من معارضة كثير من الصحابة الأبرار، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب. الذى كلمه فى ولاية أسامة أمر الجيش، طالباً من الصديق أن يجعل على رأسه من هو أسنّ منه، غير أن الصديق أصر على موقفه قائلاً لعمر: «ويحك يا ابن الخطاب..!! يوليه رسول الله، ويعزله أبو بكر؟!» فسكت عمر وسكت الصحابة.

عظمة الإسلام ووصية الصديق رضى الله عنه

وبدأ الجيش مسيرته صوب وجهته التى كان رسول الله ـ ﷺ ـ قد حددها له، وأكد عليها أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وخرج الصديق يودع الجيش إلى ظاهر المدينة ماشياً على قدميه، وعندما طلب إليه أسامة بن زيد أن يركب فرسه قائلاً: «والله لتركبنّ، أو لأنزلنّ» قال له الصديق ـ رضى الله عنه ـ: «والله لا أركب، ووالله لاتنزل. وما علىّ أن أغبر قدمىّ ساعة فى سبيل الله..!!» ثم زود الجيش الإسلامى بهذه الوصية الغالية، التى تقف أمام عظمتها كل قوانين الحرب فى التاريخ خجلَى وكان مما جاء فيها أن قال لأسامة بن زيد: «لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولاتذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً.. إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»، «وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم فيها شيئاً بعد شئ، فاذكروا اسم الله عليه، ثم دعا لهم بالنصر والتأييد، وقال لهم: «اندفعوا باسم الله»[٦]

فأين قوانين الحرب والاتفاقات الدولية ـ مع افتراضات تنفيذها ـ التى وضعتها الأمم المتحدة ومؤسساتها..؟ أين هذه القوانين، التى يتفاخر بها الشرق والغرب من هذه الوصية الخالدة، التى حرص رجل يسير على قدميه يغبرهما ساعة فى سبيل الله ولم يقرأ هذه الوصية من كتاب الله.. ولم يعدّها قبلها بأيام فى مذكرة مثلاً ليزود بها جيش المسلمين قبل أن ينطلق إلى مهمته الجليلة فى أهم فترات التاريخ كله..؟! إذن

(٦) اقرأ كتاب «القدس» للأستاذ/ عبدالحميد الكاتب ص ٣٩ وما بعدها.

فكيف خرجت من فيه هذه الكلمات الرائعات؟! إنه الإسلام.. الإسلام العظيم الذى تسرى أخلاقه ومبادئه ورحمته بين خلايا هذا الرجل، حتى اختلطت بأعصابه ولحمه ودمه، وجرت فى عروقه مجرى الدم. فقالها، لتكون صورة حقيقية لهذا الدين الخالد..!!

إن دماء المسلمين، وأموالهم، ومساجدهم، وأطفالهم ونساءهم، وشيوخهم: فى فلسطين، والعراق، وأفغانستان، والشيشان.. وغيرها من بلاد الإسلام، لترفع أكف الضراعة، وتجأر إلى ربها شاكية ما حاق بها على أيدى هؤلاء اليهود والنصارى، فى هذه السنوات، التى لم يشهد لها التاريخ كله مثيلاً، وإن بيت المقدس ليشكو مرّ الشكوى إلى ربه؛ مما فعله اليهود ـ ولايزالون ـ في هذه الأيام..

وأشهد الأعداء قد أحرقوا

ركناً مشت به خطى أحمد

وأبصر الأحجار محزونة

تقول واقدساه يا معتدى...!!

وبلغ جيش أسامة إلى حيث الهدف، الذى حدده رسول الله ـ ﷺ ـ وعسكر هناك، غير أن جيش الروم لم يخرج لملاقاتهم، بل انسحب إلى أرض فلسطين، فلم يتقدم أسامة خطوة واحدة، ولم يستخفه انسحاب الأعداء، وعسكر هناك عدة أيام معلنا قوة المسلمين. فقفل بعدها إلى المدينة المنورة، واستقبله خليفة المسلمين، استقبال الأبطال الفاتحين، وفرح المسلمون بنصر الله الذى صالح سيوف جند الإسلام دون إراقة قطرة دم واحدة، بعد أن وطئت أقدامهم وداست سنابك خيلهم، البلقاء والداروم من أرض فلسطين. وانتهى عهد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ وجاء عهد أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب، الذى أعد جيشا كبيرا، وأسند قيادته إلى عمرو بن العاص القائد العسكرى الكبير، والسياسى القدير، وخاض هذا الجيش معركة كبيرة فى «أجنادين» على مشارف فلسطين، وما أن وصلت طلائع جيشه إلى أرض فلسطين حتى دخل القدس سلما، ودون إراقة دماء، بمعاونة أهلها النصارى، لما سمعوه عن عدالة الإسلام فى معاملة غير المسلمين، ولما ذاقوه من خسف وهوان على أيدى الرومان بالرغم من أنهم على ملتهم النصرانية.

العهدة العمرية

ورحب النصارى بالمسلمين، غير أن زعيمهم: البطريرك صفرنيوس، أصر على أن يحضر عمر بن الخطاب بنفسه ليعطيهم الأمان، فجاء عمر بالرغم من طول الطريق ومشقة السفر، وتجول فى مدينة القدس واطلع على ما بها من آثار وحضارة نصرانية، ولم يذكر التاريخ أنه شاهد فيها ما يدل على حضارة أو وجود يهودى، ثم أعطاهم الوثيقة العمرية الشهيرة التى لا نظير لها فى المواثيق الدولية، حتى فى عصرنا الحاضر، الذى يتشدق فيه الغرب والشرق بأنه حامى الحريات والمواثيق

الدولية، فماذا في هذه الوثيقة العمرية؟.

«هذا ما أعطى عبدالله، أمير المؤمنين أهل «إيلياء» من الأمان.. أعطاهم الله أمانا لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها.. إنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها.. ولا من صليبهم.. ولا من شئ من أموالهم.. ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.. ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود» (يقول الأستاذ عبدالحميد الكاتب: وهذا شرط اشترطه المسيحيون في القدس)

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية، كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص.. فمن خرج منهم، فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

«ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله من الروم ويخلي بينهم وبين «كنائسهم» وصليبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم، وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم.. ومن رجع إلى أهله، فإنه لايؤخذ منهم شئ حتى يحصدوا حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب من عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين.. إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية».

ولقد كُتبت هذه الوثيقة العمرية سنة خمس عشرة هجرية (٦٣٦) ميلادية، وشهد عليها كل من خالد بن الوليد، وعبدالرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهم أجمعين - وهم أبرع قادة المسلمين فى التاريخ[٧]..!!!

ويشهد التاريخ أن المسلمين دخلوا القدس الشريف، وليس فيها معلم واحد من معالم اليهود، وإلا لذكرت لنا إحدى صفحاته شيئاً من ذلك، حينما كان عمر ابن الخطاب يطوف بها مع أساقفة النصارى قبل توقيع الوثيقة التاريخية، وأيضاً لم يكن اليهود ليسكتوا عن ذكر مطالبهم، وإثباتها في هذه الوثيقة، ولما نصت الوثيقة ضمن بنودها على ألا يسكن اليهود القدس مع النصارى، وهذا كله يدحض ويشدد مزاعم اليهود في حقهم التاريخي في هذه المدينة المقدسة.

وإلى اللقاء في مقال تال إن شاء الله نتحدث فيه عن جانب آخر من الجوانب التي تدحض افتراءات اليهود.

---

(٧) اقرأ كتاب «القدس» للأستاذ/ عبدالحميد الكاتب ص ٦٤، ٦٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

الأمانة

من صفات الرسل والأنبياء

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

رسل الله - عليهم جميعا الصلاة والسلام - يختارون من أشرف الناس طباعا، وأزكاهم معادن، وأكرمهم أخلاقا، وأنقاهم صفاء، وأحسنهم سلوكا، وأصدقهم قولا وعملا، وأوفاهم أمانة، وأخلصهم في أداء حقوق الناس.

والأمانة هى محور الدين وامتحان رب العالمين، وهى تضفى على صاحبها مكانة مرموقة، وترتفع به إلى منزلة عالية رفيعة فى مجتمعه، وتجعله موضع ثقة وتقدير واحترام بنى قومه وعشيرته وأهله.

ولعظم قدر هذه الصفة، وأثرها الإيجابي في تحقيق رسالة الرسل والأنبياء، اشتهر الرسل والأنبياء بصفة الأمانة في مجتمعاتهم منذ نشأتهم، وقبل نزول الوحي عليهم وأمرهم بتبليغ الدعوة إلى أقوامهم، واقتضت الحكمة الإلهية أن يتصفوا بصفة الأمانة قبل بعثتهم، وبعد بعثتهم، لتكون عاملا مؤثرا في أقوامهم لتصديقهم وطاعتهم والإيمان برسالتهم..

وقد أشار القرآن الكريم كثيرا في سورة إلى صفة الأمانة التي اشتهر بها الرسل والأنبياء -

عليهم جميعا الصلاة والسلام- ، يقول الله -تعالى-:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الشعراء: ١٠٥ - ١٠٩)

«نـــوح»

كان قوم نوح يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم نوحا ليرشدهم إلى الصواب، ويدعوهم إلى عبادة الإله الواحد الذى لا شريك له... وبدلاً من أن يستعمل قوم نوح عقولهم، ويفكروا فى الأمر بروية وتأن، وينصاعوا إلى الحق، ويعلنوا إيمانهم بدعوة نوح، بدلا من هذا كذبوا نبيهم نوحا، ولم يستمعوا إليه عندما قال لهم ناصحا ومنذرا :

﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

الله -تعالى- الذى خلقكم ورزقكم، فتخلصوا له العبادة، وتتركوا عبادة الأصنام التى لا تنطق ولا تسمع، ولا تنفع ولا تضر !!، ثم أراد نوح -عليه السلام- أن يستميلهم إلى جانبه، ويحثهم على الاستجابة إليه، قائلاً لهم:

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾

أى: إننى رسول لكم من عند الله -تعالى- ، وأنا معروف بينكم بالأمانة وعدم الخيانة، أو الغش، ومادام أمرى كذلك، وأنتم تعرفون أمانتى

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾

دعوتى، وما أسألكم على نصحى لكم من أجر آخذه، أو ثمن أقبضه ﴿ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ فيما أدعوكم إليه

﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فهو الذى أرسلنى إليكم، وهو الذى يتفضل فيكافئنى بمنحى أجرى لا أنتم...

وهكذا نرى نوحا -عليه السلام- قد استعمل صفة الأمانة التى اشتهر بها بين قومه وسيلة لحثهم على تصديقه وطاعته والإيمان برسالته..

ويقول الله -تعالى-:

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الشعراء: ١٢٣ - ١٢٧)

«هــود»

قوم هود هم قبيلة عاد نسبة إلى أبيهم الذى كان يسمى بهذا الاسم، وكانت مساكنهم بالأحقاف باليمن، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم نبيهم هودا ليبين

لهم ضلالة عبادتهم، وفساد معتقداتهم، ويرشدهم إلى عبادة الإله الواحد خالقهم ورازقهم، وترك عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع.

وتوضح الآيات الكريمة أن هودا -عليه السلام- قد حض قومه على تقوى الله وإخلاص العبادة له، وذكر لهم أنه رسول من عند الله، أمين فى تبليغ الرسالة، فهو لا يكذب ولا يغش ولا يخادع، وقال مخاطبا قومه:

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

أى: أنا لا أطلب منكم على دعوتى لكم إلى الإيمان بالله أجرا آخذه، أو ثمنا أقبضه، وإنما ألتمس الأجر والإثابة من الله -تعالى- وحده.

وهكذا نرى أن هودا -عليه السلام- قد اتخذ صفة الأمانة التى اشتهر بها بين قومه وسيلة لحثهم على تصديقه وطاعته والإيمان برسالته..

ويقول الله -تعالى-:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الشعراء ١٤١ - ١٤٥)

«صــالح»

ثمود اسم للقبيلة التى أرسل الله إليها صالحا -عليه السلام- لهدايتهم، والثمد: الماء القليل، وكانت مساكنهم فى المنطقة التى بين المدينة المنورة والشام، وتعرف حتى الآن بمدائن صالح، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم نبيهم صالحا لينصحهم ويرشدهم ويبين لهم فساد عبادتهم، ويأمرهم بتقوى الله، وعبادة الإله الواحد، خالقهم ورازقهم، ونبذ عبادة الأصنام التى هى من صنع أيديهم، ويؤكد لهم أنه رسول من قبل الله لهدايتهم، وأنه أمين فى تبليغ الدعوة إليهم، وقال -عليه السلام- يخاطبهم:

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

أى: أنا لا أطلب منكم على دعوتى لكم إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله أجرا آخذه، أو ثمنا أقبضه، وإنما ألتمس الأجر والإثابة من الله وحده.

وهكذا نرى أن صالحا -عليه السلام- قد استخدم أيضا صفة الأمانة التى عرف بها بين قومه وسيلة لحثهم على تصديقه وطاعته والإيمان برسالته..

«شعيب»

ويقول الله -تعالى-:

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الشعراء: ١٧٦ - ١٨٠)

قال ابن كثير[١] -رحمه الله-: -أعنى أصحاب الأيكة- هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبى الله شعيبا من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة وهى شجرة. وقيل شجر ملتف كالغيضة[*] كانوا يعبدونها، فلهذا قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، وإنما قال:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾

فقطع نسبة الأخوة بينهم، للمعنى الذى نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسبا، ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبا -عليه السلام- بعثه الله إلى أمتين، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا فى كل مقام بشىء، ولهذا وعظ هؤلاء بأمرهم بوفاء الكيال والميزان، كما فى قصة مدين سواء بسواء.

وقد دعا شعيب -عليه السلام- قومه إلى تقوى الله، وإخلاص العبادة له، ومراقبته فى كل أقوالهم وأفعالهم؛ لأنه -سبحانه- مطلع عليهم لا تخفى عليه خافية... ونهاهم عن الرذيلة التى كانت منتشرة بينهم، وهى تطفيف الكيل والميزان، وبخس حقوق الناس، وأخبرهم مؤكدا أنه رسول من قبل الله رب العالمين، أمين على تبليغ رسالة الله إليهم.

وهكذا نرى شعيبا -عليه السلام- قد استخدم -أيضا- صفة الأمانة التى عرف بها بين قومه وسيلة لحثهم على تصديقه وطاعته والإيمان برسالته..

«محمد ﷺ»

وقد أجمعت كتب السيرة على أن رسولنا محمدا -ﷺ- كان فى قومه قبل الرسالة وبعدها مشهورا بينهم بأنه: الصادق الأمين، وكان أهل مكة- مع شركهم وكفرهم برسالته، واضطهادهم له، وإلحاق الأذى به -يختارونه لحفظ ودائعهم عنده، وعندما هاجر -عليه الصلاة والسلام- من مكة إلى المدينة وكل على بن أبى طالب برد الودائع التى كانت عنده إلى أصحابها.

وكانت صفة الأمانة التى اشتهر بها -ﷺ- فى قومه قبل البعثة من أبرز الصفات التى ذكرها الصحابى الجليل جعفر بن أبى طالب -رضى الله عنه- عندما خاطب النجاشى ملك الحبشة يصف الرسول -ﷺ-

عن أم سلمة -رضى الله عنها- فى حديث هجرة الحبشة، من كلام جعفر للنجاشى:

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٣٦٨.

(*) الغيضة: الأجمة، وهى الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف.

«أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام» قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به. «إلخ ما قاله الصحابى الجليل فى حديثه للنجاشى ملك الحبشة»[٢].

وحدث أن استعمل النبى -ﷺ- رجلا من الأزد يقال له: «ابن اللتبيه» على الصدقة، فلما قدم بها قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ!! قال راوى الحديث: فقام رسول الله، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد.. فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله، فيأتى فيقول: هذا لكم، وهذا هدية أهديت إلىّ. أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة!! فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول: اللهم هل بلغت»[٣].

عن أبى سعيد الخدرى -رضى الله عنه- قال: بعث على بن أبى طالب -رضى الله عنه- إلى رسول الله -ﷺ- من اليمن بذهيبة فى أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبى -ﷺ- فقال: «ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحا ومساء؟ قال: فقال رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، غليظهما، ناشز الجبهة «مرتفعها» كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار. فقال: يا رسول الله اتق الله. قال: «ويلك: أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله؟» قال: ثم ولى الرجل. قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: «لا. لعله أن يكون يصلى». فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه. قال رسول الله -ﷺ-: «إنى لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم» قال: ثم نظر إليه وهو مقف «أعطاه قفاه وظهره» فقال: «إنه يخرج من ضئضىء هذا «أصله» قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[٤].

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله، يا من أديت الأمانة، وبلغت الرسالة، ونحن على ذلك من الشاهدين، فجزاك الله خير الجزاء، وألحقنا بك على خير، وكتبنا ممن ينالون شفاعتك، وينعمون بجوارك..

(٢) أخرجه أحمد.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه البخارى- الفتح ٧، ٤٣٤٦، ومسلم.

معاذ.. رضى الله عنه الداعية.. الشاب

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال:

قال رسول الله - ﷺ - لمعاذ بن جبل، حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتى قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك .. فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وفى رواية الترمذى: أن رسول الله - ﷺ - بعث معاذاً إلى اليمن فقال: «كيف تقضى؟» فقال: أقضى بكتاب الله.

قال: فإن لم يكن فى كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله - ﷺ - قال: فإن لم يكن فى سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيى. قال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله - ﷺ.

وفى رواية الإمام أحمد: فضرب رسول الله - ﷺ - صدرى ثم قال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله - ﷺ - لما يرضى رسول الله».

تمهيد

إذا انطلق الداعية من قاعدة الإخلاص متخذاً سبيله إلى هدفه المتمثل فى التمكين للدعوة فى قلوب الناس.. كان عليه أن يستكمل عدته: بمعرفة طبيعة وظيفته وحدودها. ومدى توافر الإمكانات التى يملكها.. بالإضافة إلى دراسة المدعو وبيئته، ليتم خطابه من معرفة واعية بالعوامل التى تؤثر فى حركته واتجاهاته، فإذا كان الداعية على قمة الجهاز المسئول عن نشر الدعوة، كان عليه أن يتخير رجاله.. الذين هم عدته فى إنجاح رسالته فإذا تم له ذلك. كان النصر حليفه بإذن الله -تعالى- وهكذا كان رسول الله - ﷺ.

لقد اختار «أبا دجانة» فأعطاه سيفه يوم أحد.. بحقه وهو: أن يضرب به العدو حتى ينحنى.

واصطفى «حذيفة بن اليمان» ليستطلع أخبار الأعداء ليلة الخندق.. فكان أحق بالاختيار. وكان أهله.

وفى هذا الموقف يختار «معاذ» -رضى الله عنهم أجمعين- ليقوم بمهمة البلاغ فى ظروف لا يتحمل مسئولياتها إلا كفاؤها من الرجال.

* * *

صعوبة المهمة

ليس المهم «كم» الدعاة.. فأهم منه «الكيف».. لقد استعمرت بريطانيا الهند وهى تعدُّ بمئات الملايين.. استعمرتها بعشرات الألوف من الجنود المدربين..

ولقد كانت المهمة هنا صعبة.. فاختار لها رجلها.

أما عن صعوبتها فتتمثل فى:

أ - أنها مهمة فى دولة غير الدولة.

ب- ثم هى مهمة تتطلب تغيير العقائد.. وانتزاع العوائد، وليست رحلة سياحية أو تجارية.

جـ- والخطأ فى ممارسة مهمة من هذا النوع.. يصير نكسة.. قد تصيب الدعوة فى مقتل.

د - بالإضافة إلى أن المدعوين «يهود» لهم كتاب، ولديهم قدرة على الجدال والمناورة.

كل أولئك يشكل عقبات أمام «معاذ» - رضى الله عنه- ولكن شخصية الرجل كانت معدة لاقتحام هذه العقبات بسلام.

* * *

مقابلة شخصية

وكان لابد من مقابلة شخصية يتأكد بها القائد من قدرة رسوله على النجاح فى مهمته وعن ذلك تقول بعض الروايات:

إنه - ﷺ - قال له: «كيف تقضى»؟ فقال: أقضى بكتاب الله. قال: «فإن لم يكن فى كتاب الله»؟ قال: فبسنة رسول الله - ﷺ - قال: «فإن لم يكن فى سنة رسول الله - ﷺ -»؟ قال: أجتهد رأيى. قال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله - ﷺ».

منهج الداعية

كان الداعية «معاذ بن جبل» موفقاً فى عرض منهجه الذى خصه فيما يلى:

١ - الرجوع إلى أصل الأصول.. إلى كتاب الله -عز وجل- ليأخذ عنه كيف يواجه الأمور؟

٢ - فإن لم يجد.. فإلى السنة التى هى بيان لما أجمل فى القرآن.

٣- فإذا لم يجد النص الكاشف.. اجتهد

بعقله ليستنبط الحكم.. المشمول بروح القرآن الكريم والسنة المطهرة.. ولا يدخر في الاجتهاد وسعاً.

ويعني ذلك استقلال شخصية الداعية التي لا تلغى عقلها.. ولا تسلم زمامها إلى كل ناعق كما قد يحدث اليوم حتى لا تكون صورة مكررة لقيادة تفكر لها وترى وتسمع لها -أيضا- قيادة سوف تموت يوماً.. ثم لا تجد ساعة العسرة. إلا أشباحا من الأتباع. إن «معاذاً» -رضى الله عنه- يحمل النص الكاشف.. وفى نفس الوقت يحمل فى رأسه عقلاً مستنيراً. قادرا على الاستنباط. وتنزيل الحكم على واقع يراه ويمارسه فعلاً.. مع وجود الرسول المؤيد بالوحى الأعلى، وخير الخلق أجمعين.

* * *

القائد سعيد برسوله

إذا كان من زعماء الدنيا من لا يُطيق رؤية واحد من أتباعه متميزاً قوى الشخصية.. خوفاً على منصبه أن تنتزعه القيادة المرتقبة. ومن ثم.. يضع بين يديه العراقيل.. ليظل هو على القمة.. وحده. إذا كان من زعماء الدنيا من يفعل ذلك. فإن الرسول -ﷺ- يعطى الزعامة معناها الإنسانى الرحب حين يعلن سعادته باستقلال شخصية «معاذ» -رضى الله عنه- والذى سوف يكون له اجتهاده الذى يواكب به ما يستحدث الناس من أقضية -وليس هو «ساعى بريد» يحمل القيادة العليا كل صغيرة وكبيرة.. بينما يجمد هو فى مكانه.

وما أكثر القياديين اليوم الذين ترى على محياهم ابتسامة الرضا من أتباع يطبقون بالحرف.. وبالطاعة العمياء ما يلقى عليهم من أوامر..

ثم يحسون بعزة الأمر المطاع.. مع أنها عزة منهوبة من عزة مرءوسيهم الذين سرقت منهم.. وهم لا يشعرون- أو يشعرون- ولن يكون للعزة المجلوبة طعم.. مادام الأتباع قد صاروا أصفاراً على الشمال.

وتلك عقبى الذين انكبوا -أيضا- على لون معين من الكتب «ينقلون» منها ما طلب منهم أن ينقلوه.

وسعد الأتباع المسخرون «بمتعة» التبعية التى لم تكلفهم أن ينشطوا ملكاتهم ليذوقوا طعم الاستقلال.. ومعنى الحرية، وعليهم أن يزايلوا هذه النصوص الجامدة.. ثم ليتأملوا الطبيعة من حولهم تأسياً بالقرآن الذى أمرهم بالنظر إليها وسوف يجدون:

أن فى الشجرة آلاف الأوراق.. ولكن.. ليس بينها ورقتان متطابقتان.. وكذلك ملايين الأشجار والطيور.. والوجه الإنسانى نفسه: فيه تكرار:

العينان- الأذنان- والشفتان- والأصابع.. والأسنان.. وملايين الشعر والشعيرات.. ولكنها جميعاً تختلف من إنسان إلى إنسان.

- وحسبنا تفكيراً برءوس غيرنا.
- حسبنا نظراً بعيون أعدائنا.
- حسبنا تقليداً كتقليد القرود.

- ولنعد إلى أنفسنا.. إلى عروبتنا.. إلى إسلامنا.. إلى طهرنا وعفتنا.

* * *

الشخصية المسلمة

فلنأخذ سبيلنا إلى العلم الذى تكتمل به الشخصية: سئل ابن المبارك: مَن الناس؟ فقال: هم العلماء.

ويعلق الإمام الغزالى على ذلك بقوله:

(إن ابن المبارك لم يجعل غير العلم من الناس.. لأن الخاصية التى يتميز بها عن سائر البهائم هى العلم.

فالإنسان إنسان بما هو شريف من أجله:

- وليس بقوة الشخصية .. فإن الجمل أقوى منه.
- ولا بعظم حجمه .. فإن الفيل أعظم منه.
- ولا بشجاعته .. فإن الأسد أشجع منه.
- ولا بأكله .. فإن الثور أوسع بطناً منه.

ولكن الإنسان بإرادته.. بحريته.

* * *

طبيعة المدعو

لا بد من معرفة طبيعة من تدعوهم.. حتى تطلب لهم الدواء الذى يناسب علتهم.. أما أن تواجه كل المنحرفين بدواء واحد.. فذلك هو القضاء على الدعوة التى تُنحر بفعل أبنائها.

وقد وجه -ﷺ- «معاذاً» إلى (أنك تأتى أهل الكتاب)

فهم أناس مثقفون..

ولهم عقيدة سوف يستميتون فى الدفاع عنها..

ولهم كذلك دراية بالمراء.. والمناورة.

فإذا كانوا يهوداً يزحمون «اليمن» يومئذ.. فقد بانت كل أبعاد القضية.. وعلى الداعية أن يستحضر كل أساليب الحكمة فى مواجهة هذا الصنف المعقد من الناس.

* * *

وظيفة الداعية

قال -ﷺ- «لمعاذ» -رضى الله عنه-:

«... فإذا جئتهم.. فادعهم».

وإذن فوظيفتك الدعوة، يعنى: بالكلمة، وليس بالسيف، فالداعية: عقل يتأمل، وقلب يتألم، يشفق ولا يكره، يتمثل أدب الدعوة فى نفسه، ثم لتخرج الكلمة من فمه، وعليها من إحساسه المرهف شحنة تحرك القلب الهامد، وترشد العقل الحيران، وعلى الداعية أن يفهم أنه مصلح اجتماعى.

(والإصلاح لن يصنعه جبابرة.. بل ناس فضلاء بسطاء.. صادقون والله وحده هو مصلح الصالحين. ولا يذهبن الغرور بأحد فيظن أنه يمكن أن يصلح العالم بضربة «شموخ» فى يوم وليلة.. فتلك مراهقة سياسية. فلننبذ العنف.. ولندع سياسة الإكراه على ما نريد من حقائق سوف تأخذ

سبيلها يوماً.. متى صبرنا عليها..».

وإلا.. فمن الذى هدم المعبد على رءوس من فيه.. هنالك فى الاتحاد السوفيتى؟ وهو يملك ترسانة نووية رهيبة.. ومن كان يتصور أنه سيقال يوماً: الاتحاد السوفيتى «سابقاً»؟!

فلننح العنف جانبا.. ولندرك التدبير الإلهى فى القضية.. والذى يقول الكلمة الأخيرة فيها من حيث لا تحتسب.. بالإضافة إلى أن من تدعوه من المنحرفين.. ترى فى كيانه علة.. وسوف يسقط يوماً.. بعد أن أكلت «الأرضة» عصاه التى يتوكأ عليها.

إن الانفعال لدى بعض المتحمسين.. يجعل الإسلام فى قلوبهم مثل «المثلث» قائماً على رأسه.. فهو قلق.. مضطرب.. فلا يستريحون.. ولا يريحون.. بينما الإسلام فى قلوب المتعقلين مستقر فى قلوبهم على قاعدته.. فهم مستريحون.. مستراح إليهم.

وقد ذكروا أن واحداً من أتباع «المودودى» أوشك أن يأخذ فى الجماعة دوراً قيادياً.. لكنه سمع يوماً من يسب المودودى، فقطعه بسكين.. فكان جزاؤه الفصل.. وخسرت الحركة عضوا كان من الممكن أن يكون سنداً لها.

* * *

التوحيد وسلم الأولويات

وصى رسول الله - ﷺ - «معاذاً» أن يبدأ مع القوم بكلمة التوحيد.. فهى الأساس.. الذى تنبت عليه براعم غضة.. ثم تسمق فروعاً.. وتينع أزهاراً.. وتتدلى ثماراً.

ولعل المتحمسين من أبنائنا يوجهون طاقاتهم المهدرة فى غير ميدان إلى تعميق حقيقة التوحيد أولاً.. ثم يواصلون المسير على سنة التدرج.. متسلحين بفضيلة الصبر.. وكل شىء بعد ذلك ممكن، ويصبح الأمر على ما يقول القائل: إننا نستطيع أن ننقل ماء البحر بالمصفاة.. متى؟ لو أننا صبرنا عليه حتى يتجمد!!

يقول الدكتور سعاد جلال -داعيا إلى سنة التدرج فى تطبيق الشريعة-: «عاشت بلاد المسلمين سنوات طويلة تحت سلطان الكفار وحكمهم. فعملوا على إفقارها من ثرواتها المادية والأخلاقية والثقافية والروحية. ومسخوا كيانها الباطن والظاهر مسخا.

وعمقوا فيها أسباب الانحطاط والهزيمة. وعدم المبالاة بالأحداث والقيم. وابتذال الذات. ودسوا عليهم نفوذ عاداتهم وأخلاقهم وتشريعاتهم ومقاييسهم فى تقييم شئون الحياة. فألفت نفوس أغلب المسلمين هذا كله. وأصبح انتزاعه منهم دفعة واحدة صعبا عليهم. بحكم الف الجبلة. وتحكم العادات فى النفوس. وكان القول بفرض أحكام الشريعة على الناس فى بلاد المسلمين غداة خلوصهم من قبضة الكفر وسلطانه لا يخلو من خطأ..

وإنما الطريق الصحيح لتحقيق هذا الغرض: إنما هو التدرج فى تنفيذ أحكام الشريعة والبدء بما هو أخف، ثم الترقى لما هو أشق- شيئاً بعد شىء. مع الإخلاص لله ورسوله والتنزه عن طلب الدنيا.

* * *

الخطوة الثانية

ويجىء الإعلام بفرضية الصلاة والزكاة بعد ذلك، على أن تكون إرادة التيسير سارية فى خطاب الداعية، ولاحظ أنه - ﷺ - يقول لمعاذ: «خمس صلوات.. فى كل يوم وليلة»، وكأنما يقول له: دعهم يشعرون بما فى التكليف من يسر.. فهى فقط خمس صلوات.. وعلى مدى الليل والنهار.. وإذن فما أيسر التكليف!

ثم ذكر الزكاة بلفظ الصدقة.. الدالة على صدق المؤمن.. الذى ينتصر على نفسه التى أحضرت الشح -بحرمانها من بعض ما تملكه إسعاداً لغيرها.. من الفقراء الذين لا يتطفلون عليها- وليكن إعطاؤهم لا من موطن الاستعلاء.. ولكنه الحق.. المعلوم- العائد إلى أصحابه الحقيقيين كما يفيد قوله - ﷺ -: «فترد على فقرائهم» فكأنما أموال الأغنياء وديعة فى أيديهم... وينبغى أن تعود منها نسبة إلى الكادحين.. فهم الذين عرقوا فى سبيلها.. وسهروا الليالى حتى جرى الخير نهرا يصب فى ديار الأغنياء.

* * *

واقعية الإسلام

يلاحظ أن الرسول ﷺ يصدر الأمر بحرف الشك «إن»... وذلك قوله: «إن هم طاعوا» ويعنى ذلك الأسلوب: ضرورة التريث حتى تختمر الحقائق فى القلوب.. وتنضج.. حتى إذا جاءت الخطوة التالية كانت النفوس مستعدة لها.. بل متشوقة إلى الالتزام بها.. ثم ليأخذ الداعية فى اعتباره أن المهمة ليست سهلة.. وإنما هى فى حاجة إلى جهاد موصول.. لا يصل إلى ما يريد.. لأنه فى دائرة الاحتمال.. وعليه أن يصابر الأحداث ويقدر احتمال الفشل فى مهمته.. حتى لا يصاب بالإحباط..

ويحذره - ﷺ - من أخذ أعز أموالهم لديهم.. فراراً من إثارة غريزة التملك التى قد تثور مستمسكة بعزيزها -أما إذا تقدم صاحب المال طائعاً بأغلى ما عنده.. فلا بأس حينئذ أن يتقبله طالما كان التبرع عن رضا.

* * *

الرفق حتى بالأعداء

ويحذره - ﷺ - من الظلم، فالظلم فى منطق الإسلام مرفوض.. مهما كانت ديانة المظلوم.. فمهما يكن الحق فى جانب الحاكم.. فإنه مطالب بأن يكون رضى النفس.. رقيق القلب.. فتهفو إلى واحته أنفس حائرة.. بقدر ما تكون قسوة القلب مانعة من دخول الناس فى دين الله -تعالى- ... إن المظلوم.. وإن كان كافراً علم أن له رباً.. فدعاه.. فكان ما أراد.. إن البحر الميت.. يكون شديد الملوحة.. ومن ثم.. تموت الأسماك.. وتحرم الأمة واحداً من أهم مصادر الطاقة إليها- وكذلك القلب الميت.. الخالى من عواطف الخير! إن الحب يموت

فيه.. ومن ثم.. لا يكون صالحاً للحياة.. ولنتعلم من غيرنا، في بعض بلاد المسلمين.. يقول «المبشر» للمسلم المريض:

● هل قرأت الفاتحة؟

●● فيقول المريض: نعم، قرأتها،

ثم يكشف عليه.. ويعطيه الدواء.. مجاناً.

فإذا جاءه المريض بعد أسبوع قال له:

المسيح أرسل لك هذا الدواء.. فكان الشفاء..

ومعنى ذلك أن قراءتك الفاتحة.. لم تغن شيئاً.. وأنها لفرصة ذهبية تمكن المبشر من فرض عقيدته في وقت استطاع فيه أن يطوق النفس بجميل تلمسه فعلاً.. وترى آثاره في حياتها.

***

معنى ضربه على صدره

ضرب رسول الله -ﷺ- على صدر أبي ذر -رضي الله عنه- لما طلب الإمارة.. ولم يضرب على صدر عمه العباس -رضي الله عنه- لما طلبها.. احتراما له.. مكتفياً بوعظه.. وها هو -ﷺ- يضرب على صدر معاذ وهو في قمة السرور لما بدت أمارات توفيقه -رضي الله عنه-.. ولعلنا بهذه اللاحظة نقول لبعض المتحمسين المائعين من التصفيق أحياناً: إن حركة الرسول -ﷺ- هنا تعبير عن انفعال قوي بالسرور لم تستطع الكلمات أن تعبر عنه.. فنابت عنها الحركة في الكشف عنه.. هكذا بلا ترتيب وإنما عفو الخاطر.. وأحيانا على الأقل.. يكون إعجاباً بالخطيب أو المصلح فوق الكلام.. فلا نملك إلا التصفيق.. الذي ينوب عنا في تفريغ شحنة الإعجاب.

***

وبعد

فرضي الله عن معاذ.. وأسرة معاذ..

الأسرة التي تعهدت شبابها- وبناتها.. فكانوا للحق عونا ونصيرا.. ولم تكن قصارى مهمة الفتى فيها أن يلبس زيا معيناً.. وأن يحفظ نشيدا منظوما. ولا أن يأخذ أخته -أو ابنة عمه بمنهج يجعل منها دمية.. لا تصلح إلا للعب.. ولكن همه الأكبر كان صناعة الحقائق الإيمانية.. لا إبلاغها فقط.. ثم زرعها في النفوس بذوراً.. صارت من بعد حدائق غلباً.. فيها من كل زوج بهيج.

إلى جانب أخته وابنة عمه التي كانت إلى جانبه تنصر الإسلام لا بالجدال.. بل بالسلاح.. ورحم الله أسماء بنت يزيد.. ابنة عم معاذ بن جبل (وكانت ممن حضر بيعة العقبة الكبرى) فهي التي قتلت يوم اليرموك تسعة من جنود الأعداء.. بعمود الخيمة.

لم تقتلهم بمدفع.. ولا بصاروخ.. وإنما بمجرد خشبة.. لا يحسن القتل بها إلا من تدرب على القتال تدريباً..

تلك آثارنا تدل علينا ..

فانظروا بعدنا إلى الآثار

***

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾

[الفتح: ٤]

الإيمان الفاتح والإيمان المنسحب

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر

من أخطر المقابلات في تاريخنا العقدي المعاصر هذه المقابلة التي تفرض نفسها على الواقع المسلم، ونعني بها مقابلة الإيمان الفاتح والإيمان المنسحب؛ والإيمان الفاتح بالضرورة نقيض الإيمان المنسحب، لأن الانسحاب هنا يعني قناعة ذاتية شاحبة تضيق حتى بإثراء ذاتها مرحلة إيمانية بعد مرحلة إيمانية، حتى تنتهي إلى ما يشبه الجذب الصوفي الذاهل عن جدل الواقع الوجودي الحيوي الفائر بآلاف المعطيات، ولأن الإيمان الفاتح هنا يعني إلى جانب القناعة الذاتية اندفاعاً هائلاً في كل مدارات الفعل الوجودي الذي يحمل هم الدعوة في أهدابه بلا فكاك، متوافقاً في ذلك مع المقولة الإسلامية الرائعة: «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»[1] فهنا إيمان فاتح بكل مستويات الصدق والاندفاع، وبكل طاقات الصمود والإنجاز.

والإيمان الفاتح دائماً يعني مواجهة شاملة للفشل الإيماني المتمثل في إلحاد العصر من جهة، ومواجهة شاملة كذلك لنوعية من الإيمان المنسحب الذي يستخفي في أطمار عجزه الذاتي من جهة أخرى، لأن الإيمان في مواجهة اللاإيمان يعني حتمية البحث والجدل

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٦/ ١٦٣ - ج٧/ ١٨٩، الدر المنثور ج٥، ص٦٩٥.

والانتماء العقيدى، ولأن الفتح فى مواجهة الانسحاب يعنى حتمية العبور من الذات إلى الآخرين، وكذلك حتمية عبور القناعة الذاتية إلى ضرورة الدعوة وغرس شجر الإيمان فى الأرض اليباب[٢].. بهذا يصبح الإيمان الفاتح إيمانًا مؤرقًا وجاهدًا ومقاتلاً، لأنه يبتدىء المعادلة من محيط القناعة الذاتية المحدودة، وينتهى بها إلى حتمية القناعات الكلية الشاملة، وقبل هذه المرحلة يظل إسلام المسلم واقعًا فى دائرة الظلال.

ربما يقال: وكيف؟ وهل تستطيع كل الجماهير المسلمة أن تكون على مستوى الوعى الإيمانى المبشر الذى يتيح لها أن تحمل راية الجهاد وتبعة الفتح؟

الإحساس بالمسئولية

والذين يسألون مثل هذه الأسئلة يهدرون فهم القضية بكاملها، لأن الإيمان الفاتح ليس هو اللابس خوذة الحرب ثم لاشىء.. ولكنه أشمل من ذلك بكثير.. فقد يلبس خوذة الحرب إذا دعا داعى الجهاد.. وقد يلبس خوذة النضال الفكرى إذا تعاوت من حوله الأراجيف.. وقد يلبس خوذة الأصالة الحضارية إذا طمّ سيل الاقتلاع.. إلى آخر ما يمكن أن يتاح له فى هذا الصدد من موقع.

المهم أن يكون إيمانًا مقاتلاً على ثغر من الثغور، بأية نوعية وبأى سلاح.

وقد يبدأ الإيمان الفاتح من نقطة تحصين الذات كوحدة إيمانية مخلوقة للقوة الخالقة، ويتدرج حتى نقطة التلاحم مع الآخرين كمجموع يعطى بتلاقيه تحت راية الفتح بعض إيقاع حكمة الخالق فيما خلق، ثم يصل إلى نقطة إحساسه بالمسئولية عن الكون كإطار حيوى يعطى للوجود الإنسانى قيمة حلوله على الأرض.. كل أولئك تحت راية الإيمان بالله القوى القادر القابض على حركة الأشياء، والأحياء بدءاً وصيرورة ومصيراً.

إيمان متأهب

ولأنه هكذا بادىء من الوعى ومنتبه إلى الوعى، ولأن الإيمان الفاتح إيمان متأهب ومتصد وكلى، فهو يرفض السكونية والانسحاب والهروب تحت أى شعار من الشعارات، ويرفض أن ينوع فى الفكر على لحن مكرور أو ممضوغ، ويرفض أن يقاتل معركته المسلمة بسلاح خرافى مغلول، ويرفض أن يقدم أى تنازلات أمام زحف التأويل لمفاهيم إيمانه المقاتل، لأنه - حينذاك - يعى دائمًا أن عصور الانحطاط تتيح للتأويل أن يحتل مواقع الحقائق، وللخرافة أن تصبح واجهة الحياة فى الفكر، وواجهة الفكر فى الحياة.. وللأشياء الدخيلة أن تغتال الأشياء الأصيلة.

من هنا ينهض الإيمان الفاتح فى ساعة العسرة، ليؤكد وشائج إنسانه بحركة الفعل وفعل الحركة، حتى فى عصور التهافت يجد الإيمان الفاتح صيغته الحضارية التى يعطيها لأتباعه مضمونًا وموقفًا وإطارًا يشكل من هذه الصيغة عاصمًا للشخصية المسلمة أن تذبل أو تتحور أو تذوب... ثم ما تلبث هذه الصيغة فى إطار من واقع الصدام بينها وبين عوامل الجذب والقهر، أن تتعالى على كل عوامل الانحلال وتمتلىء بكل عناصر الحركة والاندفاع، وتقود إلى أعلا وأنبل وأخلد!!

أحياء عند ربهم

فى ضوء هذا الفهم لطبيعة الإيمان الفاتح والإيمان المنسحب، يخطىء من يظن أن الموقف العقيدى استراحة تحت أفياء شجرة ظليلة نلقى أعباءنا تحتها وننام، لأن قدر العراك مع بلادة كل العالم هو خبز الداعية اليومى، ولأن إيمانًا فاتحًا لا يمكن أن يكون بلا فعل بطولى، ولأن حتمية التواصل مع كل الكون تحت إحساس حتمية إنقاذه هى قضية إنسان هذه الدعوة.. على أن نفهم جيداً أن ساحة اللقاء مع كل القوى المناوئة ليست دائرة واحدة، وإنما هى دوائر متباينة.. ومن هنا فهى فى حاجة إلى إنسان شمولى يختزن بعقله معرفية العصر وكل العصور، ويسع بقلبه هزائم الكون وانتصاراته، ويشمل بإيمانه الفاتح ليس الذين معه فحسب، وإنما الذين يناوئونه أيضاً، فربما خرج من أصلابهم من يعبد الله.

هذا هو محور الفقه الحقيقى لقضية الإيمان الفاتح كتكوين أساسى من تكوينات الشخصية المسلمة، الواقعة فى قلب حركة الكون، محوراً لا يهتز ذائدة عن مباهج الفكر، مناضلة عن شرف الروح، مقاتلة ضد همجية الذين يستهدفون حضارة الاعتقاد، متضامنة مع الحياة فى الموت، استجابة لهتاف خالقها:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

(آل عمران: ١٦٩)

***

(٢) الأرض اليباب: أى الخراب. لسان العرب، جـ١، مادة (يبب).



الإسلام كبديل

تأليف

د. مراد هوفمان

تعريب

عادل المعلم

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين
الأستاذ بجامعة الأزهر



الإسلام دين الله الذى أكرم به الإنسان لينتشله مما غاص فيه من دركات الجهل والفساد، وليقيه السقوط فى تلك الدركات قبل السقوط فيها، وليهيئه للقيام بدور الخلافة فى الأرض، وليمده دائما بأنوار الهدى الكاشفة، وليوافيه عند الحاجة بأطواق النجاة المنقذة.

ولكن من الناس من تستبد بهم سطوة الرغبات، ويسيطر عليهم جموح النزوات، وتستهويهم الضلالات فتغمر قلوبهم التى فى صدورهم، فلا يدركون مدى حاجاتهم إلى الإسلام فى شتى مناحى حياتهم؛ فيقفون منه موقف الخصم من العدو الألد، يتربصون به السبل، وينتحلون له الشوهات والمنفرات ليصدوا عنه، ويخترعون حوله الأضاليل والأكاذيب لينفروا منه، ويقلبون حقائقه أباطيل، ويحولون نوره ظلاما دامسا، ويصورونه فى هيئة وحش مفترس معربد، ليخيفوا منه الآخرين.

وإلى هؤلاء... كان من الناس من استجابوا لهدايته، وأقبلوا عليه ينهلون من معينه الفياض، فأضاء لهم الحياة، وفتح لهم من الآفاق ما أعلاهم لأن ينطلقوا من قواعده العامة، ولأن يحلقوا فى سمائه الصافية الشفافة، تنفحهم بروحه الربانية القوة البصيرة، والقدرة المستنيرة، والأناة المثابرة؛ ليقدموا للبشرية أرقى حضارة عرفها العالم فى شتى مجالات الحياة.

ومن الناس من ساروا فى درب الاستجابة والإيمان، مفتونين بما صنعه أسلافهم، وما قدموه من علوم ومعارف، حتى أضلهم هذا الافتتان، فقصروا جهودهم على ترديد ما خلفه الأسلاف، وجمدوا عليه حتى لم يعد فى مقدورهم وصل حاضرهم ومستجداته بماضيهم وما ابتدعه أسلافهم، وأصروا على اقتحام المستقبل بنهج الماضى وأفكاره؛ فضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، إذ أصبحوا سلاحا فتاكا فى أيدى خصوم الإسلام يطعنونه به، ويقدمون بهم صورة مشوهة للإسلام تعلن عن تخلفه وجموده، وعنفه.

ولكن الله الذى وعد بحفظ دينه... هيأ -من حيث لا يتوقع البشر- من يسهم فى حفظ هذا الدين، ويعمل على تجليته من كل ما يشوه حقيقته، فنهض من أبناء أوروبا من أنار الله بصيرته، فانشرح صدره للإسلام، واهتدى عقله إلى حقيقته، وانطلق بلسانه وبقلمه يمسح عن الإسلام ما ران عليه بفعل الزمان وبعض من آمن به.

وكتاب الشهر (الإسلام البديل) واحد من بين هذه الآثار الجليلة التى أبى كاتبه إلا أن يقدم من الإسلام ما تكشف له من حقائقه الرائعة التى تحتاجها البشرية فى أخريات القرن العشرين، لتنهض من كبوتها التى كادت تردى بها، وتدفعها إلى ظلمات الجاهلية الأولى بصراعاتها التى لا تهدأ، وحروبها المدمرة الفتاكة.

والكتاب تأليف الدكتور الألمانى مراد ويلفريد هوفمان الذى عربه الأستاذ عادل المعلم، وقدمت طبعته الأولى دار الشروق سنة ١٤١٨هـ سنة ١٩٩٣م، ثم الطبعة الثانية فى ست وستين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم تمهيدا ومقدمة كتبتها (أنا مارى شمل)، وواحدا وعشرين فصلا.

أما مؤلف الكتاب فهو الدكتور (مراد هوفمان)، والألمانى الجنسية، والحاصل على الدكتوراه فى القانون من أمريكا، والخبير النووى السابق فى حلف الأطلنطى، ثم السفير السابق لألمانيا فى الجزائر ثم فى المغرب، وقد هداه الله إلى الإسلام فى مطلع الثمانينيات من القرن العشرين، وقدم عدة كتب ومقالات وأبحاث باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية التى يتحدثها بطلاقة، مع دراسته العربية والتركية.


مراد هوفمان

لعنة الجهل

فى المقدمة انطلقت كاتبتها (أنا مارى شمل) من قاعدة (الناس أعداء ما جهلوا) المأثورة عن على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- لتقرر صدق هذه القاعدة الحكيمة على الغربيين فى تعاملهم مع الإسلام؛ فقد لاحظت: أن رسامى الغرب فى القرن التاسع عشر كان يحلو لهم أن يصوروا المسلمين -بعد أن أطلقوا عليهم خطأ المحمديين- فى هيئة محاربين متوحشين، لا يتركون سيوفهم وأسلحتهم، أو غارقين فى شهواتهم الجنسية مع حريمهم.

ويحلو لهم اليوم أن يجعلوا كلمة (إسلام) ترسم فى الذهن صورة فقيه ملتح، متعصب، أو إرهابى عديم الرحمة... على الرغم من أن من يدرس الثقافة الإسلامية، أو يعيش بين المسلمين يستطيع أن يدرك خطأ هؤلاء وأولئك، وأن جهلهم بالإسلام هو الذى دفعهم إلى هذا الخطأ.

وأن جهل هؤلاء بالإسلام موروث من أسلافهم؛ فقد اعتقد مسيحيو القرون الوسطى أن الإسلام ما هو إلا هرطقة وبدعة منشقة عن المسيحية، ومنشأ هذا الاعتقاد ترويج أسطورة قديمة بين الأوروبيين مفادها: أن محمدا كان كاردينالا مسيحيا، ثم ارتد، وابتدع دينا جديدا ألحق به الوثنية القديمة.

وقد رددوا هذه الأسطورة فى أشعارهم، وروجوها فى فنونهم بقصد التشويه البشع لديانة أساسها التوحيد.. أكدت مرارا: أن محمدا ما هو إلا بشر

اختاره الله ليبلغ رسالته إلى العالمين.

وبترويج هذه الأسطورة بين الأوروبيين أحيطت عقولهم وقلوبهم بهذا النسيج الكثيف من الجهل، حتى لا ينفذ إليهم أى شعاع من ضوء الحقيقة يبدد ظلام هذا الجهل، أو يخفف من حدته، فظل الأوروبيون فريسة هذا الجهل المطبق، يعادون الإسلام بكل أساليب العداوة، فلم يفكروا فى الإفادة مما قدمه الإسلام من أسباب التحضر، مكتفين بأن يرقبوا ما يحققه المجتمع الإسلامى من نجاح متعدد الجوانب، غارقين فى مخاوفهم من تفوق المسلمين السياسى والعسكرى، فى حين تواصل المد الإسلامى حتى عبر المسلمون مضيق جبل طارق سنة ٧١١م ليؤسسوا حضارة الأندلس الزاهرة، فأصبحت جسرا بين أوروبا والعالم الإسلامى من جهة الغرب، بينما وصل المسلمون من جهة الشرق إلى (ترانسوكسانيا) وسط آسيا، ثم جنوبها؛ أملا فى إزاحة ما ران على العقول والقلوب من جهل بمبادئ الإسلام.

فلو أن الأوروبيين أزاحوا عن عقولهم وقلوبهم ما استولى عليها من جهل بالإسلام ومبادئه لعرفوا: أن كلمة (الحرب المقدسة) مصطلح مسيحى المنشأ، انتشر أثناء الحروب الصليبية بما يعنيه من تمجيد لتلك الحرب، وتقديس لها، بينما كلمة (الجهاد) الإسلامية تعنى: بذل الجهد فى التقرب إلى الله، بجهاد النفس ضد الشهوات، وبالدفاع عن العقيدة، أو محاولة نشرها.

ولكن الجهل شوه المقصود بالجهاد، وجعلها تماثل (الحرب المقدسة)، وكما صنع الجهل بمصطلح الجهاد.. صنع بكثير من المبادئ الإسلامية بعد أن أسيء فهمها، وشوه المقصود منها.

فعلى الرغم من أن تغطية شعر المرأة من التقاليد اليهودية والمسيحية القديمة.. يرفضه الأوروبيون من المرأة المسلمة، ويرون فيه مظهرا من مظاهر التخلف والقهر، بل إن الأوروبيين ليلصقون الأصولية بالإسلام فى الوقت الحاضر، مع أن الأصولية ما هى إلا مصطلح من التاريخ الدينى فى أمريكا. وينسبون الإرهاب إلى الإسلام عندما يقع حادث دموى من مسلم، دون أن ينسبوا ذلك إلى المسيحية على أثر ما يقع من حوادث دموية فى أوروبا أو أمريكا.

من كل ما يؤكد: أن الحاجة ماسة إلى من يجلى الإسلام من الأساس الصحيح للإسلام، وليس من تلك المفاهيم المشوهة المستمدة من الجهل المظلم.

بالرضى والاقتناع.. لا بالسيف

وفى الفصل الأول (الإسلام والغرب) ذكر المؤلف الدكتور مراد هوفمان: أن العلاقة بين الإسلام والغرب بدأت بالرسائل الدعوية التى أرسلها محمد ﷺ إلى هرقل، فكانت تلك العلاقة التى لم تنقطع ولم تتوطد طوال أربعة عشر قرنا، فقد ظل العالمان فى حالة مواجهة وعداء أكثر من تكامل وانسجام؛ لتوجس كل منهما الخطر من الآخر، وعدم فهمه، على الرغم من بعض الإيجابيات فى العلاقات الاقتصادية والفكرية.

ومع هذا التوجس.. أخذ الإسلام فى الانتشار بخطى متسارعة مذهلة، بحيث شمل الإسلام بلاد الشام وفلسطين، وفارس، ومصر، وأرمينيا، وقبرص، والمغرب حتى إسبانيا، بل إنه دخل بعض المناطق فى الصين قبل نهاية القرن الأول الهجرى، وضرب المسلمون حصارهم الأول على القسطنطينية سنة ٦٧٢م.

ولم يكن أمام الغرب إلا أن يتشبث بدعوى أن الإسلام ما حقق هذا الانتشار إلا بالسيف، على الرغم من تهافت هذا الزعم؛ إذ لا يعقل بأى حال أن مثل تلك القوات قليلة العدد تستطيع أن تقهر تلك القوى الغربية على كثرة عددها كثرة مذهلة، وعلى حداثة إعدادها وتسليحها، كما لا يعقل بأى حال تمكن تلك الأعداد القليلة من أن تسيطر على تلك المساحات الشاسعة بما يقطنها من أعداد ضخمة من أهلها.. ما لم يكن هناك رضى بالانضمام تحت لوائها، والاقتناع بما رأوه فى الإسلام من عقائد بسيطة، ومبادئ سمحة، جعلت كثيرا من المسيحيين فى الشرق وفى الغرب يفضلون الإسلام على عقيدة التثليث، أو الطبيعة الإلهية لعيسى، ويضمنون فى ظله لأنفسهم الأمان من ظلم الغزاة المسيحيين من اللاتينيين.

ولكن الغرب عمل على بذل كل ما فى وسعه لإخفاء تلك الحقيقة؛ حفاظا على شيء من ماء الوجه، وإصرارا على معاداة الإسلام، وحرصا على تخويف عامة الشعوب المسيحية من الإسلام، حتى لا يتحولوا إليه.

ومن هنا... لم يكن أمامهم مفر من إشعال نيران الحروب الصليبية التى استمرت أكثر من قرنين فى حملات حربية متوالية مدعومة بالكنيسة، فكانت لا تنتهى حملة حتى يبادروا إلى إشعال حرب أخرى.

وفى القرن الثالث عشر الميلادى انضم المغول -فى حرب المسلمين- إلى مسيحيى أوروبا، فضربوا عصب الحياة الفكرية والثقافية فى العالم الإسلامى.

إصابة المسلمين بالعجز والركود

ولم يظهر أثر تلك الحروب الشرسة التى شنها الغرب المسيحى والمغول على العالم الإسلامى إلا مع بداية القرن الثامن عشر حيث نهض الغرب فى تطور علمى وتكنولوجى هائل استطاع أن يحقق به تفوقا كاسحا فى الاقتصاد، والقوة العسكرية، بينما أصيب العالم الإسلامى -بسبب تلك الحروب المتوالية- بحالة من الركود والعجز، أخذت تستشرى فى جسمه منذ القرن الثالث عشر شيئاً فشيئا، حتى إذا كانت بداية القرن الثامن عشر أصبح هذا العالم لقمة سائغة لقوى الاستعمار الغربى التى حرصت على أن تتواصل الضربات على العالم الإسلامى، حتى لا ينهض ثانية. وجاء كمال أتاتورك فكان خير معوان لهذه القوى فى تسديد الضربة القاضية للعالم الإسلامى بإلغاء الخلافة سنة ١٩٢٤م.

وفى الجانب الآخر.. تهيأت كل الظروف أمام الغرب ليستولى على مراكز الصدارة العالمية؛ فمنذ منتصف القرن العشرين بدت الحضارة الغربية النموذج المثالى الذى يجب أن يحتذيه الجميع، فليس هناك حضارات أخرى يمكن أن تغرى بالاحتذاء، حتى أصبح همّ الناس فى شتى بقاع العالم غير الغربى أن ينهجوا نهج الغرب فى صغار الأمور وكبارها.

ويومئ الدكتور إلى أن أحدا لم يستطع الوقوف على أسباب تدهور العالم الإسلامى على سبيل القطع؛ مصرحا: بأنه يرى أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية مشاركة قد أدت إلى ذلك، هى:

١- ضرب العالم المسيحى والمغول عصب الحياة الفكرية والثقافية فى العالم الإسلامى، فى قرطبة

سنة ١٢٣٦م من جانب الغرب المسيحي، وفي بغداد سنة ١٢٥٨م من جانب المغول، وقد كانت ضربات عنيفة أفقدت العالم الإسلامي ريادته الفكرية والثقافية، ولم يستطع أن يستردها حتى اليوم.

٢- ما تلى هذه الضربات من إيمان عامة المسلمين بأن الفقه الإسلامي قد وصل إلى منتهاه، وأن الفقهاء السابقين قد أتوا بحث كل المسائل، وتوصلوا إلى حلولها، لقرب هؤلاء الفقهاء من مصادر التشريع، ولدقتهم في النظر والبحث؛ مما أصاب النشاط الإسلامي بالجمود، والاكتفاء بالتقليد.

٣- التراجع الواضح في الإيمان المسيحي مع تلك الطفرة المادية الهائلة في العالم الغربي منذ القرن التاسع عشر، التي توهم أنه لا حاجة بالناس إلى الإله، حيث فرض على العالم جميعه أن يدور في محور الحياة عديمة الإله، وصار الناس في القرن العشرين -قرن العلم والتكنولوجيا- يعبدون أصناما جديدة، تتمثل في: القوة، والمال، والجمال، والشعبية، والجنس -على الرغم من أن العلم لم يفسر معنى الحياة، أو بدايتها ونهايتها- فاندفع الإنسان إلى التخلي عن فطرة التسامي، وأصبح فريسة لجمع اللذات الحسية التي أصبحت المقياس الوحيد، وفريسة نهم استهلاكي لا يشبع ولا يقنع.

البعث الإسلامي وعودة الغرب للتدين

وفي الوقت الذي فرض الغرب فيه ثقافته الإلحادية المادية على العالم الإسلامي بشتى الطرق، حتى خيل لمنكري الإله من الغربيين: أن ثقافتهم شملت البشرية كلها، وأن المسلمين أوشكوا على ركوب سفينة الإلحاد معهم.. في هذا الوقت من ستينيات وسبعينيات القرن العشرين... فوجيء العالم بأن المسلمين المحطمين بالأزمات لم يدخلوا القبر، وإنما أفعموا حيوية بدرجة أرعبت الغرب الذي أخذت الأزمات تثقل كاهله، بعد أن انحرفت الفردية الناشئة عن الاقتصاد الرأسمالي إلى نرجسية، وتحولت الأخوة المتكافلة إلى الاجتماع على الحفلات الموسيقية الصاخبة، وانقلب استقلال الشخصية إلى فوضى أخلاقية، وصار التحرر استغراقا في الفسق، والتسامح استواء للخير والشر، والتنافس البناء جنونا في الاستهلاك، والعشق رياضة جنسية... إلى غير ذلك مما حذر منه (مارسيل بوسو) سنة ١٩٨٤ في قوله: «مثل تلك الانحرافات لا فكاك منها عندما يساء فهم العقل والحرية والحب».

ولقد كانت هذه المفارقة المرعبة دافعا لطوائف غربية عديدة لأن تتوجه إلى تأملاتها الذاتية، التي كان من ثمارها جعل الكنيسة تعيد استثمار جاذبيتها الصوفية... مما ينبيء في تصور هؤلاء: أنها -عاجلاً أو آجلاً- ستلتقي بالإسلام الصاعد نجمه، خصوصا بعد أن أدت حركات الدول الإسلامية التحررية إلى الاستقلال السياسي، وإلى ظهور الاتجاهات الإسلامية التي سرعان ما ألصق بها تهمة الأصولية، والتعصب السلفي، نتيجة تحليلات فورية سطحية أوهمت البعض أنها ليست سوى حركة احتجاج جماعية، دالة على التخلف التكنولوجي.

ولو أن الذين تصدوا لتحليل ظهور الاتجاه الإسلامي تحلوا بالأناة والنظر الموضوعي، وتقدير

العامل الديني وأثره في شعوب تأخذ دينها مأخذ الجد... إذن لعرفوا: أن تحليلاتهم لا يمكن أن توصل إلى الحقيقة؛ فالإسلام لم يفقد مرجعيته كعقيدة ونظام حياة، وإن اختفى ذلك تحت قشرة رقيقة من الحداثة، حتى في تركيا التي أعلن انخلاعها من الإسلام.

وإذن لتأكد لديهم: أن عودة الإسلام تعني عودة المقدس -وهو الله وما أوحي به إلى محمد- في شئون الحياة العامة، مما يعني: الرفض الأساسي للحداثة الأوروبية، وتقديم مشروع بديل يتوافق مع وجهة النظر الإسلامية التي تقوم على أن التخلي عن الله يحط من شأن الإسلام، وإن كان هذا لا يعفي من ظهور بعض القوى التي تستغل الإسلام لتحقيق أهداف سياسية، كما حدث في أثناء حرب الخليج ٩٠/ ١٩٩١ من تصرف البعض بطريقة أضرت بالإسلام أكثر من أي شيء آخر خلال القرن العشرين.

من هذه العلاقات المحزنة -بين المسلمين والغرب- على مدار أربعة عشر قرنا... يتقرر ضرورة تقابل الطرفين بشيء من التسامح في ظل قيم أفضل من كل طرف للطرف الآخر، يزيل ما ران على الجميع من حواجز ثقافية مضللة.

الإسلام عقيدة وسلوكا

وفي الفصل الثاني (الإيمان الكامل) قدم الدكتور مراد وصفا للإسلام ضمّنه عدة أفكار، أدار الفكرة الأولى حول التعريف بعقيدة الإسلام وسلوكياته، فذكر: أن الإسلام يفرض على الإنسان أن يؤمن بإله منزه، فعال، أوحى لرسله أن يبلغوا البشر رسالاتهم، وختم رسله بمحمد ﷺ، ويفرض على هذا الإنسان أن لا يخوض في كنه الله، وأن الوحي الإلهي لا غنى عنه لديهم؛ إذ الإنسان لا يستطيع أن يهتدي بنفسه إلى الطريق الصحيح، على ما أكده الواقع الحي للإنسان في ماضيه وحاضره.

وإذا كانت البشرية ظلت محتاجة إلى تواصل الوحي الإلهي، حتى بعد موسى وعيسى -عليهما السلام- لعدم تهيؤ البشرية لحفظ رسالتيهما من التحريف، فإن البشرية لم تعد في حاجة إلى ذلك بعد مجيء الإسلام الذي أعلنت الآية الكريمة إكماله وإتمامه في قوله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

ولما كان الإسلام العقيدة يعني: خلو المسلم من العيوب، وتهيؤه للسلامة والصحة في بدنه وروحه؛ لذلك... عد جميع الأنبياء السابقين على الإسلام مسلمين، وأقيم هذا الإسلام على خمسة أركان؛ هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلوات الخمس كل يوم، وأداء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

وارتكاب المسلم الخطأ أو الذنب لا يمثل مشكلة للمسلم، ولا يخرجه عن الإسلام، بخلاف ما إذا قطع صلته بربه، برفضه أداء فريضة مما فرضه الله عليه.

ولكي تحفظ رسالة الإسلام من التحريف... كان القرآن الذي أنزل على محمد مرجع المسلمين.

يتبع

مؤتمر بجامعة أم القرى بالسعودية يناقش:

الرؤى الإصلاحية لمشـــكلات الوقف الإسلامي

للأستاذ / عاطف مصطفى

عقد مؤخرا بالمملكة العربية السعودية، المؤتمر الثاني للأوقاف، وذلك في رحاب جامعة أم القرى، حيث قدم الباحثون من مختلف البلاد الإسلامية خمسة وثمانين بحثا من نخبة متميزة من العلماء والباحثين في العالم الإسلامي، وحرصا من اللجان العليا والتحضيرية على إفساح المزيد من الوقت للباحثين، فقد تم اختيار واحد وعشرين بحثا تم عرضها على مدار سبع جلسات علمية، قام العلماء والمفكرون بعرض أبحاثهم.. وتحقيقا للمشاركة وللمزيد من الفائدة العلمية صاحب جلسات المؤتمر عقد حوارين ثقافيين دعي إليهما كوكبة متميزة من علماء الأمة ومفكريها.. الأول بعنوان «علاقة الإسلام بالوطنية»، والثاني بعنوان «العالم الإسلامي بين الواقع والمأمول».

المؤتمر يهدف كما يشير الدكتور ناصر بن عبدالله بن عثمان الصالح مدير جامعة أم القرى إلى إيجاد الحلول المناسبة لاستغلال الأمثل من خلال الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية التي عقد هذا المؤتمر من أجلها في سبيل تسخير موارده إلى تنمية شاملة ودائمة لجميع مناحي ومناشط ومجالات الحياة من أجل إيجاد حياة سعيدة لكل مواطن.

وموضوع الأوقاف موضوع مهم، تتجدد الحاجة إليه باستمرار حاجة المجتمع إلى التطور والتقدم والرقي، فهو أحد وسائل التنمية للمجتمعات إذا أحسن استغلاله، واستثمر في مصارفه الحقيقية، وقد ارتأت اللجنة العلمية المشكلة بهذا الخصوص الخروج عن النمط التقليدي لرعاية مثل هذه المؤتمرات، فاقترحت عددا من المحاور التي تعنى باستكمال البناء التنظيمي والمؤسسي للوقف، تفعيلا لدوره التنموي، وتحريرا لقدراته وطاقاته نحو تحويل مشاريعه القائمة من مجرد جهات صرف تنفيذية، إلى جهات مانحة لتمويل المؤسسات التنموية المستدامة في عدد من مجالات البحث العلمي والعمل الاجتماعي.

عقد المؤتمر بعنوان «الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية»، وضم ثلاثة محاور رئيسية هي:

- الصيغ التنموية الجديدة للوقف.
- الرؤى الشرعية والنظامية لتحويل مشروعات الوقف الحالية إلى جهات مانحة.
- الرؤى الإصلاحية لمشكلات الوقف.

وعلى مدى ثلاثة أيام عقدت سبع جلسات علمية تناولت بحوثا هامة تمت مناقشتها، كان من بينها:

- نظام الوقف الإسلامي والنظم المشابهة في العالم الغربي، للدكتور محمد عبدالحليم عمر.
- نموذج مقترح لتحويل المشروعات الوقفية إلى جهات مانحة، للدكتور جعفر عبدالسلام علي.
- ولاية الدولة على الوقف «المشكلات والحلول»، للدكتور عبدالله مبروك النجار.
- الوقف المؤقت للنقود لتمويل المشروعات الصغرى للفقراء، للدكتور محمد أنس الزرقا.
- مخالفة شرط الواقف، للدكتور ناصر بن عبدالله الميمان.
- دور القضاء الشرعي في ضبط تصرفات النظار، للدكتورة نور بنت حسن قاروت.

فكرة الوقف

والوقف قديم جدا، عرفته المجتمعات الإنسانية منذ أقدم العصور، ولكن المجتمعات السابقة لمجتمع الرسول - ﷺ - عرفت فقط أشكالا أولية من الأوقاف، حيث كان الشائع عندها وقف أماكن العبادة، كما وجد القليل من الوقف على الفقراء والمساكين من خلال الكهان وغيرهم من رجال الدين.

ولكن النقلة الكبيرة في الوقف إنما جاءت في المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة، حيث تعددت أغراضه

وتنوعت أهدافه، وانتقلت من الصعيد الديني إلى الصعيد المجتمعي، وقد أدرك الصحابة أهمية الوقف التنموية، فابتكروا الوقف الذري الذي يهدف إلى تكوين رأس مال بين أولاد الواقف على زيادة دخولهم في المستقبل.

وفي القرن الثالث الهجري توسع المجتمع الإسلامي، وتضمن في أغراضه الوقف، وأخذت الأوقاف على عاتقها قطاعين كبيرين من الخدمات الاجتماعية، هما قطاع التعليم وقطاع الصحة.

ثم جاءت نكبة التخلف التي حلت في بلاد المسلمين، فأتت على الكثير مما بناه أسلافنا، ومن ذلك تعطل المؤسسة الوقفية عن الكثير من عطائها، ومن هنا كانت عناية المؤسسات العلمية بإعادة الوقف إلى سابق عهده.

وللوقف دور هام في المجتمع، برز أولا في كونه نموذجا أصيلا فيه، وكذلك من خلال تنمية الأخلاق وشيوع الرحمة بين الناس، ودوره في التقارب والتعارف بين المجتمعات، أما دوره في التنمية الاجتماعية فيبرز من خلال العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي، ومعالجة المشاكل الاجتماعية من بطالة وأمية وفقر.

وكذلك دور الوقف في الرعاية الاجتماعية ودوره في التنمية وتحقيق الحضارة، ويبرز دوره أيضا في المساهمة في توفير الأمن الاجتماعي، والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

بحوث المؤتمر

في بحث «وقف المنافع في الفقه الإسلامي» للدكتور عطية السيد فياض أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، يدور حول مسألة «وقف المنافع في الفقه الإسلامي» من خلال محاور: التعريف بمصطلحي الوقف والمنفعة، ومدى مالية المنفعة، وأقوال الفقهاء في وقف المنافع، ثم نطاق وقف المنافع والجدوى الاقتصادية لوقف المنافع.

وتناول الباحث ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن المنافع أموال، وهي قسيم الأعيان، كما ترجح جواز وقف المنافع بأنواعها، وذلك بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم ومناقشتها، لكن المنافع التي يجوز وقفها هي ما تحققت فيها الضوابط التالية: أن تكون المنافع من أصول مباحة شرعا، وأن تكون المنافع نفسها مباحة، وأن تكون مملوكة للواقف، وأن يمكن استيفاء المنفعة منها.

ولوقف المنافع فوائد وآثار متعددة، تعود على الفرد والمجتمع، وله جدوى اقتصادية واجتماعية، إذ نرى كثيرا من احتياجات الناس والمجتمع، تحققها هذه المنافع، وخاصة بعد اتساع المنافع التي تشتمل عليها تلك الأموال.

وقف النقود وصيغ الاستثمار فيه

وفي بحثه يشير الدكتور وليد هويمل عوجان إلى أن الوقف الإسلامي من سمات المجتمع الإسلامي، ومن أبرز نظمه في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.. قال الإمام الشافعي: «لم يحبس أهل الجاهلية فيما علمته دارا ولا أرضا تبررا بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام».

ولا شك أن الوقف من القرب، ولقد اهتم به الفقهاء ووضعوا له الأحكام التي تضبط معاملاته بهدف المحافظة على أمواله وتنميتها، واستمرارية تقديم منافعها إلى المستفيدين وفقا لمقاصد الواقف الواردة في حجة الوقف.

ففي عالم الاستثمار الإسلامي - كما يشير الباحث - ومن خلال المؤسسات المالية الإسلامية، وجدت أدوات استثمار، بعضها قديم معروف كالسلم والاستصناع والمرابحة وبيع الأجل، أو بيع التقسيط، وبعضها حديث النشأة تم تعديله وصياغته بدقة، على وفق المقررات والمناهج الإسلامية، فقد استحدثت صيغ جديدة لاستثمار أموال الوقف، لم تكن موجودة في صدر الخلافة الإسلامية، وعرضت هذه الصيغ على مجامع الفقه الإسلامي، فأجازتها، ووضعت لها الضوابط الشرعية التي تحكم التعامل معها.

موضوع الدراسة هو وقف النقود والصيغ الاستثمارية التي تناسبه حيث إن الفقهاء قد اختلفوا في جواز وقف النقود، أو عدم جوازه لأنها لا ينتفع بها إلا بإتلافها وذهابها، وذلك لعدم وجود نفع لها إلا بالتصرف فيها، وهو مناف للوقف المقتضي بقاء الأصل، حيث افترض المانعون أن نفعها يكون بالتصرف بها، وهو مناف لبقائها، بينما افترض القول الثاني وهم المجيزون، وجود نفع لها من دون أن يتصرف فيها، وهو لا ينافي بقاء العين.

يقول الباحث: وبما أن الوقف في نفسه وطبيعته استثمار، حيث إن صاحبه يريد أن يقف ما له في سبيل أن يحصد نتاجه يوم القيامة، ومن حيث الحفاظ على الأصل، ويكون الاستهلاك للناتج والثمرة والربح والريع، فإن القسم الثاني من الدراسة قد تركز على صيغ استثمار أموال وقف النقود القديمة والحديثة.

وقد ركزت الدراسة على تلك الصيغ التي يمكن استثمار أموال الأوقاف فيها، والتي أفتت المجامع الفقهية بشرعيتها.. وهذه الصيغ هي: البيوع المؤجلة «صيغة التمويل بالاستصناع»، صيغة التمويل عن طريق بيع السلم، صيغة التمويل عن طريق البيع الآجل «البيع بالتقسيط»، صيغة التمويل عن طريق المرابحة.. إلخ.

مخالفة شرط الوقف

يتناول الدكتور ناصر عبدالله الميمان - أستاذ الفقه والأصول بجامعة أم القرى - في بحثه «مخالفة شرط الواقف» مبينا أهمية الوقف في الشريعة الإسلامية، وأنه من أهم وأبرز روافد الخير والضمان الاجتماعي في المجتمع المسلم.. كما أنه في الوقت نفسه من أعظم مصادر الأجر والثواب للمسلم، والمصدر الذي لا يقتصر أجره في هذه الحياة الدنيا، بل يتعدى إلى ما بعد مماته، طالما كانت العين الموقوفة منتفعا بها، ومن هنا فقد كان المسلمون يتسابقون إلى نيل هذا الخير العميم، وظلت المؤسسة الوقفية تؤدي دورها الاجتماعي في شتى مناحي الحياة.

.. لكن للأسف - وكما يشير الباحث - آل أمر الأوقاف إلى الضعف والانحلال، وكان من

بين أسباب اضمحلال الوقف أمران هما على طرفي نقيض:

١- إهمال شرط الواقفين، بحيث أصبح بعض النظار من أصحاب الضمائر الفاسدة، أو الجهات الرسمية، يتصرفون في الأعيان الموقوفة تصرف المالك في ماله، بل أسوأ من ذلك، وربما فعل ذلك بعضهم جهلا بأحكام شروط الواقفين.

٢- الجمود على شروط الواقفين، وإضفاء ما يشبه صفة التوقيف والتعبد على الوقف، بحيث لا يجوز أي تصرف فيه، وإن أدى ذلك إلى خراب الوقف وتعطل منافعه، واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن قيض الله الاهتمام بشأن الأوقاف في بعض البلدان الإسلامية، حتى يأخذ الوقف من جديد دوره في خدمة المجتمع، وهذا الأمر تطلب دراسة جادة لأحكام الوقف في ضوء مستجدات العصر، ومتطلبات الواقع الجديد.

ويقول د. ناصر الميمان: إن من أهم ما تجب دراسته من مسائل الوقف، تلك الأحكام المتعلقة بشروط الواقفين، وبالتحديد مخالفة شروط الواقفين منعا وإجازة، وذلك لأن التصرف في الأعيان الموقوفة من أهم طرق إحياء الأوقاف، وهذا التصرف إنما يتبنى حكمه الشرعي على جواز مخالفة شروط الواقفين في حالات، ووجوب الوقوف عندها في حالات أخرى.

ولاية الدولة على الوقف

وهناك كلام كثير حول مسئولية بعض الدول عما أصاب الأوقاف من وهن وضعف، ولم تعد تؤدي دورها المعروف.. وفي هذا الصدد يقول د. عبدالله مبروك النجار - أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر - في بحثه بعنوان «ولاية الدولة على الوقف، المشكلات والحلول» ويشير إلى أن ولاية الدولة على الأوقاف تمثل مدخلا جيدا لإصلاحه وتطوره والنهوض به، وإن كانت الممارسات العملية لتلك الولاية قد كشفت عن وجود جملة من المشكلات التي ارتبطت بها، ومنها إهمال الوقف، وضعف الرقابة عليه وعلى النظار مما أدى إلى عجزه واضمحلال دوره في المجتمع، وإحجام الجهود الفردية عنه، تبرما من تصرفات الدولة، ومبالغتها في استعمال ولايتها على الأوقاف، دون احترام لإرادة الأفراد، أو شرط الواقفين، إضافة إلى الطمع في مال الأوقاف، وتسخيرها للأنشطة السياسية البعيدة عن مهمة الوقف وما قصده الواقفون من إنشائه.

ويقول الباحث إن تلك المشكلات وغيرها، ليست مما يستعصي على الحل، أو يتأبى على الإصلاح، إذا صدقت النوايا ونشطت الهمم، وليظل ما في ولاية الدولة عليه من وجوه النفع التي ترجح بقاءها، وتحررها من المشكلات التي ارتبطت بها، أو نجمت عنها، وبيان مقومات ولاية الدولة على الوقف ومشكلات تلك الولاية وحلولها.. وهو ما تناوله البحث.

توصيات مهمة

وقد صدرت عن المؤتمر عدة توصيات مهمة منها:

● الإعداد والتحضير لعقد المزيد من المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية حول الوقف.

● نشر ثقافة الوقف عبر وسائل الإعلام المختلفة.

● تصميم موقع إعلامي خاص بأمانة مؤتمر الوقف على شبكة الإنترنت.

● تشجيع الأبحاث العلمية ذات الصلة بالصيغ التنموية الجديدة للوقف والرؤى الإصلاحية لمشكلات إدارته، من خلال تحكيمها ونشرها.

● وضع دليل شامل بالمؤسسات الوقفية في العالم الإسلامي وحصر تجاربها الوقفية ونشرها.

● يوصي المؤتمر بإنشاء هيئات للأوقاف مستقلة إداريا وماليا عن وزارات الأوقاف، تعنى بالأوقاف في كل شئونها.

● يوصي المؤتمر بالعمل على وضع مدونة ضابطة لأحكام الوقف مستمدة من أحكام الشريعة الإسلامية.

● كما يوصي المؤتمر بالتوسع في إنشاء الصناديق الوقفية تبعا للأغراض التي يبتغيها الواقفون، وكذا التوسع في إصدار الصكوك الوقفية، تمكينا لذوي الدخل المحدود من إحياء سنة الوقف، ونيل ثوابه، بوقف ما يدخل تحت طاقتهم المالية، وتفعيلا لذلك:

١- يدعو المؤتمر أمانته العامة إلى التنسيق مع هيئات كبار العلماء، والمجامع الفقهية لوضع الضوابط الشرعية لإصدار وتسويق وتداول واستثمار الصكوك الوقفية بما يزيد من ثقة الناس فيها.

٢- يدعو المؤتمر إدارات الصناديق الوقفية إلى احترام شروط الواقفين، وإنفاق ريع كل صندوق في مجال البر الذي يبتغيه المشاركون فيه.

٣- يدعو المؤتمر إلى التنسيق بين الصناديق الوقفية، وفيما بينها وبين المؤسسات ذات الصلة، وفيما بينها وبين أجهزة الدولة المعنية.

٤- يدعو المؤتمر إلى أن يكون الوقف أحد المصادر الرئيسة لتمويل الجمعيات الخيرية، وسائر المنظمات غير الحكومية والاستغناء به عن الدعم الخارجي، الذي لا يتلاءم مع مقاصدها.

● يوصي المؤتمر الإدارات الوقفية بالشفافية والإفصاح عن أنشطة المؤسسات الوقفية وأعمالها وحساباتها، ونشر ميزانياتها عبر وسائل الإعلام المختلفة.

● كما يوصي المؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى ممثلة في الأمانة العامة للمؤتمر بدراسة إنشاء مركز متخصص، يعنى بحصر وتسجيل أوقاف الحرمين الشريفين في الأقطار الإسلامية.

● كما يدعو المؤتمر الحكومات الإسلامية والمنظمات الدولية إلى المحافظة على أصول أوقاف المسجد الأقصى، وسائر الأوقاف الفلسطينية، التي تم اغتصابها وطمس معالمها من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

● ويدعو المؤتمر الجهات الحكومية المسئولة على الأوقاف في البلدان الإسلامية إلى المحافظة على أصول الأوقاف الإسلامية، والحد من التصرفات المؤدية إلى إحجام الناس عن وقف أموالهم، والسعي نحو استعادة ثقتهم في احترام شروطهم، وتوجيه ريع أوقافهم إلى الأغراض التي أرادوها.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«من أصبح وليس همه إلا الله»

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده: تحمل الله ـ سبحانه ـ حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته: وإن أصبح وأمسى والدنيا همه، حمله الله همومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته قال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

(الزخرف: ٣٦)

«من معاملة الخدم في الإسلام»

قال عبدالله بن عمر: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله: كم تعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: اعف عنه في كل يوم سبعين مرة.

«عظة شعرية»

● مر عابد براهب في صومعة. فقال له: عظني.

●● قال: أعظك، وعليكم نزل القرآن، ونبيكم محمد قريب العهد بكم؟!

● قال العابد: نعم.

● قال: فاتعظ ببيت من شعر شاعركم أبي العتاهية:

تجرد من الدنيا فإنك إنما
وقعت إلى الدنيا وأنت مجرد

«الوصية بالمروءة»

كان عبدالملك بن مروان يقول: يا بني أمية أحسابكم أعراضكم، لا تعرضوها على الجهال، فإن الذم باق ما بقي الدهر. والله ما سرني أني هجيت ببيت الأعشى ولي طلاع الأرض ذهبا! وهو قوله في علقمة بن علاثة:

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم
وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

والله ما يبالي من مدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما، وهما قول زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا
وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

«ما بقي منك؟»

● قيل لشيخ: ما بقي منك؟

●● قال: يسبقني من بين يدي، ويدركني من خلفي وأنسى الحديث[1] وأذكر القديم[2] وأنعس في الملأ[3] وأسهر في الخلا[4] وإذا قمت قربت[5] الأرض مني وإذا قعدت[6] تباعدت عني.

«رأس المال»

سرق رجل جملاً، وذهب ليبيعه في السوق، فسرق منه، فلما عاد قيل له بكم بعت جملك؟ قال: برأس المال.

«أجير أو أمير»

دخل أبومسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان فقال:

السلام عليك أيها الأجير، فاستنكر ذلك جلساء الخليفة، وقالوا له: قل السلام عليك أيها الأمير، فأعاد: السلام عليك أيها الأجير، قالوا: بل قل أيها الأمير، فأصر على قوله وهنا فطن معاوية إلى قصده، وقال دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول.

فقال أبومسلم: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الأمة لرعايتها، فإن أنت داويت مرضاها، وحبست أولاها على

---

(١) الشيء الجديد كلاما أو غيره لضعف الحفظ من الكبر.

(٢) لأن المحفوظ في الصغر قلما ينسى.

(٣) وأنا جالس مع الناس لأن حديثهم يجلب إلي النوم كالطفل ينام لغناء أمه.

(٤) وأنا وحدي لأنني لا أسمع حديثا.

(٥) لأن ظهري قد تقوس وانحنى.

(٦) أي إذا أردت أن أقعد فلابد من اعتمادي على شيء حتى أصل إلى الأرض، فإن ضعف قواي جعل المسافة التي بين حالتي القيام والقعود طويلة.

آخراها وفاك سيدها أجرك، وإن أنت لم تفعل عاقبك سيدك.

«أرض الله واسعة»

بلاد الله واسعة فضاء
ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان
إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

«خير ما يؤتى المرء»

● قال رجل لحكيم: ما خير ما يؤتى المرء؟

●● قال: غريزة عقل.

● قال: فإن لم يكن؟

●● قال: فتعلم علم.

● قال: فإن حرمه؟

●● قال: صدق اللسان.

● قال: فإن حرمه؟

●● قال: سكوت طويل.

● قال: فإن حرمه؟

●● قال: ميتة عاجلة.

«حقا»

وكل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جبران

«دعاء»

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأحبابه، ولا تقفنا على غير بابك، ولا تلجئنا إلى غير جنابك وآنسنا بقربك، واملأ قلوبنا بحبك، ولا تجعل فيها مكانا لغيرك، وأمسك قلوبنا على محبتك وجوارحنا على طاعتك، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فإنه لا ينفع مع البغض حسنة، ولا يضر مع الحب سيئة.

***

الغرب والعدو الجديد

للدكتور/ حمدى فتوح والى

فرح المسلمون كثيراً عندما أعلن رسمياً عن سقوط الاتحاد السوفيتي، وشعر الجميع بالنصر والفخر بما قدمه الشعب الأفغاني المسلم برغم جوعه وفقره وقلة موارده وما درى المسلمون أنهم بهذا النصر العظيم، وهذا الثبات الرائع قد فتحوا على أنفسهم باب رعب ودمار وتخريب واستعجلوا مواجهة شرسة مع عدو أشد بغضا وأعمق حقدا. وأعتى عدة وأقوى عتادا وهو العدو الصليبي. هذا العدو الذى أدار معركته مع عدوه الشيوعي بأيد إسلامية وأموال عربية وأجساد من خيرة الشباب وأطهر الرجال مكتفيا بدور الثعلب الماكر الذى يصب الزيت على النار كلما أنس منها خمودا أو انطفاء قبل أن تأتى على قوة الطرفين بما يضمن له إدارة الحرب مع الطرف الباقى وهو آمن. ولقد كان من حسن حظ هذا الثعلب الماكر المتمثل فى الغرب الصليبى أن الطرف المنتصر بدا عاجزا تماما عن استثمار هذا النصر، لأنه لم يكن يقاتل ليحتل أرضا أو يسقط حضارة أو يصدر فكرا، وإنما كان هدفه الدفاع عن نفسه لئلا يسقط، والاستمساك بهويته لئلا يموت، أما استعداده لكى يرث أرض المعتدى أو يصدر إليه فكره وثقافته فهذا ما لم يكن فى الحسبان.

لكن هذا الأمر كان حاضراً بقوة في كيان المعسكر الغربي الماكر الذي كان يمثل العدو الأخطر للدب الروسي، لكنه لم يكن قادراً على استنزاف قدراته وإهدار أمواله. وإصابته في مقتل؛ لأنه لا يملك عقيدة عميقة في قلوب جنده، تحملهم على فعل المعجزات، وقهر المستحيلات، كالتي يملكها الجندي المسلم، فاكتفى بالاختفاء وراء الجهاد الأفغاني، ومن يتذكر موجة الإعلام الغربي يومها يدرك تماماً أن إعلام الغرب هو صاحب هذه التسمية فما سمعناه يوما يسميهم بالإرهابيين أو الانفصاليين أو حتى المقاومين وإنما أسماهم من أول لحظة بالمجاهدين الأفغان، وسمى قضيتهم بقضية

الجهاد الأفغاني، ولم يجد الرئيس الأمريكي رونالد ريجان أية غضاضة في أن يستقبل أحد قادة الجهاد الأفغاني الشيخ «يونس خالص» ويتسع صدره لحوار معه في واشنطن دعاه خلاله إلى الإسلام، وكان جوابه: إننا جميعاً نحن وأنتم أصحاب دين سماوي واحد لكن عدونا المشترك هو هذا العدو الروسي الملحد الذي ينكر الإيمان بالله. ورجع الرجل مغتبطا بهذا اللقاء ومتفائلاً بهذا الحليف صاحب الدين السماوي. وتذكر الجميع بداية سورة الروم وكيف أن أهل الكتاب كانوا أقرب من الفرس الوثنيين وكيف فرح المؤمنون بنصرهم أو بالبشارة بنصرهم على عبدة النار.

ونسي المسلمون قول الحق ـ سبحانه ـ:

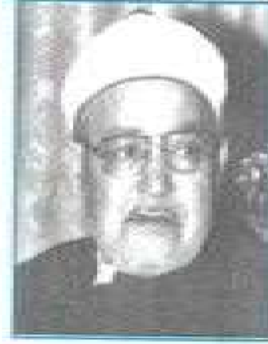
﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(البقرة: ١٠٥)

ومن يدقق النظر في الآية يجد أن الله ـ تبارك وتعالى ـ بدأ بالذين كفروا من أهل الكتاب ثم عطف عليهم المشركين؛ دلالة على عمق الكيد وشدة العداوة وفساد الضمير.

أحقاد لم تهدأ

وإذا كنا نحن المسلمين لا نجد وشيجة تجمعنا بالمعسكر الشرقي الشيوعي، فإن الذي لا يعلمه كثير من الناس، أن الإدارة الشيوعية السوفيتية لم تكن مقبولة لدى غالبية الشعب السوفيتي، وأن العقيدة الإلحادية التي اعتمدتها الحكومات الروسية لم تصادف ارتياحاً لدى سكان الاتحاد السوفيتي الذين هم في غالبهم مسلمون، أو مسيحيون، فمعظم الجمهوريات السوفيتية التي خضعت قهرا للدب الروسي كانت جمهوريات إسلامية: فبخارى، وسمرقند، ونيسابور، وقزوين، وتتارستان، وأبخازيا والشيشان، وغيرها كلها بلاد تدين بالإسلام وتمارس شعائر وعادات وتقاليد إسلامية، مما يجعل خطرها على أمة الإسلام خفيفا أو منعدما ولهذا لم تشهد الساحة الإسلامية حملات تستهدف الإسلام والمسلمين، منذ انكسرت موجات الغزو التتري بعد أن دخل كثير من قادة التتار في الدين الإسلامي، ولم يكن الأمر كذلك مع العدو الصليبي الذي يظهر للمسلمين في صراعهم في صورة الصديق المخلص والحليف الأمين. فالغرب الصليبي لم تهدأ أحقاده أو تخف عداوته في يوم من الأيام لكنها قد تختفي عندما يأنس من المسلمين تمكنا وقوة فلا يملك إلا أن يخنس حتى تضعف القوة أو يقع الخلاف والنزاع عندها تجده جاهزاً لانتهاز الفرص والانقضاض السريع، والتاريخ خير شاهد على ذلك.



الغزالي

يقول الشيخ الغزالي:

«عندما أرمق الماضي أجد الإسلام خلال سنيه العشرين الأولى أجهز على الوثنية العربية التي قاومته أشرس مقاومة، ثم أجهز على المستعمرات اليهودية في الحجاز وقلم أظافر اليهود عسكريا وقبلهم في دولته أقرانا لا يقدرون على كيد!

أما الصليبية فإن مقاومتها للإسلام ظلت متقدة النار خلال القرون التي عاشها منذ ظهوره إلى الآن!! أربعة عشر قرنا والخصام لا تفتر حدته ولا تنقص شدته.

أخذ هذا القتال عنوان الحرب مع الروم، ثم أخذ عنوان الحروب الصليبية، ثم أخذ عنوان الحرب بين الأتراك وأوروبا، ثم أخذ عنوان الاستعمار العالمي، واختفت العناوين وبقيت الحقائق في الكشوف الجغرافية، التي قادتها المصادفات إلى الأمريكيتين من ناحية، وقادت الهند شرق آسيا عن طريق رأس الرجاء الصالح من ناحية أخرى، ثم جاء العصر الحديث معه الغزو الثقافي، والتيارات الدولية المختلقة والنفاق الكنيسة حول الإسلام تريد أن توجه إليه الضربة القاتلة!! أربعة عشر قرنا كاملة تساقطت من حولنا نحل شتى وبقيت الصليبية وحدها تحاول إخماد أنفاسنا! والدول الاستعمارية هي التي صنعت إسرائيل ولا تزال تصنعها، إن الجحر الذي نلدغ منه لم يتغير، والعدو الذي قاتلنا أيام الرسول صلى الله عليه وسلم في «مؤتة» هو الذي يقاتلنا الآن، وقد أمسى ولا يخفي ضغائنه ولا أغراضه استهانة بنا..!!

نموذج أفغانستان

وإذا كانت حدة الحقد الصليبي قد خفت قليلا أمام ما يسمى بثورات التحرر الوطني على مدى مساحة العالم العربي والإسلامي إبان النصف الثاني من القرن العشرين فإن ذلك كان مرجعه إلى أمرين رئيسيين:

- أولهما: ثقة الغرب الصليبي من أن هذه الثورات جميعا ليست لها منطلقات عقدية، وليس لها جذور فكرية أو دينية وإنما كانت في الغالب ثورات شكلية ترضى بأي نوع من التغيير في صور الحكم أو أشكال الحكومات لكنها جميعا لا تخرج عن كونها أنظمة علمانية تتعامل مع حلول مستوردة من الغرب أو من الشرق، ولا مانع لدى الغرب أن يلجأ المستورد العربي إلى الشرق إذا كان الغرب لا يعجبه ما دام ذلك كله يبعده عن جذوره وعقيدته وقرآنه وإسلامه.

فذلك وحده هو المحظور والممنوع والمحرم. ومن هنا رأينا السماح لهذه الثورات أن تكبر ورأينا الغرب الصليبي يغض الطرف عنها بل يسعى في الاعتراف بها وإضفاء الشرعية عليها حتى يفوت الفرصة على التيار الإسلامي الحقيقي الذي يمثل العمق الإيماني والامتداد التاريخي والإشباع الروحي لأمة الإسلام.

- وثانيهما: هو الانشغال بالعدو العقدي الجديد ممثلا في الاتحاد السوفيتي الذي استطاع أن يمثل القطب المناوىء والمكافئ وربما المتفوق تقنيا في كثير من الأحيان والذي سابقهم في ميدان الفضاء فسبقهم. وفي الميدان العسكري فساواهم فكان وجود هذا العدو بهذه القوة وبهذا القدر شاغلا لهم عن الانشغال بغيره من القوميات والحضارات حتى إذا أخطأ الدب الروسي خطأه الأكبر فدخل إلى بلاد الإسلام محاربا بعدته وعتاده وأهاج على نفسه براكين الغضب الإسلامي انتهز الغرب الماكر هذه الفرصة وأخذ يغذي روح الصراع ويصب الزيت على النار ويستفز أتباعه في المنطقة

العربية بأن يغضوا الطرف عن مشاركة الشباب الملتزم دينياً والمشحون إيمانياً، حتى صارت معركة أفغانستان هى معركة الأمة الإسلامية كلها، حتى إذا وقع الدب الروسى فى مستنقع أفغانستان وظل يلقى بقواته وعدته وعتاده، وانفتحت أفواه الأرض الأفغانية لابتلاع كل ما يصب عليها من ملايين الأطنان من السلاح والعتاد، ولم يعرف الروس سبيلا إلى الخروج إلا بالانسحاب المهين، كانت أمريكا والغرب قد أعد عدته ليحصد مكاسب هذا الجهاد العظيم.

وبعد سقوط الشيوعية فى روسيا ومن يدور فى فلكها، أصبحت الحضارة الغربية التى تقودها أمريكا اليوم هى القطب الأوحد.

وبدا واضحا أن أمريكا أصبحت تعانى مشكلة من نوع غريب وعجيب وهى مشكلة غياب العدو الذى كان يمثل بالنسبة لها المحفز الدائم والمثير المستمر، والذى به كانت الإدارة الأمريكية تستنهض الهمم و تستثير العزائم وتبتز الشعوب.

صراع الحضارات

وكان لابد أن يوجد لهذه المشكلة حل قاطع وسريع، ووجد شياطين السياسة ضالتهم فى شياطين الفكر والثقافة من أمثال «هنتجتون»، وفوكوياما، وغيرهما من المفكرين، إذ أعلن هؤلاء الشياطين أن الحل فى استهداف الإسلام، منطلقين فى ذلك من مفهوم صنعوه وأعلنوه وهو حتمية «صراع الحضارات»

ولما كانت الحضارة الإسلامية هى الحضارة الوحيدة القادرة على استعادة الحياة، خاصة بعد اشتداد الصحوة الإسلامية، وتتابع المد الإسلامى وظهوره فى صورة أنظمة وحكومات، مما أشعر الغرب الصليبى بالخطر وتنادوا إلى تحالف شيطانى حاقد استهدف أمة الإسلام قطعة قطعة بادئين القرن الحادى والعشرين بمنظومة تصفيات تشمل جميع بلدان العالم الإسلامى وكانت البداية بالنظام الإسلامى فى أفغانستان لأنه النظام الوحيد وقتها الذى أعلن الإسلام شريعة ومنهاج حياة ثم بدأت سلسلة المؤامرات التى تبدأ بصنع الذرائع ثم التدخل والاستعداد للهجوم وحبذا لو كان الهجوم بيد وسيط له مصلحة فيستقدمونه للمعركة ويقفوه خلفه مشجعين إلى أن ينتهى أمر الخصم بيد غيرهم ويخرج المنتصر مسبحا بحمد من أمدوه وساندوه فيكونون قد كسبوا المعركة من جهتين جهة القضاء على الخصم الألد وجهة كسب الولاء من الحليف الباقى، ونجد ذلك الآن فى أثيوبيا فى دورها مع الصومال، ونجد ذلك مع إسرائيل فى دورها مع حزب الله فى لبنان، ومع باكستان فى دورها مع طالبان فى أفغانستان، وما يزال المسلسل مستمراً والليالى بالمزيد حبالى يلدن كل جديد.

وبرغم أن التخطيط المحكم والمكسب الشيطانى مضمون والمخططون ناجحون، إلا أننى أتساءل لمصلحة من يحارب الإسلام ويتخذ عدوا؟ وهو الدين الذى قدم للبشرية أعظم ما لديها من حضارة، وقدم للغرب أعز ما يملك من مقومات التقدم والنهوض، وما يزال الاسلام هو الرصيد الباقى بعد أن ينتهى الغرب من عربداته وإجرامه وشهوة حقده وانتقامه، وسيظل الإسلام هو الرصيد الباقى لإسعاد البشرية وإمدادها بكل ما يصلحها فى جوانب الروح والجسد فى آن واحد.

صناعة العدو

إن نظرية صناعة العدو تمثل حتمية فى الفكر الغربى، وليست مجرد اجتهاد فكرى أو استنتاج عقلى، وإنما هى حتمية فكرية توارثها الغرب واصطلح عليها كبارهم وهذا ما يؤكده العالم الإنجليزى «جود» أستاذ علم النفس فى جامعة لندن محللاً أعماق شخصية الرجل الغربى فيقول:

«إن العواطف التى هى مشتركة والتى يمكن إثارتها بسهولة هى عواطف المقت والخوف التى تحرك جماعات كبيرة من الدهماء، بدل الرحمة والجود والكرم والحب، فالذين يريدون أن يحكموا الشعب لغاية ما، لا ينجحون حتى يلتمسوا له ما يكرهه ويوجدوا له من يخاف منه، وإذا أردت أن أوحد الشعوب ينبغى أن أخترع لهم عدواً على كوكب آخر، القمر مثلا- تخافه الشعوب، فلم يعد من دواعى العجب أن الحكومات القومية فى هذا العصر فى معاملتها جيرانها إنما تقاد بعواطف المقت والخوف، فعلى تلك العواطف يعيش من يحكمونها، وعلى تلك العواطف يقوى الاتحاد القومى»[1]

تلك هى النفسية الأوروبية، لا يمكن أن تعيش أو تتحرك إلا من منطلق عواطف المقت والخوف بشهادة واحد منهم متخصص فى مجال التحليل النفسى فالإنسان الغربى لا يعرف الإنسان إلا منتصراً ظالماً أو مقهوراً مظلوماً، أما أن تعرفه أخا فى الإنسانية يشارك فى صناعتها ويؤمن عليها فهذا ما لا تعرفه العقلية الغربية بحال من الأحوال، وبرغم من قدرة العالم الإنجليزى على التحليل وإصابته الحقيقة فى هذا الاتجاه فإنه لم يقدم بديلا صحيحا، يعصمهم من هذا الفهم وينجيهم من هذا التحول المخيف.


ابو الحسن الندوى

لكن الأستاذ أبو الحسن الندوى: يقدم لهذه المعضلة الحضارية الحل بقوله:

«إن الحل الذى قدمه الأستاذ «جود» حل عادل وتوجيه معقول ولكن هذا لا يحتاج إلى اختراع وإبداع، ولا يلزم أن يوجد هذا العدو على كوكب آخر كالقمر والمريخ

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

سبأ: ٥٢

فالدين ينبه إلى أن هذا العدو للنوع الإنسانى ولذرية آدم عليه السلام يوجد على الأرض نفسها، وحق على كل إنسان أن يعاديه ويحترس منه، ويتعاون مع بنى نوعه لمحاربته ومعاداته بقول القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

فاطر: ٦

(١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى، مطبعة الرسالة ص٢٠٩.

قصة العدد

الأميرة الحمدانية

للدكتور أبى حسام

جلس العلامة ابن جنى فى حلقة الأدب بجامع حلب يتحدث عن أميرات بنى حمدان، وما تركن فى نفوس الشعراء من عواطف هتف بها الشعر فى دواوين شتى بين ذخائر الشعر العربى، وقد اتصل الحديث بالأميرتين الشهيرتين: خولة شقيقة سيف الدولة الحمدانى وجميلة كريمة ناصر الدولة الحمدانى فقال ابن جنى: لقد زارت خولة ديار بكر فى موكب حاشد وكان من ورائها حمول ثمينة حملتها الخيل العراب فجعلت تفرق عطاياها على الجموع الحاشدة حول ركبها فما تركت أحدا دون عطاء ذكرا كان أو أنثى، وقد سجل المتنبى موقفها الرائع فى مرثيته الخالدة خولة فقال فيما قال:

كأنَّ خولةَ لم تملأْ مواكبُها
ديارَ بكرٍ ولم تخلعْ ولم تهبِ
ولم تردَّ حياةً بعد تولية
ولم تغثْ داعياً بالويلِ والحربِ
فقد مضت غيرَ موروثٍ خلائقُها
وإنْ مضت يدُها موروثةَ النشبِ
وهمُّها فى العلى والمجد ناشئةً
وهمُّ أترابِها فى اللهوِ واللعبِ
فليت طالعةَ الشمسين غائبةٌ
وليت غائبةَ الشمسين لم تغبِ
وليت عينَ التى آبَ النهارُ بها
فداءُ عينِ التى زالت ولم تؤبِ

أما الأميرة الحسناء جميلة كريمة ناصر الدولة الحمدانى فقد حجت بيت الله الحرام فى موكب يذكر بموكب زبيدة زوج هارون الرشيد، فبذلت من العطاء ما كان موضع نظر لوالدها حين بلغه هذا الإسراف الهائل الذى لا مزيد فوقه، وقد هزت زيارتها الحبيبة لبيت الله شاعرية ابن عمها الأمير أبى فراس الحمدانى فنظم قصيدة نادرة قال فيها:

يذكّرنى نجداً حبيبٌ بأرضها
فيا صاحبى نجواى هل ينفعُ الذكرُ
تطاولتِ الكثبانُ فى بينى وبينه
وباعد فيما بيننا البلدُ القفرُ
فهل عرفاتٌ عارفاتٌ بزورها
وهل شعرت تلك المشاعرُ والحجرُ
أما اخضرَّ من بطنانِ مكةَ ما ذوى
أما أعشبَ الوادى أما أنبتَ الصخرُ
سقى اللهُ قوماً حلَّ رحلُكِ فيهمُ
سحائبَ لا قلٌّ شذاها ولا نزرُ

فقال أحد الجالسين من التلاميذ فى حلقة ابن جنى: لقد قلت يا شيخنا إن إسراف الأميرة جميلة فى العطاء كان موضع نظر لدى والدها الأمير ناصر الدولة الحمدانى، ونحن نعرفه جوادا كريما ذا نخوة عربية وهمة إسلامية فكيف يلوم كريمته على العطاء؟!

ابتسم ابن جنى، وقال: إن الأمير ناصر الدولة الحمدانى كان يعيش بأرض العراق كالنازح الغريب، وليس بيديه من الثراء ما يسمح للأميرة أن تبالغ فى الإسراف، لقد بنت المساجد وعمرت دور القراء، وخلعت على الزهاد من العباد والمجاورين لبيت الله لا يبرحونه فى صيف وشتاء، وأجرت الأرزاق على المدرسين فى الحرمين الشريفين والتلاميذ الذين يعكفون على استظهار آيات الكتاب ولم يفعل ذلك أحد من أمراء المسلمين وحجاجهم الذين أموا بيت الله فى هذا العام، ورجعت هانئة بما قدمت وإن رجعت خاوية الوفاض.

ثم شاع حديث عطائها فى بغداد، وبلغ حاكمها العنيد عضد الدولة بن بويه، وبينه وبين آل حمدان خصومة دفينة يستتر لهيبها تحت الرماد ولا يكاد يلوح إلا لمن يخبر أسرار السياسة فى عاصمة الرشيد، ويرى بعينه الفاحصة ما ينتظر حدوثه من المعارك، كان الأمير ناصر الحمدانى عون الخليفة فى مواجهة جنود الأتراك الذين اقتحموا عرينه، وكادوا ينزلونه عن عرشه، لولا أن القائد الباسل وقف أمام القصر وقفة الليث الغضوب، وحفظ لبنى العباس كرامتهم التى أوشكت أن تضيع، ولذلك خلع عليه أمير المؤمنين لقب ناصر الدولة.

ثم جاء الغزو البويهى بقيادة عضد الدولة وهو أحد جبابرة الأرض وقد قدم بما يحجب عين الشمس من ذخيرة السلاح وكماة الأبطال، فنزل الخليفة مضطرا عند أمره وأسلمه مفاتيح الحكم فما يصدر أمر أو نهى إلا من ديوانه، ومكث ناصر الدولة خائفا يترقب!

وقد أسرف المتملقون فى قصر عضد الدولة فى المبالغة فى تقدير منزلة الأميرة جميلة الحمدانية، ووصفوا من جمالها وسحر حديثها وعظيم سلطانها على السامعين ما دفع عضد الدولة إلى أن يرسل إحدى صواحبه إلى قصر الأميرة لتعرف أخبارها عن يقين ولترجع إليه بوصف دقيق عن شخصيتها الإنسانية وجمالها البارع الذى تحدث عنه الناس، وقامت السيدة بسفارتها خير قيام، فرجعت تذكر لعضد الدولة ما ألهب مشاعره وأوقد جوانحه مع أن قصره ملىء بالجوارى الحسان وله من الزوجات ثلاث، ولكنه الحاكم الطاغية الذى لا يرد له أمر، وقد تحدى مشاعر الناس جميعا حين قال عن نفسه:

عضد الدولة بانى ركنها
ملك الأملاك غلاب القدر

ثم انتقل ابن جني إلى درسه النحوى بعد أن روح عن تلاميذه بهذه الطرائف من الأدب والتاريخ، على أن الأمر لم يقف عند ما رواه ابن جني، فقد جد من الأحداث ما لم تحمد عقباه، إذ فوجئ ناصر الدولة بمن يرسل إليه طالبا لقاء عضد الدولة ولم يكن ليظن إلا أن الأمر يتعلق بشأن سياسي يريد أن يأخذ فيه رأيه، ولكنه فوجيء بأن الرجل تحدث إليه بعد تمهيد يسير عن رغبته في الزواج من الأميرة جميلة، وبينهما من فارق السن ما كان يجعل عضد الدولة يعيد النظر في اقتراحه، فأطرق ناصر الدولة واجماً، فسأله عضد الدولة عن سبب سكوته دون إجابة، فقال في هدوء: لعلك لا تعلم يا أخي أن الأميرة جميلة ذات عقل ثاقب ورأى مستقل، ولا أسمح لنفسي في كثير من الأحيان بمعارضتها في أمور كثيرة حتى وإن كنت أخالف وجهة نظرها، ومثلها يجب أن تكون صاحبة الرأى الأول في هذا الزواج.

فقال عضد الدولة: ألم تعارضها فيما بذلته بمكة والمدينة من نفقات طائلة كانت موضع استغراب الناس؟! فابتسم ناصر الدولة وقال: كلمتها برفق، ولكنها أجابت بأنها في هذه الرحلة كانت بين يدى الله وقد نسيت كل شيء إلا أن تتقدم بما يرضى ربها الكريم.

فقال عضد الدولة: وهذا ما رغبني في الاقتران بها، ولعل الله وفقني إلى ذلك كي يزيدها مكانة وارتقاء ويتيح لها ما يساعدها على البذل والإنفاق.

وسكت الرجلان، ثم خرج ناصر الدولة مستأذنا ونفسه تجيش بخواطر حزينة، إذ يعلم أن معارضة عضد الدولة ستفضي إلى شر خطير.

اتجه الوالد الغاضب إلى منزل جميلة، ورأت في وجهه من الوجوم ما لا تعهده من قبل، لاسيما وهي تعرف أنه راجع من لقاء عضد الدولة، فصاحت به: فيم تفكر يا أبي إن كل صعب يهون؟!

فقال في أسف: إن عضد الدولة يريد أن تكوني زوجه

فصاحت فزعة: هذا ما لا يكون، ثم استأنفت تقول: إن جريمته مع جاريته «الزلفاء» قد بغضته لكل فتاة وامرأة ونزعت كل ثقة في مروءته ورجولته

فتظاهر الوالد بأنه لم يعلم عنها شيئا، فقالت: لقد قذف بها في نهر دجلة في أحلى أوقات الصفاء، أتدرى لماذا؟ لأنها بلغت من نفسه مبلغا خطيرا جعله ينسى أمور الدولة ويقضي معها أكثر أوقات النهار، فضلا عن الليل الطويل، فأراد أن يحسم أمرها معه فقذفها في موج دجلة كي لا يستطيع لقاءها بعد الآن! وكل الناس يرثون لمصير هذه البريئة التعسة وكان في مقدرته أن يتركها لنخاس يبيعها في بلاد نازحة فلا يفكر فيها إذا غلبته ثورة الاندفاع.

فهز رأسه ناصر الدين وقال في هدوء: كنت أعرف هذه المأساة فقد تحدث عنها العامة والخاصة في بغداد، ولكني تجاهلت أمامك كيلا أكشف العورات!

ثم لم يمض يوم حتى أتى نعى أخيه سيف الدولة الحمداني أمير حلب، وصاحب الصيت المدوى في منازلة الروم والقيام بأعباء الجهاد، فخر على الأرض كمن أصيب بسهم نافذ، وارتفع صوته بالعويل فهرعت جميلة تواسيه وتبكي معه، فقال لها: لقد كان نصيرى الوحيد في هذه الدنيا، وكنت أفكر أن أحمل أسرتي وأرحل إلى حلب لأعيش في جواره تاركا بلاء الناس في بغداد، فماذا أصنع الآن؟! وانتظر غير قليل حتى جاءه رسول عضد الدولة يعزيه في سيف الدولة ويقول إنه سيترك له مهلة في التفكير فيما تحدث به إليه من قبل حتى تخف حسرته على فقد سيف الدولة البطل العظيم.

ولم تخف حسرة الأخ الحبيب بل داهمه المرض الصدرى الذى كان يغشاه بعنف فيتواصل سعاله وتتقطع أنفاسه! -داهمه بعنف لم يعرفه من قبل- وتوقع الأهل نهايته المحتومة، فكان في ساعاته الأخيرة يرمق الأميرة بعطف حنون، ويقول في كدر لك الله لك الله!

ثم انتقل ناصر الدين إلى رحمة ربه، وترك ولده الأمير سعد الدين الحمداني راعيا للأسرة من بعده، ومضت أيام العزاء، ولم يغفل عضد الدولة عن مطلبه، فاستدعى الأمير سعد الدين، وأبلغه أنه حدث والده قبل رحيله بشأن الأميرة جميلة، وطلب إليه أن يحدد موقفه. طلب ذلك فيما يشبه التهديد، وكان في سعد الدين حمية، وفي شبابه جرأة واندفاع. فصاح بعضد الدولة: قد عرفت هذا من قبل، وقد رفض والدى، ورفضت الأميرة، بل كان قولك هذا مما عجل برحيل والدى، فقد اشتدت وطأة المرض عليه، وعاوده السعال الصدرى بأعنف ما يكون، فالرفض هو الرفض، وقد قالت الأميرة: إنه لن يمس شعرة من رأسي ولو كانت لديه قوة تملأ الفضاء!

فصاح عضد الدولة: قالت جميلة هذا، متحدية رغبة أعظم ملك في بلاد الإسلام!! إنها لا تعرف من هي ومن بنو حمدان؟ سآخذها جارية في القصر ولن تكون زوجة بعد الآن! وسأرسل من يحملها مرغمة إلى قصر الإماء!

توقع الأمير سعد الحمداني نزول الشر وأنه واقع لا محالة عن قريب فجمع شباب الحمدانيين في بغداد، وأخبرهم أنهم أمام معركة قد تذهب أرواحهم فيها شهداء مجاهدين، وهو قدر لا سبيل إلى ملافاته، وسيكون أول من يبذل روحه فداء الشرف والإباء، وأخذ القوم عدتهم، وتجمعوا دون أن يتخلف أحد في ردهة القصر، ولم يطل المقام فقد داهمت المكان في مشرق الفجر كتيبة مسلحة، كأنها تنازل عدواً جاء لاقتحام البلاد وكانت من الكثرة بحيث تساقط أمامها شباب الحمدانيين، وفي مقدمتهم الأمير الباسل سعد، وخلا القصر إلا من النساء ونزل القائد ليحمل الأميرة جميلة إلى القصر جارية مع الإماء! وبأى شرع وبأى قانون؟ هذا ما لم يكن في الحسبان ومكثت جميلة في محبسها الاضطرارى يومين، وقد ظن عضد الدولة أنها ستلقى السلم بعد انتصاره في معركة غير متكافئة وقد أصبحت لا نصير لها من أهل ورعاة فأرسل إليها جارية تدعوها إلى مخدعه!

وسارت الأمة إلى حجرة جميلة فدقت الباب فلم يفتح أحد وواصلت الطرق حتى إذا يئست أحضرت من عالج الباب بآلة حديدية فانفتح المصراعان! وشوهدت الأميرة نائمة لا تتحرك فقد ابتعلت السم حذرا من أن يمس عضد الدولة شعرة من رأسها وتم لها ما أرادت دون أن يتم للظلوم الغاشم ما أراد!

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

الإضراب عن الطعام

● السؤال الأول: من السيد: م ا ع

ما حكم الدين فيمن يضرب عن الطعام إذا وقع عليه ظلم؟ ولو استمر فى إضرابه ولم يستجب لطلبه حتى مات فهل يكون عليه وزر؟

●● الجواب: إن كان المقصود من الإضراب عن الطعام هو مجرد الامتناع عن نوع معين من الطعام، أى عن وجبة أو أكثر فى اليوم مع الإبقاء على البدن مؤهلا قادرا للقيام بما يطالب به المكلف من العبادة والعمارة، ويكون الدافع هو لفت الانتباه للظلم الحاصل أو الإصر الواقع، فهذا مما لا بأس به، ولا يوجد من الأدلة ما يمنعه، حيث إنه مظنة حصول مصلحة، بدون ارتكاب محظور ولا وقوع فى معصية، غايته حرمان النفس من بعض ملذاتها مع الإبقاء على قوة البدن وحيويته كمطية للعبادة والعمارة، وهذا جائز لا مانع شرعا منه.

وإن كان المقصود من الإضراب عن الطعام و الامتناع عن الطعام بالكلية، أو عما يساعد على بقاء الحياة (ولعل هذا هو المقصود من السؤال بدليل السؤال التابع، وهو السؤال عن حكم الاستمرار حتى الموت) فهو حرام، كما تدل عليه الأدلة الشرعية والقواعد الفقهية المرعية، ذلك أن الضرب عن الطعام بهذا الوصف يكون مرتكبا لأشد المفسدتين وأعظمهما: - وهى السعى فى إهلاك النفس - لدفع أخفهما وأدونهما - وهى بقاء الظلم الواقع عليه - وهذا أمر محرم شرعاً لأن ارتكاب أخف الضررين واجب.

وهذا فى الحقيقة نوع من الانتحار الذى حرمه الشرع فى مثل قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾

(البقرة: ١٩٥)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾

(النساء: ٢٩)

وقول النبى ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» وهو حديث رواه أحمد وابن ماجه والطبرانى عن ابن عباس - رضى الله عنهما -، ورواه ابن ماجه والبيهقى عن عبادة بن الصامت - رضى الله تعالى عنه -، ورواه الطبرانى وأبو نعيم عن ثعلبة أبى مالك القرظى - رضى الله تعالى عنه - ولذلك يقول الإمام أبو بكر الجصاص فى «تفسيره»: من ترك الطعام والشراب وهو واجدهما حتى مات فيموت عاصيا لله بتركه الأكل، أ هـ.

أحكام فى الصلاة

● السؤال الثانى: من السيدة: هـ ع م

ما معنى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾

(الإسراء: ١١٠)

وإذا كان للصلاة السرية سببها وهو وقت ضعف المسلمين، فما هو الداعى لاستمرار المسلمين فى أداء الصلاة السرية الآن؟

●● الجواب: من المعلوم شرعا أن السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم، وهذا البيان منه ﷺ واجب الاتباع، لا يسع مسلما تركه، لقوله تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾

(الحشر: ٧)

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

«النجم: ٣-٤».

وفريضة الصلاة أوجبها القرآن على سبيل الإجمال، وجاءت السنة بيانها على جهة التفصيل في صفتها وأركانها وسننها وهيئاتها، فكان هذا البيان النبوي هو مراد الله - تعالى - من فريضة الصلاة، ويؤكد النبي ﷺ هذا المعنى بقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي».[1]

وهذا هو الحاصل في مسألة الجهر بالقراءة فيما يسن فيه الجهر وهو ركعتا صلاة الفجر والركعتان الأوليان من صلاتي المغرب والعشاء، والإسرار بها فيما يسن فيه الإسرار وهو صلاتا الظهر والعصر وثالثة المغرب وثالثة الظهر والعصر ورابعتهما، فإن ذلك هو الوارد عنه ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وقد تلقت الأمة ذلك عن النبي ﷺ جيلا بعد جيل وخلفا عن سلف بحيث صار هذا الأمر معلوما من الدين بالضرورة مع كونه هيئة من هيئات الصلاة لا تبطل الصلاة بتركها، فمن أسر في موضع الجهر أو جهر في موضع الإسرار فصلاته صحيحة بالإجماع.

وأما قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

«الإسراء: ١١٠».

فالصلاة في الآية عام أريد به الخصوص، فإن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ بمكة المكرمة وهو متوار في أول مبعثه فنهي عن الجهر دفعا للأذى ونهي عن المخافتة إسماعا لأصحابه، ولم تكن الصلوات المكتوبات قد فرضت بهيئاتها المعروفة التي كمل عليها الدين، فلما استقر الأمر على الجهر في مواضعه والإسرار في مواضعه كان ذلك بيانا لكون لفظ «الصلاة» ليس على عمومه وإطلاقه، بل هو مختص بالصلوات التي لم يؤمر النبي ﷺ فيها بجهر أو إسرار ويحتمل وجها آخر وهو أن يكون النهي في الجهر والإسرار عن المجموع لا عن الجميع، بمعنى أن لا تكون صلواتك جهرا كلها ولا سرا كلها، بل اجهر في بعضها - كالفجر والعشاء - وأسر في بعضها - كالظهر والعصر - وعن ابن عباس والحسن - رضي الله عنهم - أن المعنى: لا تصلها رياء ولا تدعها حياء.

(١) صحيح البخاري ١/٢٢٦.

على أن جماعة من المفسرين حملوا الصلاة في الآية على الدعاء - وهو أصل معناها في اللغة - وجعلوا ذلك من آداب الدعاء، كقوله تعالى:

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾

«الأعراف: ٢٠٥».

والحاصل أن دلالة الآية ظنية، ومشروعية الجهر في الصلوات الجهرية والإسرار في الصلوات السرية قطعية بالإجماع عليها، ولا تعارض بين قطعي وظني، ولا ينبغي أن يقدح في المعلوم من الدين بالضرورة بمثل هذه الاستدلالات الظنية التي تحتمل أوجها كثيرة بقرائن لفظها أو سياقها أو سبب نزولها، ولذلك اشترط الأصوليون في المجتهد أن يعرف مواضع الإجماع حتى لا يخالفه، وأن يعرف القطعي حتى لا يعارض به الظني.

في المحارم

● السؤال الثالث: من السيد: ف م ر

هل يجوز شرعا لزوج ابنتي أن يدخل بيتي ويجلس مع أمها في حالة حضوري أو غيابي عن البيت؟

●● الجواب: نعم، يجوز، لأنها من محارمه.

حكم الزواج الثاني

● السؤال الرابع: من السيد: م م ح

رجل عقد على فتاة ولم يدخل بها، وكان قد سبق له الزواج من جدتها أم أبيها، فما حكم الزواج الثاني؟

●● الجواب: إذا كان قد دخل بجدتها فلا يجوز له الزواج منها، وإذا كان قد عقد على جدتها فقط ولم يدخل بها فيجوز له الزواج بها، فالقاعدة أن «العقد على البنات يحرم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرم البنات»: أخذا من قوله تعالى

﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾

«النساء: ٢٣».

اليتيم

● السؤال العشرون: من السيد: م ا م

هل هناك شروط لأخذ طفل من دار للأيتام لتربيته في البيت وكفالته؟

●● الجواب: يشترط فيمن يريد رعاية طفل مع أسرته سواء أكان له أولاد أم لا ألا ينسب الطفل إلى نفسه، لأن هذا من المحرمات، وينبغي أن يكون الولد في سن الرضاعة - وهو سنتان قمريتان - وإذا كان الولد ذكرا فينبغي له حينئذ أن يجعله

يرضع من زوجته - الأم البديلة - أو أمها أو أختها أو بنتها أو زوجة ابنها أو زوجة أخيها، وإذا كان أنثى فينبغى أن ترضع من زوجة أخرى له - إن كان - أو من أمه أو أخته أو ابنته أو زوجة أخيه أو زوجة ابنه، إن كان فى ثدى المرضعة ما ترضعه به، وإلا تناولت من المواد غير الضارة ما يساعدها على إدرار اللبن، فترضعه خمس رضعات مشبعات متفرقات على الأقل حتى يمكن أن يقيم مع هذه الأسرة بلا حرج من المعيشة مع الذكور فيها - إن كان الولد أنثى - أو بلا حرج من المعيشة مع الإناث فيها - إن كان الولد ذكراً.

ويشترط كون الأسرة البديلة من المسلمين، والا تكون بهم أمراض معدية يخشى انتقالها إلى الطفل الذى يرغبون فى رعايته واستضافته، ويشترط السماح برقابة خارجية ومتابعة دورية للتأكد من عدم الإساءة للطفل أو استغلاله استغلالا محرما شرعاً أو قانونا.

أحكام فى التجارة

● السؤال الحادى والعشرون: من السيد: ا م ع

أعمل بالتجارة، وقد أعطانى شخص مبلغاً كبيراً من المال لإعطائه لشخص آخر لقضاء مصلحة عنده، وظل المبلغ عند هذا الشخص مدة من الزمن ولم تنقض المصلحة، فأخذت منه المال دون علم وإرادة صاحب المال الأصلى، وقمت بالتجارة فيه بدون علمه لمدة سنة، وربحت من ورائه، وعندما جاءنى صاحب المال يسألنى عن المصلحة فأجبته بأنها لم تنقض ورددت إليه المال، إلا أنه علم أننى أخذت المال وبقى عندى لمدة سنة فطالبنى بربح هذا المال فما الحكم؟

●● الجواب: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فالسائل يكون وكيلا لصاحب المال الذى أعطاه المال لإعطائه لآخر لقضاء المصلحة، ولا يحق له أن يفعل فى المال الموكل فيه إلا ما وكل فيه، وهو إعطاؤه للآخر بحسب الوكالة لقضاء المصلحة المنوه عنها، وبتصرفه بخلاف ذلك وتأخيره المال عن موكله يأثم، ويكون المال وربحه لصاحب المال (الموكل) ولا شئ للسائل فيه سوى أجرة المثل فى الإتجار فيه، والتى يقدرها أهل الاختصاص المحايدون.

والله سبحانه وتعالى أعلم

●●●

﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾

البنيان المرصوص

للشاعر: أحمد مصطفى حافظ

خطْبٌ يُوافي بأوْصَابٍ وأشجانِ ... حتى ودِدْتُ - لو انّي طيّ أكفاني

ما كنت أحسب أن أحيا إلى زمنٍ ... تغدو العروبة فيه .. فوق بركان

يظل يقذف من أحشائه حمما ... تذكى الحرائق فى دورٍ وأوطان

ويرتع البغْىُ - ويح البغى - فى صلفٍ ... أشقى (فلسطين) ؟.. يستشرى بلبنان!؟[1]

وللرفاق اقتتال ؟ يا لحسرتنا ... فالبغى باركه .. توّاً .. بنيران

إنى برئ .. برئ من تَطاحنهم ... حتى يثوبوا إلى رُشْدٍ وإيمان

طال البلاء، وحلّ القوم فى صمم ... عن الدوىّ .. بأحقادٍ وأضغان

متى أراهم - أنار الله غيْهبهم ... يمْحُون من أرضهم أدرانَ بُهتان

متى أراهم - كما كانوا - غضارفةً ... صيداً بأفق العُلا .. فى كل ميدان

عهْدٌ جديد أطلّ اليوم، فانتبهوا ... ولْتجعلوا صفكم .. مرصوص بنْيان

(الفرس) و(الروم) قد فاقا .. أوائلنا ... عدداً .. وكم دحْرجا جيشا بإمعان

لكنّ أوائلنا - فى نقص عُدّتهم ... فاقوا بوجْداتهم .. إعْصار طوفان

فأحْرزوا فى الوغى - ما اللهُ باركه ... نصراً مبينا .. بإخلاص وإيمان

(1) وبالعراق وأفغانستان أيضاً.

قانون النفط العراقى فى دائرة الضوء

بقلم / صلاح عبد الرحيم محمد

يرى خبراء النفط أن العراق يملك ثانى أكبر احتياطى بترولى فى العالم، يبلغ حوالى ١١٦ بليون برميل، وأن الإنتاج اليومى حاليا من النفط لا يتجاوز ٢,٢ مليون برميل يصدر منه نحو ١,٦ مليون برميل يوميا عبر أنبوب الجنوب فى البصرة، والباقى وقدره ٦٠٠ ألف برميل كانت تصدر من خلال أنبوب التصدير الشمالى عبر الأراضى التركية إلى ميناء جيهان التركى قبل ايقاف العمل فيه بسبب ضربات المتمردين المتتالية التى لا تزال تستهدفه، ويذهب هؤلاء الخبراء إلى أن لدى العراق فى الوقت الراهن القدرة على إنتاج ثلاثة ملايين برميل من النفط يوميا.

ويذكر المسئولون فى وزارة النفط العراقى أن الخطة الخمسية التى أقرتها الحكومة تقضى برفع الطاقة الإنتاجية من النفط إلى ٤ ملايين برميل فى اليوم، وأنه باستقرار الأوضاع الأمنية وإقرار بنية تشريعية نفطية مستقرة يمكن جذب العديد من الشركات العالمية المتخصصة فى التنقيب والإنتاج ودفع الطاقة الانتاجية من النفط إلى مستويات جديدة على مرحلتين:

● الأولى: تتضمن الوصول بالإنتاج النفطى إلى ٦ ملايين برميل يوميا.

● والثانية: تتضمن الوصول بالإنتاج النفطى إلى ٨ ملايين برميل يوميا، وكشف «عاصم جهاد» الناطق باسم وزارة النفط العراقية أن جزءا من القرض اليابانى الذى قدم للعراق وقدره ٣,٥ مليار دولار مخصص لتطوير وتأهيل القطاع النفطى فى جنوب العراق، وإعادة إعمار مصفاة البصرة بإضافة وحدة جديدة لتحويل المشتقات النفطية الثقيلة «النفط الأسود» إلى مشتقات نفطية خفيفة مثل البنزين وزيت الغاز «الجاز» والنفط الأبيض إلى جانب تقليل الهدر الموجود نتيجة غياب استخدام التكنولوجيا الحديثة فى الإنتاج، وأضاف «عاصم جهاد» أن المشروع الثانى يتضمن «بناء ميناء نفطى جديد» فى المياه الإقليمية العراقية لضخ صادرات النفط الخام إلى الخارج

ولقد صنف مشروع قانون النفط الجديد «الحقول النفطية» من خلال ثلاثة ملاحق:

● الأول: يشمل كل الحقول العملاقة «٢٧ حقلاً» وهى تدخل فى اختصاص شركة النفط الوطنية العراقية.

● والثانى: يشمل الحقول النفطية المكتشفة غير المنتجة حاليا «٢٥ حقلاً» ويمكن تطويرها وهى تخص أيضا شركة النفط الوطنية العراقية

● والثالث: يشمل الحقول النفطية المكتشفة والبعيدة عن مرحلة الانتاج «٢٦ حقلاً» وهى مخصصة للهيئة الإقليمية وهى هنا وزارة النفط فى حكومة كردستان العراق

غير أن هناك ملحقا رابعا يتضمن ٦٥ رقعة استكشافية نفطية لم يتم الإشارة إليه فى قانون النفط الجديد برغم كونه جزءا منه.

واللافت أن الإشراف الدولى على صادرات النفط سينتهى فور إقرار مشروع قانون النفط والغاز برلمانيا. على أن تسويق النفط العراقى سيتم بواسطة شركة «سومو» التى ستظل الشركة الوحيدة المسئولة عن تصدير نفط العراق.

وفى ظل الاحتلال الأمريكى للعراق تأتى البداية عندما كلفت لجنة من ثلاثة خبراء عراقيين فى مجال النفط وهم «طارق شفيق» و«فاروق القاسم» و«تامر الغضبان» مستشار رئيس الوزراء العراقى بمهمة وضع مسودة قانون جديد للنفط والغاز فى العراق، حيث أنجزته فى ١٥ فبراير ٢٠٠٧، وسلمته إلى الحكومة العراقية التى أقرته فى ٢٧ فبراير ٢٠٠٧، وأحالته من جانبها إلى البرلمان العراقى لمناقشته والتصديق عليه.

المالك والناقل والمشغل!!

ولقد استهل مشروع قانون النفط والغاز فى مادته الأولى بأن ملكية النفط والغاز تعود لكل الشعب العراقى فى كل الأقاليم والمحافظات، وحدد نطاق تطبيقه فى مادته الثانية على العمليات النفطية فى جميع مناطق جمهورية العراق بما فى ذلك الأرض وما تحتها، وعلى اليابسة،

وفى المياه الداخلية، والمياه الإقليمية واللافت أن هذا القانون قام بتعريف «العمليات النفطية» بأنها تشمل جميع الأنشطة المتعلقة بالتنقيب والتطوير والإنتاج والعزل والمعالجة والتخزين والنقل والبيع، أو تسليم البترول فى نقطة التسليم، أو نقطة التصدير، أو نقطة التجهيز المتفق عليها، وقد عرف القانون «الناقل» بأنه الكيان المعين من قبل مجلس الوزراء لاستلام النفط الخام، أو الغاز من «مالك حق التنقيب والانتاج» عند نقطة التحويل وتسليم النفط الخام أو الغاز إلى «مالك حق التنقيب والإنتاج» عند نقطة التسليم

وقد حدد القانون النفطى «المشغل» بأنه الهيئة المعينة من قبل الحكومة بالتشاور مع «مالك حق التنقيب والإنتاج» للقيام بالعمليات النفطية نيابة عن الأخير. أما منطقة التعاقد فقد عرفها القانون النفطى بأنها المنطقة التى يكون «مالك حق التنقيب والإنتاج» مخولا ضمنها للتنقيب عن تطوير وإنتاج البترول، وتعتبر منطقة للتطوير والإنتاج جزءا من منطقة التعاقد التى تم رسم تحديدها بعد الاكتشاف التجارى بموجب شروط عقد التنقيب والإنتاج، والجدير بالذكر فى هذا السياق أن مجلس الوزراء العراقى كما يراه القانون النفطى هو السلطة صاحبة الاختصاص لإقرار السياسة النفطية الاتحادية والإشراف على تطبيق تلك السياسة، وعلى مجلس الوزراء أيضا أن يضمن تبنى «المجلس الاتحادى للنفط والغاز» و«وزارة النفط» الوسائل المناسبة للاستشارة والتنسيق مع السلطات الإقليمية والمحافظات المنتجة للنفط والغاز.

شركات النفط الوطنية

واللافت أنه بموجب المادة (٩) من هذا القانون الجديد المقترح يؤسس مجلس الوزراء «هيئة» تسمى «المجلس الاتحادى للنفط والغاز» يقوم رئيس الوزراء أو من ينيبه برئاسته ويضم فى عضويته وزراء النفط والمال والتخطيط والتعاون الإنمائى فى الحكومة الاتحادية ومحافظ البنك المركزى العراقى، وممثل عن كل إقليم بدرجة وزير، وممثل عن كل محافظة منتجة غير منتظمة فى إقليم، والرؤساء التنفيذيين لأهم المؤسسات النفطية ذات العلاقة من بينها «شركة النفط الوطنية العراقية» و«شركة تسويق النفط» وخبراء مختصين بشئون النفط والغاز والمال والاقتصاد لايزيد عددهم على ثلاثة خبراء ويعتبر «المجلس الاتحادى للنفط والغاز» هو المسئول عن وضع السياسات النفطية الاتحادية وخطط التنقيب وتطوير الحقول وخطط الأنابيب الرئيسية داخل الأراضى العراقية وإقرار نماذج عقود التطوير والإنتاج واختيار العقد الملائم لطبيعة الحقل أو منطقة الاستكشاف ووضع التعليمات الخاصة بالتفاوض لمنح التراخيص «تراخيص التنقيب والإنتاج» أو عقود التطوير والإنتاج ووضع معايير أهلية الشركات، كما يستعين المجلس الاتحادى فى أداء مهامه بـ «مكتب المستشارين المستقلين» الذى يقدم المشورة والتوصيات حول عقود التراخيص وخطط التطوير والإنتاج وقد اعتبر هذا القانون «وزارة النفط» هى الجهة صاحبة الصلاحية لاقتراح السياسات والقوانين والخطط الاتحادية النفطية والرقابة والإشراف على العمليات النفطية بالتنسيق مع الهيئات الإقليمية والمحافظات المنتجة لضمان التنفيذ الموحد والتطبيق المتجانس فى جميع أنحاء العراق، كما حدد القانون النفطى نطاق عمليات شركة النفط الوطنية العراقية بإدارة وتشغيل حقول الإنتاج الحالية المذكورة فى الملحق رقم (١) من هذا القانون وترتبط بها كل من شركة نفط الجنوب وشركة نفط الشمال وإدارة وتشغيل الحقول المكتشفة وغير المطورة المذكورة فى الملحق رقم (٢) وتنفيذ عمليات التنقيب والإنتاج فى مناطق جديدة خارج المنطقة الخاضعة لعملياتها من خلال طلبها الحصول على تراخيص التنقيب والإنتاج فى هذه المناطق الجديدة على أسس تنافسية وإدارة تشغيل شبكة أنابيب النفط والغاز الرئيسية ومراقىء التصدير فى العراق، كما أن لها الحق فى الدخول فى عقود شحن النفط والغاز الحالية والمستقبلية وذلك بمقتضى القانون، وبالإضافة إلى ذلك نجد أن مشروع قانون النفط والغاز حدد عددا من المهام التى تقوم بها «شركة النفط الوطنية العراقية» أهمها الإسهام وفقا للمادة (٦) من هذا القانون فى عمليات التنقيب والإنتاج داخل العراق نيابة عن الحكومة، والالتزام ببيع حصتها من النفط الخام إلى «شركة تسويق النفط» بسعر التسليم الذى يغطى الكلفة مع ربح معقول يتيح للشركة القيام بتطوير منشآتها النفطية، وتستمر الشركة فى إدارة وتشغيل أنابيب النفط والغاز الرئيسية ومراقىء التصدير خلال فترة انتقالية أقصاها سنتان إلى حين استكمال إعادة تنظيم الشركات التابعة لوزارة النفط، عندئذ يقرر المجلس الاتحادى للنفط والغاز من المسئول عن إدارة وتشغيل أنابيب النفط والغاز ومراقىء التصدير وذلك بناء على اقتراح من جانب وزارة النفط بالتنسيق مع شركة النفط الوطنية العراقية وموافقة مجلس الوزراء.

عائدات النفط

أما فيما يتعلق بعائدات النفط فلاتزال تمر عبر «صندوق تنمية العراق» بإشراف الأمم المتحدة واللافت فى هذا السياق أن قانون النفط المقترح استحدث ما يسمى «صندوق الأجيال» أو «صندوق المستقبل» ولم يحدد القانون النفطى نسبة معينة من حصيلة إيرادات النفط لإعادة إعمار العراق وتنمية اقتصاده وفى هذا الصدد يتحدث «حسين الشهرستانى» وزير النفط العراقى فيقول إنه اتفق على عدم

تحديد تلك النسبة من الآن لاعتبارات سياسية تتعلق بديوان العراق والتزاماتها الدولية إذ ليس من المقبول وضع نسبة كبيرة من الإيرادات النفطية فى «صندوق المستقبل» مع الحديث عن إسقاط جانب من الديون العراقية، أو المطالبة بقروض ومنح لإعمار العراق، أو المطالبة بإسقاط التعويضات التى تسبب النظام السابق فيها.

موقف الأكراد

ومن جهة أخرى فإن الأكراد لا يعترضون على إيداع الإيرادات فى صندوق واحد وتوزيعها على جميع المحافظات والأقاليم بل يرفضون أن تتولى وزارة المالية إطلاق صرفها، ويطالبون بآلية تلقائية تتولى هى إطلاق صرف نصيب المحافظات والأقاليم من هذه الإيرادات النفطية دون تدخل من جانب وزارة المالية. ولتبديد هذه المخاوف الكردية فقد تم تشكيل «هيئة جديدة» تشرف على عملية توزيع الإيرادات تضم ممثلين عن كل محافظة وإقليم فى العراق، وتلزم وزارة المالية بإطلاق المخصصات المقررة فى الموازنة المركزية، كما يعترض الأكراد على النسبة المخصصة من الحقول النفطية فى الملحق رقم «١» وهى ٢٧ حقلا، ورقم «٢» وهى ٢٥ حقلا، لشركة النفط الوطنية العراقية، ويعتبرونها نسبة كبيرة، لذلك فالأكراد يطالبون بضم حقول النفط الواردة فى هذين الملحقين إلى الحقول النفطية التى يضمها الملحق رقم «٣»، الذى يشمل ٢٦ حقلا نفطيا، بحيث تعرض جميعا وهى ٧٨ حقلا للتنافس بين الشركات النفطية المؤهلة وفقا للمعايير العالمية.

وفى هذا السياق يتحدث الدكتور «أشتى حورامى» وزير النفط فى حكومة كردستان العراق فيقول: إن القانون ليس مطروحا للتعديل. وإذا كان لابد من إجراء تعديل بهذا القانون، فإن الشىء الذى يجب أن يُعدل هما الملحقان رقم «١»، و«٢» لتخصيصهما حقولا نفطية لشركة النفط الوطنية العراقية، وكان الأولى وضعهما ضمن الملحق رقم «٣» الذى خصص للهيئة الإقليمية وهى هنا وزارة النفط فى حكومة كردستان العراق. وهنا نجد الدكتور «أشتى حورامى» بوصفه وزيرا للنفط فى حكومة كردستان يخالف الخبيرين «طارق شفيق» و«فاروق القاسم» اللذين طالبا بتخصيص كافة الحقول المذكور فى الملاحق الثلاثة «٧٨ حقلا» لشركة النفط الوطنية العراقية لأنها تمثل مصلحة الشعب العراقى بمكوناته المختلفة.

تسوية النزاعات بعيدا عن القضاء العراقى!!

ويرى البعض من خبراء الطاقة أن ما يثير الدهشة فى مشروع قانون النفط والغاز أنه فى حالة نشوب خلاف أو نزاع بين الحكومة العراقية وبين الشركات الاستثمارية الأجنبية، فإن هذا الخلاف أو النزاع لا يُحسم داخل العراق فقد نصت

المادة «٣٩» من هذا القانون بشأن النزاعات بين الأطراف المتعاقدة «على أن يتم إجراء التحكيم بين جمهورية العراق والمستثمرين الأجانب حسب أنظمة إجراءات التحكيم لغرفة التجارة الدولية فى باريس أو جنيف أو القاهرة لتسوية النزاعات بين الدول ومواطنى دول أخرى وعلى أساس القانون العراقى».. وهنا يثور التساؤل لماذا تتم تسوية النزاعات بعيدا عن القضاء العراقى؟ وكيف يتم حسم النزاع فى باريس أو جنيف أو القاهرة على أساس القانون العراقى؟ وفى هذا السياق يرى «حميد ضياء جعفر» الخبير فى قطاع النفط والغاز أنه فى حالة أية نزاعات قد تنشأ حول قانون النفط والغاز وأنظمة العمليات النفطية وترتيبات العقود وشروطها وتطبيقها «تجرى محاولة حلها بالتفاوض بين الأطراف المعنية. وفى حال عدم التوصل إلى حل بالاتفاق، يُحال الموضوع إلى وزير النفط العراقى لحله من خلال المناقشات مع المسئولين الكبار من حاملى تراخيص التنقيب والإنتاج المعنيين. وفى حال تعذر التوصل إلى حل من خلال هذه المناقشات، يجوز عندها تحويل الموضوع أو النزاع إلى التحكيم أو إلى السلطات القضائية المختصة، كما لاحظ خبراء النفط أن مشروع القانون النفطى الجديد يعطى التراخيص للحقول المكتشفة وغير المكتشفة على حد سواء للشركات الأجنبية، وهو ما يُسقط نهائيا ما يُحقق من سيادة وطنية على الثروات والموارد النفطية بموجب القانون القديم للنفط رقم «٨٠» لسنة ١٩٦١ الذى حافظ على سيادة العراق على ثرواته الطبيعية وموارده النفطية بعيدا عن سيطرة الشركات الأجنبية. ومن جانب آخر لاحظ هؤلاء الخبراء أن مسئولية منح تراخيص عقود التنقيب والإنتاج ـ فى ظل القانون الجديد المقترح ـ موزعة بين كل من وزارة النفط الاتحادية، والمجلس الاتحادى للنفط والغاز، والهيئة الإقليمية «وهى هنا وزارة النفط فى حكومة كردستان». لذلك يجب أن يتم تركيز هذه المسئولية فى جهة واحدة، مثل وزارة النفط الاتحادية حتى يمكن حسم الجهة المسئولة عن ذلك للقضاء على أية ازدواجية فى السياسة النفطية.

عقود احتكار لشركات أمريكية وبريطانية

والجدير بالذكر فى هذا المقام أن ثمة ملاحظات أخرى قد سجلها كثير من خبراء الطاقة حول مشروع قانون النفط والغاز الجديد نورد أهمها فيما يلى:-

● إن النصوص الواردة فى هذا القانون المتعلقة بإجراءات الترخيص ورد من بينها نص يقول: «يمكن أن يتركز العقد النموذجى على عقد الخدمة»، وهو عبارة عن عدة أنواع من العقود مثل:

١ ـ عقد الشراء، وفيه يحق للشركة الأجنبية شراء النفط والغاز المستخرج وهو ما يؤدى إلى سيطرة الشركات

الأجنبية على النفط العراقي سيطرة مباشرة.

٢ ـ عقد المشاركة في الإنتاج، وهو يعني إعطاء امتياز للشركات الأجنبية للاستثمار لمدة ٣٠ ـ ٤٠ سنة.

والواقع أن مثل هذه العقود تقيد تصرفات الحكومة العراقية في ظل نصوص قانونية معقدة يصوغها خبراء الشركات الأجنبية. وفي هذا الصدد نشرت صحيفة «اندبندنت أون صنداي» البريطانية في صدر صفحتها الأولى، في ٧ يناير ٢٠٠٧ تقريرا حول مشروع قانون النفط العراقي، ركزت فيه على ما يسمى «اتفاقات تقاسم الإنتاج» والذي بموجبها ستتمكن احتكارات نفطية عالمية مثل «بريتيش بتروليوم» و«شل» في بريطانيا، و«إكسون» و«شيفرون» في الولايات المتحدة من توقيع اتفاقات لاستخراج النفط العراقي لمدة تصل إلى ٣٠ عاما، وفي حال تبني هذه الصيغة من الاتفاقات سيكون العراق أول من يطبقها على صعيد منتجي النفط الرئيسيين في الشرق الأوسط. فالسعودية وإيران يفرضان سيطرة كاملة على صناعتهما النفطية من خلال شركات تملكها الدولتان من دون مشاركة أجنبية، لذلك يوصي خبراء النفط الوقوف ضد تمرير بنود «اتفاقات تقاسم الإنتاج» في مشروع قانون النفط والغاز الجديد، وقطع الطريق على مساعي احتكارات النفط العالمية لنهب ثروات العراق.

عقود تجافي مصلحة الشعب العراقي!!

● ورد في البند الأول، الفقرة «٤» من النص الخاص بصلاحيات شركة النفط الوطنية العراقية في قانون النفط الجديد أن أي نشاط استكشافي داخل العراق يحصل عليه بالتنافس، وهو ما يتيح للشركات الأجنبية ذات الخبرة الواسعة في العمليات النفطية والمالكة للتقنيات الحديثة في الاستكشاف، فرصة الحصول على عقد الاستكشاف دون شركات النفط العراقية التي تملك مستلزمات استكشافية قديمة، وهو ما يجافي مصلحة الشعب العراقي.

● وضعت الفقرة «٢٩» من المادة «٤» المسئولية على الحكومة العراقية في استلام النفط والغاز من منطقة الإنتاج حتى نقله على ظهر الباخرة، إذ تنص هذه الفقرة على أن «الناقل هو الكيان المعين من قبل مجلس الوزراء لاستلام النفط الخام أو الغاز من مالك حق التنقيب والإنتاج عند نقطة التحويل، وتسليم النفط الخام أو الغاز للتصدير إلى مالك حق التنقيب والإنتاج عند نقطة التسليم» وهو ما يعني إعفاء الشركات مالكة حق التنقيب والإنتاج من تحمل تكاليف النقل والتعبئة والتحميل، وهو ما يُشكل عبئاً على الموازنة العراقية، وإهدار أموال الشعب العراقي.

● تكشف الفقرة «أ» من المادة «٢٤» من هذا القانون مدى الاستغلال الجائر لثروات العراق النفطية، إذ تقول هذه الفقرة «يحق لمالكي تراخيص التنقيب والإنتاج، استخدام الكميات اللازمة من «الغاز المصاحب» دون مقابل في العمليات النفطية» وهنا نتساءل لماذا يمنح هذا القانون «الغاز المصاحب» هبة لحاملي تراخيص التنقيب والإنتاج؟ وأليس ذلك إهدارا لحقوق الشعب العراقي في ثروته النفطية؟

الأطماع الأمريكية

● يبدو أن الفقرة «أ» من المادة «٣٥» من قانون النفط المقترح جاءت على وجه الخصوص تشجع الشركات المتخصصة في مجال البحث والتنقيب عن النفط لاستثمار خبراتها الفنية في العراق للحصول على مزيد من الأرباح وتحويلها إلى خارج العراق دون الإسهام في مشروعات تنموية عراقية، إذ تقول هذه الفقرة «يحق لمالكي التراخيص تحويل الأرباح الصافية المتأتية من العمليات النفطية إلى خارج العراق، بعد دفع الضرائب المستحقة» لذلك يرى خبراء الطاقة أنه من الأجدر أن ينص هذا القانون الجديد على إلزام الشركات الأجنبية على أن تخصص جزءا من أرباحها لاستثمارها في المشروعات الوطنية العراقية.

ويرى خبراء الطاقة أنه بعد ٨ سنوات من الآن لن تكون هناك نشاطات نفطية في داخل الولايات المتحدة، وسينفد الاحتياطي الأمريكي بكامله، حيث إن الولايات المتحدة تستهلك ٢٦ مليون برميل يوميا من النفط، لذلك فإن قانون النفط والغاز العراقي قد تم إعداده متضمنا «عقود المشاركة في الإنتاج» الذي يمنح الشركات الأجنبية مزيدا من الامتيازات التي تغريها على المجيء إلى العراق لاستثمار أموالها وخبراتها الفنية، واللافت أنه ليس من المنطق الاعتقاد بأن الولايات المتحدة سترضى بالخروج من العراق دون أن تحصد عوائد استثمارها وتكاليف حربها على العراق التي تقدر بحوالي ٤٠٠ مليار دولار حتى الوقت الراهن، والتي يتجسد الهدف منها في السيطرة على نفط العراق، وهو ما تؤكده «كونداليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية بقولها «إن العراق يستحق الاستثمار بالأرواح والدولارات الأمريكية».

وفي الختام يمكن القول بأن صدور قانون النفط والغاز في ظل الاحتلال الأمريكي للعراق وحاجة الولايات المتحدة الأمريكية الماسة لبتروله، يمكن أن يضفي ظلالا من الشكوك حول هذا القانون، لاسيما أنه قد يؤدي إلى تكريس الاحتلال الأمريكي بدعوى حماية الشركات الأجنبية المستثمرة في الحفاظ على استثماراتها وحقوقها في عقود التنقيب والإنتاج. وقد نصح جميع من تصدى لمشروع قانون النفط والغاز بالنقد، بعدم التسرع في إصداره لحين مناقشته مناقشة متأنية، حتى يمكن أن يخدم مصالح الشعب العراقي، ويحافظ على وحدته.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

الهجوم على المسلمين

تحت هذا العنوان كتب الدكتور «حسن الحيوان» في جريدة الوفد الصادرة في ٢٠٠٧/٦/١٩، قال:

لن يتوقف الغرب وأذنابه في العالم الإسلامي عن الهجوم على الإسلام والإساءة إلى رسوله مادام هناك من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فالهجوم على الإسلام قديم ومستمر كما أخبرنا القرآن في عدة مواضع، ومن هنا فلا يعجب الناس إن خرج علينا واحد هنا وآخر هناك يتهم الرسول «صلى الله عليه وسلم» اتهامات غريبة وباطلة، أو ينكر أمرا ثابتا من صحيح الدين، كما أننا لابد أن ندرك أن أعداء الإسلام لم يستطيعوا القضاء على الإسلام.

● حلمهم الذي يجتهدون لتحقيقه «رد المسلمين عن دينهم إن استطاعوا» ذلك بأن المانع القاطع الذي يبشر بفشل هذا المخطط ثابت في القرآن الكريم

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)

لكن المتأمل في الساحة العالمية يتوقف عند عدة حقائق مهمة تحتاج إلى تحليل ودراسة لنستطيع أن ندرك كيف نتعامل مع مثل هذه الأمور، وهي أن الإهانات الغربية للإسلام غالبا ما يقصد بها المسلمون لا رسولهم، خاصة أن المسلمين في الأدبيات الغربية قوم إرهابيون مصاصو دماء متعطشون إلى القتل وكسالى لا يعملون، كما أنهم عالة على الحضارة الغربية وقد منحوا ثروة لا يستحقونها وهي البترول، هذه الصورة المشبوهة والمشوهة تبدو واضحة في الرسوم التي نشرت عن الرسول «صلى الله عليه وسلم»، كذلك فإن ما نجده

من فئات في المجتمعات الإسلامية - بما يسمى بـ «الطابور الخامس» - لها علاقات مشبوهة بجهات مشبوهة تفاجئنا بين الحين والآخر باتهامات فكرية للإسلام أو بآراء غريبة تدعو إليها مثل قضية تغيير نظام الحج أو الصوم، وتنبش في كتب تراثية قديمة تستخرج منها قضايا ميتة لا يشعر بها أحد بدعوى الخوف على نقاء الفكر الإسلامي ثم تقوم هذه الفئات بتضخيم هذه القضايا وكأنها هي مشكلة المشاكل وهم الهموم بالنسبة للمسلمين وتدفعها من خلال حملة إعلامية منظمة كعملية تضليل وإلهاء مستمرة عن القضايا الحقيقية التي من الضروري أن يلتف حولها المسلمون.

● يساعد على ذلك الجهل بنظرية المؤامرة والإعلام الذي لا يجد موضوعات جادة يناقشها، أو أنه يهرب من الموضوعات الجادة متصورا أن الناس لا تقبل عليها، كما أن هناك خططا ذات مناهج مرحلية تسعى إلى تغيير كثير من الثوابت الإسلامية وإلى عملية ترويض تنحرف بالمسلمين عن صحيح الدين.

عار فتح وحماس

وكتب المحرر في افتتاحية الأهرام العربي الصادرة في ٢٠٠٧/٦/١٦ يقول:

ما يحدث بين فتح وحماس في الأراضي الفلسطينية المحتلة عار لن تنساه الأجيال الفلسطينية المقبلة، وسيكتب التاريخ أنها صفحة سوداء كتبها بعض معدومي النضال والضمير السياسي، وستلعن تلك الأجيال هؤلاء الذين ينفذون أجندات خارجية ويدعمون المشروع الصهيوني - الأمريكي في المنطقة.

إن اغتيال الفلسطينيين على أيدي فلسطينيين في وقت تغتال فيه إسرائيل النساء والأطفال والعجائز وتعذب الأسرى، وتعتقل وزراء فيما يسمى حكومة، لهو جريمة لا تغتفر ولا يمكن أن يبررها أي طرف، سواء فتح أم حماس، فكلا الفصيلين يرتكب فعلا خيانة نضال الشعب الفلسطيني.

وليس نضال الشعب وحده، إنما نضال شعوب المنطقة التي خاضت الحروب ودفعت الأرواح الطاهرة من أجل تحرير فلسطين، وعطلت التنمية من أجل القضية، وزعزعت الاستقرار على مدى ستين عاما، وهي هي فصائل كانت تزعم أنها مناضلة تجرؤ على ذبح بعضها البعض وتنوب عن إسرائيل في تمهيد الأرض أمام التوسع والعدوان، وتظهر للعالم كله أن الفلسطينيين مصاصو دماء وقتلة للأخوة والدين والعرض.

والآن بعد ارتكاب هذا الجرم ينبغي على الذين لم يتورطوا في هذا القتال المشين أن يظهروا على السطح، ويرفضوا هؤلاء في حماس وفتح، ويجعلوهم عبرة لكل من يرتكب هذا

الفعل، فإنها أياد شيطانية تعبث في أقدس قضية عربية وإسلامية وعالمية. لقد نجحت إسرائيل في إشعال الفتنة. فلا يخفى على أحد أن هناك بعض رجال فتح ممن يلعبون بالنار من أجل الأموال التي تتدفق عليهم من دول عربية معينة وغربية خصوصا بريطانيا وأمريكا، وهناك أيضا بعض قادة حماس المرتبطين بإيران، والأخيرة تقوم بدفعهم إلى حرب بالوكالة حتى تبعد نفسها عن معركة مرتقبة، وهذان الطرفان مجرمان، وعليهما أن يخليا الساحة للشرفاء.

ذرائع لبدء الحرب ضد إيران

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذة/ بثينة حسن المنشور في جريدة المساء بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٧:

عبرت قوات الحرس الثوري الإيراني الحدود الى جنوبي العراق وهذا يعني أن القوات البريطانية هناك قد أصبحت في حالة حرب مع إيران، هذا الخبر ذكرته الصحف البريطانية ومصادر المخابرات البريطانية، إذا كان هذا النبأ صحيحاً أو غير صحيح فإنه يعني أن بريطانيا ودول التحالف وعلى رأسهم أمريكا قد بدءوا فعلاً بروفات الحرب على إيران وأن اتهام قوات الحرس الثوري بدخول أرض العراق من الناحية الجنوبية وحيث تتواجد القوات البريطانية مجرد ذريعة للدخول في مناوشات مع إيران عند منطقة الحدود، بل والقيام بمحاولات لاجتياح الحدود الإيرانية ودخول الأراضي الإيرانية عن طريق العراق أي براً مثلما دخلوا العراق براً عن طريق الكويت وقد تجبر أمريكا وبريطانيا قوات الجيش العراقي على الالتحام مع القوات الإيرانية ويتكرر من جديد مسلسل حرب العراق وإيران الذي شاهده العالم بأسى وحزن شديدين في الثمانينيات بينما كانت أمريكا تمد الطرفين بالسلاح لإبادة شعبيهما وكانت الأقمار الصناعية الأمريكية تمد الطرفين بصور المواقع العسكرية للطرف الآخر.

ولتبرير شن ضربة جدية على إيران قالت مصادر المخابرات البريطانية إن أجهزة الرادار البريطانية سجلت صور عبور طائرات هليكوبتر إيرانية الى صحراء العراق، وأكد النبأ مصادر عسكرية بريطانية رفيعة المستوى.

في نفس الوقت اتهمت أمريكا الحرس الثوري الإيراني بتمويل الجماعات المتطرفة في الشرق الأوسط.

بل ووضعت لجنة الصداقة والأسهم الأمريكية إيران ضمن قائمة الدول المؤيدة للإرهاب الى جانب سوريا والسودان وكوريا الشمالية.

وطالب وزير الخزانة الأمريكي «هنري بولسون» مؤخراً الدول الحليفة لأمريكا بفرض حظر على تعامل البنوك الإيرانية مع النظام المالي العالمي.

وهددت أمريكا بفرض عقوبات جديدة على إيران، من بينها تجميد حسابات البنوك الإيرانية وفحص سفن الشحن والطائرات الإيرانية وهي خطوة استفزازية خطيرة بالطبع سترفضها إيران وستكون بمثابة شرارة جديدة لإشعال الحرب مع إيران.

يأتي ذلك التدهور الخطير في العلاقات بين الغرب وإيران رغم موافقة إيران على عودة المفتشين التابعين للأمم المتحدة الى إيران لكي يفحصوا على الطبيعة ما إذا كان للبرنامج النووي الإيراني أي طموحات عسكرية بينما تؤكد المصادر الغربية أنه يوجد حالياً في إيران ١٣٠٠ جهاز طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم الذي يمكن استخدامه في صناعة القنبلة النووية وأن عدد هذه الأجهزة سيزيد الى ثلاثة آلاف جهاز مع نهاية الشهر القادم.

ولكن الأحداث الأخيرة كشفت النقاب عن المؤامرة الغربية التي تستهدف إيران في حد ذاتها سواء كان لديها برنامج نووي أو ليس لديها أي برامج.

والأمر الأكثر خطورة أن أرض العراق ستكون مسرحاً لهذه المعارك بين الغرب وإيران وربما كانت هذه المؤامرات هي سبب عدم انسحاب القوات الأمريكية والبريطانية من العراق حتى الآن، رغم تنفيذ كل الأجندات وعلى رأسها أجندة سرقة البترول وبقية الثروات وأموال العراق وحرق الأرض وإبادة أكبر عدد من السكان وإشعال نار الفتنة والحرب الأهلية ورغم ارتفاع عدد الضحايا الأمريكيين.

بوش يريدها حرباً أهلية!!

وفي جريدة عقيدتي الأسبوعية كتب الأستاذ «بسيوني الحلواني» تحت عنوان «بوش يريدها حربا أهلية» قال:

منذ وصول حركة حماس إلى السلطة في فلسطين والرئيس الأمريكي جورج بوش يبذل كل جهده ويسخر كل إمكانات بلاده لإقصاء حماس عن السلطة وإشعال نار الفتنة بين الفلسطينيين، لذلك فرض حصارا اقتصاديا وسياسيا على الحكومة الفلسطينية لا لشئ، إلا لأنها تطالب بالحقوق الفلسطينية وترفض أن يتحول قادتها إلى عملاء للدولة الصهيونية.

لذلك كان بوش أول من صفق للرئيس الفلسطيني محمود عباس عندما أقال حكومة حماس وقرر تشكيل حكومة طوارئ في فلسطين.. فقد أعلن بوش دعمه الكامل للانقلاب على الحكومة الفلسطينية، واستغل نفوذه وهيمنته وإرهابه على كثير من الدول الأوروبية ودفعها إلى تأييد عباس وإدانة حماس.

والموقف الأمريكي لا يستهدف بالطبع دعم الشرعية الفلسطينية، ولا يحقق الاستقرار ويعيد الأمن إلى الشارع

الفلسطيني.. فحاشا لله أن تفعل أمريكا ذلك.. بل هدف الموقف الأمريكي واضح وهو سكب مزيد من الوقود على النيران في الشارع الفلسطيني ليتضاعف عدد القتلى من كوادر وعناصر فتح وحماس وتتخلص إسرائيل من كل عناصر المقاومة التي استطاعت بصواريخها المتواضعة قلب موازين القوى في الدولة الصهيونية.

لذلك أحسنت الدول العربية صنعا عندما رفضت الضغوط الأمريكية، ورفضت تبني وجهة نظر فصيل فلسطيني على حساب فصيل فلسطيني آخر، وتبنت الموقف المصري الذي أعطى كل الأطراف المتصارعة على أرض فلسطين وخاصة فتح وحماس فرصة لمراجعة مواقفها حرصا على المصلحة الفلسطينية العليا وحقنا للدماء الفلسطينية ولتفويت الفرصة على بوش وعصابته الصهيونية في البيت الأبيض والكونجرس الأمريكي، وتل أبيب.

إن بوش وأعوانه الصهاينة في البيت الأبيض يعلمون جيدا أن تقديم الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لحركة فتح لمواجهة حركة حماس يعني تأجيج الصراع الفلسطيني وإراقة دماء الفلسطينيين ليستمر حمام الدم في كل المدن الفلسطينية، فحماس لن تتنازل عن حقوقها، ولن تقدم السلطة لحركة فتح على طبق من ذهب، وهي تسيطر سيطرة تامة على غزة.

لقد آن الأوان لكي يتناول العرب «كبسولات الشجاعة» ويعلنوا رفضهم للسياسة الأمريكية المتطرفة والتي لا تخدم إلا مصالح إسرائيل وأهدافها العدوانية.

لقد عانى العرب كثيرا من سياسة بوش المتطرفة ودفعوا ثمنا باهظا للاستجابة لمخططاته وأفكاره الشيطانية وما يحدث في العراق ولبنان وفلسطين خير شاهد على ذلك.

لذلك لابد أن تقول «لا» لبوش، أن تقولها بكل شجاعة، فقد استخدم بوش كل أدوات إرهابه للعالم، وفشل في كل مخططاته، واعترف كبار السياسيين والعسكريين الأمريكان بفشله، وأكدوا خطورة أفكاره وسياساته ومخططاته على شعوب العالم وفي مقدمتها الشعب الأمريكي.

أما الأخوة الأعداء في فلسطين فيجب أن يكونوا على مستوى المسئولية وأن يفوتوا الفرصة على القوى المتربصة بوحدتهم ونضالهم البطولي ضد قوى الغدر والعدوان، وأن يعودوا إلى مائدة الحوار لحقن دماء الشعب الفلسطيني والعودة معا إلى خنادق الجهاد ضد المحتلين المجرمين.

إن حمل فلسطيني السلاح لمواجهة فلسطيني آخر جريمة يرفضها ويدينها كل العرب والمسلمين، فكل أسلحة الفلسطينيين يجب أن توجه إلى صدور

المحتلين الصهاينة حتى يتحرر الوطن ويعيش كل الفلسطينيين في أمن وأمان ويتوقف الغدر والعدوان الإسرائيلي.

دور عربي نزيه لحل الصراع الفلسطيني

جاء هذا العنوان في جريدة الجمهورية في عددها الصادر في ١٩/٦/٢٠٠٧:

يجد التحالف الأمريكي الإسرائيلي الآن الفرصة سانحة لدق الطبول وإشعال الحرب الأهلية ما بين فلسطينيي غزة والضفة الغربية، عن طريق توسيع الهوة بينهما والاحتفاء ببلاغات كل طرف ضد الآخر، وتضخيم بعض التصرفات الانفعالية لقطع الطريق على أية محاولة مخلصة لاحتواء الموقف.

إن الدول العربية، خاصة مراكز الثقل فيها، مطالبة في هذه المرحلة الخطيرة بدور عقلاني ونزيه مؤسس على المصلحة العربية العليا التي تأثرت للغاية بما حدث في العراق ولبنان من نزاعات وصراعات داخلية، ولا ينقصها صراع أشد هولا في فلسطين حيث القضية المركزية للصراع العربي والإسرائيلي.

ليس من المصلحة العربية أو الفلسطينية مساندة طرف فلسطيني ضد آخر تؤدي الى إلقاء مزيد من الزيت على النيران المشتعلة، فهي أمنية أمريكية إسرائيلية لا تتمنى أن تتحقق بأيد عربية أو فلسطينية.

إسرائيل.. ومخاطر مخططها

لانفصال غزة

تحت هذا العنوان جاء رأي «الأهرام» المنشور في ٢٠/٦/٢٠٠٧:

لا تخفي إسرائيل ارتياحها للنتائج المأساوية التي أسفر عنها الاقتتال الفلسطيني بين فتح وحماس في غزة، وتبادر في الوقت الحاضر لاستغلال ما حدث من انقسام على الصعيد الفلسطيني لتنفيذ مخططاتها المعلنة بتشديد الحصار على غزة توطئة لعزلها، وسط أنباء عن اعتزام إيهود باراك وزير الدفاع الجديد شن هجوم عسكري واسع النطاق على القطاع بدعوى تدمير القدرات العسكرية لحركة حماس التي تحكم قبضتها على غزة منذ نحو أسبوع.

وكشف إفرايم سنيه نائب وزير الدفاع الإسرائيلي أن وحدات عسكرية إسرائيلية انتشرت بمحاذاة الحدود مع قطاع غزة، في حين أشار رئيس لجنة الدفاع والشئون الخارجية في الكنيست الإسرائيلي إلى أن إسرائيل ستشن إن عاجلا أو آجلا هجوما على القطاع الذي أصبح «قاعدة إيرانية» على حد قوله.

ويأتي في إطار فرض الحصار الإسرائيلي على غزة إعلان إسرائيل قطع إمدادات الوقود بسبب سيطرة حماس على القطاع.

ولم تكتف إسرائيل بذلك، وإنما

بادرت بالتحرك النشيط على الجبهة الأوروبية والأمريكية وصولا إلى توافق أوروبى - أمريكى على مقاصد مخططها فى غــزة.. وليس أدل على ذلك من الآتى:

● يجرى رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت مباحثات مع المسئولين الأمريكيين فى واشنطن، حول الأوضاع الجديدة فى الأراضى الفلسطينية، والملف النووى الإيرانى، وتكشف صحيفة «نيويورك تايمز» أن المباحثات الإسرائيلية - الأمريكية تجرى فى إطار سيناريو للتعامل مع الضفة الغربية وقطاع غزة ككيانين منفصلين.

● أجرت تسيبى ليفنى وزيرة خارجية إسرائيل مباحثات أمس مع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبى فى ستراسبورج بفرنسا استهدفت إقناعهم بمواصلة حظر المساعدات المستمر منذ عام ضد حماس.

يأتى هذا التوجه الإسرائيلى لتكريس الحصار حول غزة التى يقطنها نحو ١,٥ مليون فلسطينى توطئة لعزلها والتعامل مع غزة ككيان منفصل عن الضفة، فى الوقت الذى تؤكد فيه حكومة الطوارىء الفلسطينية الجديدة وحدة الضفة والقطاع، وهذا ما أكده سلام فياض خلال مراسم أداء حكومته اليمين الدستورية، وحسنا ما أكده فياض.

وفى ضوء ما سلف عن إشارات عن المخطط الإسرائيلى تجاه غزة.. فإن الأمر يقتضى الحذر الشديد من جانب القوى العربية لهذا المخطط الذى يستهدف، ضمن مقاصد أخرى، فرض «أجندة إسرائيل» على المفاوض الفلسطينى خاصة أن إيهود أولمرت يبدو الآن متلهفا، وفى عجلة من أمره، لبدء مفاوضات الحل النهائى مع السلطة الفلسطينية.

وأيا ما يكن الأمر، فإن المخطط الإسرائيلى لاستغلال الوضع المأساوى للاقتتال الفلسطينى فى غزة.. ينبغى كشف أبعاده الخطيرة على القضية الفلسطينية.. وهذا ما حذر منه بوضوح عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية عندما سئل حول تشجيع أمريكى - إسرائيلى لانفصال غزة عن الضفة.. فقال إن حدوث هذا يمثل كارثة على فلسطين كلها.

***

لحظات طيبات مع سيد التابعين

الإمام الحسن البصرى

للأستاذ/ عادل خفاجة

الشكل والمضمون.. القشرة واللب، السطح والعمق.. كلها مرادفات تشير إلى فريقين من الناس، فريق يتعمق فى المعنى وآخر يظل محصوراً فى القشرة الخارجية للنص.

وبقدر الثقافة.. ومجاهدة النفس، والقرب من القدوة الصالحة تتباين مواقع الناس قربا من المضمون أو بعداً عنه.

ولعل أكثر ما يكون التباين واضحا بين هذين الفريقين إذا كان الحديث عن التصوف والمتصوفين، فالفريق الأول يعلم أن الدنيا هى المعبر الوحيد إلى الآخرة. فجعل شعاره: «إن لله عباداً فطنا.. طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها، فلما علموا.. أنها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة، واتخذوا.. صالح الأعمال فيها سفنا»

أما الفريق الآخر.. ففريق مقلد يهتم بالشكل ولا يلتفت إلى المضمون، وربما قاده الشكل إلى عكس ما يريد.

وقد يظن ظان أن هؤلاء المقلدين بدءوا على طريق صحيح ثم انحرف بهم السبيل مع مرور الزمن وفقدان القدوة.

ولكن ما يدفع هذا الظن أن هؤلاء المقلدين - عن غير علم ولا روية - الشاردين أطلوا برؤوسهم على عهد النبى - ﷺ - يُشَرِّعون لأنفسهم على غير هدى، فتناولهم ﷺ بالتعليم

والإصلاح ولكن بشيء من الحزم.. فعن أنس بن مالك قال: «إن نفراً من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، فبلغ ذلك رسول الله ـ ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

وسيبقى هذا الفريق إلى ما شاء الله بحاجة إلى التوجه وتصحيح مساره، فلكل المتصوفين الذين يحبون أن تبقى أقدامهم ثابتة على طريق التصوف القويم نقدم هذا النموذج الطيب المتمثل في سيد التابعين في التصوف.

إنه الإمام الزاهد الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وكانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية[2].

ولكي نقترب من الحسن البصري، وقبل أن نتعرف على أقواله التي ترسم لنا شخصيته وتنم عن فكره وعقليته نقدم أقوال الآخرين عنه، ونكتفي هنا بثلاثة رجال:

● أولهم: الخليفة عمر بن عبدالعزيز حين سئل: من ولّيت قضاء البصرة؟ فقال: سيد التابعين الحسن البصري[3].

● ثانيا: الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حين صور فاجعة أهل البصرة بموت الحسن البصري إذ يقول: «مات الحسن عشية الخميس، وحُمل نعشه إلى المسجد يوم الجمعة، ليصلي عليه كل من بالمسجد، وشيع أهل البصرة جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر ذلك اليوم، وما تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، ومثل الحسن لا تموت ساعة موته من عمر من شهدها، فذلك يوم عجيب قد لف نهاره البصرة كلها في كفن أبيض، فما بقيت في نفس رجل أو امرأة شهوة إلى الدنيا، وفرغ كل إنسان من باطله، كما يفرغ من أيقن أن ليس بينه وبين قبره إلا ساعة، وظهر لهم الموت في حقيقة جديدة بالغة الرد لا يراها الأبناء في موت آبائهم وأمهاتهم، ولا الأمهات في موت من ولدن، ولا المحب في موت حبيبه، لأن الجميع قد فقدوا الواحد الذي ليس غيره في الجميع، وكما يموت العزيز على أهل بيت، فيكون الموت واحدا، وتتعدد فيهم معانيه، كذلك كان موت الحسن موتا بعدد أهل البصرة، ذلك يوم امتد فيه الموت وكبر وصغرت الحياة وانكمشت، وتحاقرت الدنيا عند أهلها حتى رجعت بمقدار هذه الحفرة التي يلقى فيها الملوك والصعاليك، لا يصغر عنها الصغير، ولا يكبر عنها الكبير حتى رجعت الدنيا على قدر جيفة حيوان بالعراء، قد أرمت لا تطاق على النظر، ولا على الشم ولا على اللمس.[4]

● ثالثاً: الأستاذ الكبير ـ أديب هذا العصر ـ الدكتور محمد رجب البيومي، إذ يقول عن مكانة الحسن البصري: «لم يبلغ هذه المكانة بنسب إلى والد، أو منصب في دولة، أو امتداد في ثراء، ولكنه بلغها بسلوك المؤمن الزاهد العابد الذي يخاف الله ولا يخشى سواه وتلك صفات الصوفي الحقيقي الذي يصل أسبابه بالسماء فلا يمتثل إلا للحق، ولا يرهب غير الله! ومؤرخو التصوف يجعلون الحسن هو الرمز الأول لرجل الخشية والزهد والورع! والذين يحيون من بعده في حلقات السلسلة الصوفية الممتدة، فيهم الأصيل والدخيل، والأصيل من نهج نهج الحسن في جهاد النفس والبغي والعدوان، والدخيل من جعل التصوف رمزا للمباهاة بطقوس ورايات وشارات، وهو عن معنى الخشية الربانية بمكان بعيد[5].

إننا أمام عالم فذ.. استطاع أن يجمع علمه من خلال لقائه ثلاثمائة من الصحابة من بينهم سبعون بدرياً، ولنا أن نتصور كيف كان علم هذا الرجل!!

لقد عاين الإسلام من خلال أفعال هؤلاء الذين وصفهم النبي ﷺ بأنهم خير القرون ثم قارن بينهم وبين من تبعهم، وهو بالطبع أحدهم، ومع أنهم يلُونهم في الخيرية إلا أن الفارق آلمه فقال:

«إني أدركت صدر هذه الأمة، ثم طال بي عمر حتى أدركتكم، فوالذي لا إله غيره لهم كانوا أبصر في دينهم منكم في دنياكم، ولهم كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، ولهم كانوا من حسناتهم ألا تقبل منهم أشد شفقة منكم من سيئاتكم أن تؤخذوا بها»[6].

ولأجل ذلك كان قاسياً ذا لهجة حادة عندما مرَّ بباب عمر بن هبيرة وعليه القرَّاء، فسلمَّ ثم قال: «مالكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم؟ أما والله لو زهدتم فيما عند

(١) سنن النسائي جـ١ ص٦٠. (٢) سير أعلام النبلاء.

(٣) محمود النواوي. مجلة الأزهر المجلد ٢٥ ص٨٨.

(٤) نقلاً عن أ.د. محمد رجب البيومي: اشراق العارفين ص٣٦: ٣٧. هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٢٤هـ.

(٥) أ.د. محمد رجب البيومي. اشراق العارفين ص٣٧، ٣٨.

(٦) الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا.

الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله[7].

لقد كان في شدته يستحضر صورة السلف الصالح والصحابة الكرام بما كان لهم من سلوك مشرف وأدب إسلامي رفيع، ولعل حدته على من كانوا حوله أملاً في الوصول إلى درجة أكثر رفعة مما هم عليه. فبدأ بنفسه وبدأ مرحلة مجاهدة النفس حتى منّ الله عليه بذلك العلم والأدب النبوي، مما جعل الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز يطلب منه أن يكتب له وصفاً للإمام العادل.. فكتب له قائلاً:

«اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من الضباع، ويكنها من أذى الحر والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً؛ يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعته كرها، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله- عز وجل- كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله[8].

وهي رسالة طويلة تشهد ببلاغة صاحبها وقوة منطقه وعذوبة أسلوبه.

- يتبع -

---

(7) الأمالي.. لأبي علي القالي. وذكر أبو نعيم هذا الموقف في الحلية.

(8) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

العراق إلى أين؟!!

تصريح غريب خرج علينا به قائد القوات الأمريكية في العراق الجنرال ديفيد بيتريوس، حيث أكد أن مواجهة ما أسماه بـ «التمرد» سيستغرق فترة طويلة الأمد قد تستمر لعقود، وحذر من أن القوات الأمريكية تخوض معارك عنيفة تزداد عنفا قبل أن تهدأ!!

وأكد قائد القوات الأمريكية في العراق أن عملية القضاء على المسلحين قد تستغرق ما بين تسع إلى عشر سنوات.. هكذا بما يؤكد وبما لا يدع مجالا لأي شك أن الأمريكيين دخلوا العراق غزاة محتلين ليس بهدف القضاء على صدام حسين، وليس بهدف نشر الديمقراطية وإنما بهدف البقاء للأبد!!

وليت القوات الأمريكية نجحت في فرض الهدوء والأمن إذن لقلنا أن وجود هذه القوات له جوانبه الإيجابية، ولكن يوما بعد يوم تزداد وترتفع معدلات الدمار والقتل والتخريب وارتفع عدد المشردين من أبناء الشعب العراقي ممن اضطروا للهرب من أتون الديمقراطية المستعر في بلاد الرافدين ليتجاوز المليون حيث لا توجد احصائية دقيقة بشأنهم فضلا عن القتلى الذين وصل عددهم لأرقام مفزعة.

والسؤال الآن: لماذا كان هذا الغزو... وما هي أهدافه؟

تحقيق السعادة لأبناء العراق!

نشر الديمقراطية في العراق!

تبا لها من سعادة وتبا لها من ديمقراطية.

لقد حوكم صدام حسين وتم إعدامه بموجب اتهام له بمسئوليته عن مصرع عدد يقل عن المائتي شخص.. فمن الذي ينبغي اليوم أن يمثل للمحاكمة جراء جرائم قتل وتشريد وتدمير أمة وشعب؟

السؤال الأهم هو: من الذي استفاد ومن الذي خسر من إسقاط وإعدام صدام حسين؟! وهل كانت الأوضاع في العراق قبل الغزو الأمريكي الميمون أسوأ مما هي عليه الآن؟!

مجرد أسئلة ستبقى حتما بلا إجابات.

أحمد تقي الدين

معجزة الإسراء والمعراج

عن الإسراء والمعراج جاءت الكلمة التى وافانا بها الأستاذ/ أحمد عبدالمحسن على محمد ـ مدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقى - جيزة، قال:

حادث فريد تقف أمامه فى انبهار، أظهر الله - سبحانه وتعالى - فيه قدرته وكرَّم فيه نبيه - ﷺ - ألا وهو «الإسراء والمعراج» قال تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء / ١)

● واللافت للنظر أن هذا الحادث الجليل حدث لرسول الله - ﷺ - بعد متاعب وشدائد ثقيلة فقد حاصرته القبائل مع قومه فى شعب أبى طالب، ثم مات عمه «أبوطالب» الذى كان يدافع عنه، وكذلك ماتت السيدة خديجة زوجه الحنون التى كثيرا ما واسته حتى استحق عام وفاتهما أن يسمى «عام الحزن».

● ومن خلال هذه الشدائد التى أثقلت كاهل رسول الله - ﷺ - امتدت عناية الله لتنقذه وتقوى روح الثقة والاطمئنان فى صدره - ﷺ - حيث ضُيقت الطرق على دعوته - ﷺ - فى شعاب مكة فالله - سبحانه - قادر على أن يفسحها له فى هذا الكون الواسع قال تعالى:

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

(النجم / ١٨)

● كان حادث الإسراء والمعراج بالنسبة إلى كثير من العرب أمرا عجيبا ثارت بسببه العقول حتى استغله الكافرون ليثيروا شكوكا وأوهاما فى صدور البعض، حيث إنه - ﷺ - أسرى به فى ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فى الوقت الذى كانت قوافلهم تقطع ما بينهما فى شهر ذهابا وشهر إيابا.

● لعل الله اختار هذا الوقت ليكون امتحانا للجماعة المؤمنة حتى يميز الخبيث من الطيب، وحتى تعد هذه الجماعة نفسها لما هو أكثر من الاضطهاد والمعارضة فتكون صالحة للتضحية الكبرى المتمثلة فى الهجرة.

● حادث الإسراء والمعراج تسرية لرسول الله مما لقيه فى سبيل الدعوة فهو تكريم للإنسانية المتمثلة فى شخص أفضل البشر رسول الله ﷺ.

● فما أكثر العظات التى نلحظها فيه، وإن كان هناك من يشككون أو يستبعدون وقوع مثل هذا الحادث، فإن ما وصلت إليه البشرية من إنجازات علمية وتكنولوجيا

قربت البعيد وطوت المسافات، من أقوى الأدلة لتقريب هذا المعنى لأذهان البشر وأن ما هو أبعد من ذلك ليس ببعيد على رب العالمين، قال تعالى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الملك / ١)

● وعندما اختارت العناية الإلهية هذا المكان المقدس «بيت المقدس» ليكون مسرى النبى محمد - ﷺ - بياناً لأهمية وقدسية هذا المكان، ليزداد المسلمون لها تكريما، وليدافعوا عنها بكل غال ونفيس.

● وبالإسراء والمعراج أكمل الله لرسوله الشرف على جميع أهل السموات والأرض، فبلغ غاية الكمالات، وارتقى أسمى الدرجات.

منطلقات النجاح

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الصديق الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابى:

منطلقات النجاح نقدمها لكل صاحب همة، ورب عزيمة، ورفيق طموح، يريد النجاح، ولسان حالنا يقول له: هيا إلى المجد، وأقبل إلى المعالى، واهجر الكرى، وفارق الكسل، واصعد سُلَّم الإبداع، وترقَّ فى درج الكمال، واقرأ معنا هذه المنطلقات للنجاح، عسى أن تبلغ منازل الناجحين الفالحين:

ـ قيمة كل امرئٍ ما يُحسن، والعاطل صفر، والفاشل ممقوت، والمخفق رخيص.

ـ العمل، والجدهو الطريق الأعظم إلى المجد، وهو بلسم لأدوائك، وعلاج لأمراضك، بل هو كنزك.

ـ ركِّز اهتمامك على عمل واحد، وانغمس فيه، واعشقه لتكن مبدعا.

ـ أبدأ بالأهم فالمهم، وإياك والشتات وتوزيع الجهد على عدة أعمال فإنه حيرة وعجز.

ـ النظام طريق النجاح، ووضع كل شيء فى موضعه مطلب للناجحين، أما الفوضى فهى صفة مذمومة.

ـ لا يفوح العطر حتى يسحق، ولا يضوع العود حتى يحرق، وكذلك الشدائد هى لك خير نعمة.

ـ من ثبت نبت، ومن جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن صبر ظفر، ومن عزَّ بزَّ.

ـ الكسول مخذول، والهائم نائم، والفارغ بطال، وصاحب الأمانى مفلس.

ـ لمَّا هوى السيف قطع، ولمَّا اشتعل البرق سطع، ولمَّا تواضع الدر رفع، ولمَّا جرى الماء نفع.

ـ الناجح لا يغلب هواه عقله، ولا عجزُه صبرَه، ولا تستخفه الإغراءات، ولا تشغله

التوافه.

ـ إياك والضجر والملل، فإن الضجر لا يؤدى حقاً، والملول لا يرعى حرمة، وعليك بالصبر والثبات.

ـ من عنده همة متوقدة، ونفس متوثبة، ونشاط موار، وصبر دائم فهو الفريد.

ـ ألذ طعام بعد جوع، وأعذب ماء بعد ظمأ، وأهنأ نوم بعد تعب، وأجمل نجاح بعد تضحية.

ـ بارك الله لأمتى فى بكورها، فإذا أردت عملاً فعليك بالصباح فإنه أسعد الأوقات.

ـ لا تقف، فإن الملائكة تكتب، والعمر ينصرم، والموت قادم، وكل نفس يخرج لن يعود.

ـ إذا أصبحت لا تنتظر المساء، وبادر الفرصة، واحذر الغفلة وإياك والتأجيل والتردد، وإذا عزمت فتوكل على الله.

من علماء الإسلام

ابن يونس المصرى
مخترع رقاص الساعة!

ويواصل صديقنا الأديب الأستاذ/ فرج مجاهد عبدالوهاب -عضو اتحاد الكتاب- شربين- دقهلية- حديثه عن علماء الإسلام حيث يتناول فى هذا العدد «ابن يونس المصرى» يقول:

هو أبو الحسن على بن أبى سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس المصرى، من مشاهير الرياضيين والفلكيين فى القرن الرابع للهجرة. ولد فى مصر وفيها كانت وفاته فى شوال من سنة ٣٩٩هـ.

وابن يونس سليل بيت اشتهر بالعلم؛ فأبوه سعيد كان محدث مصر ومؤرخها وأحد العلماء المشهورين فيها. وجده الأعلى يونس كان صاحب الإمام الشافعى ومن المتخصصين بعلم النجوم صنع زيجا سماه (الزيج الحاكمى)، كما ترك آثارا عديدة، منها: غاية الانتفاع فى معرفة الدوائر والسمت من قبل الارتفاع التعديل المحكم، جداول السمت، جداول فى الشمس والقمر.

وابن يونس هو الذى أصلح زيج يحيى بن أبى منصور.

وبرع ابن يونس فى المثلثات وقد حل مسائل صعبة فى المثلثات الكروية واخترع حساب الأقواس..

ويبقى أن نشير أخيرا إلى أنه هو الذى اخترع رقاص الساعة وليس جاليليو كما هو شائع.

قصة قصيرة

جيش من الأكفان

وتحت هذا العنوان جاءت قصة قصيرة بقلم الأستاذ/ أشرف محمد عباس خالد -مدرس أول ثانوى بمعهد بنى مزار الثانوى بنين- منطقة المنيا الأزهرية:

> كان الوقت نهاراً.. الشمس حارقة تلهب الرءوس.. وكان قصر «رومانوس الرابع امبراطور بيزنطة لم يشهد حشدا عظيما كذلك الحشد من القادة والبطارقة الذين توافدوا من كل صوب فى ذلك اليوم على القسطنطينية (تركيا الآن).. استجابة سريعة لنداء امبراطورهم وزعيمهم رومانوس.

وما إن دخل رومانوس قاعة الاجتماع الحاشد حتى انخفضت الرءوس وصمتت الألسنة، وانحبست الأنفاس.. وساد الصمت المكان تنتظر مفاجآت رومانوس وأفكاره.

وجال ببصره فى الحضور، ثم لم يلبث أن صاح بلهجة حماسية: يا قادة بيزنطة وسادتها، تعلمون ما يضمره لنا ذلك المدعو «ألب أرسلان» قائد المسلمين من شر وعنف.. فلقد بلغنى أنه أقسم أن يطأ أرضنا، ويزيل ملكنا، ويفنى جمعنا، ويمحو آثارنا من الوجود..

وإنى لأخشى أن يبر بقسمه إن لم نحسم أمرنا ونجمع شملنا الممزق، ونعاجله بضربة تزيل ملكه، وتفنى جمعه، وتدوس رايته وتقضى عليه.. وإنى قد جمعتكم لأرى رأيكم فماذا أنتم فاعلون؟

وسرت فى الحشد همهمات، وهمسات.. لم تلبث أن قطعها صوت خشن لقائد من قادة التخوم المحاذية لثغور المسلمين يقول: بلغنى أيها الامبراطور العظيم أن «ألب أرسلان» فى طريقه الآن إلى عاصمة دولته «خراسان» وجيشه منهك القوى وفى حالة يرثى لها.. وأن ما تبقى من فلوله لا يتعدى الخمسة عشر ألفاً، أكثرهم مثخن بالجراح، فاقد لسلاحه، ومازال بينه وبين عاصمته مسافة شاسعة، وأرى أن نعاجله بجيش كثيف يدمره شر تدمير ويبيده عن بكرة أبيهم قبل أن يصل إلى عاصمته.. أو يصل منها مدد أو نجدة.

وارتفعت فى القاعة همسات الاستحسان لهذا الرأى، وارتفع صوت «رومانوس» يأمر بتنفيذ هذا الرأى فورا..

وما هى إلا أيام وكان رومانوس يقود جيشا كبيرا.. قرابة المئتى ألف مقاتل ويتجه به ليقطع الطريق على جيش المسلمين بقيادة «ألب أرسلان» وسرعان ما علم بالخطر الزاحف نحوه ويدرك ألا قبل له بملاقاة «رومانوس الرابع» وجيشه الضخم.. بجيش قليل العدد والعدة.. فيحاول أن يحتال على رومانوس فيغريه بالمال العظيم.. فيرفض ويعرض عليه أن يقطع عليه بعض الأراضى والهبات فيرفض أيضا.. ويصر على زحفه وتقدمه.. ويدرك «ألب أرسلان» أنه لا مفر من القتال، فيجمع أهل مشورته ويقول لهم: تعلمون من أنباء زحف رومانوس وجيشه الضخم، ولقد حاولت أن أثنيه عن عزمه بكل ما أملك من مغريات وممتلكات دون جدوى.. فهو مصر على أن يظفر بنا فيهلك جمعنا، وينكس رايتنا ويستأصل شأفتنا.. فلا يبقى للإسلام بعدها

رابة ولا شوكة تهاب.. وإنى قد عزمت بحول الله وقوته على القتال مهما كانت النتائج، وسأخرج لترى يكفننى، فلا مفر من القتال والشهادة فى سبيل الله، وهى أسمى أمانينا.. فمن رغب عن الجهاد فدونه المسالك يختار أيها إن شاء لكى ينجو، ومن رغب فى لقاء الله، فليتحنط، وليلبس كفنه، ويلحق بى لملاقاة الأعداء.

وما هى إلا ساعة.. حتى كان «أرسلان» يمتطى جواده، وخلفه قرابة خمسة عشر ألف جندى قد تكفنوا جميعاً بقماش أبيض، وقد فاحت رائحة الحنوط فى منظر مثير.. ينتظرون جيش رومانوس أرض القتال..

وتمر الساعات بطيئة ثقيلة.. ثم يظهر فى الأفق غبار ضخم ينبىء بوصول جيش «رومانوس».. وتتعالى صيحات المسلمين: «الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»..

ويفاجىء «رومانوس» وقادة جيشه بما رأوه وسمعوه.. وصعقتهم الدهشة.. ويلقى الله فى قلوبهم الرعب والخوف.. إذ لا يرون أمامهم إلا كتلة واحدة بيضاء.. يتعالى تكبيرها إلى عنان السماء.

وتبدأ المعركة.. وتشتد بين الجيشين.. ويتدافع المسلمون بأكفانهم ركضاً إلى الجنة.. وتتطاير رؤوس الكافرين.. وتسيل الدماء أنهاراً.. وتسابق المؤمنون للجنة.. وتدور معركة حامية.. وما كاد النهار أن ينقضى.. حتى هدأ ضجيج المعركة.. ويرتفع صوت فى الأجواء ينادى: أبشروا ياجيش الإسلام.. لقد أسر «رومانوس». فتعالت آنذاك أصوات المسلمين فرحاً: الله أكبر.. الله أكبر.

وإذ فرغ «ألب أرسلان» وجنده من أداء ركعات شكر لله جل شأنه على نصره وتأييده.. التفت إلى بعض جنده وقال لهم: أحضروا لى «رومانوس».. وجىء به مشدود الوثاق مكبلاً بالأغلال. فقال له «أرسلان»: يا رومانوس. ألم أعرض عليك المال والأرض والممتلكات.. لتكف عن أذى الإسلام وحرمات المسلمين وعن محاربة الله ورسوله.

قال: بلى.. قال القائد المؤمن: فلم لم تقبل؟

قال رومانوس: ظننت أنى سأقضى على دولتك وأسحق جيشك تماماً.

قال أرسلان: أما وقد أخزاك الله يا رومانوس، ماذا تظن أنى فاعل بك..

قال رومانوس: إن شئت فاقتلنى، وإن شئت فجرّنى بالسلاسل.. وإن شئت تقبل فديتى، وتعفو عنى.

وأطرق القائد المؤمن قليلاً ثم قال: يا رومانوس.. أتعاهدنى إن عفوت عنك ألا تقاتل بعد اليوم مسلماً أبداً.

قال رومانوس –وقد دمعت عيناه بعد أن أدرك أنه نجا من موت محقق بمعجزة– : لك عهدى يا قائد المسلمين.

وقام «ألب أرسلان» وفك قيود أسيره بيديه، وقال له: ستوصلك جنودى إلى مأمنك وبلدك على أن تحفظ عهدى.. وقد أمرت لك بخمسة عشر ألف دينار تستعين بها على وصولك لبلادك.

وانصرف رومانوس يصاحبه الخزى والعجب أيضاً من تصرف قائد المسلمين ورحمته.. وعظمة هذا الدين.. إن لكل ظالم نهاية.. وإن ربك لبالمرصاد.. ما كاد رومانوس أن يطأ أرض القسطنطينية حتى قبض عليه أتباعه وسجنوه، وما لبثوا أن قتلوه بسبب هزيمته النكراء أمام قائد المسلمين.. وهكذا انتصر المسلمون بإيمانهم.. وتوكلهم على الله.



الاعتراف بالمساجد فى بلجيكا ومساواتها بدور العبادة الأخرى

فى خطوة هى الأولى من نوعها منذ الاعتراف بالدين الإسلامى فى مطلع السبعينيات فى بلجيكا تقرر الاعتراف بالمساجد الإسلامية التى أقامتها الجاليات العربية والتركية المسلمة فى البلاد ومساواتها بدور العبادة الأخرى.

وقد تم الاعتراف بذلك فى المناطق الخمس التابعة للجزء القريب من الحدود البلجيكية مع فرنسا ويصل عدد المساجد المعترف بها إلى ٤٣ مسجداً من بين مايزيد على ٣٠٠ مسجد موزعة على أنحاء بلجيكا.

وبناءً على هذا الاعتراف تستطيع تلك المساجد أن تحصل على الدعم المالى والاعتماد على نفسها فى تنظيم أمور العمل، وتم التوقيع على هذا القرار خلال احتفال خاص بهذه المناسبة فى مقر مكتب وزير الداخلية فى الحكومة الوالونية بحضور أعضاء الهيئة التنفيذية للمسلمين وهى الجهة المكلفة بالإشراف على شئون المسلمين فى بلجيكا وتخضع للإشراف على عملها من جانب وزارة العدل فى الحكومة الفيدرالية للبلاد.

وعمدة مدينة بلجيكية يطالب بحظر الحجاب

أثار عمدة مدينة «أنتويرب» البلجيكية «باتريك جانسينس» المسلمين بإعلانه بحث حظر الحجاب فى الأماكن العامة وبين الموظفين خاصة المتعاملين مع الجمهور، وأكد أنه يقوم ببحث هذا القرار مع البرلمانيين الفلامنكيين قبل الانتخابات.

وقد أثار إعلان عمدة «أنتويرب» غضباً بين الساسة المعتدلين الذين يراهنون على أصوات الأجانب والمسلمين فى كسب مزيد من الأصوات الانتخابية وأكد وزير الشئون الروحية والدينية «بيرت انكيركيس» أن اتخاذ قرار حظر الحجاب فى «أنتويرب» يعد ضربة كبيرة لحزبه فى هذا الوقت وأكد معارضته للقرار بنسبة مائة بالمائة، موضحاً أنه يدعم الحرية الدينية.

قوانين مكافحة الإرهاب فى بريطانيا تستهدف المسلمين

أكدت موفدة خاصة للأمم المتحدة تحقق فى مسائل الحريات الدينية أن القوانين البريطانية الحديثة لمكافحة ما يسميه الغرب بـ«الإرهاب» تستهدف المسلمين وتقوض حقوق الإنسان. وقالت الموفدة المستقلة «أسماجهانجير» إنه على الرغم من أن الدولة بريطانيا تملك معرفة عميقة وثروة كبيرة من الخبرة فى معالجة مسائل التوتر الدينى والأعمال الإرهابية التى ترتكب لغايات دينية، فإن بعض القوانين الجديدة يعتقد أنها تستهدف المواطنين المسلمين.

أضافت: قد يثبت التطبيق التمييزى لقانون التوقيف والتفتيش والتدقيق الدينى أنه غير ناجح.

خطة أمنية لتشديد الرقابة على المساجد الأوروبية

أعلن الاتحاد الأوروبى دعمه للخطة الأمنية الجديدة التى وُضعت بهدف تكثيف الرقابة على مساجد القارة الأوروبية وتحديد الأئمة «الراديكاليين» لمواجهة ما أسموه «الإرهاب الداخلى» ـ على حد زعمهم.

وقال مفوض العدل والشئون الداخلية بالاتحاد الأوروبى «فرانكو فراتينى» فى ختام مؤتمر «مجموعة الستة» الذى شاركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وبولندا: «إن الخطة ستركز على مهام أئمة المساجد ومؤهلاتهم وقدراتهم على التخاطب باللغة المحلية فضلاً عن مصادر تمويلهم».

وذكر وزير الداخلية الإيطالية «جوليانو أماتو» أن لأوروبا تجربة واسعة بشأن «سوء استغلال المساجد» واستخدامها لأغراض تنافى دورها كدور عبادة.

إنشاء دار إفتاء ببريطانيا

رحبت جريدة الإيكونوميست البريطانية بالاقتراح الذى قدمه الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية خلال لقائه برئيس وزراء بريطانيا الذى دعا فيه إلى أهمية قصر إصدار الفتوى على العلماء المتخصصين والمتدربين على مجال الفتوى، والمشهود لهم من العلماء والمجامع الفقهية الإسلامية والمتميزين بالجمع بين الثوابت الدينية الإسلامية، ومعايشة الواقع الذى يحيا فيه المسلمون والقادرون على الربط بينهما حيث رحبت مصر بالمساعدة فى إنشاء دار إفتاء إسلامية ليكون لبريطانيا مفتيا خاصاً بها.

باكستان حذرت بريطانيا من خرق قرار دولى بسبب منح سلمان رشدى لقب «فارس»

فى تطور جديد لقضية الكاتب «سلمان رشدى» كشفت صحيفة «الأوبزرفر» البريطانية النقاب عن أن باكستان حذرت بريطانيا من أن منح رشدى صاحب كتاب «آيات شيطانية» لقب «فارس» يمثل خرقاً لأحد قرارات الأمم المتحدة والذى يهدف إلى تهدئة التوترات والنزعات العصبية بين مختلف العقائد والأديان. كما أن قرار الأمم المتحدة رقم (١٦٤٢) يطالب الدول الأعضاء بالمنظمة الدولية بالتشجيع على الحوار وتقريب التفاهم كوسائل لمنع العنصرية والتمييز التى تستهدف الأديان والثقافات.

حظر رفع الأذان فى مساجد أذربيجان

سادت حالة من الغضب في صفوف مسلمي أذربيجان بسبب قرار حكومتهم بحظر رفع الأذان باستخدام مكبرات الصوت بزعم أنه يسبب إزعاجا. واعتبروا هذا انتهاكا لحرية العقيدة ويمثل عودة لعهد القمع الشيوعي.

ووصف «الييجار إبراهيموجلو» مدير مركز حماية حرية الأديان ـ غير الحكومي بأذربيجان ـ هذا الإجراء بأنه مناف للعقل، وأضاف: لا أعرف أى مكان فى العالم يطبق مثل هذا الحظر على رفع الأذان سواء فى أوروبا أو الولايات المتحدة، ناهيك عن البلدان الإسلامية الأخرى وهذا الإجراء يمثل عودة إلى التوجهات البلشفية الإلحادية تجاه الدين.

تعد أذربيجان إحدى دول الاتحاد السوفيتى السابق ويشكل المسلمون نحو ٩٣,٤٪ من عدد سكانها البالغ مجموعهم ٨ ملايين نسمة، وينقسمون بين طائفتى الشيعة والسنة حيث يمثل الشيعة ٧٠٪ من نسبة المسلمين، بينما يبلغ السنة نسبة ٣٠٪.

وقد شهدت هذه الجمهورية الغنية بالنفط نهضة وإحياء للعقيدة الإسلامية بعد استقلالها فى أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتى السابق عام ١٩٩١، والتحقت بعضوية منظمة المؤتمر الإسلامى فى نهاية تسعينيات القرن الماضى.

وخلال الحكم السوفيتى أغلقت المساجد فى أذربيجان وحُرم المسلمون من أداء الصلوات فى الأماكن العامة ومن السفر لأداء فريضة الحج.

إغلاق المدارس الإسلامية بهولندا

أصدرت نائبة وزير التعليم الهولندى «شارون دايكسما» قراراً بإغلاق ثلاثة مدارس إسلامية للتعليم الأساسى بالعاصمة أمستردام.. وقالت فى خطاب لها للبرلمان إن المدارس الثلاث لن تحصل على أى دعم حكومى مالى، وعلى التلاميذ أن يبحثوا عن مدارس أخرى للانتقال إليها، والمدارس المغلقة هى: مدرسة «الفاروق عمر» التابعة لمجلس مدينة «زيسرخ»، ومدرسة التقوى التابعة لمقاطعة الشمال بالعاصمة، ومدرسة إبراهيم الخليل فى الشرق من العاصمة.

وتعد هذه المرة الأولى التى يتم فيها إغلاق مدارس إسلامية بموجب قرار حكومى رسمى صادر من البرلمان حيث سبق أن أنذرت إدارة التفتيش على التعليم معظم المدارس الإسلامية بداية العام الجارى بالإغلاق وذلك تحت مزاعم انخفاض مستوى التعليم بها، ووجود مخالفات بالإدارات وعدم مساهمة هذه المدارس فى اندماج المسلمين فى المجتمع الهولندى، ومن المتوقع أن يتم إغلاق هذه المدارس لاحقا.

انتشار الإسلام فى أوروبا وأمريكا رغم تصاعد الأعمال العنصرية ضده

معاداة الإسلام فى تصاعد مستمر داخل أوروبا وأمريكا ورغم ذلك فنسبة اعتناق الإسلام مازالت فى تصاعد، هذا ما كشفه تقرير أمريكي أعدته منظمة حقوقية أمريكية تدعى «حقوق الإنسان أولا»، اعتمد التقرير على دراسات واستطلاعات ميدانية قام بها عدد من الباحثين التابعين للمنظمة ونشرته منظمة الأمن والتعاون الأوروبى التى تتخذ من بوخارست مقرا لها حيث أشار التقرير إلى أن الهجوم ضد المسلمين فى أوروبا وأمريكا يفوق وبكثير الهجوم الذى يتعرض له المواطن اليهودى الذى يحصل هو والدولة العبرية على اعتذارات وتعويضات ضخمة إذا تجرأ أحد فى أوروبا وتفوه بكلمة شعر منها أى مواطن يهودى أنها تنال منه أو تشكل أى نوع من العنصرية ضده.

ويضيف التقرير أن أى مسلم تكتشف هويته فى أى مكان فى أوروبا أو أمريكا سرعان ما يتعرض لممارسات غير إنسانية لعل أبسطها التهكم والسخرية من ديانته ووصفه بالعديد من الأوصاف التى تنال من كرامته، وفى أحيان كثيرة يتعرض المسلمون للضرب والإهانة فى أى مؤسسة حكومية يلجأون إليها لإنهاء أوراق رسمية.

وأشار التقرير إلى أن العديد من العواصم الأوروبية شهدت العامين الأخيرين تصاعداً مطرداً فى حالات التحرش والإساءة للمسلمين، ويلعب الإعلام الغربى دورا هاما فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وهو ما يعطى انطباعات سيئة لدى المواطن الغربى عن الإسلام والمسلمين.

الغريب أن العديد من التقارير أشارت إلى أن الإسلام ورغم تعرضه للإساءة إلا أنه مازال الدين الأكثر انتشاراً فى العالم كله ومازال يغزو قلوب البشر فى كل مكان، حتى إن الأرقام تشير إلى أنه ومنذ أحداث الحادى عشر من سبتمبر اعتنق الإسلام ما يقرب من النصف مليون إنسان فى أوروبا والغرب عموما وهو ما جعل العديد من الأقلام الصهيونية تطالب بحصار الإسلام فى أوروبا حتى لا تتحول إلى قارة مسلمة فى القريب.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبد الله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

رئيس وزراء تايلاند يستقبل فضيلة الإمام الأكبر

فى إطار الزيارة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر لمملكة تايلاند توجه فضيلته إلى مقر الحكومة التايلاندية يرافقه سعادة السفير أشرف الخولى سفير مصر فى تايلاند، وكان فى استقبال فضيلته السيد/ سيرايود -رئيس الوزراء التايلاندى، ومعالى وزير التعليم، ومعالى وزير الدولة للشئون الخارجية، ومعالى وزير الدولة لمجلس الوزراء، وسفير تايلاند فى القاهرة، وقد ألقى رئيس الوزراء كلمة رحب فيها بفضيلة الإمام الأكبر معربا عن سعادته البالغة بقبول فضيلته تلبية الدعوة معتبرا أن هذه الزيارة هى زيارة تاريخية للمملكة، لما للأزهر من مكانة عالية، ما يقوم به الأزهر من نشر للثقافة الإسلامية السمحة على مستوى العالم.

وقدم شكره للأزهر على المنح الدراسية التى يقدمها للطلاب المسلمين من تايلاند للدراسة بالأزهر لكون الأزهر أعرق مؤسسة إسلامية وهى تمثل رسالة سلام للمسلمين فى جنوب تايلاند. ومن جانبه ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة شكر فيها رئيس الوزراء على دعوته الكريمة، ونقل إليه تحيات مصر رئيسا وحكومة وشعبا، وقدم فضيلته شرحا موجزا لدور الأزهر فى مجال التعليم الذى يتميز بالسماحة والوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة مؤكدا على الأخوة الإنسانية التى تدعو إليها الأديان جميعا، وكذا العقول الإنسانية السليمة، وعبر فضيلة الإمام عن بالغ تقديره لانتهاج رئيس وزراء تايلاند لسياسة التصالح والدعوة السلمية من خلال الحوار تجاه مشكلة جنوب تايلاند.

هذا وقد التقى أمس فضيلة الإمام بشيخ الإسلام فى تايلاند بمقر شيخ الإسلام وبحضور زعماء المسلمين فى بانكوك وبعض خريجى جامعة الأزهر وأعضاء البعثة الأزهرية فى تايلاند، وقد أدى فضيلته صلاة الظهر بأقدم مسجد فى بانكوك العاصمة وبحضور بعض علماء وقيادات المسلمين.

بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن أنواع الزواج

ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته الطارئة المنعقدة يوم السبت ١٦ من جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢ من يونيه ٢٠٠٧م. أنواع الزواج وأجاب بما يلى:

أولاً: الزواج الشرعى الموثق

وهو الزواج الذى استوفى الأركان والشروط الشرعية وتمت كتابة عقده فى وثيقة رسمية بواسطة الشخص المختص بذلك قانونا، وحكمه أنه زواج صحيح شرعاً وقانوناً.

ثانياً: الزواج الشرعى الذى لم يوثق

وهو الزواج الذى استوفى الأركان والشروط الشرعية وهى: زوج وولى وشاهدا عدل وإشهار العقد بأى وسيلة من وسائل الإشهار والصيغة بشرطها مع انتفاء الموانع الشرعية ولكنه لم يسجل عقده فى وثيقة رسمية على النحو المشار إليه فى البند «أولاً» إلا انه معروف ومشهور بين الأهل والجيران سواء تم عقده شفويا أمام الشهود أم تمت كتابة هذا العقد فى ورقة عرفية بوساطة أحد الزوجين أو غيرهما.

وهو عقد صحيح تترتب عليه جميع الآثار الشرعية، إلا أن هذا العقد قد تترتب عليه مشاكل كثيرة تلحق المرأة والأولاد ولذلك ننصح بعدم اللجوء إليه.

ثالثاً: الزواج السرى

وهو زواج يتم بين رجل وامرأة سرا بعيداً عن الأهل ويعقد شفويا أو كتابة فى وجود شخصين أو أكثر بصورة سرية حيث يختلس الطرفان المتعة سرا عند وجود فرصة لذلك. وبدون علم الولى والأهل والأقارب وبدون توفر الشروط الشرعية وهو حرام لا يصدق عليه وصف الزواج حتى وإن سمى زواجا وإنما هو فى الحقيقة ارتكاب لفاحشة الزنا التى هى من أقبح الفواحش وأسوئها وهو زواج محرم شرعا.

وبذلك يتبين ان هناك فرقاً شاسعاً بين الزواج الشرعى الذى لم يوثق والذى اشتهر بين الناس بالزواج العرفى وبين الزواج السرى الذى يخلط بعض الناس بينه وبين الزواج العرفى، فالأول حلال والثانى حرام.

وهناك ألوان أخرى يطلق عليها أنها زواج لكن لا وجود لها فى مصر.

بيان مجمع البحوث الإسلامية حول ما نسب إلى فضيلة المفتى

استعرض مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته الطارئة المنعقدة يوم السبت ١٦ من جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢ من يونيه ٢٠٠٧م ما نسب إلى فضيلة المفتى من أنه أجاز التبرك ببول النبى (صلى الله عليه وسلم) وقد أجاب فضيلة المفتى بأنه لم يقل ذلك كفتوى وأقر أمام المجلس بأنه قد سحب نسخ الكتاب من السوق والتى وردت فيه هذه المسألة وأنه سيحذف من الكتاب ما جاء فيه بالنسبة لهذه المسألة وغيرها.

والمجمع بالإجماع يرفض القول بالتبرك ببول النبى (صلى الله عليه وسلم)

بيان مجمع البحوث الإسلامية حول تعيين المرأة فى سلك القضاء

استعرض مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته بتاريخ ٢ / ٦ / ٢٠٠٧م السؤال الخاص بالحكم الشرعى فى مسألة تعيين المرأة فى سلك القضاء.

وقد أجاب المجمع بما يلى:

١- يرى الأئمة مالك والشافعى وأحمد بن حنبل أن المرأة لا يجوز أن تتولى وظيفة القضاء.

٢- ويرى الإمام ابن جرير الطبرى، والإمام ابن حزم، أن المرأة يجوز أن تكون قاضيا على الإطلاق فى أى شىء.

٣- ويرى الإمام أبوحنيفة، أنه يجوز للمرأة أن تتولى وظيفة القضاء فى القضايا المدنية دون قضايا الحدود والقصاص..

هذه هى أشهر الآراء الشرعية فى مسألة تعيين المرأة فى سلك القضاء.

وللمسئولين فى وزارة العدل المصرية، أو مجلس القضاء الأعلى بمصر، حق اختيار الرأى الذى يرونه مناسبا من بين هذه الآراء الثلاثة، لأنهم هم أهل الدراية والاختصاص فى هذه المسألة التى اختلف فيها أئمة الفقهاء على حسب اجتهاد كل فريق منهم.

وهذا هو المعروف فى علم أصول الفقه، وفى منهج علاج النوازل والقضايا والأحكام التى اختلفت اجتهادات أهل الثقة من الفقهاء فى حكمها.

بيان مجمع البحوث الإسلامية بشأن ختان الإناث

أكد مجمع البحوث الإسلامية بجلسته بتاريخ ٢٨ / ٦ / ٢٠٠٧ أنه فى ضوء الجدل المثار حول ختان الإناث، وموقف الشريعة الإسلامية منه.. وفى ضوء ما وقع مؤخرا من وفاة إحدى بناتنا المسلمات نتيجة ممارسة هذه العادة التى ينسبها البعض خطأ إلى تعاليم الإسلام.

ناقش مجمع البحوث الإسلامية المسألة من جانبيها الفقهى والصحى.. وأجمع أعضاؤه على أن التحقيق العلمى يكشف فى جلاء عن أنه لا أصل من أصول التشريع الإسلامى أو أحكامه الجزئية التى يجعل هذه العادة أمرا مطلوبا بأى وجه من أوجه الطلب.. وإنما هى عادة ضارة انتشرت واستقرت فى عدد قليل من المجتمعات الإسلامية.. وقد ثبت ضررها وخطرها على صحة الفتيات على النحو الذى كشفت عنه الممارسات فى الفترة الأخيرة.

لذلك وجد المجلس من واجبه أن ينبه إلى هذه الحقيقة العلمية والصحية وإلى ضرورة تنظيم حملة إرشادية وإعلامية تحذر المواطنين من ممارسة هذه العادة الضارة.

بيان من مجمع البحوث الإسلامية

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وهو يشاهد ما حدث ويحدث فى العالم العربى والإسلامى، من فتن كقطع الليل المظلم. يستنكر ما وقع ويقع فى العراق من تخريب لبيوت الله -عز وجل- ومن تدمير لمراقد الصالحين من عباده ويرفض ما حدث ويحدث من قتال مفجع غريب مؤلم بين الفصائل الفلسطينية ويشجب ما قام به المجرمون فى لبنان من عدوان أثيم، وغدر خسيس على الآمنين والمجمع يذكر الجميع بقوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

ويدعوهم إلى نبذ هذه الجرائم المنكرة التى ستعود على الكل بالخزى والعار والذل والهوان.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس جمهورية العراق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٥ / ٦ / ٢٠٠٧ معالى السيد/ طارق الهاشمى -نائب رئيس جمهورية العراق، والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد/ طارق الهاشمى والوفد المرافق لسيادته فى الأزهر الشريف مشيرا إلى الأخوة الصادقة والمحبة الخالصة للشعبين المصرى والعراقى، وأن كلا من البلدين يعتبران قطعة واحدة، وأكد فضيلة الإمام الأكبر بأن العالم الذى نعيشه الآن يحتاج إلى التكاتف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ونحن نتابع ما يحدث فى العراق وندعو الله أن يجنب العراق الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يزيد عدد العقلاء فى العراق للتغلب على ما يحدث وذلك بتكاتفهم وترابطهم ونسيان الماضى، وأن تبدأ العراق حياة جديدة تقوم على العدل والبعد عن التعصب الأعمى، والخلافات المذهبية، وأن ما يحدث فى العراق بين الشيعة والسنة والأكراد وغيرهم مسألة يجب أن ننساها، وأن الاختلاف فى بعض المذاهب الدينية عند العقلاء لا يؤدى إلى حرب بل إلى نقاش وحوار لأن العقائد لا تباع ولا تشترى ولا إجبار على العقائد. ومن جانبه شكر السيد نائب رئيس جمهورية العراق باسمه واسم أعضاء الوفد فضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء، موضحا أن زيارته لمصر والأزهر الشريف جاءت من أجل التحاور فى هموم الشعب العراقى ولما للأزهر من مكانة فى قلوب العراقيين لوسطيته واعتداله.

نتيجة الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر الشريف- صباح يوم الخميس الموافق ٧ / ٦ / ٢٠٠٧م - نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧م على مستوى الجمهورية بنوعيها (مبصر - كفيف).

حيث بلغت النسبة المئوية العامة للنجاح ٧٠٪ وتقدم للامتحان ١٤١٥٩٣ تلميذا وتلميذة حضر منهم ١٤٠٥٠٣ وبلغ عدد الناجحين ٩٨١٨٨ تلميذ وتلميذة.

العشرة الأوائل بالجمهورية (مبصر)

١- آلاء سامي عبدالغفار شلطوم - محلة زياد - الغربية - ٩٩,٦٩٪.

٢- آية مرسي أبوالعباس محمد علي عمار - ديرب نجم - الشرقية - ٩٨,٣١٪.

٣- نور حسن محمود فؤاد - عبدالحليم محمود - القاهرة - ٩٨,٣١٪.

٤- فاطمة مهاب محمد عبدالرحمن - الاشراف النموذجي - الجيزة - ٩٨,٣١٪.

٥- لميس علي إبراهيم أحمد - كفر الحمام - الغربية - ٩٨,٣١٪.

٦- فاطمة محمد رشاد محمد - إمام المرسلين - سوهاج - ٩٨,١٥٪.

٧- انجي محمد زاهر محمد المنشاوي - طلائع الأزهر الشريف الخاص - القاهرة - ٩٨,١٥٪.

٨- أبرار محمود عبدالواحد العدل - ميت طاهر - الدقهلية - ٩٨,١٥٪.

٩- مريم محمد عبدالرحيم سعيد - ميت بدر حلاوة - الغربية - ٩٨,١٥٪.

١٠- مريم الدسوقي عبدالباري علي - أبو دشيشة - الدقهلية - ٩٨,١٥٪.

١١- شروق عادل إبراهيم علي الشوربجي - نهطاي - الغربية - ٩٨,١٥٪.

العشرة الأوائل بالجمهورية (كفيف)

١- مريم صلاح محمود حسنين - برج العرب النموذجي - الاسكندرية - ٩٧,٧٨.

٢- عبدالملك مصطفى إبراهيم محمد - المقاطعة - الدقهلية - ٩٧,٣٣.

٣- ياسر محمد السعيد فتحي سالم - برج النور - الدقهلية - ٩٦,٤٤.

٤- أحمد بدير بدوى طه - الراهبين - الغربية - ٩٦,٠٠.

٥- مي يوسف عبدالعزيز قوده - عزيز فهمي - الغربية - ٩٥,١١.

٦- سيد عفيفي سيد عفيفي - السلام سبيكو النموذجي - القاهرة - ٩٣,٧٨.

٧- آية الله عاصم عبدالفتاح محمد - الطابيه - أسوان - ٩٣,٥٦.

٨- محمد عبدالونيس ماضي عبدالونيس - الزازيق - الجيزة - ٩٣,١١.

٩- محمود محمد إبراهيم الصياد - المحلة الكبرى - الغربية - ٩٢,٨٩.

١٠- أحمد محمد إبراهيم عطية - كفر العزازي - الشرقية - ٩٢,٦٧.

النتيجة على موقع الأزهر على شبكة الانترنت وهو: WWW.ALAZHAR.GOV.EG

كما تشير المؤشرات الأولية لتصحيح أوراق إجابات طلاب الثانوية الأزهرية للعام الدراسي ٢٠٠٦/ ٢٠٠٧ بمرحلتيها في الدور الأول إلى ارتفاع نسبة النجاح في تصحيح عينة الفقه الحنفي والشافعي

للقسم العلمي التي وصلت ٩٨٪، والفقه المالكي ٩٦٪، والفقه الحنبلي ١٠٠٪، كما أشارت إلى نسبة العينة في تصحيح مادة الكيمياء ٨٥٪، كما تشير العينات إلى أن نسبة النجاح في القسم الأدبي في مادة الفقه الحنفي وصلت ٧٨٪، ونسبة النجاح في مادة الفقه الشافعي وصلت ٦٧٪، ونسبة النجاح في الفقه المالكي ٥٤٪، كما بلغت نسبة النجاح في الفقه الحنبلي ١٠٠٪، ونسبة النجاح في تصحيح عينة مادة التاريخ ٦٩٪ ومادة المنطق ٧٠,١٪

جاء ذلك عقب جولة فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر لمتابعة سير أعمال التصحيح بالكنترول، وقد أصدر فضيلته التعليمات إلى رئيس الكنترول بضرورة المراجعة الدقيقة لأوراق الإجابات وتحري أقصى درجات الدقة في عملية التصحيح.

كادر معلمي التربية والتعليم يطبق على معلمي الأزهر

تفقد فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر يرافقه فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح علام -رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ/ محمد الخزرجي -الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، مراكز تصحيح أوراق الاجابة في مراكز -مجمع مدينة نصر النموذجي- أحمد الليبي- مصر الجديدة العسكري- الخازندار بشبرا، واطمأن على دقة العمل في هذه المراكز وطمأن المعلمين بأنهم سوف يحصلون على حقوقهم كاملة من قانون الكادر الجديد للتربية والتعليم.

وقد صرح فضيلته بانه يجرى الآن اتخاذ الإجراءات القانونية لتطبيق كادر المعلمين الخاص بوزارة التربية والتعليم على معلمي الأزهر الشريف في أقرب وقت، وسيتم عرض الموضوع على السيد رئيس مجلس الوزراء لرفعه إلى السيد رئيس الجمهورية لتطبيق الكادر على معلمي الأزهر اعتبارا من تاريخ تطبيق القانون الخاص بالتربية والتعليم.

هذا وقد وافق المجلس الأعلى للأزهر بالإجماع بجلسته الطارئة المنعقدة في ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٧م على أن: (تسرى أحكام القانون رقم ١٥٥ لسنة ٢٠٠٧ بتعديل بعض أحكام قانون التعليم رقم ١٣٩ لسنة ١٩٨١ على جميع المعلمين بالمعاهد الأزهرية بمراحلها المختلفة الذين يقومون بالتدريس أو بالتوجيه الفني أو بالإدارة المدرسية بالمعاهد الأزهرية وعلى الإخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التكنولوجيا وإخصائي الصحافة والإعلام وأمناء المكتبات بما يتواءم ونظم التعليم بالمعاهد الأزهرية المنصوص عليها بقانون إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥.

مع السير في الإجراءات التشريعية العاجلة لإصدار مشروع قانون خاص في هذا الشأن بتعديل بعض أحكام قانون إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها وذلك توحيدا للمعاملة بينهم وبين المعلمين التابعين لوزارة التربية والتعليم.

Scenes from the Night Journey…!

By: The honorable Sheikh. `Umar Ad-Deib

Al-Azhar Deputy

{All Extolment be (to Him), who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which we have blessed, that we might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever, Hearing, The Ever-Beholding.} [Al- Isra'a (The Night journey) : 1]

Allah, Glory be to Him, sent Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) to the people with a message to complete the previous Heavenly messages, and to be the last suitable message for every time and place. It includes what reforms humanity, and achieves safety and peace to mankind.

He made Mohammad the last Prophet to be entitled to this honorable mission to inform the people with this message saying:

{Say, "o you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether}

[Al-A`raf (The Battlements): 158]

Allah, Glory be to him, supported him with many material and spiritual miracles and signs. The miracle of Night Journey is one of the eternal material miracles to witness the truthfulness of the message, and to announce to the humanity that Mohammad is Allah's Messenger, and that his religion is true.

If we look at the miracle of the Night Journey, we will find in it many scenes. Some of which are:

Time scene:

The time in which this miracle occurred is called grief year, as the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) lost his wife Khadija, the mother of believers (may Allah be pleased with her) as well as his uncle Abu Taleb, who was strong support in his life. When his uncle died, Quraysh harmed him. The prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Quraysh has never harmed me except after the death of Abu Taleb"

Also, his wife Khadija, who believed and compensated him by her own self and money, died. The one who supported him and his da`wah died with her sympathy, compensation and support. She supported him in the hardest times, as she used to help him in transmitting his da`wa along with sympathizing with him. Quraysh exploited this opportunity and increased her harm and tyranny against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the Muslims.

Place scene:

When the harm of the disbelievers to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) increased, he moved to Al Taif to ask for help. However, the circumstances were not better than those in Mecca. He found enmity in Al Taif such as what he found before the Night Journey. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said that the worst day which he passed through was the day of his return from Thaqif, when some foolish men and boys threw stones over the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) till his honorable legs bled.

What Salah Ad-Din will do against the troops of Europe while fighting by the troops of Egypt, Syria and sometimes Iraq and the peninsula! The genius hero complained in a message sent to the Abbasi Caliph asking for stirring the Muslim princes to help him. I will mention part of this message in the following chapter. He mentioned in such message that tens of European ships are sent daily. If the Crusaders lost in the battle twenty, they were supplied by a hundred. However, he fought with his limited troop without compensation for the martyrs.

This means that the claim of the abundance of the Islamic troops can be considered if the Crusade emirates were not full of the coming mercenaries. Thus, the claim of the abundance of the Islamic troops is to be considered. The one who says, "Not all of them fought." The question here is why did not they participate in the battle of life and death? Why did they come?.

Regarding the factors surrounding the battle used as an excuse by the European analysts, they represented the conflict over Jerusalem between the rulers of the Crusade Campaigns and Beldwin the Fourth, its regent. The regent, Jan Lozjinan did not prove his ability for leadership, as he was defeated many times in a way that destroyed his political glory. The ill king felt that he was mistaken in appointing him as regent, and sought to divorce his sister from him not to lose his strong bond to the royalty.

Beldwin the Fourth died, and Beldwin the Fifth, the young king was appointed under the regency of Raymond the Third, the price of Tripoli. This appointment may stir enmity between him and the previous regent who possessed alone two cities. The sister of Beldwin the Fourth resorted to Hercules, the Vicar of Christ of Jerusalem to ask for the right of her husband to rule Jerusalem.

He hurried to enthrone her and her husband breaking the regency of Raymond the Third. The latter found that he would clash with the authority of the religious head. Thus, he preferred to withdraw in anger, the matter that satisfied the opponents of Raymond fearing the extension of his authority if he reigned both of Jerusalem and Tripoli. They hurried to pledge allegiance to Jan Lozjinan.

This means that the Crusaders' word is dispersed, as they became separated sects. Every vigilant hero in the situation of Salah Ad-Din should evaluate this cracking making the best use of it to achieve his holy message. Arnat ignored this fact when he breached the truce held with Salah Ad-Din. He exploited his location at Al Kark in the way of the caravans departing to pilgrimage from Egypt to Saudi Arabia. He started to plunder the caravans fiercely as we previously explained.

He previously committed a similar mistake, and tried to satisfy Salah Ad-Din by declaring his mistake. Then, he betrayed him again horribly in addition to scorning the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Salah Ad-Din was not ready for subsidiary fighting with such a rash person whose case may end at overthrowing him from his small municipality. He concentrated more on collecting all of the Crusaders for a great battle whose end should be decisive. He was satisfied to send a messenger to take the properties plundered by Arnat from the hajjes and releasing the unarmed persons.

Allah revealed it to him till he started to describe it. He informed them about their caravans which he saw on his way and the time of their coming back. The incident resembled what he said, the matter that increased their alienation. Abu Bakr was called the truthful because of believing this incident before knowing it from the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), while the other people regarded him as a liar.

The denial of Mecca's disbelievers for this incident indicates that they realized from the very beginning that the ascension journey happened by body not by soul.

The dream can not be debated about or regarded as a lie. Their denial for the ascension journey of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) reveals that they did not study carefully the holy verse of Allah:

{All Extolment be (to Him), who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further Mosque, around which we have blessed, that we might show him (some) of Our signs. Surely He, Ever He, is The Ever Hearing, The Ever Beholding.}

[Al-Isra'a (The Night Journey): 1]

Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) did not claim that he walked by himself to make them think about these human standards. However, Allah let Mohammad ascend to Him while He is the Creator of time and place, and He is able to cancel and maintain time with His unmatchable ability. Thus, there is no amazement in letting Mohammad ascend to Him in a part of a night or less.

Salah Ad-Din Al-Ayouby and Hittin Battle...!

By: Mohammad Rajab Al-Bioumy

Hittin battle was deeply analyzed by the foreign historian as it was the decisive warning for the end of the Crusade role in the East. It eliminated the European dreams which were regarded as facts by the war launchers.

If some of the foolish people tried to extinguish the brilliant victory of Salah Ad-Din in his conquest over the Crusaders in this battle claiming that there were non-military factors caused the Crusaders' failure, our defense is that this military hero estimated the atmosphere surrounding the battle. He was aware of the factors that defeat his enemy to make the best use of them, the matter that caused the brilliant political skill of Salah Ad-Din.

Mr. Churchill, the great political leader, said in his analysis of the battle that the abundance of the Islamic troops is the reason for success. We can respond to his saying by the fact that the Crusade troops in the different European emirates were more numerous than the troops of Salah Ad-Din. The Crusade troops were not well led in a wise way, as it is well known that the Crusade ships did not stop supplying along the days of the Crusade invasion.

Those who limit the Crusade campaigns to seven consider the formal campaigns that were led by the formal kings and remarkable princes. While the passing ships sent by the Church at the time of sending messengers wandering around Europe from the south to the north, announcing mercy for anyone who catches the ship did not stop supplying.

I raised my head and found a cloud that shaded me. I looked and found Jibril who told him, "Allah heard the speech and response of your people to you. Allah has sent with me the lord of mountains to order him with whatever you want. The lord of mountains called and saluted me saying, 'if you want me to bury those people under Mecca mountain and Q'aiqi'an, I will do.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, I want Allah to create out of them people who worship Him and to believe that there is no god but Allah.

In the above mentioned response, the merciful nature and great morals of the Prophet's personality are revealed. The prophet's heart was eased for this Divine support which Allah gave him through seven heavens immediately after hearing the Prophet's supplication.

This event followed the tough treatment the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) has encountered in his dealing with the people of the earth.

Allah-Glory be to Him- wanted to compensate the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) for the tough treatment he received from his family.

Allah revealed to him His hospitality and great miracles to support his heart to be able to perform his Message. Thus, the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would be reassured that Allah would advocate him without leaving him alone, and that Allah will compensate him for the types of harm and enmity he faced.



No doubt that Allah has the greatest ability that does not resemble any other one in the world. If He willed, he would have advocated the Prophet from the very beginning. However, He wanted him to be a good pattern for his nation in devotion and care.

Then Allah willed to prove His honor for the Prophet (Amay the blessings and peace of Allah be upon him) by this divine ascension journey to eliminate the troubles he faced, and to give him a strong push for the sake of continuing the Message of Allah with vitality and enthusiasm.

The ascension journey is regarded as a great event in the Islamic Da'wah which started with the delegation of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), the ascension journey and the immigration. Imam Ibn Al-Qaiem narrated that, "the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) traveled by his body from the Enviable Mosque to Al-Aqsa Mosque on his Buraq accompanying Jibril. He descended there and prayed with the prophets being their imam (leader). He tied the Buraq with a ring to the door of Al-Aqsa Mosque.

Then he ascended at this night from Al-Aqsa Mosque to the seven heavens where the prayers were imposed. They were fifty prayers, then were decreased to five in the regard of work and fifty in reward with the consultancy of Moses (peace be upon him) whom he saw in the sixth heaven.

In the morning, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) informed his people with the miracles that Allah revealed to him. Then, they regarded him more as a liar, and asked him to describe Al-Aqsa Mosque.



their boys and slaves mocked and insulted him throwing stones at him till his honorable feet were bleeding. He left them and sat at the shadow of small trees of grapes in the garden of `Utbah Ibn Rabi`ah and Shaybah Ibn Rabi`ah who were there.

They were sorry for what the foolish people did to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). They called a Christian boy named Addass giving him some grapes and telling him to give it to that man. Addass did what he was ordered to do and gave the grapes to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), who said, "in the Name of Allah" before eating. Addass looked at him and said, "I swear, this speech is not said by the people of this country." Then, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told him, "where are you from? And what is your religion". He said, "I am Christian from the town of Ninawa. Then, the Prophet said, "You belong to the village of the good man, Yunus Ibn Matta. The man told him, "How did you know Yunus Ibn Matta?" The prophet said, "He is my brother. He is a prophet and so am I. Then the man bowed and kissed the head, hands and legs of the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

He returned to `Utbah and Shaibah who asked him, "Why did you kiss the head, hands and legs of this man?" He answered, "Nothing on earth is better than him as he informed me with a matter not known except by a prophet. They told him, "O Addass, you will abandon your religion." After the guy left the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), he remembered what occurred to him at the hands of the inhabitants of Al – Taif and Thakif feeling depressed and frustrated because the people turned away from him without believing.

Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) turned to his Lord and started his prayers and the following words are

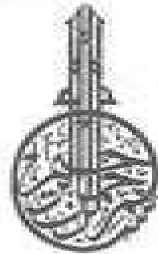
still preserved as those through which his oppressed soul gave vent to his distress. He was wary and wounded but confident of the help of his Lord:

"O Allah to You alone, I make complaint of my helplessness, the paucity of my resources and my insignificance before mankind. You are the most Merciful of the mercifuls. You are the Lord of the helpless and the weak. O Lord of mine! Into those hands would you abandon me: Into hands of an unsympathetic distant relative who would sullenly from at me, or to the enemy who has been giving control over my affairs?.

But I your wrath does not fall one me, there is nothing for me to worry about. I seek protection in the light of your countenance, which illuminates the heavens and dispels darkness, and which controls all affairs in this world as well as in the Hereafter. May it never be that I should incur Your wrath, or that you should be wrathful at me. And there is no power nor resource, but yours alone."

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) returned to his way to Mecca after coming out of the garden feeling depressed and frustrated. When he reached the location of houses, Allah sent to him The angle Jebril accompanied by the angle of mountains asking for his order to destroy the people of Mecca by collapsing the mountains of Mecca over them. This incident was narrated in detail in a speech told by `Urwah Ibn Al- Zubair. `Aisha (may Allah be pleased with her) told him that she asked the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), "have you encountered a day tougher than 'Uhud? He answered, "I faced many hard times from your people, the worst of which was the day of Al-Aqabah when I offered myself to Ibn Abd Yalil Ibn Abd Kalal who did not respond to me. I went away in distress till I found myself in Qarn Al- Tha`alib which is called the location of houses.

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
August. 2007

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Mohammad's Night Journey (Al-Isra'a and Al- Mi'raj) is a means for Easing the Grief of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)...!

By: Dr. Ibrahim Al- Assil

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) lost in one year two dear persons, each of whom has an important role in his life. The first is his wife, Khadijah (may Allah be pleased with her), who was the best support for him as she compensated and advocated him in hard times, removed the elements of depression form his life and strengthened his soul. The second is his uncle, Abu Taleb who defended him against the stubbornness and harm Quraysh as its leaders accumulated against the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). They regarded him as a liar, and accused him of magic, soothsaying and madness. They considered him unsuitable for the Message, as the Messenger-from their point of view- should be rich and great.

Allah says:

{And they have said, "Had this Qur'an been successively sent down upon a man of meninence in the two town?"Is it they divide the mercy of your Lord? We have divided among them their subsistence in the present life and raised some of them above (some) others in subsistence in the present life} [Az-Zukhruf (Decoration): 31/ 32]

They regarded everyone who believed him as a target to be attacked. They tightened the grip around him giving him the worst attributes. Mohammad pleaded the inhabitants of Al-Taif for help, however, he found them tougher than Quraysh. They neither welcomed him, nor listened to his Da'wa (calling). He did not hear except what he hated as

الفهــــرس

الأزهر

هدية العدد

ملامح التجديد الفقهي

عند الإمام الرازي



قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

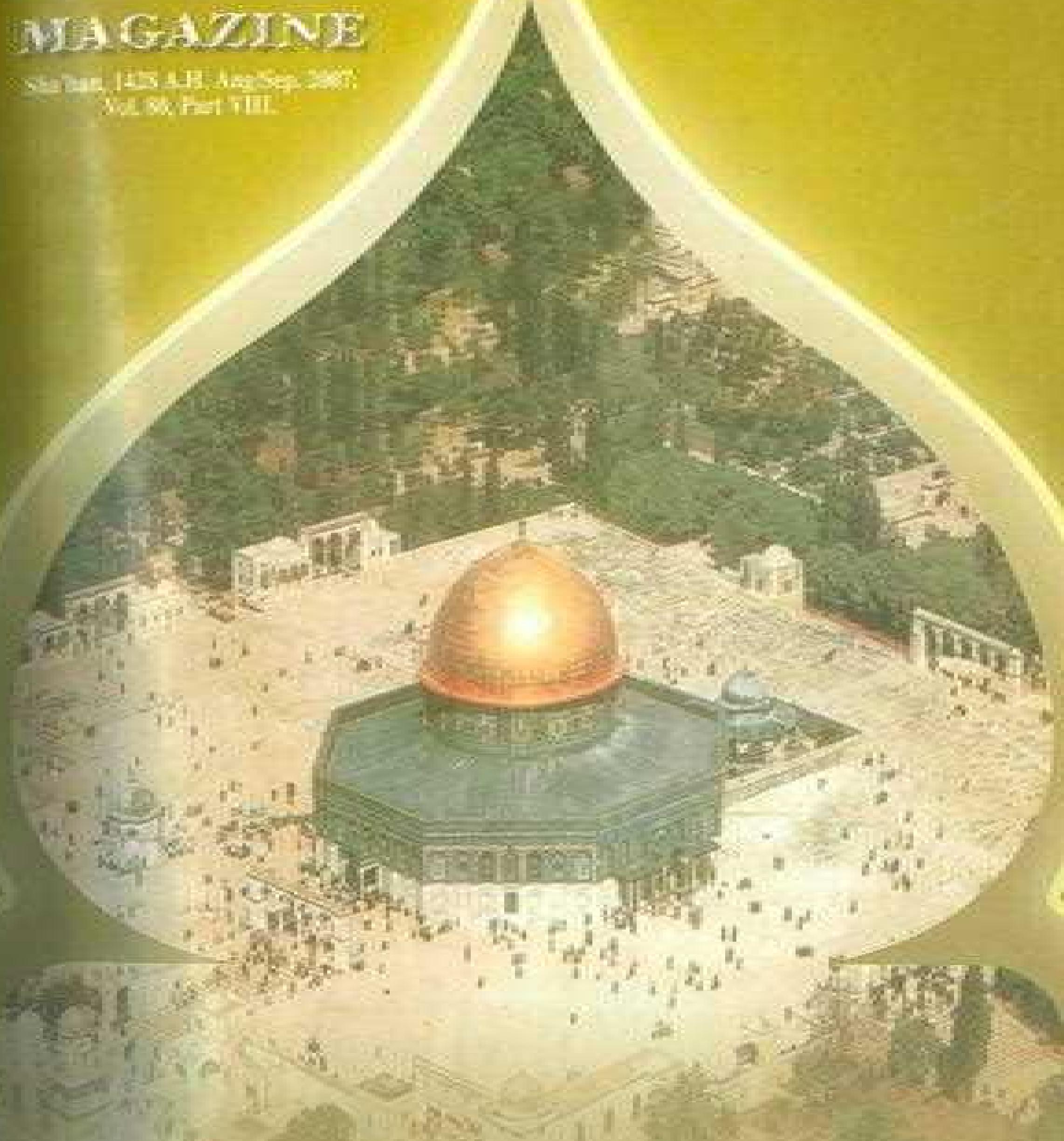
VOL. 80 , Part VIII.

AL AZHAR

MAGAZINE

Sha'ban, 1428 A.H. Aug/Sep. 2007.

Vol. 80, Part VIII.



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٨هـ - أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٧م - الجزء الثامن - السنة الثمانون

افتتاحية العدد

من جحيم الواقع

مسلسل الانتحار الذى لاينتهى!

يعتصر قلب الإنسان فى ضلوعه اعتصارا حين يطالع يوميا فى الصحف مسلسل الانتحار الذى لا يقف عند حد، وقد يكون الانتحار شاملا أسرة بأجمعها، حيث يطلق الوالد الرصاص على أولاده وزوجته! وهذا ما يحدث فعلا فى وقائع مثيرة. لقد كانت أخبار الانتحار فى الجيل الماضى وما قبله نادرة شاذة، بحيث لا يقرأ عنها الإنسان إلا فى فترات متباعدة لا تمثل ظاهرة اجتماعية أليمة، أما اليوم فالمسلسل الرهيب يتوالى متتابعا فى غير انقطاع ولا نجد فريقا من الباحثين الجادين يعكف على تحليل أسبابه ورسم الطريق لملافاته! لا نجد إلا إحصائيات تعلن النسب المئوية التى تدل على تفاقم هذه الكارثة عاما بعد عام، وأغرب ما قرأته فى إحدى الصحف أنها نشرت بعض الإحصائيات فى أوروبا وأمريكا لتدل على أن النسبة فى مصر أقل منها فى الدول المتحضرة. فلنا أن نطمئن إذن ولا نلتفت إلى فداحة ما نقرأ من الأنباء!! وقد نسى هؤلاء أن الانتحار الغربى فى أمريكا وأوروبا انتحار ترف ومجون ثم هو فى أكثره لا يبعث الرحمة لهؤلاء الذين سئموا النعيم وتشوقوا إلى ما فوقه من أفانين اللذة المحرمة، فحين لم يجدوها اندفعوا إلى الانتحار، أما المصرى المنتحر ففى أكثر من تسعين فى المائة من أحواله يرجع انتحاره إلى الجوع والمسغبة وإلى حيرة الشاب العاطل حين لا يجد عملا، والأب المرهق بأعباء أسرته وقد سدت فى وجهه أبواب الرزق! فعلينا إذن أن نترك هذه المقارنة الباردة تماما، لأنها غير ذات موضوع.

وأكثر ما يعوق البحث الجدى عن أسباب الانتحار هو ما يتجه إليه بعض الباحثين حين يلجئون إلى معلومات مقررة فى بعض العلوم النفسية والدينية والاجتماعية فيجعلونها سببا مباشرا لهذه المأساة دون أن ينظروا إلى الواقع العملى فى المجتمع، فقد قرأت لباحث يشتغل بعلم النفس قوله فى تعليل ظاهرة الانتحار: إن الإنسان كل إنسان يجمع فى نفسه غريزتين متضادتين: غريزة البقاء، وغريزة الفناء. فغريزة البقاء تدفعه إلى الحياة بأسباب يدريها شعوريا، وغريزة الفناء تدفعه إلى الموت بأسباب لايدركها شعوريا وهى كامنة فى أعماقه، وبهذه الغريزة المستترة يندفع المنتحر إلى مصيره تحت تأثير قوى لايملك له دفعا، وهذا كلام بعيد كل البعد عن مأساة الانتحار، فلئن جاز أن يقال فى تعليل عوامل الموت الطبيعى، فإنه لايقال فى تعليل الانتحار وهو غير طبيعى ومحال أن يقدم عليه الإنسان استجابة لعامل خفى فى نفسه لايعرف أسبابه. فالعاطل يعرف جيدا أنه انتحر لضيق ذات يده، والمريض الميئوس من شفائه يعرف جيدا أنه انتحر تخلصا من آلامه، والطالب الراسب فى الامتحان يعرف أنه انتحر ضيقا بحياته التى لم تحقق له رجاءه المأمول. وهكذا يصبح القول بتنازع غريزتى البقاء والفناء خارج مأساة الانتحار تماما، وكان على السادة الذين يتذرعون بما يعرفون من حقائق علم النفس أن يعلموا أن أول ما يجب الاهتمام به هو نفسية المنتحر كفرد وليس الحكم الجماعى بصالح للتطبيق المطلق فى هذه الحالات، أو إذا وفق عالم النفس لدراسة شخصية المنتحر فسيغنيه ذلك عن الاعتصام بنظريات قد تكون واقعية أو خيالية، وهى فى هذا الموقف خيالية قطعا، ونحن نشكر هذا الطراز من النفسيين لو سكتوا تماما فإنهم يجعلون الانتحار فرضا محتوما لا مفر منه، وهذا غير صحيح!

ونحن كمؤمنين نحب أن نسمع صوت الدين من علمائه فى هذه المأساة، ومن هؤلاء من يقدم النصيحة والموعظة بالتى هى أحسن ولكن منهم من يزيد الحريق اشتعالا، غير ملتفت إلى مقام الحال، فنحن نعلم سلفا تحريم الانتحار، ونقرأ الآثار النبوية الدالة على العقاب الأخروى الهائل لمرتكب هذه النكسة الموجعة ولا ننتظر فى موقف العزاء حين يجتمع الناس فى حفل المواساة أن يخطب من يتحدث عن الانتحار كجريمة، ولكننا نطلب من يضمد الجراح ويطفىء اللهب. أعرف أن عالما فاضلا تجمع حوله الناس ليسمعوا ما يقول، فوفقه الله إلى قول مريح، حيث أعلن أن الذى يقدم على الانتحار لا يكون فى وعيه العقلى المتزن، بل تعصف به عواصف تشله عن التفكير الصحيح وإذا كان المذنب الذى يرتكب جريمة فى حق غيره قد يكون فى غير وعيه فيحيله القضاء إلى الطب الشرعى ليبحث مدى قدرته العقلية فى تصريف الأمور ويأتى البحث مؤكدا عدم اتزانه فيكون ذلك داعيا إلى إنقاذه، إذا كان ذلك هو الشأن مع من يرتكب الجريمة فى حق غيره، فالذى يرتكبها فى حق نفسه أجدر وأولى بالسؤال عن مدى قدرته العقلية حين جن جنونه فارتكب المحظور على غير إرادته، وقد رفع القلم عن ثلاث وأحدهم المجنون حتى يفيق»[١] فقد أفاض الرجل فى هذا المنحى إفاضة حكيمة جعلت الأقربين من ذوى الرحم ينهالون على يده تقبيلا ولثما، ولا أقول ذلك مهونا شأن الجريمة، ولكنى أقول إن مراعاة المشاعر الإنسانية هى أوجب واجبات الإنسان المتحضر، أما الذين يفرحون بمآسى الناس ويبالغون فى تجويف الاتهام فيبعدون عن رحمة الله قبل أن يبعدوا عن قلوب المفجوعين.

أذكر أنى قرأت منذ عهد بعيد مقالا رائعا للدكتور العالم الأديب أحمد زكى عن هذه المأساة، والوصف بالروعة لا يفى حق المقال من التقدير والإعجاب حيث تعرض الكاتب العالم والمصور الفنان إلى أهل الفقيد واصفا حالتهم النفسية وحرجهم الاجتماعى فى مجتمع لايقدر انكسار القلوب والتياع

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦/١٠٠، المستدرك للحاكم ٢/٥٩، ٤/٣٨٩.



د. أحمد زكي

الصدور، فقال في شفقة تقطر بالدموع، وسأطيل الاقتباس منه، إذ هو أبلغ ما قرأته في بابه وغنيمة القارىء منه أوفى الغنائم إذا قيست بما نقول، وسأتصرف بعض التصرف زيادة في كلمة أو حذفا من جملة فلا ملام!

يقول العالم الأديب الفنان في كتابه «بين المسموع والمقروء» تحت عنوان «ليته يدرى»: «أي مرارة صبها ذلك المنتحر في كأس حياة زوجته وأولاده، ليته يدرى أنه جنى على زوجته فضاعف آلامها وسلبها حتى برد عزاء العزين، وحال بينها وبين السلوان، فالمرأة المفجوعة في زوجها على الطبيعة تلقى الناس فلا تخشى شيئا والناس لايخشون أن يطيلوا لها في الرثاء ويسهبوا، أما المرزوءة في زوجها انتحارا فتلقى الناس وتخشى سؤالهم وهم من جانبهم يخشون الحرج فتكون تعزيتهم اقتضاباً، وكثيرا ما يكون كلامهم صمتا، وتجلس المرزوءة تستعيد هذا الشريط الذى يحمل ألوان ماضيهم فلا تجد بعد الذى حدث صفاء ولا تجد طعما لما كان من النكات والضحكات والفرح في العيش معا لما سر، والحزن معاً لما ساء، وقد ربطت الزوجة والزوج بروابط لم يعبأ بها الزوج حين صمم على مفارقة الحياة.

أما الأولاد فيقعون في أزمات نفسية مستعصية، فإذا تحدث صديقات البنت عن آبائهن سكتت البنت فلا تشترك في الحديث، وماذا تقول؟! وإذا تحدث أصدقاء الولد عن آبائهم يسمع الولد ولا ينطق، تسمع أذنه للألم، ويتعقد لسانه عن الإفصاح وفي الإفصاح التنفس من ضيق وفي الحديث «استشفاء من الألم» ثم يكر بالذاكرة إلى حياة أبيه، فيقول بينه وبين نفسه: لقد نشأ والدى في الفقر وعاناه كثيرا، ثم تبدلت به الحياة فذاق حلاوتها واستعاد هدوءه ثم تجهم له وجهها فعاد إليه خوفه القديم من الفقر، فانهارت أعصابه واختل توازنه فخر صريعاً!

وأعود للزوجة وهي تجتر خواطرها السود فتسأل نفسها: كيف جاز له أن يعلم أن في وفاء حاجة الجسم غناء عن حاجة النفس، ولو عاش لكافحنا سويا وكان لنا في الكفاح على الإخلاص لذة، فلمن نقول هذا وا أسفاه، والأذن التى تريد أن تسمعها ملؤها التراب؟! وإنه الألم الدائم واليأس الذى لا رجاء فيه» هذا بعض ما كتبه الدكتور أحمد زكي ومعروف أن الخواطر التى ذكرها عن الزوجة والابن والبنت لم تكن تخطر على المنتحر في بال حين هم باقتراف ذنبه، لأن الحياة حين تسود في عيني بائس لا تتيح له أن يفكر فيما سيكون! وإذا أحس القارىء أني أرحم المنتحر حين يرد مورد الهلاك في ساعة اليأس فليس كل منتحر جديرا بهذا الشعور الرحيم فهناك من المنتحرين من لا تأسى على فراقهم، وهم الذين غرقوا في ملاذ الترف الفاحش، فأتاحت لهم ظروف آبائهم أن يتملكوا الفنادق والمطاعم والشقق الفاخرة في أرقى الأحياء، وكان في ذلك لو حسنت تربيتهم الخلقية من المهد ما يكفل لهم سعادة الحياة في جنة هي الفردوس الناضر، ولكنهم التفتوا إلى شهوات النفس المنحدرة فأخذوا يبدلون الزوجات ممن يعرفن بالفنانات، ويبذلون للواحدة في الوقت القصير ملايين الجنيهات، ولا يسأمون من تكرار المشاهد المتتابعة نزقا وإسرافا وتهتكا وابتذالا، ثم يأتي الخلاف المتوقع فلا يفيء العابث اللاهي إلى عقل

عاصم، بل يندفع إلى مجزرة بشرية تحصد الأرواح ومعه السلاح الرهيب الذى يملأ بيته دون سؤال! ثم يختم هذه المأساة البشعة بانتحاره ومثل هذا العابث اللاهي لا يؤسى عليه بل يؤسى على ضحاياه التعساء الذين أوقعتهم الأيام في شركه، والمجتمع لاينجو من المسئولية الخلقية حين احترم هؤلاء في حياتهم وهو يرى اندفاعهم المشين أقنقرن هذا العابث بمن يخلص من حياته لضيق ذات يده وفداحة مسئوليته؟! إن بينهما لبونا بعيدا وإن كانت العاقبة هي الوبال!

قلت: إن المجتمع لاينجو من المسئولية حين بالغ في احترام من لا يستحق الاحترام بل أضافهم إلى فئة الجد والنشاط حين أطلق عليهم عبارة «رجال الأعمال» وقد كثر ترداد هذه العبارة كثيرا في هذه الأيام حتى شملت تجار المخدرات وسماسرة العمل في الخارج ولصوص البنوك، بل شملت العاطلين الذين لايعرفون بابا للرزق الشريف، فأصبح من السهل على كل نصاب أفاق أن يقول عن نفسه إنه من رجال الأعمال، وقد كان كبار الماليين في الجيل الماضي من أمثال: طلعت حرب، وعلي إسلام، ومحمد فرغلي، وأحمد عبود، وسيد جلال، ومحمد يس، وطاهر اللوزى لا يسمون أنفسهم رجال الأعمال وهم من ركائز الاقتصاد في مصر حتى أصبح المظهر الخارجي الزائف لدى بعضهم هو كل مؤهلاته، فلماذا لا يحدد المسئولون تعريفا دقيقا لمن يجوز أن يعتبر نفسه من رجال الأعمال، فإذا ادعى مدع ماليس له جوزي بالعقاب؟!

أعود إلى مأساة الانتحار فأذكر أن هناك ما يشبه الإجماع على أن أدواء الأمة المستعصية هي الجهل والفقر والمرض وأنها هي أيضا من دواعي التبرم بالحياة، والحق أن عدو الأمة شيء واحد فحسب هو الفقر، لأن المريض إذا كان ذا مال فعلاجه ميسور ويصبح سليما معافى بماله، والجاهل إذا كان ذا مال أتاح له ماله الدرس الخصوصي الذى يمحو به معرة الأمية، أما الذى لا علاج له فهو الفقر، وهو أقوى أسباب الانتحار، وعلى المسئولين أن يحاصروه في أقرب ملابساته وظروفه، فإذا تهدم منزل آهل بالسكان وتشرد ساكنوه دون مأوى، أو إذا طرد نفر من العمال وأغلقت أبواب الرزق أمامهم، أو إذا أصيب عامل في حادث فجائي ولم يستطع أن يكسب قوته! فكل هذه الحالات مظنة انتحار قادم لا يستبعد توقعه! وهنا يكون التكافل الاجتماعي حكومة وشعبا بابا للإنقاذ الضروري من الخطر المتوقع، ولكن هذه الحالات المفاجئة تحدث دون تدبير وتكرر أمامنا ولا من نصير!

ومن بواعث الإقدام على الانتحار أن المكروب الضائق بحياته لايجد صدرا حليما واسعا يستمع إلى شكواه في عطف فقد يضطر إلى مكاشفة صديق أو قريب أو زميل بيلواه تنفيساً لأوار يشتعل في أحشائه وينتظر أن يجد منه تجاوبا مريحا يمده بأسباب البقاء، فلا يجد غير العزوف ومحاولة إنهاء الحديث، وقد ينحط أحد هؤلاء فيتخذ من حديث صاحبه سخرية يلهو بها متفكها بين زملائه، ويتنقل الأمر إلى البائس التعيس فيزيد اللهب اتقادا، وحين دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى إغاثة الملهوف وأشاد بمن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا لم تكن هذه الدعوة الكريمة مقصورة على العطاء المادى فحسب، بل تمتد إلى كل ما يوجب الراحة والاطمئنان من مساعدة، وكم بائس مكدود تفتحت آماله بكلمة طيبة

ومشورة صادقة فانقلب بؤسه نعيماً ونحسه سعدا وأنا أعرف من ذوى الفضل من يفهم ذلك حق الفهم فلا ينتظر أن يكاشفه محدثه بشجونه، بل يفتح هو باب الحديث مشجعا ملاطفا ويحسن الاستماع مبتسما، ثم يقوم بما يستطيع من وسائل العون قولا وفعلا، ولكن هذا الطراز النادر من فضلاء القوم شحيح نادر! مع أن سعة الصدر ليست ذات مشقة مرهقة بل هى سهلة الوجود بالمران والتعود، وإذا لم تكن طبعا فإن التطبع يمهد لها كما يأتى التحلم بالحلم والتساخى بالسخاء!



خليل مطران

ما أقرب الإنسان من الإنسان! إن تقارب الأحاسيس وائتلاف المشاعر يشد الإنسان شدا وثيقا إلى شبيهه مع تفاوت السن وتباين الثقافة وارتفاع المستوى الفكرى واختلاف النظر إلى الأشياء عمقا وضحولة، فقد كنت فى عهد الدراسة الثانوية منجذبا إلى شعر الأستاذ خليل مطران انجذابا لا حد له وأنا فى بيئة علمية تعتبر أحمد شوقى شاعرا لا يعلى عليه، لأننى كنت أجد نفسى فى قصائده الوجدانية وموضوعاته القصصية، فأحس أنه يعبر عن خواطرى فى كثير مما يقول، ولست مغرورا حين أعترف بذلك، ولكن أريد أن أقول: إننى أنهل من مائه فارتوى وأفىء إلى ظله فاستروح، وكان مما هزنى من روائعه قصيدة حزينة قالها فى مصرع شاب منتحر هام وجدا بحواء وكان ذا ثراء، فمنحها أكثر مما كانت تأمل ثم فضلت غيره عليه، فجن جنونه ورمى نفسه بين الأمواج مبكيا على شبابه الغض وأحلامه التى ذوت كالهشيم، وأستشهد ببعض أبياتها لا لتكون مثلا يقتدى به، فالشاعر نفسه يحذر من العاقبة النكراء، ولكن أستشهد بها لتكون صورة للأسى اللاعج حين يغشى المرء فيسلبه رشاده ويدفعه إلى جنون محتوم فيرمى بنفسه فى أعماق اللج غير مدرك ما صنع، وإذا كان هذا واقعا مشهودا لا حيلة للبائس العاجز فى اجتنابه فقد أحسن الشاعر وصفه الدقيق حين قال باكيا متحسرا على فقد هذا الشاب الخئون:

باغتــــــه اليــــــأس وأى امــــــرىء
يقــــــدر فى حــــــال على رده؟
طيف حلا ظل كـــــــمحموم الخطى
من يعـــــــترض مسلكه يرده
يلابس الجـــــسم ويغشى الحشـــــا
ويملأ الهـــــامة من حـــــده
حلم هلامى اللظى فـــــاجع
يبلغ منه منتـــــهى جـــــهده
حـــــتى إذا مـــــا امـــــتص منه النهى
فى مـــــستطيل الجنح مـــــسوده

أطلقـــــه من حـــــالق ذاهلا
فـــى نيـــلـــه يـــهـــلك أو ســـده
صـــيـــد من الماء ولو أنصـــفـــوا
لـــظـــل فـــى المـــاء عـــلـــى رده
يهـــزه الماء رفـــيـــقـــا به
كـــمـــا يهز الطفل فى مـــهـــده
مـــستضى تنقى الجـــسم والبُـــرد لا
فى جـــســـمـــه لوث ولا بُرده
مـــتـــبـــرداً بالماء فى تقـــدمـــه
شـــغـــل عن المـاء وعن بـرده
مـــات مـــرجى فى اقـــتـــبـــال الصبى
يا خـــيـــبـــة الدنيـــا ولم تُفـــده

وقد مات الدكتور إسماعيل أحمد أدهم منتحرا وكان أول كاتب أخرج بحثا قيما عن حياة مطران وأدبه، فجزع الشاعر لمصرعه وعاتبه عتابا صادقا حين قال:

بفـــقـــدك مـــخـــتـــاراً صدمت عـــقـــيـــدة
وأوقـــعـــت حكمـــا حـــبْـــر الحكمـــاء
وغـــالبك الطبع العـــيـــوف على الحـــجـــا
فـــأصـــدر من قـــبـــل القـــضـــاء قـــضـــاء

وبعد..

فإن ازدحام القنوات الفضائية بالإعلانات الغاصة بألوان الترف العابث فى المأكل والمسكن والملبس مما يوقع الحسرة فى نفوس بائسة لا تجد لقمة العيش الضرورية إلا بشق النفس وماذا يصنع الجائع المسكين حين يشاهد أولاده بعض هذه المظاهر المترفة فى فضائيات الجيران - إذ ليس لديه غير وابور الجاز - ثم يحدثونه عن أملهم فى التهام الفتات مما يرون؟! وهو لا يقدر على الضرورى الملح مما يمسك الرمق ويبحث عن باب للعمل فلا يجد!! أما يكون الانتحار بعض ما يفكر فيه! وهو ما يحدث فعلا وتتسلسل فجائعه فى الصحف والمجلات!

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (الآيات: ١٤٤ : ١٤٥)

قال ابن كثير: لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقتل من قتل منهم نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمداً. وإنما قد ضرب رسول الله ﷺ فشجه في رأسه فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، فحصل ضعف ووهن وتأخر -بين المسلمين- عن القتال ففي ذلك أنزل الله -تعالى-:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[1]

[1] تفسير ابن كثير جـ١/٤٠٩.

وقوله -تعالى-:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

تقرير لحقيقة ثابتة، ولأمر مؤكد وهو أن محمدا ﷺ واحد من البشر، وأنه سيموت كما يموت جميع البشر، وأنه ليس له صفة تميزه عن سائر البشر سوى الرسالة التي وهبها الله -تعالى- له ومنحه إياها، وأن هذه الرسالة لا تقتضي بقاءه أو خلوده، إذ الرسل الذين سبقوه قد أدوا رسالتهم في الحياة كما أمرهم خالقهم، ثم ماتوا أو قتلوا.

ومادام الأمر كذلك فمحمد ﷺ سيموت وينتقل إلى الرفيق الأعلى كما مات الذين سبقوه من الأنبياء، وكما سيموت جميع البشر.

والقصر في قوله -تعالى-:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾

من باب قصر الموصوف على الصفة، أي قصر محمد ﷺ على وصف الرسالة قصرا إضافيا.

وفي هذا القصر رد على ما صدر من بعض المسلمين من اضطراب وضعف حين أرجف المنافقون في غزوة أحد بأن الرسول ﷺ قد قتل.

فكأنه -تعالى- يقول لهم: إن محمدا ﷺ من الرسل الذين أرسلهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وسيكون مصيره إلى الموت إن عاجلا أو آجلا كما هو شأن سائر البشر الذين اصطفى الله -تعالى- منهم رسله، إلا أن رسالته التي جاء بها من عند الله لن تموت من بعده، بل ستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يصح أن يضعف أتباعه في عقيدتهم أو في تبليغ رسالته من بعده، بل عليهم أن يتمسكوا بما جاءهم به، وأن يدافعوا عنه بأنفسهم وأموالهم.

ولذا فقد وبخ الله -تعالى- بعض المسلمين الذين صدر منهم اضطراب أو ضعف عندما أشاع ضعاف النفوس بأن الرسول ﷺ قد قتل في غزوة أحد فقال -تعالى-:

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾

أي: إذا مات محمد ﷺ -أيها المؤمنون- وقد علمتم أن موته حق لا ريب فيه، أو قتل وهو يدافع عن دينه وعقيدته:

﴿ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾

أي: رجعتم إلى ما كنتم عليه من الكفر والضلال. والانقلاب: الرجوع إلى المكان. وهو هنا مجاز في الرجوع إلى الحال التي كانوا عليها قبل الإسلام.

يقال لكل من رجع إلى حاله السيء

الأول: نكص على عقبيه، وارتد على عقبيه والعقب مؤخر الرجل وجمعه أعقاب.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾

الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبب، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل، مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد ﷺ لا للانقلاب عنه.

فإن قلت: لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل؟ قلت: لكونه مجوزاً عند المخاطبين. فإن قلت: أما علموه من ناحية قوله:

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة: ٦٧)

قلت: هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة [٢].

وفي قوله:

﴿ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

تنفير شديد من الرجوع إلى الضلال بعد الهدى وتصوير بليغ لمن ارتد عن الحق بعد أن هداه الله إليه.

فقد صور -سبحانه- حالة من ترك الهداية إلى الضلالة بحالة من رجع إلى الوراء وبصره إلى الأمام وأعقابه هي التي تقوده إلى الخلف وهو في حالة انتكاس بأن جعل رأسه إلى أسفل وعقبيه إلى أعلا، ولا شك أن هذا أقبح منظر يكون عليه الإنسان.

وقوله:

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾

الغرض منه تأكيد الوعيد، لأن كل عاقل يعلم أن الله -تعالى- لا يضره كفر الكافرين.

أي: ومن ينقلب على عقبيه بعد وفاة النبي ﷺ بأن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر والضلال فلن يضر الله شيئا من الضرر وإن قل، إنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وبحرمانها من الأجر والثواب.

ثم أتبع -سبحانه- هذا الوعيد بالوعد فقال:

﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾

(٢) تفسير الكشاف جـ١/ ٤٢٣.

أي: وسيثيب الله -تعالى- الثابتين على الحق والصابرين على الشدائد الشاكرين له نعمه في السراء والضراء، سيثيبهم على ذلك بالنصر في الدنيا وبرضوانه في الآخرة.

وعبر هنا بالشاكرين ولم يعبر بالصابرين مع أن الصبر، في هذا الوطن أظهر، وذلك لأن الشكر في هذا المقام هو أسمى درجات الصبر، لأن هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين وقفوا إلى جانب النبي ﷺ في ساعة العسرة لم يكتفوا بتحمل البلاء معه فقط، بل تجاوزوا حدود الصبر إلى حدود الشكر على هذه الشدائد التي ميزت الخبيث من الطيب، فالشكر هنا صبر وزيادة، وقليل من الناس هو الذي يكون على هذه الشاكلة ولذا قال -تعالى-:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾

(سبأ: ١٣)

فالآية الكريمة قد تضمنت عتابا وتوبيخا لأولئك المسلمين الذين ضعف يقينهم، وفترت همتهم، عندما أرجف المرجفون في غزوة أحد بأن الرسول ﷺ قد قتل، كما تضمنت الثناء الجزيل على أولئك الثابتين الصابرين الذين لم تؤثر في قوة إيمانهم تلك الأراجيف الكاذبة بل مضوا في جهادهم وثباتهم بدون تردد أو تزعزع ولقد كان الثابتون حول رسول الله ﷺ في غزوة أحد كثيرين ومن بينهم أنس بن النضر -رضي الله عنه- فقد روى البخاري عن أنس -رضي الله عنه- قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع.

فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المسلمين- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-.

ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ!! الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه:

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

(الأحزاب: ٢٣)(٣)

كما تضمنت الآية الكريمة التحذير من الارتداد عن دين الله بعد وفاة الرسول ﷺ وبيان أنه بشر من البشر، وأنه يموت كما يموت سائر البشر، وأن رسالته هي الخالدة الباقية، فمن تمسك بها فقد سعد وفاز، ومن أعرض عنها فلن يضر الله شيئا.

ثم بين -سبحانه- أن الآجال بيد الله وحده وأنه -سبحانه- قد جعل لكل أجل وقتا محددا لا يعدوه فقال -تعالى-:

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾

أى: ما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس مطلقا، لأى سبب من الأسباب إلا بمشيئة الله وأمره وإذنه، فهو -سبحانه- الذى كتب لكل نفس عمرها كتابا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر.

المراد بالنفس هنا: جنسها. أى كل نفس لا تموت إلا بإذن الله.

والمراد بإذنه: أمره ومشيئته، فكل نفس لا تحيا إلا بأمره، ولا تموت إلا بإذنه.

و﴿ كَانَ ﴾ ناقصة وقوله: ﴿ أَنْ تَمُوتَ ﴾ فى محل رفع اسمها وقوله: ﴿ لِنَفْسٍ ﴾ متعلق بمحذوف وقع خبرا لها والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال والأسباب، أى ما كان لها أن تموت فى حالة من الأحوال أو لسبب من الأسباب إلا مأذونا لها منه -سبحانه- والباء فى قوله: ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ للمصاحبة.

وقوله: ﴿ كِتَابًا ﴾ مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة التى قبله، وعامله مضمر والتقدير: كتب الله ذلك كتابا مؤجلا. أى له أجل معلوم لا يتقدم عنه ولا يتأخر، وهو آت لا ريب فيه.

وقوله: ﴿ مُؤَجَّلًا ﴾ صفة لقوله: ﴿ كِتَابًا ﴾.

ثم ذم -سبحانه- الذين يؤثرون متاع الدنيا على الآخرة، فقال:

﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾

أى: من يرد بعمله ثواب الدّنيا أى جزاءها وثمارها كالأموال والغنائم نؤته منها ما نشاء أن نؤتيه، ولا يكون له فى

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد، باب «من المؤمنين رجال..» جـ١، ص ٢٢.

الآخرة من نصيب.

وهذا تعريض بمن شغلوا بجمع الغنائم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ أو بمن تركوا أماكنهم التى وضعهم فيها رسول الله ﷺ وسارعوا إلى جمع حطام الدنيا فنتج عن ذلك هزيمة المسلمين فى غزوة أحد.

ثم مدح -سبحانه- الذين يبتغون بأعمالهم ثواب الآخرة فقال:

﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾

أى: ومن يرد بعمله وجهاده ثواب الآخرة، وما ادخره الله فيها لعباده المتقين من أجر جزيل نؤته منها ما نشاء من عطائنا الذى تشتهيه النفوس، وتقر له العيون.

وقوله:

﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾

تذييل مقرر لمضمون ما قبله، ووعد من عطاء الله لمن شكره على نعمه وثبت على شرعه.

أى: وسنجزى الشاكرين فى دنياهم بما يسعدهم ويرضيهم وسنجزيهم فى الآخرة بما يشرح صدورهم ويدخل البهجة على نفوسهم.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد تضمنت تحريض المؤمنين على القتال وتحذيرهم من الجبن والفرار، لأن الجبن لا يؤخر الحياة، كما أن الإقدام لا يؤدى إلى الموت قبل حلول وقته فإن أحدا لا يموت قبل أجله، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك.

كما تضمنت دعوة المؤمنين إلى الزهد فى متع الحياة الدنيا، وإلى أن يجعلوا مقصدهم الأكبر فى تحصيل ما ينفعهم فى آخرتهم، فإن هذا هو المقصد الأسمى، والمطلب الأعلى، قال -تعالى-:

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾

(الشورى: ٢٠)

وإن الذين خالفوا وصية رسول الله ﷺ وتركوا أماكنهم التى أمرهم بالثبات فيها جريا وراء الغنائم لم يحصلوا منها شيئا، بل فقدوها وفقدوا أرواحهم وعزتهم وكرامتهم، وكان فعلهم هذا من أسباب هزيمة المسلمين فى غزوة أحد.

كما تضمنت وعدا من الله -تعالى- بأن يزيد الشاكرين من فضله وإحسانه، وأن يكافئهم على شكرهم إياه بما هم أهل له من نصر وخير وفير.

يتبع

احفظ لسانك أيها الإنسان

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت مع النبي ـ ﷺ ـ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال: (لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت) ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل)

قال: ثم تلا:

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾

(السجدة: ١٦، ١٧)

ثم قال: (ألا أبلغك برأس الأمر كله، وعموده، وذروة سنامه) قلت: بلى يا رسول الله قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) ثم قال: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله) قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: (كف عليك هذا) فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال: (ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم).

رواه ابن ماجة والترمذي ـ واللفظ له ـ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

التعريف بالراوي

هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي الأنصاري، كان يكنى أبا عبدالرحمن، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وكان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة، وآخى الرسول ـ ﷺ ـ بينه وبين عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وشهد المشاهد كلها مع النبي ـ ﷺ ـ وهو أحد الأربعة الذين أمر النبي ـ ﷺ ـ أن يؤخذ القرآن منهم كما في حديث الشيخين.. وكان ـ رضي الله عنه ـ من أحسن الناس وجها وخلقا وأسمحهم كفا، روى عنه بعض الصحابة وجمع من التابعين وتوفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة من الهجرة وكان عمره ثمان وثلاثين سنة وقيل: عمره أربع وثلاثون ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

اللغويات

الصوم جُنّة: أي: وقاية...

تطفيء الخطيئة: أي تمحوها.

ذروة كل شيء: أعلاه وقمته.

وسنام كل شيء: أعلاه.

وملاك الأمر: قوامه وخلاصته.

وثكلتك أمك: عبارة تقال عند التعجب والدهشة.

وحصائد: جمع حصيد وحصيدة والمراد: ما يجنيه أصحاب الألسنة من أقوال الشر.

الشرح والبيان

هذا الحديث يوضح فيه الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما يقود الناس إلى الجنة وهي أمل الطائعين ويباعدهم عن النار التي منها يخافون، ومن عذابها يحذرون، كما يوضح أبواب الخير، وهي ماثلة في الصيام الذي يقي الإنسان من الوقوع في المعاصي، والتردي في المهالك، والصدقة التي تكفر الذنوب وتمحو الخطايا، والصلاة في جوف الليل والناس نيام يهجرون مضاجعهم ويتفرغون لمناجاة ربهم، يدعونه خوفا من النار وطمعا في الجنة كما يوضح فيه رسول الله ـ ﷺ ـ أن رأس الأمر الإسلام، وأن عموده الصلاة، وأن أعلاه وقمته التضحية بالنفس والمال جهادا في سبيل الله، ثم بين أن قوامه وخلاصته أن يكف الإنسان لسانه عن الناس حتى لا يعرض نفسه للنار وغضب الجبار.

ونتناول من هذه المعاني في شرح هذا الحديث ما يتصل بالكلمة وخطورتها وأثرها في المجتمع، فإن أمرها عظيم وخطرها جليل وبخاصة ونحن في عصر كثر فيه الكلام وقل فيه العمل، وحقا المؤمنون الصادقون أبعد الناس عن فضول القول ولغو الكلام، فهم إذا تحدثوا أوجزوا واقتصروا على حاجتهم (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) وإذا مروا به مروا كراما، يقول القرآن في نعتهم:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾

(المؤمنون: ١-٣)

ويقول:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾

(القصص: ٥٥)

هذا وإذا دخل المؤمنون الجنة دخلوا دارا طهر الله ساحتها من اللغو وزور القول، قال تعالى:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾

(الواقعة: ٢٥، ٢٦)

فمتى يدرك الناس أن اللسان إذالم يكن زمامه في يد العقل والحكمة أصبح في يد الشيطان يصرفه كيف يشاء وإن أكثر ما يدخل الناس النار يوم القيامة فضول أقوالهم وفلتات ألسنتهم، كما ورد في الحديث الشريف الذي نحن بصدد شرحه وبيانه حيث سأل الصحابي الجليل معاذ بن جبل -رضي الله عنه وأرضاه-: قلت: يا رسول الله أكلّ ما نتكلم به يكتب علينا؟! قال: (ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم -أو على مناخرهم- إلا حصائدُ ألسنتهم؟!)، وفي رواية أخرى: (إنك لن تزال سالمًا ما سكتَّ، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك).

لهذا ينبغي على المسلم التروي والتثبت من كل ما يقول أو يسمع، امتثالا لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات: ٦)

لهذا عاب القرآن الكريم من يتكلمون بلا وعي، ولا إدراك ويتناقلون الأخبار بلا تدبر ولا تفحص، ولكن لسان يتلقى عن لسان، وفم ينقل عن فم في غفلة عن أثر الكلمة وخطورتها في الإساءة إلى شرف الناس وسلامة المجتمع، وفي ذلك يقول ربنا «سبحانه وتعالى»:

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١٥)

فكلام المرء دليل عقله وعنوان تفكيره وترجمان خلقه ولهذا أنشد الشاعر:

وزن الكلام إذا نطقت، فإنما
يبدى عيوب ذوى العقول المنطق

وأنشد الآخر:

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

لهذا ينبغي على الإنسان إذا تكلم أن يتكلم بخير وإلا سكت، والسكوت عند ذلك خير له من الكلام، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

فإذا تكلم المرء فيما لاشأن له به، أو خاض في حديث لم يدع للمشاركة فيه -فقد شوه إسلامه، وهوى بمنزلته عند الله يقول «عليه الصلاة والسلام»: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[١] هذا واللاغي معرض للخطر في كلّ كلمة يقولها فقد ينزلق لسانه بكلمة لم يتبين ما فيها ولم يتدبر عواقبها فتحطم أمله

(١) صحيح الترمذي: ٢٣١٨.

وتدمر مستقبله.

وقد أنشد الشاعر

ما إن ندمت على السكوت مرة
ولقد ندمت على الكلام مرارا

هذا والقرآن الكريم يأمر رسول الله -ﷺ- أن يعلم أصحابه وأمته والناس جميعا الكلمة البريئة من دنس القبح، ونزغ الشيطان.

قال تعالى:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

(الإسراء: ٥٣)

فعلينا أن نقابل الجهل بالحلم، والإساءة بالإحسان وإلا استوينا وإياهم في المعصية، وقد تلقف هذا المعنى الشاعر فأنشد:

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا
تسرع ببادرة يوما إلى رجل

وإن بليت بشخص لا خلاق له
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

ولقد روى الإمام مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد أن عيسى «عليه السلام» مر بخنزير، فقال: انفذ بسلام، فقيل له: تقول هذا لخنزير؟! فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء.

ولم يبح الله (عز وجل) الجهر بالسوء إلا لمن ظلم قال تعالى:

﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾

(النساء: ١٤٨)

فالإسلام يكره الفحش في القول وينفر من الألفاظ البذيئة، وقد ورد في الحديث الشريف: (إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا).[٢]

فما أعظم الإسلام! وما أرقى تعاليمه! حتى في النداء على الخدم وصغار العمال يأمرنا الإسلام أن نتخير الألفاظ الكريمة وينهانا عن العبارات التي تسيء إلى كرامتهم وتحط من أقدارهم، فلا ينبغي لمسلم أن ينادي خادمه بـ: يا خادم، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: (لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي)[٣] هذا أدب الإسلام وتلك تعاليمه فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ولكن كثيرا ممن لم يهذبهم الإسلام ولم تستتر بصائرهم بآدابه -يجهلون تلك التعاليم، وبالتالي يسيئون إلى أنفسهم وإلى الناس والإسلام بريء مما يفعل هؤلاء، فتعاليم الإسلام تقف حارسا أمينا على لسان المؤمن تهذبه وتضبطه وتمنعه أن يخوض في سب الناس ولعنهم، وأن ينال من أعراضهم وكرامتهم

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٨٩.

(٣) صحيح الإمام مسلم، الأدب، ب٣، رقم ١٣، مسند الإمام أحمد ٢/٤٢٣، ٤٦٣.

فذلك من أقوى دواعي الشقاق والضغينة، وقد أنشد الشاعر:

جــراحــات السنان لهــا التئــام
ولا يلتــام مــا جــرح اللســـان

ولن يبلغ عبد درجة الإسلام حتى يسلم الناس من لسانه ويده، ولن يكون مؤمنا إلا إذا أمنه الناس على دمائهم وأموالهم كما ورد في الحديث الشريف.. ورب كلمة سب يطلقها اللسان يخرج بها قائلها من صفوف المسلمين، ألم يقل رسول الله - ﷺ -: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٤]؟ فالمؤمن إذاً منهي عن سب غيره حتى لو بدأه غيره بالسباب فعن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قلت يا رسول الله: الرجل يشتمني وهو دوني، أعلي من بأس أن أنتصر منه؟ فقال - ﷺ -: «المستبان شيطانان يتهاتران يتكاذبان»[٥].. وقد وردت الأحاديث الشريفة بالنهي عن سب الدهر والحيوان والحشرات والظواهر الطبيعية، بل أدق من هذا نهي الإسلام عن سب الأموات، ولو كانوا عصاة أو كفارا، لأن ذلك يؤذي أقرباءهم الأحياء حين يبلغهم وقد قال - ﷺ - «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»[٦].. ولقد مر رسول الله - ﷺ - بقبر وهو يريد الطائف - فسأل الصديق - رضي الله عنه -: من صاحب هذا القبر؟ فقال: هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله، وهو سعيد بن العاص، فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للسهام من أبي قحافة - يعني بذلك والد أبي بكر - فقال أبو بكر: يكلمني هذا - يا رسول الله - بمثل هذا الكلام؟! فقال - ﷺ - (اكفف عن أبي بكر)، فانصرف عمرو ثم أقبل رسول الله - ﷺ - وقال: «يا أبا بكر، إذا ذكرتم الكفار فعمموا فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء»[٧] فكف الناس عن ذلك.

إذاً ليس من خلق الإسلام اللعن والتفحش في الكلام؛ لأن هذا يتنافى مع قول الرسول - ﷺ -: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» - رواه الترمذي -.. فالكلمة الخبيثة كالنبات الضار والشوك والصبار وقد شبهها الله بالشجرة السميكة التي لا جذور لها في أعماق الأرض لا تلبث أن تتهاوى لتتلاشى من الوجود. قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

(إبراهيم: ٢٦)

فمتى يدرك الناس خطورة اللسان فيضعونه في سجن حفيظ كما أخبر رسول الله - ﷺ - حين قال: «والله الذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان»[٨] وقد أنشد الإمام الشافعي «رحمه الله»:

احـفـظ لســانك أيهــا الإنســان
لا يلدغنك، إنه ثعـــبـــان

كم في المقـابر من قـتـيـل لسـانه
كـانت تهـاب لقـاءه الأقـران!

إذاً آن الأوان بعد هذا العرض والبيان أن يزن الإنسان منا كلمته قبل أن ينطق بها، ويدرك في وعي ويقظة أنها لا تنطلق من فمه لتضيع في متاهات النسيان، ولكن لتستقر في صحيفة حسناته، أو صحيفة سيئاته:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

(ق: ١٨)

وما أحسن ما قاله الحسن البصري «رحمه الله»: (يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر فإذا ما مت طويت صحيفتك في عنقك معك في قبرك تخرج بها يوم القيامة فعند ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

(الإسراء: ١٣، ١٤)

ثم قال: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك!

فالإسلام يكره الاسترسال في الكلام تجنبا لعثرات اللسان، إذ من كثر كلامه كثر غلطه، ومن كثر غلطه قسا قلبه ومن قسا قلبه انقطعت صلته بالله «عز وجل» فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال - ﷺ - (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فكثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي)[٩] وقال عليّ - رضي الله عنه -: (من أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار) وقد قال - ﷺ -: (رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم)[١٠] فالصمت خير لا ينتج عنه إلا خير، ولله در القائل:

وجـدت سكوتي مـتـجـرا فلزمتـه
إذا لم يـفـد رابحـا فلست بخـاسـر

وقد ورد في المثل: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، فلا عجب والحال هذا أن يجعل رسول الله - ﷺ - الصمت في قمة الأعمال الصالحة وذروة الطاعة، روى البزار والطبراني عن أنس - رضي الله عنه - قال: «لقي رسول الله - ﷺ - أبا ذر فقال: «يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما؟» قال بلى يا رسول الله قال: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما».

(٤) صحيح البخاري ١/١٩، ٨/١٨.
(٥) مسند الإمام أحمد ٤/١٦٢.
(٦) مسند الإمام أحمد ٤/٢٥٢.
(٧) إتحاف السادة المتقين ٧/٤٨٧.
(٨) الدر المنثور ج٢، ص٦٤٨.
(٩) صحيح الترمذي ٢٤١١.
(١٠) الزهد لابن أبي عاصم ج٣، ص٣٠.

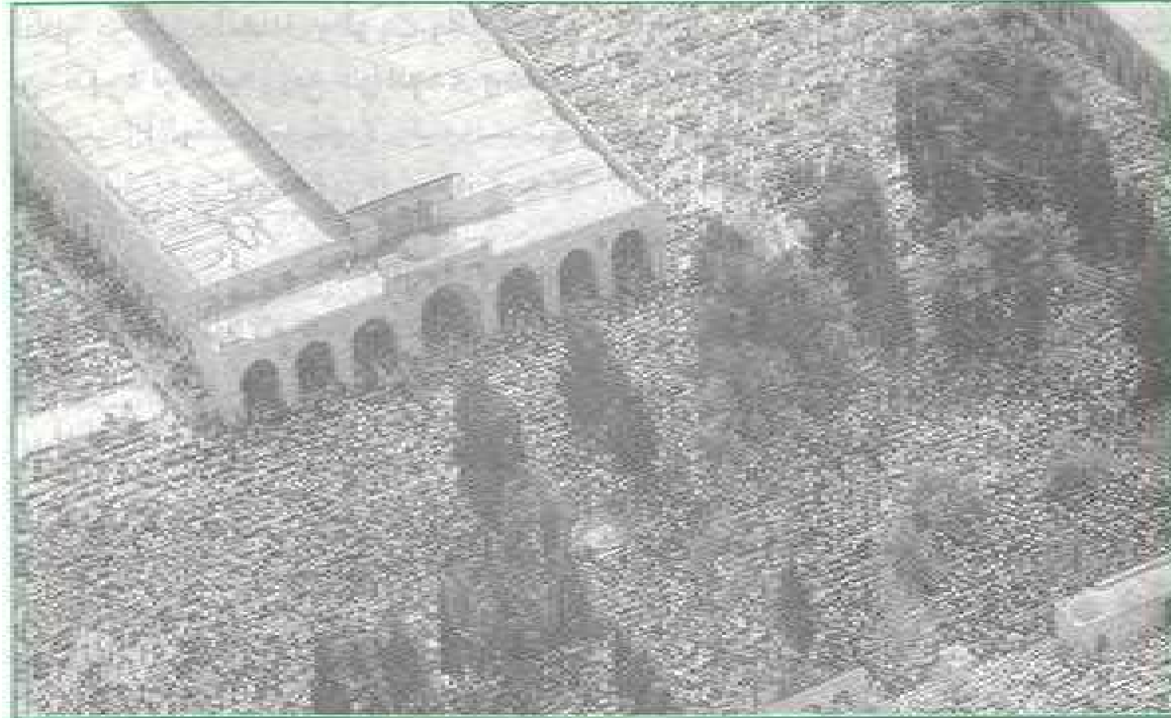
الأقصى بين رجب وشعبان

لفضيلة الشيخ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.... وبعد فإن الاقصى ومكانته فى الشريعة الإسلامية جعله الله سبحانه وتعالى من الأمور التى يقدسها المسلمون، ففى شهر رجب من كل عام تتجه أنظار المسلمين إلى المسجد الاقصى يتذكرون حادثة الإسراء والمعراج والتى كان فيها الأقصى هو الأمانة التى تسلمها المسلمون، والتى كانت بمثابة إعلان هيمنة الإسلام على تلك الأراضى التى تضم المسجد الاقصى، وأنه يجب عليهم الحفاظ على تلك الأمانة وعدم التفريط فيها، وقد كانت النكبة على يد هذا الجيل، حيث فرطوا فى حفظ هذه الأمانة التى تسلموها عن أجدادهم، ودنس اليهود جنبات المسجد الاقصى، وفى كل يوم تطالعنا وكالات الأنباء بعدوان جديد من قبل اليهود على المسجد الاقصى، فمن اقتحام للمسجد بحجة أداء الصلاة فيه مساواة بالمسلمين، إلى محاولة تقويضه وهدمه بحجة البحث عن هيكل سليمان الذى يزعمون أن المسجد الاقصى قد بنى فوقه.

وها هو شهر شعبان يأتى ليجعل الذكرى موصولة، ليقول للمسلمين أنه لا يجب أن يغيب ذكر الأقصى عن ألسنتكم ولا عن قلوبكم، بل ينبغى أن يظل هو شغلكم الشاغل، حتى يعود إلى حوزة الموحدين، ولا يعلو فيه ولا فوقه غير نداء الله أكبر - يجئ شهر شعبان ومعه تتذكر حادث تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام، فقد كان رسول الله ﷺ والمسلمون معه يتجهون إلى المسجد الأقصى فى صلاتهم وذلك بعد الهجرة إلى المدينة، فقد ثبت أن النبى ﷺ ظل يستقبل بيت المقدس فى صلاته ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا.

فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ



يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله عز وجل:

﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

(البقرة:١٤٤)

أى نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا:

﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾

فأنزل الله:

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة:١٤٢)

وقد وردت أحاديث كثيرة فى شأن تحويل القبلة، وملخص ما جاء فى هذه الأحاديث أنه قد كان رسول الله ﷺ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، وذلك بعد مقدمه ﷺ إلى المدينة، واستمر الامر على ذلك بضعة عشر شهرا، وكان يكثر من الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم - عليه السلام - فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق، فخطب رسول الله ﷺ الناس فأعلمهم بذلك، وكانت أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر، كما فى أرجح الروايات، ولما وقع هذا حصل لبعض

الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وارتياب وقالوا:

﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾

(البقرة:١٤٢)

أي قالوا ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم في قوله تعالى:

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة:١٤٢)

أي أن الحكم والتصرف والأمر كله لله، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصرفه وخدامه، حيثما وجهنا توجهنا، والله سبحانه وتعالى له بعبده ورسوله محمد ﷺ وأمته عناية عظيمة، فهداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل -عليه السلام- ولهذا قال:

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة:١٤٢)

وقد كانت الكعبة بيت الله الحرام مثابة للناس والحج، وما تزال حتى يومنا هذا، فهي من الأمور الخاصة بالمسلمين التي خص الله بها خير الأنام محمد ﷺ، وهي مما يحسدنا عليه أعداء الإسلام، بل أكثر ما يخشاه أعداء الإسلام هو أمران: القرآن الكريم والكعبة المشرفة، وهذا المعنى جاء ما يدعمه فيما روته السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ يعني في أهل الكتاب: «إنهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلو عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين». وهكذا نجد أن اليهود وأعداء الإسلام في كل زمان ومكان يكيدون للإسلام ويصورونه على أنه دين العنف والقهر والإرهاب:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

(الكهف:٥)

فهاهي الكعبة البيت الحرام قبلة المسلمين التي جعلها الله- تعالى - قبلة يرضاها حبيبه ومصطفاه محمد ﷺ وترضاها أمته، هذه الكعبة جعلها الله- تعالى- يقوم عليها أمر الناس، وتتحقق منها فائدتهم، كما جعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا، فإننا نجد أن جميع المخلوقات تعيش في أمن وأمان في كنف هذا البيت الطير آمنه والوحوش والشجر والدواب، يحيا الجميع في أمان بجوار

هذه البقعة المباركة التي خصها الله- سبحانه وتعالى- بهذه الخاصية التي جعلته يتميز بها عن كافة المساجد في أرجاء الأرض، بل إننا إذا نظرنا إلى الحج، ذلك المؤتمر الإسلامي الذي ينعقد مرة كل عام ويتجمع فيه ملايين المسلمين من كافة أنحاء الأرض، الجميع يشعر بالأمن والأمان في رحاب هذا البيت فهو آمن على نفسه وماله، لا تجد حادثا واحد مثل ما يحدث في تلك البلاد الأخرى جراء هذا التجمع الهائل، ولا تستطيع أية دولة منفردة أو عدة دول أن توفر الأمن والأمان لمثل هذا الجمع الذي يتجمع في صعيد واحد في مدينة واحدة وفي منى وعلى جبل عرفات، الجميع تظلهم رحمة الله- تعالى- ويتمتعون بالإنعام عليهم بمغفرته ويذوقون حلاوة الأمان والسلام، ولكن مع كل ذلك يصر هؤلاء الحاقدون على الإسلام أنه دين يدعو إلى العنف.

والحق وأنه ينبذ العنف حتى مع الطير والحيوان والنبات والجماد، فضلا عن الإنسان، ولكنهم أرادوا أن يلصقوا بالإسلام تلك الجرائم التي يرتكبونها في حق الإسلام في العديد من بلدان العالم، فالإرهاب هو صنعتهم، والسلاح الذي يتم به الإرهاب ويؤدي إلى قتل الأطفال والنساء والشيوخ والعزل كل هذا من صنع أولئك الذين يلحقون بالإسلام ما ليس فيه، فالإسلام دين السلام والأمان.

ففي ظل الإسلام يعيش الناس جميعا في وئام وسلام وأمن متحابين متعاونين، فالإسلام يجعل الناس جميعا أخوة في الإنسانية، لأنهم ينتمون إلى أصل واحد:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾

(النساء:١)

الإسلام يدعو إلى التسامح والإحسان والبر مع غير المسلمين سواء وجدوا في أوطانهم أو عاشوا بيننا

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة:٨)

ومن هذا المنطلق يمن الله على أهل مكة فيقول عز من قائل:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾

(العنكبوت:٦٧)

فقد جعل الله هذا الحرم هو أول بيت وضع للناس، وذلك للعبادة والنسك يطوفون به ويصلون اليه ويعتكفون عنده، ومع أن هذه الكعبة بناها إبراهيم الخليل -عليه السلام- الذي يزعم أهل الكتاب أنهم على دينه ومنهجه، ومع ذلك لا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى

حجه، وقد جعله الله سبحانه وتعالى المكان الآمن، ولا يصح لأحد أن يحمل فيها سلاحا أو يروع حيوانا أو طيرا أو يقطع نباتا.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة»، وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى- شرف هذا البيت قبلة المسلمين وما جعله موصوفا به شرعا وقدرا من كونه مثابة للناس، أى جعله محلا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضى فيه وطرا ولو ترددت إليه كل عام استجابة من الله -تعالى- لدعاء خليله إبراهيم -عليه السلام- فى قوله

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾

(إبراهيم:٣٧)

إلى ان قال:

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾

(إبراهيم:٤٠)

وقد وصفه الله تعالى بأنه جعل آمنا، من دخله آمن ولو كان فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا، قال عبدالرحمن بن زيد ابن اسلام: كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له، كما وصف فى سورة المائدة بقوله تعالى:

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾

(المائدة:٩٧)

أى يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء، ومع كل ذلك فإننا نرى اليهود وكعادتهم وديدنهم ينكرون الحق ويبدلون آيات الله، فعندما توجه الرسول ﷺ إلى بيت المقدس وهو قبلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى اتخذوا ذلك ذريعة للاستكبار عن الدخول فى الإسلام.

إذ أطلقوا فى المدينة ألسنتهم بالقول بأن اتجاه محمد ومن معه إلى قبلتهم فى الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين وقبلتهم هى القبلة وأنهم هم الأصل فأولى بمحمد ومن معه أن يفيئوا إلى دينهم لا أن يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام

ولقد كان تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام لحكمة تربوية وهى اختصاص المسلمين بقبلة خاصة بهم يتجهون إليها، فقد كان هذا حادثا عظيما فى تاريخ الجماعة المسلمة وكانت له آثار ضخمة فى حياتها، كما أن تحويل القبلة فى هذا الوقت بالتحديد وصدور الأمر الإلهى الكريم بالاتجاه إلى المسجد الحرام، ولكنه ربط قلوب المسلمين بحقيقة أخرى بشأنه هى حقيقة الإسلام، حقيقة أن هذا البيت بناه إبراهيم وإسماعيل ليكون خالصا لله وليكون تراثا للأمة المسلمة التى نشأت تلبية لدعوة إبراهيم ربه أن يبعث فى بنيه رسولا منهم بالإسلام الذى كان عليه هو وبنوه وحفدته، فإذا اتجه المسلمون فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى الذى يتجه إليه اليهود والنصارى فقد كان هذا التوجه لحكمة خاصة هى التى أشار إليها السياق، والآن وقد شاء الله أن يعهد بالوراثة للأمة المسلمة وقد أبى أهل الكتاب أن يفيئوا إلى دين أبيهم إبراهيم، الآن يجيئ تحويل القبلة فى أوانه، تحويلها إلى بيت الله الأول الذى بناه إبراهيم لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من الله جميعا، وكان لابد من تمييز المكان الذى يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه فهذا التميز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد، والأمة المسلمة اليوم فى حاجة ماسة إلى التميز بشخصية خاصة لاتتشبه بالشخصيات السائدة بكل ما فيها من بعد عن منهج الإسلام، وليكن تميزها نابع من رفعها راية واحدة تحمل اسم الله تعالى وهكذا آن للأمة الإسلامية أن تتوحد فيما بينها فى ظل هذه التكتلات العالمية التى تجمع فيما بينها مصالح دنيوية، بينما المسلمون يجمعهم هذا الدين الذى ارتضاه لهم الله خالقهم، تجمعهم هذه الوسطية التى اختصها الله تعالى بهم،

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

(البقرة:١٤٣)

أن الأمة الإسلامية إذا توحدت فيما بينها عملا بقوله تعالى

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

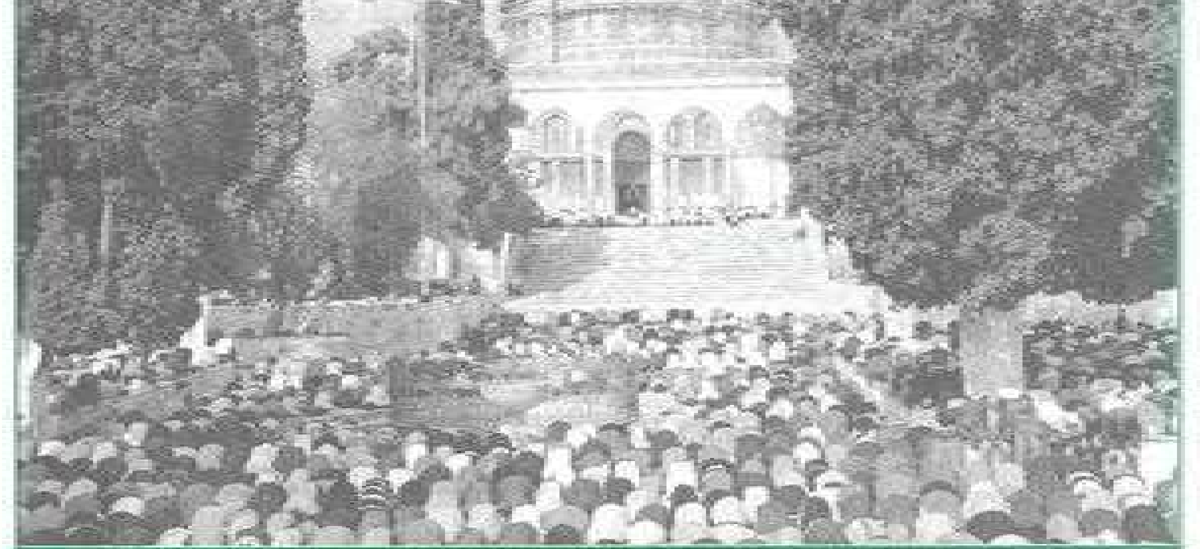
(آل عمران: ١٠٣)

إذا هم فعلوا ذلك عزوا وسادوا، وكانت المنعة والعزة هى شعارهم، وكان هو السلاح الذى يردون به من أراد بهم سوءا أو شرا.

والله نسأل أن يعيد الأقصى إلى حوزة المسلمين وأن يخلصه من الأسر حتى يعود علينا رجب وشعبان القدامان وقد تحرر المسجد الأقصى ورفعت عليه راية التوحيد إنه سميع مجيب.

***

الهجمة الصليبية على القدس



للشيخ/ صديق بكر على عيطة

ظل المسلمون بعد الفتح الإسلامى عام ١٥ هـ - ٦٣٦ م - مسيطرين على القدس حتى عام (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م) أى قرابة خمسمائة عام. نعم فيها المسلمون والنصارى بالحكم الإسلامى الذى لا يفرق بين فرد وفرد، أو بين طائفة وأخرى فى الحقوق والواجبات، وذلك بموجب الوثيقة العمرية التى ذكرناها فى المقال السابق، وهذه المدة كانت تتميز بقوة الشخصية لدى الحكام المسلمين، ومتانة البنيان فى الدولة الإسلامية الفتية بكل طوائفها، مما جعل النصارى يخضعون لها، ويعترفون لها بالولاء التام، والسيطرة الكاملة حيث كانوا يمارسون شعائر دينهم بحرية تامة، ويقومون بأداء طقوسهم الدينية دون حرج ودون أن ينتقص منها شىء.

فما الذى جعل النصارى ينتقلون من حالة الرضا التام بحكم المسلمين إلى حالة الانقضاض عليهم، واسترداد حكم البلاد من أيديهم والاستيلاء على القدس «أورشليم» أو «أورسالم» كما كانوا يطلقون عليها؟

هناك حقيقة واقعة يعرفها حكام المسلمين فى كل عصر وبخاصة فى عصرنا الذى نعيش فيه، حيث تأكدت لهم فعاليتها من دروس التاريخ وهى أن

اتحاد كلمة المسلمين وترابطهم، هو السبب الأول فى احترام العالم لهم واعترافه بالولاء التام لحكمهم، فإذا ما ضعفوا ودب الخلاف بينهم وصار بأسهم بينهم شديد طمع فيهم العدو، وانتقل من حالة الرضا عنهم والاعتراف لهم بالسيادة والريادة، إلى حالة السخط عليهم، وإعلان الحرب على ديارهم ومقدساتهم، وهو ما حدث بالفعل عام «٤٩٢هـ - ١٠٩٩م» وما يحدث الآن فى هذه الهجمة الصهيونية الصليبية الكبيرة التى تعيش أحداثها المأساوية وتجرى فصولها على أرض الإسلام منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين..!!

إن ضعف المسلمين والخلاف الذى دب بينهم هو الذى دفع الصليبيين إلى إعلان الحرب عليهم والزحف على ديارهم وبعد أن عقد البابا «أوربان الثانى» مؤتمرا فى كليرمنت فى فرنسا وخطب فى الناس خطابا أثار مشاعرهم تحدث فيه كذبا وبهتانا عما يلقاه الحجاج النصارى من الظلم والاضطهاد وهم يتوجهون إلى مقدساتهم المسيحية فى القدس الشريف، ومن هنا أعلنت الحرب الدينية المقدسة على المسلمين رفع فيها الصليب والإنجيل على أسنة الرماح وبدأت صفحة جديدة من التاريخ تنتشر فى بلاد الإسلام وكان الغزو الصليبى على الشرق الإسلامى كله، مما أسال دماء المسلمين أنهارا فى كل البلاد وشرد العباد ومزقت ديار المسلمين كل ممزق.

الحملة الصليبية

لقد كان الهدف المعلن من وراء هذه الهجمة الصليبية دينيا بادئ الأمر، وهو تخليص المقدسات المسيحية من أيدى المسلمين المغتصبين وتأمين طريق الحجاج النصارى إلى بيت المقدس، مما دفع بأوروبا كلها إلى أن تحشد قواها وتشارك فى هذه الحرب حيث تقدم الجموع كل من البابا «أوربان الثانى»، و«بطرس الناسك»، و«والتر المفلس» وبدأت الحملة الصليبية على بلاد الإسلام حاملة معها الخراب والدمار والقتل الذى حل بالمسلمين..!!

ولكن هل كان الهدف الحقيقى من وراء هذه الحملة الشرسة هو رفع الصليب وتحرير المقدسات المسيحية كما أعلن قساوسة الغرب؟ لا. لقد كان الهدف الحقيقى الذى ظهرت آثاره بعد ذلك هو الاستيلاء على كنوز الشرق، حيث كانت أوروبا كلها تعيش حالة من الفقر والجوع وهم يرون فى ذات الوقت بلاد المسلمين تعيش فى حالة واسعة من رغد العيش والاستمتاع بخيرات الأرض الإسلامية التى عمت البلاد والعباد نتيجة للحكم الإسلامى النظيف.

إن الهدف الدينى لم يكن إلا وسيلة لإثارة عواطف الجماهير فراحوا يحملون سلاحهم وزادهم ويرحلون الرحلة الطويلة الشاقة سائرين على الأقدام وعلى الدواب وسط عواصف الجليد فى أوروبا ووسط زوابع الرمال فى الصحراء فى آسيا

الوسطى حتى يصلوا إلى المكان المقدس الذى ولد فيه المسيح وبشر فيه برسالته المسيحية، وإنما كان هناك الأهداف الدنيوية التى يسعى إليها ملوك أوروبا وأمراؤها الذين يريدون مجدا ونفوذا ومزيدا من الملك، ويسعى إليها تجار أوروبا الذين يريدون خيرات الشرق ومصنوعاته ينقلونها إلى أوروبا ويتاجرون بها فى الأسواق ويسعى إليها عامة الناس الذين أرهقهم الفقر وفتكت بهم الأوبئة [1].

وبجانب هذا الهدف الدنيوى هناك هدف آخر هو ضرب الأمة الإسلامية كلها وتمزيق صفوفها انتقاما منهم لاستيلائهم على بيت المقدس أيام عمر بن الخطاب، وإن لم يكن هناك حالة واحدة من الظلم حلت بهم على أيدى المسلمين، ولذا سرعان ما تطورت الحرب الصليبية وشملت كل أرجاء العالم الإسلامى، وكان هدفهم الأكبر هو ضرب مصر معقل المدافعين الأول عن بلاد الإسلام منذ دخلها الإسلام على يد عمرو بن العاص.

عهد عمر بن الخطاب

وليس فى وسعنا الآن وفى هذا الحيز الضيق أن نتتبع تفاصيل هذه الحروب الشرسة التى امتدت قريبا من قرن من الزمان، ودارت رحاها على أرض الإسلام، ليس ذلك فى وسعنا الآن، وإنما سنجتزئ بالحديث عن بعض ما حدث للمسلمين على أيدى هؤلاء الصليبيين الجياع - أسلاف الصليبيين المعاصرين- ونقارن بين ما جاء بالعهد العمرى وما لاقوه بالفعل من معاملة يندر مثيلها فى عالم الإنسانية من جانب، وما حاق بالمسلمين على أيديهم عندما آل الأمر إليهم من جانب آخر، ولم يكن شيء من هذا يحدث إلا نتيجة لتفكك المسلمين وتخاذلهم.

أعطى عمر بن الخطاب المسيحيين عهد الأمان على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم كما امتنع عن الصلاة -حينما حضر وقتها- داخل كنيستهم بالرغم من أن بطارقتهم طلبوا منه الصلاة فيها، وصلى خارجها وقال عبارته المشهورة التى تقطر إنصافا واحتراما للأديان الأخرى: «..حتى لا يقول الناس -بعد ذلك- هنا صلى عمر فيغلبوكم على كنيستكم» هل رأى أحد فى التاريخ كله عدلا وإنصافا ورحمة ومودة مثل هذه؟!! فماذا فعل النصارى بالمسلمين بعد أن غلبوهم واستولوا على بلادهم؟

لقد قال المفكر الفرنسى «جوستاف لوبون» فى كتابه «حضارة العرب» مقارنا بين المعاملتين: «فأولئك العرب الذين خرجوا من الصحراء أعطوا المسيحيين فى القدس «العهد العمرى» المشهور الذى تعهد فيه المسلمون بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومقدساتهم، وأما أولئك

(١) اقرأ كتاب «القدس» للأستاذ عبدالحميد الكاتب ص ٨٣.

الأوروبيون فكانوا يجوبون الشوارع ويصعدون إلى أسطح البيوت ليرووا غليلهم بالتقتيل وكأنهم لبوءات خطفت أطفالها وكانوا يذبحون الأولاد والشباب والشيوخ ويقطعونهم إربا إربا وكانوا يشنقون مجموعة من الناس بعضهم أمام البعض بحبل واحد بغية السرعة.. وقد أمر الأمير «بوهيموند» بإحضار الأسرى إلى برج النصر فأمر بضرب رقاب الشيوخ والعجائز والضعاف، أما الشبان فقد سيقوا ليباعوا فى سوق الرقيق».

يقول الأستاذ عبدالحميد الكاتب: «واقرأ ما شئت من الكتب عن الحروب الصليبية سواء ما كتبه المسلمون أو ما كتبه المسيحيون تجد أن ما دار فى بيت المقدس حينذاك كان مذبحة شنيعة لا مثيل لها إلا المذبحة الصليبية الأخرى التى دارت فى الأندلس، ومن الصليبيين من اشترك فى المعركتين مثل «دايمبرت» الذى عين بطريقا للقدس، مكافأة له على ما فعله فى الأندلس، حيث كان مندوبا بابويا فى إحدى المعارك الكبرى» [2].

فماذا عن حالة البلاد تحت وطأة هذا البلاء الذى حل بالمسلمين على أيدى هؤلاء النصارى؟

باختصار شديد:

- انقسام العالم الإسلامى إلى معسكرين متناحرين: عباسى فى بغداد، وفاطمى فى مصر، وحولهما كثير من المعسكرات الصغيرة.
- تحالف الحكام المسلمين مع الصليبيين ضد بعضهم البعض.
- تشبه المسلمين بالمسيحيين حتى فى أحوالهم الخاصة: أخلاقية كانت أو اجتماعية.
- حرص الحكام المسلمين على الألقاب الضخمة التى لا طائل من ورائها.
- انتشار الاغتيالات والقتل فى صفوف المسلمين.
- انتشار الجوع والفقر فى البلاد الإسلامية، وما ينتج عن ذلك من كثرة اللصوص وقطاع الطرق وتجار الرقيق. ولا حول ولا قوة إلا بالله..!!

كل هذا والحكام غارقون فى ملذاتهم الشخصية، لاهون عن أمر المسلمين، ولكن كيف كان المخرج من هذه الحالة السيئة الشديدة السوء؟ وكيف كانت ثورة المسلمين حتى تم لهم النصر على الصليبيين وطردهم من ديارهم؟

الصحوة

لقد كانت بداية الصحوة الإسلامية من فوق منابر المساجد، حيث كان الأئمة والخطباء ينشرون الوعى الدينى بين الناس ويبينون لهم رأى الإسلام فى هؤلاء الحكام المتخاذلين والأمراء الغارقين فى

(٢) المصدر السابق ص ٨٤، ٨٥.

ملذاتهم، مؤكدين على أنهم هم السبب الحقيقي فيما حل بالبلاد الإسلامية، وكان الخطباء يدعون الناس للخروج من هذا المأزق التاريخي الخطير بإعلان الجهاد العام، ولا يكون هذا إلا ببذل ما عند الخلفاء والوزراء والأمراء من مال ونفائس، فإن لم يف كل هذا بحاجة الجيوش الإسلامية خرج عامة الناس عن كل ما لديهم من نفائس وأموال. فاستيقظت في الأمة روح الجهاد الحقيقية، ووضحت أمام الناس عقيدة الدفاع عن الأوطان، فإن حماية الأوطان والدفاع عنها تعد -كما يقول الدكتور عبدالتواب مصطفى في كتابه «قضية القدس»: مكوناً أساسيا في العقيدة الإسلامية، كما قضت بذلك كتب الفقه والفكر السياسي الإسلامي وتقع هذه المسئولية إزاء هذا الوطن -أو ذاك- من أوطان العالم الإسلامي -بداية- على الشعب المقيم في هذا الوطن أو الإقليم قدر استطاعته على أداء هذه المسئولية، فإذا ما عجز أو بدت حاجته إلى عون أو مساعدة أشقائه من شعوب العالم الإسلامي كانت مساعدته واجبا عليهم موالاة ومناصرة وتضامنا ويكون أداء تلك المسئولية واجبا كفرض عين على شعب الإقليم وفرض كفاية على الشعوب الإسلامية الشقيقة المجاورة تباعا.. وباتساع دائرة خطر العدوان على هذا الشعب أو الشعوب المتاخمة تباعا، تتسع دائرة وجوب أداء هذه المسئولية كفرض عين حتى تشمل -يوما- كل شعوب العالم الإسلامي إذا بلغت درجة خطورة العدوان حدا يهدد جملة العالم الاسلامي[3]».

مدينة القدس

وهكذا استبان للناس مدى الخطر المحدق بالبلاد الإسلامية ورأى الناس أن الإسلام معرض في دياره كلها للإبادة من أساسه فهب الناس جميعا في كافة أقطار المسلمين، ولكن كان لابد من ظهور القادة الذين ينظمون صفوفهم، ويوحدون الجهود، ويرسمون الخطط الحربية والسياسية، التي تضمن النصر في هذا المعترك الخطير ويطهرون البلاد من رجس هؤلاء الصليبيين الوحشيين، فإذا كانت مدينة «القدس الشريف» هي المدخل الذى دخل منه الصليبيون إلى البلاد الإسلامية فإن خطرهم قد انتشر حتى شمل كل أرجاء العالم الإسلامي بعد أن تم لهم الاستيلاء على القدس وبلاد الشام كلها، وكان لابد من أن يخرج من ظلام المحنة هؤلاء الرجال الذين تم النصر على أيديهم وسجل التاريخ أسماءهم بأحرف من نور، وهؤلاء الرجال هم: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، ثم صلاح الدين الأيوبي، وهو شاب كردى، فماذا فعل كل منهم؟ هذا ما سنعرفه بإيجاز شديد يسمح به ما تبقى لنا من مساحة في هذا المقال معتمدين على ما ذكره الأستاذ عبدالحميد الكاتب في كتابه «القدس».

رجال الإسلام الأحرار

لقد خرج من صفوف المسلمين رجل يدعى «عماد الدين زنكي» وهو من رجال الإسلام الأحرار، وإن لم يكن من العرب، لكنه كان يؤمن بأن الجهاد في سبيل تحرير بلاد الإسلام واجب لا مفر من الوفاء به مهما كانت التكاليف، والإسلام حينما يتمكن من القلوب يفعل الأعاجيب ويصنع ما يشبه المعجزات، ويجعل المرء يندفع في ميدان المعارك لا يبالي أوقع هو على الموت أم وقع الموت عليه، وهو ما تحلى به هذا الرجل، وحينما رأى فيه السلطان السلجوقي نجابة وشهامة ولاه أمر الموصل، فجعل منها قاعدة قوية لتكوين جيش إسلامي كبير يصد به الصليبيين، واستمر في حربهم إلى أن سقط شهيدا في ميدان الشرف والكفاح، بعد أن حرر كثيراً من الأقاليم الإسلامية، وضرب للناس المثل في إمكانية هزيمة الصليبيين وطردهم من بلاد المسلمين. فكان ذلك فتحاً لباب الأمل في نفوس المسلمين.

وخلفه «نورالدين محمود»، ورأى أن القاعدة الضرورية لنصر المسلمين، هي توحيد الشام ومصر تحت قيادة واحدة، فعمل جاهداً على مد يد المصالحة بينهما ونجح في ذلك بعد معارك كثيرة، واستطاع هذا الرجل أن يهزم الصليبيين في عدة معارك، واستطاع في ذات الوقت أن يؤكد على حقيقة أن وحدة المسلمين ونبذ الخلاف هما الطريق الوحيد لنصرهم على أعدائهم.

ثم جاء «صلاح الدين الأيوبي»، الذى فتح صفحة جديدة ومشرقة في تاريخ الإسلام وقلب موازين القوى في هذه المعارك الدامية، بعد أن أقام البنيان المتين للجيش الإسلامي الكبير، الذى وضع أساسه نورالدين محمود من لبنتى الشام ومصر.

ذهب صلاح الدين إلى مصر جندياً من جنود الجيش الإسلامي، واتجه إلى الإسكندرية وعسكر بها.. وحاصره الفرنج، ولكنهم لم يستطيعوا كسر شوكته، فصالحوه وخرجوا من هذه البلاد، وتأكد صلاح الدين أن هزيمة الصليبيين شيء واقع لا محالة، إذا اتحدت صفوف المسلمين، وإذا كانت مصر هي القاعدة العسكرية للجيش الإسلامي لما بها من خيرات كثيرة ولما بها من جنود هم من خير جنود الأرض.. ودارت معارك كثيرة وشرسة، يطول المقام لو أننا تتبعناها بشيء من التفصيل، غير أن معركة حطين كانت أهم هذه المعارك، وهي الفيصل في حروب صلاح الدين مع الصليبيين.

وكان دخول صلاح الدين الأيوبي القدس الشريف يوم السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣هـ وهو اليوم الثاني من شهر أكتوبر ١١٨٧م.

(٣) د. عبدالتواب مصطفى «قضية القدس» ص ٥٩، ٦٠.

هجمة شرسة

إن التاريخ ليعيد نفسه، وكأن الأيام تدور دورتها العجيبة ونحن نعيش في هذه الهجمة الصهيونية الشرسة التي تجرى فصولها منذ أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين بعد أن اتحدت كلمة اليهود والصليبيين على ضرورة التهام العالم الإسلامي وتم استيلاؤهم على فلسطين وفيها القدس الشريف، ثم أطبقوا على أفغانستان والعراق، وهم يدبرون الآن لالتهام السودان وإيران وسوريا، ليقع الدور بعد ذلك على مصر بلد الأزهر الشريف، ومحط آمال المسلمين في الشرق والغرب.

والعجيب أن المسلمين لايزالون غارقين في أحلام السلام الكاذبة التي لن يتحقق لهم منها حلم واحد.. وهذا كتاب ربنا - تبارك وتعالى - ينادينا بأعلى صوته:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

ويقول - جل ثناؤه -:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(الحجرات: ١٠)

وهذا هو رسولنا الكريم - ﷺ - يرسم لنا صورة واضحة المعالم لما يجب أن يكون عليه حال المسلمين: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا - وشبك بين أصابعه» [٤].

ويقول أيضا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [٥].

ويقول الشاعر المسلم:

وفي التوحيد للهمم اتحاد
ولن تبنوا العلا متفرقينا
ألم يبعث لأمتكم نبي
يوحدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعا
منار للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمان رحيم
إله واحد رب الأنام

ولن يعيش المسلمون في ديارهم آمنين سالمين، يعبدون ربهم في أمن وسلام واستقرار، إلا إذا ظهر فيهم من جديد عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، وصلاح الدين الأيوبي.

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

(الحشر: ٢)

(٤) صحيح مسلم ص ١٩٩٩ حديث رقم ٦٥/٢٥٨٥.

(٥) صحيح مسلم ص ١٩٩٩ حديث رقم ٦٦/٢٥٨٦.

إلى ضمير الإنسانية..

زفرة على «فلسطين» الدامية!!

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمود حسن إسماعيل

صوتٌ بأرض «القدس» مشتعلُ الصدى ... كادت له الأكبادُ أن تتوقدا
لما تأوه صارخا بين الورى ... أشياءُ يرزمُ تحت نيرانِ العدا،
جزعَ «المسيحُ» له ولولا طهره ... ما مدّ للرحمات كفًّا أو يدا!
رهبانُه في الغرب.. منبعُ حكمة ... ما غُلّقت يومًا لملتمسِ الهدى
رشفوا من «الإنجيل» فيضَ رشاده ... وتخشّعوا حول الهياكلِ سُجّدا
وشدوا بملحمة «السلام» ورتّموا ... مزمورةً للكون خلّابَ الصدى..
لكنْ شعيبهمُ أثار عجاجة ... في الشرق طافحةً بأهوالِ الردى
فإذا التعاليمُ التي هتفوا بها ... من سورة الأطماع قد ضاعت سُدى!
وإذا بلحن السلم بين شفاههم ... عصفت به شهواتُهم فتبددا!
تخذوا الرصاصَ شريعةً قدسيّة ... وقذائفَ الأرواح نهجًا مرشدا

لم يرهبوا التاريخ في استعمارهم   أنى سطوا وكروه .. أروع سيدا

لطموه في القدس المحرم لطمة   كادت لها الأجيال أن تتهددا

مهد الشرائع من قديم .. ماله   أضحى لأحرار البرية موقدا

في كل مرتبع به، وحنية   تلقى صريعا في التراب ممددا

هانت على البطل المجاهد نفسه   فسعى لخوض الموت يطلب موردا

ألقى إلى اللهب المسعر روحه..   وكذا يكون الحر في يوم الفدا!!

الله في وطن النبوة!! نال من   شره الطغاة اليوم حظا أنكدا:

الفتنة الشعواء هاجت قلبه   لم تبق فيه كنيسة أو مسجدا

شرعت من الرق البغيض سلاحها   تتفزع الأقدار إما جردا

صرخ الضعيف شكاية من هولها   فمحى اللهيب صراخه فتشردا

فتخاله والصدر ينفث نارة   من كل زافرة تريق الأكبدا،

حملا بيد الجزار دقت عمره   فقضى بصرخته على حد المدى!

محن مرزئة! وموت عاصف   لم يبق شيخا في الحمى أو أمردا

يارب واد في الصباح منضر   غنيان باكره السنا فتأودا

لما دهته الحادثات ضحية   وسرى دخان الموت أقتم أربدا،

نفضت خمائله شبيبة عمرها   وتصاوحت فغدت محيلا أجردا

ما ذنبها؟! ما ذنب صيدحها الذي   قد كان يسجع في الخمائل منشدا؟!

خنقت مزاهره! ومات نشيده!   ونأى عن الوطن الحبيب وأقفرا!

لولا هياج الحر ديس مهاده   لثوى بجنته وظل مغردا!

يا يوم «بلفور» وشؤمك خالد   ما ضر لو أخلفت هذا الموعدا؟!

عاهدت أعزال الجسوم، سلاحهم   ما كان إلا الحق صاح مقيدا

وتركتهم رهن المطامع تبتغي   منهم على حر المواطن أعبدا

ثاروا بأرض الله ثورة عاجز   سمع القوي شكاته فتوعدا

هاجوا على الأصفاد هيجة ناسك   زحمته آثام الصبا فتمردا

هجمت على الغار المطهر في الدجى   فأثار عزلته، وهاج المعبدا..

ضجوا على «نابلس»(١) حتى كاد من   صخب الأسى والحزن أن يتنهدا

عجبا! يكاد الصخر يدمع رحمة   لهم! وقلب الآدمي تجلدا!

ومعالم الإسلام بين ربوعهم   كادت تزمجر لهفة وتوجدا

بسطت إلى قدم النزيل رحابها   فبغى على قسماتها وتهددا

وهو الذي لولا نعيم ظلالها   لمضى على كتف الوجود مشردا!

***

والشرق؟ ويح الشرق! نام أسوده   عن ثائر في القدس ضج وأرعدا

شلت عزائمهم! ونام جهادهم!   وتصرعوا في كل مهد هجدا!!

***

شرف الجهاد

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

فى غزوة أحد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم.. حتى قام «أبودجانة» فقال: وما حقه يا رسول الله. قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحنى» قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله. فأعطاه إياه.. وقال الزبير بن العوام بعد ذلك: وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السيف فمنعنيه.. وأعطاه أبا دجانة، وأنا ابن صفية عمته.. ومن قريش.. وقد قمت إليه فسألته إياه قبله.. فأعطاه إياه.. وتركنى.. والله لأنظرن ما يصنع.. فاتبعته.. فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه. فقالت الأنصار: أخرج أبودجانة عصابة الموت. فخرج وهو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى .. ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر فى الكبول .. أضرب بسيف الله والرسول

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رأى أبا دجانة يتبختر: «إنها لمشية يبغضها الله.. إلا فى هذا الموطن»[1].

صور مشرقة للفداء

عندما هُزم المشركون فى بدر على أيدى المسلمين المجاهدين.. مشى عبدالله بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية ممن فقدوا أبناءهم وآباءهم فى بدر.. تدفعهم غرائز الانتقام.. فى محاولة لتسليح الجيش، ولم الشمل من جديد.. لإنقاذ الكرامة المضيعة، ويصور القرآن الكريم هذا بقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾

(الأنفال: ٣٦)

ولم يكن المسلمون ـ وفى طليعتهم الشباب ـ فى حاجة إلى من يثير فى صدورهم جذوة الحماس إلى استئناف القتال من جديد.. فقد جاشت نفوسهم بأشواق عارمة إلى ساحة النضال.

وإذا كان المشركون هناك فى دوامة النقاش.. يقلبون الرأى حول ضرورة التجمع لضرب المسلمين.. وإذا تبجح اليهود فهونوا من شأن انتصار المسلمين فى بدر زاعمين أن لقاءهم غداً سوف يثبت أنهم وحدهم الناس.. الذين يجيدون صناعة الموت.. إذا كان الأمر كذلك فقد كان المسلمون على الجانب الآخر.. يتسابقون إلى الموت.. كما يتسابقون إلى الحياة!! على صورة من الفداء تبهر التاريخ بألوانها.

شمس لا تنطفىء

ومن أبرز هذه الصور ما نحاول تأمله اليوم.. حين يتدافع الصحابة بالمناكب حول قائدهم ـ ﷺ ـ لينالوا شرف الجهاد فى سبيل الله.

وعندما يقع اختياره على رجل يكلفه بمهمة فدائية.. فإن فرحته بهذا الاختيار وسروره بهذا التكليف لا يعادلها سوى الأسف الشديد فى صدر زميل له.. فاته ذلك الشرف العظيم!!

إن أبادجانة لم يستطع أن يخفى سروره بدوره الخطير.. ففاض البشر على جوارحه التى تختال تيهاً وفخراً.. وليُرى أعداءه من نفسه قوة.

فإذا علمنا أن دوره الخطير قد يكلفه حياته.. برزت أمامنا روعة الفدائية التى صاغها الإيمان والتى تزرى بشائعات اليهود حول قوتهم المزعومة.. فى محاولات يائسة لإطفاء الشمس فى كبد السماء.

الشوق إلى الجنة

وحينما نقترب من الموقف من دقائقه ما يبهر الأبصار، فالقائد هنا لا يفرض الدور على الجندى.. لكنه يفتح مجال الاختيار أمام كل جندى يثق بنفسه.

وإذ يقول ـ ﷺ ـ متسائلاً: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟».. فإنه يستدعى بالتساؤل مواهب الصحابة.. ويوقظ عزائمهم، لتنهض للقيام بدورها مادامت تحس فى نفسها قدرة عليه.

كانت ظاهرة صحية أن تسابق الرجال استجابة لتساؤل آثار فيهم الشوق إلى الجنة.. وفى مقدمتهم ابن عمته: الزبير بن العوام.

ويمسك القائد سيفه عن هؤلاء جميعاً، ثم يؤثره أبادجانة الذى سأل عن حق السيف حتى يراجع نفسه.. ويتحقق من قدرته على الوفاء بحقه.

حتى إذا أحس من نفسه القدرة، هب على

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/١٢٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣، القسم الثانى، ص١٠١.

الفور كأنما نشط من عقال.. وتقدم ليحمله فى صحبة أمل عظيم فى الله - تعالى - أن يكون عند حسن الظن به.. لاسيما بعد أن منع الجميع منه.. دونه.

دور الجندى المسلم

وإنها لفرصة حبيبة إلى نفس الفدائى أن يضرب العدو حتى يحصد بالسيف رأسه.. فيوفيه حسابه.

وقد كان فى عرض الرسول - ﷺ - ما يكشف عن دور ذلك الجندى المسلم فى معركة تجيء عقب انتصار بدر.. وما يفرضه ذلك من فدائية لابد منها إذ يبلغ الصراع حينئذ ذروته فى معركة حياة أو موت. ولابد إذن من الجندى الجسور.. فى معركة لا مكان فيها للخائف الحذر.

وكان هذا التسابق الواضح دليلاً على ارتفاع الأمة إلى مستوى مسئولياتها.. وإدراكها لطبيعة المعركة فى أحد.

قيم أصيلة

وهذه القدرة العسكرية التى زكاها الإيمان.. وتعهدها القائد العظيم لا تحجب أبصارنا عن التحول الاجتماعى الكبير، وعن جوهر التربية المحمدية الرامية إلى تغيير المفاهيم الخاطئة حتى بين يدى المعارك التى تشد إليها الانتباه.. ولا تبق اهتماماً بما سواها.

وما كان للجيش أن ينتصر أبداً ما لم يكن له سند من قيم أصيلة يقيم كيانه عليها هذه القيم التى تبدو فى موقفه - ﷺ - من ابن عمته الزبير.

فابن عمته غاضب.. لأنه تجاوزه إلى الأجنبى! مع أنه ابن عمته.. ثم هو من قريش.. بالإضافة إلى أنه قد سبقه إلى طلب السيف فلماذا لم يؤثره به؟!

فانظر كيف كان العرض النبوى الحكيم فرصة ذهبية.. تعلن فيه الطبائع عن نفسها.. بما تظهره من مكنون سرها.. ولولا حكمة الرسول فى الاختيار لما ظهرت هذه الأسرار.. لكنها تبدو.. ثم تلاحق بالعلاج والتقويم.

مقياس الاختيار

ويحمل أبودجانة سيفه.. ثم يمضى فى جو نزيه عادل.. فمعانى القرابة والانتماء والأولوية.. كلها.. بمقدار ما يبذل الإنسان من نفسه.. فالمعركة أولاً والمعركة أخيراً.

إن قربك لإنجاز المهمة.. وانتماءك للمعركة.. هو وحده مقياس الاختيار.. وهو وحده مناط الحكم لك.. أو عليك.

وإذا كانت هناك أسماء لامعة.. تحاول فرض نفسها.. والاستئثار بموقف ما.. فإن بين الجماهير الغفيرة جنوداً بواسل.. براعم القائد الملهم.. وإذا لم يكن الناس يعرفونهم فيكفيهم شرفاً أن الله - عز وجل - يعرفهم ببلائهم فى المعركة.. ويدخر لهم مقعد صدق عند مليك مقتدر.. كفاء ما يقومون به من جهاد.

فالمعركة وحدها هى التى تبرز الكفايات.. لأنها وحدها مقر الامتحان العسير.. الذى لا يكتب المرء فيها تاريخه بقلمه.. ولكن.. بدمه.. وعرقه!

كفايات نادرة

وهكذا ترى فى موقفه - ﷺ - فراسة المؤمن الذى ينظر بنور الله - تعالى - لقد كان قلبه أكبر من ساحة القتال على اتساعها.. فاستوعب به ما حوله.. ومن حوله.. ثم وازن.. واختار.. فأتاح بالاختيار فرصة برزت فيها كفايات نادرة.. كان من الممكن أن تعيش أيامها فى الظل بطاقاتها المعطلة التى لم تكتشفها يد صناع!

ولاشك أن ابن العوام يدرك هذه المعانى جيداً.

وما كان له أن يضيع عمره فى نقد لاذع يستهدف به القائد وجنده.. أو فى هجوم موصول على موازين المجتمع الذى لم يحقق رغبته.

ثقة بالنصر

بيد أنه يحاول مخلصاً أن يتحسس مواطن القوة فى أبى دجانة والتى رشحته لحمل السيف دونه.. ليحاول مثله الوصول.. ثم إنه كجندى مثله مشغول بالنصر الذى يسره أن يتحقق على يد أبى دجانة أو على يده هو.. المهم.. أن ينتصر المسلمون.. ويخذل المشركون وليكن ما يكون!!

ويكشف ابن العوام أحقية أبى دجانة بشرف الاختيار:

لقد أراه حبه للحرية.. وتغنيه بها «ألا أقوم الدهر فى الكبول».. فى القيود.. الحرية المحكومة بشريعة الله - عز وجل - المستهدفة سعادة الإنسان حيثما كان وليست هى الفوضى التى يروج لها أدعياؤها.

وما أجمل أبا دجانة وهو يمشى تياهاً فخوراً بما يملك من ثقة بالله.. وفرح بالجهاد فى سبيله.. وإنها لمشية تستحيل فى حلوق الأعداء غصة تشل حركتهم.. وتطأ من كبريائهم بقدر ما تعلى قدر المسلمين.. وترفع من معنوياتهم.. وهو ما تحقق فعلا عندما هزم المسلمون فى أحد.. لكن نفوسهم بقيت متماسكة فى أحلك الظروف بيقينها بربها.. وثقتها بنصره المبين الذى إن لم يكن اليوم فغداً.

اليقين والزهد

وبعد:

فقد قال - ﷺ - «نجا أول هذه الأمة باليقين.. والزهد.. ويهلك آخرها بالبخل والأمل»[٢] وما حدث من أبى دجانة صورة من صور هذه النجاة التى كانت سمة العصر النبوى كله.. والتى كانت تستمد قوتها المعنوية والمادية من روافد اليقين، والزهد فى الدنيا وما تحفل به من أسباب التفرق والنزاع.. الذى يمتص من جسمها العافية.

والأمة الإسلامية مطالبة اليوم أن تستلهم عزها من تاريخها المجيد.. بالتخلق بأسباب النجاة كما تحدث بها رسول الله - ﷺ -.

وفى نهاية هذا نقول:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾
(المزمل: ١٩)

---

(٢) الترغيب والترهيب ٤/٢٤١، إتحاف السادة المتقين ١٠/٢٣٩.

خطبة الجمعة

الخط البيانى للتاريخ الإسلامى

لفضيلة الشيخ / محمد الغزالى

إعداد الشيخ / على حامد عبدالرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير.
وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فيخطىء من يظن أن هزائم الإسلام فى القرن الأخير كانت بدعاً فى تاريخه الطويل - لا - إن الخط البيانى للتاريخ الإسلامى متعرج، ينخفض انخفاضاً شديداً، ويرتفع ارتفاعاً شديداً، ويعلو ويهبط وفق القانون الإلهى الذى يقول:

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(آل عمران: ١٤٠)

نعم قد يعلو أمر المسلمين، وقد يهبط. هبط فى قرون مضت حتى اغتُصب «الحجر الأسود»، أخذه «القرامطة» قسراً، وظل عندهم نحو ربع قرن، فما عاد إلا بعد لأى!!.

وهبط مستوى التاريخ الإسلامى إلى الحضيض يوم دخل «التتر» بغداد وقتلوا الخليفة وأذلوا الأمة الإسلامية أشد الذل.

ولكن هذا التاريخ الذى هبط سرعان ما علا، فما مضى قرن حتى كان المسلمون يدقون أسوار «فينا» - عاصمة النمسا - ثم قبل ذلك وصلوا مخترقين «الأندلس» إلى «جنوب فرنسا» إلى أواسط «سويسرا»..

مد وجزر

هذا التاريخ الذى يتأرجح بين «مدٌ وجزر» حقيقة لابد من الاعتراف بها.

ونحن - المسلمين - نواجه - بإيماننا - هذا الواقع، فقد يقع أن تعيش أو نولد فى عصر الإسلام فيه غريب، وأمته منهزمة، وأحواله مضطربة، وأعداؤه يتربصون به.. على الغرباء - من هذا القبيل - أن يتماسكوا، وأن يعلموا أن الله - تعالى - اختبرهم بهذه الغربة حتى يؤدوا ما عليهم فى إعزاز دينه، ورفع كلمته، وتعمير مساجده، وإحياء حدوده، وحفظ شرائعه، وما إلى ذلك كله مما لابد منه لحماية الإسلام.

وهو معنى الغُربة الذى ورد فى بعض الأحاديث: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء»[1] وفى رواية أخرى: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. قالوا يارسول الله ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس»[2].

إن الغريب الذى يحيا بدينه، ويحيا لربه، ويحيا من أجل عقيدته قد يكون غامضاً فى الناس أو غير معروف أو غير مشهور، مايعنى هذا أحداً، إنما الذى يعنى كل مؤمن أن يحيا لله، وأن يعيش فى كفالته، وأن يستمد منه النصرة، وأن يواجه الأحداث كلها بهذا اليقين.

هزائم وخزى

انعقد مؤتمر «بال» فى «سويسرا»[3] وقرر المؤتمرون أن يُنشئوا دولة على أنقاض العروبة والإسلام فى فلسطين، وقرروا لإقامتها خمسين سنة..

وتساءلت: ماذا صنع آباؤنا عندما تم هذا المؤتمر؟.

ألم تكن لهم حاسة يشمون بها ماوقع فى الدنيا؟.

ألم يعرفوا أنهم هدف لأعداء لا ينامون؟.

ما الذى عراهم حتى سكتوا؟.

وسكتوا، وكانت النتيجة الخزى، وأقيمت دولة لليهود على أنقاض العرب والمسلمين.

● وقعت الحرب العالمية الأولى، وخان العرب «الترك» وانهزم الأتراك، وقُسمت تركة «الرجل المريض»[4] على المستعمرين الأقوياء، ودرسنا فى التاريخ - ونحن طلاب - أن ليس فى إفريقيا دولة إسلامية، ولا دولة مستقلة!!.

العرب بقضِّهم وقضيضهم، والمسلمون

١- رواه مسلم فى الإيمان- باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ١/٩٠.
٢- قال فى المجمع: رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة ٧/٢٧٨.
٣- انعقد هذا المؤتمر فى أغسطس ١٨٩٧م وهو الحدث المؤسس للصهيونية السياسية، وراجع ما قرره المؤتمر فى كتاب «فلسطين أرض الرسالات الإلهية» للأستاذ رجاء جارودى ترجمة الدكتور عبدالصبور شاهين.
٤- «الرجل المريض» تعبير ساخر أطلقه الدبلوماسية الأوروبية على الدولة العثمانية المحتضرة فى ذلك العصر.

باختلاف أجناسهم وألوانهم تحولوا جميعاً إلى مستعمرات !!.

● سقطت الخلافة الإسلامية الشيخ، والخلافة تمثل فى تاريخ المسلمين أبوة روحية وثقافية واجتماعية لابد من حياطتها، ولابد من إدراكها حتى لا تكون أمة يتيمة فى هذا العالم. خصوصاً أن غيرنا صنع لنفسه كياناً روحياً أو اجتماعياً عاش به وتماسك بفضله، فكيف ينقسم المسلمون على هذا النحو الشائن؟.

ولكنَّ الآباء الأقربين ـ غفر الله لهم ـ ما أحسنوا التصرف أمام هذه الأزمات لكن أريد أن يُعرف ما أكدته أولاً: أن الإسلام قد يمرض ولكن لا يموت، وأن أمته قد تتبدد ولكنها تتجدد وتتماسك.

الصليبيون والتتار

وأذكر أنى قرأت لمستشرق أمريكى ـ كان لبنانيا وتأمرك ـ اسمه «فيليب حتى» ذكر فى كتابه «العرب» أن الأمة الإسلامية واجهت ـ فى أوائل القرن الثانى عشر للميلاد ـ وضعاً غريباً، فقد اندحرت فى كل جبهة، وانهزمت فى كل ميدان، وانطلقت بين الناس كلمة واحدة هى: أن كل شىء يؤذن بزوال دين محمد!! كيف؟!! قال: استطاع الصليبيون الزاحفون من غرب العالم الإسلامى أن يأخذوا بيت المقدس، وأن يتحسسوا الطريق إلى شمال الجزيرة العربية، كى يصلوا إلى القبر النبوى فى المدينة المنورة!!.

وفى الوقت نفسه استطاع «التتار» شرق العالم الإسلامى أن يهدموا المدن العظام، وبلغت الخسائر فى السكان نحو ٩٠٪ أى تسعة أعشار السكان، ولما دخلوا «بغداد» ورموا بالمكاتب الإسلامية فى «الفرات» اسودت المياه من كثرة «الحبر» الذى باد!!.

كان كل شىء يؤذن بزوال دين محمد، مابقى إلا أن تنطبق «الكمَّاشة»، وتقترب أذرعتها على قلب العالم الإسلامى فى «مصر» وغيرها ويتلاشى الإسلام من العالم كله!!.

هكذا وصف «فيليب حتّى» فصلاً من فصول التاريخ الإسلامى، ولكنه فى نهاية الفصل قال: وعندما انتهى هذا القرن كان هناك سؤال آخر: هل سيقف شىء أمام دين محمد!!.

كيف؟!! ماذا حدث؟!!.

الذى حدث أن المسلمين استطاعوا أن يستردوا بيت المقدس بعد تسعين سنة من قيام دولة «لاتينية» فيه.

سقطت الدولة، أسقطها «صلاح الدين الأيوبى» وأعاد الأذان إلى «المنارة» الخرساء، وأعاد التوحيد وكلمته إلى «المنبر» الساكت!!.

واستطاع المسلمون «شرق العالم الإسلامى» أن يدخلوا «التتار» فى الإسلام!!.

فإذا العالم الإسلامى فى القرن الثامن الهجرى يستأنف صفحة جديدة، وإذا به يتجاوز هزائم القرن السابع الهجرى لتنطلق دولة الأتراك العثمانيين خلال القرن الثامن ثم تبدأ تطوى الطرق إلى «القسطنطينية» حتى يصل أخيراً إليها الرجل الصائم القائم العبَّاد السجَّاد المتهجد الشجاع «محمد الفاتح» الذى أسقط دولة «الروم الشرقية» ورفع علَم التوحيد هناك!!.

أسباب النصر

هذا دين يجب أن يُعرف أنه لا يموت، إنه باق إلى قيام الساعة، وعندما ينتظر أعداؤه أن تُشيع جنازته يبدأ شروق شمسه من جديد!!.

إننا نعلم أن انتصارنا وانكسارنا لا يرجع إلى قوة أعدائنا أو ضعفهم، إن انتصار المسلمين وانكسارهم يعودان إلى الأمة الإسلامية نفسها، فإذا وحَّدت كلمتها، ومن قبل ذلك وحَّدت ربها، ولزمت أمره، وأقامت حقه، نصرها:

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

(محمد: ٧)

القلة والكثرة ليست من أسباب النصر، انتصر المسلمون فى «بدر» وهم قلة، وانهزموا فى «حنين» وهم كثرة، إنما ينتصر المسلمون إذا أحسنوا علاقتهم بالله، وأدوا ماعليهم له.

ويُوجب علينا هذا أن نعرف الخطة الجديدة التى سلكها أعداء الإسلام ضدنا فى العصر الأخير.

أول درس

إن الاستعمار الصليبى الغربى عندما انهزم بعد مائتى سنة من قتال متصل قدر أن يستفيد من الهزيمة، واجتمع رجاله، كى يتعرفوا السر فيما نزل بهم، وكان سؤالهم: لقد جمعنا لقتال المسلمين فما بخلنا بمال ولا تأخرنا عن جهد، ومضى القتال مائتى سنة فلم يكن القتال مباراة ساعة أو ساعتين للحظ دخل فيها، -لا- فما الذى جعلنا ننهزم آخر الأمر؟!!.

وكان الجواب الذى أكده مؤتمرهم، وقرره علماؤهم، وسار عليه ساستهم: أننا أخطأنا فى أمور:

● أولها: أننا كنا صرحاء فى محاربة الإسلام، وكان يجب أن نكون خبثاء فى محاربة الإسلام!!.

أفهمنا المسلمين أننا إذا احتللنا بلادهم فسنمحق دينهم، وكان يجب أن نمحق هذا الدين بنياتنا وأعمالنا دون أن ننطق بكلمة تدل على هذه النية أو تشرح هذا الاتجاه، فإن المسلمين إذا علموا أن دينهم سوف يمحق تحرك القاعد واستيقظ النائم، وتجرأ الجبان، ودافع الكل عن الدين!!.

قالوا: فلنقرر ذبح الإسلام فى قلوبنا ولكن نلبس «قُفَّازات» من الحرير، ونقول كلمات من العسل، ونخدع الغافلين، ونقول لهم كلمات أخرى: كعلمانية، تقدمية، قومية، كلمات كثيرة يمكن أن تخدع هؤلاء عن النية التى بيَّتناها فى قلوبنا لضرب الإسلام، وبذلك لا يتحركون ضدنا صفاً واحداً!!.

هذا أول درس قالوه، ثم قالوا: لقد هجمنا على بلاد لم نحسن دراستها، ولم نعرف شئونها، ولم نخبُر أحوالها، فكنا لا ندرى أين نضع أقدامنا، وكانت النتيجة أن زلَّت أقدامنا فى مواطن كثيرة..

إذن لابد من دراسة العالم الإسلامى، فكان علم الاستشراق وكان المستشرقون وتطور الاستشراق إلى ماتسميه الآن «الغزو الثقافى».

هذا الغزو الثقافى امتداد لعمل

المستشرقين، وكم من كُتاب عاشوا بيننا لا عمل لهم إلا أن يسمموا الفكر الدينى عندنا.

سماسرة الغزو الثقافى

ومعروف أن رجلاً مثل: «توينبى» حذّر قومه من هذا المصير، قال لهم: إننى درست إحدى وعشرين مدنية، فسدت وانهارت لأن المرأة تركت البيت وشُغلت فى الملذات وأندية الليل!!.

هكذا يقول «توينبى» ليحذر قومه، أما سماسرة الغزو الثقافى فى بلدنا فإنهم يريدون أن ينقلوا الملذات إلينا، أما نقل العلم والتقدم فهو لا يخطر لهم ببال!! هذا درس ثان قاله أعداؤنا لأممهم وشعوبهم وأنفسهم.

ودرس ثالث: قالوا: لم تحسن الاستفادة من الأقليات الدينية فى العالم العربى، وتوجد فى العالم العربى أقليات دينية يجب أن تشجعها على الانسلاخ من أوطانها، وعلى أن يكون لها كيان مستقل!!.

وهذا خط جديد عُرف، ويجب أن يُحذر، وأن يتم بين جماهير المسلمين عرفانه والتيقظ له.

إذا كان أعداؤنا قد استفادوا على مرُ الزمن أن يغيروا خُطط الهجوم، وأن يعرفوا أدواءنا، وأن يعرفوا كيف يضعون أقدامهم على ترابنا، وأن يعرفوا كيف يمزقون صفوفنا وينالون منا.

فإن على المسلمين أن يستيقظوا، وأن يعرفوا أن صلحهم مع الله هو أساس نجاحهم، وأن انتصارهم رهن باستقامة أمورهم.

عندما يكون النصر حق لنا!!

يقول النبى ﷺ: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها مازُوى لى منها، وأعطيت الكنزين الأحمر، والأبيض، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لايُسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال: يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرد، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامّة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – أو قال من بين أقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبى بعضهم بعضاً»(*).

لو انتهت العلل التى تفسد مابيننا فإن النصر حق لنا، وهو رحمة الله التى تجىء غدقًا يوم تمتد أيدينا إليه تطلبها.

إننى متفائل وأشعر بأن الأمة إلى خير، وأن على علماء المسلمين فى كل مكان أن يجندوا الجماهير لتبقى على وفائها للإسلام وتحمُّل البلاء فى سبيله.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

---

*- رواه مسلم فى الفتن- باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ١٧١/٨ ومعنى زوى: جمع، والمراد بالكنزين: الذهب والفضة. يستبيح بيضتهم: أى جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً العز والملك. أن لا أهلكهم بسنة بعامة: أى لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون فى ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقى بلاد الإسلام.

الاختلال الحضارى القادم!!

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر

إذا كانت الحضارة تعنى فى النهاية تحضُّر الإنسان لا مجرد تحضر الآلة فإن المستقبل – حتى المنظور– يحمل جنين كارثة حضارية ربما بلا حدود، لأن كثيرا من القيم التى تحصن الإنسان ضد تميُّع الذات وتفسُّخ الهوية وتشتت الرؤية توشك على الأفول والضياع، ولأن كثيرا من هذه القيم بدأ يستسلم لعملية استبدال ساحقة، فالنخوة عادت تدخلا فيما لا يعنى، والقراءة أصبحت هروبا فيما لايجدى، والحب صار تنازلا لايليق، والآخر أمسى عدوا حتى قبل أن يلقاك أو تلقاه!!

صحيح أن حضارة التصنيع قفزت فى المجتمعات الإسلامية قفزات هائلة، والذى لاتبدعه أيدينا يبدعه الآخرون مرحليا ثم نستقل نحن بإبداعه، وصحيح أن تطور حضارة التصنيع مؤشر على تقدم أى مجتمع من المجتمعات، ولكن ليس إلى الحد الذى تختل فيه الموازين، فتطغى الضرورة على الواجب، وتحتل الآلة الإنسان، ويصبح مجمل القيم تاريخا مقروءا وليس تعاملا يوميا.

ويخطىء من يظن أن كل مرحلة تاريخية تفرز قيمها الخاصة، ويسحب هذا الحكم على قيم كالفضيلة والثقافة والانتماء والحب، وسائر هذه القيم التى شكلت منحنى التطور فى كل الحضارات وكل الشعوب، إن قيمة كقيمة الثقافة مثلا لا تشكل فقط مجرد وعى حضارى يفتح للشعوب طريقها إلى امتلاك الواقع والمستقبل، ولكنها كذلك تشكل سياجا يحرس تطور الآلة أن يغتاله واحد من اثنين: الجهل المخرب.. أو التوجيه المدمر.. وليس ذلك فحسب وإنما تشكل كذلك نوعا من التعامل المتحضر مع هذه الموجودات الحضارية المادية، ولنأخذ مثلا ما نراه فى الحافلات العامة من كتابات على جدرانها وتمزيق لمقاعدها، إن هذا الفعل المتدنى لايصدر عن مثقف يعرف قيمة ما تؤديه هذه الحافلات من دور، إن لم يكن للقادرين فلغير القادرين.

الاختلال الحضارى القادم يمكن أن يأتى على محورين متوازيين: محور الإحساس بالامتلاء المادى الذى لايترك فراغا لأى إشباع روحى وفكرى، ومحور الانطلاق فى التعامل مع المنجز الحضارى الآلى من فراغ الجهل وركاكة الاستعلاء.. وفى هذا الصدد يمكن أن تستنفر كل القوى الإسلامية الموجهة حتى لا يصاب هذا المد الحضارى بالبوار. إن مهمة التوجيه الإسلامى فى هذا المجال أن يحرس مسيرة التطور وأن يضع فى قلبها نبض القيمة وعلى رأسها تاج الشكر لله على أن نعى أن الشكر لله، ليس مجرد مقولة لسانية مجردة، وإنما هو توظيف للمادة فى سبيل تنمية الواقع المسلم وحفاظ على خط التعادل الذى لايطغى فيه جانب على حساب جانب آخر.

الشتات المروع

الاختلال الحضارى القادم يمكن كذلك أن يأتى من هذا الشتات المروع فالمسلم لايلتقى بالمسلم إلا فى ساحة العرض التجارى أو زحمة الشارع المكتظ أو أبهاء المدرسة والجامعة ودواوين الوظيفة.. وهى لقاءات تفرق أكثر مما تجمع، فالتجارة مباراة واقتناص، والشارع مساحة من الأسفلت المادى والعاطفى، وأماكن التجمع الوظيفى والتعليمى مدرجة إلى عشق الذات وإهدار الآخرين. فإذا التقى المسلم بالمسلم حتى فى الصلاة الجامعة فقد لايرى أحدهما وجه صاحبه، وإذا رآه فهى رؤية خالية من أى معنى وكل معنى، مما يؤكد وضعية الشتات التى أريدت للمجتمع الإسلامى أو التى أرادها هو لنفسه عن جهل بمعقباتها الوبيلة.. حتى الحج هذا التجمع الإسلامى الذى فرغه المسلمون للأسف أو كادوا من أروع مضامينه النبيلة، وهى صهر هذه الكتل الإسلامية فى بوتقة الوعى الواحد والتوجه الواحد من خلال تدامج روحى ومعرفى معا، يتيح للوجع الإسلامى أن يعرض نفسه على الجميع، وللعافية المسلمة أن تزحف على أرباض هذا الوجع الردىء!!

هويتنا الحضارية

الاختلال الحضارى القادم يمكن أن يأتى كذلك من نوعية ثقافتنا المطروحة على الساحة المسلمة فهى ثقافة تؤكد على عناصر التدلى والإقليمية وتضخم الذات، وترفض أن تصل أرضها بالسماء وواقعها بكل الواقع المسلم وذاتها بالآخرين وليس غريبا بعد ذلك أن ينشأ جيل بعد جيل لايؤمن بحيوية التواصل المسلم ولا بصميمية الانتماء الفكرى ولا بحتمية مسئوليته تجاه هذا القطيع التائه فى مفارق التذويب.. إن الثقافة المسلمة البديلة يجب أن تقتحم الساحة بلا تردد، مسلحة بالوعى الكامل بعصرها وتراثها، وأيضا بالاقتدار الباسل على إضاءة الماضى بالحاضر، والحاضر بالماضى، حتى تردم هذه الهوة الفاغرة بين ماضينا وحاضرنا وحتى لا نفقد شرط الحلول فى العصر أو شرط الانتماء بعصرنا إلى هذا الماضى المنجب المعطاء بكل أولئك وغيره، يمكن أن نتوقى كارثة الاختلال الحضارى القادم وأن نعيد حساباتنا مع العالم من منطلق هويتنا المسلمة الراسخة، غير رافضين حتى للحظة واحدة أن نستقطب ثقافة العصر، وأن نعيش نبض المرحلة مسلحين - كما أسلفت - بدينتا ولغتنا وهويتنا الحضارية.

حتى ثقافتنا الجامعية أصبحت ثقافة شبه ترددية؛ لأنها فقدت شرط التعامل مع حركة الواقع المسلم كمدخل ضرورى لتعلية هذا الواقع وتنظيفه، وحين يسألنا طلابنا فى الجامعة: أى مردود يمكن أن نحصله من وراء هذا الكلام الذى نتعلمه؟ فإنهم يفجرون فى الواقع جرحا من أعمق جراحنا الآنية؛ لأننا معهم إما أن نكون عاجزين عن ربط ثقافتنا بواقعهم اليومى المعاش، وإما أن نكون عاجزين عن لفتهم إلى بداهة أن القيم الكبيرة قد لا يكون لها مردود مادى منظور فى نفس اللحظة التى تشكل فيها وجداننا تشكيلا يحفظ على وجودنا الحضارى استمراره وينمى فينا ملكة الاستمتاع المشروع بكل جماليات العطاء الحضارى فى يومنا.. وغدنا.. ودائما!!

المشترك الإيمانى

الاختلال الحضارى القادم يمكن أن يتمثل فى عزل الدينى عن الدينى من جهة وعزل الدينى عن الإنسانى من جهة أخرى.. إن مجمل الأديان تنهض على مشترك عام هو الإيمان بالله مثلا.. وبما يستتبع الإيمان بالله من تكريس القيم الكبرى كالخير والفضيلة والحب ورفاهية المجموع.. ولكن أتباع كل دين ذهبوا فى الخلف طرائق قددا فهددوا البناء الحضارى وأربكوا القيم الأصولية، ومن ثم جاء الإسلام متمما ومرشدا ليشد من أزر الأصول المشتركة وليجعل من الخلافيات موئلا للتأمل ومحاولة التصحيح حتى لا يتيح للاختلال الحضارى القادم قريدا من المساقات التى يتحرك فوقها ويمزق بذلك وحدة المشترك الإيمانى، ويزحم الأرض بألوان من إضمار الكراهة الفتاكة، وإضمار نوع من تدمير الآخر إما بالعدوان المباشر أو الفتنة المستخفية أو تغذية الشعور بأننا موجودون على الأرض ليس لتشييد سلامها المطمئن بقدر ما نحن موجودون عليها لتخريب منطق الحركة فى اتجاه عقلانية إيمانية تساعد التطور فى اندفاعه وتحصن الثوابت فى مغارسها وتمنع الاختلال الحضارى القادم من اقتلاع كل الشجر وترك الأرض الخراب بلا ظلال وبلا ثمار!!

كتب الخرافة!!

الاختلال الحضارى القادم بعض حصاد الكتب المغشوشة التى تروج للخرافة والرفض العقل وتصادر إقامة عرش الدين على دعائم من شمولية النظر الأصولى الذى يرفض مبدأ المناقضة ويدين تكفير الآخر ويعرض عن مواجهة العرى المكتسح فى الشاشات وفى العقول. وكذب أن هذا العرى - كما يقال - أول مدارج المعاصرة والتطور وامتلاك منطق الجماليات، مع أن العرى الجسدى والفكرى يصيب المتلقى بغثيان الرؤية وفجاجة المضمون وتناقض مفاهيم الجمال..

إن الجمال المبذول على أرصفة الشارع والمنقى فى لوحات الشاشة المتهرئة يحرضنا على كراهية الجمال وإدانة مقاييسه التى يتحكم فيها عنصر اللحم والدم والحركة الرخيصة النازلة.

نحن والغرب

د. حمدى فتوح والى

أعجب لأمة تملك كل مقومات الحياة الكريمة وترضى لنفسها أن تموت، وتملك مقومات السيادة وترضى لنفسها أن تذل، وتملك كل مقومات الهداية، وترضى أن تضل وأن تهون.

ويزداد عجبى عندما أرى أمماً لا تملك عقيدة مقدسة، ولا تاريخاً مجيداً، ولا رسالة إلهية تصون كيانها، وتحمى أبناءها، وأراها تحاول جاهدة أن تصطنع لنفسها عقيدة، وتدعى لها تاريخاً، وتحاول إقناع مواطنيها بأن لهم أمجاداً عالية، ومقدسات سامية، وهم يعلمون جيداً أنهم يكذبون، لكنهم مع ذلك يواصلون الكذب حتى يقنعوا مواطنيهم بأنهم على شىء وأمريكا وإسرائيل أوضح مثال على ذلك.

وأمام هذا الإصرار العجيب من هؤلاء القوم، وجدتنى أتساءل فى حيرة: إذا كان هؤلاء قد وجدوا الدافع النفسى الذى يحملهم على الكذب لكى يصطنعوا لهم حضارة، أفلا نجد القوة النفسية التى تجعلنا نثق بأنفسنا ونعتز بحضارتنا، ونتمسك بعقيدتنا ونباهى الدنيا كلها، بما قدمنا للبشرية من مدنية وازدهار؟! وهل يمكن أن يصل بنا غياب الوعى والذهول عن الذات إلى هذا الفصام المرضى الذى يجعلنا نرى طوق نجاتنا وسبب عزنا ومجدنا، ثم لا نملك القوة النفسية لكى نكسر حاجز الوهم المرضى الذى ضرب على عقولنا، وسيطر على إرادتنا فأحدث بنا هذا التخلف الشائه، وهذا الجهل المعيب؟!

ثارت فى نفسى كل هذه الانفعالات عندما قارنت بين حال أمتنا اليوم، وبين حالها يوم كانت أمة واحدة، تنطلق من منهج واحد وتتجه إلى هدف واحد وتدين بالولاء والحب والطاعة لقائد واحد، وتستشعر الخطر على كيانها فتنهض لدفعه بجيش واحد، وتساءلت فى حيرة: أى شيطان مارد.. وأى عدو حاقد حاسد أوصل أمتنا إلى هذه الحال؟ وهل وجدت أمتنا منهجاً يغنيها ويسعدها بديلاً عن الإسلام؟ وأى منهج هذا الذى اخترعته أهواء البشر فكان أولى وأحكم من منهج الله؟

إن الأرض لم تعرف فى تاريخها الحديث مناهج عقائدية وفلسفية ظهرت فى حياة الناس واشتهرت، وتمكنت من عقولهم وقلوبهم واستفحلت، سوى منهجين اثنين: المذهب الشيوعى والمذهب الرأسمالى.. فالمذهب الشيوعى الإلحادى، الذى وضع بذرته الإلحادية، ورعى شجرته الشيطانية الفيلسوف الألمانى اليهودى «كارل ماركس» هذا المذهب الذى صادف بيئة أثقلها الفقر وسحقها ظلم القياصرة فى روسيا فانتشر بدعوة ماركس إلى إنصاف الفقراء والانتقام من طبقات الأغنياء، وانتهز تجاوزات وانحرافات رجال الدين الذين صارت مهمتهم تملق الأغنياء وإضفاء الشرعية على أخطاء الحكام، ومحاولة إرضاء المظلومين المسحوقين بالوهم، وتعليلهم بصكوك الغفران، وتخديرهم بهوان الدنيا، وإقناعهم بالاكتفاء بالجنة انتهز ماركس هذا المناخ المشحون بالطبقية والحقد من الفقراء.. وبالتسلط والظلم من الأغنياء وبالسلبية والشعوذة من رجال الدين وأعلن صيحته الماكرة المدمرة: «يا فقراء العالم اتحدوا» ثم دعاهم إلى الثورة قائلا: إنكم إن نجحتم ملكتم العالم كله وإن خسرتم فلن تخسروا إلا الفقر، وانفجر بركان الحقد، يغذيه شعور عميق بالحرمان والفقر، فى صورة ثورة دموية عام ١٩١٧م.

وبهذه الفوضى الدموية المدمرة حاول ماركس أن يحل أزمة البطون الجائعة، ولأن الدين فى نظره كان متهما بتخدير الشعوب، وليس التطبيق الخاطىء للدين، صار الدين جريمة من أعظم الجرائم عليهم وتسلط على الناس شياطين آلت إلى أيديهم مقاليد الحكم وخزائن الدولة، وحرموا على الناس الملكية الخاصة، فتعطلت فى الناس المواهب والعبقريات عندما تساوى الجميع فى الحرمان، واستأثروا بملكية كل شىء، وهكذا أرادوا أن يتحرروا من ظلم طبقة الأغنياء فحل الحزب الشيوعى مكان الأغنياء، وتحول الناس جميعاً إلى شركاء فى الفقر ومحرومين من التملك وممنوعين من ممارسة الإيمان وامتلأت النفوس بالقهر وشحنت المشاعر بالكبت وعانى الجميع مرارة الحرمان، وضاقت الفطرة السوية التى تحن إلى خالقها بهذا السجن الرهيب، فتمردت على قيود الإلحاد القاسية لتعلن التحرر من كابوس الشيوعية الرهيب ولتنهار امبراطورية الاتحاد السوفيتى أمام ضربات جندى الفطرة السوية مدعمة بجنود الإسلام فى أفغانستان، وفرح المسلمون بهذا السقوط السريع لكنهم نسوا أنهم أصبحوا فى مكان العدو الروسى الذى أسقطوه، وتحولوا إلى هدف واضح ومضمون للوحش الغربى المتعطش إلى دماء المسلمين، ممثلاً فى الحضارة الغربية، ولأن الجندى الحقيقى الذى عجل بسقوط الشيوعية كان هو صراع الفطرة المكبوتة وإصرارها على البقاء، ولأن غريزة التدين لا تقل إلحاحاً وضرورة فى حياة الإنسان عن غريزة حب البقاء وطلب الأمان، فإن هذا الجندى مايزال يمارس دوره، ويؤكد وجوده مع الشق الآخر من الحضارة، وهو الحضارة الغربية تلك الحضارة التى تمثل أكبر خديعة عرفتها الأرض فى تاريخها الطويل، وتمثل فى الوقت ذاته أعظم جريمة وقعت بالبشرية على مدى تاريخها كله، ويكفى أن الإنسان فى ظل هذه

الحضارة قد فقد إرادته وإنسانيته، وتنازل عن رسالته وكرامته، التى جعله الله بها إنساناً.

وتحول إلى «شىء» مجرد شىء يأكل ويشرب ويتناسل ويتمتع بكل لذائذ الأرض كأى حيوان فيها، إنه كما يصف أحد فلاسفة الغرب: «نصف أبله، حسن التغذية، ضحل فى عواطفه، فقير فى علاقته الإنسانية، دمية سوقية، يسيطر عليه الخداع من المهد إلى اللحد».

ولقد استطاع الفيلسوف الألمانى «هربرت ماركيوز» أن يشخص طبيعة الإنسان فى النظام الرأسمالى الغربى فأجاد التوصيف عندما أصدر كتابه «الإنسان ذو البعد الواحد» الذى يقول فيه: «إن الإنسان ذو البعد الواحد، هو الإنسان التشيء»[1] الذى فقد حتى مجرد الإحساس بالاغتراب، فمفهوم الاغتراب نفسه يصبح أمراً مشكوكاً فيه عندما يتوحد الأفراد أنفسهم مع الوجود المفروض عليهم، والذى فيه يجدون تطورهم وإشباعهم.

وهذا التوحد ليس وهماً بل واقعاً، غير أن هذا القمع يمثل مرحلة أكثر تقدماً من الاغتراب: فالاغتراب يصبح موضوعياً تماماً فيتم ابتلاع الذات المغتربة بوجودها المغترب، إن ما يوجد فقط هو البعد الواحد، إنه يوجد فى كل مكان وفى سائر الأشكال، وهذا هو الشكل الخالص للعبودية.. أن يوجد الإنسان كأداة أو كشىء.

ثم يصل «ماركيوز» إلى ما هو أبعد من ذلك عندما يقول: «ولو افترضنا أن الحياة بعثت فى (الشىء) وأصبح لديه القدرة على اختيار حاجاته المادية والفكرية، فإن هذا لا يعنى أن وجوده الفارق فى العبودية يمكن أن يتحول إلى وجود حر» ويعلل ذلك بقوله: «لأن التشيؤ فى مجتمع البعد الواحد أصبح شمولياً بفعل طابعه التكنولوجى، ولم يعد هناك عبيد وسادة بل أصبح الكل عبيداً، فالمنظمون والإداريون أنفسهم أصبحوا أكثر تبعية للجهاز الذى ينظمونه ويديرونه، وهذه التبعية المتبادلة لم تعد تلك العلاقة الجدلية بين السيد والعبد، العلاقة التى تلاشت عبر النضال من أجل اعتراف متبادل، وإنما هى بالأحرى حلقة مفرغة يكون فيها كل من السيد والعبد محاصرين»[2].

هذه هى الحضارة الغربية التى يتبجح بها الغرب، ويريد أن يفرض نموذجها هذا على أمة الإسلام، يدفعه إلى ذلك أمران:

- أولهما: غروره بقوته المادية وما يمتلكه من أسلحة نووية، وقوة تدميرية.
- وثانيهما: الضعف النفسى، والفراغ العقدى، وغياب الثقة بالنفس لدى أمة الإسلام، وعدم إدراكها لعظمة ما تملك من منهج، وسمو ما تحوزه من مبادىء وأخلاق.

وإذا كانت تلك هى حقيقة الحضارات الأرضية التى جاءت صدى لأهواء البشر

١- يقصد بكلمة التشيء: الذى صار شيئاً، وهو يعنى الشىء الذى لا قيمة له ولا إرادة.

Marcuse: One Dimensional Man,P.11. -٢

وقصورهم ومحدودية وعيهم بطبيعة النفوس والقلوب، فإن الإسلام وحده هو كلمة الله الباقية التى لا يتطرق إليها شك أو يصل إليه ريب مهما تطاول الحاقدون وأرجف المرجفون

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾

(فصلت: ٤١، ٤٢)

إنه الكتاب الذى تحدى الله به الخلق جميعا إنسا وجناً أن يأتوا بمثله ومازال التحدى قائما وسيظل قائما إلى أن تقوم الساعة.

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

(الإسراء: ٨٨)

ومازال أهل الأرض من أعداء القرآن من كل ملة ونحلة يسمعون هذا التحدى فهل رأينا أحدا استطاع أن يأتى بشىء له قداسة القرآن وإعجاز القرآن وجلال القرآن سواء فيما حوى من معان، وما اشتمل عليه من أسرار وأحكام أو ما انفرد به من بناء بيانى معجز أدهش أهل الإعجاز والبيان من أهل العربية أنفسهم، أو ما أخبر به من المغيبات عن أسرار السابقين وعقائدهم مما لا يعلمونه هم أنفسهم من مثل إخباره عن عيسى وموسى ويوسف وسليمان فى مثل قوله:

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٤٤)

ومازال الحق تبارك وتعالى يدعو أهل الأرض جميعا أن يتدبروا القرآن ليقفوا على أسراره وإعجازه وجلاله بقول سبحانه:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ٨٢)

إننا إذا التمسنا عذرا لانحراف غير المسلمين ووقوعهم أسرى الأهواء والشهوات لغيابهم عن القرآن وحجب القرآن عنهم فإننا لا نجد عذرا لأمة الإسلام التى عاشت بالقرآن وسعدت به وقدمت به للبشرية أعظم نموذج شهدته الأرض.

وإذا كانت الحضارات البشرية قد جاءت صدى لأهواء البشر وقصورهم وضعفهم ومحدودية وعيهم بطبيعة النفوس وأسرار القلوب فإن الإسلام وحده هو كلمة الله الباقية التى لا يتطرق إليها الشك أو تنال منه أهواء الحاقدين والحاسدين.

فهل تملك الحضارات الأرضية المادية إجابة تقنع نداء الفطرة الصارخ إذا انطلق يتساءل من أنا؟ ومن أين جئت؟ ولماذا جئت؟ وإلى أين أمضى؟ وماذا بعد هذه الحياة؟!

إن الإسلام وحده هو القادر على أن يجيب على كل ما ينبعث فى النفس الإنسانية من هذه التساؤلات لأنه منهج من صنع الله يتوجه بالخطاب إلى النفس التى هى أيضا قبسة من نور الله.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

(الملك: ١٤)

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

سيجريد هونكه

تشهد على العقل الغربي

٥

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

«لقد أثرت العلوم التجريبية العربية تأثيرا أشد من مجرد نوع من شرارة انطلاق لخطة جاهزة للعقل الأوروبى». «سيجريد هونكة»

إن تأثير هؤلاء العمالقة العرب على الغرب تأثير هائل. لقد طغت نظرياتهم الفيزيائية البصرية، على العلوم الأوروبية حتى العصر الحديث. وعلى العلوم البصرية لابن الهيثم قامت كل بصريات الإنجليزى روجر بيكون (١٢١١- ١٢٩٤م) حتى بولوتيا (فيتليو) والإيطالى ليوناردو دافنشى (١٤٥٢- ١٥١٩م) وحتى يومنا هذا، لازالت المسألة الفيزيائية الحسابية المعقدة التى حلها ابن الهيثم بمعادلته من الدرجة الرابعة، والتى تفشى بقدرته الكبرى فى الجبر، على النحو الآتى تقريبا: حساب نقطة فى مرآة لها شكل قبة يُعكس عليها جسم من مسافة محددة فى صورة معينة، لازالت تلك المسألة تسمى باسمه (مسألة الحازم)».

● «إن مؤلف ابن سينا فى المعادن وهو الذى ذاع صيته كطبيب ورياضى وفيلسوف كان مصدرا رئيسيا للجيولوجيا الأوروبية حتى القرن ١٨».

● «والشعب العربى الذى أحب التجوال، قد أنجب قبل ماركوبولو (١٢٥٤- ١٣٢٣م) عددا لا يحصى من الجغرافيين، منهم: الإدريسى (٤٩٣- ٥٦١هـ- ١١٠٠- ١١٦٦م) من سبتة الذى وصل إلى سواحل إنجلترا الغربية والبحر الأسود فى القرن ١٢ وصنّف فى بالرمو فيضا من الملاحظات ومخططات الخرائط والمقايسات الحسابية فى مؤلف جامع يقع فى سبعين خارطة، استغرق إعدادها خمسة عشر سنة كان يشدها ككرة على الأرض ويجرى تقييما لها، وفى عام ١١٥٤م قدم لملك النورمان فى صقلية خارطة للأرض نافرة أصبحت من بعدُ شهيرة، صنعها من الفضة. حدث ذلك فيما كانت خرائط العالم فى أديرة أوروبا توضع بحسب الإنجيل، يطوق فيها البحر اليابسة، وتقع الجنة فى منتصفها.

والمسعودى (٣٢٤ هـ ٩٣٦م) -من بغداد- الذى حملته مسائل علمية جادة على القيام برحلته الاستكشافية، والذى كتب استنادا إلى مشاهدات خاصة فى بلدان الصين وسيلان وحتى إسبانيا، موسوعة فى ثلاثين مجلدا، أرفقها بوصف للأرض، وبوصف مصور ضخم لعادات الشعوب.

وابن بطوطة (٧٠٣- ٧٨٠هـ ١٣٠٤- ١٣٧٨م)، الذى استمرت رحلته مدة أربع وعشرين سنة، استكشف فيها شمال ووسط افريقيا حتى النيجر، وآسيا الصغرى، والصين وروسيا وإسبانيا..»[1].

***

● «لقد أصبحت المصادر الإغريقية- العربية هى ألف باء العلم، وارتفع الاسم العربى فى ذلك الوقت إلى درجة أنه لكى يفسح الأطباء الكيميائيون والصيادلة والفلاسفة الطريق أمام نتاجهم الفكرى فى الأوساط التخصصية، كانوا يطبعونه بالاسم العربى- اللاتينى لابن سيناء وماسويه الإبن أو جابر، بحيث تعمل على شد اهتمام المتعلمين. ولقد ظلت الكتب المدرسية، ككتاب القانون لابن سينا، من المواد المدرسية الراسخة فى الجامعات الأوروبية حتى النصف الثانى من القرن ١٧».

● «ومن يدرى ما إذا كان كولومبس (١٤٥١- ١٥٠٦م) قد اعتمد فى مغامراته على الخريطة العربية الأفضل فى نظره؟».

● «إن العرب سبق واستعملوا البوصلة بالسفينة فى القرن التاسع.. وأقدم وثيقة فى هذا الصدد ترجع إلى سنة ١٨٥٤م: «إذ أصبح الليل حالك السواد

(١) العقيدة والمعرفة، ص-٦٤، ١٤٢، ١٥٠، ١٥١.

بحيث لم يعد يُستدل بالنجم على الاتجاه، غرست إبرة في قشة أو نبات الحلفاء، ووضعت فوق طشت فيه ماء، وحُركت بواسطة حجر مغناطيسي نحو اليمين، بحيث أنها تتجه لدى إفضائها المفاجيء إلى وضع يُظهر الشمال والجنوب. وقد جرت العادة في المحيط الهندي على استبدال الإبرة والقشة بقطعة من الصفيح لها شكل السمكة تظهر بالرأس والذنب إثر توجيه وهمي مفاجيء باتجاه السماء»

● «وفي الكتب العربية اشتم وجود أسلحة متفجرة، البيوض المتحركة المحترقة «التي تخرج نارا لها دمدمة مثل الرعود».. ولقد استخدمها العرب في دمياط ضد جيش الملك القديس لودفيج سنة ١٢٤٩م.. وكان الملك يصيح كلما انطلقت قذيفة: عزيزي المسيح، احمني أنا وقومي! .. وفي سنوات ١٣٢٥م و١٣٣١م و١٣٤٢م استعمل العرب مدافع البارود في إسبانيا، وتمكنوا من تفريق جيوش الشمال الإسباني المدعمة من قبل الفرنسيين والإنجليز».

● «ولقد كانت المعاهد العربية مراكز تعليمية.. ومؤسسات مغلقة، مقسمة إلى أربع كليات، وعلى رأس كل واحدة منها عميد، ولكل كلية عدد متماثل من الطلبة، هنا ٧٢ وهناك ٨٢. ومن المنح الدراسية، لأن حصص الدراسة بلا مقابل مادي، وكان المدرسون يتقاضون مكافآت من الخلفاء أو الموقفين. هذا في الوقت الذي كان يتقاضى فيه كل طالب دينارا واحدا في الشهر بالإضافة إلى القرطاسية اللازمة.

وكان الطلاب الوافدون من جميع الجهات، وكانوا ينتمون على الغالب إلى ديانات مختلفة، يكونون أربع فئات قومية في مساكن منفصل بعضها عن البعض الآخر.

وفي مدارس الأندلس، سُمح أيضا للفرنجة بالدراسة، وصُممت الأبنية المشادة على شكل مربعات للإقامة الداخلية، والخدمات، وفضلا عن ذلك فقد كانت تحتوي على عدة قاعات للمحاضرات، وصالات للعمل، ومكتبة كبرى، وبها تلحق هنا وهناك معاهد خاصة. ويمنح العميد والمرشح. بعد إجراء امتحان له، إجازة في التعليم، وبذلك يتحصلون على (البكالوريا).. كلمة عربية «دخلت إلى اللاتينية على ذمة الراوي بتخويل من السلطة بتعليم شخص آخر».

وإن طلبة أكاديمية الفنون الغربية هذه، لم تكن سوى نسخة عن العربية الأصل.

● «لقد أرسل فريدريك الأول باربا روسا (١٦٥٧- ١٧١٣م) جرهارد فون كريمونا إلى طليطلة، وجلب المحاربون الصليبيون والحجاج الخبرات والمعارف العلمية، والتحف التذكارية المفيدة، والأجهزة، واستوردت عبر جبال الألب المنتجات الوفيرة لعقول المبتكرين التقنويين العرب، وكذلك الساعات وأجهزة القياسات من جميع الأنواع، والرافعات ومولدات الطاقة، والعدسات والعدسات المكبرة، وغيرها من البصريات، فضلا عن المناظر الفلكية والمعدات الطبية والمعدات المساعدة للكيمياء التطبيقية. هنا هبت في لفحات قوية مواد وفيرة للبحث لا يمكن تجاهلها، وقدمت محصلات ووسائل بصورة واضحة دفعا مؤقتا أحيانا، وأثرت تأثيرا تدريجيا في أحيان أخرى، فأقبل الأوروبيون بجمال على المادة العلمية الجديدة، وأصبح لزاما عليهم أن لا تملى عليهم الأمور من فوق إملاء، لقد صادفت البذار العقلية القادمة من العالم الآخر (العربي) استعدادا داخليا، وهنا وهناك فقط وجدت التربة المواتية المناسبة للطلوع»

● لقد هاجرت أقواس المساجد الإسلامية إلى الكنائس القوطية في شارتر وريم وكولون وسالزبوري»

● «ومن أكبر إنجازات العرب في حقل الكيمياء، شهادات عدد لا يحصى من المصطلحات المستعملة حتى وقتنا الحاضر، انتقلت إلى لغات أهل الأرض من المفردات العربية، وعلى رأسها تأتي كلمة كيمياء والأمبيق، والكحول، والبنزين، والبوراكس، ودروجري، والكسير، وقاليوم، ونطرون، وصودا، وتالكوم، وشيلاق إلخ»

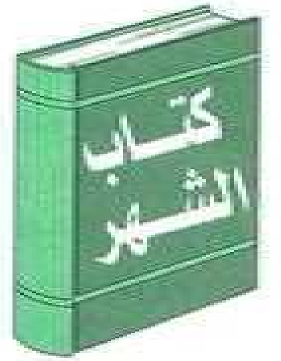
وبفضل مناهجهم العلمية، طوروا استنادا إلى رأى المؤرخ الإنجليزي كاستوم Custom الكيمياء حتى هذا المستوى بحيث إن اكتشافات الكيمياء العضوية كانت مضطرة لأن تعيدها إلى المستوى الذي رفعها إليه العرب».

● «لقد أثرت العلوم التجريبية العربية تأثيرا أشد من مجرد نوع من شرارة انطلاق لخطة جاهزة للعقل الأوروبي.

«لقد أمدت الاستعداد الموجود في الغرب بالمادة المشتعلة المفجرة، وأيقظت الاستعدادات العقلية التي كانت تغط في سبات عميق، وأطلقت العنان للقوى التي كانت لا تزال متخلفة، ووضعت التطور العلمي العملي لأوروبا في المسار الصحيح»[2]



(٢) المرجع السابق ص ١٨٥، ١٤٩، ١٧٢، ٢٧٧، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٦٠، ٣٦٦.



الإسلام كبديل

تأليف
د. مراد هوفمان

تعريب
عادل المعلم

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين
الأستاذ بجامعة الأزهر

٢

إذا كان الاستشراق ـ بأصل الاشتقاق ـ يعني طلب الشرق للتعرف على ثقافته، والنهل من علومه، والاستمتاع بمباهجه وسحره.. فإن الاستشراق ـ منذ بدأ الغربيون ممارسته تحت مظلة الحروب الصليبية ـ كاد يقتصر على تحقيق آمال قادة تلك الحروب، ومؤرثو نيرانها الخائفين من المد الإسلامي، حرصاً على سلطانهم الديني في ظل الكنيسة.. تلك الآمال التي دارت في محور التبشير والاستعمار، تحت ستار المعنى الأصلي للاستشراق.

ولقد هُتك هذا الستار مع بدايات القرن العشرين، وبدت أغراض الاستشراق واضحة أمام كثير من الشرقيين وطائفة كبيرة من الغربيين، فتكشفت مساعي المستشرقين ـ على الإجمال ـ في محاربة الإسلام، واستغلال خيرات الشرق، والسيطرة على مقدراته.

ومن بين هؤلاء الغربيين الذين أنار الله بصائرهم، فرأوا محاولات المستشرقين في ضوء الحقيقة السافر.. الدكتور «مراد هوفمان» أحد المفكرين الألمان الذين تيسر لهم الوقوف على كثير من ضلالات هؤلاء المستشرقين.

فشل المستشرقين في تشويه القرآن

والدكتور «هوفمان» يرصد ما حاوله المستشرقون مع القرآن الكريم، فيذكر: أن القرآن مرجع المسلمين.. هو ليس كمعظم الكتاب المقدس ـ بعهديه القديم والجديد ـ من صياغة البشر، وأن غير المسلم لا يستطيع أن ينكر أصالته، وإن أنكر أصالة الوحي، لتأكد الجميع من تواتر اتصاله بمحمد ﷺ، دون تغيير حرف من حروفه.

ويذكر: أن المستشرقين ـ مع ذلك ـ حاولوا بكل الوسائل أن ينكروا أصالته، ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل، مع العلم أنهم لو سلكوا طريقاً واحداً من هذه الطرق مع الكتاب المقدس لما بقي منه شيء.

ويذكر: أن للقرآن تأثيراً لا يستطيع قارئه أن يتجاهله مهما كانت ميوله وتوجهاته، حتى إن هذا التأثير يصل بقارئه إلى درجة الافتتان به، كما حدث للأدباء الأوروبيين، أمثال «جوتة»، و«فريدريش»، و«روكيرت» الذي قدم ترجمة للقرآن في نظم شعري بديع. أما العرب فإنهم يرون في لغة القرآن دليلاً كافياً ينبه إلى منشئه الإلهي.

ويلاحظ الدكتور: أن هذا الافتتان دفع بعض المسلمين إلى المغالاة في تأويل آيات القرآن لاستخراج مختلف أنواع العلوم منها، على الرغم من أنها لا تمت بصلة لكتاب العقيدة والشريعة، استناداً لفهم خاطئ لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾

(الأنعام: ٣٨)

ظناً منهم أن المقصود بالكتاب هو القرآن الكريم، وليس هو اللوح المحفوظ.. ومع هذا، فإن القرآن وردت به إشارات علمية خطيرة، كشفت عن خلق الإنسان من علق قبل أن يكشفه العلم الحديث، فإن مثل هذه الإشارات العلمية ـ وإن أكدت صدوره من الله الخالق ـ لا تعني الإفراط في تأويل القرآن، وعده موسوعة علمية.

ويلتفت الدكتور إلى أن القرآن أصبح أكثر الكتب ترجمة، وطبعاً، ومبيعاً في العالم ـ خصوصاً بعد حرب الخليج ـ على الرغم من أن الترجمة تفقد كثيراً من المعاني، وجمال الأسلوب، لتميز اللغة العربية بالثراء الذي يجعل الترجمة الدقيقة مستحيلة.


مراد هوفمان

كما يلتفت إلى دور القرآن في المحافظة على اللغة العربية ـ قواعد وكلمات ـ فجعلها اللغة الوحيدة في العالم التي كتب بها نص منذ ألف وأربعمائة عام، بحيث يستطيع مئات الملايين قراءته دون الحاجة إلى دراسات خاصة، ولا إلى ترجمته، وبحيث هيأت الفرصة لتجمع العالم الإسلامي الذي يتجاوز الآن ألف مليون نسمة.

دور السنة النبوية

وينبه الدكتور «هوفمان» إلى دور السنة النبوية في شرح القرآن وتفصيل ما جاء فيه مجملاً، وفي الحفاظ على القرآن، مما قد تؤدي إليه قراءة القرآن على أسس غير صحيحة من نتائج عكسية.

فالسنة النبوية ـ بهذا ـ تكون المرجع الثاني للمسلم، الذى أمره القرآن في آيات كثيرة بطاعة محمد ـ ﷺ ـ والاقتداء به.

وعلى الرغم من أن الأمر بطاعة محمد ـ ﷺ ـ يدور في محيط ما يتعلق بالرسالة.. غالى بعض المسلمين، فرأوا أن يقلدوا كل أفعاله، ما تعلق منها بالرسالة، وما لم يتعلق من سلوكيات شخصية تفرضها البيئة والعصر، مثل ركوب الناقة، وطريقة تنظيف الأسنان، وتفضيل بعض أنواع الطعام، بل إن بعض

المسلمين يغالي في تمجيد محمد ـ ﷺ ـ وتقديسه. الأمر الذي لا يخلو من الزلل والوقوع فيما وقع فيه المسيحيون مع عيسى ـ عليه السلام ـ. مغفلين ما أكده القرآن الكريم، وأكده محمد ـ ﷺ ـ من أنه بشر؛ حيث يرددون أقوالاً مثل: إنه نور، وإن العالم خلق من ذلك النور، وإن العالم خلق من أجله.. إلى غير ذلك من البدع والأساطير.

والحق الذي لا مراء فيه: أن فهم الإسلام و التعرف عليه يفرض على من يريد ذلك أن يدرس السنة من مجموعة الأحاديث الصحيحة، ففهم هذه السنة، واتباعها يجعل من المسلم مسلما حقيقياً، يستطيع أن يقيم الحضارة الإسلامية، وينهض بها.

من خصائص الإسلام الحضارية

ويرى المؤلف: أن الإسلام يتفق مع المسيحية في الدعوة إلى كثير من الفضائل، مثل: الإخاء، والأمانة، والتقوى، والكرم.. ولكن الإسلام يختلف عن المسيحية في أمور أخرى، من أبرزها:

١- عدم احتياج المسلم إلى كهنوت، ولا بناء ديني طبقي، فهو يصلي لله مباشرة، ويدعو الله مباشرة، في دين صاف من الأسرار والغوامض، مما يجعله مناسباً لإنسان العصر الديمقراطي أكثر من أسلوبي الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية القائمين على الوساطة بين الإنسان وبين الله.

٢- الإسلام يحرص على تجنيب المسلم كل ما يؤذي أو يضر صحته العامة، فيحرم عليه أكل الخنزير، وتناول المسكرات والمخدرات بجميع أنواعها، ولا يسقط المسئولية عمن يرتكب خطأ في حالة سكر أو تخدير تحت دعوى: إنه مريض نفسياً أو معنوياً.

٣- الإسلام يحرص على تكليف المسلم بعبادات تحافظ على صحته العامة، فهو في الصلاة مثلاً يفرض صلوات تكفل له من روحانيات الخشوع والتأمل والدعاء ما يحقق له الصحة النفسية، بينما لا تكفل صلاة الأحد ولا صلاة الصباح للمسيحي شيئا من ذلك.

٤- الإسلام يستجيب لحاجة الإنسان إلى الجنس، فشرع للمسلم نظام الزواج الذي يتيح له ما يحتاجه فطرياً، وحرم عليه تحريماً باتاً أي علاقة أخرى خارج هذا النظام، فجمع للإنسان التهذيب والصقل، وحماية الطبيعة، في علاقة متوازنة، لا كبت فيها ولا إطلاق يقود إلى الإباحية، منطلقاً من قاعدة تقدر الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة، وتحميها من كل ممارسة تجلب على الإنسان الكوارث.. مخالفا بذلك ما صنعه القديس بولس من إدانة للجنس والزواج، ودعوة للعزوبية، من كل ما يقود إلى الكبت والمعاناة، والآثام التي أثمرت الأبناء غير الشرعيين، والشذوذ الجنسي، والفضائح بين آباء الكنيسة.

٥- الإسلام يقرر: أن الإنسان خليفة الله على الأرض، ولم يولد ابناً للخطيئة، ولا وارثاً لها.. من كل ما يفرض على الناس الاعتقاد بإثمهم الأزلي الذي يستحقون عليه اللوم الجماعي، ويحوجهم إلى من يحررهم منه، ويوقعهم فريسة التأثير السلبي، فالإنسان المسلم ليس في حاجة إلى من يحرره من إثم لم يرتكبه، وإنما هو مأمور بوسائل الإسلام المذهبية، التي تهذب النفس الإنسانية وتصقلها، وتصهرها في محبة الله ومحبة الناس، مثل أداء الصلاة اليومية، والصيام، والزكاة، والحج.

٦- الإسلام يوجه المسلم إلى أن يجمع في أعماله وتجارته بين تحقيق الربح، والتكافل الاجتماعي، مما يقوده إلى تصحيح منهاج المجتمع الصناعي الذي يحصر نشاط الإنسان في تحقيق أعلى ربح، وأقل تكلفة، وتكديس لرأس المال.

٧- الإسلام يوجب على المسلم أن يكون مثالاً للتعايش السلمي مع من يختلف معه في الفكر والعقيدة، حتى مع الدولة العلمانية، تطبيقاً لأمره ـ تعالى ـ في قوله:

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ ﴾

(الكافرون: ٢-٣)

ويوجب عليه ـ بناء على ذلك ـ أن يستصحب هذا قبل الدخول في أي مقارنات للأنظمة المختلفة.

المسيح بين تقدير اللاهوتيين والرؤية الإسلامية

وفي الفصل الثالث «المسيحية والإسلام» استعرض الدكتور الرؤية الإسلامية للمسيح، موضحاً: أن الإسلام لا يعد ديناً جديداً بعد المسيحية، بل يعد نفسه إتماماً للتوحيد الذي جاء به إبراهيم؛ بما يعني أن الإسلام بعث وتجديد لدين التوحيد القديم، فهو ـ على هذا ـ الأقدم والأحدث بين ديانات التوحيد الثلاثة.

ومما يقرر: أن صلاحية الإسلام لا تقوم على رفض الديانتين الأخريين «اليهودية والمسيحية»، ولا على احتكار المصدرية الإلهية، وطريق الفلاح، كما تفعل الكنيسة الكاثوليكية.. بل الإسلام يقوم على الاعتراف بكل الأنبياء السابقين، وما أنزل عليهم من ربهم، كما بينه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٨٤)

وموضحاً: أن المسلمين يؤمنون بأن عيسى أحد رسل الإسلام والتوحيد، ولكن ليس آخرهم، وأن القرآن يقول: إن العهد القديم والعهد الجديد بشرا بمحمد الذي سيكون خاتم النبيين، كما جاء في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(الأحزاب: ٤٠)

فعيسى ـ كما يصرح القرآن ـ رسول، ولد من مريم العذراء بمعجزة، وليس ابن الله، وليس متحداً في الجوهر مع الله، كما تقول العقيدة المسيحية، بل هو عبد الله.

والقرآن يرفض ـ بحزم وحسم ووضوح ـ مفهوم التثليث، ويرفض تأليه مريم، فمريم مثل ابنها عيسى لم يكونا إلا آية من آيات الله المعجزة، وواحدة من المؤمنات الصالحات

القانتات.

والقرآن يؤكد: أن عيسى رفع ولم يُصلب فيقول:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

(النساء: ١٥٧)

ويذكر الدكتور «هوفمان»: أن من بين المسيحيين في العالم الغربي الآن من يؤيد ما قرره القرآن من رفض الطبيعة الإلهية لعيسى، والروح القدس كذات إلهية، ومن التثليث، فالروح القدس لا تلعب أي دور في الحياة اليومية للمسيحي، حتى إن هؤلاء الغربيين يزداد اقتناعهم بأن تلك الذات المقدسة ما هي إلا نتاج التفكير الأفلاطوني والغنوصي في زمن ما قبل المسيحية، ثم نتاج التفكير المنبثق عن الأفلاطونية الحديثة، التي تغلغلت في المسيحية.. وذكر: أن مؤلف إنجيل يوحنا - كائناً من كان - قد تنفس كل ذلك، ثم سطره في إنجيله، قائلاً: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله.

ويلاحظ الدكتور «هوفمان» ما استلزمه ثالث الثالوث من تأويل لترجمته، حيث قدمت كلمة برقليط «Periqlyte» أولاً على أنها الروح، ثم تحولت - وبحروف لاتينية كبيرة - إلى الروح القدس.

ومع هذا.. فإن شيئاً من ذلك لم يمنع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م من تأسيس عقيدة التثليث مع فرضها بالقانون، وإفناء كل ما يخالفها من كتب ومخطوطات.

وفي أسى وأسف ذكر الدكتور «هوفمان»: أن لديه نسخة من الإنجيل كتبت بعد انعقاد مجمع نيقية، تضمنت مقالة كتبها «كارل هاينز ديشنر» عن الديانة المزورة، اقترب فيها كثيراً مما أكده القرآن من تزييف الكتاب المقدس.

وذكر: أن اللاهوتيين البروتستانت وبعض الكاثوليك توقفوا - من أجل ذلك - عن تضليل أنفسهم وراء مصادر غير موثوقة، ومليئة بالمتناقضات والمفارقات، كما توقفوا عن الإيمان بالأفكار الوثنية التي تأثرت بها الممارسات المسيحية، خصوصاً أن الأبحاث التاريخية شككت في مثول عيسى للمحاكمة، وأكدت أن دفنه وقيامه لم يشهدهما أحد، وأن الأناجيل في صورتها الحاضرة لا تبين شيئاً من ذلك.. بل حتى في إنجيل يوحنا، حيث يقول عيسى: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهكم»، فإطلاق كلمة «الأب» على الله، وكلمة «الابن» على عيسى وعلى البشر إنما هو من باب المجاز الواضح، كما جاء في كثير من الأديان.

الاضطراب حول حقيقة المسيح

ويخلص الدكتور «هوفمان» مما قدم إلى: أنه بالإمكان - بعد الخلفية السابقة - أن نميز داخل الكنيسة أربع نظريات بخصوص المسيح، لا تتفق واحدة منها مع الأخريات.. هي:

١- ما استقر عليه البروتستانيون - بمن فيهم رجال الدين - من تغيير النظرة إلى عيسى، حيث اضمحل عده إلهاً، وقوى عده مثلا يثير الإعجاب، جديراً بأن يقلده الناس، ويتبعوا قيمه ومعاييره.

٢- ما استقر عليه اللاهوتيون من القول بأن «الله حقق الكمال لذاته بأن أصبح رجلاً»، وأن الله قد أصبح شخصاً آخر بالتجسيد، على الرغم مما في هذه الأقوال من شعوذة اضطروا إليها لتأويل المشكلات والمتناقضات، قانعين بأي مصادر تخدم تصوراتهم عن أساطيرهم الإلهية، مثل: «الأم الكبرى»، و«النور»، و«الخطيئة والخلاص».

٣- ما استقر عليه أغلبية البسطاء - خصوصاً في الريف - من الإيمان بتوحيد خاص يجعل من عيسى والله واحداً، يقوم هذا التجسيد الإلهي على حاجتنا لعبادة من لا يختلف كثيراً عن أنفسنا.

٤- الاتجاه الذي يمثله اللاهوتي السويسري «هانز كونغ» للتخلص من هشاشة النصوص الأصلية، دون اللجوء إلى زخرف الغنوصية أو الكلمات الرنانة، فقد حاول حل المعضلات التاريخية والوجودية بالتضحية بعقيدة يتعذر الدفاع عنها، وذلك بإعطاء تعريفات جديدة، فيصبح عيسى مختاراً من الله، ومخولاً من الله، ويصبح التثليث: الوحي من الله إلى عيسى عن طريق الروح القدس، فقد رأى الفرق هائلاً بين مفهوم الأب، والابن، والروح القدس، وتعاليم الكنيسة الخاصة بالتثليث مع ما تقول به الأناجيل التي لم يجد فيها شيئاً يصلح أساساً لعقيدة التثليث.

حتمية اعتراف المسيحيين بالقرآن

وبذلك تصبح نظرة «كونغ» للمسيح مماثلة للنظرة الإسلامية التي جاء بها القرآن فقط - وذلك يعضد القول بأن المسلمين هم المسيحيون الأفضل - والتي تجعل المسيحيين في حاجة لتفسير كيف هم مسيحيون؟

فالإسلام يرفض تماماً فكرة الخطيئة الأصلية لأنها جبرية، ولأنها تضاد المبدأ القرآني:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾

(الأنعام: ١٦٤)

ولأنها تحمل في طياتها سقوط الخلق الإلهي.

والإسلام لا يكتفي بإنكار مفهوم الخلاص، بل يرى أن من يعتقد بوجوب تضحية الله بنفسه وصلبه حتى يفتدي بآلامه كل البشر فينجيهم من جهنم.. يرى الإسلام: أن من يعتقد هذا مجدف، لأنه يعتقد أن الله غير قادر على إنقاذ البشرية إلا بخلق إله آخر يتألم ويصلب، وكأن الله أصبح ضحية للإنسان الثائر ضده، لأن هذا يتعارض تعارضاً كاملاً مع الله في الإسلام.

من هذا المنطلق.. يصبح التوفيق بين المسيحية والإسلام وارداً إذا تبنت السلطات المسيحية فهم «كونغ» لعيسى. وقد يكون هذا نقطة انطلاق البداية للاعتراف بالقرآن الذي صحح الاعتقاد الأساسي للمسيحيين.

بالعقل المحرر.. حقق المسلمون إنجازاتهم العلمية

وفى الفصل الرابع «الدين والمعرفة» نوه الدكتور «هوفمان» بتمييز الإسلام بين الفضول العلمى الذى حض عليه، وحرر العقل ليستعين المسلم به فى ذلك، وبين التنصت والتجسس الذى ينهى الإسلام عنه بشدة، حفاظاً على خصوصيات كل إنسان، فأتاح للمسلم الحصيف فرصة التفكر فى الله وفى خلقه كيفما استطاع، دون تحرج ولا تضييق، سعياً منه وراء الموضوعية والأدلة، وتجنباً للأهواء الشخصية والاعتماد على الظن والحدث.

وقد حرص الدكتور على أن يدعم ذلك كله بالنصوص القرآنية والأحاديث التى تحض على استخدام العقل وما ينبثق عنه من فكر ورؤى، وتدعو إلى التزود بالعلم، وترفع من قيمة المتعلم.. ونبه إلى ما كان من الصحابة والمسلمين كافة من استجابة لتلك الدعوات الصريحة بكل جدية، فكانت تلك الاستجابة للتطلع المعرفى، ولاستخدام العقل بمثابة منصة الانطلاق الصحيحة التى هيأت المسلمين ليحققوا تلك الإنجازات العلمية الهائلة ابتداء من أواخر القرن الثامن الميلادى، والتى أفرزت أعداداً هائلة من العلماء فى شتى فروع العلم والمعرفة. من كل ما يوضح مدى تفجر المعرفة والتكنولوجيا فى العالم الإسلامى، ويقرر: أن التبادل الثقافى بينه وبين العالم الغربى كان فى اتجاه واحد، حيث لم يكن لدى الغرب شىء يستحق أن يرجع إليه، وما كان إلا مستورداً خالصاً، وقد أكد ذلك مارشال «هودجون» بما قدمه من مفردات لغوية عليها بصمة اللغة العربية.

وبالعقل المضلل.. تجمد هذا المد

ويقرر الدكتور «هوفمان»: أن هذه الانطلاقة العلمية التى أثمرها توظيف العقل بعد أن أطلقه الإسلام وحرره.. توقف مع ظهور نظرية غلق باب الاجتهاد فى القرن الرابع عشر الميلادى، اعتماداً على الاستسلام للحفظ والتقليد بدلاً من البحث، ظناً من المسلمين أن القدماء قد أحاطوا بكل المعارف المطلوبة، ولم يعد فى مقدور أحد أن يتوصل إلى أفضل مما توصلوا إليه، لأنهم كانوا أقرب إلى المصدر الأصلى، وكانوا أكثر فهماً.

وقد تولد هذا الظن لديهم بسبب الإساءة فى تأويل نحو قوله -تعالى-:

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(البقرة: ٣٢)

فقد فهم هذا على أنه لا يجوز البحث عن أي علم خارج القرآن. كما تولد عن سوء فهم للحديث النبوي: «كل بدعة ضلالة»[1] حيث فهم منه ضرورة التوقف عن أى إضافة جديدة، مع أن السنة تفرق بين البدعة السيئة -وتراها ضلالة- وبين البدعة الحسنة التى ترحب بها على ما جاء فى الحديث الشريف: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها»[2].

١- صحيح مسلم، الجمعة، رقم ٤٣، مسند الإمام أحمد ٣/٣١٠.

٢- صحيح مسلم، الزكاة، ٦٩، مسند الإمام أحمد ٤/٣٥٧، ٣٥٩.

ومع هذا.. لم يخل زمن الانحطاط الذى بدأ فى القرن الرابع عشر من أشعة أمل تظهر هنا أو هناك، ففى سنة ١٦٣٤م شيد تاج محل فى الهند، والجامع الأزرق فى اسطنبول، وظهر ولى الله الدهلوى سنة «١٧٠٣ - ١٧٦٣»، ومحمد بن عبد الوهاب سنة «١٧٠٣ - ١٧٨٧» فى الجزيرة العربية، وعماد بامبا سنة «١٨٥٠ - ١٩٢٧» فى السنغال، ومحمد عبده سنة «١٨٤٩ - ١٩٠٥» فى مصر، وكانوا رواداً لحركات الإصلاح.

وما حدث فى مجال البحث العلمى حدث مثله فى مجال الفلسفة، فبينما حاول الفلاسفة المسلمون منذ القرن التاسع استخلاص نظام فلسفى شامل من القرآن، حيث تدرجت مدرسة المعتزلة التى تأسست فى البصرة وبغداد فى الأخذ بمنهاج فلاسفة اليونان، مع استمرارها فلسفة دينية أكثر منها ديناً فلسفياً، فلم يبحث المعتزلة فيما إذا كان الله موجوداً أم لا، ولم يشكوا فى أن القرآن كلام الله الموحى، ولكنهم بحثوا فى الصفات الإلهية، معتمدين على العقل مرجعاً وحيداً، فأولوا آيات القرآن بما يتفق مع منهجهم العقلى، فلم يسلموا من الاتهام بالهرطقة والزندقة.

وقد وصلت تلك الفلسفة ذروتها مع ابن رشد فى القرن الثانى عشر، ولم يكن قلق العلماء التقليديين على الناس أقل منه على الفلاسفة الذين اقتربوا من أتباع الفلاسفة الأفلاطونية الجديدة، وفلسفة الإشراق، والغنوصية، وفلسفة الحلول والتصوف النورانى.


محمد عبده

وفى مقابل هؤلاء المعتزلة.. جاءت مدرسة الأشعرى لتنقض الأساس الذى قام عليه صرح المعتزلة، فأنكروا قدرة الإنسان وحدها على معرفة حقيقة ما وراء الطبيعة، فلم يكتف رائد هذه المدرسة -أبو الحسن الأشعرى- بإعادة الفلسفة لخدمة الدين، وجعل مبدأ السببية فيما وراء الطبيعة هراء، لا يفيد شيئاً، مقرراً: أن الكون كله لا يخضع -فى خلق الله له- لمبدأ السببية.

وبذلك قنع المسلم السنى: أن المعرفة الصحيحة لله ليس لها إلا سبيل الوحى، فيجب على المسلم أن لا يحاول سلوك أى سبيل آخر -فى هذا- سوى الوحى.

ومن هنا.. تخلى أكثر المسلمين عن شغل أنفسهم بالفلسفة، وانحصرت الفلسفة الإسلامية تحت عباءة التصوف، فكان الأشعرى -فى القرن التاسع- هو الذى أعلن نهاية الفلسفة، وليس «لودفيج ويتجنشتين» فى القرن العشرين، وكان الأشاعرة هم الذين أبصروا قصور قانون العلية، وليس «دافيد هيوم» فى النظرية الحديثة للعلوم، وكان المسلمون فى القرن التاسع هم أول من وضع أصلاً لنظرية المعرفة، وليس «إيمانويل كنت» وعلماء اللغة المعاصرون.

يتبع

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

التعويض حلال

● السؤال الأول: من السيد: ع ا د

توفى أخو زوجتى أثناء عمله بمصنع للطوب، وبعد وفاته لم تحصل من أصحاب المصنع على أى تعويض، فهل يجوز لنا شرعا رفع دعوى قضائية للمطالبة بالتعويض؟ وهل مبلغ التعويض حلال؟

●● الجواب: نعم، يجوز رفع الدعوى القضائية للتعويض، ومبلغ التعويض حلال.

لا يصح الوضوء

● السؤال الثانى: من السيدة: ع م ع

يحرص كثير من النساء على طلاء أظافرهن، فهل يجوز وضوءهن دون إزالة هذا الطلاء؟

●● الجواب: لا يصح الوضوء إلا بإزالة هذا الطلاء.

جمع القرآن

● السؤال الثالث: من السيد: م ش ف

من المعروف أن القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة، فكيف جمع؟ وعلى أى أساس كان ترتيب الآيات والسور؟

●● الجواب: نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجماً لأغراض شتى، منها تثبيت فؤاد النبى ﷺ وصحابته الكرام، ومنها بيان الحكم الشرعى فيما يجد للمسلمين من مسائل وقضايا، ومنها الإجابة عن أسئلة لبعض الأشخاص من مسلمين أو غيرهم، وغير ذلك، وكان النبى ﷺ له كتبة للوحى، وكان يتلو هذا التنزيل غضاً طرياً على الصحابة - رضى الله تعالى عنهم - فيحفظونه فى صدورهم مع كتابته عن طريق كتبة الوحى، وكان جبريل - عليه السلام - إذا نزل بآية أو أكثر من الآيات الجديدة يطلب

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـى جمعـة

مفتى جمهورية مصر العربية

من النبى ﷺ أن يضعها فى موضع كذا، أو فى سورة كذا، أو بعد آية كذا، أو بين آية كذا وبين آية كذا، وكان يدارسه القرآن المنزل عليه كل عام مرة فى رمضان، فيعرض النبى عليه الصلاة والسلام على جبريل عرضة كاملة لما نزل من القرآن الكريم بحسب ما تلقى منه عن رب العزة - تبارك وتعالى -، كما صحت بذلك الآثار، ثم فى العام الذى انتقل فيه الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى عرض النبى ﷺ القرآن فى وضعه النهائى عرضتين، تأكيدا عن الترتيب النهائى الذى أوحى الله - سبحانه - به إلى نبيه عن طريق أمين الوحى جبريل - عليه السلام -، وأخذ الصحابة هذا الترتيب الأخير عنه ﷺ وقد وضعت الآيات الكريمة فى مواضعها الأخيرة بالشكل الذى يقرأ به المسلمون من وقتها وإلى الآن وإلى أن يأذن الله - تعالى - برفعه فى آخر الزمان، لم يتغير فيه حرف ولا شكلة مما نزل على رسول الله ﷺ.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

ولكن هذا لم يدون فى مصحف واحد، بل بقى مفرقا محفوظا فى الرقاع والعظام التى كان يكتب فيها هنا وهناك، مع كونه محفوظا فى الصدور يتلوه المسلمون فى صلواتهم وتراويحهم ويختمونه بما استقر فى صدورهم تلقيا عن رسول الله ﷺ فى العرضة الأخيرة، حتى أذن الله - تعالى - فى جمعه فى نسخ متعددة للمصحف أمر بجمعها وكتابتها أبوبكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - فى أيام خلافته، وقام بها جمع من الصحابة بتكليف منه - رضى الله تعالى عنهم جميعاً -، ثم لما كثر موت واستشهاد الحفظة والقراء من حملة القرآن الكريم فى المعارك والغزوات أمر عثمان بن عفان - رضى الله تعالى عنه - فى أيام خلافته بنسخ نسخ من المصحف وأرسل بها إلى الأمصار، حفاظا على القرآن من الاختلاف فيه.

هذا مع التنبيه على أن تواتر القرآن عن النبى ﷺ لم يختل أو ينخرم فى وقت من الأوقات، وإنما كان هذا الجمع نوعاً من التيسير على المسلمين وفق الله تعالى له كبار

الصحابة، ليستمر بعد ذلك نقله على جهة التواتر حفظاً في الصدور وكتابة في السطور.

فترتيب الآيات والسور توقيفي من الله – تعالى – إلى أمين الوحي، ثم إلى إمام الرسل، ثم إلى الصحابة الكرام، ثم إلى من بعدهم بالنقل المتواتر المفيد للعلم القطعي، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتابة القرآن على الحوائط

● السؤال الرابع: من السيدة: ف ا د

هل تجوز كتابة آيات القرآن على الحوائط وغيرها؟

●● الجواب: تجوز الكتابة إذا كان ذلك بصورة لائقة تناسب عظمة القرآن الكريم، وكان ذلك بإذن أصحاب هذه الحوائط، ويراعى في ذلك أن لا تكون في كتابتها إشارة إلى معنى لا تدل هذه الآيات عليه، ولا تنقص من قدرها.

نغمات المحمول

● السؤال الخامس: من السيد: ا م و

هل يجوز استخدام آيات القرآن أو الأذان كنغمات للتليفون المحمول؟

●● الجواب: أما الآيات القرآنية فلا يجوز استخدامها كنغمات للهاتف المحمول، فالقرآن الكريم هو كلام الله – تعالى – الذى أنزله على أفضل رسله وخير خلقه سيدنا محمد ﷺ، وقد أمرنا باحترامه وتعظيمه وحسن التعامل معه بطريقة تختلف عن تعاملنا مع غيره، لأن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله – تعالى – على خلقه.

وكلام الله – تعالى – أشرف وأرفع وأسمى من أن يستخدم كنغمات للهاتف المحمول، فإن له من القدسية والتعظيم ما ينأى به عن مثل ذلك، وإذا كنا مأمورين بتدبر آياته وفهم المعانى التى تدل عليها ألفاظه فإن فى هذا الاستخدام نقلاً له من هذه الدلالة الشرعية واللغوية إلى دلالة وضعية أخرى على حدوث مكالمة ما، وذلك يصرف الإنسان عن تدبره إلى الاهتمام بالرد على المكالمة، إضافة إلى ما قد يؤدى إليه ذلك من قطع لسياق الآية وبتر لمعناها، بل وقلب له أحيانا ـ عند إيقاف القراءة للرد على الهاتف، فلكلام الله – تعالى – قدسيته الخاصة وتعامله الخاص به.

أما استخدام الأذان كنغمة للمحمول فليس حراماً، ولكنه قد يشوش على الناس ويلبس عليهم مواعيد الصلاة، فالأولى تجنب ذلك، والاستغناء عن ذلك بالمباحات الكثيرة، وفى الكثير المباح غنى عن القليل الموقع فى الحرج.

الفجر والصبح

● السؤال السادس: من السيد: خ م س

ما هو الفرق بين صلاتى الفجر والصبح؟ وكيف تكون نية الصلاة فيهما؟

●● الجواب: لا فرق بينهما، فهما اسمان لمسمى واحد، والنية تكون بعقد القلب على صلاة فريضة الصبح، أو فريضة الفجر.

يتبع

حسن الخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الاسلامية

الإسلام دين الكمال والجمال، والأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، لم يترك فضيلة من الفضائل إلا ودعا إلى فعلها وحث المسلمين على الالتزام بها والعمل على تطبيقها.

وحسن الخلق من الصفات التى مدح الله بها رسوله محمدا ﷺ وأثنى عليه بالتحلى بها وذلك بأسلوب قوى حازم قاطع، احتوى على القسم والتوكيد، يقول الله –تعالى–:

﴿ن والقلم وما يسطرون (١) ما أنت بنعمة ربك بمجنون (٢) وإن لك لأجرا غير ممنون (٣) وإنك لعلى خلق عظيم﴾

(القلم: ١ – ٤)

في هذه الآيات الكريمة تسلية للرسول – عليه الصلاة والسلام– عما أصابه من أذى المشركين، ودفع تهمهم الباطلة عنه وإثبات أنه رسول من عند الله –تعالى، فأنت –أيها النبى– مبرأ مما اتهمك به أعداؤك من الجنون، وكيف تكون مجنونا وقد أنعم الله –تعالى– عليك بالنبوة والحكمة؟!! وقد أقسم –سبحانه– بالقلم لعظم شرفه وكثرة منافعه، فبه كتبت الكتب السماوية وبه تكتب العلوم النافعة وبه يحصل التعارف بين الناس وبه تثبت الحقوق.

وفى هذه الآيات الكريمة ـ أيضا ـ بشارة ثانية من الله –تعالى– للنبى –عليه الصلاة والسلام–، فإن لك –أيها الرسول الكريم– عندنا لأجرا عظيما، لا يعلم مقداره إلا نحن، وهذا الأجر غير مقطوع، بل هو متصل ودائم وغير ممنون.

ثم أثنى - جل ثناؤه - على الرسول الكريم ﷺ بأجمل ثناء وأطيبه:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

أى: وإنك - أيها الرسول الكريم - لعلى دين عظيم، وعلى خلق كريم، وعلى منهج حكيم وعلى سلوك قويم فى كل ما تأتيه وما تتركه من أقوال وأفعال.. وفى هذا أبلغ رد على أولئك الجاهلين الذين وصفوه بالجنون، لأن الجنون سفه لايحسن معه التصرف، أما الخلق العظيم فهو أرقى منازل الكمال فى عظماء الرجال..

عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أن سعد بن هشام سألها فقال: «يا أم المؤمنين: أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألبس تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن»[1].

مكارم الأخلاق

ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن الكريم: أمرا ونهيا وإرشادا، سجية له، وخلقا وطبعا، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، ومهما أرشده إليه اتبعه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق الكريم كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة والكرم والحلم والصبر.. ولأن حسن الخلق أرقى منازل الكمال فى عظماء الرجال، ولأن حسن الخلق يجمع من الفضائل والمكارم - عند من يتحلى به - الكثير والكثير، جعله رسول الله ﷺ سببا من أسباب بعثته فى قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

قال القزوينى - رحمه الله: ومعنى حسن الخلق: سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك فى ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس.

أما ما يتعلق بذات الله - عز وجل فهو: أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله - تعالى - ونواهيه يفعل ما فُرض عليه ويؤدى ما أمر به، طيب النفس به، سلسا نحوه، وينتهى عما حرم عليه، ويجتنب ما أمر بالابتعاد عنه، راضيا به غير متضجر منه، ويرغب فى أداء نوافل الخير، ويترك كثيرا من المباح لوجهه - تعالى - إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله، مستبشرا لذلك، غير ضجر منه ولا متعسر به.

أما فى المعاملات بين الناس فهو: أن يكون سمحا لحقوقه، لا يطالب غيره بها، ويوفى ما يجب لغيره عليه منها، فإذا مرض ولم يُعد، أو قدم من سفر فلم يزر، أو سلم فلم يرد عليه، أو أحسن فلم يشكر، أو دخل على قوم فلم يمكن، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له، أو خطب فلم يزوج أو استمهل الدين فلم يمهل، أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك.. لم يغضب ولم يعاقب، وأنه لا يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل بمثله.

---

(1) أخرجه مسلم «٧٤٦». (2) متفق عليه.

منازل الدعاة

وقال الماوردى - رحمه الله -: حسن الخلق: أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة.

وحسن الخلق يدل على سماحة النفس وكرم الطبع ويحول العدو إلى الصديق، يقول الله - تعالى -:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

(فصلت: ٣٣ ـ ٣٥)

أشارت الآيات الكريمة إلى سمو منازل الدعاة الذين يقومون بالدعوة إلى الله، وإلى علو درجاتهم وعظيم شأنهم، أى: لا أحد أحسن قولا، وأعظم منزلة، وأعلى شأنا، ممن دعا غيره إلى طاعة الله ـ تعالى ـ، وإلى المحافظة على أداء ما كلفه الله ـ تعالى ـ به، وأتبع ذلك بالعمل الصالح الذى يفتح قلوب المدعوين، ويشرح صدورهم، فيزدادون استجابة إلى دعوته، وقال بعد كل ذلك ـ على سبيل البهجة والسرور والتحدث بنعمة الله: إننى من الذين أسلموا وجوههم لله ـ تعالى ـ وأخلصوا له القول والعمل.

الخصلة الحسنة والخصلة السيئة

ثم أرشدت الآيات الكريمة إلى ما ينمّى روح المحبة والمودة، ويغرس ثمار الأخوة والألفة بين المسلم وغيره ـ على وجه عام ـ. أى: ولا تستوى الخصلة الحسنة ولا الخصلة السيئة، لا فى ذواتهما، ولا فى الآثار التى تترتب عليهما، إذ الخصلة الحسنة جميلة فى ذاتها، وعظيمة فى الآثار التى تنتج عنها.. أما الخصلة السيئة فهى قبيحة فى ذاتها، سيئة الآثار فى نتائجها.

ومادامت الخصلة الحسنة لا تتساوى مع الخصلة السيئة.. فعليك ـ أيها المسلم ـ أن تدفع السيئة إذا جاءتك من المسيئ، بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، بأن تقابل ذنبه بالعفو، وغضبه بالصبر، وقطعه بالصلة، وفظاظته بالسماحة... فإذا فعلت ذلك جنيت ثمارا طيبة، وحصدت زرعا مباركا، فصار عدوُك الذى أساء إليك حبيبك القريب منك؛ لأن من شأن النفوس الكريمة، أنها تُحب مَنْ أحسن إليها، وتتودد إلى من عفا عنها، وتتقرب إلى من قابل شرها بالخير، ومنعها بالعطاء، وقطعها بالصلة.

وما يستطيع القيام بتلك الأخلاق الحسنة إلا الذين صبروا على المكاره وعلى الأذى، وما يستطيع ذلك ـ أيضا ـ إلا صاحب الحظ الوافر، والنصيب الكبير من توفيق الله ـ تعالى ـ له إلى مكارم الأخلاق وجميل الصفات.

عفو الله

وحُسْن الخلق سبب لعفو الله وجالب لغفرانه، عن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا، فقال له: ماذا

عملت في الدنيا؟ قال: «ولا يكتمون الله حديثا» قال: يارب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي»[٣].

سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فتلا قول الله تعالى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل يمينه فقال: ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت إليه وقال: «أما تفقه؟ هو أن لا تغضب»[٤].

فقد جمع رسول الله ﷺ في تلك الإجابة البليغة فضائل الدين وشمائله الكريمة في حسن الخلق فمن حازه فقد حاز الدين.

المال الحرام

ولا عجب في ذلك فحسن الخلق يمحو الله به السيئات، ويرفع الله به الدرجات، ولا يعطيه الله إلا لمن يحب من عباده لتثقل ميزان حسناته يوم الحساب، فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله -تعالى- قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله -سبحانه- يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يُسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله - عز وجل - لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[٥].

وحسن الخلق علامات وسمات يتميز بها صاحب الخلق الحسن جمعها بعضهم فقال: «هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برا وصولا، وقورا صبورا شكورا، راضيا حليما، رفيقا عفيفا شفيعا، لا لعانا ولا سبابا، ولا نماما ولا مغتابا، ولا عجولا ولا حقودا، ولا بخيلا ولا حسودا، بشاشا هشاشا، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق».

وقال محمد بن نصر: قال بعض أهل العلم: «حسن الخلق كظم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين إلا تأديبا أو إقامة حد، وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغييرا لمنكر أو أخذا بمظلمة لمظلوم من غير تعد».

وقال بعض البلغاء: «الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة، والسيء الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء».

قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: «يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين، قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال، قال: فإذا كانت ثلاثا؟ قال: الدين والمال والحياء، قال: فإذا كانت أربعا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق، قال فإذا كانت خمسا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قال: فإذا كانت ستا؟ قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقي ولله ولي ومن الشيطان بريّ».

وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد».

ولقد جمعت الآيات الكريمة التي وردت في سورة الفرقان كثيرا من صفات أصحاب الخلق الحسن، يقول الله -تعالى-:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

(الفرقان: ٦٣ - ٧٦)

***

[٣] أخرجه البخاري- الفتح ٦.

[٤] أخرجه أحمد.

[٥] إتحاف السادة المتقين ج٧ - ص٣٦٨.

حقيقة الرجولة.. في مرآة القرآن الكريم

٢

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

لماذا الرجال؟

وهيا نتأمل قوله ـ تعالى ـ على لسان نوح عليه السلام:

﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴾

«الأعراف: ٦٣»

أو قوله ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان هود ـ عليه السلام:

﴿ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾

«الأعراف: ٦٩»

أو قوله ـ جل شأنه:

﴿ أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾

«يونس: ٢»

وهي آيات كريمات مبينات لذاتها مُبينات بذاتها، تسجل على الحمقى من دعاة السطوة والتسلط آنذاك خور أحكامهم وسفه أحلامهم أن يصطفى علام الغيوب من بينهم رجلاً يدلهم على الخير، ويهديهم إلى الحق، وهم الذين اعتادوا في مجاهل البادية أن يختاروا دليل الطريق الذي يدل قوافلهم على السبيل بين فيافي الصحراء في العتمة الظلماء، حتى إذا جاءهم دليل يأخذ بأيديهم المرتعشة وعقولهم الحمقاء وأرواحهم الضالة ليجتاز بهم فيافي الحياة، وظلمات العيش، ووعورة الدنيا، كابروا في كبرياء كاذبة، وجادلوا في تخبط أحمق!!!

ألأنه رجل؟ وهل كانوا يريدونه امرأة؟ ربما كان هذا هو ما فطنت له المرأة «سجاح» لعل هؤلاء المكذبين يصدقونها لأنها امرأة وهؤلاء كما ترى لا يصدقون الرجال!!! أم لأنه ليس من عظماء القريتين[1]؟ ألا يفطنون إلى أن الله الذي يزعمون أنهم يعبدون الأصنام لتقربهم إليه زلفى هو أعلم حيث يجعل رسالته؟؟

ذلكم الحق ـ سبحانه ـ الذي كم أكد لهم حكمته في تكليف الرجال المصطفين بحمل أعباء رسالته وهي أعباء تحتاج إلى أقوى مقومات الرجولة وأسمى سمات الرجولية ومن ثم أطلق عليهم صفة «أولي العزم»[2] لقد خاطبهم ـ سبحانه ـ في هذا بقوله:

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

«يوسف: ١٠٩»

ويؤكد ذلك سبحانه في الآية السابعة من سورة الأنبياء المكية[3]:

﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

«النحل ٤٣»

مواقف رجولية في القرآن

وعندما نتأمل آيات الذكر الحكيم نرى ذكر الرجال دائماً في مواضع المسئولية والواجب والعطاء حيث يقول جل وعلا في سورة الأحزاب «٢٣»:

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾

مشيراً إلى رجال من الصحابة الكرام نذروا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا إعلاءً لكلمة الدين وهم: عثمان بن عفان، وطلحة، وسعد بن زيد، وحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، وغيرهم. ثم يسجل لهم القرآن في سجل الشهادة الغراء:

﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾

«الأحزاب: ٢٣»

---

(١) أي مكة والطائف «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» «الزخرف ٣١».

(٢) «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم» «الأحقاف ٣٥».

(٣) أهل الذكر هنا أي العلماء بالكتابين «التوراة والإنجيل» فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة، وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم، وفي ذلك ردٌ على قول المشركين: «هل هذا إلا بشر مثلكم» من تفسير النسفي.

أي مات شهيداً كحمزة ومصعب، وقضاء النحب هنا هو الموت، لأن كل حي من الحدثات لابد له أن يموت، فكأنه نذر في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي قضى دينه:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾

«الأحزاب: ٢٣»

الموت أي على الشهادة كعثمان وطلحة[٤].

وفي موضع آخر يذكر القرآن الكريم الرجال في مواطن التميز بالطهر والنقاء فيقول عن المؤمنين الأبرار من قُصّاد مسجد «قباء» الشريف بالمدينة المنورة:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾

«التوبة ١٠٨»

فهم لا يتطهرون فقط بل إن الطُهر يقع في أنفسهم موقع الحب ولذلك فإن الله سبحانه يحبهم أيضاً ويحب أمثالهم من عشاق الطهر البدني والنفسي والروحي أي أن المؤمن ينبغي أن يكون «كيانه» كله طاهراً حتى يكون أقرب إلى ربه عز وجل.

ولقد جاء هذا ترغيباً من القرآن الكريم للمؤمنين في هذا المسجد الطاهر الذي يحبه الله ورسوله، وتعريضاً وتنديداً بمسجد «الضرار» والكفر الذي بناه المنافقون اللئام محاولين صرف المؤمنين إليه بعيداً عن مسجد رسول الله ﷺ، وإيقاع الفرقة والتشتت والنزاع بين المسلمين، ومن هنا أمر الحق - سبحانه - رسوله الكريم - عليه السلام - بهدم ذلك البناء الشيطاني والامتناع عن القيام فيه بقوله عز وجل[٥]:

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾

«التوبة ١٠٨»

من المثل العليا للرجولة

هذا وقد سطعت في المرآة القرآنية الإيمانية الناصعة صور مبهرة لرجال أراد الحق سبحانه أن يكون للبشر مثلاً عليا للرجولة الجديرة بالتأمل، والخليقة بالاقتداء.

فذلكم «الرجل الباكر» يوسف الصديق - عليه السلام - الذي تتدفق الرجولة في صباه تدفق الطاقة المفعمة بالحيوية في العود النضر الدقيق، فتغمره حياءً مع الحياة، وتغمره جلالاً مع الجمال إذ يعرضه القرآن الكريم على البشر درساً

«٤» من تفسير النسفي والبيضاوي.

«٥» أي مسجد قباء وقباء تقع بعد حي «العنبرية» وهي في مدخل المدينة المنورة من طريق الهجرة حيث نزل النبي ﷺ بأصحابه في بني عمرو بن عوف عند ثنية الوداع «الثنيات الوداع» حيث استقبل عليه الصلاة والسلام بالنشيد المعروف «طلع البدر علينا من ثنية الوداع» والقباء لغة المقدار فيقال في هذا «بينهما قباء قوسين» أي قاب قوسين.

بشرياً في ترويض الرجولة للذكورة، وتحكم الإرادة الشماء في البهيمية الحمقاء حين استمسك الفتى الرجولي اليافع بالخلق الرفيع المنيع حين راودته:

﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾

«يوسف: ٢٣»

عن نفسه فاستعصم، وتأمل كلمة:

«هو في بيتها».

هنا لتدرك مدى إصرار الرجولة على الترفع عن التبذل المهين والانقياد المشين حتى إن كان صاحب هذه الرجولة تابعاً لمتبوع، وأنّى لتبعية الأقدار أن تنال من رجولة الأطهار الأبرار.

رجولة النجدة

وذلك موسى - عليه السلام - يرسم لنا القرآن الكريم صورته في الرجولة الخلاقة بالشهامة والمسارعة إلى مد يد العون والمساعدة إلى أصحاب الحاجات في مختلف المواقف والأوقات.

ولنتأمل في تدبر عميق، وتفكير دقيق تتبع القرآن الكريم لرحلته المهاجرة «خائفاً يترقب» طلباً للنجاة من أرض الطغاة:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

«القصص: ٢٣»

فلماذا كانت استجابة رجولة النجدة في هذا الموقف؟ يجيب الكتاب العزيز:

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾

«القصص: ٢٤»

فتأمل كيف برجل خائف يترقب يطارده طغاة فرعون بعد أن قيل له:

﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾

«القصص ٢٠»

وقد جاشت نفسه بمختلف الخواطر، وازدحمت جوانبه بشتى الهواجس والأحاسيس، ومع ذلك ينسى خواطره الخاصة، ويتجاهل هواجسه وأحاسيسه الذاتية، ويحيا في موقف نفسي آخر هو رجولة النجدة، وبطولة الإيثار.

وهذا الخلق الرجولي الكريم هو ما جعل المرأتين اللتين تتمتعان برجحان العقل، واتزان الفكر يقومان ذلك الرجل:

﴿ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

التقويم الحق عندما عادا إلى أبيهما «الشيخ الصالح» الذي ما لبث أن اختار موسى - عليه السلام - زوجاً لإحداهما بعد أن عايشه تحت بصره وسمعه بضع سنين في اختيار عملي واختبار ميداني بعيداً عن العجلة والتسرع في مثل هذه

الأمور المصيرية التي يترتب عليها البناء الأسري القويم«٦٠».

واليـــوم

هذه بعض اللمحات التي التقطها الفكر - قدر الاستطاعة - من صور الرجولة الصادقة التي يعرضها القرآن على البشر حتى يحكموا - في ضوئها - على أنفسهم، إذ هي كما ترى في الحقيقة صور ومعايير جدير بذوي الفطنة السليمة أن يستمدوا منها التأسي والاعتبار وليس مجرد التحاكي والاجترار.

فلقد فشا بين الناس من قديم الخلط بين «الرجولة والذكورة» حيث يقول القرآن الكريم:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

«النحل ٥٨»

وفي المقابل نرى الأسرة التي ترزق بالذكر وكأنها حازت الدنيا وما فيها متغافلة عن قول الحق سبحانه:

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾

«الشورى ٤٩»

الرجولة تربية وإعداد

وفي سياق حديثنا هنا نقول إن الخلط بين «الرجولة والذكورة» هو خلط سقيم، وفهم عقيم، حيث تطور هذا الخلط إلى تدليل هذا «الذكر» وسوء تنشئته وتوجيهه، حتى إذا شارف مطالع الرجولة حدث له من الانتكاس والنكوص ما يعود به إلى مراحل الطفولة والمراهقة يطلب ولا يُطلب، ويأخذ ولا يعطي، ويعتمد ولا يستقل، ويستغيث ولا يُغيث، ويستفيد ولا يُفيد، ويستنجد ولا يُنجد، ويستعين ولا يُعين، طفل بين الرجال ورجل بين النساء، يتثنى في خطوته، ويتخنث في لهجته لا يتفكر، ولا يتدبر، ولا يتخذ قراراً، ولا يتحمل مسئولية.

وتستمر هذه المهزلة «غير التربوية» وغير السوية حتى تطمح الأسرة غير الواعية إلى تزويج «طفلها المدلل» لأنه - بزعمها - أصبح رجلاً وآن الأوان - في نظرها - أن يؤهل زوجاً ورب أسرة!!!

فيدخل «الرجل الطفل» في التجربة الخطيرة دون سلاح من تربية سديدة أو إرشادات سديدة، ثم تكتشف الأسرة - قبل أن يدرك هو - أنه قد زُجّ به في هذا الميدان الذي كان لا يهدف في نظر الحمقى إلى أبعد من إشباع شهوة البهيم.

«٦٠» ألا يدلنا هذا على درس قرآني محكم يوجه الأسرة المعاصرة إلى ما يجب مراعاته حين اختيار زوج الابنة لبناء أسرة سوية رشيدة. ولعمرك كم يتفق هذا مع الحديث النبوي الشريف «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» «عن أبي هريرة» - الجامع الصغير للسيوطي.

وعندئذ يستشعر الغر في نفسه عقدة النقص التي تعبر عن نفسها في سلوك أرعن، وتصرف أحمق، فيحاول هذا المريض المجني عليه منذ صغره - بالخلط بين الذكورة والرجولة - أن يؤكد «رجولته» الكاذبة من خلال دعم ذكورته الطائشة بالعقاقير المدمرة والسلوكيات المنفرة، ثم يحاول أن يستكمل «رجولته» بالعنف العنيف مع «المسكينة» التي ألقى بها في هذا «العش الواهي» ظناً منه أن العنف والتسلط على الزوجة والأولاد هو من قبيل تأكيد الذات وإبراز الشخصية فيتسلح بالضرب والسب والصياح بالأيمان المغلظة التي قد ينفلت من بينها يمين الطلاق.

ألم تدرك أسرة هذا «الذكر» وأمثالها أن الإسراف في العنف هو الضعف بعينه، ألم يأت هذه الأسرة الضالة ماذكره النبي ﷺ «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»«٧٠» وغير هذا وذاك من مقومات التربية التي تعد الذكر ليكون رجلاً بل «رجل بيت» كما يقال.

واجبات تربوية

مثل هذا المسكين الذي يرتدي من الرجولة إهاباً زائفاً هو ضحية التربية غير الواعية، والتوارثة - دون تبصير - عبر الأجيال، فالآباء والأمهات في هذا السياق لسان حالهم يرددون أن يدروا:

﴿ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾

«المائدة ١٠٤»

وقد رفض مبدع البشر - عز وجل - هذا الزعم فأمر بعدم التقليد دون التفنيد، وعدم النقل دون النقد.

والأسرة بدورها تحتاج إلى من يأخذ بيدها في هذه السبيل في زحام الأساليب التربوية المتعارضة، والقنوات الفضائية المتناقضة.

وليت الذين يدعون اليوم - في غيرة وحماس - إلى دعم التربية «الجنسية» يقدمون أيضاً «بعض» الاهتمام الكافي بدعم التربية «الأسرية» علّنا نرتقي بالأسرة إلى مكانها الريادي الحقيقي التي خُلقت له في سُلّم الحياة، ولو فعلنا لأسهمنا في تهيئة المناخ الأسري بالبعيد عن «التلوث» الذي أصبح سمة العصر بدلاً من أن نتباكى ليلاً ونهاراً على الأسرة التي تعاني - كما يقال من العنف الباطش والضعف الذليل.

وإن لنا في معالم تراثنا التاريخي والقومي والروحي وترابطه بما يتسق معه من سمات العصر، لخير نبع نستقي منه القيم العملية والمبادىء السلوكية في هذا الشأن.

فاللهم ألهمنا صدق الرغبة وسواء الأمل وجدية العمل وتجنب الخطل.

«٧٠» عن عائشة رضي الله عنها - الجامع الصغير.

قصة العدد

الابن الحائر

للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف محمد الحديدى
الأستاذ بجامعة الأزهر

خرج أبو عامر الراهب من دار عبدالله ابن أبى بن سلول فى ظلام الليل متسللا كاللص، وقد ودعها ابن أبى إلى الباب وعانقه ورجع وفى وجهه علائم السرور.

وكان ولده المؤمن الصادق عبدالله بن عبدالله، يرى مشهد اللقاء ومشهد الوداع فيشعر بأسف فى أعماق ضميره، ويقول بينه وبين نفسه: لماذا يحتفى والدى بأبى عامر الراهب وهو عدو الدعوة الإسلامية، وكثيرا ما ينشر الأراجيف عن نبى الإسلام وعن المسلمين، وماذا أفعل لو علم رسول الله بهذه المودة المريبة بين أبى وبين أبى عامر الراهب؟

● ثم رأى أن يفاجئ والده بخواطره، فتقدم إليه يسأله فى هدوء: أبى، فيم كنتما تتحدثان أنت وأبوعامر الراهب؟

●● فقال الأب: أبو عامر صديقى، وأرتاح إلى حديثه، فماذا يسوءك من هذا؟

● قال الابن: لم يكن أبوعامر صديقك قبل أن يأتى رسول الله إلى المدينة، وما أظننى شاهدته فى هذه الدار إلا منذ جاء رسول الله! وهو نصرانى لا يؤمن برسالة محمد، وأنت أمام الناس مسلم تؤمن برسالة رسول الله!

●● فزفر ابن أبى زفرة حارة، وقال لابنه: كأنك لا تعرف أن محمدا قضى على مستقبلى بالمدينة حين جمع الأوس والخزرج على الإسلام، لقد كان الفريقان يجمعون على أن أكون ملك المدينة، وقد جمعوا الخرز لألبس التاج! ثم جاء محمد فضاع الأمل وأصبحت بين القوم فردا كسائر الناس!

● قال الابن: ولكنك أسلمت، وأعلنت للناس أنك مسلم تؤمن برسالة محمد، فكيف تتحدث عن نبى الإسلام حديث الغاضب اللدود.

●● فقلب ابن أبى يده، وقال: حتى ولدى يعارضنى، ويدين بالإسلام خالصا من قلبه!

● قال عبدالله: وماذا تنكر من الإسلام يا أبى، وقد جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور؟!

●● فصاح الأب: اخرج من أمامى، فلا آمن أن أحمل سيفى، وأضرب عنقك إذا تماديت فى هذا اللجاج.

خرج الابن المسكين باكيا، لأنه يعرف عن يقين أن أباه رئيس المنافقين فى يثرب، وأن أمره سينكشف إلى رسول الله! وتلك مسألة توجب العقاب الشديد، ولكنه رأى أن يصمت حتى لا يحدث شقاقا فى المنزل، ولعل الأيام تهدى أباه إلى سواء الطريق.

ونقض اليهود من بنى قينقاع عهدهم مع رسول الله ﷺ، وصار لقاؤهم بالمدينة موضع تآمر وفتنة، فرأى رسول الله ﷺ أن يجلوهم عن المدينة لتستقيم الأمور على وجهها الصحيح، وكان ابن أبى حليفا للقوم، فتقدم إلى رسول الله يقول إنهم حلفائى، وأنا لا أغدر بهم، ولن يخرجوا من المدينة وقد وعدتهم بذلك.

● فقام أحد الأنصار، وصاح فى وجه ابن أبى: ليس لك مع رسول الله أمر ولا نهى وسيخرج القوم صاغرين.

●● فصاح ابن أبى: أيخرج ربعمائة نفر من يثرب، وكأنهم قطعان من الماشية، إنى لأخشى أن تدور الدوائر فتخرج جميعا.

فتقدم سعد بن معاذ إلى أبى، وقال له فى غلظة:

ـ اخرج أنت معهم ليرتاح الناس.

● وعاد المنافق الحاقد حزينا إلى داره، فدعا ولده وقال له: أرأيت ذلة موقفى أمام محمد؟ ورأيت كيف جابهنى سعد ابن معاذ بأسوأ الحديث؟

●● فقال الابن: لم يكن لك أن تعترض على أمر رآه رسول الله، إنه لا ينطق عن الهوى يا أبى فارجع إلى الحق.

● فصاح الوالد: حتى أنت يا عبدالله، تعترض على موقفى ولا تؤيده، بمن إذن أستجير؟

ودق الباب، فخرج الولد ليرى أبا عامر الراهب يطلب لقاء ابن أبىّ فعبس فى وجهه، وقال له:

ـ ما جئت إلا بشر يا أبا عامر!

فتضاحك الراهب، وقال:

ـ لن يكون شر بينى وبين أبيك.

● ثم فطن الوالد إلى الزائر، فخرج إليه سعيدا، وقال لابنه: أظنك لن تكون عيناً على أبيك، فاتركنا الآن.

●● قال أبوعامر: لقد فسدت المكيدة التى دبرها اليهودى شاس بن قيس بوحى منى.

● فقال ابن أبي: أوضح.

●● فقال أبوعامر: لقد آلمني اجتماع الأوس والخزرج على حب الإسلام وساءني أن يصبحوا إخوة بعد أن كانوا أعداء، فأردت أن أذكرهم بأحداث الأمس، واتخذت شاس بن قيس وسيلتي وهو يهودي محنك وصدره يغتلي حقدا على محمد، فقلت له: لقد نسي الأوس والخزرج حروبهما الدامية بالأمس، وهم يتحدثون وكأنهم ولدوا أحباء مخلصين ولن يفرقهم غير من يذكرهم أحداث الأمس فتشتعل الحرب من جديد، وعليك يا شاس أن تبحث عن شاب فطن يحضر بمجمع القوم فيذكرهم حزازات الأمس.

فقال شاس: كأنك تقرأ ما في نفسي، لقد أحكمت المكيدة، وستسمع عنها ما يسرك. فإن الشاب المختار سيفعل فعلته اليوم وهذا ما كان قصد.

انطلق الشباب يذكر المجتمعين بأيام بعاث ومن قتل في المعركة في الفريقين فأحدث خرقا واسعا بين الفريقين، وهمّ كل أوسي أن يبطش بكل خزرجي وتواعدوا على القتال في الصباح، ولكن الأمر قد وصل إلى محمد سريعا فحضر غاضبا، وقال للقوم:

ـ الله الله! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، وقد هداكم الله للإسلام، فقطع به العداء، ثم تلا عليهم من القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

«آل عمران: ١٠٢، ١٠٣»

وما كاد محمد يقرأ قول الله، حتى بكى القوم، وتعانقوا تائبين.

● فزفر ابن أبي وقال:

ـ هذا ما حصل يوم تشاجر مهاجر مع أنصاري وضرب أحدهما وجه صاحبه، فانتهزت الفرصة وقلت: ما هذا؟ أيتجرأ المهاجرون علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وجاء الأمر إلى محمد، فبكى القوم آسفين، وعلم محمد مكيدتي فأسرها في نفسه وأعلم أنها لن تمر عليّ بسلام.

كان الابن يستمع من وراء ستار ما يقول الرجلان، فلم يطق أن يكتم مشاعره، ففتح الباب منفعلا وقال لأبي عامر:

● سأنقل إلى رسول الله ما تحوكان من كيد، والإسلام لدى أفضل من أبي، وستريان!

●● فقال الوالد: إذن ستقدم رأسي ورأس أبي عامر إلى السيف!

● فقال الابن: إذا رجعتما عن الكيد، وانصرف كل منكما عن مؤامراته فسأسكت.

فتخاذل أبو عامر، وقال:

ـ سترجع يا بني، وارحم أباك إذا كنت لا ترحمني.

خرج أبوعامر وانفرد ابن أبي بولده، فقال له في غيظ:

●● لو استطعت أن أتبرأ من أبوتك لفعلت! لأنك تسعى إلى هلاكي بنصرتك الإسلام.

● فقال الابن: أنا السبب في نجاتك لا هلاكك!

●● فاحمر وجه الوالد، وقال:

كيف؟

● قال: لقد أثرت نار الفتنة في حديث الإفك، وافتريت على أم المؤمنين بما هي بريئة منه، وكان أهون ما يقدم لك من الجزاء أن تجلد ويقام عليك الحد، ولكن رسول الله قال لمن حوله: نتركه كرامة لابنه، ولو جلدت أمام الناس لفقدت ما لك من احترام!

ثم جاءت الأنباء بتواطؤك مع أبي عامر، في إنشاء مسجد الضرار، وهو وكر المنافقين، وكان من حق الرسول أن يؤاخذك على إشاعة الفتنة، ولكنه رعى جانبي، ولم يمسك بسوء وقد نزل قول الله:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

«سورة التوبة آية: ١٠٧»

فكان ذلك خزيا للمنافقين.

●● قال الأب: أتعرف كل ذلك!

● فقال الابن: وأكثر من ذلك ولا أعيد عليك موقفك من غزوة تبوك، وتهكمك بالمسلمين! وقد نزل فيك قرآن، إذ كنت ممن قال الله فيهم:

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾

«التوبة: ٨١»

لم ير ابن أبي بدا من السكوت في ألم، ورأى الولد أنه كاشف أباه بما أوجعه، فترك الحجرة وبادر بالانصراف.

***

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

تكنولوجيا الليزر ومجالات استخدامها

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة (سابقا)

من المعروف أن الطابع الديناميكي لتقدم العلم والتقنية يتحقق بتواصل جهود العلماء والباحثين وتنافسهم في السبق إلى كشوف علمية جديدة، وأن عملية التصحيح المستمرة لمسار المعرفة العلمية تتم بتراكم المعلومات والخبرات عبر تاريخ طويل حتى تصل إلى الدرجة التي تسمح معها وقائع جديدة بظهور كشف علمي خطير على أنقاض حسابات نظرية ونتائج تجريبية قديمة.

ومن يتتبع مراحل التطور التاريخي لنظرية الضوء وعلم البصريات بصورة عامة سوف يجد أنها بدأت بعلماء الإغريق، ثم تلاهم علماء الحضارة العربية الإسلامية وفي مقدمتهم الحسن بن الهيثم مؤسس علم البصريات التجريبي، ثم تتابعت جهود العلماء بعد ذلك في عصر النهضة الأوروبية الحديثة حتى توافرت معلومات أساسية مهمة عن الذرات وتركيبها وسلوكها وتطور نماذجها ونظرياتها، وذلك على أيدي علماء أمثال الألماني «ماكس بلانك» والدانمركي «نيلز بور» والفيزيائي الأشهر «ألبرت أينشتين» وغيرهم. وفي السابع من مايو عام ١٩٦٠ أعلن «تيودور مايمان» في «مؤتمر أخبار نيويورك» عن اكتشافه لأول جهاز «ليزر» كمصدر جديد للضوء المركز. ولم تمض بضع سنوات على هذا الاكتشاف حتى ظهرت آثاره الهائلة على حركة التقدم العلمي والتقني في مختلف المجالات، ولا يكاد يمر يوم حتى نسمع عن طفرة علمية هنا أو هناك يكون لتقنية الليزر فيها دور كبير.

وكلمة «ليزر» هي التعريب المتفق عليه للأصل الانجليزي (Laser) المستخدم في معظم اللغات، والذي يجمع الأحرف

الأولى للعبارة الانجليزية:

(Light Amplification By The Stimulated Emission Of Radiation).

وهي تعني حرفياً «تضخيم الضوء بطريقة الانبعاث المستحث للإشعاع» ويطلق اسم «الليزر» على الجهاز الذي يولد حزمة الضوء المركز بهذه الطريقة، كما يطلق الاسم أيضاً على الأشعة ذاتها.

وكان إنتاج الليزر الأحمر لأول مرة على يد «تيودور مايمان» باستخدام بلورة الياقوت.. وعرف بالليزر الياقوتي. ثم ظهرت بعد ذلك أنواع عديدة لأجهزة الليزر منها الليزر الغازي الذي يستخدم فيه خليط من غازي النيون والهيليوم، ويبدو شعاع الليزر الصادر عنه ذا لون أحمر فاتح، وتلا ذلك ظهور أنواع ليزر مشابهة تستخدم بخار المعادن، مثل ليزر الهيليوم ـ كادميوم ذي اللون الأزرق. وتوجد الآن مجموعة كبيرة من أجهزة الليزر التي تختلف أسماؤها باختلاف «المادة الليزرية» المستخدمة. فهناك ليزرات أشباه الموصلات، والليزرات السائلة، والليزرات الأيونية وغيرها. كذلك تم مؤخراً إنتاج ليزر الأشعة السينية «أشعة إكس» وتجحت محاولات إنتاج ليزر أشعة جاما، وليزر القدرة الفائقة. وتتميز كل هذه الأنواع عن بعضها البعض بحسب مدى طيف الأشعة الناتجة. كما يمتاز شعاع الليزر عن الضوء العادي الطبيعي بأنه أكثر شدة وأقل تفرقاً، ويتمتع بخاصية التلازم والترابط الشديدين في المكان والزمان. وتعتمد كل تطبيقات الليزر على الاستفادة من خصائصه. فهناك على سبيل المثال تطبيقات عديدة في مجالات البحث العلمي والطب والهندسة والفلك وملاحة الفضاء وغيرها تعتمد على الشدة العالية لهذه الأشعة وزيادة تركيزها للحصول على طاقة عالية جداً تؤدي إلى ارتفاع موضعي عالٍ في درجة الحرارة يصل إلى عدة آلاف درجة خلال جزء من الثانية. وبذلك يمكن حفر ثقوب صغيرة جداً في أصلب المواد كالماس، وفي المعادن والصخور والأسنان وشفرات الحلاقة وغيرها. كما تجد هذه الخاصية تطبيقات مهمة في عمليات قطع المعادن أو توصيلها، وفي عمليات اللحام الدقيق، كما في الدوائر الإلكترونية، بدون حدوث أكسدة بالقرب من منطقة اللحام. وفي المجال الطبي يستفاد من أشعة الليزر في عمليات لحام الشبكية في العين في زمن لا يتعدى جزءاً من ألف جزء من الثانية بدون جراحة أو إزعاج للمريض. كذلك كانت فكرة ليزر الجراحة أحد الأهداف الطبية المهمة، خاصة في مجال العمليات الجراحية التي لا يمكن إجراؤها بالمشرط الطبي التقليدي. ويتميز الليزر الجراحي بالطريقة التي يتفاعل بها مع الأنسجة دون نزف أي دم تقريباً، ويمكن لشعاع الليزر كيّ بعض الأوعية الدموية في مكان العملية فيتوقف الدم، ويفيد هذا النوع من الجراحة في حالات كثيرة منها حالة المرضى المصابين بمرض «الهيموفيليا»

أو عدم تجلط الدم، وفي حالة تهتك الأوعية الدموية. ويستخدم الليزر في الجراحة إما لإزالة الأنسجة السطحية، وإما في عمليات القطع العميقة. وأكثر أنواع الليزر الشائعة المستخدمة في الجراحة هو ليزر ثاني أكسيد الكربون الذي يعمل في المدى الطيفي للأشعة تحت الحمراء.. ومن خصائص هذه الأشعة في هذا الجهاز أنها تكون في المدى الطيفي المستمر وأن مُعامل امتصاصها بواسطة الماء المتواجد في الخلايا الحية بالأنسجة مرتفع جداً. هذا بالإضافة إلى شدة الاستضاءة العالية التي يمكن بواسطتها تبخير الخلايا الحية عند البؤرة التي تتجمع عندها الأشعة.

وفي مجال الأعصاب يستخدم «الوخز بالليزر» بدلاً من استخدام الطريقة الصينية المعروفة وهي «الوخز بالإبر». وقد أصبح الوخز بالليزر شائعاً لأنه لا يسبب تلك الآلام التي تسببها الإبر، بالإضافة إلى أنه صحيّ وأسرع في الاستخدام، ويناسب الأطفال وكبار السن.

ويستخدم الليزر أيضاً في الاكتشاف المبكر لحالات السرطان، ويتم ذلك عادة بأخذ عينة من الأنسجة ووضعها في محلول يحتوي على الصبغة العضوية التي تشعّ وميضاً ضوئياً عندما تسقط عليها أشعة الليزر المناسبة. ومن المعروف لدى أهل الاختصاص أن الخلايا العادية في الأنسجة لا تحتوي على نفس النسبة التي تنتجها الخلايا السرطانية من البروتينات وجزيئات الدنا (DNA) والتي تمتص الصبغة العضوية بنسبة أكبر. وهذا يعني أنه في حالة وجود خلايا سرطانية فإنها تمتص كمية كبيرة من محلول الصبغة العضوية، وبالتالي تكون لها القدرة على امتصاص الأشعة الضوئية من الليزر بمعدل أكبر من تلك الصبغة التي تمتصها الخلايا العادية. وقد ثبت علمياً أن هذه الطريقة في التشخيص أفضل كثيراً من إعطاء المريض كبسولات خاصة تحتوي على هذه الصبغة العضوية التي تتسبب هي ذاتها في توليد خلايا سرطانية بالجسم.

وبالنسبة لخاصية التلازم والترابط في أشعة الليزر فقد أمكن الإفادة منها على نطاق واسع في مجالات الاتصالات، على غرار ما يتم بالنسبة لموجات الراديو. فالأشعة الصادرة عن ليزر غازي مثلاً تماثل الموجة الحاملة في الراديو، إلا أن الأولى يكون ترددها أعلى مائة مليون مرة. وإذا أمكن تعديل ضوء الليزر فإنه يمكن تحميله بالمعلومات.

ولما كان عدد القنوات التي يمكن بثها على الموجة الحاملة يزداد بازدياد ترددها، فإنه يمكن تصور مقدرة شعاع واحد من الليزر على نقل كل المعلومات الموجودة حالياً في قنوات التليفزيون والراديو والتليفون والتلكس وغيرها. لكن امتصاص الضباب والمطر والسحاب والدخان لأشعة الليزر يعوق انتشارها لمسافات بعيدة عبر الغلاف الجوي. وقد نجحت الدراسات والتجارب التي أجريت في هذا المجال في إيجاد حلول علمية سهلة لهذه المشكلة وبث إرسال تليفزيوني رائع بالليزر.

أما بالنسبة لخاصية صغر التفريق أو الانتشار الزاوي لأشعة الليزر فيستفاد منها في أغراض الإشارة والاتصالات الفضائية بين محطة فضاء والأرض أو بين صاروخ ومحطة فضاء. وقد أسهم اكتشاف «جيروسكوب الليزر» في تقدم الملاحة في الفضاء. كما أن جهاز «واجد المدى» الذي يعمل لقياس المسافة بنفس فكرة الرادار يستخدم في أغراض علمية ومدنية وحربية عديدة. فأصبح مهندسو العمارة وكثير من فنون الهندسة الأخرى يستخدمون أشعة الليزر في قياس المسافات والارتفاعات بدقة بالغة. واستخدمه العسكريون في العديد من التطبيقات ومنها تصويب قذائف ومدافع الطائرات من الجو بإحكام بالغ. ويوجد حالياً أجيال جديدة من «واجدات المدى» تعمل في مختلف الأجواء.

من ناحية أخرى، ساعدت تقنية الليزر على حل الكثير من القضايا المهمة المتعلقة بسلوك الذرات وكشف الغموض عن الكيفية التي تتغير بها النظم الفيزيائية المختلفة من حالات نظامية إلى حالات عشوائية. ففي عام ١٩٨٦م نجح فريق العلماء في إجراء أول تجربة لاصطياد ذرات مفردة لبضع ثوان داخل حجم صغير يبلغ حوالي نانومتر مكعب «النانو يساوي جزءاً من ألف مليون جزء من المتر»، وذلك باستخدام القوى المتولدة في النقطة البؤرية لحزمة أشعة الليزر. وبعد ذلك واصل العلماء نجاحاتهم لعمل مصايد ليزرية تمسك بالفيروسات والجراثيم فُرادى، بل تمسك حتى ببعض الأحياء الدقيقة متعددة الخلايا، بحيث يمكن التحكم في تحريكها بسهولة ومتابعة فحصها أثناء مشاهدتها من خلال مجهر «ميكروسكوب» ضوئي ذي مقدرة تكبير وإيضاح عالية.

هناك أيضاً تقنية التصوير المجسم بالليزر، أو الهولوغرافيا، وفيها تظهر الأجسام بحالتها الطبيعية في الفراغ ذي الأبعاد الثلاثة، حيث يتم احتواء تفاصيل التعرجات النسبية للجسم المنظور وأعماق أجزائه. ويساعد نظام مسارات الأشعة الليزرية على رؤية الصورة من زوايا إبصار مختلفة. ويستعان حالياً بالتصوير الليزري في كافة المجالات، حيث يستخدم في الصناعة في مجال تصميم نماذج الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية والدوائر الإلكترونية، وفي مجالات الإنشاءات يستخدم في عمل نماذج العقارات، وفي المجال الطبي يستخدم في تصوير الأجزاء الدقيقة بالجسم، مثل المخ.. وقد دخل التصوير المجسم حالياً في منظومات الحراسة والأمن، وحاليا تمنح البنوك عملاءها تذكرة الأرصدة بتوقيع مجسم لأصحابها لا يمكن تزويره.

إن تطبيقات تكنولوجيا الليزر هذه الأيام لا تقف عند حد، وتتوقع دائماً تطبيقات جديدة لا تزال في انتظار جهود الباحثين والعلماء للإفادة الكاملة من كل الخصائص المميزة لأشعة الليزر.

مؤتمر دولي بأندونيسيا يبحث:

تطوير وتوحيد مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات

متابعة الأستاذ/ عاطف مصطفى

▫ رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة دار السلام الإسلامية بجاوا الشرقية بإندونيسيا تؤكدان على أهمية الدراسات التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية.

▫ د. عبدالله التركي يشيد بجهود إندونيسيا في خدمة الإسلام وتربية النشء بما يتفق مع مبادئ وأصول ديننا الإسلامي الحنيف.

▫ المؤتمر ناقش التحديات والصعوبات التي تواجه الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الإندونيسية واقترح حلولاً مهمة لمواجهتها.

عقد في الشهر قبل الماضي المؤتمر الدولي لتطوير وتوحيد مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات، والذي دعت إليه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة دار السلام الإسلامية بإندونيسيا.

وقد بدأت وقائع جلسات المؤتمر في ١٨ من جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ - ٢ من يوليو ٢٠٠٧ بجلسة افتتاحية تحدث فيها كل من فضيلة الدكتور الشيخ عبدالله شكري زركشي رئيس معاهد وجامعة دار السلام بمقر الجامعة بكونتور- جاوا الشرقية بإندونيسيا، حيث بيّن أهمية هذا المؤتمر خاصة في مجال تطوير مناهج الدراسات الإسلامية، وشكلت مجموعة من اللجان ودراسات العلوم الشرعية، تلك التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية.

كما تحدث الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، حيث تناول في كلمته أهمية عقد المؤتمر في دولة إندونيسيا وفي رحاب جامعة ومعهد دار السلام، وتحدث عن أهداف المؤتمر ومحاوره وأهم الموضوعات المطروحة للمناقشة.. مشيراً إلى أن الرابطة وجهت نظرها منذ انتقالها إلى القاهرة عام ١٩٩٥ إلى أهمية تطوير المناهج في مختلف الجامعات للقيام بهذا العمل، وقامت اللجنة بعرض وجهة نظرها في المؤتمر السابع للرابطة، الذي عقد عام ٢٠٠٤ بمقر كلية الأوزاعي ببيروت، وصدر عن المؤتمر وثيقة النهضة لتطوير الدراسات الإسلامية.

وأوضح د. جعفر أن الرابطة عقدت أكثر من ورشة عمل بجامعة المنيا في مصر عن معايير الجودة والاعتماد للدراسات الإسلامية، وصدر عنها إعلان عن هذه المعايير، استند إلى أعمال التطوير التي قامت بها الرابطة.

وقد رأت رابطة الجامعات الإسلامية وهي تجتمع في إندونيسيا أن تناقش في هذا المؤتمر قضية أخرى مرتبطة بعمليات التطوير ألا وهي قضية توحيد الدراسات الإسلامية بسائر الجامعات الأعضاء.

وقد تحدث بعد ذلك معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، مشيدا بجهود فخامة السيد سوسيلو بامبانغ يودويونو رئيس جمهورية إندونيسيا وجهود حكومته وشعبه في خدمة الإسلام والمسلمين، معربا عن تقديره للجهود الطيبة التي قامت بها معاهد وجامعة دار السلام كونتور في تربية النشء تربية إسلامية صحيحة، تتفق مع مبادىء وأصول ديننا الحنيف.

كما تحدث في المؤتمر الأستاذ محمد مفتوح بسيوني وزير الشئون الدينية بجمهورية إندونيسيا وراعي المؤتمر، والذي أبدى سعادته لمناقشة مثل هذه القضايا التي تخدم المسلمين.

جاء من بين ما ذكر حول فكرة مؤتمر تطوير وتوحيد مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات، أنه ليس مطلوباً بالطبع أن يتم توحيد مضامين المقررات الدراسية، إنما المهم هو توحيد مسميات المقررات الدراسية، وعدد الساعات المحددة لكل مقرر، وتوحيد أساليب وطرق التدريس قدر الإمكان، ليتمكن الطلاب من الاتصال المباشر بمصادر المعلومات من أساليب الدراسات والمصادر التقليدية والالكترونية.

كذلك فإن المطلوب هو أن تتقارب الحصيلة النهائية لمجمل ما سيدرس في المقرر الواحد، بحيث يسهل من ناحية المعادلة للشهادات، بين الجامعات الإسلامية، والتقارب الفكري والفقهي بين الجامعات الإسلامية، بحيث يسهل الانتقال من جامعة إلى أخرى، بحيث تستفيد كل جامعة

إسلامية بأي تطوير يدخل المناهج في أي جامعة منها، وكذلك تدريس إمكانية منح شهادة مشتركة بين الجامعات الإسلامية التي تتقارب بين بعضها البعض، وبناء على اتفاقيات ثنائية. وهذه الخطوة تتم الآن تحت رعاية رابطة الجامعات الإسلامية، بين كليتي الحقوق وكليتي والزراعة في جامعتي القاهرة وفلورنسا بإيطاليا، حيث يتم تحليل المواد بكل كلية، حتى يمكن أن تتاح للطلاب دراسة سنتين في كل كلية، أو سنتين في كلية أخرى، لينال الطلاب شهادة مشتركة بين الجامعتين تعطيه كافة حقوق حامل الشهادة في أي من الدولتين.

المشاركون في المؤتمر

كان من بين المشاركين في المؤتمر: معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، وفضيلة الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف، ونائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، والدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام للرابطة، والأستاذ راشد حوري رئيس مجلس أمناء كلية الإمام الأوزاعي، والدكتور حسن ندير رئيس جامعة الاسكندرية، والدكتور علي عبدالرحمن رئيس جامعة القاهرة، والدكتور محمد الصباريني رئيس جامعة اليرموك الأردنية، والدكتور محمد عثمان صالح مدير جامعة أم درمان الإسلامية، والدكتور سليمان أبا الخيل مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والدكتور عبدالسلام العبادي رئيس جامعة آل البيت بالأردن، والدكتور محمد بن علي العقلا مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.


عبدالله بن عبدالمحسن التركي

كما حضر المؤتمر الدكتور محمود الشيخ نائب رئيس جامعة فلورنسا بإيطاليا، ود. عبدالله النطاوي نائب رئيس جامعة القاهرة، ومن رابطة الجامعات الإسلامية: د. نبيل السمالوطي- د. محمود أحمد علي شوق- د. محمد الدسوقي- د. رأفت غنيمي الشيخ.

وخمس جلسات للحوار

وعلى مدى يومين نوقشت البحوث:

ففي الجلسة الأولى والتي رأسها وزير الشئون الدينية بجمهورية إندونيسيا تحدث الدكتور جعفر عبدالسلام عن ورقة العمل التي قدمها للمؤتمر بعنوان: «تطوير المناهج كأساس للتوحيد بين الجامعات، وعقب عليها الدكتور عدنان بن محمد وزان مدير جامعة أم القرى بمكة المكرمة، والدكتور إبراهيم بن علي العبيد وكيل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالسعودية.

● وفي الجلسة الثانية من المؤتمر والتي رأسها إمام سوباكر أحمد رئيس جامعة دار السلام الإسلامية بكونتور- إندونيسيا، كان الموضوع: «نحو تطوير وتوحيد مناهج العلوم الشرعية والعربية في الجامعات»، وتحدث الدكتور محمد الدسوقي أستاذ الفقه والأصول بكلية دار العلوم عن البحث الذي تقدم به للمؤتمر «نحو توحيد مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات»، وتحدث الدكتور قطب مصطفى سانو نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية- كوالالمبور- ماليزيا عن «توحيد مناهج العلوم الشرعية»، كما تحدث الدكتور مسعود عبدالله خليفة رئيس قسم الدراسات العليا بكلية الدعوة الإسلامية بليبيا عن «توحيد مناهج العلوم الشرعية» أيضاً.

● وفي اليوم الثاني للمؤتمر كانت الجلسة الثالثة.. وتضمنت موضوع «نحو تطوير وتوحيد مناهج العلوم الاجتماعية في الجامعات» ورأس هذه الجلسة الدكتور دين شمس الدين أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة دار السلام الإسلامية، ونوقشت أربعة بحوث:

- الأول بعنوان: «الدراسات الإسلامية والعلوم الاجتماعية» محاولة حل المشكلة بينهما.. للدكتور هدايت نور واحد أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة دار السلام ورئيس مجلس الشورى الإندونيسي.

- والبحث الثاني بعنوان: المناهج الدراسية بالجامعات الإسلامية بين التوحيد والتطوير للدكتور محمد شوق أستاذ التربية بمعهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة.

- أما البحث الثالث فقدمه الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع، عميد كلية الدراسات الإنسانية السابق بجامعة الأزهر، وهو بعنوان «التوجيه الإسلامي وتوحيد مناهج العلوم الاجتماعية»..

- ثم كان البحث الرابع: «منهج موحد للحضارة الإسلامية في آسيا: نموذج أقطار الشرق الأقصى» للدكتور رأفت غنيمي الشيخ -أستاذ التاريخ الإسلامي وعميد كلية الآداب جامعة الزقازيق سابقا-.


د. أحمد الطيب

واستمرت مناقشة البحوث في الجلستين الرابعة والخامسة لمناقشة «تطوير وتوحيد مناهج العلوم الاجتماعية بالجامعات» و«مواجهة عقبات تطوير وتوحيد مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات» و«وسائل وأساليب مواجهة عقبات التطوير». كما تحدث في الجلسة الخامسة الدكتور محمود سالم الشيخ نائب رئيس جامعة فلورنسا بإيطاليا عن التجربة الأوروبية في هذا المجال.

نموذج للحضارة الإسلامية في آسيا

لقد تميزت حضارات دول وشعوب الشرق الأقصى بتأثير العقائد الوضعية البوذية والكونفوشية، مما يستدعي من واضع منهج للحضارة الإسلامية في المؤسسات الإسلامية بهذه الدول، الفهم الواعي لحضارات تلك الشعوب، حتى لا يحدث تنافر أو رفض للحضارة الإسلامية المقترحة، ويتمثل هذا الفهم الواعي بالوقوف عند المبادئ الخلقية والوطنية في حضارات شعوب الشرق الأقصى، والإشادة بها، بل وبيان ما يتفق منها مع التراث الإسلامي.

يشير د. رأفت الشيخ إلى نموذج -في بحثه- للحضارة الإسلامية باعتبارها حضارة إنسانية موحدة، تأخذ به جامعات الدول

الآسيوية، خاصة جامعات دول الشرق الأقصى مستشهدا بما قاله د. حسين مؤنس عن الحضارة: إنها ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان هذا المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية.

وقد استشهد الباحث بما قاله أرنولد توينبى عن الحضارة الإسلامية وأنها الحضارة الباقية، لأنها تعتمد على العوامل الخلقية والروحية، بعكس الحضارة الغربية القائمة على عوامل مادية، وأن الشعوب الأوروبية بنت حضارتها اعتبارا من الثورة الصناعية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ثم هدمتها فى حرب مدمرة فى العقد الثانى من القرن العشرين، هى الحرب العالمية الأولى، ثم أعادت الشعوب الأوروبية بناء حضارتها المادية من جديد، ثم كررت تدميرها في الحرب العالمية الثانية.

وهكذا نجد أن مقرر الحضارة الإسلامية، هو المقرر المؤهل كمتطلب لكل جامعة من الجامعات الإسلامية، أو كمتطلب لكل كلية من كليات تلك الجامعات، وعلى أن يشتمل هذا المقرر على هذه العناصر، ونذكر هنا واحدة منها على سبيل المثال:

تطور الحضارة الإسلامية: فى عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين - عهد الخلافة الأموية والخلافة العباسية - انتقال الحضارة الإسلامية إلى آسيا وأفريقيا وأوروبا - رموز الحضارة الإسلامية من المفكرين والزعماء - الحضارة الإسلامية فى مواجهة التحديات.

تميزت بحوث المؤتمر -والتى نرجو العودة إليها فيما بعد- بالجدية فى كل ما يخص تطوير وتوحيد مناهج الدراسات الإسلامية فى الجامعات.

الإسهام فى بناء الشخصية الإسلامية

وعقب الجلسة الختامية أصدر المؤتمر عددا من التوصيات منها:

● التأكيد على أهمية الدراسات التى قام بها علماء رابطة الجامعات الإسلامية فى مجال تطوير مناهج ودراسات العلوم الشرعية (التفسير والحديث والفقه والأصول والعقيدة والدعوة) وهى العلوم التى تسهم فى بناء الشخصية الإسلامية، وذلك حتى تكون الدراسات التى تتسارع فى الحدوث فى حياتنا المعاصرة، وعلى الاهتمام بالتوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية، بحيث تظهر إسهامات علماء المسلمين فى هذه العلوم من ناحية، وتنقيتها من كل ما يخالف أصول العقيدة الإسلامية من ناحية أخرى.

واتفق الأعضاء على ضرورة بعث هذه الدراسات إلى الأقسام العلمية المختصة بالجامعات الأعضاء، للنظر فيها، واتخاذ التدابير اللازمة للاستفادة منها.

● دعوة علماء الجامعات الإسلامية إلى الإسهام والمشاركة فى تأليف الكتب العلمية والمراجع التى وضعت الرابطة مخططاتها، ومفردات موادها، لتكون نماذج إرشادية أمام الأساتذة والمتخصصين والطلاب فى مختلف الجامعات الإسلامية.

● دعوة الجامعات الإسلامية إلى دراسة التجربة الرائدة فى التربية الإسلامية، التى يقوم بها معهد وجامعة دار السلام كونتور، بإندونيسيا ومؤازرتها، والعمل على الاستفادة منها فى الدول الإسلامية.

● رأى المؤتمر أن من أهم الأسباب لتحقيق الوحدة بين أقطار الأمة الإسلامية، تطوير وتوحيد مناهج الدراسات فى الجامعات الإسلامية، فالتوحد فى المجال التعليمى والتربوى والثقافى والاقتصادى التى تستهدفها عملية التطوير، خطوة أساسية لأى وحدة سياسية، مع ضرورة التأكيد على أن التوحد فى المناهج، لا يعنى مصادرة حرية البحث، أو منع الاجتهاد، وإنما تحقيق التقارب بين ما يدرس فى الجامعات الإسلامية فى هذه العلوم.

● وقد أوصى المؤتمر أيضا بالاهتمام بتوصية جعل مادة الحضارة الإسلامية متطلباً أساسيا من متطلبات الجامعات الإسلامية، بحيث يتم تدريسه لكل طلاب الجامعات، طبقا للمخططات التى انتهت إليها اللجان العلمية بالرابطة.. ويدعو المؤتمر أيضا إلى تدريس المناهج الجديدة التى انتهت إليها الرابطة فى الفقه الطبى والعمارة الإسلامية وفلسفة العلوم فى الإسلام، والقانون الدولى الإنسانى وحقوق الإنسان وغيرها من الكتب التى تنجزها رابطة الجامعات الإسلامية، أسوة بما تم فى بعض الجامعات.

● وفى توصياته أكد المؤتمر على أهمية أن تكون اللغة العربية لغة التعليم فى الجامعات الإسلامية، ووضع الخطط لتحقيق هذا الهدف السامى.

وكان من بين أهم ما ناقشه المؤتمر، التحديات والصعوبات التى تواجه الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الأندونيسية وانتهى إلى ما يلى:

- ضرورة الاهتمام باللغة العربية فى تدريس المواد الإسلامية بحيث تكون لغة التدريس الأساسية لهذه المواد.

- الدعوة إلى مساندة الجامعات الإسلامية للجامعات الإندونيسية فى توفير أعضاء هيئة التدريس لتدريس اللغة العربية بها.

- دعوة رابطة العالم الإسلامى والجامعات الإسلامية لتوفير عدد مناسب من المنح لأبناء إندونيسيا لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية.

- التوسع فى برامج تدريب المدرسين الإندونيسيين فى الجامعات العربية، لمساعدتهم وإكسابهم المهارات الأساسية لتدريس اللغة العربية.

- التوسع فى إنشاء معاهد لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فى إندونيسيا.

- أيضا الإسهام فى توفير الكتب الدراسية المناسبة التى تسهم فى فهم اللغة العربية وتحسين تعليم مهاراتها الأساسية.

- التوصية بإنشاء مراكز للترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإندونيسية واللغات الحية الأخرى. لنقل الصورة الحقيقية للإسلام وعلومه، ودعم تدريس العلوم الإسلامية بالجامعات الإندونيسية وجامعات جنوب شرق آسيا على وجه الخصوص.

غــــــزة
بين حماس وفتح وإسرائيل

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشئون السياسية

لا شك أن القطيعة بين الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» وحركة فتح من جهة، ورئيس حكومة الوحدة الوطنية المقال «إسماعيل هنية» وحركة حماس من جهة أخرى، لا تزال تحكم العلاقة بين الجانبين، بعد شراكة استمرت أقل من ثلاثة شهور عشية توقيع «اتفاق مكة» في الثامن من فبراير ٢٠٠٧ الذي أسفر عن تشكيل حكومة الوحدة الوطنية، وحصولها على ثقة المجلس التشريعي الفلسطيني في التاسع والعشرين من مارس ٢٠٠٧ إلى أن أقيل «إسماعيل هنية» رئيس حكومة الوحدة من منصبه في الرابع عشر من يونيه ٢٠٠٧ بسبب سيطرة حماس على قطاع غزة، وإعلان الرئيس «أبومازن» حالة الطوارئ، وتكليف الدكتور «سلام فياض» بتشكيل حكومة طوارئ.

وفي هذا السياق استغلت إسرائيل هذه الظروف التي تمر بها السلطة الفلسطينية، فأحكمت إغلاق المعابر الحدودية الأربعة التي تفصل القطاع عن أراضي الخط الأخضر والعالم الخارجي، فمن المعروف أن معبر رفح الحدودي مع مصر، هو المنفذ الوحيد لسكان قطاع غزة على العالم الخارجي، بينما يمثل كل من معبري «صوفاه» و «المنطار» التجاريين، نافذتي التصدير والاستيراد. أما معبر «إيرز» فيشكل الرابط الوحيد بين قطاع غزة والضفة الغربية وإسرائيل، ومن جهة أخرى بادرت حكومة إسماعيل هنية المقالة، بتشكيل المجلس الأعلى للشرطة غداة صدور توجيهات من «سلام فياض» رئيس حكومة الطوارئ الجديدة للعسكريين ورجال الشرطة بعدم العمل في القطاع، والتعهد بتقديم رواتبهم وهم في بيوتهم، ومن هنا أسندت قيادة العمل إلى العميد «توفيق جبر» مدير العلاقات العامة في الشرطة، للقيام بواجبات حفظ الأمن في قطاع غزة

ويرفض الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» الحوار مع «إسماعيل هنية وحركة حماس إلا بشرطين:

- الأول: إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها قبل الرابع عشر من يونية ٢٠٠٧ أي عشية ما تسميه فتح «الانقلاب على الشرعية».
- والثاني: الاعتذار للشعب الفلسطيني.

غير أن حماس لا تمانع من العودة إلى مائدة الحوار بدون الشرط الثاني، حيث إنها ترى أن كل ما قامت به في غزة يصب في صالح استقرار الأمن وحفظ النظام العام في قطاع غزة، بعد أن انتشرت الفوضى والاضطراب فيه، ومع استمرار الخلافات بين الطرفين يصبح هناك حكومتان، أحداهما في الضفة الغربية تديرها حكومة الطوارئ برئاسة «سلام فياض» المدعومة أمريكيا وأوروبيا وإسرائيليا، والأخرى في قطاع غزة تديرها حكومة إسماعيل هنية المقالة من جانب الرئيس محمود عباس، والتي لا تتمتع بقبول دولي بوصفها حكومة متمردة على السلطة الوطنية الفلسطينية.

وقد وجّه الرئيس الفلسطيني «محمود عباس» كلمة أمام «مؤتمر الاشتراكية الدولية» يوم الجمعة ٢٩/٦/٢٠٠٧ في اللقاء النصف سنوي لمجلس الاشتراكية الدولية الذي جمع ١٦١ حزباً سياسياً، قال فيها: «كلنا ثقة من دعمكم لنا ومساندة دولكم الصديقة في المجالات المختلفة ليس فقط لإحباط أغراض الانقلاب الذي يهدف إلى إقامة «إمارة» متطرفة ومعزولة، وإنما لمساعدتنا في إقامة «دولة ديمقراطية مزدهرة» وأضاف «إنني ومعي الحكومة برئاسة «سلام فياض» نولي كل الاهتمام لمساعدة شعبنا في قطاع غزة، وتأمين كل حاجاته الإنسانية» وقال موجها رسالة إلى الإسرائيليين: «بهذه المناسبة، أجدد أمامكم رسالتي إلى الشعب الاسرائيلي: بأن يدنا مازالت ممدودة للسلام الشامل والعادل من أجل تأمين مستقبل آمن لأطفالنا وأطفالكم».


إسماعيل هنية


أبو مازن

وأضاف الرئيس الفلسطيني «أبومازن» قائلا: «أدعوكم وأدعو العالم بأسره إلى دعم المفاوضات ومساندتها من أجل حل شامل توضع على الطاولة فيه قضايا الوضع النهائي» ويرى «صائب عريقات» رئيس دائرة شئون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية أن سيطرة حماس على قطاع غزة، أسوأ ما أصاب القضية الفلسطينية منذ احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧.

شعب واحد تحت الاحتلال !!

وفي الوقت الذي انشغلت فيه حركة حماس بإعلان تحريرها الثاني لقطاع غزة، تجد حركة فتح تستعرض عضلاتها أمام الحمساويين في الضفة الغربية، ولقد عبرت المشاهد القادمة من غزة ومن الضفة الغربية عن عمق الانقسام السياسي والجغرافي في أراضي السلطة الفلسطينية، ومن هنا يتساءل الكثير من الشعب الفلسطيني: هل نسيت فتح وحماس أننا أبناء شعب واحد، يعيش تحت الاحتلال؟

لذلك يخشى غالبية الشعب الفلسطيني أن يؤدي الانقسام الراهن بين الجانبين إلى وجود

دولتين، أحداهما فى الضفة يسميها البعض بدولة «رام الله ستان» والأخرى فى غزة، تسمى «غزة ستان» وبينهما تضيع القضية الفلسطينية، وفى هذا السياق يتحدث «باسم الزبيدى» أستاذ العلوم السياسية فى جامعة «بيرزيت» فيقول: «هناك انقسام سياسى عميق أبعد من الانقسام الجغرافى إذا وصل الأمر إلى نفى الآخر، وهذه الهوة ستتسع، وسيكون لدينا كيانان، لكن هذا لن يستمر، لأن الشعب الفلسطينى سيجد الطريقة لإعادة توحيد نفسه حول أهدافه الوطنية».

وأضاف «الزبيدى» قوله «يبدو لى أنه من المستبعد أن تقدم حماس على إقامة دولة أو إمارة إسلامية فى غزة، صحيح أن حماس تسيطر على غزة، لكن لديها جمهورها فى الضفة، وبين الفلسطينيين فى الشتات، والأمر ذاته بالنسبة لفتح التى لن تستطيع أن تعزل نفسها عن غزة، لذلك سيجد الطرفان نفسيهما أمام حاجة فعلية للاتفاق».

واللافت أن ثمة خطة مكونة من أربع مراحل، ذكرت صحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية أن الرئيس الفلسطينى أعدها لمواجهة الأوضاع التى نشأت بعد سيطرة حركة حماس على قطاع غزة.

- وتقتضى المرحلة الأولى من هذه الخطة بتفكيك الأجنحة المسلحة التابعة للفصائل الفلسطينية، والإبقاء على قوات الأمن الفلسطينية فى تنظيم مسلح وحيد فى الضفة الغربية، وهو ما يعنى حل كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكرى لحركة حماس.

- وتتمثل المرحلة الثانية فى إعلان الرئيس الفلسطينى «أبومازن» أن حركة حماس هى «حركة إرهابية» خارجة على القانون والشرعية، وهو ما يعنى الملاحقة الأمنية لكافة عناصرها

- والمرحلة الثالثة تهدف إلى عزل حركة حماس، بعد خروجها على القانون والشرعية.

- والمرحلة الرابعة تتضمن إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية مبكرة، بحيث تتم تجديد شرعية مؤسسات السلطة الفلسطينية.

ويرى بعض المحللين أن هذه الخطة تعنى أن الرئيس الفلسطينى «محمود عباس» يتجه إلى إعلان «الحرب المباشرة» ضد حركة حماس، بعد الصدامات التى شهدها قطاع غزة، خاصة بعد أن تردد أن إسرائيل سوف تزود رئيس السلطة الفلسطينية بالسلاح من أجل عزل حماس والقضاء عليها، وهو ما دعا الناطق باسم حماس «فوزى برهوم» إلى القول «إن القمة الرباعية جاءت من أجل تحقيق رؤية رئيس الوزراء السابق «شارون» بعزل قطاع غزة بختم فلسطينى».

والحقيقة أن القمة الرباعية فى شرم الشيخ انعقدت لتحقيق أربعة أهداف رئيسية:

- الأول: هو إحياء التفاهمات السابقة فى قمة شرم الشيخ فى ٨ فبراير ٢٠٠٥.

- والثانى: تأكيد وحدة الضفة والقطاع، بمعنى تماسك القضية الفلسطينية باعتبارها «قضية أرض محتلة» يجب أن يزول عنها الاحتلال الإسرائيلى.

- والثالث: ارتباطاً بما سبق، فإن مصر لا تقبل عزل القطاع عن الضفة الغربية ولا تقبل -أيضا- أن يتحول قطاع غزة إلى سجن كبير يؤدى بأبنائه إلى التطرف والعنف والتشدد الذى يضير بالحقوق الفلسطينية.

- والرابع: لا يمكن تجاوز الخلافات بين فتح وحماس إلا بالحوار، وهو ما تؤكده مصر، وتعتبره السبيل الوحيد لتجاوز الخلافات الفلسطينية - الفلسطينية.

وفى هذا السياق قال: السفير «سليمان عواد» المتحدث باسم رئاسة الجمهورية: «إن قمة شرم الشيخ ليست موجهة ضد أحد، وأن مصر لن تسمح بتجويع الشعب الفلسطينى، ولن تسمح بأن تتحول غزة إلى سجن كبير».

ومن ناحية أخرى يذكر كثير من المحللين أن الفصل بين غزة والضفة الغربية هو حلم تاريخى، تسعى إليه إسرائيل، ومازالت تمارس من أجله سياسات مغرضة على امتداد الفترة الزمنية التى تلت نكسة يونية ١٩٦٧، وكانت تأمل أن ترى غزة، مرة أخرى، تحت الإدارة المصرية، وأن تدخل الضفة الغربية تحت الإدارة الأردنية، إذ أن إسرائيل تفضل أن تكون حدودها المشتركة مع مصر والأردن، وليس مع السلطة الفلسطينية.

لماذا الصراع؟!

ويرى «عزمى بشارة» -عضو الكنيست المستقيل مؤخراً- أنه لا يمكن فهم غزة كمجرد منطقة محتلة، ولا يمكن فهم الصراع الجارى فيها، كمجرد صراع بين فصائل على النفوذ، فهذا كلام غير واقعى، فغزة هى مخيم لاجئين كبير، لقد تم منذ اتفاقات أسلو ١٩٩٣، وضع ما تبقى من الشعب الفلسطينى فى جيتوات خلف جدران على أرضهم وفى وطنهم كأنه جسم غريب، ترفضه إسرائيل، فتفرز غشاء يغلفه. إن الجسم الغريب «وهو إسرائيل» هو الذى يرفض الجسم الأصيل «وهم الفلسطينيون أصحاب الأرض» وكان الفلسطينيين فى ذاكرة الناس هم «أقلية عرقية» سكانية تطالب بحقوقها. ويصف «بشارة» الأوضاع فى غزة والضفة الغربية فيقول: «وبموجب ذلك تفصل إسرائيل الآن غزة عن الضفة، فالأولى «غزة» تحرم من الحقوق، ويفرض عليها الحصار من أجل وجود حماس بها والثانية «الضفة» تستحق الحقوق، ورفع الحصار، وفتح المعابر أمام تنقل شعبها، وكلاهما «رعايا عند إسرائيل» وفى هذا الإطار يتساءل الكثيرون لماذا هذا الصراع على سلطة وهمية، والفلسطينيون فى الضفة والقطاع تحت الاحتلال الإسرائيلى؟ إن المفروض أن تتحد صفوف الشعب الفلسطينى لانتزاع الحق المغتصب من العدو الصهيونى، لكن للأسف نجد أن الأشقاء فى فتح وحماس يدخلون فى صراع مميت على سلطة وهمية لا يملكونها، ويرى البعض أن الرئيس الفلسطينى وفتح، وإسماعيل هنية وحماس ومعهما الشعب الفلسطينى كلهم سجناء داخل صندوق كبير، مفتاحه فى يد إسرائيل، لا يخرج منه أحد، أو يدخل إلا بإذن إسرائيل حاملة مفاتيح السجن الكبير فى غزة والضفة.


عزمى بشارة

واللافت للانتباه أنه لم تكد حماس تسيطر على غزة حتى بادرت إسرائيل بتأكيد التزامها على لسان رئيس وزرائها «أولمرت» أمام مؤتمر قمة شرم الشيخ فى ٢٥/٦/٢٠٠٧ بالتحويل المنتظم لمستحقات السلطة الوطنية الفلسطينية من أموال الضرائب والجمارك المستحقة للفلسطينيين، التى رفضت فى ظل حكومة حماس التى انتخبها الشعب

الفلسطيني، الإفراج عنها. والهدف هو إحكام الحصار الاقتصادي والمعنوي على هذه الحكومة، حتى تظل عاجزة أمام الشعب الفلسطيني ليتخلى عنها ويختار غيرها.

دعم إسرائيلي!!

وفي هذا الإطار أكد «إيهود أولمرت» أن حكومته ستسلم السلطة الفلسطينية ٣٥٠ مليون دولار من أصل ٧٠٠ مليون دولار، وإطلاق سراح ٢٥٠ فلسطينياً من السجون الإسرائيلية، واستكمال تفاهمات قمة شرم الشيخ في ٨ من فبراير ٢٠٠٥.

ويتساءل البعض: لماذا هذا السخاء الإسرائيلي في ظل سيطرة حماس على غزة؟ ولماذا هذا الإعلان على الملأ، عن دعم حكومة «سلام فياض» من دون دعم حكومة «إسماعيل هنية» المنتخبة في السابق؟ إن الإجابة يعلمها كل ذي لب واع، فإن إسرائيل نكاية في حماس ـ التي تصفها بالإرهاب بسبب مقاومتها لتحرير التراب الوطني الفلسطيني من الدنس الصهيوني ـ تسرف في وعودها السخية لحكومة الطوارئ الجديدة، ليس حباً لهذه الحكومة، ولكن بغضاً لحماس، والهدف هو إثارة الفتنة بين حماس وفتح، وإشاعة الفوضى والاضطراب بين الضفة والقطاع لاشك أن الكرم في الحوافز الذي تبديه كل من إسرائيل والإدارة الأمريكية بقيادة «بوش» لحكومة الطوارئ التي استقالت مؤخراً وشكلت مرة أخرى، يعمل على تكديس الفصل السياسي والجغرافي بين غزة والضفة وفي هذا الصدد يصرح المحلل السياسي «دون بن يشاي» في صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، أن ثمة خطة جرى بلورتها في ثلاث مراحل، في أعقاب ما حدث من تطورات في قطاع غزة:

- المرحلة الأولى: وتشمل احتواء التهديد الذي تمثله حماس في قطاع غزة، وتدمير البنية التحتية العسكرية من خلال القيام بعملية عسكرية واسعة، وإيجاد بنية استخبارية تسمح برصد أي تحركات عدائية من جانب حركة حماس.
- والمرحلة الثانية: تهدف إلى دخول قوات دولية إلى قطاع غزة، بتفويض من مجلس الأمن الدولي، وبموافقة فلسطينية، لتحل محل الجيش الإسرائيلي
- والمرحلة الثالثة: العمل على تدفق المساعدات إلى قطاع غزة، ومنع حدوث عمليات انتقامية ضد الداخل الإسرائيلي، وإجراء مفاوضات سياسية للتوصل إلى حل دائم برعاية أمريكية أوروبية بين إسرائيل والفلسطينيين.

دولة غزة ستان!!

والغاية من هذه الخطة كما يرى المحللون الإسرائيليون هو إقامة دولة فلسطينية مؤقتة تحت مسمى «دولة غزة ستان» في قطاع غزة، ودولة أخرى في الضفة الغربية تحت ما يسمى «دولة رام الله ستان» تقوم على مساحة ٤٠٪ فقط من مساحة الضفة الغربية، على أن يصاحب ذلك انتهاج إسرائيل سياسة جديدة، تفضي إلى تعزيز رئاسة السلطة الفلسطينية من خلال تجميد الاستيطان، وتفكيك المستعمرات العشوائية، والإفراج عن أموال الضرائب الفلسطينية، وإزالة الحواجز، وفتح المعابر لتسهيل حركة الفلسطينيين.

والحقيقة أن إسرائيل، ستحاول الآن إحداث معادلة خبيثة بين إبقاء حماس في غزة معزولة وضعيفة، تعيش في غرفة عناية فائقة، داخل سجن غزة، وبين سلطة وطنية من فتح في الضفة الغربية تحوطها برعاية مادية ودعائية، هدفها تعميق الانقسام السياسي والجغرافي بين فتح وحماس، فتذكر تقارير صحفية إسرائيلية أن «إيهود أولمرت» رئيس حكومة إسرائيل عرض على الرئيس الأمريكي «جورج بوش» من خلال اجتماعهما في واشنطن في يونية ٢٠٠٧ «الحاجة الملحة لعزل غزة عن الضفة لتفادي سيطرة حماس على الضفة الغربية» كما صرح «داني ديختر» وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي أن الانقلاب العسكري الذي نفذته حركة حماس في قطاع غزة، خلق الفرصة لمشروع يمكن تسميته (الشروط الإسرائيلية الأمريكية) «الضفة الغربية أولاً» وأضاف «أن اسرائيل ستتعامل مع القطاع على أنه كيان معاد».

ومن جهة أخرى جاء في التقرير السري الذي كتبه «ألفارو دي سوتو» مبعوث الأمم المتحدة في المنطقة، والذي تسربت تفاصيله إلى صحيفة الجارديان البريطانية أن الحكومة الأمريكية كانت مقتنعة بأن المقاطعة الدولية، والعزلة المفروضة على حكومة حماس، سوف تدفعها إلى التنازلات المطلوبة لقبول الشروط الإسرائيلية الأمريكية، وفي مقدمتها الاعتراف بإسرائيل، ونزع أسلحة الفصائل، ووقوف العنف وهكذا لا يمكن إعفاء الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من دورهما الفاعل في دفع الأحداث التي جرت في قطاع غزة مؤخراً كما نقل «دي سوتو» عن المبعوث الأمريكي «دايتون» أنه كان سعيداً جداً بأي اقتتال يحدث بين أنصار فتح وحماس ولقد اعترف الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر» بأن إدارة بوش وإسرائيل، والاتحاد الأوروبي أسهموا بكل جهدهم فيما آلت إليه الأوضاع الراهنة في الأراضي الفلسطينية، من تعميق الخلافات بين فتح وحماس، لكي تصل إلى «مرحلة تقسيم التقسيم» وكشف «إفرايم سنيه» نائب وزير الدفاع الإسرائيلي «أن وحدات عسكرية إسرائيلية انتشرت بمحاذاة الحدود مع قطاع غزة» في حين أشار رئيس لجنة الدفاع والشئون الخارجية في الكنيست الإسرائيلي إلى أن اسرائيل ستشن إن عاجلاً أو آجلاً هجوماً على قطاع غزة الذي يزعم أنه أصبح «قاعدة إيرانية» ومن ثم لا تخفي إسرائيل ارتياحها للنتائج المأساوية التي أسفر عنها الاقتتال الفلسطيني بين حماس وفتح في غزة، واستغلال ما حدث من انقسام على الصعيد الفلسطيني، لتنفيذ مخططها المعلن بتشديد الحصار على غزة، توطئة لعزلها، وسط أنباء ترددت عن اعتزام «إيهود باراك» وزير الدفاع الإسرائيلي الجديد شن هجوم عسكري واسع النطاق على القطاع بدعوى تدمير قدرات حماس العسكرية، التي تحكم قبضتها على غزة منذ الرابع عشر من شهر يونية ٢٠٠٧.

التدمير الذاتي

ويرى البعض أنه مالم تحدث معجزة سياسية، تعيد خلق نوع من التوافق بين فتح وحماس، يكون أساسه جمع الأخوة الأعداء، على قاعدة التوقف عن سياسة «التدمير الذاتي» فإن حل الدول الثلاث «دولة في غزة، ودولة في الضفة، بجوار دولة إسرائيل» هو الذي يلوح في الأفق.

وفي الختام يمكن القول بأن من مصلحة إسرائيل تعزيز الانقسام الجغرافي الفلسطيني واستمرار الخلاف بين فتح وحماس، وتكريس الانفصال بين غزة والضفة، والسؤال الذي يجب توجيهه لكل من فتح وحماس، هو: أليس من الأفضل بقاء قطاع غزة موحداً مع الضفة الغربية، ولو تحت قيادة فتح، أو حماس، أوهما معاً، خاصة أن إسرائيل تريد الفصل بين الضفة الغربية والقطاع، حتى تضيع القضية الفلسطينية؟

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

المؤامـــرة

فى عموده الاسبوعى «مجرد اجتهاد» كتب الاستاذ محمد الزرقانى فى جريدة «اللواء الإسلامى» الصادرة فى ٢٠٠٧/٧/١٩ قال:

●● عادت المؤامرة لتطل برأسها من جديد، بعد أن كانت قد توارت لسنوات، حتى ينظم المتآمرون صفوفهم من جديد، ويبحثون عن وسيلة ينقضون بها على عقيدة هذا الشعب، ويصيبونه فى الصميم!!

وكانت أولى وسائلهم، أن نسبوا أنفسهم إلى أقدس ما لدى المسلمين وأساس دينهم، إلى «القرآن الكريم»، فأسموا أنفسهم «القرآنيون».. والتفوا حول المدعو «أحمد صبحى منصور» الهارب من مصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية- زعيمة المؤامرة الكبرى ضد الإسلام والمسلمين- والتى كان قد سافر إليها ليلحق بزعيمه المدعو رشاد خليفة، وكان قد هرب إليها بعد أن انكشف أمره وانكشفت علاقته بالبهائية.. وساهم فى كشف هذه المؤامرة فى حينها العالم الجليل الراحل فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير.

●● وفى الولايات المتحدة بدأ الإثنان «خليفة ومنصور» نسج خطوط مؤامرة جديدة، وظهرت فكرة تنظيم «القرآنيون».. وبدأ تشكيل خلايا لهذا التنظيم داخل مصر، ونجح بعض أعضاء التنظيم فى فرض أنفسهم على الساحة الإسلامية، وأطلق عليهم البعض لقب «مفكر إسلامى»، وبدأ مخططهم التدميرى الرهيب، بالادعاء بأنه ليس هناك حاجة للسنة النبوية المطهرة فى وجود القرآن الكريم، وهو ادعاء باطل لأن السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم وشارحة ومفسرة له، وهى الركن الثانى من أركان التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم، وهى سنة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الذى جاء إلينا هاديا من رب العزة «سبحانه وتعالى» حاملا قرآن ربه، وأمرنا الله أن نتبع هديه.

●● وسواء بحسن نية أو سوء نية، فتحت بعض الصحف والمجلات صفحاتها إلى أعضاء هذا التشكيل، وحاولوا أن يمرروا أفكارهم الخبيثة من خلال مظهرهم الخادع الذى يعتمد على الهدوء وعدم الانفعال والنفس الطويل والابتسامة الصفراء.. وقد تعرضت «اللواء الإسلامى» لمحاولة اختراق أعضاء هذا التنظيم، استخدمت العديد من الوسائل، وكلما كشفنا طريقة، لجأوا إلى طريقة أخرى، ولكن كان الله «سبحانه وتعالى» يكشف مؤامرتهم فى كل مرة.

●● وكم تعرضت السنة النبوية المطهرة لمؤامرات عديدة عبر التاريخ الإسلامى، ولكن عناية الله «عز وجل» كانت ترعاها دائما.. وكما حفظ الله لنا القرآن الكريم، فإنه يحفظ لنا أيضا سنة نبيه المطهرة.. وصلى الله وسلم على رسول الله خير الأنام وهادى البشرية عليه أفضل الصلاة والسلام.

مؤتمر السلام.. لعبة أمريكية جديدة

.. وكتب السيد عبد الرءوف فى جريدة «الجمهورية» بعددها الصادر فى ٢٠٠٧/٧/٢٠ عن مؤتمر السلام.. لعبة أمريكية جديدة».. قال:

فى الوقت الذى يسعى فيه الحزب الديمقراطى الأمريكى للضغط بكل السبل على الإدارة الأمريكية للالتزام ببرنامج زمنى لسحب القوات الأمريكية من العراق يفاجئ الرئيس الأمريكى جورج بوش العالم بالحديث عن مؤتمر جديد للسلام وآخر للدول المانحة.

وكان من الممكن أن يصدق الناس دعوة الرئيس الأمريكى لو أن مؤتمر مدريد للسلام الذى دعا إليه وتبناه الرئيس جورج بوش الأب عام ١٩٩١ قد حقق انجازا يذكر وتطورا ملموسا فى عملية السلام. وكان من الممكن تصديق الرئيس بوش الابن لو أن خارطة الطريق التى اقترحتها الإدارة الأمريكية واللجنة الرباعية أوصلت المنطقة إلى بداية حقيقية للسلام. ولو أن الرئيس بوش كان صادقا فى تعهده أو وعده أو فكرته

عن ضرورة وجود دولتين: دولة إسرائيل ودولة للفلسطينيين.

ولكن الذى حدث أن مؤتمر مدريد لم ينجز شيئا حقيقيا.. ومبدأ «الأرض مقابل السلام» الذى قرره هذا المؤتمر قد نسف نسفا. والمفاوضات التى كانت قد بدأت بين السوريين والإسرائيليين قد توقفت دون عودة حتى الآن ولا أمل فى عودتها. والسلطة الفلسطينية منزوعة السلطات والقدرات وفى حالة خلاف وصراع تذكيه الحكومة الإسرائيلية والإدارة الأمريكية.

***

والرئيس الأمريكى جورج بوش الذى ورط الولايات المتحدة فى حرب غبية فى العراق تبدو حتى الآن بلا نهاية يوشك على الرحيل من البيت الأبيض ففى وقت مبكر من العام القادم سوف تبدأ الحملة الانتخابية الرئاسية الأمريكية. وفى الغالب فإن الفشل الأمريكى فى معالجة الوضع فى العراق وفى التعامل مع المشروع النووى الإيرانى سوف ينسحب على فرص الحزب الجمهورى فى الفوز برئاسة الجمهورية.. يضاف إلى ذلك أن الحزب الديمقراطى يسيطر الآن على الكونجرس. وعلى الرغم من أن ثمة توازنا بين سلطات وصلاحيات الكونجرس وسلطات وصلاحيات الرئيس يحول دون سيطرة أحدهما على الآخر إلا أن الرأى العام الأمريكى كما تشير استطلاعات الرأى العام هو فى الغالب الآن ضد استمرار الاحتلال الأمريكى للعراق.

***

وإذا كانت الإدارة الأمريكية قد فشلت أو كانت غير راغبة فى اتخاذ موقف جاد لتحقيق سلام حقيقى يراعى حقوق الشعب الفلسطينى التى أقرتها المواثيق الدولية والمؤتمرات التى شاركت فيها هذه الإدارة طوال سبع سنوات فكيف يتوقع أن تتحول فجأة إلى حالة حماس لعقد مؤتمر دولى للسلام؟ وإذا كانت كوندو ليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية قد زارت المنطقة العربية عدة مرات دون أن تتمكن من الضغط على الحكومة الإسرائيلية أو اقناعها بتحريك مسار المفاوضات وإخراج عملية السلام من حالة الجمود أو الموات التى أصيبت بها. ولم يعد المطروح لأى مفاوضات تجرى الآن الوصول إلى الحل النهائى للقضية الفلسطينية. بل المطروح هو التخفيف من معاناة الشعب الفلسطينى ورفع الحصار عنه.

***

يحدث هذا فى الوقت الذى يعانى فيه الشعب الفلسطينى من سياسة التجويع

والقتل والترويع التى يواجهها الشعب يوميا سواء فى قطاع غزة أو الضفة الغربية. والذى تكتظ فيه السجون الإسرائيلية بأحد عشر ألف سجين ومعتقل فلسطينى منهم نساء وأطفال ومنهم وزراء ونواب فى السلطة الفلسطينية. والذى يظل فيه آلاف الفلسطينيين عالقين عند المعابر غير قادرين على الوصول إلى بيوتهم فى الأراضى الفلسطينية.

****

بجملة هذه الأسباب تبدو الدعوة لعقد مؤتمر جديد للسلام مجرد لعبة غير قابلة للتصديق. وتبدو الحركة فى إطارها مجرد تضييع للوقت وإلهاء لحكام وشعوب المنطقة بغير جدوى. ولكن تجارب هذه الشعوب مع الإدارة الأمريكية وبصفة خاصة الإدارة الحالية تجعل تصديق الدعوة لمؤتمر السلام نوعا من السذاجة بل العته السياسى. وليس أمام الحكومات العربية إلا أن تتمسك بمبادرة السلام العربية التى تمثل الحد الأدنى لما يجب أن يحصل عليه الشعب الفلسطينى.

فخ مؤتمر بوش

وتحت هذا العنوان جاءت افتتاحية الأهرام العربى الصادر فى ٢٨/٧/٢٠٠٧م معلقة على ذات الموضوع، حيث كتب المحرر:

مرة أخرى يريد الرئيس الأمريكى جورج بوش أن نصدق أنه رجل سلام، وأنه بالفعل يرغب فى استقرار الشرق الأوسط، فقد دعا إلى عقد مؤتمر سلام فى الخريف المقبل يضم إسرائيل والفلسطينيين ودول الجوار، وفور هذا الإعلان خرج المتحدث باسم البيت الأبيض ليقول إنه مجرد اجتماع للتشاور حول بناء مؤسسات السلطة الفلسطينية.

ومع الأسف لايزال هناك من يدعم رؤية بوش فى الشرق الأوسط، ويدعونا إلى تصديق هذه الإدارة التى أفقدت بلادها المصداقية السياسية والأخلاقية فى العالم، ففى الوقت الذى غزت فيه العراق واحتلته، تداعب البعض بإعلان سلام مشبوه يتحدث عن بناء مؤسسات السلطة، ويتناسى جوهر المشكلة المتمثلة فى الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية فى فلسطين ولبنان وسوريا!

وكيف يعقد مؤتمر سلام دون تحديد سقف زمنى للانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية طبقا للقوانين الدولية ومبادرة السلام العربية، ومبدأ الأرض مقابل السلام؟ إنها أسئلة يجب أن توجه إلى هذه الإدارة العجيبة التى تريد التغطية على فشلها فى العراق بخوض حرب مع إيران أو السودان، وكشف بوش عن أنه كان سيرسل قوات أمريكية إلى دارفور بقرار منفرد، ولاتزال هذه الرغبة الدموية قائمة.

وحتى لا نقع فى الفخ مرة أخرى فإنه يجب أن نرفض أى ألعاب سياسية أمريكية جديدة، فقبيل الحرب على العراق أعلن بوش عن خريطة الطريق، وإقامة دولتين فلسطينية وإسرائيلية تعيشان فى سلام جنبا إلى جنب، فى وقت كانت فيه دبابات شارون تحاصر الشهيد ياسر عرفات فى رام الله، ومع تحفظات شارون على خريطة بوش الأمريكية فإنه ما بقى منها ضاع فى الأدراج الإسرائيلية، وانشغلنا جميعا بهذه الخريطة بينما كان جنود بوش يدمرون العراق وقتل أكثر من مليون شهيد من أبنائه فضلا عن تشريد أكثر من أربعة ملايين مهاجر.

ولا نستبعد أن يكون إعلان هذه المرة هو التغطية على هدف حرب محتملة فى الشرق الأوسط تكون فيها إسرائيل هى الوكيلة المعتمدة، ولعل التحركات حول سوريا وإيران والسودان هى المثال الأبرز على التخطيط الخطير الذى تلعبه هذه الإدارة الأمريكية.

وإذا كانت واشنطن تحاول القفز على هزيمتها فى العراق، فإن على العرب وتحديدا الفلسطينيون ألا يقعوا فى فخ بوش مرة أخرى، ويسارعوا إلى حوار وطنى شامل حتى لا تتحول القضية الفلسطينية إلى قضية إنسانية بدلا من كونها قضية تقرير مصير.

أطفال الحروب

وتحت هذا العنوان جاءت هذه الكلمة المنشورة فى زاوية صندوق الدنيا والتى يكتبها الأستاذ/ أحمد بهجت بجريدة «الأهرام» الصادرة فى ٢٠٠٧/٧/١٩ قال:

فى المجتمعات المتخلفة يتمثل شرف الرجل وأهميته فى حيازته لسلاح، وكثيرا ما تعثر على أسر فقيرة لا تملك رغيف الخبز ولكنها تملك رشاشا أو

بندقية، وما ينطبق على الأفراد ينطبق على الدول وتظرة إلى عالمنا المعاصر تقول إن الحرب هى الوضع الطبيعى للمجتمعات وأن السلام استثناء طارىء عليها.

ونأتى إلى أهم ما فى الموضوع وهو نفقات التسليح.

إن الإنفاق العسكرى على التسليح فى الأعوام العشرين الأخيرة بلغ ألف مليار دولار، ويعنى هذا الرقم أن كل دقيقة تمر ينفق العالم مليوناً و٦٠٠ ألف دولار على التسليح، وما تم إنفاقه على التسليح فى يوم واحد من أيام حرب الخليج كان يكفى لتحصين أطفال العالم ضد ستة من أخطر وبائيات الاطفال لمدة خمس سنوات وهذه البرامج التحصينية تمنع وفاة مليون طفل كل سنة.

ومن المعروف أن الحروب يثيرها القادة عادة ولكن من يدفع ثمنها الفعلى هم الأطفال.

إن أطفال البوسنة والهرسك تعرضوا لأهوال الهجرة والجوع والقتل، وشابت رءوسهم من فرط ما عانوه.

وبرغم تقدم عالمنا فى التكنولوجيا والصناعات.. برغم هذا كله نرى عالمنا يهتم بالإنفاق على السلاح أكثر من اهتمامه بالإنفاق على الأطفال، وبسبب بخل العالم على الأطفال يعيش ملايين الأطفال فى ظروف غير إنسانية وأوضاع بالغة البؤس، وأحيانا يضطر الأطفال بسبب الجوع إلى ممارسة مهن غير أخلاقية.

إن منظمة العمل الدولية فى تقريرها الأخير تقول إن ٨٠٠ ألف طفل يجبرون على العمل فى البغاء فى تايلاند، وقد جاء كثير منهم من كمبوديا والصين ولاوس وبورما، هربا من ظروف الفقر.. أيضا يعمل ملايين الأطفال فى مهن خطيرة وظروف عمل غير ملائمة يحرمون فيها من وجبات الطعام، ويتعرضون للاستغلال والقهر والإساءة.

هذا هو وضع أطفال الحروب فى العام، ولو أنفق العالم ثلث ما ينفقه فى الحروب على الأطفال لتغير شكل العالم وصار مكانا أرقى وأفضل.

لكن ماذا تقول إذا كان قادة العالم يرون أن السلاح أهم من الخبز.

طاعون التقسيم السياسى فى لبنان

.. وفى جريدة «المساء» الصادرة فى ٢٠٠٧/٧/٢٦ كتب «عربى أصيل» تحت عنوان «طاعون التقسيم السياسى فى لبنان».. قال:

لبنان على وشك التقسيم أيضا لتنضم إلى باقى إخوانها من الدول العربية التى أصابها طاعون التقسيم السياسى أو الطائفى أو الجغرافى وقد بدأت سحب هذا التقسيم تخيم على الأجواء العامة فى لبنان بسبب الأزمة الدستورية والسياسية الحالية ومغبة قيام حكومتين إحداهما يمكن إطلاق اسم المعارضة عليها، والأخرى اتفقوا على تسميتهم بمجموعة الموالاة أو مجموعة ١٤ آذار وما صرح به قائد الجيش اللبنانى العماد ميشيل سليمان يجب أن يؤخذ مأخذ الجد، خاصة وأن لبنان تمر بظروف فى غاية الصعوبة لم تشهدها من قبل طوال تاريخها الحديث.

وكان قائد الجيش قد حذر أطراف النزاع فى لبنان مهدداً بتقديم استقالته فى حالة قيام حكومتين وقال: «إذا شكلوا حكومتين سأقدم استقالتى باليد للإثنين وسأذهب الى بيتى حتى لا أتحمل أبداً وزر انقسام سياسى يهدد وحدة البلد والمؤسسة العسكرية التى تخوض اليوم حرباً هى الأقسى والأصعب فى تاريخها» وما قاله العماد ميشال سليمان ينذر بأن التقسيم قد أصبح أمراً وارداً وبشدة فى لبنان الشقيق!

ليست آخر السخافات:
إسرائيل تتهم الفلسطينيين بالتخطيط للسيطرة على المسجد الأقصى!!

.. ونشرت جريدة «عقيدتى» فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١٧ هذا التقرير الذى كتبه الأستاذ «حسام وهبة»:

عندما تقرأ هذا التقرير لا تملك إلا أن تضرب كفاً بكف، فإسرائيل تتهم الفلسطينيين بمحاولة الاستيلاء والسيطرة على المسجد الأقصى وتنادى الجميع فى إسرائيل بالتصدى لهذا السلوك الفلسطينى الذى تصفه بالمشين، ورغم أن التقرير سخيف إلا أن الواقع يفرض علينا قراءته والتصدى لمزاعم إسرائيل بمنتهى القوة حتى لا تفاجأ يوماً بأن العالم كله ينظر إلينا باعتبارنا لسنا بأصحاب حق وإنما لصوص نسعى للسيطرة والاستيلاء على ما لا نملكه.

ويقول التقرير الذى أعدته المخابرات العامة الإسرائيلية: إن أجهزة الأمن الإسرائيلية قامت فى الفترة الأخيرة باعتقال مجموعة من أبرز الناشطين الفلسطينيين المهتمين بوضع الأقصى ومن التحقيقات العنيفة التى قام بها رجال المخابرات الإسرائيلية مع المعتقلين الفلسطينيين عرف المحققون اليهود أن هناك توجهاً فلسطينياً بالسعى نحو ترسيخ أقدام المسلمين المرابطين حول الأقصى لمواجهة الخطط الإسرائيلية الساعية لتهويد القدس وبالإضافة إلى هذا التوجه يوجد توجه فلسطينى آخر لإيجاد خطة عمل موحدة تستهدف السيطرة على جبل الهيكل والمسجد الأقصى وغيره من المقدسات الموجودة فى القدس الشرقية.

وأضاف التقرير: أن أجهزة المخابرات العامة الإسرائيلية اكتشفت أيضاً أن المقاومة الفلسطينية بدأت تضع استراتيجية سرية لمقاومة الوجود اليهودى فى القدس الشرقية بعيداً عن المقاومة المسلحة بحيث تحتوى هذه الاستراتيجية على طرح قضية القدس فى المحافل العربية والإسلامية بصورة أكثر إلحاحاً للحصول على دعم الحكومات والشعوب المسلمة فى مواجهة الدعم الغربى للمخططات الإسرائيلية!!!

وفى محاولة لتشويه الجهود الفلسطينية الساعية للحفاظ على هوية الأقصى زعم التقرير الإسرائيلى أن حركة حماس هى التى تتولى كل تلك الجهود الساعية لترسيخ السيطرة الفلسطينية على المسجد الأقصى والقدس الشرقية وذلك لإدراك إسرائيل أن وضع اسم حماس فى أى أمر كفيل بأن ينظر إليه العالم على أنه ذو صلة بالإرهاب وهو ما يجعل بعض الحكومات العربية تتراجع عن دعمه بعض الشىء.

وتزعم إدارة المخابرات الإسرائيلية فى تقريرها المثير أن حركة حماس خصصت جزءاً كبيراً من الأموال التى بحوزتها لصالح خطة الاستحواذ على القدس الشرقية، حيث بدأ المسئول المالى للحركة «يعقوب أبو عصاب» فى تحويل مبالغ مالية ضخمة من الأموال التى تصل إلى الحركة من المملكة العربية السعودية ومن أوروبا إلى رجال المقاومة الفلسطينية فى القدس لتمويل عملية دعم الوجود الإسلامى هناك وقد قامت المخابرات الإسرائيلية على أثر هذه المعلومات بإغلاق أكثر من خمس مؤسسات فلسطينية خيرية تقوم بتوفير الدعم المادى للفلسطينيين الذين يعيشون فى القدس الشرقية!!!

ولم تتوقف المزاعم الصهيونية عند هذا الحد فقط، فقد زعمت صحيفة معاريف أن هناك اتجاهاً إسرائيلياً لمراقبة جميع المساجد الفلسطينية من أجل وقف الدعم المالى القادم من حماس لهذه المساجد من أجل ترميمها وإبقاء الطابع التاريخى لها.

وفى النهاية فمن الواضح أن هناك حملة صهيونية قادمة تستهدف المقدسات الإسلامية فى فلسطين وما هذا التقرير إلا مجرد مقدمة لتلك الحملة وتمهيد لها.

لحظات طيبات مع سيد التابعين

الإمام الحسن البصري

٢

للأستاذ/ عادل خفاجة

«تكلم حتى أراك» بعض من كلام الحكماء.. يدلنا على أن المظهر الخارجي للإنسان هو أقل ما في الإنسان قيمة.. إذ قيمة الإنسان العظيمة وقدره الحقيقي إنما يكون في جوهره، وإذا كان الشكل يدل على المضمون، وإذا كان السطح يشي بما في الأعماق وإذا كان المظهر دليلا على الجوهر، فإن كل هذه الأشياء تبقى في نطاقها وحدودها لا يغني بعضها عن بعض، فإذا علمنا أنه في بعض الأحيان يتعمد بعض الناس أن يظهر بمظهر لا يمت بصلة إلى جوهره المخبوء، علمنا قيمة وأهمية الكلام، ولذلك كان من كلام الحكماء: المرء مخبوء تحت لسانه.. نعم.. إن الكلام هو سبيلنا إلى معرفة الشخصية، فالمرء بأصغريه: قلبه ولسانه. فإذا كنا نود أن نرى الحسن البصري فعلينا أن نحسن سماع كلامه وأقواله.

من أقوال البصري

للبصري أقوال تصل إلى مرتبة الحكمة بعضها كأنه صدر عن حكيم خبر أحوال العباد، والبعض الآخر لعالم درس علم النفس أو لزاهد خبر حقيقة الحياة فمن هذه الأقوال:

● يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا، ويكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما.

● لو اعتبر من تأخر بمن تقدم، لم يكن من يتحسر في الناس ويندم، ولكن الله بنى هذه الدار على أن يكون أهلها بين يقظة ونوم، وبين فرح وترح، وبين حيطة وورطة، وبين حزم وغفلة، وبين نزاع وسلوة، لكن الآخذ بالحزم - وإن جرى عليه مكروه - أعذر عند نفسه من

الملقى بيده والمتدلي بغروره والساعي في تبوره؛ وما وهب الله العقل لأحد إلا وقد عرضه للنجاة، ولا حلاه بالعلم إلا وقد دعاه إلى العمل بشرائطه، ولا هداه الطريقين أعني الغي والرشد إلا ليزحف إلى أحدهما بحسن الاختيار.[1]

- إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلقى الخوف.

- لم يبق من العيش إلا ثلاثة: أخ تصيب من عشرته خيرا، وكفاف من المعاش ليس لأحد عليك فيه تبعة، وصلاة تكفى سهوها وتستوجب أجرها.

- لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يتمتع بما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه.

- وحدث الحسن البصري بحديث، فقال له رجل: عمن أصلحك الله؟ فقال: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته.

ومن أقواله التي تدل على عظيم تواضعه، حين سئل: أمؤمن أنت؟ أجاب قائلا: إن كنت تريد قول الله عز وجل

﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾

(البقرة: ١٣٦)

فنعم، به نتناكح ونتوارث ونحقن الدماء؛ وإن كنت تريد قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾

(الأنفال: ٢)

فنسأل الله أن نكون منهم[2].

«وكان الحسن يخالط أرباب النحل والأديان على اختلافهم، ويؤدي لهم حقوقهم كالمسلمين، وفي أخباره أنه عزى نصرانيا في أخيه بعبارات غاية في الرقة، وأدب إسلامي شريف»[3]

كان الحسن عالم النفس، يجلس في المسجد مع تلاميذه من أمثال مالك بن دينار، وثابت البناني، ومحمد بن واسع، وفرقد السنجي، فيحدثهم عن هواجس الشر في نفس المؤمن، وفساد الأعمال بالرياء، وخواطر النفس المؤمنة حين تتجرد من الشهوات لتتلقى أنوار السماء! وهو حديث لم يعرف قبل الحسن، ولم يسمع من رجال الوعظ الذين لا يزيدون عن ذم الدنيا ومدح الآخرة ولو اتبع شيوخ المتصوفة من بعده منهجه في تطهير النفوس وتركوا كل ما تورطوا فيه من أحاديث الاتحاد والحلول ووحدة الوجود مما وفد إليهم من ثقافات لا تنتمي إلى الإسلام، لو اتبع شيوخ الصوفية

(١) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.

(٢) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي.

(٣) محمود النواوي - مجلة الأزهر السنة ٢٥ ص٩٣٦.

مذهبه في تطهير النفس، ونقائها من الأدران لكانوا أساتذة الأخلاق الإسلامية دون مراء.[4]

وإذا كان الحسن قد تفرد فيما أتى به من حديث هو أقرب ما يكون إلى علم النفس.

فقد سبق عصره في تحديد نقطة البحث، حيث كان همّ معاصريه من العلماء جمع العلم فحسب، فقد وجدنا البصري يسير وفق منهج حديث هو ما تسميه هدف البحث، فعنه أنه قال:

طلبت خطب النبي ﷺ في الجمعة فأعيتني فلزمت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال: كان يخطب فيقول في خطبته يوم الجمعة: «يا أيها الناس إن لكم علما فانتهوا إلى علمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم فإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري كيف صنع الله فيه وبين أجل قد بقي لا يدري كيف الله بصانع فيه فليتزود المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشباب قبل الهرم ومن الصحة قبل السقم فإنكم خلقتم للآخرة والدنيا خلقت لكم والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار واستغفر الله لي ولكم»[5].

لقد تتبع الإمام البصري خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة ولم يكن فعله هذا ليصنف كتابا، بل ليعرف كيف يخطب الناس فذكر صاحب البيان والتبيين هذه الشهادة الرائعة: «فأما الخطب فأنا لا أعلم أحداً يتقدم الحسن البصري فيها»[6].

ولعل البصري قد علم أن من سمات خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الوصول إلى الهدف بأقل الكلمات، فنرى ذلك في خطبة النكاح حيث قال الحسن البصري بعد الحمد والثناء على الله:

أما بعد فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج واضح من أمره وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا يرحمكم الله[7].

الحسن البصري عند عمر بن هبيرة

كان الحسن يتمتع بمقام كريم عند الولاة من أمثال: عمر بن هبيرة والنضر بن عمرو نذكر منها أنه لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وذلك في أيام يزيد بن عبدالملك استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي سنة ثلاثة ومائة فقال لهم إن يزيد خليفة استخلفه الله على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة

(4) أ.د. محمد رجب البيومي- أشواق العارفين ص٢٧، ص٢٨.

(5) الدر المنثور جـ٨ صـ١٦٨. (6) البيان والتبيين جـ١ صـ١٦٧.

(7) جمهرة خطب العرب جـ٢ صـ٤٤٦.

وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره أعرف في تنفيذه الهلكة فأخاف -إن أطعته- غضب الله وإن عصيته لم آمن سطوته فما ترون؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية وكان ابن هبيرة لا يستشفي دون أن يسمع قول الحسن فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد فقال: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا بن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

جانب الدعابة عند البصري

كان الحسن البصري على حزن دائم عميق، فعن إبراهيم بن عيسى اليشكري قال: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة[8].

ولعل ذلك لعلمه بما في القرآن من وعيد فعنه أنه قال: يا ابن آدم، والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك[9].

نقول: برغم ما كان عليه من الحزن، إلا أنه لم تفته روح الدعابة فلم تعدم في سيرته دعابة يقولها أو تقال له، منها أنه وقف أعرابيٌّ على حلقة درسه -رحمة الله عليه- فقال: رحم الله من أعطى من سعة، وواسى من كفاف، وآثر من قلة. فقال الحسن: ما أبقى أحداً إلا سأله[10].

لأن الناس لا يخرجون في غناهم وفقرهم عن هؤلاء الأصناف الثلاثة التي ذكرها ذلك الأعرابي.

ولم تكن دعابته تنطوي على كلمات تثير الضحك بقدر ما تنطوي على معنى كريم أو تأمل مطلوب.

فعن قتادة، قال: دخلنا على الحسن وهو نائم، وعند رأسه سلة، فجذبناها فإذا خبز وفاكهة، فجعلنا نأكل، فانتبه فرآنا، فسره، فتبسم وهو يقرأ:

﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾

(النور: ٦١)

لا جناح عليكم.

ومن طريف ما قيل له: ذلك الحديث الذي دار بينه وبين رجل لا يجيد العربية فقد روى ابن حمدون قال:

قال رجل للحسن البصري: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟

(٨، ٩) سير أعلام النبلاء.

(١٠) الامتاع والمؤانسة- لأبي حيان التوحيدي.

فقال: ترك رجل أباه وأخاه، قال فما لأباه وأخاه، فقال الحسن: فما لأبيه وما لأخيه؟ فقال الرجل: إني أراك كلما طاوعتك تخالفني[11].

وحضر الحسن وليمة، فنعى على من رفع يده عند تقديم الحلوى، وقال له: «كل بالكع، فلنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم من نعمته في الحلواء»[12].

وقال لتلميذه الناسك في مثل هذه المناسبة: «لباب البُر بلعاب النحل بخالص السمن يعيبه مسلم!».

على أننا نجد لفضيلة الشيخ محمود النواوي في مسألة الدعابة في شخصية البصري رأياً له وجاهته إذ يذهب إلى أن الحسن كان يذهب إلي ذلك عن قصد ترخصا حتى لا يقنط الناس من رحمة الله إذ يقول:

«على أن الذي ينبغي أن ينبه إليه أن هذا الرجل في زهده وتنسكه وبكائه وخوفه كان ظريفا لطيفا غير فظ ولاقاس منفر، وكذلك الربانيون من هذه الأمة يظهرون سماحة الإسلام بما يسع النفوس، ويترخصون بما لا يقنط الناس من رحمة الله، فإذا خلا أحدهم إلى نفسه صهرها في بوتقة الرياضة، وزج بها في محيط الضراعة، لا كأهل الرياء الذين ينتسبون إلى طريق الله اليوم ويظهرون للناس شيئا من الدين، ويخفون عنهم ما لو علموه لتقربوا إلى الله ببغضهم!!»[13]

كان الحسن يخالط الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم وله مع الفرزدق الشاعر محادثات لطيفة، جعلت الفرزدق يكثر التردد على حلقته، ويسير خلفه في كثير من المناسبات حتى كانت توبته على يده».

ومن شعره في هذا الشأن:

ألم ترني عاهدت ربي وأنني
لبين رتاج قائما ومقام
على قسم لا أشتم الدهر مسلما
ولا خارجا من فيّ سوء كلام

مروءته

كان الحسن إذا اشترى شيئا بكذا وكذا ونصف أتمه به، وباع مرة بغلا له بأربعمائة درهم، فقيل لصاحبه لو أتيته فاستحططه من ثمنه شيئا، فأتاه فقال: يا أبا سعيد رأيت أن يتخفف عني من ثمن البغل! فقال له: خمسون درهما أرضيت؟ قال: نعم يا أبا سعيد، قال: فلك خمسون أخرى أرضيت؟ قال: نعم، رضي الله عنك، فلما أدبر الرجل قال: هلم، فإنه بلغني أن من الإحسان أن يضع الرجل نصف حقه، اذهب فلك مائتان»[14]

لم تكن الدنيا يوما في قلب البصري، فإذا أقبلت عليه علم أنها بعدقليل ستؤول إلى غيره ولذلك كان يتمثل بأبيات منها:

اليوم عندك دلها وحديثها
وغداً لغيرك كفها والمعصم

من مؤلفاته

«مشكلات الغرر»[15] قام بشرحه عبدالحميد بن وهبة الله المعروف بابن أبي الحديد.

وجمع له الإمام محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي الكثير من فقهه في سبعة أسفار جعلها تحت عنوان «فقه الحسن البصري».

وله مؤلفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه واللغة.

وفاته

قال ابن علية: مات الحسن في رجب سنة عشرة ومائة.[16]

وقال عبدالله بن الحسن: إن أباه عاش نحوا من ثمان وثمانين سنة.[17]

رحم الله الحسن كان عالما موسوعيا لا يقف عند حد علم واحد، بل كان يُقصد في الفقه كما يقصد في اللغة وعلوم القرآن، فإذا تكلم كان عالما لا يجارى.

إن التصوف الحق لابد أن يكون سيرا على درب هؤلاء المجاهدين من أمثال البصري، وصدق الدكتور البيومي إذ يقول: «ليت الذين يتحدثون عن التصوف في الإسلام يرجعون إلى ما قاله الحسن وتلاميذه من أرباب الزهد والخشية، ويتأون عما يتشدقون به من نظريات فلسفية ليست من الإسلام في شيء مكتفين في ذلك بما جاء في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وسلوك الراشدين من العلماء».[18]

وبعد... فإن التصوف الحقيقي مثل الإيمان الحقيقي لأنه فرع منه؛ لابد أن يُرى في أعمال المتصوف كما أن الإيمان الحقيقي لابد أن يرى في أعمال وأقوال المؤمن.



(11) التذكرة الحمدونية لابن حمدون.
(12) محمود النواوي ـ مجلة الأزهر المجلد ٢٥ ص٩٣٦ السنة ١٩٥٣م.
(13) محمود النواوي ـ المرجع السابق.

(14) الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكريا.
(15) هداية العارفين ج١ / ٢٦٣.
(16)، (17) سير أعلام النبلاء.
(18) أ.د محمد رجب البيومي ـ أشواق العارفين صفحات من تاريخ الصوفية ـ ص٢٦.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في فتح الشام وبين أحد قواد الروم، جاءه أمير الروم بطعام فاخر وقال له: هذا طعام الأمير.

فقال له أبو عبيدة: وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام؟

قال: لم يتيسر مثله للجند.

فقال أبو عبيدة: لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام. وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جنداً من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه. لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون.

كلمتان لأبي بكر وعلي - رضي الله عنهما

كان من دعاء خليفة رسول الله أبي بكر الصديق إذا مدحه الناس أن يقول: «اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم. اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي واجعلني خيراً مما يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، وكان أمير المؤمنين عليّ يقول لمن يتملقه مغالياً في مدحه: «أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك».

ولاة الإسلام معلمون

خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في موسم الحج فقال: «إني والله ما أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكني أبعثهم إليكم ليعلموكم

دينكم، وسنة نبيكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفسي بيده لأقصه منه».

يمنعني الشكوى

قال الشاعر:

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني
عليل ومن أشكو إليه عليل
ويمنعني الشكوى إلى الله أنه
عليم بما أرجو وما سأقول

«كعب بن لؤي كما وصفته أمه»

قال لؤي بن غالب (جد النبي صلى الله عليه وسلم) لامرأته: أي بنيك أحب إليك؟

قالت: الذي اجتمعت فيه ثمان خلال: لا يخامر عقله جهل، ولا يخالط حلمه سفه، ولا يلوي لسانه عي، ولا يفسد يقينه ظن، ولا يغيره عقوق، ولا يقبض يده بخل، ولا يكدر صنعه من، ولا يرد إقدامه جبن.

قال: ومن هو؟ قالت: ولدك كعب.

«فضل الأدب»

قال شبيب بن شبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل، ودليل على المروءة، وصاحب في الغربة، ومؤنس في الوحشة، وصلة في المجالس.

وقال عبدالملك بن مروان لبنيه: عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً.

وقال بعض الحكماء: اعلم أن جاهاً بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال، وجاهاً بالأدب غير زائل عنك.

«المال»

لا أجعل المال لي رباً يصرفني
لا بل أكون له رباً أصرفه
مالي من المال إلا ما تقدمني
فذاك لي، ولغيري ما أخلفه

أبو علي البصير

العلم والعمل به

قال يحيى بن خالد لشريك: علمنا مما علمك الله يا أبا عبدالله.

فقال له شريك: إذا عملتم بما تعلمون، علمنا كم ما تجهلون.

أي أنه لا فائدة للعلم بلا عمل، بل هو حجة على أهله. وإن العمل بالعلم القليل ينميه ويجعله كثيراً، فلا عبرة بكثرة العلم إذن وإنما العبرة بأن تعمل بما تعلم. ويوشك أن يكون هذا معنى الحديث

الشريف: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم».

شمم العرب

دخل عمارة بن حمزة على أمير المؤمنين المنصور وقعد في مجلسه - وكان ذا عزة وثروة ونفس أبية - فقام رجل وقال:

- مظلوم ياأمير المؤمنين!

قال المنصور: ومن ظلمك؟

قال: عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي.

فقال المنصور: ياعمارة، قم فاقعد مع خصمك.

فقال عمارة: ياأمير المؤمنين ما هو لي بخصم. إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أنزل عن مقام شرفني به أمير المؤمنين لأجل ضيعة.

المروءة

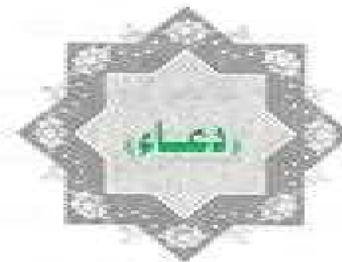
قال سلام بن عبدالله الباهلي: «أسباب المروءة مرتبطة بشرف النفس وعلو الهمة - إذا اجتمعا ولم يفترقا - فإن من علت همته وتواضعت نفسه طلب مالا يستوجبه، وتعدى إلى مالا يستحقه فلا تتم له المروءة. ومن صغرت همته وكبرت نفسه قصر عما يستحقه، وترك ما يستوجبه، فنقصت مروءته. فإن لكل وجه من هاتين الحالتين حظا من الذم، ونصيباً من اللوم ومن تعلق به لوم، أو نيط به ذم فليس بداخل في حال من أحوال المروءة.

«اخفض من بصرك»

أكل أعرابي على مائدة الحجاج، فكان يأكل بسرعة ونهم.

فقال له الحجاج: ياهذا، ارفق بنفسك،

فقال الأعرابي: وأنت اخفض من بصرك.



اللهم بارك لنا في ذكرك، ولا تشغلنا بغيرك، ووفقنا لحمدك وشكرك، وأدم علينا عفوك وسترك، وأيقظنا من رقاد الغفلات، وأنقذنا من وهاد السيئات وأخرجنا من ذل المعاصي إلى عز الطاعات، فأنت القادر على ما تشاء، لا يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

ديمقراطية السخرة

لازالت الولايات المتحدة الأمريكية وعملاؤها يواصلون تطبيق الديمقراطية على الطريقة الأمريكية.. تلك الديمقراطية التي أزهقت الولايات المتحدة في سبيل تطبيقها أرواح أكثر من مليون عراقي أو على الأقل تسببت في إزهاق أرواحهم فضلا عن تشريد الملايين ممن اضطروا للهجرة من أراضيهم فرارا من أتون الديمقراطية المستعر في أرض الرافدين.

آخر تطبيقات الديمقراطية الأمريكية التي تتم على أرض العراق حاليا يعاني منها واحد وخمسون عاملا فلبينيا قامت إحدى شركات المقاولات الخليجية باختطافهم بعد أن خدعتهم وأوهمتهم بأنهم سيعملون في بناء فندق بمدينة دبي الإماراتية ثم ما لبث هؤلاء الضحايا أن اكتشفوا أنهم ذاهبون إلى قلب الجحيم.. إلى العراق.. التي كانت ذات يوم.. -وقبل الغزو الأمريكي المشئوم- قبلة الباحثين عن الثراء فأصبحت اليوم وتحت الإشراف الأمريكي الكامل أكبر مقبرة جماعية للبشرية على وجه الأرض.

المهم اكتشف العمال أنهم ذاهبون إلى العراق فغضبوا وثاروا فما كان من الحراس المرافقين لهم إلا أن أشهروا السلاح في وجوههم وأجبروهم على الخضوع للأمر الواقع.

وبعد أن هبطت الطائرة أرض العراق اكتشف العمال المختطفون أنهم سيقومون ببناء مبنى السفارة الأمريكية ببغداد.. أي أنهم سيعملون ليل نهار تحت دوي القنابل وطلقات الرصاص الغاضبة التي يطلقها

رجال المقاومة العراقية ضد العنصر الرئيسي المتسبب في تدمير العراق.. ضد الوجود الأمريكي، وأنهم- أي العمال- سيكون مقر عملهم بطبيعة الحال مستهدفا من رجال المقاومة العراقية!!

لماذا أقدمت شركة المقاولات على هذا الأمر؟

الإجابة: لأنها لم تجد عمالا يرغبون في الموت في سبيل بناء أكبر سفارة أمريكية في العالم على أرض العاصمة العراقية بغداد والمفروض أنه مبنى يقدم خدمات كاملة لألف موظف، ويضم منازل ومحطات مياه وتوليد كهرباء والمفترض- أيضا - أن يتم الانتهاء من بنائه، بل وتسليمه في الخريف القادم وإلا تعرضت الشركة المنفذة لغرامات مالية هائلة تفوق قدراتها وتهددها بالإفلاس.

شركة المقاولات المنتمية لإحدى الدول «العربية» بل «المسلمة» نقت من جانبها أن تكون قد أقدمت على هذا الفعل الشائن وتتمنى أن تكون محقة في نفيها وأن تكون بريئة من هذا الفعل الشائن بالفعل وإن لم تكن فإننا ندين هذا الفعل الذي لا يمكن أبدا أن يكون متفقا مع تعاليم ومبادئ إسلامنا الحنيف.

ولكن مواطنين أمريكيين شهدا على هذا العمل الإجرامي!!

الأول هو «روري ميبيري» مرض وكان يستقل نفس الطائرة التي أقلت العمال المخطوفين وعاين بنفسه تفاصيل ثورتهم وما تعرضوا له من قمع على يد طاقم الحراسة المرافق لهم.

أما الشاهد الأمريكي الثاني فهو جون أوينز وهو خبير معماري في مجال تشييد السفارات وأيضا عايش تفاصيل المأساة التي يعانيها الضحايا.

الشاهدان الأمريكيان أدليا بشهادة تفصيلية أمام الكونجرس الأمريكي أكدا فيها أن وضع جميع العمال الذين يعملون في تشييد مبنى السفارة الأمريكية في بغداد وليس المختطفين وحسب بالغ السوء وأنهم يعملون في ظروف لا يطيقها إنسان فأسوأ شيئ أن يعمل المرء وفوهة الرشاش مسلطة فوق رأسه، والأسوأ من ذلك أنهم يعملون بالسخرة أي بدون أجر ولا يقدم لهم من الطعام إلا ما يكفي فقط لإبقائهم على قيد الحياة.

العراق أصبح عنوان الجحيم، ومقر إقامة الشياطين منذ وطأته أقدام الغزاة الذين لا يزال قادتهم يتحدثون بفخر عن نجاحهم في تطبيق الديمقراطية في العراق.

أي ديمقراطية تلك أم تراهم يقصدون فعلا تحويل العراق إلى مقبرة كبرى تكون نموذجا ومثالا لكل من يرغب في الخروج عن طاعة العم سام؟!

قد يكون هذا الفعل الشائن أمرا عاديا وطبيعيا إن نظر إليه على أنه تصرف أمريكي اعتاده العالم منذ سنوات ولكن أن تشارك فيه بل تقوم به شركة مقاولات خليجية عربية مسلمة فهذه هي الكارثة الحقيقية إذ أنها تعني أن العم سام قد نجح فعلا في فرض نموذجه وأسلوبه على المنطقة العربية المسلمة!!

الأمم المتحدة أقامت الدنيا ولم تقعدها منذ اختطف عدد موظفي الإغاثة الكوريين العاملين في أفغانستان المنكوبة بالديمقراطية الأمريكية ونحن من جانبنا ندين هذا الفعل الإجرامي وندينه بكل قوة.. ولكن متى تتحرك المنظمة الدولية لإنقاذ شعب العراق وكل من يعيش على أرض العراق من الممارسات الشائنة التي ترتكبها الولايات المتحدة الأمريكية ومن يدور في فلكها من تابعيها.

أحمد تقي الدين

من تحويل القبلة إلى تغيير الحال

تحت هذا العنوان جاءت كلمة فضيلة الشيخ/ مصطفى الأزهري - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - حيث قال:

لا ينبغي لمسلم يحب دينه ويفخر برسالته وينتمي إلى عقيدته حق الانتماء أن تمر عليه ذكرى، أو حادثة، أو يطرق سمعه من قصص الأولين دون أن يقف متأملاً فاحصاً متدبراً، يستلهم العبرة ويستنتج الدروس ليصحح مساره ويضبط مسيرته في رحلة حياته، ولينال شرف التلقب بلقب «أولي الألباب»، كما أخبر بذلك المولى الكريم - تبارك اسمه - بقوله:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(يوسف: ١١١)

ومما ينبغي الوقوف عنده، قصة تحويل القبلة وفيها من الدروس والعبر ما فيها، فبعد حديث القرآن عن محاججته لأهل الكتاب الذين يزعمون - ويشيعون هذا الزعم - بأنهم أولى بإبراهيم وذريته من الأنبياء، وأنهم - في زعمهم - إما هودا أو نصارى، ليستولوا على مشاعر الناس وليستذلوهم بهذه الدعوى الكاذبة، ومن هنا كان دحض القرآن لهذا الزعم الكاذب فقال تعالى:

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٩: ١٤١)

وحدث الحدث وذكرت كتب السيرة الصحيحة كيف كان الصحابة - كعادتهم - سراعاً في استجابتهم لربهم فتحولوا وهم في الصلاة من جهة المسجد الأقصى إلى أول بيت وضع للناس، إلى الكعبة المشرفة، فانتهزت اليهود هذا الحدث لتشكك في عقيدة المسلمين ودينهم وثباتهم على مبادئهم، فسبق علم الله العليم الخبير أن اليهود والمنافقين سيشيعون هذه الشائعة ويستغلون الحدث للتشويش على المجتمع المسلم الجديد، فأخذ يحذر المسلمين مما سيقال بعد ويخبرهم بأن رحلة التشكيك ستبدأ فانتبهوا واحذروا فقال تعالى:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة: ١٤٢)

فكان هذا درعاً لتحصين المتلقي، زد على ذلك أن الله - جل علاه - ذكر العلة من هذا التحويل وأنه لاختبار حقيقة الاتباع فقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ١٤٣)

إننا في زماننا هذا نحتاج إلى تأمل هذه القصة لنعتبر بسلوك أجدادنا الأوائل الذين سادوا الدنيا لما وضعوا نصب أعينهم ضرورة الالتزام بالأمر الإلهي فوراً.

هَوِّنْهَا تَهُنْ

من القارئ الأستاذ: «محمد عباس محمد عرابي» كانت هذه الكلمات:

إن فضل الله تعالى عظيم، وجزاءه لعباده كبير، وثوابه عميم، وما على الإنسان إلا أن يكون شاكراً في السراء، صابراً في الضراء، منتظراً الفرج من رب الأرض والسماء، قال النبي (ﷺ): «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه» (متفق عليه).

ما أسعدنا أهل الإسلام بهذا الدين العظيم الذي أجزل الله لأصحابه العطاء، وغمرهم بإحسانه وفضله صباح مساء، فالتعب والمشقة والمرض والهم والغم والحزن والأذى للمسلم بهم أجر حتى الشوكة تصيبه في قدمه أو يده يؤجر عليها.

قال الشاعر:

لا بد للمرء من ضيق ومن سعة
ومن سرور يوافيه ومن حزن
والله يطلب منه شكر نعمته
ما دام فيها ويبغي الصبر في المحن
فما على شدة يبقى الزمان بكن
ولا على نعمة تبقى على الزمن

دخل ابن مسعود على النبي (ﷺ) وهو يوعك، فقال: يا رسول الله! إنك توعك وعكا شديداً. قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قال ابن مسعود: ذلك أن لك أجرين؟ فقال (ﷺ): «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها، إلا كفَّر الله بها سيئاته، وحُطَّت عنه ذنوبه، كما تحط الشجرة ورقها» (متفق عليه)

صبراً جميلاً ما أسرع الفرجا
من صدق الله في الأمور نجا
من خشي الله لم ينله أذى
ومن رجاه كان حيث رجا

فيا من أصابتك المصائب هونها تهن، لا تنظر إلى مصيبتك على أنها أعظم المصائب، بل انظر إلى ما أصيب به غيرك فستجد أن مصيبتك تمثل نقطة في بحر بالنسبة إلى ما أصيب به هؤلاء.

مسجد شاه فيصل

.. وكتب صديقنا الأستاذ: «فرج مجاهد عبدالوهاب» - شربين - دقهلية - هذا الشهر عن مسجد «شاه فيصل» بباكستان، قال:

تم بناؤه على مساحة أربعة آلاف متر مربع في إسلام آباد عاصمة دولة باكستان في أحضان جبال الهيمالايا وهو عبارة عن قبة كبيرة تحيط بها مآذن أربع ذات طراز معماري فريد حيث تبدأ كل مئذنة من أرض المسجد وترتفع إلى مسافة كبيرة، والمسجد يتسع خمسة عشر ألفا من المصلين، وقد بدأ العمل به عام ١٩٧٦ واستغرق البناء ٩ سنوات كاملة بسبب بعض مشاكل التمويل، حيث رصدت له المملكة العربية السعودية ٨ ملايين دولار إلا أنه حتى عام ١٩٨٣ لم يكن بناء المسجد قد اكتمل بالصورة المطلوبة، مما دفع المملكة إلى إرسال وفد رسمي لبحث العقبات التي تحول دون اكتمال البناء. وكان لهذه الزيارة الأثر الكبير في سرعة العمل، حيث تم استكمال المسجد عام ١٩٨٥ بعد أن ألحق به العديد من المباني على مساحة ٥ آلاف متر مربع وتشمل مدرسة إسلامية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وكذلك مكتبة إسلامية كبيرة، ومجموعة من المباني الخاصة بالقائمين على أمر المسجد، كما توجد حديقة كبيرة مع مساحة ثلاثة أفدنة وأماكن انتظار للسيارات.

ويعد هذا المسجد معلما من معالم باكستان وكان الرئيس الباكستاني ضياء الحق قد سمح باستخدام بعض ملحقات المسجد كمقر مؤقت للجامعة الإسلامية العالمية عند تأسيسها، ويقوم مسجد الملك فيصل بدور هام في نشر الدعوة الإسلامية، وكذا نشر اللغة العربية حيث يمثل حجر الزاوية في تقوية سواعد المسلمين ضد التعصب البربري ضد الإسلام والمسلمين في آسيا وخاصة تلك الهجمات المفضوحة للمتطرفين في الهند.



إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

تحت حماية الشرطة الإسرائيلية متطرفون يهود يقتحمون بوابات الأقصى

أدان الشيخ محمد حسين المفتى العام للقدس والديار الفلسطينية اقتحام مجموعات يهودية متطرفة بوابات وباحات المسجد الأقصى المبارك، وأكد المفتى العام فى بيان له أن مجموعات يهودية متطرفة يزيد عدد أفرادها على مائتى متطرف اقتحمت بوابات وباحات المسجد الأقصى تحت حماية الشرطة الإسرائيلية.

وقال: إن هذا الاقتحام يشكل خطورة بالغة تهدد أمن وسلامة المسجد الأقصى وتؤسس لفرض واقع جديد فى محاولة لسحب صلاحيات إدارة الأوقاف الإسلامية وفرض المزيد من الهيمنة الإسرائيلية على المسجد.

كما دعا المفتى العام الأمتين الإسلامية والعربية دولا وحكومات وشعوبا إلى تحمل مسئولياتهم فى المحافظة على المسجد الأقصى وحمايته من الأخطار المحدقة به والتى

تهدده جراء الحفريات التى تقوم بها العصابات الصهيونية حيث وصلت إلى أساسات المسجد، وناشد الحكومات والشعوب التدخل لإنقاذ المسجد الأقصى قبل أن يندم الجميع.

معاهد أزهرية بالدنمارك وهولندا لتدريس علوم القرآن

أعلن الأزهر الشريف استعداده للإشراف على المؤسسات التعليمية المختصة بتدريس الدين الإسلامى وعلوم القرآن على مستوى العالم، وإمدادها بالمناهج والمقررات الأزهرية والكوادر العلمية للتدريس.

حيث هناك تزايد فى الإقبال على التعليم الأزهرى فى كثير من الدول الأوروبية وأن الأزهر يدرس حاليا طلبات قدمتها دولتا الدانمارك وهولندا لإنشاء معاهد أزهرية بها على غرار النموذج المصرى شكلا ومضمونا.

مجلس السفراء العرب فى فيينا يحذر من حملات لكراهية المسلمين

حذر مجلس السفراء العرب فى فيينا من خطورة التصريحات والحملات الدعائية المنطوية على زرع روح العنصرية والكراهية للإسلام والمسلمين فى نفوس الشعب النمساوى على حساب الدين الإسلامى والمواطنين فى النمسا.

الجامعة العربية تستنكر الاعتداء على هيئة علماء المسلمين

تابع الأمين العام لجامعة الدول العربية بقلق بالغ الأنباء التى تواردت عن قيام القوات الأمريكية باقتحام مقر هيئة علماء المسلمين فى مسجد أم القرى ببغداد والاعتداء على حراس المسجد واعتقالهم وإتلاف بعض محتويات المقر والتحفظ على بعضها وقال إن الجامعة تقف مستنكرة هذا الاعتداء وتأمل فى أن تعالج الحكومة العراقية هذا الموقف من منطلق وطنى حتى يتم تطويق تداعياته.

برنامج إسلامى فى تليفزيون ألمانيا يثير الجدل

تفاوتت ردود الفعل بعد قيام المحطة الثانية فى التليفزيون الألمانى ببث برنامج أسبوعى حول الإسلام أطلقت عليه «ملتقى الجمعة» كمبادرة لتوضيح الإسلام للمجتمع الألمانى وذلك بدعم من الحكومة الألمانية.

ففى حين وصف وزير الداخلية الألمانى «فولفجانج شويبله» المبادرة بأنها هامة وتعمل على التقارب بين المسلمين وغيرهم، وتحد من ظاهرة المعاداة للمسلمين ومعاداة المسلمين للغرب رأت جماعة تعادى الإسلام أن ظاهرة اعتناق الألمان وغيرهم للإسلام فى ألمانيا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ستزداد بعد بث برامج عن الإسلام كما أنها ستؤدى حسب رأيهم إلى أن تصبح ألمانيا دولة إسلامية فى وسط أوروبا خلال السنوات العشر القليلة المقبلة.

مطالبة فرنسا برفع يدها عن الأئمة

دعا مسئولون مسلمون الحكومة الفرنسية إلى الحد من تدخلها فى العمل الدعوى وعدم فرض «رؤاها» فى تأهيل الأئمة الذين يتولون توجيه المسلمين فى مختلف أنحاء البلاد.

وجاءت هذه الدعوات عقب نشر تسريبات صحفية من صحيفة «لوموند» الفرنسية نسبت إلى وزيرة الداخلية «ميشيل اليومارى» رغبتها فى تحسين تأهيل الأئمة فى فرنسا.

وطالب عميد المركز الإسلامى الشيخ «خليل مرون» المسئولين الفرنسيين برفع أيديهم عن تشكيل مؤسسات المسلمين، لكنه لم ينف أهمية التأهيل، وقال إنه لابد أن يشمل الجانب اللغوى لأن إتقان اللغة الفرنسية أمر مهم للإمام، لكى يستفيد من علمه الأجيال الجديدة غير الناطقة بالعربية.

الإسلام من أسرع الأديان انتشارا فى أمريكا

قالت وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندليزا رايس»: إن الإسلام يعد من أسرع الأديان انتشارا فى الولايات المتحدة، واصفة إياه بأنه جزء من النسيج الثقافى الأمريكى.

وأضافت رايس: نعم الإسلام دين عظيم يحض على السلام.. ومضت قائلة: «لا يمكن أن نأخذ الإسلام بجريرة أناس يمتهنون العنف ويقتلون الأبرياء ثم يرددون اسم الإسلام.

رئيس وزراء ماليزيا يحث المسلمين على زيادة استثماراتهم فى العلم

حث د. عبدالله أحمد بدوى رئيس وزراء ماليزيا البلدان الإسلامية على الاستثمار فى مجال التعليم لكبح جماح الفاقة والتخلف واصفا هذين الأمرين بأنهما أكبر أزمتين تواجهان الأمة الإسلامية فى العصر الحديث.. وخلال حديثه فى مؤتمر دولى لعلماء المسلمين قال: «المسلمون سقطوا بعيدا عن تطور العصر وتخلفوا عن الأزمان التى كانوا فيها يقدرون إبداعهم وتفوقهم الحضارى».. وأضاف «بدوى» إن التهديد الحقيقى الذى يواجه المسلمين اليوم هو فقرهم وتخلفهم وإذا أردنا العودة إلى أيام مجد هذه الأمة فعلينا أن نعالج هذين الأمرين.

وقال «بدوى»: «نحن كسالى وغير مكترثين فى الجانب المعرفى وهذا هو الفشل الحقيقى للعالم الإسلامى اليوم».

المسلمون الألمان يطالبون بمواقف واضحة قبل قمة الاندماج

دعا المجلس الأعلى للمسلمين فى ألمانيا المستشارة الألمانية «أنجيلا ميركل» إلى إرسال إشارة واضحة إلى جمعيات واتحادات المهاجرين فى البلاد وذلك قبل انعقاد ما يطلق عليه «قمة الاندماج».

وقال الأمين العام للمجلس: «أتصور أنه إذا أرسلت المستشارة الألمانية قبل القمة إشارة واضحة فى اتجاه المساواة أمام القانون فسيصبح من الممكن أن تجلس روابط المهاجرين إلى طاولة قمة الاندماج.

وهددت بعض روابط المهاجرين فى ألمانيا بمقاطعة القمة وذلك بدافع الغضب من قانون الهجرة الجديد الذى أقرته ألمانيا مؤخرا.

ممارسة العنصرية ضد المسلمين بأمريكا

كشفت صحيفة «آراب أمريكان نيوز» الأمريكية النقاب عن تقرير أمريكى يعترف بأن محطات الإذاعة الأمريكية المتشددة تعد من أهم منصات الهجوم على المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية مؤكدا أن المسلمين الأمريكيين يتعرضون بشكل شبه يومى للتمييز العنصرى عبر برامج إذاعية أغلبها لمذيعين من اليمين الأمريكى المتشدد.

وأبرزت الصحيفة الأمريكية ما قام به المذيع الأمريكى «مايكل سافاج» كدليل على

صدق التقرير «فساقاج» الذى يعد برنامجه ثالث أكثر البرامج استماعا فى أمريكا وصف المرأة التى ترتدى النقاب بأنها نازية بغيضة وأن هدفها هو قتل الأمريكيين وأطفالهم.

وأضافت الصحيفة الأمريكية أن المعلق الأمريكى الشهير «كارل توماس» قد اتهم فى وقت سابق المسلمين فى الغرب بنشر ثقافة الكراهية، كما شبههم بأنهم سرطان ينتشر ببطء وأن كونه ينتشر ببطء لا يعنى التساهل معه، بل يجب استئصاله، ودعا «توماس» إلى منع المسلمين من الهجرة إلى أمريكا قائلا: حتى متى ينبغى علينا السماح لأشخاص من أراض معينة واعتقادات معينة بالمجىء إلى أمريكا وبريطانيا وبناء مساجدهم وتعليم الكراهية والتدبير لقتلنا.

منظمة أمريكية تطالب بالسجن عشرين عاما لمن يعتنق الإسلام

قامت منظمة «الأمريكيون من أجل الوجود القومى» بتدشين مشروع قانون لتحريم اعتناق الإسلام بأمريكا ومعاقبة كل من يسلم أو يتمسك بالإسلام بالسجن لمدة عشرين عاما.

يأتى ذلك ضمن خطة كبيرة تتبناها المنظمة للقضاء على الإسلام فى أمريكا بوصفه مؤامرة إجرامية لإسقاط الحكومة الأمريكية وتقويض الدستور، لأن المسلمين بحسب رأى المنظمة الأمريكية هم القتلة والإرهابيون الذين يشكلون الخلايا الإرهابية.

وأشارت المنظمة إلى أن هذا المشروع هو الأول من نوعه على مستوى العالم، وأنها بصدد إعداد خريطة لتصنيف المساجد والمدارس الإسلامية بأمريكا ضمن مقترحات المشروع حسب درجة التزامها بالشريعة الإسلامية التى تعتبرها المنظمة مصدرا للإجرام والإرهاب فى العالم، وستجمع معلومات عن مساجد الولايات المتحدة وتقديمها للرأى العام الأمريكى ولدائرة صنع القرار الأمريكى.

ويهدف المشروع بحسب ما هو معلن إلى إخراج الإسلام من أمريكا باعتباره لا يتوافق مع الثقافة اليهودية المسيحية واختبار إمكانية التعرف على الخلايا الجهادية من خلال تحديد المساجد والمدارس التى تبشر بالشريعة الإسلامية الرجعية التقليدية على حد زعم المنظمة.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

تكريم حفظة القرآن الكريم

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر وبحضوره أقيم فى تمام الساعة العاشرة صباح يوم الأحد الموافق ٢٩ / ٧ / ٢٠٠٧م حفل تكريم الطلبة الفائزين فى المسابقة الكبرى لحفظ القرآن الكريم للعام ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧ والتى أقامها قطاع المعاهد الأزهرية بمركز مؤتمرات الأزهر الشريف. وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أكد فيها على أن الأزهر يسير على مبدأ لن يحيد عنه، وهو: ليس أزهريا من لم يحفظ القرآن الكريم، مشيراً إلى أن مقاصد القرآن متعددة منها أن تكون هداية للإنس والجن، فهداية القرآن تمتاز بأنها هداية عامة وتامة لأنها لم تترك فضيلة من الفضائل إلا وفتحت أبوابها للناس ولم تترك رزيلة إلا وقفلت وسدت أبوابها فى وجوه الناس.

وفى ختام الحفل أوضح فضيلته بأنه قد فاز فى المسابقة «٢١٤٩٨» طالبا وطالبة تم تصعيدهم من إجمالى «١٧١٣٢٤» طالبا وطالبة.

تم تخصيص مبلغ «١٥٣٥٠٠٠٠» جنيه» خمسة عشر مليونا وثلاثمائة وخمسون ألف جنيه مصرى وزعت على الطلاب والمحفظين كالتالى:-

- فاز بالمستوى الأول للحافظين ٣٠ جزءاً «٢٣٩١» طالبا وطالبة.
- فاز بالمستوى الثانى للحافظين ٢٥ جزءاً «١٩٥٤» طالبا وطالبة.
- فاز بالمستوى الثالث للحافظين ١٨ جزءاً «١٣٤٣٩» طالبا وطالبة.

١- وحصل الحافظ من طلاب المكاتب والمعاهد الأزهرية فى المستوى الأول على

١٠٤٥٠ جنيهاً.

٢- وحصل الحافظ من طلاب المكاتب والمعاهد الأزهرية فى المستوى الثانى على ٩٣٠٠ جنيهاً.

٣- وحصل الحافظ من طلاب المكاتب والمعاهد الأزهرية فى المستوى الثانى على ٧٥٠٠ جنيهاً.

وينطبق ذلك على طلاب جامعة الأزهر وطلاب البعوث الإسلامية.

كما كرم فى الحفل محفظى القرآن الكريم وعددهم (٢٦) محفظاً وحصل كل محفظ على (١٠٠٠ جنيه) لكل طالب حافظ، ومن المحفظين من حصل على جائزة قدرها (٥٠٩٥٠ جنيه) لقيامه بتحفيظ (١٠٣) طلاب.

حضر الحفل فضيلة وكيل الأزهر، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وعدد من السادة السفراء، وأعضاء وعلماء مجمع البحوث الإسلامية، والسادة قيادات الأزهر الشريف، والأوقاف، ونواب رئيس جامعة الأزهر، والسادة عمداء الكليات.

دورة تدريبية جديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٤/٧/٢٠٠٧ بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية السابعة والسبعين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى والتى بدأت فى الفترة من ١/٥/٢٠٠٧ ولمدة ثلاثة أشهر وعددهم ١٩ إماما وواعظا من دول: (الجزائر ـ السودان ـ سيراليون ـ السنغال ـ اليمن ـ نيجيريا) ـ وذلك بعد أن أتموا دورتهم التدريبية لمدة ثلاثة شهور، وقد تلقوا خلالها العلوم العربية والشرعية وأمور الفقه على أيدى أساتذة وعلماء من الأزهر الشريف، والتى عن طريقها يمكنهم الرد على الأسئلة والاستفسارات التى يتعرضون لها عند عودتهم إلى بلادهم.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة أوضح فيها أن تلك اللقاءات والدورات ذات فائدة عظيمة تجمعنا على طاعة الله، نتدارس فيها العلم ونتحاور، ويستمع بعضنا إلى بعض، نتناقش فى أمور الدين والدنيا، ونتحاور فى العقائد والمعاملات، فرسالتنا كدعاة هى الدعوة إلى الله- تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، تبين للناس وجه

الإسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنون ولا يهدمون، يعمرون ولا يخربون، يصلحون ولا يفسدون، يعملون من أجل خدمة دينهم وأمتهم، وينشرون مبادىء الإسلام السمحة على الناس، يدافعون عن الحق ويقفون فى وجه الباطل، فوظيفتنا أن نبين ما هو حق وندعو إليه، ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه، موضحاً بأن الإسلام دين ينهى نهياً قاطعاً عن الإرهاب الذى هو عدوان على الأنفس والأموال، فعلينا أن نحارب الباطل ونبين ما هو حق، ونتعاون لخدمة ديننا وأمتنا بأن نكون قدوة فى مكارم الأخلاق وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وفى نهاية كلمته دعا فضيلة الإمام الأكبر للخريجين بدوام السداد والتوفيق فى عملهم. ثم قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين ومنح كل واعظ من وعاظ الدورة مكتبة دينية تساعده على أداء مهامه بنجاح وتكون مرجعا له وقت الحاجة.

حضر الحفل فضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور حسين - رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر، ولفيف من علماء الأزهر والسادة سفراء الدول.

فرع لجامعة الأزهر بماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه يوم ٢/٧/٢٠٠٧م - وفدا من جامعة العلوم الإسلامية الماليزية - يرافقهم السيد السفير/ زين العابدين عبدالقادر - سفير ماليزيا بالقاهرة والمستشار الثقافى/ عامرى عبدالله - بالسفارة الماليزية بالقاهرة.

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة أعضاء الوفد، مؤكدا على الصلة القديمة بين الأزهر بمعاهده وجامعته العريقة ومعاهد وجامعات ماليزيا، موضحا بأنه يدرس بالأزهر أكثر من ستة آلاف طالب وطالبة من ماليزيا بمراحل الدراسة المختلفة وبكليات الجامعة المتعددة لتميز الدراسة بالأزهر بالوسطية والاعتدال والسماحة والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء والوقوف ضد التطرف والإرهاب والعدوان.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء العالم الإسلامى وخاصة أبناء ماليزيا.

ومن جانبه أعرب السيد رئيس الوفد عن بالغ سعادته لإتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء حيث إن ما يقدمه الأزهر من اهتمام ومساعدة لأبناء ماليزيا له الأثر الطيب لدى شعب وحكومة ماليزيا، كما نقل تحيات وشكر السيد رئيس الوزراء/ داتو عبدالله لفضيلة الشيخ الإمام الأكبر ولأسرة الأزهر على ما يقدمه الأزهر الشريف نحو تعليم أبناء المسلمين وخاصة أبناء ماليزيا الذين يتلقون علومهم بالأزهر الشريف، الذى تمتاز الدراسة فيه بالوسطية والاعتدال، كما أنه يحمل رسالة عن رغبة رئيس وزراء ماليزيا فى منح فضيلة الإمام الأكبر الدكتوراة الفخرية التى تقوم بمنحها جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا وهى جامعة حكومية- وهى أول درجة دكتوراة فخرية تمنحها الجامعة - فى الوقت الذى يراه فضيلة الإمام مناسبا، كما عرض بعض الاقتراحات المتمثلة فى عقد الملتقى العالمى الثالث لخريجى جامعة الأزهر الشريف لعام ٢٠٠٨ فى كوالالمبور فى ماليزيا وانشاء فرع خاص لجامعة الأزهر الشريف فى ماليزيا، وانشاء مجمع للبحوث الإسلامية فى ماليزيا على غرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وبالتعاون معه لخدمة منطقة جنوب شرق آسيا، وانشاء مشروع بقبول عدد مائة طالب ماليزى من الحاصلين على الشهادة الثانوية الماليزية بتفوق للحصول على دراسة تمهيدية لمدة عام لإلحاقهم بجامعة الأزهر الشريف فى الكليات الإسلامية.

وفى نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر أنه سيتم دراسة هذه المقترحات بالجامعة تمهيدا لتلبيتها.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب- وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور/ أحمد الطيب - رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور - رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبة صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٥/ ٧/ ٢٠٠٧ م سعادة السفير/ توبادون تيبيتك سفير تايلاند بالقاهرة يرافقه السيد/ تاتاوت ماليسوان - سكرتير ثان السفارة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بسعادة السفير الذى جاء يحمل تحيات ملك تايلاند ورئيس وزرائها لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر - على زيارته التى قام بها مؤخراً

لدولة تايلاند والتى كان لها الأثر الفعال لدى الشعب التايلاندى، خصوصاً حديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى بين فيه أن الدين الإسلامى ينبذ العنف والإرهاب بكل صورهما وأنه دين تسامح ومحبة وتعاون وتعارف، ويدعو إلى العدل والإنصاف، ويبين أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة ويجب أن تسود بينهم المحبة والتعاون، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، كما أن أبناء الدولة الواحدة على اختلاف معتقداتهم يجب أن يعملوا جميعا من اجل الدولة التى يعيشون فيها، وكان لهذا الحديث أثره فى الاستقرار النسبى بجنوب تايلاند، ولذلك تود مملكة تايلاند التعاون مع الأزهر الشريف وجامعته العريقة فى توضيح صورة الإسلام عن طريق إيفاد علماء من الأزهر إلى تايلاند، ويرغب وزير التعليم التايلاندى فى ترجمة بعض الكتب التى تدرس فى الأزهر إلى اللغة التايلاندية ليفهمها العامة من شعب تايلاند.

هذا وقد أكد فضيلة الإمام بأن الأزهر دائما يؤكد على أهمية التعاون الذى من أجله تسود المحبة وتبادل المنافع ونشر الأمن والأمان والسلام والرخاء فى العالم وهذه ركيزة يقوم عليها التعليم فى الأزهر الشريف، والأزهر يعلم أبناءه بأن الأديان السماوية جميعها تأمر الناس جميعا بأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تقديم العون والمساعدة لمن يرغب فى فهم صحيح الإسلام وتصحيح صورته.

ويستقبل سفير كوريا الجنوبية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه يوم الثلاثاء الموافق ٣١/ ٧/ ٢٠٠٧م السيد السفير/ دال هوشانج - سفير كوريا الجنوبية بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام بالسيد السفير ودار اللقاء حول اختطاف حركة طالبان لمجموعة من متطوعى الإغاثة الكوريين بأفغانستان منذ ١٩ يوليو الجارى وإعدام اثنين منهم، وأوضح أن هناك خطراً يهدد حياة باقى الرهائن، وبين السيد السفير بأن الحكومة الكورية والمجتمع الدولى والأمم المتحدة قامت بمناشدة طالبان إطلاق سراح متطوعى الإغاثة موضحا بأن عمليات الاختطاف، وأصرار طالبان على مطالبها والتهديد بقتل

الرهائن يخالف المبادىء الإنسانية، وأن العديد من الشباب الكورى يشارك بفاعلية فى مهمات الإغاثة فى مختلف أرجاء العالم للتغلب على المرض ومساعدة المحرومين بتقديم المساعدات الطبية والمهنية المختلفة، وأنه ليس من الحكمة أن يذهب هؤلاء المتطوعين من الكوريين إلى هذه المنطقة الخطرة ويكون جزاؤهم التعرض للمخاطر والموت، وأضاف السفير بأنه إذا كتب على هؤلاء الرهائن الموت فإن ذلك سوف ينتج عنه انتكاسة فى جهود الأغاثة الإنسانية فى العالم، وأيضا يمكن أن ينتج عنه تشويه صورة الإسلام فى كل أرجاء العالم.

وقد طلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر التدخل من منطلق أن فضيلته يعد القيادة الروحية الرفيعة فى الإسلام، وأن نداء فضيلته سيكون له الأثر الفعال فى حل المشكلة، وأضاف السيد السفير بأن اتحاد المسلمين الكوريين تقدم باسم الشعب الكورى بالتماس لأبناء الشعب الأفغانى المسلم يناشده إطلاق سراح الرهائن والعفو عنهم لما لذلك من أثر بالغ من نفوس الكوريين لفهم الإسلام بصورته السمحة.

من جانبه أوضح فضيلة الإمام أننا ضد اختطاف الأبرياء والآمنين من المدنيين ولا نؤيده إطلاقا وخاصة إذا كان هؤلاء ذهبوا ليساعدوا أهل دولة أفغانستان ولم يشاركوا فى الحروب، مؤكدا على المطالبة بالإفراج عن هؤلاء الكوريين فورا، وأن خطف المدنيين الأبرياء واحتجازهم كرهائن تعد من الجرائم الخطيرة ضد الإنسان، كما أنها تتنافى مع تعاليم الإسلام السمحة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ عمر الديب - وكيل الأزهر

اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر عقدت جلسة المجلس الأعلى للآباء والمعلمين صباح يوم الثلاثاء الموافق ٣/٧/٢٠٠٧م بمبنى مشيخة الأزهر. بحضور جميع أعضاء المجلس من محافظات جمهورية مصر العربية. وفى بداية الجلسة قدم الأعضاء الشكر لفخامة الرئيس/ محمد حسنى مبارك - لموافقه الإيجابية بالموافقة على الكادر الخاص لمعلمى الأزهر الشريف.

وقد بدأت أعمال المجلس بالتصديق على محضر الاجتماع السابق.

كما تم عرض أعمال لجنة متابعة تنفيذ قرارات المجلس الأعلى للآباء والمعلمين، حيث

تابعت اللجنة موضوع ترميم سور مساكن المنتزة وإصلاح الجزء المنهار، وقد تم عمل الممارسة الخاصة بذلك وأرسلت لمنطقة الإسكندرية للتنفيذ.

- وتابعت ما تم إنجازه من أعمال بمركز الأنشطة المتكامل بمعهد القلج التابع لمنطقة القليوبية الأزهرية.

- كما وافق المجلس على لائحة الأتوبيس الخاص برعاية الطلاب بمنطقة الدقهلية الأزهرية على أن يكون الغرض هو تقديم الخدمة لاستخدامه للرحلات بالمعاهد بقيمة رمزية بعيدا عن تحقيق الربح والاستثمار وأن تكون ايرادات الأتوبيس تفى مصروفاته من صيانة واستهلاك.

- كما ناقش المجلس العديد من الموضوعات المتعلقة بالعملية التعليمية والامتحانات ولجان تقدير الدرجات واستكمال أوجه النقص إن وجدت من المعلمين فى بعض التخصصات لبعض المناطق، وتم التوصل إلى أنسب الطرق والحلول التى تعود بالنفع على أبناء الأزهر وبما يحقق استقرار العملية التعليمية على الوجه الأكمل وإتاحة الوقت الكافى لإتمام عملية التصحيح ومراعاة الدقة فى رصد الدرجات لكل طالب.

- وقد طلب أعضاء المجلس النزول بسن القبول بالمرحلة الابتدائية الأزهرية إلى خمس سنوات ونصف، وأكد فضيلة الإمام بأننا ملتزمون فى الأزهر بما تطبقه وزارة التربية والتعليم فى هذا الشأن.

- كما طالب الأعضاء بتعديل لائحة الصرف من ميزانيات مجالس الآباء والمعلمين للمعاهد الأزهرية لدعم أوجه النقص فى الصرف من الميزانية العامة، ووافق المجلس على تشكيل لجنة لهذا الشأن ومناقشتها مع الجهة المختصة بوزارة المالية.

حضر الجلسة فضيلة الشيخ/ عمر الديب - وكيل الأزهر. وفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح علام - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية. وفضيلة الشيخ/ محمد عبدالمجيد الخزرجى - الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، وجميع القيادات المتخصصة بالأزهر الشريف.

The Enemies' Witnesses

Dr. Al- Sudisy referred to the witnesses of the enemies that advocate the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). The campaigns launched against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) have benefits that should be invested, the significance that is assured by Allah's verse

{Do not reckon it evil for you; no indeed, it is charitable for you}

[An-Nur (The Light): 11]

He concluded that we should advocate and defend the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Dr. Al- Sudisy summarized his research in ten points:

- Science is honored by the known knowledge and research is honored by the matter about which we search. Our research is about the unique personality in front of whom all of the characters diminish. Thus, our subject is very important.
- The great rank of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).
- The necessity of loving, respecting and following the Sunnah of the Prophet

{Indeed you have already had a fair example , in the Messenger of Allah} [Al-Ahzab (The Parties): 21)

- The subsequent campaigns launched against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) at the time of prophecy, the matter that affected extremely his absolute patience and delivering the Message.
- The obligation that Allah imposed upon his followers to advocate and support the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).
- The necessity of determining the ways of advocacy as well as its rules and legal means.
- There is a great similarity between nowadays and the ancient times, as the same campaigns repeat themselves, and the enemies perform the same role. However, they are more dangerous and fierce; as they exploit the most sophisticated means nowadays in the most hostile war against Islam and the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him).
- The Danish caricature that meant a fierce attack, and the duty of the Islamic nation towards it.
- The responsibility that Allah imposes on the scholars to defend and advocate the religion.
- The responsibility of the institutions concerned about the Islamic Da`wah as well as the scientific bodies towards this regrettable incident.

The Situation of the Western Thinkers

Dr. Nabil Al-Samalouty, the previous dean of the faculty of the human studies, and the professor of sociology in Al-Azhar University submitted a research titled "The Western Thinkers and Their Contradicting Situation Towards the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)... Towards a Sectarian Scientific Strategy to Advocate the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him)."

He presented in his research the fierce campaigns that are launched against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) treat the Islamic symbols frivolously as well as its creed, Shari`a, prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and the biography of the Prophet's Companions (may Allah be pleased with them)

The Green Danger

These attacks increased after the incidents of September 11, 2001, as the Europeans considered Islam as the substitute enemy after the downfall of the Soviet Union. They regarded it as the green danger after the downfall of the red danger "the communist danger" in 1989, and reaching settlement with the yellow danger or the Chinese dragon. Some of the most remarkable abuses are occupying Afghanistan and destroying Iraq without any reasonable or legal reason.

Advocating the Prophet of the Nation (may the blessings and peace of Allah be upon him)...![1]

By: Dr. Aatef Mustafa

• The western people should understand that the word 'Islam' originates in Arabic from the word "peace".

• The Pope Benedict does not understand the reality of Islam, and did not exert effort regarding the comparative study of religions.

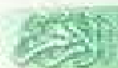
• Many neutral researchers in the West revealed the greatness of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) as well as the greatness of Islam as a creed and Shari`a. Gotha says, "I searched the history for someone that can be an idol for the whole humanity. I did not find anyone better than the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) who was able to unite the whole world by the Oneness word."

• Sigred Hønkah says, "Everything in Europe such as science, progress and improvement goes back to Islam and Muslims."

We dealt in the last issue with the events that took place in Mecca in the seventh conference about "Advocating The Prophet of the Nation (may the blessings and peace of Allah be upon him) ". Many great Muslim scholars participated in this international conference which presented thirty researches. One of these researches was presented by Dr. Abd Al-Rahman Ibn Abd Al-Aziz, the imam and preacher of the Inviolable Mosque and one of the teaching staff in the legal high studies department in the Um Al-Qura University. The name of this study is "The Campaigns of the Prophet's age."

This research included an introduction, preface and three chapters. The first chapter dealt with the Prophet's mission (may the blessings and peace of Allah be upon him), signs of prophecy and the prophets' preparation for his Message as well as his honor, merit, high rank and the necessity of honoring and respecting him.

[1] * An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

The first chapter dealt with the campaigns launched by the enemies of Islam against all of the prophets (may the peace of Allah be upon them), and the afflictions they suffered. It dealt with campaigns against the honorable Messenger in the Prophetic era, the most important of which are the campaigns of Quraysh. They accused him falsely in a way presented and denied by the Noble Qur'an to prevent the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) from informing the people with his Message. They used many methods such as disablement, negotiation, bargaining, desire arousal, boycotting, exclusion and the different campaigns of cunning and stubbornness.

The Campaigns of the Hypocrites and Jews

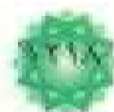
Dr. Al-Sudisy discussed throughout his research the hypocrites' campaigns against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), as he presented Al-Ahzab battle and the indications mentioned in the Noble Qur'an about it, scandalizing the hypocrites. Also, Tabuk battle reveals the malice and situations of the hypocrites against Islam as well as the mosque they built to disperse the Muslims.

Dr. Al-Sudisy dealt with the Jews' campaigns against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), as he presented five elements, the first of which is the fabrications and lies of the Jews against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), the depreciation of Qainiqa` people for the prophetic threat, then the conspiracy of Nadir people against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

The research presented many Jewish campaigns and betrayal against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) as well as the attempt of murdering him by the poisoned ewe. At last, it presented a group of the heads of the Jews who continued to insult the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

Dr. Al-Sudisy treated in the second chapter the advocacy of Allah, Glory be to Him, to the honorable Messenger and the evidences of the Noble Qur'an and blessed Sunnah for this advocacy.

The third and last chapter is specialized by Dr. Abdullah Al-Bardisy for judging those who did wrong to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). He dealt with the evidences from the Noble Qur'an, Sunnah and the majority as well as the opinion of the scholars in this issue as he referred to the Hanafy, Maliky, Shafi`y and Hanbaly attitudes.

their honeymoon may also be mentioned. All of these traditions are considered as fake prestige.

The countryside was far from these fake appearances before being connected to the urban area by media means such as press, radio and television. The media spread this tradition to the countryside as well as the urban area. The rich people in the rural areas believe their wedding days should be celebrated in the most luxurious hotels, and the poor people are the only losers. In the past, the rich people in the rural areas used to slaughter cattle in the wedding day, and the poor attend and wait for such occasions to eat the most delicious meat. This tradition has come to an end, and is substituted by going to the towns. If the capital of the governorate is not suitable, they go to the great capital, Cairo, which is the most luxurious and costs much more money.

The Beautiful Past!!

Less than a century ago; there were much better traditions. The wedding day was celebrated in the past by inviting a Sheikh with a good voice to read some verses of the Noble Qur'an instead of drums, flutes and dancing. I witnessed this phenomenon in the fifties in Upper Egypt. It reminded the people of piety and benevolence, and got them away from triviality. This is an old phenomenon that has deep-rooted origin.

The readers of Al-Helal may remember my articles in which I referred to an incredible description by the great poet Khalil Motran about a wedding party, the owner of which-a very rich man- was satisfied with holding a celebration in which Qur'an was recited by a female reciter. She had an effective voice which affected the souls of the listeners more than a singer. I mention herewith the sentences of the great poet in his unique article after mentioning the name of the owner of the celebration, and that of the great reciter, Asmahan.

"Her voice was reciting the verses like jewelry, as it was very pure. It was composing it in a way that seems preparing for what she will recite. The voice was moving from sad to happy, arousing interest and fear, restraining and promising. The more she reads, the more the listeners feel happy. All of them, belonging to high rank, were exclaiming "Allah is great."

I will not expatiate more in the saying of Khalil Motran, as I mentioned it in a previous essay. However, I wonder what deserves acclamation in such

an occasion: a good female reciter that recites the verses of the Noble Qur'an and is responded to by exclamation and acclamation, or spending much money over a party ending in impudent dancing resulting in wasting money in the most awful ways.

If this money was paid to a poor family, or a charity association that helps the needy people or distributed among the poor families in the village that bore the owner of the banquet, it would raise his rank with Allah and the people.

Moral Literacy

Months ago, I read about an amazing matter that a sociologist mentioned in a message published in one of the newspapers. A high percentage of the wives who have such huge wedding parties ask for divorce after less than a year of marriage. An accurate statistic mentioned that the percentage of the literate wives is double the percentage of the illiterate wives. What does it mean?

It means that in the first case marriage is a commercial deal not a fruit of love and respect. The few days following marriage reveal the real intention and greed of one of the spouses causing horrible dispute that can not be solved except by divorce. In the second case, it means that the literate wife, who is an employee, became conscious of the fact that she performs the tasks of the husband. If she has guaranteed income, why should she bear the costs that the greedy husband is responsible for?

In the past, people thought that the real reason for divorce is the illiteracy of the wives who were uncultured in a way that prevented them from realizing their real message in life. What will they say today when they find out that the faithful illiterate wife is the one that performs her tasks perfectly.

The Happy Family...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The expensive dowry is regarded as a serious problem that can not be limited to a certain generation. In the early thirties, financial crisis spread throughout the whole world, as it was a global problem by which Egypt was extremely affected. At this point, the dowry crisis became so obvious in a way that forced thinkers to devote themselves to it.

One of those thinkers was the great professor Muhammad Madhar Said, who studied psychology in one of the most imminent schools in England, and was a member of the British Scientific Academy. He later became the dean of the High Teachers Institute in Baghdad and psychology professor in Al-Azhar University.

He was extremely famous in seminars and newspapers. He was lucky enough to have his wife, Nazlah Al-Hakim, participating in his social attitudes. She graduated from a British university, and was appointed as a professor in the Higher Girls Institute in Egypt. They were both horrified by the aggravation of the marriage crisis.

They held a scientific seminar to present a solution for this crisis and explain what they did when deciding their happy marriage. Al-Ma`aref magazine that was issued in October, 1932 presented the summary of their attempts to solve this crisis. Professor Muhammad Madhar Said: , "The expensive dowry is the main factor in aggravating this crisis." He had agreed with MrsNazlah Al-Hakim before marriage to participate together in buying the house furniture piece by piece after marriage, which did not cost them except the necessary furniture.

They bought the other furniture pieces gradually without exhausting themselves by buying everything at once. They used to save a certain sum of money to buy a new piece necessary for their home. They estimated two years to buy all of the necessary furniture for their home without exhausting themselves.

Professor Muhammad Madhar Said proceeded to clarify his idea to be accepted by the listeners. Then, he left the stand to his wife, Professor Nazlah Al-Hakim who advocated what Professor Muhammad said, and was proud of her economical husband.

She started to criticize the necessity of the golden wedding present. She said, "Indeed it is not necessary, as it hinders marrying quickly. The one who buys that golden wedding present will need a very long time to save up the agreed upon dowry. Those who boast of the price of the golden wedding present and the expensive dowry yield to material mind and do not pay attention to the sublime spiritual meaning that should exist between the couple. She does not accept paying much money in celebrating the wedding day, as this money should be paid to make the family happy and set up a comfortable life.

Mrs. Nazlah studied previously some of the exhausting matters that cause tangible burden. She criticized giving the couple money and presents celebrating their marriage, the tradition that still exists in both poor and rich classes, as they are considered as debt that should be refunded after being squandered in unnecessary matters. The couple then find themselves obliged to refund it in an unsuitable time. This tradition is considered as debt, and the one who delays in paying it is blamed severely, as if he committed a crime.

Al-Ma`aref magazine, after publishing the above mentioned sayings stated, "If these ideas had spread, those who wanted to marry would have overcome the difficulty of collecting the dowry and the unhappiness of marital life, which still form the worst disasters."

Fake Prestige!!

The above-mentioned sayings which were said seventy years ago do not take into account the extreme progress in rash squandering. If Professor Madhar Said and the Professor Nazlah Al-Hakim had lived up to now, they would have mentioned the luxurious hotels in which the wedding party is celebrated and every invitee is determined to enjoy meals costing up to a hundred pounds. If the number of the invitees is one hundred, then the sum will be ten thousand pounds for food alone. Those who pretend to be prestigious invite the ones that do not care about them. If some of the haughty invitees do not attend, the proud inviter will lose the price of the food. They insist on inviting them to complete the fake prestige.

Then, there is the publishing in the newspapers which costs so much money, as the couple should appear in their most beautiful appearance. The name of some of the invitees and the place in which the couple will spend

and advocates' banner to Saad Ibn Ubadah. The battle ended with the victory of the Muslims and defeat of the disbelievers.

One of the captives was Juwaireyah Bint(daughter of)Al-Harith, the head of Al-Mustalaq people. She was captured by Thabit Ibn Qais and liberated by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who married her.

This incident led to liberating all of the captives of Al- Mustalaq as they were said to be "the relatives" of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

In this battle, the head of the hypocrites was known due to an incident between his wage earner and that of Omar over water. He incited his people to revolt against the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Moreover, he abused and insulted the Muslim immigrants. He asked the people of Medina not to spend money on them till they leave the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). He threatened to expel the emigratants from Medina. Zaid Ibn Al-Arqam heard the saying of Ubai and informed the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). Abdullah Ibn Ubai Ibn Sulul denied and swore that he did not say such things. Allah accused him of lying in his saying:

{They are the ones who say, "Do not expend on the ones who are in the presence of the Messenger of Allah until they break away. And to Allah belong the treasuries of the heavens and the earth, but the hypocrites do not comprehend. They say, "indeed in case we return to Al-Madinah, indeed the mightier ones will definitely drive the humbler ones out of it." And might belongs to Allah, and his Messenger, and to the believers, but the hypocrites do not know.}

[Al-Munafiqun (The Hypocrites): 7-8]

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told Zaid Ibn Al-Arqam, "Be happy, Allah accepts your words as true."

At the beginning of the Caliphate of Umar Ibn Al-Khattab (may Allah be pleased with him), the Muslim troops, being led by Abi Ubaid Ibn Al-Thaqafy, fought in Sha`ban "An-Namareq battle". They gained great victory, and the disblievers leader was captured in this battle. Some of the Prophets' companions wanted to kill him, while others wanted to release him if he surrendered. Abu Ubaidah hesitated to kill him and said, "I fear

that Allah may punish me if I kill him." As the Muslims are like one body. If some of them agreed on something, the others should also agree.

The Qiblah was turned from Jerusalem to the Kaaba in the Inviolable Mosque. The Jews and Christians regarded the participation of the Muslims in the same Qiblah as an excuse for deviating from Islam. They claimed that being directed to the same Qiblah of the people of the Book is an evidence for the truth of their religion, as their Qiblah is the preferred direction. Thus, they believed that Muhammad and Muslims should believe in the same religion of the people of the book, not ask them to believe in Islam.

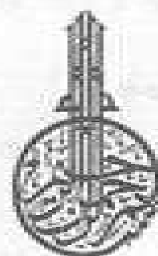
This is the way in which the people of the book thought. As for the Muslims, this matter was hard for them, as they used to glorify the Inviolable Mosque since the pre- Islamic times. They regarded the Kaaba as the symbol of their glory. However, Islam wanted the hearts of the Muslims to be true and pure for the sake of Allah and to believe that Allah and His Messenger are the most beloved people. Islam wanted to get rid of adherence to any other one.

Allah chose the direction to Al-Aqsa Mosque to let the Muslim get rid of the effects of the pre-Islamic era. Then, Allah ordered the Muslims to be directed to the Inviolable Mosque in Mecca.

Allah, Glory be to Him, says:

{We have already seen the turning about of your face to heaven; so We will indeed definitely turn you towards a Qiblah that shall satisfy you. So turn your faces towards the inviolable Mosque, and where you are, then turn your faces towards it. And surely the ones to whom the Book was brought do indeed know that it is the Truth from Their Lord; and is Allah in no way ever heedless of whatever they do.}

[Al-Baqarah (The Cow): 144]



AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban, 1428 A. H.

ENGLISH SECTION
September, 2007

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Merit of The Month of Sha`ban...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) cared about Sha`ban in such a way that he fasted in most of its days.

"Al-Bukhary, Muslim and Ahmad Ibn Hanbal narrated that the Lady `Aishah, mother of the faithfuls (may Allah be pleased with her) said, "The prophet was fasting in Sha`ban more than in any other month, as he was fasting the whole month."

It can be said that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) fasted the whole of Sha`ban in some years. In other years he fasted most of its days, so as not to let the Muslims believe that fasting of Sha`ban is obligatory like Ramadan.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) aimed by fasting it wholly or mostly at emphasizing the importance of this month.

This was mentioned by Abu Dawud and An-Nesa'y about Usamah Ibn Zaid (may Allah be pleased with both of them). He said, "I told the Prophet, 'I have never seen you fasting in any month more than Sha`ban." The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said that this month is neglected by the people as it is in between Rajab and Ramadan. "In this month, the deeds of the people are lifted up to Allah, and I would like my deeds to be lifted up while I am fasting." This means that the people bypass glorifying Sha`ban by fasting as they do in Rajab and Ramadan.

There are many important incidents that occurred in this great month and had a great effect, one of which is Almurayseei battle. In Sha`ban in the sixth year of the hijra , the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was informed that Al-Harith Ibn Abi Dirar, the head of Al-Mustalaq people, has led his followers to fight the Muslims.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) asked the Muslims to fight him. They, in turn, responded to him, and some of the hypocrites came out with them. This incident occurred on Monday, 3rd of Sha`ban. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) met his companions giving the immigrates' banner to Abu Bakr As-Seddiq,

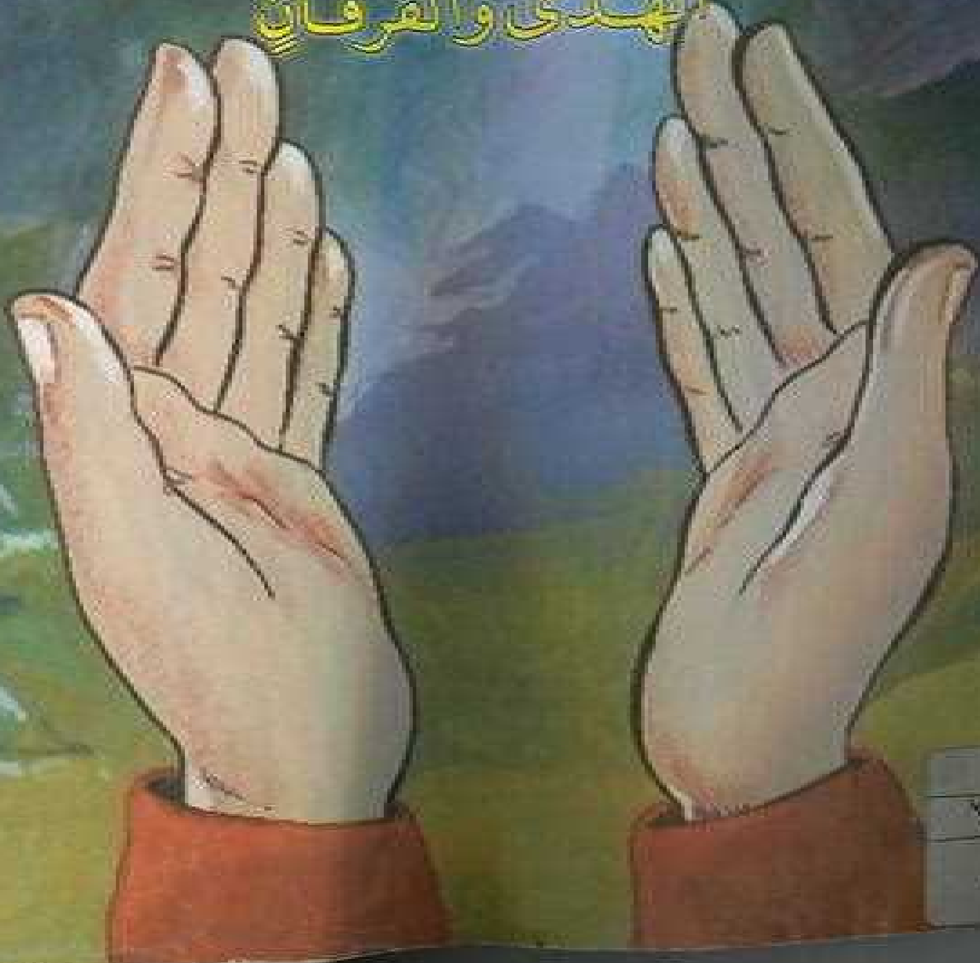
الفهـــــرس

هدية العدد
كيف نواجه الشدائد والمخاوف
في ضوء القرآن والسنة

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية
رمضان ١٤٢٨هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٧ - الجزء ٩ - السنة ٨٠

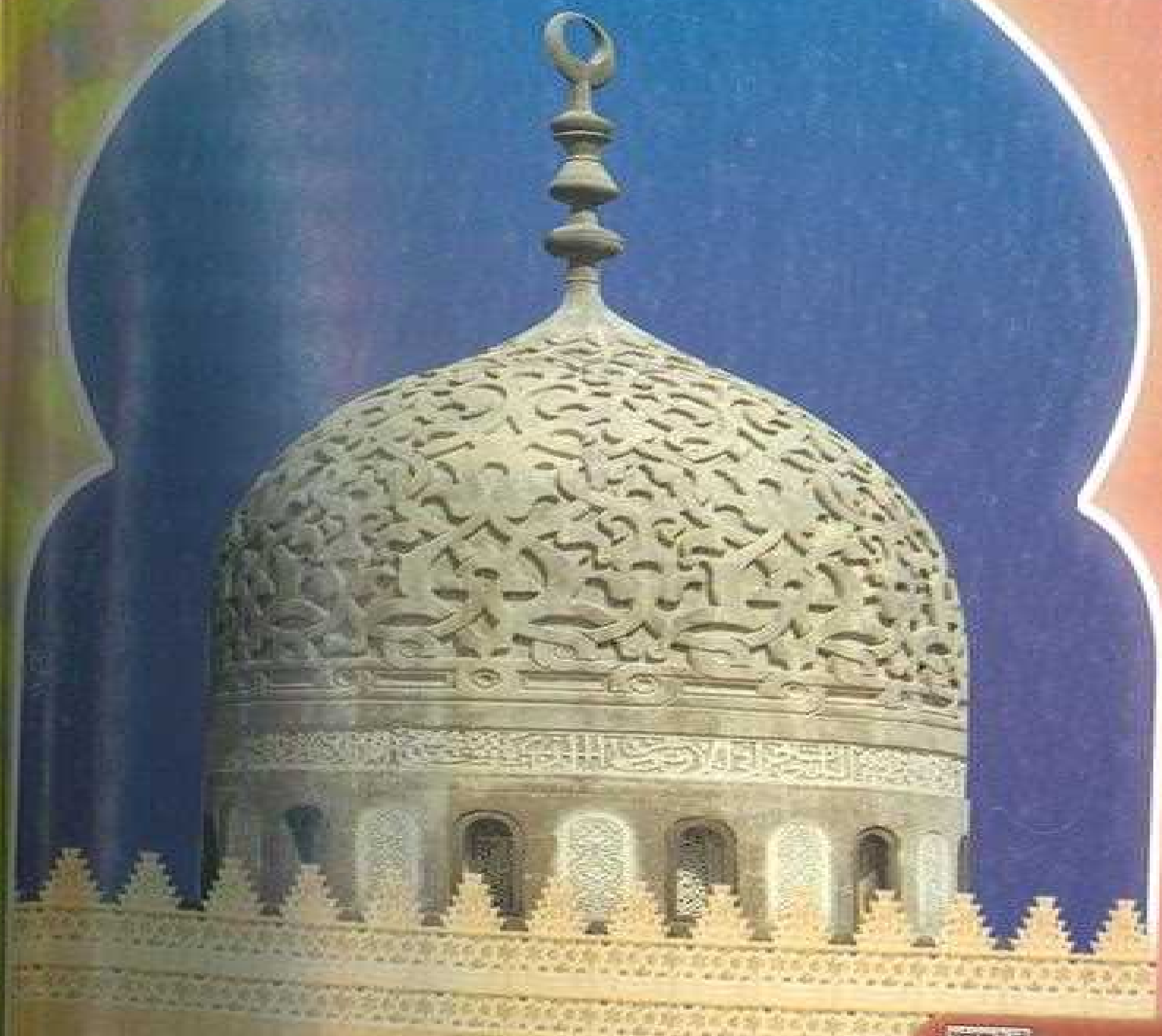
شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ
ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ



VOL. 80 , Part IX. (رمضان ١٤٢٨هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٧م - الجزء (٩) السنة (٨٠))

AL AZHAR MAGAZINE

Ramadan, 1428 A.H. Sep./Oct. 2007
Vol. 80. Part IX.



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوروبا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٦٣٨٥٥٩٩

رمضان ١٤٢٨هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٧م - الجزء التاسع - السنة الثمانون

الدروس الدينية فى شهر رمضان

الإمام المراغى فارس الحلبة

كانت المساجد منذ نشأة الإسلام مدارس عامة، تلقى فيها المواعظ ويتلى فيها القرآن بقراءاته المتعددة تعليماً وتثقيفاً، وقد نشأت المذاهب الفقهية فى حلقات هذه المساجد، فسجلت مجدا علميا رائعاً، قبل أن تنشأ المدارس لتقوم بدورها فى دراسة العلوم على نحو منضبط منظم، وفى مصر كانت مساجد عمرو بن العاص وابن طولون والأزهر وغيرها مدارس ذات جداول وأساتذة ومواد، كما عرف عصر المماليك بتولية كبار العلماء خطبة الجمعة بمرسوم سلطانى، وكان كبار الفقهاء يعدون الخطبة الأسبوعية والدرس الدينى موضع اعتزاز ومباهاة، حتى جاء العصر العثمانى فانطفأ بريق العلم، ورفعت الدولة يدها عن التعليم، فكانت المساجد لا تجد إلا المتطوعين ممن يحملون أمانة العلم لتؤدى للعامة والخاصة ابتغاء وجه الله، حتى تبدل الحال فى هذا العصر، فازدهرت الدروس الدينية بالمساجد ازدهاراً حميداً، ورأينا كبار العلماء يتطوعون بإلقاء الدروس فى شهر رمضان، ولهم جمهورهم الغفير فى كل مسجد، وأذكر أن الشيخ محمد بخيت المطيعى المفتى الأسبق كان يلقى درس العصر فى رمضان بالمسجد الحسينى، وكان الشيخ يوسف الدجوى يلقى درس العشاء بالجامع الأزهر، وكان الشيخ السمالوطى يلقى درسه قبيل الفجر فى المسجد الزينبى وثلاثتهم أعضاء فى جماعة كبار العلماء بالأزهر، وفى الناس من يتابع هذه الدروس الثلاثة يوميا فينتقل من مسجد إلى مسجد حتى يحصل على أكثر ما يستطيع من العلم المتاح، لذلك كان رمضان لدى الناس شهر العلم كما هو شهر القرآن، وكانت فرحة الصائمين بدروسه تعادل فرحتهم بصومه، واعتقاد المثوبة فى الاستماع مما يحفزهم على المواصلة دون انقطاع:


المراغى


محمد فريد

ولكن هذه الدروس الدينية قد بلغت أوجها الرفيع فى عهد الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى، حيث كانت دروسه مطمح الأنظار، إذ يحضرها جلالة الملك فاروق ورئيس الوزراء، وكبار الصفوة من العلماء والمثقفين، ومن العامة أيضاً، وكنت ترى السجاد مفروشاً خارج المسجد إلى مدى فسيح، وقد ازدحم الناس فى محيطه حين ضاق بهم المسجد وصوت الميكروفون يدوى بأداء الإمام، والإذاعات العربية فى عواصمها المختلفة تنقل الحديث الدينى كما تنقله إذاعة مصر، والجرائد اليومية تنشر ملخصاً وافياً لما قيل، أما المجلات الدينية فتنشر النص بأكمله! وقد جمع كثير من هذه الدروس فى كتاب قيم أصدرته دار الهلال وتعددت طبعاته مرات!

وكيلا يظن بى القارئ إسرافاً فيما أدونه فإننى أنقل إليه ما كتبه الكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى حول هذه الدروس بالمجلد الثامن من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٦هـص٦٤٢ حيث قال من مقال مستفيض ننقل منه ببعض التصرف:

«إن السنة الكريمة التى سنها حضرة صاحب الجلالة الملك الفاروق فى الاستماع إلى الدروس الدينية تعتبر بحق حادثاً جللاً فى العالم الإسلامى الحديث وسيكون من آثارها المباشرة يقظة العاطفة الإسلامية فى نفوس الأمم الآخذة بهذا الدين والرغبة فى استجلاء روحه الصحيحة وأصوله العالية القويمة، ولما كان هذا لا يمكن أن يكون إلا من طريق التناسب العقلى، والترابط العلمى بين الناس فسيثمر هذا الجهد انقلاباً فى وسائل الفهم، وطريقة تجلية الأغراض الإسلامية.

وقد قام الإمام المراغى بما اعتبر تجديداً باهراً فى حسن الأداء وجمال البيان، وجلال الموضوع، إذ جال فى نواح شتى مما يهم النفوس من أسرار الدين، وأصوله العلمية وفيما له صلة بالعالم الإنسانى ومراميه الأدبية، فبين فضيلته الأسباب الداعية إلى ما كان من انفصام وحدة المسلمين، ووقوع الشقاق بينهم، فعلى المسلمين أن يدركوا ما تعنيه هذه النزعة الشريفة، وإن هذه الدعوة إن لم تثمر ثمرتها اليوم فستحقق غداً»

ولعل القراء على ذكر من مقال لى سبق أن نشرته بمجلة الهلال، أرد فيه على كاتب فاضل ظن أن أحاديث المراغى كانت للدعاية الحزبية فأثبت له نقيض ما قال، وقلت إن من حسن الحظ فى بيان الحقيقة، أن الأحاديث دونت بكاملها فى مجلة الأزهر فى حين إلقائها وليس بها ما يشم منه رائحة التحزب، كما ليس من المعقول أن يجعل إمام المسلمين كتاب السماء ومسجد الرحمن أداة لتوجيه حزبى، وها هو التفسير منتشر ذائع! وهو الوثيقة التى تمحق الاتهام.

ولعل مما ينطق بالحجة البيضاء في هذا الصدد أن الإمام في درسه الذي ألقاه في رمضان سنة ١٣٦٣ هـ مفسرا قول الله - عزوجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

سورة النساء: «٥٩»

قد قال إن معنى أولي الأمر أنهم أهل البينة من العلماء والفقهاء والأمراء الذين يمثلون الأمة الإسلامية تمثيلاً صحيحا بعيداً عن الهوى والغرض وعن سائر المؤثرات، ويمثلون طوائفها المختلفة، فهم أصحاب الكفاية في الرأى والتشريع وأهل الدراية بمصالح الأمة وما يوافقها! هذا ما قاله الإمام على مسمع من جلالة الملك وحاشيته ووزرائه! فلم يقل إن ولى الأمر هو الملك أو رئيس الوزراء! بل جعل الطاعة لأعلام الأمة الذين يمثلون كيانها، وهم بعد أصحاب الكفاية في الرأى والتشريع.

لم يشأ الإمام المراغي أن تكون الدروس الدينية في مسجد الأزهر وحده، بل رأى أن تلقى هذه الدروس في المساجد المختلفة بالقاهرة والإسكندرية ليكون لساكني الأحياء الشهيرة حظهم من الاحتفاء، حين يجدون جلالة الملك ووجهاء الدولة يقصدون مسجدهم الذي يعتزون بإقامة الشعائر به، وكان صدى هذا التوجيه الشعبي النبيل، أن أهالي كل مسجد، قد أقاموا مظاهر الاحتفال الباهرة ليلة الدرس الديني، فأضاءوا الثريات الكهربائية حتى أصبح الليل نهارا يأتلق بالشمس، ونصبوا الأبسطة والسجاجيد في نواحي المسجد الأربع، وخيوط الكهرباء تمتد من الأعلى فتلقى أثراً من الارتياح النفسي لدى كل ناظر، وقد حرص أكثر الحاضرين على أن يصحبوا أولادهم في أحسن زينة، ولا يوجد حرس ملكي يمنع من أراد الدخول، إذا كان الفراغ متسعا - أما وقد ضاق المسجد الرحيب عن قاصديه، ففي الخارج متسع لمن يجلس مطمئنا فوق البسط والسجاجيد، وأستشهد الآن بالدروس الدينية التي ألقيت في رمضان سنة ١٣٥٦هـ حيث بدئ الدرس الأول مساء الخميس في الثامن من الشهر الكريم بمسجد البوصيري بمدينة الإسكندرية، وتلاه الدرس الثاني بمدينة القاهرة في مساء يوم الجمعة السادس عشر من رمضان بالمسجد الحسيني الشريف، وجاء الدرس الثالث مساء يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان بمسجد أبي العلاء بالقاهرة، ثم الدرس الرابع في مساء الخميس التاسع والعشرين من رمضان بمسجد السلطان الحنفي بالقاهرة، وهذا نمط من عام واحد تتابعت بعده الأعوام، لتكرر نماذج هذه الدروس في مساجد شتى ولو تتبعناها بالتفصيل لتشعب الحديث!

وإذا كان الإمام المراغي حريصاً على الوحدة الإسلامية بين شتى الدول الإسلامية، فقد دعا إلى نبذ مسائل الخلاف المذهبي دعوة صريحة، وأعلن أن الأصول العامة هي مجال الاتفاق وأما الفروع فأمرها سهل، إذ لكل وجهة هو موليها، ولكن قوما ممن تضيق عقولهم عن استيعاب هذه البدهيات، قد جنحوا للخلاف وأفسحت لهم الصحف الهابطة مجال اللجاج دون أن يعرف القائمون على تحريرها مناط الخلاف، وموضع الشقاق، لذلك تأثر طلاب الأزهر إذ ضاقت صدورهم بما يروج من الأفك، واتجهت وفود من كليات الشريعة وأصول الدين واللغة العربية إلى مقر المشيخة تعلن تأييدها المطلق لما يدعو إليه الشيخ الأكبر وتستنكر أن يقوم مسلم بهذا العبث المريض، وقد نشرت مجلة الأزهر إذ ذاك

بعض كلمات كبار الأساتذة التي ألقيت في لقاء الأستاذ الإمام معلنة خالص الابتهاج بالبيان المشرق الذي استفاد منه كل سامع، وكان الرجل الكبير متواضعا كل التواضع حين قال رداً على ما سمع:



محمد عبدالله دراز — محمد متولى الشعراوى

«أما الدروس الدينية فإني أعتقد أن إخلاصكم لي ومحبتكم إياي أكبرت من شأنها عندكم بأكثر مما تستحق، فهذه الدروس كانت شرحاً لبعض الآيات الكريمة، قصدت به أن يكون في المستوى الذي يفهمه الجمهور، لا في المستوى الذي يستفيد منه العلماء، فإذا قابله الجمهور بالحمد والاطمئنان والرغبة في الزيادة فإني أصدق ذلك، وأحمد الله عليه وعلى أنهم أفادوا منه، أما إذا سمعت منكم أن هذه الدروس كانت محل إفادة العلماء فهو ما أحمله على الظن وعلى محمل إخلاصكم ومحبتكم لي وأحمد الله على ذلك أيضا».

وقال الإمام في وفد آخر:

«أعتقد أننا في بداية الطريق، وأقول لكم إن القيام بنشر دين الله لا يكفي فيه المجهود الفردي، وإنما يحتاج إلى تضافر جهود المسلمين وأولي الرأى جميعا، وإنه ليسرني منكم هذا الشعور الذي جعلني أعتقد أن مهمة نشر الدين تحل المحل اللائق بها وأنها آخذة في الازدياد».

أما أثر هذه الدروس فيما جد بعدها من كتب التفسير الحديث فواضح وملحوظ؛ لأن قراءة ما كتبه الأساتذة: محمد عبدالله دراز، وسيد قطب، ومحمد متولى الشعراوى، والجبالي، توحي بتأثير الإمام في خطراته الاجتماعية ونظراته الأسلوبية، وإذا كان هؤلاء قد توسعوا في منحاهم الفكري، فذلك لا يغفل أثر البذرة في نماء الشجرة، ومما يعلي قدر هذه الدروس أنها كانت بلسان عربي مبين، لم تلوثه العامية التي يصطفيها بعض الواعظين في التفسير بدعوى أنها تساعد على إجلاء المعنى وتقريبه للقراء، والشيخ الشعراوى قد ألغى هذا النمط في درسه الإذاعي، ولكنه فيما طبع من أجزاء التفسير قد ارتقى بالأسلوب إلى مستوى عال - رحمه الله - أما إلقاء الإمام فكان كالجدول المنساب رقراقا هادئا، شفافا عما يحمل من اجتهاد وتحليل، وسأنقل للقارىء نموذجين من تفسيره يوضح أولهما منحاه البياني في تقريب الصورة الأدبية إلى الأذهان دون اصطناع لمصطلحات البلاغة التي تضر هنا أكثر مما تنفع! لقد وقف الأستاذ عند قوله - تعالى:

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

«الحديد / ٢٠»

فقال ببعض التصرف:

«فى الدنيا لعب ولهو يتفكه الناس بهما وأكثر ما يكون الأول للصبيان، وأكثر ما يكون الثانى وهو الزينة للنساء ومن فى حكمهن من الرجال، وفيها تفاخر بالأنساب والمقدرة، وغيرهما من الصفات، وفيها مباراة فى الإكثار من المال والولد، وكل هذه عرضة للتبدل والزوال ويغلب أن تقع الحسرات بعد اللهو والللذات وقد ضرب الله مثلاً للدنيا فى سرعة تقضيها وقلة جدواها، وفى بهجتها عند إقبالها وعبوسها عند إدبارها، فقال إنها كالنبات يستوى على سوقه ويخضر ويعجب به الزراع ثم يجف ويصفر ويصير هشيما وحطاما متكسرا، ففى الطور الأول جمال وسحر وفتنة للناظرين، وبهجة للنفس والعين، وأنس لا يقدر قدره، لكن هذا الطور لا يدوم، بل ينقضى بسرعة ويحل الطور الثانى وفيه يزول الجمال والسحر والفتنة ثم لا تبقى من الأعواد البديعة غير حطام لا تستريح له النفس وتزروه الرياح، وقد قال سعيد بن جبير: «الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة. أما إذا دعتك إلى رضوان الله فنعم المتاع»..

ثم انتقل الأستاذ الإمام إلى ما بعد هذا النص ليبرز ترابطه العضوى بما قبله فأتى بالجديد الطريف، ولا أستطيع أن أنقل هنا ما قال!

أما النموذج الثانى فأنقل بعضه للدلالة الاجتماعية التى يحرص على إيضاحها، فقد شرح قول الله عزوجل

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا
لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

«الفرقان ٦٧»

فتوسع توسعا شافيا فى الرد على من يحرمون الطيبات، واستشهد بنصوص صريحة من محكم الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ثم قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»، وقد قال ابن عباس: «كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت إذا أخطأك اثنان السرف والمخيلة»، والمخيلة هى الخيلاء والكبر فقد نهى الله عن ترك الطيبات تنسكا وعبادة، وطلب عدم تجاوز الحد إلى الإسراف وفى الرجوع إلى الهدى المحمدى تبصرة ونور وضياء، عن ابن عباس قال: «رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل وقد لبس الإزار والرداء والجبة ولبس فروة مكفوفة بالسندس، وكان له جبة طيلسانية خسروانية وكان بردان أخضران وكساء أحمر، وكان يُحب فى الطعام الحلوى، وقد أكل الضأن والدجاج والجزور، وأكل الشواء والرطب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوبا وشرب نقيع التمر، وكان لا يشرب إلا النظيف العزب، ويحب البارد الحلو.

هذا هدى القرآن والهدى المحمدى فى تناول الطيبات، فمن تركها زهدا وعبادة فلا حق له، ومن بخل على نفسه وعلى غيره وعشيرته فلا حقّ له، ومن اتبع القوام فهو من عباد الرحمن»

وبعض الذين تحدثوا عن هذه الدروس التوجيهية الهادفة، ذكروا أنها قبس من روح الإمام محمد عبده

حيث كانت دروسه الرائعة فى تفسير كتاب الله بالرواق العباسى تجديداً صريحاً فى تناول كتاب الله والبحث عن هديه الإصلاحى، وتجديد الرسالة الإسلامية فى إنقاذ البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، مع البعد عن المماحكات اللفظية، والاعتراضات الجدلية التى تغشى ضياء الوحى القرآنى لدى كثير من المفسرين فتحجبه عن العقول، وهذا حق لا شك فيه، والإمام المراغى تلميذ الإمام محمد عبده، وحامل راية الإصلاح الدينى من بعده، إذ بلغ بالأزهر مبلغا ارتفع به إلى مستوى الجامعات المعاصرة حين دعا إلى إنشاء الكليات، وتطوير مناهج التعليم الدينى، وهو - رحمه الله - يعترف بأثر الإمام محمد عبده وقوة تأثير دروسه الدينية، وأفكاره التوجيهية، يقول الإمام المراغى عن أستاذه الكبير ودروسه القرآنية الهادية: «كانت دروس الشيخ كالغيث، أما البلد الطيب فقد خرج نباته بإذن ربه، وأما البلد الخبيث فقد خرج نباته نكدا، وكانت دروسه مثلاً عاليا فى طريقة الإلقاء والتفهيم، وفى العبارات الفصيحة المتخيرة النافذة إلى أعماق القلوب، وكانت دائرة معارف يجد فيها اللغوى حاجته والفقيه رغبته، والمتكلم بغيته، ويجد علماء الاجتماع بها تطبيق آى القرآن على معارفهم، وكانت صرخاته المدوية منبهة للغافل، ومحركة للجامد، وكانت عاصفة قوية هزت الأشجار الباسقة القوية، فسقطت أوراقها الذابلة ثم أورقت، أما الشجيرات الضعيفة والحشائش الدنيئة فاقتلعت منها ولم تنتفع بها».


محمود شلتوت

وبعد، فيطيب لى أن أشير إلى شئ له أهميته المعاصرة بمناسبة الحديث عن تفسير الإمام المراغى، حيث إن القنوات الفضائية والإذاعات اللاسلكية قد زاد انتشارها، وعظم خطرها، وهى تفسح مجالاً واسعاً للأحاديث الدينية، والتفسير القرآنى فى طليعتها، وقد تختار من المتحدثين من يجيد القول، فيشبع السامع بما يفتح الله به عليه، ولكن كثيرا ممن يتصدرون للقول فى تفسير كتاب الله بهذه المنافذ القوية التأثير، البعيدة الصيت يضلون السبيل بما يسوقونه من أفكار تشتط حيناً، وتضعف حيناً، وفيهم من يتطلب الشالة بعرض آراء واهية قال بها القدماء، وهى منقودة داحضة، وهذه الآراء ليس مكانها القنوات والإذاعات، لأنها تحتاج إلى تمحيص دقيق فى الصحف الدينية المتخصصة حتى تكشف الرغوة عن الصريح، وأنا أدعو هؤلاء وهم فى مجال الدعوة إلى سبيل الله أن يقرءوا ما كتبه الإمام المراغى ليحاولوا أن ينهجوا نهجه المستنير، فإن أحاديثه الساطعة، تقدم المثال النادر لما يجب أن يطالع به جمهور السامعين، ومن الأسف أن بعض مقدمى هذه الأحاديث من موظفى الإذاعة يفرطون فى الثناء على ما يقال بدءا وخاتمة، حتى ليتوهم الغافل أنه سمع من الرأى ما لا معقب من بعده، وهى جهالة تتدرج على جهالة، فتكون ظلمة فوق ظلمة، فإذا جعلنا أحاديث المراغى ومن تبعه بإحسان محمود شلتوت وعبد الوهاب خلاف ومحمد عبدالله دراز أمثلة تحتذى، فإننا نسير بالسفينة إلى الشاطئ المأمول فى سلامة واطمئنان!

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الآيات: ١٤٦ : ١٤٨)

ثم بين - سبحانه - ما كان عليه أتباع الأنبياء السابقين من إيمان عميق، وعزم وثيق، حتى يتأسى بهم كل ذى عقل سليم، فقال - تعالى -:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾

وكلمة ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ مركبة من كاف التشبيه وأى الاستفهامية المنونة، ثم هجر معنى جزأيها وصارت كلمة واحدة بمعنى كم الخبرية الدالة على الكثير.

ويكنى بها عن عدد مبهم فتفتقر إلى تمييز بعدها وهى مبتدأ: وجملة ﴿ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ ﴾ خبرها.

والربيون جمع ربى، وهى العالم بربه، الصادق فى إيمانه به، المخلص له فى عبادته نسبة إلى الرب كالربانى.

قال القرطبى ما ملخصه: والربيون - بكسر الراء - قراءة الجمهور وقرأها بعضهم بضم الراء وقرأها بعضهم بفتحها والربيون: الجماعة الكثيرة نسبة إلى الربة - بكسر الراء وضمها - وهى الجماعة.. ومنه يقال للخرقة التى تجمع فيها القداح: ربة. وربة والرباب: قبائل تجمعت.

وقال ابن عباس: ربيون - بفتح الراء - منسوب إلى الرب.

وقال الخليل الربى - بكسر الراء - الواحد من العباد الذين صبروا مع الأنبياء، وهم الربانيون نسبوا إلى التأله والعبادة ومعرفة الربوبية لله - تعالى -[1] وقوله:

﴿ فَمَا وَهَنُوا ﴾ من الوهن وهو اضطراب نفسى، وانزعاج قلبى، يبتدئ من داخل الإنسان، فإذا وصل إلى الخارج كان ضعفا وتخاذلاً.

والمعنى: وكثير من الأنبياء قاتل معهم مؤمنون صادقو الإيمان من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، وأصيبوا وهم يقاتلون بما أصيبوا من جراح وآلام:

﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

أى فما عجزوا أو جبنوا بسبب ما أصابهم من جراح، أو ما أصاب أنبياءهم وإخوانهم من قتل واستشهاد لأن الذى أصابهم إنما هو فى سبيل الله وطاعته وإقامة دينه، ونصرة رسله.

وقوله: ﴿ وَمَا ضَعُفُوا ﴾ أى: عن قتال أعدائهم وعن الدفاع عن الذى آمنوا به وقوله:

﴿ وَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ أى ما خضعوا وذلوا لأعدائهم.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد نفى عن هؤلاء المؤمنين الصادقين ثلاثة أوصاف لا تتفق مع الإيمان:

- نفى عنهم - أولاً - الوهن وهو اضطراب نفسى، وهلع قلبى، يستولى على الإنسان فيفقده ثباته وعزيمته.
- ونفى عنهم - ثانيا - الضعف الذى هو ضد القوة، وهو ينتج عن الوهن.
- ونفى عنهم - ثالثاً - الاستكانة وهى الرضا بالذل وبالخضوع للأعداء ليفعلوا بهم ما يريدون.

وقد نفى - سبحانه - هذه الأوصاف الثلاثة عن هؤلاء الثلاثة المؤمنين الصادقين مع أن واحداً يكفى نفيه لنفيها لأنها متلازمة - وذلك لبيان قبح ما يقعون فيه من أضرار فيما لو تمكن واحد من هذه الأوصاف من نفوسهم.

وجاء ترتيب هذه الأوصاف فى نهاية الدقة بحسب حصولها فى الخارج، فإن الوهن الذى خور فى العزيمة إذا تمكن من النفس أنتج الضعف الذى هو لون من الاستسلام والفشل. تكون بعدهما الاستكانة التى يكون معها

(١) تفسير القرطبى جـ ٤ ص ٢٣

الخضوع لكل مطالب الأعداء وإذا وصل الإنسان هذه المرحلة فى حياته كان الموت أكرم له من هذه الحياة.

وقوله:

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾

تذييل قصد به حض المؤمنين على تحمل المكاره وعلى مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره من أجل إعلاء دينهم حتى يفوزوا برضا الله ورعايته كما فاز أولئك الأنقياء الأوفياء.

أى والله - تعالى - يحب الصابرين على آلام القتال، ومصاعب الجهاد، ومشاق الطاعات وتبعات التكاليف التى كلف الله - تعالى - بها عباده.

ثم أتبع - سبحانه - محاسنهم الفعلية، ببيان محاسنهم القولية فقال - تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

أى أن هؤلاء الأنقياء الأوفياء الصابرين ما كان لهم من قول فى مواطن القتال وفى عموم الأحوال إلا الضراعة إلى الله - بثلاثة أمور:

- أولها: حكاه القرآن عنهم فى قوله:

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾

أى: أنهم يدعون الله - تعالى - بأن يغفر لهم ذنوبهم ما كان صغيرا منها وما كان كبيرا: وأن يغفر لهم:

﴿ وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾

أى ما تجاوزوه من الحدود التى حدها لهم وأمرهم بعدم تجاوزها.

- وثانيها: حكاه القرآن عنهم فى قوله:

﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾

أى اجعلنا يا ربنا ممن يثبت لحرب أعدائك وقتالهم ولا تجعلنا ممن يوليهم الأدبار.

- وثالثها: حكاه القرآن عنهم فى قوله:

﴿ وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

أى اجعل النصر لنا ياربنا على أعدائك وأعدائنا الذين جحدوا وحدانيتك، وكذبوا نبيك وضلوا ضلالا بعيدا.

وتأمل معى - أخى القارئ - هذه الدعوات الكريمة تراها قد جمعت ما جمعت من صدق اليقين، وحسن الترتيب.

فهم قد التمسوا - أولا - من خالقهم مغفرة ذنوبهم والتجاوز عما وقعوا فيه من أخطاء، وهذا يدل على سلامة قلوبهم وتواضعهم واستصغار أعمالهم مهما عظمت أمام فضل الله ونعمه.

ثم التمسوا منه - ثانيا - تثبيت أقدامهم عند لقاء الأعداء حتى لا يفروا من أمامهم.

ثم التمسوا منه - ثالثا - النصر على الكافرين وهو غاية القتال، لأن الانتصار عليهم يؤدى إلى منع وقوع الفتنة فى الأرض، وإلى إعلاء كلمة الحق.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾

هذا القول، وهو إضافة الذنوب والإسراف

إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا. والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام فى مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع وهو أقرب إلى الاستجابة (٢).

وكان هنا ناقصة، وقوله ﴿ قَوْلَهُمْ ﴾: بالنصب خبرها واسمها المصدر المتحصل من «أن» وما بعدها فى قوله: ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا ﴾ والاستثناء مفرغ.

أى: ما كان قولهم فى ذلك المقام وفى غيره من المواطن إلا قولهم هذا الدعاء أى هو دأبهم وديدنهم.

ثم بين - سبحانه - الثمار التى ترتبت على هذا الدعاء الخاشع والإيمان الصادق والعمل الخالص لوجهه - سبحانه - فقال:

﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

والفاء فى قوله: «فآتاهم» لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

أى أن هؤلاء الذين آمنوا بالله حق الإيمان وجاهدوا فى سبيله حق الجهاد، لم يخيب الله - تعالى - سعيهم ولم يقفل بابه عن إجابة دعائهم، وإنما أعطاهم الله - تعالى - ثواب الدنيا من النصر والغنيمة وقهر الأعداء، وصلاح الحال.

كما أعطاهم حسن ثواب الآخرة بأن منحهم رضوانه ورحمته ومثوبته. وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن للتنبيه على عظمته وفضله ومزيته، وأنه هو المعتد به عنده - تعالى - لأنه غير زائل، وغير مشوب بتنغيص أو قلق.

وقوله:

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

تذييل مقرر لمضمون ما قبله، فإن محبة الله - تعالى - للعبد مبدأ كل خير وسعادة.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد قررت فى مطلعها حقيقة ثابتة، وهى أن محمدا - ﷺ - بشر من البشر، وأنه يموت كما يموت سائر البشر وأن رسالته لا تموت من بعده بل على أتباعه أن يسيروا على طريقته وأن يحملوا من بعده عبء تبليغ تعاليم الإسلام الذى جاء به ثم قررت بعد ذلك أن الآجال بيد الله وأن الحذر لا يمنع القدر وأن أحدا لن يموت قبل انتهاء أجله، ومادام الأمر كذلك فعلى المؤمنين أن يجاهدوا الكفار والمنافقين وأن يغلظوا عليهم.

ثم ذكرت الناس بعد ذلك بما كان من أتباع الرسل السابقين من إيمان عميق وجهاد صادق وثبات فى وجه الباطل ودعاء مخلص خاشع.. حتى يتأسى بهم فى أقوالهم وأعمالهم كل ذى عقل سليم.

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤٢٤.

الكلمة الطيبة عدة الإصلاح وذخيرة الفلاح

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم».

الشرح والبيان

يقول ربنا -سبحانه- في محكم كتابه:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾

سورة إبراهيم الآية ٢٤ :٢٦

فما الكلمة الطيبة؟

هي قول لا إله إلا الله، أو هي الذكر والتلاوة والدعاء، أما الطيب من القول فقد قيل إنه القرآن الكريم، وقيل إنه الأذكار المشروعة، ونستطيع أن نقول إن المراد بالكلم الطيب أعم وأوسع، وكذلك القول الطيب فهو الكلم الذى يستطيبه السامع ويسر به كما جاء في حديث البخاري «رحمه الله» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات» ومن ثم مثلها الله «عز وجل» بالنخلة إذ ينتفع بكل ما فيها من خوص وليف وثمر، كذلك الكلمة الطيبة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة فكما، أن الشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع، فإن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والكلمة الطيبة تصدر من الطيبين، قال -تعالى:

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾

الحج: ٢٤

وهو قولهم:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾

الزمر: ٧٤

حيث يلهمهم الله ذلك في الآخرة، إذ ليس في الجنة لغو ولا كذب فيما يقولون، أما القول الخبيث فقد يصدر من المؤمن ومن الكافر، فللمؤمنين الحسن وللكافرين السيئ، لأنك حين تسمع كلمة خبيثة من الرجل الصالح تقول: غفر الله لفلان، ما هذا من خلقه، ولا من شيمه ولا مما يقول، قال تعالى:

﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾

(النور:٢٦)

لكن الزلل قد يكون.

فالكلمة الطيبة إذا لفظ عف، وقول حق، ومعنى كريم تنبع من فطرة سليمة وقلب طاهر وعقل سديد، وينشرها لسان صادق رجاء الخير والصالح العام، وهي أعظم تحفة تهدى لكل عزيز، وأفضل قربى يتقرب بها المخلصون إلى السميع البصير. قال رسول الله ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص «ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى» رواه البيهقي في الشعب.

سماها الله الحكمة

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(البقرة:٢٦٩)

والحكمة هي الإصابة في القول، وفي الفعل، كما سماها الموعظة الحسنة وأمر رسوله ﷺ أن يتزود بها في تبليغ شريعته وتوصيل دعوته، فقال -تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

النحل: ١٢٥

وأمر المؤمنين أن يتسلحوا بها لتقرير الحق وتثبيت العدل ونشر الخير، فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾

الأحزاب: ٧٠

ورتب عليها أعظم الجزاء، فقال:

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

الأحزاب: ٧١

ومن آثارها الطيبة أنها تحل كل مشكل وتسهل كل صعب وتيسر كل عسير، لذلكم رفع الله شأنها، وعظم أهلها وأحلهم بها الفردوس الأعلى، قال -تعالى:

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

النساء: ١١٤

فلمن طاب كلامه غرف مخصوصة فى الجنة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل «رحمه الله» فى مسنده عن عبدالله بن عمرو -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبوموسى الأشعرى -رضى الله عنه: لمن هى يا رسول الله؟ قال: لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائما والناس نيام».

كما أن الكلمة الطيبة تزيل العداوة وتحل محلها الصداقة، فهى مقروءة كانت أو مسموعة لها من التأثير مالها، فكم أوقفت حروبا وصانت دماء وأعراضا وأموالا، وكم قضت على عداوات وخصومات، وكم نشرت من أمن وسلام، وكم أسعدت أرامل وأيتام، وأنقذت شيوخا ضعافا، وكم شيدت مساجد ومصانع، وكم فتحت مدارس وملاجئ، وكم نشرت من دعوات وهذبت من طباع، وطهرت من نفوس، كم حلبت من حرية واستقلال وأمن وأمان وسلم وسلام وسعادة ورخاء! اقرأوا التاريخ واستنطقوا الكتب واستفهموا من زعماء الثورات الإصلاحية لتعلموا أن الكلمة الطيبة لها من التأثير عجب عجاب، فهى عدة الإصلاح، وذخيرة الفلاح وطريق النجاح، إنها دواء الأمراض الاجتماعية، إنها الحل لمشاكل الأفراد والجماعات والأمم، إنها نور على الطريق يهدى السائرين فى موكب الحياة، فما بعث الله نبيا بجيش يحمى دعوته أو عصبية تناصر شريعته، وإنما بعثه بالكلمة الطيبة يدعو بها فتملك القلوب وتسيطر على النفوس وتكبح جماح الشارد منها، وتقيم الأمة الموحدة لله رب العالمين فهى المال والسلاح والرجال إن عز المنال، هى وسيلة المرسلين لنشر الدين وذخيرة المصلحين لبرامج الإصلاح فى كل حين، يحتاج إليها كل إنسان كائنا ما كان- الحاكم مع شعبه والقائد فى جيشه والمدرس مع تلاميذه والطبيب مع مرضاه، والعامل مع العاملين فى المصنع، والجار مع جاره، والرجل مع أهله، يحتاج إليها سكان كل قرية وأهل كل حى وأفراد كل جماعة، ليستتب الأمن ويسود الحب ويتحقق الرخاء.

ما أحوجنا والحال هذا إلى الكلمة الطيبة، لكنه كبير على العاقل أن ينصح غيره وهو أحوج ما يكون إلى النصح، ينبغى أن يبدأ الإنسان بنفسه ليكون قدوة لغيره، لا يكون من الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ولذلك أنشد بعضهم:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كى ما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك من يسمع ما تقول ويهتدى
بالقول منك وينفع التعليم

وقد عاب القرآن الكريم الذين تخالف أفعالهم أقوالهم فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

الصف: ٢-٣

وقال رسول الله ﷺ: «إن أناسا من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار، فيقولون: بم دخلتم النار؟ فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم! فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل» [1] وما ترك القوم الكلمة الطيبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا عمهم البلاء وفسد حالهم ومالهم قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٩)

وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» رواه الترمذى عن حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- وقال: حديث حسن.

وليعلم الجميع أن الماء على سيولته يفتت الصخر على صلابته وأن اللسان المعسول حلال المشاكل فينبغى أن نحرص على الكلمة الطيبة، وأن نصادق أهلها وأن نتجنب الكلمة الخبيثة، وأن نجانب أصحابها وقد تلقف هذا المعنى الشاعر فأنشد:

عاشر من الناس كبار العقول
وجانب الجهال أهل الفضول
واشرب نقيع السم من عاقل
واسكب على الأرض دواء الجهول

ومن ترك الكلمة الطيبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر برهن على أنه حقير عند الناس، لجبنه وميوعته وانحلال شخصيته، حقير عند الله الذى خلق ورزق وأمات وأحيا وأعطى ومنع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يحقرن أحدكم نفسه، قيل: يا رسول الله وكيف يحقر نفسه؟ قال: يرى أمر لله فيه مقالا فلا يقول فيه فيقال له: ما منعك؟ فيقول: خشيت الناس، فيقول الله -عز وجل- فإياى كنت أحق أن تخشى» [2]

فقلها يا أخى خالصة لوجه الله الكريم ولا تجبن، وعود نفسك أن تتمسك بالحق وألا تحيد عنه، وأن تكون من أهل الكلمة الطيبة، واعلم أن قول الحق لا يقرب أجلا ولا يمنع رزقا، فالرزق والأجل بيد الله -عز وجل- وحده. قلها ولا تخش إلا الله تكن من أهل النجاح والصلاح والفلاح. قال تعالى:

(١) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وأبو نعيم فى معرفة الصحابة عن الوليد بن عقبة
(٢) حلية الأولياء ص٤ ص٣٨٤

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

آل عمران: ١٠٤

قلها في جرأة وصراحة يرفعك الله بها درجات ويثقل بها موازينك يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فهو القائل:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

فاطر: ١٠

ما أعظم الكلمة الطيبة وما أجملها حينما تدفع عن أهلها حر جهنم، وتخفف عنهم أهوال القيامة، ألم يقل الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[٣] حقا ما أجل الكلمة الطيبة وما أعظم أصحاب كلمة الخير والحق والهدى والجمال حين ينطلقون إلى الجنة في نشوة وبهجة تزيدهم الكلمة الطيبة مهابة وجلالا وتكسوهم سندسا وحريرا والناس في هول السؤال والحساب، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

(الحج: ٢٣-٢٤)

فلم يكن عجبا والحال هذا أن يرفع رسول الله ﷺ شأن أصحاب الكلمة الطيبة فيقول فيما رواه أبوهريرة: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وأن يهدد ويتوعد أصحاب الكلمة الخبيثة بالهلاك وسوء المصير فيقول: «وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم» ولهذا لما سأله الصحابي الجليل عقبة بن عامر– رضي الله عنه: ما النجاة؟ قال رسول اله ﷺ «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك»[٤] وكان ﷺ وهو معلم الإنسانية الأول وطبيبها الأوحد يقول: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان (والمعنى: تذل وتخضع له) تقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك فإذا استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[٥] ولذلك كان الخليفة الأول أبوبكر الصديق «رضي الله عنه وأرضاه» يمسك بطرف لسانه ويقول «هذا الذى أوردني المهالك» فإذا كان هذا شأن الصديق – رضي الله عنه وأرضاه– وقد بشره الله بالجنة والنجاة من النار فما بالنا نحن؟

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه

(٣) رواه الشيخان عن عدي بن حاتم

(٥) رواه الترمذي عن الخدري ورفعه

(٤) رواه الترمذي، وقال حديث حسن

رمضان

مدرسة الصيام

لفضيلة الشيخ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

شهر رمضان فيه من الخيرات ما جعله الله جامعة لكل أنواع البر والخير، ولم يجمع شهر من الشهور من أنواع المكرمات وصنوف الخيرات مثل ما جمع شهر رمضان، وإذا كان العرب يقولون: إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى بها فها هو شهر رمضان، وهو شهر الصيام، وشهر القيام، وشهر القرآن، وشهر الجود، وشهر الانتصارات على الأعداء، وشهر المواساة، وشهر الزيادة في الرزق، وكل هذه الأسماء وغيرها تدل على أن هذا الشهر ذو شرف عظيم، فهو شهر الإحسان إلى الفقراء، وشهر الغفران يتجلى فيه المولى على عباده الصائمين، وهو شهر جمع الفضائل كلها دنيوية وأخروية، وكأن الصيام في رمضان مدرسة جامعة لكل هذه المكرمات وسنطوف في بعض فصول تلك المدرسة.

الصيام وعلاج الأمراض والعلل

• إن الله– سبحانه – قد فرض الصيام على المسلمين وعلى من قبلهم من السابقين، وكان الهدف من ذلك هو علاج النفس والجسم معاً، ونعتقد أن الهدف الأسمى هو علاج النفس البشرية من أدوائها؛ لأن الجسم مآله الفناء، والنفس مآلها البقاء، والله –سبحانه وتعالى– يؤثر ما يبقى على ما يفنى.

ولما كان الإسلام خاتم الأديان جاء به رسولنا محمد ﷺ لصالح البشرية جمعاء.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

وكانت شريعة الإسلام مشتملة على أكمل نظام يصلح البشرية جميعها، ومن هذه النظم فريضة الصيام، فقد فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان، ولم يكن الغرض من فرض الصيام عليهم

إعناتهم أو المشقة عليهم، وإنما كان ذلك لأغراض كثيرة صحية وخلقية وروحية، وأود أن أنبه هنا إلى الغرض الأسمى من هذه الأغــــراض وهو ترويض النفس البشرية وشفاؤها من جميع العلل والأدواء التي تصيب النفس.

• وإذا أردنا أن نشخص تلك العلل والأمراض لوجدناها كثيرة، ومنها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، والعلاج لكل هذه الأمراض في الصبر، وإذا كان الصبر هو العلاج الشافي لهذه الأمراض فلن نجد هذا الدواء إلا في صيدلية الصيام؛ لأن الصوم هو أداة المقاومة ومبعث القوة النفسية التي تقارع الشدائد والخطوب، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ من حديث له: «والصوم نصف الصبر»[1] وقد وضع الناس علاجا لضعف الإرادة ووهن العزيمة، ومن ذلك اتخذوا الرياضة البدنية وسيلة لعلاج تلك العلة، ومن الناس من يعالج علة النفس بركوب الأخطار وممارسة بعض أنواع الرياضات الخطرة المحفوفة بالمهالك، ومنها من يعرض نفسه لآلام جسدية شديدة ويصبر على تحملها صبراً طويلاً، وكل هذه الرياضات وتلك الممارسات الغرض منها تدريب النفس على تحمل ما تحمله الحياة من أحداث، وأن تصمد لتلك الأحداث وتستعيد ما قد يعرض لها من مكاره، وبالتالي مقاومة تلك الأحداث وهذه المكاره.

ولو نظرنا إلى الحياة لوجدناها مليئة بالأحداث التي يتعرض لها أي إنسان، وأحيانا تلك الكوارث التي تتعرض لها الأمم والدول - أيضاً- وهذه الأحداث تحتاج إلى إرادة قوية وعزيمة صلبة وصبر قوي قادر على مقاومتها والتغلب على آثارها، والصبر هو أهم فضيلة قصد إليها الإسلام من فرض الصيام على المسلمين.

الصبر أهم المقاصد الإسلامية من الصيام

وإذا كان الصبر أمره كذلك فإن أقوى أنواع الصبر هو مقاومة النوازع النفسية التي تصاحب النفس الأمارة بالسوء التي تزغ بصاحبها إلى السوء وتدفعه إلى الشر وإلى ارتكاب المحرمات، وتبعده دائما عن الطاعات، أو تفسد عليه طاعته، وهذا ما يتعلمه المسلم من صيامه وما يتدرب عليه في مدرسة رمضان فإنه لا يزال يروض نفسه على قوة التحمل ويكبحها عما تشتهي حتى تصبح الطاعة ملكة له وعادة متأصلة فيه.

انظر إلى الصائم عندما يسمع كلمة السباب تقرع سمعه فيجعلها خلف أذنه ولا ينتبه لها ولا يعطيها اهتماما ويقول امتثالا لما أمر به النبي ﷺ: «إني امرؤ صائم»[2] فيتعلم من ذلك أن يكون

(١) موطأ الإمام مالك ج٢/١٥٤.

(٢) صحيح البخاري.

حليماً والحلم من الصفات الحميدة التي وصف بها الأنبياء ودعا إليها الرسول محمد ﷺ فقد كان من هديه النهي عن الغضب والتحلي بالحلم، ومن وصاياه قوله: «لا تغضب»[3] وقوله: «الغضب جمرة في جوف ابن آدم»[4] والحلم أفضل من الصبر لإطفاء تلك الجمرة التي تشعل قلب ابن آدم فتغريه على الانتقام وعلى ارتكاب ما حرم -الله تعالى- ويداوي بتلك الكلمة الجامعة: «إني امرؤ صائم» جرح الصدر الذي يغري الإنسان بالانتقام ولا يجعله يقف عند حد فيبغي ويظلم ويعتدي، وكل هذه الأمراض من آثار ضعف النفس الذي عالجه الحكيم العليم بكف النفس عن شهواتها والحد من غلوها.

الصوم قهر للشيطان

إن الصوم قاهر للعدو، وعدو الإنسان هو الشيطان إذ أن وسيلة الذنوب والآثام هي الشهوات، فالذي يدفع الإنسان إلى ارتكاب تلك المعاصي إنما هو شهوت البطن والفرج، وإنما تقمع هذه الشهوات بالجوع وبالصيام، ولذا يكون الصيام هو العلاقة المميزة لإخلاص المرء في عمله، فإذا تكررت تلك العبادة أصبحت عادة وسرى هذا الإخلاص من عبادة الصيام إلى سائر العبادات وأصبح هذا الإنسان من الذين عناهم -الله تعالى- في قوله.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

(الكهف: ١١٠)

وهذا الإخلاص هو أساس النجاح في الدنيا وهو الذي يوفر الثواب والجزاء الأوفى في الآخرة، وإذا كان الناس يتحدثون عن الأبطال الذين حرروا أوطانهم وقاوموا المعتدين وواجهوا الطاغين والبغاة الظالمين بشدة مقاومتهم وقوة جلدهم مثل ما يحدث في لبنان وفي فلسطين وفي غيرهما من بلاد المسلمين لأن الصيام وما يحققه من الصبر والجلد يعطينا أبهى الصور والمثل العليا في الصبر.

وهذه الصورة هي التي رسمها وسجلها التاريخ لصبر المسلمين الأوائل وجلدهم وصمودهم من أجل نصرة دينهم وثباتهم على عقيدتهم، بل إنهم كانوا يقودون معظم معاركهم مع الأعداء في شهر رمضان، وفي أيام الصيف وفي تلك التضاريس الصعبة من جبال ووديان، إنها صورة رائعة للصبر الذي تعلموه في مدرسة الصيام ومدرسة رمضان، فتعلموا منها الجلد والصبر والثبات، واستفادوا

(٣) الموطأ ج٢/٩٠٥.

(٤) مسند الإمام أحمد.

(٥) البخاري.

تلك الصفات مما فرض الله عليهم من الصيام فمكنت لهم فى الأرض ومنحتهم العزة والمجد الذى أعده الله -سبحانه وتعالى- لعباده الصابرين، وكانت تلك الفريضة أمضى سلاح فى يد هؤلاء المسلمين، استطاعوا به أن يقيموا دعائم الإسلام وأن ينشروا رايته فى الآفاق، فلم تمض أكثر من مائتى عام على دعوة الإسلام وشريعته حتى انتشر فى الجزيرة العربية كلها، بل وامتد حتى وصل إلى الصين شرقاً وإلى جنوب أوربا غرباً، وذلك لأن الصبر الذى تعلمه المسلم فى مدرسة الصيام يجعل عمله كله خالصاً لله -تعالى- ولهذا جعل الله -سبحانه- كل الأعمال يرجع ثوابها إلى العبد ويعود نفعها عليه إلا الصوم فإنه تميز من بين هذه العبادات بأنه انتسب للخالق -جل وعلا- حيث يقول جل شأنه فى الحديث القدسى فيما رواه النبى ﷺ عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»[6] ولم ينل الصوم هذا الشرف إلا لأنه عبادة خالصة لله -تعالى- لا يدخلها رياء ولا يخلطها فخر ولا مباهاة بل إنه عبادة سرية بين العبد وربه لا يعلمها إلا هو ومن هنا كانت نسبته لله عزوجل دون سائر العبادات.

الصوم رياضة للروح والبدن

يعتبر صيام رمضان فى حياة المسلمين أسلوبا راقيا من أساليب العبادات، حيث يلتقى فيه صفاء الروح بطهارة الجسد، وأصبح نظاما للتربية تعلو به على شهواتها وتسمو به على ما يراودها من مظاهر التكالب والتهافت والتخاذل.

الصوم عبادة روحية

الأصل فى الصوم أنه عبادة روحية؛ لأنه كما تقدم سر بين العبد وربه، وهو نوع من التربية الوجدانية والمجاهدة النفسية؛ ولأنه أيضا عمل فى الباطن بالصبر المجرد تتخلص به النفس من استعباد العادات، وتتحرر به الروح من شراسة الغريزة وهو قهر للشيطان عدو الله وعدو الإنسان بقهر الشهوات التى تعد وسيلته، لذلك يقول المعصوم ﷺ: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع»[7] ولما كان الصوم قمعاً للشيطان وتضييقاً لمجاريه وسداً لمسالكه، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله -عزوجل- لأن الصيام ليس فقط إمساكا عن الطعام والشراب ومعاناة الجوع والصبر عليه، ولكنه مجموعة من الفرائض والسنن تشترك فيها جميع حواس البدن وجوارحه لترتفع الروح إلى مراتب الطهر والصفاء والقرب من الله -تعالى-.

(٦) الموطأ.

(٧) المستدرك.

صوم الصبر

فمع أن الصيام هو كسر لشهوة البطن وكبح رغباتها، يجب وينبغى غض البصر عن كل مذموم ومكروه وعن كل ما فيه مشغلة للقلب عن ذكر الله -جل شأنه- فإن النظرة كما يقول رسول الله ﷺ: «سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله، فمن تركها خوفا من الله أتاه الله -عزوجل- إيمانا يجد حلاوته فى قلبه»[7] فذلك صوم الصبر.

صوم اللسان

وصوم اللسان يكون بحفظه من الغيبة والنميمة والفحش وقول الزور، يقول صلوات الله وسلامه عليه: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق..»[8] وإنما يجب أن يشغل الصائم لسانه بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم وأن يكون عفيفا فى معاملة الناس مسالما، يقول رسول الله ﷺ: «قال الله -عزوجل-: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه».

صوم الجوارح كلها

ويجب أن يمسك الصائم زمام جوارحه كلها فيسخرها لطاعة الله -تعالى- فى هذا الشهر المبارك، فلا تسعى رجله إلى معصية، ولا تتحرك فى جهة إلا إذا كان فيها طاعة لله -تعالى- وكذلك لا يبطش بيده ولا يمدها إلى ما حرم الله -تعالى- وكذلك سمعه ينبغى ألا يسمع اللغو أو ما يصدر عن آلات اللهو وعن وسائل الإعلام مما يفسد على الناس صيامهم، وهكذا باقى الحواس يجب على الصائم أن يروضها على طاعة الله -تعالى- وأن يدخل بها فى إطار الصيام حيث يجد فى تلك المدرسة الطهر والعفاف والصفاء والنقاء وصالح الأعمال.

الصيام وفوائده الصحية

أثبت كثير من الأطباء أن للصيام فوائد صحية للجسم، وأن كل إنسان يحتاج إلى الصيام حتى إن لم يكن مريضا، وذلك لأن سموم الأغذية والأدوية تتجمع فى الجسم وفى أعضائه

(٨) البخارى.

الرئيسية مثل الكبد والكلى وغيرهما، وهذه السموم حين تجتمع في جسم الإنسان تجعله كالمريض فتثقله وتحد من نشاطه، فإذا صام الإنسان خف وزنه وتحللت هذه السموم وتخلص منها الجسم بعد أن كانت مجتمعة في أعضائه تعمل على تعطيلها وإعاقتها من أداء وظائفها المنوطة بها في جسم الإنسان، وذلك حتى يصفو الجسم صفاء تاما بتخلصه من تلك السموم.

العادات المرفوضة والمنهى عنها

من الأمور التي تخرج الصيام عن هدفه أن استهلاك الفرد والمجتمع يزيد في شهر رمضان وتضطر الدولة إلى استيراد كثير من الأغذية، وجميع الأسر أو معظمها يدخر طوال العام لينفق ما يدخره في رمضان، فأصبح رمضان عند الكثير من الناس موسماً للعادات الغذائية والموائد الرمضانية التي لا تراها إلا في شهر رمضان ولا تعرفها الموائد إلا من خلال هذا الشهر، ولهذا يجب على المسلم أن يفكر في الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم طوال العام ولا يجدون ما يسدون به رمقهم ولا ما يلهون به أطفالهم من آلام الجوع، عليه أن يوجه ما ينفقه على أنواع الطعام والشراب الزائد في شهر رمضان لأوجه الخير، فيوسع به على الفقراء والمساكين، ويجعل هذا الشهر بالنسبة لهم موسماً يحسون فيه بأن المجتمع يكفلهم ويشملهم برعايته وبعنايته، وبالتالي لا يحقدون على الأفراد، ولا على المجتمع، ولا ينظرون إلى ما في أيدي غيرهم، بل يرزقهم الله -سبحانه وتعالى- القناعة بما في أيديهم، ويدعون لمن أنفق بالخير والزيادة، ويعيش المجتمع في ظل مودة دائمة ورحمة شاملة ويتقبل الله من الصائمين صيامهم ومن القائمين قيامهم أعاده الله علينا وعلى الأمة الإسلامية باليمن والخير والبركات.

***

رمضان وبناء الإنسان

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول الله عز وجل:

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾

(الإنسان/ ٢٨)

ومن معاني ذلك:

أن من دلائل عظمته -سبحانه وتعالى- أن قوّى ربط مفاصلهم الظاهرة والباطنة بالأعصاب.. على وجه الإحكام بعد أن كانوا أمشاجا ضعافا.. وكان من رحمته -عز وجل- أن شد هذا الخلق بالأخلاق الكريمة.. ليبقى بناء الإنسان قويا في مواجهة الأعاصير:

إن صورة الظاهر هي: الخَلْق.. وصورة الباطن هي: الخُلُق.

وإذا كان الخلْق يعني: جمال السمت.. وهو دليل كمال البدن.. فإن الخُلُق يعني: حسن الباطن: بكريم الأخلاق..

وإذ يُدرك الأول بالبصر.. فإن الثاني يدرك بالبصيرة. ولا بقاء للبدن في غيبة الأخلاق وهي: البناء الداخلي

وكما قال علماؤنا: الدين كله خلق: فمن زاد عليه في الخُلق.. زاد عليك في الدين..

***

وهنا ندرك دور الصيام في ضبط بناء الإنسان حتى لا يترنح، وهو ما يشير إليه قولهم: إن الإنسان مطالب بأمرين.. ليبقى:

فكّ الكف.. وكفّ الفك! وذلك ما يحققه الصيام!!

يعني: فكّ الأنامل القابضة على المال

بذله في وجوه الخير..

ثم كف اللسان عن لغو القول!

وذلك بعض ما يشير إليه قوله ﷺ:

«.. فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب. فإن سابه أحد أو قاتله. فليقل إني صائم»

من معاني الحديث الشريف

والحديث الشريف تنويه بفريضة الصوم التي ترشح الصائم للتحليق في أفق التقوى. ولكي يحقق الصوم ثمرته فلابد من الفرار من كل ما يمنع من الوصول إلى هذا المأمول:

أ- فلا صخب.. ولا لغو الكلام

ب- وحتى إذا شتمك شاتم.. فلا تزد على أن تقول: إني صائم:

تذكر نفسك.. وتذكره في نفس الوقت.

وحتى إذا تجاوز الإيذاء بالكلام إلى الإيذاء بالفعل.. فالرد هو: إني صائم.. ومتى تم ذلك كنت سائرا فعلا بصومك على طريق السداد كما كان ﷺ.

لقد جمع ﷺ بهذا الأسلوب بين: تقوى الله وحسن الخلق وبهما معاً كان على خلق عظيم، فقد أصلح بالتقوى.. ما بينه وبين ربه.. ثم.. وبحسن الخلق أصلح ما بينه وبين الناس.

الواقع شاهد بحصول من هذا شأنه على حب الناس، بل وتقديرهم، فإنه - كما يقول المجربون- إذا حسنت أخلاق الإنسان: كثر مصافوه، وقلّ معادوه، فتسهلت عليه الصعاب.. ولانت له القلوب الغضاب. وكان من نفسه: في راحة.. والناس منه في سلامة.. وعلى هذا الأساس قامت توجيهاته ﷺ

«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها. وخالق الناس بخلق حسن»(1).

و«إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»(2).

***

تلك كانت رسالته ﷺ:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(3).

في مجال التطبيق

ذات يوم.. اشتكى إليه رجل فقال: إن الإمام يطول في صلاة الغداة - الصبح- فغضب ﷺ غضبا شديدا -غير معهود- ولم يزد على أن قال: «إن منكم منفرين»

(1) الترمذي / 1987.

(2) أبو داود / 4798.

(3) الإمام أحمد 2/ 381.

ويلاحظ في جوابه ﷺ مايلي:

أ- أنه غضب غضبا شديدا.

ب- وأن هذا الغضب لم يكن لشخصه، وإنما هو من أجل مصلحة الأمة.

حـ- لكن ذلك الغضب -مهما بدا غير معهود- لكنه لم يخرجه ﷺ من دائرة الحق:

● أولاً: لم يذكر اسم الإمام المشكو منه ليظل إماما.

● ثانياً: يحمّل المجتمع كله مسئولية ما حدث: فهو الذي سكت.. فمهّد، بسكوته لهذا الموقف.. وذلك قوله (منكم).

● ثالثا: اكتفى بقوله (منفرين) ولم يصفهم بنعت ثابت.. وإنما بما يمكن أن يقلعوا عنه وهو: تنفير الناس. ذلك «بأن المؤمن: إلف مألوف. ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف..»(4).

وفي مقدمة هؤلاء: الأئمة في الصلاة.. الذين يقدرون ظرف المصلين فلا يطيلون. وذلك من ناحية أخرى رحمة بالناس أمر بها المسلم قال ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا في الأرض يرحمكم من في السماء»(5).

الأساس القرآني

يقول «جعفر الصادق»: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من قوله تعالى:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف/ 199)

قال العلماء هنا: الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية، وهي: عقلية. وشهوية. وغضبية.

● فالعقلية: الحكمة: ومنها: الأمر بالمعروف.

● والشهوية: العفة: ومنها: أخذ العفو والتماس الأعذار للناس.

● الغضبية: الشجاعة: ومنها: الإعراض عن الجاهلين.

***

(4) رواه ابن جريج عن عطاء عن جابر.

(5) رواه أبو داود والترمذي.

شهر رمضان

فى القرآن الكريم والسنة النبوية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من سنن الله ـ جل شأنه ـ أنه يصطفى من خلقه فى هذا الكون بعض الأشخاص، وبعض الأمكنة، وبعض الأزمنة، مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾

(القصص: ٦٨)

أى: وربك وحده ـ أيها الرسول الكريم ـ يخلق ما يشاء أن يخلقه، وأنه هو صاحب الخلق والأمر، ويختار ما يشاء اختياره من خلقه، إذ كل شىء فى هذا الوجود خاضع لإرادته وحده ـ عز وجل ـ ولا يملك أحد كائناً من كان أن يزيد أو ينقص فى خلقه شيئاً، أو أن يختار من خلقه شيئاً لم يختره الله.

فالبشر من عهد آدم ـ لا يحصيهم العد ـ خلقهم الله جميعاً، ولكنه اصطفى منهم لقيادة الخلق من شاء، واصطفى منهم الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله ـ تعالى ـ لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، يقول ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران: ٣٣)

والمعنى: إن الله ـ تعالى ـ قد اختار وانتقى واصطفى «آدم» أبا البشر، بأن جعله خليفته فى الأرض، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، واصطفى «نوحاً» الأب الثانى للبشرية، وليس أحد على وجه الأرض إلا من نسله، لقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾

(الصافات: ٧٧)

واصطفى «آل ابراهيم» أى: عشيرته وذوى قرباه، وهم: إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما، واصطفى «آل عمران» إذ جعل فيهم عيسى ـ عليه السلام ـ، وعمران هذا هو والد مريم أم عيسى، «وعلى العالمين» أى: على أهل زمان كل واحد منهم... يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

(الأنعام: ١٢٤)

أى: الله ـ سبحانه ـ أعلم من كل أحد بالموضع الصالح للرسالة فيضعها فيه، فهو ـ سبحانه ـ يختار لها بحكمته وعلمه من يستحقها وينهض بأدائها من خلقه، فالرسالة هبة من الله يختص بها من يشاء من عباده، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ عز وجل ـ اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم»[1] وقال عليه الصلاة والسلام «إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه، وجعلهم فريقين، فجعلنى فى خير فرقة وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً»[2] ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾

(الأعراف: ١٤٤)

أى: إنى اخترتك واجتبيتك على الناس الموجودين فى زمانك، لأن الرسل كانوا من قبل موسى ومن بعده، فهو اصطفاء على جيل معين من الناس بحكم هذه القرينة، اصطفيتك بأسفار التوراة، أو بإرسالى إياك إلى من أرسلت إليهم، وبتكليمى إياك بغير واسطة...

وهذه الأمكنة منذ أن خلق الله الأرض، وجعلها مستقراً ومقاماً، يمتاز بعضها عن بعض، منها مهابط الوحى، ومنها منابت الذكرى، ومنها مثابة التقديس والعبادة، قد اصطفاها الله على سائل الأماكن، وجعل أفئدة من الناس تهوى إليها، يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

١- أخرجه مسلم.

٢- أخرجه أحمد.

أى: أن أول بيت وضعه الله ـ تعالى ـ للناس فى الأرض ليكون متعبداً لهم، هو البيت الحرام الذى بمكة، عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قلت: ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة» ثم قال: «حيثما أدركتك الصلاة فصل، والأرض لك مسجد»[٣] فهو أول بيت جعل الله الحج إليه عبادة وفريضة على كل قادر على الحج، وجعل الطواف حوله عبادة، وجعل تقبيل الحجر الأسود الذى هو ضمن بنائه عبادة، ولا يوجد بيت سواه فى الأرض له من المزايا والخصائص ما لهذا البيت الحرام، فهذا البيت كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره أو اعتكف فيه، أو طاف حوله، بسبب مضاعفة الأجرة، وإجابة الدعاء، وتكفير الخطايا لمن قصده بإيمان وإخلاص وطاعة لله رب العالمين، وكثير الخير والنفع لمن يسكنون حوله، حيث قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومغاربها، ومعهم خيرات الأرض يقدمونها على سبيل تبادل المنفعة تارة، وعلى سبيل الصدقة تارة أخرى، وهو مصدر هداية للعالمين، لأنه قبلتهم ومتعبدهم، وفيه علامات ظاهرات، ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته، وعلو مكانته، ففيه «مقام إبراهيم» وهو الموضع الذى كان يقوم فيه إبراهيم تجاه الكعبة لعبادة الله ـ تعالى ـ، ولإتمام بناء الكعبة، وأن من دخله كان آمناً أى: من التجأ إليه أمن من التعرض له بالأذى أو القتل «وللفقهاء آراء فى هذا الموضوع».

وهذه الأزمنة منذ خلق الله الليل والنهار تتابع أياماً أثر أيام، وشهوراً إثر شهور، وأعواماً إثر أعوام، وكلها متشابهة متناسقة تطلع شمسها وتغيب، ويظهر قمرها ويختفى، ويتجلى نهارها، ويغشى ليلها، ولكن الله اصطفى منها مواسم لرحمته، واختار منها أياماً وليالى لنعمه وأفضاله، يقول ـ تعالى ـ:

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

(الفجر: ١، ٢)

أقسم ـ سبحانه وتعالى ـ بأزمنة لها شرفها وعظمتها وفوائدها الدينية والدنيوية، فالمراد بالفجر: الوقت الذى يبدأ فيه النهار فى الظهور بعد ظلام الليل، وقيل: صلاة الفجر، والمراد بالليالى العشر: الليالى العشر الأول من شهر ذى الحجة، وقيل: العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من شهر المحرم، وقال ـ سبحانه ـ:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

(القدر: ٣)

أى: ليلة القدر أفضل من ألف شهر، بسبب ما أُنزل فيها من قرآن كريم يهدى للتى هى أقوم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، وبسبب أن العبادة فيها أكثر ثواباً، وأعظم فضلاً من العبادة فى أشهر كثيرة، ليس فيها ليلة القدر.

على هذه السُنّة اختار الله شهر رمضان، واصطفاه على سائر الأزمان، فهو الشهر الوحيد الذى صُرّح باسمه فى القرآن الكريم، وهو والشهر الوحيد الذى أفاض الله فيه أكثر نعمه على عباده، وهى نزول القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد، هذا القرآن الذى سما بالعقل الإنسانى عن الوثنية المظلمة إلى التوحيد الخالص لله، ودفع العقل إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض، وحرّضه على اقتحام الحجب، والتفكير فى الأسرار كى ينتفع الناس بما سخر لهم فى هذه الحياة.

هذا الشهر الكريم الذى فرض الله فيه الصوم على المسلمين، وجعله ركناً من أركان الإسلام، وجعل صوم رمضان عبادة تلتقى فى هدفها مع أهداف القرآن الكريم فى تربية العقول والأرواح وتنظيم الحياة، يوحّد بين المسلمين فى أوقات الطعام والشراب، ويفرغ عليهم جميعاً صبغة الإنابة والرجوع إلى الله، ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس، ويحصنها عن الإيذاء والتجريح، ويسد عليهم منافذ الشر والتفكير فيه، ويملأ قلوبهم بمحبة الخير والبر لعبادة الله، ويغرس فى نفوسهم خُلق الصبر الذى هو عدة الحياة، ويربى فى نفوسهم فضيلة الإحساس بما يعانيه الفقراء والمحتاجون، فيسارعون إلى مد يد العون والمساعدة لهم... وهكذا يريد الله أن يكون الإنسان.

هذا الشهر الذى يقول الله فيه:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

يمدح الله ـ جل شأنه ـ شهر رمضان بأن اختاره من بين سائر الشهور لإنزال القرآن الكريم فيه، فقد ورد فى الحديث بأنه الشهر الذى كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، فعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[٤] وأنزل ـ سبحانه ـ القرآن العظيم هدية للناس بإعجازه المختص به، الذى يفرق بين الحق والباطل، فمن حضر منكم دخول الشهر أو حلوله، وليس عنده ما يمنعه من الصوم فليصمه، لأن صيام رمضان ركن من أركان الإسلام، أما من كان مريضاً أو على

٣- أخرجه البخارى ومسلم.

٤- تفسير ابن كثير جـ٢ ص٢١٦.

سفر فله رخصة الفطر والقضاء، لأنه - سبحانه - يريد بكم اليسر والسهولة، ولا يريد بكم العسر والمشقة، ولأنه - تعالى - يريد أن تكملوا عدة الشهر بأن تصوموا أيامه كاملة فتحصلوا خيراته، ولا يفوتكم شيء من بركاته، ويريد منكم أن تكبروه وتحمدوه وتعظموه، فهو وحده الذى هداكم إلى تلك العبادة التى فيها صلاحكم وسعادتكم، ويريد منكم أن تشكروه على نعمه التى أعطاها لكم «وللفقهاء آراء فى رخصة الفطر فى رمضان».

وهذا الشهر الكريم الذى يبشرنا فيه سيدنا رسول الله ﷺ بخيراته فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله - عز وجل - عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب السماء، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حرم»، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

هذا الشهر الكريم، شهر البر والطاعات، شهر الخير والبركات، شهر الصلة وتهذيب العادات، شهر تسامى فى عبادته فوق المظاهر الحسية للصيام من ترك الطعام والشراب، وهجر اللذات أثناء وقت الصيام، وارتفع بالمسلم فى عبادته إلى منازل المتقين والأبرار، ووجهه إلى الرقى فى معاملة الآخرين، وتجنب الإساءة إليهم بالفعل أو القول، وإلى مقابلة الإساءة بالإحسان، والقطيعة بالصلة، والمنع بالعطاء، والجفاء بالود.

ويرشدنا رسول الله ﷺ إلى أن الصيام حسى ومعنوى، وهما متلازمان لا يفترقان، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إنى صائم إنى صائم»[٥]، هذا الحديث النبوى يرشدنا فيه الرسول ﷺ إلى أن الصوم الحسى لا اعتبار له ولا جزاء عليه ما لم يصاحبه الصوم المعنوى، وهو الإمساك عن ردىء الكلام وفحشه وبذيئه، والامتناع عما يفعله الجهال من الانفعال والصياح، والسفه وبذاءة اللسان».

ويصور لنا رسول الله ﷺ أبلغ تصوير، فى حديثه الشريف، العاقبة السيئة المخزية لمن يفقد الصوم المعنوى، فعن عبيد مولى رسول الله ﷺ: أن امرأتين صامتا وأن رجلاً قال: يا رسول الله إن هاهنا امرأتين قد صامتا، وأنهما كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه، أو سكت، ثم عاد، وأراه قال: بالهاجرة، قال: يا نبى الله إنهما والله قد ماتتا، أو كادتا أن تموتا؟ قال: «ادعهما»، ثم قال: فجاءتا، قال: فجىء بقدح أو عُس، فقال لإحداهما:

٥- أخرجه ابن ماجة وابن حبان والحاكم.

«قيئى، فقاءت قيحاً ودماً وصديداً ولحماً حتى ملأت نصف القدح، ثم قال للأخرى: «قيئى»، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: «إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس»[٦].

فهاتان المرأتان اللتان صامتا الصوم الحسى، وضعفتا من شدة الجوع، وفقدتا الصوم المعنوى، فجلستا تتحدثان بذكر سير الناس وذمهم، وأرختا العنان فى الغيبة والنميمة وتعداد مساوىء غيرهما، فصامتا عن الطعام والشراب، وأفطرتا على هتك أعراض الناس وذمهم وتعداد عيوبهم، فكان ذلك هو عاقبتهما وجزاء صيامهما!!

هذا الشهر الكريم يتجلى الله - جل ثناؤه - فيه على عباده الصائمين، فيمنحهم من فضله وكرمه أكثر مما يرجون، وأضعاف أضعاف ما يدعون، فعن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبى قبلى:

أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله - عز وجل - إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً.

وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك،

وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة.

وأما الرابعة فإن الله - عز وجل - يأمر جنته فيقول لها: استعدى وتزينى لعبادى، أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى.

وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً، فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر يا رسول الله؟ فقال: لا ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم».

وإذا كان شهر رمضان فيه هذا الخير العميم، وهذا الفضل الكبير، أفلا يجدر بالمسلم أن يغتنم حلوله، وينتهز قدومه، فيقبل على الله طائعاً، وعلى عبادته ملبياً، وعلى أوامره منفذاً، وعن معاصيه تاركاً، وعن نواهيه مجانباً.. وأن يكثر من العطف على الفقراء والمساكين، وأن يفطر الصائمين لينال الأجر والثواب الذى وعده به رسول الله ﷺ حيث قال: «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير إنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»، وأن يكثر من قراءة القرآن الكريم، وأن يحرص على أداء صلاة التراويح، وأن يجتهد فى تحرى ليلة القدر فيكثر فيها من الصلاة والدعاء...

نسأل الله أن يكتبنا من الفائزين بخير شهر الخير، وأن نكون من عتقاء النار فيه، وأن نكون ممن يدخلون الجنة من باب الريان.

٦- أخرجه أحمد وأبوداود والبيهقى.

ترجمة القرآن إلى سلوك وإيمان

١

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

منذ تلقت البشرية القرآن الكريم من وحى الحق -عز وجل- وعلى لسان الأمين الصدوق صلى الله عليه وسلم ونحن نرى كثيراً من الناس مشغولين بقضية «ترجمة القرآن» وهل تكون قائمة على ترجمة النص أم ترجمة المعنى.

والحقيقة الحاسمة فى هذا أن نقل النص إلى لغة غير العربية ليس مستحيلاً فحسب بل أنه يقيناً يؤدى إلى خروج الترجمة بعيداً عن روح الإسلام نفسه، وليس فقط تعطيلاً للإعجاز القرآنى، وخروجاً عن الحكمة الإلهية التى تتجلى فى كل حرف من هذا الكلام الربانى الحكيم، بل فى كل ما يتصل بكتابة هذه الحروف ونطقها، ومن هنا كان من علوم القرآن علم القراءات وغيره حيث القوانين والضوابط المحكمة فى التعامل مع هذه الحروف السماوية بما لها جلال وجمال وكمال وأسرار لا يعرفها إلا صاحبها -عز وجل- ومن تجلى عليهم من عباده الراسخين فى العلم الذين يفيض عليهم -سبحانه- فى كل زمان ومكان بما يريد، وكما يريد ولما يريد من حكماء صالحين وفقهاء صادقين، بل وقارئين مخلصين عرفوا للقرآن قدره فكساهم صاحب القرآن -جل وعلا- حلل الكرامة، وأضاء وجوههم بأنوار المهابة والتكريم.

وأما القول بترجمة معنى القرآن دون نصه فلعل هذا هو الطريق الأقرب إلى السلامة، والأدنى إلى الممكن لمن أراد أن ينفع غير أصحاب العربية بمعانى وأحكام هذا الكتاب المجيد الذى أنزل:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

(الشعراء: ١٩٥)

ويكفى أن نعلم أنه ما دام اللسان العربى هو اللسان المبين للقرآن الكريم كما نص القرآن نفسه على ذلك، فمعنى هذا أن غير اللسان العربى لن يكون مبيناً فى مجال ترجمة المعنى، ولكنه «أقصر الطرق» ليس إلى الحقيقة، ولكن إلى هامش الحقيقة وهذا هو ما فى متناول الطاقة على كل حال.

ثقافة إيمانية وسلوك حضارى

ولكن ترجمة معانى القرآن الكريم مع هذا التبرير تسير على خضم هائل من المحاذير لا تغنى عنها المعاذير، وغيرنا ممن وقفوا أعمارهم وجهودهم وجهادهم على هذا المجال لا شك أنهم أقدر منا على السباحة فى هذا المحيط المتناغم وليس المتلاطم، فهم يعرفون الشروط التى ينبغى أن تتوفر فى المترجم، والضوابط التى تحكم الترجمة، والأطر التى تحدد جهود العاملين فى هذا الميدان.

ولكن ما نريد أن نوجهه إلى أصحاب اللسان العربى فى كل مكان هو الدعوة إلى بذل المجهود اللائق فى هذا المجال فى إطار إبراز أهمية ترجمة القرآن إلى «ثقافة إيمانية وسلوك حضارى» بجانب العكوف على ترجمة معانيه لمن يملك الآليات الضرورية لذلك.

فإذا كانت ترجمة معانى القرآن هى رسالة تهدف إلى التوسع فى نشر كتاب الإسلام بين أصحاب اللغات المختلفة وهو عمل تكليفى مفروض حتى تصل الدعوة الإسلامية على وجهها إلى ما شاء الله من سكان الأرض فى كل زمان ومكان، فإن ترجمة القرآن الكريم إلى ثقافة إيمانية وسلوك حضارى هو عمل قرآنى أصيل ولاسيما فى هذا الزمان الذى تعددت فيه الثقافات بين ثقافات سلبية وأخرى إيجابية، والذى تنوعت فيه الحضارات بين حضارات بناءة، وأخرى هدامة حتى أصبح المرء الذى يريد أن «يعرف» حائراً بين هذه الأعاصير العاصفة والأنواء الزاحفة حتى أصبحت المأساة بحق:

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾

«النجم ٥٨»

ولكن خُدام القرآن وسدنته الذين كلفهم الله سبحانه بأمانته فى قوله -تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

«الحجر ٩»

لهم اليد الطولى، والجهد الكبير فى القيام على كشف الدور القرآنى الحكيم

بين البشر من خلال بيان هذا الدور فى الحياة العملية ومحاولة إحياء الموات فى القيم الأخلاقية، وتقويم ما انحرف واعوج فى المجالات السلوكية.

وإنها لمهمة جد عسيرة إلا على المتقين الذين هداهم الله إلى سبيله وسخرهم لنشر رسالته ودعوة الأنام إلى طريق الحق والخير والحياة الإنسانية الكريمة. وهؤلاء هم الذين يصدق عليهم قول النبى ﷺ «العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتى وورثة الأنبياء»[1].

خلقه القرآن

إن علوم التفسير والقراءات وغيرها من علوم القرآن العديدة ليست هى الهدف من كلام الله الحق إلى خلقه، وإنما هى وسائل يتوسل بها العاملون المخلصون إلى المزيد من معرفة القرآن والعمل به حتى تتوثق الصلة بين المخلوق والخالق فينهج المخلوق نهج خالقه -سبحانه- ويستمسك بحكمته فى قوة ويقين.

ثم أليس من الأسوة الحسنة التى أمرنا الحق بها[2] أن نتأسى بالنبى ﷺ فى أن يكون سلوكنا قرآنيا مصداقا لما ذكرته أمنا الصديقة بنت الصديق -رضى الله عنهما- عندما سئلت عن البشير النذير ﷺ وخُلقه فأجابت فى إيجاز شارح بليغ: «خُلقه القرآن»[3]. وكأنها -رضى الله عنها- أرادت أن تؤكد للمؤمنين أن القرآن ينبغى أن يكون هو خُلق المؤمن وكيانه جميعاً.

ولا نظن أن هناك أصدق من تصوير أمنا عائشة رضى الله عنها للنبى ﷺ بهذه الصورة الإيمانية والسلوكية الفريدة.

ولا نظن كذلك أن هناك أبلغ من التمثل بهذا القول العظيم فى التأسى بالحبيب ﷺ ونحن ندعو إلى ترجمة القرآن إلى إيمان بهذا الذكر الحكيم وسلوك يهتدى بنوره العظيم العميم.

فهل بعد هذه الإشارات المبينة والدلائل المكينة دلائل أو إشارات تحثنا على أن نتخذ من كتاب الله نهجاً عملياً ينظم سلوكنا ليفجر أمامنا النور الهادى فى هذه الحلكة الحالكة التى تلف الإنسان المعاصر فى كل مكان فلا يكاد يرى ما تحت قدميه وأصبح يترنح ترنح المغيب ويتخبط تخبط التائه الهائم على وجهه، ولعمرك لن يُخرج الإنسان من هذا الوهدة السحيقة، والهوة العميقة إلا الاعتصام بالدليل الإلهى لأنه هو خطة الخالق فى كونه، المتمثلة فى آياته

(١) ابن عدى فى الكامل عن على، (الجامع الصغير).

(٢) مصداقا لقوله -تعالى-: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

(٣) أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، عن عائشة (الجامع الصغير).

القرآنية المحكمات التى من اتبعها اتسق مع كيانه الذى أبدعه الله واتفق مع الكون الذى أنشأه الله، وهُدى إلى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، أما الذى يخرج على هذه الخطة الإلهية فلن يستقيم كيانه، ولن ينتظم كونه ولن تصفو فطرته لأنه:

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ «الروم ٣٠»

هذا قانون إلهى لا يجدى فيه الجدل ولا ينال منه المراء.

ثقافة الثقافات

هذا ومادمنا ندعو إلى ترجمة القرآن الكريم إلى ثقافة إيمانية وسلوك حضارى مما يحفز المؤمن الحق إلى التأسى بالنبى ﷺ باعتباره ﷺ قرآنا يمشى على الأرض، فلابد أن نعى أولاً ما شاع فى هذا العصر من تعبيرات متصلة بالثقافة، فيقال مثلاً ثقافة النظافة، أو ثقافة المعرفة، أو ثقافة الجد والاجتهاد، أو ثقافة الالتزام، أو ثقافة كذا وكذا.

وهذا أمر جميل ومطلوب، لأنه يتحدث عن قيم اجتماعية وأخلاقية طيبة، لكن هناك ثقافة أشمل وأوسع وأعم لأنها تعبر عن «قيمة القيم» وتلتقى عندها الأهداف العليا التى أكدها القرآن الكريم فى مواقف عديدة كقوله فى عديد من المواقف: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

فالإيمان هو ثقافة الثقافات التى تضمن للإنسان سعادة الدنيا والآخرة، كما أن العمل الصالح هو قمة السلوك الذى ينبثق عن هذه الثقافة ليعمر الأرض فى شتى المجالات، أى ليقيم الحضارة الإنسانية السوية البناءة التى تتلاءم مع هذا الإيمان الرفيع والمنيع.

ولقد حوى القرآن الكريم ذلك كله، ومن هنا كان واجبنا أن نترجمه إلى ثقافة إيمانية وحضارة سلوكية عملية.

- يتبع -

***

صوم رمضان

تنقية للنفس والروح والجسم

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة «سابقا»

كان الصوم خير أسلوب يتبعه البشر لتنقية النفس والروح والجسم، وقد كتبه الله - تعالى - على المسلمين كما كتبه على الذين من قبلهم، فقال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(سورة البقرة : ١٨٣)

وقد بينت السنة النبوية المطهرة كيفية صيام المسلمين وآدابه وأحكامه وغايته. أما أبحاث العلماء فقد كشفت عن حقائق مهمة تجلى الحكمة الإلهية من وراء تشريع الصيام، لا ليكون فرضا تعبديا فقط، ولكن باعتباره أيضا من ضرورات الإبقاء على حياة الأحياء وسلامتهم.

وقد اختص الله شهر رمضان المعظم الذى أنزل فيه القرآن الكريم ليكون شهر الصيام المفروض بنفحاته التى تبهج النفس والقلب، فهو يبدأ فى جو تعم فيه الفرحة ديار المسلمين، ويستقبله المسلمون مهللين مكبرين مرددين دعاء رسول الله - ﷺ - عندما كان يرى هلال رمضان ويقول: «الله أكبر، اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربى وربك الله، هلال خير ورشد»[1].

وفى شهر رمضان يزداد السمو النفسى والصفاء الروحى بصلاة القيام وقراءة القرآن وكثرة التسبيح والذكر والدعاء، والبعد عن اللغو والرفث والجدال.

(١) زاد الميعاد.

ولاشك أن كل هذه المشاعر الروحية والوجدانية السامية تزيل ما علق بنفس المسلم من رواسب كامنة يؤثر استمرارها فى حالته النفسية، وكثيراً ما يفضى إلى الإصابة بأمراض جسدية عضوية.

والإيمان الخالص بالله - سبحانه وتعالى - فى شهر النفحات والبركات على وجه الخصوص يصنع أثرا يشبه المعجزات فى علاج مثل تلك الحالات المرضية قبل تفاقمها. والصوم بلاشك تعبير حى عن هذا الإيمان وتطبيقه. فحين يبدأ شهر رمضان المعظم يكون المسلم الموصول بخالقه وتعاليم دينه قد تهيأ نفسياً لقدومه، ثم تمضى أيام رمضان المباركة حتى اليوم العشرين، فيعتكف المسلم فى المسجد متفرغاً للعبادة، ومسلماً قلبه لربه الغفور الرحيم، اقتداء برسول الله - ﷺ - الذى قالت عنه عائشة - رضى الله عنها: «كان رسول الله - ﷺ - إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر»[2]. وهذا التفرغ الكامل لعبادة الله يزيد بالتدريج من استعداد النفس وطهارة الروح لتقبل المزيد من فيوض التجلى الإلهى على المؤمنين. فقد جاء فى الحديث الشريف: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

من ناحية أخرى، يعتبر الصوم من وجهة النظر الصحية وسيلة لتطهير الجسم مما يحتمل أن يكون به من زيادات فى السموم الضارة، أو ما يكون به من غذاء فائض لا لزوم له. ولهذا نجد الحديث عن الصوم فى الموسوعات الصحية يندرج تحت باب العلاج بالغذاء.. ففى خلال ساعات قليلة من فترة الصوم الإسلامى التى تتراوح بين ١٢ و١٦ ساعة يوميا، حسب الفصل من شتاء أو صيف أو ربيع أو خريف، يهبط معدل سكر الدم، وينتبه الجسم ليبحث عن مصدر آخر للطاقة فيستمدها من مخزون النشا الحيوانى فى الكبد، وهو مخزون يكفى الجسم حوالى ٦ ساعات، وبعد أن ينفد مخزون الكبد يلجأ الجسم إلى الدهون الموجودة تحت الجلد وفى الأعضاء ليهدمها ويتمثلها ويحصل على الطاقة اللازمة بعد هدم بعض الأنسجة والخلايا ذات الأهمية الأقل، وبخاصة المحتقنة والملتهبة والمتقيحة، فيتخلص الجسم منها ومن سمومها مع إذابة الرواسب الكلسية الموجودة بتلك المناطق، ويتبع ذلك بناء أنسجة جديدة مكان ما تهدم، ومن ثم تتجدد حيوية الأعضاء ويستعيد الجسم نشاطه، وتواصل أجهزته المختلفة أداء وظائفها بكفاءة عالية.

ومن المعروف لدى أغلب المدارس الطبية الحديثة أن هناك قواعد صحية معينة لزيادة الحيوية تعتمد على تبسيط الغذاء والصوم لفترات محدودة عن كل أنواع الغذاء التقليدية والاكتفاء بالأغذية الخفيفة سهلة الهضم التى تعتمد على الخضراوات وعصير الفواكه والسوائل الدافئة. وينصح أهل الاختصاص فى الصحة العامة بتطبيق هذا النظام العلاجى لمدة سبعة أيام مرتين فى كل عام فى الربيع وفى الخريف، حتى يتلافى الجسم الكثير من متاعبه، خاصة فى فترة الشيخوخة.

ويتميز الصوم الإسلامى بأنه يبيح لأتباعه بعد انتهاء فترة الصوم اليومية كل أنواع الطعام والشراب - فيما عدا المحرمات - فى قصد واعتدال، وبذلك يعوض الجسم ما فقده من طاقات، ولا يصاب الصائم بأمراض سوء التغذية أو نقص الفيتامينات والأملاح المعدنية. وهذا بعكس بعض أنواع الصوم

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.
(٣) رياض الصالحين.

التى تمتد لفترات طويلة، كما هو الحال بالنسبة لمن يسمون أنفسهم «بالنباتيين» الذين يعيشون على الأغذية النباتية فقط.

وهكذا نجد أن منهج الإسلام فى الصوم يراعى فائدة الجسد وصحة النفس ونقاء الروح، مع الحرص على مواصلة الحياة الطبيعية بنشاط وحيوية. وهذه الحقيقة هى عكس ما يتصوره الجهلاء من أن الصوم يؤدى إلى الهزال أو الضعف أو فقر الدم. فالصوم فيه الخير كل الخير للصائمين المؤمنين:

﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: ١٨٤)

شهر رمضان يتميز أيضاً عن غيره من الشهور بأن أنزل الله فيه القرآن الكريم هدى للناس وعلينا أن نتدبر آياته الكريمة امتثالا لقوله - تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

(سورة محمد: ٢٤)

وقوله سبحانه:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(سورة النساء: ٨٢)

وقد كان من الطبيعى أن يتفاوت اجتهاد المسلمين فى فهم آيات القرآن الكريم بتفاوت معارف عصورهم، وبتفاوت إدراك أشخاصهم، مع حد أساسى من الإدراك السليم والفهم الصحيح لهذه الآيات عرفه المسلمون منذ سمعوه يتلى عليهم أول مرة بفطرتهم النقية وملكتهم اللغوية وذوقهم البلاغى الرفيع، وبما تعلموه من مدرسة النبوة الأولى. كما اتجه اجتهاد بعض المفسرين إلى الاستعانة ببعض معطيات العلوم المعاصرة لهم، امتثالا لما جاء فى القرآن الكريم من حض جميل على التدبر فى آيات خلق الله المنبثة فى الآفاق وفى الأنفس من أقمار وكواكب ونجوم وبروج وبحار وأنهار وعيون ورياح وسحب وأمطار وجبال ونباتات وطيور وأنعام... إلخ.

وإذا تتبعنا معنى كلمة «علم» ومشتقاتها فى القرآن الكريم لوجدناها منسوبة إلى الله - عز وجل - وإلى الناس فرادى وجماعات، وبالتعميم والتخصيص، وفى أزمنة مختلفة وسياقات متباينة، مما يدل على اتساع معنى اللفظ فى اللغة وفى القرآن الكريم، حتى يشمل العلم المنسوب إلى كل هؤلاء الفاعلين المختلفين والمتفاوتين فى نوع علمهم وقدره ومقداره. والمتأمل لقوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(سورة فاطر: ٢٧-٢٨)

يجد أن خشية الله هنا إنما أتت بعد ذكر عناصر وظواهر كونية وحياتية تبحث فيها علوم الأرض والفلك والبيئة والوراثة والنبات والحيوان والأجناس البشرية بمسمياتها الحديثة. وفى هذا إشارة إلى أن معرفة المشتغلين بهذه العلوم لبعض الأسرار والنواميس التى أودعها الله فى هذه المخلوقات هى التى تبعث فى قلوب المؤمنين منهم الخشية من بديع السماوات والأرض، وترشد الغافلين وتنبههم إلى طريق الهداية والصراط المستقيم. إذ إن شرط

الخشية كما جاء فى تفسير البيضاوى معرفة المخشى بصفاته وأفعاله. فما كان أعلم به كان أخشى منه. وبهذا تكون العلوم الطبيعية فى حقيقتها غير مقصودة لذاتها، وإنما هى ضرورات حيوية وحضارية، فضلا عن أنها حاجات معرفية وعقلية تحيط الهداية الإيمانية بأبعاد جديدة، وترى فى كل مشهد كونى آية ناطقة بقدرة الخالق ووحدانيته، ومظهرا معبرا عن مظاهر تجليات أفعال الله - تعالى - وأسمائه الحسنى.

فعلوم الطب والصيدلة لا تبلغ غايتها وكمالها بأداء دورها فى صحة الأبدان وبرء الأسقام فقط، وإنما بأداء دورها أيضا فى مشاهدة التجليات الرحيمة لاسم الله «الشافى» واسم الله «الرحمن»، واسم الله «الرحيم» فى كل حبة دواء أو جرعة علاج مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

(سورة الشعراء: ٨٠)

وعلوم الفيزياء والفلك والكيمياء والحيوان والنبات وغيرها تبحث فى حقيقة الموجودات باستنادها إلى ما يناسبها من أسماء «العليم - الحكيم - القادر - المقتدر - الخالق - البارئ - المصور»

﴿ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

(سورة طه: ٩٨)

والذى أوجد هذا العالم على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال. وحض فى كتابه الكريم بأساليب بلاغية متنوعة فى الدعوة على النظر فى آيات الله وتأمل معانيها ودلالاتها، فهو تارة يأمرنا بذلك أمراً، كما فى قوله:

﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾

(سورة الأنعام: ٩٩)

وتارة أخرى يحضنا على ذلك حضا جميلا فيقول:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

(سورة الغاشية: ١٧-٢٠)

بينما يأتى فى مواضع أخرى بصيغة تقرير قاطع: فيقول:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾

(سورة الأعراف: ١٨٥)

وهذه الصيغ كلها من رب العالمين تنزل فى نفس المؤمنين منزلة الأمر والفريضة والتكليف، كل على قدر استعداده ومقدرة إدراكه وحصيلة معارفه لإزالة الغشاوات عن البصائر والأبصرة وتحطيم الأقفال عن الأفئدة والقلوب، ومن هنا يكون التأمل والتعمق فى فهم آيات القرآن الكريم مطلبا إسلاميا بل فرض كفاية لا يتوفر إلا للقادرين عليه، من البلغاء والفقهاء والعلماء الذين يعرفون من فصاحته وأحكامه وبراهينه العقلية ما يجهله غير المتخصصين. فبقدر ما يكتسب الإنسان من قوة فى العلم بقدر ما تتزايد معرفته بغوامض معانى القرآن وأسراره. وهذا هو شأن الكتاب المعجزة الذى أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين.

خطبة الجمعة

شهر له فلسفة

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالى

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولاعدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك، له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدا رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

إن بشائر الموسم الكبير - موسم العبادة والتقوى - تهب علينا وتستروحها قلوبنا وإن كان المرء يتساءل ما أسرع ما عادت الأيام ورجعت الذكريات!!

إن قطار الزمن يجرى بسرعة غريبة، إنه لا يتوقف فى محطة أبدا، إنه دائب الحركة ليلا ونهاراً!!

وقد مرت سنة ففى مثل هذه الأيام كنا نتهيأ لاستقبال شهر رمضان المبارك والآن نتهيأ لاستقبال شهر آخر حتى نلقى ربنا!!

نرجو أن ننتفع من الزمن الذى هو رأس مالنا هو هبة القدر الأعلى لنا، إنه لا يجامل، إنه إما صديق وإما عدو، صديق إن انتفعت به، وعدو إن أهملته وأضعته.

ورمضان يجيء ولانتحدث عنه طويلاً، إنما نريد أن نتحدث عن فلسفة الإسلام فى العلاقة بين الروح والجسد لمناسبة صيام المسلمين فى رمضان، فإن هذا الصيام فى حقيقته ترويض للغرائز البشرية العاتية، فليس هناك أعتى من غريزة الجنس التى تريد أن تنفس عن تطلعها باستمرار!!.

نكبة البشرية

والبشرية قد تنكب نكبة قاصمة إذا هى لم تحسن تحديد موقفها من كلا الأمرين، والمتأمل فى سير القافلة الإنسانية يجد أن هناك فلسفتين استطاعتا أن تسيطرا على جماهير كثيفة من الناس:

- فلسفة مادية موغلة فى المادة.
- وفلسفة روحية موغلة فى الروح.

فأما الموغلون فى الفكر المادى من ملحدين، ومن شيوعيين، ومن وجوديين، ومن وثنيين، فإنهم يعيشون ليومهم الحاضر ويطلقون العنان لغرائزهم فما تقف عند حد، إنهم يطلبون المتع!!

وطبيعة البشر أنهم إذا أحرزوا نصيبا من الشهوة استهانوا بما أحرزوه وازدروه وطلبوا شيئا أكثر وأعلى.

ولذلك فإن الشهوات البشرية مسعورة يسلم بعضها إلى بعض ويتطلع من حاز قليلا إلى كثير ومن حاز الكثير إلى أكثر!! ومن هنا فإن القرآن هدد هؤلاء:

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

(الحجر: ٣)

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾

(محمد: ١٢)

إنهم فى هذه الدنيا فارغو البال يجرون وراء نزواتهم ويقطعون الطريق إليها فى خفة لكنهم يوم القيامة يدفعون ثمن هذا مرارة يشعرون بغصتها فى حلوقهم، ويقال لهم:

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾

(غافر: ٧٥)

الإسلام احترم الروح والجسد!!

هذه فلسفة مادية، هناك فلسفة روحية قامت على الرهبنة ورأت أن من عبادة الله كبت الغريزة الجنسية وسحق نوازعها واعتبار القرب من الله على أساس أن يميت المرء فى بدنه نوازع التطلع إلى الجنس الآخر وأن يحيا بذلك رجلا كان أو امرأة، وربما استعان على ذلك بتقليل الطعام حينا، المهم أنهم دخلوا فى معركة ضد الجسد البشرى!!

والواقع أن الإسلام كان دينا منصفا عندما احترم الروح والجسد معا وعندما اهتم بالخصائص العليا للإنسان، وفى الوقت نفسه كفل ضرورات الحياة لغرائز الدنيا فجعلها تتحرك، ولكن داخل إطار معلوم وسياج حارس وتقاليد ضابطة وفضائل معروفة مقصاة، فترك الغريزة الجنسية تأخذ مداها فى بيت الطاعة فى فراش الزوجية ومنع ما وراء ذلك منعا صارما حاسما!!

وأباح للإنسان أن يأكل ولكنه بين له أن القصد والعفاف خير له وأولى، وفى هذا يقول النبى - ﷺ -: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا

مخيلة»[1] أى إسراف وخيلاء.. كل والبس فى غير إسراف ولا خيلاء.

صالح الإسلام بين الروح والجسد، فقال -ﷺ- وهو يحافظ على جسده وروحه - «اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»[2].

وقال فيما صح عنه: «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت»[3] الكفر ضياع الآخرة والفقر ضياع الدنيا!!

والإسلام كفل الإثنين معاً:

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾

(النحل: ٣٠)

الإسلام فى تعاليمه يريد تزكيتك ورفع مستواك فيطهرك جسدا بالغسل والوضوء، ثم يطهرك روحا بالركوع والسجود!!

قيمة الإنسان

وبين الإسلام حقيقة تعرف مع فلسفة الصيام، هذه الحقيقة أن الإنسان وإن كان قد نبت من الأرض جسده فإن قيمته ليست فى هذا الجسد الذى يطعم ويكتسى، ولكن قيمته فى الروح الذى يحركه، وما كلف أحد بأن يسجد له من حيث هو جسد، إنما كان التكريم وتكليف الملائكة بالسجود له بعد شىء آخر، قال -تعالى-:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾

(ص: ٧١، ٧٢)

فسجود الملائكة لآدم، إنما كان بعد أن سواه ربه ونفخ فيه من روحه، قبل أن ينفخ فيه من روحه، قبل أن يسويه بالعقل والشعور والإحساس، كان طينة من الأرض إذا تحركت بحياة حيوانية فلا وزن لها إنما كرامة الإنسان فى أنه نفخة من روح الله..

والناس بعد ذلك قسمان: قسم يعرف من نفخ فيه من روحه؟ من كرمه على سائر الخلق؟ قسم يعرف هذا، ويشكر ولى النعمة رب العالمين الذى سوى وكرم. هذا القسم هو المؤمن عرف نسبه السماوى وعرف الفضل الأعلى الذى أسبغ عليه

---

(١) رواه البخارى فى اللباس - باب قول الله -تعالى-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ الأعراف: ٣٢، ١٨٢/٧ والنسائى فى الزكاة - الاختيال فى الصدقة ٧٩/٥ وابن ماجة فى اللباس - باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة ١١٩٢/٢ وأحمد ١٨٦/٢.

(٢) رواه أبوداود فى الدعاء - باب فى الاستعاذة: عون المعبود ٤٠٦/٤ والنسائى فى الاستعاذة - الاستعاذة من الجوع ٢٦٣/٨ وابن ماجة فى الأطعمة ١١١٣/٢، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير، وقال رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة بسند ضعيف ٦١/١.

(٣) رواه أبو داود فى الأدب - باب ما يقول إذا أصبح - عون المعبود ٤٣٢/١٣ والنسائى فى الاستعاذة ٢٦٧/٨، والحاكم وصححه ٣٥٣/١ والبيهقى ١٢/٧ وأحمد ٤٢/٥ وفيض القدير: ١٣٥/٢ ورمز له السيوطى بالصحة.

فهو جدير بأن يحترم وأن ينعم فى دار الخلد.

وقسم آخر: نسى ربه، نسى من نفخ فيه من روحه، نسى من برأه من عدم، نسى هذا كله ولذلك يعاتبه ربه ويقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

(الانفطار: ٦ - ٨)

يجىء رمضان فتبدأ قصة الصيام وأنا لا أعلق على صيام المسلمين لأنى أعلم أن رمضان شهر الطعام لا شهر الصيام، شهر الأكل والمتع، وليس شهر تدريب الغرائز وتكوين الإرادات، دعنا من هذا فلا أتحدث عنه، إنما أتحدث عن ليالى رمضان، فإن الله -جل شأنه- لأمر ما أنزل كتابه فى هذا الشهر، بدأ نزول القرآن فى شهر رمضان.

وكان النبى -ﷺ- يضاعف من إقباله على القرآن الكريم ومن مدارسته له، يضاعف، فهو طول العام يقرأ القرآن ولكنه فى شهر رمضان يضاعف الدراسة وكلمة الدراسة شىء آخر غير القراءة العابرة أو التلاوة المجردة؛ لأن القراءة العابرة نوع من حفظ الحروف، التلاوة المجردة نوع من ترتيل الكلمات، لكن روح القرآن فى معانيه، ويوم تقرع المعانى نفوس الناس، ومع ذلك تبقى هذه النفوس موصدة الأبواب تبقى وعليها أقفالها، فإن المشكلة كبيرة:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾

(السجدة: ٢٢)

ولكى نعطى لمحة من عظمة هذا الكتاب أقول لكم: إن الله -جل شأنه- جعل هذا الكتاب موازيا أو مساويا للكون الذى نعيش فيه عندما وصف نفسه، رأيت أنه جل جلاله وصف نفسه بأمرين: أمر يقول فيه: أنا خالق الكون وأمر يقول فيه: أنا منزل الكتاب فجعل خلق الكون وإنزال الكتاب صفتين كلتاهما تعادل الأخرى.

بركات إلهية

تأمل فى قول الله -تعالى- وهو يذكر بركته ويشرح نعمته ويلفت النظر إلى ما فى الوجود من ثمرات دانية القطوف، ومن آيات رائعة الدلالة يقول مرة:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الملك: ١)

تبارك كثرت بركته ويقول مرة أخرى:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

(الفرقان: ١)

فمرة.. تبارك من بيده الملك، ومرة.. تبارك من أنزل هذا القرآن، وعندما حمد ربنا نفسه وأثنى على ذاته بما هو أهله قال مرة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾

(الأنعام: ١)

فبين أنه أهل الحمد، لأنه خالق الكون وموجد ما يتخلل الكون من ظلام ونور، ويقول مرة أخرى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾

(الكهف: ١)

كما وصف نفسه على هذا النحو أقسم كذلك

على هذا النحو، أقسم بعظمة الكون وأبعاده، وعلماء الفلك لهم حديث مذهل عن السنين الضوئية وعما بين الكواكب من مسافات، تسمع رب العالمين وهو يقول:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (78) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الواقعة: ٧٥- ٨٠)

بمواقع النجوم أقسم، بالكون أقسم، ويتكرر القسم فى مواضع أخرى من القرآن:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الحاقة: ٣٨- ٤٣)

ويقول:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾

(التكوير: ١٥- ٢٣)

فى هذه الآيات يصف رب العالمين الفترة قبل بزوغ الشمس وقبل مطلع الفجر والكون فى حالة ترقب لليوم الجديد الذى يطل على الناس ليفتتحوا معه صفحة جديدة، إنه يقسم بهذه الحالة لكى يلفت النظر إلى أن من أراد الهدى ففى القرآن هداه!! ومن أراد الحق ففى القرآن أمله، ومن أراد النصر والعزة ففى القرآن ما ينشده.

تحب أن تقول: إن هذا الكتاب جاء إلى الناس حياة تذهب الموت الأدبى، الموت العقلى، الموت الحضارى!!.

مصدر الحياة

الأمم محتاجة إلى عصر إحياء فمن الذى يحييها؟

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾

(الأنعام: ١٢٢)

ما مصدر هذا النور الذى نمشى به بين الناس؟ ما مصدر هذه الحياة التى أذهبت الموت الأدبى والمادى فى الأمم؟ إنه القرآن. القرآن الذى جاء إلى أمة على هامش الدنيا فمازال يرتفع بها حتى جعلها قمة الوجود!!؛ لذلك كان القرآن فى رمضان النور الذى تضاء به الليالى وتبيض.

هذا الشهر المقبل فيه فلسفة الإسلام فى ربط الدنيا بالآخرة، ربط الروح بالجسد، ربط الأرض بالسماء، ربط البشر بالوحى الإلهى، ربط الدنيا بالكتاب الذى أضاء لها الطريق وحدد لها الغاية!! شهر ينبغى أن يعرف المسلمون فضله، وأن يستعدوا له.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

❁❁❁

الصلاة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

قال تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾

(النساء: ١٠٣)

وقال تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾

(هود: ١١٤)

هذه هى الدعامة الثانية من دعائم الإسلام، «الصلاة» وهى عبادة بدنية فرضت على المسلمين خمس مرات فى اليوم والليلة: صلاة الصبح، وصلاة الظهر، وصلاة العصر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء.

والصلاة لغة: الدعاء وشرعاً: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشروط مخصوصة، والصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين.

وقد اشتملت الصلاة على جميع مظاهر التعظيم والأدب الرفيع، والخشوع لله تعالى، ولذا كانت الصلاة صلة بين العبد وربه، وكان العبد أقرب ما يكون إلى ربه فى حال الصلاة وهو ساجد.

ومن أقام الصلاة وحافظ عليها محافظة تامة، فلم يخل بشرط من شروطها أو حكم من أحكامها، وأداها فى أوقاتها كاملة الخشوع والخضوع كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، قال ﷺ: «ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله»[1].

ويتضح لنا سمو مكانة هذه الفريضة،

١- رواه مسلم

ومنزلتها الهامة عند الله -سبحانه وتعالى-، حيث فرضت في السماء، فقد استدعى الحبيب حبيبه وعرج به إلى السماوات حتى كان في حضرته القدسية ليخاطبه مشافهة بهذا الأمر الهام، وبتلك الفريضة المحبوبة «الصلاة».

فمنزلة الصلاة من الدين كمنزلة الرأس من الجسد فلا دين لمن لا صلاة له.

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له، ولا دين لمن لا صلاة له، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد»[2]

وقد اهتم الكتاب والسنة بأمر الصلاة، والتحذير من تركها، فقد أمر الله -تعالى- بها رسوله:

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

كما جعلها أساساً أصيلاً من أسس التقوى تأتي مرتبتها بعد الإيمان بالغيب مباشرة، قال تعالى:

﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(البقرة: ٢، ٣)

ويجعلها النبي ﷺ الفاصل بين المسلم والكافر، فيقول فيما رواه مسلم: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»، فليس غريباً أن يقول بعض الأئمة بكفر تاركها، ويقول آخرون بفسقه، ويخشى عليه ترك الإيمان.

قال عليه الصلاة والسلام في حديث الإسراء: «فانطلقت فمررت على ملك وأمامه آدمي، وبيد الملك صخرة يضرب بها هامة الآدمي فيقع دماغه جانباً وتقع الصخرة جانباً، ولما سأل عن ذلك قيل له: أولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة، ويصلون الصلوات لغير مواقيتها، فهم معذبون بها حتى يصيروا إلى النار».

إذن فللصلاة أهميتها البالغة، ومكانتها التي لا تطاولها مكانة، فهي أول ما يسأل عنه العبد، ويحاسب عليه يوم القيامة، بل إنها الميزان الصحيح الذي توزن به سائر الأعمال، فحيث كانت الصلاة صالحة ومقبولة صلح سائر العمل، وحيث كانت غير صالحة فسد سائر العمل:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وتكف صاحبها عن الشرور، وتسمو به حيث الرضا والكمال، وأما من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، لأنه لم يستكمل عبادتها ولم تكن إقامته

٢- رواه الطبراني في الأوسط الصغير.

لها صالحة ومستقيمة، وقد وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقيقة الصلاة كميزان للأعمال، عن عبدالله ابن قرط -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»[3].

وعلامة الصلاة الصالحة المقبولة أن يؤديها صاحبها متواضعاً فيها لعظمة ربه الكبير، ولم يستطل على أحد من خلق الله، فهو ينتظم في صفوف الطائعين غير مصر على معصيته، وإنما يحيا في ذكر الله ويتعاطف مع عباد الله، ولقد جاء في حديث يرويه النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب»[4].

وتتضح ثمرة الصلاة المقبولة بنهيها صاحبها عن الآثام، وتكفيرها للخطايا، فالصلاة تزكي الروح وتطهر القلب من غفلات الهوى وأدران الخطايا، قال عليه الصلاة والسلام: «أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»، فهي إذاً طهارة للإنسان وبراءة من الذنوب، وإطفاء لما يحترق به الإنسان من المعاصي، يتضح هذا مما رواه ابن مسعود: «تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها ثم تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا تكتب عليكم حتى تستيقظوا».

ويُروى عن سلمان الفارسي أنه كان مع النبي ﷺ تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال: «يا سلمان ألا تسألني لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق، ثم تلا الآية الكريمة:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾

(هود: ١١٤)

وللصلاة أثرها الإيجابي في حياة المؤمن، فهي لقاء روحي خصب يقف فيه بين يدي الرحمن الرحيم في مناجاة عذبة يتلقى شحنات روحية تدخله في رحاب الرضا والقبول، قال تعالى في الحديث القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:

٣- رواه الطبراني في الأوسط

٤- رواه البزار.

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال الله -عز وجل: حمدنى عبدى، فإذا قال:

﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال الله: أثني عليَّ عبدى، فإذا قال:

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

قال: مجدني عبدى، فإذا قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

قال الله: هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

(الفاتحة)

قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل».

والصلاة مع هذا كله نظافة للبدن والثوب والمكان، ورياضة للجسم والروح والعقل، فهى إذاً قوة روحية وبدنية وخلقية.

أليست - بهذا كله - جديرة بأن تفرض من فوق سبع سماوات، بلى إنها لجديرة أن تفرض فى الليلة المباركة ليلة الإسراء والمعراج، فهى عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

ومن ثمرات الصلاة التى يجنيها المؤمن أن فيها متنفساً للمتعبين والمتكوبين، فإذا استعان الواحد منهم بالصبر والصلاة وجد الله -تعالى- معه، وقد نادى الله -تعالى- عباده المؤمنين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(البقرة:١٥٣)

قال تعالى:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

(البقرة:٤٥، ٤٦)

ولقد كان النبى صلوات الله وسلامه عليه إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فهى مرفأ الراحة والطمأنينة، ومنزل الأمن والسكينة، بها يتغلب الإنسان على نوازع الجبن والخوف ومواقف الهوى والخمول، ففيها مقاومة للجزع الذى يصيب بعض الناس وقت نزول الشر، وعلاج للنفوس المناعة للخير حين يكون:

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾

(المعارج:١٩-٢٣)

والمصلى لابد أن يكون فى صلاته مستحضراً كل أحاسيس الخشوع، لأنه إنما يقف بين يدى الحضرة الإلهية فى دائرة الرحمة والفيض الإلهى، فلا ينبغى له أن يكون من المرائين أو الساهين، فإن هؤلاء قد توعدهم ربهم على عدم إخلاصهم فى صلاتهم، قال تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

(الماعون: ٤-٧)

ويحث الإسلام مقيم الصلاة بالانتظام فى سلك المجتمع وألا يعيش فى عزلة عن الناس، فأمر بأداء الصلاة فى جماعة، وجعلها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، بل إن الرسول ﷺ هم أن يحرق على قوم بيوتهم لأنهم يتخلفون عن الجماعات.

روى مسلم عن ابن مسعود قال: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله -تعالى- شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، وإنكم لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى المسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها -أى صلاة الجماعة- إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين يسندانه لمرضه حتى يقام فى الصف».

وفى رحلة الإسراء والمعراج وضح الله -تعالى- لرسوله ﷺ مغبة أمر الذى تتثاقل رأسه عن الصلاة، فقد مر صلوات الله وسلامه عليه على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر، وكلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة»، بل إنه قد أدى الصلاة على كيفية خاصة قبل أن تفرض إماماً بالنبيين، وفى هذا ما يدل على عظمة هذه الفريضة وعظمة الرسول ﷺ. ففى رواية ابن مسعود: «ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم».

وفى رواية أبى أمامة عند الطبرانى: «ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً ﷺ».

إذاً فمكانة هذه الفريضة مكانة جليلة، فهى معراج إلى الله يعبر بها المؤمن الحدود الدنيا، ويستشرف فى سمو روحى الأجواء الإلهية، ويجتاز طبقات البعد عن الله فيقترب من رحابه ويأنس فى مرافىء الرحمة والسلام.

يقول الإمام القشيرى: سمعت الأستاذ أبا على الدقاق -رضى الله عنه- يقول: «إن نبينا عليه السلام أتى للأمة بالمعراج على التحقيق، فإن الصلاة لنا بمنزلة المعراج، وقد كان المعراج له عليه الصلاة والسلام ثلاث منازل: من الحرم إلى المسجد الأقصى، ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى، ثم منها إلى قاب قوسين أو أدنى، فكذلك لنا الصلاة ثلاث منازل: القيام ثم الركوع ثم السجود، وهو نهاية القرب، قال الله تعالى:

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾

(العلق: ١٩)

من قصص البادية

عروة وعفراء

للدكتور / أبى حسام

-١-

كان أبو السائب المخزومى فى العصر الأموى حديث الأدباء والشعراء لبراعة نقده الأدبى وخفة روحه، وما يأتى به من نوادر طريفة يستطيبها زملاؤه من الأدباء وقد شوهد ذات صباح فى بلدة اليمامة بنجد يسأل عن منزل الشاعر نُويب بن عبدالملك فقد قدم من المدينة المنورة للقائه واتجه إلى المسجد حتى حضر نُويب للقائه وقد ظن أنه يطلبه لأمر خطير ولكن أبا السائب قال له حضرت من مدينة رسول الله لأروى عنك أبياتا رقيقة قلتها فى «سعدى» وليس هذا غريبا من سلوك السائب فابتسم نويب وقد تجمع الناس حولهما وأنشد قوله:

لا تزال الديار فى برقة القاع
بجزوى حرارة تبكينى
قلت لما وقفت فى أسفل الدار
لسعدى مقالة المسكين
اصنعى بى يا ربة البيت خيرا
ومن الماء شربة فاسقينى
قالت الماء فى الركى كثير
قلت ماء الركىّ لا يشفينى
أغلقت دونى الستور وقالت
كل يوم بحيلة تأتينى

فطرب أبو السائب وهمّ بالرحيل فتمسك به المجتمعون، وقالوا: أنت ضيفنا اليوم ولن تبرح حتى تحدثنا عن شعراء المدينة ووادى القرى ممن يؤمون العقيق من العذريين مثل جميل وكثير وقيس بن ذريح، وتروى لنا بعض ما يقولون.

فقال أبو السائب: إن أكثر ما يروى عن هؤلاء مبالغ فيه، إذ تزيد الرواة فى افتعال مشاهد لم تحدث ولكنى سأحدثكم عن شاعر تقدمهم قليلا فى الزمن ولم تشتهر أنباؤه كثيرا وهو عذرى صادق فصيح

فسأل القوم: من هو؟

فقال إنه عروة بن حزام صاحب عفراء!

فقال نويب: أعرف بعض أنبائه وقد أعجبت كثيرا بتعاطفه مع الحيوان فى قوله:

هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى
وإنى وإياها لمختلفان
متى تحملى شوقى وشوقك تظلمى
ومالك بالعبء الثقيل يدان

فقال أبو السائب: ومن هذا الوادى الإنسانى قوله:

فياليت كل اثنين بينهما هوى
من الناس والأنعام يلتقيان
فيشتكيان الهم فى عفة الهوى
ويرعاهما ربى فلا يريان

فطرب السامعون إعجابا، وتهيأ أبو السائب للحديث عن عروة فقال:

-٢-

آفة الحب الفقر ورقة الحال حيث لا يستطيع المحب أن يؤدى مهر صاحبته ويتحكم والدها فى طلب ما لا يطاق فيحدث الشقاق.

لقد مات والد عروة وهو صبى صغير ولم يترك له شيئا يقيه بأساء الحياة فضمه عمه عقال إلى بيته وقال: إنه من دمى ولن يُترك جائعا يتكفف الناس ولكن زوجه ضاقت به دون جريرة مع أنه يقوم برعى الشياه وسيؤدى مالا تستطيع عفراء ابنتها أن تقوم به وحدها، وقد تصاحب الرفيقان فى الغدو والرواح، وهما فى منزل واحد يضمها معا، وكانت عفراء ذات جمال ملحوظ يتطلع إليها الشباب فى عجب ورأت والدتها أنها جديرة بشاب ثرى يقيها متاعب العيش ولن تسمح بها لفقير مقل تكابد معه غصص الحياة، وقد لاحظت ما بين عروة وعفراء من حب بدت بوادره دون نقاب، فاغتاظت غيظا شديدا وأخذت تقابله بالجفاء وكأنها تقول له اذهب ولن تعود ولاحظت عفراء ذلك فخاصمت والدتها وأعلنت صراحة أنها تحب ابن عمها الطاهر العفيف هذا الذى لم تجد منه إلا كل مروءة وحياء، فزاد ذلك من فزع والدتها، ولمس عروة ما حدث من الجفاء بين الأم والفتاة فآثر أن يتحول إلى منزل عمة له كانت وحيدة بعد وفاة زوجها فرحبت به كثيرا وأخذ يرعى غنمها فى

منابت الكلأ، وعفراء تصاحبه يوميا فى المرعى، إذ ترعى غنم أبيها، ورأت الأم أنها لم تفعل شيئا فاللقاء متواصل والحب يتنامى ويزداد فصبرت على ضيق وكدر وقد أمطرت البادية على غير عادتها مطرا غزيرا فارتعدت عفراء من شدة البرد وقد ابتلت ثيابها فخلع عروة ثوبه وقدمه لها وبقى بما تحت الثوب وهما قميص بال، ولباس يستر العورة ثم حملها إلى المنزل وكان من اللائق أن تقابله الأم بالشكر والامتنان ولكنها صرخت فى وجهه وصاحت: أتحمل عفراء أيها الوقح ماذا يقول الناس؟ وسمع عقال والد عفراء الضجة فتقدم ليسمع من زوجه ما لا يقبل فنهرها وطيب خاطر عروة أما عفراء فقد خاصمت أمها وأخذت تتحداها مجاهرة وقالت لها أمام والدها: لقد فقدتك منذ زمن ويكفى أبى لهنائى. وذهب عروة إلى عمته وأعلمها بموقف والدة عفراء فلم تصبر وذهبت إلى أخيها تلومه وتنتقد صمته الذى أدى إلى طرد ابن أخيه دون جريرة وقالت له: لو كان والد عروة هو الذى بقى وأنت الذى ارتحلت لوضع عفراء فى عينه ورعاها أجمل رعاية فكان حديثها فى نفسه موقع السهام!

-٢-

نظر والد عفراء فى أمرها بعين الجد فرأى أنها تهيم بعروة ولا تبغى سواه بديلا، فهى تضمر له من الحب ما يضمر وعروة شاب فقير لا يملك قوت يومه إلا بجهد جاهد، وزوجه تقول إن مثلها فى حسنها الخالب وجمالها الجاذب لابد أن تزف إلى شاب واسع الثراء تخرج معه فى أفياء النعيم وكل شباب القبيلة يتحدثون عن حسنها وفيهم من يملك الجاه والثروة فكيف يتصرف فى هذا الموقف؟

لقد دعا عروة وقال له: يا ابن أخى إنى لن أحول بينك وبين ما تبتغى من زواج عفراء ولى اقتراح مفيد يحقق رغبتك ورغبتها على وجه سديد.

فقال عروة: قل ما تريد يا عماه فأنا طوع بنانك.

فأجاب العم فى هدوء: أنت تعلم أن لنا ابن عم لك فى بلدة الرى، وهو أخ لى غير شقيق، وتأتين أنباؤه السارة دون انقطاع لأنه يربى الخيل ويبيعها فى هذا البلد، والرى بلد تجارى تمر به القوافل القادمة من خراسان إلى بغداد ومكة، ويعيش أهله فى رغد مما يروج لديهم من وسائل الكسب، فإذا ارتحلت إليه وسألته العون على أداء مهرك وصلاح حالك فهو لن يخيب لك رجاء وخاصة أنه عاقر غير منجب فذوو قرباه أولى بما فى يديه.

فقال عروة فى إشفاق: أخشى يا عماه أن يمتد بى الوقت رائحا إلى بلد بعيد وعائدا منه فيجىء إليك من يطلب يد عفراء فتقدمها إليه لثرائه وسعة عيشة وأرجع إليك بعد ذلك فأرى ما تسود به الحياة ولن يطيب لى البقاء.

قال العم: لك عهد بينى وبينك أن تكون عفراء من نصيبك فلا يشغل خاطرك شىء من هذه الناحية فقال عروة له على أن تعرف عفراء ما بينى وبينك من عهد وأن أقابلها لأطمئن على رأيها فتعلم أنى راحل من أجل سعادتها بى وسعادتى بها.

قال العم لا مانع وستكون عفراء فى منزل عمتك وعمتها هذه الليلة لتخبرها بما اعتزمت عليه وتتعاقدا على دوام العهد وإن تأخر الاقتران إلى حين وفى المساء تم اللقاء المنتظر، وبكى العاشقان طويلا حذرا من وحشة الفراق، ثم خلعت عفراء خاتما من أصبعها، وقدمته إلى عروة، وقالت: هو معك كى تتذكرنى دون نسيان

فقبله مرات عدة، وقال: لن يكون الخاتم فى جيبى، بل هو فى طىّ الشغاف.

وكان لعروة صديقان أثيران من بنى عذرة، فأطلعهما على عزمه على الرحيل، فقالا نحن معك فى طريقك الطويل، ليهون السير بالمطارحة والمجاذبة، وابتدأت الرحلة من الغد، ولكن عروة كان كاسف البال مشغول الخاطر يفكر تارة فى أمر عفراء فيهتاجه الشوق إليها، وتارة فى أمر عمه بالرّى الذى لم يره من قبل، أسيرعى جانبه، وينعم عليه بما يرجو؟ أم يصده ويجافيه فيرجع مكسور النفس، خائب المسعى، وزميلاه يفتحان له باب الأمل، ويقولان له إن الرجل جواد ويبعث لكم كل عام ما يدل على كرم حافل، وسخاء موفور فلا يأس.

ومروا فى الطريق- باليمامة- بلدكم هذه- هكذا قال أبو السائب للقوم- فشعر عروة بانتكاسة صحية أشفق من عاقبتها زميلاه، فعرضا عليه أن يأتيا عراف اليمامة، وهو ذو شهرة فائقة فى البدو والحضر ليخبر أمره، ويلم بمأساته، وكان عراف نجد معه إذ خف لزيارته كعادتهما فى التزاور، فأحاطا بأمره، وجعلا يرقيانه تارة، ويسقيانه من شراب قرءا عليه تارة أخرى وبشراه بالشفاء عن قريب وخرج الثلاثة على أمل، ولكن عروة انتكس فى الطريق، وأخذ يهذى بحديث عذراء، وينشد الأبيات حنينا وهياما وكان مما قال فى ذلك.

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد إذ هما شفيانى

فقالا نعم نشفى من الداء كله
وقاما مع العواد يبتدرانه

فما تركا من رقية يعلمانها
ولا شربة إلا وقد سقيانى

وقالا شفاك الله، والله ما بنا
لما ضمنت منك الضلوع يدان

ثم اطمأن به المقيل إلى عمه بالرى، فرحب به وأهل، وأنزله خير منزل، ووعده أن يعطيه من الإبل كل ما يأمل، ولكنه وجد صحته لا تساعده على

الرحيل العاجل، فأشار عليه أن يمكث، حتى تخف برودة الشتاء، ويقبل الربيع حاملا نسيمه الدافئ، وكان الاقتراح صائبا كل الإصابة، فاستجاب عروة في غير قلق، لأن رغبته قد تحققت وسيرجع بالبشرى إلى عفراء، فيتم الزواج:

- ٤ -

حسب والد عفراء أمد الذهاب إلى الرى والعودة منها، فوجد أن الوقت مضى دون أن يرجع عروة، وجعل يسائل نفســــه أوقع له في الطريق من ذوى الإجرام ما قضى على حياته أو وجد الحياة جميلة ناعمة بالرى فلاعيش البادية ونسى عفراء؟ أضن عليه عمه بما طلب، فاستحيا أن يعود خالى الوطاب! وكانت زوجه تميل به إلى اليأس وتقول له: من الذى يعطى النياق ويسوق الأنعام لفتى لم يعرفه من قبل! إنه لن يعود بعد أن مكث أكثر ما ينتظر، وإذا كانت رغبته ملحة في عفراء فلماذا لم يعد إليها، وعفراء تسمع ذلك من أمها، فتسكت على غيظ ولا تجد من الإجابة ما يقنع الأب والأم معا، ثم نزل الحى ثرى من سراة الشام فنصب الخيام، ونحر الجذور، وتدفقت يده بالخير على الناس، فكان غيثا سقط على الزرع الذاوى فأنضره وأنماه! وسأل عن فتاة عربية ذات جمال وحسن تصلح زوجا له، فأجمع القوم على عفراء، فأوفد إلى والدها من يعلن رغبته في الإصهار إليه ورحبت الأم ترحيبا لا حد له! وتلكأ الأب وفاء بعهد قطعه لعروة، وعارضت عفراء معارضة حادة، ولكن والدتها قطعت عليه طريق الأمل في عودته، إذ مضت الأيام يوما وراء يوم دون أن يعود! وما زالت الأم بالأب والفتاة حتى استجاب الوالد، وجعل يراود ابنته بشتى الأساليب إلى أن وافقت على مضض، لأن القوم قد أياسوها من عودة عروة! وبلغ الكتاب أجله فتم الزفاف، وبذل الزوج ما بذل، لا لأبى عفراء «وحده» بل لأهل الحى جميعا، وبعد قرابة أسبوع من الزفاف تهيأ للرحيل إلى موطنه بالشام!

ثم رجفت الراجفة حين عاد عروة بمائة من النياق ساقها مهراً لعفراء، وسقط في يد العم وقد وقف أمام مشكلة عويصة يجب أن تحل، فساق عروة إلى منزله، وبدل أن يطالع وجه عفراء، وجد عيوناً يتدفق منها الدمع الكاذب، وشهيقاً وزفيرا ينبئان عن لوعة حارة، ثم نزل عليه الخبر المموه بنعى عفراء لأنها مرضت بعد وفاته، ولم تستطع صبرا على فراقه غب أسابيع قليلة فوافاها الأجل المحتوم بعدها، وكان الأب قد أوصى جيرانه متوسلا أن يكتموا الحقيقة على الحبيب المفجوع، فسأل عن قبرها فدلوه على حقير جديد بنيت عليه بعض اللبنات، فجعل يزوره باكيا كل يوم دون انقطاع، ولكن فتاة صريحة عز عليها أن ينخدع الرجل، وأن يتآمر القوم على خديعته، فقالت له: أزل اللبنات يا عروة فلن ترى شيئا! لقد تزوجت عفراء، ورحلت الى الشام، وتواطأ القوم على خديعتك. ونهض عروة وأزاح اللبنات فلم يجد شيئا! وكاد يجن، ومكث في الذهول أياما، ثم أتاه من أخبره بموطنها، ومكان زوجها الجديد بالبلد النازح، فصمم على أن يرحل إليه وإليها مهما كانت العواقب، وكان معه من المال والزاد والراحلة والرفقة ما عجل له طريق الوصول دون إبطاء!

بلغ عروة منزل عفراء، وعلم أن زوجها كريم ماجد، يطرق ساحته الضيفان عن سعة، فيلاقون كل ترحيب وابتهاج، فنزل عليه، وأنكر حقيقة أمره، ثم جاءت الخادمة فترضاها ببعض المال كى تحمل الخاتم إلى عفراء! وأبت الخادم بدءا، وأغراها المال ثانية فوافقت، وما إن رأت عفراء الخاتم حتى دارت بها الأرض، وعلمت أن الضيف هو ابن عمها عروة، وكانت أمينة شريفة، فأوقفت زوجها على ما جهل من أمر عروة، وذكرت له قصة غرامها معه منذ كانا صغيرين، فقال لها مالم تكن تنتظره:

«لو كنت أعلم ما كان بينكما لما أقدمت على الاقتران بك والآن فأمرك في يدك، إن شئت طلقتك ورحلت معه مكرمة عزيزة، وإن شئت آثرت المقام معى» وبكت عفراء دون أن تجيب، فسارع واستدعى عروة، وأسمعه ما قال من قبل لعفراء، ولمس عروة من مروءة الزوج وأريحيته مافاق كل تقدير وظن، فشكره شكرا حزينا وعجل بالرحيل، وأرسل الزوج معه من يشيعه حتى يبلغ أرض نجد، ومكثت عفراء حاضرة كغائبة والزوج يقدر عواطفها فيحاول مسلاتها، ثم جاء من سار معه إلى أطراف الشام مودعا ليعلن أن عروة ظل صامتا طول الطريق ثم شهق شهقة عالية وارتمى على الأرض ففارق الحياة، ووقع النبأ على عفراء أسوأ موقع، فظلت متماسكة أمام زوجها، ومرضت مرضا شديدا انتهى بها إلى الوفاة بعد أسابيع!

بلغ أبو السائب المخزومى في قوله إلى هذه النهاية، وكان رقيق القلب، سريع الدمعة، فاحتبس صوته، وأخذ يبكى، وأقبل عليه السامعون يواسونه، وأنه أقرب الأقرباء لعروة وعفراء حتى إذا هدأ بعض الشئ، تقدم إليه من يستضيفه من أهل اليمامة ليأخذ قسطا من الراحة قبل أن يرحل وفي الصباح ذهب إليه نفر من سامعيه بالأمس ورجوه أن ينتظر اليوم فلا يرحل حتى يحدثهم عن عمر بن أبى ربيعة، وهو به عليم، فاستجاب.

***

الإســلام ومستقبل البشرية

د. حمدى فتوح والى

لا يخفى على أحد ما تعانيه البشرية اليوم من شقاء وبلاء، وما يقع بين شعوب الأرض من صراع ودمار، وما يحل بأهلها من ويلات ونكبات.

ومن المؤسف والمؤلم أن هذا الدمار والبلاء لم يقف عند حدود أكابر المجرمين الذين مكروا بالأرض مكر السوء، وأفسدوا فيها فساداً كبيراً، وإنما عمَّ البلاء فأصاب أهل الأرض جميعاً، فإذا البشرية فى صراع دائم وشقاء مقيم. وصدق الخالق الحكيم القائل:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال:٢٥)

واليوم وقد تعبت البشرية من شقائها، ويئست من شقائها لم يبق أمامها إلا أن تبحث جاهدة عن طوق النجاة، لكنها لسوء حظها وفساد قيادتها لا يبدو أنها ستظفر به قريباً، لأن كبار مجرميها مصرون على السعى بها إلى سوء المصير، وذلك بتصميمهم على استدبار طريق الهداية، والانطلاق المحموم بعيداً عن الله.

وتلك عقوبة إلهية لكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب!. وصدق الخالق الحكيم القائل:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾

(الأعراف:١٤٦)

ولأن الأرض هى سفينتنا التى تقلنا جميعاً، كان لزاماً على راكبيها أن يتكاتفوا لإنقاذها، والأخذ على يد العابثين بمصيرها، واللاهين بمستقبلها وأمنها، مهما كان شأن هؤلاء العابثين الماجنين، ومهما تهيأ لهم من أسباب القوة وخداع الراكبين.

قيمة الإنسان

إن الكون كله ـ أشياءه وأحياءه ـ من خلق الله وإبداعه. أراده الله ـ سبحانه ـ فكان. وليس لشىء ولا لحى فى هذا الكون أثارة من أمر الخلق فى هذا الكون، ولا التدبير ولا الهيمنة. ولا مشاركة فى شىء من خصائص الألوهية بمال.

والإنسان ـ بجنسه ـ مخلوق مكرَّم على سائر الخلائق فى الأرض، مُستخلف من الله فيها، مُسخَّر له كل ما فيها، ومن ثم فليست هناك قيمة مادية فى هذه الأرض تعلو قيمة الإنسان. أو تهدر من أجلها قيمته.

ومن هنا تسقط كل الذرائع الإجرامية التى تتذرَّع بها أمريكا والغرب الأوروبى. وتشن بها حرب إبادة على شعوب المسلمين فى بلادهم طمعاً فيما تحويه أرض المسلمين من كنوز. أو ما يحمله المسلمون أنفسهم من عقيدة وقيم. فالله ـ سبحانه وتعالى ـ قد خلق الخلق جميعاً ليتعارفوا لا ليتصارعوا ويتفانوا. ودعاهم فى نداء إلهى خالد إلى تذكر أصلهم الواحد، الذى يضمن لهم الانطلاق من قاعدة واحدة هى الأب الواحد والأم الواحدة والاتجاه إلى هدف واحد هو التعارف والتآلف، والاحتكام إلى معيار واحد هو التقوى.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات:١٣)

تلك هى الثوابت العليا التى ينطلق منها الإنسان فى مفهوم الإسلام، فهل وعى الغرب، وهل أدركت أمريكا هذه الحقيقة الإلهية التى قررها الإسلام. وتعامل مع شعوب الأرض جميعاً من منطلق تلك الثوابت فنعمت الأرض كلها بأسعد قيادة عرفها التاريخ؟.

التقوى والعمل الصالح

إن الناس من أصل واحد. ومن ثم فهم ـ من هذه الناحية ـ متساوون وأن القيمة الوحيدة التى يتفاضلون بها ـ فيما بينهم ـ هى التقوى والعمل الصالح لا أية قيمة أخرى، من نسب، أو مال ـ أو

مركز ـ أو طبقة أو جنس إلى آخر تلك القيم الأرضية.

بهذه الثوابت الراقية حكم الإسلام الأرض قرونًا عديدة فقدم للبشرية أسعد أيامها، وأزهى حضاراتها. وأجمل ما شهدته من قيم العدل والإنصاف.

ودارت الأيام دورتها وآل أمر البشرية إلى يد قوم لا يؤمنون بالله إيمانًا صحيحًا. ولا يعتمدون الحل الإلهى لمشكلة الأرض. وإنما الأمر كله يقوم على مبدأ اللذة والمنفعة والاستحواذ المجنون على مصدر القوة ممثلاً فى الطاقة والعتاد العسكرى.

جريمة النظام العالمى

وأمام هذه الجريمة النكراء التى يمارسها النظام العالمى الجديد كان لابد للإسلام أن يعلن عن نفسه، بعد أن تيقن أن هذا النظام لا يملك أدنى مقومات القيادة التى تمنح البشرية السعادة والهناء. لأن هذا النظام نفسه لا يشعر بشىء من السعادة والهناء، بعد أن قطع علاقته بواهب السعادة للنفس عندما حجب تلك النفس عن الله فأظلمت ويئست

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾

(طه: ١٢٤، ١٢٥)

«إن الإسلام ينادى بنفسه رسالة عالمية للناس أجمعين، لأنه يريد للبشرية كلها أن تنعم بخيره ورحمته وهدايته، ولا يريد أن يكون هذا كله وقفًا على قوم دون قوم، أو جنس دون جنس علي طريقة اليهودية مثلاً!. وما يزال أمر الله يتردد خالدًا ليأمر القائمين على هذا الدين بما أمر به نبيه محمدًا ﷺ من قبل قائلاً:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

ولكنه فى الوقت ذاته لا يحاول أن يقسر الناس قسرًا على اتباعه:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة: ٢٥٦)

وكل ما يريده الإسلام هو أن تُترك له حرية الدعوة بين أهل الأرض جميعًا، كى يصلهم بالخير المطلق الذى جاء به، والذى لا يجعله حكرًا على أحد أو وقفًا على أحد.

دعوة إلي البشر أجمعين

والإسلام عندما يتوجه بدعوته تلك إلى البشرية كلها يؤكد منذ اللحظة الأولى على نفى كل نعرة جنسية وكل نزعة عنصرية، وكل تمييز على أساس اللون أو الجنس أو العرق أو اللغة. وأن الاختلاف فى الألوان

واللغات يراد به التعارف لا التناكر. «لا فضل لعربىّ على أعجمىّ إلا بالتقوى».

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

ومن هنا أؤكد أن الإسلام ليس ملكًا للعرب وحدهم يعرضونه على قوم ويحجبونه عن آخرين. وليس ملكًا للمسلمين وحدهم وإنما هو دعوة الله إلى البشر أجمعين.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف: ١٥٨)

وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام قد أضحت فريضة شرعية وضرورة بشرية تلزم عقلاء الأرض جميعًا من كل ملّة ومن كل لون، فإن أولى الناس قيامًا بهذه المهمة هم المسلمون أنفسهم الذين ذاقوا حلاوة القرب من ربهم، وطعموا لذّة الطاعة لخالقهم وسعدوا بالمنهج الإلهى الحكيم الذى ضمن لهم حالة من التوازن النفسى. والانسجام الروحى والاستقرار الوجدانى والشعورى. حتى جعلت رجلاً مثل الإمام ابن تيمية يقول:

«نحن بهذا الإسلام فى سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف».

وإذا كان الباطل فى كل ملّة من ملل الكفر قد وجد من أصحابه من يحميه وينصره ويزود عنه وينشره، فإن أهل الإسلام ـ وهو دين الله الحق ـ هم أولى الناس قيامًا بنصره والموت فى سبيله وإيصاله إلى العالمين، ويوم يرى الله منهم صدقًا فى إيمانهم، واستقامة فى سلوكهم، ونزاهة وطُهرًا فى آدابهم وأخلاقهم، وإخلاصًا عميقًا فى عباداتهم وعقائدهم سيلقى هيبتهم فى قلوب أعدائهم.

أما إن ظلوا فى ضلالهم، وسدروا فى طُغيانهم، وأعطوا الدنية فى دينهم فسيحق عليهم وعد ربهم فى قوله:

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾

(محمد: ٣٨)



يا شهيد الفداء (*)

للشاعر العراقي / مصطفى جمال الدين

يبس الجرح فانتفض يا شهيد نام عن ثأرك الكماة الصيد(١)
العيون التي تجمر فيها السهد وما .. قد مل منها الرقود(٢)
والسيوف التي تفجر فيها الحقد حتى ذابت عليه الغمود
نسيت أنها وقد أصحر الثأر تهاوت عليه وهي جريد(٣)
والرماح التي ركزنا على البيد نشاوى تتيه فيها البيد(٤)
لم تزل في الثرى الذليل حيارى تتغنى بذلها وتميد(٥)
وانتشى جذرها فأينع نصل أريحي الجنى وأورق عود(٦)
كذب الوهم ليس يعرف طعم المجد رمح مزوق رعديد(٧)

الوغى تصطلي حواليه حقدا وهو في غمرة الجحيم جليد(٨)
كل أحلامه - إذا اشتد عصف الريح في الثائرين - كيف يحيد(٩)

***

يا شهيد الفداء نحن على الدرب ولكن سوطنا مكدود(١٠)
لم نصل ذروة السرى بعد فالخيل عطاش والقفر جهم بليد(١١)
ورعيل الفداء بعدك ضاقت بخطاه سهولنا والنجود(١٢)
فتنادت عليه - والشوط نشوان - فلول من الأعاصير سود(١٣)
غير أنا - والأهل أدرى - عرفنا كيف تطوى قلاعه وتبيد(١٤)
فأتينا أرضا نما بذرى يزهو عليها ليست له وهو عود
وجبالا شابت عليها الليالي وهو في جذع كرمها مشدود(١٥)
سيدور الزمان فيها فيغدو وهو عنها بسيفه مطرود

***

يا شهيد الفداء نحن على دربك والذل زادنا والورود
في متيه جدب تمطى به الليل وأرخى عنانه التسهيد(١٦)
وعلى طرة الصباح الذي تنشد ربت من محنة وهمود(١٧)
وشعاب تخادع العين، فالقصد القريب المنال ناء بعيد(١٨)

---

* ألقيت هذه القصيدة في مهرجان الشعر العاشر بدمشق، ونالت الاستحسان والإعجاب.. وأما قائلها الدكتور مصطفى جمال الدين فهو من شعراء العراق المجيدين.

١) الكماة: جمع كمي، وهو الفارس التام السلاح. الصيد: النبلاء، والصيد ميل العنق تيهاً وكبراً.
٢) تجمر: اجتمع. السهد: الأرق. الرقود: النوم.
٣) أصحر: خرج إلى الصحراء. تهاوت: تساقطت. الجريد: سعف النخل التي جُرِّد عنها الخوص.
٤) نشاوى: سكارى من نشوة النصر. تتيه فيها: أراد تتيه بها أي تأخذها عزة الفخر.
٥) تميد: تتمايل. ٦) أينع: نما وزكا عوده. الأريحية: الاهتزاز للندى. الجنى: الثمر.
٧) مزوق: مزخرف. رعديد: جبان.

٨) تصطلي: يريد تلتهب. غمرة الجحيم: المكان الذي تكثر فيه النار.
٩) يحيد: يميل ويعدل. ١٠) السوط: ما يضرب به. مكدود: متعب مجهد.
١١) السرى: سير الليل. القفر: الفلاة لا نبات فيها. جهم: عابس. بليد: كسول.
١٢) الرعيل: الجماعة المتقدمة. الطليعة.
١٣) الشوط: الجري مرة إلى غاية محددة. الفلول: بقايا الجيش المنهزم.
١٤) القلاع: شراع السفينة. تبيد: تهلك. ١٥) الجذع: ساق الشجرة. الكرم: شجر العنب.
١٦) المتيه: المكان الذي يتيه فيه السائر ويضل الطريق. جدب: لا ينبت الزرع. العنان: زمام الفرس.
١٧) الطرة: ناصية الشعر. الربت - محركة - الاستغلاق، وقد سكن الباء لضرورة الوزن.
١٨) الشعاب: الطرق في الجبال.

فمشينا وأنت تعلم أن السير في مثلها عسير شديد

نتملى مصارع التيه حيث النجم أعمى والفجر بعد وليد(١٩)

وانتهينا بعد اللغوب إلى سرحة سرو مقيلها مهدود(٢٠)

فحمدنا السرى وقلنا سنغدو   والضحى في جباهنا معقود

ثم هب الصباح يملأ برديه الندى المرتجى .. وتصحو الرقود

فإذا السروة الغريبة أشباح   ظلال مع الرياح تميد

وإذا نحن في لظى القيظ حقل   أجرد النبت موحش مخضود(٢١)

يتساوى بسمعه ناعب الليل   وشاد على الضحى غريد(٢٢)

يا لأحلامنا الثكالى .. أهذا الكالح الغر فجرنا الموعود(٢٣)

أثمار «الخمس» التي حشدتنا   للوغى .. أنا قطيع بديد(٢٤)

خير ما عندنا حماس يشق الدرب للسالكين وهو قعيد

وخطاب كحلوة الورد باق   منه في كل سامر توريد(٢٥)

وطريق غدوا به خانع السلم   وتدرى بأنه مسدود(٢٦)

ثم ماذا؟.. ما آساتنا أن يقول   البعض لا بد للأسير القيود

ويك إن الإسلام ما كان إلا   نفرا جلهم أسير طريد

---

١٩) تملى: يريد نستمتع بالنظر إليها.

٢٠) اللغوب: التعب والإعياء. السرحة: الشجرة العظيمة. السرو: شجر من فصيلة الصنوبريات. المقيل: مكان القيلولة في الظهيرة. مهدود: خرب.

٢١) اللظى: النار. القيظ: الحر الشديد. مخضود: مقطوع الشوك.

٢٢) ناعب الليل: البوم. غريد: حسن الصوت.

٢٣) الثكالى: جمع ثكلى وهي التي فقدت ولدها. الكالح: المكشر في عبوس. الغر: غير المجرب في الأمور.

٢٤) الخمس: أراد بها الدول العربية التي انخذلت أمام اليهود. القطيع: الجماعة من البقر أو الغنم. بديد: مشتت.

٢٥) السامر: القوم يسمرون في الليل، أي يتحدثون. التوريد: لعله أخذه من قولهم: ورد الشجر، أي تفتحت ورده. يريد أن الخطاب المنمق كان له أثر في كل مكان إذ يفتن الناس ويخدعهم.

٢٦) الخانع: الذليل.

ثم شبت به عزائمه الغمر   فرفت السند منه البنود(٢٧)

ثم ثرنا والمسجد القدس منا   قيد باع لم ندر كيف نعيد

ما لنا من صلاتنا بعد هذا الذل إلا ركوعها والسجود

أين منا إيماننا والحفاظ السمر والبأس والظبا والصمود؟.

طوى الفتح واستحال رمادا   في الملايين جمره الموقود

***

غيرونا على الفخار بماضينا فقالوا: غواية وجمود(٢٨)

وانطواء على القديم وقد نضر   قلب الصحراء هذا الجديد

شفق الأمس لن يعود وفي   الأفق بروق لغيره ورعود

يا دعاة الغد الجديد .. لنا   اليوم بما فيه، والغد المنشود

ولنا الأمس فجره ودجاه   وشبوب عليهما وخمود(٢٩)

ولنا بعد أن جمارا صلينا   كن منا ضرامها والوقود(٣٠)

أمنا - بالمشرق الشمس - فتح   عربي وفيلق محشود(٣١)

ليس فيه - والحمد لله - سيف   فاتك الغدر أو سنان حقود

عارنا أننا نسيناه فاربدت سمانا وزاحمتنا العبيد(٣٢)

كيف يقوى على العواصف غرس   جذره في ترابه موءود(٣٣)

***

---

٢٧) شبت الفرس: قامت على رجليها. الغمر: من قولهم: فرس غمر: وهو الجواد الكريم. السند: هي اليوم مقاطعة في باكستان وتقع فيها مدينة كراتشي، وكان فاتحها محمد بن القاسم الثقفي. البنود: الرايات. رفت السند البنود: أي رفت على السند.

٢٨) الغواية: الضلال.

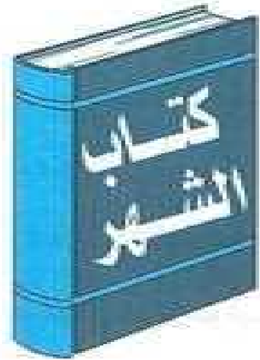
٢٩) الدجى: ظلام الليل. الشبوب: التوقد.

٣٠) الجمار: جذوات النار، جمع جمرة. صلينا: يريد اكتوينا بنارها.

٣١) الفيلق: الجيش العظيم.

٣٢) اربدت: أصبحت كالحة عابسة.

٣٣) موءود: مدفون وهو حي.



الإسلام كبديل

تأليف
د. مراد هوفمان

تعريب
عادل المعلم

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين
الأستاذ بجامعة الأزهر

٣

كما تقول: شفى الله المريض، وأنبت الله الزرع... قلنا: أنار الله بصائر بعض المستشرقين - ومنهم هوفمان - حيث نرجع الفعل إلى الفاعل الأصلي، دون أن نغفل عن أن هناك فاعلاً مباشرا وسيطا، هو المنوط به مباشرة فعل الإنبات والشفاء، والمنوط به فعل إنارة البصيرة.

فإذا كان الإنبات يتحقق بالعديد من الأفعال المباشرة الوسائط؛ مثل انتقاء البذرة الصالحة، ووضعها في التربة الصالحة، وإمدادها بالماء الصالح، وتعهدها بالجهد المناسب...

وإذا كان شفاء المريض يتحقق بالعديد من الأفعال المباشرة الوسائط، مثل تحديد المرض، وانتقاء الطبيب المناسب، والوقوف على وسيلة العلاج الناجع، وتعهد المريض بتناول العلاج...

فإن إنارة البصائر تتحقق بالعديد من الأفعال المباشرة الوسائط كذلك، مثل الوقوف على الوسيلة الكاشفة، والخلاص النفسي، والعقلي، والمادى من المؤثرات الصارفة عما تضمه الوسيلة الكاشفة من حقائق، وبذل الجهد الخالص للنظر المتأني في تلك الوسيلة.

فالذى تحدثه تلك الأسباب المباشرة في جميع الأحوال إنما تحدثه في الحقيقة بما هيأه الله الخالق في تلك الأسباب من قدرات وإمكانات.

ولذلك... كان من الأرض أجادب لا تفيد من البذر ولا من الماء، كما كان منها صوالح قبلت البذر، وأفادت من الماء، واستجابت للجهد المبذول، فآتت ثمارها...

وكان من المرضى من أهمل العلاج، أو أسيء تشخيص مرضه، فلم يفده شيئا، كما كان منهم جادون في استقبال الطبيب، وتناول الدواء، فتحقق لهم الشفاء.

وكان من بين المستشرقين من انصرف عن الوسائل الكاشفة... فظلوا في ضلالهم يعمهون؛ لأنهم حين نظروا في القرآن الكريم - الذى جعله الله للإنسان وسيلة الكشف والهداية، كما صرح في قوله:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء: ٩)

لم يجردوا أنفسهم مما أفعمت به من الضلالات والأحقاد، أو لم يبذلوا من الجهد ما يمكنهم من الوقوف على الحقائق الهادية، فلم يفيدوا من هديه، ولم يستثمروا نوره، فكانوا كما وصفهم المولى - سبحانه وتعالى - في قوله:

﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

(الكهف: ٥٧)

وفى قوله:

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

(النمل: ٢٤)

لا تناقض بين القرآن والعلم

ومن نور الهداية التى قادت بصيرة الدكتور (هوفمان) أوضح: أن المسلمين يعتقدون استحالة التناقض بين القرآن والعلم، فإذا ظهر تناقض بينهما فإنما يكون ذلك، إما خطأ في فهم القرآن، وإما خطأ في نتائج الأبحاث العلمية.


مراد هوفمان

ومن هنا... يعارض المسلمون من يجعل العلم بديلاً للدين، بل ويتهمونه بتوظيف العلم للشر، ويرون: أن الغرب يفرط في ممارسة العلم للعلم بسذاجة، حتى أصبح شعار «لا خلاص خارج العلم» هو ممارسة العلماء لإيمان بدون دين، بحيث يعرفون الله وفقا لمقاييس العلم القاصرة، ويرون أن الإنسان عنصر مجازفة في المحيط التقني، وأن النظام الاجتماعى آلة، حتى قال الفيلسوف الألمانى (يورجن هابر ماس): أصبح القانون في العصر الحديث تجسيداً لمبدأ الذاتية.

وفى ظل هذا التعارض أصبح الدين في عصرنا العلمى دعوة للتخلف، وطريقا غير عقلى لحل مشاكل الإنسان. ولكن العلم التجريبى - الذى يكبت الدين - لم يستطع أن يحل محل الدين عندما تعرّض لإرساء القيم الأخلاقية؛ فالعلم - في هذا - لا يملك قدرة المنافسة مع الدين؛ لأن الأخلاق ليست وظيفة جسدية، ولا مستحضراً كيميائيا.

حقًا... لكل من العلم والدين مجاله؛ فلا يصح أن يتدخل العلم في مجال العقيدة؛ لأن

تدخله لا يؤدى إلا إلى الشك وفقدان اليقين، ولكنه يؤدى إلى عبادة المعلومات... وأخيراً إلى أزمة الهوية.

وليس المسلمون وحدهم من يرفض تأليه العلم

والدكتور (هوفمان) بحياديته العلمية يقرر: أن المسلمين ليسوا وحدهم من يعترض على استبدال العلم بالدين؛ فالباحثون عن الموازين ـ فى الغرب المعاصر ـ يلتقون مع المسلمين فى هذا الاعتراض، كما جاء على لسان (هانز جورج جادامر)، و(هيلموت كون) فى قولهما: إن الناس تبين لهم أخيراً: أنه كلما زاد تحديث العالم واستنارته... اشتدت حاجتهم إلى الدين، وتأكد لديهم استحالة الاستغناء عنه؛ للحاجة إليه فى إضفاء الشرعية للقوة والقانون، ولضمان تماسك المجتمع وإكسابه الأمل والدافع، فلا غنى للسياسة عن الدين، ولا للدين عن السياسة. وقد تأكد ذلك بانهيار الداروينية، والفرويدية، والماركسية، والنظرة القديمة للطبيعة، حيث تبين للعلماء: أن ما أسموه قوانين الطبيعة إنما هى معلومات أولية، وأن العالم لا يقوم على مفهومنا الساذج لمبدأ العلّية.

ومع هذا كله... مازال بعض الأكاديميين المسلمين يفتقدون الحيدة، حتى بعد تحرر العلم من الغرور، وسوء التوظيف؛ وذلك بتأثير الاستعمار الغربى للعرب؛ حيث أدى هذا الاستعمار لاعتناق الصفوة العربية شكل حضارة الغرب، فتأخروا خلف زملائهم الغربيين، مع فقدانهم أسس حضارتهم الخاصة، بعد تحولهم إلى مستهلكين لثمار الحضارة الغربية التى لا يستطيعون إتقانها، مما انتهى بهم إلى الإحباط والتمزق بين حضارتين، كما أدى هذا الاستعمار إلى أن يرفض بعض أبناء العالم الثالث تكنولوجيا الغرب، وأن يعتقدوا أنها شيطانية لنموها فى محيط إلحادى تشككى.

بينما يرى العقلاء من أبناء العالم الثالث: أن العلم محايد، وعلينا أن نستفيد منه فى الإطار الإسلامى؛ لأن إسلامية المعرفة تدعو إلى تعليم إسلامى، وإصلاح للجامعات، ولا ترفض النموذج الغربى بأكمله، شره وخيره، ولكن على المسلمين أن ينتقوا منه ما لا يتعارض مع الإسلام، وتطويره وتنميته، فيجب أن يعى المجتمع الإسلامى: أن التقدم العلمى مرتبط بمناخ حرية التفكير الخلاقة التى يجب بثها وزرعها، والتشجيع عليها من مستوى الروضة، ومدارس الأطفال.

ولكن الحماس يدفع إلى غُلُو ممقوت، حيث تهدف بعض الاقتراحات لأسلمة المعرفة باتخاذ أسلوب معاكس لما سبق، مثلما حدث فى ألمانيا فى ثلاثينيات القرن العشرين، عندما حاول بعض المتعصبين أن يُنقُّوا علم الرياضيات من الآثار اليهودية، وإقامة علم الأحياء على أساس آرى.

وحيث يريد بعض القلة من المسلمين ـ بسبب الفهم الخاطئ للقرآن والسنّة ـ حصر أبحاث التاريخ وعلم الاجتماع، والطب، والعلوم السياسية والأحياء فيما جاء فى القرآن والسنّة.

بينما الحقيقة التى لا مهرب منها: أن العلوم ستكون إسلامية عندما يسهم علماء المسلمين ـ بدور رئيسى ـ فى التقدم العلمى، وعندما يضع المجتمع الإسلامى ذلك هدفاً رئيسيا له؛ فالعلم الإسلامى هو علم يمارسه العلماء المسلمون بروح علمية، وبأساليب علمية.

الإنسان بين الكاثوليكية والإسلام

وفى الفصل الخامس (التصوف) عقد الدكتور هوفمان مقارنة بين الكاثوليكية والإسلام فى ارتباط الإنسان بكل منهما؛ فذكر: أن علاقة الكاثوليكى بكاثوليكيته تتمثل فى الصلاة، والصوم، وتناول العشاء المقدس؛ أما الصلاة فهى لا تتجاوز الذهاب لقداس الأحد، والذى يستطيع أن يغير موعده ويجعله يوم السبت، وأما الصوم وتناول العشاء المقدس فقد تم التضحية بهما منذ زمان على مذبح العقلانية الحديثة.

أما علاقة المسلم بالإسلام فهى علاقة حيوية، حيث يشكل الإسلام حياة المسلم نهارا وليلاً فى علاقته مع ربه وعلاقته مع نفسه، ومع أسرته، ومع مجتمعه، ومع العالم كله؛ فقد وضع القرآن الأسس والقواعد الكلية لذلك، ثم جاءت السنّة النبوية بالتفسير والتفصيل، وتطرقت إلى آداب الحديث، وآداب الطعام، وآداب الزيارة... إلى غير ذلك من المسائل التى لم يخطر فى بال الغربيين أن يكون لها قواعد.

ومع اهتمام الإسلام بالجوانب المادية فى الإنسان... اهتم اهتماما بالغا بالجانب الروحى فى حياة المسلم، مع تحقيق توازن كامل ودقيق بين الروح والمادة؛ فكان محمد ﷺ وأصحابه الأسوة التى تحتذى فى كل ذلك، حيث كانوا مضرب المثل فى التقوى والزهد، وممارسة ما أسماه الصوفيون ـ بعد ذلك ـ الموت قبل الوفاة، وبذلك يصبح هدف كل مسلم ورع: أن يذكر الله فى كل وقت ذكرا مصحوبا بخشوع وصفاء قلب، مع اليقين بأن كل شئون الإنسان فى يد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ومن هنا... تولّد التوجه التصوفى الذى أناط بالإنسان المسلم أن يضيف إلى ما تقدم محاولة اكتساب المعرفة الحقيقية من خلال الطريق الباطنى الموصل إلى فناء الصوفى فى الله، والذى فصّلته الطريقة النقشبندية ـ مع التزامها بالسنّة ـ فى أربع درجات هى:

١- التزام الشرع حتى تصل لسلامة الظاهر.

٢- الوحدة الداخلية بسلوك الطريقة.

٣- اكتساب المعرفة للتقرب من الله.

٤- الفناء فى الله من خلال الحقيقة.

وقد كان اهتمام الصوفيين الإسلاميين باكتساب المعرفة، والفناء فى الله ناشئا عن التعطش للحقيقة بعد إصابتهم بالإحباط من تصلب نظريات المعرفة ـ كما أصيب بالإحباط الصوفيون اليهود والمسيحيون بتأثير الدعوة إلى الانسحاب من البحث فى علم الوجود ـ التى لم تقنع غرور الصوفى بهذا النوع من العلم الجاهل، خاصة مع ما جاء به قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران : ٧)

فهذه الآية تمنع الحدس والظن فى تلك المسائل، وتأخذ فى الحسبان حقيقة أن الوحى الإلهى استخدم لغة البشر المحدودة لحمل حقائق ما وراء المادة باستخدام أساليب التصوير والمجاز، وما إلى ذلك.. فعلينا: أن نتوقف عن تأويل غيبيات القرآن.

ولكن أعمال بعض الصوفيين من الخواص - مثل محيى الدين بن عربى - مثلت توجها غنوصيا - يعتمد على الحواس فى المعرفة - وأفلاطونيا كذلك، مما أوقع بعض المسلمين فى متاهات التصوف القائم على سحر الأعداد، وأوقع آخرين فى مصيدة الحلول الوسطى كسبيل للفهم، والتوفيق، وحب كل المخلوقات، ومناداتهم بأن كل الأديان تتساوى من وجهة نظر معينة، وأن للبعض القدرة على اكتساب المعرفة اللدنية بلا حدود، والقدرة على الكشف، ورفع الحجاب، إلى تميز نخبة أو صفوة... خاصة أنه من المستحيل تأكيد صحة تلك المعرفة أو زيفها.

يضاف إلى هذا... ما تثيره الدرجة الرابعة - وهى الفناء فى الله من خلال الحقيقة - من مشكلات أكبر، حيث يجلب خطر الانزلاق فى فكرة «وحدة الوجود»، أى أن «كل شىء هو الله» تقود إلى «لا شىء هو الله»، و«الله وخلقه واحد».

هذا... على الرغم من أن التصوف الإسلامى لا يحتاج أن يذهب بعيدا هكذا. كما تؤكده تعاليم الشيخ محيى الدين عبدالقادر الجيلانى: ت سنة ١١٦٦، وأعمال فريد الدين العطار: ت سنة ١٢٢٠، وأعمال حجة الإسلام أبى حامد الغزالى.

كما أن بعض الدراويش الدوّارة - برقصهم وإنشادهم، وحلقات الذكر التى تتمايل مع الصوت - انحدروا إلى مشهد مبتذل، قد ينحط بالمريد إلى عبد مطيع لشيخه.

وبعض الطرق الصوفية تورطت فى السياسة خلال مرحلة التدهور، مثل «البكتاشية» فى نهاية الإمبراطورية العثمانية، و«الوزانية» فى المغرب التى تعاونت مع قوات الاحتلال الفرنسية.

لكل هذه الأسباب السلبية وغيرها أخذت السنة التقليدية موقفا معاديا للتصوف، كما صنع ابن تيمية المتوفى سنة ١٣٢٨.

***

رمضان شهر الانتصارات

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

كل عام يمر يأتى شهر رمضان المبارك شهر الخير والبر والقرب من الله - تعالى - شهر القرآن والقيام، كما أنه شهر التربية النفسية والتزكية الخلقية، فيه وبه يزكو الإنسان ويرتقى فى سلم الأخلاق، وتتأصل فيه الصفات الحميدة، صفات الخير والبر، والطهر والعفاف، ويزداد قربا من الله - سبحانه وتعالى - تنمو وتركو فى ابن آدم المسلم خصال بر حقيقى، وخير صادق، به يقوم حياته وسلوكه وحياة الناس حوله لا بالبطش والعنف والقوة، ولا بالكلام والخطب، لكن بالقدوة والسلوك والعمل فتأثير العمل الصادق الخالص فيمن حولك أجدى وأنفع فى مجال التربية والإصلاح، والطهر والعفاف والورع صفات لا يعرفها الغرب، لأن المادية الغربية حضارة جافة مغشوشة لا تستطيع أن تدرك معنى الورع، ولا يمكن أن تستوعب معنى العفاف، لأن ذلك خارج نطاق إدراكها المادى، ومهما حاولنا فلن يفهم الغرب معنى ولا هدف الصوم فى الإسلام، وسوف تذهب محاولاتنا أدراج الرياح لأننا ننادى من لا تستجيب طبيعته للتقويم، وما أحسن قول الشاعر العربى:

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادى

والغرب طول حياته يتعامل معنا من منطلق التعالى والغطرسة، والعنصرية تحكم وتتحكم فى نظرته إلينا. فهو لا ينظر إلينا ولا يرى بلادنا إلا مستودعا للثروة.

ومن منطق القوة والغطرسة والعنصرية يراها له وحده ومن حقه هو، وينظر إلينا على أننا مجرد مستهلكين لمنتجاته وفكره المسموم، ولا ننكر أنه استطاع أن يجند من بنى جلدتنا ومن يتكلمون بألسنتنا لمصالحه يروجون ولأهدافه يعملون. باعوا أنفسهم نظير دولارات معدودة ومناصب زائلة زائفة.

قال صاحبى: لماذا تركت رمضان شهر الخير والبركة وجنحت إلى ما جنحت إليه تناطح الغرب وحضارته ما لنا وذاك؟

قلت لصاحبى - وأنا شديد الحيرة والأسى -: فيما تردى إليه فهمنا العليل لأركان الإسلام ولديننا الحنيف ولنصوص الكتاب والسنة.

قال صاحبى: فسر لى كيف كان فهمنا عليلاً لأركان الإسلام ولنصوص الكتاب والسنة؟

قلت على الفور: أنا أفهم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يفرض العبادات، كما أن أركان الإسلام من الصوم والصلاة والزكاة والحج وكذلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ـ أفهم كل هذه الفرائض ـ لم يكن لمجرد الفرض وليس المطلوب مجرد حركات للأعضاء فقط إنما أفهم العبادات على أنها وسائل لتزكية النفس وكبح جماحها عن الشهوة والغضب والعدوان.

وإذا لم تفلح العبادات في تقويم الإنسان وإذا لم تنتج الفرائض نبلا وخلقا وسموا ورفعة وأمانة وعفة فلا معنى لها. ما لنا لا نقرأ أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ بوعى ونقلب كتب السيرة والسنة بفهم؟ ألم نقرأ في سنة رسول الله ـ ﷺ ـ ونطالع توضيحه الرشيد وبيانه القويم لما جاءه شاب يدخل الإسلام وقال: يا رسول الله ائذن لى في الزنا.. فشرط عليه نبى الرحمة أن يحافظ على الصلاة فقبل الشاب وأنكر الحضور في الصحابة ـ وأحسب أنهم لم يستوعبوا الموقف قال لهم الرسول ـ ﷺ: «إن صلاته تنهاه يوما ما»، وهذا يتطابق تماما مع قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾

(العنكبوت: ٤٥)

وهكذا كل فرائض الإسلام هي عمليات تطهير للنفس من أدرانها وتزكية للإنسان كى يرتقى في معارج الوصول إلى الله ـ تعالى ـ تأمل معى قوله تعالى عن الزكاة:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾

(التوبة: ١٠٣)

والزكاة لغة: النماء والزيادة، أرأيت إلى فرائض الإسلام كيف هي؟ وماذا تفعل في النفس البشرية فإذا تخلفت النتائج ولم تتحقق الأهداف فمرجع ذلك إلى خلل في الدواء، وأن الدواء صورى فقط وشابه عيب ونقص، فحتى نستوعب الأهداف السامية والغايات التى من أجلها شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ العبادات علينا أن نراجع الآيات التى ورد فيها التكليف بالعبادات فضلا عن الامتثال والخضوع لذاته ـ سبحانه ـ وعن التلذذ بطاعته ـ جل شأنه ـ يقول الله ـ تعالى ـ عن الصوم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٨٣)

تتقون ماذا؟

أعتقد أنه تتقون كل دنيئ وردىء وتتخلون عن كل خلق سيئ، وتتقون الخزى والفجور والظلم، وأعظم من ذلك تتقون الرياء والنفاق والتشدق بمبادئ الخير والعدل وجعلها ستاراً يخفى قهراً وظلماً وعدواناً واستئثاراً بكل المنافع والتلذذ بحرمان الآخرين. ولا أحسب أن التقوى بمعناها الإسلامى الرفيع الذى يتضح به قوله تعالى:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

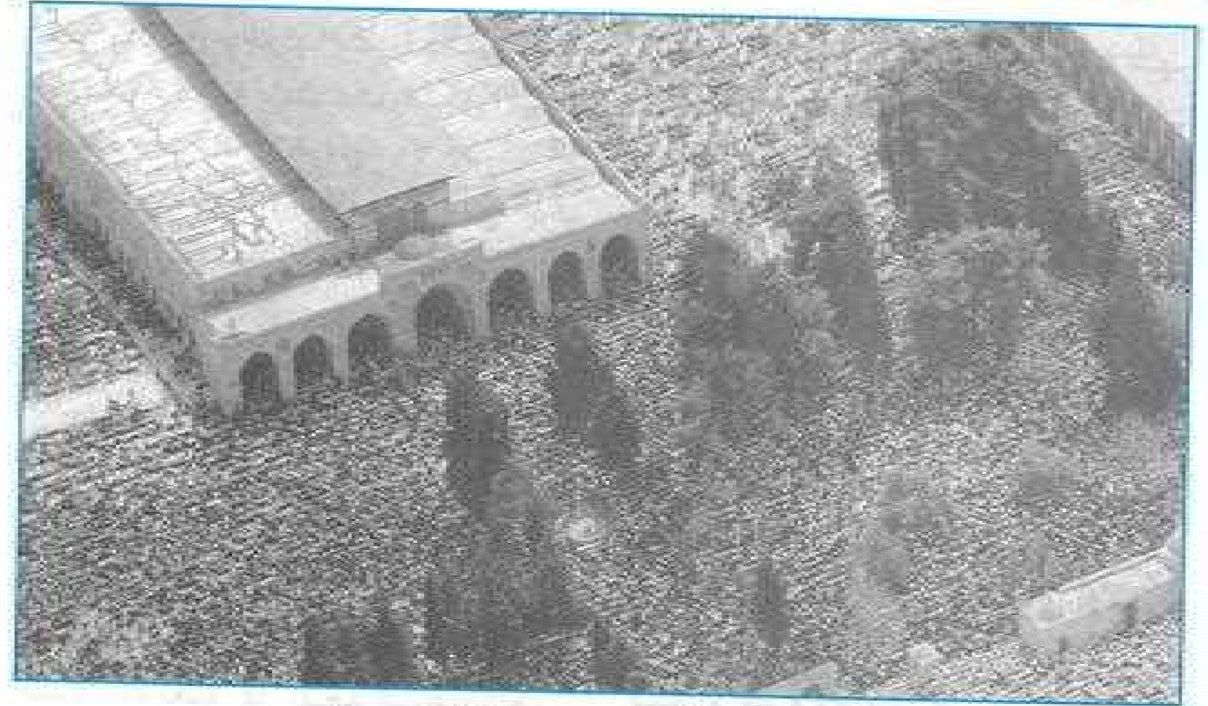
(البقرة: ١٩٧)

لا أحسب أن المعنى الرفيع الذى يشع من هذه الكلمات يمكن أن يتطرق إليه الذهن الغربى المكدود أو يحوم حول حماه، أنه بعيد كل البعد عن هذا المعنى السامى الشريف لأنه يقتات ويعيش في مستنقع المادية الآثم التى لا تعرف غير مطالب الجسد الحيوانية، لكنها في لؤم خادع تروج عبارات العدل والنزاهة مجرد شرك توقع فيه فريستها تبرر به ظلمها وعدوانها وتخفى به شراستها وأطماعها.

وعن الصوم يقول الحبيب ـ ﷺ ـ «الصوم جنة» يعنى وقاية وحماية ودرع، فماذا نتقى بهذه الحماية ومن أى شىء نحاذر؟ نتقى ظلم أنفسنا ونحاذر أن نقع فريسة الشهوات والمطامع. إن شهر رمضان كان شهر انتصارات وجد وعمل، فلماذا حوله المسلمون إلى شهر اللهو السخيف واللعب المرذول والاسترخاء البليد والفراغ المميت، لقد كان شهر الانتصارات الفاصلة الحاسمة في تاريخنا قديما وحديثا.. إن موقعة بدر الكبرى الفاصلة بين باطل لاه عابث وظلم مستبد وضلال غشوم فاصلة وبين مستقبل ناصع مشرق ووحدانية ناصعة ومساواة بين الناس هم جميعا كأسنان المشط لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، كما أن فتح مكة ذلك الفتح العظيم الذى أعلن فيه النبى الخاتم ـ ﷺ ـ حقوق الإنسان يوم أن كان العالم يهيم في ظلام لا ترى فيه إلا صنما هام في صنم. يوم أن قال لألد أعدائه «اذهبوا فأنتم الطلقاء» ورغم هذا الفتح العظيم فإن نبى الرحمة دخل مكة في قمة التواضع حانيا رأسه الشريف.

وبالأمس القريب عبر العربى المسلم وهدم جدار الغطرسة وأزال خدعة جيش صهيون الذى لا يقهر ومرت جرزان ـ صهيون أمام الجيش المسلم في العاشر من رمضان، وانتصر الصائمون وسط دوى صيحة الله أكبر حينما أخلصنا الصيام والقيام لله سبحانه وتعالى، وأرجو أن نظل مخلصين في صيامنا وقيامنا لله سبحانه وتعالى حتى يحفظنا الله ويحفظ بلادنا من طمع الآثمين المعتدين المتربصين.

***



في رحاب القدس الشريف:

الحق التاريخي المفترى لليهود «١»

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عطية

.. وانزاح كابوس الحملة الصليبية من فوق صدر الأمة العربية المسلمة بعد أن طردهم البطل صلاح الدين الأيوبي.. ثم جاءت حليفتها الصهيونية العالمية، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فيما أسموه: «الحق التاريخي لليهود في فلسطين».. ليغتصبوا هذه البقعة الطاهرة من أرض الإسلام بالحديد والنار.. وكأن مشيئة الحق -تبارك وتعالى- تأبى إلا أن تكون هذه المنطقة في رباط وجهاد إلى يوم القيامة.. وأذاع اليهود في شتى أنحاء العالم نبأ ذلك الحق التاريخي المكذوب بوسائل دعايتهم المتقدمة حتى صدقته معظم شعوب وحكومات الدول الغربية، وحتى أوشك بعض العرب الذين لا علم لهم بحقائق التاريخ البعيد لهذه المنطقة أن يصدقوه، ويقفوا مع هؤلاء الأفاقين في خندق واحد.

ولكن ما حقيقة هذه القضية؟ وما نصيب ادعائهم هذا من الصحة أو الكذب؟ هذا ما سنعرفه باختصار شديد في هذا المقال، وما قد يتلوه إن شاء الله.. نقول: «باختصار شديد» وتعمدنا، لأننا لا نستطيع أن نحشد كل ما تحت أيدينا في هذا الشأن في هذه المساحة الضيقة.

القدس عربية

حيث إن التاريخ يؤكد أن هذه المنطقة كانت عامرة بأهلها العرب الكنعانيين قبل الميلاد بأربعة آلاف أو خمسة آلاف سنة.. بما يعني أنها عربية قبل أن يوجد يهودي واحد على ظهر الأرض، بل قبل أن يوجد سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء -عليه السلام- الذي يتخذه اليهود الجد الأكبر لهم.. ويتخذون من تاريخه في هذه المنطقة وتاريخ أبنائه مطية ذلولا لتحقيق أطماعهم.

يذكر المؤرخون المحايدون أن أصل سكان فلسطين هم العرب الكنعانيون الذين هاجروا إلى شمال الجزيرة العربية، بعد أن أصابهم القحط والجفاف وقلة الأمطار، وترجع هذه الهجرة التي استوطنوا على إثرها القدس إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وهناك من يرى أن تاريخهم في هذه المنطقة يبعد أكثر من هذا في أغوار الزمن، حيث كان العرب الكنعانيون قد سكنوا هذه المنطقة قبلها بألفي عام تقريباً، أي قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة تقريباً، وهو ما انتهى إليه ـ أيضا ـ الباحث الدكتور حسين شريف في كتابه الموسوعي «فلسطين من فجر التاريخ إلى القرن الأول الميلادي» ص ١٢٠ حيث حلت موجة من الجفاف بشبه الجزيرة العربية.. واستقروا في الأرض الواقعة شرق البحر المتوسط، والتي تشمل في الوقت الحاضر بلدان: سوريا والأردن ولبنان وفلسطين.

وفي عام «٤٠٠٠» قبل الميلاد بني العرب اليبوسيون -وهم قبلية منحدرة من أصل كنعاني- أول حصن لهم على تل «أوفيل» بمساحة تبلغ سبعين ألف متر مربع، وكان بالحصن ثلاثون «برجا» وسبعة «أبواب» في موقع محاط بالوديان من جهات ثلاث، ولا يتصل بالأرض إلا من الشمال، حتى يمدها بدرع واق من هجمات الأعداء.

ومن أبرز مدنهم الساحلية: يبوس وهي «القدس» الحالية، وبيروتويوس وهي «بيروت» الحالية، وصيدون وهي «صيدا» الحالية، وطرابلس وغزة وشيكم، وهي «نابلس» الحالية.

واليبوسيون قبيلة عربية في الأصل، وتؤكد الدلائل أن الفلسطينيين الحاليين ينحدرون منها وعلى هذا فالقدس مدينة عربية، بناها العرب الكنعانيون منذ عشرات الآلاف من السنين قبل الميلاد، وقبل أن يعرفها ويعتدي عليها الإسرائيليون وغيرهم من البشر[١].

«١» اقرأ كتاب «القدس.. والوعد المفترى» للشيخ محمد السيد الشناوي من فصل بعنوان «فلسطين أرض عربية إسلامية وليس لليهود فيها حق».

الإسلام والقدس

إذن، فالقدس عربية منذ فجر التاريخ، وحينما جاء الإسلام، ونزل فى أرض عربية، وبلسان عربى مبين، وعلى قلب رسول عربى، هو فى قومه ونسبه وشرفه ذروة العروبة الخالصة، التى لم تشبها عجمة، كان لابد من أن يكون ـ هذا الدين وهذا لسانه العربى ورسوله العربى الصريح- أن يكون هو الوارث الشرعى لتلك البلاد الطاهرة الطيبة، ولقد أكدت مشيئة الحق الأعلى -سبحانه- هذه الحقيقة التاريخية العقدية بهذه الرحلة «المعجزة»، التى عبدت الطريق بين الحرم المكى منبت الدعوة، وسدرة المنتهى فوق السماوات العلا- حيث نزل الوحى المبارك من هناك- ومروا ببيت المقدس والقدس الشريف حين أمّ الرسول- ﷺ- إخوانه من الأنبياء والمرسلين ومنهم بطبيعة الحال موسى وعيسى وهما آخر أنبياء بنى إسرائيل، فى الصلاة وهى أعظم أركان هذا الدين بعد الإقرار بالشهادتين، وكان ذلك فى بيت المقدس من خلال هذه الرحلة الكبرى: «رحلة الإسراء والمعراج». هذه هى الأبعاد الحقيقية لعلاقة هذا الدين ببيت المقدس والقدس الشريف، ويريد اليهود طمس معالمها، مع أنها لا يجادل فيها مجادل.

وإذا كانت هذه هى الحقيقة، فكيف.. ومتى.. دخل اليهود أرض فلسطين؟؟ وما الذى جعلهم يختارون هذه البقعة من بين بقاع الأرض كلها؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات نقول:

دخل العبرانيون -بنو إسرائيل- فلسطين من جهة الشرق، بقيادة يوشع بن نون، واحتلوا أريحا ثم تسللوا الى المناطق الجبلية (١١٥٢-١٠٢٥ ق.م)، وأصبح لهم تجمعان: فى الشمال والجنوب لم يرتبطا معاً إلا فى عهد داوود، الذى دخل مدينة سالم ١٠٠٥ ق.م، واتخذها عاصمة لملكة ثم تسلمها سليمان، وأقام حولها سوراً على الأساسات التى وضعها اليبوسيون «الكنعانيون العرب» بناة السور الأول- وبنى معبداً ٩٦٠ ق.م على أنقاض معبد اليبوسيين القديم.

حديث التوراة

وما لبثت المملكة العبرية أن انقسمت بعد وفاة سليمان إلى إمارتين: إمارة يهوذا- أسرة داوود وبنى يهوذا- وعاصمتها أورشليم «أورسالم» «القدس حالياً»، وإمارة إسرائيل فى السامرة وعاصمتها شكيم بالقرب من نابلس الحالية.

ثم قضى ملك آشور على إمارة إسرائيل عام ٧٢٢ ق.م وأجلى سكانها إلى بلاده، وتعرضت الإمارة الثانية «يهوذا» للعدوان الخارجي أكثر من مرة، وكذا تعرض سكانها للسبى مراراً كان أشهرها على يد «نبوخذ نصر» الذى عرف باسم «بختنصر» والذى غزا ملك بابل، وكسر نهائياً عرش داوود فى أورشليم «أورسالم» عام ٥٩٧ ق.م وقوض الهيكل من جذوره، وعاد إلى بلاده بعشرة آلاف أسير من اليهود وكان هدم الهيكل فى ٩/٨/٥٨٦ ق.م (٢).

إذن، فاليهود ليسوا سكان يبوس «القدس» الشرعيين، وليسوا هم مؤسسيها، وإنما هم غرباء عنها تسللوا إليها، وحينما دخلوا إليها، كانت عامرة بأهلها الشرعيين «الكنعانيين العرب»، فلم تكن أرضاً بغير شعب حتى يغتصبها شعب بغير أرض، ومن قرأ أسفار التوراة يجد هذا واضحا.

قالت التوراة فى سفر أخبار الأيام الأول (١١: ٤-٨) وذهب داوود وكل إسرائيل إلى أورشليم «أى يبوس» وهناك اليبوسيون سكان الأرض، وقال سكان يبوس لداوود: لا تدخل إلى هنا، فأخذ داوود حصن صهيون فى مدينة داوود «أى القدس».. إلخ.

وتؤكد التوراة غربة الإسرائيليين عن القدس «يبوس».

ففى سفر القضاة (١٩: ١١، ١٣) نجد قصة رجل إسرائيلى غريب، وقد مع جماعة له إلى مشارف يبوس، وحينما هو عند يبوس «القدس»، والنهار قد انحدر جداً «أى قارب الغروب» قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه، ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة، حيث ليس أحداً من بنى إسرائيل هناك (٣).

ومع كل هذه المؤكدات- وغيرها كثير وكثير- التى تشير صراحة، وبما لا يحتاج إلى تأويل.. «وبينما يدرك المفكرون والمفكرون والمؤرخون اليهود مكانة القدس فى الفكر الإسلامى، ويعلمون أن الكنعانيين هم المؤسسون الأوائل لمدينة القدس، فإنهم يعتبرون بداية الحكم الإسلامى للمدينة هى بداية الوجود العربى بها، متجاهلين الربط بين ذلك الوجود العربى الكنعانى بالمدينة والفتح الإسلامى، الذى تم على أيد العرب أيضاً» (٤)، ومتجاهلين كذلك حقيقة أن الوجود العربى الذى تأكد فى هذه المدينة المقدسة إنما هو تحصيل حاصل - كما أسلفنا القول- ولم يكن بداية لوجود العنصر العربى.

يتبع

---

(٢) اقرأ كتاب «قضية القدس» الدكتور: عبدالتواب مصطفى ص ١٦، ١٧.

(٣) راجع «القدس» سامى حكيم ص ١٣، ١٤ واقرأ كتاب «القدس والوعد الفترى» للشيخ محمد السيد الشناوى فصل «فلسطين أرض عربية إسلامية، وليس لليهود فيها حق».

(٤) د. عبدالتواب مصطفى فى كتابه «قضية القدس».

جهد العلماء في جامعاتنا للحفاظ على الهوية الإسلامية

متابعة للأستاذ/ عاطف مصطفى

إندونيسيا التي استضافت المؤتمر الدولي لبحث تطوير مناهج الدراسات الإسلامية في الجامعات تعدادها يزيد على ٢٤٠ مليون نسمة، المسلمون وحدهم حوالي ٩٠٪ والباقي ديانات أخرى ومن بين أهم الجامعات بها الجامعة المحمدية وتضم وحدها ١٤٠ كلية ومعهداً إسلامياً، وعدد الجامعات بهذه الدولة الإسلامية يصل إلى ٥٠ جامعة إسلامية حكومية ويبلغ عدد الجامعات الإسلامية الأهلية ٤٥٢ جامعة.

أما جامعة دار السلام التي احتضنت هذا المؤتمر الدولي مع رابطة الجامعات الإسلامية، فتضم ٦ معسكرات، كل معسكر فيه جامعة إسلامية متكاملة وعدة معاهد ابتدائي وإعدادي وثانوي، منها ثلاثة معسكرات للبنين، وثلاث للبنات موزعين بين جزيرة جاوة وبين جزيرة سومطرة والجزر الأخرى في إندونيسيا.

في هذه الجامعات حرص شديد على تعلم اللغة العربية، والتي يحرصون عليها، وعلى بيان أنها لغة اشتقاق، تفوق اللغات الاشتقاقية الأخرى. فعدد مواد العربية ٤٠٠ ألف مادة، ولسان العرب يحتوي على ٨٠ ألف مادة لا كلمة في حين أن كلمات اللغة الفرنسية خمسة وعشرون ألفاً، وكلمات اللغة الإنجليزية مائة ألف.

العلماء.. وحدة الكلمة

أكد المؤتمر من خلال بحوثه العديدة التي استمرت لخمس جلسات على حقيقة مهمة جداً، وهي أن المدخل الرئيسي لتوحيد العالم الإسلامي، يتمثل في مجموعة من النقاط الأساسية.

● أولها: وحدة العلماء، فالواجب على علماء المسلمين أن يوحدوا كلمتهم، وألا يتنازعوا في أمور مهمة، وألا يتخذوا من الخلافات المذهبية ذريعة بالتشتت والتمزق، فالحادث اليوم هو الانقسام البغيض بين المسلمين إلى سُنة وشيعة، وينقسم الشيعة إلى مذاهب عدة، والسنة إلى مذاهب أربعة، وعلى الرغم من أن هذا الانقسام اختلاف في الفروع وليس الأصول، إلا أن بعض المنغلقين من العلماء يكرس التمزق والاختلاف في فكر الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا، مما يحيلهم إلى فرق متصارعة وليست متكاملة.

توحيد المناهج

أما أهمية توحيد المناهج في جامعات العالم الإسلامي، حتى تصبح وحدة المناهج مدخلاً طبيعياً لانتقال الطلاب من جامعة إلى أخرى، ومن بلدة إلى أخرى، ومما يؤدي أيضاً إلى وحدة الفكر ووحدة التوجه الذي هو الأساس الأول لوحدة العمل، وللوحدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين المسلمين.

إن علماء هذه الأمة هم المسئولون عن توجيه أبناء المسلمين في كل زمان ومكان، وهؤلاء العلماء مسئولون أيضاً عن إبداء النصح والاستشارة المستنيرة لقيادات هذه الأمة سواء القيادات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، فهم المسئولون عن فكر هذه الأمة.

وهؤلاء العلماء هم - بلا شك - إفراز جامعات إسلامية ومن هنا فإن ترشيد فكر هؤلاء العلماء، مدخل أساسي لترشيد فكر المسلمين من أبناء مختلف مجتمعات وشعوب العالم الإسلامي.

وتبرز البحوث التي ناقشها المؤتمر أهمية نتوقف عندها في بحث الدكتور محمود أحمد شوقي أستاذ التربية بعنوان «المناهج الدراسية بالجامعات الإسلامية بين التوحيد والتطوير» حيث

يتناول مهمة مناهج التعليم في الجامعات الإسلامية بقوله: «إذا أردت أن أخص مهمة المناهج التعليمية نحو تقدم الأمة الإسلامية في جملة واحدة، فإني أقول إن المهمة المعاصرة لهذه المناهج، ينبغي أن تكون.. تحقيق الأمن التربوي للعالم الإسلامي».

ونعني بالأمن التربوي، إيجاد منظومة تربوية مؤسسة على الدين الحنيف، تواكب معطيات العصر، العلمية والتقنية والتربوية والمعلوماتية والمعرفية، وتستجيب لمتطلبات التنمية الشاملة في العالم الإسلامي، وتعمل على وقايته من الغزو الفكري، وتساعد جميع أفراده وجماعاته ومؤسساته على توحيد حلهم وترحالهم، وفق تعاليم الدين الحنيف.

فالأمة الإسلامية والحمد لله لديها مقومات التنمية: الموارد الطبيعية والمناخ المناسب، والموقع المتميز، والكثرة اللافتة من البشر (مليار و٢٥٠ مليون مسلم).. وحيث إن التنمية - مع هذا كله - متخلفة في معظم بلدان العالم الإسلامي، فإن الحاجة تصبح ملحة إلحاحاً شديداً إلى تنمية بشرية تقهر التخلف، وتقود إلى السبق وهذا لا يتحقق بالمناهج التعليمية فقط، ولكن يحققه منظومة متكاملة من المهمات التي ينبغي أن تضطلع بها الجامعات الإسلامية منها:

أ- مهمات الجامعات الإسلامية بالنسبة لتوجيه سياسة التعليم وأهدافه وخططه ونظمه ومناهجه التعليمية للمحافظة على الهوية الإسلامية.

يشير الباحث بقوله: لا أتصور أن أحداً يماري في أن الهوية الإسلامية هي منصة الانطلاق إلى الحياة، وفق تعاليم الدين الحنيف، في كل أرض، وفي كل وقت، وفي كل حين، فهي البنية الأساسية لحياة كل مسلم ومن ثم ينبغي أن تحافظ عليها، وتصونها من العبث كل الجامعات في شتى بقاع العالم الإسلامي، ويمكن أن يتم هذا بأن تحرص المناهج التعليمية على تحقيق ما يلي:

(١) دراسة القدر المناسب من:

- العلوم الإسلامية.
- اللغة العربية.
- التاريخ الإسلامي.
- الثقافة الإسلامية.
- اسهامات العلماء المسلمين في الحضارة الإنسانية.
- المشكلات المعاصرة في العالم الإسلامي.

(٢) الأخذ بالتوجيه الإسلامي للعلوم في مناهج العلوم على وجه العموم، وفي مناهج العلوم الاجتماعية على وجه الخصوص، ترسيخاً للثقافة الإسلامية، ودرء مخاطر الغزو الثقافي.

(٣) تحقيق السلوك الإسلامي الصحيح داخل المؤسسات التعليمية والتعاون مع المؤسسات الأخرى في المجتمع على تحقيقه.

(٤) التعاون مع المؤسسات الدعوية والثقافية والإعلامية على نشر الثقافة الإسلامية داخل مؤسسات التعليم وفي مؤسسات المجتمع الأخرى.

(٥) تنظيم مؤتمرات وندوات وحلقات نقاشية تهدف إلى تجلية حقيقة الدين الإسلامي، وموقفه من قضايا الحياة المعاصرة، وتفنيد ما يرد من افتراءات عليه في وسائل الإعلام الأجنبية، والتعاون في ذلك مع مؤسسات المجتمع الأخرى.

(٦) أن تعنى مناهج التعليم في كليات إعداد المعلم في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي بما يلي:

- تشجيع أعضاء هيئات التدريس بها على القيام بالبحوث العلمية التي تسهم في الارتقاء بالتربية الإسلامية في المجتمع المحلي.
- العمل على تعاون بلدان العالم الإسلامي على إنشاء أكاديمية للبحث العلمي في مجال التربية بعامة، وتربية المعلم بخاصة، تكون مهمتها الأساسية العمل على تحقيق التالي على مستوى العالم الإسلامي:

- توجيه العلوم التربوية وفق نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة والمعرفة.

- استنباط حلول علمية للمشكلات التربوية، يراعى فيها متطلبات التربية الإسلامية.

- توظيف المناسب من الخبرات والأدوات الجديدة التي تظهر خارج المجتمع المسلم في ترشيد مسيرة التربية داخل هذا المجتمع الإسلامي وتحسينها.

- تحقيق التعاون والتنسيق بين مختلف الجامعات في الأقطار الإسلامية في البحث العلمي.

- أن تسهم المناهج في الدعوة إلى إنشاء سوق إسلامية مشتركة، تكون مجالا لنهضة تنموية اقتصادية في العالم الإسلامي، كما تكون أساساً لتبادل خبرات التنمية وتكاملها.

وفي الدعوة إلى إنشاء مراكز للمعلوماتية والبحث العلمي والتطوير على مستوى العالم الإسلامي ككل، تعتمد على المصادر المحلية والأجنبية، وترجمة إنتاج مراكز البحث والتطوير في البلدان المتقدمة، لإمداد مؤسسات التنمية بأحدث التطورات العملية والتقنية.

التطوير

كان من بين بحوث المؤتمر الذي أقامته رابطة الجامعات الإسلامية وحضره د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، بحث عن المحاولات التي يبذلها المسلمون في كل مكان في العالم للارتقاء بتطوير وتوحيد

مناهج الدراسات الإسلامية فى الجامعات.. فهذا بحث بعنوان «تطوير المناهج العلمية فى الدراسات الإسلامية للدكتور أبوالدين ناتا أستاذ التربية وفلسفة التربية بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية بجاكرتا.

ويشير البحث فى بدايته إلى أن العلوم الإسلامية من الدراسات العلمية التى درست فى مختلف الجامعات الإسلامية وغيرها فى أنحاء العالم، قد جذبت وماتزال تجذب اهتمام كثير من العلماء والمثقفين فى كل مكان.

وبين البحث الندوات الكثيرة والمؤتمرات والسيمنارات التى عقدت فى عدد من الكليات والجامعات، من بينها كلية الدراسات الإسلامية جامعة الأمير «سونكلا» التايلندية، وتناولت هذه الندوة الموضوعات التى تتعلق بتطور الدراسات الإسلامية فى ماليزيا، وبروناى دار السلام، والفلبين وتايلاند وسنغافورة وإندونيسيا واليابان والمملكة العربية السعودية وغيرها من دول المنطقة، وفى ندوة أخرى مماثلة تناولت البحوث المقدمة الأفكار المطروحة من المجالات والعلوم التى تشمل الدراسات الإسلامية ومواصفاتها ومعاييرها.

وهناك تصنيف آخر يشير إليه البحث بالنسبة للدراسات الإسلامية وفى رأيه أن تنقسم إلى النواحى المتعددة والجوانب المختلفة. كما يلى:

(١) الجانب التعبدى والتربية الروحية والخلقية.

(٢) الجانب التاريخى الحضارى.

(٣) الجانب السياسى.

(٤) جانب المؤسسات الاجتماعية التى تشمل الحكومة والمؤسسات القانونية والقضاء.. إلخ.

ثم الجانب التشريعى والاعتقادى والفلسفى والجانب الروحى والجانب التجديدى فى الإسلام.

وهذا التقسيم يؤكد على التعريف بالإسلام وفهمه فهماً كاملاً وبصورة أشمل وأوسع، وفى نفس الوقت يبتعد عن الفهم الضيق للإسلام، ويحل محله الفهم المتكامل له.

ويشير الدكتور نبيل السمالوطى فى بحثه «التوجيه الإسلامى وتوحيد مناهج العلوم الاجتماعية» بقوله: إن منظومة العلوم الاجتماعية مثل: علم الاجتماع والاقتصاد، والإنسان والسكان، والعلوم السياسية وعلوم الأخلاق، وعلوم التربية والأسرة.. الخ.. هذه العلوم ولدت فى رحم المجتمع المسلم، وكانت منطلقاتها إسلامية، وغاياتها بناء المجتمع المسلم الصحيح المطبق لشرع الله.

ومن أهم أهداف هذه العلوم الاجتماعية التى انطلقت من عباءة الإسلام بمصدريه الأساسيين: القرآن والسنة، تحقيق أقصى درجات الأمن والرخاء والسلام الاجتماعى، كذلك كان

من أهم أهداف منظومة العلوم الاجتماعية التى أرساها علماء الإسلام، وهى قيم العدل والمساواة والحق بين كل سكان الأرض.. ومن هنا انطلق الرواد المسلمون يؤسسون العلوم الاجتماعية الموجهة توجيهاً ربانياً أو إسلامياً.

من أهم هؤلاء العلماء: القابسى فى التربية، والماوردى فى العلوم السياسية، وابن خلدون فى علم العمران أو علم الاجتماع هكذا كانت منظومة العلوم الاجتماعية إسلامية المنطلق وإسلامية التوجه، وإسلامية التطبيق والهدف.

لكن الإشكالية الكبرى التى أدت بهذه المنظومة من العلوم إلى الانحراف عن منطلقاتها وأهدافها وتوجهاتها ما حدث فى أوروبا بعد عصر النهضة، وبعد الثورة الأوروبية، وهو التطرف الكهنوتى الذى كان برفض كل ما يتعلق بالعقل والعلوم العقلية، وكل ما يتصل بالعلم العقلى أو التجريبى، لدرجة الحكم بالقتل وتنفيذه، على كل من يعمل عقله، أو يستخدم المنهج التجريبى.

ويصل بنا د. نبيل إلى ما أشار إليه عبدالحميد سليمان من ضرورة إعادة تعريف وتحديد معنى الاجتهاد ودور الفقيه فى الإصلاح الفكرى، وهو يرى أن هذا الأمر أصبح لازماً فى إعداد الفقيه، فلم يعد كافياً تزويده أو تلقينه مجموعة من المعارف القانونية، وهو يؤكد ضرورة توسيع مفهوم الاجتهاد بالاستعانة بأنماط التفكير التجريبى، المستخدمة فى تطوير ودراسة العلوم الاجتماعية كالسياسة والاجتماع والاقتصاد.

لقد تحمس البعض لمفهوم التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية، والمقصود بالتأصيل العودة إلى الأصول أو الجذور الإسلامية، فموضوع علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية والإنسانية، مثل العلاقات الاجتماعية والنظرية والجماعات الاجتماعية، وقضايا التربية والاقتصاد والسياسة فالأسرة، والضوابط الاجتماعية ومعايير السوء والانحراف.. إلخ.. هذه الموضوعات يجب عرضها على الشريعة الإسلامية، وإبراز موقف الشريعة منها، وما يتصادم معها رفضناه، ومالا يتصادم معها سواء ورد نصاً، أو لم يرد، ولا ترفضها شريعة الإسلام قبلناها، فليس المهم هو وجود نص لما تعالجه العلوم الاجتماعية، حتى يتم التعامل معها وتحليله فى إطار التأصيل الاجتماعى، ولكن المهم هو عدم وجود نص يعارض ما تقدم على دراسته وتطويره وتحليله.

***

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

سيجريد هونكة تشهد على:

تأثير العقل الإسلامى فى النهضة الأوروبية

٦

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

«وبعد قرون من التقلب فى إزدراء الطبيعة، والتمرغ فى وحدة الإحساس بالذنب، بدأت إرهاصات الإعجاب، ونفثت الأزاهير فى الشعر أولاً، مؤذنة بتنفس الصعداء، بالإعجاب من معجزات الخالق، وفى التفتح الصادق من الروضة الإلهية الندية، ولعل أجملها مانجده لدى فريدريك زونتبرج وفرانسيسكو فون آزيزى وغيرهم كثيرين.. كما أن أسلوب الكتابة لدى الفلاسفة الذين اقتبسوا عن إريوجينا مبدأه، أخذت هى الأخرى فى التفتح والفوحان، وتحول أريوجينا إلى قدوة، وطرقت مؤلفاته آذان أوروبا كلها».

● «لقد أطلق (أدلبرد فون باث) (١٠٩٠-١١٦٠م) زفرات من أعماقه بعد رحلته فى العالم الإسلامى، وعودته إلى وطنه «بريستول» فكتب فى رسالته (أسئلة إلى الطبيعة) مقارنا بين موقفين من الطبيعة»:

«إننا إن تهاونا وقصرنا فى تفهم أسرار هذا الكون الرائعة، وجماله وجلاله البديع الحكيم، ونحن نعيش فيه، فإننا نستحق كل الاستحقاق أن نطرد منه طرداً، لأننا نكون أشبه بالضيف الجاهل حرمة البيت وكرامته، الذى أجله إياه المضيف.

لقد أتيح لى أن أتعلم شيئاً من الأساتذة العرب الحكماء عن الانقياد للعقل، أما أنت فإنك تتبع صورة فرضتها عليك هيمنة مستبدة، كأنك مقيد إلى رتن، مأخوذ بمقودك.. ألا فلتعلمنَّ أن الماشية التى يؤخذ بأزمتها إلى أية وجهة، إنما لاتستطيع أن تميز أو تستبين إلى أين ولماذا تُقاد، ولاتملك إلا أن تتبع الزمام الذى يوثقها. كذلك، فإن «سلطة المؤلفات» تقود عدداً ليس باليسير منكم، فأنتم أسراها المكبلون، منقادين لها كالدواب بسرعة تصديقكم الحيوانية».

● فلقد عمل «نيقولاس فون كويس» على رفض وتقويض كامل الصورة اليونانية، والإنجيلية للطبيعة والعالم، تلك التى كانت سائدة ومقبولة من غير نقاش، والتى أعارها الناس آذانهم منذ ألفي سنة. لقد أزاح القذارة عن العالم، الذى كان ينظر إليه على أنه شرير، وضيع، ملوث، مدعاة للازدراء والشك، وحتى الموت والفناء لم يعودا مؤشرين على النفس، فلم تعد الأرض أحط وأسفل نقطة فى التداعى الدنيوى العاتى. لقد أزاح «نيقولاس فون كويس» هذا الركام عن العالم الذى جزأه اليونانيون والإنجيل إلى شذرات، وتلقاه إنسان الغرب فى تلك الصورة عن طريقة التعليم الكنائسى».

● «وبالنسبة لليوناردو دافنشى (١٤٥٢-١٥١٩م).. فمن أى معين ياترى نهل هذا المفكر ثاقب النظر المتعدد المواهب، ليشكل حدثاً عالمياً؟..».

إن الطبيعة، لديه، انبساط للربوبية التى تتسع لكل شيء، وهى فى كل شيء أيضا. إن الله هو طبيعة سائر الأشياء، وبفضل الحضور الإلهى هذا، فقد أضحى ذلك ممكناً للإنسان أيضا، ألا وهو التعرف إلى الطبيعة الإلهية الحية»..

وفى البصريات، كما فى الرياضيات استند ليوناردو دافنشى على المؤلفات العربية الشهيرة لابن الهيثم الموجودة فى فلورنسا، وعلى نظريته فى الانعكاس الضوئى، وتجاربه على عدسة العين والعدسات المكبرة وبالكاميرا ذات الثقب».

وفى علم طبقات الأرض، كان العالم ابن سينا قد سبقه إلى اكتشاف تشكل التربة، ولم يتوقف عند التجربة وحدها، بل اعتبرها أساسا لكل معرفة: «يجب أن ننطلق من التجربة لكى نتقصى القانون». ورفض كذلك القول بتفاهة العالم، وعزلة الخلق الأبدية»..

● «ولقد كان كل من جاليلى (١٥٦٤-١٦٤٢م) وبلانك (١٨٥٨-١٩٤٧م) على دراية بأن الكون يتجاوز، وبلا حدود قوة إدراك نظرتنا إليه وفهمنا له».

وتحدياً للعون الرائع الذى قدمه المنظار الفلكى، فقد درّس جاليلى الإحاطة الذاتية بالعلم، بحيث ارتضى بتقييد الباحثين بالجانب الرياضى للحقيقة، وبالاستغناء عن كل تحديد للجوهر.

إن التعرّف عليه هو حقيقة، يقوم على المطلق الذى لاسبيل إلى إدراكه، أبدا، والعلم الطبيعى هذا على دراية بحدوده، وبالاعتراف بحدود التعرّف البشرى هذا.. وتعود فكرة

«الجهل الدارى» للفيلسوفين «اريوجينا» و«كوسانو» على غرار جذب حدود معرفة العقل للفيلسوفين «كانت» (١٧٤٢-١٨٠٤م) و«جوته» (١٧٤٩-١٨٣٢م). وبالمعرفة حول محدودية الحقيقة، يطوق العقل الأوربى وفى كل الأزمان اليقين، لكى يتعرف معاً إلى الوجود الحقيقى للشىء الذى مامن سبيل إلى معرفته، إلى اكتشافه فيه، المتضمَّن فى كل مايتسنى معرفته».

• «إن استكشاف الطبيعة لم يعد بالنسبة للإنسان الأوروبى الموجّه توحيداً وكلية (شمولياً) منذ زمن بعيد عقبة، سبيلاً للانصراف عن الله، ولا للانحراف، وإنما وعلى الدوام طريقاً نحو ماهو مجهول، نحو الربوبية».

ومن المعروف، بما يتفق تماماً مع توجهات بلانك وأينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥م) قبيل وفاته بوقت قصير.

• «إنه الإحساس الأعمق والأروع، الذى نحن عليه قادرون منه وحده يبث العلم الصحيح، ومن كان هذا الإحساس غريباً عنه، هو الذى لايستطيع بعد أن يعجب، وأن يفرط فى خشية، فهو الذى يُعد ميتاً روحياً. لذا فالمعرفة أن يوجد بحق ماهو غير مكتشف، وأن يتجلى بصفته أسمى حقيقة وأسطع جمال، الشيئين اللذين لايتسنى لنا منهما سوى علم ضبابى، وهذه المعرفة.. وهذا العلم، هما جوهر التدين الحق».

• «إن الطبيعة، لدى جاليلى، ليست قابلة للتجربة، للتعرف للحساب فقط، بل هى أيضاً قابلة للاستعمال، وللتسيير، وللإفادة.

إن كتاب الطبيعة، الذى هو فى ذات الوقت كلمة الله، ذو تعبير وانبساط للألوهية، مكتوب بحروف رياضية، وفى سائر ظواهره تتجلى الربوبية بأوضح صورها وأشدها إدراكاً، وبالنظام الرياضى السائد، الذى يرى الباحث الطبيعى نفسه ملزماً بقراءته».

• «ولقد قال (جوردانو برونو) (١٥٤٨-١٩٦٠م) الذى عومل كمنشق عن المسيحية.. وملحد.. والذى قضى سبع سنوات فى السجون تنفيذاً لحكم محاكم التفتيش.. لقد قال:

«إننا نبحث عن الله فى القانون الطبيعى الثابت غير المستقر، وفى الوجدان المفعم بالخشية، ونبحث عنه فى سطوع الشمس، وفى جمال الأشياء التى تنطلق من حظهن مناغاة الأم لأبنائها، وفى إطلالة النجوم (طلعة) التى لاتحصى، التى تتلألأ فى حاشية السماء، ولاتقاس».

• «ولقد اعتبر «روجر بيكون» (١٢١١-١٢٩٤م) دراسة اللغات اليونانية والعربية والعبرية أمراً لامناص منه من أجل تفهم أفضل للإنجيل المغلوط، ومن أجل دلالة اللفظ وترجمات أرسطو طاليس وسائر علماء المسلمين، وأصدر رؤساء الطائفة أمراً بنفى الملحد المزدرى للسلطات المقدسة عشر سنوات من اكسفورد إلى باريس، وصدر عليه الحكم بالسجن سنة ١٢٧٨م، ثم بالسجن المؤيد إلى أن حرره الموت سنة ١٢٩٤م، بعد خمس عشرة سنة قضاها فى السجن».

• «أما «سيجر» من باربانت الذى رفع راية ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ) (١١٢٦-١١٩٨م). فى الحقيقة المزدوجة، والذى تصدى للحكم الصادر ضده بشجاعة، واستنجد بالبابا، فقد قضى الـ١٥ سنة المتبقية من عمره فى سجن البابا، ومات فيه مخنوقاً..».

• «إن «كبلر» (١٥٧١-١٦٣٠م) هو الشخص الذى كان يمتلك الحرية النفسية والشجاعة للإطاحة بالعقيدة اليونانية ـ الأرسطية حول مسار النجوم الدائرى، الذى أدى إلى إعاقة البحث إعاقة شديدة، على النحو ـ أى الاطاحة الذى اقترب به الفلكيون العرب فى القرن ١١».

• «وإنه لمن الخطأ ـ بكلمات الفيلسوف الشاب «كانت» (١٧٤٢-١٨٠٤م) بناء حكم عام: أن نعتقد بأن العلم الطبيعى اعتمد كشرط أو نتيجة محتمة، إطلاق المادة، وميكنة الحياة الإنسانية، ووداع الله من هذا العالم وداعاً لا لقاء بعده!. إذ على العكس، فقد كان ممكناً فوق أرضيته حكمة دينية جديدة لحقيقة الموقف واتخاذ موقف.. من المادة تنزع به الشوائب التى لازالت عالقة بها من قبل «توما كوينى» (١٢٢٥-١٢٧٤م). وأن يرتفع بها إلى مرتبة برهان إلهى منظور، مدرك، يمكن التعرف إليه، كسبب لكل ماهو صغير وكبير، لكل مافيه حياة وماليس فيه، ولكل القوى المؤثرة الموجودة فى الطبيعة والانتظام الداخلى. وهذه الوحدة الداخلية للكون كله هى الفرضية الأصلية لكل المعرفة العلمية فى الفهم الأوروبى».

• «يقول «آرثور ستانلى اربجستون» (١٨٨٢-١٩٤٦م):

«إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله، ولاتبعدنا عنه، لم يكن أى مخترع للإلحاد عالماً طبيعياً، بل كانوا جميعاً فلاسفة، أنصاف معتدلين جداً».

• «ويقول «آلبرت آينشتاين» (١٨٧٩-١٩٥٥م):

«على كل باحث طبيعى متعمق، أن يكون على مقربة من نوع من الشعور الدينى، لأنه قد لايستطيع أن يتصور بأن الصلات الدقيقة النادرة التى يخشاها، قد صدرت عنه بادئ الأمر، ففى الكون المبهم يتجلى فهم تأنّ بغير حدود. إن التصور الجارى القائل بأننى ملحد ينطوى على خطأ جسيم من يستخلصه من نظرياتى العلمية، فقلما يكون قد أدرك غايتها».

• «وعند الفيزيائى «هايزنبرج» (١٩٠١-١٩٧٦م):

«الله موجود فى العالم، وفىّ أنا. إنه يبرهن عن ذاته فى مركزية وانتظام سائر الأشياء وكل المستجدات، كما أنه خلف كل الظواهر الصلة الملموسة، التى يبتهل الإنسان من مأمنها قوته، والذى لايمكنه الشك فى حقيقتها، هنا اكتمل التطابق بين العقيدة والمعرفة.

لقد كتب «هايزنبرج» ـ أيضاً ـ: إن التقسيم المزدوج، حسب التصوير الأرسطو طالسى كان يحق خاصية شيطانية، إنه يؤدى من خلال التكرار المتصل إلى الفوضى فقط. غير أن الإمكانية الثالثة التى برزت إلى السطح

بواسطة النظرية التكاملية الكمية، يمكن أن تكون مثمرة، وأن تنفذ بالتكرار فى حيز العالم الحقيقى».

● «إن العلم الطبيعى الأوربى كان ممكناً فقط على أرضية إيجاد تفسير دينى آخر للطبيعة، وعلى المفهوم الإلهى لمغزى المادة، التى لا كما يقول توما الأكوينى عنها، بأنها مصابة بكل مايخطر على البال من شوائب، بل هى ساقته للاتبـــاط الإلهى المنظور، المحسوس الذى تتحقق وحدته وتتجسم فى شتى الصور وتتجسم وتتجمع لتتحد إنطلاقاً منها ولتتوحد»[1].

***

● «إنها خديعة الاعتقاد بأن فى مقدور العلم معرفة «كل شىء»، ونظرته الحقيقة على أنها الكل فى الكل وبذلك فإن الحقيقة كلها، وجميعها، مايتعرف إليها هو، ويمكن صنعها بالتقنية كاملة، هى تلك المخاوف والذعر، وانعدام الغاية والأمل، والاستسلام والعدوانية، والمعاناة والعنف اليومى، كلها جميعها من جريرة تلك الخديعة..

إن الفكر النهائى نفسه لايصبح آنئذ واقعاً، إلا إذا تواجد فى ضوء اللامتناهى. إن العلم لايدرك دائماً سوى جزء من الحقيقة، والصورة العلمية، وإن كانت مصيبة حقاً، فإنها مع ذلك صورة معنوية، لاتصرف النظر فقط عن النوعيات والصلات ذات الصفة غير السببية، كالتعرف إلى الحياة والموت، البداية، أو انعدامها، أجل وعن الإلمام بالشروط المسبقة الخاصة بها.

وحيث إنه لايقدم حول هذه الأمور دوماً إلا بعض وجوه الحقيقة الكلية بحسب موقع المشاهد ووفق سؤاله، السبب الآتى فقط، لأنه كنتيجة لتنوير المجالات الخاصة دوما، فقد أبقى على فراغات عريضة تتخللها، وحتى ماقدم منها بشكل غير مباشر، دون تنوير.

لقد سلط الضوء، بحيث أن ماكان قابل الإدراك رياضياً للحقيقة الموضوعية، قدّم عن العالم صورة واهية ضحلة، يستلزم بالضرورة فهماً تجريبيا، فى سائر مناحى الحياة.:

لقد نظر إلى العقل بمثابة الآلة الوحيدة التى يحتاج الإنسان إليها، والمناسبة له لتسديد مايفعل ويترك، وللتغلب على المستجدات التكنولوجية الآخذة فى التعقيد».

إنه الأسر فى بنى الفكر الثنائى القديم، انشطار الإنسان فى جانبيات متطرفة، هى التى أمدت فى عمر الأزمة، أو فى اشتدادها».

«والزلزال الذى تعيشه اليوم نشأ فى الأصل عن شق عصا الطاعة الذى أخذ فى التزايد ضد الإله المسيحى الذى أصبح غير جدير بالاعتقاد، كما شخص «نيتشه» (١٨٤٤-١٩٠٠م) ذلك، من خلال استئصال الآخرة، التى جردت من قيمها كذلك من لدن المتنورين، والآن تحققت لعنة الثنائية من كل شكل»[2].

---

(١) (العقيدة والمعرفة) ص ٦٠، ٨٦، ٨٧، ٧٤، ٢٠٨-٢١١، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٣١، ٢٢٥، ٢١٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٣، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤٢، ٢٥٣، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤-٣٠٦.

(٢) المرجع السابق. ص ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٥.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

الحرب الصليبية!!

فى جريدة «اللواء الإسلامى» الصادرة فى ٢٠٠٧/٨/١٦ كتب الأستاذ محمد الزرقانى فى عموده الأسبوعى «مجرد اجتهاد» قال:

عندما قالها الرئيس الأمريكى جورج بوش «الابن» منذ عدة سنوات «فلتكن حربا صليبية» كان يقصدها بكل ما تعنيه الكلمة من معان وحروف.. وصحيح أنه عقب أن تفوه بها، بادر مع إدارته إلى القول بأنها مجرد «زلة لسان» ولكن الأحداث التتالية منذ أن قالها وحتى الآن، أكدت أنها ليست مجرد «زلة لسان» ولكنها كانت سياسة ثابتة لإدارته وأكدت الأحداث أيضا مدى ما يكنه من عداء حقيقى لكل ما هو إسلامى فمن ضرب واحتلال أفغانستان ثم ضرب واحتلال العراق والتهديد بضرب سوريا والسودان وحصارهما وتوقيع العقوبات الاقتصادية عليهما واستخدام إسرائيل لإيقاع الضربات الموجعة بفلسطين ولبنان وحصار منظمات الإغاثة الإسلامية التى تعمل على مساعدة وإغاثة المسلمين فى العديد من مناطقهم المنكوبة واتهامها بتمويل الإرهاب مع أن الإرهاب ليس إلا صناعة أمريكية بتمويل أمريكى ودعم أمريكى.

ويبدو أنه مع اقتراب الانتخابات الأمريكية فى العام المقبل قد بدأ موسم المزايدات فخرج علينا مرشح للرئاسة يدعى «توم تانكريدو» ليزايد على بوش نفسه ويعلن صراحة بضرورة ضرب الكعبة المشرفة بمكة والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة إذا تعرضت الولايات المتحدة للتهديد بأى هجوم إرهابى.. وهنا خرج نائب صهيونى بالكنيست يدعى «دافيد روتم» ليشارك هو الآخر فى حملة التهديد والوعيد وربما وجد أن المرشح الأمريكى اقتصر فى تهديده على مكة والمدينة فقط، فأضاف إليهما من جانبه المسجد الأقصى الشريف وطالب بتدميره من أجل إحلال السلام بالمنطقة باعتبار الأقصى هو الدافع للمسلمين نحو الجهاد لاستعادته فإذا أزيل من الوجود فلن تكون لديهم أى حجة، ويستريحون ويريحون.

ولا شك أن الصمت الرهيب والضعف الذى يلف الأمة كلها من أقصاها إلى أدناها والوهن الذى ضرب جسد الأمة الاسلامية قأدماها وأقعدها ووصل بها إلى حالة رهيبة من السكون والاستسلام.. وكل ذلك هو ما دفع أعداء الأمة إلى الاستهانة بها واستضعافها والسخرية منها وإرهابها واتهامها بالإرهاب من أجل وضعها فى حالة دفاع دائم عن نفسها وعن دينها ومحاولة استرضاء الأعداء والاعتذار لهم عما يفعلونه بها.

إن مثل هذه التهديدات والتصريحات غير المسئولة من أشخاص لابد أنهم فقدوا عقولهم هى الإرهاب بعينه.. وهى محاولة لاستعداء الأمة الإسلامية كلها وجر العالم إلى حافة حرب عالمية قد تكون فيها نهايته وهى تأكيد أنهم- وليس الإسلام- دعاة العنف والإرهاب.

الحل

وفى جريدة «عقيدتى» الصادرة يوم ٢٠٠٧/٨/٢٨ زاوية «ولنا كلمة» كتب المحرر معلقا على مشكلات العالم الإسلامى فقال:

بالتخطيط العلمى تحل الدول المتقدمة مشكلاتها عكس الدول النامية ـ التى تقع كل الدول الإسلامية فى إطارها ـ تزداد مشكلاتها يوما بعد يوم لافتقاد التخطيط الجاد لحلها.. والغريب أن الغالبية العظمى من هذه المشكلات هى من صنع أبنائها الذين لم يسعوا بجدية لحل مشكلاتهم الدنيوية بعد أن همشوا الدين من حياتهم أو جعلوه مجرد طقوس تؤدى بلا روح.

فى ظل هذا التخبط زادت مشكلاتنا ولم تنجح حتى فى تشخيصها باعتبار أن التشخيص الصحيح يمثل نصف الحل ـ وبالتالى جاءت النتائج مخيبة للآمال مع أن الله جعل الحل واضحا ويشهد علينا إلى يوم القيامة ولكننا نصر على أن نعمى أعيننا عنه.

والحق يقال إن الحل لا يأتى بين يوم وليلة وإنما يستغرق ذلك سنوات لأنه يتطلب إعادة بناء منظومة القيم والفضائل فى نفوس الأجيال من خلال التنشئة الإسلامية التى تقع مسئوليتها على الأسرة مع قيام المؤسسات الأخرى بدورها وعلى رأسها أجهزة الإعلام والتعليم والثقافة التى أصبحت تنافس الأسرة فى تشكيل المفاهيم.. ومن المؤسف أن بعضها وسيلة هدم وهذا يجعل الجهد المطلوب للإصلاح أكبر ويستغرق وقتا أطول فهل نملك سياسة النفس الطويل لإصلاح الدنيا بالدين أم نترك سفينة المسلمين تتلاطمها الأمواج ولا نحاول الوصول بها إلى شاطىء النجاة؟

المتهم الأول فى المستنقع العراقى

وتحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة بجريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٧/٨/٣٠:

يتجاهل الرئيس الأمريكى بوش حقيقة أن الوضع فى العراق قد خرج عن نطاق السيطرة الأمريكية، وأن اعتماده على زيادة عدد قواته وقوة نيرانه المنصبة على أبناء الشعب العراقى، ودعمه المتأرجح لحكومة المالكى، قد فشلا فى تخفيف ضراوة المقاومة الوطنية العراقية الصلبة.

إن بوش يحاول إلصاق تهمة التسبب فى المستنقع العراقى بإيران تارة ثم سوريا تارة أخرى، مضيفا فى تصريحاته من أسماهم المتطرفين من السنة، والمتطرفين من الشيعة، فى حين أن المتهم الأول فيما يجرى بالعراق هو من أطلق الرصاصة الأولى فى معركة الغزو دون مبررات مشروعة أو قرارات دولية، وأخذ على عاتقه تدمير دولة عربية كبرى وقتل وتشريد الملايين من أبنائها.

لم يتعلم الرئيس الأمريكى جيدا دروس التاريخ عن جيوش الاحتلال المدحورة، وهى تولى الأدبار عن أراضى الشعوب المناضلة المدافعة عن حريتها، ولن يكون الشعب العراقى إلا فى طليعتها.

من ينقذ أمريكا

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ محمد هزاع المنشور فى جريدة المساء بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٦

واضح تماماً أن الإدارة الأمريكية تتخبط تخبطاً شديداً فيما يتعلق بالشأن العراقى حيث إنه فى الوقت الذى يتحدث فيه البيت الأبيض الأمريكى عن خطة سيعلنها «بوش» قريباً للانسحاب التدريجى للقوات الأمريكية من العراق مع بداية العام القادم نجد بعض القيادات العسكرية الميدانية وفى مقدمتهم «بيتر بليس» قائد القوات فى العراق يحذر تحذيراً شديداً من نتائج هذا الانسحاب بالنسبة للقوات الأمريكية من جانب والعراق من جانب آخر، وهو ما يعكس أبعاد الورطة التى تجد أمريكا نفسها محاطة بها!!

أمريكا حتى الآن لا تعرف كيف ولا متى تبدأ فى سحب قواتها دون أن تتعرض لهجمات أثناء الانسحاب وفى نفس الوقت لا تريد بقاء قواتها لفترة أطول نظرا لتعرضها لهجمات مستمرة تتكبد فيها هذه القوات خسائر جسيمة بدأت تزعج المجتمع الأمريكى فعلاً.

ويزيد من سوء الموقف بالنسبة للإدارة الأمريكية أن حليفتها الرئيسية فى احتلال العراق - بريطانيا - قد حسمت قرارها بخصوص انسحاب قواتها من جنوب العراق ربما خلال أسابيع معدودة، كما أن الحكومة العراقية التى يرأسها المالكى تتعرض لأسوأ أزمة عرفتها منذ مجيئها للحكم بعد انسحاب ١٧ وزيراً منها على خلفية السياسات الطائفية التى تعتمدها كأساس لعملها منذ البداية.

وبغض النظر عن الموعد الذى تبدأ فيه القوات الأمريكية فى الانسحاب أو الذى تتم فيه انسحابها فإن هذا الانسحاب يمثل مشكلة كبرى للولايات المتحدة بالقدر نفسه الذى يمثل فيه بقاؤها لمدة أطول مشكلة كبرى أخرى.

وربما يكون فى ذلك تفسير واضح لهجوم الإدارة الأمريكية وفى مقدمتها «بوش» نفسه على حكومة المالكى حيث يعتقد أنه لا أمل أمام واشنطن سوى الإتيان بحكومة أخرى أكثر موضوعية - وحدة وطنية - قد يكون بإمكانها توفير أجواء أقل خطورة للانسحاب الأمريكى.

لقد ذهبت كل الأوهام الأمريكية فى العراق أدراج الرياح وأصبحت المشكلة الآن هى كيف تنسحب أمريكا.. لا الديمقراطية ولا إعادة البناء ولا غير ذلك من الأكاذيب التى روجوها قبل وأثناء الاحتلال.

إن ما يحدث لأمريكا فى العراق الآن درس جديد لا للإدارة الأمريكية وحسب ولكل القوى الاستعمارية بكافة أنواعها. فهل يستفيد الآخرون؟!

حول تقرير لجنة فينوجراد

بقلم/
صلاح عبد الرحيم محمد
باحث في الشئون السياسية

يعتبر يوم السابع عشر من سبتمبر ٢٠٠٦ يوماً لا يمكن لأى إسرائيلى أن ينساه، فهو اليوم الذى قامت فيه حكومة إيهود أولمرت بتعيين لجنة فينوجراد للتحقيق فى إخفاقات إسرائيل فى حرب لبنان الثانية، وعجزها عن تحقيق الأهداف التى من أجلها دخلت الحرب، وعلى رأسها إعادة الجنديين الإسرائيليين اللذين اختطفهما حزب الله فى لبنان، ولقد شكلت هذه اللجنة من القاضى المتقاعد «إلياهو فينوجراد» رئيساً وأعضاء أربعة هم، البروفيسور «روت جابيزون»، والبروفيسور «يحزقئيل درور» ولواء احتياط دكتور «حاييم نيدل» ولواء احتياط «مناحم عينان»، ويعاون هذه اللجنة فريق آخر يتكون من العميد احتياط «إفياهو ديستلمان» مقرراً، والعميد احتياط «أبراهام الفاسى»، والعميد احتياط «مائير إيلران»، والعميد احتياط البروفيسور «عيران دوليف» والعميد احتياط «أورى مانوس» والعميد احتياط «شموئيل تسوكير» والمحامى «شماى بيكر»، والسيد «إيهوف ليسليفى»، والمحامى «جثيت شوريكى»، وتنحصر مهمة هذا الفريق فى جمع المعلومات عن أحداث الحرب الإسرائيلية على حزب الله بخاصة ولبنان بعامة، لتحديد أوجه القصور التي شابت عملية اتخاذ قرار الحرب، والأخطاء التي ارتكبتها القيادتان السياسية والعسكرية فى إدارة هذه الحرب.

ومن المعلوم أن «لجنة فينوجراد» ليست لجنة استشارية، تسعى إلى مساعدة الحكومة فى البحث عن البدائل السياسية أو التنظيمية، بل إن هذه اللجنة كما يقول رئيسها «فينوجراد» فى تقريره الجزئى مسئولة عن الإشارة إلى الخطأ فى سلوك شخصية معينة ومسئولة عن توجيه النقد إلى هذا السلوك، وعن استنتاج نتائج متعلقة بهذا السلوك وهى أيضا مسئولة عن إصدار توصيات شخصية، مثل التوصية بعدم استمرار شخصية معينة فى شغل منصب معين، كما يحق للجنة أن تقرر أنها اكتشفت أخطاء معينة فى أداء القيادة السياسية أو العسكرية، وفى طريقة عملها سواء أكان ذلك على مستوى رئيس الوزراء أم على مستوى وزير معين، وعندما تكشف اللجنة عن هذه الأخطاء، فإنها بذلك تترك للحكومة والكنيست «البرلمان» والجمهور الحق في أن تتخذ كل منها ما تراه من قرار بشأن مرتكب الخطأ فى أن يستمر فى منصبة أم لا، واللافت أن اللجنة في تقريرها الجزئى «قبل النهائى» لم تتخذ أى قرار بشأن التوصيات الشخصية، سواء فيما يتعلق بالقيادة السياسية أو القيادة العسكرية؛ لذلك جاء التقرير الجزئى الذى أعلن عنه فى أول مايو ٢٠٠٧ خلوا من أى توصيات شخصية؛ على أن يتضمن التقرير النهائى، الذى سينشر في النصف الأول من عام ٢٠٠٨ مثل هذه التوصيات الشخصية، والجدير بالذكر أن التقرير الجزئى الذى أعلن عنه لم يتناول سوى الفترة من ١٢/٧/٢٠٠٦ (بدء شن الحرب على لبنان) حتى ١٧/٧/٢٠٠٦ أى مدة الخمسة أيام الأولى من هذه الحرب، وإن كان هذا التقرير قبل النهائى لم يغفل الفترة السابقة على هذه الحرب، وهى الفترة التى بدأت من مايو ٢٠٠٠ وقت الانسحاب الإسرائيلى الأحادى الجانب من جنوب لبنان فى عهد رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق إيهود بارك وحتى ١٢/٧/٢٠٠٦.

وفى هذا السياق تقول لجنة فينوجراد فى تقريرها الجزئى: «إن هدفنا هو تقييم ما حدث فى حرب لبنان الثانية، حتى يمكن أن نسهم فى الإصلاح العاجل للأخطاء التى تكشفت»، ويقول «إلياهو فينوجراد» رئيس اللجنة فى هذا التقرير «إننا سمعنا أقوال ثلاثة وسبعين شاهداً، كان من بينهم رئيس الوزراء «إيهود أولمرت» ووزير الدفاع «عمير بيرتس» وجميع أعضاء مجلس الوزراء المصغر، وهم سبعة، وجميع من شاركوا فى جلسات هذا المجلس أثناء الحرب، كما سمعنا أقوال رؤساء أجهزة الأمن وهيئة الأركان العامة، ومجلس الأمن القومى، ورئيس المخابرات العسكرية، وقادة القوات الجوية والبحرية، وكبار الضابط فى هيئة الأركان العامة، وجنرالات المنطقة العسكرية الشمالية، بالإضافة إلى سماع آراء بعض الخبراء»، وأضاف رئيس اللجنة قوله «سمعنا أيضا شهادة من شغلوا مناصب رؤساء الوزراء، ووزراء الدفاع، ورؤساء الأركان وقادة المنطقة الشمالية منذ انسحاب الجيش الإسرائيلى من لبنان عام ٢٠٠٠»، وقد حمل التقرير قبل النهائى، الحكومة الإسرائيلية، وعلى رأسها إيهود أولمرت، مسئولية الفشل فى هذه الحرب وقد أكثر هذا التقرير من ذكر كلمة الفشل فى وصف أداء الثلاثى أولمرت، وبيرتس وحالوتس، ويمكن اعتبار الفاشل - كما يرى البعض - هو عنوان التقرير فلقد فشلت القيادة السياسية، وفشل الجيش والنتيجة هو فشل إسرائيل فى تحقيق أهدافها من وراء الحرب على لبنان.

ويبدو من خلال شهادة أولمرت أمام لجنة فينوجراد، كيف خضع رئيس الوزراء الإسرائيلى لإملاءات «دان حالوتس» رئيس

هيئة الأركان، فقد قال «إيهود أولمرت» في شهادته، خلال زيارة إلى مقر هيئة الأركان قبل نشوب الحرب: «أكد لى رئيس هيئة الأركان أننا نملك جيشا قويا جاهزا لأداء المهمات التى ستوكل إليه، ولم يكن بوسعى معرفة أن الحال لم تكن كذلك» وهكذا خدع رئيس هيئة الأركان رئيس الوزراء الإسرائيلى، وقدم له صورة مزيفة عن حالة الجيش الإسرائيلى الذى لم يكن مستعداً أصلاً للحرب، كما اعترف «إيهود أولمرت»، إمام لجنة فينوجراد بأخطائه فى تقدير قوة حزب الله، وعدم استعداد الجبهة الداخلية فى إسرائيل لهذا الكم الهائل من صواريخ الكاتيوشا على مدار ٣٣ يوما، عمر هذه الحرب فيقول: «إنه ربما ارتكب أخطاء، ولكنه يعتقد أنهم تصرفوا بطريقة مناسبة ومسئولة، حيث كان ينبغى الرد بقسوة، خاصة أن الرأى العام العالمى كان يقف بجانب إسرائيل عقب خطف الجنديين الإسرائيليين إلا أنه لم يدرك عاقبة رد الفعل من جانب حزب الله، الذى استغل صواريخ الكاتيوشا فى قصف الجبهة الداخلية لإسرائيل والتى اعترف أولمرت انها لم تكن مستعدة لذلك، كما اعترف أولمرت في شهاداته بخطأ تصديقه لتقدير العسكريين بأن الحرب لن تستمر لأكثر من بضعة أيام حيث استمرت لأكثر من شهر، ولم يكن هذا وارداً فى تقديره، وبالتالى لم يخطط لوضع نهاية للحرب تتفق وقدرات إسرائيل لتحقيق أهدافها.

وفى هذا الصدد دافع دان حالوتس رئيس هيئة الأركان الإسرائيلى عن نفسه أمام لجنة فينوجراد قائلا: «إن ما كان ينقص الجيش فى الحرب هو المبادرة والتصميم، فضلاً عن عدم الاستعداد الكاف»، وأضاف «أنه شعر بصعوبة مهمته في غياب وزير دفاع ذى خبرة عسكرية»، وقال «وجدت نفسى مع وزير أقل خبرة ومعرفة بمشاكلنا التى لم يولها الاهتمام الكافى». وصرح «حالوتس» أمام اللجنة بقوله: «لو كان يوجد شخصان آخران، غير أولمرت وبيرتس، فربما كانت الأمور بدت على نحو مغاير»، وقد أقر «حالوتس» بمسئوليته عن عدم استعداد الجيش للقيام بالعملية البرية يوم ١٣ و١٤ أغسطس ٢٠٠٦، ونفي أن تكون قلة خبرته فى العمليات البرية - حيث ينتمى أصلاً للسلاح الجوى الإسرائيلى - أثرت على أدائه، موضحا أن للسلاح الجوى الدور الأهم فى الحروب الحديثة، ومن ناحية أخرى فقد ذكر تقرير اللجنة أن رئيس هيئة الأركان المستقيل «دان حالوتس» كان مسيطراً بشكل كامل على القيادة السياسية الممثلة في رئيس الحكومة وأيضا على وزير الدفاع «عامير بيرتس» بسبب ضحالة خبرته العسكرية والأمنية، وقد عمل بشكل متهور معتمداً علي سلاحه الجوى الذى ينتمى إليه وكان يعتبره الحل الناجع والدواء لكل داء، كما ذكر التقرير أن رئيس الحكومة «أولمرت»، ووزير الدفاع «عامير بيرتس» انجروا وراء رئيس هيئة الأركان «حالوتس» ببصيرة عمياء، وأقر سائر أعضاء الحكومة كل المقترحات التى اقترحها دون توجيه أى استفسارات أو أسئلة عنها، وفى هذا السياق قال القاضى «إلياهو فينوجراد» فى مؤتمره الصحفى الذى أعلن فيه تقرير لجنته «إننا نرى أولمرت مسئول شخصياً ووزارياً عن العيوب فى القرارات التى اتخذت، وعن الأخطاء التى شابت طريقة اتخاذها».

وأضاف «فينوجراد» قائلا: «إن رئيس الحكومة بلور موقفه من دون أن تعرض أمامه خطة تفصيلية، ومن دون أن يطلب ذلك من جانبه، ولم يتصرف على نحو يمكن أن يسهم فى اتخاذ قرارات صحيحة، كما أعلن أهدافا غير قابلة للتحقيق»، وقد أشار التقرير إلى جوانب الإخفاق، والتى تتمثل فى رد عسكرى فورى غير مستند إلى خطة مدروسة، وقرارات لشن الحرب دون دراسة لكافة الاحتمالات، وتأييد من الحكومة مستنداً إلى عرض غامض للأهداف وطرق العمل، وأهداف غير واضحة، وطموحة وغير قابلة للتحقيق، وعدم مطابقتها للإمكانيات الفعلية للجيش الإسرائيلى، وفوق ذلك عدم توفر معلومات كافية عن قدرات حزب الله العسكرية، وعدم استعداد الجبهة الداخلية الإسرائيلية لهذا الكم الهائل من الصواريخ التى سقطت على التجمعات السكنية اليهودية، وانخفاض الروح المعنوية للجندى الإسرائيلى فى مقابل بسالة المقاومة اللبنانية، وفشل العسكرية الإسرائيلية فى تحقيق ضربة وقائية سريعة لحزب الله ورجال المقاومة اللبنانية، حيث استمرت الحرب ثلاثة وثلاثين يوما (١٢/٧ - ١٤/٨/٢٠٠٦) وهى حرب قد تبدو طويلة نسبياً بالنسبة لجيش يعتمد دائماً على حرب خاطفة وقصيرة، وهو من أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة اسرائيل فى لبنان، وفى هذا الصدد يشير تقرير فينوجراد إلى إبران هذه الإخفاقات فيقول: «كان من أهم الإخفاقات التى تكشفت فى حرب لبنان الثانية، وجود ثغرات عميقة ومؤسفة فى مستوى الاستعداد المرتبط بخطط العمليات والتدريبات المناسبة، ووجود ثغرات فى مستوى الإمدادات والحماية المطلوبة للجنود، وللجبهة الداخلية، وعدم إجراء نقاش، وعدم اتخاذ قرارات عقلانية، ومتابعتها بشكل مسئول»، وقد ذكر التقرير الجزئى إلى أنه «لابد من الإشارة إلى أن بعض الأخطاء التى صاحبت قرار الحرب كان لها صلة بعدم حرص القيادة السياسية على دراسة «خلفيات ميدان القتال» والتعرف على «درجة استعداد الجيش» وقد أخفق كبار صناع القرار فى عدم التحقق من هذه الأمور على النحو الواجب قبل «بداية الحرب» وأشار التقرير أيضا إلى أن الجيش الإسرائيلى لم يكن جاهزاً للحرب، وكان من أسباب ذلك، أن بعض القيادات السياسية والعسكرية، كانت تعتقد أن «عصر الحرب» قد مضى، وأن دولة إسرائيل وجيشها لديهما «قوة ردع كافية» تمنع الجميع عن إعلان حرب فعلية عليها».

واللافت أنه تم نشر نتائج تقرير لجنة فينوجراد، بعد أن تقدمت «زيهافا جلئون» عضوة الكنيست من حزب ميرتس اليسارى المعارض، بالتماس إلى محكمة العدل العليا مطالبة بنشر الشهادات التى جرت أمام لجنة فينوجراد، فقالت «جلئون» بعد نشر هذه الشهادات: «إن الشهادات تميط اللثام عن

حقيقة مفادها أن رئيس الوزراء ألقى بالمسئولية على الجيش الإسرائيلى، خاصة فى الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة من زمن الحرب على لبنان، أى فيما يتعلق بالقرار غير المدروس، وغير المسئول بالاجتياح البرى، قبل صدور قرار مجلس الأمن الدولى رقم ١٧٠١، بثمان وأربعين ساعة»، وأضافت «جلنون»، «أنه من منطلق أن التقرير الجزئى قبل النهائى الذى نشر، قد تطرق فقط للأيام الخمسة الأولى من الحرب (١٢/٧ - ١٤/٨/٢٠٠٦) فلم يكن فى مقدور الجمهور الإسرائيلى أن يعرف ما حدث فى الثمان والأربعين ساعة الأخيرة إلا حينما يتشر تقرير اللجنة النهائى، ومن اللافت أن هذا التقرير سوف ينشر فى النصف الأول من عام ٢٠٠٨ بدلاً من شهر أكتوبر ٢٠٠٧، وأضافت أيضا «تكشف أهمية نشر الشهادات اليوم النقاب عن فشل القيادات السياسية والعسكرية وإخفاقاتها وتزيد من المطالبة بضرورة تقدم رئيس الوزراء «أولمرت»، ووزير دفاعه «بيرتس» بالاستقالة الفورية وفى هذا السياق يؤكد عضو الكنيست من حزب ميرتس «دان كوهين» أن تبادل الاتهامات بين القيادات – كما تبين من وقائع لجنة فينوجراد – يدل فقط على مدى عمق الإخفاق القيادى، ويشير إلى حالة الفوضى التي حكمت عملية اتخاذ القرار، ومن جانب آخر لم يسلم الثالوث «إيهود أولمرت»، رئيس الحكومة الإسرائيلية وعامير بيرتس وزير الدفاع، ودان حالوتس رئيس هيئة الأركان العامة الإسرائيلى، من الانتقادات الواسعة التى وجهها لهم اليمين الإسرائيلى، فقال عضو الكنيست من حزب الليكود «سليفان شالوم» «لم تنجح المحاولة المثيرة للشفقة، من جانب القيادة السياسية، للتنصل من الإخفاق، وإلقاء التهمة على الجيش، لذا فإن ا لنتيجة الحتمية تقضى بأن يتقدم «أولمرت» و«بيرتس» بالاستقالة فوراً، وفى هذا الشأن يقول «جدعون ساعر» عضو الكنيست ورئيس كتلة حزب الليكود البرلمانية أن «شهادة أولمرت حول أنه يتصرف اليوم مثلما تصرف وقت الحرب» يدل على أنه لم يتعلم من دروس إخفاقاته، كما أنه ليس الشخص المناسب لإصلاح الأخطاء، وإعداد إسرائيل من أجل مواجهة التحديات المستقبلية»، أما حديثه عن وزير الدفاع «عامير بيرتس» المستقبل، فقال جدعون ساعر: لقد ارتسمت من خلال الشهادات صورة محرجة لبيرتس، جسدت جهل وزير الدفاع بالقضايا الأمنية الأساسية وعدم بذله أى جهود حقيقية لدراسة هذه القضايا، بل إنه على العكس تماما، فقد كان نادر الإنصات كما يقول «دان حالوتس» رئيس هيئة الأركان العامة، كما قال عضو الكنيست من حزب الاتحاد القومى «زفولون أورليف» إن من الواضح الآن، لماذا عارض «أولمرت» نشر شهاداته، فقد كشفت شهاداته النقاب عن تهرب من المسئولية، بإلقائها كاملة على الجيش الإسرائيلى، إن أولمرت لم يؤد مهامه كزعيم، وإذا كان قد فشل فى تحمل المسئولية أثناء الحرب فمن الواجب عليه أن يتحمل مسئولية إخفاقاته ويتقدم بالاستقالة ويكفى ما صرح به المحلل الاسرائيلى «يهوناتان جيفن» فى مقاله بجريدة «معاريف» الإسرائيلية فى ١/٥/٢٠٠٧ بشأن فشل القيادة السياسية والعسكرية في حربها على لبنان في يوليو ٢٠٠٦ - بقوله: «إن الجيش الذى كان يرأسه «حالوتس» لم يكن مستعدا للحرب ولم يكن وزير الدفاع «بيرتس» على علم بوضع الجيش كما أن رئيس الوزراء «أولمرت» خرج للحرب دون أى هدف محدد والوزراء أيضا استسلموا فى تأييدهم للحرب بينما لم يكن لديهم فكرة عن هدف هذه الحرب وكيف سيخرجون منها ويدعو المحلل الاسرائيلى «نخميا شترسلو» رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى سرعة تقديم استقالته فى مقال له بصحيفة هارتس الإسرائيلية فى ٧/٥/٢٠٠٧ حيث يقول «الواقع إنه يوجد سببان لابعاد أولمرت عن الحكم:

السبب الأول يكمن فى أسلوب اتخاذ قرار شن الحرب حيث تؤكد لجنة فينوجراد على أن القرار اتخذ بسرعة وبدون دراسة كما وصفت اللجنة أفعال أولمرت بأنها «إخفاق بارز».

والسبب الثانى تورطه فى أربع قضايا فساد وهى قضية المناقصة الخاصة ببيع «بنك ليئومى» حيث تقول اللجنة «إن أولمرت قد تورط فى القضية لصالح صديقه الاسترالى «فرانك لوى» وقضية التعيينات السياسية التى قام بها أولمرت فى هيئة تنمية المشروعات الصغيرة وقضية تورطه فى مركز الاستثمارات لصالح صديقه المحامى «أورى ميسر» وأخيرا قضية شراء الشقة فى شارع كرميا فى القدس فقد تبين أن أولمرت متورط فى هذه القضايا الاربعة ويكفى قضية واحدة ليتقدم بالاستقالة على الفور ومن جهة أخرى أشار التقرير إلى دوافع تعيين لجنة فينوجراد حيث عزاها إلى الشعور القوى لدى الشعب الإسرائيلى بالانكسار والإحباط من نتيجة الحرب على لبنان وسوء إدارتها وأيضا بسبب رغبة الحكومة ووزارة الدفاع فى الاستفادة من دروس هذه الحرب وتصحيح الأخطاء كما أكد التقرير على الفائدة المرجوة من لجنة فينو جراد من إدراك المجتمع الاسرائيلى أنه لابد أن يتعلم المجتمع من أخطائه فيراجع إنجازاته وإخفاقاته بهدف تحسين قدرته على المواجهة فى المستقبل وسأكتفى فى الختام بما يراه دكتور «حاييم مسجاف» فى مقاله بصحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية فى ١/٥/٢٠٠٧ عندما قال «إنه ينبغى أن يمثل تقرير «لجنة فينوجراد» «معلم طريق» ليس فقط لرئيس الحكومة ووزير الدفاع اللذين ينبغى أن يحظى إهمالهما الإجرامى بمحاكمة جنائية بتهمة الإهمال الذى تسبب فى موت آلاف الضحايا.

والسؤال الذى يطرح نفسه هل ستستوعب إسرائيل الدرس وتحترم إرادة الشعوب وتعيد الأرض المحتلة إلى أصحابها الحقيقيين؟

ولكن يبدو أن إسرائيل تستعد لجولة أخرى لتسترد هيبتها التى كسرها حزب الله والمقاومة اللبنانية.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

وصية عمر إلى أحد ولاته

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبي موسى الأشعري عامله على البصرة:

«أما بعد:- فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته. وإياك أن تزيغ فتزيغ عمالك، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها. والسلام».

أعجب ما في الإنسان

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «أعجب ما في الإنسان قلبه، وله مواد من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاجه الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفظ، وإن أتاه الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن استفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له قاتل.

شهر رمضان.. مضمار لخلقه

قال الحسن البصري -رحمه الله- في يوم وقد رأى الناس وهيآتهم:

إن الله -تبارك وتعالى- جعل رمضان مضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته!

يتدافعون.. ويتضاحكون

نظر الحسن البصري إلى قوم منصرفين من صلاة الفطر يتدافعون ويتضاحكون، فقال: «الله المستعان! إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تقبل، فما هذا محل الشاكرين، وإن علموا أنه لم يقبل، فما هذا محل الخائبين».

تضرع بعد صلاة العيد

وقف عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه- بعد صلاة العيد، فقال: اللهم، إنك قلت- وقولك الحق:

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(الأعراف:٥٦)

فإن كنت من المحسنين فارحمني، وإن لم أكن من المحسنين فقد قلت:

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

(الأحزاب:٤٣)

فارحمني!! وإن لم أكن من المؤمنين فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفر لي.

وإن لم أكن مستحقاً لشيء من ذلك، فأنا صاحب مصيبة وقد قلت:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

(البقرة:١٥٦، ١٥٧)

اللهم فارحمني.

الموعظة.. والقلب

قال الحسن وقد سمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرق لها: «يا هذا إن بقلبك لشرا أو بقلبي»!.

مـاء الوجـه

قال صالح بن عبدالقدوس:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياءك فاحفظه عليك، فإنما
يدل على فعل الكريم حياؤه

اللفظ الحسن

دخل عبدالملك بن صالح- رحمه الله- دار الرشيد فلقيه إسماعيل بن صبيح الحاجب، فقال: اعلم أنه ولد لأمير المؤمنين ابنان فعاش أحدهما، ومات الآخر، فيجب أن تخاطبه بحسب معرفتك، فلما صار بين يدي الرشيد قال: سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك.

أصدق وصف للمرأة

في مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تستقيم لك المرأة على خليقة واحدة، وإن تركها تستمتع بها وفيها عوج».

ذم الثقلاء

قال الشاعر في ذم الثقلاء:

سقط الثقيل من السفينة في الدجى
فبكى عليه رفاقه وترحموا
حتى إذا طلع الصباح أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوه كما أتاني سالماً
لم أبتلعه لأنه لا يهضم

الجزء الثاني

أراد عميد إحدى الجامعات أن يهدي إلى صديق له نسخة من كتابه الجديد، فكلف ناشر الكتاب إرسال تلك النسخة، فأرسل الناشر نسختين لا نسخة واحدة، وبعد حين قابل العميد صديقه، وسأله هل جاءك كتابي الجديد؟

فأجاب: نعم وقد انتهيت من قراءة الجزء الأول وكدت أفرغ من قراءة الجزء الثاني.

حكم

● قال نصر بن سيار: «كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر. وكل شيء إذا كثر يرخص: إلا الأدب فإنه إذا كثر غلا».

● قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: «قال لي أبي: «يابني» لا تردن على أحمق خطأ، فإنه يستفيد منك علما، ويتخذك عدواً».

● قال محمد بن عبدالملك الزيات: «احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه محسن».

دعاء

اللهم إني قاصر الفهم، واهن العزم، وقد دعوتك على قدر علمي ومنتهى فهمي فإلى من أتوجه وأنت قبلتي؟ وإلى من أشكو وأنت وجهتي؟

اللهم إنا دعوناك ثقة بكرمك، وطمعاً في رحمتك، وسعيا وراء مرضاتك، فما غير وجهك قصدنا ولا إلى غيرك لجأنا، أنت الكافي الكفيل والمولى الجليل أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين.

●●●

حوار عن الصوم

أ.د. محمد أحمد العزب
الأستاذ بكلية الدراسات للبنات بالمنصورة

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

حدثني عن الصيام.. ما هو؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

الصيام إمساك الصائم عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم.

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

ولماذا؟ وهل هناك ضرورة حيوية تلجىء إلى هذا الصيام؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

يا بني.. ليست ضرورة واحدة، وإنما هي ضرورات.. هناك ضرورة صحية تدعو إلى أن يتوقف الإنسان شهرا عن احتواء هذا البشم الغذائي فيخف ويشف، ويعطي حركة الجسم مناخا ملائما لتجديد ذاتها، وتنشيط خلاياها، وترقية إيقاعها الوظيفي إذا صح أن يقال.. وهناك ضرورة سلوكية تدعو إلى أن يكسر الإنسان رتابة أن يأكل ويشرب، حتى لا يستحيل ـ سلوكياً ـ إلى عبد للوازب الطعام والشراب، وحتى يتمكن من العبور فوق هواتف ذاته المادية ليصبح سيدها وحاكمها، بديلا عن وقوعه في حبائل أن يكون عبدها ومحكومها.. وهناك ضرورة ضميرية تدعو إلى أن يخلو الإنسان إلى نفسه، وأن يعظم هذه النفس بوحي من وعيه الضميري عن كل ما يحيط به من عوامل الجذب، مترقيا من إسار اللحظة إلى أفق الديمومة، ومن رقابة العالم الخارجي إلى رقابة العالم الداخلي، ومن عبء أن يخون إلى مناط أن يشهر في وجه كل شياطينه سيف الأمانة..

وهناك ضرورة اجتماعية تدعو إلى أن تنخرط كل الجموع المسلمة في هوية مظهرية وعقائدية واحدة، فإذا الفجر الصادح بأذانه يد تشير إلى هذه الجموع بالكف عن كل شيء، وإذا الغروب الفاتن بشحوبه يد تشير إلى هذه الجموع بالمباشرة، وإذا هذه الجموع بين مطالع الفجر ومواكب الغروب جحافل تصبو إلى غاية واحدة، وتتوافق إيقاعا يشكل سيمفونية حب كبير لخالق كبير.. وهناك ضرورة عقائدية.. تدعو إلى أن يقول الله فيسمع الإنسان، وتشير السماء فتستجيب الأرض!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

وهل للصيام كل هذه القداسة التي أستشعرها الآن من خلال كلماتك؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

يا بنى.. ما رأيك فى عمل يقول فيه الله عز وجل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى، وأنا أجزى به)[1] ويقول فيه الرسول العظيم: (لا يصوم عبد يوما فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا)[2]

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

فحدثنى إذن عن أخلاقيات الصيام فإنى منذ اليوم إلى حديثك فى هذا الصدد لظامئ ظامئ.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الصيام جنة، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنى صائم. مرتين. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى، الصيام لى، وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها)[3] وللصائم يا بنى آداب تحدد نوعية أخلاقه المأمولة: كتأخير السحور، وتعجيل الفطر، والدعاء عند الصيام وأثنائه، والكف عما يتنافى مع الصيام من غش وخداع وزور وبهتان. حتى لا يقع الصائم فى دائرة من يدينهم النبى ﷺ بكلماته الحاسمة: (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)[4].

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

أعرف أن الصوم واجب؟ من أين تأتى هذه الواجبية؟ وعلى أى مستوى تكون؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

صوم رمضان واجب يا بنى بالكتاب والسنة والإجماع.. فأما واجبيته بالكتاب فتأتى من قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

وأما واجبيته بالسنة فتأتى من قوله ﷺ: (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت)[5] وأما واجبيته بالإجماع فتأتى من إجماع الأمة على وجوب صوم رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام التى علمت من الدين بالضرورة، وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

ومتى كانت فرضية الصوم؟ متى فرض الصوم على المسلمين؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

كانت فرضية الصوم يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة، ولقد تلقى المسلمون هذه الفرضية كما يتلقى الإنسان هدايا عيد ميلاده.

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

فإن أفطر الصائم لغير سبب حافز على الإفطار، فما جزاؤه؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

دعنى أنثر على سمعك بعض ما قاله النبى ﷺ فى هذا الصدد، فإن فى مقولاته غناء أى غناء عن محاولة الشرح واستفاضة الحوار..

(١) السنن الكبرى للبيهقى جـ٤/٢٧٠.
(٢) سنن النسائى ج٤/١٧٤.
(٣) البخارى عد ٣/٢٦.
(٤) سنن ابن ماجة ١٦٩٠.
(٥) البخارى ج١/٩.

عن أبى هريرة.. أن النبى ﷺ قال: من أفطر يوما من رمضان وفى غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه)[6]!! إن المخالف عن أمر خالقه يا بنى يحرق المسافات المضيئة بينه وبين مناط وجوده الصميمى، ويحيا كما تحيا الورقة الميتوتة من غصنها الشجرى، لا تنتظر عبر أيامها سوى قدر الذبول!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

للصيام حقيقة كيانية أعرف ذلك، فمم تتركب هذه الحقيقة الكيانية يا شيخى العارف؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

يا بنى.. للصيام ركنان تتركب منهما حقيقته: الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لقوله تعالى:

﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

وإذن فلا مندوحة لصائم حتى وإن قدم بين يديه أعذاره؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

حاشا لدين الله أن يكون يا بنى سوط عذاب يرهق كاهل البشر، فلقد روى أحمد وأبوداود والبيهقى بسند صحيح من حديث معاذ. قال: إن الله تعالى فرض على النبى ﷺ الصيام، فأنزل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

إلى قوله:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله تعالى أنزل الآية الأخرى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

فأثبت صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وأثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام!!

قال التلميذ الفتى لأستاذه الشيخ:

إن صياماً يستقطب كل هذه الدوائر الفردية، والجماعية، والسلوكية، والعقائدية، لجدير بأن يكون مدرسة تؤصل الأجيال من الذين يفتحون أذرعتهم للكون، ويتخطون آنية الحاضر إلى ديمومة الحضور.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى:

وفى الصيام يا بنى لو شئت جوانب أشرق وأروع، وما أحب أن أثقل عليك، فهيئ يومك لغدك، واستعصم بركن الله الركين، وتحول إلى سماء المعرفة من خلال القرآن فى رمضان، إن سجدة الطبيعة فى الليل بعض إصغاء الأشياء لنبضة الوعى فى حناجر اللاهجين بالقرآن، فى أصباح، وأصائل، وأمساء رمضان..

(٦) مسند الإمام أحمد ج٢/٤٥٨.

الأثر السيئ للإشاعات

للأستاذ/ عادل خفاجة

نقصد بالإشاعة.. ذلك الخبر المكذوب الذى تتضافر لنشره الألسنة سواء عن قصد أو بدون قصد.

والإشاعات تنمو فى كل الأمكنة وفى كل الأزمنة لذلك فهى سلاح خطير يقضى على الشعوب والأمم إذا استسلمت لها. فهى تؤدى إلى فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم كما تؤدى إلى نشر الضغائن بين طوائف المجتمع، وإلصاق التهم بالشرفاء.

وأكثر الأمم تأثرا بالإشاعات هى الأمم الضعيفة الجاهلة.. أما الأمم القوية المتقدمة العالمة فهى أمم قادرة على فحص وتمحيص ما يلقى إليها من الإشاعات فإذا أمعنت فيها النظر، وأدامت التأمل انكشف لها ما تحمله تلك الإشاعات من زيف.

ولقد تعرض المسلمون لنار الإشاعات الكاذبة فى عدة مواقف.

كان أولها: ما أشيع ـ بعد هجرة المسلمين الأولى للحبشة ـ أن كفار قريش قد أسلموا!!

فدفعت هذه الإشاعة عددا من المسلمين إلى العودة فعادوا إلى ما كانوا فيه من عذاب.

● وفى إشاعة أخرى روّج الكفار فى غزوة أحد أن النبى قد قتل، فأدى ذلك إلى تخلى بعض المسلمين عن مهامهم القتالية وترك المعركة.

● ولعل أشد ما واجهت الأمة الإسلامية من نار الإشاعات ما واجهته فى «حديث الإفك».

«فكانوا يريدون بهذه الإشاعة إثارة الشكوك فى نبوته ﷺ، فيقول القائل: إنه كسائر الناس تتهم نساؤه ويطعن من خلفه، ولو كان نبيا لكان أكرم على الله من ذلك، ولأعلمه بما يدور فى بيته»[1].

● كما أدت الإشاعات الكاذبة إلى حصار خليفة المسلمين عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ حصارا انتهى باستشهاده رضى الله عنه.

● وفى الليلة الأخيرة قبل نشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضى الله ـ عز

(١) الشيخ محمد عرفة: الإشاعات والأراجيف، مجلة الأزهر المجلد ٢٤، ص ٥٨٨ سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

وجل ـ من إقامة الحدود الشرعية على من يثبت عليه أن له يدا فى مصرع أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وبات أبناء كل فريق فى معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها وأرضاها لله، فما كان من قتلة عثمان ومن يتبعهم من قبائل إلا أن أنشبوا القتال فى الصباح الباكر، وأشاعوا فى كل معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثانى هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس.

وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفتك بهما وأضر على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة.[2]

«ولقد اضطر المسلمون فى عصر النبى ﷺ أن يحاربوا بالإشاعات، وكان ذلك فى واقعة الخندق، وهى واقعة تألب فيها الشرك على الإسلام، فقد تألبت اليهود وقريش وغطفان وجاءوا فى العدد والعدة، وحاصروا المدينة، وإذا أردت أن تعلم ما كان المسلمون فيه من هول فاقرأ قوله تعالى فى وصفه[3]

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

«الأحزاب: ١٠-١٢»

فى هذه العسرة وهذا الضيق يذكر الإمام البغوى فى تفسيره:

«أن نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى فمرنى بما شئت فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال لهم: يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم: إن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتهم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأولادهم ونساؤهم بعيدة إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا: لقد أشرت برأى ونصح.

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: يا معشر قريش قد عرفتم ودى إياكم وفراقى محمدا وقد بلغنى أمر رأيت أن حقا على أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا: نفعل قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا

(٢) الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين: إشاعات السوء وموقف الإسلام منها مجلة الأزهر المجلد ٢٥ ص١٤٧ سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

(٣) الشيخ محمد عرفة: الإشاعات والأراجيف، مجلة الأزهر المجلد ٢٤، ص٥٩٠.

إليه: أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان أنتم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهمونى قالوا: صدقت، قال: فاكتموا على قالوا: نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس... أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقال بنو قريظة لهم: إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت إليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: تعلمن والله أن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم.[4]

فأصبحوا مرتحلين ونجى الله المسلمين.

هكذا تدرك أن المسلمين الأوائل قد علموا خطورة الإشاعات كسلاح فتاك فأحكموه إذا حاربوا به وتغلبوا عليه إذ حوربوا به. وكان أبو أيوب الأنصارى وزوجه من هؤلاء الذين تغلبوا على هذا السلاح حين أصاب المسلمين.

فقد «أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن بعض الأنصار أن امرأة أبى أيوب الأنصارى قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا: ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟ قال: بلا، وذلك الكذب. أكنت أنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله. قال: فعائشة والله خير منك وأطيب»[5].

هكذا تذوب الإشاعة أمام قلب واع وعقل نير، وهكذا طالب القرآن الكريم أن يكون سلوك كل مؤمن فقال تعالى:

﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾

النور/ ١٢

وفى القرآن الكريم والسنة المشرفة الكثير من الآيات والأحاديث الحاثة على استخدام العقل الآمرة بالنظر والتروى والتفكر فى الأمر قبل إصدار الحكم، منها قوله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾

الحجرات/ ٦

ومنها قوله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾

الأحزاب/ ٧٠

ومن السنة المشرفة قوله ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[6]

وقوله ﷺ: كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع»[7]

وعن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[8].

وكم نحن - فى هذه الأيام - فى حاجة إلى التزام تعاليم ديننا الحنيف فى هذا الشأن وقد كثرت الأخبار وتكاثرت الأحداث وأصبح العالم كقرية واحدة تصب فيها الأخبار والأحداث والحكايات من كل جانب فهذا من الفضائيات وذاك من الصحف والمجلات وتلك من شبكة المعلومات وكم فى هذا الزخم الهائل من إشاعات وبهتان وليس أمام المسلمين سوى التمسك بحبل الله المتين.

وذلك:

- بالرجوع إلى سيرة من قيلت فى حقه الإشاعة.
- بعدم ترك ما علموه من نزاهته إلى ما أشيع من أكاذيب.
- بأن يغلب المؤمنون حسن الظن.
- بألا يتخلوا عن موقف القاضى العادل: فلا يصدقوا إلا بيقين ولا يحكموا إلا ببينة.

وبعد:

فإذا كان أبو أيوب الأنصارى قد قال ما قال من واقع الفطرة النقية التى وهبه الله إياها وأتى بالبرهان الناصع الذى لا يقبل الشك.

فإن أناسا آخرين فى كل عصر ليس لهم ما لأبى أيوب من الحكمة والفطرة النقية ولمثل هؤلاء لابد أن تتاح فرصة الاستفسار عن الحقائق لمحو الغموض وليشارك فى محو الغموض كل من المسئولين وأهل العلم لإزالة الآثار السلبية التى تنشأ عن الإشاعات والتى تؤثر فى أغلبها هذه الأيام على اقتصاديات البلاد واستقرارها.

(٤) تفسير البغوى جـ١ ص٣٢٦.

(٥) الدر المنثور جـ٦/ ١٦٠.

(٦) صحيح البخارى جـ٥.

(٧) المستدرك ١/ ١٩٥.

(٨) أخرجه البخارى ٢/ ٥٣٧.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ الْقُرَّاءِ

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

علـــى جمعـــة

مفتى جمهورية مصر العربية

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

المسلمون لا يتفقون على ضلالة

● السؤال الأول: ورد من السيد / أ.م.ع.

شخص بدأ الصيام فى مصر طبقاً لتحديد أول شهر رمضان فيها، وسافر إلى بلد آخر اختلف العيد فيه مع مصر، فكيف يفعل فى نهاية شهر رمضان، هل يتبع مصر فى الإفطار للعيد أم يتبع البلد الذى هو فيه حتى لو أدى ذلك إلى أن يكون صيامه ثمانية وعشرين يوما أو واحدا وثلاثين يوما؟

●● الجواب: هذا السؤال تتعلق به قضيتان: إحداهما: علْمِيّة، والأخرى: عَمَلِيّة.

فأما العِلْمِيّة: فهى ما تقرر شرعا من أن القطعى مقَدّم على الظنى، أى أن الحساب القطعى لا يمكن أن يعارض الرؤية الصحيحة، ولذلك صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٤م، واتفقت المؤتمرات الفقهية كمؤتمر جدة وغيره على الاستئناس بالحسابات الفلكية القطعية مع الاعتماد على الرؤية البصرية الصحيحة، وهذا يعنى أن الحساب ينفى ولا يثبت، وأنه يعد تهمة للرائى الذى يدعى خلافه؛ قال الإمام التقى السبكى فى «فتاواه»: «لأن الحساب قطعى والشهادة والخبر ظنيان، والظن لا يُعارض القطع فضلا عن أن يقدم عليه، والبينة شرطها أن يكون ما شهدت به ممكنا حسا وعقلا وشرعا، فإذا فُرض دلالة الحساب قطعا على عدم الإمكان استحال القبول شرعا؛ لاستحالة المشهود به، والشرع لا يأتى بالمستحيلات، ولم يأت لنا نصٌ من الشرع أن كل شاهدين تُقبل شهادتهما سواء كان المشهود به صحيحا أو باطلا»، ثم قال بعد ذلك: «قد يحصل لبعض الأغمار والجُهّال توقف فيما قلناه ويستنكر الرجوع إلى الحساب جملة وتفصيلا ويجمد على أن كل ما شهد به شاهدان يثبت، ومن كان كذلك لا خطاب معه، ونحن إنما نتكلم مع من له أدنى تبصر، والجاهل لا كلام معه» أهـ.

ونقل العلامة القليوبى فى «حاشيته على شرح المحلى على المنهاج» عن العبادى قوله: «إذا دل الحساب القطعى على عدم رؤية الهلال لم يقبل قول العدول برؤيته، وترد شهادتهم»، ثم قال القليوبى: «وهو ظاهر جلى، ولا يجوز الصوم حينئذ، ومخالفة ذلك معاندة ومكابرة» أهـ.

فإذا نفى الحساب القطعى طلوع الهلال فلا عبرة بقول من يدعيه، وإذا لم ينف ذلك فالاعتماد حينئذ على الرؤية البصرية فى إثبات طلوعه من عدمه.

ومن القطعى أيضا أن شهر رمضان لا يكون أبدا ثمانية وعشرين يوما ولا يكون كذلك واحدا وثلاثين يوما، بل هو كبقية الشهور القمرية: إما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما، فعن ابن عمر رضى عنهما قال: قال النبى ﷺ: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا» يعنى ثلاثين، ثم قال: «وهكذا وهكذا وهكذا» يعنى تسعا وعشرين، يقول مرة ثلاثين، ومرة تسعا وعشرين. متفق عليه، وفى رواية رواها ابن خزيمة فى «صحيحه» والحاكم فى «المستدرك» وصححها على شرط الشيخين: «إن الله قد جعل الأهلة مواقيت؛ فإذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقدروا له، واعلموا أن الأشهر لا تزيد على ثلاثين»، وقد نقل الإجماع على ذلك الإمام ابن رشد فى «بداية المجتهد» وغيره.

وأما العَمَلِيّة: فعلى المكلف فى مثل هذه الحالات أن يضع فى اعتباره أمرين:

الأول: أن لا يزيد شهر صومه على ثلاثين يوما ولا يقل عن تسعة وعشرين يوما.

الثانى: أن لا يتعارض ذلك مع الحساب الفلكى القطعى.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فإذا بدأ المكلف الصيام فى مصر طبقا لتحديد أول شهر رمضان فيها، وسافر إلى بلد آخر اختلف العيد فيه مع مصر، فالأصل أنه يتبع أهل تلك البلد فى رؤية هلال شوال إلا فى حالتين: أن تخالف هذه الرؤية الحساب الفلكى القطعى أو تجعل شهر رمضان يزيد على ثلاثين أو يقل عن تسعة وعشرين يوماً.

فإذا رُؤى مثلا هلال شوال فى مصر ولم ير فى

البلد الأخرى أو بالعكس مع كون الرؤيتين داخلتين في نطاق الإمكان الفلكي ومع صحة عدد أيام الشهر، فإن الصائم يتبع حينئذ هلال البلد الذي هو فيها، صياما أو إفطارا، إذ لا محظور حينئذ من زيادة على الشهر أو نقص فيه أو مخالفة للحساب القطعي.

أما إن كانت البلد التي سافر إليها لا تبالي بالحساب القطعي بل خالفته في إمكان الرؤية أو استحالتها أو كان الصائم بحيث لو تابعها لزاد على ثلاثين أو نقص عن تسعة وعشرين فلا يجوز له حينئذ متابعتها في الإفطار أو الصوم الزائد أو الناقص قطعاً، لعلتين: الأولى: أنه اتبع رؤية مصر التي يعلم صحتها فصار مقيدا بها وليس له أن ينقض ما قد بنى شهره عليه بمخالفة القطعي من عدد الشهر وحساب الفلك، والثانية: أنه قد تبين له خطأ رؤية البلد التي سافر إليها، فلا عبرة بها في حقه.

لا يقال: عليه أن يقلد البلد التي سافر إليها ولو خالفت القطعي عددا وحسابا، منعا للفتنة ورأبا للصدع.

لأنا نقول: إن ذلك معتبر حيث يلتبس الأمر، أما والأمر واضح بالنسبة لمن بدأ شهر رمضان برؤية أهل بلده الصحيحة ولا لبس فيه فالمتابعة على الخطأ في حقه مع المعرفة به حرام.

قال الإمام السبكي في «الفتاوى»: وأما قوله ﷺ: «عرفة يوم تعرفون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحون» فالمراد منه إذا اتفقوا على ذلك، فالمسلمون لا يتفقون على ضلالة، والإجماع حجة» أهـ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

من صام ولم يصل؟!

● السؤال الثاني: ورد من السيد /م.م.ل.

ما الحكم فيمن صام رمضان ولكنه لا يصلي، هل ذلك يفسد صيامه ولا ينال عليه أجرا؟

●● الجواب: لا يجوز لمسلم ترك الصلاة، وقد اشتد وعيد الله تعالى ورسوله ﷺ لمن تركها وفرط في شأنها، حتى قال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، ومعنى «فقد كفر» في هذا الحديث الشريف وغيره من الأحاديث التي في معناه: أي أتى فعلا كبيرا وشابه الكفار في عدم صلاتهم، فإن الكبائر من شعب الكفر كما أن الطاعات من شعب الإيمان، لا أنه قد خرج بذلك عن ملة الإسلام - عياذا بالله تعالى - فإن تارك الصلاة لا يكفر حتى يجحدها ويكذب بها، ولكنه مع ذلك مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

والمسلم مأمور بأداء كل عبادة شرعها الله تعالى من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها مما افترض الله عليه إن كان من أهل وجوبه، وعليه أن يلتزم بها جميعا كما قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾

[البقرة: ٢٠٨]

وجاء في تفسيرها: أي التزموا بكل شرائع الإسلام وعباداته، ولا يجوز له أن يتخير بينها ويؤدي بعضا ويترك بعضا فيقع بذلك في قوله تعالى:

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

[البقرة: ٨٥]

وكل عبادة من هذه العبادات المفروضة لها أركانها وشروطها الخاصة بها، ولا تعلق لهذه الأركان والشروط بأداء العبادات الأخرى، فإن أداها المسلم على الوجه الصحيح مع تركه لغيرها من العبادات فقد أجزأه ذلك وبرئت ذمته من جهتها، ولكنه يأثم لتركه أداء العبادات الأخرى، فمن صام وهو لا يصلي فصومه صحيح غير فاسد؛ لأنه لا يشترط لصحة الصوم إقامة الصلاة، ولكنه آثم شرعا من جهة تركه للصلاة ومرتكب بذلك لكبيرة من كبائر الذنوب ويجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى. أما مسألة الأجر فموكولة إلى الله تعالى غير أن المصلي أرجى ثوابا وأجراً وقبولا ممن لا يصلي.

قضاء الصوم عن الميت

● كما ورد من السيدة / ن.ع.أ.

هل يجوز قضاء الصوم عن الميت؟

●● الجواب: إذا أفطر الصائم بعذر واستمر العذر إلى الموت فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يصام عنه ولا فدية عليه، لعدم تقصيره، ولا يلحقه إثم، لأنه فرض لم يتمكن من فعله إلى الموت فسقط حكمه كالحج.

أما إذا زال العذر وتمكن من القضاء ولكنه لم يقض حتى مات فللفقهاء فيه قولان:

فالجمهور من الحنفية والمالكية والجديد من مذهب الشافعية وهو المذهب عند الحنابلة يرون أنه لا يصام عنه بعد مماته بل يطعم عنه عن كل يوم مد؛ لأن الصوم لا تدخله النيابة في الحياة فكذلك بعد الوفاة، كالصلاة.

وذهب أصحاب الحديث وجماعة من السلف كطاوس والحسن البصري والزهري وقتادة وأبو ثور، والإمام الشافعي في القديم - وهو معتمد المذهب الشافعي والمختار عند الإمام النووي، وقول أبي الخطاب من الحنابلة - إلى أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه، زاد الشافعية: ويجزئه ذلك عن الإطعام، وتبرأ به ذمة الميت، ولا يلزم الولي الصوم بل هو إلى اختياره وإن كان أولى من الإطعام، لما رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»، ورويا أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، أفأقضيه عنها؟ فقال: «لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟»، قال: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى».

أما الإمام أحمد والليث وإسحاق وأبو عبيد فقالوا: لا يصام عن الميت إلا النذر فقط، حملا للعموم في حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها على خصوص حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي بينت رواياته أنه صوم نذر.. والمراد بالولي الذي له أن يصوم عن الميت: القريب مطلقا، ويجوز للأجنبي عن الميت أن يصوم عنه بإذن وليه.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: «وهذا القول - يعني جواز قضاء الصوم الواجب عن الميت مطلقا - هو الصحيح المختار الذي نعتقده، وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث، لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة. وأما الحديث الوارد «من مات وعليه صيام أطعم عنه» فليس بثابت، ولو ثبت أمكن الجمع بينه وبين هذه الأحاديث بأن يحمل على جواز الأمرين، فإن من يقول بالصيام يجوز عنده الإطعام، فثبت أن

الصواب المتعين تجويز الصيام وتجويز الإطعام، والولى مخير بينهما، والمراد بالولى: القريب، سواء كان عصبة أو وارثا أو غيرهما، وقيل: المراد الوارث، وقيل: العصبة، والصحيح الأول، ولو صام عنه أجنبى إن كان بإذن الولى صح وإلا فلا فى الأصح، ولا يجب على الولى الصوم عنه، لكن يستحب» اهـ. والله سبحانه وتعالى أعلم

الأيام البيض

● السؤال السابع: ورد من السيد/ ح.ع.ج.

ما أصل تسمية الأيام البيض بهذا الاسم؟ وهل منها الستة أيام من شوال كما يُشاع بين الناس؟

●● الجواب: الأيام البيض هى أيام الليالى التى يكتمل فيها جرم القمر ويكون بدرا، وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من وسط كل شهر عربى، سُميت بذلك لأن القمر يكون فيها فى كامل استدارته وبياضه؛ فالبياض هنا وصف لليالِيها لا لأيامها، وإنما وُصفت الأيام بذلك مجازا، وقد جاء تحديدُها بذلك فى الأحاديث النبوية الشريفة، منها: حديث جرير بن عبدالله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر، وأيام البيض صبيحة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة» رواه النسائى وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى «فتح البارى».

أما الأيام الستة من شهر شوال فهى تلك الأيام من شوال التى يندب صيامها بعد شهر رمضان ويوم الفطر، لقول النبى ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه، لكن هذه الأيام لا تُعرف بالأيام البيض فى الاصطلاح الفقهى ولا الشرعى، إلا أن هذا الإطلاق الشائع بين الناس له وجه صحيح من اللغة، فإن الغُرّة فى الأصل: بياض فى جبهة الفرس، فيجوز تسمية البياض غُرة والغرة بياضا على جهة المجاز بعلاقة الحالية والمحلية، وقد سمّى النبى ﷺ الأيام البيض بالغُرّ فقال: «إن كنت صائما فصم الغُرّ» أى البيض. رواه الإمام أحمد والنسائى وصححه ابن حبان، وسُمّيت ليالى أول الشهر غُرَرًا لمعنى الأولية فيها، وقيل: لأولية بياض هلالها، كما أن الغُرّة هى البياض فى أول الفرس، ولعل فى تسميتها بالبيض إشارة إلى استحباب صومها فى غُرَر شهر شوال بعد يوم الفطر مباشرة.. والله سبحانه وتعالى أعلم

الفجر والغروب

● السؤال الثامن: ورد من السيدة/ هـ.م.أ.

ما حكم الخطأ فى ظن طلوع الفجر وغروب الشمس فى الصيام؟

●● الجواب: من أكل بعد الفجر ظانًا عدم طلوعه أو أكل قبل غروب الشمس ظانًا غروبها ثم تبيّن له خطؤه فعليه القضاء كما هو مذهب جمهور الفقهاء، لأنه لا عبرة بالظن البيّن خطؤه.

وقد روى الإمام البيهقى فى السنن الكبرى عن شُعَيب بن عمرو بن سُليم الأنصارى قال: أفطرنا مع صهيب الخير أنا وأبى فى شهر رمضان فى يوم غيم وطش، فبينا نحن نتعشى إذ طلعت الشمس، فقال صهيب: «طُعْمَةُ الله، أتموا صيامكم إلى الليل واقضوا يوما مكانه».

والله سبحانه وتعالى أعلم

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

صدق أو لا تصدق

منذ سنوات وأسعار السلع التموينية الضرورية فى مصر كالخبز مثلاً فى ارتفاع دائم ومستمر.. ارتفاع لا يعقبه تراجع أبدا.... حتى إذا انخفضت أسعار القمح والدقيق عالميا.. فإن سعر الخبز فى مصر لا يتراجع أبدا.. وقس على ذلك كل أسعار السلع التموينية.. وإن حدث تراجع فهو بنسبة لا تذكر فبعض السلع يرتفع ثمنها فجأة بنسبة ٢٠ و٣٠ و٤٠ فى المائة وإن تراجع هذا السعر فمقدار التراجع يكاد لا يذكر.

وعندما يقرر أثرياء البلد وأغنياؤه إطعام الفقراء فى شهر رمضان المبارك تحدث المشكلة، لماذا؟ لأن الجميع يأكلون ولهذا ترتفع معدلات الاستهلاك بشكل غير عادى وهذا أمر طبيعى لأن جميع السكان فى الشهر الفضيل يجدون طعاما يأكلونه.. وإذا ما قام امرؤ عاقل بعملية حسابية بسيطة لكميات السلع المستهلكة فى رمضان التى تعتبرها وسائل الإعلام فلكية وهائلة.. إذا نحن قمنا بتقسيم حجم الاستهلاك على كل أبناء شعب مصر وبالتساوى الكامل ونقسم الاستهلاك بالطبع على ثلاثين يوما فسنجد أنفسنا أمام حقيقة مفزعة مؤداها أن حجم الاستهلاك أقل من الاحتياجات الضرورية للإنسان، وهذا معناه أن فى مصر أناسا يأكلون حتى الثمالة وآخرين يتضورون جوعا!!

المهم أن الأثرياء فى الشهر الفضيل يقومون بشراء كميات هائلة من الطعام لإطعام الفقراء، وبدلا من أن يقابل التجار هذا السلوك الحميد من الأثرياء بتخفيض الأسعار أو على الأقل تثبيتها على ما هى عليه من ارتفاع نجدهم يواصلون رفع الأسعار وبشراسة.

فإذا ما انتهى الشهر الفضيل تظل الأسعار على ما هى عليه، ويعود الفقراء والمعدمون يتضورون جوعا من جديد إلى أن يجدوا ما يسد رمقهم فى قمامة الأثرياء، ليس هذا

فحسب بل تتسع دائرة الفقراء وتزداد بسبب الارتفاع الجنوني للأسعار.

ومؤخرا تناقلت الصحف خبرا لا يصدقه عاقل.. هناك سلعة إنخفض سعرها بشكل خرافي وصل إلى ٧٠٪ اتدرون ما هي؟ إنها المخدرات!!

يا للعجب الطعام الضروري لحياة الإنسان يرتفع سعره والمحرمات المهلكة لحياة الإنسان ينخفض سعرها!!

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نأمل من التجار الأفاضل وأقصد بهم تجار السلع التموينية الضرورية لحياة الإنسان أن يتقوا الله في عباد الله ويتذكروا يوما لا ينفع المرء فيه إلا ما قدمت يداه وأما تجار «المخدرات» فلا نقول فيهم إلا :

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

أحمد تقي الدين

رمضان مضمار سباق

من الأستاذ: طاهر محمد الأقرع - أخصائي ترميم - كانت هذه الكلمة:

ها قد أظلنا شهر رمضان، وما أدراكم ما رمضان؟ شهر رمضان موئل للنفس من كدورات الحياة، ومنجاة لها من إسار الشهوات، وتسلط الأهواء، هو موسم المسابقة في العبادة والمسارعة في الطاعة وتكثير الزاد والبضاعة. يجزل الله فيه العطاء، فيعطي فيه على العبادة من الثواب ما لايعطي عليها فيما سواه.

فيه ليلة عبادتها تعدل عبادة ألف شهر. فلا غرو أن تهفو إليه القلوب، وتتطلع إلى قدومه النفوس. فكان بعض السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم. ويدعو يحيى بن أبي كثير (ت ١٢٩ هـ) ربه قائلاً: «اللهم سلمني لرمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلاً». فإدراك رمضان مطلب المتقين، ورجاء الطائعين، وبغية السالكين. لأن في إدراكه رفعة لدرجاتهم ومنازلهم عن ربهم.

هو شهر يكدح فيه الصالحون إلى ربهم كدحاً ليلاقوه بما أمر فيلاقيهم بما وعد. جعلوا من هذا الشهر مضمار سباق وميدان لحاق. يقول الحسن البصري: «إن الله -عز وجل- جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا. فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون» أ.هـ. تأسوا في ذلك بإمامهم وسيدهم ﷺ فعن ابن عباس قال: «كان رسول الله أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة»[1] وتصف لنا زوجه عائشة حاله

(١) البخاري ٦/١ وانظر الأحاديث ٣-١٨٠٣-٤٨/٣٠ /٣٢٦١/ ٤٧٦١

في العشر الأواخر قائلة: «كان رسول الله إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر»[2].

وذكر أبو نعيم في الحلية أن عبدالله ابن مسعود كان يقرأ القرآن من الجمعة إلى الجمعة ويقرأه في رمضان في ثلاث.

وورد في كتاب «الكرم والجود وسخاء النفوس» للبرجلاني أن حماد بن أبي سليمان (ت ١٢٠ هـ) كان يفطِّر كل ليلة في شهر رمضان مائة إنسان فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً وأعطاهم مائة مائة».

ولكن لا تحسبنهم قد انعزلوا عن الدنيا وأهلها بالكلية طوال هذا الشهر فلم ينجزوا عملاً ولم يقضوا مصلحة ولم يقوموا بأمور معيشتهم بل كانوا يرون السعي في طلب الرزق الحلال وقضاء مصالح العباد عبادة وقربة إلى الله -تعالى- وإن اختلفت عن عبادة الصلاة والصيام شكلاً ومضموناً وها هو إبراهيم بن أدهم (ت ١٦٢ هـ) يرد على من يتخذون رمضان سبباً للتواني عن قضاء حوائج المسلمين فعن يعقوب ابن المغيرة قال: «كنا مع إبراهيم بن أدهم في الحصاد في شهر رمضان فقيل له يا أبا اسحاق لو دخلت بنا إلى المدينة فنصوم العشر الأواخر بالمدينة لعلنا ندرك ليلة القدر فقال: «أقيموا ههنا وأجيدوا العمل ولكم بكل ليلة ليلة قدر».

الاعتكاف

ومن صديقنا الأستاذ: أحمد عبدالمحسن على محمد ـ بمدرسة الأورمان الثانوية النموذجية بالدقي ـ جيزة ـ كانت هذه الكلمة:

معنى الاعتكاف: الإقامة الكاملة في المسجد، وعدم الخروج منه مدة معينة على نية التقرب لله - عز وجل - وليس للاعتكاف وقت محدد، فمتى مكث الإنسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف، كان معتكفاً، فإذا خرج، فله أن يجدد النية، ويجوز ذلك.

● والاعتكاف رياضة روحية وتزكية للنفس، وتطهير للقلب والعقل من غلبة الدنيا على نفس الإنسان يلجأ إليها الذين يزدادون شوقاً إلى رضى الله، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبه، وهي رياضة يؤديها أصحاب النفوس الشفافة.

● وكان رسول الله ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكفت أزواجه من بعده.

روى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله: إني نذرت في الجاهلية أن

(٢) مسلم باب الاجتهاد في العشر ٢/٨٣٢ حديث ١١٧٤ والبخاري باب العمل في العشر الأواخر ٢/٧١١ حديث ١٩٢٠ واللفظ لمسلم

اعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له ﷺ: أوف بنذرك.

● ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، وتلاوة القرآن، ومذاكرة العلم، وكذلك يستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام.

● ويكره له: انشغال نفسه بما لا يعنيه، من قول أو عمل، ويكره الصمت عن الكلام ظناً أن الصمت يقرب من الله.

● ويباح له: الخروج لقضاء الحاجة، والإتيان بالمأكول والمشروب، وللمعتكف أن يمشط شعره، ويحلق رأسه، ويقلم أظافره، ويتنظف بدنه، ويلبس أحسن الثياب، ويتطيب بالطيب.

● ويبطل الاعتكاف: الخروج عمداً لغير حاجة، وذهاب العقل، والحيض، أو النفاس، أو الجماع، وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه.

● ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الأقصى.

● ولا يشترط للمرأة أن تعتكف إلا بإذن زوجها، فإن منعها فعليها أن تمتنع.

الصوم جُنَّة

ومن صديقنا فضيلة الشيخ: مصطفى الأزهري - إمام وخطيب مسجد سوق الحمام - السيدة عائشة - كانت هذه الكلمة:

ما لا يشك فيه عاقل - فضلاً عن مؤمن قد اطمأن قلبه بالإيمان - أن الله - تبارك اسمه - لم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب ولم يأمر بأمر أو ينهى عن نهي إلا لكي يرقى بالإنسان - المخلوق المكرم - إلى أعلى درجات الرقي، فكل تشريع مصدره وحي السماء فإنما يأخذ بناصيته المؤمن المستمسك به إلى ما فيه صلاح دينه ودنياه، وإلى ما يرضي نفسه ويهدي قلبه ومن هنا جاء أول أمر بالعبادة في أوائل سورة البقرة لهذه الغاية التي ينصلح بها باطن المرء وظاهره فقال - عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

«البقرة: ٢١»

فالعبودية الحقة وتجريد التوحيد لرب العالمين يصل بالعابد إلى حقيقة التقوى التي تهدي القلوب وتهذب النفوس وتشف بها أروح العابدين.

فبعدما نادى القرآن الكريم على الناس، وهتف بهم ليكونوا عابدين، أمر المؤمنين بهذه الفريضة المكتوبة على الأمم جميعاً فقال - تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

«البقرة: ١٨٣»

وكأن الوصول إلى «التقوى» غاية يريد الله - تعالى - أن يتحقق مرادها في الأمم أجمعين ليسير الإنسان إلى ربه - دائماً - مرفوع الرأس مهذب النفس كريم الخلق فيعمّر بالإيمان جنبات الحياة وكما قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كذلك لا ينبغي للمسلم العابد أن يغفل عن عدوه اللعين الذي يتربص به الدوائر ليسلبه حسن خلقه وكريم سجاياه لينزل من مدارج الكمال إلى مهاوي الحضيض وليكون من الأسفلين.

وكم ذكّرنا القرآن الكريم بالاستعداد لتلك الحرب الشرسة مع عدونا وعدو كل خير، إبليس - عليه لعنة الله - منذ بدء الخليقة حينما تعرض لأبينا آدم وزوجه في بداية الرحلة فوسوس وسول وزين حتى تحققت له النتيجة التي سعى إليها وهي قوله تعالى:

﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

«البقرة: ٣٦»

ثم كان من فضل الله على الإنسان أن شرع له ما يعصمه من الزلل ويحول بينه وبين معصية الله - تعالى.

ويقول الحبيب - ﷺ -: «الصوم جُنَّة» والجُنَّة هي الدرع الذي يلبسه الجندي إذا حمي وطيس المعركة، والمؤمن في رمضان جندي في ميدان الإيمان يحمي قلبه بالصيام والقرآن والعمل الصالح من ضربات الشيطان - عدوه الأول - ومن نزغاته ومن وساوسه وهمزه ونفخه، ليخرج بالصيام من الظلمة إلى النور، ومن ضيق النفس إلى سعتها، ومن انغلاق الصدر إلى انفساحه وانشراحه، فيرى الحياة جميلة، ويحيا بالإيمان حياة طيبة.

كما قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

«النحل: ٩٧»

تعليم المسلمين الأعاجم تلاوة القرآن الكريم

تحت هذا العنوان جاءت رسالة القارئ الدكتور/ إسماعيل أحمد أبوالنجاة - دكتوراه في «الخلو من العيوب» كمنهج إداري - والرسالة بحث متخصص نقتطف منه أهم ما جاء به:

أليس من حق المسلمين الأعاجم تعلم أحكام التلاوة؟!

- من الواضح أن الإجابة هي «بلى»، وأيضا مطلب شرعي.

وتراكيبها.

إذن، أليس من واجب الناطقين بالعربية أن ييسروا لهم ذلك؟!

- الإجابة أيضا «بلى»، وهذا يتم منذ عصر الصحابة بالتلقى.

التلقى ضرورى بل أساسى، لكن أعداد المسلمين فى تزايد فلماذا لا تستعين بالتقنيات الحديثة؟!

- سبحان الله، لقد انتشرت الفضائيات التى تعنى بتعليم المسلمين عامة التلاوة وتفرد للأعاجم برامج خاصة بهم. هذه جهود مشكورة، فأين الاستفادة من الإمكانيات الهائلة لشبكة المعلومات؟ وأين تطبيقات علم الصوتيات؟!

- فعلا شبكة المعلومات مفيدة وستفرض نفسها بما يتناسب مع مميزاتها، لا تعلم متى، فما دور علم الصوتيات؟!

● علم الصوتيات هو العلم الذى طبقه الصحابة بالسليقة فنقلوا عن الرسول ﷺ، القرآن كما أنزل بالمشافهة. ومع انتشار الإسلام وضع أصوله أساطين اللغة العربية من التابعين وتابعى التابعين أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وابن جنى وغيرهم، وكذلك أئمة القراءات أمثال ابن مجاهد والدانى والخاقانى وغيرهم، الذين اهتموا أيما اهتمام بالحروف وكيفية نطقها وعلاقاتها الصوتية والفونولوجية.. الخ، رغم تنوع موضوعاتهم، وتفانى الجميع فى خدمة القرآن الكريم فانتقلت إلينا جميع أحكام التلاوة وأوجه القراءات المختلفة بكل دقة بالتواتر. وهذا ما يجعل الناطق بالعربية يستمتع بجرسها بينما يحرم منه الأعجمى لجهله بخصائص حروفها

وفيما يلى سرد للأنشطة العامة المطلوبة بتسلسل منطقى قدر الإمكان، ويقترح بعد مناقشتها مع السادة المشاركين، وضع خطة بحثية إجمالية لكل تخصص، ثم يقوم كل تخصص بعمل خطته التفصيلية لمتابعتها بنفسه مع المنسق التنفيذى العام «ومساعديه» ويتم تحديث هذه الخطط دوريا.

لذلك أقترح تشكيل «لجنة حكماء للتسيير» تنبثق منها هيئة إدارية تتفرغ لمتابعة هذه الجهود البحثية دقيقة التخصص. وبعد الانتهاء من الخطوة الأولى، يعاد تقييم الفكرة كلها تقييما شاملا بإذن الله.

● أولاً: سور الفاتحة والإخلاص والمعوذتين:

- اختيار منهج لتعليم نطق الحروف العربية باستخدام الألفبائية الصوتية الدولية ipa للغتين العربية والإنجليزية - وهذا غير منتشر للآن! يمكن أبناء العربية من إلمامهم به ليتواصلوا مع الناطقين بغير العربية فيما يخص التلاوة. ويوجه هذا أساسا للسادة معلمى التلاوة المهتمين بالموضوع، وتوعيتهم بالتجارب المعملية التى تجرى فى هذا الخصوص، واحتمال مشاركتهم مستقبلا كمشرفين فى القيام ببعض التجارب المتعلقة بالتلاوة.

- وضع منهج لتعليم نطق الحروف العربية للناطقين بالإنجليزية بتوضيح التجانس فى الألفبائية الصوتية الدولية للغتين العربية aipa «أصدع» والإنجليزية eipa، والميزة هنا أننا نستفيد من معرفتهم

مفاهيم «eipa» وتعودهم عليها فى دراسة اللسانيات.

- عمل رسومات جرافيك لمخارج الحروف العربية فى الحالة الثابتة، هذا موجود «بأشكال تقريبية» ومطلوب تحسينه باستخدام تقنيات التصوير بالموجات فوق الصوتية وغيرها كذلك يمكن عملها متحركة بين بعض الحروف المتقاربة.

- الاستفادة من نتائج أبحاث اكتساب لغة ثانية «sla» وخصوصا التى تستخدم الأجهزة فى تصوير أعضاء النطق للتمرين على الأصوات ذات الصعوبة بالنسبة للغات المختلفة.

- عمل قاعدة بيانات لنطق الأصوات العربية بأبجدية «aipa» ويوضح بالرسم مخرج كل حرف وصفاته. «موجود جزئيا بعض الدراسات الأكاديمية الأكوستية والفونولجية مرسومة بألوان الطيف، والموجات فوق الصوتية».

- تصميم تدريبات لنطق بعض الكلمات العربية التى بها حروف صعبة على متحدثى الانجليزية «موجود» ويفضل اختيار ألفاظ من القرآن الكريم.

- القيام بدور فعال فى تحسين قوائم الصوتيات العربية فى بنك المعلومات «upsid» عن طريق مراجعتها وعمل الأبحاث المشتركة مع الباحثين الناطقين بغير اللغة العربية فى العالم الذين يقومون بأبحاث فى هذا المجال. وبالتوصل إلى مجامع اللغة العربية بالدول العربية لترشيد نتائج هذه البحوث!

- كتابة نطق هذه الكلمات العربية بصيغة aipa نمطيا؟ «مجامع اللغة العربية»!

- تصميم برامج حاسوبية تنطق الحرف العربى من قاعدة البيانات aipa النمطية، على أن يكون هذا الحرف به كافة الخصائص اللغوية والمواصفات الفيزيائية «اكوستيك» «هذه المعلومات للمعلم» ويحاول الطالب تقليده ويتعلم كيف يصلح عيوب نطقه:

«أ» بمساعدة المعلم أو المعلمة، «ب» بمفرده، «ج» بوضع رسومات الطيف لصفات هذه الحروف لمقارنته بالخصائص اللغوية والمواصفات الفيزيائية لنطق الطالب مع معايير النطق النمطى «لقراء عالميين مشهود لهم بوضوح وطلاوة الصوت»

* «موجود محاولات لذلك ويمكن التوسع فيها بإعطاء أمثلة بالرسم العثمانى سيستغنى بها المتعلم عن رموز aipa بالتدريج وينشرح صدره للحفظ من المصحف مباشرة بإذن الله»

- منهج دراسى حديث لتعليم الطالب تحليل الخصائص الفونولوجية والمواصفات الفيزيائية للحروف تحليلاً مبدئياً وكيف يربط ذلك بفسيولوجية النطق.

«أ» بواسطة المعلم والمعلمة وجها لوجه وهذا هو المتبع تقليد «لكن فى هذا البحث سيكون عن طريق الاتصال الصوتى والمرئى على شبكة المعلومات العنكبوتية».

«ب» بواسطة استرجاع الخصائص الفونولوجية والمواصفات الأكوستية الموضحة لأصوات هذه الحروف أى صفاتها ومخارجها بالرسومات.

- عمل صفحة مساعدة ليقرأ بأبجدية aipa/eipa «سورة الفاتحة والإخلاص».

- وضع آيات سورتى الفاتحة والإخلاص بأبجدية العربية حسب الرسم العثمانى، مع نطقها ببطء بواسطة أحد المشايخ المعتمدين.

- وضع ترجمع المعانى للسورتين باللغة الانجليزية من المصحف المترجم بواسطة مجمع الملك فهد بالسعودية «مصحف المدينة المنورة» أو المترجم بواسطة الأزهر الشريف.

ثانياً: تعليم أحكام التلاوة للناطقين باللغة الانجليزية «أيضا بالاستعانة بـ eipa/aipa»

- شرح كل حكم باللغة الانجليزية على آيات من القرآن مبينين النطق بطريقة eipa/aipa للحروف العربية «أحكام التلاوة باللغة الانجليزية موجودة بكثرة!؟»

- وضع ترجمة بالإنجليزية لمعانى الآيات التى يجرى التدريب عليها يتم اختيار أحد المصاحف المتفق عليها.

- عمل رسومات لمخارج الحروف العربية لبعض الكلمات المطبق عليها حكم التلاوة ثم عملها متحركة لتوضيح انتقال اللسان من مخرج إلى مخرج.

- شرح الأحكام الأساسية للتجويد بواسطة الألفبائية الصوتية الدولية للغتين «eipa/aipa» مثل:

- أحكام المد، لأهميتها وإمكانية تجانس معظمها بين اللغتين العربية والإنجليزية.

- الوقف والابتداء، حسب حالات المصحف المختار، وتوضيح أنه يمكن أن تكون هناك حالات أخرى، وضرب أمثلة فى حالتى الوقف والوصل.

- التفخيم والترقيق لبعض الحروف الأساسية «وذلك لتعويدهم على التفخيم مثل الطاء والتاء»

- الصفات الخاصة لبعض الحروف العربية التى يمكن استيعابها بسرعة من ناطقى الإنجليزية مثل حروف القلقلة. ومثلا حرف الراء «عدم تكريره» وهم عادة ينطقونه غير مكرر فنستفيد من ذلك، لكن يوضح حالات تفخيمه وحالات ترقيقه.

- حكم الغنة فى النون والميم المشددتين، والغنة معروفة عندهم.

- احكام النون الساكنة والتنوين المختلفة، والتوسع فى تفصيلاتها لأنها مهمة.

- باقى أحكام التلاوة بالتدريج مع وضع أسئلة تدريبية بواسطة علماء القراءات. ويمكن تقسيم ذلك على فترات دراسية تتسلسل من السهل إلى الصعب، وكله سهل بإذن الله.

- يتم تقويم منهج التعليم حسب مستوى الصعوبة بواسطة متخصص التجويد ويمكن أن يكون ذلك فى المستقبل عن طريق غرف الدردشة على شبكة المعلومات. ويجب الاستفادة من غرف الدردشة أقصى استفادة لأنها الوسيلة الأمثل للتواصل للتعليم والتعلم فى أى وقت وأى مكان وطبعا يكون أسلوب التعلم الذاتى هو المتبع.

عقوبة التجسس بين الشريعة والقانون

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة «الدكتور: وليد ابو الوفا الشرقاوى» دكتوراه فى الحقوق - جامعة الاسكندرية:

تعد جريمة التجسس من أبشع الجرائم وأقبحها، فهى جريمة تهز الرأى العام وتؤذى شعوره ولا يقدم عليها إلا من رضى من نفسه أن يخون وطنه الذى نشأ وتربى فيه ورتع من خيراته، لذا كان لابد من ملاحقة مرتكبها بأشد العقوبات كيما ينال جزاء خيانته لوطنه ويرعوى عن ارتكابها كل من تسول له نفسه ذلك.

الجاسوس إما أن يكون مسلماً أو ذمياً أو مستأمناً:

فإن كان مسلماً أو ذمياً وتخابر مع العدو يبعث إليه بأخبار المسلمين وعوراتهم، فقد ذهب المالكية والحنابلة إلى وجوب قتله لما فيه من الضرر على المسلمين.

وذهب الحنفية والشافعية إلى عدم جواز قتله وإنما يوجع عقوبةً ويطال حبسه وذلك لأن الجاسوس المسلم لم يترك ما حكم بإسلامه فلا يخرج من الإسلام فى الظاهر وكذا الذمى لاينتقض عهده بالتجسس ويعاقب كعقوبة الجاسوس المسلم.

أما المستأمن فإنه يقتل عند الجميع.

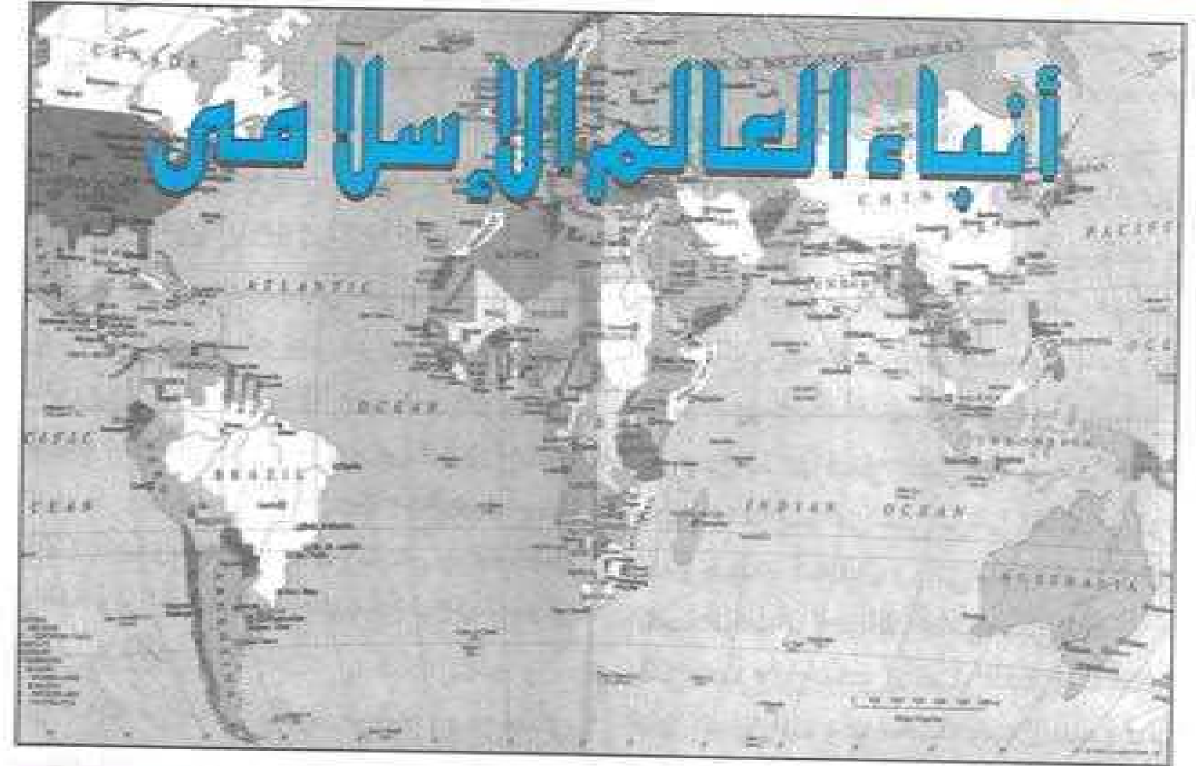
والعلوم فى الشريعة أن العقوبات الحدية واردة فى الشريعة الإسلامية على سبيل الحصر، وفيما عداها تكون العقوبات تعزيزية، ومنها هذه الجريمة التى يترخص الحاكم فيها فى اختيار العقوبة المناسبة لكل حالة على حدة مراعيا فى ذلك الظروف التى أحاطت بالجرم ومدى الضرر الذى لحق بالدولة من جراء فعلته.

ويدل لذلك فعل النبى ﷺ مع فرات بن حيان فقد جاء عن على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- أنه قال: (أتى بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان، فأمر النبى ﷺ به أن يقتل فصاح يا معشر الأنصار أأقتل وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فأمر النبى ﷺ فخلى سبيله ثم قال إن منكم من أكله إلى إيمانه ومنهم فرات بن حيان) رواه الحاكم فى المستدرك.

وكذا ما رواه سلمة بن الأكوع قال: (أتى النبى ﷺ عين وهو فى سفر فجلس عند بعض أصحابه يتحدث ثم انسل فقال النبى ﷺ اطلبوه فاقتلوه فسبقتهم إليه فقتلته فنفلنى سلبه) رواه البخارى.

وحسناً فعل المشرع المصرى إذ شدد العقوبة على هذه الجريمة لمن تقع منه على ارض مصر وهو مقيم عليها إذ جعلها تتراوح بين الإعدام والسجن حسب جسامة الفعل الذى وقع من الجانى وهو اتجاه محمود منه ويتطابق مع أحكام الشريعة الإسلامية، إذ أن هذه الجريمة غدت فى الوقت الراهن من الجرائم الخطيرة التى قد يترتب من جرائها مساس خطير بالدولة ومصالحها.

أنباء العالم الإسلامى



إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

مسلمو الهند يرفضون التطبيع مع إسرائيل

شهدت العاصمة الهندية نيودلهى مظاهرة حاشدة دعت إليها منظمات وقيادات إسلامية ويسارية تنديداً بزيارة وفد هندى إلى إسرائيل. من المقرر أن يقابل مسئولين هناك بينهم رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت.

وألقى زعماء المنظمات فى المظاهرة التى نظمت بالقرب من البرلمان الهندى خطباً نددت بالزيارة ودعت إلى مقاطعة أعضاء الوفد الهندى الذى يضم صحفيين وأمام مسجد، طالب المتحدثون الحكومة الهندية بوقف التعاون العسكرى والمخابراتى والأمنى مع إسرائيل.

زيادة حالات الانتحار بين الجنود الأمريكيين

كشف تقرير عسكرى، حصلت عليه CNN أن معدلات الانتحار بين الجنود الأمريكيين ارتفعت بنسبة تصل ١٥٪ خلال العام ٢٠٠٦ مقارنة بالعام السابق ٢٠٠٥م.

ومن المتوقع أن تعلن وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» رسمياً عن هذا التقرير حسبما أكد مسئولون عسكريون بالجيش الأمريكى لـ*** إلا أنهم رفضوا الكشف عن عدد الجنود الذين أقدموا على الانتحار خلال عام ٢٠٠٧ الجارى.

وحسب الإحصاءات التى تضمنها تقرير البنتاجون فقد سجل العام الماضى ١٠١ حالة لجنود أمريكيين مقابل ٨٨ حالة انتحار تم تسجيلها فى العام ٢٠٠٥.

كما أظهر التقرير أن نسبة الانتحار بين الجنود الأمريكيين ارتفعت خلال العام ٢٠٠٦ إلى نحو ١٧,٣ حالة انتحار بين كل مائة ألف جندى، بينما كانت فى العام السابق ١٢,٨ حالة من كل مائة ألف جندى. يأتى هذا التقرير ضمن عملية سنوية تجريها وزارة الدفاع الأمريكية لتقييم الوضع النفسى لأفراد الجيش الأمريكى سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها.

انفجار يستهدف مسجداً فى شمال إيطاليا

قام مجهولون خلال الشهر الماضى بوضع وإشعال قنابل بدائية الصنع شديدة الانفجار أمام مسجد مدينة «برشا» الصناعية بمنطقة الشمال الإيطالى، وهى المرة الثانية منذ بداية شهر أغسطس التى يقع فيها اعتداء على مسجد أو مركز إسلامى بمنطقة الشمال الإيطالى.

ولم يحدث خسائر فى الأرواح واقتصرت التلفيات على مدخل المسجد، وأفادت مصادر الشرطة التى هرعت لمكان الحادث بأنها تلقت بلاغا من موقع إليكترونى إسلامى من إيطاليا وأن النيابة تباشر التحقيق فى الحادث الذى يعتقد بأن وراءه مجموعة من المخربين المتطرفين يستهدفون ترهيب المسلمين المترددين على المسجد.

وكان مجهولون قد قاموا يوم السادس عشر من شهر أغسطس بإلقاء زجاجة «مولوتوف» على المركز الإسلامى فى «ميلانو» فى بلدية سيجرانى.

حملة تبرعات لمنع بناء مسجد فى إيطاليا

بدأت أحزاب يمينية إيطالية حملة محمومة لجمع التبرعات لشراء أرض من المقرر أن يقام عليها مسجد فى مدينة بولونيا فى واحدة من أكبر حملات الكراهية والتمييز ضد المسلمين فى إيطاليا، وقالت مصادر الجالية الإسلامية إن أحزاب اليمين المتطرف

بدأت حملة لجمع تبرعات ١,٥ مليون يورو لشراء الأرض المفروض أن يشيد عليها المسجد حيث قررت لجنة سكان المنطقة بمساندة حزب رابطة الشمال اليمينى المتطرف عرقلة بناء المسجد بشتى الطرق.

مسلمو السويد يحاولون احتواء قضية الكاريكاتير المسيىء للرسول

لمنع تكرار أزمة الرسوم الدانماركية المسيئة، تسعى المنظمات الإسلامية الكبرى فى السويد للحد من حدوث تصعيد بعد قيام صحيفة سويدية بنشر رسم كاريكاتيرى مسيىء للرسول محمد «صلى الله عليه وسلم» وكتبت صحيفة «سفنسكا داجبلادت» أن مجلس السويد والرابطة الإسلامية شكلا خلية مشتركة لتجنب نشوب أزمة عالمية جديدة شبيهة بالأزمة التى وقعت قبل نحو سنتين إثر نشر صحيفة دانماركية رسوماً مسيئة.

وقالت هيلينا بن عودة رئيسة مجلس مسلمى السويد إنهم يواجهون هذه القضية باعتبارها مسألة محلية ويتعين تسويتها فى السويد.

وكانت إيران وباكستان ومنظمة المؤتمر الإسلامى ورابطة العالم الإسلامى ورجال دين أفغان قد أدانوا بشدة نشر هذا الكاريكاتير فى صحيفة محلية يوم ١٨ أغسطس الماضى.

مرشح الرئاسة الأمريكية يهدد بضرب مكة والمدينة

أعلن «توم تانكريدو» المرشح الجمهورى للرئاسة الأمريكية أنه فى حالة فوزه بدخول البيت الأبيض، سيركز على أن أفضل ما يمكن أن يساعد فى تفادى وقوع هجوم إرهابى نووى على الولايات المتحدة هو التهديد الصريح بضرب المقدسات الإسلامية خاصة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وفى حديثه أمام مجموعة من مؤيديه فى اجتماع بدار بلدية ولاية «إيوا» الأمريكية قال المرشح الجمهورى «تانكريدو» عضو الكونجرس عن ولاية «كولورادو» اعتقد أن مثل هذا الهجوم الإرهابى ضد الولايات المتحدة يمكن أن يكون وشيكاً، ولذا فإن الولايات المتحدة تحتاج إلى أن تتحرك بشكل عاجل لوقفه ومنعه.

ووفقاً لما ذكرته شبكة «إيوا بولتيكس» فقد أضاف «تانكريدو» لو أن الأمريكان فى

يدى فسأحدد بصراحة بأن أى هجوم يستهدفنا فى بلادنا سنرد عليه مباشرة بهجوم فى مكة أو المدينة؟ وأضاف: ذلك هو الشىء الوحيد الذى يمكن أن يردع أى شخص أو جهة عن تنفيذ هجوم ضد الولايات المتحدة.

وعلى صعيد متصل أعلن «ديفيد روتم» عضو الكنيست الإسرائيلى استعداده لتفجير المسجد الأقصى ومحوه من الوجود إذا كان هو الطريق الوحيد للإفراج عن الجنود الإسرائيليين المحتجزين لدى حماس وحزب الله!!

فيلم أمريكى يسخر من «الله» ويسىء للنبى نوح!!

طالبت منظمة غير حكومية فى ماليزيا الحكومة بمنع عرض فيلم «إيفان آلمايتى» المقرر عرضه بدور السينما الماليزية لأنه يسىء للدين الإسلامى عندما يستهزىء ويسخر من الله ومن النبى نوح - عليه السلام.

ونقلت وكالة أنباء ماليزيا «برناما» عن الدكتور «معمور عثمان» الأمين العام لجمعية المستهلكين المسلمين الماليزية فى تصريح صحفى قوله: إن بعض أجزاء الفيلم المعنى قد دارت بوضوح عن التعاليم الإسلامية. ويمكن أن تؤثر فى أذهان فئة المراهقين المسلمين الذين يشاهدونه لأنها تشير بجلاء إلى قصة الفيضان الكبير فى عهد النبى نوح - عليه السلام التى تم تحريفها.

وقال: إن تجسيد الله - سبحانه وتعالى - فى الفيلم المذكور يخالف العقيدة الإسلامية حيث يقوم الممثل «مورجان فريمان» بدور الرب الذى أمر النجم «ستيف كاريل» - الذى يقوم بدور سيدنا نوح - عليه السلام - ببناء سفينة ضخمة لمواجهة فيضان كبير يجتاح مدينة «نيويورك».

هجمة جديدة على القرآن فى هولندا وبلجيكا

شهدت الآونة الأخيرة هجمة هولندية وبلجيكية جديدة على القرآن الكريم وعلى الإسلام؟ وذلك بعد هجمة سكرتير بابا الفاتيكان وهجمة المرشح للرئاسة الأمريكية «توم تانكريدو» حيث طالب سياسى هولندى - جيرت فيلدرز- بحظر تداول القرآن الكريم أسوة بحظر كتاب «كفاحى» للزعيم النازى «هتلر» كما هاجم زعيم اليمين المتشدد فى بلجيكا «فيليب ديونتر» القرآن واعتبره كتاباً لا يطاق.

وقد كانت وزارة الخارجية المصرية على رأس المؤسسات الإسلامية التى انتقدت ذلك الموقف الغريب وقالت فى بيان لها : «إن السياسى الهولندى «جيرت فيلدرز» كشف عن عنصرية بغيضة به وإن السياسى الأمريكى «توم تانكريدو» - الذى يسعى للفوز بترشيح الحزب الجمهورى له للرئاسة جاهل ومتطرف».

وقالت وزارة الخارجية بشأن تصريحات «فيلدرز»: مثل هذا الكلام لا يظهر فقط العنصرية البغيضة لبعض الساسة الغربيين وتعصبهم ضد الدين الإسلامى وإنما يعكس كذلك جهلاً مطبقاً بمضمون الإسلام وتعاليمه التى تمارسها الأغلبية الساحقة من المسلمين فى مختلف أنحاء العالم.

وأضافت الوزارة فى بيان لها : إن «تانكريدو» أدلى بتصريحاته فى سعى حثيث للشهرة والأضواء والأصوات الانتخابية ! وتابعت : «تلك التهديدات لا يمكن أن تصدر عن شخص سوى ؟ حتى وإن كان يسعى للحصول على حفنة من الأصوات التى تناصره فى الجهل والغطرسة.

حملة شرسة ضد الإسلام فى إعلام ألمانيا

تبادلت وسائل الإعلام الألمانية نشر مقابلة صحفية أجريت مع الكاتبة الألمانية «أرزو توكر» التركية الأصل التى قالت فيها إن رفع الآذان خمس مرات من على منارة المسجد أمرٌ لا يمكن قبوله مدعية أن شهادة أن لا إله إلا الله إنكار للمسيحية ، وزعمت الكاتبة أن القرآن الكريم لا يتضمن أى آية تحض على بناء المساجد وأن المسلمين لم تكن لديهم مساجد إلا بعد ما فتحوا بلاد النصارى واليهود فحولوا الكنائس والمعابد إلى مساجد وأكدت الكاتبة رفضها بناء أى مسجد فى ألمانيا بدعوى أن المسجد يعد «إقطاعية للرجال تتوارى فيها النساء خلف ستار» على حد زعمها.

كما أن «جيوردانو» الصحفى والمؤرخ المتخصص فى توثيق تاريخ «جيش هتلر» قد زعم أن وجود المسجد يعمل على زيادة عدد المنتقبات ، وادعى فشل انصار المسلمين فى المجتمع الألمانى ، ولذلك فإنه لا يرى داعياً لبناء المسجد الجامع الذى يأمل مسلمو ألمانيا فى بنائه بمدينة «كولون» الألمانية.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور حسين
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

البعثات الأزهرية فى شهر رمضان

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم (٥٦١) لسنة ٢٠٠٧م

شيخ الأزهر :-

● بعد الإطلاع على القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها والقوانين المعدلة له.

● وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م بشأن اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م المشار إليه.

● وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٥٤ لسنة ١٩٦٩م بشأن التفويض فى الترخيص بالسفر والقرارات المعدلة له..

● وعلي قرار رئيس الجمهورية رقم ٤١ لسنة ١٩٥٨م بإصدار لائحة بدل السفر والانتقالات والقرارات المعدلة له.

● وعلى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨م والقوانين المعدلة له.

● وعلى قرار شيخ الأزهر رقم ١٤٧ لسنة ١٩٩٩م بإصدار لائحة المبعوثين والمتعاقدين بالأزهر الشريف.

● وعلى محضر لجنة المبعوثين والمتعاقدين بجلستها رقم (٢٣) لسنة ٢٠٠٧م المنعقدة بتاريخ ١٩ / ٧ / ٢٠٠٧م فى شأن النظر فى ترشيح بعض السادة علماء الأزهر للسفر إلى بعض الدول الأجنبية للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم لسنة ١٤٢٨هـ والمعتمد من شيخ الأزهر بتاريخ ٣١ / ٧ / ٢٠٠٧م على نفقة الأزهر الشريف.

قــرر

المادة الأولى :

الموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى الجهات المبينة قرين اسم كل منهم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية لمدة لا تتجاوز شهر رمضان المعظم لسنة ١٤٢٨هـ على أن يتحمل الأزهر قيمة تذاكر السفر وبدل السفر المقرر قانوناً لكل منهم وهم:

الشيخ/ عبدالتواب عبدالتواب ميزار/ مسجد الرحمن بمدينة الكالادى نارس بإسبانيا - الشيخ/ عبدالجليل عبدالمجيد عوض أبوجازية/ مسجد المحسنين بمدينة تورى موليموس بإسبانيا - الشيخ/ حلمى إبراهيم أحمد/ مسجد الثناء فى مدينة بن المدنة بإسبانيا - الشيخ/ محمد عبدالعزيز السيد/ مسجد الخيرة فى مدينة مربية بإسبانيا - الشيخ/ مصطفى لبيب العوضى كاعوة/ مسجد التوبة فى مدينة لاس بالماس بإسبانيا - الشيخ/ أحمد فتح الله طلبة الجحش/ مسجد المحسنين فى مدينة تينى ريفى بإسبانيا - الشيخ/ مبروك محمد أحمد غنيم/ مسجد طارق بن زياد فى مدينة لانثاروتى بإسبانيا - الشيخ/ عبدالرازق عبدالمقصود محمد سالم/ مسجد بلايا بلانكا فى مدينة لانثاروتى بإسبانيا. الشيخ/ أحمد فؤاد عبدالحى إدريس/ مسجد الرحمة فى مدينة فورتى بيتورا بإسبانيا - الشيخ/ سعد محمود عبدالمعطى شريدح/ مسجد المرابطين فى مدينة قرطبة بإسبانيا - الشيخ/ عبدالمحسن إبراهيم محمد/ المركز الإسلامى فى مدينة بالمادى مايوركا بإسبانيا - الشيخ/ صبرى سعد الدين على جنيدى/ مركز الدراسات العربية غرناطة - قرطبة بإسبانيا - الشيخ/ سعيد السيد أحمد الشريف/ المركز الخيرى الثقافى الإسلامى بأسنسيون بأراجواى - الشيخ/ عمر عبدالتواب عبد ربه/ المركز الإسلامى فى انكارسيون باراجواى - الشيخ/ إبراهيم لطفى سيد إبراهيم/ المركز الإسلامى بمدينة ريفيرسايد بكاليفورنيا بأمريكا - الشيخ/ حسن محمد حسنين حمزاوى/ المركز الثقافى الإسلامى بمدينة مونتفيديو أراجواى - الشيخ/ حسين محمد القطب رفاعى/ جمعية الرحمن الإسلامية بمدينة لينز بالنمسا - الشيخ/ فاروق مصطفى محمد الديهى/ المركز الإسلامى بمدينة كلاجينفورت بالنمسا - الشيخ/ رفاعى شحاتة عبدالجواد بدران/ الرابطة الإسلامية والثقافية ببوخارست برومانيا - الشيخ/ رفعت أحمد محمد أحمد/ الرابطة الإسلامية والثقافية ببوخارست برومانيا - الشيخ/ حسين على حسين عثمان/ الوقف الإسلامى الإسكندنافى للخدمات الأساسية للمغتربين بالدانمارك - الشيخ/

عبدالحميد عبدالعاطى منصور محمد/ الوقف الإسلامى الإسكندنافى للخدمات الأساسية للمغتربين بالدانمارك - الشيخ/ رزق أحمد محمد على/ الوقف الإسلامى الإسكندنافى للخدمات الأساسية للمغتربين بالدانمارك - الشيخ/ وحيد السيد خليل شوشة/ الوقف الإسلامى الإسكندنافى للخدمات الأساسية للمغتربين بالدانمارك - الشيخ/ على عمر على عثمان/ الوقف الإسلامى الإسكندنافى للخدمات الأساسية للمغتربين بالدانمارك - الشيخ/ فوزى عبدالستار أحمد عامر/ الوقف الإسلامى الإسكندنافى للخدمات الأساسية للمغتربين بالدانمارك - الشيخ/ ململوم طه محمد محمود/ المركز الإسلامى والثقافى بروكسل ببلجيكا - الشيخ/ محمد محمد حسن فتح الله/ المركز الإسلامى والثقافى بروكسل ببلجيكا - الشيخ/ أحمد شحاتة السيد شلبى/ مسجد الرابطة الإسلامية بهلسنكى بفنلندا.

الشيخ/ أحمد مهدى فضل عبدالله/ مسجد الشيخ زايد باستوكهلم - السويد - الشيخ/ محمد عبيد محمد عبدالله/ مركز الرابطة الإسلامية فى اسكونه مالمو بالسويد - الشيخ/ عبدالحميد كامل عبدالحميد/ الإدارة الدينية والثقافية بالحكومة السريلانكية - سيرلانكا - الشيخ/ كمال متولى إبراهيم عفيفى/ مسجد عمر بن الخطاب - بحى أوبرن بغرب سيدنى باستراليا - الشيخ/ عبدالعليم محمود محمود رشوان/ مسجد ابن باز فى شمال سيدنى باستراليا - الشيخ/ رضوان عبدالرحمن على أحمد/ مسجد عمر بن الخطاب بمدينة وتلفون باستراليا - الشيخ/ الهادى أمين عطية سليم/ مسجد عثمان بن عفان فى بليك تاون سيتى باستراليا - الشيخ/ مسعد إبراهيم مختار عثمان/ جمعية الصديق الإسلامية باستراليا - الشيخ/ محمد على محمد دومة/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالمالديف - الشيخ/ أحمد حسن محمد إبراهيم/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالمالديف - الشيخ/ صابر عبدالهادى سالم حسن/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالمالديف - الشيخ/ محمود على حسن خليل/ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن - الشيخ/ فتحى عبدالجواد سيد أحمد/ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن - الشيخ/ أحمد خليل محمد عبدالحافظ/ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن - الشيخ/ محمد عبدالهادى بدوى رمضان/ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن - الشيخ/ فتحى عبدالحميد مرعى صالح/ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن.

بيان من الأزهر الشريف بشأن العدوان الأثيم الذى وقع على أحد مبعوثى الأزهر

الأزهر الشريف شيخه وعلماؤه والعاملون فيه يدينون ويستنكرون هذا الاعتداء العنصرى الآثم الذى وقع على أحد مبعوثى الأزهر وهو يؤدى رسالته فى توضيح الإسلام الوسط البعيد عن العنف والتطرف ويهيبون بالحكومة البريطانية سرعة تقديم الجانى للعدالة والقصاص منه كما تهيب بالمنظمات الدولية أن تضع حداً لهذه الاعتداءات الصارخة والتى اتخذت من المسلمين هدفاً لها وإذا كان الأزهر الشريف بما له من مصداقية فى نشر تعاليم وقيم الدين الحنيف فى وسطية واعتدال مما جعل العالم كله يتخذ منه واحة لنشر السلام بين ربوع العالم فإن مثل هذه الأحداث التى تقع على مبعوثيه وعلمائه لن تجعله يتقاعس عن أداء دوره فى الدعوة إلى السلام والإخاء بين جميع شعوب العالم فقد كان الأزهر دائماً سباقاً إلى نبذ العنف والتطرف وإدانة كل ما من شأنه أن يروع الآمنين ولهذا فسوف تظل رسالته ممتدة وقائمة مهما حدث ومهما تعرض له من اعتداءات.

كما أصدرت لجنة الحوار بين الأديان بالأزهر الشريف البيان التالى:

إن لجنة الأزهر الشريف للحوار بين الأديان ـ وهى تؤدى رسالتها فى دعم الحوار بين الحضارات وبين الأديان وتدعو الناس جميعاً أن يكونوا إخوة متعاونين ومتحابين لأن أصلهم واحد وهم شركاء فى عمارة الأرض بأن اللجنة وهى تؤدى هذا الدور الذى ينشر المحبة والسلام ـ تدين وتستنكر ما وقع لأحد مبعوثى الأزهر وهو يؤدى واجبه فى أحد مساجد لندن يقوم بنشر السلام والدعوة إلى أن يكون الناس جميعاً آمنين فى ديارهم آمنين فى أوطانهم ولجنة الأزهر للحوار بين الأديان تدعو جميع المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان أن تنبذ هذه الأعمال التى من شأنها تهديد الأمن والسلم الدوليين كما تدعو الحكومة البريطانية ردع هذا الجانى بتوقيع أقصى عقوبة يقرها القانون البريطانى حتى يمكن ذلك رادعاً له ولغيره من القيام بمثل هذه الأعمال التى تهدد السلام وتجعله هدفاً للعنف والإرهاب.

والله الهادى إلى سواء السبيل،،،

اتفاقية بين الأزهر الشريف واليمن

وقع فضيلة الشيخ/ عمر الديب وكيل الأزهر بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح يوم الخميس ١٦/٨/٢٠٠٧م اتفاقية للتعاون بين وزارة التربية والتعليم بالجمهورية اليمنية والأزهر الشريف فى مجال إعارة المدرسين والوظائف الإشرافية ومن بنود الاتفاقية:

يقوم الأزهر بتزويد وزارة التربية والتعليم بالجمهورية اليمنية بالمدرسين والوظائف الإشرافية بناء على طلبها واحتياجاتها والامكانات وطبقاً للشروط المدرجة بالاتفاقية، وأن تتحمل الجمهورية اليمنية المرتبات الشاملة للمعارين من الأزهر وعددهم هذا العام ١٨٠ مدرس ومدرسة لتدريس العلوم العربية والشرعية منهم ثلاثين مدرسة فى تخصص التربية الدينية وعلوم القرآن والتجويد واللغة العربية وقام بالتوقيع عن جانب الأزهر فضيلة الشيخ/ عمر الدين وكيل الأزهر وعن الجانب اليمنى الدكتور/ عبدالسلام الجوفى وزير التربية والتعليم اليمنى.

حضر التوقيع من الجانب اليمنى الوزير المفوض/ جمال عوض والمستشار/ محمود محسن مسئول العلاقات الثنائية بالسفارة والمستشار الثقافى/ عبدالحكيم عبدالله.

ومن الأزهر: فضيلة الشيخ/ عبدالله مجاور رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ/ إبراهيم الفيومى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ/ على عبدالباقى الأمين العام المساعد للبعوث الإسلامية.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً عراقياً

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر بمكتبه صباح ٢٣/٨/٢٠٠٧ وفداً عراقياً من قادة السنة برئاسة الشيخ/ أحمد القباسى يرافقه الشيخ/ عبداللطيف حميم والشيخ/ عبدالملك السعودى.

وقادة الشيعة برئاسة الشيخ/ فاتح الجاتح وآية الله ـ سيد محمد الحكيم وآية الله ـ عمر أبورغيف.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسادة الحضور داعياً الله أن يجنب دولة العراق الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن تحل مشكلة العراق على أيدى أبناء العراق من خلال الحوار الهادف البناء رافضاً أن يكون ما يحدث هو خلاف طائفى لأن السنة والشيعة والأكراد جميعهم يؤمنون بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأكد فضيلة الإمام على نعمة الأمان وأن الأمة التى تفقد نعمة الأمان تفقد الحياة وأن ما يحدث فى العراق إنما هو خلاف حول السلطة وهو ليس خلافاً دينياً وأكد أن الأزهر قد أصدر ما يقرب من ١٦ بيان لجمع شمل الصف العراقى وأن أى مشروع يتخذه أبناء العراق من أجل توحيد صفه، فنحن نؤيده ونؤازره من أجل توافق وتوحيد الشعب العراقى.

ومن ناحية أخرى أكد أعضاء الوفد العراقى على أهمية دور الأزهر كمنارة إسلامية من خلالها تكون الكلمة مسموعة نظراً للمكانة العالية للأزهر عربياً وعالمياً وهذا الدور هو من الأدوات والوسائل التى تحتاج إليها لتحقيق التقارب ولتحقيق الوحدة المشتركة.

هذا وقد حضر اللقاء فضيلة الشيخ/ وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ/ إبراهيم القيومى - الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر يوم الأحد الموافق ٢٦/٨/٢٠٠٧ بقاعة الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر حفل تكريم أوائل الشهادات العامة والجائزة الكبرى لأنشطة رعاية الطلاب لعام ٢٠٠٦/٢٠٠٧م والذى أقامته الإدارة المركزية لرعاية الطلاب لتكريم أوائل الشهادات الأزهرية وتكريم المناطق الفائزة فى مشروع الجائزة الكبرى لأنشطة رعاية الطلاب.

وقد كرم فى الحفل عدد (١١٨) طالباً وطالبة من أوائل الشهادات بمراحل التعليم المختلفة (ابتدائى، إعدادى، ثانوى، بعوث، قراءات)، كما تم تكريم (٢٠٩) من العاملين فى المناطق الأزهرية البالغ عددها ٢٧ منطقة - قدرت قيمة الجوائز المالية ٢١٧١٠٠ جنيه، كما قدم فى الحفل جوائز عينية عبارة عن (مصاحف، دروع، كئوس، مسجلات، شهادات تقدير).

شهد الحفل السادة أصحاب الفضيلة قيادات الأزهر والأوقاف وجامعة الأزهر والسادة سفراء الدول الفائز طلابها بالبعوث الإسلامية.

نتيجة الدور الثانى للشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر صباح يوم الأربعاء الموافق ٢٩/٨/٢٠٠٧م فى تمام الساعة التاسعة والنصف صباحا نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٦م/٢٠٠٧م على مستوى الجمهورية.

حيث تقدم لامتحان الدور الثانى للقسمين الأدبى والعلمى معا المبصر مقيد (٤١٠٠٧) طالباً وطالبة حضر منهم (٣٧٧٣٧) طالباً وطالبة نجح منهم (٣١٠٥٥) وبلغت النسبة المئوية للنجاح (٨٢,٣٪) ولما كانت النسبة المئوية للدور الأول (٥٢,٢٪) بذلك تصبح النتيجة العامة للدورين الأول والثانى (٩١,٩٪).

كما تقدم لأداء امتحان الدول الثانى من المكفوفين (١٣٢) طالبا وطالبة حضر منهم (١٣٠) طالباً وطالبة نجح منهم (١٠٤) طالباً وطالبة وبلغت النسبة المئوية للنجاح (٨٠٪) ولما كانت النسبة المئوية للدور الأول (٤٦,٩٪) فبذلك تصبح النسبة المئوية للدورين معا (٨٩٪).

واعتمد فضيلته نتيجة الدور الثانى لشهادات القراءات للعام الدراسى ٢٠٠٦/٢٠٠٧م وكانت على النحو التالى: إجازة التجويد ٨٧,٣٪ - عالية القراءات ٨٤,٩٪ - التخصص ٩٠,١٪.

كما اعتمد فضيلته نتيجة الدور الثانى للشهادة الإعدادية الأزهرية على مستوى الجمهورية للعام ٢٠٠٦/٢٠٠٧ حيث تقدم لامتحان الدور الثانى ٣٨٣٠٨ طالبا وطالبة حضر منهم ٣٨٠٣٤ نجح ٣١٣٧٢ منهم وبلغت النسبة المئوية للنجاح (٨٢,٥٪) وبذلك تصبح النسبة المئوية للنجاح للدورين الأول والثانى معا (٩٢,٨٪) شهد اعتماد النتيجة فضيلة الشيخ/ عمر الديب - وكيل الأزهر - وفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح علام - رئيس قطاع المعاهد الأزهرية - والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على أعمال كنترولات الثانوية والإعدادية.

اللقاء السنوى للحوار بين الأزهر والكنيسة الأسقفية الانجيليكية

توجه فضيلة الشيخ/ عمر الديب - وكيل الأزهر ورئيس لجنة الأزهر للحوار بين الأديان إلى لندن لمدة خمسة أيام للمشاركة فى أعمال اللقاء السنوى للحوار بين الأزهر والكنيسة الأسقفية الإنجليكانية الذى عقد فى الفترة من ١-٣/٩/٢٠٠٧ وجاءت هذه الزيارة بناء على اتفاقية الحوار بين الأزهر والكنيسة الأسقفية المعتمدة من رئيس أساقفة كانتبرى والرئيس العام للكنيسة الأسقفية (الإنجليكانية) بالعالم ومن شيخ الأزهر والتى تتضمن فى بنودها أن تجتمع اللجنة المشتركة مرة واحدة على الأقل كل عام فى مصر والمملكة المتحدة بالتبادل بينهما، ويقوم وكيل الأزهر بمناقشة بحثين.

الأول:- يدور حول مصداقية الفتوى حتى يكون لها تأثيرها لدى المستمعين.

والثانى:- الأقليات المسلمة فى الغرب وكيفية الحفاظ على هويتها الإسلامية مع المشاركة فى تنمية مجتمعاتهم.

***

Ramadan, which is imposed by Allah on Muslims. The purpose of fasting is not to bring hardship upon Muslims. The purpose is to tame and cure the human soul from the diseases that afflict it.

If we try to diagnose the diseases, we will find them abundant, some of them are clear and others are hidden. Patience is the cure for all of these diseases; and fasting is the medicine, as it is the resistance tool that faces hardships. The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) said, "Fasting is half of patience."

People have tried to find a cure for the weakness of will and resolution. Some consider physical exercise as a means of curing this illness. Some people cure their souls by taking risks and practicing dangerous sports, or by exposing themselves to severe pain to attempt to endure it. The purpose of all of these practices is to teach the soul to endure and resist the hardships of life.

If we look at life we will find it full of incidents and events that afflict the human being and the nations as well. The incidents need strong will and resolution to resist and conquer its effects. Patience is the most important virtue that Islam intended out of imposing fasting.

Patience is the most important Islamic purpose of fasting

If patience has these sublime benefits, the strongest type of patience is resisting human desires that force the human soul to commit all evil deeds taking him away from the path of Allah. This is the lesson learnt from fasting, as it tames and protects the soul from sins, till obedience becomes a habit.

Look at the person who fasts when he hears an insult. He does not care about it, obeying the orders of the Messenger of Allah who said, "O Lord. I am faster". Thus, he learns to be tolerant, and tolerance is one of the good attributes which is ascribed to the prophets and called for by the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). He ordered his companions to keep away from anger and to be tolerant. He advised one of his companions saying, "Do not be angry."

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "Anger is like firebrand in the inner side of the human being."

There is nothing better than patience to extinguish this firebrand, which inflames the heart of the human being pushing him to revenge and to commit crimes forbidden by Allah. It forces him to take revenge without putting limits to himself till he tyrannizes and assaults others. The human being can extinguish this flame in his heart with the weighty word (O Lord, I am faster).

All of these diseases are caused by the weakness of the soul, which is cured by the Ever-Wise and the Ever-Knowing by controlling the desires of the human being.

Fasting is conquest over the devil

Fasting is regarded as a conquest over the enemy of Allah and human beings, which is the devil. Thus, the way for sins is the desires which push the human being to disobedience. The desires of stomach and body can be controlled by hunger and fasting.

Fasting is the sign of sincerity of a human being in his duty. If this kind of worship is repeated, it becomes a habit and sincerity moves to other kinds of worship. The human being becomes the kind that Allah considered in His saying, Glory be to Him:

{So whosoever hopes for the meeting with his Lord, then let him do righteous deed(s) and not associate anyone in the worship of his Lord.}

[Al-Kahf (The Cave): 110]

Sincerity is the basis of success in life, saving the best rewards in the afterlife. If people talk about heroes who liberated their nations, resisted the aggressors and faced the tyrants such as what happens in Lebanon, Palestine and other Muslim countries, fasting caused this wonderful kind of patience. The patience of the first Muslims is recorded in history, in addition to their tolerance and resolution for the sake of advocating Islam and adhering to their creed. They used to fight in Ramadan in extremely hot weather as well as in the shades of mountains, hills and valleys. It is a wonderful picture of patience learnt in the school of fasting and Ramadan. Thus, they were granted honor, patience and steadfastness.

was responsible for recitation and chanting in Al-Sayeda Zainnab mosque (may Allah be pleased with her).

The people crowded to listen to him from every place in Cairo, near or far. Sound amplifiers were not known at that time, however, the strong voice of Sheikh Nada was transmitted to all of the people in the mosque. All of them were silent and no-one said a word, so that the magic voice reached everybody without any obstacle.

When reading came to an end in the mosques, Sheikh Nada moved to his home, being accompanied by his student reciters. His home was located in Al-Zeniby mosque; and the reciters alternated in reading and chanting till the time of last meal before the daybreak. Then, the people left in joy and happiness.

Sheikh Nada died two years before the inauguration of the radio broadcasting. The people in charge of radio broadcasts decided to choose some of the students of the Sheikh, who were famous in this blessed field. Most important were Sheikh Muhammad Ref'at and Sheikh Ali Mahmoud.

It was mentioned that Sheikh Mohammad Ref'at, known for his extreme piety, was afraid of what strict people would say. A legal opinion had been issued saying that reading the Qur'an in the radio is prohibited since the radio also plays songs. Thus, Sheikh Muhammad Ref'at hesitated to recite the Qur'an in the radio. When many people insisted that he recite in the radio, he went to the Sheikh of Az-Zainaby mosque, as he was also the explainer of the Hadiths of the Prophet (may the blessings and the peace of Allah be upon him), asking for his legal opinion and religious advice. He was the honorable Sheikh Muhammad Ibrahim Al-Samalouty, a member of the association of the great Al-Azhar scholars. The Sheikh encouraged him to read in the radio. He warned that the people should not be prevented from hearing the verses of the Noble Qur'an, since they are eager to listen to them. Thus, Sheikh Muhammad Ref'at became at ease and accepted the offer.

Ramadan:
The School of Fasting...!
By: The Honorable Sheikh Umar Ad-Dib
Al-Azhar Deputy

Ramadan is considered the month of all kinds of benevolence and good which does not exist in any other month. The Arabs say that the multitude of names signifies the honor of the named. Ramadan is the month of fasting, staying up at night reciting the Qur'an, generosity, victory over the enemies, compensation and increase in subsistence. All the above-mentioned names signify that this month has great virtue and grace, as it is the month of sympathy and benevolence to the poor.

Also, in this month, Allah forgives his fasting worshippers till the last night of Ramadan. Thus, Ramadan includes all of the graces and virtues either in this life or in the afterlife. Fasting in Ramadan is a lesson in collecting all kinds of virtues and graces. We will explain some of the features of these virtues.

Fasting is a Cure for many Diseases

Allah, Glory be to Him, imposed fasting on the Muslims and their predecessors for the sake of curing the soul and the body. We think that the most sublime reason is curing the human soul, because the body will perish, while the soul will last. Allah prefers what lasts to what perishes. Islam is the last religion, which our Prophet brought for the sake of the good of humanity:

{Say, "O you mankind, surely I am the Messenger of Allah to you altogether}

[Al-A'raf (The Battlements): 158)

Hence, the Islamic Shari'a includes the most perfect system that reforms the whole humanity. One of these systems is fasting

I remember the judges of legislative court in Bahrain asked the great professor Sheikh Yousif Al-Digawy, the member of the association of the greatest scholars saying:

"The radio of Egypt announced the certainty of the crescent of Ramadan, but we did not fast; doubting the truth of the news being broadcasted by the radio."

The great professor responded by a decisive essay issued in the first Gomada 1355 to reveal his belief in what is broadcasted saying:

"If we said that the news broadcasted by the radio and the wiry and wireless telegrams cannot be believed, we are accusing Islam, the discerning and wise religion, of freezing, and this is denounced by it. We will be like a gum in the mouths of the enemies of Islam, and will be mocked by the atheists and disbelievers. Moreover, it will not be suitable for all of the eras, the matter that never happened. Furthermore, there are many means that were never known."

Egypt and Qur'an Recitation

Egypt was well known in the Islamic world for caring about the reading of the Noble Qur'an in recitation and intonation. Its great reciters used to visit the world capitals in the famous seasons, at a time when transportation was very difficult. The sacred mosques in Mecca and Medina were happy to welcome the Egyptian readers, as they recited the Noble Qur'an with a wonderful voice.

They obtained great fame and taught some of the hajjes while performing the lovely rituals of this religious duty. In the past, hajj was not performed in countable days such as in the current days, but it used to continue from Shawal to the first days of Moharram. Thus, this extends satisfaction and enjoyment.

We know the famous reciter Sheikh Ismail Sukkar, who was the reciter of Sultan Abdul Hamid in Al-Asitanah. He used to come from Egypt to Turkey on certain occasions to recite the Noble Qur'an; and the Caliph used to listen to him in private sessions. Then, he moved to the public in the big mosques to recite the Noble Qur'an starting from Al-Maghrib Azan till the dawn. The listeners were not preoccupied with anything except the Noble Qur'an and developed a great feeling of joy.

In Egypt, every great reciter reads the Noble Qur'an in certain mosques. He recites the Cave Sura on Friday, and performs the Azan at the time of the five prayers. Out of these many mosques, the great reciters became famous in Egypt and the people got to know them quite well.

They were happy to listen to them in weddings and in funerals. I say weddings on purpose, as the Egyptians, at the beginning of the century and before it, used to recite the Noble Qur'an on their wedding days, and in parties to celebrate circumcision and the seventh day of birth. These parties were famous, as they were announced before the determined date. Thus, the people could know about it and get ready to spend this joyful night. The men were not the only persons who recite in these occasions. Female reciters, having good voices, used to recite the Qur'an in reverence and nostalgia. The great poet Khalil Motran said about a wonderful female reciter:

"It was the night of the second Sunday of this month at the beginning of the wedding celebration in the house of the honorable Mr. Hussein Shahin. The reciter was a girl from Fayuum called Asmahan; and the first Surah she recited was Yusuf Surah. Her voice was reciting the verses like jewelry, as it was very pure. The voice was moving from sad to happy, arousing interest and fear, restraining and promising. The more she read, the more the listeners felt happy. All of them belonged to high rank, and were exclaiming Allah is Great. I remember that when she reached the saying of Yusuf's brothers, 'donates to us' [Yusuf (Joseph): 88], her voice became so delicate that tears dropped out of my eyes. She chose for every situation the best rhythm without any distortion of the pronunciation. Then, we listened to Yusuf Surah, Al-Imran, and then we left the place in astonishment with our souls full of happiness and reverence."

Sheikh Muhammad Ref'at

In this believing and joyful atmosphere, a group of honorable reciters were brought up. They were doing their best to perform their task. Some of them became famous; and we still listen to them up to now such as Sheikh Ali Huzaien, Muhammad Al-Saify, Abdul Fattah Al- Shi'sha'y, Abdul Azim Zaher. Above them all are Sheikh Muhammad Re'fat and Sheikh Ali Mahmoud.

These two honorable Sheikhs were students of the great Sheikh Ahmad Nada, who was the Sheikh of the reciters in Egypt as a whole. He

{The Messenger has believed in what has been sent down to him from his Lord, and the believers (believe). Everyone (of them) has believed in Allah, and His Angels and His books, and His Messengers. We make no distinction between any of His Messengers.}

[Al Baqarah (The Cow): 285]

Callers for secularism claim that being religious limits freedom and prevents people from enjoying the joys of life. The reality is that Islam permits good deeds and disallows malicious deeds, which have proved nowadays to destroy Man. They bring diseases that spoil and destroy his life. Adhering to virtue, the matter that religion calls for, maintains the life of the religious believer and allows him to enjoy an honorable life. Allah, Glory be to Him, orders the people to do what benefits them and forbids all evil and sins that bring misery and disgrace.

Secularism means taking orders from the devil and contradicting the orders of Allah. Allah, Glory be to Him, says:

{Ash-Shaytan promises you poverty and commands you to obscenity; and Allah promises you forgiveness from Him, and Grace; Allah is Ever-Embracing Ever-Knowing.}

[Al-Baqarah (The Cow): 268]

The Islamic awakening, which is spreading in most of the nation, eases the heart and revives hope in the souls. You can see the mosques full at all times- without exception – with the youth. They have an unusual interest in memorizing the Noble Qur'an and in learning more about religion. They compete among each other in constructing web sites to defend Islam and facing the unfair campaigns against it.

If you leave the mosques and walk in the streets, you would see a scene that increases confidence in the conquest of Islam. You would see the female students in schools and universities, as well as female employees and workers, wearing the veil. This matter has forced secularists to write in the newspapers denouncing the spread of the veil that was not the case in the sixties. They regard this phenomenon as an evidence for the spread of deterioration and degradation instead of realizing that this phenomenon paves the way for the return of the glory of Islam.

Ramadan and the Quran Reciters of the Radio in its First Days...!

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Ramadan is the month of the Qur'an. This matter was acknowledged by the radio at the time of its inauguration in May, 1933. It made the blessed month of Ramadan a special time for reciting of the Qur'an by the famous readers. Reciting the religious songs and supplications on the radio was also comforting to the soul.

Unlike nowadays, the radio was not found in every house, shop and factory. It was limited to the homes of the elite and the first class. The public used to revolve around the houses which were lucky to have this modern invention, to listen to the Qur'an and talks by the scholars. This occurred in the towns. In Egyptian villages, however, there were only one or two radios, one of which was owned by the coffee shop owner to be a source of attraction to the public.

I still remember the nights of Ramadan in the coffee shop of my small village after Al-'isha', as the narrow place was crowded by those who were eager to listen to the Noble Qur'an, followed by preaching and guidance talks. Sheikh Muhammad Ref'at was a remarkable radio reciter who was admired by an uncountable number of listeners including the cultured and public people, as will be mentioned hereafter.

In addition to the recitation of the Noble Qur'an, the radio plays songs and has programs that contain funny jokes for the sake of entertainment. This matter caused some strict people to call for prohibiting the recitation of the Qur'an in the radio. They claimed that, to maintain the sacredness of the Qur'an, it should be kept away from the songs played by the radio in interminment periods for entertainment. I remember that "Islam magazine" issued in May 27, 1933 made a kind of vote for Al-Azhar scholars saying:

"Today a new phenomenon appeared which is broadcasting the Noble Qur'an every night and day. The worst matter is that we heard such shops in Al-Azhar Street distorting the Qur'an in a horrible way especially when they change the station."

Faith, to which Allah has directed them, is the best way for happiness. It is misguided by many people nowadays. Unfortunately, many of those people are cultured Muslims, who are appointed as leaders by the nation. They try to turn the nation away from the path of religion, as some of them criticize the Azan and denounce the veil, claiming that it makes them go back to the uncivilized past.

Some of them denounce the regime of Islam. They forget that this system, which continued for more than thirteen centuries, established justice, happiness, safety and equity for both Muslims and non-Muslims. The squanderers call for leaving the religion completely to live under the shadow of secularism, which destroys morals, spreads dissipation, antagonizes virtue, destroys religions and leads to disorder and chaos.

Allah, Glory be to Him, who is the Most Knowing of his worshippers, orders believers to follow the religion as He says:

{He has legislated for you as the religion what he enjoined on Nuh, and that which We have revealed to you, and what we have enjoined on Ibrahim and Musa and Isa (saying), "Keep up the religion and do not be disunited therein."

[Ash-Shura (The Consultancy): 13]

The verse emphasizes adhering to and maintaining the religion. All of the religions reveal the way of worshipping and obeying Allah in His orders that ensure guidance and happiness to His creations. Also, religion helps the people to endure the catastrophes that may befall them, hoping for a better after-life promised by Allah to His believing worshippers which has incredible graces that have never been seen or heard by anyone.

Allah, Glory be to him, says:

{Surely for the pious will be the Gardens of Bliss in the Providence of their Lord. Shall We then make the Muslims like the criminals?

[Al-Qalam (The pen): 36-37]

Some people claim that Muslims are divided into sects; however, the reality is another thing. The faith of the Muslim does not become perfect unless he believes in all of Allah's Messages that preceded Islam.

Allah, Glory be to Him, says:

peoples. The Muslims were strong and powerful when the Noble Qur'an was the constitution of their life and controlled their movements and directions. The most important wisdom of fasting came at the end of the fasting verse in His saying, Glory be to Him:

{O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were before you, that possibly you would be pious.}

[Al-Baqarah (The Cow): 183)

Piety, which is the fruit of fasting, is a state that prevents the Muslim from committing sin, encouraging him to obey Allah and abandon what Allah prohibits. The one who fasts feels communication with Allah, and cares for other Muslims who fast with him. Thus, he is linked to them spiritually. This is manifested clearly in his increasing sympathy for the needy and the hungry. Fasting prevents the person from harming others either by words or action. The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) said, "The one who does not abandon perjury, Allah does not accept his fasting."

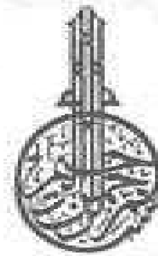
Fasting prevents the muslim from seeking revenge from anyone who hurts him. The Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) says, "Fasting is paradise; the faster should not be obscene. If someone tries to insult him, he should say 'I am fasting, I am fasting'."

Piety derived from fasting stirs sympathy for the poor as we mentioned before. It also leads to helping the weak and the orphans and relieving their needs. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was the most generous person, and yet was even more generous in Ramadan.

It is mentioned in As-Sahih Hadith, "The Prophet may the blessing and peace of Allah be upon him) is the most generous person, and becomes more generous in Ramadan. He meets Jibril every night to explain the Qur'an. Thus, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is more generous than the sent wind."

The religious scholars were earnest in welcoming the month of Ramadan. Their belief in Allah resulted in an absolute realization of the grace of Allah for his believing worshippers in this honorable month. In this holy month, their rewards for good deeds, such as sincerity in their worship as well as fasting, are doubled.

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
October. 2007

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University



Ramadan: The Month of Mercy, Guidance and Satisfaction...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The graces of Allah are manifested in Ramadan, and the most important grace that occurred in this month is the Noble Qur'an. Allah sent Qur'an as guidance for Mankind, as it includes the good of life and the happiness of the afterlife. It is the words of Allah, Glory be to Him, calling for righteousness. The one who adheres to it gains the satisfaction of Allah. The one who searches for guidance anywhere else is misguided. It is suitable for all times, and does not contradict the requirements of nations. Neither does it get bored of responding nor do its miracles end.

Allah bestowed it upon all human beings. Allah says:

{A light has already come up to you from Allah, and an evident book. Whereby Allah guides whomever closely follows His all-blessed Satisfaction in the ways of peace; and He brings them out of darkness into the light by His permission, and He guides them to a straight plan.}

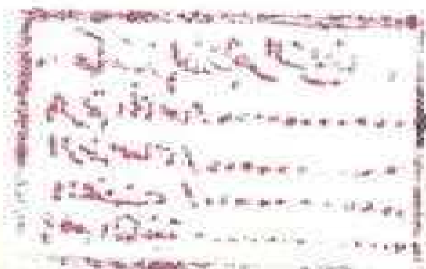
[Al-Ma'idah (the table): 15-16)

Allah imposed the fasting of Ramadan to remind his believing worshippers of the miracle of the Qur'an. Allah chose fasting instead of any other worship to thank Allah, Glory be to Him, for bestowing on Mankind the wonders of the Qur'an. Fasting is the only worship that is for the sake of Allah only. In a divine Hadith, Allah says, "Fasting is for me, and I reward the people for it."

In addition, fasting purifies the soul from human sins, making it pure and sublime. It helps the soul to fly in the atmosphere of perfection and to glitter in the heaven of assurance, making the soul understand the meaning of the Noble Qur'an. It makes believers realize the importance of the Qur'an to humanity in order to deserve the succession of Allah on earth. Thus, the followers of the Noble Qur'an become the leaders of the nations and



الفهـــــرس





هدية العدد
من القيم الإنسانية
في الإسلام

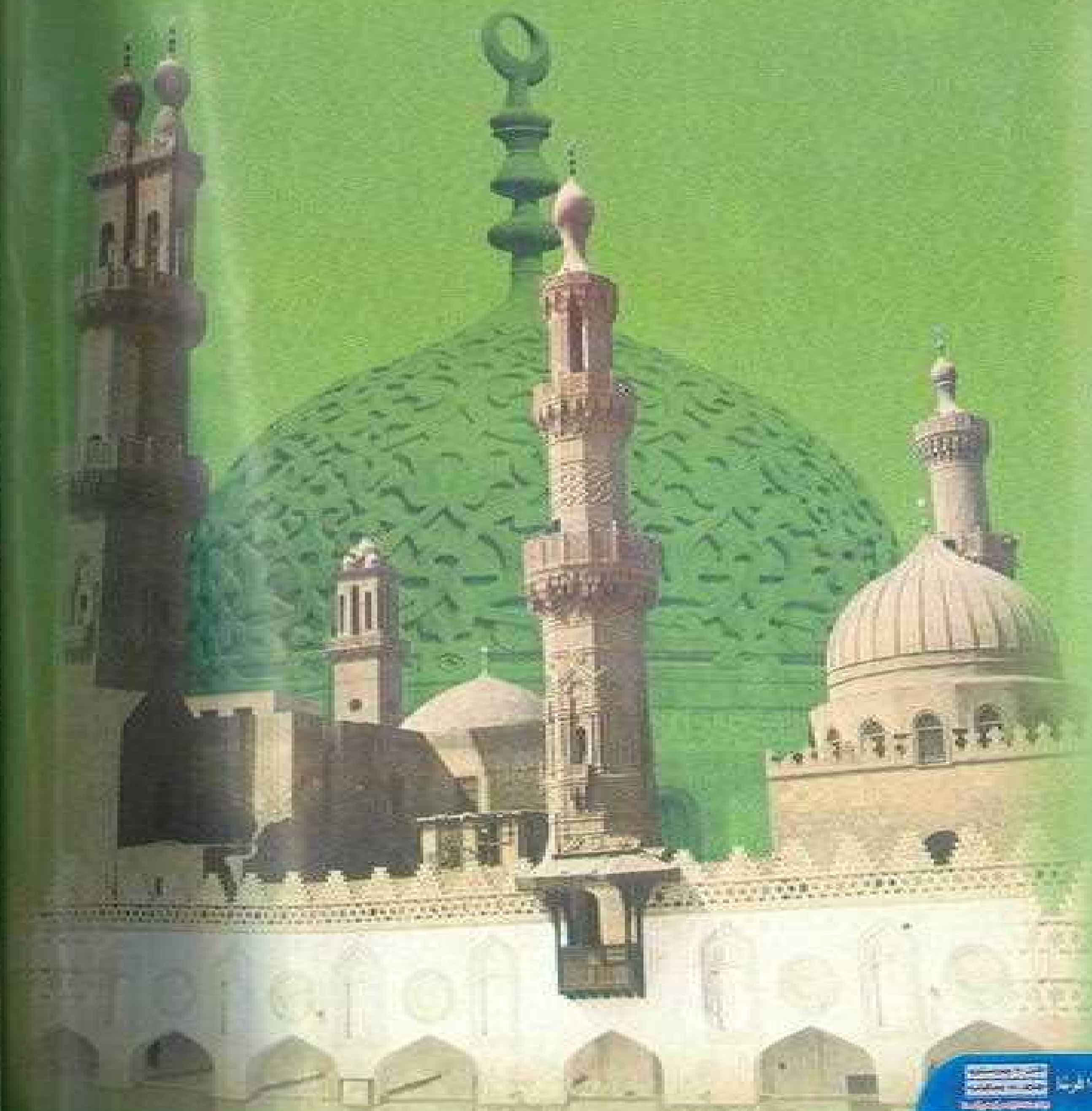
الأزهر

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ
ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا
لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ
مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلِلَّهِ
مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

شوال ١٤٢٨هـ - أكتوبر/نوفمبر ٢٠٠٧م - الجزء (١٠) السنة (٨٠)
VOL. 80 - Part X.

AL AZHAR MAGAZINE

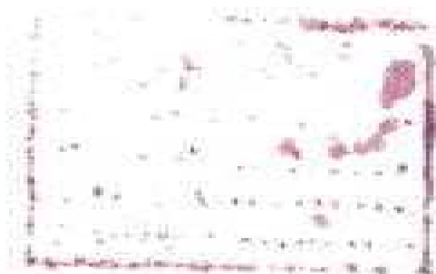
Saw'wal, 1428 Oct.Nov. 2007.
Vol. 80, Part X.

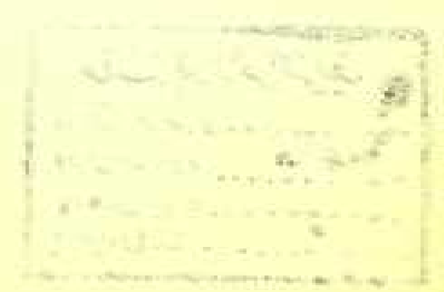


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

احتفال مصر الإسلامية بليلة القدر







دعا الرئيس حسني مبارك مجددا إلى تجديد الخطاب الديني.. مشددا على الحاجة لخطاب ديني متطور ينشر قيم الاعتدال والتسامح ويحاصر الغلو والتطرف ويركز على جوهر الدين.

ووجه الرئيس مبارك - في كلمته بالاحتفال بليلة القدر - حديثه للعلماء والدعاة والمفكرين والمثقفين قائلا «تلك هي مسئوليتكم فانهضوا بها».

وأكد أن مصر تعي الأوقات الصعبة التي يمر بها العالم الإسلامي وما تموج به المنطقة العربية من أزمات وتحديات.. موضحا أن العالم الإسلامي يواجه هجمة شرسة تستتر وراء حرية الرأى والتعبير وأن الصحافة تصف الإسلام بما ليس فيه وتربطه بالإرهاب والتطرف.

وأضاف أن عالمنا العربي يواجه عواصف عاتية تهدد استقرار دوله وشعوبه ما بين أزمات في فلسطين والعراق ولبنان والسودان والصومال وبؤر توتر جديدة تلوح في الأفق بمنطقة الخليج.

وشدد على أن مصر الأزهر ستظل حصنا للإسلام تعلي قيمه وسماحته

واعتداله وصحيح تعاليمه وستظل دائما سندا لأمتها تدافع عن هويتها ومصالحها وقضاياها وسيبقى شعبها مدافعا عن الإسلام ومقدساته فى مواجهة حملات الافتراء والتطاول.

حضر الاحتفال الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء، وفضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الازهر والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الاوقاف وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى والدكتور على جمعة مفتى الديار المصرية، وعدد من الوزراء والمحافظين وكبار رجال الدولة وسفراء الدول العربية والاسلامية المعتمدين بمصر.

وبدأ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم من الطالب محمود احمد السيد.

ثم قدم الدكتور محمود حمدى زقزوق هدية وزارة الأوقاف للرئيس حسنى مبارك، عبارة عن مجلد ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة السواحلية.

وقام الرئيس مبارك بعد ذلك بتكريم الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم وتوزيع الجوائز عليهم.

وفيما يلى نص كلمة الرئيس حسنى مبارك فى الاحتفال بليلة القدر

***

كلمة السيد رئيس الجمهورية



فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر..

العلماء الأجلاء..

ضيوف مصر الأعزاء..

الإخوة والأخوات..

أتحدث إليكم فى ليلة مباركة.. فيها نزل الوحى على النبى الخاتم.. وفيها أنزل القرآن هدى للناس.. ليتم الله رسالاته ونعمته على العالمين.

يسعدنى فى هذه المناسبة العطرة.. أن أتوجه بتهنئتى وتمنياتى إلى شعب مصر، وشعوب أمتنا العربية والإسلامية.

كما يسعدنى أن أرحب بضيوف مصر من العالمين العربى والإسلامى.. وأن أتوجه بالتحية إلى دعاة مصر ورجال الأزهر الشريف.. رمز اعتدال الإسلام ووسطيته وسماحة تعاليمه.

الإخوة والأخوات..

يدور الزمان دورته.. يمر بنا هذا الشهر الكريم.. ونحتفل بهذه الليلة المباركة.. فلا



نملك سوى التمعن فى العديد من الدلالات والمعانى.

نتمعن فى قضايا الوطن، وقضايا أمتنا ومنطقتنا.. ونتوقف أمام أحوال عالمنا الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها.

نسترجع معالم ماض عريق.. لحضارة بناها الإسلام.. فأسهمت إسهامًا عظيمًا فى تراث الإنسانية.

الماضى والحاضر

نواجه مقارنة لا مفر منها.. بين ماضى المسلمين وحاضرهم.. وتشغلنا تساؤلات تفرض نفسها.. حول مستقبل عالم إسلامى.. نحن جزء منه.. وهو بدوره جزء من عالم أوسع.. لا نملك تجاهله أو الانعزال عنه.. عالم يطرح أمامنا معطيات جديدة والعديد من التحديات.

إننا فى مصر نعى الأوقات الصعبة التى يمر بها عالمنا الإسلامى.. وما تموج به منطقتنا العربية من أزمات وتحديات.

يواجه عالمنا الإسلامى هجمة شرسة.. تستتر وراء حرية الرأى والتعبير والصحافة.. تصف الإسلام بما ليس فيه.. تربطه بالإرهاب والتطرف.. تشوه صورته وتعاليمه.. تتجاسر

على مقدساته ونبيه الكريم.. وتغذى المشاعر المعادية للمسلمين.

ويواجه عالمنا العربى عواصف عاتيه.. تهدد استقرار دوله وشعوبه.. ما بين أزمات قائمة فى فلسطين والعراق ولبنان والسودان والصومال.. وبؤر توتر جديدة تلوح في الأفق بمنطقة الخليج.

فأين نحن فى مصر من كل ذلك؟

مصر مهد التوحيد

الإخوة والأخوات..

إن مصر هى مهد التوحيد.. سار على ترابها إبراهيم أبو الأنبياء.. احتضنت يعقوب ويوسف والأسباط.. عاش على أرضها نبى الله موسى.. لجأ إلى حماها مريم البتول وكلمة الله عيسى.. واستوصى بها وبشعبها خيرا نبى الإسلام.. محمد.. صلوات الله وسلامه عليه.

يمضى هذا الشعب ـ بمسلميه وأقباطه ـ فى بناء حاضره ومستقبله.. نمضى على الطريق بثقة وعزم ويقين.. نعى أن قوتنا فى وحدتنا.. وفى التفافنا حول ما يجمعنا.. لا ما يفرقنا.

ندرك أننا شعب واحد.. يجمعنا وطن واحد ومصير واحد.. ونعى ضرورة أن نكون على قلب رجل واحد.. يعلى مصالح مصر وأبنائها.

تطل علينا فى منطقتنا أزمات خطرة.. لأوطان وشعوب عزيزة علينا.. باتت تهددها الانقسامات الطائفية.. ونوازع التشرذم المذهبى والعرقى.. ندعو الله أن يقيهم ويقينا شرورها ومنزلقاتها.

نعم.. إننا فى مصر واعون تماما لما نواجهه من تحديات على أرضنا، وفى محيط عالمنا العربى والإسلامى.. نتعامل مع هذه التحديات موقنين بالله وتوفيقه.. واثقين من إرادة هذا الوطن وهذا الشعب.. ومضطلعين بدورنا إزاء قضايا أمتنا.

ستظل مصر الأزهر حصنا حصينا للإسلام.. تعلى قيمه وسماحته واعتداله وصحيح تعاليمه.. تمضى فى ذلك حافظة لوحدة أبنائها من المسلمين والأقباط.. موقنة بأن الدين لله والوطن للجميع.. واعية بمخاطر خلط الدين بالسياسة.. مدركة لدروس وعبر تاريخنا البعيد منذ



«الفتنة الكبرى».. وتاريخنا الحديث قبل الثورة وبعدها.

وستظل مصر دائما سندا لأمتها.. تدافع عن هويتها ومصالحها وقضاياها.. تسعى من أجل سلام عادل وشامل.. يعيد الحقوق لأصحابها ويحقق أمن واستقرار منطقتها. سلام يحترم الشرعية الدولية وإرادة الشعوب.. سلام يقيم الدولة الفلسطينية المستقلة.. ويعى استحالة أن يفرط زعيم فلسطينى أو عربى أو مسلم فى القدس.. والمسجد الأقصى.. أولى القبلتين وثالث الحرمين. سلام يستعيد للعراق استقلاله وسيادته.. ويحفظ هويته العربية ووحدة أراضيه وأبنائه.. سلام يحقق المصالحة الوطنية لأبناء لبنان والسودان والصومال.. ويضع نهاية لنزيف الدم والدمار فى أفغانستان.

الحاجة إلى الحوار

ستبقى فى مصر مدافعين عن الإسلام ومقدساته.. فى مواجهة حملات الافتراء والتطاول.. نقول لمروجيها إن التطرف والإرهاب ليس لهما وطن أو دين.. ونقول للداعين لحوار الأديان والحضارات.. نعم.. نحن فى حاجة لحوار حقيقى وجاد.. يقوم على التكافؤ والاحترام المتبادل والمصالح المتبادلة.. ويسعى للالتقاء حول القيم المشتركة للإنسانية.

العلماء الأجلاء..

الإخوة والأخوات..

ما أحوجنا ونحن نحتفل بهذه الليلة المباركة.. إلى وقفة مصارحة مع النفس. ما أحوجنا لهذه الوقفة ونحن نمضى بمسيرة الوطن.. وما أحوجنا لها ونحن نتأمل فى أحوال أمتنا وقضاياها.

وقفة مصارحة مع النفس.. تحكم لنا أو علينا.. نستلهم صدقها ومعانيها من ديننا الحنيف.. وتجيب على تساؤلات هامة.

هل آن الأوان - ونحن الشعب المتدين - لأن نقرن الأقوال بالأفعال.. فنعلى قيم التسامح والعمل والاجتهاد.. ونجسد تعاليم ديننا فى معاملاتنا وسلوكنا وواقع حياتنا؟



لقد دعونا مرارا لتجديد الخطاب الدينى.. فهل حان الوقت لذلك؟ ألا تشتد حاجتنا لخطاب دينى متطور.. فى دور عبادتنا.. وبيوتنا ومدارسنا ومناهج تعاليمنا وإعلامنا وثقافتنا وسلوك مجتمعنا؟

خطاب دينى جديد ومتجدد.. يعلم الناس ما ينفعهم ويعينهم على حركة الحياة.. ينشر قيم الاعتدال والتسامح.. يحاصر الغلو والتطرف.. يركز على جوهر الدين.. يحفظ ثوابتنا وينفتح على العالم.. نأخذ منه ما نأخذ وندع منه ما ندع.

أقول لعلمائنا ودعاتنا ومفكرينا ومثقفينا.. تلك هى مسئوليتكم فانهضوا بها.

أقول لكل غيور على هذه الأرض الطيبة وقضايا العروبة والإسلام.. هذا هو دوركم فاضطلعوا به.

وأقول لعقلاء مصر وحكمائها.. إن الأمل معقود عليكم.. فبكم وبكل فكر مستنير وجهد صادق.. تتحقق نهضتنا.. ونصل ماضينا العريق بحاضر واعد.. ومستقبل مشرق بإذن الله.

فى خشوع هذه الليلة المباركة.. ندعو الله أن ينشر لنا من رحمته ويهيىء لنا من أمرنا رشدا.. وندعوه سبحانه أن يحفظ مصر بلدا آمنا.. ويسدد على طريق الخير خطانا.

كل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

***

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة تناول فيها فضل ليلة القدر وفضل التقرب إلى الله فيها بالدعاء والطاعة وحض المسلمين على التحلي بخلق الإسلام وسلوكيات الرسول محمد ﷺ حتى يستجاب الدعاء ويمن الله عليهم بنعم الأمن والرخاء والسكينة.

أكد فضيلته أن الله يستجيب الدعاء لمن يلتزم بأوامره وينتهي بنواهيه ويقيم أحكام الله فى الأرض ويحكم بالعدل مذكراً بإعلاء الإسلام لقيمة المساواة بين الناس فى الثواب والعقاب ورفضه التفرقة والتمييز بينهم على أساس اللون أو الجنس.

وفيما يلى نص كلمة فضيلة الإمام الأكبر:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا



وشفيعنا رسول الله ومن والاه.

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه

الجمع الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نحن الآن فى العشر الأواخر من شهر رمضان فى

تلك الأيام التى كان الرسول ﷺ يخصها بالكثير من ألوان الطاعة والعبادة والتى قال ﷺ فى فضلها:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

كما أشار القرآن الكريم.

وقال سيدنا رسول الله ﷺ «التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان» وليلة القدر هى ليلة الشرف والرفعة خير من ألف شهر، وإذا كان الدعاء يحلو فى كل وقت ففى هذه الأيام المباركة يكون أفضل وأعظم والتقرب إلى الله تعالى بالدعاء ملاذ كل مكروب وأمل كل خائف وراحة كل مضطرب، به يلجأ الإنسان إلى خالقه- عز وجل- فى كل وقت لاسيما فى أوقات الشدائد والكروب ولكن متى يستجاب الدعاء؟ يستجاب الدعاء من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم استقاموا على طريق الحق وأدوا التكاليف التى كلفهم الله تعالى بها ففى الحديث الشريف: «ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والحاج حتى يرجع ودعوة المظلوم يرفعها الله إلى سبع سموات ويقول وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين».

ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وتركوا عن تعمد وإصرار ما كلفهم الله تعالى به من عبادات ومن فضائل ومن طاعات.

يستجاب الدعاء من قوم أحلوا ما أحله الله وحرموا ما حرمه سبحانه عليهم فعمروا حياتهم بأيد طاهرة وبسلوك قويم وباعتناق للفضائل وباجتناب للرذائل ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم تلوثت أيديهم بالمال الحرام عن طريق الرشوة أو عن طريق الظلم أو عن طريق الغش أو عن طريق الخديعة أو عن غير ذلك مما حرمه الله- عز وجل- وفى الحديث الشريف: يقول ﷺ «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾

«المؤمنون: ٥١»

ثم ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول: يارب يارب ولكن مطعمه من حرام ومشربه من حرام وملبسه من حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب له أى فكيف يستجاب لهذا الإنسان الذى استحل ما حرمه الله؟

يستجاب الدعاء من قوم يحبون العدل فى الأحكام ويقولون كلمة الحق ولو على

أنفسهم كما قال الله- عز وجل-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾

«النساء: ١٣٥»

يستجاب الدعاء من قوم يحبون العدل فى الأحكام ويقولون كلمة الحق ولو على أنفسهم ويساوون بين الناس فى الثواب والعقاب دون تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الوظيفة أو العمل أو المهنة أو غير ذلك من الأعمال أو الأنساب وهذه المساواة فى الثواب والعقاب بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك فى آيات متعددة منها قوله تعالى:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

«فصلت: ٤٦»

وأوجبها الرسول ﷺ فى كثير من أحاديثه الشريفة ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» ويقول ﷺ «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

يستجاب الدعاء من قوم فضلاء عقلاء أقوياء يطبقون هذه الأحكام التى هى من أركان شريعة الإسلام، ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم مغرورين متكبرين يقذفون غيرهم بأقبح ألوان السهم، يقذفون غيرهم بأقبح ألوان الرذائل، وبأشنع التهم الباطلة ثم بعد ذلك لا يريدون أن تطبق عليهم العقوبات التى تطبق على غيرهم. مع أن جميع الشرائع السماوية وجميع القوانين الوضعية وجميع العقول الإنسانية السليمة وأكرر وجميع العقول الإنسانية السليمة تأبى التفرقة بين الناس فيمن يستحق الاحترام والثواب وفيمن يستحق الاحتقار والعقاب.

إن شريعة الإسلام سوت بين الجميع فى عقوبة جريمة القذف التى فيها عدوان أثيم على الأطهار الأخيار من الرجال ومن النساء قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

«النور: ٢٣»

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

«النور: ٤ - ٥»

وإنما خص القرآن النساء بالذكر مع أن جريمة القذف عقوبتها على الرجال وعلى النساء وإنما خص القرآن النساء بالذكر هنا لأن قذفهن بالسوء أشنع وأقبح وإلا فالرجال والنساء فى هذه الأحكام سواء وقد عاقب الله- عز وجل - هؤلاء الذين يقذفون غيرهم بالتهم الكاذبة بثلاث عقوبات:-

الأولى: عقوبة حسية، وتتمثل فى جلدهم ثمانية جلدة.

والثانية: عقوبة معنوية، وتتمثل فى عدم قبول شهادتهم بأن تهدر أقوالهم ويصيرون فى المجتمع أشبه ما يكونون بالمنبوذين فهم إن قالوا لا يصدق الناس أقوالهم وإن شهدوا لا تقبل شهادتهم، لأنهم انسلخت عنهم صفة الثقة من الناس فيهم.

وثالثها: وتتمثل فى وصف الله تعالى لهم بقوله:

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

وهذه العقوبات إنما شرعها الله سبحانه وتعالى صيانة وحماية لأعراض الرجال والنساء من ألسنة السوء ومن كل ما يخدش الكرامات ويجرح الشرف والعفاف، ورحم الله الإمام أبا حنيفة فقد قال: إن هؤلاء القاذفين لا تقبل أبدا طول حياتهم شهادتهم حتى وإن تابوا وأصلحوا لأن الله تعالى هو القائل: ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا.

فأخذ الإمام أبو حنيفة- رحمه الله وطيب ثراه من هذه الجملة الكريمة- أن الذى يقذف غيره بالتهم الباطلة ينبذ من المجتمع ولا يتقبل له شهادة أبدا الى أن يموت؛ لأن الله قد قال:-

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾

وهكذا تحمى شريعة الإسلام كرامة الإنسان بأحكامها العادلة.

السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

إننا فى هذه الأيام المباركة نتضرع الى الله- سبحانه وتعالى- نتضرع الى الخالق- عز وجل- أن يديم على مصر وعلى شقيقاتها بل وعلى العالم أجمع نعمة الأمان ونعمة السلام ونعمة الرخاء ونعمة الاطمئنان ونعمة التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان إنه على ما يشاء قدير نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة فضيلة وزير الأوقاف

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن رعاية مصر لقيم الإسلام وتعاليمه من ألف عام من خلال الأزهر الشريف أعطى لمصر دور الريادة الإسلامية فى العالم الإسلامى كله لذلك فهى تستقبل آلاف الطلاب من أبناء العالم الإسلامى للدراسة فيها.

قال فى كلمته فى الاحتفال بليلة القدر: إنه وفاء مصر لدينها، هو فى الوقت نفسه وفاء لكل الديانات السماوية السابقة على الإسلام لأن الإسلام أمرنا أن نؤمن بكل الرسل والأنبياء على مدى التاريخ وكلهم يهدفون إلى نشر السلام والأمن والأمان بين البشر والأجناس والحضارات.

قال: إن أول ما نزل من الوحى القرآنى شئ جديد فى تاريخ الرسالات السماوية. فقد كانت البداية هى الأمر بالقراءة. ويلفت النظر فى الآيات الخمس الأولى من الوحى انها لم تتحدث عن أمور العقيدة ولا عن شيء من العبادات ولا عن الصراع الدائم بين الإيمان والكفر، وإنما ركزت على ما يمكن تسميته بمفاتيح الحضارة. فقد جاء فى هذه الآيات الأمر بالقراءة مرتين، وجاء فيها ذكر الإنسان -المسئول عن عمارة الكون- مرتين، كما جاءت فيها الإشادة بالعلم وبالقلم الذى هو وسيلة تدوين العلم. وقد جاء ذلك كله فى إطار التذكير بأن الله هو خالق الإنسان وأن الله هو الذى كرمه بالعلم الذى به يستطيع الإنسان تعمير الكون. وعندما يحتفل المسلمون بليلة القدر فإن عليهم أن يستحضروا فى عقولهم وقلوبهم كل ما تحمله هذه الذكرى من مضامين. ونظرا لأن مفتاح العلم هو القراءة، فقد حرص النبى عليه الصلاة والسلام على الإفراج عن الأسرى من موقعة بدر إذا علم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وذلك على الرغم من شدة حاجة المسلمين فى ذلك الوقت إلى المال، واستعداد المشركين لبذل الكثير منه للإفراج عن أسرهم.

مفاتيح الحضارة

أضاف: ان بداية الوحى تلفت نظرنا على هذا النحو إلى مفاتيح الحضارة لذلك فإن القرآن قد أكد فى الوقت نفسه على مهمة الإنسان الحضارية فى هذه الحياة فى قوله: هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها، أى طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها. وإذا كان هذا الأمر الإلهى بإعمار الأرض لا يتحقق إلا بالعلم الذى جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة فإن الحضارة بالتالى تكون فريضة إسلامية لا تقل فى أهميتها عن شعائر الإسلام الأخرى.

وأشار فضيلته إلى أن علماء المسلمين أدركوا ذلك كله منذ وقت مبكر. فأقاموا حضارة جديدة شامخة هى الحضارة الإسلامية التى استفادت من كل الحضارات السابقة وأفادت منها الحضارات اللاحقة.

ولكن عندما تخلت الأمة الإسلامية عن العلم تراجعت هذه الحضارة. ولا تزال الأمة حتى اليوم تعيش آثار هذا التراجع السلبى. ومن هنا فإننا عندما نحتفل بليلة القدر فلابد لنا من تذكر كل هذه المعانى التى توحى بها إلينا هذه الذكرى. وإلا

تكون ليلة القدر مثل أى ليلة أخرى تأتى وتذهب دون أن تترك أثراً فى العقول والقلوب. فهى الليلة التى أشار القرآن الكريم إلى أنها خير من ألف شهر. فهى ليلة غنية بكل الروحانيات التى تؤكد الصلة بين الخالق والمخلوق، كما أنها غنية أيضا بكل المعانى التى ترتقى بالحياة وتدفع إلى تقدمها وازدهارها. وجدير بنا أن نتزود فيها بشحنة روحية تدفعنا إلى العمل من أجل خير الدنيا وخير الآخرة معا حتى نفوز بالحسنيين.

الطريق لصنع الحضارة

كما أكد فضيلته أن احتفالنا بليلة القدر له معنى يتعلق بدنيانا فينبغى أن يكون الإقبال على العلم بجميع مجالاته هو الهدف الذى تتجه إليه العقول والقلوب فى عالمنا الإسلامى حتى تستطيع الأمة أن تلحق بركب العصر وتشارك الآخرين فى صنع الحضارة. وعلى الأمة أن تتخلى عن النظرة التواكلية، وتدرك أن العمل للدنيا لا يقل أهمية عن ممارسة كل ألوان العبادات الأخرى. فالعلم والعمل هما أساس كل عمل صالح يقدم الخير للناس. والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن ارتباط الإيمان بالعمل الصالح من السمات البارزة فى القرآن الكريم.

إن الدين عقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة وعلم وعمل وليس مجرد شكليات وطقوس لا روح فيها ولا حياة، ولا يجوز بأى حال من الأحوال اختزال هذا الدين العظيم فى نطاق ضيق وعزله عن الحياة.

ثم أشار إلى أن وزارة الأوقاف تحرص على تأكيد كل هذه المعانى عن طريق دعاتها المنتشرين فى كل مساجد مصر. ومن أجل ذلك أصدرت الوزارة منذ أيام قليلة كتابا بعنوان «دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الدينى» يجرى توزيعه على جميع الدعاة على مستوى الجمهورية ليتعرفوا على كل ما ينبغى مراعاته لتجديد الخطاب الدينى والنهوض بالدعوة الإسلامية والتوعية الدينية الصحيحة بقيم الإسلام السمحة وتعاليمه التى تحض على التسامح والتراحم والاعتدال والوسطية وترسيخ دعائم الأمن والسلام والاستقرار فى المجتمع.

الرعاية الحقيقية

وقال: إن المسابقة العالمية فى حفظ القرآن الكريم التى تتبناها مصر برعايتكم الكريمة تهدف إلى غرس المعانى التى أشرنا إليها فى نفوس الأجيال الجديدة. ومن هنا كان الحرص على أن يشتمل المستوى الأول من المسابقة بجانب حفظ كامل القرآن الكريم على تفسير جزء كامل من القرآن بتغيير كل عام. وهاهم الفائزون فى هذه المسابقة من أقطار إسلامية عديدة يتشرفون اليوم بتلقى جوائزهم التى فازوا بها من سيادتكم.

ومن المآثر العظيمة التى أضفتموها إلى الاحتفال بذكرى ليلة القدر تكريمكم للفائز بجائزة مبارك للدراسات الإسلامية وذلك للعام الثالث على التوالى. فقد أصبحت هذه الجائزة حافزا قويا للباحثين فى الدراسات الإسلامية للتنافس المثمر فى مجال البحوث العلمية المتصلة بقضايا الأمة.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شوال ١٤٢٨هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٧م - الجزء العاشر - السنة الثمانون

نظرة نقدية

العمود اليومى فى الصحافة

نحن نعلم أن الصحافة ذات جلالة ديمقراطية لا دكتاتورية فإذا كان من حقها أن تنقد ما تراه موضع النقد من مسائل السياسة والاقتصاد والاجتماع فإن من واجبها أن تسمع ما يوجه إليها من نقد هادف يصحح ما يحتاج إلى تصحيح، فيما تعرض على القراء من صفحات والقائمون على تحرير الصحف يعرفون تماما أن العمود اليومى مصدر جذب للقراء، وأنه - فى وضعه المعقول - يعتمد على التركيز المستوعب، والعرض الكاشف والحل الميسر مع تلبية سريعة للأحداث العاجلة، الأحداث التى تشغل الناس فى حاضرهم، وتتردد وقائعها فى الخبر والصورة والسؤال، هنا يفزع القارىء إلى زاوية العمود اليومى ليجد تفسيراً لما غمض وحلا لما أعضل، وإذا كان لهذا الأمر خطره، فلابد أن يقوم به إنسان دارس مستوعب، مهر من قبل على تحرير المقالات الطويلة واعتمد على رصيد واف من ثقة القارىء به فى ماضيه الحافل، وهو مع ذلك يعرف طبيعة ما يقوم به من عمل، وما يتطلب من خصائص فى الصياغة والشمول والإيجاز، فإذا فهم ذلك كله أفاد قارئه، واحتل مكانته فى نفوس الجمهرة من القراء فهم مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية، يعرفون الغذاء الجيد، ويتركون الصفحات المتتابعة ليصلوا إلى موضعه مطمئنين!

وإذا كان لابد من مثالين متعارضين، أضعهما أمام القارىء فإنى أتجاوز الأحياء إلى من سبقوا إلى رحمة الله فأتحدث عن فترة من عمرى، كنت فيها طالبا بالمعهد الدينى - ابتدائيا وثانويا - وكنت حريصا على أن أقرأ جريدة الأهرام يوميا، فكنت أجد عنوانين فى الجريدة يحملان طابع العمود اليومى، هما «ما قل ودل» ويحرره الأستاذ أحمد محمد الصاوى و «نحو النور» ويحرره الأستاذ محمد زكى عبدالقادر، قبل أن ينتقل إلى

الأخبار، أما الأستاذ الصاوى فكان يميل إلى الخطف السريع دون تركيز، وهو بعد صحافى نابه، ولكن حديثه أشبه «بالسندوتش» الذى يؤكل فى لقمة أو لقمتين دون أن يشبع جوعة القارىء، أما مقال «نحو النور» مع إيجازه المحدود فى سطور قد لا تتجاوز الثلاثين، فهو دائما فى تواصله اليومى ذو نظرة مستقلة، ونقد موضوعى، واحترام للقارىء، ولم يأت ذلك للكاتب الكبير من فراغ؛ لأن ثقافته المتشعبة فى مسائل القانون والسياسة والتاريخ والاقتصاد، قد أمدت قلمه بالبليغ من الرأى، والصادق من التحليل، مع شفافية روحية وائتلاف ذهنى، ومع بعض الشاعرية أحيانا ثم لا يمنعه اتصال القول يوميا من الإجادة الشافية، والنظر الموضوعى، وأظنه جمع بعض ما كتب فى أسفار مستقلة ليست تحت يدى! ولست أضائل كثيرا من مكانة الأستاذ الصاوى، إذ كان له جمهوره المتلهف على آثاره، وليت الذين يكتبون اليوم ممن أعنيهم فى هذا المقال يصلون إلى مستواه، ولكنى أوازن بين اتجاهين، إذ أدعو إلى الاتجاه الأمثل..


طه حسين


العقاد

أسجل هذه الخواطر، وأنا أعلم أن بعضهم سيتعلل بأن الأسلوب الصحفى يراعى حق القارىء الشعبى، فلا يعمد إلى التعمق، بل يتجه إلى البسط اليسير، وأنا لا أنكر حق القارىء المتواضع ذهنيا، فى تناول ما يلائم طبيعته، ولكن هذا الحق شىء، وتقديم المفيد شىء آخر، وقد كان القراء منذ تسعين عاماً يقرءون آثار مصطفى لطفى المنفلوطى، ومحمد فريد وجدى، وعبدالعزيز جاويش ثم آثار من خلفهم من أمثال طه حسين والمازنى وهيكل، ولا أقول العقاد فقد يعسر أحيانا على من أعنيهم بالقول، يقرءون آثار هؤلاء الكبار قبل أن تنتشر الجامعات، وترن الإذاعات وتكثر الندوات، ثم هم يستمرءونها أشهى استمراء، وقد يتعصبون لفريق أمام فريق، فكيف نقول اليوم: إن طبيعة القارىء العربى تحتم أن نقدم له المقال سطحياً مفككاً دون تحليل؟ أليس هذا تبريراً مخذولا؟! ثم أين رسالة الكاتب التى من صميمها أن ترتفع بمستوى القارىء لا أن تحافظ على مستواه الهابط؟ إن سهولة التعبير لا تعارض عمق الفكرة وطرافتها؛ لأن الفكرة إذا أشرقت فى عقل الكاتب انتقلت إلى قلمه فى إشراق متكافىء، وما يجىء الغموض فى أكثر أحواله إلا من غموض الفكرة نفسها فى عقل كاتبها، وخير له حين ذلك أن يتركها حتى تبزغ فى إشراق.

وإذا كان من المتفق عليه أن يكون «العمود اليومى» ذا فكرة محددة، وذا موضوع واحد، فإنا نفاجأ كثيراً حين نقرأ عدة موضوعات تتوالى فى هذا العمود، دون أدنى

ارتباط، وقد تأخذ أرقاما تدل على الانفصال التام، فما معنى هذا؟ معناه الصريح أن كاتب العمود اليومى ليس لديه ما يقوله وأنه اضطر لملء الفراغ التزاما بتعهده أن يكتب كل يوم! وبذلك يصير المقال أخبارا متفرقة، كان حقها أن تجد مكانها فى صفحات الأنباء العامة، أما الناحية المقابلة لهذا الاتجاه، فتلك التى تراها فى المقالات المسلسلة فقد يكتب صاحب العمود مقالاً طويلاً من شأنه أن ينشر فى غير عموده، ثم يجزئه على مرتين أو ثلاثا! وهنا يفقد العمود اليومى رسالته التى وجد من أجلها، فصاحب العمود ملزم بتقديم رأى خاص فى مسألة خاصة ولا يعود إليها إلا إذا جاءه تعقيب من معترض، فيفسح المجال لصاحبه، ثم يعقب عليه بما يراه! يخيل إلى أن فلسفة وجود هذا النوع من المقال غائبة عن أذهان كثير ممن يقومون بكتابته! بدليل أنهم لا يفرقون بين البحث الموضوعى، والمقال الذاتى فيما يقدمون للقراء، كما يخيل إلى أنه لا سبيل إلى تنحية هؤلاء المتواضعين؛ لأنهم معينون فى الجريدة من ناحية ولأن الجرائد قد زادت صفحاتها زيادة فرضها التنافس الشكلى بين الصحف، ولم يفرضها السعى إلى النهوض الحقيقى فى عالم الإعلام، وهذه الزيادات تتطلب ملء الفراغ، وحيا الله أخبار الرياضة والسيارات حيث كفت الجريدة أكثر حاجتها من اللغو المديد، وبقيت حاجة الأعمدة التى يجب أن تملأ بالحروف السوداء مهما انحدر المضمون، وقد عين المشرفون على التحرير أسماء الكاتبين ومنهم هؤلاء فواجهوا القراء بهم فجأة وكأنهم نزلوا من السماء على غير انتظار، وعهدنا بالكاتب الناشىء أن يتدرج شيئا فشيئا. فلا ينهمر نتاجه يوميا على هذا الوجه، ولدىّ اقتراح مفيد، هو أن يقتصر المقصرون على مقال أسبوعى، يفكر فيه صاحبه طيلة الوقت متأنيا مستمهلا، وسيكون بهذا التمهل أكثر قيمة من مقال يومى يكتب لملء الفراغ فحسب، وخير للكاتب أن ينتظره القارىء فى يوم معين من الأسبوع ويجد لديه بعض ما يفيد، من أن يقرأه يومياً، ثم لا يقرأ شيئا ذا بال، إننا نعرف من كتاب الجيل الماضى أناساً كانوا يقتصرون على مقال ينشر فى مجلة شهرية، وقد لا يوالون النشر بانتظام الشهور، ولكنهم يكتبون بين الآونة والآونة، بحيث ينقضى العام متمخضاً عن أربع مقالات! ومع ذلك يجدون من ترحيب القارىء ما يجعله يتفقد آثارهم، وينتظرها على شوق، وقد ظل الأساتذة: على أدهم، وعبدالرحمن صدقى، وحسن الشريف، وغيرهم يكتبون فى الهلال، وأحيانا فى المقتطف، فمضت لهم شهرة أدبية قبل أن يتسعوا بالنشر فى المجلات الأسبوعية كالرسالة والثقافة، وإذن فالمسألة مسألة كيف لاكم. ومتى تعود صاحب العمود الأسبوعى أن يجيد التأمل وأن ينتقى الموضوع الجيد وأن يراعى خصائص المقال العمودى فى تركيزه ووضوحه واقتصاره على غرض واحد مما يشغل الأذهان فإنه يصبح ذا مراس يدفعه إلى الكتابة المتواصلة إذ بدأ السير بخطوات واثقة رشيدة، فعرف صعاب الطريق وملتوياته، وجرى قلمه فى يسر

أوحى به المران الجاد وسهل عليه بعد ذلك أن يكتب أكثر من خاطرة فى الأسبوع، بل قد يوفقه الله إلى أن يكتب العمود اليومى بنجاح.

وقد يظن القارىء أن كتابة العمود اليومى بمعناه الصحفى الدقيق أيسر سبيلاً من كتابة المقال الممتد إلى عدة أعمدة، وقد يكون هذا صحيحاً إذا كان المقال الممتد يعالج موضوعاً تشعبت مناحيه، وكثرت به مواضع الجدل، وأسباب التبرير، ولكن من الصحيح أيضا أن التركيز فى عمود واحد يتطلب من الدقة والافتنان ما يتطلبه المقال المسهب المطيل من الجهد، وقد قرأت فى كتاب «دفاع عن البلاغة» للأديب الكبير الأستاذ/ أحمد حسن الزيات أن المستر ولسن الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية سئل: كم تنفق من الزمن فى إعداد خطبة تلقى فى عشر دقائق؟ فقال: أسبوعين فقيل له: فكم تنفق إذن فى خطبة تلقى فى ساعة؟ فقال: أسبوعا. فقيل له: فإذا أردت أن تلقيها فى ساعتين فقال: ألقيها على الفور.

وقد يكون هذا الحوار مما يحتمل الأخذ والرد فى بعض نواحيه، ولكن مغزاه لا يختلف عليه أحد، فالرجل الموجز المقيد بزمن قصير أو بمساحة ضيقة يضطر إلى أن يقول ما بنفسه فى دقة تراعى حدود الزمان والمكان وهذا وحده يمثل تبعة أدبية تلقى على كاتب العمود المحدود. وهذا ما لا يفهمه من أعنيهم بهذا المقال، وعلم الله أنى أريد توجيها لا انتقاصاً، فأكثرهم يؤدى واجبا فُرض عليه! فعده سهلاً وهو شاق عسير.

أنا أعرف أن أكثر هؤلاء قد تخرجوا فى كليات الإعلام وقد ألقيت عليهم محاضرات فى الفن الصحفى فعرفوا ما يتطلبه المقال الموجز من سمات، بل ربما جاء الامتحان فى هذا الموضوع وأجابوا عن الأسئلة بما لا يبعد عن الصواب، ولكن الكتابة قبل كل شىء تستلزم ثقافة أصيلة وخبرة دقيقة بالتعبير الأدبى لايجدى دونهما ما يحفظ من المقررات، وما يراعى من السمات! لابد أن يكون الفكر سديداً، وملكة التعبير قوية لدى الكاتب ليستطيع أن يفصح عن خاطره فى نطاق ما أخذ من توجيهات! أرأيت أنك إذا جئت إلى شخص وقرأت عليه كتابا فى السباحة فعرف بالقراءة وحدها كيف يقاوم أمواج البحر، ثم قذفت به إلى الماء ليسبح وفق ما تعلم، ماذا يفعل الجسم المريض حينئذ!؟ إنه سيرسب فى الماء فورا دون أن يتذكر شيئا مما قرأ كذلك إذا فقد الطالب ملكة التعبير الصحيح ثم عرف خصائص الفن الصحفى فيما درس ثم نال الشهادة الجامعية والتحق صحفيا بالجريدة وكان من عمله أن يكتب، ماذا سيقول؟ سيقول ما نقرؤه ناقدين وندعو إلى إصلاحه مخلصين!

على أن الإنسان ليس عبقريا بحيث يكون قلمه طوع يده يصرفه متى دعى إلى الكتابة يوميًا فى زمنها المحدد ووقتها المعلوم، فلهذه الناحية أناس مميزون ممتعون بالمواهب، مسلحون بالاطلاع،

وحتى هؤلاء أيضا يعانون في بعض المواقف من نضوب الفكر وخمود العاطفة ما لا يسمح لهم بالاسترسال! أليسوا بشرا؟ والإنسان لا يدوم على حال وإذا كان من الشعراء من يشتكون نضوب القريحة حين تدعو الحاجة إلى القريض في بعض المناسبات لا أقول المناسبات الرسمية، بل المناسبات النفسية التي تستدعي الإفصاح وتتطلب التنفيس، فإن من كبار الكتاب من يقفون هذا الموقف أحيانا فيحتالون على القلم أن يخط بعض الكلمات ولكنه يقف بين الأصابع الواهنة واهنا مثلها تماما!

وهنا يجب على الكاتب أن يعتذر عن الكتابة، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإذا كان في الشباب من ذوي العزة الموهومة من يعز عليه أن يعترف بنضوب ذهنه في بعض الأوقات كيلا يحرج موقعه في زعمه فهو في ذلك مخطيء أيُّ مخطيء، وسأضرب له المثل بعلم من أعلام البيان في الجيل الماضي كانت الصحف تزدان بثمرات يراعه مباهية مستطيلة وهو على مكانه المرموق ونشاطه الدءوب لم يجد حرجا في أن يعلن للناس ما اعتراه من إفلاس أدبي حين عصر ذهنه عصراً - ذات مرة - فلم يهتد إلى موضوع يجب أن يكتبه للصحيفة المنتظرة وقد أزف الميعاد! ولعل في الاستشهاد بقوله ما يغني عن كل تعليق!

لقد اتفقت جريدة الجهاد التي كان يصدرها الأديب الكبير الأستاذ/ محمد توفيق دياب لعدة سنوات متتالية في الثلاثينات مع الكاتب الكبير الأستاذ/ عبدالعزيز البشرى أن يحرر باب «حديث رمضان» يومياً مدة الشهر المبارك، اتفقت معه قبل قدوم الشهر بأمد طويل كي يستعد لما يكتب ووافق الأستاذ وكأنه وثق من قدرته فلم يحاول أن يهييء ما سينشر قبل قدوم الشهر المبارك وجاء الوقت، فأخذ الشيخ يرسل المقال تلو المقال، وقراؤه في لهفة متطلعة لما يقول، ولكنه ذات ليلة جلس إلى مكتبه ليخط حديث الغد فما فتح الله عليه بشيء! كيف! وجرس التليفون بالجريدة يدعوه؟ وإنه لقول الفصل وما هو بالهزل..

فكر الأستاذ ثم فكر في هذه الأزمة الأدبية الآخذة بخناقه ثم هداه الله إلى أن يكون إفلاسه الأدبي موضوع حديثه وإنه ليطيب لي أن أنقل إلى القارىء ما كتب لا ليؤيد وجهة نظري في نضوب الفكر الإنساني في أوقات لا تسمح بالارتواء فحسب، بل ليرى قارئ اليوم نمطا من البيان العالي كان له دعاته الحافظون، وعشاقه المتيمون حين كان للغة البيانية ما للقيثار الموسيقي من رنة الطرب وحلاوة الإيقاع ونشوة التأثير.

يقول الأستاذ/ عبدالعزيز البشرى تحت عنوان «إفلاس»، نقلا عن الجزء الأول من كتابه «المختار»:

«اجتمعت اليوم لأكتب حديث رمضان فإذا بي مفلس لا أصيب زادا ولا أجد لشأني عدة وعتادا لقد فصحني النهار وعليّ أن أكتب للجهاد (حديث رمضان) وأنبعث إلى مكتبي فأستوي له وأبسط القرطاس بين يدي وأشرع اليراع ثم أهوى به فإذا هو يتعصى علي ويركب رأسه ويشرد تارة إلى اليمين وأخرى إلى اليسار وما يكف له جماح وما يطامن من نفار!

يا ويلتا! ماذا أكتب للجهاد اليوم وكيف أقول؟ اللهم لاشيء!

أترى الأرض كلها أقفرت من موضوع يكتب فيه كاتب ولو بالإصابة من أطرافه ومسّ حواشيه؟ اللهم لا!؟ وإني لأبسط العزم وأشده وأذكي الذهن وأحده وأمد الفكر وأثنيه ثم أنشره وأطويه ثم أغوص به في جوف الدأماء (البحر) فلا يجديني ولا قطرة ماء.

ثم إني لأرمي القلم وأتطاير عن مكتبي وأنفر إلى حديقتي الصغيرة فأتفقد أشجارها، وأتوسم أزهارها، وأهرول من هاهنا وهاهنا لعل خاطرا يعتريني فأصيب به كلاما، فإن ظفرت بعد هذا بشيء فهو كالقابض على المزقة من الفيء (القطعة من الظل).

ثم أعود فأستوي إلى مكتبي وأستندى ذهني فلا يندى، وأروضه على القول فلا يطيع ولا يرضى، وأستبيه فلا يلين وأستعطفه فلا يرق ولا يلين، وإني لأهز القلم هزة الكمي ساعة يخرج إلى النزال ويبرز لمقارعة الأبطال، فإذا هو يتعالى في يدي ويتثاقل، وإذا هو يتراخى ويتزايل، وإذا بي أراه قد تفلل من غير حرب وتثلم من غير طعن ولا ضرب! ويلي عليك وويلي منك أيها القلم!»

هذا بعض ما قاله الكاتب المبين مصورا عسر الميلاد، وهو بذلك لم ينقص قدرا من مكانته الأدبية؛ لأنه احترم القارىء أن يطالعه بالممسوخ المعاد! إن الشهر شهر رمضان، والحديث حديث رمضان، وكان في طوقه أن يتحدث عن فضائل الصيام أو مزايا الزكاة أو سنة الاعتكاف بما يعرفه العالم الأزهري الذي تولى منصب القضاء الشرعي عدة سنوات، ولكنه يرتفع بنفسه وبقارئه أن يقدم له ما قد عرفه من قبل لدى أقلام من يلوكون هذه الأحاديث دون تجديد وكأنهم جاءوا بالفتح المبين ومايزالون إلى اليوم يملئون الصفحات نقلا ونسخا، وليس الجديد عندهم سوى التوقيع! وكلامهم على هزاله ليس بالجديد، فقد كرر الكاتب هذه المشهورات في ما قبل ثم أعادها دون تجديد!

لقد خفتُ الملام حين صممت أن أكتب هذا المقال، ملام من يظنون أنفسهم فوق الانتقاد ولكن بواعث القول كانت أشد من أن تكتم وكم حاولت التغاضي فشعرت بمثل وخز السنان فعلى من يريدني أن أصمت أن يشرح لي كيف أسكت هذه الأشجان!

وحبتما لـي سلوة وتناسيا ولم تُرشدا كيف السبيل إليهما؟!

د. / محمد رجب البيومي

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ (الآيات: ١٤٩: ١٥١)

قال الآلوسى ما ملخصه: قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

شروع في زجر المؤمنين عن متابعة الكفار ببيان مضارها، إثر ترغيبهم فى الاقتداء بأنصار الأنبياء ببيان فضائله وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الاعتناء بما فى حيزه ووصفهم بالإيمان لتذكيرهم بحال ينافى تلك الطاعة فيكون الزجر على أكمل وجه. والمراد من الذين كفروا إما المنافقون لأنهم هم الذين قالوا للمؤمنين عند هزيمتهم فى أحد: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا فى دينهم.. وإما أبوسفيان وأصحابه وحينئذ فالمراد بإطاعتهم الاستكانة لهم وطلب الأمان منهم.. وإما اليهود والنصارى لأنهم هم الذين كانوا يلقون الشبه في الدين ويقولون: «لو كان محمد نبياً حقا لما غلبه أعداؤه.. وإما سائر الكفار»[1].

فالآية الكريمة تنهى المؤمنين عن طاعة الكفار؛ لأن الكفر والإيمان نقيضان لا يجتمعان. وجاء التعبير بـ«إن» الشرطية دون «إذا» لأن إذا لتحقق الشرط والجزاء أما إن فإنها لا تفيد التحقق بل تفيد الشك. وهذا هو المناسب لحال المؤمنين لأن إيمانهم يحجزهم عن طاعة الذين كفروا ويمنعهم من الوقوع فى ذلك والنداء متوجه ابتداء للمؤمنين المجاهدين الذين حضروا غزوة أحد، وسمعوا ما سمعوا من أراجيف أعدائهم وأكاذيبهم، إلا أنه يندرج تحت مضمونه كل مؤمن فى كل زمان أو مكان لأن الكافرين فى كل العصور لا يريدون بالمؤمنين إلا خبالاً، ولا يتمنون لهم إلا الشرور والمصائب.

ثم بين ـ سبحانه ـ النتيجة السيئة التى تترتب على طاعة المؤمنين للكافرين فقال:

﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾

أى: إن تطيعوهم يرجعوكم إلى ما كنتم عليه قبل الإسلام من ضلال وكفران أو يردوكم إلى الحالة التى كنتم عليها قبل مشروعية الجهاد وهى حالة الضعف والهوان التى رفعها الله عنكم بأن أذن لكم فى مقاتلة أعدائكم الذين أخرجوكم من دياركم بغير حق.

وقوله

﴿ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾

أى فترجعوا خاسرين لخيرى الدنيا والآخرة، أما خسران الدنيا فبسبب انقيادكم له، واستسلامكم لمطالبهم.. وأما خسران الآخرة فبسبب ترككم لوصايا دينكم ومخالفتكم لأوامر خالقكم، وتوجيهات نبيكم ﷺ وكفى بذلك خسارة شنيعة.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد نهت المؤمنين عن طاعة الكافرين، ثم بينت لهم نتيجتين سيئتين تترتبان على هذه الطاعة، وهما: الرجوع إلى الضلال بعد الهدى، والخسران فى الدنيا والآخرة.

والتعبير بقوله ﴿ فَتَنقَلِبُوا ﴾ يفيد أن إطاعة الكافرين يؤدى بالمؤمنين إلى انقلاب حالهم وانتكاس أمرهم وجعل أعلاهم أسفلهم.. وفى ذلك ما فيه من التنفير عن إطاعة الكافرين والاستماع إلى وساوسهم.

ثم أمرهم ـ سبحانه ـ بطاعته والاعتماد عليه والاستعانة به وحده فقال

﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾

وحرف «بل» هنا للإضراب الانتقالى، لأنه ـ سبحانه ـ بعد أن حذر المؤمنين من إطاعة الكافرين وما يترتب عليها من مضار، انتقل إلى توجيههم إلى ما فيه عزتهم وكرامتهم وسعادتهم.

والمولى هنا بمعنى النصير والمعين، وهذا اللفظ لا يدل على النصرة والعون فقط، وإنما يدل على كمال المحبة والمودة والقرب، والنصرة تجىء ملازمة لهذه المعانى، لأنه من كان الله محبا له، كان ـ سبحانه ـ ناصراً له لا محالة.

والمعنى إنى أنهاكم ـ أيها المؤمنون ـ عن إطاعة

(1) تفسير الآلوسى ج٤ ص٨٧

الكافرين، لأنهم ليسوا أولياء لكم فتطيعوهم، بل الله - تعالى - هو وليكم ومعينكم وهو خير الناصرين، لأنه هو الذى لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء فأخلصوا له العبادة والطاعة.

ثم بشرهم - سبحانه - بأنه سيلقى الرعب والفزع فى قلوب أعدائهم فقال - تعالى -:

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾

والرعب: الخوف والفزع، يقال رعبه يرعبه أى خوفه، أصله من الملء يقال: سيل راعب، إذا ملأ الأودية. ورعبت الحوض: ملأته.

والسلطان: الحجة والبرهان وسميت الحجة سلطاناً لقوتها ونفوذها. أصل المادة يدل على الشدة والقوة ومنها السليط الشديد واللسان الطويل.

والمعنى: سنملأ قلوب المشركين خوفاً وفزعاً بسبب إشراكهم مع الله - تعالى - آلهة لم ينزل الله بها حجة والمراد: أنه لا حجة لهم حتى ينزلها.

قال الآلوسى: قوله

﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ ﴾

أى بإشراكه أو بعبادته، و«ما» نكرة موصوفة أو موصولة اسمية وليست مصدرية و«سلطاناً» أى حجة والإتيان بها للإشارة بأن المتبع فى باب التوحيد هو البرهان السماوى دون الآراء والأهواء الباطلة.. وذكر عدم إنزال الحجة مع استحالة تحققها من باب انتفاء المقيد لانتفاء قيده اللازم، أى: لا حجة حتى ينزلها، فهو على حد قوله فى وصف مفازة:

لا تفـــــزع الأرنب أهوالهــــــا

ولا ترى الضب بهـــا ينجحـــــر

إذ المراد: لا ضب بها حتى ينجحر. فالمراد نفيهما جميعاً[2].

فالآية الكريمة قد بشرت المؤمنين بأن الله - تعالى - سيلقى الرعب والفزع فى قلوب أعدائهم حتى لا يتجاسروا عليهم.

ومن مظاهر الرعب التى ألقاها الله - تعالى - فى قلوب المشركين أنهم بعد أن انتصروا على المسلمين فى غزوة أحد. كان فى قدرتهم أن يوغلوا فى مهاجمتهم وقتالهم إلا أن الرعب صدهم عن ذلك.

ولقد حاولوا وهم فى طريقهم إلى مكة أن يعودوا للقضاء على المسلمين إلا أن الخوف دخل قلوبهم وجعل أحد زعمائهم وهو صفوان بن أمية يقول لهم: «يا أهل مكة لا ترجعوا لقتال القوم، فإنى أرى أنه سيكون للقوم قتال غير الذى كان».

قال الفخر الرازى ما ملخصه قوله:

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾

اختلفوا فى أن هذا الوعد هل هو مختص بيوم واحد، أو هو عام فى جميع الأوقات؟

قال كثير من المفسرين: إنه مختص بهذا اليوم، وذلك لأن جميع الآيات المتقدمة إنما وردت فى هذه الواقعة.

(٢) تفسير الآلوسى ج٤ ص٨٨

ثم القائلون بهذا القول ذكروا فى كيفية إلقاء الرعب فى قلوب المشركين فى هذا اليوم وجهين:

< الأول: أن الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب فى قلوبهم، فتركوهم وفروا منهم من غير سبب..

< والثانى: أن الكفار لما ذهبوا إلى مكة فلما كانوا فى بعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا الأكثرين منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون. ارجعوا حتى نستأصلهم بالكلية. فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم.

والقول الثانى: أن هذا الوعد غير مختص بيوم أحد، بل هو عام، كأنه قيل: إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة فى يوم أحد، إلا أن الله - تعالى - سيلقى الرعب منكم بعد ذلك فى قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار، ويظهر دينكم على سائر الأديان.

وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل. ونظير هذه الآية قوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»[3].

ثم ختم - سبحانه - الآية ببيان سوء عاقبة هؤلاء الكافرين فقال:

﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾

والمأوى: اسم مكان من أوى يأوى. وهو المكان الذى يرجع إليه الشخص ويعود إليه.

والمثوى: اسم مكان - أيضاً - يقال: ثوى بالمكان وفيه يثوى ثواء وثويا وأثوى به، أى أطال الإقامة والنزول فيه.

والمعنى: أن هؤلاء الكافرين سيلقى الله - تعالى - الرعب والفزع فى قلوبهم حتى لا يتجاسروا على المؤمنين، هذا فى الدنيا، أما فى الآخرة، فالمكان الذى يأوون إليه ويستقرون فيه هو النار، لا مأوى لهم غيرها، وبئس هذه النار موضع إقامة دائمة لهم.

وقد أظهر - سبحانه - الاسم فى موضع الإضمار فلم يقل: وبئس النار مثواهم، بل قال:

﴿ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾

للإشارة إلى أن هذا المآل الأليم إنما هو جزاء عادل لهم بسبب ظلمهم إذ هم الذين ظلموا أنفسهم فأضلوها وصدوها عن الحق فكانت نهايتهم تلك النهاية المهينة

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٧)

وفى جعل هذه النار مثواهم بعد جعلها مأواهم إشارة إلى خلودهم فيها، فإن المثوى مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى فهو المكان الذى يأوى إليه الإنسان.

وقدم المأوى على المثوى لأن هذا هو الترتيب الوجودى فى الخارج، لأن الإنسان يأوى إلى المكان ثم يثوى فيه.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد نهت المؤمنين عن إطاعة الكافرين وبينت لهم النتائج الوخيمة التى تترتب على إطاعتهم ثم دعتهم إلى الاعتصام بدين الله وبشرتهم بسوء عاقبة أعدائهم فى الدنيا والآخرة.

(٣) تفسير الفخر الرازى ج٩ ص٣٢

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام البخاريّ فى صحيحه عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ، قال:

«إنّ الله -عزّ وجل- وكل بالرّحم ملكا يقول: يارب، نطفة، يارب، علقة، يارب، مضغة، فإذا أراد أن يقضى خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ شقىّ أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب فى بطن أمه».

اللغويات

يا رب نطفة: أى وقعت فى الرحم نطفة، أو خلقت -يارب- نطفة، وكذلك (علقة، ومضغة)، ومعلوم أنّ مدة النطفة أربعون يومًا، وكذلك العلقة والمضغة كما ورد فى حديث البخارى الذى رواه عن عبدالله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق - قال: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: أكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم يعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة».

الشرح والبيان

هذا الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارىّ يوضّح بجلاء أنّ الرزق كالأجل؛ محدود معلوم، لا يستطيع الإنسان أن يزيد منه أو ينقص، ولذلك تكفّل الله (سبحانه) بأرزاق العباد وهم أجنّة فى بطون أمهاتهم؛ لا يستطيعون حراكًا، ولا يملكون سعيًا؛ ليكون الإنسان غنيًا عن الحاجة إلى مخلوق مثله، وبالتالى لا يفتقر إلاّ إلى الله وحده، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

(فاطر - ١٥)

وقد أكد الله -عزّ وجل- ذلك بقوله (جلّ شأنه):

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

(هود: ٦)

ولقد ذكر الإمام الترمذىّ أن الأشعريين لما هاجروا وقدموا على رسول الله ﷺ، وقد أرملوا من الزاد -أرسلوا رجلا منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلمّا انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعه يقرأ هذه الآية، فقال الرجل: ما الأشعريّون بأهون الدوابّ على الله (عزّ وجلّ).

فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ، وقال لأصحابه: أبشروا أتاكم الغوث، ولا يظنون إلاّ أنه كلّم رسول الله ﷺ فوعده، فبينما هم كذلك أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزاً ولحماً، فأكلوا منها ما شاءوا، ثمّ قال بعضهم لبعض: لو أنّا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ؛ ليقضى به حاجته، فقالوا للرجلين: اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنا قد قضينا منه حاجتنا، ثمّ إنهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به. قال: ما أرسلت إليكم طعاماً! فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم، فسأله رسول الله ﷺ فأخبره ما صنع، وما قال لهم، فقال رسول الله ﷺ: (ذلك شىء رزقكموه الله)، وصدق رب العالمين:

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾

(الحجر: ٢١)

فالأشعريون سعوا طلباً للرزق، لأنّ مفاتيح خزائن الرزق السعي، ولم يتكلوا على أنّ الرزق مكفول ومضمون، وعلى كلّ حال فالإنسان منّا يأكل رزقه، ولا يمكنه بحال أن يأكل رزق غيره، وقد أنشد بعضهم:

لا تخضعن لمخلوق على طمع
فإن ذلك نقص منك فى الدين
لا يقدر العبد أن يعطيك خردلة
إلا بإذن الذى سوّاك من طين
فلا تصاحب غنيا تستعز به
وكن عفيفا وعظّم حرمة الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه
فإنّ رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الله

فالعجب كل العجب من هؤلاء الذين لا

يتقون في الرزاق (سبحانه)، فيطلبون الرزق استعجالاً بالطرق المحرمة، مع أن الله (سبحانه) تكفل لهم بالرزق، وأقسم لهم على ذلك! قال - تعالى -:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٢، ٢٣)

تأملوا كيف يقسم الحق - سبحانه - بذاته العلية على صدق هذا الوعد.

قال الأصمعي: أقبلت من جامع البصرة، فطلع أعرابي على قعود له. فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال: اتل عليّ. فتلوت:

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾

(الذاريات: ١)

فلما بلغت قوله - تعالى -:

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾

(الذاريات: ٢٢)

قال: حسبك! فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر؛ وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما، وولى!

فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق، فالتفت، فإذا أنا بالأعرابي قد انحل واصفر. فسلم عليّ، واستقرأ السورة. فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت:

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾

(الذاريات: ٢٣)

فصاح قائلاً: يا سبحان الله، من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟ لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين! قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه.

وقد روى أبو نعيم في الحلية عن جابر عن النبي ﷺ قال: «لو أن ابن آدم فرّ من الرزق كما يفر من الموت لأدركه الرزق كما يدركه الموت».

فمن حلّ به فقر، أو نزلت به حاجة، ولم يسأل أحداً، وشكا إلى الله وحده، وأخذ يعمل ويجتهد معتمداً على الله - سبحانه - تكفّل الله بزيادة رزقه، ووضع البركة في معاشه، روى أبو داود والترمذيّ عن عبد الله ابن مسعود (رضي الله عنه): عن النبيّ ﷺ قال: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالنّاس لم تسدّ فاقته» (أي: لم ينته فقره، ويزيده الله احتياجاً) ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله برزق عاجل أو آجل».

وقد نقل كعب الأحبار من التوراة هذا النصّ:

«يابن آدم لا تخافنّ من ذي سلطان مادام سلطاني باقياً، وسلطاني لا ينفد أبداً. يابن آدم لا تخش من ضيق الرزق ما دامت خزائني ملآنة، وخزائني لا تنفد أبداً، يابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك، فإن طلبتني وجدتني، وإن أنست بغيري فُتك، وفاتك الخير كله.. يابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وقسمت لك رزقك فلا تتعب، وفي أكثر منه فلا تطمع، ومن أقلّ منه لا تجزع، فإن أنت رضيت بما قسمته لك - أرحت نفسك وبدنك، وكنت عندي محبوباً، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرّ، ولا ينالك منها إلا ما قد قسمته لك، وكنت عندي مذموماً يابن آدم خلقت السماوات السبع، والأرضين السبع، ولم أعيَ بخلقهن، أيعييني رغيف أسوقه إليك من غير تعب. يابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محباً. يابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لم أطالبك بعمل غد، فإني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني؟! وأنا على كل شيء قدير، وبكلّ شيء محيط»..

هذا وقد قرأت أنّ الله أوحى إلى يوسف (عليه السلام): «انظر إلى الأرض فنظر إليها فانفجرت، فرأى دودة على صخرة ومعها الطعام، فقال: أتراني لم أغفل عنها، وأغفل عنك وأنت نبي وابن نبيّ؟!».

وصدق ربّ العالمين إذ يقول:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢، ٣)

لما قرأ النبيّ (ﷺ) هذه الآية قال: «يا أبا ذرّ، لو أنّ الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم»[1]، ولكنّ بعض الناس لجهلهم يحرمون أنفسهم من الرزق الحلال بما يصيبون من الحرام، قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيّئ له»[2]. وقد ورد أنّ علياً (رضي الله عنه) دخل المسجد، وقال لرجل كان واقفاً بباب المسجد: أمسك عليّ بغلتي، فأخذ الرجل لجامها ومضى، وترك البغلة، فخرج عليّ (رضي الله عنه) وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاماً، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين، فقال عليّ (رضي الله عنه): إنّ العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدّر له.

كما حكى أنّ معروفاً الكرخيّ: صلّى خلف إمام، فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف: من أين تأكل؟ قال معروف للإمام: اصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك، قال: ولم؟ قال: لأنّ من شكّ في رزقه شكّ في خالقه.

وحينما انعقد مؤتمر السكان، وأظهر المؤتمرون تخوفهم من الانفجار السكاني، وما سيسفر عنه من المجاعة المتوقعة، والخطر المحقق، عجب كلّ العجب العلماء العاملون، والمؤمنون الصادقون، وأخذوا يرددون قول الله - تبارك وتعالى -:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾

(فصلت: ٩، ١٠)

ولهذا لما ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم يشكو إليه قلة المال وكثرة العيال. قال له: «يا هذا، انظر في أولادك جميعاً فمن رأيت رزقه ليس على الله فأتني به أتكفل به».

وقد جاء في الحديث القدسيّ: «ما من عبد

(١) كشف الخفا ٢/ ١٩٨

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٣٢

نزلت به بليّة فاعتصم بى إلاّ أعطيته قبل أن يسألنى، واستجبت له قبل أن يدعونى، وما من عبد نزلت به بليّة فاعتصم بمخلوق دونى إلاّ أغلقت أبواب السماء عليه».

فعلى كل إنسان أن يقوم بأداء المهمّة التى من أجلها خلقه الله (عزّ وجل)، وهى عبادة الله، قال (جل شأنه):

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

(الذاريات ٥٦ : ٥٨)

إذ حين قرأها أحد السلف الصالح قال: «ما علىّ إلاّ أن أعبد الله كما أمر، وعليه أن يرزقنى كما وعد».

لهذا وذاك، ولغير هذا وذاك ينبغى أن يتوجه كلّ منا بحاجته إلى خالقه ومولاه، فهو ربنا ونحن عباده، ونحن محتاجون إليه فى كلّ وقت وحين، ومن اتصل بالله وصله الله، ومن رغب عنه فلن يضرّ الله شيئاً، ولذلك قال ﷺ فى وصيته لابن عباس (رضى الله عنهما): «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٢]. وقد كان الإمام أحمد بن حنبل (رضى الله عنه) يقول: «اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك صن لسانى عن المسألة لغيرك، فإنّه لا يقدر على كشف الضر، وجلب الخير سواك»، وذلك أنّ سؤال الناس ذل وخزى وعار، وذلك يتنافى مع عزّة المؤمن

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(المنافقون: ٨)

أمّا سؤال الله (عز وجل) فعزّ وشرف وفخار.

وأما ما يأتى الإنسان من غير سؤال ولا تطلع فلا بأس به إذا كان محتاجاً إليه، فإذا كان فى غنى عنه قبله شاكراً، وتصدّق به على الفقراء والمساكين، روى الإمام أحمد والطبرانى والبيهقى عن عابد بن عمرو (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال:

«من عرض له من هذا الرزق شىء من غير مسألة ولا إشراف نفس فليتوسّع به فى رزقه، فإن كان غنياً فليوجهه إلى من هو أحوج منه».

فينبغى على كلّ من يؤمن بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ﷺ) نبياً ورسولاً أن يحرص على الرزق الحلال الطيّب، ويجتنب الحرام الخبيث، وألاّ يطلب الرزق بمعصية الله (عزّ وجل) حتى وإن عضّه الفقر، وأذله الحرمان.. روى ابن ماجه والحاكم عن جابر (رضى الله عنه) قال: قال ﷺ:

«يا أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فإنّ نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حرّم».

وفى رواية: «فإن استبطأ أحد منكم رزقه، فلا يطلبه بمعصية الله، فإنّ الله لا ينال فضله بمعصيته».

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

---

(٢) الترمذى ص٥١٦.

الأعياد فى الإسلام

لفضيلة الشيخ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

ما من أمة أو شعب إلا وله أعياد وأيام يحتفى بها ويعبر فيها عن سعادته بذكرى من الذكريات الاجتماعية أو القومية. ولقد نجد أن الأعياد فى كثير من الأمم مجال خصب للهو المشين والعبث المريب فمظاهر البهجة والسرور مدعاة إلى الشراب وإلى الحفلات المجانة التى تذهب العقول وتعود بالإنسان إلى حيوانيته بعد أن سلب عقله الذى كرمه الله به على سائر المخلوقات. والإسلام وهو الدين الذى اختاره الله للإنسانية بأسرها والذى يحرص على خيرها وإسعادها أقر هذه الظاهرة ولكن ربطها بحادثين سعيدين يظهر فيهما المسلم طاعته لربه ويفرح فيهما بإتمام النعمة عليه هذان الحادثان هما فرحة الفطر بعد التوفيق بصيام شهر رمضان إيمانا واحتسابا بالأجر الذى خص الله به الصائمين. والحادث الآخر هو فرحة إتمام منسك الحج وفرحة العودة والرجوع من الحج مجردا من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ولهذا نرى أن الإسلام جعل للمسلمين عيدين هما عيد الفطر وعيد الأضحى وربط هذين العيدين بالتوفيق إلى إتمام شعيرتين دينيتين هما الصيام والحج ابتهاجا بهذه النعمة وإظهاراً للفرحة فكانا مثل الواحة التى يلجأ إليها الإنسان فى صحراء الحياة ينشد فيها الخلود إلى الراحة والظل الظليل.

والإسلام عندما شرع للمسلمين عيدى الفطر والأضحى أراد أن يوجد بموازينه العادلة، ومعاييره الدقيقة حدا فاصلا بين ما كانت عليه الأعياد قبل الإسلام حيث كانت الفرحة تصل بأصحابها إلى حد الخروج عن حد الاعتدال بل تصل إلى حالة من الفوضى الأخلاقية والاجتماعية، هذه الفوضى غير محددة الأطراف والمعالم لأن فيها التحرر من كل قيود الغيرة والشرف ويطلقون العنان لإلغاء العقل والانسياق إلى الغرائز الحيوانية.

فجاء الإسلام ليلقى على الأعياد قيماً إنسانية نورانية يبعدها عن هذا الانحلال والفجور ويحفظ على الإنسان المسلم عقله ودينه.

يروى أصحاب السنن عن أنس ـ رضى الله ـ عنه قدم النبى ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان؟ قالوا: كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال: «قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر»[1] ويروى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «دخل علىَّ النبى ﷺ فى يوم عيد وعندى جاريتان تغنيان فلم يقل شيئاً ولكنه اضطجع على الفراش وحول وجهه ثم دخل أبو بكر فانتهرنى وقال: أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله؟ فقال ﷺ: دعهما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»[2] ولكن يجب أن نعلم أن المقصود من الغناء ليس الذى يثير الغرائز من ألوان الغناء الماجن بل هو من قبيل اللهو المباح الذى أباحه الإسلام وحث عليه للترويح عن القلوب ولتجديد النشاط مثل حثه على ممارسة بعض الرياضات البدنية التى تكسب صاحبها القوة والعزيمة والمناعة ضد الأمراض فما أجدرنا أن نقتفى هذه المعايير وتلك الأسس فى احتفالاتنا بأعيادنا الدينية حتى تكون فيها البهجة والسرور والسعادة فى الدارين.

العيد فرصة للترابط الأسرى

والأعياد فى الإسلام: شرعت لتأصيل المبادىء الإسلامية التى جعلت الأمة كلها جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فهى أمة واحدة فى شعورها وفى مظاهر أعيادها التى تتسم بالود والمحبة حين يلاقى المسلم أخاه فى يوم العيد وكذلك الى أبعد من إظهار هذا الود والحب بمعنى أقوى من ذلك كله وهو نظام المشاركة المالية والمادية التى شرعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بين أعضاء هذه الأمة الإسلامية حيث فرض الله ـ سبحانه وتعالى ـ زكاة الفطر للتوسعة على الفقراء والمحتاجين، وشرع الأضحية فى عيد النحر لتغنيهم عن السؤال هذا اليوم، ولهذا فالواجب على كل مسلم أن يتعرف على سر التشريع الذى شرع بمقتضاه زكاة الفطر وطعام الأضاحى.

إنها وحدة الأمة والمساواة التامة بين جميع أفرادها التى أراد الإسلام أن يجعل الأمة الإسلامية كلها تعيش فى كنفها ويريد بذلك أن يخاطب المسلمين جميعا بأنه يجب ألا تطلع على المسلمين شمس يوم العيد وفى بيت من بيوت المسلمين جائع أو عريان ولا يوجد على أرض الإسلام سائل أو محروم ويجب أن تعم البهجة والحبور كل النفوس وترتسم الابتسامة على كل الوجوه حتى يصير إحساس الأمة كلها بعزة الإسلام وأن يمحى من سجلها ذل الحاجة والسؤال.

- والأعياد فى الإسلام: فرصة متجددة للصلح والصفح والعفو، فما أجدر المتخاصمين أن يتصافحا فى هذا اليوم ويتبادلا التهنئة بالعيد وتمحى آثار الخصام.
- والأعياد فى الإسلام: فرصة للترويح وتجديد الحياة فى إطار الحلال، كما أنها فرصة لتقوية الصلات الأسرية والاجتماعية وإن هذه الخلال الحميدة التى ترتسم على وجوه المسلمين فى هذا اليوم تباهى بها الأمم الأخرى بجمال هذا النظام الاجتماعى وطهارة احتفالاتها بالعيد من مظاهر الفسق والفجور.

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) صحيح ابن حبان.

المغزى الاجتماعى للأعياد فى الإسلام

- والعيد فى الإسلام: يوم تتجدد فيه المشاعر الإسلامية وفيه الترويح عن القلوب والأجساد حتى تجدد نشاطها وتدفعها إلى العمل الجاد المنتج النافع للفرد والجماعة.
- والأعياد فى الإسلام: انتصار على الشرور والآثام ونشر للفضيلة والخيرات وهى إشعار للأمة بأنها تملك قوة التغيير لما ران عليها من خمود واستكانة.
- إن العيد يكون عيدا يوم أن تتحد كلمة الأمة تجاه أعدائها فتستطيع أن تصد عن كيانها سهام الأعداء الذين يتربصون بأوطانهم وعقيدتهم ويسيئون إلى مقدساتهم دون رادع يردعهم.

إن الأعياد فى الإسلام: سوف تكون وسيلة لإدخال الفرح والسرور على المسلمين عندما نصل إلى زيادة الإنتاج وننتج من مصانعنا كل ما نحتاج إليه من ضروريات، وعندما نزرع كل ما نحتاج إليه لما يكفى احتياجاتنا من الطعام وسوف نفرح بأعيادنا ونشعر بقيمها الروحية والترويحية التى أباحها لنا ديننا الحنيف.

- والأعياد فى الإسلام: تكون أعيادا عندما نودعها ونستلهم من شهر رمضان وعما تعلمناه من مدرسة الصيام من الانتصار على نوازع النفس الإنسانية وما تنزع اليه من الشرور والآثام، والتحلى بالأخلاق الرمضانية التى تحث على المودة والإخاء وكبح جماح النفس البشرية التى تجنح بصاحبها إلى السوء، وذلك لأن «الصوم نصف الصبر، والطهور نصف الإيمان»[3] كما فى الحديث الشريف.
- الأعياد فى الإسلام: تدفعنا إلى ما تعلمناه فى مدرسة الصيام من الإخلاص فى العمل فإن الإخلاص الحقيقى يكون فى هذه الفريضة التى هى سر بين العبد وربه فهى، عبادة خالصة لله ـ تعالى ـ وإذا نقلنا هذا الإخلاص فى سائر أعمالنا لوصلنا إلى قمة النجاح، ووصلنا ذروة الفلاح فى حياتنا وفى مآلنا، وهذا الإخلاص يجب أن يكون شعارنا أيضا فى الأعمال كلها بعد رمضان، وذلك لأن الأعمال الصالحة التى تعودنا عليها خلال شهر الصيام من صيام وقيام وصلات أرحام وصدقات هذه الأعمال كلها وغيرها تحتاج إلى صيانة وصيانتها فى المداومة عليها ولهذا يجب ألا يكون آخر عهدنا بتلك الفضائل شهر رمضان وشهر الصيام، بل يجب أن يكون رمضان عدة لما بعد رمضان ويكون قد خرجنا من صيام هذا الشهر بتلك الفائدة المرجوة وقد أصبح فعل الخيرات سجية راسخة فى كل مسلم وكذلك البعد عن المنكرات والسيئات أصبح من شيمة الإنسان المسلم وأصبحت جوارح الإنسان كلها مسخرة فى طاعة الله -تعالى- وفى عبادته والتى منها العمل المفيد النافع الذى ينفع الفرد والمجتمع فى آن واحد، لأن الإسلام ليس مقصوراً على العبادة فقط بل الإسلام عبادة وعمل ينفع البشرية كلها ويفيدها فى حياتها، ولهذا فإن من الواجب على كل مسلم أن يراقب الله ويستمر بنفس الروح التى كان يعيش بها أيام وليالى شهر رمضان حتى نكون قد خرجنا من شهر رمضان ومن شهر الصيام بأعظم الفوائد وبأفضل النتائج التى حصلنا عليها من خلال معايشتنا لهذا الشهر الكريم.

(٣) سنن الترمذى.

خطبة الجمعة

عبرة العيد

للدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الله أكبر، تسعاً. الحمد لله - عز وجل - هو ولي الفضل والنعمة، ومصدر الخير والبركة:

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج: ١٢ - ١٦)

أشهد أن لا إله إلا الله، يدبر الأمر، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون. وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاهد فصبر، وأعطى فشكر، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، أتباعه وأحبابه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف: ٣٠)

إن يومَ العيد يومٌ ملحوظ في السنة، مذكورٌ على الألسنة، مجموع له الناس، يتلاقون فيه على فرحة وبهجة، ويتبادلون فيه تحية وتهنئة، ويحسون عنده كأنهم قد انتهوا إلى واحة خضراء مُمْرِعة، بعد أن قطعوا من الطريق شوطًا أو مرحلة، فهم يستريحون ويستجمون، ويملأون صدورهم بنسمة الاطمئنان ونفس الرضى، إذ هو يوم عيد، والعيد يوحي بالعودة، فهو يعود في كل عام، والثقة بالعودة أمر يجدد في النفس الأمل ويقوى فيها الرجاء. وهذه العودة المتكررة من العيد، بعد كل مرحلة من مراحل النضال في مجال العمل الديني المخلص، أو العمل الدنيوي الموفق، توحي إلى الإنسان بتكرار المعاودة والمحاولة، لتحقيق ما يؤمن به من أهداف ومبادئ في هذه الحياة؛ وكلما عاود الإنسان عملاً ونجح فيه، جاء إليه عيد يستريح عنده، ويستجم فيه ثم يعاود القيام بواجبه، والسعي في مسالك الحياة، للإنتاج والإثمار والنفع والانتفاع، وهكذا دواليك، عيد يقبل بالفرحة والبهجة، وعودة من الإنسان إلى عمل موفق، يعقبه عيد بهيج ويد الله من وراء المسلم المؤمن، تسدده وترشده، وتوفقه وتعينه، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

وهذه المعاودة في حياة الأفراد والجماعات هي التي تكون العادة، والعادة تقارب الطبيعة؛ ولذلك يقول الأول:

تعود صالح الأعمال، إني
رأيت المرء يألف ما استعادا

وإذا كانت الأعمال التي يأتيها الفرد والجماعة طيبة صالحة، وكان التكرار موصولاً دائماً، أدى ذلك إلى تكوين مجموعة من الفضائل يسمو بها الفرد، وتعز عن طريقها الجماعة، وهذه الفضائل التي تعمق جذورها في النفوس هي ما يسمي بالأخلاق الفاضلة، وبهذه الأخلاق تعتدل الحياة وتستقيم.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ
فإن هُمُ ذهبت أخلاقُهُم ذهبوا

وربما كان العمل الذى يكرره الإنسان ويحاول تعوده عملاً عسيراً شاقاً في أول أمره، ولكنه بالصبر عليه والتطلع إلى غده المأمول يسهل ويلين، وقد يرحب به صاحبه بعد ذلك ويهش له، والأمم قد يصيبها الذُّل في عصور ضعفها وانحلالها فتألفه بطول المدة، ثم تهيئ لها الأقدار أن تعرف العزة، وربما أحست بوطأة التبعات والتكاليف التي تقتضيها هذه العزة، ولكنها بعد أن تدرك سمو مذاقها وعظم آثرها ترحب بهذه التبعات والتكاليف، وربما تطلبت منها المزيد.

ولقد تعددت أقوال الناس في تحديد السعادة، ولكن هناك أفراداً ممتازين منهم يعدون غاية سعادتهم في أن يوفقهم ربهم للنهوض بما يجب عليهم أن ينهضوا به، فيتعبوا في ذلك ويعرقوا، ويستنفدوا غاية جهدهم، ولكنهم يبلغون هدفهم، ويحققون أملهم، ويقفون عند نهاية الشوط فائزين، وقد تصبب العرق منهم، فكان وساماً كريماً لهم، وحينئذ يحسون بنشوة الظفر ولذة الفوز وسعادة التوفيق لأداء الواجب،

وأمثال هؤلاء يلمحون الضوء خلال الظلمات، ويؤمنون بأن من وراء الشدة متعة ونعمة، وأن التعب هو الذى يجعل للراحة طعمًا ومذاقًا، وأن العُسر يتلوه اليُسر، فتكون له قيمة ومكانة، فهم يفرغون من واجب ليستقبلوا واجبًا، وهم ينتهون من مهمة ليستأنفوا القيام بمهمة، يعمر صدورهم الإيمان بالانتصار، وتتألق نفوسهم بعلو الهمة وشرف القصد ويقين الثقة بالله، وهذا قد يفسره قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

(الشرح: ٥ - ٨)

والعيد يذكرنا ـ في لفظه ومعناه ـ بالعائدة، والعائدة: هي المعروف والإحسان، تقول العرب: «عاد فلان بمعروفه، إذا أحسن ثم زاد»، ومن صفات الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه «المبدئ المعيد» أي: الذى يبدأ بالفضل ثم يعيده، ولعل تذكير العيد لنا بالعائدة وهي المعروف هو بعض الحكمة فى تشريع الإسلام لزكاة البدن فى عيد الفطر، حيث يعود المسلم القادر بهذا المقدار من الإحسان على إخوة له فى الله والوطن، لم تتيسر لهم أسباب السعة فى الرزق، أو الاستقرار فى الحياة، وهو أيضًا بعض الحكمة فى تشريع ذبح الأضحية فى العيد الأكبر، حيث يستطيع الفقير أن يتذوق اللحم الذى لا يستطيع أن يتذوقه فى أغلب أيامه.

وحينمايقبل علينا العيد يحسن بنا أن نلقاه ونفرح به وندرك مذاقه. ونهيىء لغيرنا أن يشاركنا فرحته، ولكننا بعد هذا يجب أن نعود إلى حسن المحاولة مع عمق الرجاء وقوة الأمل، وحينئذ يعود علينا العيد بمشيئة الله القوى القادر، ليرى أمة عاملة مكافحة تتعاون على البر والتقوى، ولا تتعاون على الإثم والعدوان؛ لأن الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه، ويتساوى أبناؤها فى مجال الحقوق والواجبات، كل يبذل طاقته، وكلٌّ يأخذ حقه وحاجته، وأساس التقدير والتقديم فيها هو الاستقامة فى مجال العمل، وتجنب الزلل والخطأ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

«ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح»[1].

ويرى أمة يشارك أبناؤها فى الخير والنعمة، ويتساندون فى البأساء والشدة؛ لأن «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا»[2]. ويرى أمة تتنزه عن الفتنة والفرقة وإشاعة الفاحشة وإثارة الشهوات، وتتمسك بالحق والجد ومكارم الأخلاق ومحامد الفعال، حتى تتحقق منها وفيها تلك الأمة الوسط الصالحة المصلحة التى يصفها القرآن بقوله:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

وحين يعود العيد والأمة الإسلامية على هذا الوصف يعمر صدورها بالإيمان، وتزدان دنياها بالعمل الصالح، وتتواصى بالخير، وتتناهى عن الإثم، يحق للأمة أن تفرح بعيدها كل الفرحة، وأن تبتهج به غاية البهجة، إذ ستكون الأمة الرابحة الناجحة:

﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(العصر: ١ - ٣)

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(يونس: ٥٨)

يا أتباع محمد ﷺ ...

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ يعود علينا بالآلاء والخيرات فيجب أن نعود إليه بالصالحات والقربات، وإن الزمان يعود علينا بالربيع الناضر فيجب أن نعود إلى الحياة بالأمل الباسم، وإن الأرض تعود علينا بالثمار والحصاد فيجب أن نعود إليها بالعناية والرعاية، وإن الحياة تعطينا فيجب أن نعطيها، وما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعًا إلى سواء السبيل:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة: ٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

(النحل: ١٢٨)

❊❊❊

(١) تخريج أحاديث الإحياء، ج١ ص ٨٦

(٢) صحيح البخارى ج٢ ص ٢٨٩

حُكم الصيام فى شهر شوال

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

> عن أبي أيوب عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال فذاك صيام الدهر» رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه، ورواه أحمد من حديث جابر.

إن الصوم عبادة من أسمى العبادات، وقربة إلى الله - تعالى - من أشرف القربات، ومن أداها على وجهها الصحيح، سمت بصاحبها إلى مراقي الفلاح، وتبوأ عند الله - تعالى - منزلاً كريماً، فبالصوم يصل العبد إلى تقوى الله - تعالى - كما قال - سبحانه -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]

أما إذا لم يصل الصيام إلى هذه الدرجة الرفيعة، والغاية السامية «التقوى» وكان الصيام مجرد كف عن المطعومات والمشروبات، وعن باقي المفطرات، فإنه عندئذ يكون قد افتقد عنصر «الإخلاص» وهو السر الكامن في طيات هذه العبادة العظيمة، ومثل هذا الصوم المجرد من الإخلاص لا يكفي، وليس لصاحبه منه إلا الجوع كما قال الرسول ﷺ «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» رواه النسائي وابن ماجه والحاكم.

ولا فرق في وجه التقرب بعبادة الصيام بين أن يكون فرضاً أو نفلاً، فكما أن لصيام رمضان منزلته العليا عند الله - تعالى -، كفريضة أودع الله - تعالى - فيها من السمو الروحي، والإشراق النفسي، والمثوبة البالغة، والغايات الرفيعة، فأيضاً أودع الله - تعالى - في بعض أيام أخرى ما يقارب هذه المنزلة، بل إنه لو ضم صوم تلك الأيام إلى صوم رمضان ارتقى بصاحبه إلى فضل عميم ومثوبة عند الله جزيلة، حيث يفيض الله عليه أجر من صام الدهر، يتضح ذلك مما يأتي:

● عن أبي أيوب عن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستاً من شوال فذاك صيام الدهر» رواه مسلم وأبوداود والترمذى وابن ماجه، ورواه أحمد من حديث جابر.

● وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» رواه ابن ماجه.

وقد ذهب العلماء في حكم صيام ستة أيام من شوال إلى فريقين:

● الأول: استدل بالأحاديث السابقة على استحباب صوم ستة أيام من شوال، وقد ذهب إلى ذلك الشافعي وأحمد وداود وغيرهم.

● الثاني: ما ذهب إليه أبوحنيفة ومالك، من أنه يكره صومها، واستدلا بأنه ربما ظن وجوبها وهو باطل.

واستدل مالك على الكراهة، بما قال في الموطأ من أنه ما رأى أحداً من أهل العلم يصومها، ولا يخفى أن الناس إذا تركوا العمل بسنة لم يكن تركهم دليلاً ترد به السنة.

وقد استحسن بعض الأئمة أن تصام الست متوالية عقب يوم الفطر، فإن فرق الأيام، أو أخر بعضها، أو كلها عن أوائل شوال إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة؛ لأنه يصدق أنه أتبعه ستاً من شوال.

ونحن نميل إلى الفريق الأول الذى يرى استحباب صوم ستة أيام من شوال؛ لأن أحب الأعمال إلى الله - تعالى - ما داوم عليه صاحبه، فلم ينقطع عن العبادة بل جعل العمل موصولاً، وبرهن على صدق إيمانه، وكمال إخلاصه، فأثمر صوم رمضان عنده غاية هي «التقوى» التي جعلته دائماً وبسرعة عقب رمضان، يصل حباله بربه سبحانه ـ وتعالى ـ يكون متبعاً للصوم في شوال. وهكذا تصنع الإشراقات الروحية صنعها، وتعمل عملها فتجعل صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان، فيستكثر من الطاعات. ويبقى الآن أن نعرف كيف يكون لمثل من صام كذلك أجر كأجر من صام السنة؟.

وللإجابة على هذا نقرأ قول الله - تعالى -:

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

فإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان، يعدل صيامه مع فضل الله ـ تعالى ـ الذى أفاءه على المخلصين، يعدل عشرة أشهر.

كما تعدل ـ كذلك ـ «السنة» شهرين، كما جاء فى بعض الأحاديث، وبهذا تتضح لنا المعادلة الإلهية التى تنتج فى ميزان الفضل الإلهى، مضاعفة المثوبة والأجر. والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

ولكن هل من صام شهر رمضان وستة أيام من شوال يعدل فى الأجر والمثوبة من صام معظم السنة أو صام أياما من غير رمضان أكثر من ذلك؟

إن الناظر إلى لفظ حديث أبى أيوب يجد أن الرسول ﷺ قال: «فذاك صيام الدهر» أى أنه يشبهه، فيما لو صام إنسان الدهر دون مضاعفة الأجر فإنه يحسب له يوم صومه يوماً واحداً أما مع مضاعفة الأجر، فيحسب كل يوم عشرة أيام، والله ذو الفضل العظيم.

كما أن الرسول ﷺ بعث بالحنيفية السمحة، التى لا مشقة فيها ولا حرج:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]

فهو يفتح باب القبول والأمل أمام أولئك الذين أحبوا عبادة الله، وأحبوا المزيد منها وتمنوا لو عاشوا دهرهم صائمين قائمين، فيلفت أنظارهم إلى أن ربهم كريم، ذو فضل عظيم، يضاعف الثواب، حتى يصل إلى ما تتشوف إليه عيونهم، وتهفو نفوسهم، فيعطيهم ثواب الدهر بصيام شهر وستة أيام ولا يكلفهم من الطاعة ما يشق عليهم أداؤه.

قال الله تعالى:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾

[الحج: ٧٨]

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقنا إلى أداء فرائضه ونوافله والمحافظة على كل شعائر الإسلام. وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

❋❋❋

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

مع الرسول ﷺ في حجة الوداع

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى

ألف الناس أن يكتبوا عن الحج أركاناً وواجبات وسنناً، ما أن انتهيت من كتابة هذه الكلمات تحت هذا العنوان حتى هب صاحبى معلقاً معترضاً قائلاً: وماذا ستكتب أنت غير الأركان والواجبات والسنن؟ هل من جديد؟ أم أن ذلك لمجرد المخالفة؟!

● قلت: لا جديد ولا مخالفة أبتغيها. لكنى أرجو أن يكون تناولا حسناً يجعل الحاج يستشعر روحانية النسك، ويتذوق حلاوة الخطو بين المشاعر المقدسة، وصدق الله حيث يقول:

﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

[الحج: ٣٧]

وهذا ما أريده وأقصده ونحن واجدون فى تتبع خطوات رسول الله ﷺ وفعله ما يروى غليلنا، ويشفى ظمأنا، ويجعلنا نحس حلاوة الخطى، وهيبة المشاعر والنسك.

●● قاطعنى صاحبى ـ كأنه يريد أن يفسد على هذه المتعة ـ قائلا: إن كثيراً من الناس لا يذهبون إلى الحج بهذه المشاعر والأحاسيس التى تتحدث عنها إنما يذهبون لأهداف أخرى.

● قلت: لا علينا من ذلك إنما الذى يعنينا أن نبين السبل لمن يريد الحج المبرور الخالص لوجه الله - تعالى - ولعله لا يخفى عليك ولا على كل مسلم قوله ﷺ: «تابعوا بين

الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد»(1).

●● عاجلني صاحبي بلا تريث: هل من ينظم رحلات الحج والعمرة يأخذ هذا الثواب، مع أنها تجارة بالنسبة له؟! أم أن ذلك الثواب لمن حج واعتمر لوجه الله - تعالى - دون سبب آخر؟

● قرأت على صاحبي قول الله - تعالى -:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾

[الحج: 27 - 28]

وقلت: ألم تقرأ هذه الآية؟ فلماذا تضيق واسعًا يا أخا العرب؟! ثم قلت لصاحبي - تاركًا تحفظه وحيطته وإن شئت قلت: ضنه وبخله بفضل الله تعالى على الناس - وتذكرت قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ﴾

[الإسراء: 100]

ثم قلت: لماذا لا نحسن الظن بالناس ونقول إنهم ييسرون الحج للناس؟.

ثم قلت: أنا لا أحب أن أفتش في قلوب الناس، أو أن أتلصص على عباد الله، ولا أن أختلس إليهم نظرة وهم في غفلة يتسامرون أو يجدون!!

أحسب أن ذلك هو منهج الله - سبحانه وتعالى - القويم لأن اختلاس النظر إلى غافل عنك خيانة، والله - سبحانه وتعالى - سمى هذه العين المختلسة المتلصصة «خائنة» حيث يقول:

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

[غافر: 19]

وكذلك تأمر سنة نبيه ﷺ بهذا الخلق الكريم السمح حيث يقول: (أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)(2).

●● قال صاحبي - في ضجر وملل -: لماذا خرجت عن موضوعك هل ضل منك هدفك؟

● قلت: لا، لكني أحب أن نعمل كل أعمالنا بقلوب صافية خالصة، وخصوصًا في ذهابنا إلى الحج. فعلينا بسلامة الصدور، وسخاوة النفوس، والنصح للمسلمين، وهذا مطلوب في كل عمل وفي الحج أولى وأحرى، ويرشدنا إلى هذا السلوك النقي ما رواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول: (أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا إذا ساروا خلفه ﷺ لا بأس عليهم أن يمزحوا، ثم قال: لأنهم (أمنوا التفاته) والذي أفهمه من هذه العبارة أنهم لما اطمأنوا إلى خلق النبي ﷺ الرفيع وأنه لن يختلس

(1) سنن ابن ماجة ج2/ 964 برقم «2887».

(2) صحيح البخاري: كتاب المغازي.

إليهم نظرة فكانوا يمزحون ويتسامرون وهم آمنون لا يخافون التفاته فهذا منهج قويم ثابت في شريعة الإسلام فليس لك يا صاحبي أن تحاسب الناس على السرائر وتشغل بالك بالتفتيش عن نواياهم، إنما ذلك الأمر لله، وعليك أن تحكم بظاهر ما يعملون، فما داموا يتابعون بين الحج والعمرة فلهم عندنا هذا الفهم الفطري السليم، والله يتولى ما خفي واستتر، هو يحاسبهم ويجازيهم به أو عليه، وليس من شأننا أن نحاسب الناس ولا نحن رقباء عليهم وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأرجوك ألا تخلط بين الأمور.

●● قاطعني صاحبي - في عجلة - قبل أن أكمل قائلاً: أليست هذه سذاجة ألفها المسلمون واستراحوا إليها؟ ولعلها أمور أوردتهم موارد التهلكة.

● قلت على الفور: ليست كذلك إنما هو خلق كريم عفيف دثاره حسن الظن، وشعاره الأمانة، وذلك ما يجب وما ينبغي أن يعم ويشيع بين المسلمين، إلى أن تظهر بوادر الخداع والتزييف، ودعني أحكي لك موقفاً لسيدنا عمر بن الخطاب مع النبي ﷺ فقد دخل أحد المنافقين على النبي ﷺ وكان قد توعده النبي بالقتل وأهدر دمه لفعله المشين. لكن الصحابة لما رأوه يكلم النبي أحجموا عنه ولم يطرأ على فكرهم أن النبي ﷺ يريد قتله وبعد أن خرج المنافق آمنا قال النبي ﷺ لأصحابه: «هلا قتلتموه»!! فقال سيدنا عمر - كأنه يتعجب من موقف النبي ﷺ لما رآه يكلم الرجل في أمان - هلا أومأت - يعني أشرت - لنا بعينك ونظرت لنا بعينك - حتى نقتله، فقال النبي ﷺ معلمًا ومرشدًا وواضعًا أسس الأمانة للناس - قال: «ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين»(3).

وثمة مقولة أخرى لسيدنا عمر بن الخطاب يبين لنا فيها ما يرد على قولك بأن هذه سذاجة - معلمًا ومرشدًا - أن ثمة فرقًا شاسعًا بين السذاجة الغافلة وبين أمن المؤمن وأمانته، وبين الحذر المطلوب واليقظة الواعية، قال: (لست بالخب ولا يخدعني الخب)(4) أي لست بالمخادع الماكر ولا يخدعني الماكر الخبيث.

●قلت لصاحبي: لقد أطلت في هذا الموضوع رجاء ألا تشغل قلبك وتفسك وتفتش في قلوب الآخرين وتبحث عن نياتهم، وما يخفون أو يضمرون، لكن أشغل نفسك بأن تطهر قلبك وتخليه من كل ما يلهيك عن الله - سبحانه وتعالى - وهيا بنا إلى حج رسول الله ﷺ وعلينا برفق أن نتأمل كلمات النبي ﷺ وفعله، ونتعامل معها - تعامل الصائغ مع الذهب بحرص شديد، كما يتعامل البستاني الماهر مع الورود النضرة، كلاهما أحسب أن أنامله رقيقة من حرير، وأن وعيه وفهمه لما يصوغه ويجمعه فطن رشيد.

(3) مشكلة الآثار ج6/ 469.

(4) سنن أبو داود.

لقد فرض الحج في السنة السادسة من الهجرة، وفي السنة التاسعة بعث النبي ﷺ سيدنا أبا بكر أميراً على الحج لكنه ﷺ لم يحج إلا في السنة العاشرة، هل سألت نفسك لماذا أخر النبي ﷺ حجه؟ سوف يقول الفقهاء - رضي الله عنهم - حتى يفهم الناس أن الحج على التراخي - لكنني أقول لك: ليس ذلك فقط؛ لأن التراخي وعدم اشتراط الفورية في أداء الحج يستفاد من أدلة أخرى، لكن دعني أقول لك: إننا نتعامل مع نبي مرسل من عند الله، فعلينا أن نتأمل الكلمات التي خرجت من فيه الطاهر الذي أقسم للسيدة عائشة لما رأته ذات مرة كأنه غضبان فأقسم لها أنه لا يخرج من فيه إلا حقاً، لقد تناولنا خطبة الوداع مأخوذين مبهورين بما يسمى حقوق الإنسان كما زعمه الغرب ونادى به - ظلما وبهتانا - طالما أن ذلك ستار يخفي أطماعه، ونسينا التأمل الواعي والفهم الهادئ لكلمات النبي ﷺ بلا اندفاع أو هرولة خلف الغرب المشئوم، لقد قال الحبيب ﷺ «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض»[٥] أتدري معنى هذه الكلمات؟ إن المشركين كانوا يتعاملون بالنسيئة أي: يغيرون ويبدلون في الشهور، وكلما سنحت لهم الفرصة أغاروا على قبائل ضعيفة وقت الشهر الحرام وأمن الناس غيروا الشهور وتبدلت الأيام وتغيرت الشهور، فكان الحج منقولاً عن وقته، وروى أنهم كانوا ينقلون الشهور على حساب السنة الشمسية؛ ففي السنة العاشرة عاد الزمان كيوم خلق الله السماوات والأرض فعاد يوم عرفة هو يوم عرفة، ولذلك قال المصطفى قولته الشهيرة: «إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض» وهذا لا يمكن أن يضاف وينسب إلى فطنة رجل ولا إلى حساب ماهر، إنما هي النبوة كما قال سيدنا العباس يوم فتح مكة لسيدنا أبي سفيان لما زعم فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال العباس - رضي الله عنه -: (إنها النبوة) فهي هي النبوة التي انطلقت بهذه الكلمات، والتي أوحى الله - سبحانه وتعالى - بها لرسوله ﷺ لأن هذه الكلمة لا يقولها إلا من عنده علم من الله - سبحانه وتعالى -، ومن هو خارج أو فوق المجموعة الشمسية ينظر إليها من علياته يتأمل ويرى عودتها واستقامتها إلى ما كانت عليه، لذلك أحسب أن هذا هو الهدف الذي من أجله حج النبي ﷺ في السنة العاشرة والتي كانت هي حجته الوحيدة والتي سميت في التاريخ بحجة الوداع؛ لأنه ودع الناس في ذلك اليوم فقال: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)[٦]

●● قال صاحبي - وقد اطمأن فؤاده واستراح قلبه إلى ما قلت: جزاك الله خيراً لقد هديتني إلى شيئين.

- الأول: السبب الحقيقي لتأخير النبي ﷺ حجه، وذلك لأن الأيام لم تكن هي الأيام، ولا يوم عرفة هو يوم عرفة نتيجة النسيء الذي كان يفعله العرب والذي قال عنه الله - سبحانه وتعالى -:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

[التوبة: ٣٧]

- الأمر الثاني: هذا الوعي الرشيد والتعامل الهادئ والفهم المستقيم لكلمات النبي ﷺ وعدم التسرع وراء كل أمر مبتدع براق، نحاول أن نجد له من النصوص ما نزعم أنه يوافقه دون تريث أو وعي ليوافق التجديد والحداثة.

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعه

أقول هذا التأمل في كل كلمة قالها النبي ﷺ تفيدنا في ديننا ودنيانا.

أما التسرع والهرولة تجعلنا نتخطى كلام النبوة نرقع به كلام الناس بلا جدوى، فجزاك الله خيراً بهذا الفهم الرشيد والبيان السهل الواضح ولقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئة خلق الله السماوات والأرض» مع بيان أن النبي حج في هذه السنة بالذات ولم يحج قبلها

● ثم قال صاحبي بلطف حسن: لم تحدثني عن حج النبي ﷺ كما قلت في عنوان مقالك؟!

● قلت لصاحبي: أترك هذا إلى لقائنا القادم، ولعلي أكون قد حفزت قلبك على أن يخلو من الانشغال بالآخرين والتفتيش عن نواياهم، وأيضا لعلي أكون قد أخذت بيدك إلى فهم مستقيم رشيد إلى سنة رسول الله ﷺ قولاً: فيما ذكرت لك، وفعلا: فيما وصفته من تعامله مع صحابته وأمنهم حين يمشون معه، وتصديقهم لكل ما يخرج من فمه الطاهر من كلام شريف فقد سمعت ما قاله للسيدة عائشة لما تبادر إلى ذهنها أنه ربما قال في غضبه ما لا يوافق ربه فقال ما سمعته: (والله يا عائشة ما يخرج من فمي إلا حقاً)[٧] فجعلها تقول له ذات مرة لما رأت من تأييد الله له فيما يحب ويرضى؛ لأنه رباني خلقه الله نبياً، وصوره رسولاً، وهو في الأرحام فقالت: (وكان الله تبع هواك)

وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

(٥) صحيح البخاري ج٦/ ٨٣.

(٦) إتحاف السادة المتقين ج١٠/ ٢٥١.

(٧) سنن ابن ماجة ج٢/ ١١٦٣.

حسن الخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزي الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

حسن الخلق من الصفات الكريمة التي ترفع منزلة وقدر أصحابها في الدنيا والآخرة، وتقرب أصحابها من رسول الله ﷺ يوم القيامة، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون؟ قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»(١).

وكان رسول الله ﷺ مثالاً وقدوة في حسن الخلق، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته؟، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق النبي ﷺ»(٢).

ولقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على التحلي بحسن الخلق والتمسك به وذلك بصيغة الأمر، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني، فقال: «اتق الله حيثما كنت» قال: زدني، قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، قال: زدني قال: «خالق الناس بخلق حسن»(٣).

(١) الترمذي.
(٢) البخاري - الفتح ٦، ومسلم والترمذي.
(٣) الترمذي.

وجعله -عليه الصلاة والسلام- من الأعمال التي يجازى عنها صاحب الخلق الحسن بأفضل الحسنات وأرفع الدرجات، فعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»(٤)، وقال ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق».

وقد أفاض كثير من أهل الصلاح والتقوى في تعريف حسن الخلق وبيانه، فقال أحدهم: حسن الخلق قسمان:

● أحدهما: مع الله - عز وجل - وهو أن تعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذرا، وأن كل ما يأتي من الله يوجب شكرا، فلا تزال شاكرا له، معتذرا إليه، سائرا إليه بين مطالعة منته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

● والثاني: حسن الخلق مع الناس، وجماعه أمران: بذل المعروف قولا وفعلا، وكف الأذى قولا وفعلا، وهذا إنما يقوم على أركان خمسة: العلم، والجود، والصبر، وطيب العود، وصحة الإسلام.

١- أما العلم: فلأنه يعرف معالي الأخلاق وسفاسفها، فيمكنه أن يتصف بهذا ويتحلى به ويترك هذا ويتخلى عنه.

٢- وأما الجود: فسماحة نفسه وبذلها وانقيادها لذلك، إذا أراده منها.

٣- وأما الصبر: فلأنه إن لم يصبر على احتمال ذلك والقيام بأعبائه لم يتهيأ له.

٤- وأما طيب العود: فأنْ يكون الله - تعالى - خلقه على طبيعة منقادة سهلة الانقياد وسريعة الاستجابة لداعي الخيرات.

٥- وأما صحة الإسلام: فهي جماع ذلك، والمصحح لكل خلق حسن، فإنه بحسب قوة إيمانه وتصديقه بالجزاء، وحسن موعود الله وثوابه، يسهل عليه تحمل ذلك ويلذ له الاتصاف به والله الموفق المعين.

وقال سيدنا علي - رضي الله عنه: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال.

وقال ابن القيم - رحمه الله: جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

وقال الماوردي - رحمه الله - إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب.

ويدرك المرء بحسن خلقه درجة الصائم القائم، فعن عائشة - رضي الله عنها -

(٤) الترمذي.

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٥].

وحسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[٦].

وحسن الخلق يمنع الغضب والانفعال، ويعطي صاحبه قوة تحمل تصرفات الحمقى والجاهلين، ويكسب صاحبه السكينة والوقار، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحُر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شبابا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله - تعالى - قال لنبيه ﷺ:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - في بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخُلق: الخلق[٧] والخُلق عبارتان مستعملتان معا، يقال: فلان حسن الخلق والخُلق، أي: حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلق الصورة الباطنة، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة.

فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قال الله - تعالى:

﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾

(ص: ٧١، ٧٢)

فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد، فالخُلق عبارة

(٥) أبو داود.
(٦) الترمذي.
(٨) كتاب «إحياء علوم الدين» ج ٣ ص ٨٦».

عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خُلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء، مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم.

فههنا أربعة أمور: أحدها: فعل الجميل والقبيح، والثاني: القدرة عليهما، والثالث المعرفة بهما، والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين، ويتيسر عليها أحد الأمرين: إما الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل: إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل: إما لباعث أو لرياء.

وليس هو عبارة عن القوة، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء، بل إلى الضدين واحد. وكل إنسان خلق بالفطرة قادر علي الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء.

وليس هو عبارة عن المعرفة، فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد.

بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن تصدر منها الإمساك أو البذل.

فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد. بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث.

● أما قوة العلم: فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله فيها:

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(البقرة: ٢٦٩)

● وأما قوة الغضب: فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة.

وكذلك قوة الشهوة: حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة العقل والشرع.

● وأما قوة العدل: فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة الحكمة، أعني إشارة العقل والشرع.

فالعقل مثاله مثال الناصح المشير. وقوة العدل هي القدرة، ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل. والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة، ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يُركب في طلب الصيد، فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا، وتارة يكون جموحا، فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا، ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض، وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة..

فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا، وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا، وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها، وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا.

والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان، والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان، بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى إفراطها في الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة «شطارة» ويسمى تفريطها بلها «ضعف العقل»، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة.

فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل.

● ونعني بالحكمة: حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية.

● ونعني بالعدل: حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة، وتحملها على مقتضى الحكمة، وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها.

● ونعني بالشجاعة: كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها.

● ونعني بالعفة: تأدب قوة الشهوة بتأدب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها.

إذ من اعتدال قوة العقل: يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس.

ومن إفراطها: تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء.

ومن تفريطها: يصدر البله والغمارة والحمق والجنون، وأعني بالغمارة: قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل، فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء، والفرق بين الحمق والجنون: أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد، فلا تكون له رؤية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض..

● وأما المجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا.

وأما خلق الشجاعة: فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة.

وأما إفراطها وهو التهور: فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب.

وأما تفريطها: فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

● وأما خلق العفة: فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع.

وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط: فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

فأمهات محاسن هذه الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة والعدل، والباقي فروع لها.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه. فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله ـ تعالى ـ بقدر قربه من رسول الله ﷺ وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال.. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يبعد، كما أن الأول قريب من الملك المقرب، فينبغي أن يقتدى به ويتقرب إليه، فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ترجمة القرآن

إلى سلوك وإيمان

٢

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

إشارات عملية فى القرآن

وليس من شك فى أن أول البشر سبقاً إلى ترجمة القرآن الكريم إلى إيمان صادق بالجوانح وعمل صالح بالجوارح هو الحبيب المختار المصطفى ﷺ، ذلك لأن الله -سبحانه- فيما نعى ونتأمل- قد أمر نبيه بذلك فى مثل قوله عز وجل:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

«الحجر ٩٤»

وهكذا أمر ﷺ من قبل الحق -سبحانه- باتباع الصراط المستقيم علماً وعملاً، بينما كان المشركون يتبعون الهوى ليضلوا ويُضلوا عن سبيل الهدى، فهم يتخذون هواهم الذاتى إلهاً مقدساً فينكفئون على أنفسهم، ويتمحورون حول ذواتهم، لا يكادون يبرحون هذه الدائرة الضالة والمُضلة التى صنعوها بأنفسهم لأنفسهم لا ترى أبصارهم العمياء غيرها، ولا تعي بصائرهم الحمقاء سواها فزاغت البصائر وشاهت الوجوه.

كما أن كلمة «اقرأ» وهى أولى آيات القرآن الكريم لم تكن إلا أمراً «عملياً» بالقراءة، وليست مجرد توجيه نظرى أو مجرد إشارة إلى العلم كما يقول البعض كلما أرادوا إبراز العلاقة بين القرآن والعلم، وبادروا إلى استنتاج أن القرآن الكريم سباق إلى العلم قبل علماء البشر بدليل أنه بدأ بالدعوة إلى القراءة.

ولعمرك إن الأمر لأرفع من ذلك وأعمق، فإن البداهة النقية تقول إن علم «الذى خلق» هو أسبق على الإطلاق من علم المخلوق، كما أنه لا ينبغى أن يكون المخلوق والخالق- وحاشا لله- طرفى سباق أو موضع سباق مثلما يحلو للبعض أن يعبر عن امتنانه مثلاً لصاحبه هاتفاً «إن الفضل لله.. ثم لك» ظناً منه أن هذا «العطف على التراخى» يبرئه من الحرج أمام الحق -سبحانه- وهو أمر لا يرفضه الإيمان المطلق فقط أو يأباه العقل القويم فحسب، بل يمجه الذوق السليم على أقل تقدير.

وعلينا أن نتأمل أول سورة العلق لنستشعر كيف يؤكد الحق -سبحانه- معنى العمل فى قوله سبحانه:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾

(العلق: ١)

فى كلمة «خلق» ثم يتجلى سبحانه فى بيانه المعجز ليؤكد المعنى العملى فى الخلق وهو أن هذا الخلق «من علق».. كما أننا فى تدبرنا للآيات نرى الجانب «العملى» مؤكداً فى قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾

(العلق: ٤)

ثم يحث سبحانه الإنسان على السعى «العملى» فى الأرض فيقول -عز وجل-:

﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾

(العلق: ٥)

أى أن الله سبحانه قد خلق الإنسان مهيأ للعمل، معداً لاكتشاف الكون، واكتناه الخليقة ليكون بحق خليفة الله فى الأرض كما أراد الله له، يحفظها من الفساد، ويحميها من الكساد، وينطقها من صمت، ويبعثها من خمود، ويحركها من ركود، وذلك بالعمل المتواصل الدءوب، وليس بالتثاؤب والتكاسل النؤوم لأن الأمر كله واقع تحت رقابة حى قيوم:

﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾

«البقرة ٢٥٥»

ونحن إذا كُلفنا بالتحليل اللفظى لكلمة «اقرأ» نجدها مرتبطة بكلمة «الاستقراء» التى تعنى فحص الجزئيات بالتجربة للتوصل إلى الكليات أى القوانين العلمية أو السنن الكونية التى تندرج تحتها هذه الجزئيات.

ومن هنا يتبين لنا أنه إذا كان لابد من التأمل و«النظر» فإنه الدافع إلى العمل أو كما يقول المعاصرون «الفكر» الذى يقود إلى «التطبيق».

الحث على العلم والحض على العمل

وهكذا نعى أن القرآن الكريم قد نبه الإنسان منذ بداية نزوله من لدن الحكيم العليم أن هناك علماً وعملاً لا يفترقان، أو أن هناك نظراً وتطبيقاً لا يبتعدان، فإذا كانت «اقرأ» أولى كلمات القرآن تحض على العلم فإنها بنفس القدر تحث على العمل.

وهكذا أضاء القرآن الكريم بين العالمين أنوار الهداية العملية والقيم السلوكية والأفكار التطبيقية، ولا غرو فإنه جاء من لدن صانع هذه الآلة الكونية متضمناً أسلوب «تشغيلها»، وطريقة «صيانتها»، وأسباب «عطبها»، ودواء «علاجها»، ولا أحد سواه -سبحانه- قادر على تنزيل مثل هذا البيان المحكم الذى عبر عنه هذا القرن الحكيم.

ومن هنا كان النبي ﷺ هو أول من تلقاه وهو أول من ترجمه إلى إيمان كامل وسلوك عامل.

ثم كان من فضل الله -عز وجل- ونعمته ورحمته على البشرية أن قيض لهذا الدور الإيماني الواعي الملتزم بالقرآن عقولاً تعيه، وقلوباً تؤمن به، وجوارح تترجم هذا الوعى والإيمان إلى أفعال معبرة، وأعمال مفسرة.

كيف تعامل السلف مع القرآن

وقد تمثل هذا فى السلف الأول الذين أحاطوا بصاحب الدعوة ﷺ وأخذوا عنه، واقتدوا به وساروا على نهجه الأقوم، وأسلوبه الأعظم، فنهلوا -رضوان الله عليهم أجمعين- من رائدهم الذى لا يكذب أهله ﷺ وتعلموا منه كيف تترجم الآيات المحكمة إلى سلوك حكيم، حتى إن الواحد منهم كان لا يحفظ آية نزل بها الوحى الأمين إلا إذا عمل أولاً بما سبقها من الآيات إيماناً منهم بأن الآية القرآنية التى يحفظها المسلم هى بمثابة عقد بينه وبين خالقه -جل وعلا- فهى مسئولية ربانية جسيمة فوق كاهل العبد المؤمن، فلابد أولاً أن يترجمها إلى عمل يبر به نفسه، وينفع به قومه، ويتقى به الله.

والحجة علينا وليست لنا إذا لم نتشبه بأسلافنا هؤلاء من المؤمنين العاملين الذين قدموا إلينا عبر الزمان هذا الدين الحق على «طبق من فضة» كما يقال بعد أن جاهدوا فى الله حق جهاده، فهل رعيناه حق رعايته أم كان مثلنا كمثل الوريث الأحمق السفيه الذى لا يدرك قيمة ميراثه ومدى ما تحمله مورثه من جهد وعرق لحفظ هذا الميراث حتى ينتفع به أبناؤه وأحفاده اللاحقون؟!!

نقول إنه لا حجة لنا إذا لم نتشبه بأسلافنا من الأبرار ونسلك مسلكهم وننهج نهجهم مع القرآن الكريم قولاً مبيناً وعملاً مكيناً، وليس يكفى أن نتذكرهم فنذكرهم بالحكايا المأثورة والمواقف المشهورة بما لا يثير همة ولا يوقظ أمة.

التأسى سلسلة متصلة

لقد كان أولئك الصالحون يتحدث بعضهم عن بعض ليزداد علمه ويتضاعف عمله، لأن التأسي عندهم برسول الله ﷺ سلسلة متواصلة جيلاً بعد جيل دون فتور أو انقطاع، ولأن شعارهم التطبيقى فى التعامل مع كتاب الله كان دائماً:

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

«المطففين ٢٦»

إن الله -سبحانه- عندما أرسل إلى البشر أنبياء من البشر كان هؤلاء الأنبياء حجة على أقوامهم لاشتراكهم جميعاً فى البشرية، فكيف «بالأتباع» الذين يتغافلون عن تمثل بعضهم ببعض رغم اتفاقهم جميعاً فى «التبعية» إن هذا لشىء عجاب!!

لقد برهن هؤلاء الأسلاف الرواد المؤمنون على أن دينهم الخاتم الحنيف ليس دين طقوس وتقليد، وأن قرآنهم ليس كتاب ترديد، بل إن الإسلام هو دين طقوس ناطقة بالأفعال الإيجابية وأن القرآن هو كتاب تلاوة ينطق بالأعمال البناءة.

فالمسلم الحق لا يتقوقع فى صومعة منعزلة عن خلق الله وحركة الجماعة، ولكنه يمشى فى مناكب الأرض المزدحمة بالحياة، والصاخبة بضجيج البشر، ليؤدى دوره القرآنى فى خدمة هذه الحياة والارتقاء بها، أليس هو المخلوق الذى قال عنه خالقه -عز وجل:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

«البقرة ٣٠»

وليس من شك فى أن هذا هو المعيار الذى يميز الخبيث من الطيب حيث يكشف السعى العملى فى الأرض عن الفرق بين المعدن البشرى المؤمن القوى وبين المعدن البشرى الهش الضعيف أمام الصروف والأحداث والابتلاءات.

كما أن هذا يميز بين الإنسان الذى يوظف ملكاته التى خلقها الله له من قدرة على التفكير وقوة على العمل، وبين غيره من أشباه العجماوات والببغاوات.. هداهم الله.

❁❁❁

الإنسان ونعمة الخلق والبيان

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة، سابقا

يمتن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده بنعمة خلق النوع الإنسانى وجعله على أعلى درجة من الجمال والكمال، ومكنه من بيان ما فى نفسه بالنطق الفصيح، ومن فهم بيان غيره، فتميز بهذا البيان عن الحيوان الأعجم، واستعد لتلقى العلوم وحمل أمانة الاستخلاف فى الأرض كما أرادها الحق جل وعلا.

أما معجزة خلق الإنسان فقد أشار إليها القرآن الكريم فى مواضع عدة، منها قوله - تعالى - :

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (سورة النجم: ٣٢)

وهو خطاب موجه إلى البشرية جمعاء، مما يؤكد على أن الناس كانوا جميعا فى صلب أبيهم آدم ـ عليه السلام ـ لحظة خلقه، فالإنشاء من الأرض يشمل آدم أبا البشرية وذريته جميعا فى صلبه لحظة خلقه، وينسحب كذلك على كل فرد من نسله إلى يوم الدين. وذلك لأسباب كثيرة، منها: أن «شفرته» الوراثية ـ بلغة العلم الحديث ـ مستمدة من «شفرة» أبيه آدم ـ عليه السلام ـ وهو مخلوق أصلا من تراب الأرض. ومنها أيضا: أن خليتى النطفة المخصبة «نطفة الأمشاج» مستمدة من جسدى والديه، وهما بدورهما مستمدان أصلا من سلالة آدم المخلوق من تراب الأرض، وقد تغذيا بغذاء مستمد أصلا من عناصر الأرض. ومنها ثالثا: أن الجنين فى جميع مراحله ينمو بجسده على حساب دم الأم المستمد من غذائها، وغذاؤها مستمد أصلا من عناصر الأرض.

الإنسان.. توازن بديع

والإنسان هو المخلوق الذى يقف ويمشى منتصبا ورأسه مرفوعة تماما أعلى جسمه، وهيكله العظمى مبنى وفيه هذا التوازن البديع. ووضع الإنسان القائم، ومشيه على قدميه، حررا ذراعيه تماما. وهذه نعمة كبيرة، فقد استطاعت اليدان الماهرتان أن تستجيبا للدماغ الراقى وتأتيا بحركات لا حدود لها، كما أن وضع الرأس المرتفع وتشريح عضلات الوجه والفكين ساعدا على حسن نمو جهاز الصوت وحرية حركة اللسان مع حرية حركة الشفتين، وكان لهذا مع عقل الإنسان وروحه الاجتماعية الفضل فى نشأة لغات الإنسان ورقيها وتطورها حتى وسعت كل علومه وآدابه وفلسفته وعبرت عن جميع آرائه وأفكاره وأحلامه، وأكملت اليد الماهرة المهمة عندما رسمت أبدع الألوان وعزفت أعذب الألحان، وكتبت وسجلت اللغات بالوسائل كافة فحفظت مسيرة الحضارة الإنسانية عبر العصور والأجيال.

وإذا توقفنا فقط عند الوحدة البنائية لجسم الإنسان، وهى الخلية الحية التى بلغ متوسط حجمها ووزنها قدرا بالغ الضآلة، فإننا نعجب أشد العجب لعملية تبادل الأكسجين والغذاء والعوادم المختلفة مع الخلايا المجاورة عبر جدار يحوى السيتوبلازم الذى يحتوى على مولدات الطاقة ومنتجات البروتينات. أما نواة الخلية الحية فتحمل الشفرة الوراثية التى تشغل حيزا لا يزيد على واحد من المليون من المليمتر المكعب، ولكنها إذا فردت يصل طولها إلى المترين تقريبا، موزع فيها أكثر من ستة بلايين جزئ من جزيئات المادة. وإذا اختل وضع ذرة واحدة من ذرات هذه الجزيئات عن مكانها فإن هذا يعنى حدوث تشوه للخلية، وهذه الخلية الدقيقة يمكنها إنتاج مائتى ألف نوع من البروتينات، وهى فى حالة تجدد مستمر.

بين العقل والبيان

أما دماغ الإنسان فيمتاز برقى تركيبه ووظائفه، حيث يختص نصف كرة المخ بالوظائف الذهنية: كالوعى والذكاء والذاكرة والتقدير والتخيل والابتكار، والواقع أن قشرة الدماغ بالذات هى المختصة بهذه الوظائف العليا، ومساحة سطحها فى الإنسان أكبر من مساحة الدماغ نفسه، ولذلك فهى تنثنى على نفسها كثيرا، حيث تظهر تلافيف كثيرة وعميقة.

والبيان الذى علمه الله ـ تعالى ـ للإنسان بعد أن سواه فى أحسن تقويم، له أسبابه وأدواته فى جسم الإنسان، حيث يوجد مركز النطق فى المخ، وتوجد أجهزة النطق فى الرئتين، والقصبة الهوائية بشعبها، والحنجرة واللهاة، واللسان، والشفتين، والفكين، والأسنان. فهذه كلها تشترك فى النطق، والبيان، ويعمل كل من السمع، والأعصاب، والمخ، فى ترجمة هذا النطق إلى معان تفهم ويستجاب لها بالإيجاب أو النفى. ويرى الجاحظ فى كتابه «البيان والتبيين» أن هناك ارتباطا بين العقل والبيان، لأن الإنسان مكلف بأن يدرك بعقله ويعبر بلسانه. وقد خص الله الإنسان بهاتين الميزتين من بين جميع الكائنات، فما عليه إلا أن يقيم رابطة بينهما، فلا ينطق بلسانه ما لا يدركه بعقله، وما اللسان إلا واسطة لبيان ما فى العقل.

فسبحان الذى علم آدم الأسماء كلها وأنطقه بالكلام المنظوم ليكون وسيلة تعارف واتصال بين البشر، وأداة للتعبير عما ينجزه الإنسان من علوم ومعارف حتى يرث الله الأرض وما عليها. ولله در القائل:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وصدق القائل فى محكم التنزيل:

﴿ الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (سورة الرحمن: ١ - ٤)

الشارع المسلم.. الواقع والأمل!!

من المحزن بحق أن تشيع فى الشارع المسلم نواقص نستطيع بقليل من الجهد أن يتنزه عنها، وأن يعيد إلى قسماته صفاءها الواجب، وإلى طبيعته التزامها المأمول.

للأستاذ الدكتور/ محمد العزب

الأستاذ بجامعة الأزهر

فقد أكلت السيارات كل مساحة الشارع ولم تترك للعابرين - رجالا ونساء وأطفالا - سوى فرص خاطفة هى إلى المغامرة أقرب منها إلى الحق المطمئن، وما هكذا يجب أن يكون فإن من حق الراجلين أن يعبروا الطريق بأمان، لأن هذا حقهم المسلم من جهة ولأن الشارع ليس قطاعا خاصا يملكه أصحاب السيارات دون أولئك الذين لا يملكونها أو قل لا يستطيعون قيادتها، تحت وطأة العجز أو الشيخوخة أو عدم محاولة التجريب من جهة أخرى.

أعلم أن السيارة فى هذا العصر وفى مثل هذه المدن الكبيرة أصبحت ضرورة لازمة، ولكنى أعلم كذلك أن الحب والتواصل وإتاحة الفرص للآخرين ورعاية القيم الإنسانية النبيلة ضرورة ألزم، ومن هنا يتحتم أن توجد فى الشارع المسلم ممرات على أبعاد متقاربة مخططة ومرعية الجانب، يعبر منها الراجلون فى أمان مطلق، وأؤكد على «أبعاد متقاربة» هذه حتى لا يلهث الناس فى سبيل الوصول إلى إشارة ما تبدو حلما غير مستطاع فى كثير من الشوارع الكبيرة، وحتى لا يلهثوا كذلك فى عبور الشارع بين انطلاق السيارات فى زحفها المجنون المتقاطع، وقد يصلون.. وقد لا يصلون!!

لقد هالنى - منذ أيام - أن أرى أخا مكفوفا يحاول عبور الشارع من ضفة إلى ضفة أخرى، وأن يخرق بين زحام السيارات المتدافع الأهوج وأن لا تشفع له يداه الملوحتان سدى فى قيظ الظهيرة الحارق، حتى تنبه له صاحب سيارة مسلم فترجل إليه وأخذ بيده عابرا به إلى الضفة الأخرى، غير مبال بنظرات المتعجبين الذين يرون فى فعله هذا نوعا من تضييع الوقت، وتبطيء حركة الواقع وعودة إلى تحكيم الإنسان المقهور فى الآلة القاهرة!!

وإذا كانت السيارات قد أكلت كل

مساحة الشارع المسلم فإن التيه قد أكل نفس المساحة، ولكن بشكل مختلف، فهبك غريبا يبحث عن مكان معين أو إنسان معين، فستجد نفسك على الفور فى تيه عميق فلا دليل ولا أسماء ولا خرائط معلقة فى الميادين تضع فى يدك على الأقل مفاتيح الوصول إلى ما تريد.. إن المدارس مجهولة العناوين فى معظم المدن الإسلامية والجامعات والمستشفيات وأقسام الشرطة والبريد والمعالم التاريخية البارزة، فأى ضير من تعليق خرائط صغيرة فى كل حى وفى كل شارع، فى كل منعطف، توضح مجمل الأماكن التى يمكن أن يحتاجها الإنسان لغاية معينة، ومجمل الأماكن التى يمكن أن تهديه فى رحلة البحث عما يريد؟ أما أن يخرج الإنسان إلى الشارع باحثا عن مدرسة لابنه أو لابنته، أو مستشفى له أو لزوجته، أو حتى عن عنوان لقريب أو صديق، ثم يواجه بهذا التيه المضل، وهذا الصمت المرعب القاسى، وهذا التجهيل الذى لا يعرف سكان المدن فيه أسماء الشوارع المتاخمة، ولا عناوين المدارس المجاورة، ولا مواقع المستشفيات القريبة، فإن وقع هذا الواقع على الضمير المسلم يمكن أن يكون فادحا بكل المقاييس.

وإذا كنت قد أسلفت أن وضع الخرائط يعد أساسيا فى كل منعطف وشارع وحى، فإن رعاية من لا يقرءون واجب إسلامى محتم، ولهؤلاء يجب أن تكون هناك مراكز إرشادية ويقينى أن المسجد وحده هو القادر على النهوض بهذه المهمة الجليلة، فحين يضل الأخ المسلم فى مفارق المدن الكبيرة، بحثا عن اتجاه أو مرفق أو إنسان ثم تتراءى له مآذن المساجد فطعف صوب أقربها إليه فيجد هناك مركز إرشاد مزودا بكل إمكانات الاتصال السريع فيهديه إلى ضالته، ألا ترون معى أن هذا الفعل المسلم المتحضر يعمق فى خلد المسلمين أصولية أن المسجد ليس مناط عبادة مجردة فحسب، وإنما هو مركز عبادة وقيادة ومناط تجرد وفعل.. وليت هذا العون المنبثق عن المسجد يمتد حتى لغير المسلمين فإن المردود النهائى سيكون جزيلا وستفتح بهذا الفعل الإسلامى عديداً من النوافذ المضيئة التى يطل منها هؤلاء على حضارة إسلامنا وقيمه الفاعلة فى هذا العصر المخيف.

شىء آخر ينبغى أن يتوافر فى الشارع المسلم حتى يجاوز واقعه الآنى إلى الواقع الحلم الذى نريد: هو أن تنتشر على أرصفته المظلات الواقية من الحر اللافح والمطر المعربد، فأنا فى انتظار سيارة أو صديق أقف متعامدا مع الشمس، أو مطاطئا لصولة المطر، مع أن مظلة واقية قد لا تكلف كثيرا، يمكن أن تحمى إنسان هذا الشارع من ضربة شمس قاتلة، أو زخة مطر هائلة، ويعود إلى بيته سالماً موفورا.. إن التشجير وحده لا يكفى فلتكن المظلات ليس بديلا بل عونا.

ولا أتردد فى إبداء ملاحظة قد يتعالى البعض عن إبدائها فى مثل هذا المجال مع أنها حيوية ولازمة، تلك هى انعدام «دورات المياه» فى الشوارع والميادين.. ماذا يفعل الإنسان المحصور فى الشارع؟ إن كل المساجد

- غالباً - تغلق أبوابها بين الفروض وليس في مستطاع الإنسان أن يطرق على الناس أبوابهم ليقضي حاجته.

فلماذا لا تعمم «دورات المياه» في الشارع المسلم حتى لا تلجيء هذا الإنسان إلى قضائها في الشوارع الخلفية، ويستحيل الواقع إلى واقع غير نظيف من جهة، والإنسان إلى إنسان غير ملتزم من جهة أخرى؟

هذه سوانح ربما تضيء الطريق إلى شارع مسلم أمل، وإلى مدائن مسلمة يحس القاطن فيها والقادم عليها بأنه في خاطر المدنية، وبأن هنا قلوبا تجف لاحتمالات تيهه أو تعثره، وبأن كل القوى المسلمة معبأة في سبيل أن يقر آمنا، وأن يصل سالما، وأن يلقى ببعض أحماله على أكتاف إخوة له يجدون في لحظة الأمل التي تعانقها عيناه معراجا إلى رضى الله، ومدخلا إلى أخوة مسلمة حقيقية تتناصر على القرب والبعد، وتهفو إلى البذل في الجليل والضئيل!!

وقد يتحتم أن نشير إلى أن الشارع المسلم أصبح غابة مخيفة، تتهارش فيها ذئاب بشرية جائعة، ما تلبث أن ترى فتاة بلا رجل، حتى يطاردها في غلاظة فاحشة، وهذه أولى مراحل الاعتداء، أما الأفدح والأبشع فهو محاولات الاختطاف إلى حدّ الاغتصاب، مما يثير فينا أسئلة جارحة: أليس لهؤلاء المطاردين أو المختطفين أو المغتصبين بنات أو شقيقات أو أمهات يخافون عليهن من مثل ما يجترحونه مع الأخريات؟ والمثير أن الشارع المسلم يشهد هذه المباراة القذرة وهو لاه عنها غير مبال بها، كأنها أصبحت القاعدة وسواها شذوذ القاعدة!! حتى رجل الأمن يغضي عن هذه المهازل كأنها لا تعنيه، وكأن كل مهمته حراسة الطريق لا من يسير فوق هذه الطريق!!

وهنا نود أن نقترح حلاً لهذه الظاهرة الوبيلة وهو تعقب هؤلاء اللامبالين بأعراض الأمة وشرفها، وتجريسهم في نفس الشوارع التي ارتكبوا فيها هذه المآسي، قبل عقابهم المشروع.. ولا نعفي بعض البنات والسيدات شبه العاريات من جرائر الإغراء فينلن من التجريس مثل ما ينال الرجال تماما بتمام، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله..

إن الشارع المسلم الأمل يصون حرمة المرأة الفاضلة، ويرشح الشاب الملتزم لدور قيادى يضع فيه الفضيلة، شجراً على كل الطرقات، حتى يينع الأخضر، وينكمش الأصفر، ويلبس الشارع حلته الجديدة في عيد الالتزام!!

وعلى الدولة المسلمة أن تعالج منابع الظاهرة، من الفقر، والمغالاة في المهور، وطبقية المقاييس، وعربدة رأس المال اللامشروع، وإصلاح التعليم، وأخذ الأسرة بشيء من الحياطة الواجبة، التي تمنع اقتحام الفضائيات لأمنها العائلي، والكتب الرخيصة لوقتها الضائع، ووسائل التطور التي كان من الممكن أن تكون دافعة وليست فاجعة، كالإنترنت والمحمول وغيرها من الأسلحة ذات الحدين الباترين!!!

الوقف وأهمية تفعيل دوره في العمل الاجتماعي

١

للأستاذ/ عاطف مصطفى

- شهد الوقف التوسع الأكبر في مصر وبلاد الشام في عصر المماليك
- ساعد الوقف كثيرا على تكوين المجتمع المسلم الذى تسوده المشاعر النبيلة التى تتدفق بالبر والخير
- يشترك الوقف مع الصدقات في عملية التكافل الاجتماعى ومد يد العون لأفراد المجتمع وتقوية الروابط الإنسانية.

الوقف نظام قديم عرفته نظم وشرائع سابقة على الإسلام، وفكرة الوقف وجدت أشباها في النظم القديمة والشرائع السابقة.

لكن في الإسلام وضع النظام في سياق يستقل بقواعده ومصادره، فلم يكن نظام الوقف في الإسلام نظاما مستجلبا أو تجميعيا لعادات سبقت الإسلام.

بل هو نظام يستمد إطاره العام وأصوله المباشرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، أما تفاصيل أحكامه، فقد جاء بها الفقه الإسلامي وساهمت فيها كل المذاهب الإسلامية.

والوقف في الإسلام ليس مقصورا على المعابد والمناسك وما أرصد لها من أموال، بل إنه يتجاوز ذلك إلى جميع أنواع الصدقات، فهو يشمل الوقف على النواحي الاجتماعية والتربوية والصحية والاقتصادية.

هذا يجعلنا نستعرض الوقف ودوره في التنمية الاجتماعية من خلال بحث مهم للدكتور سليم هاني منصور بجامعة الأوزاعي ضمن البحوث التي قدمت في المؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية.

وعن مشروعية الوقف يشير الباحث في المقدمة إلى انه يتضمن المصادر الثلاثة: القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع دلالات مباشرة، وأخرى غير مباشرة على مشروعية الوقف.

فقد حث القرآن الكريم على الإحسان، وجميع أنواع البر والصلة والخير والإنفاق.

والوقف يتضمن هذه العناصر بل يعد أحد صورها الرئيسية قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٤)

وقال عزوجل:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ٢٦٧)

وهذه الآيات وغيرها، لاتدل مباشرة على مشروعية الوقف، فحسب، ولكنها تدعو للإحسان العام في الإسلام.

ويأتي الوقف في المقدمة، لما يؤديه من خدمات عامة: اجتماعية وإنسانية وصحية.

كما تتضمن السنة أدلة كثيرة ومتنوعة على الوقف منها: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١].

وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب به غير بئر رومة فقال: من يشترى بئر رومة فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي»[٢].

الإجماع

وقد أجمع الخلفاء وسائر الصحابة على مشروعية الوقف فقد أوقف أبوبكر داره على والده، وعمر بربعة عند المروة على والده، وعثمان ببئر رومة، وتصدق عليّ بأرضه بينبع، وتصدق الزبير بداره بمكة وداره بمصر وأمواله بالمدينة على ولده.

وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وجابر بن عبدالله، وقد جاءت الآثار بالوقف الذى أمر به رسول الله ﷺ وفعله أصحابه ﷺ وما وقفوه من عقاراتهم وأموالهم إجماعاً منهم على أن الوقف جائزة ماضية، حتى إنه ما بقي من أصحاب رسول الله ﷺ له مقدرة إلا وقف.

ديوان خاص للأوقاف

ويشير الدكتور سليم هاني منصور إلى أن الأوقاف تتابعت من قبل الصحابة والصحابيات ثم من التابعين.

ففي عهد الخلافة الأموية توسعت الأوقاف، وازداد عددها من قبل الناس، وقد أدى هذا التطور في حجم الأوقاف في العصر الأموي إلى فصل الخدمات الخاصة بالأوقاف في ديوان

خاص ومستقل عن بقية الدواوين، وأنشيء ديوان للوقف في مصر في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك، وقد استمر نمو الأوقاف في عهد الخلافة العباسية، فأصبحت للأوقاف إدارة خاصة، وعينوا لها رئيسا يسمى (صدر الوقف) يشرف على إدارة شئونها، ومعه نقيب العمال لمساعدته في كيفية استثمار الأوقاف، وصرف عائداتها في الأوجه الشرعية المعتمدة.

وازدادت الأوقاف بصورة ملحوظة زمن الزنكيين والأيوبيين فقد تنوعت الأوقاف في هذه الفترة على النشاط العسكرى: (جهاد الصليبيين) والثقافي: المدارس وحلقات المساجد والكتاتيب والنواحي الاجتماعية المختلفة.

وكان التوسع الأكبر للوقف في بلاد الشام ومصر في زمن المماليك، حتى اصبح من مميزات عصرهم.

وحينما تولى العثمانيون الخلافة، اتسع نطاق الوقف في عهدهم، نظرا لإقبال السلاطين وولاة الأمور على الوقف..

أما في العصر الحديث فقد أنشئت نظارات للأوقاف تتولى شئونها كغيرها من شئون الدول الأخرى ولما تغيرت النظارات إلى وزارات، جعل للأوقاف وزارة خاصة سميت في بعض الدول العربية وزارة الأوقاف، أو وزارة الشئون الدينية.

يشير الدكتور سليم منصور إلى أن المؤسسات الوقفية لها جذور في مجتمعاتها، وتعيش في وجدان الشعوب، وليست مفروضة أو منقولة، فهي تتمتع بمنظومة فقهية وتاريخ طويل، وله جذور في هذا البناء الإسلامي الممتد منذ بعثة الرسول ﷺ، وهو ينطلق من فعل أو مبادرة ورغبة من الإنسان المسلم، وليس ردة فعل أو طفرة، أو رداً على سياسة وظروف ما كما حدث في الغرب ،حيث كانت المؤسسات الخيرية، رد فعل لظروف اجتماعية وسياسية.

فقد كانت البداية في نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، حيث كانت الثورة الصناعية وما نجم عنها من تكديس للثروات بين أيدى أفراد قلائل وتدمرت الطبقات العاملة مما تعاني من شظف العيش، مع أنها كانت القوة الفاعلة من وراء تلك الثروات، ولذلك اضطر أصحاب الشركات الكبرى لوقف الملايين من الدولارات للعمل الخيرى.

وفي الغرب عمدت مصلحة الضرائب إلى ترك أو إحداث ثغرات للتهرب من الأعباء المالية، حتى ينفذ منها القادرون والأثرياء، وتستغلها الشركات، فتتوجه موارد الأمة إلى أبواب الخير.

والوقف نظام أصيل في المجتمع المسلم، فهو نظام ينبع من فكرة إيمانية دينية، هي فكرة الصدقة الجارية، وفي حين نجد أن المنبع الأساسي للعمل التطوعي وأنظمته المعاصرة، هو عبارة عن فكرة مادية دنيوية تستهدف المصلحة أو المنفعة الخاصة والعامة.

(يتبع)

كفر وإيمان

للدكتور/ أبي حسام

خرج جبير بن مطعم إلى السوق، وهو من سادة قريش وأثريائها الكبار، فرأى تاجر العبيد يعرض على الناس رقيقين، أحدهما قوى عملاق أسود البشرة، وتنطق ملامحه بالغضب، والثانى هزيل سقيم كأن مرضا بداخله يعانيه، وقد اشترط التاجر أن يبيع الاثنين معا لمن يرغب الشراء، ورفض أن يبيع القوى، ويترك الضعيف، وكان جبير فى حاجة إلى عبد مارد يفزع الناس فلا يهموا بشر نحو عقاره وملكه، فرأى أن يشترى الاثنين مادام التاجر مصرا على رأيه، وقد اشتراهما معا وسمى الأول: وحشيا وسمى الثانى أسيفا، وقال لأهله سيقوم وحشى بكل ما تطلبه، وسيرعى أسيف الغنم فى ضواحى مكة وسار الأمر على ما رسم جبير، فأدى وحشى رسالته خير أداء، وأدى أسيف رسالته قدر المستطاع!

وكان العبدان يجتمعان بالليل، ويناما في حجرة واحدة، فكانا يتشاكيان هموم العبيد، ويتطلع أسيف إلى صاحبه ليقول له في إشفاق: إن محمدا جاء برسالة السماء إلى قريش، وإنه سن مذهب المساواة فمتى تتحقق هذه المساواة فلا يسيطر علينا السادة بجبروتهم الجبار، ولا نلقى من العامة إلا كل احترام وتقدير! لقد أنقذ الإسلام بلالا وغير بلال حين انضموا إلى من يسميهم السادة بالصابئين؛ لأن أبا بكر اشترى العبد ورحمه من العذاب ثم أعتقه! فهل تستطيع أن تفعل ما فعل بلال!

● وكان وحشى لا يعانى من الهوان ما يعانى أسيف لأنه مارد جلد فقال له: أنت تشعر بالذلة وتتمنى العتق وأنا أتمنى العتق ولا أشعر بالذلة! فمعى حربتى التى أجيد تصويبها فتقتنص الغزال الشارد، وتصرع الذئب الغادر، وسيدى يدرك بأسى فيحرص على رضائى!

●● قال أسيف: ولو ذهبت قوتك كما تذهب قوى الناس بالمرض المفاجىء! أفلا تلاقى من الهوان ما يلقى أمثالى من العبيد!

● فسكت وحشى كأنه يفكر. ثم قال فى ضراعة: الحق ما قلت يا أسيف! وسأحتال لنفسى كى أنجو من هذا البلاء!

ظل أسيف ووحشى فى أسر جبير، يقومان بما كلفا به، ووحشى يزيد كل يوم قوة وبطشا، وأنباؤه تملأ مكة، إذ كان البطل المرموق فى ساحة الصيد، ما يصوب حربته إلى حيوان ويفوته ولهذا تحاشاه السادة إذ لا يأمنون غدره، وليس لهم طاقة بنزاله، ثم جاءت معركة بدر، فلم يجد فى نفسه استجابة للانضمام إلى المشركين، وسيده جبير لم يشأ أن يرغمه على الذهاب، وقد آثر أن يظل حارسا لمنزله فى غيبته، وكان يظن أن قريشا ستنتصر بسادتها، فلا حاجة له فى اصطحاب العبيد ولكن الظن قد خاب، ورجعت قريش بمخزاة - أية مخزاة -، ففى كل بيت مأتم، وفى كل شارع مناحة! وكان سيده جبير بن مطعم يكابد غصة مريرة إذ فقد عمه «طعيم بن عدى» وكان فارس قومه، وولى أمره بعد وفاة أبيه، ويتمنى أن يأخذ بثأره من قاتله «حمزة بن عبدالمطلب» فيطفىء نارا تتلظى فى أحشائه وشاركته فى لوعته هند بنت عتبة إذ قتل حمزة أباها وأخويها، فجاءت إلى جبير، وقالت له:

● لن يرتاح فؤادى حتى يصرع حمزة، وأمره فى يديك.

●● فقال جبير: وكيف كان أمره فى يدى.

● قالت: عبدك وحشى أعظم من يجيد رمى الحربة إذا صوبها إلى هدف أمامه، وسترحل قريش لتأخذ بالثأر، فليذهب وحشى قاصدا حمزة وحده، ولا يعنيه سواه، وبيده حربته التى لا تخطىء وسيكون له عندى ما شاء من فضة وذهب.

●● فقال جبير: ويكون له عندى أن أعتقه فيصير حرا إذا صرع حمزة.

● قالت: هيا ناده ناده، لنتفق معه!

وحضر وحشى فتوسلا إليه بما أظهر اتضاعهما وانكسارهما، وهما السيدان! وأخذ العهد معهما على أن يمنح ذهب هند، وأن ينال حريته فيصبح حرا لا سيطرة لأحد عليه! وقد انفرد وحشى مع المشركين، ومعه حربته، ولا هم له إلا حمزة! ولو لاقاه أسد الله مواجهة لصرعه، ولكنه اختبأ بعيدا، ثم سدد الرمية، فبلغ الكتاب أجله، وفرحت هند وجبير وبكى الرسول والمسلمون!

أخذ وحشى حريته وأصبح رجلا طليقا لا سلطان لأحد عليه، غير أن سيده جبير طلب منه أن يرعى شئونه الخاصة بأجر يدفعه، وله أن يزاول من المكاسب ما تسمح به مقدرته، وقد أجاب وحشى لطلب جبير، وآثر أن ينام مع صديقه أسيف فى بيت جبير كما كان العهد من قبل، لأنه الزميل الذى يبثه نجواه، وكان أسيف غير مستريح لمصرع حمزة على يد وحشى، لأنه فى صميم شعوره يعرف أن الإسلام جاء ليحرر الأرقاء من الاستعباد، وأن كل هزيمة للمسلمين هى هزيمة لأمثاله فى آمالهم ومآربهم، فكان الحديث يدور بينهما فى أمر المسلمين كل ليلة، ووحشى يستمع إلى صاحبه، ثم يقول له: لقد

بحثت عن حريتي، وإني لأكن لسادة قريش كل بغض وكراهية، ولو كنت في موضعي لفعلت الذي أتيت فلا تكثر لومي، فليس لي غيرك في مكة، وأنا أعرف أن هؤلاء الذين يتقربون إليّ من السادة، يخشون بطشي، ويحاولون مسالمتي، وكفاني أني طلبت الزواج بعد عتقي من أحد هؤلاء الأحرار الفقراء الذين لم يبلغوا مبلغ جبير في الثراء، فرفضوا واعتلوا بأوهن الأسباب.

● فقال أسيف: ولكني يا أخي أخشى العاقبة فمحمد وإن انكسر في أحد، سيحاول الكرة وسينتصر لأن الحق معه، وقد عرفت، أنه توعدك توعدا شديدا، وما كان لمثله أن يغفل عن قاتل عمه، وعضده الأيمن في ساعة الكريهة، وقد بت أخشى أن تدور الدائرة عليك حين يتم الأمر للمسلمين ويفتحون مكة!

●● فزع وحشي لما سمع من تنبؤات أسيف! ثم قال: لا تخش بأسا، فلئن تم الأمر كما رأيت فسأهرب إلى بلدة أخرى، قبل أن أقع في يد القوم!

ودارت الأيام التي لا تنقطع، وكأن العبد أسيفا كان ينظر إلى صفحة الغيب ويقرؤها كما ستحن فقد هزمت قريش في كل ما أرادت أن تصنعه في حرب محمد، وقد جاءت الأنباء بأن الرسول يستعد لفتح مكة وأن وحشيا قاب قوسين من الهلاك! وحين بدأت طلائع الفتح المبين، وعلم أن الساعة آتية لاشك فيها أخبر أسيفا أنه سيرحل إلى الطائف، وسيقيم بها ما بقيت له حياة، فقال أسيف: وماذا تصنع إذا فتح المسلمون الطائف، وهي أهون منالا من مكة، ولن يقف في وجه الجيش المنتصر أحد ما؟

فصاح به وحشي: لا تظلم الدنيا في وجهي فقد كفاني ما أنا فيه!

وقد سارع جبير فأعلن إسلامه، وقال لعبيده وأهله: لا طاقة لنا بخلاف محمد، فقد أعلن في البيت الحرام مخاطبا أهل مكة: اذهبوا فأنتم الطلقاء[١]، ولكنه استثنى بضعة عشر نفر ممن آذوا المسلمين أشد الإيذاء ومنهم وحشي! إذ لابد أن يردوا مورد النكال!

وضع أسيف يده على قلبه حين جاء ذكر وحشي، ولكنه اطمأن قليلا حين عرف أنه يقيم في الطائف بعيدا عن الانتقام العاجل، وأخذ يتبع الأنباء الجديدة في دقة، فعرف كيف سقطت عبادة الأصنام وكيف تقدم العتاة من المتجبرين صاغرين يرجون عفو محمد، كما علم أن نفرا كبيرا ممن هددهم رسول الله بالانتقام قد صفح عنهم، وقابل إساءتهم الفادحة بالصفح والغفران، فجعل يتتبع أسماءهم واحدا بعد واحد، ويعرف ما قدموا من السيئات المنكرة، وما سمح به الرسول من العفو، ثم يوازن بين أمرهم وأمر وحشي فيراه أقرب إلى الصفح وإن كان قاتل حمزة لأن قلب الرسول قد اتسع للمغفرة، ولم يزهه الانتصار الحاسم، فيشمخ ويستعلي، وهذا من دلائل نبوته التي جحدها الجاحدون من قبل طاغين، ثم آمنوا بها اليوم خائفين!

سار أسيف إلى الطائف ليعلم وحشيا ما كان

(١) السنن الكبرى للبيهقي.

من صفح الرسول وغفرانه لمن أساء إليه أعنف الإساءة فقال له: حين قابله، ووحشي يتشوق إلى سماع كلمة تنقذ رقبته من الهلاك، قال أسيف وقد استبشر وحشي بحديثه، وأصغى لصديقه وكله آذان:

● لقد أسلمت يا وحشي، وأصبحت من أتباع محمد عن حب وإخلاص، وما عليك إلا أن تبدي إسلامك مخلصا، وتتجه إليه بقلب سليم، وسيعفو عنك كما عفا عن كثير.

●● أطرق وحشي قليلا ثم قال في يأس: أيعفو محمد عن قاتل حمزة أسد الله؟

● فقال أسيف: جئتك بأسماء بغيضة إليه، وقد فعلت مثل ما فعلت فأحسن إليها ومنّ عليها بالعفو إن هند زوج أبي سفيان قد مزقت جسد حمزة، ومثلت به وأخذت كبده لتأكلها شفاء من وجدها المحرق، فلم تستطع ولفظتها، ثم عفا عنها رسول الله.

وإن هبار بن الأسود وقد ألحق بزينب بنت رسول الله أشد ألوان المرض؛ حين أسقطها من فوق الناقة وهي حامل، فطرحت ما بين أحشائها، وذهبت مريضة إلى يثرب، وظلت تعاني السقام حتى ماتت كالشهيدة! هبار هذا جاء خائفا مستسلما مع صاحبه الذي شاركه جرمه، فعفا عنهما، وقابلهما بالسماح.

أأذكر لك بعد ذلك، صفوان بن أمية، وعبدالله بن أبي سرح، وكعب بن زهير، وعبدالله بن الزبعرى، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل؟! هؤلاء الآثمون العتاة، قد جاءوا طائعين، فغفر لهم الرسول ما صنعوه وإن كان ما فعلوه لتزول منه الجبال!

اطمأن وحشي إلى ما سمع! ورجع لإعلان إسلامه، وقد فوجيء به رسول الله، وتذكر عمه سيد الشهداء فدمعت عيناه ثم قال له في حزن: «كان ما كان يا وحشي، وقد عفوت عنك، ولكن لا تدعني أراك، فابعد عن وجهي كيلا تهيج لي الأشجان»[٢].

رجع وحشي نادما، متحسرا، وقد فرح بعفو رسول الله! ولكن جريمته الشنعاء في حق سيد الشهداء، قد جعلت تتمثل له أنى سار، وقد صمم على أن يشترك في الحروب الإسلامية مجاهدا في سبيل الله، ومعه حربته العتيدة ليصرع بها أكبر طاغية يحارب الإسلام، فيكون ذلك إطفاء لنار المشتعلة بين أضالعه، وذاعت أنباء مسيلمة في اليمامة، وقد جمع آلاف الآلاف معتزا بقومه في نجد، وأثخنت قواته في الجيش الإسلامي إثخانا أليما، وما إن ذاعت أنباء مسيلمة على هذا النحو المزعج حتى عزم وحشي على أن يصرعه بحربته وأن يكون هو القصد الأول الذي يجب أن يتجه إليه. وحين اشتد لهيب المعركة، وخرج مسيلمة محاطا بأنصاره ومريديه وكلهم بطل مناضل، تحين وحشي الفرصة، حتى إذا دنت الساعة المنتظرة سدد الحربة لرأسه فسقط صريعاً وهنا صاح وحشي: الحمد لله لقد استرحت ثم استرحت أرجو أن يكون مصرع مسيلمة، تكفيراً ربانياً عن مصرع سيد الشهداء.

(٢) صحيح البخاري.

هكذا قالت البغيُّ..

للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل

وأسِ يادهر! وكفكف من صروفى - وأعنّى!
طال بالعار على الدنيا وقوفى - لا تلمنى!
وخبت من خزيها تحت شفوفى - نار حزنى!
ما الذى فى زلّة الجسم الضعيف - كان منّى؟
بعت عرضى - يا إلهى - برغيف - فاعف عنّى!

***

قيل: إنّ الرّقّ قد ذابت قيوده - وتصرّم!
كذبوا .. هذا على جسمى حديده - يتضرّم!
كلّما هلّت على رجسى وقوده - تتنعّم؛
غاص بى فى الشهوة الدنيا عبيده .. - ربّ فارحم!
وأنا ... كالعود يشجيهم نشيده - وهو ملجم!

***

ساقنى القوت، وساقتكم إلىّ - شهوات!
جذبتكم للهوى من شفتىّ - جمرات؛
أزهرت خمرتها من وجنتىّ - زفرات!
هى فى شرعكم الجانى علىّ - صبوات؛
وهى لحن الزاد غنّته لدىّ - قبلات!

***

فى سبيل العيش يا شرع التراب - ما أكابد!
حرّم الله .. وحلّلتم .. شبابى - للمفاسد!
وارتحلتم شرعة سوّت خرابى - بالمعابد:
فى زحام الإثم، لا يطرد بابى - أىّ قاصد!
لا .. ولا يغضى حياء من عذابى - طرف زاهد..

***

أىُّ شرع قال: فى القيد اسلكوها .. - للفجور؟
وإلى سجن المواخير ابعثوها .. - لا الخدور؟
ألأنّى كنت أنثى خدعوها - بالسفور!
حينما العفة هاجت .. أغرقوها - فى الخمور..
ليتهم - لما أفاقت - شيّعوها - للقبور!!

***

أنا ريحانة عار قد رواها - إثم أرضى
بعد ما لوّث جانيها شذاها - راح يغضى
نجمة كم أسكر الكون سناها - مات ومضى
هكذا الدنيا على الدنيا هواها - راح يقضى..
حسرة باللقمة العفراء - واها!! - بعت عرضى!!

***

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

الخير في الحديث النبوي

- خير الناس من طال عمره وحسن عمله.
- خير الناس أنفعهم للناس.
- خير النكاح أيسره.
- خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه.
- خير ما أعطى الناس خلق حسن.
- خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.
- خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح.
- خياركم أحسنكم قضاء للدّين.

إقامة الألسنة

قال عبدالملك بن مروان:

ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها. إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم، وضياء يجلو الظلام. وحاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية.

شبيه الشيء منجذب إليه

قال الشاعر:

فاعتبروا الأرض بسكانها
واعتبروا الصاحب بالصاحب

وقالوا: كل إلف إلى إلفه ينزع. وقد نظمه شاعر فقال:

والإلف ينزع نحو الآلفين كما
طير السماء على آلافها تقع

وقال آخر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال آخر:

اصحب ذوي الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين

وقال شاعر:

إن النفوس لأجناد مجندة
بالإذن من ربنا تجري وتختلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف
وما تناكر منها فهو مختلف

وقال امرؤ القيس:

أجارتنا أنا غريبان ها هنا
وكل غريب للغريب نسيب

هي النفس

قال الرّبيع بن ضبع الفزاري (وقد عمر جيلين):

لقد عزفت نفسي عن اللهو جملة
وإن نهلت من لهوها ثم علت

رأيت قروناً من قرون تقدمت
فلم يبق إلا ذكرها حين ولت

هي النفس ما منيتها تاق شوقها
وإلا فنفس إن ينست تسلت

علاج السفيه

لاتكافيء السفيه على سفهه بمثله، فإنك إن فعلت قضيت له على نفسك، وأصبحت شريكه في الخلة التي تزعم أنك تنقمها عليه.

فإن كنت لابد منتقما فليكن مثلك مثل الأحنف بن قيس إذ جاءه رجل قد جعل له بعض الناس جعلاً على أن يغضبه، فما زال يسبه ويلح في ذلك إلحاحاً محرجاً، والأحنف ساكت لا يقول شيئاً، حتى ضاق بالرجل أمره، فانقلب إلى قومه باكياً نادياً يأكل إصبعه أكلاً ويقول:

- والله ما سكت عني إلا لهواني عليه...

من كلام أبي حيان التوحيدي

حرامٌ على قلب استنار بنور الله أن يفكر في غير عظمة الله.

حرامٌ على لسان تعوّد ذكر الله أن يذكر غير الله.

حرامٌ على من لم ير الخير إلاّ من الله أن يطمع في غير الله.

حرامٌ على من تلذّذ بمناجاة الله أن يناجي غير الله.

حرامٌ على من شرف بخدمة الله أن يتضع بخدمة غير الله.

حرامٌ على من أنس بالله أن يأنس بغير الله.

«ويلات الأمم»

- ويل لأمة تلبس مما لا تنسج، وتأكل مما لا تزرع.
- ويل لأمة تكره الضيم فى منامها، وتخنع له فى يقظتها.
- ويل لأمة كل قبيلة فيها أمة.
- ويل لأمة عاقلها أبكم، وقائدها أعمى، ومحتالها ثرثار.
- ويل لأمة لا ترفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش، ولا تفاخر إلا إذا وقفت فى المقبرة، ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع.

جبران خليل جبران

«أم مدوى»

كان فى العرب عجوز عاقلة فصيحة لها ابن أحمق، وقد أرادت يوماً أن تزوجه فخطبت له فتاة من العرب، فجاءت أم الفتاة إلى أم الغلام تنظر إليه، وفيما هى عند أمه دخل عليهما الفتى وسأل أمه: هل أدوى؟

أى هل آكل الدوّاية (وهى قشطة باللبن). ولما كان ذلك يدل على الشراهة، أرادت أمه أن تستر حماقته، فقلبت سؤاله إلى معنى آخر وقالت له:

- اللجام معلق بعمود الخيمة، والسرج فى جانبه.

وبهذا الجواب أوهمت أم الخطيبة أن ابنها أراد أداة الفرس للركوب، فكتمت زلة ابنها عن ضيفتها. ومن ذلك اليوم ضربت العرب المثل بأم مدوى لمن يورىّ بالشىء عن غيره. وفى ذلك يقول يزيد بن عبدالحكم بن أبى العاص الثقفى:

بدا منك غش طالما قد كتمته

كما كتمت داء ابنها أم مدوّى

«النفس الرفيعة»

قال معاوية:

إنى لأرفع نفسى أن يكون ذنب أعظم من عفوى، وجهل أكثر من حلمى، أو عورة لا يواريها سترى، أو إساءة أكثر من إحسانى.

«من دعاء زين العابدين بن على»

إلهى ومولاى، ارْحمنى مريضاً مطروحاً على الفراش تقلّبنى أيدى أحبّتى وارحمنى مطروحاً فى المغتسل يغسّلنى أحد أقربائى، وارحمنى محمولاً على جنازتى والناس من حولى، وارحم توّمتى فى قبرى المظلم ولا أنيس لى غير رحمتك. فأنت أرحم الراحمين.

الغضب بين الوقاية.. والعلاج

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

وإذ يحذر ﷺ من رد الفعل الغاضب بالكلام.. فإنه أشد تحذيرا من أن يكون الرد بالفعل، عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: «إن رجلا قال للنبى ﷺ: أوصنى.. قال: لا تغضب.

فردد مرارا.. قال: لا تغضب» (البخارى ١٠/ ٦١١٦ وورواه أحمد: ٥/ ٣٧٣)

وفى رواية «فإن الغضب يجمع الشر كله» ويعنى ذلك: أن الرجل كلما جدد طلب الوصية. تلقى نفس الجواب.. وكأنما كان يستقله»

ولعلك تتصور هذا السائل: وكيف تصور الوصية النبوية خطبة بليغة. ضافية الذيل.. ولكنه سمعها كلمة واحدة: «لا تغضب» وكأنه استقل الجواب الذى كان واحدا.. وهو ما فسرته الرواية الأخرى: «إن الغضب يجمع الشر كله».

من المراجع.. إلى المواقع

إن معنى «لا تغضب»: لا تقابل السيئة بمثلها.. ولا تباشر أسباب الغضب ابتداء والوجه الآخر «للعملة» هو: اعف واصفح. واغفر.. فذلك أقوم قيلا. وأهدى سبيلا: يعنى: عليك بالحلم، ويعنى ذلك: أنك لا تنهى عن شىء هو جزء من جبلة الإنسان.. ولا يمكنه

الإفلات من قبضته وإنما تأمره بالحلم.

وقد قالوا في الحليم: «هو الذي يتلقى قوة الغضب بحلمه: فيصدها.. ويقابل عوادي شرّته بحزمه، فيردها، وحينئذ: يحظى بانجلاء الحيرة. ويسعد بحميد العاقبة» ومعنى ذلك: ضبط النفس عند هيجان الغضب.. يقول النابغة:

ولا خير في حلم: إذا لم يكن له
بوادر: تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل.. إذا لم يكن له
حليم: إذا ما أورد الأمر أصدرا

***

وقد حاولت عبر المراجع تحديد الفرق الدقيق بين العفو، والصفح، والغفران.. فلم أجد ما يشفي الغليل، وقد فضلت تجاوز المراجع.. لأتأمل الواقع.. فماذا يقول؟؟:

تأملت أحد الغاضبين الملتزمين.. فماذا رأيت؟؟

يقع عليه عدوان.. فيغضب.. وعندما تثور نفسه راغبة في التشفي.. إذا به يغالبها: يحاول رد غيظه.. مفضلا أن يتجرع فورة الغضب. التي ينجح في ردها إلى أعماقه.. قبل أن تتحول إلى سلاح تدمير.. تماما كما يحاول السقاء ربط عنق «قربته» حتى لا يتطاير منها الماء.. ثم.. وأثناء ذلك تتراءى له قيمة العفو.. فيحاول «تناسي» العدوان.. فلا يكون منه انتقام.. لكنه مازال في وضعة المتحفز للانتقام.. فيحاول الإعراض عن المعتدي، بإعطائه صفحه. أعني: جنبه.. أو عُرض صدره.. وفي النهاية.. يعينه الله -عز وجل- على «الغفران» الذي يحاول به أن «ينسى» الذنب.. متجاوزا العتاب عليه أو العقاب. بل قد يحاول الإحسان إلى من اعتدى عليه.. بإصلاح ما أفسد.. وتلك مرحلة لا يبلغها: ولا يلقاها إلا الذين صبروا.. يتم فيها وبها مايلي:

أ- محاولة تجاهل ما حدث.. كأن شيئاً لم يكن..

ب- ثم ابتلاع ما تبقى من شحنة الغضب نهائياً.

وذلك يعني: تدخل العقل بالحكمة.. ليتغير الموقف كله لحساب الحلم، وذلك على ما قيل: اصبغ ثوبك: فإنه أغفر للوسخ.. وفي ذلك ما فيه من معاناة المقاومة.. لتنسى النفس ما حدث لها.. بل لتبدأ مرحلة إزالة آثار العدوان:

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

(فصلت/ ٣٤)

وذلك لأن هناك من يؤجج النار في صدرك. وهو:

١- النفس الأمارة بالسوء.

٢- والشيطان الرجيم.

فإذا انتصرت على هذين الخصمين.. كنت في ذروة قوتك: مالكا أمر نفسك، فـ «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد

من يملك نفسه عند الغضب»

وهنا نذكر قول الشاعر:

كن مثل نفسك: في السموّ إلى العلا
لا مثل طينة جسمك الغدّار
فالنفس تسمو نحو عُلو مليكها
والجسم نحو السُّفل هاوٍ هار

وقول الآخر:

والنفس راغبة: إذا رغبتها..
وإذا تُرد إلى قليل تقنع

***

وهنا ندرك أهمية أفق الغفران.. الذي يعني: عودة المياه إلى مجاريها..

أهمية المغفرة

وهو الأمر الذي تنبه له علماؤنا.. الذين نوهوا بمنزلة «الغفران» وصعوبتها.. وضرورة الإعداد لها:

قالوا: «اعلم: أن كل واحد -من عهد آدم إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة- من نبي وولي. ومؤمن موقن وصادق. وفاسق. وكافر وناقر ومخلص: إلا وهو ينتظر بحقه المغفرة.

أما ترى آدم -عليه السلام- وابتهاله وتضرعه في سؤال الغفران في قوله:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الأعراف/ ٢٣)

قال نوح -عليه السلام- (شيخ المرسلين):

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾

(نوح/ ٢٨)

وأمر قومه به:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾

(نوح/ ١٠)

وقال هود لقومه:

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾

(هود/ ٥٢)

وقال صالح:

﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾

(النمل/ ٤٦)

وقال إبراهيم:

﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾

(مريم/ ٤٧)

وقال في حق نفسه:

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ﴾

(الشعراء/ ٨٢)

وإخوة يوسف: سألوا والدهم أن يستغفر لهم:

﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾

(يوسف/ ٩٧)

فوعدهم بقوله:

﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾

(يوسف: ٩٨)

ويوسف: يشرهم بالمغفرة بقوله:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾

(يوسف/ ٩٢)

وسحرة فرعون: كانوا في طلب المغفرة:

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا ﴾

(الشعراء/ ٥١)

وموسى -عليه السلام- ساعة قتله القبطي عرض هذه الحاجة فقال:

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾

(القصص/ ١٦)

ثم أشرك أخاه في دعائه فقال:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي ﴾

(الأعراف/ ١٥١)

وداود: رفع قصة ضراعته في هذه الحاجة:

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ﴾

(ص/ ٢٤)

فقوبلت قصته بإجابته:

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ﴾

(ص/ ٢٥)

وسليمان -عليه السلام- افتتح سؤاله قبل سؤال المُلك بطلب المغفرة:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾

(ص/ ٣٥)

وعيسى -عليه السلام- في عرصات القيامة.. يحيل أمته إلى عالم المغفرة:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(المائدة/ ١١٨)

وسيد المرسلين. ومقصد الوجود. وأعجوبة العالم أمر بطلبه له. ولأمته:

﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(محمد/ ١٩)

فكانت المغفرة أعظم هداياه من رب العالمين:

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾

(الفتح/ ٢)

وعتاب الصدّيق من الله.. لم يكن إلا لأجل المغفرة:

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(النور/ ٢٢)

وشفاعة الملك الوهاب إلى عمر بن الخطاب.. في قوم قد استوجبوا أشد العقاب. ما كانت إلا في المغفرة:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾

(الجاثية/ ١٤)

وأعظم حاجات عثمان في أعقاب

الصلوات وختم الصلاة: طلب المغفرة والرضوان:

﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(الذاريات/ ١٨)

والثناء على عليّ من الملك العلي.. كان بهذا المهم الجلي:

﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾

(آل عمران/ ١٧)

***

ثم إن الله -تعالى- نبه إلى أن المشرك غير أهل للمغفرة فقال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾

(النساء/ ٤٨)

ودعوة سيد المرسلين كانت بطمع طلبه المغفرة:

﴿ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾

(المنافقون/ ٥)

ثم عرّف بعدم معرفة الكافر قدر المغفرة:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

(المنافقون/ ٦)

***

ثم أمر بالعفو والاستغفار للأخيار والأبرار:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾

(آل عمران/ ١٥٩)

وحملة العرش يتوسلون إلى الله بطلب المغفرة للمؤمنين من عباده:

﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾

(غافر/ ٧)

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾

(الشورى/ ٥)

وتضرعُ أهل الإيمان. والتجاؤهم إلى الرحمن في طلب الغفران:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾

(البقرة/ ٢٨٥)

وبشّر الله -عز وجل- عباده بأعظم البشرى:

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

(المدثر/ ٥٦)

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

(الحجر/ ٤٩)

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

دم لا ينقض الوضوء

● السؤال من السيد : ب ع ا

هل ينتقض الوضوء بخروج الدم؟

●● الجواب : المختار فى الفتوى فى ذلك رأى الجمهور : أن الدم الخارج من غير السبيلين لا ينقض الوضوء.

نعم يجوز

● السؤال من السيد : ت د م

هل يجوز قص الشعر والأظافر أو حلق اللحية قبل الاغتسال من الجنابة؟

●● الجواب : نعم يجوز.

فى المواريث

● السؤال من السيد م م ر

طلب شخص من أبيه أن يبيع له جزءاً من الأرض على أن يعده ميراثه ولا يحق له أن يرث فى أبيه بعد موته مع موافقة الإخوة على ذلك، فهل هذا جائز؟

●● الجواب : تنازل الشخص عن الميراث قبل موت المورث لا عبرة ولا اعتداد به، لأنه لا يستحق الميراث إلا بموت المورث، فلا عبرة بتنازله عن الشئ قبل استحقاقه، وموافقة بقية الورثة أو عدم موافقتهم لا تؤثر فى ذلك ، فلا اعتداد بتنازله سواء أوافق الورثة أم لم يوافقوا.

وكذلك الحكم فى كل تنازل عن شئ أو قبوله قبل استحقاقه : فلا عبرة بتنازل شخص عن حقه فى الشفعة قبل شراء الأجنبى، لأنه لا يثبت له حق الشفعة إلا بعد شراء الأجنبى، ولا عبرة بقبول الموصى له قبل موت الموصى أو رفضه، لأن للموصى التراجع عن الوصية قبل الموت وهكذا ما شابه من الفروع والمسائل.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

فى الزكاة

● السؤال من السيد : خ م ح

هل تجوز الزكاة على الإخوة فى حالة وفاة الأب وعدم قدرتهم على العمل؟

●● الجواب : نعم، تجوز، ما لم يحكم القاضى بثبوت نفقتهم على أخيهم، فلا تجوز زكاته لهم وقتئذ.

لا حق لك فى هذه الهدية

● السؤال من السيدة: ن ح ش

أعمل بإحدى الشركات، وتقوم الشركة بعمل مناقصات، وأكون مندوب الشركة فى المناقصات، وأقوم باختيار العطاءات والمناقصات بما يرضى الله دون محاباة لأى طرف من المشاركين فى المناقصة، ثم أفاجأ بالشخص الذى رست عليه المناقصة يعرض علىَّ هدية بحجة أنه سعيد برسو المناقصة عليه وأنه استفاد منها بشكل كبير فما حكم هذه الهدية؟

●●● الجواب : لا حق لك فى هذه الهدية، بل هى من حق الشركة، فلا يحل لك الاستمتاع بها إلا إذا أذنت فى ذلك الشركة، إذ هى مالكتها الحقيقية، ولها أن تتنازل لك عنها.

الجمع فى الصلاة

● السؤال من السيد : م ح م

أقيم فى إحدى الدول الأوروبية وأقوم بالجمع بين صلاتى المغرب والعشاء تقديما نظراً لتقارب الوقت بين صلاتى العشاء والفجر، حيث إن الوقت بينهما لا يتعدى أربع ساعات فهل ما أقوم به جائز؟

●● الجواب : الجمع بين الصلاتين جائز عند التقارب الشديد بين الوقتين الذى يربك عبادات وتعاملات المكلف، وهذه قاعدة عامة يمكنك الأخذ بها، وننصحك بالرجوع إلى المراكز الإسلامية المتعمدة فى الدولة التى تعيش بها أو مجلس

الإفتاء المعتمد فى أوروبا لمراجعتها فيما يخص الحالة الخاصة للمدينة التى تعيش فيها والفترة الزمنية من السنة التى يحدث فيها هذا الحرج المسوغ لاستعمال الرخصة.

الصلاة على المنتحر

● السؤال من السيد: ع ع ع

ما حكم صلاة الجنازة على المنتحر؟

●● الجواب: يجب الصلاة عليه، لأن صلاة الجنازة فرض كفاية، وأما ما رواه مسلم وغيره من حديث جابر بن سمرة – رضى الله عنه – قال: «أتى رسول الله ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه» فأجاب الجمهور عنه ـ كما قال الإمام النووى ـ بأنه ﷺ لم يصل عليه بنفسه زجراً للناس عن مثل فعله، وصلت عليه الصحابة. اهـ، ويدل على ذلك رواية النسائى: «أما أنا فلا أصلى عليه»

حكم قتل اللص

● السؤال من السيد: م ر ا

ما حكم الشرع فيما لو دخل لص المنزل بقصد السرقة وقتله صاحب المنزل؟

●● الجواب: إذا لم يكن له وسيلة لدفعه وصده عن السرقة إلا بقتله فدمه هدر، لما رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى؟ قال: «فلا تعطه»، قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: «قاتله»، قال: أرأيت إن قتلنى؟ قال: «فأنت شهيد»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو فى النار» وإن كان يمكنه دفعه وصده بما هو دون ذلك لم يجز له قتله، فعليه أن يدفعه بالأهون فالأشد تدريجيا قدر طاقته:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾

(البقرة: ٢٢٠)

***

مجازفات فكرية خطرة

للدكتور محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

منذ سنوات، قرأت لكاتب ينسب نفسه إلى «القطبيين» كلاما يقول فيه: إن تراثنا الفكرى وتاريخنا الحضارى ليس فيه من العلماء الملتزمين بصحيح الإسلام إلا أربعة فقط.. اثنان من القدماء، هما شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م) وتلميذه العلامة ابن القيم (٦٩١ ـ ٧٥١هـ ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠م).. واثنان من المعاصرين، هما أبو الأعلى المودودى (١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م) والشهيد سيد قطب (١٣٢٤ ـ ١٣٨٦هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م).

ولقد وقفت ـ يومها وحتى الآن ـ أمام هذه «المجازفة الفكرية»، وأمام تبعاتها ونتائجها، فوجدتها حكما بالإفلاس على الإسلام.. لأن هذا الدين العظيم، الذى حقق عالميته منذ القرن الهجرى الأول، إذا كان لم ينتج ـ عبر خمسة عشر قرنا ـ إلا أربعة من العلماء والمفكرين، فذلك هو عين الإفلاس ـ والعياذ بالله!.

وهذا الحكم بالإفلاس على الإسلام وأمته وحضارته ـ والذى هو فى الحقيقة إفلاس لأصحاب هذه المجازفات الفكرية ـ شبيه بتلك المجازفة التى أطلقها إخوتنا الشيعة، عندما زعموا أن صحابة رسول الله ﷺ.. ورضى عنهم جميعا ـ قد ارتدوا عن الإسلام، بعد وفاة الرسول، ولم يبق منهم على الإسلام سوى خمسة، ادعوا أنهم وقفوا مع الإمام على بن أبى طالب، ورأوا تقديمه فى الخلافة على أبى بكر وعمر وعثمان.. وهذه المجازفة الشيعية، تفضى ـ هى الأخرى ـ إلى الحكم بالإفلاس على الإسلام، وعلى منهاج الرسول فى تربية الصحابة والحواريين.. إذا كان الذين ظلوا على الإسلام عقب وفاة الرسول ـ بل وفور وفاته ـ لم يتجاوز عددهم خمسة أفراد!.

لذلك كله، وجب على العقل المسلم أن يبحث عن

جذور هذه المجازفات الفكرية، التي بلغت هذا الحد في الشذوذ والإغراب، وذلك لتعرية «منطقها» من المنطق، ولإدارة الحوار الفكري العقلاني والموضوعي مع الذين يسقطون في حبائل هذه المجازفات.

المـــودودي

وإذا كان «الغلو» هو آفة الآفات، سواء في ميادين الفكر أو السلوك، فإن الغلو الذي حكم أصحابه على تاريخنا الفكري وتراثنا الحضاري بالجاهلية قد مثل السبب الأول في الحكم على هذا التاريخ وهذا التراث بالعقم والإفلاس.

وإذا نحن ذهبنا لنتصفح المشاريع الفكرية لأعلام اليقظة الإسلامية الحديثة والمعاصرة، منذ رفاعة الطهطاوي (١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) إلى جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م) إلى محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م) إلى رشيد رضا (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) وحتى شيخنا محمد الغزالي (١٣٣٥ ـ ١٤١٦هـ ١٩١٧ ـ ١٩٩٦م).. فلن نجد عند أي من هؤلاء الأعلام أثرا لهذه المجازفات الفكرية التي حكمت وتحكم على تاريخنا وتراثنا بهذا العقم والإفلاس.. فقط سنجد جذور هذه المجازفات الفكرية مع الأسف الشديد ـ عند العلامة الأستاذ/ أبو الأعلى المودودي، في حكمه الغريب على تراثنا وحضارتنا وثقافتنا ومجتمعاتنا؛ بالجاهلية والخروج عن صحيح الإسلام!


الأفغاني

لقد انفرد المودودي ببدء المجازفات الفكرية الخطرة، التي ادعت:

- «أن الجاهلية قد وجدت سبيلها إلى النظام الاجتماعي الإسلامي، منذ السنوات الأخيرة لعهد عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ ـ ٣٥هـ ٥٧٧ ـ ٦٥٦م).
- وأن «الحكم والسلطة قد قاما على قواعد الجاهلية بدلا من قواعد الإسلام منذ تحول الخلافة عن منهاج النبوة إلى الملك العضود»، مع بداية الدولة الأموية (٤١هـ ٦٦١م).. أي منذ ما قبل أربعة عشر قرنا!.
- وأن هذه الجاهلية قد تأبدت منذ وفاة عمر بن عبد العزيز (٦١ ـ ١٠١هـ ٦٨١ ـ ٧٢٠م)، وشملت ـ مع الحكم والسياسة ـ سائر ميادين الفكر والثقافة والفلسفة والعلوم والفنون والآداب والتمدن والاجتماع.. وبنص عبارات المودودي: «... فلقد انتقلت أزمة السياسة والحكومة، بعد عمر بن عبد العزيز، إلى أيدي الجاهلية إلى الأبد.. وتشرت سلطة بني أمية وبني العباس والملوك الأتراك بقوة الحكم وأموال الدولة ضلالات الجاهلية الأولى وأباطيلها في جميع العلوم والفنون والتمدن والاجتماع.. فتم رواج فلسفة الجاهلية وآدابها وفنونها، ودونت العلوم والمعارف على طرازها.. فالحضارة التي ازدهرت في قرطبة وبغداد ودلهي والقاهرة لا دخل للإسلام فيها ولا صلة.. وتاريخها ليس إسلاميا، بل الأجدر أن يكتب في سجل الجرائم بمداد أسود»!! ـ (موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ص ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٦٣، ٦٤) و«الحكومة الإسلامية ص١٧١».

ولأن المودودي ـ رحمه الله ـ قد مثل ـ في إطار اليقظة الإسلامية الحديثة ـ «ظاهرة فكرية» جمعت بين «الفكر» و«الحركة»، و«الفقه» و«التفسير للقرآن الكريم»، والفكر «السياسي» و«القومي» و«الحضاري»، فلقد اشتملت كتاباته وكتبه وخطبه ومقالاته على ما يخالف ويناقض هذه المجازفات الفكرية الخطرة.. لكن الغلاة قد بحثوا في فكر الرجل عن هذه المجازفات فقط، بل وتصاعدوا بها، حتى حكموا بالجاهلية، ليس فقط على ثقافتنا وحضارتنا وتاريخنا والمجتمعات الإسلامية عبر هذا التاريخ.. وإنما حكموا بانقطاع وجود الأمة الإسلامية ذاتها منذ قرون!.. وبأن إسلام هذه الأمة لا علاقة له بحقيقة الإسلام.. فقالوا: «إن وجود الأمة الإسلامية يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة.. لقد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعا.. ولذلك، فالمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً. إن الناس ليسوا مسلمين ـ كما يدّعون ـ إنهم يحيون حياة الجاهلية.. ليس هذا إسلاماً، وليس هؤلاء مسلمين، والدعوة اليوم إنما تقوم لرد هؤلاء الجاهليين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد.. فنحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم. كل ما حولنا جاهلية.. تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً.. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية»!!.

عدو بعيد.. وعدو قريب!!

- وبعد هذه المجازفات الفكرية الخطرة، التي حكمت بالجاهلية على الأمة والحضارة والثقافة والعلوم والفنون والآداب والفلسفة والتمدن والاجتماع.. جاءت جماعات العنف لتقرر أن السيف هو السبيل إلى تغيير هذه الجاهلية، وإعادة الإسلام بدلا من الكفر.. فقالوا: «إن الدولة تحكم بأحكام الكفر، بالرغم من أن أغلب أهلها مسلمون.. والأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام الكفر.. وحكام المسلمين اليوم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء.. وهدف جماعة «الجهاد» هو إقامة الدولة الإسلامية، لإعادة الإسلام لهذه الأمة.. وسبيل ذلك هو السيف.. والأولوية ـ في الجهاد والقتال ـ هي ضد هؤلاء الحكام الكفرة، وليس ضد الاستعمار، فالاستعمار هو العدو البعيد، بينما هؤلاء الحكام الكفرة هم العدو القريب.. ومن هنا تكون الانطلاقة..»!!.. (الفريضة الغائبة ص٧ ـ ٩، ٣،٣٣، ٢٧، ٢٨، ٢٥).

هكذا بدأت المجازفات الفكرية الخطرة:

«نظرية» حكمت على حضارتنا وتاريخنا وثقافتنا - بل والأمة والمجتمعات - بالجاهلية.. ثم جاء الذين حكموا بأن «السيف.. والعنف» هو السبيل الوحيد لاقتلاع هذه الجاهلية.. وإقامة الإسلام ودولته من جديد.

● وإذا كان البعض قد اكتفى - ويكتفي - في رفض هذه المجازفات الفكرية - بإبراز شذوذها وغرابتها.. فإن خطر هذه المجازفات، وآثارها المدمرة في السلوك والممارسات، وما تلحقه بصورة الإسلام لدى الذين لا يعرفون حقيقته، أو الذين يتصيدون السلبيات لتشويه صورة هذا الدين الحنيف.. إن خطر كل ذلك يستوجب كشف زيف هذه المجازفات الفكرية، ومحاورة أصحابها بالمنطق والحجة والبرهان، وذلك وفاء بحق المخالفين لنا - مهما شذت مقولاتهم - في الحوار. وتحصينا للعقول المرشحة أو المهددة بالسقوط في حبائل هذه المجازفات.

● إن الجاهلية - في المصطلح العربي والإسلامي - هي «زمن الفترة، ولا إسلام».. أي الفترة بين رسولين وشريعتين، عندما لا يكون هناك دين صحيح سائد، وإنما يكون الشرك والوثنية محور الاعتقاد - هكذا نجد معنى الجاهلية في اللغة العربية - كما جاء في (لسان العرب) - لابن منظور - وفي (المعجم الوسيط) - وفي الفكر الإسلامي - كما جاء في (معجم ألفاظ القرآن الكريم) - مجمع اللغة العربية.

مجتمع النبوة

أما الذين أطلقوا وصف الجاهلية وأحكامها على المجتمعات الإسلامية - القديمة والمعاصرة - وعلى حضارتها وثقافتها ودولها وحكوماتها، انطلاقا من أن الجاهلية هي «حالة»، وليست «فترة زمنية» - ومنهم الأستاذ/ أبو الأعلى المودودي - ومن سار على نهجه - فلقد جانبهم الصواب والتوفيق عندما لم يميزوا بين وجود «شوائب جاهلية» في هذه المجتمعات الإسلامية، وبين «عموم الجاهلية» لهذه المجتمعات.. فعموم الجاهلية يعني انعدام الإسلام، وتحول الشرك والوثنية إلى محور الاعتقاد الديني في هذه المجتمعات.. وهذا ما لا يقول به عاقل يعرف مكانة الإسلام في هذه المجتمعات.. ولا يقول به إلا الغلاة الذين سقطوا في حبائل التعميمات لهذه المجازفات.


محمد عبده

ويشهد على ضرورة التمييز بين وجود «شوائب جاهلية» في مجتمع إسلامي، وبين «عموم الجاهلية» في مجتمع ما، بتعميم وإطلاق.. أن مجتمع النبوة، على عهد رسول الله ﷺ لم يخل من «شوائب الجاهلية»، ومع ذلك فلا يمكن لعاقل أن يصف هذا المجتمع بصفة الجاهلية.

في صحيح البخاري - من حديث جابر بن عبدالله - قال: كنا في غزاة - (غزوة) - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما بال دعوى الجاهلية. دعوها فإنها منتنة».

فوجود دعوى الجاهلية، وبروزها في مجتمع النبوة، حتى على ألسنة بعض الصحابة، لا يعني سيادة الجاهلية وعمومها، في هذا المجتمع الذي أخرج فيه الإسلام الناس من ظلمات الجاهلية وشركها ووثنيتها إلى نور التوحيد.

ومثال آخر على هذه الحقيقة - التي أغفلها أصحاب المجازفات الفكرية الخطرة - حديث الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه -.. ففي البخاري ومسلم أن أبا ذر «سابّ رجلاً، على عهد رسول الله ﷺ فعيّره بأمه - (قال له: يابن السوداء!) - فأتى الرجل النبي فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية»!.. فوجود شيء من الجاهلية في الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، لا يعني أنه جاهلي بحال من الأحوال.. فهو الذي جاءت الأحاديث الكثيرة في الحديث عن مناقبه وفضائله وشجاعته وسابقته في الإسلام.

جناية كبرى

هذا هو المنهاج الفكري - «العقلي.. والنقلي» - الذي يجب أن نحاور به أصحاب هذه المجازفة الفكرية - الكبيرة.. والخطيرة -.. التي زعمت أن الجاهلية قد قفزت على النظام الاجتماعي الإسلامي منذ السنوات الأخيرة لعهد عثمان بن عفان.. وأنها قد أصبحت القواعد التي قام عليها الحكم والسلطة منذ الدولة الأموية.. وأنها قد تأبدت وشاعت في جميع العلوم والفنون والآداب والتمدن والاجتماع والفلسفات منذ وفاة عمر بن عبدالعزيز!! حتى لقد حكم أصحاب هذه المجازفة الخطيرة بأن الحضارة التي ازدهرت في قرطبة وبغداد ودلهي والقاهرة لا دخل للإسلام فيها ولا صلة.. وأن الأجدر أن يكتب تاريخ هذه الحضارة في سجل الجرائم بمداد أسود!!.. ويزيد من خطر هذه القضية، خروج هذه المجازفات الفكرية من إطار الفكر النظري إلى ميدان السلوك، وذلك عندما تحولت إلى «نظرية للعنف العشوائي»، الذي يهز استقرار المجتمعات الإسلامية، فيضعفها في مواجهة التحديات الشرسة التي تواجه هذه المجتمعات.. الأمر الذي مثل جناية كبرى على الذين سلكوا هذا الطريق أكثر مما جنى على النظم والحكومات!

إن الحضارة التي أنارت العالم، وتعلمت منها الدنيا، وجعلت أمتنا «العالم الأول» على ظهر هذا الكوكب لأكثر من عشرة قرون.. والأمة التي ظلت وفية للوحي الإلهي الخاتم وللبيان النبوي لهذا البلاغ القرآني، لا يمكن أن نحكم عليها بالإعدام بسبب هذه المجازفات الفكرية الخطرة، التي بلغت هذا الحد في الشذوذ والإغراب واللامعقول.

نعم.. هناك «شوائب جاهلية» في مجتمعاتنا.. لكن حضارتنا وثقافتنا وأمتنا وتاريخنا ليست جاهلية بتعميم وإطلاق.



الإسلام كبديل

تأليف

د. مراد هوفمان

تعريب

عادل المعلم

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

٤

ولكن للتصوف الإسلامي إيجابياته

ويرى الدكتور (هوفمان): أن للتصوف الإسلامي إيجابيات ـ إلى جانب هذه السلبيات ـ وضحت فيما أشاعه بين المسلمين من اتجاه إلى التقوى والزهد، فساعد على إبقاء جذوة الإسلام رغم العواصف المعادية القاسية في بلاد مثل ألبانيا والاتحاد السوفييتي. ووضحت في دوره الأساسي في انتشار الإسلام في أفريقيا، وفي دوره في موازنة الثقل الكبير لأحكام الإسلام في داخل المجتمعات الإسلامية نفسها. ووضحت في حيويته التي لم تتأثر حتى الآن بالتطور العلمي الحديث، وخير مثال على ذلك: تمكن الطريقة النقشبندية في استانبول التي اتسعت لوجود أربعمائة وخمسين تكية سنة ١٩٢٠، وظلت حية إلى الآن، بالإضافة إلى ما للطرق الصوفية في مصر والسودان من أتباع كثيرين.

كما وضحت هذه الإيجابيات في الدور الذي أسهمت به في اعتناق كثير من المفكرين الأوروبيين الإسلام مثل: (رينيه جينو) الفرنسي، و(مارتن لنج) الإنجليزي، و(شارل أندريه جيليس) الذي أطلق العنان كاملاً لتأملاته الصوفية، ومعرفته بالله لدرجة استحوذت الإعجاب. ويلاحظ الدكتور (هوفمان) العلاقة بين التصوف الإسلامي، والتصوف في الديانات الأخرى، فيرى: أن صمود التصوف الإسلامي في وجه العواصف المعادية يماثله ازدهار «القبلانية الحسيدية» بين اليهود في القدس ونيويورك، وعودة كنائس القاعدة المسيحية للتصوف.

كما يلاحظ: أن الذي دفع إلى ذلك هو الشك المتزايد في العقلانية كمنهاج، وكنظام علمي اجتماعي؛ حيث جلب استراتيجية التدمير النووي، وكوارث البيئة، وتسبب في توسيع الفجوة بين الناس داخل الدولة، وبين الدول بعضها مع بعض داخل العالم، وكان وراء اشتعال حربين عالميتين مع عشرات الحروب الأخرى، مما فضح «أيديولوجية» التقدم، وما نشأ عنها من مصائب وكوارث، بما هيأه علم الطبيعة الحديث من أرضية لمثل ذلك الرفض للعقلانية العلمية المادية، عندما تطور هذا العلم في بداية القرن العشرين.

الأمر الذي يخلص منه الدكتور (هوفمان) إلى أن كثيراً من الأجيال الجديدة تريد إصلاح خطأ الارتكان المطلق إلى العقلانية المادية بالانزلاق في مسار خاطئ آخر، هو الارتماء في أحضان اللاعقلانية، مع التسليم الكامل للأساطير، عملاً بالشعار «ما ألطف أن يطيع المرء قدره».

معضلة القدر بين المسيحية والإسلام

وفي الفصل السادس «القدر في الإسلام» عقد الدكتور (هوفمان) مقارنة بين ما جاء في المسيحية والإسلام من تفسير للقدر، وموقف المسيحيين والمسلمين من التفسير؛ فذكر ابتداء: أن الإسلام ـ في الحقيقة ـ لم يغض الطرف عن تلك المسألة كما فعلت المسيحية.

وهذه المعضلة نشأت من التوفيق بين ما تقرره الديانتان من أن قدرة الله في تسيير العالم كلية، وأن علمه بما سيحدث في العالم أزلي كلي... وبين مسئولية الإنسان عن أفعاله.

١ – أما المسيحية فقد حاولت فك المعضلة عن طريق «النعمة الإلهية» القائلة بأن خلاص الإنسان بنعمة الله الأبدية، واختياره لهؤلاء المخلصين، وليس بسبب أعمالهم. فقاد هذا إلى مفهوم الاختيار المسبق من الله لمن يفوز بالخلاص والأبدية ومن يخلد في النار.



مراد هوفمان

وحاول (توماس الأكويني) أن يحل تلك المعضلة، فقرر: أن الله خالق كل الأفعال، ومع هذا فمعرفته المسبقة لا تملي الأحداث، ولكنه اقترح أن الإرادة الحرة للإنسان هي جزء من خطة الله الشاملة لخلاص الإنسان.

ولكن هذا وذاك كان مجرد تلاعب بالألفاظ، فلم يحل المعضلة بينهم، وظل الأمر على هذا الحال إلى ما بعد عصر التنوير في أوروبا وأمريكا الشمالية مع مبدأ استقلال الفرد الذي أكد حرية الاختيار، حيث أصبحت حرية الإرادة واقعاً، وأصبح التساؤل عن القدر أو الاختيار المسبق جهلاً وإظلاماً، على الرغم من أن الإرادة الحرة مثل عكسها لا يمكن إثباتها علمياً.

٢ – وأما في الإسلام، فقد ظهر جماعة من المسلمين قالوا بالجبر، وقابلهم المعتزلة، فقالوا بالإرادة الحرة للإنسان؛ بمعنى: أن الله خلق في الإنسان القدرة الكامنة على خلق الأفعال. وعلى هذا... ترجع أفعال الإنسان إلى الله، وإلى الإنسان نفسه.

بينما نادى الأشعري بقبول ما جاء به الوحي بهذا الخصوص، بدون الخوض في محاولة فهمه بالتساؤلات ذات الطبيعة البشرية. على معنى: أن الله هو خالق القدرة لكل أفعال الإنسان، ولكن الإنسان يكسب الفعل.

وجاء الغزالي فطوَّر ما قاله الأشعرى، بما ينفى الجبر عن سلوك الإنسان؛ مقررًا: أن الله خلق القدرة والمقدور عليه، وأن كل إنسان يعرف بالغريزة الفرق بين الأعمال الاختيارية، وردود الفعل الاضطرارية؛ فانفراد الله باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب؛ لأن القدرة وصف للعبد وليست كسبًا له، فهى خلق للرب - سبحانه -، وأما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له.

ويمنع أن تكون تلك الحركة جبرًا محضًا كون الإنسان يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة، والرعدة الضرورية، ويمنع أن تكون خلقًا للعبد إدراكُ هذا العبد أنه لا يحيط علمًا بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها؛ فإذا لم تكن الحركة جبرًا للعبد ولا خلقًا له، فليس أمامنا إلا اعتقاد أنها مقدورة بقدرة الله - تعالى - اختراعًا، ومقدورة بقدرة العبد على وجه آخر يعبر عنه بالاكتساب.

ومن المدهش إمكان القول: إن اكتشافات الطبيعة الحديثة تساند تلك النظرة للمسألة؛ فمنذ اكتشف (ورنر هايزنبرج) مبدأ النسبية سنة ١٩٢٥ ... يصف علم الطبيعة حقيقة الذرة بحالتيها التوفيقية، وليست التبادلية «أى جزيئات ضد موجات»، وأصبح من السهل فهم الطبيعة الجزيئية بطريقة تشبه التوفيق بين الجبر والاختيار. وبذلك... يمكن للمسلمين - كما أوضح أورلينج شون - أن يردوا على من وصم محاولاتهم لحل مشكلة الجبر والاختيار بأنها من ظلمات القرون الوسطى.

الأصولية الإسلامية بين الحرفيين والعقلانيين

وفى الفصل السابع حرص الدكتور (هوفمان) على التعريف بمصطلح «الأصولية»، فذكر - ابتداءً - أن هذا المصطلح ليس له محل حقيقى فى الإسلام، وإنما هو مصطلح أمريكى النشأة، وأن جميع الديانات والمذاهب تقوم على أساس فكرى معين، يعتقد تابعوه أنه كامل شامل، دقيق، غير قابل للتغيير، وأن الحاجة إلى التطور لمواجهة التحديات المختلفة فى الزمان والمكان تدفع بالعلماء والقساوسة، ومنظرى المذاهب للقيام بهذا التطوير. الأمر الذى يحوج كل ديانة أو مذهب إلى مراجعة هذا التطوير والتعرف على ما أدخله الأتباع عليها فى محاولة لإحياء أصولها الحقيقية.

وأن هذا الرجوع يتم بمنهجين؛ منهج حرفى، ومنهج عقلى.

١ - أن المنهج الحرفى يقوم على محاولة الفهم الحرفى للأصل... وعليه اعتمد الإنجيليون الأمريكيون فى محاولة الفهم الحرفى للإنجيل، وإعادة تطبيقه، وهم الذين أطلق عليهم وصف الأصوليين؛ فكان لذلك مصطلح الأصولية مصطلحًا أمريكىَّ النشأة، وليس له محل حقيقى فى الإسلام.. على الرغم من توجه الحنابلة وبعض الأشاعرة إلى التزام النصوص والبعد عن التأويل.

ومع هذا... أكد التحليل العلمى لنصوص العهد الجديد الشكوك فيه؛ فساعد على الخروج من المسيحية، بينما هذه التحليلات شديدة التدقيق أكدت موثوقية القرآن، وتوافق الأبحاث العلمية الحديثة مع ما جاء به.

وأوضح: أن الآيات القرآنية المبهمة، والآيات ذات الطبيعة المجازية... أوقعت النصيين فى مشكلات إدراك مقاصدها، خصوصًا تلك التى تتحدث عن حقائق ما وراء الطبيعة لتجاوزها نطاق مداركنا العقلية، والحسية، والحدسية، ولاستعصائها على اللغة.

وإن كل مسلم يجب عليه أن يفهم ذلك - وليس الأصولى فقط - وأن يعى أن استخدام المنطق البشرى والتأويل فى محاولة الإحاطة بما جاء فى القرآن عن ما وراء الطبيعة لن يؤدى بهم إلا إلى خداع النفس بواسطة التلاعب بالألفاظ، كما حدث من قبلُ الفلاسفة التقليديين فى ظنونهم وتخميناتهم عن الوجود.

ولذلك... لجأ أصحاب المنهج الحرفى إلى ما جاء فى قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾

(آل عمران: ٧)

فتخلوا - فى تواضع وذكاء - عن محاولة كشف ما وراء الطبيعة... ومع هذا اتهمهم بعض الباحثين والمفكرين بالغباء، على الرغم من قبول هؤلاء الباحثين قول (كانْت) و(وينجنشتين) عن الحدود الضيقة لمدارك الإنسان ومنطقه، وعدِّهم هذا القول علامة ذكاء هؤلاء.

٢ - أما المنهج العقلى الذى يتم به الرجوع إلى أصل الدين وتجديده، فيعتمد على الاجتهاد فى الأمور المعاصرة، وتنقيته مما اختلط به من خرافات وعادات وبدع، ثم التفريق بين الشرع كما جاء به القرآن والسنة، وبين آراء الفقهاء، وحواشيهم، ومطولاتهم، ومختصراتهم، وحيلهم، فهم غير معصومين بلا خلاف.

وقد بيَّن هؤلاء المجددون: أن الشرع أرسى قواعد كلية - أو مبادئَ رئيسية - فى مجالات النشاط الإنسانى المختلفة، ثم ترك للتنظيم البشرى مجالاً للعمل طبقًا لاختلاف الزمان والمكان، بحيث لا يتعارض مع الشرع... وبهذا تناسب الشريعةُ الزمان والمكان.

ولكن هؤلاء المجددين - مع هذا - لم يتمكنوا من تطوير نموذج للدولة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامى يتبع فى العصر الحديث؛ حيث فتحوا باب الاجتهاد متى تحققت شروطه؛ فلم يوجد من يميل للاجتهاد حتى إننا اليوم لا نجد فى الساحة الإسلامية على اتساعها إلا علماء يشبهون علماء العصور الوسطى.

وظل الحال هكذا إلى أن أخذ الوضع فى التغير منذ سبعينيات القرن العشرين - كما أكده (جيل كيبيل) - حيث حمل لواء الإصلاح دارسو العلوم الطبيعية والتكنولوجيا... أولئك الذين قد درسوا بالأساليب الغربية - إن لم يكونوا درسوا فى الجامعات الغربية نفسها - ولكنهم ارتبطوا بالإسلام نظامًا روحيًا وأخلاقيًا، فقرأوا القرآن متحررين من القيود التقليدية المتوارثة، التى تكبح - فى العادة - جميع الدارسين والعاملين فى المجال الدينى، فكان لتلك القراءة المتحررة أثرها فى هؤلاء الدارسين خصوصًا عندما بحثوا فى القرآن عن شرعية النظام الملكى، وشرعية نظام الحزب الواحد، فكان خطرهم - بتحمسهم للأصولية - على الحكومات فى الدول الإسلامية أشدَّ من خطر الأصوليين المتعصبين الأقل فكرًا.

- يتبع -

بين الأصالة والمعاصرة

للدكتور / حمدى فتوح والى

لقد تسلم الرجل الغربي قيادة البشرية بعد أن خاض معركة شرسة مع الكنيسة وبعد أن دفع ثمنا غاليا ليحطم القيود التى كبلته بها، ورأى بأم عينه زهرة أبناء مجتمعات أوروبا تحرق فى الشوارع العامة على يد «محاكم التفتيش الكنسية»، ولذا سخط على الكنيسة وأهلها، ونفض عن كاهله غبار القرون المتراكم، وانطلق لايلوى على شىء، ولا يقبل وصاية من دين ولا من حزب، ولا يريد أن يؤمن بشىء، يغل يده، ويحجر على عقله، وحارب التفكير الدينى والطابع الغيبى، ولم يدر وهو فى اندفاعته الحمقاء تلك أنه قد حفر قبره بيده، بعد أن شعر بالجوع الروحى الذى خلفه هذا التمرد على الإيمان بالله واليأس من لقائه.

وبرغم محاولات فلاسفة الغرب سد هذا الفراغ النفسى الرهيب بإقامة العقل إلها فرأينا هيجل يعلن عن مدرسته القائمة على «العقلية المثالية» فإن ذلك لم يسد هذا الفراغ. وقام ماركس ليقيم من «الاقتصاد» إلها يسد الفراغ ويفسر التاريخ ويحلل سير الجنس البشرى لكن هذه المحاولات جميعا باءت بالفشل الذريع. هذا الفشل الذى عبر عنه الفيلسوف الإنجليزى الشهير برنارد شو قائلا:

«كنت أعرف دائماً أن الحضارة تحتاج إلى دين، وأن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك»[1]

وعبر عنه كاتب آخر هو «الكسيس كاريل» فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» بقوله: «إن القلق والهموم التى يعانى منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن البيئة التى أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه لأنها أنشئت دون اعتبار لذات الإنسان»[2]

وحش الحضارة الغربية

ويصور كاتب أمريكى يدعى «ماكنيل» الحضارة الغربية تصويراً معبراً ودقيقاً فيقول:

(١) تهافت العلمانية د. عماد الدين خليل ص ١٦٥.

(٢) نقلا عن كتاب «طريقنا إلى النصر» لراشد الغنوشى ص ٢٧.

«إن الحضارة الغربية فى الطور الأخير من حياتها أشبه بالوحش الذى بلغت شراسته النهاية فى انتهاكه لكل ماهو معنوى، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم قمته، ثم أنشب مخالبه فى أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفى»[3]

ومما يبعث على الأسف والألم أن القطاع عريضا من أبناء جلدتنا ممن يزعمون التمدن والحضارة مازالوا يلهثون فى انبهار معيب وراء هذا السراب الخادع يرجون من ناره ريا لظمئهم وإشباعا لجوعة أرواحهم وكأنهم لم يسمعوا يوما قول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا
فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران: ١٠٠ - ١٠١)

أو كأنهم لم يخاطبوا بقوله سبحانه:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

أو كأن الله - تبارك وتعالى - كان يخاطب غيرهم بقوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

إن هذا القطاع الجاهل بحقيقة دينه، وعظمة رسالته، وسمو دعوته هو الذى شجع الغربى المحروم من كل دين والكاره لكل رسالة، لكى يشمخ بأنفه ويستعلى بماله، ويعتد بقوته ويباهى بعضلاته وأنيابه، ويستبد بشئون الأرض: ناسياً أن ماحصله الغرب من أسباب القوة، وما أفاده من نظريات العلم الحديث هو ثمرة العقول المؤمنة والأرواح النقية من علماء المسلمين الأفذاذ.

الحسن بن الهيثم

إننى أشعر بنوع من الزهو والفخر عندما أعلم أن أمريكا وأوروبا كانوا عيالا على علم آبائنا ونظريات أجدادنا فى مجالات الفلك والرياضة والفيزياء والكيمياء والطب والعمارة وجميع علوم الحياة. ومايزال كتاب «علم المناظير» للحسن بن الهيثم مرجعا فى موضوعه إلى اليوم.

وإليكم هذه الطرفة التى يرويها الشيخ محمد الغزالى فى كتابه «الطريق من هنا» فيقول:

«فى جامعة تونس أستاذ فرنسى كان يدرس علم الضوء أو البصريات - كما يسمى فى

(٣) من محاضرة للأستاذ الفاروقى - جامعة كمبل - فلادلفيا.

ثقافتنا القديمة - وكان الأستاذ معجبًا كل الإعجاب بقانون «الهازان» الذى اكتشفه أحد علماء العصور الوسطى، وسبق به سبقا بعيدًا وفتح به فتحا جديدًا.. وسأله الطلاب: لكن من الهازان هذا؟ فقال أظنه من كبار العلماء الأسبان!

وذهب الطلاب إلى الدكتور «بشير التركى» - يقول الشيخ الغزالى: وعنه نقلنا هذه الطرفة - فأجاب الدكتور بشير - وهو دهش -: الهازان هو «الحسن بن الهيثم» العالم العربى المسلم الشهير، وهو راسخ فى علم البصريات وله نظرات يضارع بها أعظم علماء عصرنا، ولاتقل مكانته عن «آينشتين» وأمثاله؛ لأن العلم مازال ينهل من كشوفه وأحكامه وقد يبقى العالم معتمدا عليه ألف سنة أخرى، وهو أول الأساتذة الذين درسوا فى الجامع الأزهر. قال الدكتور بشير وأما قانونا الضوء والصوت المنسوبان إلى ديكارت فالحسن بن الهيثم هو صاحبهما وواضعهما قبل ديكارت بستة قرون، وكتابه «علم المناظير» لايزال مرجعا فى موضوعه.

وذهب الطلاب إلى الأستاذ الفرنسى بهذه الإجابة فلم ينطق بكلمة، وكل ماحدث منه أنه أضرب إضرابا تامًا عن الإشارة من قريب أو بعيد إلى «قانون الهازان» هذا. فما ذكره بخير ولا شر.


محمد الغزالى

يقول الشيخ الغزالى معلقا على هذا: وظاهر أن الأستاذ قد بوغت بعظمة عالم مسلم وهو يمقت الإسلام من الأعماق فلاذ بالصمت، وطوى القصة كاملة..»(٤)

وإننى لأتساءل فى دهشة وعجب من الأولى بنظريات الحسن بن الهيثم أبناؤه وأحفاده، أم أعداؤه وحاسدوه؟!

إنه لأمر يثير العجب والألم فى آن واحد، عندما ترى كنوزنا الفكرية وروائعنا الحضارية تلقى تحت الأقدام، وربما تجدها فى يد البائعين الجائلين يلقون بها بضائعهم؛ لأنها لم تجد من يقدر روعتها، ويدرك قيمتها حتى جاء الأوروبيون فى حملاتهم الاستعمارية فنهبوا كل ماوقع تحت أيديهم من أفكار، وما استطاعوا الوصول إليه من مخطوطات نادرة فنقلوا ذلك كله إلى بلادهم، وعمروا بها مكتباتهم وزينوا بروعتها متاحفهم، ولم يكتفوا بسرقة هذه النفائس من ثمرات العقول والأرواح بل امتدت إلى سرقة ماتحت الأرض من كنوز وآثار. لقد سرقوا ذاكرة الأمة وعقلها وتراثها وأفكارها حتى اضطر كبار علمائنا وقادة نهضتنا الإسلامية للذهاب إلى أوروبا كى يتعرفوا على تراث آبائهم وثقافة أجدادهم فى جامعات «لندن» و«باريس»

(٤) الطريق من هنا - محمد الغزالى ص٢٥.

ولكى يكحلوا أعينهم بهذه الكنوز التى نهبت دون وازع من خلق أو مانع من ضمير.

لغة الكون!

إن اللغة التى يفهمها الكون كله اليوم هى لغة الأرقام، والمخترعات والاكتشافات العلمية تنحنى لها الرقاب احترامًا، ولا سبيل إلى هداية الناس إلا من خلال منبر يحترمونه ويجلونه وليس ذلك إلا فى لغة العلم الحديث، إنها اللغة الوحيدة التى يحترمها الغربيون اليوم وهى نفسها اللغة التى أرشدنا الله إليها بقوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(فصلت: ٥٣)

إننا لن نستطيع أن نتقدم للعالم ونحن معزولون عن مواطن القوة ومجالات التأثير الفعلى فى الحياة - نعم نحن نفخر - وبحق - بالإمام البخارى، والإمام الشافعى، وجميع الأئمة الأخيار فى ميادين الفقه والتشريع والتفسير، لكننا ينبغى ألا ننسى فضل العقول الجبارة التى منحت البشرية خير ماتنعم به اليوم من تقدم وازدهار. والتى أمدتها برصيد من الإبداع والابتكار من أمثال الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان والخوارزمى والبيرونى والإدريسى وعباس بن فرناس وغيرهم من علمائنا الأفذاذ، وإذا كانت المروءة والوفاء تدفعنا إلى هذا التقدير والتبجيل فإن أعظم تقدير وتبجيل يسعد هؤلاء الكرام فى رحاب ربهم هو أن يروا ثمرة جهادهم وخلاصة عقولهم ينتفع بها أبناؤهم وأحفادهم.

إننى أشعر بالعار عندما أرى أبناء الغرب يأتون إلى بلادنا لينقبوا تحت أقدامنا عن أرزاقنا التى حبانا الله بها. بينما نحن عاجزون عن استخراج تلك الكنوز.

يقول الشيخ محمد الغزالى:

«إن الله جعل معرفته والحفاظ على حقوقه مربوطين بدراسة الكون والتمكن فيه، فإذا كنا خفافا فى هذه الدراسة، أو كنا ذيولا لغيرنا فهل نحن بهذه الخفة عارفون بالله، قادرون على صيانة حرماته؟!!»(٥)

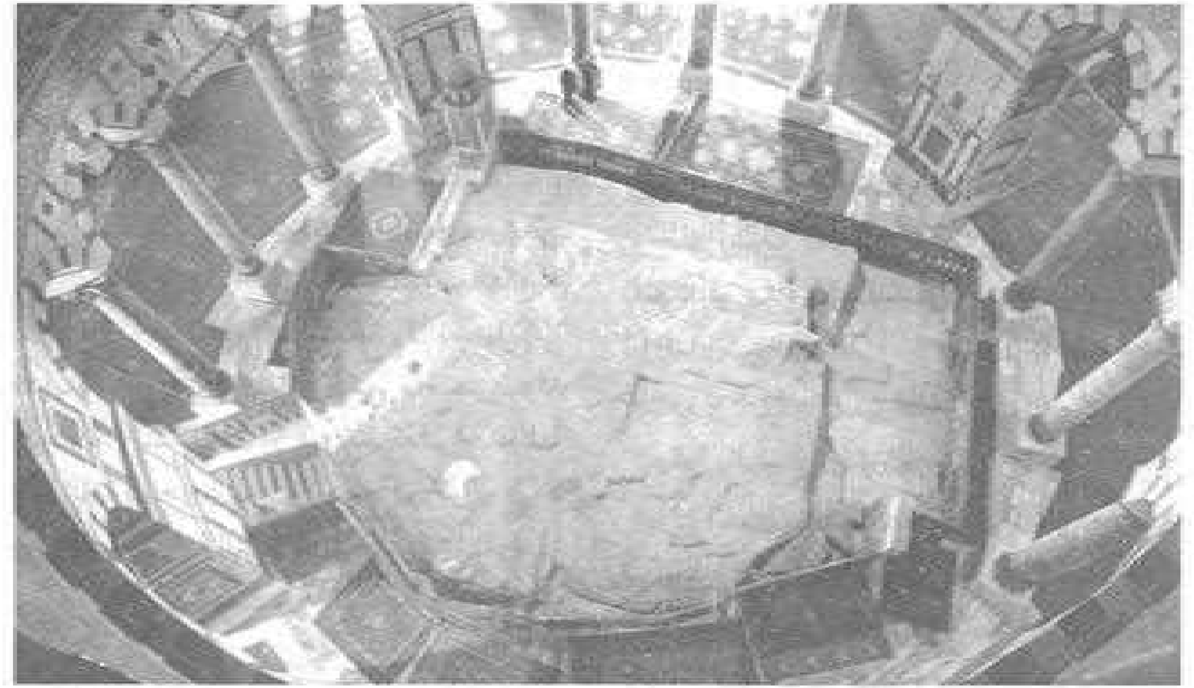
إننا ينبغى أن تكون لنا شخصيتنا الواضحة، وذاتيتنا المميزة وهويتنا المستعلية بمنهج الله، وعلينا أن نفتح نوافذ قلوبنا ومشاعرنا لكل ما أبدعته البشرية لكى نزداد قوة فى إيماننا وتفردا فى شخصيتنا ولنتذكر دائما أن الأسد يتغذى على الخراف لا ليصير خروفا ولكن لكى تقوى فيه جسارة الأسد وهمته وقوته.

فهل تعى أمتنا دورها؟ وهل تدرك ما فاتها؟ وهل تعى بحق قول ربها:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

(٥) الطريق من هنا ص ٣٧.



فى رحاب القدس الشريف:

الحق التاريخى المفترى لليهود (٢)

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

هناك حقيقة تاريخية أخرى، يعرفها الناس جميعا، مسلمين كانوا أو يهودا أو نصارى، وهى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - هو الذى تسلم مفتاح هذه المدينة المقدسة من زعيم النصارى آنذاك «صفرنيوس»، وقبل أن يكتب «الوثيقة العمرية» الشهيرة التى يزهو بمصداقيتها الزمان، قام بجولة تفقدية مع هذا البطريرك وأعوانه، استطاع خلالها كل ما اشتملت عليه من مقدسات ومعالم حضارية.. فلو كان فى مدينة القدس، وقت الفتح الإسلامى، معابد أو هياكل أو آثار يهودية، لما كان هناك ما يدعو جنرالات إسرائيل - فى عصرنا الحاضر - أمثال: «موشى ديان»، و«يادين»، و«وايزمان»، و«هرتزوج»، إلى أن يتحولوا إلى علماء آثار، وهواة حفريات.. ينقبون تحت الأرض، فى القدس وما حولها، ويفتشون عن معابد يهودية، أو هياكل يهودية بائدة.. دون أن نسمع حتى الآن أنهم وجدوا شيئا..!!

لو كان فى القدس، عندما دخلها المسلمون فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة، معبد أو هيكل يهودى، لأمر أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» بالإبقاء عليه، بل لأمر بصيانته ورعايته.. ولأمر بالمحافظة على نقوشه ومحتوياته، مثلما أمر بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومزاراتهم وما فيها من صور وصلبان وتماثيل.

فلم يكن هناك سبب دينى - والدين هو الذى كان يحدد خطى المسلمين وأعمالهم فى ذلك الزمان - يدعو إلى أن يفرق المسلمون بين كنائس المسيحيين ومعابد اليهود.. فهؤلاء وأولئك من أهل الكتاب، وسوى بينهم الإسلام فى الحقوق والواجبات.. فإكراههم على الدخول فى الإسلام محظور، وحقهم فى أن يعيشوا فى المجتمع الإسلامى سالمين آمنين مكفول.. هذا حق لليهود وللمسيحيين على السواء، تقابله واجبات أو واجبان على وجه التحديد.. هما واجب «الجزية»، وواجب الامتناع عن إحداث فتنة عامة فى المجتمع الإسلامى، لكى يعيشوا هم والمسلمون جنبا إلى جنب متفاهمين ومتعاونين[1]

ونضيف إلى ذلك، أنه لو كان هناك معلم واحد ينسب إلى اليهود، أو كان هناك معبد واحد مما يقدسونه لما استجاب عمر بن الخطاب إلى طلب النصارى فى النص على عدم دخول اليهود هذه المدينة المقدسة أو الإقامة فيها بأى حال.. فما كان عمر بن الخطاب بالرجل الذى يحط من شأن أتباع موسى - عليه السلام - وهو يعلم أنه من أولى العزم من الرسل، ورفيق محمد ﷺ فى الدعوة إلى الله - عز وجل.

إن الحق التاريخى الذى يدّعونه - كما يقول الشيخ / عبدالمعز عبدالستار فى كتابه «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» - خرافة وصلافة، فهم لم يقيموا فى فلسطين إلا غرباء، كما تصرح بذلك الأسفار، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدّعى ملكية الأرض التى أقلته، أو الشجرة التى أظلته، لأنه قال[2] تحتها ساعة من نهار؟ على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين وإنما أقاموا فى سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التى لم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض «يهوذا وإسرائيل» وفيما بينهم وبين الفلسطينيين.

وقد بلغ عدد من قتلوا من الفلسطينيين مائتى ألف قتيل - كما هو ثابت فى فصول سفر القضاة - وعدد من قتلهم «داود» وحده بعد ذلك أكثر من «١٠٠٠» ألف قتيل - سفر الملوك: ٢ ، ٣ - حسب قول كتبهم - ثم دهمهم الغزو البابلى فبددهم.

---

(١) «القدس» عبدالحميد الكاتب ص ١٥٥ ، ١٥٦.

(٢) من القيلولة وهى الاستراحة فى الظهيرة.

على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلي حتى جاءهم الغزو الروماني، فأباد خضراءهم ومزقهم شر ممزق، ثم جاء الفتح الإسلامي، وهم مشردون في الأرض، وحرّم عليهم أن يقيموا في «أورشليم» بناء على طلب المسيحيين فيها، حتى إن البطريرك «صفر نيوس» بطريرك القدس، شرط على أمير المؤمنين «عمر» وهو يسلمه مفاتيح القدس: ألا يسمح لليهود بدخول «إيليا» أو الإقامة فيها.

لقد دخلها المسلمون، وهي خالية من اليهود بعد ما طردهم الرومان، وأسلم أهلها وبقي المسلمون فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام، أفلا يكون لهم وحدهم الحق التاريخي فيها أكثر من غيرهم[٣].

وهناك الكثير من اليهود المستشرقين، الذين دأبوا على البحث في هذه القضية «قضية الصراع الإسلامي ـ الصهيوني» الذين يؤكدون على عدم وجود أي حق تاريخي لليهود في فلسطين، وعلى رأسهم المستشرق اليهودي الدكتور «إسحاق ليبل ماريتون»[٤] حين سئل: لمن يكون حق السيادة على القدس؟ قال:

التاريخ يقول: القدس عربية، وأكدت ذلك المواثيق الدولية، والحقوق الإنسانية والقانونية وإن منطق القوة حتى ولو انتصر مؤقتا فإنه لا يستطيع أن يجعل الحق يتوارى دائما، كما أن سيطرة العدوان وشريعة الغاب لن تجعل الشرعية القانونية والضمير الإنساني ينهزمان إلى الأبد..

وإذا كان تفرق العرب، وتناحرهم الداخلي وراء صولة المتطرفين الصهاينة، وجولتهم الاستفزازية، وتفوقهم العسكري والحربي، معتقدين أنهم قادرون على طرد العرب، وطمس معالم العروبة بآلة الحرب والسلاح النووي فإنهم واهمون أو مخدوعون، لأن هزيمة العرب وانكساراتهم كفيلة بأن تفتح عيونهم على عيوبهم، فيعرفون أن سر قوتهم في وحدتهم وصمودهم، والتاريخ يحكي لنا أن الصليبيين من قبل ظنوا كما ظن تلامذتهم الصهاينة الآن، وفجأة ظهر صلاح الدين، فسارت الجيوش العربية وراءه، وحققوا نصرا تاريخيا[٥].

وإذا كان الأمر بهذه المثابة من الوضوح، الذي لا يختلف فيه اثنان، ويقرّ به كثير من الباحثين والدارسين، وأصحاب الرأي ممن تعمقوا في دراسة هذه القضية، التي شغلت العالم كله ووضعته

«٣» اقرأ كتاب «القدس.. والوعد الفتري» فصل بعنوان: جولة بني إسرائيل».

«٤» عربي الأصل، وأستاذ زائر بجامعة «أوبيد» بأسبانيا، وصاحب الكتاب الشهير «أبطال التاريخ» الذي أشار في مقدمته إلى أن لديه إحدى نسخ التوراة التي فيها اسم محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

«٥» الشيخ محمد السيد الشناوي «القدس والوعد الفتري» فصل: «هل لليهود حق تاريخي في فلسطين».

ـ مراراً ـ على حافة حرب شاملة تهدد كل دول المنطقة بل والعالم كله بالخراب والدمار.. إذا كان الأمر بهذه المثابة فما الذي شجع اليهود، ومن ورائهم الصليبية الغربية، ودفعهم إلى شن هذه الحروب الطاحنة ضد الشرق العربي الإسلامي، ولا يزال يدفعهم حتى الآن؟ وكيف بدأت هذه الحملة الصهيونية الشرسة؟

إن من نافلة القول أن نؤكد على أن انقسام الدولة العربية وتفرق كلمة المسلمين هو العامل الأول والحاسم الذي دفع الصهيونية العالمية ـ بالتعاون مع الصليبية الغربية ـ إلى ذلك، فتلك حقيقة تكرر القول فيها بما لا مزيد عليه، وهي واضحة كل الوضوح، ولا يزال العدو يعمل على تعميق الخلاف وامتداده بين الأطراف العربية والإسلامية بكل السبل، مستعينين في ذلك بأموال العرب أنفسهم، وببعض الساسة العرب الذين لا يدركون حقيقة الخطر الكبير المحدق بالمنطقة كلها والذي تندفع إليه بكل قوتها..!!

أما كيف بدأت هذه الحملة الصهيونية: فباختصار شديد نقول: لقد بدأت مثلما بدأت الغزوة الصليبية.. بدأت تسعى إلى إقامة مركز ديني روحي ثقافي في فلسطين، ثم راحت تطالب بإقامة مأوى وملجأ لليهود، وسموه «الوطن القومي».. وتقبل كثير من الناس هذه الدعاوى، بل تقبلها كثير من العرب، ومنهم زعماء ومفكرون وكتاب، ونظروا إلى الأمر نظرة إنسانية كريمة متسامحة.. ولم يجدوا في هذا ضرا ولا إضرارا بالعرب في فلسطين، وفي المشرق العربي كله..

وفي تلك المرحلة كان زعماء الحركة الصهيونية حريصين على ألا يذكروا كلمة «الدولة اليهودية».. وأصدروا تعليمات مشددة إلى دعاة الصهيونية في شتى أنحاء العالم أن يتجنبوا تماما الحديث عن الدولة اليهودية ثم انظر ماذا حدث بعد ذلك؟.. قامت دولة يهودية، استولت بالسلاح والإرهاب منذ اليوم الأول على ثلثي فلسطين.. ثم ما لبثت أن التهمت ما تبقى منها، ثم امتدت إلى أراضي الدول المجاورة[٦].

ولا تزال عجلة الحرب دائرة تفتك بالمسلمين في فلسطين: شيوخا ونساء وأطفالا وشبانا، دون أن يقف المسلمون وقفة رجل واحد.. فإلى متى يا مسلمون إلى متى..؟؟!!

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

«النور: ٦٣»

«٦» اقرأ كتاب «القدس» للأستاذ عبدالحميد الكاتب ص٩٤ وما بعدها، واقرأ كتاب «القدس والوعد الفتري» للشيخ/ محمد السيد الشناوي لتعرف أبعاد القضية.

الحرب والسلام فى الإسلام

للأستاذ/ عادل خفاجة

إذا كانت رسالة الإسلام هى إبلاغ كلمة التوحيد لكل أهل الأرض.. وهى الرسالة المقدسة التى ينادى بها .. فإنه فى هذا الشأن لا يستخدم غير الموعظة الحسنة، وهو لا يدخل حربا إلا إذا دفع إليها دفعا ولم يكن له سبيل سواها، فأصحاب الفطرة السليمة يكرهون الحرب، ولا شك أن كل إنسان على وجه الأرض يفضل لنفسه السلم والعيش فى أمان وكذلك الدول وفى مقدمتها الدول الإسلامية تهفو إلى الرخاء والرفاهية.

ولكن هناك اختلاف فى التوجهات وأساليب تحقيق الهدف، فكما أن البعض يؤمن بأن «الهجوم خير وسيلة للدفاع» فإن دولة كإسرائيل تؤمن بأن أفضل طريقة لحماية نفسها وتحقيق السلام لمواطنيها أن تستولى على أراضى جيرانها، فإذا ما استقر لها الوضع، اعتبرت ما استولت عليه أرضها، وبدأت تفكر فى الدفاع عن مكاسبها غير الشرعية بهجوم جديد على جيرانها الجدد.

أى أن منهاجها لتحقيق السلام هو الحرب الدائمة خارج حدودها!!

فماذا عن منهج الإسلام لتحقيق السلام؟

إن الإسلام يمج الحرب بكل صورها..

ويتحاشاها ويتفاداها ويدعو أتباعه إلى ترك الحرب ما وسعهم السبيل إلى ذلك ولا يأمرهم بالقتال إلا إذا لم يكن لهم سبيل سواها.

وإذا كانت رسالة الإسلام الأولى هى إبلاغ كلمة التوحيد لكل أهل الأرض.. وهى الرسالة المقدسة التى ينادى بها الإسلام.. فإنه فى هذا الشأن لا يستخدم غير الموعظة الحسنة، والآيات على ذلك خير شاهد منها قوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

«النحل / ١٢٥»

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية / ٢١:٢٢)

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾

(المؤمنون / ٩٦)

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

(الأحقاف / ٣٥)

فالإسلام، دعوة إلى السلام ناصعة، وهو بعيد كل البعد عن العنف وإراقة الدماء، وكيف يُظن أنه يأمر بإراقة الدماء وهذا قول النبى ﷺ : لايزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»[1]

وفى الحديث الشريف احتراز دقيق فى قوله «دماً حراماً» إذ ليس من وجه الصواب أن تنتهك حرمات المؤمن وهو يقف مكتوف الأيدى حتى يراق دم عشيرته ودم أهله!! إذ دماء المعتدين هدر ليس لها حرمة، لذلك فقد وجب عند مداهمة العدو لأرض المسلمين أن يكون هناك تحريض كبير على القتال لهؤلاء الذين طبعوا على السلم وحب السلام ليعلموا أن الأمر جد وما هو بالهزل فكانت الآيات:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

(الأنفال / ٦٥)

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة / ١١١)

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

(الأنفال / ١٢)

هاتان مجموعتان من الآيات الأولى تنادى بالسلام وعدم اللجوء إلى الحرب أو العنف بل تدعو إلى التزام الحكمة والموعظة الحسنة فى أمر من أخص خصائص هذا الدين وهو إبلاغ كلمة التوحيد إلى البشرية جميعاً باعتباره الدين الخاتم الذى يخاطب البشر على اختلاف ألوانهم دون استثناء.

ثم مجموعة أخرى تنادى بالحرب والقتل وشد الوثاق فإذا بترت عن سياقها وأبعدت

(١) صحيح البخارى، ومسند الإمام أحمد.

عن أسباب نزولها وحجب عن السامع أو القارىء أن السبب هو مداهمة العدو لأرض الوطن.. نقول: إذا حدث هذا البتر وأسدل الستر عن السبب؛ ظهر الإسلام في موقف ازدواج الشخصية وهو ما وقع فيه المستشرقون سواء عن سوء قصد ـ وهو الأغلب ـ أو عن عدم دراية بأساليب القرآن والعربية!!

ويلخص الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبدالله دراز تساؤلات بعض هؤلاء المستشرقين في معالجتهم لهذه القضية في التساؤلات التالية:

● أكان محمد متعطشاً للدماء بفطرته، ولم يمنعه من سفكها إذ كان في مكة إلا أنه كان من الأعوان في قلة، ولم يكن في عامة الأمر يومئذ إلا الضعفاء والمستضعفين، فكان تسامحه حينذاك ضرورة ألجأه إليها العجز وفقد النصير حتى إذا واتته الفرصة في موطنه الجديد اهتبلها، وغمس يده في الدماء إشباعاً لغريزة الثأر والتشفي؟!

● أم كان في هذا الموقف الحربي متحركاً بحركة قسرية لا يستمليها من مرارة قلبه، ولكنه دفع إليها دفعاً وكان فيها تابعاً لا متبوعاً؟ ذلك أنه وجد نفسه في قوم عاشوا جل دهرهم على الغارات والحروب، فما كان منه إلا أنه نزل على إرادتهم وجرى في تيارهم»[٢]

وللمستشرقين في هذا الصدد آراء كثيرة ومسالك شتى كلها لا تؤدي إلى رأي يعتد به، ذلك أنهم جميعاً وقعوا في خطأ واحد وتحركوا من نقطة بداية واحدة وهذا الخطأ هو تجريد محمد ﷺ من نبوته وأنه رجل بدوي مثل غيره من البدو.

ولقد كرّ الأستاذ الفاضل الدكتور دراز على آرائهم الزائفة تلك بالقول الفصل فأتى بالبرهان العقلي البعيد عن العاطفة الجاملة بل كان رده كفلق الصبح إذ يقول فضيلته:

«إن الذين درسوا منهم «بقصد المستشرقين» نفسية محمد في مختلف أطواره: في شبابه وكهولته، في بأسائه ونعمائه حتى في أوج سلطانه، شهدوا بأن محمداً لم يكن يوماً ما فظ الطبع، ولا غليظ القلب، ولا خشن العشرة، ولا عاتي الحكم، ولا حامل ضغن على صديق أو عدو. ولئن كانت في طباعة نزعة عاتبه الوحي فيها عتابا بلغ حد اللوم والتثريب، لقد كانت تلك، على العكس، نزعته للصفح عن أعدائه، ومجازاتهم بالذنب غفرانا، وبالسوء إحسانا، وإن شواهد سيرته العطرة في هذا كله لأشهر من أن ينبه عليها وأكثر من أن يعد بعضها، ناهيك بمنه بالحياة على قريش وهم في قبضته بعد ما تآمروا على قتله.

(٢) د. محمد عبدالله دراز. رأى الإسلام في القتال - مجلة الأزهر، المجلد ٢٤، ص ١٦، سنة ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .

ذلك أن الذين درسوا حياة محمد شهدوا في الوقت نفسه بأنه لم يكن يوما ما إمعة في رأيه، ولا رخواً في حكمه؛ وأنه لم يُعْرف عن أمة في التاريخ أنها كانت أطوع لملك أو قائد أو زعيم من قوم محمد له: طاعة لا يمليها سوط ولا صولجان، ولكن يبعثها الحب والمهابة والثقة والإيمان؛ وأنهم بلغوا فيها إلى حد تفديته بأهليهم وآبائهم وأبنائهم وأنفسهم».[٣]

نقول: إذا كان هذا هو محمد ﷺ وهذه سيرته مستخلصة من شهادات المستشرقين أنفسهم، فهل هذا النبي يدعو إلى قتال..؟!

ويبقى موقف آخر يتخذه الإسلام درءاً للحرب ويأمر به ليقطع أسباب الحرب من جذورها هذا الموقف هو موقف الكرامة والقوة العادلة التي يجب أن يكون عليها المسلم فلا تقتحمه عين حاسد ولا تزدريه عين حقود ولا تعلوه سنابك معتد أثيم موقف الكرامة والهيبة التي يأمر الله فيها المسلمين أن يهدموا كل فكرة تؤدي إلى الحرب فيطفئوا نار الحرب قبل أن تشتعل وذلك بقوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

(الأنفال / ٦٠)

هذا هو الإسلام.. دعوة للسلم.. ودعوة لإعلاء كلمة الله ودعوة إلى كل البشرية لتعرف طريقها إلى الله الخالق ولو كان الإسلام يدعو إلى القتال، حبا في القتل وسفك الدماء، لخاضت الخيل في أنهار من الدماء يوم فتح مكة!! ولكن قول النبي ﷺ لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».. يبقى الشاهد الرئيسي والقول الفصل الذي يمكن من خلال التعرف على الإسلام ونبيه ﷺ.

إن الإسلام دين إحسان وتعاطف وبذل، ولكنه دين لا يعرف الاستكانة ولا يعرف أن يكون الحق مستذلاً، دين لا يشجع الإجرام ويؤكد أن الحق والعدل لابد له من قوة تحميه.

وهذه القوة العادلة لا تكون خائنة أبداً لذلك كان التوجيه الإلهي:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾

(الأنفال / ٥٨)

(٣) د. محمد عبدالله دراز. المرجع السابق، ص ١٧.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

كشف المخطط المريب

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية «الأهرام العربي» في عددها الصادر في ٢٠٠٧/٩/٢٩ قال المحرر:

يوماً بعد آخر تكشف أمريكا عن مخططاتها الرهيبة في الدول العربية فبعد مرور أكثر من أربع سنوات من غزوها الهمجي للعراق، بدأت الإعلان رسميا عن تبنيها لتقسيم العراق إلى ثلاث دول وكان كثير من المحللين السياسيين يشيرون إلى النية الأمريكية في هذا الأمر، لكن الساسة في واشنطن وحلفائهم كان يقولون إنها مجرد افتراضات وهمية وكانوا يؤكدون أن العراق سيصبح منارة الديمقراطية في الشرق الأوسط، ومما يدعو للريبة أن هناك سياسيين وكتاباً وإعلاميين كانوا يقومون بالدعاية لهذا المشروع المريب وتعتقد أنهم لايزالون على موقفهم سراً رغم انخفاض صوتهم نتيجة الهزيمة الأمريكية في العراق.

فمجلس الشيوخ الأمريكي بدأ الاستعداد للتصويت على قرار حول خطة لتقسيم العراق على غرار خطة تقسيم البوسنة ورغم أن هذا القرار غير ملزم، فإنه إعلان رسمي عن تقسيم العراق، وهو إعلان يلقى هوى من أصحاب المشاريع الطائفية الذين جاءوا مع الغزو وتسلموا السلطة في بغداد.

كان السيناتور الديمقراطي جوزف بيدن المرشح في انتخابات الرئاسة الأمريكية المقبلة، تقدم بهذا المخطط زاعماً أنه يقدم حلاً سياسياً في العراق يمكن أن يسمح بانسحاب القوات الأمريكية دون ترك البلاد في حالة من الفوضى وتنص الخطة على تقسيم العراق إلى كيانات كردية وشيعية وسنية مع حكومة فيدرالية في بغداد تتولى أمن الحدود وعائدات النفط وقد وقع عدد من الجمهوريين على هذه الخطة الجهنمية.

وهي خطة لو تمت ستجعل من العراق مجرد دولة عربية كانت ذات يوم عضواً في الجامعة العربية وعضواً في الأمم المتحدة وتجعل الشعب العراقي يتقاتل إلى النهاية في حرب أهلية تتداخل فيها دول الجوار للحفاظ على مصالحها خصوصاً تركيا وإيران وساعتها سنرى أكبر عملية تطهير عرقي في الشرق الأوسط.

ولعل الذين شجعوا الغزو الأمريكي للشرق الأوسط يخجلون الآن إلا إذا كانوا يعملون كطلائع للغزو، ونعتقد أن على جامعة الدول العربية مجتمعة، وكل دولة عربية على حدة رفض هذا المخطط بقوة غير مترددة فالدور على الجميع دون استثناء.

متى يتخلى الأتراك عن حلم الاتحاد الأوروبي؟!

تحت هذا العنوان جاء مقال الأستاذ/ هشام عبد الرؤوف المنشور في جريدة المساء الصادرة في ٢٠٠٧/٩/١٩:

لا نعرف حتى الآن الموقف التركي الرسمي من تصريحات الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي التي جدد فيها رفضه لانضمام تركيا الى الاتحاد الأوروبي. باعتبار أن تركيا دولة آسيوية وليست أوروبية.

وبصرف النظر عن موقف تركيا الرسمي الذي لم يتضح بعد من تصريحات الرئيس الفرنسي فإن هذه التصريحات تذكرنا بتصريحات الرئيس الفرنسي الأسبق فاليري جيسكار ديستان عندما كان رئيسا للبرلمان الأوروبي.

فقد أكد على نفس الموقف وهو أن ٩٥٪ من شعب تركيا يعيش في قارة آسيا.. فكيف ينضم الى الاتحاد الأوروبي؟!

وكنت أفضل لو تحلى ساركوزي أو ديستان أو غيرهما ممن يتبنون ذلك الموقف بالشجاعة وذكروا بصراحة أن تركيا دولة إسلامية.. وسبق أن قررت الأحزاب المسيحية في أوروبا في اجتماع لها قبل سنوات أنه لا مكان لتركيا في الاتحاد الأوروبي وأنه يمكن منحها ما تشاء من معاملة تفضيلية ومساعدات وغيرها أما العضوية فلا.

وفي عام ١٩٩٧ أثار فيم كوك وزير خارجية هولندا وقتها غضب المسئولين الأتراك عندما تساءل عن مصلحة الاتحاد في ضم دولة إسلامية كبيرة وقتها اعترض رئيس الوزراء التركي نجم الدين أربكان على هذه التصريحات وطلب من الاتحاد تأكيدا كتابيا بأن الاتحاد ليس تجمعا مسيحيا وحصل على التأكيد الكتابي.

وحتى عندما وافق الاتحاد على بدء مفاوضات الانضمام جعلها مفتوحة ولم يحدد موعدا نهائيا لها وبدأ يضع العقبات.

وكل ذلك رغم أن الوضع الاقتصادي في تركيا أفضل كثيرا من بعض الدول التي قبلها في عضويته مثل رومانيا وبلغاريا.

ولا يجب على تركيا أن تغضب من تصريحات ساركوزي فهو يقول علنا وصراحة مالا يقوله الآخرون لا علنا ولا

صراحة. والأمر في النهاية تقاسم أدوار..

وكل من يلزمون الصمت أو يؤيدون انضمام تركيا من قادة الاتحاد.. لهم رأى آخر في الواقع. وليت القيادة التركية تقتنع بهذا الأمر وتتوقف عن تبديد الجهد فيما لا طائل من ورائه.

دموع النساء

وتحت هذا العنوان جاءت كلمة الأستاذ جمال بدوى المنشورة بجريدة «الوفد» في عددها الصادر في ٢٠٠٧/٩/٣٠ قال:

يناقش الكونجرس الأمريكي مشروع قرار بتقسيم العراق إلى ثلاث دويلات طائفية: إحداها للسنة، والثانية للشيعة، أما الثالثة وهي للأكراد، فقد صارت دولة شبه مستقلة لها رئيسها وبرلمانها، ولم يعد لها من رابطة مع دولة العراق سوى ورقة توت على وشك السقوط بعد أن يتقرر مصير كركوك.

إن إدارة الرئيس بوش تتصرف في العراق على أنه جزء من الإمبراطورية الأمريكية، بل إنها تفعل به مالا تستطيع أن تفعله في ولاية أمريكية. فأمريكا لها دستور وضعه الشعب مع قيام الاتحاد منذ أكثر من مائتي سنة ومن أجل بقاء الاتحاد خاض الأمريكيون حرباً مقدسة، ومع بقاء الاتحاد صارت الولايات المتحدة أقوى وأغنى دولة في العالم.

والعراق أقدم وأعرق من الولايات المتحدة، ولكن أهله فرطوا فيه، وتهاونوا في مصيره حتى ضيعوه. لقد نخرت فيهم جرثومة الطائفية حتى امتصت قواهم، وتحاربوا بالسلاح، ووضعوا فكرة الطائفية الضيقة، فوق صخرة الوحدة، وحققوا الحلم الذي كان يراود الحركة الصهيونية في تقسيم البلدان العربية إلى دويلات هزيلة تحيط بدولة إسرائيل.. والآن يتمزق العراق على أيدي أبنائه الأمر الذي شجع الجزار الأمريكي على أن يجهز عليه في الكونجرس» !!».

منذ دخلت القوات الأمريكية العراق: وأصحاب العقول الرشيدة يصرخون.. ويحذرون أهل العراق من الوقوع في مستنقع الطائفية، ولكنهم أصموا آذانهم، وألغوا عقولهم، ونسوا المصالح الوطنية العليا، وانساقوا وراء المنافع الذاتية المحدودة.. وعندما يعلو الطوفان فلن تبقى منافع طائفية، ولا مغانم إقليمية، وسيذهب الكل إلى جحيم الوحش الإسرائيلي» !!».

أين الدول العربية من هذه الكارثة؟

هل يظن الحكام العرب أن بلادهم ستكون في مأمن من التمزيق؟ أم نراهم سعداء بتقسيم العراق، وزوال هذا الوطن العربي الكبير الذي يشكل حصناً من حصون الأمة العربية؟

ألا يعرف هؤلاء الحكام أن عجلة الدمار سوف تطويهم وتسحقهم بعد تمزيق العراق، وأن الدور سيشملهم إن عاجلاً أو آجلاً، وعندها سوف يكون مثلما بكى آخر ملوك غرناطة بعد أن أطاح به الأسبان، ولم يسمع سوى صرخة أمه وهي تقول:

أبك كالنساء ملكاً..

لم تحافظ عليه مثل الرجال!!

احتلال العقول.. وتغريب الفكر

وفي جريدة الوفد الصادرة في ٢٠٠٧/٩/٢٩ كتب الأستاذ/ محمد داود قال:

الغزو الاستعماري الأمريكي لا يقتصر على احتلال الأرض ونهب الثروات وإنما مع ذلك يحاول بقوة احتلال العقل لتغريب الفكر تحت ستار الإصلاح والتطوير، وذلك كي تكون التبعية للنموذج الأمريكي هي خيارنا الذاتي.

وأمريكا تدرك جيداً أن القرآن الكريم، وراء خلود هذه الحضارة الإسلامية، وأن هذه الحضارة قد تضعف بتراجع أهلها وتخلفهم، لكنها لا تموت، فهي دائمة بدوام القرآن، وتدرك أمريكا أن حركات الإحياء لهذه الأمة كانت بالقرآن الكريم، ومن هنا حملت أمريكا في غزوها الثقافي على القرآن الكريم، ومن خلال الأباطيل التي تنشرها للتشكيك في آياته ومحاولة حذف بعض آيات القرآن الكريم، وبتأليفها كتاباً تزعم أن الفرقان الأمريكي الجديد، والدعوة إلى ترجمة ألفاظ القرآن وليس معانيه إلى اللاتينية، يضاف إلى هذا حملتها على عربية القرآن، والدعوة إلى تدريسها بالإنجليزية.

وأمام الحملة الأمريكية لاحتلال العقول وتغريب الفكر ينبغي أن تدرك دورنا في المواجهة وألا نتخلف عنه، وإن كانت الحكومات العربية والإسلامية معذورة بسبب الضغوط الرهيبة التي تتعرض لها، فإن المجتمع المدني «الأهلي» بيده الكثير من حركة الأحياء لهذه الأمة بالالتفاف حول القرآن الكريم وكشف الأباطيل والسموم التي ينشرونها من خلال إعلامهم وأن نكون على مستوى المواجهة، بأن يكون فضح هذه الأساليب قائماً على الأسلوب المقنع بالحجة والدليل، خالياً من السب والشتم والانفعال الطائش.

كما يتأكد ضرورة الاجتهاد في إظهار نواحي العظمة وجوانب الإعجاز في القرآن الكريم فيكون دافعاً لربط أبنائنا بالقرآن.

ومن المهم أن نعيد النظر في علاقة أبنائنا بالقرآن، فلا تقتصر على الحفظ وأن نعظم من شأن تحول الآيات إلى فعل وعمل، ويرحم الله عبدالله بن عمر حين قال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ لا يحفظ إلا السورة أو السورتين لكنه رزق العمل بالقرآن، وإنما آخر هذه الأمة يقرأون القرآن حتى الصبي منهم ولكنهم لا يرزقون العمل به».

تحديات الحزب الحاكم الجديد في تركيا

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد
باحث في الشئون السياسية

يبدو أن فجرا جديدا ، بدأ يضيء بنوره في سماء تركيا العلمانية التي أرسى مبادئها «مصطفى كمال أتاتورك» - بعد الفوز الغالي الذي حققه حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية في الانتخابات البرلمانية الأخيرة التي جرت في ٢٢ يوليو ٢٠٠٧ بعد حصوله على ما يقارب نصف أصوات الناخبين ويرجع تأسيس هذا الحزب إلى ست سنوات مضت عندما أعلن زعيمه ذو النشأة الدينية «رجب طيب أردوغان» قيامه على الساحة الحزبية في ١٤ أغسطس ٢٠٠١ حيث جاء في وثيقة إعلان مبادئه إنه يعتبر مبادئ «مصطفى كمال أتاتورك» عنصرا للسلام الاجتماعي وأداة تنقل تركيا إلى مدارج الأمم المتحضرة وأنه ينظر للدين كأهم المؤسسات الإنسانية على الاطلاق وإلى العلمانية كضرورة للديمقراطية ولضمان حرية الاعتقاد. وقالت هذه الوثيقة موضحة وظيفة العلمانية في حياة الشعب التركي : «إن العلمانية تعد مبدأ لصيانة الحريات حتى يؤدي المؤمنون واجباتهم الدينية ومناخا يساعد على المجاهرة باعتقاداتهم وهي تسمح لغير المؤمنين بالعيش حسب أفكارهم كما أن زعيم الحزب «أردوغان» أكد احترامه لأسس الدولة العلمانية ومبادئها الكمالية الراسخة فقال : «انه ديمقراطي محافظ ، لا يريد إقامة نظام على أسس دينية» وأضاف أنه إذا رأت ابنته التي ترتدي «غطاء الرأس» خلع حجابها فسيناقشها في الأمر لكنه لن يقاطعها أبدا لأنها ستظل ابنته وهكذا أوضح «أردوغان» الذي تلقى تعليمه في مدارس «إمام - خطيب» الدينية موقفه من العلمانية فهو لا يرفضها ولا يرفض المؤمنين بها ، بل هو على استعداد للتحاور معهم ولقد أكدت وثيقة إعلان مبادئ حزب العدالة والتنمية فلسفة الحزب وتعريفه لنفسه حينما قالت : «إن الحزب ينظر لميراث التجربة التاريخية للوطن كأساس قوي للمستقبل ، ويتعهد بإتاحة المجال للقيم التي يحتفظ بها المجتمع التركي والتي تشكل في مجموعها «هوية المواطن».

تسعة أشهر خلف القضبان

وأوضحت الوثيقة أيضاً «أن تدخل الدولة في قيم المجتمع يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار وعدم الرضا ، وأن الحزب ضد تدمير قيم المجتمع لكنه يرفض تجاهل التفاعل مع العالم المعاصر بدعوى حماية هذه القيم» وعلى الرغم من الانجازات التي حققها «رجب طيب أردوغان» في مسيرته الحزبية والسياسية فقد تعرض لعقاب من جانب الدولة التركية - قبل تأسيس حزبه - حينما حوكم بتهمة «التحريض الديني» بسبب كلمة ألقاها في عام ١٩٩٥ في مدينة «سيبرت» ردد فيها مقولة «إن مآذن المساجد حرابنا ، وقبابها دروعنا ، وجموع المسلمين جيوشنا» ولقد قضى بسبب هذه المقولة تسعة أشهر خلف القضبان ، مرددا أن «هذه ليست النهاية ، بل البداية» ومن هنا فإنه لا يمكن تجاهل تأثير نشأته الدينية على فلسفة حزبه السياسي.

نتائج الانتخابات

ولقد أسفرت نتائج الانتخابات البرلمانية التركية التي جرت في الثاني والعشرين من يوليو ٢٠٠٧ عن فوز حزب العدالة بأغلبية الأصوات حيث احتل المرتبة الأولى بحصوله على ٣٤١ مقعدا من أصل ٥٥٠ مقعدا هي مجموع مقاعد البرلمان بنسبة ٤٦,٦٪ من أصوات الناخبين وقد كلف بتشكيل الحكومة الجديدة برئاسة «رجب طيب أردوغان» مؤسس وزعيم الحزب ويليه في المرتبة الثانية حزب الشعب الجمهوري الذي يتزعمه «دينز بايكال» - وهو حزب يساري معارض ، بنسبة ٢٠,٨٪ شغل بها ١١٢ مقعدا في البرلمان الجديد الذي يرأسه «كولزال طوبطان» ويأتي في المرتبة الثالثة حزب الحركة القومية بزعامة «دولت باهشلي» حيث حصل على ٧١ مقعدا بنسبة ١٤,٣٪ بينما نال «حزب المجتمع الديمقراطي» الكردي ٢٢ مقعدا لأول مرة في تاريخه الحزبي بالاضافة إلى ٤ مقاعد للمستقلين وشارك في هذه الانتخابات التشريعية ١٤ حزبا إلى جانب ٧٠٠ مرشح مستقل تنافسوا على أصوات ٤٢,٥ مليون ناخب من إجمالي عدد السكان البالغ ٧٣ مليون نسمة غالبيتهم من المسلمين مع أقلية كردية.

واللافت أن رئيس الحكومة «رجب طيب أردوغان» كان قد دعا لإجراء انتخابات مبكرة بعدما رفض الجيش والمعارضة ترشيح وزير الخارجية «عبدالله جول» لرئاسة الجمهورية التركية وعدم موافقة البرلمان عليه بسبب الانقسام في توجهاته في البداية إلى أن وافق عليه مؤخرا في دورته الثالثة كرئيس للجمهورية في الثامن والعشرين من أغسطس ٢٠٠٧.

والجدير بالذكر أن حزب العدالة والتنمية حرص في مخططه الانتخابي على قطع الطريق على العلمانيين المتطرفين وقام بترشيح عدد من العلمانيين المعتدلين في قوائمه الانتخابية، واهتم بترشيح فريق من النساء، حتى جاوزت نسبة المرشحات ١٠٪ من القوائم وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بنسبة الحزب العلماني المنافس وهو حزب الشعب الجمهوري لذلك بلغ عدد النساء في البرلمان التركي حوالي ٤٦ نائبة منهم ٢٦ سيدة من حزب العدالة والتنمية و٨ نساء كرديات على رأسهم النائبة الكردية «صباحات كوتجل» المجاهدة الكبيرة التي تعرضت للحكم بالسجن بسبب دفاعها عن حقوق الأكراد وبذلك أثبت الحزب الحاكم بزعامة «أردوغان» أنه على الرغم من خلفيته الإسلامية إلا أنه يمثل المعتدلين من العلمانيين وقد لوحظ أن الحزب لم يدخل في صراع مع

حزبه القديم «الرفاه» المسمى الآن «حزب السعادة» الإسلامي التوجه الذى حصل على ٢,٣٪ وهى نسبة لا تؤهله لدخول البرلمان حيث إن النسبة المؤهلة لتمثيله فى البرلمان هى ١٠٪ من أصوات الناخبين لكن العدد الكبير الذى حصل عليه حزب العدالة والتنمية (٣٤١ مقعدا) هى دون الثلثين (٣٦٧ مقعداً) ولا شك أن هذا يمثل تحديا ملحوظا للحزب لأن الحصول على نسبة الثلثين هو الحد المقرر لممارسة حق تعديل الدستور وفرض انتخاب رئيس الجمهورية من داخل البرلمان، واللافت للانتباه ارتفاع نسبة المشاركة فى التصويت فقد بلغت ٨٥٪ من الأصوات المسجلة فى قوائم الناخبين وهى نسبة غير مسبوقة فى تركيا بل تفوق نسبة المشاركة فى أغلب الديمقراطيات الغربية فى أوروبا وأمريكا كما أظهرت نتائج الانتخابات أن الشعب التركى أبدى موافقته التامة على فهم حزب العدالة والتنمية للعلمانية بأنها «الحكم المدنى» الذى لا يستند إلى «رجال الدين» ولا يتعارض مع قيم الإسلام الحاكمة. كما صوت أغلب الشعب التركى بما فيها المناطق الكردية فى ديار بكر جنوب شرق تركيا على طريقة معالجة حزب العدالة والتنمية للمسألة الكردية وهى مزيد من الحريات والعدالة والتنمية فى مناطقهم ورفض استخدام العنف والقوة من جانب الجيش فى قمع المناطق الكردية لذلك حصل حزب «أردوغان» على أكبر الأصوات فى المناطق الكردية وتأمل الأقلية الكردية الحصول على المزيد من الحقوق والحريات فى عهد حكومة هذا الحزب الحاكم.

المؤسسة العسكرية التركية

وجدير بالذكر أن ثمة تحديات ثلاثة رئيسية يواجهها الحزب الحاكم الجديد خلال السنوات الخمس المقبلة فى مقدمتها مسألة المؤسسة العسكرية حيث يدرك العسكريون الأتراك أن وصول «عبدالله جول» لمنصب الرئاسة يعنى سحب البساط السياسى من تحت أقدامهم وخسارتهم لكثير من تكناتهم العسكرية وعدم مغادرتهم لها إلا بأوامر سياسية بعد أن كانوا هم أصحاب القرار السياسى وفوق ذلك أن الكثيرين فى تركيا لا يزالون عند معتقدهم بأنه بلد عسكرى وأن ثمة رباطا لا انفصام فيه بين الدولة والقوات العسكرية التى أنشأت هذه الدولة منذ إعلان الجمهورية التركية على يد مصطفى كمال أتاتورك فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ وإلغاء الخلافة الاسلامية فى ٣ مارس ١٩٢٤ واقرار التقويم الميلادى بدلا من التقويم الهجرى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٢٥ واعتماد الأبجدية اللاتينية للغة التركية بدلا من الحرف العربى فى الأول من نوفمبر ١٩٢٨ وحظر الدروس الدينية فى المدارس بموجب قانون توحيد التدريس وإزالة المادة التى تشير إلى أن الإسلام هو دين الدولة من الدستور حتى تحولت تركيا إلى تطبيق متطرف للعلمانية وهو ما ترتب عليه أن مد العسكر نفوذهم إلى مؤسسات ومجالات هى بطبيعتها من اختصاص السلطة المدنية وهذا ما يفسر تحرك الجيش عام ١٩٩٧ من خلال مجلس الأمن القومى للإطاحة بحكومة «نجم الدين أربكان» زعيم «حزب الرفاه» المنحل بسبب نزعته

الإسلامية فى العمل الداخلى واعتماده سياسة المحاور الإسلامية فى سياساته الخارجية فهل سيتكرر ذلك مرة أخرى مع «رجب طيب أردوغان» رئيس الحكومة الجديد وزعيم حزب العدالة والتنمية ذى الجذور الإسلامية؟ لقد كشر الجيش عن أنيابه يوم ٢٧ أغسطس ٢٠٠٧ عندما وصل حزب العدالة والتنمية إلى رئاسة الجمهورية «عبدالله جول» ورئاسة الحكومة «رجب طيب اردوغان» ورئاسة البرلمان «كولزال طوبطان» حيث اعتبر أن مراكز الشر تحاول تقويض النظام العلمانى، كما لوحظ رفض قيادة الجيش وبعض شخصيات النخبة العلمانية حضور مراسم تنصيب «عبد الله جول» رئيساً للجمهورية التركية فى البرلمان يوم الثلاثاء ٢٨ أغسطس ٢٠٠٧، وهو أمر لم يحدث من قبل فى تاريخ تركيا الحديث، كما لم تحضر زوجة الرئيس «جول» العرض العسكرى، بعدما رفض الجيش مشاركتها بدعوى أنها محجبة، كذلك لم توجه الدعوة إلى زوجة رئيس الحكومة «رجب طيب أردوغان» المحجبة، ولم تشارك زوجة الرئيس «جول» فى الحفلة التقليدية التى أقامها العسكريون بمناسبة عيد النصر، لأن اسميهما لم يردا على بطاقة الدعوة التى وجهت إلى كل من «أردوغان» و«جول» ويكفى فى هذا السياق أن نشير إلى أن رئيس الحكومة «أردوغان» وزعيم حزب العدالة والتنمية. صرح فى حوار تليفزيونى فى ٢٠/٨/٢٠٠٧، مطالبا قيادة المؤسسة العسكرية التركية بعدم التدخل فى الشأن السياسى، وترك المعترك السياسى لأصحابه، ويعتبر هذا التصريح، سابقة تكاد تكون هى الأولى من نوعها فى تاريخ تركيا الحديث.

القضـية الكرديـة

تعتبر قضية الأكراد الأتراك أهم التحديات الداخلية التى تواجه حكومة حزب العدالة والتنمية، التى ترى أن نهج الإقصاء، والدمج القسرى، لا ينفع فى التعامل مع ملف القضية الكردية، إذ لا سبيل سوى الحوار، والممارسة الديمقراطية خاصة بعد دخول البرلمان الجديد ٢٢ كرديا، يشكلون ورقة ضاغطة تصب فى صالح الأقلية الكردية التركية، أما حالة التوتر الموجودة على الحدود التركية العراقية، حيث يحتشد حوالى ١٤٠٠ جندى تركى على هذه الحدود، فهو يشكل تحدياً كبيراً لحكومة حزب العدالة والتنمية، إذ يتحصن مقاتلو حزب العمال الكردستانى التركى فى جبل قنديل، وباتوا يهددون المراكز الحدودية، ومجمعات الجيش التركى القريبة من الحدود لذلك هدد القادة العسكريون الأتراك، باجتياح شمال العراق، فى أكثر من مناسبة، لكن الاحتلال الأمريكى للعراق، والحماية الأمريكية لشمال العراق يحولان دون إمكانية الحسم العسكرى لهذا الملف، وفى هذا السياق يتحدث «مراد قرة يلان» رئيس اللجنة التنفيذية لحزب العمال الكردستانى حول الانتخابات البرلمانية الأخيرة فيقول: «هذه الانتخابات كانت محطة مهمة بالنسبة إلى شعبنا، فقد تلقت السياسة التقليدية التركية القائمة على إنكار وجود الشعب الكردى، ضربة قاصمة وأثبتت فشل هذه السياسة العنصرية، وفى

المنطقة الكردية في تركيا، انحصر الصراع بين حزبين الأول يمثل الأكراد (حزب المجتمع الديمقراطي) والثاني يمثل الدولة التركية، وهو «حزب العدالة والتنمية»، وهذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الأكراد البرلمان على شكل كتلة نيابية وأضاف قرة قائلا: «وأنه على الرغم من المضايقات والعراقيل، فقد تمكن ٢٢ نائبا كرديا من دخول البرلمان في الانتخابات الأخيرة، لقد كان في السابق امرأة واحدة في البرلمان، والآن هناك ٨ نساء، على رأسهم النائبة الكردية «صباحاتا تونجل» التي سجنت من قبل، دفاعا عن حقوق الأكراد»، وأضاف «مراد قرة يلان» قوله: «نأمل من حكومة رجب طيب أردوغان، أن تعتبر وجود النواب الأكراد في البرلمان بمثابة «يد السلام» الممدودة إليهم بغية إيجاد حل عادل للقضية الكردية في إطار «تركيا ديمقراطية»، وتتمنى أن يصبح هؤلاء البرلمانيون الأكراد، وسيلة لفتح حوار مع الجانب التركي، وحتى الآن لا يوجد حوار كردي - تركي، بل قمع واضطهاد تركي للأكراد.

الانضمام للاتحاد الأوروبي

يرى القادة الأتراك أن لا أمل لتركيا في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، على الأقل في المدى المنظور، لأن قرار الاتحاد بتجميد مفاوضات انضمام تركيا إلى عضويته كان صريحاً بتذرعه بسوء العلاقة التركية القبرصية، وعدم فتح الموانى التركية أمام القبارصة اليونانيين، ومطالبته بمنح الأقليات التركية حقوقها «الأكراد»، وطرحه مسألة المجزرة التي قامت بها القوات العثمانية عام ١٩١٥ ضد الأرمن، وتأكيده على مسألة الديمقراطية، وهو ما يفسر سعي الاتحاد الأوروبي على وضع العراقيل أمام انضمام تركيا إليه، الذي حذر منه وزير الخارجية الألماني السابق «يوشكا فيشر» حينما قال: «إن التشدد الأوروبي، قد يدفع تركيا نحو إقامة تحالفات مع روسيا وإيران» ومن حسن الطالع أن حكومة «رجب طيب أردوغان»، زعيم حزب العدالة والتنمية حققت في الخمس سنوات الماضية، نتائج اقتصادية ممتازة، وتسعى جاهدة إلى تلبية معايير وشروط الالتحاق بالاتحاد الأوروبي أو على الأقل الارتباط به اقتصاديا، كأي عضو آخر من دون الانتماء إلى عضويته، كما أن حزب العدالة والتنمية لن يستطيع إغلاق ملف الانضمام للاتحاد الأوروبي كلية لأن القوى العلمانية التركية، لا تزال متمسكة بمتابعة هذه الجهود على أمل أن تتغير الظروف، وتأتي اللحظة المناسبة، وفي هذا الصدد نجد أن الأمريكيين والإسرائيليين يقدمون الوعود المعسولة إلى تركيا بقرب عضويتها في الاتحاد الأوروبي، وأنهم يعملون بجد في ممارسة الضغوط على حلفائهم الأوروبيين للوقوف بجانب الأتراك في هذه المسألة الحيوية.

مخـــاوف

وفي الختام يمكن القول بأن ثمة مخاوف من جانب العلمانيين المتطرفين والجيش لعدة أسباب، أهمها أن حزب العدالة والتنمية لم يقم حتى الآن بشرح دور الدين في الحياة السياسية التركية، وما هو مستقبل ذلك؟ كما أن العلمانيين والمؤسسة العسكرية يرون أن وصول حزب العدالة والتنمية إلى رئاسة الجمهورية ورئاسة البرلمان، ورئاسة الحكومة من شأنه تطبيق برنامجه الديني، وهو ما يهدد أسس النظام العلماني، التي أقامها العلماني الكبير مصطفى كمال أتاتورك.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

بونابرت - بوش

ضحكت كثيرا وأنا أقرأ تصريحات الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن التي أعلنها خلال حفل الإفطار السنوي الذي يقيمه البيت الأبيض لزعماء الأقليات الإسلامية المقيمة في الولايات المتحدة.

حديث الرئيس الأمريكي هذه المرة لم يكن عدائيا على الإطلاق، فهو لم يهدد بشن حرب صليبية جديدة على نحو ما صرح ونفذ سابقا عندما اجتاح أفغانستان والعراق وأصلاهما نارا حامية أكلت الأخضر واليابس وأفنت أرواحا بريئة.

الرئيس الأمريكي أكد في حديثه أن «المتطرفين» الذين يستخدمون العنف لتحقيق أهدافهم لا يمثلون الدين الإسلامي.. إن المتطرفين يعتقدون أنه من خلال نشرهم الفوضى والعنف سوف يثبطون رغبة المسلمين في الحياة بحرية وسلام، ونقول لهم أنتم لا تمثلون الإسلام ولن تنجحوا في سياستكم قلت لنفسي وأنا أقرأ هذه التصريحات ما أشبه الليلة بالبارحة فقديما عندما وطىء الفرنسيون أرض مصر فيما عرف في التاريخ باسم «الحملة الفرنسية على مصر» بقيادة «نابليون

بونابرت، أعلن أنه يحب الإسلام وأنه يحب المسلمين ويحترم نبيهم محمد ﷺ وحرص فى منشور أعلنه فى مصر ووزعه فى كل أنحاء البلاد أن يصلى ويسلم على النبى محمد ﷺ وأكد أنه لم يهاجم مصر إلا ليخلصها من حكم المماليك الذين ظلموا شعب مصر، هكذا قال.. ثم أزهق أرواح عشرات الآلاف من أبناء شعب مصر تماما كما فعل ويفعل السيد جورج بوش الآن فى أفغانستان والعراق.

ساذج ومخطىء تماما من يعتقد أن تصريحات الرئيس الأمريكى تحمل شيئا من الصدق.. ولو كان الأمر كما قال فما هو هدفه إذن من هذا القرآن الذى قام بتأليفه واختراعه وأسماه «الفرقان الحق».



جورج بوش



نابليون بونابرت

أحمد تقى الدين

التكبير منهج للحياة

تحت هذا العنوان جاءت كلمة الشيخ / مصطفى الأزهرى - إمام خطيب مسجد سوق الحمام بالسيدة عائشة قال:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر.. لا إله إلا الله.. والله أكبر الله أكبر ولله الحمد..

هذه للكلمات النورانية التى ينفتح لها القلب وينشرح بها الصدر وتبسم الشفاه مع نسمات فجر يوم العيد.. يوم الفرحة بأن أتم

الله علينا نعمة الصيام، واستمتعت أرواح المؤمنين بالتراويح والقيام، وحلقت النفوس الطيبة فى سماء التهجد، وتوهجت مشاعر المسلم، فأحس أكثر بالمحرومين والمحتاجين، فرحم الأرملة والمسكين، ورق قلبه لابن السبيل، وتفجرت فى نفوس المؤمنين ينابيع الخير والرحمة، وتدرب المسلم خلال شهر رمضان على تعظيم شعائر الله فزاد إقباله على بيوت الله وذاق حلاوة الاعتكاف والمكث فى المسجد، وصام مع صيامه عن الفحشاء والمنكر وتدرب على الصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين، وتعود المرء على الكرم والجود، وكان السخاء أقرب إلى قلبه من البخل والشح فأعطى بل أحب أن يكون فى عداد من قال الله تعالى عنهم:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾

تعلم المسلم فى رمضان كيف يحافظ على وقته وكيف يستثمر أيامه فى عمل الخير وزاد وعيه بقيمة الوقت وأن لليل أعمال لا تصلح للنهار، وللنهار أعمال لا تصلح بالليل، فكان رمضان أعظم مدرسة تدرب فيها على النظام والترتيب.

ومرت أيام رمضان ولياليه العطرة كالنسمة العابرة وجاء يوم العيد.. يوم الجائزة الكبرى.. ليحصد المسلم المقبول الصيام حقل المثوبة والحسنات والأجور العاليات.. ويجتمع الناس مكبرين ومهللين تملأ قلوبهم الفرحة ويغمرهم نور الطاعة والشعور بالألفة والمحبة.. فإذا المسلمون يتلاقون بالبشر والتهنئة والدعاء بالقبول ويجلسون - فى مشهد بديع - متراصين كالبنيان المرصوص يتبادلون صيحات التكبير والحمد ممتثلين أمر الله لعباده فى نهاية آية الصيام:

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(البقرة: ١٨٥)

من هنا.. فينبغى لنا - نحن المسلمين - أن يكون يوم العيد انطلاقة لكل مسلم وهو يسعى فى دروب الحياة أن يرفع راية التكبير، فيكبر ربه وهو يعمل لدنياه، ويكبر الله وهو يعمل لأخراه، يشعر بعظمة الدين الذى هداه الله إليه فيكبر شكراً ويكبر فخراً ويكبر انتماء لهذه العقيدة التى عصمت قلبه من الإشراك بالله، وحفظت وجهه من التسليم لغير الله تعالى، وحين يستشعر المسلم نعمة

الله عليه إذ أرسل رسوله محمداً ﷺ فقام وما نام حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، هنا يغمره الشعور بقيمة الإيمان بالرسول والاستمساك بسنته والاهتداء بهديه فيتخذه بالحب أسوة وقدوة ـ كما قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

فعلى المسلم الحصيف أن يبحث عن دينه وأوامره ونواهيه ويسأل نفسه هل علمه الصيام تعظيم الدين؟ إذاً فقد حقق الصيام معنى التقوى وكان الله تعالى ـ بحق ـ أكبر في القلب من كل شيء.. قال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾

(الحج: ٣٢)

الإمام مالك بن أنس وكتاب الموطأ

تحت هذا العنوان جاءت كلمة القارئ/ فرج مجاهد عبدالوهاب - شربين - دقهلية:

هو أبوعبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، ينسب إلى ذي أصبح بن عوف، وأمه العالية بنت شريك الأزدية، ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة. بدأ يطلب العلم صغيراً فأقبل على محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وربيعة بن أبي عبدالرحمن ولازم نافعاً مولى ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد كثرت الشواهد على زهد الإمام مالك وورعه وإنصافه وشجاعته في الحق، وتذكر كتب التاريخ أن الخليفة هارون الرشيد قال لمالك: يا أبا عبدالله: أريد أن أسمع منك الموطأ. فقال مالك: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال لمالك: متى؟ قال مالك: غداً، فجلس هارون الرشيد ينتظره، وجلس مالك في بيته ينتظره، فلما أبطأ عليه أرسل إليه هارون فدعاه، فقال له: يا أبا عبدالله، مازلت انتظرك منذ اليوم، فقال مالك: وأنا أيضاً يا أمير المؤمنين لم أزل انتظرك منذ اليوم، إن العلم يؤتى ولا يأتي، وإن ابن عمك ﷺ هو الذي جاء بالعلم، فإن رفعتموه ارتفع وإن وضعتموه اتضع.

تميز الإمام مالك بإتقانه وتوقيه في الرواية وعنايته بكتابه، فهذا الشافعي ـ رحمه الله ـ تلميذ مالك يقول: «ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صواباً من موطأ مالك بن أنس».

وقد تميز هذا الكتاب بأنه كتاب منهجي ذو طريقة واضحة محددة التزمها مالك وحافظ عليها في الكتاب كله، فقد التزم بذكر الثقات من الرجال، حتى كان ذكر الرجل في الموطأ حكماً عليه بالتوثيق، قال ابن معين: كل من روى عنه مالك فهو ثقة، إلا عبدالكريم أبا أمية.

التزم الإمام مالك بذكر الحديث الصحيح وفق مذهبه واجتهاده، ففي الكتاب الأحاديث المتصلة التي حملت أعلى شروط الصحة، وهذه لا جدال في صحتها، والعلماء على قبولها والأخذ بها، وقد دخلت في كتب السنة الصحيحة، وهي ستمائة حديث.

لم يقتصر كتاب الموطأ على الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ سواء كانت متصلة أو منقطعة، بل احتوى على طائفة من الآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين مائتين وخمسة وثمانين، وكانت أقوال التابعين وأتباع التابعين، فبلغت الموقوفات ستمائة وثلاثة عشر. وأقوال التابعين وأهل المدينة هدفاً مقصوداً عند مالك في الموطأ.

كما يمزج كتاب الموطأ بين الحديث وفقه الحديث، وترى الإمام مالكاً يستنبط ويفرع وينقل القارئ إلى بيئة السنة والحديث وهذه ميزة ينفرد بها الموطأ بين كتب الستة الأخرى.

توفي الإمام مالك سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م.

أعجاز نخل خاوية

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ/ المنشاوي الورداني محرر مترجم بالتليفزيون المصري، قال:

في بداية القرن العشرين اتفقت المعالجات الأدبية معظمها إن لم يكن كلها على ضياع المجتمع الأمريكي نتيجة تدخله في حربين عالميتين كبيرتين وحروب أهلية بعيدة عن القيم والأخلاق التي توارثوها في القرن التاسع عشر.

شاعر أمريكا ت.س. إليوت T.s.eliot (1887-1965) والمعروف بقصيدته الشهيرة (الأرض الخراب) (The Waste Land) استخدم لغات وإشارات ليعترف بالنظام المفقود والجمال الزائل للنظام الأمريكي يقول روبرت سبلر Robert Spiller (١٩٦٢) في كتابه «وقت الحصاد» (Time of Harvest) والذي يؤرخ فيه للأدب

الأمريكى أن اضطرابات حربين عالميتين وانهيار القيم القديمة والمعايير السالفة المستقرة وإقحام مؤثرات ثقافية جديدة من أقطار أخرى أدت بالكتاب كذلك فى كل مكان إلى تلك الفوضى المحيرة التى رأى رجل مثل هنرى آدامز henry adams ميلادها فى القرن العشرين هذه الطبيعة والتى سيطرت على مجتمع بأكمله نتيجة أخطاء النظام قد ترجمها كتاب الرواية والمسرح كذلك ولعل أشهرهم هيمنجواى ودوس بادوس وفتزجرالد وهوثرون لدرجة أن أطلق على كتاب القصص الأمريكى «الجيل الحائر» فكتاباتهم مأساوية تراجيدية بمعنى أن أبطالها ينهزمون أمام مجتمع متشود لم يتحقق وكذلك لم يحقق الصورة الأفلاطونية المثالية التى درسوها فى القرون السالفة ومن عجب أن أبطال روايات الجيل الحائر يؤثرون الموت فى قصصهم ويتمنون الخروج من الحياة ومن غريب القدر أن كاتبا شهيرا مثل هيمنجواى نفسه انتحر كما يفعل أبطال رواياته.

إن هذا الجيل الأمريكى قد خصه شاعر أمريكا الكبير «إليوت» قائلا عنه:

نحن الرجال المجوفون
حشينا حشوا
يتساند بعضنا على بعض
وقد ملئت الرؤوس بالهشيم
مظهر ولا شكل
ظل ولا لون
قوة مشلولة
حركة ولا سير

نفس الوصف الذى وصفه «هوثرون» لنموذج الفتى الأمريكى الذى يمتلئ بالجمال والصحة ولكنه فارغ أجوف كتلك الأعجاز الخاوية للنخل الميت فالنخل قوام عملاق جميل نضيد ولكنه ليس على هذا الحال عند انهياره فهو بلا ثمر خاوى الجوف.

وانظروا إلى قول الله تعالى:

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾

(الحاقة: ٧)

فى وصفه هلاك قوم عاد ولعل نبوءات وتكهنات أدباء أمريكا فى مرحلة ما عن انهيار المجتمع الأمريكى نتيجة تدخله فى حروب لا ناقة له فيها ولا جمل اللهم إلا السرقة والقرصنة تبشر بانهيار آخر بعد حروب حديثة مشابهة ولعلهم يشهدون نهاية كنهاية عاد وثمود وما أدراك فلعلهم «عاد الثانية» وقد تطوع أحد الكتاب المعروفين د. مصطفى محمود فقال لعل أمريكا هى عاد الثانية فالله سبحانه وتعالى قال:

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾

(النجم: ٢٥)

ومعنى ذلك أن هناك عادا ثانية وثالثة.

أزمة المكتبة فى البيت العربى

ومن صديقنا الأستاذ/ محمد عباس محمد عرابى - كانت هذه المشاركة:

لقد اهتم ديننا الاسلامى بالقراءة وأول آية نزلت على الرسول ﷺ تدعو إلى القراءة، لإثارة العقل البشرى.

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

(العلق: ١)

وألحت الآيات التالية لهذه الآية على محاولة القراءة والتعلم لما لهما من فوائد رأينا آثارها فى العصور الذهبية.

ولم يشهد عصر من عصور الإسلام ما شهده العصر العباسى من رواج للكتب اقتناء واستنساخا وترجمة، فهذا أحد الخلفاء يسمع بتأليف كتاب جديد فيسارع بشرائه بوزنه ذهبا وهذا يستأجر من ينسخ له بعض الكتب وذاك يترجم البعض الآخر، وكانت حوانيت الوراقين تغص بزائريها والمكتبات العامة تفتح أبوابها للجماهير الشغوفة لارتشاف رحيق العلوم بشتى أنواعها.

وحرص العربى على امتلاك مكتبة فى بيته بصرف النظر عن حجمها، فهذا هو الجاحظ يجلس وسط ركام من الكتب كان من الكثرة لدرجة أنه سقطت عليه كتبه فقتلته، وهذا الخليل ابن أحمد يموت وهو يطالع كتابا شغله فاصطدم بالحائط وغيرهم كثيرون.

ولا شك أن حركة التطور العلمى والحضارى مرتبطة بمدى إقبال الناس على الكتب أو ابتعادهم عنها وخير دليل على ذلك أن أزهى عصور الحضارة الاسلامية هى أزهى فترات الاهتمام بالكتاب.

وحينما بدأ الغرب يستيقظ من غفوته التى طالت فتح عينيه ليجد المسلمين ينشرون أجنحتهم شرقا وغربا وفطن إلى السبب وهو لا شك «العلم» مجسدا فى الكتاب فبدأ يدرس ويترجم عن العرب ولا عجب أن نجد كتب ابن الهيثم والبيرونى وابن سيناء وغيرهم من أعمدة المراجع التى اعتمدت عليها جامعات أوروبا حتى عهد قريب.

وسرعان ما سرت فى أوروبا عدوى اقتناء الكتب وما أجملها من عدوى فكان كل مؤسس منزل يخطط مكانا للمكتبة فى بيته حتى لو لم يكن قارئا فالعيب كل العيب فيمن لا يمتلك مكتبة وكانوا يملئونها بشتى أنواع المعارف واعتبروها جزءا من البيت، ولا عجب حينما نقرأ أن أصحاب أحد المنازل يتصل بإحدى المكتبات ويبلغه عن مكان شاغر فى مكتبته ويحدد له نوع الكتب التى يريدها المساحة التى ستشغلها طولا وعرضا وعمقا ليرسل ما يناسبها من كتب.

أين نحن الآن من هذا السلوك النبيل فى اقتناء الكتب ومطالعتها يجب أن يقف كل منا مع نفسه ويسأل: هل امتلك مكتبة ولو صغيرة وكم عدد الكتب فيها وما نوعية هذه الكتب وهل تراعى ميوله وميول أسرته وأصدقائه.

وليسرع من فاته الخير إلى إنشاء مكتبة فى بيته وليتأمل بهدوء «وخير جليس فى الزمان كتاب».

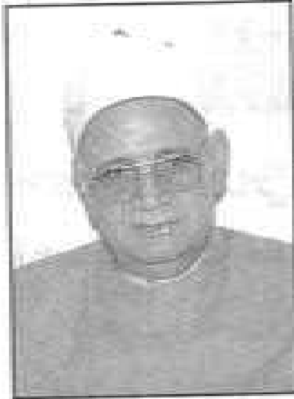


إعداد الأستاذين/ محمد الشرقاوى - أحمد رضوان

ذكرى العاشر من رمضان تخيم على إسرائيل

فرضت سلطات الاحتلال الإسرائيلى طوقا أمنيا شاملا على الضفة الغربية وقطاع غزة اعتبارا من مساء يوم الجمعة ٢١ / ٩ / ٢٠٠٧ الموافق ٩ من رمضان ١٤٢٨هـ وحتى مساء اليوم التالى السبت ١٠ من رمضان بمناسبة عيد يوم الغفران لدى الشعب اليهودى كما أعلنت إسرائيل حالة تأهب قصوى فى صفوف جيشها تحسبا لوقوع هجمات عليها بعد مرور أربعة وثلاثين عاما على الهجوم المفاجئ الذى شنته عليها مصر وسوريا فى ذات اليوم ونشر الجيش الاسرائيلى تعزيزات هائلة وقام بفرض حظر التجوال فى قطاعات عديدة من الأراضى المحتلة وسادت الأوساط الاسرائيلية حالة من الأسى والحزن وهى تتذكر يوم انكسارها وإذلالها خاصة أن يوم العاشر من رمضان هذا العام قد اجتمع مع ذكرى يوم عيد الغفران «يوم كيبور» لأول مرة منذ هزيمتهم المذلة فى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

وكيل الأزهر يفتتح أول معهد أزهرى فى بريطانيا



افتتح فضيلة الشيخ عمر الديب وكيل الأزهر أول معهد أزهرى فى لندن يقوم بتدريس منهج الأزهر الشريف وترسل امتحانات الشهادات من قطاع المعاهد الأزهرية وصرح فضيلة الشيخ عمر الديب بأن المعهد يعد خطوة أساسية لتوضيح صورة الإسلام بوسطيته واعتداله وتيسيرا على الدارسين من عناء السفر للدراسة بالأزهر. قام بإنشاء المعهد أكاديمية الرحمن للعلوم والثقافة بلندن.

كاليفورنيا تجبر مسلمة على خلع الحجاب

رفعت إمرأة مسلمة من ولاية كاليفورنيا دعوى ضد دائرة الشريف فى مقاطعة أورانج بعد أن أجبرت على خلع الحجاب الإسلامى عن رأسها أثناء وجودها قيد التوقيف فى سجن الدائرة.

سهير الخطيب- ٣٣ عاماً- رفعت الدعوى ضد دائرة الشريف خلال الشهر الماضى قالت فيها: إنه تم انتهاك حقوقها الدينية بعدما أرغمتها عناصر الدائرة على نزع الحجاب التقليدى عن رأسها على الرغم من مناشدتها المتكررة لإبقاء الحجاب على رأسها إلا أن عناصر الشريف رفضوا طلبها.

وقالت «كان الأمر قاسياً لأن الحجاب واجب فى ديننا».

إسرائيل تطلق سراح عدد من الأسرى الفلسطينيين وتقتل عددا من مستقبليهم!!

صادرت إسرائيل من الشعب الفلسطينى حق الفرح بالإفراج عن ذويهم من المعتقلين فى السجون الإسرائيلية..!! فطبقا للاتفاقيات الموقعة أفرجت إسرائيل عن (٢٩) معتقلا فلسطينيا.. وعندما عبر أهالى المفرج عنهم عن سعادتهم وفرحتهم برؤية أبنائهم وذويهم بعد

طول فراق انطلقت الرشاشات الإسرائيلية لتقتل عدداً غير قليل من أهالى وأقرباء المفرج عنهم حتى لا يكون للفرح مكان بين أبناء الشعب الفلسطينى المنكوب بالاحتلال البغيض.

بحث ألمانى يؤكد قدرة الإسلام على حل مشاكل الغرب

أكد بحث اجتماعى صدر فى ألمانيا رغبة الغربى غير المسلم فى اعتناق كمنهج حياة والبعد عن قواعد الدولة ذات الخلفية العنصرية وقدم البحث شرحاً مطولاً حول الرجال والسيدات الذين عانوا من الانحلال الجنسى والأخلاقى ويشمئزون من ماضيهم أو ماضى والديهم فى هذا الشأن موضحاً أن هؤلاء يرون أن الإسلام يقدم البديل الأخلاقى والأدبى وحماية العلاقة الأسرية. وأكد البحث أن الإسلام ذو جاذبية للباحثين عن حياة اجتماعية مستقرة حيث يبحث معتنقوه عن الحياة الثابتة التى تحكمها قواعد وبناء ثابت لكل الحقوق والواجبات وهم يجدون حلاً لكل مشاكلهم فى نطاق الدين الإسلامى. جاء ذلك فى البحث الذى قدمته مونيكا فولرب ساد الأستاذة الألمانية للدراسات الاجتماعية والدينية تناولت فيه دوافع المعتنقين للإسلام سواء فى أمريكا أو ألمانيا.

تبرعات للاجئين العراقيين!!

بعد أن كان العراق واحداً من أغنى دول العالم.. وبعد أن كان المواطن العراقى يحتل مرتبة الصدارة فى مستوى الدخل السنوى.. تفاقمت أوضاع الشعب العراقى المشرد والمطرود خارج أرضه فى ظل هيمنة الديمقراطية الأمريكية على الأراضى العراقية.. ومؤخراً أعلنت المفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة أن رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ «خليفة بن زايد آل نهيان» تبرع بمبلغ عشرة ملايين دولار لمساعدة اللاجئين العراقيين الذين يعيشون على الأراضى السورية بعد اضطرارهم للهرب من آتون حرب مستعرة فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية فرضاً ولا يعلمون متى ستنتهى ليتسنى لهم العودة مرة أخرى ليعيشوا على أراضيهم كما كانوا فى السابق قبل الغزو المشئوم.

البرادعى يحذر من فرض عقوبات جديدة على إيران

أكد الدكتور محمد البرادعى مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن فرض المزيد من العقوبات على إيران لن يفيد لأن عزل أى دولة سيؤدى إلى سيطرة الجماعات المتطرفة على القيادة وقال فى حديث بثه التليفزيون المصرى فى ٢١/٩/٢٠٠٧ إن التفكير فى أى مواجهة فى الشرق الأوسط سيزيد من سوء الأوضاع فيها خاصة بعد أن أصبحت المنطقة بؤرة للتوتر مضيفا أن تحسين الأوضاع لن يتم بالحروب أو بمزيد من التسلح.

وزير إيطالى يتضامن مع المسلمين

دعا وزير التكافل الاجتماعى الإيطالى «باولو فيريرو» خلال زيارة قام بها لمسجد منطقة «ماليانا» بمدينة روما الحكومة الإيطالية للعمل من أجل صياغة قانون جديد للحرية الدينية فى إيطاليا.

الوزير الإيطالى الذى تناول طعام الإفطار مع المسلمين فى المسجد فى شهر رمضان أكد أن من شأن تشريع كهذا أن يشكل قفزة نوعية فى مسيرة التعايش بين الأديان.

أبدى الوزير الإيطالى تعاطفه مع المسلمين الذين يعانون من ظاهرة «الإسلامو فوبيا»

جدير بالذكر أن زيارة الوزير الإيطالى هى الأولى من نوعها إذ لم يسبق أن قامت شخصية سياسة من هذا المستوى بزيارة مساجد المسلمين.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ أسامة عبدربه عبدالمقصود
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية القمر المتحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٥ / ٩ / ٢٠٠٧م. السيد عبدالله محمد سامبى. رئيس جمهورية القمر المتحدة والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالسيد الضيف والوفد المرافق له فى مصر والأزهر الشريف، وأكد فضيلة الإمام بأن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تعليم أبناء جمهورية القمر المتحدة بالمعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر العريقة حيث يبلغ عدد الطلاب الدارسين بمراحل التعليم المختلفة حوالى «١٤٠٠» طالب وطالبة منهم حوالى «٦٠٠» طالب وطالبة على منح من الأزهر. كما أوضح فضيلته بأن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال وتقوم على السماحة واليسر والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البلهاء مبيناً أن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون ولا يمنع من الاحترام المتبادل بين الشعوب.

ومن جانبه قدم السيد عبدالله محمد سامبى الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء معرباً عن سعادته بتواجده فى مصر وأنه سعيد بالعلاقات القوية بين مصر وجمهورية القمر المتحدة مشيداً بما يقدمه الأزهر من إسهامات كبيرة فى نشر الوعى الإسلامى وأن العلماء الذين تخرجوا فى الأزهر من جمهورية القمر المتحدة يحتلون مراكز هامة بالجمهورية وهم يحملون راية الدعوة فى جزر القمر وتطلب من الأزهر وجامعته العريقة المزيد من التعاون والدعم الدائم حيث إن النسبة العظمى من الشعب القمرى مسلمين وهم يحملون على عاتقهم توضيح صورة الإسلام السمحة لدى البلدان المجاورة.

ويستقبل نائب رئيس جمهورية العراق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٧ معالى الدكتور عادل عبدالمهدى- نائب رئيس جمهورية العراق وسعادة سفير العراق والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالدكتور عادل عبدالمهدى والوفد المرافق لسيادته فى الأزهر الشريف مشيرا إلى الأخوة الصادقة والمحبة الخالصة للشعبين المصرى والعراقى وأن كلا من البلدين يعتبران قطعة واحدة، وأكد فضيلة الإمام الأكبر بأن العالم الذى نعيشه الآن يحتاج إلى التكاتف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ونحن نتابع ما يحدث فى العراق وندعو الله أن يجنب العراق الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يزيد عدد العقلاء فى العراق للتغلب على ما يحدث وذلك بتكاتفهم وترابطهم ونسيان الماضى وأن تبدأ العراق حياة جديدة تقوم على العدل والبعد عن التعصب الأعمى ما دامت المقاصد الطيبة قائمة، وأن ما يحدث فى العراق بين الشيعة والسنة والأكراد وغيرهم مسألة يجب أن ننساها فالكل مسلم والكل أخ للآخر لا فرق بين سنى وشيعى وكردى وتركمانى، فكلنا تجمعنا عقيدة واحدة والاختلاف فى الفروع موجود ولكن لا اختلاف فى الأصول والأركان، فكلنا نؤمن بوحدانية الله وأركان الإسلام وشريعة الإسلام وكل ما نتمناه أن يلتقى إخواننا فى العراق فيما بينهم وأن ينظروا للأمور للوصول إلى الأفضل ومن هنا يبدأ الاحترام والأمن والأمان وأوضح فضيلته بأن أصحاب المشكلة هم أعرف عن بأمورهم أما العالم فهو هيئة متفرجين فعلينا التكاتف والتصارح والتكاشف وتنازل للوصول للحق ونحن نستبشر خيراً فكل يوم يأتى يجب أن يكون أفضل من سابقه وندعو الله أن يفرج كربكم وأن يذهب عنكم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر بأننا نحارب الفتن من خلال الدراسة بالأزهر التى تقوم على التوسط والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى ونبذ العنصرية البلهاء، لأن العنصرية والتعصب إذا تدخلت فى أمر من الأمور تفسده كما أن الخلاف فى العقائد الدينية عند العقلاء لا يؤدى إلى القتل وإنما الذى يؤدى إلى القتل هو الحقد والوصول إلى الأطماع فعندما تطمس العقول تمتلىء الصدور بالحقد والحسد والضغينة كما أن الدين الإسلامى برىء من كل من يقوم بالتخريب والقتل فالمصريون جميعاً يتابعون ما يجرى فى العراق ويحزنون عندما يسمعون عن حادثة فى العراق أو عن من يفجر نفسه فى بيت من بيوت الله وهو بذلك فاقد للإنسانية ويجب القضاء عليهم لأنهم يفسدون فى الأرض.

ومن جانبه شكر السيد نائب رئيس جمهورية العراق باسمه واسم أعضاء الوفد فضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة له وللوفد المرافق لهذا اللقاء موضحاً أن زيارته لمصر والأزهر الشريف جاءت من أجل التحاور فى هموم الشعب العراقى لما للأزهر من مكانة فى قلوب العراقيين لوسطيته واعتداله، فنحن فى ساعات الشدة نحتاج إلى إخواننا فى مصر أن يأخذوا بأيدينا لنواجه التحديات الضخمة لتجاوز الأزمة المتمثلة فى التقريب بين السنة والشيعة وإعادة توحيد الشعب بعيداً عن التنوع المذهبى والدور المتميز لمشايخنا فى توضيح الفهم الصحيح للإسلام بوسطيته واعتداله.

وفى نهاية اللقاء تمنى الضيف أن يقوم فضيلة الإمام الأكبر بزيارة العراق عندما تسمح الظروف بذلك.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء لبنان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر بمكتبه ظهر يوم الخميس الموافق ٦/٩/٢٠٠٧م معالى السيد رئيس الوزراء اللبنانى فؤاد السنيورة- والدكتور خالد زيادة- سفير لبنان بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام بالسيد رئيس الوزراء فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بالعلاقات القديمة بين الشقيقتين مصر ولبنان.

ومن جانبه أوضح رئيس الوزراء بأنه يحمل تحيات رئيس جمهورية لبنان لشيخ الأزهر وعلمائه الأجلاء على البعثة الأزهرية التى يرسلها الأزهر للبنان الشقيق وعلى دعم الحكومة المصرية للبنان مشيداً بدور الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء ومساهماتهم المتعددة فى توضيح وإظهار صورة الإسلام بوسطيتها واعتدالها.

وأوضح بأن الأزهر الشريف من خلال بعثاته يؤكد بأن الدين الإسلامى هو دين مستنير يعايش كل الأزمنة وكافة القضايا المعاصرة من خلال وسطية الدعوة دون انحراف أو مغالاة كما أكد على حرص الشعب اللبنانى على علاقاته مع أشقاءهم الفلسطينيين وأبدى رغبته فى زيارة فضيلة الإمام الأكبر إلى دولة لبنان الشقيقة لما لهذه الزيارة من أثر فعال وإيجابى لدى الشعب اللبنانى بكافة طوائفه.

وفى نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أهمية توحيد الصف اللبنانى من أجل إحلال الأمن والأمان والسلام الذى من خلالهما يعم الرخاء على شعب لبنان الشقيق.

داعياً لدولة لبنان أن يكثر فيها العقلاء باختلاف ألوانهم ومذاهبهم وأن يكون ولاؤهم لبلادهم حتى يعم الخير على شعب لبنان الشقيق.

ويستقبل حاكم ولاية ترنجانو الماليزية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر بمكتبه صباح يوم ٩/٩/٢٠٠٧م الدكتور عبداللطيف بن أواغ- حاكم ولاية ترنجانو الماليزية وسفير ماليزيا بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

وتأتى هذه الزيارة لدعم التعاون بين ولاية ترنجانو الماليزية والأزهر الشريف وإمداد الولاية بمتخصصين فى اللغة العربية والعلوم الشرعية من الأزهر الشريف للمساهمة مع إخوانهم من مدرسى الولاية فى نشر وتعليم مناهج الأزهر بوسطيتها واعتدالها لدى أبناء ماليزيا.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر لا يدخر وسعاً فى تقديم العون والمساعدة لابناء العالم الإسلامى وبخاصة دولة ماليزيا من منطلق دور الأزهر كمنارة للعالم الإسلامى.

مجمع البحوث الإسلامية يدين رسوم كاريكاتورية مسيئة للرسول ﷺ

أحيط مجمع البحوث الإسلامية علماً بما نشرته بعض الصحف السويدية من رسوم مسيئة للنبى ﷺ.

ومجلس المجمع فى جلسته المنعقدة فى ٢/٩/٢٠٠٧ يدين هذا العمل المسىء لمقدسات المسلمين ويستنكر هذه الإساءات التى تكررت من جهات إعلامية فى أوروبا. ويطالب المجمع دولة السويد باتخاذ الإجراءات اللازمة ضد الصحيفة التى نشرت هذه الرسوم. والاعتذار للمسلمين فى جميع أنحاء العالم الذين شعروا بإهانة بالغة لهذا اللون من الإساءات دون أى مبرر. ويطالب المجمع الأمم المتحدة باتخاذ القرار المناسب بتجريم ازدراء الأديان ووضع حد لمثل هذه التصرفات التى لاهدف لها إلا الإساءة للعلاقات بين البشر وبخاصة بين العالم الإسلامى والغرب.

وكيل الأزهر فى لندن

● فى صدر لقاءات فضيلة الشيخ عمر الديب- وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار بالأزهر أثناء سفره إلى لندن من ١ إلى ٣/٩/٢٠٠٧ لحضور الاجتماع السنوى للجنة المشتركة للحوار بين لجنة الأزهر الشريف الدائمة للحوار بين الأديان السماوية ووفد الكنيسة الأنجليكانية «الأسقفية»، قام فضيلة الشيخ عمر الديب بزيارة للمستشفى الذى يعالج فيه الشيخ محمد

السلاموني مبعوث الأزهر الذى اعتدى عليه وفقد بصره وهو يؤدى واجبه فى أحد مساجد لندن وبعد أن اطمأن عليه أكد فضيلة وكيل الأزهر على ضرورة معاقبة الجانى الذى أساء لأحد علماء الدين الذين ينشرون رسالة الحق ويوضحون للناس المفاهيم السماوية بسماحتها واعتدالها. وقد طالب فضيلته المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان أن تدين هذه الأعمال التى تهدد الأمن والسلم الدوليين.

كما اجتمع فضيلته عقب ذلك بمركز «سانت اثيلبرجا» واللجنة المشتركة للحوار فى اجتماعها الدورى السادس فى لندن لتعزيز التفاهم المتبادل سعياً لتيسير حل الصراعات حيث استمعت اللجنة الى عرض الأوراق الخاصة بدور القيادات الدينية فى دعم حقوق المواطنة والمقدمة من المطران «منير أنيس» - الأقليات المسلمة فى الغرب والمقدمة من فضيلة الشيخ «عمر الذيب» - «الدين والعنف» المقدمة من المطران «الكسندر مالك» - «علاقة الدين بالقانون والشريعة والجهاد والحرب العادلة والحريات الأساسية» للمطران «مايكل نظير» - «مصداقية الفتوى» لفضيلة الشيخ «عمر الديب».

وتم تفعيل الموضوعات المحفزة على التفكير وبخاصة مسألة «أهمية المواطنة» والحاجة إلى تمكين الأفراد من التمتع بمواطنتهم الكاملة بصرف النظر عن دياناتهم بما يمنحهم القدرة على أن يكونوا أعضاء فى المجتمع وأن يكونوا مواطنين بشكل كامل فى دولتهم.

كما دعت اللجنة السلطات المعنية لاتخاذ الخطوات اللازمة لتجنب وقوع هجمات ضد القيادات الدينية المسلمة والمسيحية فى مناطق متعددة من العالم وقد عبرت اللجنة للديانتين «الإسلام والمسيحية» عن اقتناعهما بأنه لا يمكن التوصل إلى السلام الحقيقى فى بعض مواطن الصراع بدون وضع مطلب العدالة فى الاعتبار.

كما رغبت اللجنة فى التأكيد على ضرورة أن تفسر كل من الديانتين نصوصهما المقدسة وتعاليمهما بطريقة تتسم بالمسئولية ولكى تتمتع الفتوى بالمصداقية فإنه ينبغى أن يتم تحديدها وإصدارها من قبل هيئة معترف بها كالأزهر الشريف.

وقد استعرضت اللجنة تجربتها فى برنامج التبادل الدراسى ومناقشة مقترحاتهما من منطلق الالتزام بالعمل على المزيد من تطوير وتوسعة هذا البرنامج.

وبمناسبة مرور خمس أعوام على توقيع الاتفاق بين الأزهر وكبير أساقفة كانتربرى أكد المجتمعون على أهمية أن يؤدى الحوار إلى المساعدة على المشاركة فى حل المشكلات والصراعات فى مناطق مختلفة من العالم وعلى حث القيادات الدينية على استخدام نفوذها لأغراض المصالحة وصنع السلام بطريقة تتسم بالعملية.

واتفقت اللجنة على عقد الاجتماع القادم فى خريف عام ٢٠٠٨ بالقاهرة.

وعقب الزيارة افتتح وكيل الأزهر المعهد الأزهرى البريطانى وهو بذلك أول معهد يقوم بتدريس منهج الأزهر الشريف إلى جانب المناهج البريطانية والمعهد يشرف عليه الأزهر فنياً من جانب مناهج الأزهر وترسل الامتحانات للشهادات من قطاع المعاهد الأزهرية ويعد المعهد بذلك خطوة أساسية لتوضيح صورة الإسلام بوسطيته واعتداله وتيسيراً على الدارسين من عناء السفر للدراسة بالأزهر.

حضر حفل الافتتاح لفيف من رجال السياسة ورجال السفارة المصرية وقيادات الجاليات بانجلترا.

الإمام الأكبر يستقبل السفير اليابانى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر بمكتبة صباح يوم الأحد الموافق ٢ / ٩ / ٢٠٠٧ السيد السفير كاورو ايشيكاوا سفير اليابان بالقاهرة والوفد المرافق من السفارة وذلك لمغادرته القاهرة متوجها إلى اليابان وقد أشاد السفير بلقائه السابق بفضيلة الإمام الأكبر وأهمية هذا اللقاء وأهمية الأزهر فى توضيح صورة الإسلام لدى الغرب مشيداً بما حدث من نهضة إسلامية فى القرن التاسع عشر على يد الشيخ محمد عبده واستمرار هذه النهضة حتى عهد فضيلتكم ونحن نتعلم من فضيلتكم سماحة الإسلام وأن كثيراً من طلاب دول شرق آسيا يتعلمون بالأزهر.

ومن جانبه شكر فضيلة الإمام الأكبر السفير على ما سمعه من حديث طيب منه معربا عن أن الأزهر يستطيع التعاون فى حدود اختصاصاته ويتمثل ذلك بالتعاون على إنشاء معمل لتعليم اللغة اليابانية بشعبة اللغات والترجمة بجامعة الأزهر والذى من خلاله يمكن شرح سماحة الإسلام الذى يدعو إلى نشر السلام بين الناس والذى يبين أهمية التسامح ويوضح أن الإسلام يجعل الناس جميعاً أخوة فى الإنسانية وأن البشر جميعاً من أب واحد وأم واحدة وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون وأنه لا إكراه على العقائد لأن الإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين ولكن يأتى بمنافقين كذابين.

وفى نهاية اللقاء تمنى فضيلة الإمام للسيد السفير دوام الصحة والعافية والسداد فى عمله.

وكيل الأزهر يجتمع بقيادات المعاهد الأزهرية

برئاسة فضيلة الشيخ عمر الديب- وكيل الأزهر عقد اللقاء الموسع للسادة أصحاب الفضيلة رؤساء الإدارات المركزية ومديرى عموم المناطق والمعنيين بمسيرة التعليم بالمعاهد الأزهرية بقاعة الاجتماعات بمشيخة الأزهر يوم الأحد الموافق ٩ / ٩ / ٢٠٠٧م الساعة العاشرة صباحاً.

وتم مناقشة وضع المناطق وتفاتيشها التعليمية ومسئولياتها في تجهيز المقار التعليمية وتلبية احتياجاتها من المقاعد والأثاث والوسائل التعليمية بأنواعها واتخاذ كافة الأجراءات التي تضمن تكثيف الإشراف عليها مع بداية العام الدراسي والقضاء على أي معوقات تعترض مسيرتها وأي سلوك يضر بمقوماتها.

● التأكيد على تدبير الكتب الدراسية وتذليل أي عقبات من خلال تفعيل دور الأجهزة المعنية لتكون جاهزة مع بداية العام الدراسي الجديد.

● الوقوف على ما اتخذته المناطق من تدابير حيال ترتيب أوضاع العمالة المتاحة «معينين ومتعاقدين» على النحو الذي يفي بحاجة كل موقع من التخصصات المختلفة.

● تفعيل دور المناطق والتفاتيش في حفظ القرآن الكريم ومتابعة كوادر تحفيظه ووسائله المختلفة باعتبار ذلك من الأولويات التي يجب وضعها في الاعتبار إلى جانب العناية بالعلوم الشرعية والعربية والثقافية وفقاً لمنهج المقرر والخطة الموضوعة لهذا الغرض.

● كما أوضح فضيلة وكيل الأزهر بأنه سيتم الإعلان عن أكبر حركة ترقيات في الأزهر الشريف وهي ذات فائدة للعملية التعليمية وتوفر الراحة النفسية للمدرسين.

● الانتهاء من حركة التنقلات الخارجية من المناطق الأزهرية خلال هذا الأسبوع لاستقرار العملية التعليمية.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي- شيخ الأزهر عقدت جلسة المجلس الأعلى للأزهر وتمت الموافقة على قواعد وشروط قبول الوافدين بمرحلة الإجازة العالية بكليات جامعة الأزهر للعام الجامعي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م الجديدة طبقاً للحد الادنى للقبول بالجامعات المصرية المعمول بها من العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦م حتى تاريخه.

● الموافقة على خطة الدراسة الموحدة لمرحلة الإجازة العالية لشعب الدراسات الإسلامية باللغات الاجنبية وشعبة اللغة الإسبانية وآدابها لمرحلة الإجازة العالية وكذا إنشاء شعبة الدراسات الإسلامية باللغة الأوروبية وذلك بكليات اللغات والترجمة والدراسات الإنسانية.

● الموافقة على اقتراح لجنة الخطة والمناهج بالإدارة المركزية للتعليم الثانوي بخصوص تدريس مادة الفقه بالمرحلة الثانوية من كتاب الوسيط في الفقه الميسر على المذاهب الأربعة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر اعتباراً من العام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م.

● الموافقة على ضم أسئلة مادتي التفسير والحديث والسيرة والنحو والصرف بالمرحلة الإعدادية وتبديل كتاب التفسير بكتاب المصحف المفسر للصفوف الثلاثة وذلك اعتباراً من العام الدراسي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩م.

● الموافقة على تعادل الإعدادية والمرحلة العالية التي تعادل المرحلة الثانوية بخصوص دراسة المواد الثقافية المقررة على المرحلة الابتدائية والتي لا تتفق مع مؤهلاتهم العلمية التي تزيد على مستوى تلك المراحل اعتباراً من العام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م.

● الموافقة على اقتراح قطاع المعاهد الأزهرية إلغاء أجازة السبت بقطاع المعاهد والمناطق الأزهرية والمعاهد لتكون الدراسة ستة أيام في الأسبوع بدلاً من خمسة أيام وعلى أن يطبق ذلك بعد أجازة عيد الفطر المبارك.

● الموافقة على استبدال يوم الخميس كعطلة أسبوعية بدلاً من يوم السبت للعاملين بمشيخة الأزهر وما يتبعها من إدارات.

● الموافقة على تعديل مسمى قسم دراسات الطفولة إلى قسم رياض الأطفال.

● كما وافق المجلس على تجديد إعارات وإيفاد وتحويل جهات إعارة لبعض السادة الدكاترة بقسم الصحافة والإعلام- قسم الفيزياء- بكلية المجتمع بالجامعة الإسلامية بالسعودية.

● الموافقة على تبعية كلية البنات الإسلامية بأسيوط وسوهاج وكلية البنات الإسلامية الأزهرية بطيبة الجديدة لنائب رئيس الجامعة لفرع أسيوط أسوة بكليات البنات بفرع الوجه البحري وتتخذ الإجراءات.

***

"And remember as you were few and deemed weak on Earth, fearing that people will snatch you away, so He gave you an abode, and aided you with His victory, and provided you with good things, that possibly you would thank (Him)".[AlAnfal (The Spoil = War Gains) : 26]

This example is about Islam in its beginning, but then it became strong. At first, the Prophet was alone, after that, Allah strengthened him with his Companions. "The same thing happens when a plant is growing", said Az - Zamakhshary. [4]

With regards to this interpretation, the description of the Muslims in the Tawrah is "strict against the stubborn disbelievers, constantly merciful among themselves". While their description in the Injil is: "as a plant that brings out its shoot". These descriptions existed in the two books before they were distorted and some of them still exist even after the distortion.

It was mentioned by Qatada, that the book by Qortobi stated that: "It was written in the Injil that there were people who will grow as plants grow, and they will command beneficence and forbid malice". [5]

Some interpreters believe that what was mentioned in the Tawrah and in the Injil about the believers is the same description, so the sentence actually ends at: ***"and their likeness in the Injil"***. Therefore, the words: ***"as a plant that brings out its shoot"*** is a new sentence.

The other meaning, which was mentioned by Ibn Abbas and others, is that there are two examples: one of them is in the Tawrah, the other is in the Injil.[6] We find that this opinion is more acceptable, because it can be understood from the general meaning of the verse. These qualities illustrate a brighter picture of the believers.

His words: ***"He may enrage the stubborn disbelievers"*** mean that Allah makes the believers strict towards the disbelievers and merciful among themselves and causes them to keep praying in order to enrage the steadfast disbelievers. As a result, they will live with regret when they see the wonderful characteristics of the believers.

Then the Holy Sura ends with the promise:

"Allah has promised those ones who have believed, and done deeds of righteousness, forgiveness and a magnificent reward."

Allah mentioned ***"those ones"*** to emphasize that He has promised the believers who have done good deeds (the ones who took part in AlRadwan Pledge and those similar to them in their strong belief) forgiveness and great rewards which no one knows except Allah.

The meaning of these words may also be to differentiate between the believers, who have been promised forgiveness, and the ones who pretended to be Muslims while hiding their disbelief in Islam. They were the ones who refused to pledge their allegiance to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and fight with him.

Allah says:" ***And when they meet the ones who have believed, they say we have believed. But when they go apart to their shayatin (devils), they say surely, we are with you, surely we are only mocking"***

[Al-Baqarah (The Cow) : 14]

Scholars have learned from this verse, and other similar ones, that the Companions of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) must be honoured and respected because they were praised by Allah and have been promised forgiveness and great rewards.

Al-Qortobi said that Abu Urwa Az- Zubairy said that when they were with Malik Ibn Anas, they mentioned a man who scorned the Companions of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), so Malik read this verse: ***"Muhammad is the Messenger of Allah, and (the ones) who are with him are strict against the stubborn disbelievers, constantly merciful among themselves"***. Then Malik said that anyone who is envious of any of the Prophet's Companions or damages their reputation will be afflicted by theses verses. Al-Qortobi said that Malik was right in his interpretation and explanation of the verses. If someone disparaged or defamed any of the Prophet's Companions, he would be violating the Laws of Islam.

Finally, this was an interpretation of Surat AlFath, which promised good omens to the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and his Companions. It also improved their moral sense and made them aware of their enemies: the disbelievers and hypocrites. In addition, it mentions the kind graces of Allah. We ask Allah that this may be of benefit to Muslims and may it be solely for the sake of Allah.

Translated by Eman Aly Ahmed El-Khateb.
Revised and Edited by: Dr. Ibrahim Al-Assil.

****

(1) Alkashaf interpretation 4/346
(2) AlAlosy 26/125
(3) AlKashaf 4/348
(4) Interpretation of Surat AlFath by AlSheikh Ahmad Alkomy page 160
(5) Alqortobi 16/294
(6) Alqortobi 16/296

teachings of their religion and help one another in doing good deeds and in piety.

His words "***Muhammad is the Messenger of Allah***" indicates a great honour to the Prophet, as Allah confirms that Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was sent with the true religion and he delayed mentioning his name to emphasize his merit.

The description of the Prophet's Companions as being strict against the disbelievers and kind among themselves is high praise for them. It also indicates that they are not always strict and not always kind, but that their kindness is towards their brothers in belief and their strictness is against their enemies. This verse is very similar to the one in Al-Maidah Sura (The Table Chapter), where Allah says:

"***O you who have believed, whoever of you turns back from His religion, then Allah will eventually come up with a people He loves them and who love Him, humble towards the believers, mightily proud towards the disbelievers, striving in the way of Allah, and they do not fear the blame of any blamer.***" [Al-Maidah (The Table) : 54]

The author of AlKashaf said that AlHassan said that they were so strict with the disbelievers that they did not like to touch their clothes or their bodies. On the other hand, they were so kind among themselves to the extent that whenever one of them met a believer they always shook hands. [1]

Above all, to explain their kindness, Allah says:

"***And they prefer (the Muhajirun) above themselves, even though penury be (their portion)***" [Al- Hashr (The Mustering: 9]

Then Allah says, describing them:

"***You see them constantly bowing (and) constantly prostrating themselves, seeking Grace from Allah and all-blessed satisfaction.***"

i.e. the rational person always finds them praying for no reason other than to obey Allah and obtain His favour and contentment.

After that, he describes them by saying:

"***Their mark is on their faces, (being) the trace of prostration***"

i.e. Their mark is a light that Allah puts in their faces on the Day of Resurrection, and beauty covers their faces and foreheads in this world because of their prostrating and obedience to Allah.

This sentence means that brightness, luminescence and purity cover their faces because of their great worship. It is not a special sign in their faces, as some people may think.

Prostration was chosen as it symbolizes the highest level of worship and loyalty to Allah. AlAlosy said that Ibn Mardawaihe said that Oba Ibn Kaab said the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said about "***Their mark" is on their faces, (being) the trace of prostration***" that it is the light on the Day of Resurrection. Then AlAlosy said that the light may be on their faces in life in this world and also in the after life. But light in the afterlife is certain since the Prophet has specifically mentioned it. [2]

The demonstrative name in "***That is their likeness in the Tawrah***" refers to all their great qualities that were mentioned previously. The likeness is the extraordinary feature that is worth narrating i.e. These good qualities that characterize those believers are their attributes in the Tawrah which was sent to Mosa.

Then Allah says:

"***Their likeness in the Injil is as a plant that brings out its shoot, then it upholds it, then it grows stout, then it matures level upon its stalks, wonderful to the diligent planters***".

The words: "***their likeness in the Injil***" is connected to their likeness in the Tawrah. The Injil is the book sent down to Jesus. The shoot is the new parts that grow on plants on its sides.

"***Then it upholds it***"' means these shoots strengthen the roots and fix them strongly in the ground. This is similar to the verses in Surat Taha:

"***And make for me a counselor from my family: Harun, my brother. Uphold my back with him***" [Taha: 29 – 31]

Then His saying: "***It grows stout***"' means it becomes strong after it was weak.

His words: "***then it matures level upon its stalks***" means it becomes fully grown. His saying: "***wonderful to the diligent planters***": means that agricultural experts admire its strength and beauty.

These words indicate that, in the Injil, the believers are like a plant. At the beginning, it grows weakly, then it grows around itself becoming stronger. The same can be said about the Prophet and His Companions. They were few and weak, then they increased in number and became stronger. [3] Allah says:

ON THE ANNIVERSARY OF THE BIRTH OF THE PROPHET Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him): AN INTERPRETATION OF SURAT AL FATH

BY:His Excellenc, The Grand Imam DR. MUHAMMAD SAYED TANTAWY SHIEKH OF AL-AZHAR

Al-Azhar magazine marks the occasion of the birth of our Prophet Muhammad (may the blessing and peace of Allah be upon him) by presenting the interpretation of verse number 29 of Surat Al-Fath (the conquest) by the Grand Imam of Al-Azhar.

Allah says:

"Muhammad is the Messenger of Allah, and (the ones) who are with him are strict against the stubborn disbelievers, merciful among themselves. You see them constantly bowing (and) constantly prostrating themselves, seeking grace from Allah and all-blessed satisfaction. Their mark is on their faces,(being) the trace of prostration. That is their likeness in the Tawrah. Their likeness in the Injil is as a plantation that brings out its shoot, then it upholds it, then it grows stout, then it matures level upon its stalks, wonderful to the diligent planters, that through them He may enrage the steadfast disbelievers. Allah has promised those ones who have believed and done deeds of righteousness forgiveness and a magnificent reward."

His words: "***Muhammad is the Messenger of Allah***" is the subject of a nominal sentence or a predicate of an omitted inchoative. "The messenger of Allah" is a predicate or opposition. So the meaning is: This messenger who was sent with guidance and a true religion is Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him).

"***And the ones who are with him***" are the companions of the prophet, especially the ones who witnessed the(SulHul- Hudaibia) conciliation of Al-Hudiabia and who pledged themselves to him under the tree. They "***are strict against the stubborn disbelievers***". Also, they are "***constantly merciful among themselves***" i.e. they are affectionate towards the believers. Moreover, they cooperate with each other in following the

"An Important remark"

Al-Azhar magazine has previously promised its readers to produce translations to several articles, that have been published in Arabic, on the topic of "refuting the defamatory statements directed to Islam and the prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him)".

This follows the unjustified attack on Islam and its most respected Prophet.

This attack appeared in the form of insulting cartoons published in a Danish newspaper and the disgraceful lecture by Pop Benedict in Rosenberg University. The Grand Imam has denounced these acts most eloquently.

Al-Azhar magazine has published the Pope's lecture, which was based primarily on the false and lies. This lecture was delivered by Pop Benedict in one of the Deutsch Universities in Deutsch language. In it, the Pope, who is the head of a major religious institution, went beyond polite social behavior and attacked an international religion, ignoring firm historical facts.

To insure widespread benefit from our publications, our magazine ensured that every passage of the Pope's lecture in Deutsch was followed by and Arabic translation. In addition to that, it published an English and French translation in the English section, and a Deutsch translation in the following issued.

Herein, in this issue the magazine produces a translation for the first article, as promised. It was by the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy, Sheikh of Al-Azhar. if Allah wills it, we will continue to publish translations of other articles in the English section in the next issues.

"May the guidance of Allah lead us on the right path."

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said that the one who forgot or slept at the time of prayer should perform it when he remembers. All of this information is not mentioned in the Noble Qur'an, and the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) revealed it in his Sunnah.

The second example: Almsgiving is imposed by Allah on His worshippers, as He said:

{And bring the Zakat.}

[Al-Baqarah (The Cow): 42]

There are many verses in which almsgiving is mentioned in the Noble Qur'an. Allah, Glory be to him, did not reveal the ones on whom the almsgiving is imposed, in which kind of money and the time in which it is performed. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) revealed that it is imposed on gold and silver, the grazing livestock such as camels, cows and sheep and some of the cultivated grains. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) revealed that it is not imposed on anything unless it reaches the determined quorum, which is determined for every kind. He fixed the quantity of each quorum and other details.

The third example: The fasting is imposed by Allah, Glory be to him, in the saying of Allah:

{O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were before you, that possibly you would be pious.}

[Al-Baqarah (The Cow): 183]

The Noble Qur'an fixes the time in which the obliged person has to avoid eating and drinking, as it is mentioned in the saying of Allah:

{And eat and drink until the white thread becomes evident to you from the black thread at dawn; thereafter complete the fast to the night}

[Al-Baqarah (The Cow): 187]

However, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said that it is necessary for the wholesomeness of fasting that the faster should intend fasting before dawn, and that the menstruating woman should not fast, and should compensate for the days she breakfasted in Ramadan.

Thus, he discriminated between fasting and praying. The noble verse did not reveal the time of breakfasting, as it said that it is at night, while the pure Sunnah revealed the time in which the faster breakfast. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "The faster should breakfast at the end of the day, and the disappearance of the sun and the beginning of the night.

The fourth example: Pilgrimage is imposed by Allah on His worshippers, as He said:

{And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the Home on Pilgrimage, for whoever is able to make a way to it.}

[Al Imran (Imran's Family): 97]

Allah did not reveal whether pilgrimage is imposed once or every year. Someone asked the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) whether the Muslims should perform pilgrimage every year, he said, "Every Muslim should perform it once, and if I said that every Muslim should perform it every year..." till the end of the prophetic Hadith. The Noble Qur'an did not either reveal the extent of ability, or clarified what the hajj should and should not wear.

Also, the Noble Qur'an did not clarify what the hajj should avoid, neither did it reveal the times of circumambulation of the Ka'ba. Also, it did not manifest the places that the hajj should not transcend without his hajj clothes. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) revealed these matters in words and deeds. There are many other duties that are imposed in the Noble Qur'an, while the way of their performance was not mentioned.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) is the one who delivers to the people the messages of Allah, as He said:

{O you Messenger, proclaim whatever has been sent down to you from your Lord; and in case you do not perform (that), then in no way have you proclaimed His Message; and Allah safeguards you from mankind. Surely Allah does not guide the disbelieving people.}

[Al-Ma'idah (The Table): 67]

Knowledge of Islam includes both the Noble Qur'an and the Sunnah. If the new reluctant people doubted the Sunnah, thus they implicitly doubt the Noble Qur'an, as the Qur'an urges the people to stick to

{Say, "in case you (really) love Allah, then closely follow me, (and) Allah will love you and forgive you your guilty deeds; and Allah is Ever-Forgiving, Ever, Merciful}

[Al Imran (Imran's Family): 31]

Obedience includes sayings and deeds. The importance of the role of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) comes from being the explainer of the Noble Qur'an.

Allah, Glory be to Him, says:

{With clear evidences and Scriptures, and We have sent down to you the Remembrance that you may make evident to mankind what has been sent down (ever since) and that possibly they would meditate}

[An-Nahl (The Bees): 44]

Also, He says:

{The Path of Allah, to Whom belongs whatever is in the heavens and whatever is in the earth. Verily to Allah all Commands are destined to Him.}

[Ash-Shura (The Consultancy): 53]

The Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) revealed the significance meant by the saying of Allah, Glory be to Him, once by sayings and another time by deeds, or by both of them.

It was narrated that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) interpreted the injustice (Azh-Zhulm) in the following saying of Allah by disbelieving (Ash-Shirk),

{The ones who believed and have not confounded their belief with injustice, to those belong the (true) security, and they are right-guided}

[Al-An`am (The Cattle): 82]

Also, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) explained the meaning of the easy reckoning in the saying of Allah:

{So, as for him who is brought his book in his right (hand) – Then he will eventually be reckoned an easy reckoning - and will turn over to his family pleased}

[Al-Inshiqaq (The Cleaving):7-9]

There are many other examples that we will mention in detail to manifest the importance of the Sunnah. This shows the misguidance of those who deny or depreciate the Prophetic Sunnah in an attempt to keep it away from legislation and religion.

Many of the scholars say that some of the Qur'anic verses can not be explained either by reason or guessing, but it can be understood through the honorable Sunnah. One of the examples in this regard is the obligations that Allah, Glory be to Him, imposed on His worshippers, as they can not be explained except by the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) either by sayings or by deeds, or by both of them. There are many examples that manifest this idea in a way that can not be doubted or disputed over.

The first example: The prayer is imposed by Allah on His worshippers in the Noble Qur'an, but He did not mention its number, time, way of performance, the ones on whom it is imposed and the ones who are not supposed to perform. Allah says:

{Then keep up the prayer, surely the prayer has been a timed prescription for the believers.}

[An-Nisa' (The Women): 103]

The Prophet (may the blessings and peace o Allah be upon him) revealed in his Sunnah that the prayers imposed by Allah, Glory be to Him, at day and night are Al-Fajr, Azh-Zhuhr, Al-`Asr, Al-Maghrib and Al-`Isha'. The prostrations of Al-Fajr are two; Al-Maghrib contains three prostrations, and Azh-Zhuhr, Al-`Asr, and Al-`Isha' have four prostrations. Also, the Prophet revealed the way of performing it in saying and deeds, as it starts with exclaiming Allah is great and ends with salutation. He manifested the way of performing it by saying, "Perform the prayers in the way I do."

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) revealed that it is imposed on every adult Muslim, and that the parents should order their children to perform prayers at the age of seven years, and to beat them if they slackened to perform them at the age of ten years. The purpose behind this order is to accustom them to the prayers and to perform them in vigor. Also, he revealed that it is not imposed on the menstruating woman, and she is not obliged to perform them after the end of menstruation.

AL-AZHAR MAGAZINE

Shaw'wal 1428 A. H.



ENGLISH SECTION

Oct. Nov. 2007

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

If They Really Followed the Qur'an, They Would Not Repudiate the Sunnah...!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The pure prophetic Sunnah was subjected to many plots throughout Islamic history. However, it was protected and maintained by Allah, as He devoted to it great scholars that defended it from the intriguers. Also, Allah maintained the Noble Qur'an, as He promised in His saying:

[Surely We, Ever We, have been sending down the Remembrance, and surely We are indeed Preservers of it.]

[Al-Hijr- 9]

Thus, Allah maintains the Sunnah of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), as it clarifies and explains the Noble Qur'an.

Recently, a cunning plot appeared – as it was mentioned in the media and the newspapers - and was made by two liars that escaped from Arab Republic of Egypt to the U.S.A after being pursued by security men. This happened after their misguidance was manifested, as they stirred sedition and denied the well-known religious facts.

They declared that they follow Qur'an claiming that the Islamic nation does not need the Sunnah, as the Qur'an is quite enough. They denied the second way of Islamic legislation, the Suunah, which follows the Noble Qur'an in rank. It completes and explains the Noble Qur'an.

If those who claim to follow the Qur'an read the Noble Qur'an, they will find that Allah, Glory be to Him, ordered us to follow the Sunnah, as He says:

[O you who have believed, respond to Allah and to the Messenger when He calls you to that which enlivens you; and know that Allah interposes between a person and his heart, and that to Him you will be mustered.]

[Al-Anfal: (The Spoils): 24]

And the following noble verse:

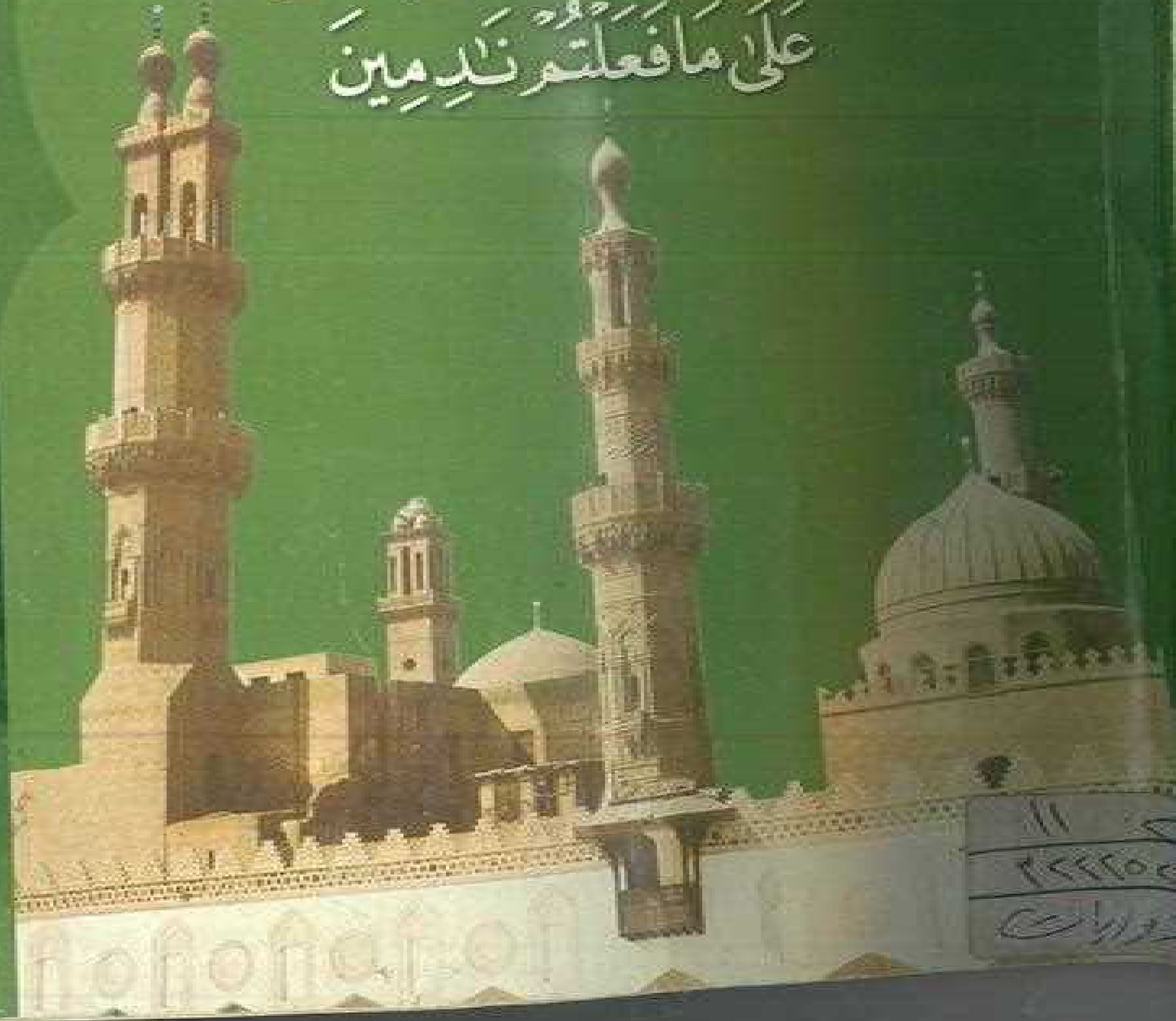
الفهـــــرس

هدية العدد
من القيم الإنسانية في الإسلام

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية تصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ذو القعدة ١٤٢٨هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٧ - الجزء ١١ - السنة ٨٠

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ
أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ
عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ

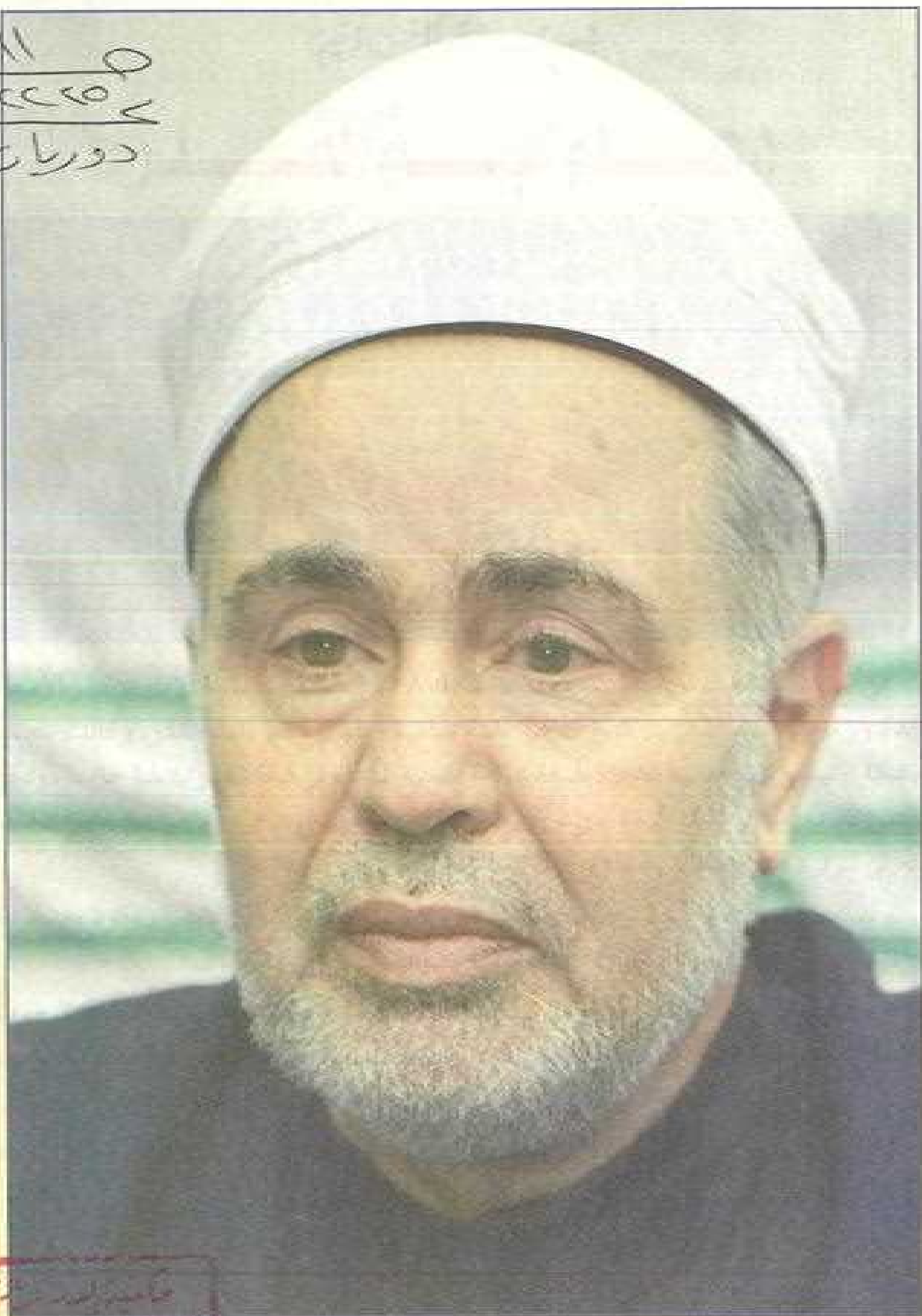


VOL. 80, Part XI.

AL AZHAR
MAGAZINE

Zul-Qedah, 1428 A.H. Oct/Nov. 2007
Vol. 80, Part XI.





بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء ليلة القدر



في السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٢٨ هـ ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة بمناسبة احتفال مصر بليلة القدر، وكانت تنصب بشكل رئيسى على أهمية الدعاء بصفة عامة وأهمية الدعاء فى ليلة القدر بصفة خاصة، ولكن الشئ المستغرب أن هذه الكلمة أثارت حفيظة بعض الصحفيين وهاجوا وماجوا محملين الكلمة معانى لم ترد فيها أصلاً لا بالتصريح ولا بالتلميح!

وقد تصدى لهم صحفيون منصفون يعلمون أن للنقد أصولاً أولها أنه لابد أن يكون بعد قراءة واعية ومعرفة يقينية، وليس انسياقاً وراء سماع يشوهه النقل ويزيفه الهوى.

من أجل ذلك رأت مجلة الأزهر أن تعيد نشر كلمة فضيلة الإمام متبوعة ببيان مجمع البحوث الإسلامية فى هذا الشأن ثم كلمات بعض هؤلاء الصحفيين المنصفين الذين لم يتركوا أنفسهم للريح وللنقل غير الأمين يوجههم كيفما يشاءون، وإنما نطقوا بكلمة الحق وبرهنوا على صحتها.

ثم تبع ذلك بحوار أجراه الأستاذ/ عاطف مصطفى مدير تحرير مجلة الهلال مع فضيلة الإمام الأكبر ليقترب القارئ من فكر الإمام ويتعرف على الدور المشرق للأزهر الشريف.

وعلى الله قصد السبيل

مدير التحرير

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى الاحتفال بذكرى ليلة القدر
رمضان ١٤٢٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وشفيعنا رسول الله ومن والاه.

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه

الجمع الكريم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نحن الآن فى العشر الأواخر من شهر رمضان فى تلك الأيام التى كان الرسول ﷺ يخصها بالكثير من ألوان الطاعة والعبادة والتى قال ﷺ فى فضلها:

﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

«القدر: ٣»

كما أشار القرآن الكريم وقال سيدنا رسول الله ﷺ «التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان» وليلة القدر هى ليلة الشرف والرفعة خير من ألف شهر، وإذا كان الدعاء يحلو فى كل وقت ففى هذه الأيام



المباركة يكون أفضل وأعظم والتقرب إلى الله تعالى بالدعاء ملاذ كل مكروب وأمل كل خائف وراحة كل مضطرب، به يلجأ الإنسان إلى خالقه- عز وجل- فى كل وقت لاسيما فى أوقات الشدائد والكروب ولكن متى يستجاب الدعاء؟ يستجاب الدعاء من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ثم استقاموا على طريق الحق وأدوا التكاليف التى كلفهم الله تعالى بها ففى الحديث الشريف: «ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والحاج حتى يرجع ودعوة المظلوم يرفعها الله إلى سبع سموات ويقول وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين».

ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وتركوا عن تعمد وإصرار ما كلفهم الله تعالى به من عبادات ومن فضائل ومن طاعات.

يستجاب الدعاء من قوم أحلوا ما أحله الله وحرموا ما حرمه سبحانه عليهم فعمروا حياتهم بأيد طاهرة وبسلوك قويم وباعتناق للفضائل وباجتناب للرذائل ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم تلوثت أيديهم بالمال الحرام عن طريق الرشوة أو عن طريق الظلم أو عن طريق الغش أو عن طريق الخديعة أو عن غير ذلك مما حرمه الله- عز وجل- وفى الحديث الشريف: يقول ﷺ «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾

«المؤمنون: ٥١»

ثم ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول: يارب يارب ولكن مطعمه من حرام ومشربه من حرام وملبسه من حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب له أى فكيف يستجاب لهذا الإنسان الذى استحل ما حرمه الله؟

يستجاب الدعاء من قوم يحبون العدل فى الأحكام ويقولون كلمة الحق ولو على أنفسهم كما قال الله- عز وجل-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾

«النساء: ١٣٥»

يستجاب الدعاء من قوم يحبون العدل فى الأحكام ويقولون كلمة الحق ولو على أنفسهم ويساون بين الناس فى الثواب والعقاب دون تفرقة بينهم بسبب الجنس أو الوظيفة أو العمل أو المهنة أو غير ذلك من الأعمال أو الأنساب وهذه المساواة فى الثواب والعقاب بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك فى آيات متعددة منها قوله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

«فصلت: ٤٦»

وأوجبها الرسول ﷺ فى كثير من أحاديثه الشريفة ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى» ويقول ﷺ «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».

يستجاب الدعاء من قوم فضلاء عقلاء أقوياء يطبقون هذه الأحكام التى هى من أركان شريعة الإسلام، ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم مغرورين متكبرين يقذفون غيرهم بأقبح ألوان التهم، يقذفون غيرهم بأقبح ألوان الرذائل، وبأشنع التهم الباطلة ثم بعد ذلك لا يريدون أن تطبق عليهم العقوبات التى تطبق على غيرهم. مع أن جميع الشرائع السماوية وجميع القوانين الوضعية وجميع العقول الإنسانية السليمة وأكرر وجميع العقول الإنسانية السليمة تأبى التفرقة بين الناس فيمن يستحق الاحترام والثواب وفيمن يستحق الاحتقار والعقاب.

إن شريعة الإسلام سوت بين الجميع فى عقوبة جريمة القذف التى فيها عدوان أثيم على الأطهار الأخيار من الرجال ومن النساء قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

«النور: ٢٣»

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

«النور: ٤ - ٥»

وإنما خص القرآن النساء بالذكر مع أن جريمة القذف عقوبتها على الرجال وعلى النساء وإنما خص القرآن النساء بالذكر هنا لأن قذفهن بالسوء أشنع وأقبح وإلا فالرجال والنساء فى هذه الأحكام سواء وقد عاقب الله- عز وجل - هؤلاء الذين يقذفون غيرهم بالتهم الكاذبة بثلاث عقوبات:-

الأولى: عقوبة حسية، وتتمثل فى جلدهم ثمانين جلدة.

والثانية: عقوبة معنوية، وتتمثل فى عدم قبول شهادتهم بأن تهدر أقوالهم ويصيرون فى المجتمع أشبه ما يكونون بالمنبوذين فهم إن قالوا لا يصدق الناس أقوالهم وإن شهدوا لا تقبل شهادتهم، لأنهم انسلخت عنهم صفة الثقة من الناس فيهم.

وثالثها: وتتمثل فى وصف الله تعالى لهم بقوله:

﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

وهذه العقوبات إنما شرعها الله سبحانه وتعالى صيانة وحماية لأعراض الرجال والنساء من ألسنة السوء ومن كل ما يخدش الكرامات ويجرح الشرف والعفاف، ورحم الله الإمام أبا حنيفة فقد قال: إن هؤلاء القاذفين لا تقبل أبدا طول حياتهم شهادتهم حتى وإن تابوا وأصلحوا لأن الله تعالى هو القائل: ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا.

فأخذ الإمام أبو حنيفة- رحمه الله وطيب ثراه من هذه الجملة الكريمة- أن الذى يقذف غيره بالتهم الباطلة ينبذ من المجتمع ولا يقبل له شهادة أبدا الى أن يموت؛ لأن الله قد قال:-

﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً ﴾.

وهكذا تحمى شريعة الإسلام كرامة الإنسان بأحكامها العادلة.

السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه.

إننا فى هذه الأيام المباركة نتضرع الى الله- سبحانه وتعالى- نتضرع الى الخالق- عز وجل- أن يديم على مصر وعلى شقيقاتها بل وعلى العالم أجمع نعمة الأمان ونعمة السلام ونعمة الرخاء ونعمة الاطمئنان ونعمة التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان إنه على ما يشاء قدير نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

بيان من مجمع البحوث الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومن والاه وبعد:

فقد اجتمع مجمع البحوث الإسلامية في الساعة الواحدة من ظهر يوم السبت ٨ من شوال سنة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠ من شهر أكتوبر سنة ٢٠٠٧م لمناقشة بعض القضايا، وأصدر فيها البيان التالي:

١ ـ الكلمة التي ألقاها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر، في ليلة الاحتفال بليلة القدر في السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٤٢٨هـ الثامن من أكتوبر سنة ٢٠٠٧م هذه الكلمة كانت دينية خالصة، تحق الحق وتبطل الباطل، وقد قوبلت ـ والحمد لله ـ بالقبول الحسن.

فقد تضمنت أن ليلة القدر تلتمس في العشر الأواخر من رمضان، وفي هذه الليالي المباركة يحلو الدعاء ولكن ممن يستجاب الدعاء؟

أ ـ يستجاب الدعاء ممن قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وممن أدوا ما كلفهم الله به من طاعات..

ويستبعد أن يستجاب الدعاء من أناس استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ـ تعالى ـ.

ب ـ ويستجاب الدعاء من قوم أحلوا ما أحله الله، وحرموا ما حرمه ـ سبحانه ـ.

ويستبعد ـ أيضاً ـ أن يستجاب الدعاء من قوم تلوثت أيديهم بالمال الحرام.

ج ـ ويستجاب الدعاء من قوم يحبون العدل في الأحكام، ويقولون كلمة الحق ولو كانت على أنفسهم ويساوون بين الناس في الثواب لمن أحسن، وفي العقاب لمن أساء، دون تفرقة بينهم بسبب الجنس أو المنصب أو المهنة، أو غير ذلك.

ويستبعد ـ كذلك ـ أن يستجاب الدعاء من أناس متكبرين، يقذفون غيرهم بأقبح ألوان الرذائل، وبأشنع التهم الباطلة، ثم بعد ذلك لا يريدون أن تطبق عليهم الأحكام التي تطبق على غيرهم.

د ـ إن شريعة الإسلام سوت بين الجميع في عقوبة جريمة القذف، التي فيها عدوان أثيم على الأبرياء الأطهار من الرجال ومن النساء، بدليل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

«سورة النور: ٤، ٥»

فقد عاقب الله ـ تعالى ـ أولئك الذين يقذفون غيرهم من الأبرياء بالتهم الباطلة، بثلاث عقوبات: أولها: حسية، والثانية: معنوية، والثالثة: دينية.

وهكذا تصون شريعة الإسلام كرامة الإنسان بأحكامها العادلة، وبتشريعاتها الحكيمة.

هـ ـ هذه هي العناصر الكلية لكلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وهي كلمة دينية خالصة لا صلة لها بالسياسة، وليس فيها أي إشارة أو تعريض بأحد، وإنما هي كلمة فيها تذكير لجميع الحاكمين والمحكومين بحكم الله ـ عز وجل ـ في عقوبة جريمة القذف، وفيها تحذير من الوقوع في تلك الجريمة التي توعد الله ـ تعالى ـ مرتكبها بأشد ألوان العذاب فقال:

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾

«سورة الأحزاب: ٥٨»

ومجمع البحوث الإسلامية يؤيد كل ما جاء في هذه الكلمة، ويعبر عن ثقته التامة في فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

٢ ـ إن مجمع البحوث الإسلامية يرجو أن يعلم الجميع، أن شريعة الإسلام ـ وإن كانت عقوباتها رادعة بالنسبة لمن يصرون على جرائمهم ـ إلا أن هذه العقوبات الرادعة تدرأ بالشبهات، ولا تنفذ إلا بعد ثبوت الجريمة ثبوتا تاما على مرتكبها.

وللقاضي أن يقرر عقوبة تعزيرية أخرى متى اقتنع أن هناك شبهة تمنع إقامة الحد ففي الحديث الشريف: «ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا».

وفي حديث آخر: «ادرءوا الحدود ما استطعتم، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة».

بل إن شريعة الإسلام، أباحت لأتباعها أن يستروا من وقع في سيئة، مادام هذا الستر لا يؤدي إلى شيوع السيئات، أو إلى إهدار حق من الحقوق، أو أن يرجى من ورائه التوبة للمخطئين.

وفي الحديث الشريف: «من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة».

٣ ـ إن مجمع البحوث الإسلامية يعلن أنه لا تمييز في الثواب أو العقاب بين إنسان وإنسان، أو بين فئة وأخرى، لأن جميع الشرائع السماوية، وجميع الدساتير والقوانين الوضعية، ترفض هذا التمييز بين أبناء الوطن الواحد.

ويشهد لذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾

«سورة فصلت: الآية ٤٦»

وقول الرسول ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وفي الحديث القدسي: «الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا، والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا».

٤ ـ وإن مجمع البحوث الإسلامية، ليشكر الكتاب الذين يجهرون بكلمة الحق، وينقدون النقد السليم، الملتزم لأدب الخطاب، والبعيد عن الإشاعات الكاذبة وعن القذف والسباب والشتائم وسوء الظن «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

مجـــرد رأى

أيـــــن خطــأ الشـــيخ؟

من حق من يقرأ نص كلمة شيخ الأزهر فى الاحتفال بليلة القدر أن يتساءل: ما الذى قاله الشيخ واستدعى قيامة الأقلام التى تسابقت فى اتهامه بالاعتداء على حرية الصحافة والصحفيين، ومطالبة بعضهم بعزله لأنه انتهك واجبات المنصب الرفيع؟

كان العمود الفقرى لكلمة الشيخ هو «الدعاء فى ليلة القدر» وهو أمر يتمناه وينتظره ملايين المسلمين.. وبالتالى فقد كان الموضوع الذى اختاره الشيخ لكلمته مناسباً تماماً وقد أراد من خلالها أن يوجه درساً إلى سلوك المسلم وواجباته والتزاماته فأمسك بموضوع الدعاء مشيراً إلى الذى يستجاب دعاؤه ومن الذى يستبعد دعاؤه. فهل تجاوز الشيخ عندما قال إن الدعاء يستجاب من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ويستبعد أن يستجاب من الذين استحوذ عليهم الشيطان؟!

وهل أخطأ الشيخ عندما قال يستجاب دعاء الذين أحلوا ما أحله الله، ويستبعد أن يستجاب الدعاء من الذين تلوثت أيديهم بالمال الحرام عن طريق الرشوة أو الظلم أو الغش؟! وهل يعنى ذلك تدخلاً من الشيخ فى قضايا المتهمين بالرشوة أمام القضاء؟!

وهل أخطأ الشيخ عندما قال إن الدعاء يستجاب من الذين يحكمون بالعدل ويقولون كلمة الحق ولو على أنفسهم ويساوون بين الناس فى الثواب والعقاب، ويستبعد أن يستجاب الدعاء من قوم مغرورين متكبرين يقذفون غيرهم بأقبح ألوان الرذائل وبأشنع التهم الباطلة ثم لا يريدون أن تطبق عليهم العقوبات التى تطبق.

وهل أساء الشيخ عندما أشار إلى عقوبة «قذف المحصنات» من جميع الناس وجلد مرتكبيها كما وردت فى القرآن الكريم حماية لكرامة الإنسان.

ما الذى يجعلنا نحن الصحفيين نتحسس رءوسنا ونقول إن الشيخ يقصدنا؟ فهل تنطبق علينا صفات الغرور والتكبر وقذف غيرنا بالباطل ونطالب بأن نستثنى أنفسنا من العقوبات التى تطبق على الآخرين؟

هل فعلاً نحن كذلك حتى نمسك بخناق الشيخ ونؤكد أنه وإن لم يفصح بالإسم أنه كان يقصدنا بالنية؟!

إننى أختلف مع شيخ الأزهر فى بعض الآراء ولكننى لم أجد فيما قاله قضية تستحق استنكار نقابة الصحفيين والمحامين وخروج بعض العلماء الأجلاء بإفتاء أن الشيخ تجاوز، فى الوقت الذى لم يقرأوا فيه نص ما قال.. وهو خطأ الصحف التى أغفلت حق القارئ، وخطأ التليفزيون الذى كان يستطيع إعادة إذاعة ما قال الشيخ حتى لا نكون أمام معلقين لم يقرأ منهم أحد!

صلاح منتصر

«الأهرام» ٢٥/١٠/٢٠٠٧

خط أحمر

درس من صلاح منتصر!

الطريقة التى تناول بها الكاتب الكبير صلاح منتصر، كلمة شيخ الأزهر، فى احتفالات ليلة القدر، تمثل درساً فى الكتابة لكل صاحب قلم!

وقد كان الدكتور محمد سيد طنطاوى، ولا يزال يتعرض، لحملة ضارية، لأن هناك من فهم، من كلمته فى تلك الليلة، أنه أفتى بجلد الصحفيين، الذين يروجون الشائعات، ٨٠ جلدة!

وحين أراد الأستاذ صلاح منتصر، أن يتعرض للموضوع، كانت معالجته للقضية، مختلفة تماماً، وبنسبة مائة فى المائة، عن الطريقة التى تصرف بها كل الذين كتبوا عن كلمة شيخ الأزهر!

ولم يكن الدرس، الذى أعطانا إياه، أنه اكتشف، أن شيخ الأزهر قال، إن الله يستجيب لدعاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، ولا يستجيب لدعاء الذين استحوذ عليهم الشيطان!

ولا كان الدرس، أنه توصل، إلى أن شيخ الأزهر، قال فى كلمته، إن السماء تستجيب لدعاء الذين أحلوا ما أحله الله، ولا تستجيب لدعاء الذين تلوثت أيديهم بالمال الحرام، عن طريق الرشوة، أو الظلم، أو الغش!

ولا كان الدرس، أنه انتهى، إلى أن شيخ الأزهر، حين خطب فى ليلة القدر، قال إن الدعاء يستجاب من الذين يحكمون بالعدل، ويقولون كلمة الحق، ولو على أنفسهم، ويساوون بين الناس، فى الثواب والعقاب، ولا يستجاب من قوم مغرورين، متكبرين، يقذفون غيرهم بأقبح ألوان الرذائل، وأبشع التهم الباطلة، ثم لا يريدون أن تطبق عليهم الأحكام التى تطبق على غيرهم!

ولا كان الدرس، أنه قال، إن شيخ الأزهر لم يخطئ، حين أشار إلى عقوبة قذف المحصنات، من جميع الناس، وجلد مرتكبيها، كما ورد فى القرآن الكريم، حماية لكرامة الإنسان!

ولا كان الدرس، أنه تساءل وقال: ما الذى يجعلنا نحن الصحفيين، نتحسس رؤوسنا، ونقول إن الشيخ يقصدنا؟!

ولا كان الدرس، أنه توجه بالكلام، إلى الصحفيين، وقال: هل تنطبق علينا صفات الغرور، والكبر، وقذف الغير بالباطل، وتطالب بأن تستثنى أنفسنا من العقوبات التى تطبق على الآخرين؟!

ولا كان الدرس، أنه فضح حالة الخفة والغوغائية، التى نعيشها، حين توجه إلى الصحفيين، وتساءل مرة أخرى، فقال: هل فعلاً نحن كذلك، حتى تمسك بخناق الشيخ، وتؤكد أنه وإن لم يفصح بالاسم، كان يقصدنا بالنية؟! ولا كان الدرس، للمرة الأخيرة، أنه قال الآتى: إننى أختلف مع شيخ الأزهر، فى بعض الآراء، ولكننى لم أجد، فيما قاله، قضية تستحق استنكار نقابة المحامين، والصحفيين، وخروج بعض العلماء الأجلاء، بإفتاء أن الشيخ تجاوز فيما قال!!

كل ذلك، لم يكن هو الدرس، ولكن الدرس الحقيقى، الذى يجب أن نتوقف أمامه طويلاً، ونقتدى به، هو أن الأستاذ صلاح منتصر، حين قرر أن يخوض فى الموضوع، ويعلق على كلمة شيخ الأزهر، اتصل بالدكتور محمود زقزوق، وطلب نص الكلمة، كما قيلت بالضبط، وبالحرف، ولما جاءته، مكتوبة فى ورقة، وقرأها جيداً، نشرها كاملة فى يوم، ثم علق عليها، فى اليوم التالى.. وبالتالى فقد كان يكتب، عما يعرف تحديداً، ويعلق على ما يعلم تماماً.. وكنا جميعاً نكتب عما لا نعرف، على وجه الدقة، واليقين!!

هذا هو الدرس! ولا درس سواه!

ولكن المشكلة الآن، أن شيخ الأزهر تناول الشائعة بوجه عام، فى مقالته الأسبوعية بـ«الأهرام» أكثر من مرة، أثناء الحديث عن شائعة مرض الرئيس.. فلما جاء ليخطب فى ليلة القدر، كانت الأذهان مهيأة مسبقاً، لاستقبال ما سوف يقوله بطريقة تجعل من الصعب الفصل بين نص الكلمة وبين ما كان يتردد عن صحة الرئيس، وتجعل التجرد صعباً فى تناول كلامه.. وتجعل الموضوعية صعبة أيضاً والمهنية أصعب.. إلا على صلاح منتصر.

سليمان جودة

«المصرى اليوم»

هل طالب شيخ الأزهر بجلد الصحفيين؟

يقول الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ: «كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر».. كان مالك يشرح للناس حقهم فى الجدل والخلاف وأن كل شخص يمكن الاتفاق معه أو الخلاف عليه إلا صاحب هذا القبر وكان مشيراً إلى قبر سيد البشر وخاتم الأنبياء سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام..

ما قاله يؤكد أنه لا معصومية لمخلوق سوى الرسول الكريم.. وقال الإمام الشافعى ـ أيضاً ـ: «رأينا صواب يحتمل الخطأ.. ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب»..

قصدت من هذه المقدمة أن أشرح ما استغلق على كثيرين أن يفهموه وهو أن الخلاف دائماً وارد حول «الرأى» ولكنه ليس وارداً فيما يتعلق بأحكام الإسلام أو نصوص القرآن..

فإذا سألتنى عن شىء وقلت لك رأيى فيه فلك أن تحاكمنى وتفعل بى ما تشاء إذا شعرت أن رأيى يهددك أو يفتئت على حقوقك.. أما إذا كنت أتحدث عن قضية ما واستشهدت بما يقوله القرآن الكريم فيها وقدمت الآيات البينات الدالة على هذا الرأى فهنا يختلف الوضع..

فأولاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم وآياته يعنى أن ما أقوله ليس من عندى أو من اختراعى.


محمد على إبراهيم

ثانياً: استنباط الأحكام الشرعية استناداً إلى نص قرآنى هو علم كبير تختلف فى أحكامه استناداً إلى «التفاسير»، لكننا لا يمكن أن نختلف عن منطوق الآيات خصوصاً وأنها تنزيل من عزيز حكيم..

ثالثاً: لا يصح أن نأخذ معنى واضحاً أو حكماً عليه إجماع من جمهور الفقهاء ونقول: إنه لا يجوز تطبيقه فى هذه الحالة أو على تلك القضية، لأن النص القرآنى صالح لكل زمان ومكان، ولكل حادث وحديث وأسلوب «الانتقائية» لا يجوز تطبيقه على معانى وألفاظ القرآن الكريم.. والأهم أن القرآن دين البشر أجمعين وهو الرسالة السماوية الوحيدة التى قرنت العبادات بالمعاملات..

رابعاً: من أخطر الأشياء عند الاستدلال بالقرآن الكريم أن تقول: إن فلاناً كان يقصد هذا وذاك وهو يستشهد بنص قرآنى.. فهذا ببساطة معناه أننا فتشنا فى نية القائل

وحكمنا على ما بداخله وهو يستشهد بأنه كان يقصد فلاناً أو علاناً.. وطبعاً أنتم تعلمون كما أعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقط هو المطلع على السرائر والنوايا..

ومناسبة هذا الكلام ما نسب إلى شيخ الأزهر أنه أفتى بجلد الصحفيين ٨٠ جلدة عقاباً على السب والقذف.. فهل الرجل قال ذلك؟!.

الحقيقة أنه في يوم ٢٦ رمضان كان هناك الاحتفال بليلة القدر وفيه ألقى فضيلة الشيخ سيد طنطاوى كلمة بهذه المناسبة الدينية الجليلة تحدث فيها عن شروط قبول الدعاء من المولى ـ عز وجل ـ باعتبار أن هذه الليلة هي ليلة يكثر فيها الدعاء التماساً لقضاء الحوائج.. تحقيقاً لقوله تعالى: «ادعونى أستجب لكم» وأنها خير من ألف شهر!.

وكان طبيعياً أن يتحدث شيخ الجامع الأزهر في هذه الليلة المباركة عمن يقبل منهم الدعاء في هذه الليلة أو في غيرها.. وهؤلاء صنفهم طنطاوى طبقاً للحديث الشريف الذى يقول: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر والحاج حتى يرجع ودعوة المظلوم».. وأكد شيخ الأزهر في كلمته أن الدعاء يستجاب من الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا.. وهذا مذكور كنص صريح في القرآن وليس فيه إشارة من قريب أو بعيد للصحفيين..

وأضاف في كلمته أن الدعاء يقبل من الذين يقولون الحق ولو على أنفسهم ويساوون بين الناس في الثواب والعقاب دون التفرقة بينهم بسبب الجنس أو الوظيفة وأشار إلى أن الدعاء يقبل من فضلاء عقلاء أقوياء يطبقون أحكام الإسلام..

أما مسألة الجلد فقد كان الرجل يتحدث عن قذف المحصنات أو عن القذف عموماً والقذف جريمة لا تقتصر على الصحفيين وإنما تطول البشر جميعاً، ومن يقرأ الصحف يجد أن كافة المهن متهمة بهذا الجرم..

وأشار شيخ الأزهر إلى العقوبات الواردة في سورة النور:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴾

«النور: ٤، ٥»

وبهذا يكون الله قد عاقب القاذفين بثلاث عقوبات أولها: جسدية «الجلد» وثانيها: عدم قبول شهادتهم وينبذون في المجتمع، وثالثها: وصفهم بالفسق..

واستشهد الإمام بقول الإمام «أبو حنيفة» بأن هؤلاء القاذفين لا تقبل شهادتهم أبداً طوال حياتهم حتى إن تابوا وأصلحوا..

وأنا لا أعرف ـ ولا غيرى يعرف ـ ماذا كان في نية شيخ الأزهر وهو يردد حكم الله ـ تعالى ـ وأحكام الأئمة وأحاديث الرسول الكريم التى قال فيها: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد.. والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»..

فهذا الكلام قد يفسره أحدهم على أن رءوس الفساد تنجو دائماً من الأحكام، وصغار اللصوص تتم معاقبتهم!. وقد يفسره آخرون أن المجتمعات التى يتمتع فيها البعض بحصانة «ربما تكون حصانة البرلمان أو القضاء أو الصحافة» ينجو هؤلاء من أى حساب، بينما يتعرض الصغار لهذا الحساب.. هنا تكون العدالة أو المساواة التى ينادى بها الإسلام قد مسها سوء..

لا أستطيع أن أجزم ـ وكذلك غيرى ـ أن الرجل كان يقصد الصحفيين لأننى في هذه الحالة أكون قد اطلعت على ضميره وسريرته ولست من الرسل أو الأنبياء لأطلع على مكنونات الصدور..

.. لذلك فإننى عندما أردد الحديث الشريف: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم» فإننى لا أقصد الصحفيين بالتحديد أو فقط.. وإنما أقصد الذين يتعاركون يومياً مستخدمين أسوأ الألفاظ في الشارع.. والسيدات اللاتى يغتبن زميلاتهن.. والرجال الذين يتحدثون بفحش القول عن النساء.. وينطبق القول نفسه على نواب مجلس الشعب عندما يتعرضون لأحد زملائهم ويعرضون به ويسمعونه فحش القول.. وعندما يتعرض قاض جليل لبقية القضاة ويؤكد أنهم «مرتشون» أو «مزورون».. وعندما يخوض سياسى في سيرة رئيس شهيد ويقول إنه خائن وعميل ومأجور وصنيعة.. وعندما يطعن رئيس حزب في ذمة رئيس دولة.. هل نقبل بكل هذا ونقول إنه من خير الكلام؟!!..

واعذرونى لماذا لم تحدث ثورة مماثلة على عثمان لبن عضو مجلس الشعب الذى طالب أيام عرض قانون حبس الصحفيين في مجلس الشعب العام الماضى بجلد كل صحفى متجاوز ٨٠ جلدة.. وهذا يختلف عن شيخ الأزهر لأن عثمان وقف في مجلس الشعب وهاجم الصحفيين علناً وكان كلامه لا يحتمل تأويلاً أو تحريفاً، وأتذكر أننى كتبت عنه أثناء الأزمة ورشحته لأن يكون صاحب براءة اختراع عقاب الصحفيين جلداً.. لكن لأنه ينتمى إلى تيار دينى يحظى بمساندة إعلامية وصحفية متميزة، لم يعلق أحد على ما قاله.. كل ما حدث كان امتعاضاً يسيراً بشأنه.. أما شيخ الأزهر فقد حظى وسيحظى بالهجوم كله رغم أنه لم يذكر الصحفيين من قريب أو بعيد..

لقد عرضت للأزمة بين الصحفيين وشيخ الأزهر لأدلل على أن الصحافة الحديثة يمكنها أن تفسر الكلام كما تريد، ويمكنها أن تقرأ النوايا وتعرف السرائر وتطلع على ما في الصدور.. إذا ما كرهت أحداً.. وللأسف فإننا ينطبق على بعضنا القول بأن «حبيبك يبلع لك الزلط.. وعدوك يتمنى لك الغلط»..

موقعة شيخ الأزهر والجماعة الصحفية

فى احتفال مصر بليلة القدر قال شيخ الأزهر أ.د. سيد طنطاوى أن حد القذف فى الإسلام هو «الجلد».. والقذف هو اتهام بغير دليل وتشهير بآخر دون سند.. وثارت الجماعة الصحفية على شيخ الأزهر إلى حد المطالبة بعزله لأنه يريد «جلد الصحفيين».

وهذا الكلام خطير للغاية، وخطأ كبير وقعت فيه الجماعة الصحفية التى تناضل من أجل ما تسميه حرية الصحافة، ولكنها فى الواقع ترتكب جريمة فى حقها إذ أنها تعزل نفسها تدريجيا عن المجتمع الذى تزعم أنها تدافع عنه وتسعى إلى حمايته.

وهذا الأمر من وجهة نظرى ينطوى على خطأ مزدوج من جانب الجماعة الصحفية التى تقود تلك الحملة، وأعلم أنها لاتضم جميع الصحفيين ولكنها تقتصر على البعض منهم من ذوى الرؤى الخاصة فى مسائل «الحكم والمعارضة» وليس موضوعها بالقطع الأداء الصحفى وفق قواعد المهنة.

وربما يرى بعض أفراد تلك الجماعة الصحفية ذات الرؤية الخاصة أن الغاية تبرر الوسيلة.. وهذا يعنى أن يتجاوز الصحفيون قواعد المهنة من أجل غاية نبيلة من وجهة نظرهم، وهى تسديد ضربات تحت الحزام لنظام الحكم القائم تساعد على تفكيك قوته، وإن شئت الدقة تفكيك قبضته على المؤسسات القائمة والتى تتكون الدولة من مجموعها، على أساس أن يفتح ذلك الطريق لعناصر المعارضة للوصول الى الحكم.

وهذه الغاية التى هى ايصال عناصر المعارضة إلى الحكم ليست بالقطع من أهداف العمل الصحفى فى مجموعة، ولا تعنى حرية الصحافة أن تعمل الأدوات والوسائل الصحفية على إيصال عناصر معينة من المعارضة إلى الحكم، وإلا كانت منحازة إليها وجزءا من تنظيمها- أى المعارضة- السياسى وبالتالى لايحق لها المطالبة بحقوق خارج إطار المعارضة كتنظيم سياسى.

وإذا أصرت الجماعة الصحفية على الاستمرار فى دعم عناصر المعارضة السياسية ضد الحكومة القائمة «أيا كانت» فليس لها أن تحتمى لا بنقابة الصحفيين ولا بمواد الدستور الذى يحمى حرية الصحافة لأنها تكون قد وظفت النقابة ومواد الحرية فى الدستور لصالح فئة سياسية دون أخرى.

ومن ناحية أخرى فإن القفز فوق الوسائل المشروعة للوصول إلى غايات قد تبدو مشروعة للبعض مثل استخدام القذف والسب والتشهير ونشر الأخبار الكاذبة بقصد إرباك وتفكيك المؤسسات القائمة وإحداث الفوضى الخلاقة أو غير الخلاقة فى المجتمع. تمهيدا للعصيان المدنى ودفع عناصر معينة إلى السلطة. كل هذا يجعل الجماعة الصحفية المنغمسة فى مسألة الحكم والمعارضة فى مأزق كبير يهدد بعزلها عن المجتمع إذ أنها ترتكب الخطأ تلو الخطأ دون أى حساب.

وكما قدمت فإن الخطأ الأول والأكبر من وجهة نظرى هو أننى لم أسمع من «المناضلين» حتى الآن من يقول بصوت عال نحن نرفض القذف والتشهير والأخبار الكاذبة.

وما قولكم أيها السادة المناضلون فيمن يصر على نشر الأخبار الكاذبة والتشهير ونشر الفوضى فى المجتمع.. والإجابة المتوقع سماعها يجب أن تكون أنه لا يمكن وصف شخص يقوم بهذا العمل عامدا متعمدا بأنه فى الجماعة الصحفية، ولا يمكن إسباغ أى حماية على من يقصد توظيف الصحافة لتصبح جزءا من الصراع الحزبى خارج الأدوات المسموح بها.

المتوقع أن نسمع من الجماعة الصحفية صوتا عاليا يقول بأن حرية الرأى مكفولة ومتاحة فى مصر إلى حد أبعد مما كنا نتصوره قبل خمس سنوات فقط من الآن،

وأن هناك فارقا واسعا وشاسعا بين حرية الرأى وبين سب الآخر وشتمه والتشهير به بأخبار وشائعات كاذبة لا يستطيع إثباتها.

والموقف الفصل أمام الجماعة الصحفية التى تزعم أنها تدافع عن حرية الصحافة هو فى تبنيها بوضوح وصراحة كافيين التمييز بين الحرية وبين الاعتداء عليها بسب وشتم والتشهير بالآخر، والتمييز بين الرأى وبين الخبر الكاذب وبين الشائعة، وبين محاولات الدس والوقيعة لفض التحالف القوى بين قوى الشعب المصرى، وتهديد وحدته الوطنية بالتركيز على الحوادث الفردية بين أفراد مختلفى الديانة وتصوير الأمر على أنه كارثة قومية، أو التركيز على الجرائم المنفرة أخلاقيا أو اقتصاديا أو سياسيا لتصوير المجتمع كله على أنه فاسد ومنحل ويستحق لعنة الله عليه.

الجماعة الصحفية المناضلة لم تقل شيئا حتى الآن سوى أنها تنعى للمجتمع حرية الصحافة وتهاجم كل من يدعو إلى التعقل وتحديد الملعب الذى يتحرك فوقه الجميع حتى يستطيع المجتمع التمييز بين ما هو حقيقة وما هو شائعة.

الجماعة الصحفية المناضلة بادرت إلى مهاجمة شيخ الأزهر لأنه ردد ما قاله ليلة القدر عن حد القذف فى الإسلام وبالغت فى رد فعلها ضد شخص الشيخ الجليل الذى قد تختلف معه فى بعض آرائه ومعالجاته لعدد من القضايا ولكنه مع ذلك يبقى فى نظرنا ويجب أن يبقى فى نظر العامة من الناس ذلك الشخص المحترم الذى يقف على رأس المؤسسة الدينية الرسمية بكل احترام وإجلال.. وهو شخص يستحق ذلك.. وليس معنى أن الدولة اختارته لهذا المنصب الجليل أنه لا يستحق أو أنه رجل السلطة يقول ما تريد.. وهذه نقطة أخرى فاتت على الجماعة الصحفية.

فاختيار الدولة للوزير أو رئيس الوزراء، أو شيخ الأزهر أو المفتى أو رئيس الجامعة لا يعنى أنهم أشخاص غير أكفاء، والسير فى اتجاه تسفيه اختيارات الدولة واتهامها

بأنها تتعمد اختيار غير الأكفاء. وغير الموثوق بهم مسألة خطرة للغاية لأن كل واحد معلق بحمله فى النهاية.. وإشاعة هذه الفكرة فى المجتمع يجعل العمل العام صعبا للغاية ويضيع حقوق المسئولين الذين يعملون بإخلاص فى هذا البلد.

ومهاجمة شيخ الأزهر على سبيل المثال فى شخصه لأنه معين بسبب رأى قاله وهو حديثه عن حد القذف فى الإسلام خطأ بالغ ينبغى أن تراجعه الجماعة الصحفية التى تملأ الدنيا صياحا وضجيجا دون تعاطف لأنها تخلط الأمور، وتطالب بحقوق غيرها عن المجتمع ولا تقبل مراجعتها فيما تقول وتهاجم الرجل الجليل- كما هاجمت غيره- لأنه أراد التنبيه الى خطورة القذف فى حق الناس دون سند بقوله إن القذف فى الإسلام جريمة كبيرة من جرائم الحدود.

وبدلا من أن تشكر الجماعة الصحفية الرجل الجليل لأنه ينبه الى خطورة التورط والتمادى فى اقتناص حق الكذب ليكون من أدوات الصحافة الحرة، فإنها هاجمته ولاتزال وتطالب بإقالته وإخراجه من منصبه.

وكنت أظن أن بقية من حكمة فى رؤوس بعض قادة هذا التيار ستوحى لهم بأن يفسروا موقفهم للرأى العام تفسيرا صحيحا وصادقا بإعلانهم أنهم لا يؤيدون الكذب وأنهم يميزون تماما بين حرية الرأى وحرية العبث بأمن المجتمع.

محمود التهامى

«روز اليوسف»

***

شريعة الإسلام حاربت الإشاعات الكاذبة وتوعدت مروجيها بأشد ألوان العذاب

أجرى الحوار: عاطف مصطفى

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر يعد من أبرز علماء المسلمين الذين يدعون إلى سماحة هذا الدين القويم، يحمل على عاتقه الدور الكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف كمنارة للعالم الإسلامى كله.

تشعر وأنت تحاوره بعذب الكلمات وفيض علمه الذى ينهل منه كل المسلمين، مطبقا وسطية الإسلام التى سار عليها الأزهر الشريف على مدى أكثر من ألف عام، ولا تجد بلدا إسلاميا ولا وطنا من الأوطان يضم عددا من المسلمين، إلا وتجد علماء ومفكرين من خريجى الأزهر ومنتسبيه.

نقترب من فضيلته لنطرح بعض القضايا الملحة التى تشغل المسلمين الآن، وبأريحية وسماحة فتح لنا قلبه..

● **فى البداية سألناه عن جهود الأزهر فى العناية بتبليغ الدعوة الإسلامية وذلك يظهر من خلال تأهيل الوافدين.. وكيفية إسهام الأزهر بشكل أكبر فى تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، والعناية بأبناء الجاليات الإسلامية فى الدول الغربية.**

●● قال فضيلة الإمام الأكبر: هذا السؤال وجيه.. فالأزهر به طلاب وطالبات من أكثر من مائة دولة فى العالم، يتلقون العلم فى الأزهر الشريف.

والدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال، والوسطية.

والأزهر الشريف من أعرق المؤسسات التعليمية فى العالم الإسلامى كله.. يفد إليه طلاب العلم من شتى أنحاء المعمورة.. وذلك منذ أكثر من ألف عام هى عمر الأزهر الشريف، فقد تخرج فى هذه المؤسسة آلاف الطلاب ممن حملوا مشاعل الهداية الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها.

وعبر السنوات المتتابعة ازداد عدد الطلاب الوافدين من قارات العالم بصورة كبيرة تطلبت إنشاء إدارة عامة تقوم على رعاية شئون الطلاب الوافدين، ومن خلال البيانات الثابتة فى سجلات هذه الإدارة نجد أن عدد الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر الشريف وصل اليوم إلى ٢٤،٥٩٩ طالباً وطالبة جاءوا من مختلف قارات العالم ليدرسوا بالمعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر جنباً إلى جنب مع نظرائهم من الطلاب المصريين، وهذا العدد من الطلاب الوافدين له دلالته لأنه ترجمة لرغبة أسر هؤلاء الطلاب فى تعليم أبنائهم بالأزهر الشريف مع ما فى هذا الأمر من مشقة بالغة يتحملها هؤلاء الأبناء ليعودوا إلى بلادهم وأوطانهم لنشر تعاليم الإسلام بين ذويهم وأهليهم، تلك التعاليم الإسلامية التى اكتسبوها من معايشتهم للحياة فى بلد الأزهر الذى هو قلب العالم الإسلامى النابض، ليعودوا محملين أيضاً بمعارف وعلوم تلقوها على يد أساتذة متخصصين فى شتى فروع العلم والمعرفة.

والأزهر الشريف يفتح ذراعيه لكل راغب فى الالتحاق بمعاهده وكلياته ويقدم لهم كل التسهيلات الممكنة لهدفين:



الأول: تعليمهم علوم الشريعة الإسلامية الغراء وأصول الدين.

الثانى: تأهيلهم ليكونوا سفراء للأزهر الشريف فى بلادهم خاصة وأن منهم من يصل إلى مرحلة الدراسات العليا بالجامعة حيث وصل عددهم فى هذه المرحلة إلى ٦٦٥ طالبا و٦٤ طالبة.

وبالإمكان ملاحظة وصول عدد غير قليل من خريجى الأزهر الوافدين إلى أرفع المناصب فى بلادهم.

الأمر الذى يعكس نجاح الأزهر الشريف فى

أداء رسالته ويؤكد على مدى الثقة التى توليها العديد من دول العالم لخريجى الأزهر الشريف بما تعلموه من وسطية واعتدال يحرص عليها الأزهر فى مناهجه الدراسية التى تبرز سماحة الإسلام وحرصه على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ليس هذا فقط، حيث يحرص الأزهر الشريف على تنويع أنماط الدراسة وعدم قصرها على الشكل الأكاديمى المعتاد، حيث تقوم الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف بتنظيم دورات تدريبية لأئمة ووعاظ من العالم الإسلامى على مدار العام بواقع أربع دورات تدريبية مدة الدورة الواحدة ثلاثة أشهر، وهو عمل يتم بالتنسيق مع وزارة الخارجية المصرية، وحتى اليوم تم تدريب ٢٣٨٩ إماماً وواعظاً على نفقة الأزهر من شتى دول العالم كله، وهؤلاء يتم تدريبهم على الفتوى والوعظ والإرشاد الدينى على أيدى نخبة متخصصة فى علوم اللغة العربية والشريعة وأصول الدين.

هذا كله يؤكد أن الأزهر يتمتع بثقة غير عادية فى العالم كله، على المستويين الرسمى والشعبى، فإذا كانت أسر هؤلاء الطلاب قد رضيت بسفر أبنائها بعيداً عنها فى رحلة هى الجهاد بعينه، فإن ذلك لم يكن إلا لثقتهم بالأزهر الشريف، وكذلك الحكومات ما رضيت وسمحت بسفر هؤلاء الطلاب إلا لأنها متأكدة مما وصلت إليه مناهج وأساليب التعليم والدراسة بالأزهر الشريف من تطور يخدم الإنسانية بوجه عام.

وكل هذا يؤكد على عمق وقوة دور الأزهر الشريف فى تصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، لأن هؤلاء الطلاب يعودون لبلادهم سفراء مخلصين لهذا الدين الحنيف حاملين كتاب الله فى شتى أنحاء الأرض ينشرونه ويبسطونه لإخوانهم فى بلادهم مصداقاً لقول الله تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

(التوبة: ١٢٢)

ولدى الأزهر كذلك نظام تعليمى آخر يستفيد منه المسلمون وأبناؤهم ممن لم يتح لهم الالتحاق بمعاهد الأزهر وجامعته، ألا وهو نظام البعوث الإسلامية، وهو نظام يقوم على انتقاء



فضيلة الإمام الأكبر يتحدث للزميلين: عاطف مصطفى وعادل خفاجة

الصفوة من علماء الأزهر الشريف يتم إيفادهم إلى شتى دول العالم، يعلمون أبناء المسلمين تعاليم الإسلام السمحة، ويواجهون موجة التطرف العاتية التى تضرب أرجاء الأرض باسم الدين، والدين منها براء.

الإشاعات!!

● اهتم الإسلام بمحاربة الإشاعات والقضاء عليها لما لها من آثار مدمرة على الفرد والمجتمع... فكيف تتعرف من فضيلتكم على منهج الإسلام وموقفه من الإشاعات؟

●● قال فضيلة الإمام الأكبر رداً على سؤالنا: لقد حاربت شريعة الإسلام الإشاعات الكاذبة بوسائل متعددة منها:

توعد الذين يتعمدون هذه الإشاعات الكاذبة بأشد ألوان العذاب فى الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(النور: ١٩)

ومنها أيضاً كتمان هذه الإشاعات وعدم ترددها من مجلس لآخر، امتثالاً لقول الله تعالى:

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۝ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

(النور: ١٦)

تجديد الخطاب الدينى

● تتردد دعوات من هنا وهناك لتجديد الخطاب الدينى نريد أن نتعرف من فضيلتكم على دور الأزهر ومساهمته فى هذا المجال.

●● يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى... نحن نؤيد هذا ونبين بأن الخطاب الدينى لكى يكون خطاباً له بركته، وله تأثيره، فلابد أن يكون مستمداً من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، وأن يواكب الأحداث، وأن يكون مشتملاً على التبشير والإنذار وأن يكون معتمداً على الحقائق الثابتة، وليس على الأمور التى هى من باب الزيادات، أو من باب النقص، وإنما يكون اعتماده على الحقائق الثابتة.

بيان أحكام الشريعة

● وماذا عن دور الأزهر فى تجديد الخطاب الدينى؟

●● دور الأزهر فى هذا المجال - أن يبين للناس ما هو حلال وما هو حرام، وما هو حق وما هو باطل، وأن يدعو المرشدين والأئمة والخطباء والوعاظ إلى التركيز على بيان أحكام شريعة الإسلام، وهى تمتاز والحمد لله بالعدل المطلق وبالحق الذى لا يحوم حوله باطل.

صراع الحضارات

● هناك دعوات تردد مصطلح صراع الحضارات وتحاول تأجيج نار العداوات بين الأمم والشعوب والمجتمعات فهل يوافق القرآن الكريم على هذا المفهوم.. وهل فى سيرة رسول الله ﷺ ما يؤيد هذا المصطلح؟

لعلنا نتعرف من فضيلتكم على موقف الإسلام من صراع الحضارات.

●● يقول فضيلة الإمام الأكبر.. إن شريعة الإسلام التى ننطق بها لا توافق على صراع الحضارات.

وإنما توافق على تعاون الحضارات وتآزر الحضارات.

الفتوى

● تحدث بلبلة لدى أفراد المجتمع وكلهم حرص على معرفة الحلال والحرام، وفى ضوء ما يحدث من تضارب فى الفتوى، تضيع معالم الحلال والحرام، ويعيش الناس فى متاهات تختفى معها معالم الحلال والحرام.

فكيف نعالج ونواجه هذه الظاهرة؟ وكيف كانت عناية الإسلام بضبط وتحديد شروط المفتى؟ وما دور الأزهر فى مواجهة هذه الظاهرة؟

●● يقول فضيلة الإمام الأكبر: نواجه ذلك بأن نبين بأن الفتوى يجب أن تكون من إنسان متخصص، وتكون مؤيدة بالآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية.

ونجد أن القرآن الكريم قد حذر من القول بغير علم.

ومن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

«الأعراف: ٣٣»

وعن تضارب الفتوى فى الفضائيات ودور الأزهر فى مواجهة هذه المشكلة التى تواجه المجتمع الإسلامى الآن يقول فضيلة الإمام الأكبر: دور الأزهر أنه يقول لمن أحسن فى قوله: أحسنت، ويقدم له الشكر، ومن أخطأ فى فتاواه أو فى أحكامه، فوظيفتنا أن ننصحه، وأن نبين له وجه الخطأ.

هذه هى وظيفتنا، لكننا - فى نفس الوقت - لا نستطيع أن نكمم الأفواه، ولا نستطيع أن نمنع أحداً من الكلام لكن الذى نستطيعه هو أن من يقول كلمة الحق، نقول له أحسنت، ومن يخطئ نصحح له الخطأ فى حدود علمنا، ومن يأخذ بقولنا فمرحباً به.. ومن لم يأخذ لا نستطيع ولا نملك منع أحد عن الكلام!

التنوع والاختلاف

● التنوع والاختلاف فى الإسلام.. هل هو ظاهرة مرضية تستدعى التعبئة للقضاء عليها، أم أنها ظاهرة صحية تثرى التجربة الإنسانية؟

●● يقول فضيلة الإمام الأكبر: هى ظاهرة صحية، عندما يكون هذا التنوع لا يتعارض مع أحكام شريعة الإسلام. لكنه لا يكون ظاهرة صحية، إذا كان هذا التنوع متناقضا، وهذا يقول بأن هذا شئ حلال وهو فى الوقت نفسه حرام، أو هذا الشئ حرام وهو فى الوقت نفسه حلال.

فالمتنوع يختلف باختلاف المقاصد، اذا كان هذا التنوع متقيدا بأحكام شريعة الإسلام. وهذا عن طريق الاجتهاد الذى نحيه جميعا بعد أن توجد الوسائل فأهلا وسهلا لكن التنوع الذى لا نريده هو الذى يخالف حكما من أحكام الإسلام.

الميزان العادل

● ما موقف الإسلام من التعايش مع المخالفين فى الدين والثقافة؟

وما هى المرتكزات التى تضمن حسن تعامل المسلمين مع غيرهم أو ما يمكن أن نطلق عليه التعايش الآمن بين الناس؟

●● يقول فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر: نحن نقول دائما بأن الميزان الذى وضعته شريعة الإسلام للعلاقة بين المسلمين جميعا وبين غير المسلمين هذا

الميزان، أو هذا الحكم العادل نراه فى آيتين من كتاب الله هما قوله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾

«الممتحنة: ٨»

والآية الثانية هى:

﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾

«الممتحنة: ٩»

هذا هو الميزان العادل.

الاجتهاد الصحيح

● ماذا عن حرية الاجتهاد فى الإسلام؟.. فهناك وحدة أساسية فى منطلقات الفكر الإسلامى، لكن هناك توجيها اليها باعمال العقل والفكر والابداع البشرى.

فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين.. الوحدة والتعدد.. وحدة المبادئ وتعدد الاجتهاد؟

●● يقول فضيلة الإمام الأكبر: الاجتهاد فى الإسلام ترحب به شريعة الإسلام وترحب به العقول الإنسانية السليمة مادام هذا الاجتهاد لا يخالف نصا من كتاب الله ـ عز وجل ـ ولا يخالف نصا من السنة النبوية الصحيحة الثابتة عن النبى ﷺ.

ونحن دائما نقول: القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة عن الرسول ﷺ كلاهما من عند الله، إلا أن الفرق بينهما أن القرآن من عند الله بلفظه ومعناه، وأما السنة النبوية فمعناها من عند الله ـ عز وجل ـ أما ألفاظها فبإلهام من الله للنبى ﷺ ومادام هذا الاجتهاد لا يخرج عن هذا الإطار فمرحبا بهذا الاجتهاد.

انتشال عالم اليوم من التدهور

● أخيرا توجهت بهذا السؤال الى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.. كيف يمكن للثقافة الإسلامية من خلال التوازن بين الوحدة والتنوع، انتشال عالم اليوم مما وصل اليه من هبوط وتدهور روحى وفكرى وأخلاقى، وما وصل إليه من أقصى درجات الصراع والتطرف والانحراف.

●● يقول فضيلة الإمام الأكبر: من وجهة نظرى يمكن للثقافة من خلال التوازن بين الوحدة والتنوع انتشال عالم اليوم كما جاء فى السؤال.

يمكن كل ذلك بالتكاتف، وتعاون المتخصصين كل فى مجال تخصصه.. فأنا مثلا تخصصى علوم شرعية، أتعاون معك إذا كان تخصصك علوم طبية، أو علوم هندسية أو علوم اجتماعية.

فكل صاحب تخصص يتعاون مع التخصص الآخر، تعاونا معتدلا يحمى الفضائل، ويبعد الأمة عن كل لون من ألوان الرذائل.



بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ. د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير: عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير: أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا

أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

☎ ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

شوال ١٤٢٨هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠٧م - الجزء العاشر - السنة الثمانون



افتتاحية العدد

سبق الشريعة الإسلامية في تقرير الضمان الاجتماعي

كثر الحديث عن التكافل الاجتماعي في الإسلام، إذ شرعت الأقلام تبين ما قرره الدين الحنيف من مواد محكمة تجعل هذا التكافل أمراً مفروغا منه وهذا حسن في بابه، ولكن نفراً من هؤلاء الفضلاء قد أورد بعض النصوص الكريمة غير موردها السياقي المبين، ونفراً آخر شاء أن يجعل مقررات الغرب في هذا المجال مثلا يحتذى، زاعماً أن التطور الزمني بالمجتمع قد أوحي بكثير من المقررات الاجتماعية لم تكن معروفة من قبل، وذلك ما يدعوني إلي أن أخص هذه الناحية ببعض الجلاء.

كانت عبارة التكافل الاجتماعي قبل الحرب العالمية الثانية غير ذائعة بين الناس، إذ كانوا يتحدثون عن التراحم والتعاون والزكاة والتبرعات والعطف على الفقير دون أن تكون كلمة التكافل ذات معنى محدد، كما نعرفها اليوم، ثم داهمت الحرب المجتمع الإنجليزى فأكثرت من عوامل الفقر والعوز، وتركت حشودا من الأيامى والأيتام والعجزة، فنادي كبار المصلحين هناك بضرورة إسعاف هؤلاء المنكوبين، وظهر ما يسمى بتقرير «بيفردج» فأحدث دويا في العالم أجمع، ومن بينه مصر التى انتدبت باحثين انجليزيين يضعان في ضوئه بعض وسائل الإصلاح الاجتماعي، وذهب كتاب الصحف، وأساتذة الاجتماع إلى أن تقرير «بيفردج» غير مسبوق في العالم، وكتبوا في ذلك كثيرا، والاستاذ محمد عبدالواحد خلاف رئيس تحرير مجلة الثقافة قد أفرد بحثاً شافيا يدور حول هذه الاقتراحات الاقتصادية التى جاء بها التقرير وكان مما قاله:[1]

(١) مجلة الثقافة ٢٢/٢/١٩٤٣.


محمد ابو زهرة

إن مشروع «بيفردج» لا شك يقرر للفرد حقاً جديداً، ويدعم مبدأ اجتماعيا جديدا، لقد كانت رعاية الفقراء والضعفاء والعجزة والعناية بالشيوخ والأطفال والأيامى عملاً إنسانيا ندبت إليه الأديان ودعا إليه المصلحون ولكنه ترك للجهود التطوعية التى يقوم بها الأفراد والجماعات، مدفوعين بوازع من دينهم أو بعواطف إنسانية رحيمة ولكن هذه الجهود التطوعية كانت محدودة الأثر، ضيقة المدى، وبتطور المجتمعات وتقدم المدنية، رأت بعض الحكومات أن يعين هذه الجماعات بعض المعونة لتوسع دائرتها ولكن ذلك كله لم يكن كافيا لحل المشكلة.

إلي أن قال «فجاء تقرير «بيفردج» كي يصل بهذه التنظيمات التى كانت متفرقة في أزمان مختلفة وعلى أسس متفاوتة إلى تطورها الطبيعي، ويقرر بجلاء أن من حق الفرد على وطنه أن يؤمنه من شر الفاقة، وأن يكفل له من الرزق ما يقيم أوده، في طفولته وهرمه، وفي صحته ومرضه وفي عمله وتعطله ويلقى على الحكومة واجبا جديداً تلتزم به لأفراد الأمة عامة وهو واجب تحريرهم من العوز وتنظيم هذه الحماية وتدبير وسائلها.

ولم يعد الأمر مجرد مصادفة يتقرب بها المحسنون إلي الله في تخفيف آلام المحتاجين، ولم يعد الأمر مواساة للضعفاء، ينتقل بها ذوو القلوب الرحيمة والعواطف الإنسانية، ولكنه أصبح حقا مقررا للفرد على أمته يفرضه عليها انتماؤه لجماعتها والتزامه بواجبات الوطن وهذا هو الحق الجديد الذى أشرنا إليه، والذى أصبح إضافة جديدة لحقوق الإنسان التى قررتها الثورة الفرنسية.

هذا لباب ما قيل عن التقرير الإنجليزى، وهو أيضاً ما ظلت الصحف المصرية تتحدث عنه باعتباره الحق الجديد الذى لم يعرفه البشر من قبل وباعتباره إضافة جديدة لحقوق الإنسان التى قررتها الثورة الفرنسية، أجل ظلت الصحف في العالم العربى تقرر ما زعمته حقا جديداً لا سابقة له في عصور التاريخ ومن بين الكاتبين أساتذة القانون والاجتماع في الجامعة ومن يشغلون أنفسهم بمسائل الإصلاح الاجتماعي منذ ظهرت وزارة الشئون الاجتماعية بمصر ١٩٣٩م.

ولكن الحق لم يعدم النصير فقد نهضت أقلام واعية تدحض جدة هذا الحق وتثبت أنه من مقررات الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، وكان من أبطال هذه المعركة الأساتذة الكبار محمود شلتوت، وعبدالوهاب خلاف، ومحمد أبوزهرة، وهم حينئذ من كبار علماء الإسلام، ومن ذوي الصوت الجهير لدى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وبما كتب هؤلاء الأعلام ومن تبعهم بإحسان انتشرت بحوث عن التكافل الاجتماعي في الإسلام، وراج الحديث عن هذا الموضوع حتى أصبح واضح العناصر على نحو ما نشير إلى خلاصته الآن.

وفي نطاق التكافل الاجتماعي، دعا القائمون على شئون التعليم في الاربعينيات إلى إنشاء معاهد «الخدمة الاجتماعية» وأعلنوا أنهم يحتذون حذو أوربا في إنشاء هذه المعاهد التى لم يعرفها العالم

الإسلامي من قبل، فإذا كانوا يريدون أن المدارس الجديدة الخاصة بالخدمة لم تعرف من قبل فنحن معهم ولكنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك فادعوا أن مظاهر هذه الخدمة لم تكن معروفة من قبل، ونسوا أن الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر قد أنشأت ديوان البر والصدقات وهو ما يتجه إليه نشاط وزارة الشئون عند نشأتها، وأنشأت ديوان الحبوس وهو ما تمثله وزارة الأوقاف اليوم وأنشأت ديوان الزكاة لجمعها وتوزيعها على المحتاجين، وأقامت الخوانق والزوايا والربطات لإيواء العجزة والمحتاجين وأجرت الأرزاق علي العميان وذوى العاهات، وخصتهم بأماكن نظيفة ذات مأكل وملبس ومسكن، بل كان للنساء المنقطعات عن الأهل، وللمطلقات والأرامل رباطات خاصة لم يعرفها العالم الغربي إلا بعد قرون ومعاهد الخدمة الاجتماعية اليوم كالمدارس والكليات تخرج الطلاب والطالبات، ولكنها لا تبذل الخدمات العينية التي كانت تبذلها الخوانق والزوايا والرباطات، فأين هذه من تلك؟

إن عدم الإلمام بالتاريخ الحضارى للإسلام، كان باعثا إلى اعتباره كل طارىء من الغرب جديداً لا سابقة له، وأنا في هذا المجال، أشير إلى بعض مظاهر التكافل الحضارى للإسلام مستعيناً بما كتبه الفضلاء من قبل، وسيتجلى الفارق الإنساني البعيد بين اتجاه واتجاه.

يقضي قانون التكافل الأوربى أن يدفع كل فرد مبلغا يسيراً من المال كل شهر، ويدّخر له، وتقوم الحكومة باستثمار هذه المبالغ في مشروعات كثيرة، ويدفع التأمين الغني والفقير على السواء ويتمتع بفوائده الجميع غنيا كان الدافع أم فقيراً، وإذا أراد أحد الموسرين فوائد أكثر جاز لهم أن يدفعوا القسط مضاعفا من غير تدخل الدولة وسيجنون ثمرة ذلك فيما يقدر لهم عند الإحالة على المعاش.

هذا عن التكافل الغربي أما التكافل الإسلامي كما طبقته الدول الإسلامية فلا يطلب من الفقير والعاجز مبلغاً ما، بل على الدولة أن تقوم برعاية المحتاج دون مقابل! ومعنى ذلك أن أفواجا كثيرين يسقطون في التكافل الغربي إذا لم يشتركوا في التأمين المقرر. فلا تكون لهم حقوق مادية عند العجز أو فقد الوظيفةعلى حين نجد الدولة الإسلامية تنظر إلى التكافل على النحو الآتي:

قضت سنة الله ألا يكون الناس أمة واحدة ففي كل شعب يوجد الغني والفقير، والقوى القادر على الكسب، والعاجز الذي لا يستطيع مباشرة عمل يدر عليه أخلاف الرزق، يقول الله عزوجل:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٢)

وليس من الإنسانية ولا العدل الرباني أن يترك الفقير جائعا، والعاجز متضرراً لا يجدان لهما ما يكفل أسباب الكرامة البشرية من مأكل ومسكن وملبس، فالأمة على كثرة أفرادها جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. يقول ﷺ: «أبغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[٢] وهذا الحديث من جوامع الكلم لأنه يتضمن معاني كثيرة في ألفاظ محددة فقوله عليه السلام أبغوني في ضعفائكم أي إذا أردتم محبتي ورضاي فاتجهوا للضعفاء بالبر وأنقذوهم من جوع وآمنوهم من خوف، فهنا تلتمسون رضائي وليست محبتي بكثرة السلام عليّ ألفاظا تردد دون أن تكون لها ثمرة في الاستجابة إلى تنفيذ ما جئت به من الأحكام. لأن محبة الله ورسوله هي في طاعتهما والاستجابة إلى تنفيذ ما جاء به الذكر الحكيم وما قررته السنة المطهرة، فالذين يكثرون من الصلاة والصوم وحدها ويتركون واجب الزكاة خارجون عن تعاليم الإسلام، وقد كان من حوافز حرب الردة على عهد أبي بكر الامتناع عن أداء الزكاة حيث أصر أبو بكر على أدائها، وعلى خوض الحرب بسببها مهما تجمعت القبائل في هذه الحرب وهذه الظاهرة المؤسية وهي الاقتصار في نواحي العبادة على الصلاة والصوم وترك الزكوات والمبرات هي بعض ما عناه شوقي حين قال:

عجبت لمعشر صلوا وصاموا ... ظواهر خشية وتقى كذابا

وتلفيهم حيال المال صمًّا ... إذا داعي الزكاة بهم أهابا

لقد كتموا نصيب الله منه ... كأن الله لم يحص النصابا

ومن يعدل بحب الله شيئا ... كحب المال ضل هوى وخابا

هذا عن قول رسول الله «أبغوني في ضعفائكم» أما قوله «فإنما ترزقون وتنصرون بهم» فتأكيد لمنزلة الضعيف لدى ربه فهو وإن ابتلى ببعض عوامل الضعف، فقد فرض الله معونته على قوم لا يأتيهم الرزق إلا بسببه ولا يمتنع عنهم العذاب إلا لوجوده، يقول ﷺ: «مهلاً من الله مهلا فإنه لولا شيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع وشباب خشع لصب عليكم العذاب صبا»[٣] فهذه بعض المعاني التي يشع بها هذا الأثر النبوي من جوامع كلمه عليه السلام.

والإسلام في فرض التكافل الاجتماعي لا يترك الأمر فوضى دون تحديد، بمعنى أنه لا يوجب،

---

(٢) كنز العمال.

(٣) البيهقي ٣/٣٤٥.

الإسعاف الخيرى لينشىء طائفة من الكسالى يجلسون فى المعابد والبيوت دون عمل ثم يأتيهم نصيبهم من العون المادى عن طريق هذا التكافل، بل أقر عدة مبادىء اقتصادية تضع الأمر فى نصابه بحيث تكون الأمة وحدة متماسكة كغصون الشجرة الثابتة جذورها فى الأرض يسرى ماء الحياة إلى فروعها وأغصانها وفق ما تتطلبه عوامل البقاء، ومن أول هذه المبادىء أن من لا يعمل وهو قادر على أن يعمل لا يستحق المعونة وهذا عدل لا يتطرق إليه الظلم، لأن الصحة نعمة سابغة أقوى من نعمة المال والثراء، فالصحة إذا روعى مقامها الاجتماعى تجلب المال بما يقوم به صاحبها من عمل، أما المال فمهما تدفقت مياهه فلن يجلب الصحة لمريض تألب عليه المرض بما عاق وسائل القوة والارتياح على كثرة العلاج ودقة التشخيص وتكرر الدواء، وقد حث الله ورسوله على العمل الدائب والكفاح المثمر قال الله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾

(الملك: ١٥)

وروى البخارى قول رسول الله ﷺ عن المقداد: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»، كما روى البخارى عن الزبير بن العوام أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبلة فيأتى بحزمة حطب، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

وقد يكون جزاء العمل غير كاف لإنهاض العمل فيوجد بعض الفقراء والمساكين الذين يجب أن تصرف لهم المبرات وتقدم إليهم الصدقات، وعلى الناصحين من فضلاء الأمة ورجال المجتمع أن يسددوا بالموعظة الحانية والإرشاد الهادىء بعض من يقومون بالأعمال التى لا تناسب مقدرتهم الجسمية والعقلية حين لا تكفى ثمراتها ما يمسك أرماق الحياة. فقد تجد شابا مفتول العضل قوى الجسم تنضح من وجهه معالم العافية والبأس ولكنه يدور على المقاهى حاملا بعض الأدوات الرخيصة كالأقلام والإبر والمشابك ويظل يومه الأطول رائحا غاديا كى يكسب دريهمات لا تغنى شيئا فى معيشته على الوجه الكريم. هنا يكون من التكافل الاجتماعى أداء النصيحة فى رفق إلى أمثال هؤلاء بأن يقول الناصح لمن يعرض عليه هذه الأشياء اليسيرة يابنى إن فيك خيرا وإنك تكسب من عمل يدك وفى استطاعتك أن تبحث عن عمل يدر عليك أكثر مما تكسب الآن، ودع هذه الصغائر الهينة لعجوز يجلس على قارعة الطريق أو أيم تجد من رحمة الله ما يضاعف لها المشترى ثمن السلعة حسبة وزلفى، بمثل هذه النصيحة الهادئة تعتدل مسيرة الحياة بهذا الجائل المتردد على شتى الأماكن دون ثمرة كافية تقيه العوز والدين النصيحة كما هو معروف وقد ألحت إلى ضرورة التمهيد بالقول الحسن لأمثال هؤلاء لأن بعض الذين لا يلزمون آداب الإسلام يجابهون هؤلاء المحتاجين بتعاظم متكبر يحدث نفورا يمتنع به الإصغاء وهؤلاء فى حاجة إلى من ينصحهم باتباع الرفق وسلوك طريق الموعظة الحسنة ليبلغوا به ما يريدون من التوجيه إن كانوا صادقين.

أما المبدأ الثانى فهو حق العاجز عن العمل لمرض أو شيخوخة فى أن تكفل له الدولة الإسلامية ما يقوم بأسباب معيشته وهو مبدأ أكده المجمع الموقر فى مؤتمراته الماضية، وكان ممن بحثه بحثاً مستفيضاً عضوا المجمع الأستاذان الكبيران الشيخ محمد أبو زهرة فى المؤتمر الثانى المنعقد فى المحرم سنة ١٣٨٥، والدكتور إبراهيم اللبان فى المؤتمر الأول المنعقد فى شوال سنة ١٣٨٣هـ وأنا لست فقيهاً ارتفع إلى مناقشتهما الرأى، ولكنى اقتنعت بما قالاه.. وأملت أن أعرض عليكم موجزاً دقيقاً لما أشبعا به القول فى إمتاع وإقناع.

وأبدأ بالأستاذ أبى زهرة، حيث قرر فى حسم أن الدولة مسئولة عن حق الفقراء فى أموال الأغنياء، وهذا الحق للعاجز فرض محتوم على الأغنياء، بحيث لو تصرف الغنى فى المال الذى تعلق به حق الفقير العاجز لكان تصرفه فيما لا يملك وهو غير جائز عند جمهور الفقهاء، وبحيث لو مات قبل أن يؤديه لكان متعلقا بتركته كما قرر فقهاء المذاهب الأربعة وقد فتح الإسلام هذا الباب من نواح عدة، أهمها ناحية الأسرة فقد قال الله تعالى فى باب إنفاق الأقارب بعضهم على بعض.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟
مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ
أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ
تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(النور: ٦١)

قال الأستاذ أبو زهرة، فالآية صريحة في أن الفقير العاجز الذي لا يجد عملاً، له أن يأكل عند أقاربه المحارم ثم أن الآية صرحت بأنه يجوز الأكل من الصديق، وكل من يرتبط برباط الإيمان، فهو صديق بحكم رابطة الإسلام كما قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[٤].

ومضى الشيخ في إقرار أحكام تنحو هذا المنحى فقال: يجب معاونة من يطلب المعونة وتضطره الحاجة إلى طلبها، فإنه لا يترك كي يموت جوعا، ولو أن رجلا أشرف على الموت جوعا، ولا طريق لأن يأكل إلا بأن يأخذ من غيره قسرا، فله أن يأخذ ولو اقتتلا. فقتل المانع يموت من غير دية، ولو قتل الممنوع لوجبت الدية[٥].

أما الدكتور إبراهيم عبد المجيد فقد كان عمود بحثه قائماً على آراء العلامة ابن حزم الفقيه الأندلسي الشهير، إذ أكد في إصرار أن الزكاة ليست كل الواجب على الأغنياء وأن الواجب لا يتم إلا بتحقيق حياة كريمة للإنسان الفقير وتحقيق هذا مما يجب على الدولة أن تضطلع به، ولا يجوز أن تتركه لجهود الأفراد، وقد قال ابن حزم في الجزء السابع من المحلى: «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للصيف والشتاء بمثل ذلك، وبمسكن تكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة.

ثم نقل الدكتور اللبان بعض ما استشهد به الإمام ابن حزم في تأييد مذهبه مثل قوله تعالى:

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٦)

وقوله:

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

النساء: ٣٦

فأوجب الله حق المساكين وابن السبيل وما ملكت اليمين مع ذوي القربى، وافترض الإحسان إلى الأبوين وذي القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين، والإحسان يقتضي كل ما ذكرناه، ومنعه إساءة بلا شك قال تعالى:

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ (المدثر: ٤٢: ٤٣)

فقرن تعالى طعام المسكين بوجوب الصلاة.

هذا من الكتاب المبين، أما من السنة فقد ذكر ابن حزم عدة أحاديث مشتهرة، منها ما روى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

وفي الاستدلال بالآثار نقل الدكتور اللبان أقوالا عن ابن عمر وطاوس والشعبي، وأهمها جميعا ما رواه عن الإمام علي بن أبي طالب بأنه قال: «إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي الفقراء، فإن جاعوا أو عروا فبمنع الأغنياء، وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه».

هذا بعض ما نقله الدكتور عن ابن حزم، وقد رجعت إلى المحلى فوجدت النقل صادقا لا شبهة فيه، بل وجدت ما هو أعظم تصريحاً وأدل تشريعا مما ذكره ولعله اكتفى ببعض عن بعض فمما قاله ابن حزم ولم يذكره الباحث: «لا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير، وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو ذمي، لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع، فإذا كان ذلك كذلك، فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير»[٦] ثم زاد ابن حزم فقال: «وله - أي المضطر - أن يقاتل عن ذلك، فإن قتل فعلى قاتله القود، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله لأنه منع حقا، وهو طائفة باغية» وقد يكون في هذا الحكم ما يوجب النقاش، ولكنه وجهة نظر صائبة تدل على حق الجائع في أن يأكل عند الغني، وقد كان العرب بفطرتهم الخالصة قبل الإسلام يرون حقا على الطارق أن يأكل مما في الخيمة جل أو هان، وهو حق باركه الإسلام وأقره، وأكده الإمام علي حين قال:

وإن كـثـيـرا أن تـبـيـت ببطنة
وحـولـك أكـبـاد تحن إلى القـد

على أن الدولة قد حاولت أن تفسح مجالا للعمل، حين أنشأت ما يسمى بالتعليم الفني ليكون المتخرج في مدارس التجارة والزراعة والصناعة صاحب حرفة تنفعه فلا يحتاج إلى المعونة، ولكن مناهج هذه المدارس لم تساعد على ذلك. إذ هي في أكثر موادها نظرية لا عملية، بحيث أصبح خريجها يلتمس الوظيفة وحدها لتكون مورد رزقه. ولابد من تعديل هذه المناهج لتكون رسالة هذه المدارس حقيقية لا خيالية، وعلينا أن نتابع الدول الرشيدة فيما تسلك من نظم التعليم، فاليابان مثلاً في كل مدارسها التعليمية لا فرق بين تخصص وتخصص، تجعل الدراسة ذات شقين: عملي ونظري، فللطالب - كل طالب - ميدانه العملي في جداول يومية متفق عليها. ومنهجه النظري في جداول أخرى تسيران في مستوى واحد، فإذا خرج إلى ميدان الحياة كانت دروسه العملية كافية في توجيه مستقبله، فلا ينتظر وظيفة ما، بل يحترف ما تأهل له في المجال العملي، ومن هنا لا تجد في اليابان عاطلا واحداً يستحق الصدقة، إذ فرضت الدولة حقا مشروعا للعاجز المريض والكبير المسن، وهذا ما قرره الإسلام حين جعل حقا مفروضا لمن لا يستطيع أن يعمل وهو التكافل بعينه.

«يتبـــع»

د./ محمد رجب البيومي

(٤) كنز العمال ١/٢٦٤.

(٥) المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية ص ١٢٩ سنة ١٣٨٥هـ.

(٦) المحلى جـ (٦) ١٥٦.

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الآية: ١٥٢)

قال القرطبي: قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله - ﷺ - إلى المدينة بعد أحد، وقد أصيبوا قال بعضهم لبعض: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فنزل قوله - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾

وذلك أنهم قتلوا صاحب لواء المشركين وسبعة نفر منهم بعده على اللواء، وكان الظفر ابتداء للمسلمين، غير أنهم اشتغلوا بالغنيمة وترك بعض الرماة أيضا مراكزهم طلبا للغنيمة فكان ذلك سبب الهزيمة.

وقد روى البخاري عن البراء بن عازب قال: لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله ﷺ أناسا من الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير وقال لهم: «لا تبرحوا من مكانكم. إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم قد ظهروا علينا فلا تعينونا».

قال: فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن الجبل - أي يسرعن الفرار - يرفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن فجعلوا يقولون - أي الرماة - «الغنيمة.. الغنيمة» فقال لهم أميرهم عبدالله بن جبير أمهلوا. أما عهد إليكم رسول الله ﷺ ألا تبرحوا أماكنكم؟ فأبوا - وانطلقوا لجمع الغنائم - فلما أتوهم صرف الله وجوههم وقتل من المسلمين سبعون رجلا»[1].

وصدق الوعد معناه: تحقيقه والوفاء به، الصدق: مطابقة الخبر للواقع. والمراد بهذا الوعد، ما وعد الله به المؤمنين من النصر والظفر في مثل قوله - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

(محمد: ٧)

وفي مثل قوله - تعالى -:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾

(آل عمران: ١٥١)

وفي مثل قول الرسول ﷺ للرماة قبل أن تبدأ المعركة «لا تبرحوا أماكنكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم»[2].

ومعنى «تحسونهم» تقتلونهم قتلا شديدا يفقدون معه حسهم وحركتهم يقال: حسه حسا إذا قتله. وحقيقته: أصاب حاسته بآفة فأبطلها، يقال: كبده وفاده أي: أصاب كبده وفؤاده ومنه جراد محسوس، وهو الذي قتله البرد أو مسته النار فأهلكته.

والمعنى: ولقد حقق الله - تعالى - لكم - أيها المؤمنون - ما وعدكم به من النصر على أعدائكم إذ أيدكم في أول معركة أحد بعونه وتأييده فصرتم تقتلون المشركين قتلا ذريعا شديدا بإذنه وتيسيره ورعايته وكان حليفا لكم في أول المعركة.

و«صدق» يتعدى لاثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر تقول: صدقت زيداً في الحديث وقد يتعدى بنفسه إلى المفعولين كما هنا إذ المفعول الأول ضمير المخاطبين، والثاني قوله (وعده).

وقوله: (إذ تحسونهم) معمول لصدقكم أي صدقكم في هذا الوقت وهو وقت قتلهم وقوله «بإذنه» متعلق بمحذوف لأنه حال من فاعل «تحسونهم» أي تقتلونهم مأذونا لكم في ذلك.

فالجملة الكريمة تذكر المؤمنين بما كان من نصر الله - تعالى - لهم عندما أقبلوا على معركة أحد بقلوب مخلصة، وتفوس ثابتة وعزيمة صادقة.. ثم بين - سبحانه - أن ما أصابهم من هزيمة بعد ذلك كان بسبب

(١) تفسير القرطبي ج٤ ص٢٣٢، بتصرف يسير.

(٢) دلائل النبوة ٣/٢٨٣.

فشلهم وتنازعهم فقال - تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾

والفشل: بمعنى الجبن والضعف، يقال فشل يفشل فهو فشل وفاشل والتنازع: التخاصم والتخالف.

والمعنى: ولقد صدقكم الله وعده في النصر - أيها المؤمنون - عندما كنتم تقاتلون أعداءكم بإيمان صادق، وإخلاص لله - تعالى - حتى إذا ضعفت نفوسكم وعجزتم عن مقاومة أهوائكم وتنازعتم فيما بينكم (أنتبع الغنائم نجمعها أم نبقى في أماكننا التي حددها الرسول ﷺ لنا)؟ ومال أكثركم إلى طلب الغنائم مخالفا أمر الرسول ﷺ من بعد ما أراكم الله في أول المعركة من نصر مؤزر تحبونه وترجونه، ومن مغانم تتطلعون إليها بلهفة وشوق.

حتى إذا فعلتم ذلك منع الله - تعالى - عنكم نصره، وتحول نصركم إلى هزيمة وفقدتم أنفسكم وما جمعتموه من غنائم.

وهكذا نرى أن ما أصاب المسلمين في أحد من هزيمة كان بسبب فشل بعضهم وتنازعهم وعصيانهم أمر رسولهم ﷺ وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾

(الأنفال: ٢٥)

ولقد رتب الله - تعالى - ما حدث من بعض المؤمنين في غزوة أحد ترتيبا دقيقا يتفق مع ما حصل منهم وذلك لأنهم حدث منهم - أولا - الفشل بمعنى العجز النفسي عن الثبات والصبر ثم ترتب على ذلك أن تنازعوا فيما بينهم ونتج عن هذا التنازع أن ترك معظمهم مكانه ونزل إلى ميدان المعركة لجمع المغانم، ثم ترتب على كل ذلك معصيتهم لأمر رسولهم وقائدهم ﷺ.

قال الجمل ما ملخصه: وقوله:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾

في حتى هذه قولان:

- أحدهما: أنها حرف جر بمعنى إلى وفي متعلقها حينئذ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها متعلقة بقوله: «تحسونهم» أي تقتلونهم إلى هذا الوقت.

والثاني: أنها متعلقة «بصدقكم» أي صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم. والثالث: أنها متعلقة بمحذوف دل عليه السياق تقديره: ودام لكم ذلك إلى وقت فشلكم.

- والقول الثاني: أنها حرف ابتداء داخلة على الجملة الشرطية و «إذا» على بابها من كونها شرطية، والصحيح أن جوابها محذوف أي حتى إذا فشلتم وتنازعتم منع الله عنكم نصره»[٣].

(٣) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١، ص ٣٢٤.

وقال الفخر الرازي: فإن قيل ما الفائدة في قوله:

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾

فالجواب عنه: أن المقصود منه التنبيه على عظم المعصية، لأنهم لما شاهدوا أن الله - تعالى - «أكرمهم بإنجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية، فلما أقدموا عليها لا جرم سلبهم الله ذلك الإكرام وأذاقهم وبال أمرهم. وقوله:

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾

تفصيل للتنازع الذي كان بين الرماة، أو بين بعض أفراد المسلمين الذين اشتركوا في هذه الغزوة[٤].

أي: منكم - أيها المسلمون - من يريد الدنيا ومغانمها حتى حمله ذلك على ترك مكانه المخصص له مخالفا نصيحة قائده ورسوله ﷺ ولو أن هذا البعض منكم خالف هواه، وحارب مطامعه، وأطاع أمر رسوله ﷺ لتم لكم النصر، ولأتتكم الدنيا بغنائمها وهي صاغرة.

ومنكم من يريد بجهاده وعمله ثواب الآخرة وهم الذين أطاعوا أمر رسولهم ﷺ وثبتوا إلى جانبه يدافعون عنه وعن عقيدتهم وعن أنفسهم دفاع الأبطال الصامدين وهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم ما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم.

قال ابن جرير: قال ابن عباس: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: أدركوا الناس لا يسبقوكم إلى الغنائم فتكون لهم دونكم، وقال بعضهم: لا نريم حتى يأذن لنا النبي ﷺ فنزلت:

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾

وقال ابن مسعود: ما علمنا أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد»[٥].

وقوله:

﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾

عطف على جواب «إذا» المقدر، وما بينهما اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه.

والتقدير: منع الله نصره عنكم بسبب فشلكم وتنازعكم ومعصيتكم لنبيكم ثم ردكم عنهم دون أن تنالوا ما تبتغون «ليبتليكم» أي ليعاملكم الله - تعالى - معاملة من يمتحن غيره، ليتميز قوي الإيمان من ضعيفه وليتبين لكم الصابر المخلص من غيره.

وجاء العطف بثم في قوله:

﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ ﴾

(٤) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ٣٧.

(٥) تفسير ابن جرير جـ ٤ ص ١٣٠.

للإشعار بالتفاوت الكبير بين المقصد الأصلى الذى خرجوا من أجله وهو النصر والحصول على الغنيمة، وبين النتيجة التى انتهوا إليها وهى العودة مقهورين.

وكان التعبير بكلمة «صرفكم» دون كلمة «هزمتم» لأن ما حدث فى أحد لم يكن هزيمة وإن لم يكن نصراً. لأن الهزيمة تقتضى أن يولى المسلمون الأدبار وأن يتحكم فيهم أعداؤهم وما حدث فى أحد لم يكن كذلك، وإنما كان زيادة فى عدد الشهداء من المسلمين عن عدد القتلى من المشركين لأن بعض المسلمين خالفوا وصية نبيهم ﷺ وتطلعوا إلى زهرة الدنيا وزينتها بطريقة تتعارض مع ما يقتضيه الإيمان الصادق فكان من الله - تعالى - التأديب لهم.. وفى هذا التعبير:

﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

تسلية لهم عما أصابهم، وتخفيف لمصابهم فكأنه - سبحانه - يقول لهم: إن ما حدث فى أحد إنما هو نوع من الصرف عن الغاية التى من أجلها خرجتم لحكم من أهمها: تمييز الخبيث من الطيب، وتربيتكم على تحمل المصائب والآلام، وتأديبكم بالأدب المناسب حتى لا تعودوا مرة أخرى إلى مخالفة رسولكم ﷺ.

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بما يمسح آلامهم ويذهب الحسرة من قلوبهم فقال - تعالى:

﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

أى: ولقد عفا - سبحانه - عما صدر منكم تفضلا منه وكرما، والله - تعالى - هو صاحب الفضل المطلق الدائم على المؤمنين.

ولقد أكد - سبحانه - هذا العفو باللام وبقد وبالتعبير بالماضى، ليفتح أمامهم طريق الأمل، وليحفزهم على التوبة الصادقة والإيمان العميق، حتى لا ييأسوا من رحمة الله.

والتذييل بقوله:

﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾

مؤكد لمضمون ما قبله.

قال الألوسى: «إيذان بأن ذلك العفو، ولو كان بعد التوبة، بطريق التفضل لا الوجوب أى: شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو فى جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم، إذ الابتلاء أيضا رحمة»[6].

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد ذكرت المؤمنين بأن الله - تعالى - قد حقق وعده معهم فى أول المعركة بأن سلطهم على المشركين يقتلونهم بتأييده ورعايته قتلا ذريعا فلما صدر من بعض المؤمنين الفشل والتنازع والعصيان منع الله عنهم - عونه وصرفهم عن الغاية التى كانوا يتمنونها ليتميز الخبيث من الطيب ومع ذلك فقد عفا الله عما صدر منهم من أخطاء لأنه هو صاحب الفضل الدائم على المؤمنين.

(٦) تفسير الألوسى جـ٤ ص٩٠.

السنة :

العمل والسعى مفاتيح خزائن الرزق

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره، فيتصدق به ويستغنى به من الناس - خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول».

رواه الشيخان، واللفظ لمسلم

الشرح والبيان

يقول الله «عز وجل» فى كتابه الكريم:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

«التوبة: ١٠٥»

فالعمل من فرائض الإسلام، ومطالب الدين، وهو قرين الصلاة والجهاد والحج، وهو وسائر الطاعات التى يتقرب بها الإنسان طاعة لربه، وزلفى لخالقه فى كفتى ميزان متعادلتين، لا تميل إحداهما عن الأخرى قال تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

«الجمعة: ١٠»

في هذه الآية الكريمة يُهيب الله بالمسلمين إذا فرغوا من صلاة الجمعة أن ينصرفوا إلى أعمالهم، ابتغاء الفضل، وطلباً للرزق، لأن الإسلام دين ودنيا، صلاة وسعي، مسجد ومعمل:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

«آل عمران ٨٥»

ومن ثمّ عني الإسلام بالعمل عناية فائقة، وحثّ عليه في كلّ مجالاته، براً وبحراً وجواً، وكيف لا؟ والعمل وقود الحياة، وعماد النهضة، ودعامة الحضارة، وأساس التقدّم والرقيّ، ووسيلة الرخاء والسعادة، وبدون العمل هل تكون الدنيا إلا خراباً رهيباً، وموتاً كئيباً، وحصيداً خامداً؟

﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾

«يونس: ٢٤»

فينبغي أن نعمل بجدّ واجتهاد، وألا نركن إلى ما حققه الآباء والأجداد، ولذلك أنشد بعضهم:

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوماً على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني
ونفعل مثل ما فعلوا

تأسيساً على ذلك يجب على كلّ إنسان أن يبذل ما في وسعه، وأن يسعى قدر طاقته في طلب الرزق، فلا يكتفي بحاجته، إذ عليه أن ينفق الزائد على المرضى واليتامى والمساكين ومن على شاكلتهم من ذوي الحاجات، وألا يتكل في ذلك على غيره، وليس أبلغ في الدلالة على ذلك من الآية القرآنية الكريمة التي يأمر فيها الحق «سبحانه» السيدة مريم، وهي تعاني ضعف الولادة أن تقوم بالعمل الذي تطيقه لتنال رزقها:

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾

«مريم: ٢٥، ٢٦».

وإن أعطت هذه الآية شيئاً فإنما تعطي أنه لا غاية بدون وسيلة، ولا ثمرة من غير جهد وعمل.. وإذا كانت أرزاق العباد في خزائن عند الله «تعالى» كما أخبر «سبحانه»:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾

«الحجر: ٢١»

فإن مفاتيح هذه الخزائن السعي والعمل، لأن الله الذي خلق العباد قدّر لهم أرزاقهم قبل أن يخلقهم

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

«الملك الآية ١٤»

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾

«هود آية ٦»

هذا وساحة العمل واسعة، تتسع لجميع الناس مهما تزايدت أعدادهم في مكان آخر، ومن هنا تعددت الهجرات. قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾

«النساء: ٩٧»

وقد دعا الله «سبحانه وتعالى» إلى ذلك، فقال «جلّ شأنه»:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

الملك الآية ١٥

هذا ولما كان العمل بتلك المكانة كان شعار الأنبياء «عليهم السلام» فهذا نوح «عليه السلام» بدأ حياته تاجراً، وربحت تجارته، ثم اشتغل بصنع السفينة بوحي من الله.. وإبراهيم «عليه السلام» بدأ حياته كذلك تاجراً، وربحت تجارته، وظلّ يتاجر طوال هجرته، حتّى عاد إلى وطنه، فاشتغل بالرعي، حتّى ضاق الوادي، بماشيته، وماشية ابن أخيه لوط «عليه السلام».. وعمل موسى «عليه السلام» أجيراً عند الشيخ الكبير من أهل مدين كما أوضح القرآن الكريم:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

«القصص: ٢٧»

وحسب العمل شرفاً أن رسول الله ﷺ تفتحت عيناه أول ما تفتحتا على السعي والعمل، فرعى الغنم وهو صغير – بأجر زهيد، وكان يعلن مفاخراً أنه رعى الغنم كما رعاها إخوانه الأنبياء من قبل، لأن رعي الغنم. مقدمة لرعاية الأمم. روى البخاريّ عن أبي هريرة «رضي الله عنه» عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكّة».

ولما تقدمت به السنّ، وظهرت مواهبه– تاجر في أموال السيدة خديجة، فضرب أروع الأمثال للتجار في الصدق والأمانة، وربحت تجارته ربحاً عظيماً، وقد كان رسول الله ﷺ يقدّس العمل، ويحبّ العاملين، فهو القائل: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» رواه الطبراني في معجمه الأوسط عن عائشة.

وهو ﷺ الذي وضع بيده الشريفة على صدور العمّال هذه الشارات الرفيعة التي يفخر بها كلّ عامل، فقد ورد أن جماعة من الأشعريين كانوا في سفر، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا له: ما رأينا بعدك أفضل من فلان، كان يصوم النهار، فإذا نزلنا قام الليل، حتى نرتحل، فقال رسول الله ﷺ: ومن كان يكفله ويخدمه؟ قالوا: كلنا، فقال ﷺ: «كلكم أفضل منه» أورده الألباني في السلسلة الضعيفة عن مسلم بن يسار وقال إسناده ضعيف، ورجاله كلهم ثقات لكنه مرسل.

وحينما رأى رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار قد عمل حتّى خشنت يده أو تورّمت– سأله رسول الله ﷺ عن سبب ذلك، فقال: «إنه من أثر المسحاة التي يعمل بها، حتّى ينفق من عمله على أهله»، فقال الرسول الكريم «صلوات الله وسلامه عليه»: «هذه يد لا تمسها النار»، وفي رواية: «هذه يدٌ يحبّها الله ورسوله»، وزاد ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» أنّ الرسول ﷺ قبّل يده. وقد اقتدى به ﷺ خلفاؤه وأصحابه من بعده، فها هو ذا أبوبكر

الصديق «رضى الله عنه وأرضاه» أول الخلفاء ظلّ يتاجر حتى يوم أن بايعه الناس بالخلافة. لولا أن ردّه عمر بن الخطاب «رضى الله عنه»، ليتفرغ لشئون المسلمين، وبالتالى فرض له من بيت المال ما يكفيه وأهل بيته.

وكان عمر بن الخطاب «رضى الله عنه وأرضاه» ثانى الخلفاء يعمل دلالاً، وكان يقول: «ما من يوم يأتينى فيه الموت أحبّ إلىّ من يوم أتسوّق فيه لأهلى، أبيع، وأشترى».. وكان عثمان بن عفان ثالث الخلفاء «رضى الله عنه وأرضاه» تاجراً ناجحاً، وقد سجّل التاريخ بكلّ الفخر والإعزاز- عن ابن عباس «رضى الله عنهما» أن علياً- رضى الله عنه- وأرضاه رابع الخلفاء الراشدين قد أجّر نفسه من يهودىّ، ليسقى له كلّ دلو بتمرة.. ولما هاجر عبدالرحمن بن عوف «رضى الله عنه وأرضاه» إلى المدينة آخى النبى ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع، فعرض عليه سعد «رضى الله عنه» أن يشاطره ماله وداره، وأن يختار إحدى زوجتيه، يطلقها سعد فيتزوجها عبدالرحمن. فقال له عبدالرحمن: بارك الله لك فى أهلك ومالك، أنا رجل تاجر، هل من سوق فيه تجارة؟ فدلّه على سوق المدينة، فغدا يبيع الأقط «الجبن والسمن» حتى صار من أكبر أثرياء المسلمين، فهذا شأن السلف الصالح، والرعيل الأول، ولنا فيهم أسوة حسنة، وقدوة طيّبة، والمسلم مطالب أن يعمل حتى آخر لحظة فى الحياة، فمن أدركته القيامة، وقد شرع فى عمله، فعليه أن يتمه وإن كان لا يجنى ثمرة من ورائه، فحسبه أنه أدّى واجبه، فعن أنس بن مالك «رضى الله عنه» أن النبى ﷺ قال:

«إن قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألاّ يقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر»، وإذا كانت العبادة تكفّر الذنوب، وتمحو الخطايا فإن السعى فى طلب الرزق، والاجتهاد فى ذلك يكفّرها أيضاً، قال ﷺ: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمّ بطلب المعيشة»، أخرجه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية.

وروى الإمام البخارى عن الزبير بن العوام «رضى الله عنه» عن النبىّ ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم أحبلا فيأخذ حزمة من حطب فيبيع فيكفّ الله بها وجهه- خير من أن يسأل الناس، أعطى أم منع».

وإذا كان الإسلام يحبّ العمل ويمجّده، فهو يكره البطالة ويمقتها، ويكره من الإنسان أن يعيش عالة على أهله، أو كلاً على غيره، وقد جاء فى الأثر: «إن الله يحبّ العبد المحترف، ويبغض العبد الصحيح الفارغ».

وقال عمر بن الخطاب «رضى الله عنه»: «إنى لأرى الرجل فيعجبنى، فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا- سقط من عينى».

ولقد مرّ الحسن بن علىّ «رضى الله عنهما» برجل من هذا النوع، فقال له: يا هذا، اعمل، وكل. فإن الله يحبّ من يعمل ويأكل، ولا يحبّ من يأكل ولا يعمل، ومن هنا نتبين أنه ليس فى صفوف المسلمين مكان لسائل ولا عذر له، فلا يكره الإسلام شيئاً كراهته للسؤال، إذ فى السؤال مهانة، تهوى بمنزلة المؤمن، ومزلة تتنافى مع عزّته المستمدة من عزّة الله:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

«المنافقون آية ٨»

ولقد أتى على الناس زمان كانوا لا يسألون الناس شيئاً أبداً، مهما اشتدت بهم الحاجة، حتى إنّ أحدهم كان يركب دابته، فسقط منه العصا على الأرض، فيأبى أن يطلب من غيره أن يناوله إياها، وقد رأى بعض السلف شيخاً يسأل الناس، فقال: إنّ هذا ضعيف، ضيع الله فى صغره، فضيّعه الله فى كبره، ولذلك كان الإمام أحمد «رحمه الله» إمام أهل السنة والجماعة يقول فى دعائه: «اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك، فإنه لا يقدر على كشف الضر، وجلب النفع سواك».. كما كان أهل الصفة- وهم فقراء المهاجرين فى عصر الرسول ﷺ- من أشد الناس حاجة وفقراً، ولكنهم تعففوا عن المسألة حتى ظنهم الناس أغنياء، كما أخبر «سبحانه»:

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾

«البقرة: ٢٧٣»

ومن هنا هدّد الرسول ﷺ الذين يعيشون حياتهم يتكففون الناس، روى الإمام البخارى ومسلم «رحمهما الله» عن ابن عمر «رضى الله عنهما» أن النبىّ ﷺ قال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مُزعة لحم»، وخاصة هؤلاء الذين يسألون وعندهم ما يكفيهم، ليحصلوا على الثراء بأموال غيرهم. روى مسلم عن أبى هريرة «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقلّ منه أو ليستكثر».

هذا وقد أعطى رسول الله ﷺ السائلين درساً يضىء لهم الطريق، ويدلهم على أبواب الخير وطرق العلاج والنجاح، فقد روى أبو داود والنسائى والترميذى عن أنس «رضى الله عنه» أن رجلاً من الأنصار أتى النبىّ ﷺ فسأله، فقال له النبىّ ﷺ: «أما فى بيتك شىء؟». قال الرجل: بلى، حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء. قال النبى ﷺ: «ائتنى بهما»، فأتاه بهما، فأخذهما ﷺ بيده، وقال: «من يشترى هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال ﷺ: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثاً. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارىّ، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً، فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فائتنى به» فأتاه به، فشد فيه ﷺ عوداً بيده، ثم قال: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً» ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال له رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة».

وفقنا الله للعمل بقوله والاقتداء بفعله.

الإسلام وحقوق الإنسان

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر الشريف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعاملين خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين وعلى جميع أنبياء الله والمرسلين.

وبعد

فبداية لابد لنا من الإقرار بأن مصدر الحقوق والواجبات وإثباتها لأصحابها هو الله - تعالى - فالشريعة الإسلامية تنظر للحق والواجب على أنهما من مقومات كرامة الإنسان التي هي منحة من الله - تعالى - وأن كرامة الإنسان هي المعيار لصحة واستقامة أداء الحقوق والواجبات وفق إرادة الله - تعالى - فالحق والواجب في الشريعة الإسلامية مقيدان بتحقيق إرادة الله ومرضاته كما أنهما مقيدان بمصلحة الجماعة وعدم الإضرار بالآخرين، وللناس أن يتعارفوا ويتفقوا على حقوق وواجبات فيما استحدث من أمور حياتهم بما لا يتعارض مع إرادة الله وشرعته وبما يضمن تحقيق كرامة الإنسان ومصالحه ويحقق إقامة العدل بين الناس وعلى هذا فإن الحق والواجب في الشريعة الإسلامية أمران متقابلان متكاملان، فكل حق يقرره الإسلام يقابله واجب وعلى الناس جميعاً أن يحترموا هذه الحقوق والواجبات وألا يعتدوا عليها لأنها منحة من الله - تعالى - ونستطيع أن نقدم بعض صور الحقوق والواجبات التي يقررها الإسلام.

حق الحياة

كفل الإسلام حق الحفاظ على حياة الإنسان وجعل ذلك من ثوابت الشريعة الإسلامية حتى إن الإسلام يقرر أن الاعتداء على حياة الفرد الواحد إنما هو اعتداء على البشرية جمعاء

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢)

بل إن الإسلام نهى عن قتل الإنسان لذاته «الانتحار» ويشنع مثل هذه الجريمة

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء: ٢٩، ٣٠)

ويقول الرسول ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها «يضرب بها» في بطنه في نار جهنم خالدا مخلداً فيها أبدا ومن تردى أي «أسقط نفسه متعمداً» من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً فيها أبداً».

وبهذا يشدد الإسلام العقوبة في الدنيا على القاتل بأن يقتل زجراً لغيره من أن يقدم على نفس الجريمة وتطهيرا للقاتل من شناعة جريمته لينجو في الآخرة من عذاب النار والخلود فيها

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة: ١٧٩)

أي حياة في الدنيا للناس بقطع دابر الجريمة وحياة في الآخرة للقاتل وقد أخذ عقابه في الحياة الدنيا، وبالمقابل فإن الإسلام يعظم من شأن المحافظة على حياة الإنسان وحماية النفس البشرية تأكيداً على قدسية حياة الإنسان فيقرر أن من أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً ويستوي في هذا الناس جميعاً على اختلاف عقائدهم وأجناسهم يقول الرسول ﷺ: «من آذى ذمياً فقد آذاني» وقوله ﷺ: «أنا أحق من وفى بذمته» عندما جاء من يسأل عن جواز قتل المسلم بذمي ومن هنا يتضح أن الإسلام يؤكد على حرمة حياة الإنسان المواطن وغير المواطن، بصرف النظر عن الجنس أو العرق أو الدين ومع كل هذا نجد من يتعطش إلى سفك دماء الأبرياء ممن وافقوه في العقيدة أو خالفوه مما يدعو إلى الأسى على ما وصلت إليه البشرية من انحدار في الأخلاق والعقيدة.

حق الكرامة

فالإسلام مثلما قرر حق الحياة للإنسان قرر منحه حق الكرامة، فالإنسان بالإسلام مكرم لذاته بصرف النظر عن الجنس أو العرق أو العقيدة.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء: ٧٠)

وذات مرة كان رسول الله ﷺ جالسا مع بعض أصحابه فمرت بهم جنازة فقام لها عليه الصلاة والسلام تعظيماً وإجلالا فقيل إنها جنازة يهودي فقال عليه السلام: «أليست نفسا؟».

حق العدل

إن العدل هو القضية الأولى فى الشريعة الإسلامية هو من ثوابت مقاصدها فى تحقيق كرامة الإنسان ومصالح الناس:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل: ٩٠)

وإقامة العدل بين الناس هو السبيل لدحر الظلم ومحو الجور من الأرض، لأن العدل يمثل إرادة الله تعالى فى إقرار المساواة بين العباد، والتزام العدل والتمسك بمعاييره الربانية هو المعيار الصادق على الإيمان بوحدانية الله والاستسلام لإرادته جل شأنه وحيث إن الشرك يمثل أعظم أنواع الظلم:

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

فلاشك أن العدل هو التعبير الصادق والبرهان الساطع القاطع على أعظم درجات الإيمان بوحدانية الله والاستسلام لإرادته جل شأنه ومن أجل ذلك يشدد على إقامة العدل حتى مع وجود الخصومة والعداوة :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨)

حق الحرية

الإسلام يقرر العبودية الخالصة لله - تعالى - وحده دون غيره من المخلوقات التى هى من صنعه تعالى، وبهذا يقرر أقصى وأرقى درجات حرية الإنسان ويؤكد رفضه الشديد أن يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله تعالى ويؤكد كذلك رفضه ومقته أن يستعبد الإنسان أو يُستذل أو يسترق، ورغب وأمر بمقاومة الرق والاستعباد الذى كان سائداً ومتعارفاً عليه بين الأمم قبل الإسلام، واعتبر تحرير الإنسان من أقرب القربات إلى الله - تعالى - وأنزل الله جل شأنه نصوصاً قرآنية تأمر وتشجع على تحرير الإنسان من الرق والاستعباد:

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾

وخصص سهماً من مصارف الزكاة لتحرير الإنسان من الرق.

وكذلك جعل كفارة القتل الخطأ عتق رقبة وقد جاء الإعلان الذى صدر عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب ليقرر كل هذا إذ يقول - رضى الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

حق المساواة

فالإسلام يقرر أن الناس سواسية «لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى».

حق الاعتقاد

لقد قرر الإسلام مبدأ عاماً فى حرية الاعتقاد والتفكير:

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦)

وقرر فى المقابل قاعدة حازمة فى عدم الإكراه على الاعتقاد أو الرأى

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩)

وقرر احترام مشاعر الآخرين وعدم التعرض بالأذى لهم والنيل من معتقداتهم :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٠٨)

وذهب الإسلام إلى أكثر من حرية الاعتقاد فقرر حرية ممارسة هذا الاعتقاد والاحتكام إلى شريعته يقول تعالى:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ (المائدة: ٤٣)

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ (المائدة: ٤٧)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (المائدة: ٦٨)

فهؤلاء وغيرهم كفل لهم الإسلام الاحتكام إلى شرائعهم إلا إذا إذا رغبوا أن يتحاكموا إلى الشريعة الإسلامية فذلك متاح لهم مع العدل والإنصاف:

﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ (المائدة: ٤٢)

وهناك عدة صور لحقوق الإنسان كفلها الإسلام مثل: حق التعليم- حق احترام الخصوصيات الشخصية- حق الرعاية وذلك بقضاء مصالح الناس وتأمين ضروريات حياتهم وكرامتهم.



دفاع عن مناسك الحجّ !!

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب
الأستاذ بجامعة الأزهر

لعل هناك من العبادات، ماتبدو حكمتُه، بعيدةً عن متناول الأفهام، وإنما يأتيها المتعبد إذعانًا منه بأنها بعض أوامر المعبود.. وليست في هذه الوضعية العبادية أية مصادرة على الحرية الإنسانية، من أى لون، فإذا كانت حكمةُ حركة عبادة ما، أكبر من طاقة الفهم الإنساني، فإنما على هذا الفهم أن يذعن في هذا الصدد فحسب، تاركًا فحوى مايأتي ومايدع، للقوة الكبرى، التى تمده بما يطيق من فهم وتحجب عنه ما لا يطيق!!

ولا يمكن أن يشكّل ذلك، عدوانًا على ضرورة أن نفهم، مايلقى إلينا من أوامر أو نواهٍ.. فحتى القائد في ساحة المعركة، يعطى بعض جنوده، مايمكن أن يستوعب الجند بعض حكمته، أو كل حكمته، ويعطيهم كذلك، مايمكن أن يستغلق عليهم كل فحواه أو بعض فحواه.. ولكن ذلك كله، لايعني أن القائد مصيب هنا ومخطئ هناك ـ ولكنه يعني: أن نظرته الشاملة تحرك الأشياء، وفق مشيئة قيادية فاهمة، وربما يكون من الخير، أن يأتي رجاله مايلقى إليهم بلا حتى محاولة لفهمه، أو لاستيعاب أسراره، حفاظًا على طاقاتهم المحدودة، أن يعطلها شمول الرؤية من جهة، وسبْرًا لقدرة القبول والطاعة فيهم، من جهة ثانية واختبارًا لثقتهم اللازمة في حكمة القيادة التي يعملون بوحيها من جهة ثالثة.

فإذا جاز ذلك كله، في علاقة القائد البشر، بالجندى البشر، أفلا يجوز في علاقة الإنسان بالله؟؟ إن الله أرحم بنا من أن يحملنا كل تبعة الفهم الشامل لكل مفردات الظاهرة الحياتية، والعقيدية، والماورائية؛ لأن الظاهرة الحياتية نحن بعض مفرداتها، فكيف يتاح لنا استيعاب شمولها الخارق؟ ولأن الظاهرة العقيدية، تبدأ من الحس الإنساني، وتنتهي إلى وحي السماء؛ أى أنها توشك أن تبدأ، من حيث تنتهي إدراكاتنا، فما هو إنساني لنا، وماهو إلهي فلوَحدانية العلْم الإلهي!! ولأن الظاهرة الماورائية تتخطى مواضعات الحياة في البشر إلى مطلق الحياة بعد البشر، وبعد الموت، أى بعد حياة الحياة، فهل تستطيع بمحدودية مامنحنا، من قوى وطاقات، أن نزعم لأنفسنا حتى بعض اقتدارها، على فهم كل الظواهر: الحياتية والعقيدية، والماورائية؟ لا تستطيع!!

نحواً من هذا الحس الحاضر بمحدوديته توقف أبو حامد الغزالي، أمام حكمة الرمي فقال في الإحياء: وأما رمي الجمار، فليقصد الرامي به، الانقياد للأمر، وإظهارًا للرق والعبودية، وانتهاضًا لمجرد الامتثال، من غير حظ للنفس والعقل في ذلك.

ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم – عليه السلام – حيث عرض له إبليس ـ لعنه الله تعالى ـ في ذلك الموضع، ليدخل على حجه شبهة، أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل، أن يرميه بالحجارة طردًا له، وقطعًا لأمله.

فإنْ خطر لك: أن الشيطان عرض له، وشاهده، فلذلك رماه، وأما أنا، فليس يعرض لي الشيطان، فاعلم: أن هذا الخاطر من الشيطان، وأنه هو الذى ألقاه في قلبك، ليفتر عزمك في الرمي، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به؟ فاطرده عن نفسك، بالجد والتشمير والرمي فبذلك ترغم أنف الشيطان.

واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة، وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان، وتقصم به ظهره. إذ لا يحصل إرغام أنفه، إلا بامتثالك أمر الله – سبحانه وتعالى – تعظيما له، بمجرد الأمر، من غير حظ للنفس فيه.

هذا الموقف الفاهم للإمام الغزالي ليس مجرد اجتهاد ذاتي، وإنما هو استلهام من حديث رسول الله ﷺ، فقد روى البيهقي، عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس – رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما أتى إبراهيم – عليه السلام – المناسك، عرض له الشيطان، عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض)..... قال ابن

عباس – رضى الله عنهما: «الشيطان ترجمون، وملة أبيكم تتبعون».

فإذا أضيف إلى ذلك كله أن النبى ﷺ رمى وأمر بالرمى كان ذلك تمام الحكمة، وجوهر المشروعية: روى أحمد ومسلم والنسائى، عن جابر – رضى الله عنه قال: «رأيت النبى ﷺ، يرمى الجمرة على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا عنى مناسككم، فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه»

وهل تستطيع الأمة، أن تتخلى عن خطوات مشاها محمد ﷺ؟ أو عن وصية أودعها عقل التاريخ المسلم وقلبه على السواء؟ أو عن مجرد احتذاء ماكان يأتى وماكان يدع، إيمانًا بحكمة القائد، وعصمة النبى، ونبالة الداعية بكله إلى الله؟؟

وأودّ أن أشير إلى فهم أرجو أن يكون صوابياً فى علاقة العبادات – الفرائض – فى الإسلام بالأطر الزمانية والمكانية.. وأنها علاقة جذرية حميمة تشمل كثيراً من هذه الفرائض، إن لم نبالغ فنزعم أنها تشملها جميعاً على الإطلاق.

فالصوم: له علاقة جذرية بالإطار الزمانى، الذى يتحدد فى شهر معين من السنة، وبالإطار المكانى، الذى يتحدد فى الحل وليس فى السفر.

والصلاة: لها علاقة جذرية بالإطار الزمانى، فلكل فرض وقته الخاص، بحيث لا تستطيع مثلا أن تصلى الصبح فى منتصف الليل، ولا العصر بعد العشاء.. وبالإطار المكانى الذى هو بالدرجة الأولى المساجد، ثم بأماكن معينة تتسم بطابع الطهارة والنقاء. والزكاة: لها علاقة جذرية بالإطار الزمانى حول الحولْ، أو حصاد الزروع. وبالإطار المكانى وهو هنا المحل. أو من يمكن إخراج الزكاة له دون غيره فلا تجزئ زكاة المزكى مثلا إذا أخرجها لمن تلزمه نفقتهم.

أما الحج، فيوشك أن يكون ألصق هذه العبادات بالتحدد فى إطارى الزمان والمكان.. فالزمان هو أشهر الحج.. والمكان هو المشاعر المقدسة.. وهل يجزئ حج لا يلتزم التزامًا لا ينفكّ بهذين الإطارين؟

ولعلنا لا نخطئ الحكمة فى هذا التماسّ مع الأطر الزمانية والمكانية، فى كل أو معظم فرائض الإسلام، لأنها تومئ إلى إرادة التنظيم، وجماعية الحركة واستهداف ربط الأرض بالسماء، وإحياء مغارس الحس التاريخى، ورفع العنت، والعطاء لوجه الأخوة الإسلامية لا لوجه الأخوة النوعية فحسب.

على هذا الأساس يلوح قوله تعالى:

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

استطرادًا فى هذا الصدد فقد اتفق العلماء على أن المراد بأشهر الحج: (شوال.. وذو القعدة وذو الحجة) ولكنهم اختلفوا فى ذى الحجة هل هو بكماله من أشهر الحج؟ أو عشر منه فقط؟ فذهب بعض العلماء إلى أنها: (شوال، وذو القعدة وعشر من ذى الحجة)

ورجح ابن حزم الرأى القائل بأنها ثلاثة الشهور بكاملها، لقوله تعالى:

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾

ولا تطلق الأشهر على شهرين وبعض شهر.

وأيضاً، فإن رمى الجمرات – وهو من أعمال الحج – يؤتى به فى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة. كذلك طواف الإفاضة – وهو ركن من أركان الحج – يعمل فى ذى الحجة كله بلا خلاف بينهم.

فصح – من ذلك – أنها ثلاثة الأشهر. وتأسيسا على ذلك فإنه يترتب على هذا الخلاف: أن مايقع من أعمال الحج بعد النحر لا يلزمه دم التأخير – على رأى من قال: بأن ذا الحجة كله من الوقت... وأن مايقع من أعمال الحج بعد النحر يلزمه دم – على رأى من قال: بأن العشر الأولى من ذى الحجة فقط هى الوقت.

ولكن سؤالا آخر يطرح نفسه فى هذا الصدد: هل يجوز الإحرام بالحج قبل أشهر الحج؟ وقد أجاب الفقهاء عن هذا السؤال، وذهبوا فى الإجابة مذاهب متقاربة ومتباعدة.. فقد روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال: «من سنة الحج أن يحرم به فى أشهر الحج». وذهب الشافعى إلى أن من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك. ويكون عمرة، كمن دخل فى صلاة الفريضة قبل وقتها فإنها لا تجزيه، وتكون نافلة... وذهب أحمد بن حنبل إلى أنه مكروه فقط، ويجوز الإحرام قبل دخول أشهر الحج... ومذهب أبى حنيفة أنه يجوز الإحرام بالحج فى جميع السنة كلها، وهو مشهور مذهب مالك، واستدلوا بقوله تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

(البقرة: ١٨٩)

وقال القرطبى: وماذهب إليه الشافعى أصحّ. وهو عدم الإجزاء فى أشهر الحج. لأن آية: «يسألونك عن الأهلة» عامة، وآية: «الحج أشهر معلومات» خاصة والخاص يقدم على العام.

إذا عرفنا أن الإحرام حتى من المنظور اللغوى هو الدخول فى التحريم أى أن ماكان مباحا لم يعد مباحا، وماكان طبيعيا عاد غير طبيعى فينبغى أن نعرف أن لكل عبادة قانونها الخاص فالصلاة بلا وضوء لا يمكن أن تكون صلاة، والصوم بلا امتناع لايمكن أن يكون صومًا، والزكاة بلا إخراج ومحل لا يمكن أن تكون زكاة، والحج بلا إحرام لا يمكن أن يكون حجًا، فإذا تدرجنا من تأمل العبادات هكذا فى شكلها العام إلى تأملها فى مفرداتها المكونة عرفنا أن الركعة فى الصلاة لها شكلها الخاص، وأن الامتناع فى الصوم له شكله الخاص وأن العطاء فى الزكاة له شكله الخاص، وإذن فلابد فى الإحرام أن يكون له شكله الخاص...

إن الدخول في الإحرام يعني نظافة في البدن بتقليم الأظافر وقص الشعر والوضوء أو الاغتسال وتسريح اللحية وشعر الرأس وهذه آداب الإحرام ومستحباته التي يتكامل بها شكله الخاص فإذا استكملها المحرم، ودخل في عبادته وهو مزود بها، فقد حقق الإحرام طبيعته المنشودة منه على وجه التحقيق. أما ما يتلاغط به الفارغون من أن الإحرام نوع من التعرى وأنه يشكل لونا من ألوان التناقض الحاد بينه وبين دعوة الإسلام إلى التصون وإضفاء اللباس وستر البدن، فتلك شنشنة نعرفها من هؤلاء، ودعونا نتساءل: لماذا يقفون من حكمة التشريع عند شكلها الخارجي دون تفطن عميق لما يكمن وراءها من أسرار وقيم ومعطيات..؟ لماذا لا يبحرون وراء أسرار الحركة في هذا الفعل الإسلامي العظيم. بدلا من التلكؤ الفارغ عند ملاحظ هامشية لا تمت إلى حقائق الأشياء؟ إن الإحرام يؤكد ارتفاع المسلم المحرم على جواذب الحياة اليومية ومواضعاتها العارضة، ليتسنى لصاحبه الاتجاه الكامل إلى الله، والتمرد الذى يشير بألف إصبع وإصبع إلى التعالى الروحي. الذى يترك وراءه عرض الدنيا وزيوف الملك والاحتياز. ويستغنى بحفنة من دعاء وحزمة من تبتل وعديد من الصلوات عن كل ما عدا ذلك ومن عدا ذلك.. إن الرموز التى تنهل من دخول المحرم فى إحرامه تتنامى حتى تصير الكون والأشياء فالأمير يلبس إزاره ورداءه، والمعدم يلبس ازاره ورداءه. والكل يبحر إلى ربه خالعا عنه دنياه إلى دينه... وتفكيره في ذاته إلى تفكيره في الكون ومكون الكون.. فهل يتاح لمثل هذا المهاجر إلى ربه فى مثل هذه اللحظات أن يكون متهما بمعارضة التصون والتجرد إلا فى أدمغة الفارغين؟

إن الحكمة ـ كامنة فى كل عبادة من العبادات الإسلامية، فإذا غابت عن الفكر الخاطف والرأى الساذج، والعقل الهزيل ـ فتلك بعض جناية الضحالة التى يحياها الوعى الإنسانى وتبقى الحكمة الإلهية مستوى حاشدا بكنوز أسراره وفيوضه ومنجما مليئا بلآلئ الصدق والحكمة والجدوى ونبالة الإيحاء.

ويخيل إلىّ، أن الذين يلغطون حول حكمة التشريع الإسلامي، للطواف حول الكعبة. لا يعرفون أساسا طبيعة الإسلام كدين... لأنهم حين يتصورون. أو يصورون للآخرين: أن فى الطواف حول الكعبة، ظلا من الوثنية، أو التعبد لغير الله، ينسون أساس القضية الإسلامية بكاملها... ينسون أن محمدا ﷺ أتاح للإنسان فى كل الأرض، وفى كل الزمن، أن يتعالى على الإطراق الذليل، أمام حجر، أو شجر، أو بقر، وأن يظل في عبادته الإسلامية: عبدا لله وحده، وسيدا بعد، على كل الأشياء والأحياء. هذه هى القضية.

كيف إذن يتصور الخابطون، أن الطواف حول الكعبة، توثين لهذه الكعبة، وهم يعرفون، أو لا يعرفون، أن جوهر الإسلام، ناهض في حركة التوحيد، وأن رسول الإسلام، ترك من مشاعل الضوء، فى أيدى المسلمين، ما يظل هاديا: إلى وحدانية الخالق، ونافيا: لكل حس شركى، يمكن أن يلوح من هنا، أو من هناك... إن صيحة الإسلام الأولى والأخيرة، هى: (لا إله إلا الله).. هذا النفى الكلىّ لربوبية غير الله، هذا القطع اليقينى بتفرد الألوهية فى الله، هذا الإصرار الجازم، من أول وهلة، على توحيد الخالق، وتنزيهه عن الشركية والمثلية، والولدية، والوالدية، كل أولئك: يؤكد أن طبيعة الإسلام، تكمن فى جوهر التوحيد، وأن طبيعة التوحيد، تكمن فى جوهر الإسلام.

تثور كثيرا أمثال هذه الشبه الهابطة. ولسنا نملك صدّ العقول الضالة عن التفكير المتحرف. ولكننا نملك، أو فلنقل: ينبغى أن نملك، اقتدارا تاريخيا واثقا، على الردّ على هذه المفتريات... فإذا قيل: لماذا بيت معين لله فى الأرض؟؟ قلنا: ليكون محورا للحركة الإسلامية فى تجمعها وانطلاقها، هذا من جهة... ولكى لا يتنازع المسلمون كبشر فى قضية: (على أى الأصعدة يلتقون). لأنهم ههنا ينبغى أن يلتقوا، وليس يستطيع أن يتطاول أحد على قداسة هذا المجال، هذا من جهة ثانية... ولكى يكون لقاء المسلمين هنا محفوفا بمعنى إظلال الله عليهم، ومباركتهم لهم، فهم هنا فى بيته، وعلى ضيافته، ومتى استشعروا ذلك، استيقظ فيهم الحس الإيمانىّ، وأقبلوا على فهم قضاياهم من منطلق قاصد ونظيف، هذا من جهة ثالثة... ولسنا نستطيع حصر المعطيات التى يمكن أن تبوح بها وضعية أن يكون لله بيت فى الأرض، فهذه فوق طاقة الحصر، ووراء إمكان الاستقصاء.. ولكنها دائما تفيض بمعانى الحق والصدق والخير وجدوى العطاء.

وإذا قيل: ولماذا الطواف حول هذا البيت؟ أليس ذلك نوعا من تحريك الفكر فى اتجاه غير التوحيد؟ قلنا: إن الذين تلتاث فى عقولهم طبائع الأشياء، ويتصورون أن ظلا من التوثين: لمكان، أو لبيت، أو لحجر، يمكن أن يزحف على طبيعة القداسة التى منحها الإسلام للبيت الحرام، لم يقرأوا كتاب الإسلام لا جيدا ولا غير جيد... فليقرأوا قول الله عز وجل:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾

(الحج: ٢٦)

هذه لفتة آمرة، تحذر من ملامسة الشرك، تحت دعوى تهييئ البيت لإبراهيم الخليل:

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

(الحج: ٢٦)

إن الطهارة هنا ليست مجرد إزاحة البقايا، من الكتل المادية الملوثة، ولكنها طهارة شاملة.. تبدأ من رفض الوثنية الكافرة، وتنتهي إلى رفض الغبار المرتق على مكان الصلاة.. فإذا أضفنا: أن هذه الطهارة، مُمحضة ليس للمجموع، وإنما للطائفين والقائمين، والركع السجود، أولئك الذين يمارسون التوحيد، ويطبّقون على أساسيته، عرفنا أن التوثين خرافة، ساكنة فحسب في عقول الخابطين..

وبعد آيات ثلاث يدمدم القرآن الكريم:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

(الحج: ٣٠، ٣١)

إن هذا المنشور الضوئي، يرفض حتى مجرد الانحدار الفكري، الذي يلوث نصاعة المنطق الإسلامي، في قبضه الخارق على قضية التوحيد، والإطلال من كل شيء عليها لأنها محور عقائده، ونبض حركته، ومعنى أن يكون إسلام على الأرض بلا زيوف يُهيلها عليه من لا يفكرون... ومن لا يقرأون.. ومن لا يريدون حتى أن يكونوا على درب الفكر والقراءة الرشيدة...

وإذن فينبغي أن يستعيد المسلم - في طوافه - ليس هذه المقتربات الغليظة، التي تحاول أن تلصق ماهو وثني، بما هو توحيد خالص، وإنما صُور قائد الدعوة ﷺ وهو يطوف بالبيت، حين نزل مكة، واطمأن الناس فقد كان هتافه الأول: (لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)... ومشاهد تطهيره للبيت، حتى من الصور التي يمكن أن تومئ إلى تقديس غير الله، فقد دخل البيت يوم الفتح، فرأى فيه صور الملائكة، وغيرهم، ورأى ابراهيم - عليه السلام - مصوراً: في يده الأزلام يستقسم بها. فقال: قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ماشأن إبراهيم والأزلام؟

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(آل عمران: ٦٧)

ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست!!

يبقى أن نقول للمجدِّفين: مكانكمْ أيها الناس - فأن تُنكر ضوء النهار فتلك سذاجة تافهة.. وأن تنكر النهار نفسه. فتلك بداية الإنكار المطلق، لوجودنا نفسه!! وهل يجدى يقينٌ ما، مع وجود يوشك أن ينفي وجوده؟

خطبة الجمعة

في موكب الحج

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة والسراج المنير.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

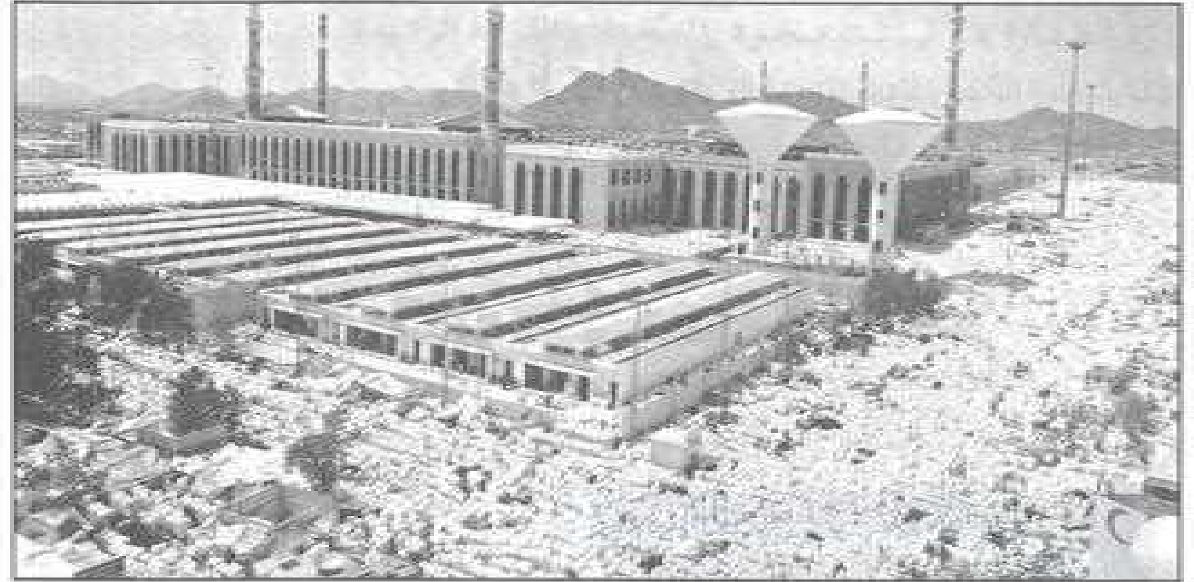
أما بعد: ففي قمة الصالحات التي يقوم المسلمون بها في عشر ذي الحجة أداء مناسك الحج.

إن هذه المناسك مشهد ضخم، وميدان رحب للعُبّاد الذين جاءوا من كل فج عميق يَرْضَون ربهم، يرجون رحمته، ويخافون عذابه.

إن لأعمال الحج حِكَمًا ينبغي أن تُدرَس بأناة، وأن تُعَرف حقائقها حتى يدرك الناس أن الإسلام ليس دين أوهام أو أضغاث أحلام، هذا دين كل شيء فيه له حكمته وله معناه.

الطواف بالبيت وهو رُكنٌ ركين من أركان الحج، ما سببه؟. سببه واضح، هناك أربع نُقَطْ نذكرها في هذا المجال:

● النقطة الأولى: هذا البيت أول بيت



وُضع للناس مُتعبَّداً للناس فى أعماق القارات كلها، لم يُبنَ قبله بيت للعبادة، فمن حق أول بيت أقيم ليكون قلعة للتوحيد، ومثابة للموحدين، وملتقى للمؤمنين المخلصين، من حق البيت الأول على ظهر الأرض أن تكون له مكانة خاصة:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران: ٩٦)

● النقطة الثانية: أن المسلمين فى المشارق والمغارب، فى الشمال والجنوب يُولُّون وجوههم شطر هذا المسجد فى كل صلاة تقام فى القارات كلها، ومن حق الذين اتخذوا المسجد قبلة لهم أن يبعثوا كل عام منهم الوفد المستطيع لكى يرى قبلته، كى يحج إليها ويزورها.

● النقطة الثالثة: أن هذه الأمة الإسلامية إنما ولدت فى التاريخ إثر دعوة صالحة مستجابة للأنبياء الذين وضعوا حجر الأساس فى هذا البيت العتيق ونهضوا به وأعلوا دعائمه.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(البقرة ١٢٧ - ١٢٩)

﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾

هى أمتنا.

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾

هو رسولنا ﷺ صاحب الإمامة العامة فى محراب العبادة لخلق الله كلهم، صاحب الرسالة الخاتمة التى لا معقب عليها بنسخ أو تصحيح.

فمن حقنا، ونبينا وأمتنا وتاريخنا نتيجة دعوة فى بناء هذا البيت، من حقنا أن نزور هذا البيت.

● النقطة الرابعة: أن الله شرَّف الجنس العربى برسالة الإسلام وعندما أمر الناس فى كل شبر من أرضه أن يتجهوا لهذا البيت العتيق قال لنا ـ نحن الذين نقرأ القرآن وننطق باللغة العربية ـ: أنا فعلت هذا تشريفاً لكم.

كنت أقرأ الكتاب العزيز من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٠ - ١٥١)

وقفت كرجل يشتغل بالعلم وحرفته الدراسة، قلت: ما معنى «كما»؟. أخذت أتأمل فى الكلمة، وأتدبر ما قبلها وما بعدها، فوجدت المعنى واضحاً، يعنى: أنا شرفتكم بأن تلتقى وجوه الناس عند كعبتكم، كما شرفتكم من قبل بابتعاث النبى منكم، فعلت هذا كما فعلت ذاك:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾

وجهنا الناس إلى قبلتكم تشريفاً لكم وإتماماً للنعمة عليكم، كما شرفناكم بابتعاث النبى الخاتم منكم عليه الصلاة والسلام.

النتيجة المطلوبة:

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

(البقرة: ١٥٢)

اذكروا دينى الذى شرفتكم به، اذكروا الكتاب الذى أنزلته بلسانكم.

إن أول ما نأخذه من الحج هذا الطواف وهذه الحكمة فيه، أربع نقاط حددت لماذا نرتبط بهذه الكعبة.

هذه واحدة، شيء آخر: السعى بين الصفا والمروة، ما معناه؟. لِمَ نمثل الدور الذى كانت تمثله هاجر؟.

المعنى واضح، أن الإنسان مادى، حسى، والأسباب الحسية هى التى تملكه أو هى التى تحكمه. يوم يكون فى يده مال يقول: مالى فى يدى، فهو يعتز به، لكن يوم يكون هذا المال وعداً فى الغيوب، وأملاً فى المستقبل ورجاء عند الله، فإن قلبه يضطرب ويقول: ليس معى شيء.

لكن أنا ضعيف، ضعيف جداً، ما فى يدى هو الذى أستوثق منه، أما ما فى يد الله فإنه لا يؤمن به إلا الأقلون، الرزق غيب، ولا يؤمن برزق الله إلا أصحاب الإيمان الراسخ.

نلمح هذا اليقين أو هذا التوكل عندما نجد أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كُلّفَ بأن يُسكِنَ امرأته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل قريبًا من البيت العتيق، تركهما إبراهيم، وانطلق إلى أين؟. مكة صحراء جرداء.

الرجل ماذا يقول؟. سكت، لكن تكلمت المرأة، قالت له: «آلله أمرك بهذا؟». قال: نعم، قالت: «إذًا لا يضيعنا!!»[1].

كيف؟ لا شيء هنا إطلاقًا، السماء والرمال والجبال الصُّم.

يختبر الإيمان لآخر رمق، بدأ الرضيع يتلوى من العطش، وبدأت الأم تُحسّ بأن المستقبل يُظلِمُ أمامها، وبدأت تجرى يمينًا وشمالاً، ثم أخبرها المَلَكُ أن النجدة جاءت وغمز بجناحه الأرض فتفجرت زمزم، وشرب الرضيع، وشربت الأم، وبدأ الخير.

أستغرب عندما أنظر إلى دنيا الناس، وإلى الغيب الذى لا يعلمه إلا الله، أكانت المرأة مع رضيعها هذا تدرك أن ابنها هذا سيكون من ذريته نبى خاتم؟. سيكون من ذريته شعب كبير؟. سيكون من أثره حضارة تُظلل الأرض برحمتها وسناها؟.

ما كانت الأم تدرى شيئًا من هذا، ونحن البشر علمُنا قاصر، علمنا محدود، ولكن الله ذا العلم الواسع يدرى ما يصنع لعباده، ويختبرهم فى حدود علمهم القاصر وسعيهم المحدود وقدرتهم الضيقة، وهذا هو الاختيار الذى يتجدد باستمرار، الاختيار مستمر، أَنَثِقُ فى الله وفيما عنده وفيما غَيَّبه عنا؟. هو عنده واقع لأن الله يستوى فى علمه الماضى والحاضر والمستقبل.

من هنا يجيء الاختيار، فإذا كُلّفَ الناس أن يفعلوا ما فعلت أم إسماعيل فلكى تتجدد فى مسالكهم عواطف الاتكال على الله، الثقة فى الله، الإيمان بأن ما عنده أهم مما عندى، ما عندى قد يُحرق، قد يُسرق، لكن ما عنده لا حَرق ولا سَرق.

لذلك يجب أن نعرف معنى هذه الشعيرة فى مناسك الحج.

ثم يلتقى الناس فى عرفة، وهو لقاء مهيب، ولقاء غريب لأن الناس فعلاً جاءوا من كل مكان شُعْثًا غُبرًا، ليس هناك ما يميزهم من أبهة ولا من مُلك ولا من سلطان، وحّدت بينهم شارات لا تفاوت فيها، فى ملابس الإحرام، ثم جمعتهم فى هذا المكان طاعة الله، والحوار فى هذه الساحة بالدعاء، النشيد الذى يتردد باستمرار هناك:

(1) قصة هجرة إبراهيم بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى أرض مكة والحوار الذى دار بين إبراهيم وهاجر، وتفجُّر زمزم، رواها البخارى فى كتاب الأنبياء.

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»[2].

ولذلك كان هذا اللقاء الجامع فى يوم عرفة نقطة استغلال لرؤساء الإسلام وقادته كى يوجهوا المسلمين فى اليوم المشهود إلى ما ينفعهم.

ولذلك وقعت حجتان فى أيام النبى ﷺ: حجة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ بالناس، وحجته ﷺ.

فأما حجُ أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ بالناس فقد تقرر فيه إلغاء المعاهدات غير المتكافئة الواقعة بين المسلمين وغيرهم، وتقرر إلى جانب هذا... تنظيف المجتمع الداخلى للأمة الإسلامية من المشركين، ومنع طواف العرايا بالبيت العتيق.

ثم حج النبى ﷺ بعد ذلك حجة الوداع، وكان يشعر أن هذه الحجة آخر لقاء بينه وبين الناس، ولذلك كان يقول:

«أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا، بهذا الموقف أبدًا»[3].

فماذا يريد؟ أبٌ يودع أبناءه فماذا يريد؟.

يُلقى فى آذانهم آخر ما فى قلبه من حب ونصح.

«تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا أمرًا بيّنًا، كتاب الله وسُنّة نبيه»[4].

«أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كَحُرمة يومكم هذا، وكحُرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلّغت»[5].

كانت الحجة الأخيرة ـ حجة الوداع ـ مليئة بما يمكن أن يسمى بالتقرير الحقيقى لحقوق الإنسان، وحريات الشعوب، وعالمية البشر، والقواعد الإنسانية النبيلة، وحسن العلاقة بين الرجل والمرأة، وأمور أخرى كثيرة.

آسف إذ أقول: إن المسلمين أجهل الناس بها، وأبعد الناس عنها، لأن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى أن تعرف دينها معرفة صحيحة.

أقولُ قولى هذا وأستغفرُ الله لى ولكم.

(2) ففى الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كان أكثر دعاء النبى ﷺ يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير» رواه أحمد. الفتح الربانى ١٢/١٣٠ وقال فى المجمع: رواه أحمد ورجاله موثوقون ٣/٢٥٢ وقال فى الجامع الصغير: رواه أحمد، ورمز له بالحَسَن. فيض القدير ٥/٦٦٧، ٦٦٨.

(3)، (4)، (5) جزء من حديث طويل رواه ابن هشام فى السيرة ٤/٦٠٣، ٦٠٤.

قصة العدد

الأســـد

لإمام البيان العربي
الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي



جلس أبوعلى أحمد بن محمد الروذ بادى البغدادى[1] فى مجلس وعظه بمصر بعد وفاة شيخه أبى الحسن بنان الحمال الزاهد الواسطى شيخ الديار المصرية[2] وكان يضرب المثل بعبادته وزهده، وقد خرج أكثر أهل مصر فى جنازته، فكان يومه يوما كالبرهان من العالم الآخر لأهل هذه الدنيا؛ ما بقى أحد إلا اقتنع أنه فى شهوات الحياة وأباطيلها كالأعمى فى سوء تمييزه بين لون التراب ولون الدقيق إذ ينظر كل امرئ فى مصالحه ومنافعه مثل هذه النظرة، باللمس لا بالبصر، وبالتوهم لا بالتحقيق، وعلى دليل نفسه فى الشيء لا على دليل الشيء فى نفسه، وبالإدراك من جهة واحدة دون الإدراك من كل جهة، ثم يأتي الموت فيكون كالماء صب على الدقيق والتراب جميعاً، فلا يرتاب مبصر ولا أعمى، ويبطل ما هو باطل ويحق الذى هو حق.

وتكلم أبوعلى فقال: كنت ذات يوم عند شيخنا الجنيد[3] فى بغداد فجاءه كتاب من يوسف بن الحسن شيخ الرى والجبال فى وقته[4] يقول فيه: لا أذاقك الله طعم نفسك، فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً!

قال: فجعلت أفكر فى طعم النفس ما هو، وجاءنى مالم أرضه من الرأى، حتى سمعت بخبر بنان - رحمه الله - مع أحمد بن طولون أمير مصر، فهو الذى كان سبب قدومى إلى هنا لأرى الشيخ وأصحبه وأنتفع به.

(١) توفى سنة ٣٢٢ هـ.
(٢) توفى سنة ٣١٦ هـ.
(٣) توفى سنة ٢٩٨ هـ.
(٤) كانت وفاته سنة ٣٠٤ هـ.

والبلد الذى ليس فيه شيخ من أهل الدين الصحيح والنفس الكاملة والأخلاق الإلهية، هو فى الجهل كالبلد الذى ليس فيه كتاب من الكتب ألبتة وإن كان كل أهله علماء، وإن كان فى كل محلة منه مدرسة، وفى كل دار من دوره خزانة كتب، فلا تغنى هذه الكتب عن الرجال، فإنما هى صواب أو خطأ ينتهى إلى العقل، ولكن الرجل الكامل صواب ينتهى إلى الروح، وهو فى تأثيره على الناس أقوى من العلم، إذ هو تفسير الحقائق فى العمل الواقع وحياتها عاملة مرئية داعية إلى نفسها ولو أقام الناس عشر سنين يتناظرون فى معانى الفضائل ووسائلها، ووضعوا فى ذلك مائة كتاب، ثم رأوا رجلا فاضلا بأصدق معانى الفضيلة، وخالطوه وصحبوه لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة وأجدى على الناس منها وأدل على الفضيلة من مائة كتاب ومن ألف كتاب ولهذا يرسل الله النبى مع كل كتاب منزل ليعطى الكلمة قوة وجودها، ويخرج الحالة النفسية من المعنى المعقول، وينشئ الفضائل الإنسانية على طريقة النسل من إنسانها الكبير.

وما مثل الكتاب يتعلم المرء منه حقائق الأخلاق العالية، إلا كوضع الإنسان يده تحت إبطه ليرفع جسمه عن الأرض فقد أنشأ يعمل، ولكنه لن يرتفع ومن ذلك كان شر الناس هم العلماء والمعلمين إذا لم تكن أخلاقهم دروساً أخرى تعمل عملا آخر غير الكلام فإن أحدهم ليجلس مجلس المعلم، ثم تكون حوله رذائله تعلم تعليماً آخر من حيث يدرى ولا يدرى، ويكون كتاب الله مع الإنسان الظاهر منه، وكتاب الشيطان مع الإنسان الخفى فيه.



قال أبوعلى: وقدمت إلى مصر لأرى أبا الحسن وآخذ عنه وأحقق ما سمعت من خبره مع ابن طولون فلما لقيته لقيت رجلا من تلاميذ شيخنا الجنيد يتلألأ فيه نوره ويعمل فيه سره، وهما كالشمعة، والشمعة، فى الضوء وإن صغرت واحدة وكبرت واحدة، وعلامة الرجل من هؤلاء أن يعمل وجوده فيمن حوله أكثر مما يعمل هو بنفسه، كان بين الأرواح وبينه نسباً شابكًا، فله معنى أبوة الأب فى أبنائه: لا يراه من يراه منهم إلا أحس أنه شخصه الأكبر فهذا هو الذى تكون فيه التكملة الإنسانية للناس، وكأنه مخلوق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع.

ومن عجيب حكمة الله أن الأمراض الشديدة تعمل بالعدوى فيمن قاربها أو لامسها، وأن القوى الشديدة تعمل كذلك بالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها ولهذا يخلق الله الصالحين ويجعل التقوى فيهم إصابة كإصابة المرض: تصرف عن شهوات الدنيا كما يصرف المرض عنها، وتكسر

النفس كما يكسرها ذاك، وتفقد الشيء ما هو به شيء، فتتحول قيمته، فلا يكون بما فيه من الوهم بل بما فيه من الحق.

وإذا عدم الناس هذا الرجل الذى يعديهم بقوته العجيبة فقلما يصلحون للقوة، فكبار الصالحين وكبار الزعماء وكبار القواد وكبار الشجعان وكبار العلماء وأمثالهم ـ كل هؤلاء من باب واحد، وكلهم فى الحكمة ككبار المرضى.



قال أبوعلى: وهممت مرة أن أسأل الشيخ عن خبره مع ابن طولون، فقطعتنى هيبته، فقلت: أحتال بسؤاله عن كلمة شيخ الرى: «لا أذاقك الله طعم نفسك» وبينما أهيئ فى نفسى كلامًا أجرى فيه هذه العبارة، جاء رجل فقال للشيخ: لى على فلان مائة دينار، وقد ذهبت الوثيقة التى كتب فيها الدين، وأخشى أن ينكر إذا هو علم بضياعها فادع الله لى وله أن يُظفرنى بدينى وأن يثبته على الحق فقال الشيخ: إنى رجل قد كبرت وأنا أحب الحلوى، فاذهب فاشتر رطلا منها وائتنى به حتى أدعو لك!

فذهب الرجل فاشترى الحلوى ووضعها له البائع فى ورقة فإذا هى الوثيقة الضائعة، وجاء إلى الشيخ فأخبره، فقال له: خذ الحلوى فأطعمها صبيانك لا أذاقنا الله طعم أنفسنا فيما نشتهى! ثم إنه التفت إلىّ وقال: لو أن شجرة اشتهت غير ما به صحة وجودها وكمال منفعتها فأذيقت طعم نفسها لأكلت نفسها وذوت.



قال أبو على: والمعجزات التى تحدث للأنبياء، والكرامات التى تكون للأتقياء، وما يخرق العادة ويخرج عن النسق ـ كل ذلك كقول القدرة عن الرجل الشاذ: هو هذا فلم تبق بى حاجة إلى سؤال الشيخ عن خبره مع ابن طولون، وكنت كأنى أرى بعينى رأسى كل ما سمعت، بيد أنى لم أنصرف حتى لقيت أبا جعفر القاضى أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى(٥) ذاك الذى يحدث بكتب أبيه كلها من حفظه وهى واحد وعشرون مصنفًا فيها الكبير والصغير، فقال لى: لعلك اشتفيت من خبر بنان مع ابن طولون، فمن أجله زعمت جئت إلى مصر قلت: إنه تواضع فلم يخبرنى وهِبْتُهُ فلم أسأله قال: تعال أحدثك الحديث.

(٥) توفى سنة ٣٢٢ هـ.

كان أحمد بن طولون(٦) من جارية تركية، وكان طولون أبوه مملوكاً حمله نوح ابن أسد عامل بخارى إلى المأمون فيما كان موظفًا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك، فولد أحمد فى منصب ذلة تستظهر بالطغيان، وكانت هاتان طبيعته إلى آخر عمره، فذهب بهمته مذهبًا بعيدًا، ونشأ من أول أمره على أن يتم هذا النقص ويكون أكبر من أصله، فطلب الفروسية والعلم والحديث، وصحب الزهاد وأهل الورع، وتميز على الأتراك وطمح إلى المعالى، وظل يرمى بنفسه، وهو فى ذلك يكبر ولا يزال يكبر، كأنما يريد أن ينقطع من أصله ويلتحق بالأمراء، فلما التحق بهم ظل يكبر ليلحق بالملوك، فلما بلغ هؤلاء كانت نيته على ما يعلم الله.

قال: وكان عقله من أثر طبيعته كالعقلين لرجلين مختلفين فله يد مع الملائكة ويده الأخرى مع الشياطين، فهو الذى بنى المارستان وأنفق عليه وأقام فيه الأطباء، وشرط إذ جئ بالعليل أن تنزع ثيابه وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثيابًا ويفرش له ويُغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، ولم يكن هذا قبل إمارته وهو أول من نظر فى المظالم من أمراء مصر وهو صاحب يوم الصدقة: يكثر من صدقاته كلما كثرت نعمة الله عليه، ومراتبه لذلك فى كل أسبوع ثلاثة آلاف دينار سوى مطابخه التى أقيمت فى كل يوم فى داره وغيرها، يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس، ولكل مسكين أربعة أرغفة يكون فى اثنين منها فالوذج(٧) وفى الآخرين من القدور، وينادى: من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر! وتفتح الأبواب ويدخل الناس وهو فى المجلس ينظر إلى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون، فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته وكان راتب مطبخه فى كل يوم ألف دينار واقتدى به ابنه خمارويه، فأنشأ بعده مطبخ العامة(٨) ينفق عليه ثلاثة وعشرين ألف دينار كل شهر.

وقد بلغ ما أرسله ابن طولون إلى فقراء بغداد وعلمائها فى مدة ولايته ألفى ألف ومائتى ألف دينار، وكان كثير التلاوة للقرآن، وقد اتخذ حجرة بقربه فى القصر وضع فيها رجالا سماهم بالمكبرين، يتعاقبون الليل نوبًا يكبرون ويسبحون، ويحمدون ويهللون، ويقرءون القرآن تطريبا، وينشدون قصائد الزهد، ويؤذنون أوقات الأذان، وهو الذى فتح أنطاكية فى

(٦) كانت إمارة ابن طولون نحو ٢٦ سنة.

(٧) نوع من الحلوى، وهو ما يسميه العامة (البالوظة).

(٨) هذا هو الأصل فى مطعم الشعب.

سنة خمس وستين ومائتين، ثم مضى إلى طرسوس كأنه يريد فتحها، فلما نابذه أهلها وقاتلهم أمر أصحابه أن ينهزموا عنها، ليبلغ ذلك طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون على كثرتها وشدتها لم تقم لأهل طرسوس، فيكون بهذا كأنه قاتله وصده عن بلد من بلاد الإسلام ويجعل هذا الخبر كالجيش فى تلك الناحية!

ومع كل ذلك فإنه كان رجلا طائش السيف، يجور ويعسف، وقد أحصى من قتلهم صبراً أو ماتوا فى سجنه فكانوا ثمانية عشر ألفاً، وأمر بسجن قاضيه بكار ابن قتيبة فى حادثة معروفة وقال له: غرك قول الناس ما فى الدنيا مثل بكار؟ أنت شيخ قد خرفت! ثم حبسه وقيده وأخذ منه جميع عطاياه مدة ولايته القضاء، فكانت عشرة آلاف دينار، قيل إنها وجدت فى بيت بكار بختمها لم يمسها زهداً وتورعاً.

ولما ذهب شيخك أبوالحسن يعنفه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، طاش عقله فأمر بإلقائه إلى الأسد وهوالخبر الذى طار فى الدنيا حتى بلغك فى بغداد..

●●●

قال: وكنت حاضر أمرهم ذلك اليوم، فجئ بالأسد من قصر ابنه خمارويه وكان خمارويه هذا مشغوفاً بالصيد، لا يكاد يسمع بسبع فى غيضة أو بطن واد إلا قصده ومعه رجال عليهم لبود، فيدخلون إلى الأسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم، فيضعونه فى أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم.

وكان الأسد الذى اختاروه للشيخ أغلظ ما عندهم، جسيماً، ضارياً، عارم الوحشية، متزيل العضل، شديد عصب الخلق، هراساً، فراساً، أهرت الشدق يلوح شدقه من سعته وروعته كفتحة القبر ينبئ أن جوفه مقبرة، ويظهر وجهه خارجا من لبدته، يهم أن ينقذف على من يراه فيأكله!

وأجلسوا الشيخ فى قاعة وأشرفوا عليه ينظرون، ثم فتحوا باب القفص من أعلاه فجذبوه فارتفع وهجهجوا بالأسد يزجرونه، فانطلق يزمجر ويزأر زئيراً تنشق له المرائر، ويتوهم من يسمعه أنه الرعد وراءه الصاعقة!

ثم اجتمع الوحش فى نفسه واقشعر، ثم تمطى كالمنجنيق يقذف الصخرة، فما بقى من أجل الشيخ إلا طرفة عين، ورأيناه على ذلك ساكناً مطرقاً لا ينظر إلى الأسد ولا يحفل به، وما منا إلا من كاد ينهتك حجاب قلبه من الفزع والرعب والإشفاق على الرجل.

ولم يرعنا إلا ذهول الأسد عن وحشيته، فأقعى على ذنبه، ثم لصق بالأرض هنيهة

يفترش ذراعيه، ثم نهض نهضة أخرى كأنه غير الأسد، فمشى مترفقاً ثقيل الخطو تسمع لمفاصله قعقعة من شدته وجسامته، وأقبل على الشيخ وطفق يحتك به ويلحظه ويشمه كما يصنع الكلب مع صاحبه الذى يأنس به، وكأنه يعلن أن هذه ليست مصاولة بين الرجل التقى والأسد، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله!

وضربته روح الشيخ فلم يبق بينه وبين الآدمى عمل، ولم يكن منه بإزاء لحم ودم، فلو أكل الضوء والهواء والحجر والحديد، كان ذلك أقرب وأيسر من أن يأكل هذا الرجل المتمثل فى روحانيته لا يحس لصورة الأسد معنى من معانيها الفاتكة، ولا يرى فيه إلا حياة خاضعة مسخرة للقوة العظمى التى هو مؤمن بها ومتوكل عليها، كحياة الدودة والنملة وما دونها من الهوام والذر!

وورد النور على هذا القلب المؤمن يكشف له عن قرب الحق - سبحانه وتعالى - فهو ليس بين يدى الأسد ولكنه هو والأسد بين يدى الله، وكان مندمجاً فى يقين هذه الآية:

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

(الطور: ٤٨)

ورأى الأسد رجلا هو خوف الله، فخاف منه، وكما خرج الشيخ من ذاته ومعانيها الناقصة، خرج الوحش من ذاته ومعانيها الوحشية، فليس فى الرجل خوف ولا هم ولا جزع ولا تعلق برغبة، ومن ذلك ليس فى الأسد فتك ولا ضراوة ولا جوع ولا تعلق برغبة.

ونسى الشيخ نفسه فكأنما رآه الأسد ميتاً ولم يجد فيه «أنا» التى يأكلها، ولو أن خطرة من هم الدنيا خطرت على قلبه فى تلك الساعة أو اختلجت فى نفسه خالجة من الشك، لفاحت رائحة لحمه فى خياشيم الأسد فتمزق فى أنيابه ومخالبه.



قال: وانصرفنا عن النظر فى السبع إلى النظر فى وجه الشيخ، فإذا هو ساهم مفكر، ثم رفعوه وجعل كل منا يظن ظناً فى تفكيره، فمن قائل: إنه الخوف أذهله عن نفسه، وقائل: إنه الانصراف بعقله إلى الموت، وثالث يقول: إنه سكون الفكرة لمنع الحركة عن الجسم فلا يضطرب، وزعم جماعة: أن هذه حالة من الاستغراق يسحر بها الأسد وأكثرنا فى ذلك وتجاربنا فيه، حتى سأله ابن طولون: ما الذى كان فى قلبك وفيم كنت تفكر؟

فقال الشيخ: لم يكن علىّ بأس، وإنما كنت أفكر فى لعاب الأسد، أهو طاهر أم نجس...

الخريف

لشاعر الشباب العربى/ أنور العطار

أسى القلب فاستراح إلى الصمت وللصمت عالم مسحور
تترامى به الشجون فيعيا ليس يشكو الضنى وليس يثور
هيكل متعب تكاد من السقم تداعى أركانه وتخور
موحش كالخريف تطفو عليه صور جهمة وخطب نكير

***

كل شيء أراه يذوى ويفنى ثم يمشى على حماه الدثور
ملعب للحياة يطفح بالسحر ويشقى بساحه المغرور
أين زهو الرياض فى مسمع العيش وأين الهوى وأين السرور
رقدت فى الغيوب قمرية الدوح وطاح الهزار والشحرور
فجناح على السفوح هشيم وجناح على الوهاد كسير
وتجافى السنا عن الأفق الخلو وغشى رفيقه الديجور
وتولت بشائر الأنس عنه واستفاض الأسى وصاح النذير
لم تعد تكرع الندى شفة الزهر ولم تسكر النسيم العطور
وانطوت من مباهج الروح دنيا كلها نائل وجود وخير

***

همد الحفل فالعشاش خراب هجرتها على الليالى الطيور
فعلى ضاحك المروج اكتئاب وعلى باسم الدغال فتور
وإذا الغيم فى الفضاء ركام وإذا النهر مقفر مخرور
والعصافير نوم ليس تصحو والفراشات جثم لا تطير

***

ورق مالت تهاوى على السهل وغنت به الصبا والدبور
ملأ الوهد والمسارب والسوح اغتماما بساطه المنثور
غمر المشعب البعيد وغطى الوادى السمح عصفه المنثور
خشخشت فى الرحاب أوراقه الغبر وللريح بينهن صرير
سفرة توقظ النؤوم من الشجو ورمز إلى الزوال يشير
تعصف الصرصر العتية بالغاب فيهوى الدوح الأغن الشجير
وتضيع الألحان فى هبة الويل ويرغو الأذى وتطغى الشرور
ليس يقرى الأسماع إلا عويل وصراخ وأنة وزفير
تمحى فرحة الطبيعة فى الأرض ويطوى حلم الحياة النضير
وتعفى أرائك الحب والعطر ويبلى الروض الندى الخضير
تطفح السحب فى عنان السموات ويخبو منها السراج المنير
ويعج الفضاء بالزبد المندوف والأفق كالخضم يفور
وتغيب الأنوار إلا شعاعا يختفى تارة وأخرى ينور
تتعزى به النفوس الوجيعات ويحيا بدفئه المقرور
أيظل الصرار يرتع فى الحقل وينأى عن عشه العصفور
تلك أحجية الوجود تناهى الفهم عنها واستغلق التفسير

***

يا حبيبى أراك من حجب الغيب فيزهو الكون السليب الحسير

ويغوص الظلام في نهر الفجـ ـر ويبهى الصبح الأنيق الطرير
ينشد الصبح والتلال تغني حيث لا مطرب ولا مزمور
تمرع الأرض بالنبات وتهتـ ـز من الدفء والحياة الجذور
وتذوب الأنداء في أكؤس الزهـ ـر ويحيي الثرى الشراب الطهور
ويطيب الهوى ويحلو التساقي ومن الحب روضة وغدير
أيها الهاجري أطلت التنائي وتعاليا من صدك المهجور
سهدت مقلتي وناجاك قلبي وهفا خاطري وحن الضمير
عشت من طول حسرتي بالتمني وقليل من التمني الكثير
تتراءى لناظري فأناديـ ـك كأني متخيل ممرور
أنت ريحانتي وأنت أحاديـ ـثي وأنت المنى وأنت السمير
يا نصيري إذا أظلتني الهـ ـم وألوى بي الشقاء المرير
طف بروحي كما تطوف الشعاعا ت ويسري ضياؤها وينير
ودع الحب يزدهر في خيالي وتهدهد به العصور العصور

***

عقلت عني المنون فغنيـ ـت ولحن الحياة لحن قصير
أتعامى عن الفناء وحولي محن ليس تنقضي وثبور
ألمي صارخ وجرحي ضري والهوى يائس وجدي عثور
ونفسي قيثارة تتشكى وأنا الدمع والأسى والشعور
أتسلى عن الضنى بلحون هي روح الحياة والإكسير
الشجا المر في حماها شفاء والدجى الشامل المروع نور
خاطري من نشيدها مستثار وفمي من سلافها مخمور

***

عالي مهبط الرؤى ومهادي ذهب خالص وتبر نثير
وفضائي موشح بالغوادي وهضابي ندى وجوي مطير
وسماواتي الفسيحات تابو ت عليه من الغيوم ستور
أفق شاحب تدثر بالسحـ ـب وأغيا فيه الضباب الغمير
لا السنا ضاحك بأبهائه السحـ ـر ولا النور في مداه يمور
فمن الحزن والجهامة قبر ومن الهم والكآبة سور
وتعرى المساء من ألق السحـ ـر فلا روعة ولا تصوير
الثعاثيب أعين جامدات هي من طول ما تحدق صور
أطفأ العاصف الملح سناها وغزاها الصقيع والزمهرير
هاهنا للجمال عرس تقضى ملء أعطافه شذا وعبير
ها هنا غنت الينابيع سكرى ومن السلسل النقي الخمور
ها هنا كان للجداول ألحا ن لطاف وللنسيم سرير
ها هنا حنت العشيات للضحـ ـك وبش الضحى وهش البكور
لا الروابي تفيض بالعبق الطهـ ـر ولا يطرب الحقول الخرير
هدأت من جوى الغرام قلوب واستراحت من الهديل ثغور
وحشة ما تكاد تحملها النفـ ـس وشجو تضيق عنه الصدور
أين واد رفت عليه الشاشا ت ورنت أعشاشه والوكور
ماج فيه الهوى فعاشت حوافيـ ـه وضجت من الحياة الصخور

***

أين لا أين عالم مستطاب عاث فيه ركب الفناء المغير
فامحى كالظلال تنتهب الأر ض ويخفى انطواؤها والمصير

***

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى القرآن الكريم والسنَّة النبوية

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الأمة الإسلامية هى الأمة التى شرفها الله بأنها الأمة التى حملت رسالة الوحى الخاتم إلى الناس جميعًا، وأنها الأمة التى اختارها الله لتكون آخر أمة على وجه الأرض لها صلة بالسماء، وأنها الأمة التى كلفت بحمل أمانة الدعوة إلى عبادة الله وحده بالحكمة والموعظة الحسنة، والتوفيق فى عرضها:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل: ١٢٥)

وأنها الأمة التى أمرت بالعمل على حماية هذا الدين والدفاع عنه ورفع منارته وإشراق نوره حتى لا تطفئه الرياح الهوج.

إن الرسالة الإسلامية التى بلَّغها الرسول الصادق الأمين محمد بن عبدالله ولدت وربَّت جماهير متنوعة الهمم والمواهب والملكات، تعمل تحت مظلة قيم إنسانية عادلة سامية، يحكمها الالتزام بمبادئ محددة فى أقوالها وأفعالها وسلوكها، مستمدة من عقيدة الإسلام وشريعته، هى بمثابة قنوات تصب مياهها الصافية النقية فى بحيرة الخير والسلام، والتقدم والرفعة، والبناء والتعمير، ينهل منها أفراد البشر جميعًا بلا تفرقة أو تميز فى جنس أو لون أو تعصب بينهم...

وما كان يمكن للرسالة الإسلامية أن تنجح وتنتشر فى أرجاء الأرض وتعلو لولا أن صاحب الرسالة ﷺ سكب فى أفئدة أصحابه من إيمانه وتجرده وإخلاصه ما خلق منهم خلقًا آخر، عرفوا دينهم عن عقيدة راسخة، وبإيمان قوى ثابت... فلما ذهب رسولها إلى الرفيق الأعلى انطلق أتباعها بالرسالة يحملونها وحدهم وكان رسولها معهم، إذا لم يكن معهم بكيانه، فهو معهم بكتابه وسنّته..

ومن هنا مضى أصحاب محمد ﷺ من بعده ينشرون التوحيد، ويقيمون العدل، ويأمرون بالمعروف ويعملون به، وينهون عن المنكر ويجتنبونه، تنظر إليهم الشعوب فترى فيهم أناسًا مُكّنوا فى الأرض فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وفرضوا العدل ومنعوا الظلم... وهكذا سارت قافلة الخير تنشر الإسلام وتخطّت حواجز المكان من الجزيرة العربية إلى سائر دول العالم فى آسيا وأفريقيا وأوروبا... وتقلّدت قيادة العالم، فبنت الحضارة الإسلامية بعلومها وفنونها، وتقدمها ورقّيها، وسماحتها وعدلها، وتقبلها وتعايشها مع الحضارات التى سبقتها، تعطيها وتأخذ منها ما يصلح لها.

أذلاء بعد عزة!!

ظل المسلمون فى موقع القيادة والريادة، والعزة والقوة، والغلبة والمنعة، يرهبون عدو الله وعدوهم لتمسكهم بدينهم، ولإقامتهم شعائر دينهم، وحرصهم على الامتثال لمبادئ وأحكام دينهم، والالتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر...

إلى أن شغلتهم الدنيا وزينتها، وافْتُتِنوا بها، وجرفهم تيار متاعها فغرقوا فى محيط شهواتها، بعد أن زيّن لهم الشيطان أعمالهم السيئة، وأهملوا طاعة الله وخشيته ومراقبته، وتركوا أوامره ونواهيه، ولم يتمسكوا بالمعروف، ولم يتواصوا بالأمر به، ولم يتورعوا عن فعل المنكرات، ولم يحُض بعضهم بعضًا على النهى عنه، وتملكهم الشيطان:

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾

(المجادلة: ١٩)

بعد أن أصبحوا تابعين لوساوسه وتزيينه، وصاروا طوْع أمره ورهن إشارته، فترتب على طاعتهم للشيطان أن أنساهم طاعة الله، وحسابه وجزاءه، فعاشوا حياتهم يتركون ما هو خير، ويسرعون نحو كل ما هو شر، فحق عليهم قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾

(التوبة: ٦٧)

فحُرِموا نصر الله، وسلبهم الله العزة التى وعد بها عباده المؤمنين فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(المنافقون: ٨)

إن وضع المسلمين الآن فى شتى بقاع الأرض صار وضعًا لا يحسدون عليه، فقد صاروا ضعفاء

بعد قوة، وأذلاء بعد عزة، ووضعاء بعد رفعة، وذلك بعد أن مزق أعداء الإسلام أمته الواحدة إلى أمم شتى، وأقاليم منفصلة، ورسموا بتخطيط محكم، وذكاء شديد سياسات طويلة المدى لشغل كل إقليم بذاته، بقضاياه ومشاكله، وعملوا على غرس مبادئ ومفاهيم الوطنية والجنسية والقومية للإقليم الواحد، وتعليق كل مسلم من المسلمين بالتراب الذى ولد عليه، والجنس الذى انحدر منه، بل وأصبح المسلم يطلق عليه في بلد مسلم ـ غير بلد مولده ـ أجنبي!. أى - والله يصنف ويعرف بأنه: أجنبي!!.. اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله - المسلم صار أجنبياً في بلد مسلم، يعامل معاملة الأجنبي، بل ويعامل أقل من معاملة غير المسلم الوافد من بلد غير إسلامي!!.. فهل هناك تمزيق أوصال لأمة الإسلام أكثر من هذا؟. وهل هناك ضياع للمسلمين أكثر من ذلك؟.

الـولاء للإسـلام

أما الإسلام اليتيم فلا أبوة له ترعاه وتدافع عنه، ولا خلافة له تجمع مدنه وبلدانه وأقاليمه، وتتحدث باسمه، وتحمي ثقافته، وتدافع عن بيته... ولا مرجعية عليا للمسلمين يجمعون عليها للرجوع إليها.. لقد ترك للعصبيات القومية والنسبة الوطنية أن تحيا فوق ما يتاح لها من أديم الأرض بلا وزن ولا قيمة ولا كرامة!!..

إن المسلم ينظر في حسرة وأسى إلى من حوله من أصحاب الديانات الأخرى فيرى أنهم رغم اختلاف مللهم ومذاهبهم، ورغم تعدد طوائفهم، ورغم ما بين أتباع تلك الملل والمذاهب والطوائف من فرقة وانقسام، وخصومة وعداوة، يرى رغم كل هذا أن لكل ملة أو طائفة منهم مرجعية دينية يجمع أتباعها ـ في كل بقاع الأرض ـ عليها، ويرجعون إليها، كلمتها مسموعة، وحكمها قاطع، وطاعتها لازمة..

أما المسلمون فيعيشون في شتات وفرقة وضياع، مع أن إلههم واحد، ونبيهم واحد، وقرآنهم واحد، وسنتهم واحدة!!

إن الولاء للإسلام حق أمته الكبرى في كل قطر تحيا فيه، أو إقليم تعيش على أرضه، وأن على المسلمين أن يراجعوا أنفسهم، وأن يعيدوا النظر في سلوكهم ومنهج حياتهم، ومدى التزامهم بأحكام دينهم، وأن يحاسبوا أنفسهم في علاقتهم بعضهم مع بعض، وفي علاقتهم مع ربهم، وفي مدى تمسكهم بسنة نبيهم، وأن يقفوا وقفة التائب الآيب إلى ربه، السائل هدايته إلى الطريق المستقيم الذى سلكه المسلمون الأوائل الذين وضعوا نصب أعينهم أوامر الدين وتكليفاته فنفذوها بإيمان ثابت، ولم يحيدوا عنها فاستحقوا نصر الله لهم، والعزة التى وعدهم بها..

وقفـة ضـرورية

ولكن لماذا هذه الوقفة؟. هذه الوقفة ضرورية لنحاسب أنفسنا، ونقيم وضعنا ومدى التزامنا بتنفيذ مبادئ ديننا الثابتة، المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولنتعرف على ما لنا وما علينا، ولنطبق كل ما طلبه ديننا منا من أوامره ونواهيه، بكل جدية وصدق وإخلاص، كي نسترد ما فقدناه من مكانة وقيادة وريادة وعزة، ونصحح أوضاعنا المحلية والعالمية لتعود إلى ما أراده الله لأتباع هذا الدين عندما يطبقونه قولاً وعملاً..

إن هذه الوقفة مطلوبة الآن عاجلاً وبإلحاح للتزكية، قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾

(طه: ٧٥، ٧٦)

والتزكية هنا: تعني الإيمان والإصلاح وضبط الغرائز، وفعل الخير ومقاومة الشر، ومنع كل أسباب الهزيمة، والأخذ بأسباب القوة والعزة، والاعتصام بحبل الله، والاتحاد ونبذ الفرقة، والتواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخلع رداء اللامبالاة الذى اكتسينا به وأضحينا بسببه نهمل الأمر بالمعروف، ولا يثير غضبنا فعل المنكر!!

عن عمير بن عبدالملك قال: خطبنا علي ابن أبي طالب على منبر الكوفة فقال: كنت إذا سكت عن رسول الله ﷺ ابتدأني، وإذا سألته عن الخير أنبأني، وإنه حدثني عن ربه ـ عز وجل ـ قال: «قال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي، إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي»[1].

وهذا دليل على أن التحول من المعصية إلى الطاعة، ومن الإدبار عن الله إلى الإقبال عليه، يكون سبباً في تحول الله ونزول رحمته على من سلك هذا المسلك، ونهج هذا النهج.

ولذا نجد من توجيهات الإسلام وإرشاداته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كي يتجنب المسلمون غضب الله وعقابه، وينالوا رضاه ورحمته.

والمعروف لغة: كالعُرف.. وهو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

(لقمان: ١٥)

أى: مصاحباً معروفاً.. قال الزجاج: المعروف هنا ما يستحسن من الأفعال، وقوله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾

(المرسلات: ١)

قال بعض المفسرين فيها: إنها الملائكة أرسلت بالعُرف والإحسان.. وهو من الصفات الغالية، أى: أمرٌ بالمعروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف: النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس.

والمعروف اصطلاحاً: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان

(١) الترغيب والترهيب ج٤ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات..

والمنكر لغة: خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر، وهو ضد المعروف، وكل ما قبّحه الشرع وحرّمه ونهى عنه.

قال الجرجاني: الأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم الشريعة.

وقيل: الأمر بالمعروف: الدلالة على الخير، والنهي عن المنكر: المنع من الشر.

وقيل: الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسنة، والنهي عن المنكر: نهي عما تميل إليه النفس والشهوة.

وقيل: الأمر بالمعروف: الإشارة إلى ما يرضي الله - تعالى - من أقوال العبد وأفعاله، والنهي عن المنكر: تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة. وهو ما لا يجوز في شرع الله - تعالى -.

فرض كفاية

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صلاح الأمة، وتجنبها الانحراف عن الطريق المستقيم، ونجاتها من عقاب الله، أوجب الله - سبحانه - على كل من يصلح لمهمة الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يبذل جهده في تبليغ رسالة الله، وبيان أحكام عقيدة الإسلام وشريعته، وفي دعوة الناس إلى الخير، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، يقول الله - تعالى -:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

وهذا الأمر إما أن يكون للبعض، أي: لتكن منكم طائفة تقوم بهذا العمل... وقد وجّه الخطاب إلى الأمة كلها يطالبها بأن تعد طائفة من بينها لأداء هذه المهمة السامية، وأن تزوّد هذه الطائفة بكل ما يمكنها من أداء مهمتها، وفي الوقت نفسه فإن الخطاب موجه إلى هذه الطائفة الصالحة بأن تخلص في مهمتها، وتؤديها على الوجه الأكمل الذي يرضي الله.

ويرى بعض العلماء أن الأمر موجه إلى الأمة كلها، فعليها واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا على سبيل الفرض الكفائي، بل على سبيل الفرض العيني..

والرأي الأول هو الراجح، وأن «منْ» للتبعيض وليست بيانية؛ لأنه لا يصلح لأداء هذه المهمة إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته، وكيف يباشره، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهل في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، أو ينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا.

وقد ختمت الآية بتبشير هؤلاء الداعين إلى الخير بالفلاح والنجاح والفوز.

«يتبع»

الزكاة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الزكاة في اللغة: تطلق بمعنى النماء أي الزيادة، يقال: زكا الزرع إذا نما وزاد، وقد سميت بذلك لما يترتب عليها من زيادة المال وزيادة البركة فيه، وزيادة الثواب والأجر لمن يؤديها.

وسميت صدقة، لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه كما قال ﷺ: «... والصدقة برهان»، كما تطلق الزكاة بمعنى التطهير[1]. قال الله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾

(الشمس: ٩)

بمعنى طهرها.

والزكاة في الشرع: هي دفع جزء من المال لمن يستحقه بشروط معينة، أو هي كما يرى الحنابلة: حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص.

والزكاة من دعائم الإسلام، وركن من أركانه، وفرض عين على كل من اجتمعت فيه شروطها، وفرضت في السنة الثانية من الهجرة، ويدل عليها القرآن والسنة والإجماع، واتفقت الأمة على فرضيتها حتى صارت معلومة من الدين بالضرورة، وقد جعلها الإسلام مع شهادة التوحيد وإقامة الصلاة دليلا على إسلام صاحبها، وأنه يستحق الأخوة الإسلامية الصادقة في الدين. قال تعالى:

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾

(التوبة: ٥)

لهذا فإن من جحد الزكاة كان كافرا، ومن منعها كان فاسقا، وقد قاتل أبو بكر

(١) الإمام أحمد ٥: ٣٤٢، ٣٤٣.

-رضي الله عنه- مانعي الزكاة، روى البخاري بسنده أن أبا هريرة -رضي الله عنه- قال: لما توفي رسول الله ﷺ، وكان أبوبكر -رضي الله عنه- وكفر من كفر من العرب، فقال عمر -رضي الله عنه- كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ[٢]: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر -رضي الله عنه- فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر -رضي الله عنه- فعرفت أنه الحق.

ولقد فاوت الإسلام بين المقادير الواجبة، وجعلها مختلفة باختلاف السعي والتحصيل، فما كان منها سهل الحصول لاعناء فيه فقد أوجب الإسلام فيه الخمس، وهذا في المعدن والركاز- وهو عبارة عن الكنوز التي يصادفها الإنسان في الأرض مدفونة من زمن قديم، والمعدن مثل الحديد والذهب والنحاس، فمتى حصل على شيء من ذلك وجب فيه الخمس مباشرة دون اعتبار الحول.

أما ما يكون الحصول عليه بمشقة فوق ذلك كالزروع والثمار فقد أوجب العشر فيما سقي منها بغير كلفة أو عناء، كأن كانت تسقى بالأنهار أو الغيم أو السيول الجارية دون آلة أو معاناة، وأما ما كان يسقى منها بمعالجة وآلة أو دابة أو غير ذلك فأوجب فيه نصف العشر. وما كان النماء فيه متوقفا على العمل المستمر من صاحب المال والكلفة أكثر من الزروع والثمار فقد أوجب فيه ربع العشر، وذلك في النقدين وعروض التجارة.

وفي الزكاة امتحان لنفس المسلم يبرهن بدفعها على صدق إيمانه وصحة عقيدته، قال حجة الإسلام الغزالي- في الإحياء-: وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقا سوى الزكاة، كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد، قال الشعبي- بعد أن قيل له-: هل في المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم أما سمعت قوله -عز وجل-:

﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

واستدلوا بقوله عز وجل:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

(البقرة: ٣)

وبقوله تعالى:

﴿ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾

(البقرة: ٢٥٤)

(٢) صحيح البخاري ١: ١٢، ٩، ١٠٩.

زعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة، بل هو داخل في حق المسلم على المسلم، ومعناه أنه يجب على الموسر إذا وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة. أهـ.

وفي الزكاة تطهير لنفس المسلم المزكي من آفة الشح والبخل، فإنه من المهلكات، قال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٣] وقال تعالى:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(التغابن: ١٦)

فإذا ما تعود المسلم بذل المال، وقهر النفس على مفارقته أصبح ذلك عادة، وبذا تطهر الزكاة صاحبها من البخل المهلك.

كما أن فيها تطهيرا للمال وتزكية فتكون فيه البركة، وينمو ويحفظ من الآفات والتلف قال ﷺ: «حصنوا أموالكم بالزكاة»[٤].

فتطهير المال إذا فيه تحصين له وحفظ من التلف، وما ذلك الجزء الذي يخرجه المزكي إلا حق لأصحابه المحتاجين، وتعبير القرآن الكريم عنه بأنه حق يشير إلى أنه ليس منحة أو عطية أو تفضلا، وإنما هو حق، قال تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾

(الذاريات: ١٩)

وقال تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

(الحديد: ٧)

وفي الزكاة أيضا تطهير لنفس الفقير أو المحتاج الذي تدفع إليه، وذلك بتطهيرها من آفة الحقد والكراهية، فالزكاة كما هي رابطة بين العبد وربه، فهي كذلك رابطة بين الإنسان وأخيه الإنسان. تتم بها معاني التواد والتراحم والتعاطف، قال الله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

(التوبة: ١٠٣)

ويجب أن تكون الزكاة خالصة من شوائب الرياء، فيدفعها المسلم ابتغاء وجه ربه، حتى ينال الجزاء الوافر، وتكون مقبولة، قال تعالى:

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

(الليل: ١٤-٢١)

كما يجب أن تكون الزكاة خالصة

(٣) مجمع الزوائد ١: ٩١.

(٤) حلية الأولياء ٢: ١٠٤.

لوجه الله فيدفعها المسلم مخلصا فيها بعيدا عن المن والأذى حتى يكون له الأجر الكامل عليها قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة: ٢٦٢)

والزكاة عبادة مالية يتمثل فيها شكر الله -تعالى- على نعمة المال، كما أن الصلاة عبادة بدنية يتمثل فيها شكر الله تعالى على نعمة البدن.

مصارف الزكاة

لقد حدد الله -تعالى- الجهات التي تصرف فيها الزكاة، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة: ٦٠)

● وأول مصارف الزكاة: الفقراء، والفقير من له أدنى شيء.

● والثاني: المساكين، والمسكين من لا شيء له، وقيل: بالعكس.

وهذان النوعان هما أكثر الأنواع وجودا، وقل أن يخلو منهم مجتمع من المجتمعات، ولكن ليس معنى هذا أن الإسلام يشجع على البطالة وعدم الكسب اعتمادا على مال الزكاة، كما يفعله بعض المحترفين من المتسولين القادرين، وإنما حرم الإسلام الصدقة على القادر الذي يكون سليم الأعضاء قوي البنية متمكنا من العمل، ولذا يقول الرسول ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي»[٥] أي قوي سليم الأعضاء.

نعم قد يكون قويا في الظاهر إلا أنه غير مكتسب، أو عجز عن العمل، فعندئذ يقوم المجتمع الإسلامي بحاجته، وقد جاء رجلان إلى النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فيهما البصر وخفضه، فرآهما جلدين قويين فقال: «إن شئتما أعطيتكما، ولاحظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب»[٦].

● والصنف الثالث: هم العاملون عليها، وهم الذين يقومون بجمع الزكاة ممن وجبت عليهم، وكان هذا النظام موجودا في صدر الإسلام الأول، فكان العاملون يأخذون جزاء عملهم من مال الزكاة، إلا أن هذا النوع غير موجود، ولكن حكمه باق ويمكن تنفيذه إذا عاد جمع الزكاة، ويعين لهذا العمل بعض الناس.

● والنوع الرابع: المؤلفة قلوبهم، وهم الذين دخلوا الإسلام ولكن إيمانهم ضعيف، ويخشى عليهم أن يرتدوا عن

(٥) رواه أبو داود والترمذي.

(٦) رواه النسائي وأبو داود.

الإسلام، فهؤلاء يعطون لتأليف قلوبهم وتثبيتهم على الدين، كما يمكن أيضا أن يصرف هذا السهم في عصرنا الحاضر للدعوة إلى الإسلام.

● والنوع الخامس: «وفي الرقاب» أي في العتق وتحرير رقاب الأرقاء، فعلى المسلمين أن يعطوهم من مال الزكاة لإعانتهم على التحرير، أو لشراء بعض الرقاب لعتقها، أو لإعانة من يحتاج منهم إلى الإعانة من المكاتبين حتى يستطيعوا الوفاء بأقساطهم، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾

(النور: ٣٣)

● والنوع السادس: الغارمون، وهم الذين لحقهم ديون بسبب إصلاح ذات البين، أو تعطل بعض أعمال مهمة لهم كان فيها نفع للأمة كالعمل التجاري أو الصناعي مثلا، وتعذر عليهم الوفاء بتلك الديون، بشرط ألا تكون في معصية الله أو بسبب فساد أخلاقهم وإلا فلا يعطون منها.

● والنوع السابع: في سبيل الله، وهو يتضمن الجهاد، وإعداد العدة وتجهيز الجيوش، ويدخل تحت كلمة في سبيل الله أيضا بناء المساجد، وإصلاحها، وبناء المدارس، وبناء المستشفيات وغير ذلك من المنافع العامة التي تكون خالصة لله وفي سبيل الله.

● والنوع الثامن: ابن السبيل، هو الذي انقطع في سفره عن بلاده وأصبح بعيدا وغريبا واحتاج إلى المال ليتم مهمته ويرجع إلى بلده، ويلاحظ في الآية الكريمة التي بينت مصارف الزكاة أن دائرة الاستحقاق فيها على نوعين:

● الأول: نوع يعطى الزكاة فينفقها على حسب ما يراه وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون وابن السبيل.

● والثاني: في المصالح العامة التي يستفيد بها الناس وهي المذكورة في قوله:

﴿ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

هذه هي مصارف الزكاة، ومن حق المتصدق أن يدفع صدقته إلى كل واحد منهم، أو أن يقتصر على صنف منهم، قال العلامة أبو السعود: لأن اللام- أي في قوله

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾

لبيان أنهم مصارف لا تخرج عنهم لا لإثبات الاستحقاق، وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة -رضي الله عنهم، وعند الشافعي لا يجوز إلا أن يصرف إلى ثلاثة من تلك الأصناف، أ.هـ



من عوامل استقرار الأسرة

للمستشار حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

إن النظرة المتأملة فى : كلمة «لتسكنوا» فى قول الحق تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(الروم : ٢١)

تبرز كثيراً من المعانى المفيدة، منها أن أصلها من الفعل «سكن»، وهو من السكون الذى لا يكون إلا بعد حركة، فكأن هذه الكلمة، تفيد أن الزوج المكلف بالحركة فى الحياة، سعياً فى مناكب الأرض، لتحصيل الرزق لمن يعول، لابد له بعد هذه الحركة أن يسكن، ولا يتحقق له هذا السكون، إلا مع زوجته داخل البيت الذى يضمهما.

والسكن الزوجى ضرورى لاستقرار كيان الأسرة، ومن هنا كان حرص الشريعة الغراء على وضع مقومات بقاء هذا الاستقرار، وطلبت من الزوجين معاً، العمل على قيام موجبات استدامة هذا السكن بينهما، وهذه الموجبات كثيرة ومتعددة، ولكن نحاول هنا أن نعرض لبعضها.

لا تضيع من تعول

هذا نهى من الشارع الحكيم، على لسان رسول الله ﷺ، لكل زوج لا يرعى أسرته، مادياً أو معنوياً، فمثلا لا ينفق عليها، فهو زوج مستهتر، يفرط فى حق نفسه، وحق أسرته، وحق مجتمعه كله، بل وفى حق الله - تعالى - الذى كرمه، ومنحه حق الولاية على أفراد هذه الأسرة، فقد قال ﷺ : «كفى بالمرء إثماً، أن يضيع من يعول» المستدرك للحاكم ٤/ ٥٠٠.

وقد حدد الرسول ﷺ، من يعولهم الزوج، بقوله الشريف الذى رواه الحاكم والدار قطنى والإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه : «خير الصدقة، ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، فقيل : يا رسول الله : من أعول؟، قال : امرأتك ممن تعول، تقول : أطعمنى وإلا فارقنى، جاريتك تقول : أطعمنى واستعملنى، ولدك يقول : إلى من تتركنى؟».

ولكن لا يجب لمثل هذا الزوج البليد أن يترك وشأنه، وينتظر جزاء إثمه فى الآخرة، بل يتحتم تعجيل هذا الجزء فى الدنيا، وذلك بأن تلجأ هذه الزوجة وأولادها إلى القاضى لإلزامه بالإنفاق عليهم، وإلا حكم بحبسه ويجوز للزوجة، أن تطلب التطليق على هذا لعدم الإنفاق عليها، حتى لا يتمادى فى غيه واستهتاره، فيضيع من يعولهم.

الخدمة الزوجية

الأصل أن الزوجية هى منبع العطاء المتبادل بين الزوجين، كل منهما يفنى فى خدمة الآخر، ابتغاء تحقيق سعادة الأسرة، وليس فى مجال هذه الخدمة عيب يشين أيا منهما، بل من العيب المشين، أن يتقاعس أحدهما عن تقديم كل ما لديه من قدرات، فى سبيل القيام بهذا الدور على أكمل وأتم الوجوه، ولا ينتقص من منزلة أيهما، قيامه بعمل يجب على الآخر القيام به، فقد روت كتب السيرة والسنة أن رسولنا الكريم ﷺ، كان فى مهنة أهله، فكان يصلح ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، وغير ذلك من أعمال البيت، دون أن تكون لديه غضاضة فى هذا، وهو ﷺ قدوتنا العظمى فى كل شىء.

والخدمة الزوجية ليست قاصرة على أعمال معينة دون غيرها، يقوم بها كل من الزوجين، بل هى تشمل كل عمل يفيد الأسرة، مهما كان بسيطاً، فقد روى أبو داود فى سننه بسنده، عن معاوية بن حيدة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «حق الرجل على المرأة، إنارة السراج، وإصلاح الطعام، وأن تستقبله عند باب بيتها، وأن تقدم له الطست والمنديل، وأن توضئه (تصب له ماء الوضوء)، وأن لا تمنعه نفسها إلا من علة».

ولتعلم الزوجة العاقلة أن ما تقوم به من خدمة داخل البيت، سواء للزوج أو للأولاد هو تكريم لها ولأسرتها، ولها عليه الثواب الجزيل من الله - تعالى -، وهو يعد من قبيل الصدقة منها عليهم، فقد روى الديلمى فى مسنده والسيوطى فى الجامع الكبير عن ابن عمر - رضى الله عنهما -، أن امرأة سألت النبى ﷺ قالت : «ليس لى مال فأتصدق، ولا أخرج من بيت زوجى فأعين الناس فى حوائجهم، فقال ﷺ : «خدمتك زوجك صدقة»، وإذا أحسنت الزوجة خدمة بيتها، فإنها تلقى من جميع أفراد أسرتها كل احترام وحب ومودة، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، بل هذا يدفع الزوج إلى بذل أقصى ما فى وسعه لإسعاد هذه الزوجة، وهذا ما ينطق به واقع حياة الأسوياء من الأزواج.

لعن الله المسوفات

وإذا كان التسويف ممقوتاً فى كل الأمور، فإنه أشد مقتاً، ويستوجب اللعن من الله ورسوله، إذا وقع فى الحياة الزوجية، لما يترتب عليه من آثام كثيرة، لها خطرها على كل من الزوجين، فقد روى الطبرانى عن ابن عمر - رضى الله عنهما -، أن رسول الله ﷺ قال : «لعن الله المسوفات، قيل : وما المسوفات يا نبى الله؟، قال : «التى يدعوها زوجها إلى فراشها، فتقول : سوف، حتى تغلبه عيناه».

وعلى هذا لا يجوز للزوجة، أن تسوف فى إجابة طلب زوجها إلى فراشها، إذا كانت خالية من الموانع المرضية أو الطبيعية كالحيض والنفاس، لأن المقصد الأول والأسمى من عقد الزواج، هو

تحقيق الإحصان لكل من الزوجين، حتى لا يقع في براثن الفاحشة، وهو ما لا يستقيم معه هذا التسويف، ومن ثم استحقت الزوجة المسوفة، اللعن من الله - تعالى - على لسان رسوله ﷺ.

إن من الحقوق الأساسية المترتبة على عقد الزواج، ما يعرف بحق الطاعة من الزوجة لزوجها، ومن مقتضى هذا الحق، ألا تمنع الزوجة نفسها، عندما يطلبها إلى فراشها، فقد روى الطبراني عن ابن عمر - رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «حق الزوج على زوجته، ألا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب (جمل)، وألا تصوم يومًا إلا بإذنه إلا الفريضة، فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها».

حفظ أسرار الزوجية

كم هو بليغ ذلك التعبير القرآني في وصف الحياة الزوجية، فهي كاللباس:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

(البقرة: ١٨٧)

يتحقق به الستر لكل من الزوجين في هذه الحياة، وعلى الزوج العاقل أن يتمثل هذا الوصف في كل مراحل حياته، حتى ينعم بالستر الدائم له ولأسرته.

ومن دواعي هذا الستر، أن يحافظ كل من الزوجين على أسرار حياتهما الخاصة، ويحرص على عدم إخراجها عن جدران غرفة نومه، لأن الله تعالى جعل من أخص خصائص الحياة الزوجية، الإفضاء بين طرفيها، فقال تعالى:

﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

(النساء: ٢١)

وهذا الإفضاء يشمل كل أسرار الحياة الزوجية سواء كانت متعلقة بالقول أو الفعل، أو حتى الإشارة المتبادلة بين الزوجين، ومن العبث أن يتجرأ أحدهما على إفشاء أي سر من هذه الأسرار للغير، وإلا كان خائنًا لأمانة هذه الحياة، التي نظمها أغلظ المواثيق وهو عقد الزواج.

إن من موجبات استدامة المودة والرحمة في الحياة الزوجية، أن يحافظ كل من الزوجين على أسرارها، ومن أفشى سرًا منها استحق ما وصفه به رسولنا الكريم ﷺ، في قوله الشريف الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها، قالت: كنت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده، فقال: «لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم (عضوا على أضراسهم) فقالت: أي والله يا رسول الله إنهن يفعلن، وإنهم يفعلون، قال: فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في الطريق فغشيها، والناس ينظرون».

وفي هذا الإطار وتحقيقًا للمحافظة على أسرار الزوجية، تطلب المشروع القانوني عند نظر الدعاوى المتعلقة بمسائل الأحوال الشخصية، أن تكون في جلسة سرية، مقتصرة على أعضاء المحكمة والخصوم، حتى لا يطلع غيرهم على ما يدور فيها، من مرافعات ومناقشات قد تتناول هذه الأسرار من قريب أو بعيد، وإذا خالفت المحكمة هذا الإجراء، ونظرت إحدى هذه الدعاوى في علانية، فإن حكمها يكون باطلا.

هذا ليس فعل خياركم

من صور العنف في حياة الأسرة، ما يقع من وقائع ضرب متبادل بين بعض الأزواج، أيا كانت الوسيلة المستعملة فيه، وأيا كان الغرض منه، حتى ولو كان ذلك بغرض التأديب، والأصل المقرر في الشريعة الغراء عدم إباحة هذا الضرب، لأن الأساس الذي تقوم عليه الحياة الزوجية، هو المودة والرحمة، وفي الضرب تقويض لهذا الأساس، وفي بيان هذا الأصل يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي والبيهقي عن أبي ذباب الدوسي - رضي الله عنه: «لا تضربوا إماء الله، قيل: فذئر (تمرد) النساء، وساءت أخلاقهن على أزواجهن، فقال عمر - رضي الله عنه: يارسول الله ذئر النساء، وساءت أخلاقهن على أزواجهن، منذ نهيت عن ضربهن، فقال رسول الله: «فاضربوهن»، قال: فضرب الناس نساءهم تلك الليلة، قال: فأتى نساء كثيرة يشتكين الضرب، فقال رسول الله ﷺ، حين أصبح: «لقد طاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة، كلهن يشتكين الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك (أي الأزواج الذين يضربون زوجاتهم) خياركم».

إن صفة الأخيار إذا توافرت في كل من الزوجين، فلا يتصور أن يكون هناك عنف في حياتهما، لأن كلا منهما عرف ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، فيؤدي ما عليه من واجبات، ويأخذ ما له من حقوق، فيسود بينهما التسامح، فيما قد يقع من أي منهما من تجاوز في معاملة الآخر، ومن ثم يقوى الأساس الذي تبنى عليه الحياة الزوجية، فإذا وقع أي اعتداء بالضرب من الزوج على زوجته بعد ذلك، فإنه يكون بلا مبرر، وتنزع من المعتدي صفة الأخيار، بل يكون من الأشرار، ويستحق العقاب المناسب، الذي يقرره ولي الأمر لهذا الفعل.

ولكن قد يكون الضرب، إحدى وسائل منع الزوجة من الوقوع في النشوز، كما جاء في قول الحق تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

(٣٤ من النساء)

والمقصود بهذا الضرب، رغم سمو الغاية منه، هو الضرب غير المبرح، ومعياره كما ذكر العلماء، هو الذي لا يسيل دمًا، ولا يكسر عظمًا، كما لو كان باستعمال السواك، ويجب ألا يكون على الوجه، لقول الرسول ﷺ، الذي رواه الحاكم والطبراني عن معاوية بن حيدة - رضي الله عنه: «حق المرأة على الزوج، أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت».

إن الحياة الزوجية إذا ما توافرت لها مقومات الرعاية المادية والمعنوية، والخدمة داخل البيت، والمحافظة على أسرارها، والبعد عن العنف الأسري، فإنها تنعم بالاستقرار الدائم، وهذا ما تحرص عليه الشريعة الغراء، وينشده الفرد والمجتمع..

قيمــة الحــلم

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

«الحلم» قيمة تخلقت فى كيان الإنسان. هذه القيمة التى لم يكن رسوخها فى قلب الإنسان «فوقيا» وبالأمر.. وإنما كان ظهوره من خلال موجات الغضب.. التى تحاول إغراق الغضبان.. ولكنه ينجح فى ردها.. وهو ما أشار إليه ابن مسعود -رضى الله عنه- بقوله:

«انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه.. وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب.. وما علمك بأمانته إذا لم يطمع»[1]

عــلاج الغضــب

وهو نفســه المعنى الذى لاحظه «عمــر بن عبدالعزيز» رحمه الله، بما كتبه لواحد من عماله: «لا تعاقب عند غضبك.. وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك، فأخرجه، فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا»[2]

●●●

والأصل فى علاج الغضب ما قرره طبيب النفوس ﷺ:

«إن الغضب من الشيطان: وإن الشيطان خلق من النار. وإنما تطفــأ النار بالماء: فــإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[3]

وربما كان الاسترسال فى وعيد المعتدى مشجعا على الانتقام. ومن أجل ذلك يوصى ﷺ الغاضب، بالسكوت، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام:

«إذا غضب أحدكم فليسكت»[4]

من فوائــد الحــلم

فى الحلم فوائد كثيرة، منها سلامة العرض، وراحة الجسد. واجتلاب الحمد.

ومنها أيضا: الإحساس بالعزة.. هذه العزة التى تحمل العزيز حتى يكون رحيما بالجهال.. مترفعا عن السباب، والقدرة على الانتقام ولكنه يتأبى. ومنها أيضا: ما يمكن تسميته بأنه: الاستهانة بالمسىء.

ولى «مصعب بن الزبير» العراق. وذات يوم كان يوزع العطايا.. وكانت المفاجأة أن أمر مناديه فنادى فى الناس: أين عمرو بن جُرموز؟؟ -وهو الذى قتل أباه الزبير بن العوام- وقيل للأمير: إن عمرا ليس هنا.

قد تباعد فى الأرض! فقال له لما حضر:

أو يظن الجاهل أنى أُقيده بأبى «عبدالله»؟! فليظهر آمنا.. ليأخذ عطاءه -راتبه- موفَّرا!

●●●

إن الحليم: حكيم.. وهو كذلك كريم.. وإذن فلن يبطش بخصمه.. كما قالوا: ما أفحش حكيم.. ولا أوحش كريم!

لا يبلغ المجد أقوام وإن كرموا
حتى يذلوا -وإن عزوا- لأقوام
ويُشتموا: فترى الألوان مسفرة
لا صفح ذل: ولكن صفح أحلام!



ومن فوائد الحلم أيضا

ما ينطق به الواقع وهو:

أن الناس أعوان له على الجاهل، وهكذا الحلم: إنه من أخلاق الملوك:

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب: بفضلها
ولقد تعاقب فى اليسير، وليس ذاك لجهلها
إلا ليُعرف حلمها.. ويُخاف شدة بأسها

● التفضل على السَّاب:

قال الأحنف: ما عادانى أحد قط إلا أخذت فى أمرى بإحدى ثلاث خصال:

-إن كان أعلى منى: عرفت له قدره..

-وإن كان دونى رفعت قدرى عنه..

-وإن كان نظيرى: تفضلت عليه.

● قطع مادة السباب:

قال الشعبى: ما أدركتُ أمى فأبرها.. ولكن لا أسب أحدا فيسبَّها

إن فى إعراضك: صون أعراضك!

وفى الحلم: ردع للسفيه عن الأذى
وفى الخرق: إغراء.. فلا تك أخرقا

وقال حكيم حليم:

---

(١) الإحياء ١٧٧/٣.
(٢) المرجع السابق.
(٣) رواه أبوداود: ٤٧٧٤.
(٤) أخرجه الإمام أحمد ٢٣٩/٦.

قل مـــا بدا لك من زور ومن كـــذب

حلمي أصم .. وأذني غيـــر صمـــاء

ـ الخوف من العقوبة على الجواب.

ـــ رعاية جميل سابق

ـــ توقع الفُرص: (فرص الثأر مستقبلا)

وما أحسن ما قيل:

تعـــــاقب أيدينا. ويحلُم رأينا

وتشـــتم بالأفـــعـــال لا بالتكلم

ما هـــو الغضــــب؟

الغَضْبَة هي: الصخرة الصلبة.

وقيل هو: غليان دم القلب.. على نحو يحرك الطاقة.. ثم يدفعها إلى خارج البدن.. إرادة الانتقام.

والغضوب: المرأة العبوس. والحية الخبيثة.

وإذن ففي الغضب معاني: القوة والتسلط والهلاك.

وهو محمود عندما يكون سلاحا يدافع به الإنســان عن كـرامـتـه.. التي يراد لهـا أن تهون.. وهو ما يعنيه الإمام الشافعي - رحمه الله - بقوله: «من استغضب فلم يغضب.. فهو حمار..» ومن أمثلته: أن يكون الزوج ديوثا يقر الخبث في أهله. فيحتمل هذا الذل.. ولا يجرؤ على النهي عن حرام.

وإذ ينوّه الإسـلام بالغضب سلاحـا يدعم قيمة الكرامة.. فإنه وبنفس القوة ينهى عن المبالغة في استعماله حتى لا يكون تهورا.. واقتحاما مدمرا.. وينهى كذلك عن تراجعه ليترسب في قلب الضعيف ليصير حقدا.

ويعني ذلك أنه -وفي حالة ضعف المظلوم -قد يترسب الغضب في القلب.. بحيث يبدو الغاضب -من صفحة وجهه- معتدل المزاج. لم يؤثر فيه ما حدث.

ولكنه يفاجأ بمن يذكره بما وقع عليه من رجل هو أقل منه مركزا. وأضعف جندا.. وعندئذ يصير أمره كمثل الزجاجة التي كتب عليها (رج الزجاجة قبل الاستعمال).. فماذا يحدث؟؟

ينتشر العكر الراسب في القاع.. ثم تبدأ المتاعب الناشئة من هذا الصراع الداخلي بين إمكانات المظلوم المحدودة.. ثم رغبته في الانتقام.. وعندما يكتشف عجزه يكون الحقد القيم.. وهو مطالب بأن يكون مثل السفينة البريئة من الخروق. فلا ينفذ فيها الموج الغاضب.. وفي النهاية تتمكن من تجاوز الموجات الغاضبة. ثم.. لتصل إلى الشاطئ الآمن بلا حقد.. وبلا خسائر.

الحــل الإســـلامي

استبّ رجلان عند النبي ﷺ، وأحدهما يسب صاحبه مغضبا.. قد احمر وجهه. فقال النبي ﷺ:

«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: لو قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

فقالوا للرجل:

ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون». [٥]

وعن أبي ذر «رضي الله عنه»:

«إذا غضب أحدكم وهو قائم.. فليجلس: فإن ذهب عنه الغضب.. وإلا فليضطجع» [٦]

ومن وصايا المجربين في التخلص من آثار الغضب قال المجربون.. في ضوء ما تقرره السنة المطهرة:

١- ذكر الله تعالى:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(الرعد: ٢٨)

٢- تذكر ثواب الحلم عند الله -تعالى.

٣- كتب «أبوبكرة» إلى ابنه: لا تقض بين اثنين وأنت غضبان.. فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان» [٧]

٤- وقال رجل لابنه لما ولي اليمن: «إذا غضبت: فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الأرض تحتك: ثم عظم خالقهما».

عـــلاج الغضـــب

إنما يكون بالحلم.. أو على الأقل: بالتحلّم.. تكلفا.. وتطبعا، ولا يكون ذلك الحلم طفرة.. وإنما يمر بمراحل.. يصير بعدها سجية وطبعا.. والمراحل هي كما يقرر المجربون:

١- المعرفة ٢- التثبت ٣- العزم ٤- ثم التصبر ٥- ثم الصبر ٦- ثم الرضا ٧- الإغضاء ٨- ثم: الصمت..

الصمت الذي يكون هو الجواب الشافي والرد الكافي على كل أحمق.

الغضب: بين الوقاية والعلاج

يقولون: في علاج الغضب: لا يكفي أن تصفح.. وإنما لابد أن «تنسى» وذلك هو هدف الإسلام الذي لايريد فقط أن يتخلص الغاضب من الانفعلات التي تضره..

وإنما يريد: أن يتسع القلب.. بل ليكون أوسع من الدنيا ليتمكن الغاضب بحلمه وحكمته أن يستوعب الإساءة والمسيء معا.. والذي يبدو أقوى وأكبر من أن تؤثر فيه إساءات الناس.. والفضل في النهاية لمن أحسن وليس لمن أساء.

العـــلاج

● **أولا**: إذا كان الظالم أعز منك: فتجاهله: لؤم.

● **وثانيا**: إذا كنت أعز منه: فتجاهله ظلم.

● **وثالثا**: إذا كان مثلك: فمحاولة الرد عليه ستكون مثل هراش الكلاب.. أو نقار كنقار الديكة!

وهكذا يقولون..

---

(٥) فتح الباري ١٠/ ٦١١٥.

(٦) رواه أبوداود: ٤٧٨٢ ـ والإمام أحمد ٥/ ١٥٢.

(٧) فتح الباري ١٣/ ٧١٥٨.

ولكن.. إذا كان هذا هو واقع الناس.. فما هو الحل الإسلامى؟

إن من طبع الإنسان أن يغضب.. بل من حقه ذلك.. ولكن ماذا عليه أن يفعل بعد الغضب؟

ومن معانى ذلك: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس: فتذكر قدرة الله عليك.

وكان بعض الملوك إذا غضب.. ألقى عنده مفاتيح مقابر الملوك من قبله.. وعندئذ يزول غضبه.. وهكذا يوظف المسئول من يعينه على تجاوز محنة الغضب.

(وكما أن الأجسام تعظم فى العين: يوم الضباب.. فكذلك: يعظم الذنب عند الغضب)

ومن أجل ذلك كان حرصهم على الفرار من الغضب الذى يكبهم على مناخرهم فى حفرة الظلم.. بل يكون غضبهم مخصوما من إيمانهم.. ولهذا قيل:

«اتقوا الغضب: فإنه يفسد الإيمان.. كما يفسد الخل العسل»

«وطوبى لمن ملك لسانه.. ووسعه بيته. وبكى على خطيئته»[8]

والحليم هو الله -عز وجل- ومن حلمه تعالى:

١- يؤخر عقوبة المستحق.

٢- وقد يعذبه.

٣- وقد يعفو.

وإذا كان ذلك هو الخالق.. فما هو دور المخلوق؟

يشاهد الانحراف: ثم لا يستفزه الغضب والغيظ.. ويمنعه ذلك من المسارعة إلى الانتقام. مع الاقتدار.

إنه قادر على ضبط نوازعه المتحفزة -للانتقام محتملا- وهو الأعلى- أذى الأدنى. شعاره:

تحلم عن الأدنين واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم.. حتى تحلما

ومن أجل ذلك توالت نصائح المربين لتعين المظلوم حتى تتحول المحنة فى حياته إلى منحة..

يقول الإمام الغزالى منفرا من الغضب منذرا بآثاره:[9]

مما يدل على أن الغضب من أخلاق الناقصين: (إن المريض أسرع غضبا من الصحيح. والمرأة: أسرع غضبا من الرجل. والصبى: أسرع غضبا من الرجل الكبير. والشيخ الضعيف: أسرع غضبا من الكهل.

وذو الخلق السيء.. أسرع غضبا من صاحب الفضائل. فالرذل: يغضب لشهوته.. إذا ما فاتته اللقمة.. ولبخله إذا فاتته الحبة. حتى إنه ليغضب على أهله وولده وأصحابه.. بل القوى: من يملك نفسه عند الغضب).

وصدق القائل: إن الغضب: عدو العقل..

---

(٨) الطبرانى فى الأوسط.

(٩) الإحياء ٣/١٨٤.

ذكريات إسلامية لتنمية الذاكرة

(١)

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

إن من الحقائق التى ترقى إلى مرتبة البديهيات الواضحة بذاتها بحيث لا تحتاج إلى برهان، ولا تفتقر إلى سلطان أن من لا يعى ماضيه لايعنى بحاضره ولا يتأهب لمستقبله وقد جلى هذه الحقيقة (الفطرية) القانون القرآنى الأزلى الأبدى الذى أمر بالتذكر والتذكير، والتدبر والتدبير فى مثل قوله تعالى:

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الذاريات ٥٥)

فقضى سبحانه أن من يتذكر وينتفع بالذكرى هو من المؤمنين، إذ المؤمن الحق هو الذى تتفاعل فى شخصه تكاليف السماء وعمران الأرض، ومن ثمة فهو يفيد من تاريخه وتراثه ما ينفعه فى الآن والقابل جميعًا لأنه يتمتع -بفضل الله- بالملكة النقدية التى تجعله يميز بين سلبيات الأحداث وإيجابياتها فيتحاشى الأولى، ويستزيد من الأخرى، وعلى هذا جرت السنن الكونية التى برأها الله -عز وجل.

وللمسيرة الإسلامية ماض ماثل لا ماض زائل، ويا له من ماض زاخر بالأحداث، عامر بالحادثات، حافل بالعبر والصور، والثوابت وغير ذلك، إنه تاريخ التفاعل الحق البناء بين حركة الأرض ومعطيات السماء.

وليست التنمية التى نقصدها هنا -على رأس هذا الموضوع- هى الزيادة فى النمو كما قد يقع فى وهم البعض، ولكن التنمية هى التدخل لإحداث النمو، فالتنمية التعليمية مثلا ليست بالضرورة هى زيادة كمية جرعات التعليم أو مجرد زيادة عدد دور التعليم بمراحله المختلفة، وغير ذلك، ولكنها العمل على تعديل عناصر العملية التعليمية

وتطويرها بما يلائم الظروف الراهنة للبيئة وما حولها وبما يناسب أحوال الناشئة، وذلك مع الحفاظ على «الجوهر التراثى» لهذه البيئة وكذلك مراعاة المناخ الأصيل الذى تنشأ فيه هذه الناشئة، وذلك حتى لا يحدث تضارب بين عناصر العملية التعليمية، وهكذا يمكننا فهم معنى التنمية فى مختلف ظروف الحياة تعليمية وغير تعليمية.

وعندما نتحدث عن تنمية الذاكرة ـ كما جاء أيضًا فى رأس هذا الموضوع ـ فإننا لا نقصد مجرد صقل الذاكرة أو شحذها، ولكن مساعدتها على إدراك الحاضر فى ضوء أحوال الماضى، وكذلك الوعى بمدى تأثر الآن بما كان، من إيجابيات وسلبيات فيستزيد المعاصرون من مزايا هذه الإيجابيات ويحذرون أخطار تلك السلبيات مستفيدين من ثقافة التمييز بين الأضداد.

وإن ظاهرة «الأضداد» ـ فيما يبدو ـ هى من طبائع الأشياء، ومن ثمة نسمع أحيانا قول القائل «وبضدها تتميز الأشياء»، فإذا تجاور اللونان الأبيض والأسود مثلا كان هذا مدعاة لبروز كل منهما أمام الإدراك الحسى فيدرك المرء فى يسر نصوع الأبيض ودكنة الأسود وهكذا.

ولقد بدت ظاهرة التضاد هذه فى موكب السيرة الإسلامية منذ ظهورها وحتى اليوم، فلكم رأينا الإيمان الناصع المنير ساطعا مثلا عند أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وأمثاله الأصفياء، فى الوقت الذى رأينا فيه صوراً من الكفر الباهت المظلم عند أبى جهل لعنه الله وأضرابه الأشقياء، ولكم عرفنا فى تلك المسيرة الغراء، فريق الدفاع عن الحق بجانب فريق المغالطة والإصرار على الباطل، وإنك لترى كذلك فى هذا السياق معالم التصديق واليقين فى مقابل معالم التكذيب والمكابرة.

وغير هذا وذاك من صور التضاد التى كانت تزيد ـ بإرادة الحق سبحانه وقدرته ـ من إبراز الوضوح والإشراق لحقيقة الحنيفية المكرمة فى مقابل الغموض والتشويش لدعاوى المضلين والادعياء وذلك مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

(الصف ٨)

ونود فى هذا السياق أن نشير إلى ابتلاء الإسلام منذ بزوغه من غار حراء المبارك على العالمين بطغمة باغية من المنافقين المخادعين المفسدين الذين كانوا يستخفون وراء الإسلام ظنا منهم أنهم بهذا يدفعون عن باطلهم الواهن ما يخشونه من زحف الحق الإسلامى القوى، وفى نفس الوقت يتغلغلون بين لبنات الصرح الإسلامى السامق ليعملوا على تقويضه، وهيهات.

وإننا لنستشف من كتب السيرة المطهرة أن آفة الآفات التى عمل الإسلام على مواجهتها للقضاء عليها قبل استفحالها هى آفة

(النفاق) التى قضى البارىء - جل وعلا - على المصابين بها بأنهم فى الدرك الأسفل من النار:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾

(النساء ١٤٥)

ذلك أن المنافق أشد وأخطر على المسيرة الجادة الهادفة من الكافر ـ وإن اتفقا معا فى خصلة الضلال والانحلال ـ لأن الكافر صريح فى كفره يعلنه ولا يخفيه ومن هنا يمكن أن يؤتى فى مكمنه، أما المنافق فهو عدو فى ثياب صديق لا تدرى أى إهاب يرتديه، وأى ثياب يحتويه، فهو يستنفد منك طاقة التفكير فيه والتدبير له والحذر منه جميعا.

ولقد كشفت لنا كتب السيرة المكرمة فى هذا الصدد عن مثلين يجمعان بين الحنق والحمق معا ظهر أو لهما مع بدايات الدعوة الإسلامية الغراء بالمدينة المنورة وهو رمز النفاق عبدالله بن أبى بن سلول. وثانيهما كان رمزا للؤم والشقاق وهو عبدالله بن سبأ الذى تسلل بين المسلمين تسلل السوس داخل العود يحمل حطب الفتنة ليذكيها فى شماتة وفجور فى نهايات عهد الراشدين - رضى الله عنهم أجمعين.

بقايا السلالات الخبيثة

ولاتزال (الجينات)[1] المريضة لهذين الخبيثين وأمثالهما تتناقل عبر الأبناء والأحفاد الضالة الذين تسيطر عليهم (عقدة النقص العقائدية) تجاه (الكمال الإسلامى) الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما لو كانوا قد نصبوا من أنفسهم آلهة يحاربون الإله الحق، والعياذ بالله.

ونقصد بهؤلاء هنا بقايا أهل النفاق والشقاق منذ ظهور الإسلام الذين لا يألون جهدا ولا يدخرون وسعا فى سبيل الإيقاع به، والكيد له حسدا من عند أنفسهم وهم الذين لاتزال مواريثهم الفكرية الحاقدة، وسلالاتهم العنصرية الحاسدة تعيش بين أرجاء العالم الإسلامى حتى اليوم.

غير أنه مما يزيد خطورة هذه السلالات المعاصرة أنها تستغل لتحقيق نواياها الخفية وممارسة أفعالها الجلية أدوات التكنولوجيا الحديثة ولاسيما وسائل النقل وآليات الاتصال.

وترجع كلمة النفاق ومشتقاتها إلى المصدر نفق (بفتح الفاء وكسرها) فيقال نفق اليربوع أى خرج من (نافقائه)[2]، كما يقال إن فلانا نافق فى دينه أى ستر كفره بقلبه وأظهر إيمانه بلسانه فهو (منافق) يكتم خلاف ما يظهر[3]، كاليربوع تماما

(١) genetics الخصائص الوراثية للكائن الحى.

(٢) النافقاء هى جُحر اليربوع، واليربوع هو نوع من القوارض يشبه الفأر قصير اليدين طويل الرجلين وله ذنب طويل (المنجد).

(٣) من معاجم اللغة.

ظاهر بيته تراب وباطنه حفر، كذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر وقد قال الجاحظ وغيره إن اسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان ولكن البارىء جل وعلا ذكر هذا الاسم الذى يرجع إلى نافقاء اليربوع لأن المنافق لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان وورى بشيء عن شيء ودخل في باب الخديعة وأوهم الغير بخلاف ما هو عليه أشبه في ذلك اليربوع[٤].

وإنه لمن المفيد في مجال الحذر والاعتبار أن نسترجع ما نعلمه جميعا من دور النفاق والمنافقين والخداع والمخادعين الذين استقبلوا الدعوة الحنيفية السمحاء بأقبح ما يكون الاستقبال، ثم صاحبوا مسيرتها الصادقة وتابعوها عبر مراحل جهادها الدءوب بأسوأ ما تكون المتابعة والمصاحبة، ولقد أوتوا من الصبر (القبيح) ما ساعدهم من حين إلى حين على مواجهة الخير بالشر، ومقابلة البر بالعقوق، والبناء بالهدم، والتأليف بالتفريق والتمزيق، ولم تكن هذه سمات عرب الجزيرة من قبل، كما لم تكن هذه أخلاقهم التى تحلت بالمروءة والألفة، والكرم والنجدة والشجاعة والمواجهة وغير ذلك من مكارم الأخلاق التى قال عنها النبى ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٥].

ولما كان لابد للقاعدة من شواذ ـ كما يقال ـ فقد بدا هذا الشذوذ الأخرق، والنبو الأحمق عند أصحاب الأنفس المريضة التى لا تجرؤ على المواجهة، والأعين العواشي التى لا تقوى على رؤية النور، وترتاح أعصابها كلما اشتدت من حولها الحلوكة وادلهم الظلام.

البرابيع وزعيمهم

وقد اشتهر زعيما لهؤلاء (البرابيع) عبدالله بن أبيّ بن سلول الذى كان يمنّى نفسه بملك «المدينة»، وبعد العدة لحكمها وقد جمع حوله لذلك بطانة السوء، وحاشية الهلكة حتى إذا طلع البدر من (ثنية الوداع) وبزغ الحق قادما من مكة المكرمة في ركاب محمد ﷺ مؤيدا بنصر الله، ومباركا بالسابقين من المؤمنين من أهل المدينة الذين حياهم القرآن بقوله:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

(الحشر ٩)

أسقط في يد ابن سلول، واستشعر خيبة أمله، وانهيار عمله، وأحس أن الأمر جد خطير، وأن كتائب الدعوة الصادقة ستدمر في طريقها كل كذاب أثيم وكل دعيّ لئيم، فبيّت تدبيره بليل أملا في التعلق بالقشة الواهية في الخضم العظيم فشهر سلاح اللؤم والمكيدة في الخفاء حتى إذا أشرق أمامه وجه محمد ﷺ فكأنما التقم حجرا تحول في جوفه إلى سم قاتل، وفي نفسه إلى غل دفين وغيظ مكين.

وكان القرآن الكريم دائما يكشف ما كان يخفيه ذلك المغتاظ اللئيم أمام النبى ﷺ فكان عليه السلام يرى باطنه أجلى من ظاهره فلا يسع الروح المحمدية النقية الطاهرة إلا أن تلهج بالاستغفار لذلك الضال، ولكن الغضب الإلهى الناقم على هذا الشارد الحقود ـ الذى تكمن في سلوكه الباطن والظاهر الخطورة الشعواء على المسيرة الإسلامية ـ كان ينزل مع الوحى الأمين على النبى الكريم ﷺ:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾

(التوبة ٨٠)

ذلك لأن الله - عز وجل - يعلم أن نبيه الرءوف الرحيم عزيز عليه ما يصيب قومه ـ والأنام كلهم قومه ـ من عنت ومشقة وشدة وهلاك، ولكنه - سبحانه - يعلم أيضا أن من هؤلاء القوم من إذا أخطأ فأصابه العنت سدر في غيه واستمر في خطئه فكأنه يلقى بنفسه إلى التهلكة لا يبالى بنصيحة أو هدًى أو إرشاد، فكأنما يصور له غروره، وكبره أنه هو ـ والعياذ بالله ـ الذى خلق نفسه، وهو الذى يوجهها إلى ما يريد، ويفعل بها ما يشاء.

وياليتنا نستبعد «الشماعة الشيطانية» في مثل هذه المواقف التى يتساق فيها المرء إلى الخطيئة ثم يبرىء نفسه معلقا جريمته وجريرته على فعل الشيطان. صحيح أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، ويوسوس له حيث أمرنا أن نستعيذ من هذه الوسوسة ولكننا هنا ننسى مسئوليتنا عن أعمالنا وتحملنا لهذه المسئولية بتوقع الجزاء رغم أننا نعى جيدا أن الشيطان (عامل خارجى) بينما إرادة المرء ونيته هى (العامل الداخلى) الذى يتحد مع كيانه اتحادا عضويا، وإلا لما قال نبينا العظيم عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[٦]، حيث قصر عليه السلام العمل على نية المرء كما قصر الجزاء كذلك على هذه النية، عندما جاءت في النطق الشريف كلمة «إنما».

«يتبع»

(٤) حياة الحيوان الكبرى - للشيخ كمال الدين الدميرى.

(٥) ابن سعد البخارى في الأدب والحاكم، والبيهقى في شعب الإيمان عن أبى هريرة (الجامع الصغير).

(٦) رياض الصالحين للنووى.

الإســـلام والتجديــــد

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

الإسلام: عقيدة وشريعة.. والعقيدة هى جوهر التديُّن بالدين ولبّه والغاية منه.. والشريعة ـ سواء فى العبادات أو المعاملات أو القيم والأخلاق ـ هى النهج والطريق الذى يسلكه المسلم للتديُّن والاعتقاد بعقيدة الإسلام فى الألوهية الواجبة، والبعث الأُخرَوى وما فيه من حساب وجزاء، والعمل الصالح زاداً ليوم المصير.. ذلك هو جماع الإسلام..

وهذا الإسلام، بما فيه من عقيدة وشريعة، هو وضع إلهى، نزل به الروح الأمين على قلب الرسول الأمين.. فهو ليس بالإفراز البشرى الاجتماعى، كما تزعم المناهج الوضعية الغربية بالنسبة لمطلق الفكر، بما فيه الأديان!..

وهذا الإسلام قد اكتمل، فى عقيدته وشريعته، منذ أن كان ختام الوحى الإلهى للتنزيل القرآنى، الذى آذنَ بختام رسولنا ﷺ؛ سلسلة ومسيرة النبوة والرسالة، فكانت رسالته الخاتمة إيذانًا باكتمال هذا الدين وخلود معجزته «القرآن الكريم»..

وبسبب من انعقاد الإجماع على تمام الدين واكتماله، قبل أن يلحق الرسول، ﷺ بالرفيق الأعلى.. وبسبب من انعقاد الإجماع كذلك على أن التغير والتطور والتجدد، هو سنة من سنن الله فى الكون والوجود والظواهر، مادية كانت أو اجتماعية أو فكرية.. كان ذلك الوهم الذى توهمه البعض ـ تحت تأثير المناهج الوضعية الغربية ـ وهم وتوهُّم قيام التناقض بين «اكتمال الدين» وبين «التجديد» فى علوم هذا الدين!!..

فهل هناك حقًا تناقض بين «اكتمال» هذا الدين، وبين «التجديد» فى الدين؟..

إن أهمية هذه القضية تتأكد إذا نحن علمنا أن الذين يتوهمون وجود هذا التناقض ليسوا فقط الذين يتعصبون ضد الدين، فينحازون «للتجديد» الرافض للثبات والاكتمال فى الدين.. وإنما يتوهم ذلك، أيضاً نفر من أشد الناس تعصُّبًا للدين، فينحازون لثبات الدين واكتماله ضد «التجديد»!!.. الأمر الذى يستدعى البحث عن الحق، والكلمة السواء فى هذا الموضوع!..

عقيـــدة وشـــريعة

والذين يستعينون بمنهج الإسلام فى «الوسطية الجامعة»، وينظرون إلى هذه القضية بمنظارها، لم ولن يعرفوا هذه الثنائية الانشطارية، ولا التقابل والتضاد بين «اكتمال الدين وثباته» وبين «التجديد والاجتهاد فيه»..

إننا نتلوا فى آيات القرآن الكريم قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾

(المائدة: آية ٣)

ونقرأ فى السنّة النبوية الشريفة، قول رسول الله ﷺ: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» ـ رواه أبوداود ـ. فلا نشعر ـ إذا تسلحنا بالمنهج الإسلامى، ووسطيته ـ أن هناك تناقضًا بين اكتمال الدين، بتمام الوحى وختام النبوة، وبين التجديد الدائم أبداً لهذا الدين، الذى اكتمل بختْم الوحى وتمام القرآن الكريم..

ذلك أن الدين ـ كما أشرنا ـ: عقيدة وشريعة.. والعقيدة فيه هى الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر.. والشريعة فيه هى كل ما ينتهجه المسلم ويسلكه ويقيمه كى يعتقد هذه العقيدة ويتدين بها.. ولكل من العقيدة والشريعة أصول وقواعد ومبادئ وأركان، وهى جميعها قد اكتملت بتمام الوحى الذى اكتمل به الدين.. لكن الإنسان المسلم، بحكم خلافته عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى عمارة الأرض واكتشاف أسرار الكون وسياسة المجتمع وتنمية العمران، لابد له ـ وهو ينجز مهمة خلافته هذه ـ من إقامة أبنية أخرى «يبدعها» هو فوق هذه الأصول والقواعد والأركان والمبادئ، التى لا «ابتداع» فيها!.. فالإسلام، كما يقول الحديث النبوى الشريف: «بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصيام رمضان. وحجِّ البيت....» رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.. فهو، إذن، مبنى على هذه الخمس، وليس فقط، هذه الخمس!!.. وإنما هى القواعد التى بُنى عليها الإسلام، وفوقها ترتفع وتعلو أبنية الفروع، فروع هذه القواعد والمبادئ والأصول والأركان!..

وهذه الأبنية ـ الفروع للأصول ـ والتى تتغير وتتجدد وتتطور، تبعًا للمصالح الشرعية المعتبرة، ووفقًا لمقتضيات الزمان والمكان ـ إذا كانت متسقة مع مقاصد الأصول وغايات القواعد وفلسفة المبادئ وحدود الأركان ـ فهى تجديد فى نطاق وآفاق وتأثيرات هذه الأصول والقواعد والأركان... فالأصول الثوابت قد اكتملت

باكتمال الدين، بينما آفاقها وآثارها والفروع الباسقة والمنبثقة منها دائمة النمو والتغير والتطور، شاهدة على دوام التجديد، وعلى العلاقة بين هذا التجديد وبين الثوابت المكتملة من الأصول والقواعد والمبادئ والأركان..

لا اجتهاد في الأصول

ولوضوح هذه الحقيقة من حقائق المنهج الإسلامي، كان اتفاق مذاهب الفكر الإسلامي على امتناع الاجتهاد في الأصول، ففيها وعليها قامت وحدة الأمة، منذ اكتمال الدين بختم الرسالة.. وكان اتفاقها، كذلك، على أن الاجتهاد الإسلامي مجاله «الفروع».. فهو، عندئذ، يمد فروع الأصول إلى المستجدات من الوقائع والأحكام.. ويُحل أحكامًا جديدة - أي فروعًا جديدة - محل أحكام تجاوزها الواقع الذي تغير، والعُرف الذي تطور، والعادات التي تبدلت.

عدلت «عندما تكون هذه الأحكام ذات علل غائية تدور معها وجودًا وعدمًا»، بل إن هذا الاجتهاد والتجديد إنما ينهض بدوره الدائم في الكشف عن جوهر الأصول والقواعد والمبادئ والأركان وتجليتها إذا علاها غبار الابتداع فطمس معالمها بالزيادة أو الانتقاص أو التحريف أو فاسد التأويل.. ففي الأصول، وللقواعد - أيضًا - تجديد.. بهذا المعنى... وهو الذي جعل حديث رسول الله ﷺ يتحدث عن «تجديد الدين»، وليس فقط تجديد «فكر المتدينين بالدين»!..

فليس «التجديد»، إذن، نقيضًا لاكتمال الدين وثباته»، بل إنه السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته إلى الميادين الجديدة، والأمور المستحدثة، والضمان لبقاء «الأصول» صالحة دائمًا لكل زمان ومكان.. أي أنه هو الضمان لبقاء الرسالة الخاتمة خالدة الخلود الذي أراده الله، ولولا مدُّ «التجديد» الفروع الجديدة إلى الجديد من المحدثات، وإقامته الخيوط الجديدة بين الأصول الثابتة وبين الجديد الذي يطرحه تطور الحياة.. ولولا تجديده الدائم الذي يجلو الوجه الحقيقي والجوهر النقي لأصول الدين وثوابته.. لولا دور «التجديد» هذا في حياة الإسلام ومسيرته لنسخت وطمست هذه الأصول، إما بتجاوز الحياة الممتدة لظل الفروع الأولى والقديمة، فيعرى هذا الامتداد الجديد من ظلال الإسلام، أو بتشويه البدع - عندما تتراكم - لجوهر هذه الأصول..

«فالتجديد»، إذن، هو السبيل لاستمرارية - أي ثبات - الدين الكامل، وليس نافيًا لثبات واكتمال هذا الدين!!..

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد تعهد بحفظ القرآن الكريم وصيانته عن التحريف والتبديل - وفيه جماع أصول الدين - فقال:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
(الحجر: آية ٩)

فإنه - سبحانه وتعالى - قد يسر للمسلمين أسباب ذلك الحفظ، فكان جمعه وتدوينه وخدمته بعلوم القرآن.. وكذلك كان الحال مع الدين الخاتم والرسالة العامة، التي عنى ختم الرسالات بها إرادة الله دوام بقائها وعطائها إلى أن يُعرِض البشر على بارئهم يوم الدين.. فكان السبيل إلى دوام بقاء هذا الدين وعطائه ووفائه بحاجات البشر المتجددة، هو إعمال سنَّة «التجديد» للدين..

هكذا جمعت الوسطية الإسلامية، وتجمع بين «اكتمال الدين» وبين «تجديده»، الأمر الذي ربط - في الفكر الإسلامي، والمسيرة الحضارية الإسلامية.. بين «السلفية» وبين «التجديد»!!..

فالسلف هو الماضي، والمرجع، والجذور، والمنابع الأولى والجوهرية والنقية لديننا وحضارتنا.. والتجديد هو جلاء الوجه الحقيقي لهذه الأصول، بتنقيتها من البدع والابتداع، وهو، أيضًا، مد الفروع الجديدة - والنابعة من هذه الأصول - لتظلل الميادين الجديدة، ولتضبط الواقع الجديد بضوابط هذه الأصول..

ونحن إذا نظرنا إلى ذاتنا الحضارية بمنهجنا الإسلامي هذا فسنجد أن في «سلفيتنا» الإسلامية - وهي التي تعني: العودة إلى الأصول الجوهرية والنقية لديننا وحضارتنا - سنجد أن في هذه «السلفية» «اجتهادًا» يميز بين الجوهر - جوهر الوضع الإلهي للدين - وبين الإضافات والنواقص والبدع التي طرأت وعدت على جوهره وأصوله.. وسنجد أن في «اجتهادنا» - الذي هو استنباط الأحكام الجديدة للواقع الجديد - سنجد أن في هذا «الاجتهاد»: «سلفية»، تستحضر الأصول والمبادئ والمقاصد، لنرى الواقع الجديد في ضوئها، ونستخرج له منها الأحكام الجديدة، ونقيم على قواعد الأصول ما يتسق معها من بناء جديد!..

ففي «السلفية»: تجديد.. وفي «التجديد»: سلفية.. وكل المجددين في مسيرتنا الحضارية - بهذا المفهوم وهذه المعايير - كانوا سلفيين!!..

سلفيتنا التزام بالأصول

إن سلفيتنا ليست هي «الأرثوذكسية» المسيحية، التي وقفت وتقف عند قديم الأصول، وقفة جمود وسكون، رافضة للجديد والتجديد، وإنما سلفيتنا التزام بالأصول وعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية.. ورفض ونقض لركام الإضافات والنواقص والبدع والتحريف عن الجوهر الإلهي للدين، وذلك حتى تُنبت أصوله الفروع الجديدة التي يستظل بها الواقع الجديد.. واستضاءة وإضاءة للواقع المعاصر بهذا الجوهر الإلهي الثابت.. فهي، إذن، عين التجديد، وليست مقابلاً له ولا نقيضًا!..

وإذا كان «مفهوم التقدم» قد ظهر في الحضارة الغربية كثمرة لثورة «الوضعية - العلمانية» على اللاهوت الكنسي للمسيحية الغربية، وكنقض وتجاوز «للثبات» الذي فرضه هذا اللاهوت على المتغيرات الدنيوية.. فإن «التقدم» و«التجديد» بمبادئهما، في الإسلام وحضارته، هما سنة وقانون من سُنن الله وقوانينه في الأكوان والمجتمعات، لا تناقض بينهما وبين اكتمال الإسلام وثبات أصوله، بل إنهما - كما رأينا - السبيل إلى إعمال هذا الدين الثابت الكامل، دائمًا وأبدًا، في هذه الحياة!..

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

[الأحزاب : ٢٣]

عبدالحميد الثانى

السلطان الذى فقد عرشه من أجل فلسطين

للشيخ/ صديق بكر عيطة

يسجل التاريخ كثيراً من الصفحات المشرقة، التى كتبها أبطال الإسلام بعزيمتهم الصادقة وإيمانهم العميق، ورجولتهم التى لم تلن لها قناة أمام بغى الباغين، وعتو العاتين الظالمين.. ومن هؤلاء الأبطال الذين يذكرهم التاريخ الإسلامى، ويرفعهم مكاناً علياً، ويضعهم بكل احترام وإجلال فى مصاف الأبطال، الذين ضحوا - راضين - بأغلى ما يملكون، السلطان عبدالحميد الثانى، الذى حكم الخلافة العثمانية فى أحرج فترات التاريخ، التى مرت بها، وهى الفترة التى اصطلح المؤرخون - شرقاً وغرباً - على تسميتها «الرجل المريض».

هذا الرجل وقف فى وجه الصهيونية العالمية كالطود الشامخ، يصارع وحده أمواجها العاتية، وأطماعها التاريخية، إلى أن سقطت خلافته تحت مطارق المؤامرات الدنيئة التى دبرت له من الداخل والخارج خدمة أعداء الإسلام.. ولو شاء هذا الرجل لظل فترة طويلة يرفل فى أثواب الخلافة؛ لكنه وجد نفسه بين خيارين لا ثالث لهما: إما أن يبيع فلسطين بملايين الليرات التركية، التى يخصص جزء كبير منها لحسابه الخاص، أو أن يترك عرشه ويرحل. لكنه اختار الثانى بعد أن تكالبت عليه مخالب الصهيونية العالمية، التى خططت فأحكمت التخطيط متعاونة فى ذلك مع المتربصين به فى الداخل والخارج. فماذا كان من أمر هذا الرجل الفذ الذى يعد أنموذجاً للقائد المسلم، الذى يجب أن يتعلم منه الكثير من قادة المسلمين ومن بيدهم اتخاذ القرار فى عصرنا الذى نعيش فيه.. حيث رأى هذا الرجل الحر بثاقب فكره أن عرشه الذى يتربع عليه، وهو خليفة المسلمين ومحط أنظارهم، ومعقد آمالهم، يصغر كثيراً فى عينيه أمام هذه الأمانة الكبرى، التى ولاه الله - عز وجل - رعايتها، وحمله مسئولية المحافظة عليها..!! فكان أن فقد عرشه هذا دون أن يفرط فى شبر واحد من أرض فلسطين، وقدسها الشريف، مسرى رسول الله ﷺ ومعراجه.

عداء شديد للإسلام

ولكن تعالوا بنا، نتعرف على الجو العام، الذى كان يحيط بهذا الرجل، وحقيقة الصراع الذى خاضه فى ثبات وصبر لحماية فلسطين من أن تقع فى يد اليهود الغادرين..

من المعروف تاريخياً، أن اليهود يكنون العداء الشديد للإسلام منذ ظهوره، وبعد أن أجلاهم الرسول ﷺ من الجزيرة العربية، لخياناتهم المتكررة ونقضهم العهود مرة بعد مرة؛ ومنذ ذلك الحين وهم يكيدون للإسلام سراً وجهراً لا يفترون ويتربصون به بغية القضاء عليه..

ويمر التاريخ قرناً بعد قرن، إلى أن يأتى عصر الخلافة العثمانية، فإذا بمكائدهم لاتزال تتوالى، وأطماعهم لاتزال تتسع، ويلمس ذلك السلطان سليم الأول.. ثم السلطان سليمان، ويصدر كل منهما العديد من الفرمانات بمنع اليهود من تحقيق أطماعهم.. ويصل قطار الأحداث إلى الفترة الأخيرة من حكم الدولة العثمانية، لتبدأ فكرة إنشاء الوطن القومى لليهود على أرض فلسطين، على يد الحاخام اليهودى «شبتاى زيفى»، الذى أسس فرقة يهود «الدونمة»[1] وتزعم الدعوة إلى مذهب جديد يقوم على الإيمان بعودة المسيح، الذى أظل زمانه - فى زعمهم - بل ادعى هذا الأفاق، أنه هو المسيح المنتظر نفسه، وأنه سيحكم العالم من فلسطين.. ولما كانت فكرة المسيح المنتظر ذائعة ومشهورة فى بعض بلاد الشرق، وفى أوروبا وبخاصة فى المجتمعات اليهودية..

ذاع أمر «شبتاى»، الذى قام بدوره بتقسيم شعوب الأرض إلى ثمانية وثلاثين جزءاً، وأقام

(1) كلمة «الدونمة» مشتقة - فى مفهومها اللغوى - من كلمة «دونمك» التركية وهى تعنى: الرجوع، أو العودة، أو الارتداد... وهى بعد ذلك ذات معانٍ متعددة: اجتماعية، دينية، سياسية... إلخ. ولكن المعنى الذى يهمنا الآن فضلاً عن معناها اللغوى أنها - أى الدونمة - أصبحت علماً على يهود الأندلس الفارين من ظلم محاكم التفتيش إلى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الإسلام ليكيدوا له من داخله.

على كل جزء منها حاكماً يعمل تحت سلطانه.. وانتشر أمر هذا الرجل وجماعته في الدولة التركية، بعد أن ظل يعمل سراً لهدم الإسلام، ونشر مذهبه اليهودي بين المسلمين، فقُبض عليه وتمت محاكمته، وكاد يُشنق، لولا أن تدخل أحد علماء المسلمين، وبيّن أنه إذا أُعدم فسينتشر أمره، ويزعم اليهود أنه صعد إلى السماء، فحُكم عليه بالسجن، وظل به مدة طويلة، إلى أن أعلن إسلامه، وطلب من السلطات التركية إطلاق سراحه، ليدعو اليهود إلى الإسلام، فأُطلق سراحه.. وبعد أن رأت السلطات التركية أنه عاد إلى سيرته الأولى، وأنه اتخذ من الإسلام ستاراً يعمل من ورائه على نشر اليهودية، والدعوة إلى مذهبه، تم القبض عليه مرة ثانية ونُفي إلى مدينة «دولسجنو» في ألبانيا، وذلك في صيف (١٦٧٣ م)، وتوفي بعد ذلك بخمس سنوات، وظلت دعوته هذه سارية المفعول لدى فرقة (سالونيك)، وتفنّن أتباعه في ممارسة المكر والتعصب، والتجرد من المبادئ والأخلاق[٢].

ليحتفظ اليهود بأموالهم

وكان السلطان عبدالحميد الثاني من أعرف الناس بنشاط هذه الفرقة المعادية للإسلام، وبأهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها، ولذلك فقد حصرهم وحاصرهم في ولاية «سالونيكا»، ومنع وصولهم إلى الآستانة؛ حتى لا ينتشر شرهم في البلاد ويعظم خطرهم.

وتصادف أن كانت الدولة العثمانية آنذاك تمر بمشاكل مالية كبيرة، وتوالت عليها الديون للدول الأوروبية التي فرضت من جانبها مراقبين ماليين على الدولة العثمانية ضماناً لسدادها، فانتهز اليهود هذه الفرصة الذهبية، وأرسلوا ثلاثة منهم، وفيهم اليهودي «مزراحي قراصو» لمقابلة السلطان عبدالحميد، الذي كان قد منع دخول اليهود إلى أرض فلسطين بموجب عدد من المراسيم، وطلب هؤلاء الثلاثة منه «إباحة دخول اليهود إلى فلسطين للزيارة، ثم السماح لهم بإنشاء مستعمرة، ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة؛ وفي مقابل ذلك، يقوم اليهود بسداد ديون الدولة، وتيسير القروض لها، وتقوية جيشها..

«وحينما سمع السلطان عبدالحميد هذه المطالب من رئيس كُتّابه قال له:

قل لهؤلاء الثلاثة الوقحين:

ـ إن ديون الدولة ليست عاراً عليها، لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة، ولا يضيرها ذلك.

ـ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مرة «عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

ولست مستعداً أن أتحمل وصمة بيع الأراضي المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العليّة لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بُنيت بأموال أعداء الإسلام.

ـ وأخبرهم أن يخرجوا، وألاّ يحاولوا مقابلتي، أو الدخول في هذا المكان بعدها»[٣]

تيودور هرتزل

ثم يأتي دور زعيم حركة الصهيونية العالمية الأكبر «تيودور هرتزل» الذي بدأ العمل الفعلي لإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين.. واستطاع أن يجمع من حوله المؤيدين له من الدول الأوروبية مثل: «ألمانيا وبريطانيا وفرنسا» حيث جعل من هذه الدول وغيرها قوة ضغط على الدولة العثمانية؛ تمهيداً لمقابلة السلطان عبدالحميد، وطلب فلسطين منه، ولكن دون جدوى.. منتهزاً فرصة معاناة الدولة العثمانية من المشاكل المالية المعقدة التي أشرنا إليها آنفاً..

وكانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام «هرتزل» كي يؤثر على سياسة عبدالحميد الثاني تجاه اليهود. وفي هذا الصدد يقول «هرتزل» في مذكراته: لا علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا، مليونان ثمناً لفلسطين، والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيداً للتخلص من البعثة الأوروبية، ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها».

واستمرت محاولات «هرتزل» لمقابلة السلطان عبدالحميد، واستعان في ذلك بعدد من أصدقائه، وممن يتحدث إليهم السلطان، ولكن دون جدوى، وممن توسط «لهرتزل» لدى عبدالحميد «نيولنسكي» رئيس تحرير «بريد الشرق»، الذي جرت بينه وبين السلطان محاورة، وقال له السلطان فيها: «هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين؟» أجاب نيولنسكي قائلاً: «تعتبر فلسطين هي المهد الأول لليهود؛ وعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة إليها» ورد السلطان قائلاً: «إن فلسطين لا تعتبر مهداً لليهود، وإنما تعتبر مهداً لكافة الأديان الأخرى»

أجاب نيولنسكي قائلاً: «في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود، فإنهم سيحاولون الذهاب وبكل بساطة إلى الأرجنتين».

ليست ملكي.. بل هي ملك لشعبي!!

وقام السلطان بإرسال رسالة إلى «هرتزل» بواسطة صديقه نيولنسكي جاء فيها: «انصح صديقك هرتزل، ألا يتخذ خطوات جديدة

(٢) اقرأ كتاب «الدولة العثمانية» للدكتور علي محمد محمد الصلابي ص ٤٦٥ وما بعدها ـ مؤسسة أم القرى للترجمة والنشر والتوزيع.

(٣) القدس والوعد المفترى ـ للشيخ محمد السيد الشناوي، نقلاً عن كتاب «صحوة الرجل المريض» لموفق بني مرجة ص ٢٦٦ بتصرف يسير

حول هذا الموضوع، لأنى لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضى المقدسة، لأنها ليست ملكى، بل هى ملك شعبى، وقد قاتل أسلافى من أجل هذه الأرض ورووها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملايينهم إذا مُزّقت دولتى من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل، ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولا فى جثتنا ولكن لا أوافق على تشريح جثتى وأنا على قيد الحياة (٤).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن اليهود كانوا قد أعلنوا السلطان عبدالحميد أنهم مصرّون على الاستيلاء على فلسطين، إن لم يكن بالمفاوضات بينهم وبينه، وفى مقابل الثمن، فسيستولون عليها بدون الثمن بعد خلعه، وهو ما حدا بالسلطان أن يقول هذه العبارة الأخيرة، التى بعث بها إلى هرتزل مع صديقه نيولنسكى.

وإمعانًا من السلطان العثمانى فى منع اليهود من الهجرة إلى فلسطين واستيطانها أرسل إلى متصرف القدس(٥) والسلطات العثمانية فى «بيروت» و«اللاذقية» و«حيفا» برقيات بمنع أى يهودى من روسيا وأوروبا وأمريكا وغيرها من أن تطأ قدمه أرض فلسطين، وكان ذلك فى عام (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م).. وفى العام التالى (١٣٠١ هـ - ١٨٨٣) قرر مجلس الوزراء العثمانى هذا المنع بحزم، وتم إبلاغ البعثات الدبلوماسية فى الأستانة بذلك (٦).

واستمر هرتزل فى محاولاته، ولم ييأس من مقابلة السلطان عبدالحميد إلى أن نجح بعد سنتين فى تحقيق مسعاه (١٨٩٩ - ١٩٠١ م) ولمدة ساعتين فقط «وقد اقترح هرتزل قيام البنوك اليهودية الغنية فى أوروبا بمساعدة الدولة العثمانية، لقاء السماح بالاستيطان فى فلسطين، بالإضافة إلى ذلك فإنه قد أكد لعبدالحميد أنه سوف يخفف الديون العامة للدولة العثمانية، وذلك منذ عام (١٨٨١ م) وقد وعد «هرتزل» عبدالحميد أن يحتفظ بمناقشته السرية معه.

كان السلطان عبدالحميد فى خلال مقابلته مع «هرتزل» مستمعًا أكثر منه متكلمًا، وكان يُرخى لهرتزل فى الكلام كى يدفعه أن يتحدث بكل ما يخطر فى مخيلته من أفكار ومشروعات ومطالب وقد أدى هذا الأمر إلى أن يعتقد هرتزل بأنه نجح فى مهمته هذه، ولكنه أدرك فى نهاية الأمر أنه أخفق مع عبدالحميد، وأنه يسير فى طريق مسدود معه (٧).

(٤) عن كتاب «الدولة العثمانية» د. على محمد محمد الصلابى ص ٤٧٠، ٤٧١.
(٥) متصرف القدس، هو القائم على إدارة شئون القدس من قبل السلطان عبدالحميد، والذى يتبع الباب العالى مباشرة، وهو المسئول عن المحافظة عليها ضد أطماع اليهود.
(٦) القدس والوعد المفترى، للشيخ محمد السيد الشناوى.
(٧) د. على محمد محمد الصلابى فى «الدولة العثمانية» ص ٤٧٣.

الاتحاد والترقى

وهنا يئس اليهود من نتيجة المحاولات التى يبذلونها مع الخلافة العثمانية.. فقرروا التخلص منها نهائيا؛ فلجأوا إلى حيلتهم التى يجيدونها أكثر من أى جنس بشرى آخر على وجه الأرض، وهى تكوين الجمعيات السرية فى الداخل والخارج لمناهضة الخلافة العثمانية، وإسقاط نظام السلطان عبدالحميد ليخلو لهم الطريق.

وبدأت الصهيونية العالمية تسهم فى تكوين جمعية الاتحاد والترقى، وتعاونت معها فى خلق الاضطرابات والبلبلة فى داخل الدولة العثمانية وبين صفوف الجيش، ومما خططت له أحداث (٣١ أبريل ١٩٠٩) التى وقعت فى استانبول، وترتب على إثرها اضطراب كبير قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقى، وقد حدث هذا الاضطراب الكبير فى العاصمة بتخطيط أوروبى يهودى مع رجال الاتحاد والترقى، وتحرك على أثره عسكر هذا الاتحاد من سالونيك، ودخلوا استانبول، ثم وجهت إلى السلطان عبدالحميد التهم التالية:

- تدبير حادث ٣١ أبريل.
- إحراق المصاحف.
- الإسراف.
- الظلم وسفك الدماء.

وذلك بالرغم من أن هذه الجمعية التى وجهت إليه هذه الاتهامات كانت تضم بين أعضائها النصارى واليهود والماسونيين، وقد تبنّت الأفكار الأوروبية المناهضة للإسلام والفكر الإسلامى، لكنها استغلّت الدين فى مخاطبتها للناس بهدف التأثير فيهم، وكسب أنصار لهم فى معركتهم ضد السلطان عبدالحميد الثانى، ونجحوا فى ذلك(٨).

فتوى بإقالة السلطان!!

ومع أن التحقيق العلمى الدقيق يثبت أن السلطان عبدالحميد برئ من هذه التهم جميعها، فقد استصدر أعضاء هذه الجمعية فتوى عن طريق الترغيب والترهيب بإقالة عبدالحميد من عرشه، وقد وضح السلطان هذه العلاقة المشبوهة بين الصهيونية والماسونية وأعضاء هذه الجمعية فى رسالة وجهها إلى الشيخ محمود أبى الشامات شيخه فى الطريقة الشاذلية بعد خلعه وذلك فى سنة (١٣٢٩ هـ) جاء فيها:

«إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على أن أصدق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصرارهم، لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيرا وعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبا، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعى:

(٨) اقرأ كتاب «الدولة العثمانية» د. الصلابى، المبحث الخامس «الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد الثانى».

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعيّ؛ لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلم أسود صحائف المسلمين». وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى «سالونيك»، فقبلت بهذا التكليف الأخير. وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل أن ألطخ العالم الإسلامي بهذا العار الأبديّ الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين»[9].

الماسونية

واعتبر اليهود والماسونيون هذا اليوم عيداً لهم، وابتهجوا به، وساروا بمظاهرة كبيرة في مدينة سالونيك، ولم يكتف الماسونيون بذلك، بل طبعوا صورة هذه المظاهرة في بطاقات بريدية لتباع في أسواق تركيا العثمانية ولمدة طويلة. لقد كان الاتحاديون يفتخرون دائمًا بأنهم ماسونيون، وقد أدلى «رفيق مانياس زاده» بتصريحات إلى صحيفة تمبس الفرنسية في باريس عقب نجاح انقلاب حركة الاتحاد والترقي حيث جاء فيها: «لقد كان للمساعدات المالية والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الإيطالية، التي أمدتنا بالعون العظيم أثر في نجاحنا نظرًا لارتباطنا الوثيق بها»[10].

وبعزل هذا الرجل، طويت صفحة من أمجد صفحات التاريخ، ملأها الرجل بإصراره العجيب، وبعزيمته التي لم تضعف، وإيمانه العميق بقداسة هذه الأرض الطيبة، التي بارك الله من حولها، فليتنا حافظنا على ما حافظ عليه، وليتنا وقفنا وقفة، رجل واحد لنطهّر هذه الأرض من رجس الغاصبين، والذي لاشك فيه أننا نملك من إمكانات الدفاع والتحرير أضعاف ما كان يملكه هذا السلطان العظيم.. حينما كان يقف وحده في الميدان يصارع الصهيونية العالمية وتصارعه، ولو أننا فعلنا ذلك، لانقلبت الصورة رأسًا على عقب..

وفق الله حكام المسلمين إلى ما يرضيه عنا وعنهم، ويحقق آمال أمتنا، والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

من أقوال السلطان عبد الحميد الثاني

- أعادي أماني اليهود، وأطماعهم في فلسطين..

- لماذا نترك القدس..؟ إنها أرضنا في كل وقت.. وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية.. لابد أن تظل القدس لنا.

- علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضًا تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير؛ ولذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم..!!

(9)، (10) د. على محمد محمد الصلابي «الدولة العثمانية» ص ٤٨٧.

أمراض تحتاج إلى علاج

للدكتور/ حمدى فتوح والى

نظرت فى أحوال الأمم وثقافاتها، وتأملت طبائع الثقافات ونتائجها: فما وجدت أوسط ولا أعدل ولا أرق ولا أحكم من ثقافة الإسلام وأثرها فى تهذيب المشاعر، وتعميق العقائد، وترسيخ القيم، واحترام إنسانية الإنسان.

ولم أعجب لذلك عندما علمت أن كتاب هذه الأمة المقدس ودستورها الخالد يخاطب نبيها المرسل بقوله تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

وتأملت الآية الكريمة فإذا هي جامعة لكل صفات التوازن النفسي، والجمال الروحي والكمال الأخلاقي، من الرحمة واللين والعفو والاستغفار والمشاورة في الأمر.

وتخيلت مجتمعًا هذه صفاته، وتلك سماته، كيف يكون واقعه الاجتماعي والأخلاقي والسياسي؟! وهل يبقى في ظلال هذا التراحم الودود، جائع أو عار أو محروم، أو مظلوم؟!

وهل يبقى فى ظلال اللين والعفو مكروب أو مأزوم أو مكظوم؟ وهل يبقى مع نداوة الاستغفار والصفح الجميل مجال للتحاسد والتباغض والتشاحن وتبادل الهجوم؟

وهل يبقى مع التشاور الدائم لأهل الاختصاص والخبرة مساحة للتهور والمغامرة والفوضى والارتجال فى وضع الخطط وصناعة

القرار؟! تخيلت هذا المجتمع بهذه الصفات وتلك الأخلاقيات وقلت:

هل يمكن في ظلال مثل هذا المجتمع أن ترى حصاد الإجرام يزحم المقابر ويشغل المحاكم. ويملأ السجون. ويستنزف الميزانية. ويستحوذ على اهتمامات الوزارات المختلفة، ويفسد الضمائر ويعطل الإنتاج؟

لقـــد ثارت في خـــاطري كل هذه التساؤلات ولم أحتج إلى كد الذهن لأقدم الإجابات؛ لأن تاريخنا الناصع العظيم، وحاضرنا البائس الأليم ينهضان عني بالجواب عن كل هذه التساؤلات.. لكن يبقى سؤال واحد يحتاج من الأمة كلها أن تنهض للإجابة عنه في اهتمام واكتراث. وهو أن نتساءل ما الذي غاب عن حياتنا فأورثنا هذا الواقع الأليم؟!

إن ثقافة الشورى، وممارسة الحوار، وتبادل الرأي، وتقدير المواهب واحترام التخصص، وتقديم الكفاءات وإعطاء كل مواطن حقه في اختيار مستقبل بلاده، وتحديد صورة مجتمعه ووطنه هي أول الضرورات للخروج بالأمة من هذا النفق المظلم، وهذا المصير المخيف بعيداً عن التعصب الأعمى والتحزب الأحمق رجاء نفع مادي أو غرض دنيوي دون تقدير لما يحيط بكيان الوطن من مكائد وما يدبر له من مؤامرات.

إن سيادة أخلاق الجشع والأنانية والتسلق والمحسوبية وسعار التملك وحمى الاحتكار، لاتسود إلا حيث تغيب عن حياة الأمة أخلاق الرحمة واللين، والعفو والصفح، والتشاور والتغافر ولين الجانب وخفض الجناح. ومن يتأمل في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

يدرك أن الله - سبحانه وتعالى - يلفت تنبيه إلى أثر الرفق واللين والعفو والصفح في إصلاح حياة الأفراد والشعوب أكثر مما للشدة والعنف وإشاعة روح التوجس والخوف، وسن القوانين لمعالجة ما ينتج عن غياب الإنصاف والعدل، والرخاء وتكافؤ الفرص وضمان المساواة.

إن علاج أسباب الداء أولى وأحكم من علاج مظاهر المرض ونتائج الفساد وعلاج أدوائنا كامن في كتابنا وسنة نبينا:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾

(الزخرف: ٤٣، ٤٤)

وإذا كان المسلمون اليوم عاجزين عن تشخيص أمراضهم وعلاج أسبابها وحسم جذورها فإن الله - تبارك وتعالى - قد كفانا ذلك كله بقوله - سبحانه:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

وعندما أقرأ قول ربي سبحانه يخاطبنا بقوله:

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

(الأنبياء: ١٠)

ثم أجد الأمة المعنية بالخطاب في حالة ذهول وانصراف وغياب عن منحة الله لها وتفضله عليها ولا أجد وصفاً أليق بها ولا أدل على حالها من قول ربي سبحانه:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

إن هذه الحال المخجلة التي تعيشها أمتنا اليوم من التدابر والتنافر والتناحر والخصام وما تتخبط فيه من جهالة وضلالة وتشرذم وضياع، لا يمكن أن تكون حال أمة عاقلة أبداً. ومن هنا يدرك سر هذا التعبير الإلهي المعجز، الذي جاء في صورة استفهام تعجبي إنكاري «أفلا تعقلون».

وها أنا ذا أخاطب كل مخلص غيور من أبناء هذه الأمة يريد خلاصها ويعنيه أمرها، ويتمنى الخير والسعادة لها، أن يبدأ من حيث بدأ رسول الله ﷺ فيعمد إلى القلوب فيحييها بالإيمان، ويشفيها بالقرآن ويعمق فيها اليقين بالله والثقة فيه فلا تخاف إلا وجهه ولا ترجو أحداً سواه. ويوم نعيد تربية الأمة على الإيمان بربها، وتتضح في عقول أبنائها حقيقة علاقتها بالله، وما يستتبع هذه العلاقة من جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبرى التي تمثلها، وهي حقيقة وحدانية الله الذي له الخلق والأمر، ومنه النفع والضر، وبيده وحده الخير والشر، وكل شيء عنده بمقدار عندها يصلح كل ما يصدر عن هذه النفس المؤمنة فتغدو رحمة لكل من يتعامل معها، لأن العقيدة التي تستقر في أعماقها هي الرحمة الحقيقية.. رحمة للقلب، ورحمة للعقل، ورحمة بالحياة والأحياء، رحمة بما فيها من جمال وبساطة ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مباشر عميق مع الفطرة.

وهذه الرحمة التي يستمدها القلب من خالقه الرحيم، هي التي تنبثق منها العدالة الاجتماعية، التي تقبل عن طواعية ورضى ما يقضي به الله من عدالة في التوزيع وتكافل بين الجميع، ويستقر في قلب المعطي والآخذ أنه ينفذ نظاماً يرضاه الله ويرجو عليه الأجر والحسنى في الدنيا وفي الآخرة. فلا تمتلئ قلوب بالطمع، ولا تمتلئ قلوب بالحقد، ولا تسير الأمور كلها بالسيف والعصا.. وبالتخويف بقوانين الإرهاب! ولا تفسد القلوب وتختنق الأرواح كما يقع في كثير من بلاد المسلمين اليوم.

إيـــــران ومنطقة الخليج العربى

بقلم / صلاح عبد الرحيم محمد
باحث فى الشئون السياسية

تسيطر إيران على الشاطىء الشرقى للخليج العربى بالكامل وتقع عليه جميع دول الخليج العربية من الغرب، وهى السعودية، والكويت، والبحرين، وقطر، وعمان، والإمارات العربية المتحدة، التى تشكل مجلس التعاون الخليجى.

ويعتبر، مضيق هرمز، الذى تهيمن عليه إيران، المنفذ الوحيد على الخليج العربى، الذى تعبره أكبر ناقلات النفط، حاملة حوالى ١٨ مليون برميل يوميا إلى العالم الصناعى المتعطش لنفط الخليج. ويربط هذا المضيق الحيوى بين بحرين عامين هما بحر عمان والمحيط الهندى والخليج العربى الذى تقع عليه جميع الدول العربية الخليجية من الغرب، والعراق من الشمال، وإيران من الشرق. وتشارك الدول العربية الخليجية إيران فى حدود برية وبحرية طولها حوالى ٢١٦٠ كيلومترا.

وترجع أهمية الخليج العربى إلى أن أرضه تحوى ثلثى احتياطى العالم من البترول، الذى تتعلق به أنظار الدول الصناعية الغنية، ويبلغ نصيب إيران منه نحو ١٠٪. وتشكل الدول المطلة على الخليج وهى إيران والكويت والسعودية والبحرين وقطر والإمارات وعمان والعراق ١٠٪ من مساحة قارة آسيا التى تبلغ ٤٤ مليون كيلومترا مربعا.

مضيق هرمز وإمدادات البترول

واللافت أن ما استقر العرف الدولى عليه، أن مضيق هرمز الذى تسيطر عليه إيران، ويمر عبره ٣٠٪ من استهلاك النفط العالمى يوميا، يعتبر من المضايق الدولية التى يسمح فيها بالمرور البرئ لجميع السفن، التى تعبر خليج عمان إلى الخليج العربى وبالعكس، بوصفه ممرا دوليا للتجارة العالمية. ولاشك أن غلق هذا المضيق فى حال توجيه ضربة عسكرية لإيران من شأنه حرمان دول العالم من نفط الخليج.

وما دام الحديث موصولا عن منطقة الخليج العربى، فيجدر الإشارة إلى التركيب السكانى لدول هذه المنطقة العربية. ففى السعودية نجد أن عدد سكانها ٢٧ مليون نسمة، ٩٠٪ منها سُنّة و١٠٪ منها شيعة. وفى الكويت يبلغ عدد سكانها ٢,٤٢ مليون نسمة، ٨٥٪ من المسلمين (٧٠٪ سنة و٣٠٪ شيعة، و١٥ مسيحيون. وفى دولة الإمارات العربية المتحدة، يصل عدد سكانها إلى ٢,٦ مليون نسمة، ٨٠٪ سنة و١٦٪ شيعة و٤٪ مسيحيون وهندوس وآخرون. وفى البحرين يبلغ عدد سكانها ٦٩٩ ألف نسمة ٨١,٢٪ مسلمون (٧٠٪ من الشيعة و٣٠٪ من السنة) و٩٪ من المسيحيين و٩,٨٪ آخرون. وفى قطر يبلغ عدد سكانها ٨٨٥ ألف نسمة، ٩٥٪ مسلمون معظمهم من السنة، و٥٪ آخرون. وفى عمان يبلغ عدد سكانها ٣,١ مليون نسمة، ٧٥٪ أباضى مسلم و٢٥٪ سنة وشيعة وآخرون، وعلى الجانب الآخر فإن إيران تستغل عنصر القوة البشرية لديها (٧٠ مليون نسمة) وموقعها الجغرافى المتميز، وسيطرتها على مضيق هرمز، وإطلالها على منطقة الخليج التى تتمتع باحتياطيات بترولية هائلة (٧٣٠ بليون برميل)، لتعلب دورا إقليميا بارزا، خاصة بعد تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى المستنقع العراقى، وهو ما فتح الباب واسعا أمام طهران لتعزيز حضورها الإقليمى. ولاشك أن الاحتلال الأمريكى لكل من أفغانستان والعراق، أدى إلى إحكام الحصار المضروب على إيران، وفرض مزيد من العقوبات عليها والتلويح من جهة أخرى باستخدام خيار القوة العسكرية ضد طهران لإجبارها على تفكيك برنامجها النووى السلمى، خصوصا بعد الوجود العسكرى الأمريكى الكثيف فى منطقة الخليج.

التهديد الأمريكى.. والرد الإيرانى

ويرى كثير من المحللين أن إيران أمام هذا التهديد الأمريكى لن تقف، بطبيعة الحال مكتوفة الأيدى، إذ فى حال توجيه ضربة عسكرية ضد طهران من جانب الولايات المتحدة الأمريكية أو عبر إسرائيل، فسوف يستهدف الرد الإيرانى القواعد العسكرية الأمريكية فى بعض دول الخليج العربى، وحقول النفط والغاز فى دول الخليج، وكذلك الأسطول الخامس الأمريكى فى البحرين، وغلق مضيق هرمز وهو ما يضفى مزيدا من الأخطار على أمن الدول الخليجية العربية، وغيرها من دول المنطقة.

والجدير بالذكر – فى رؤية بعض المحللين – أنه لا يمكن تصور أى أمن فى منطقة الخليج من دون مشاركة إيران وبغداد ودول مجلس التعاون الخليجى الست فى تحقيقه.. ولقد أحسنت دول الخليج العربية صنعا حين رفضت صراحة توجيه أية ضربة عسكرية أمريكية أو إسرائيلية ضد المنشآت النووية الإيرانية؛ لأن الملف النووى الإيرانى لا يمكن معالجته باستخدام القوة العسكرية، بل بالحوار والتعاون الدولى، لتوفير بيئة خليجية آمنة، وفى هذا السياق فإن إيران تذهب إلى أن أى مشروع لأمن الخليج، لاتشترك هى فى وضعه مع دول الخليج الأخرى هو مشروع غير مُجْد، لأنه فى هذه الحالة لا يحقق الأمن لمنطقة الخليج بدون مشاركة إيرانية، ومن هنا تطالب طهران بتشكيل بنية أمنية بمشاركة إيرانية خليجية عربية، كما أن طلب إيران الانضمام إلى مجلس التعاون الخليجى، والانضمام إلى جامعة الدول العربية، دليل دامغ على سعى إيران إلى خلق تعاون إيرانى عربى، وإنشاء بيئة أمنية آمنة لمنطقة الخليج، ومن جهة أخرى تأكيد على عمق الجوار الجغرافى، والقرب الثقافى والحضارى بين العرب وإيران المسلمة. ويكاد يجمع المحللون على أن الخيار الأنسب للأمن الإيرانى العربى هو خيار الأمن الخليجى الذى يضم دول مجلس التعاون الخليجى الست، وإيران والعراق، فهو الخيار الأقل خسارة للجميع فى ظل هذه الظروف الإقليمية والدولية، كما أنه هو الإطار الفعال لمعالجة عدد من القضايا الضاغطة على أمن الخليج، أهمها وحدة العراق واستقراره، وتأمين تجارة النفط العالمية، والملف النووى الإيرانى، وقضية الجزر الإماراتية الثلاث التى تحتلها إيران منذ عام ١٩٧١، وتطالب دولة الإمارات العربية المتحدة باسترجاعها إلى السيادة الإماراتية. ومن جهة أخرى يرى كثير من المراقبين أن منطقة الخليج، ستبقى على حالها من التوتر، وانعدام الاستقرار، طالما استمرت القطيعة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، وانتهاج الأخيرة سياسة التهديد المتواصل والضغط على إيران، مرة بفرض مزيد من العقوبات الاقتصادية، ومرة أخرى بالتلويح باستخدام القوة العسكرية ضدها بسبب برنامجها النووى السلمى المثير للجدل، ناهيك عن الوجود العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج، والالتزام بضمان أمن إسرائيل فى المنطقة.

ولقد حذر أحد قادة الحرس الثورى الإيرانى – الذى صنفه مجلس الشيوخ الأمريكى مؤخرا ضمن قائمة الإرهاب – الولايات المتحدة الأمريكية من أن قواتها فى الخليج «فى مرمى الصواريخ

الإيرانية»، معتبرا «أن موقع إيران المهيمن فى المنطقة يحميها من أى هجوم»، كما قال «رضا أقازاده» رئيس المنظمة الإيرانية للطاقة الذرية، أمام المؤتمر العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية: «إن الدول الغربية اختارت، منذ أمد بعيد، طريق المواجهة بدلا من التفاهم والعلاقات الودية مع أمة إيران العظيمة»، وقال أيضا الجنرال «محمد حسن كوسهنش» أحد قادة الحرس الثورى الإيرانى فى غرب إيران: «تفيد الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تعرفت على ٢٠٠٠ هدف فى إيران والأكيد أن الأمريكيين الذين يحيطون بإيران، هم أيضا أهداف لنا»، وأضاف: «إذا كان الأمريكيون يحيطون ببلادنا، فإن ذلك لا يعنى أنهم يحاصروننا، فهم أيضا محاصرون وهم فى مرمى نيراننا»، والجدير بالذكر أن الخلل الذى حدث بأمن منطقة الخليج بسبب الوجود العسكرى الأجنبى بها، فرض على طهران أن تأخذ بأسباب القوة، وهو أمر طبيعى، لأية دولة فى ظروفها، لتحقيق هدفين رئيسيين:

الأول: أن يكون لها دور إقليمى فاعل لدعم الاستقرار والأمن لمنطقة الخليج، لأن فى استقرار هذه المنطقة استقرار لإيران.

والثانى: تحقيق أمنها القومى، والدفاع عن مصالحها فى منطقة الخليج.

البرنامج النووى الإيرانى

وفى هذا الصدد بدأت إيران تفعيل برنامجها النووى السلمى لإنتاج الطاقة الكهربائية.

غير أن الولايات المتحدة تذرعت بأن هذا البرنامج قد تحول فى المستقبل إلى الأغراض العسكرية، وهو ما يخل بتوازن القوى فى المنطقة ويشجع على سباق التسلح النووى، متجاهلة فى الوقت نفسه الترسانة النووية الإسرائيلية التى تهدد دول المنطقة بأسرها، وإذا كانت إدارة بوش الحالية قد عمقت المخاوف لدى دول الخليج العربية من البرنامج النووى الإيرانى، وزعمت أنه موجه فى الأساس لردع هذه الدول الخليجية، فإنه تخفيفا لهذه المخاوف قام الرئيس الإيرانى «محمود أحمدى نجاد» مؤخرا بجولة خليجية، بدأها بزيارة دولة الإمارات العربية المتحدة لتهدئة خواطر منطقة الخليج من البرنامج النووى الإيرانى، مؤكدا أنه مخصص لتوليد الطاقة الكهربائية وليس لإنتاج سلاح نووى، لأنه لا يفيد فى حل المشكلات الدولية. كما أعلن «نجاد» أنه بإمكان وفد من دول الخليج أن يزور بعض المنشآت النووية الإيرانية حتى تطمئن هذه الدول التى تراود شعوبها الشكوك بشأن أغراض هذا البرنامج النووى.

الاستراتيجية الثلاثية

واللافت فى هذا الصدد أن إيران – كما يرى البعض – ستعمد إلى حماية أمنها القومى بما يمكن تسميته «الاستراتيجية الثلاثية» التى تقوم على ثلاثة محاور رئيسة:

الأول: تعزيز التفاهم والحوار مع دول الخليج العربية.

والثانى: توسيع دائرة التعاون الاقتصادى مع كل من روسيا والصين، فى ظل التهديد الأمريكى المستمر لإيران، ومواصلة إنتاج الطاقة النووية للأغراض السلمية وهذا حق طبيعى لها.

والثالث: مواصلة موقفها المعادى للمشروع الصهيونى، أى عدم الاعتراف بالوجود الإسرائيلى فى فلسطين والتشكيك فى حقيقة المحرقة اليهودية، والدعوة إلى إقامة دولة لليهود فى أوروبا، وترك فلسطين للفلسطينيين، أصحاب الأرض الحقيقيين.

التبادل التجارى

ومن ناحية أخرى تشير الإحصاءات إلى أن حجم التبادل التجارى بين إيران والكويت بلغ ١٨٠ مليون دولار عام ٢٠٠٣، كما ارتفع حجم التبادل بين إيران والسعودية من ١٢١٨ مليون ريال خلال عام ٢٠٠٣ إلى بليون ريال عام ٢٠٠٤. وتعتبر الإمارات العربية المتحدة، حاليا أكبر شريك تجارى حيث بلغ حجم التبادل التجارى السنوى بينهما ١٠ مليارات دولار، مما يؤكد عمق العلاقات الإيرانية الإماراتية كما أن عدد الإيرانيين المقيمين فى دبى ارتفع جدا منذ عام ٢٠٠٣ خاصة بعد المواجهة الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية بسبب البرنامج النووى الإيرانى، ويشكل الإيرانيون المقيمون فى دولة الإمارات العربية المتحدة ٢٣٪ من إجمالى عدد الأجانب بها و٩٠٪ منهم يقيمون فى دبى وحدها، التى يوجد بها ٤٠ ألف شركة إيرانية يتجاوز رأسمالها أربعة بلايين دولار.

واللافت للنظر أن كلا من إيران والكويت بدأتا البحث فى مشروع نقل المياه الإيرانية إلى دولة الكويت من خلال مد أنبوب مياه يمتد من «سد كرنة» الإيرانى إلى منطقة الزور فى الكويت عبر مياه الخليج، ولهذا تعمل إيران بكل جهدها على استثمار العلاقات الاقتصادية مع دول الخليج العربية لتحقيق نوع من التقارب فى المواقف السياسية مع هذه الدول، خاصة فيما يتعلق بالملف النووى الإيرانى.

وعلى الرغم من عمق العلاقات الاقتصادية الإيرانية مع دول الخليج إلا أن ثمة بعض القضايا الخلافية بين الجانبين، أهمها:

أولا: قضية الجزر الإماراتية الثلاث وهى طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبوموسى، والتى استولت عليها إيران فى عصر الشاه، منذ الانسحاب البريطانى منها عام ١٩٧١، وتطالب دولة الإمارات باستردادها:

وثانيا: قضية الوجود العسكرى الأجنبى فى بعض دول الخليج، بدعوى حمايتها من المطامع الإقليمية لبعض دول الجوار، العراق فى السابق وإيران حاليا الذى يتمثل فى الخطر النووى الإيرانى، كما تزعم إدارة جورج بوش.

وثالثا: قضية الأقليات الشيعية فى دول الخليج التى تمثل أحد مصادر قلق حكوماتها والتى يقال إنها تدين بالولاء لشيعة إيران، وهو ما تسعى إلى تعميق الشعور به الإدارة الأمريكية الحالية، والهدف هو إحداث الفرقة بين المسلمين فى هذه البلدان.

الأقلية الشيعية

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية فى عهد بوش الابن تسعى إلى تعميق مزيد من القلق لدى دول الخليج من الأقلية الشيعية فى هذه البلدان، فإن طهران حرصا منها على تعزيز العلاقات الودية مع دول الخليج، وتهدئة مخاوفها خاصة من البرنامج النووى الإيرانى، قامت من جانبها بطرح ورقة: «إقامة منتدى للحوار بين العرب وإيران» بحيث يضم المنتدى فريقين للعمل:

الأول: إدارى ومالى، يتولى توفير سبل اللقاء وعمل الميزانية واتخاذ القرارات.

والثانى: فنى يقوم بإعداد اللجان المختلفة، والتنسيق بين موضوعاتها، وفوق ذلك إقامة غرفة للعمليات تكون متصلة بصورة مباشرة بالأجهزة المعنية لكلا الطرفين للتشاور، وإبلاغ التوصيات، وإنشاء «بنك مشترك للمعلومات» ولجان فرعية لتحقيق الحوار بين الجانبين، ولعل زيارة الرئيس الإيرانى «محمود أحمدى نجاد» لكل من دولة الإمارات وعمان مؤخرا، قد أسهمت فى إزالة المخاوف الخليجية التى تعمل أصابع خفية على تعميقها.

الوجود الأجنبى فى الخليج

وفى الختام يمكن القول بأن على إيران تبليغ «رسالة تطمين» إلى دول الخليج مفادها: «أن الآثار الناجمة عن تصاعد القوة العسكرية الإيرانية، لا يمكن أن تقارن بمدى الأخطار الناشئة عن الوجود العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج، من قواعد عسكرية وأسطول بحرى، وحاملات طائرات، وأكثر من ١٥٧١٧ جندى أمريكى، و٢٩ سفينة حربية من شتى الدول الأجنبية فى الخليج. ونتساءل هل كل ذلك لايشكل خطرا كبيرا على العرب بوجه عام، وعلى الدول الخليجية بوجه خاص، أكثر من الخطر الإيرانى المزعوم من جانب الولايات المتحدة الأمريكية؟.

***



الإسلام كبديل

تأليف

د. مراد هوفمان

تعريب

عادل المعلم

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

٥

إذا كان قولنا: (لقد أنار الله بصيرة فلان) من الأحكام الذهنية المطلقة، التي تحوج العاقل – في تقبلها – إلى استقراء ما يقدمه الواقع من مظاهر تقرر ذلك الحكم وتبرزه.. فإن قولنا: (إن الدكتور مراد هوفمان من الناس الذين أنار الله بصائرهم) يقرره من الواقع كثير من المظاهر الكاشفة التي تؤكد أنه بذل من الجهد والطاقة في مجال البحث عن الحقيقة ما أعانه على الوصول إليها، والتعرف عليها، فقد أبى إلا أن يجرد نفسه من كل المؤثرات المغرضة مما تكفل بطرحه من يعادون الإسلام، وإلا أن يرجع إلى هدى الله المهيأ لكل إنسان، والمتمثل في الوسائل الأصيلة التي تعرف بالإسلام من قرآن، وسنة نبوية، وأخبار متواترة. وإلا أن يمكن لنفسه من اللغة التي تعينه على اكتناه تلك الأصول، مستغلا بذلك كل أسباب الهداية التي منحها الخالق جل وعلا كل إنسان، دون تفرقة ولا تخصيص، فلم يكن إلا اهتدى، فأنار الله بصيرته، إذ اقتحم العقبة، فمزق ثوب ظلام الجهل الدامس، الذى نسجه رجال الكنيسة وقادة الحروب الصليبية والمستعمرون الغربيون منذ قرون.

أبعاد التسامح الإسلامي وآثاره

ففي الفصل الثامن (التسامح أم العنف) أدار الدكتور (هوفمان) حديثه حول مظاهر التسامح في الإسلام، أملا في أن يستوعب الغربيون مقولة: (الإسلام دين التسامح).

١ – وكانت حرية الاختلاف أول ما قدمه الدكتور من مظاهر التسامح الإسلامي، فذكر: أن القرآن يعترف بحتمية اختلاف الناس في المذاهب الفكرية والتشريعية، لصدور هذا الاختلاف عن فطرة التكوين، وليس الاختلاف فقط في اللون والعرق، واللغة. ولأن هذا الاختلاف الفكرى والتشريعي يطلق في الإنسان قدرات الإبداع، ويحقق فضيلة التنافس في الخير، حيث قال جل شأنه:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(المائدة: ٤٨)

ولفت النظر إلى: أن الكنيسة الكاثوليكية – على خلاف الإسلام – تقف في وجه هذا المظهر من مظاهر التسامح، فعقيدة الكنيسة الكاثوليكية تقرر: أنه (لا خلاص خارج الكنيسة).

٢ – وحرية العقيدة تمثل المظهر الثاني للتسامح الإسلامي، حيث إن نحو قوله عز وجل مخاطبا رسوله ﷺ:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

يقرر: قصر تكليف الرسول على قول الحق وإظهاره، وإناطة الإيمان والكفر بمشيئة الإنسان.

وانطلاقا من حرية الاعتقاد هذه.. جاء نهي الإسلام عن التبشير العدواني الذى تمارسه البعثات المسيحية، فنبه الرسول إلى أن دوره مقصور على الإنذار، فقال:

﴿ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ﴾

(هود: ١٢)

ورسم له طريق الدعوة القائمة على التسامح، فقال:

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

(آل عمران: ٢٠)

٣ – وحرية التفكير تمثل المظهر الثالث من مظاهر التسامح الإسلامي، حيث يدعو القرآن في كثير من سوره إلى التفكر في آيات الله، والتدبر في أحوال الكون باستخدام العقل وسائر الحواس، وينهى عن الترديد الببغائي للنصوص.

العنف والإرهاب غريبان عن الإسلام

أما ما نراه من ميل لعنف بعض المسلمين تجاه من يرتد عن الإسلام، فهو من ألوان الإرهاب السياسي والمذهبي الشائع في شتى المجتمعات الإنسانية على مدى التاريخ، وليس للإسلام علاقة به، كما أنه ليس للمسيحية علاقة بأتباع نظرية «لاهوت التحرر» في أمريكا اللاتينية، ولا حرب العصابات في شمال أيرلندا، ولا الجيش الأحمر في ألمانيا، ولا الألوية الحمراء في إيطاليا.

ومن هنا .. يتقرر أن الأوامر القرآنية بالتسامح، وقبول الخلافات الفكرية والمذهبية تسرى على المسلمين بعضهم مع بعض، كما تسرى على غير المسلمين كذلك، فيجب على كل مسلم أن يقيم العدل والحق فى محيطه.

الدولة الإسلامية والغرب

وفى هذا الفصل (الدولة الإسلامية) أوضح الدكتور هوفمان مدى الاختلاف بين الإسلام والغرب فى نظرية الدولة، فذكر: أن نظرية الدولة فى الغرب قائمة على فصل الدين عن الدولة، سواء أطلق هذا الفصل فى الظاهر المعلن كما فى فرنسا، أو قيد الفصل كما هو الحال فى معظم أوروبا الغربية وأمريكا، حيث صرح فيها بالتعليم الدينى، وبالصلاة فى المدارس، ومراعاة المناسبات الدينية، وصلوات الأحد والإجازات، إلى اشتراط عدم تدخل الدين فى أمور الدولة لقيام نظام ديمقراطى متعدد الأحزاب، قائم على فصل السلطات.

أما فى الدولة الإسلامية فينادى فيها: بأن الإسلام دين ودولة تقوم على الشورى، فإن آيات القرآن تتكلم عن إنسان شامل، عليه أن يفكر ويتكلم، ويعمل، ومحوره فى كل حياته إقامة الدين، ولذلك.. يعتقد المسلمون أن مبدأ الغرب فى نظرية الدولة وهم، وخداع، إذ الواقع يقرر: أن الدولة لا يمكن أن تخلو من مذهب، حتى فى اختيار العلمانية، لأن العلمانية نفسها مذهب، ويقرر: أن محاولة فصل الدين عن الدولة لن يؤدى إلا إلى حالة انفصام فى شخصية الناس، فالمؤمن الحقيقى لا يستطيع أن يخلع إيمانه ويعلقه على المشجب فور دخوله مكان عمله.

مبادىء النظرية الإسلامية للدولة

وذكر: أنه يمكن استخراج ثلاثة مبادىء رئيسية من القرآن خاصة بالدولة تتمثل فى:

١- تولى فرد واحد رئاسة الدولة ـ وليس نخبة أو جماعة ـ يقوم بدور خلافة الرسول، وليس ممثلا لله، كما هو الحال فى المفهوم البابوى.

٢- خضوع ممارسة التشريع والتنفيذ لمبدأ الشورى.

٣- كون رئيس الدولة مسلما، لكى تتفق كل التشريعات مع الشرع الذى يعد الدستور الأعلى للدولة.

ويرى الدكتور: إمكان استنتاج مبدأ ديمقراطى - بطريق غير مباشر - من المبادىء السابقة، ومن حقوق الأمة، وتأكيد القرآن حضه على إقامة الحق، والعدل، وتكرير ذلك التأكيد، وإلزامه الشورى.

ويوضح الدكتور: كيف إن ديمقراطية الإسلام لا تعنى سيادة مطلقة لإرادة الشعب، لأن البرلمان الإسلامى يتبع الدستور - مثل أى برلمان آخر - وهذا الدستور لا يخالف الشريعة، وفى داخل هذا الإطار الواسع من

عدم مخالفة الشريعة يتحرك البرلمان، ويشرع فى كل مجال، فالقرآن يفسح بمرونة كبيرة مجالا واسعا للعقل البشرى، كى يعمل فى صالح الأمة.

كما إن تاريخ المسلمين الأوائل يقرر: أن التأويل والتنظير التقليدى للإسلام يسمحان بأشكال مختلفة من الحكومة ـ بما فى ذلك النظام الملكى ـ مادام هذا يستند إلى إجماع رسمى أو غير رسمى، فمازال شخص الحاكم الطيب والعادل يراود المسلمين، خاصة السلفيين الجدد.

ومن هذا المنطلق.. يجب أن يكون معلوما: أن الإسلام لم يطلب إقامة دولة دينية - بمعناها الغربى - يقبض فيها علماء الدين على السلطة السياسية، فلا يوجد فى القرآن آية واحدة تذكر ذلك.

ومن هنا.. كرر الدكتور (هوفمان) قوله: إن مبدأ «دين ودولة» يفترض عملين مختلفين، يتم التنسيق والتوفيق بينهما طبقا لروح الإسلام، فهما عملان مختلفان يقوم بكل منهما أصحاب الاختصاص فيه.

القواعد الرئيسية للاقتصاد الإسلامى

وتحت عنوان (اقتصاد السوق فى الإسلام) أوضح الدكتور «هوفمان» مدى شمولية النظام الإسلامى، فذكر: أن الإسلام يوجه الإنسان فى المجال الاقتصادى، كما يوجهه فى المجالات الأخرى، وبالنهج نفسه الذى يقوم على تقرير القواعد الرئيسية الكلية للنظام، فاهتم بكل أدوار البشر فيه - من منتج، وموزع، ومستهلك - دون أن يُشغل بدور أحدها على حساب دور الآخرين، ودون أن يضع التفاصيل للنظام الاقتصادى، حتى يكون التغيير الملائم ميسورا لكل طور من أطوار الحياة، ولكل بيئة.

وقد أقام القرآن النظام الأساسى للاقتصاد الإسلامى على أربع قواعد رئيسية هى:

١- احترام الملكية الشخصية حتى فى وسائل الإنتاج، ومع التسامى بها عن تلك الملكية فى القانون الرومانى، حيث قرر: أن المالك المطلق هو الله وحده، فهى ملكية تعلو فوق ملكية الدولة والمؤسسات التابعة لها، وحيث قرر: أن ملكية البشر لا تتجاوز ملكية الانتفاع، مع أداء ما يفرضه الله فيها من واجبات اجتماعية.

٢- فرض العمل على المسلم ليكتسب معاشه من عمل مفيد، مع منع الاحتكار، ومنع الفائدة على رأس المال، ومنع عمليات البيع والشراء الوهمية.

٣- ضرورة الإشراف الحكومى على السوق لمنع الاحتكار، ولوضع القوانين لمنع الغش والاحتيال، وعمل ما فى وسعها لانتعاش الأسواق، ومنع تعسرها، والعمل

على تحقيق العدالة الاجتماعية بفرض الضرائب المختلفة، وحماية الاقتصاد كله بفرض الجمارك المناسبة. وتمثل هذا فيما قدمه القرآن من نظام للمواريث وللزكاة.

٤- النهى عن الإسراف والتبذير، وعن البخل والشح.

والقرآن - فى تقديمه هذا النظام الاقتصادى - يتحلى بحكمة إلهية فى مرونته الفائقة، واكتفائه بتقرير تلك المبادىء الرئيسية، مع أمر الأغنياء بالإنفاق، وأمر الفقراء بالصبر والتعفف، وتشجيع المشاركة والتعاون، والعمل الجماعى، مع تحريم الاحتكار، والغش والخداع، والنهى عن تكديس المال وكنزه.

والقرآن - بإقامة الاقتصاد على هذه القواعد الثابتة، وتجنبه التعرض للتفاصيل المتغيرة - قدم نظاما اقتصاديا واضح المعالم، مع المرونة فى تلافى ما يجد من مشكلات. بخلاف ما قدمه الاقتصاديون الغربيون، ممن أقاموا ما قدموه من نظريات اقتصادية علاجا لما ظهر فى مجتمعاتهم من مشكلات تحتاج إلى العلاج، فجاءت نظرياتهم تاريخا للأخطاء الاقتصادية، وليست تاريخا للاقتصاد، حيث قصرت كل نظرية على التخلص مما طفا على السطح من علل، مفتقدين النظر الشامل البصير.

الاقتصاد الإسلامى فى مواجهة الفائدة الربوية

ويذكر الدكتور (هوفمان): أن الإسلام - بنظامه الاقتصادى - يشق طريقه بين مادية الرأسمالية بفرديتها المقدسة، وبين مادية الاشتراكية اليسارية، التى تقدس الدولة على حساب الفرد، حيث استطاع الإسلام بنظامه أن يعيد التوازن بين الأفراد والدولة، فأقام مجتمعه على العدل الاجتماعى والاقتصادى.

ومع ربط الأخلاق بالاقتصاد الإسلامى.. فإنهما لا يتلازمان إلا فى وجود الأمة الإسلامية التى تسمو بالدافع الإنسانى الطبيعى فى السعى وراء الربح.

ومن هذا المنطلق الأخلاقى.. يحرم الإسلام ما قد يتساهل فيه السوق فى الغرب، مثل بيع الكحوليات، والمخدرات، وممارسة القمار والبغاء، والاستغلال.

وعلى الرغم من أن القرآن حرم الربا أشد من أى تحريم آخر، فتوعد آكل الربا بما توعد به الكافرين، وعده مؤذنا بحرب من الله ورسوله.. على الرغم من هذا.. نجد النشاط الاقتصادى فى العالم لا يخلو من الفائدة على رأس المال، لأهمية سعر الفائدة فى تراكم رأس المال، وفى التحكم فى الربح، وخلق الثروات، وتوجيه الاستثمار، ولأهميته فى السياسة الاقتصادية، وتنشيط النمو مع التحكم فى التضخم.. مع أن اليهودية والمسيحية يتفقان مع الإسلام فى تحريمها.

«يتبـــع»

الإنسان ونعمة التفكير والتعلم

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة «سابقا»

شىء يسير من استقراء معانى لفظ العلم فى القرآن الكريم يفيدنا فى الوقوف على طبيعة العلم وحقيقته، ويؤكد لنا أنه من الخطأ أن يقال: إن مادة «علم» التى وردت بمشتقاتها ٨٥٥ مرة فى القرآن الكريم تقتصر على العلم الدينى ولا تتسع معارف العلوم الطبيعية بمعناها الحديث، وأن العلماء المذكورين فى القرآن الكريم هم علماء الدين وحدهم. ويكفى أن نتأمل السياق الذى وردت فيه كلمة «العلماء» فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

(فاطر: ٢٨)

بعد ذكر مباحث عدد من العلوم الطبيعية المعنية بدراسة الأرض والجبال والحيوان والنبات والأفلاك والأجناس.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(فاطر: ٢٧ - ٢٨)

ولنتأمل كذلك قوله سبحانه:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

(سورة البقرة: ٣١ - ٣٢)

فكتب التفسير تقول من بين ما تقول: إن الله علم آدم أسماء الأجناس وعرفه منافعها.. وهذه علوم الدنيا. وكذلك

عندما يلفت الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ أنظارنا إلى بعض أوجه حكمته فى خلق القمر، يقول:

﴿ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

(يونس: ٥)

فالعلم هنا بمعنى مايحصله الإنسان ويكسبه فى حياته من معارف، أى بمعنى كل مايدركه عن طريق حواسه وفكره ومختلف ملكاته الإدراكية.

والعلم فى القرآن الكريم هو العلم الثابت بالحجة القاطعة، بل هو الحق اليقين، وماعدا ذلك يكون ظناً لا يغنى عن الحق شيئاً، كما فى قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

(الأنعام: ١٤٨)

النظرية العلمية والحقيقة القرآنية

ومن الطبيعى أن يصعب جداً على الإنسان وضع نظرية كاملة تستطيع أن تصف كل مافى هذا الكون دفعة واحدة. ولهذا يقوم العلماء فى كثير من الأحيان بتقسيم مايصادفهم من مشكلات إلى عدة أجزاء منفصلة بعضها عن بعض، يعالجون كل جزء على حدة ليتوصلوا إلى رأى فيه بعد فحص وتدقيق وفق منهج علمى سليم، ويترتب على ذلك أن تكون كل نظرية جزئية يتم التوصل إليها عبارة عن نظرية تقريبية، أى نظرية قائمة على أساس تقريبى، وتعطينا صورة قريبة من الواقع، لذا يقال دائماً إن العلم الإنسانى فى واقع الأمر لم يتمكن بعد من أن يقول كلمته النهائية فى كل مسألة يعالجها، وهذه حقيقة يقررها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الإسراء: ٨٥)

ومن ثم فإذا حدث تعارض من نوع ما، بين مايفترضه النظرية العلمية وبين ماتقرره الحقيقة القرآنية فيما يتعلق بقضايا الكون الرئيسية، فإن هذا يعنى أن العلم الإنسانى لا يزال قاصراً عن بلوغ الحقيقة القرآنية، وأن على أجيال العلماء أن يواصلوا بحوثهم الجادة وينتظروا ـ ربما لقرون عديدة ـ حتى تتطور معارف الإنسان ونظرياته وقوانينه، وعندئذ نعلم علم اليقين أن مشاهد الكون وآياته هى حقائق دالة على الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وعلى ما أخبر به فى قرآنه الكريم.

نظريات جيدة ونظريات ضعيفة

هنا تجدر الإشارة إلى أن النظريات العلمية تنقسم إلى قسمين: نظريات جيدة ونظريات ضعيفة ليس لها سند قوى، وأهم مايميز النظرية العلمية الجيدة هو أنها يجب أن تكون قادرة على تفسير أكبر عدد ممكن من المشاهدات، كما يجب أن تكون لها القدرة على توقع نتائج أو مشاهدات قد نراها فى المستقبل. ومن أمثلة النظريات الضعيفة ماقال به أرسطو مثلاً فى العصر الإغريقى من أن العناصر الأساسية لبناء الكون هى الماء والهواء والتراب والنار، ولم تصمد هذه النظرية لأنه وضعها انطلاقاً من تأملات عقلية خالصة وفرضيات خاصة به لا تخضع للاختبار التجريبى، بالإضافة إلى أنها فرضيات لا علاقة لها بأى مشاهدات قد نراها فى المستقبل.

أما النظرية الجيدة الموصلة إلى حقائق جزئية فمن أمثلتها نظرية الحسن بن الهيثم ـ عبقرى الحضارة العربية الإسلامية ـ فى الإبصار وخصائص الضوء، ونظرية الهمدانى ـ لسان اليمن ـ فى مفهوم الجاذبية التثاقلية (الأرضية)، ونظرية نيوتن وآينشتين فى الحركة. فهذه كلها نظريات استطاعت أن تفسر كثيراً من المشاهدات، وأن تتوقع مواضع وحركات الأجرام السماوية بدقة كبيرة، ومثل هذه النظريات الجيدة هى التى تشجع بعض الباحثين المؤمنين على أن يجعلوا خلاصة ماتوصل إليه البحث العلمى فى خدمة فهم آيات القرآن الكريم وإشاراته الكونية على النحو الذى ترتاح إليه النفوس وتقبله العقول دون إسراف فى التأويل أو جزم بأن هذا هو المعنى المقصود، مسلّمين بأن الله ـ تعالى ـ أعلم بمراده، وأن كل ما فى الكون والوجود من نواميس وسنن يعمل وفق مشيئته..

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

(فاطر: ٤٣)

❁❁❁

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حكم نبوية

لعيسى - عليه السلام - في كتبنا حكم كثيرة منها قوله للحواريين:

«اتخذوا المساجد بيوتا والبيوت منازل، وكلوا بقل البرية، واشربوا الماء القراح، وانجوا من الدنيا سالمين».

وقال عليه السلام: «لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية».

وقال عليه السلام لحوارييه: «عجبا لكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل».

وقال عليه السلام: «ألا أخبركم بخير كم مجالسة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال من تذكركم بالله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقه، ويسوقكم إلى الجنة عمله».

إيمان

قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال.

فأجابهما: بأبي وأمي أنتما إن الله قد عودني أن يتفضل عليّ وعودته أن أتفضل على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني.

وقال المأمون لمحمد بن عبادة المهلبي: أنت متلاف، فأجابه: منع الجود سوء الظن بالمعبود. يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾

(سبأ: ٣٩)

وقال النبي ﷺ: أنفق بلالا، ولا تخش من ذي العرش إقلالا.

وقال ﷺ: «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله».

الفصاحة

قال أبو وجرة السعدي يصف كلام رجل:

يكفي قليل كلامه وكثيره

ثبت إذا طال النضال مصيب

وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ولم يسم قائله وهو مولد ولم ينقص توليده من حظ القديم شيئا:

طبيب بداء فنون الكلام

فلم يعي يوما ولم يهذر

فإن هو أطنب في خطبة

قضى للمطيل على النزر

وإن هو أوجز في خطبة

قضى للمقل على المكثر

وقال شاعر آخر يصف خطيبا:

فإذا تكلم خلته متكلما

بجميع عدة ألسن الخطباء

فكأن آدم كان علمه الذي

قد كان عُلِّم من الأسماء

النحويرثى

كان ابن مالك إمام النحو في عصره، وألفيته تعتبر صندوق النحو إلى اليوم.

ولد سنة (٦٠٠) وتوفي سنة (٦٧٢)هـ فرثاه شرف الدين أحد المستفيدين منه بقصيدة طريقة ألفاظها مستمدة من قواعد النحو، وهي:

يا شتات الأسماء والأفعال

بعد موت ابن مالك المفضال

وانحراف الحروف من بعد ضبط

منه في الانفصال والاتصال

مصدرا كان للعلوم بإذن الله

من غير شبهة أو محال

عدم النعت والتعطف والتو

كيد مستبدلا من الأبدال

ألم اعتراه أسكن منه

حركات كانت بغير اعتلال

يا لها سكتة لهمز قضاء

ورثت طول مدة الانفعال

رفعوه في نعشه وانتصبنا

نصب تمييز كيف سير الجبال

صرفوه بأعظم ما فعلوه

وهو عدل معرف بالجمال

إلى آخرها، وكلها على هذا النمط من استخدام ألفاظ علم النحو، في رثاء إمام النحو.

سحر الكلم

كان عبدالله بن معاوية بن عبدالملك بن جعفر عالما جليلا، وخطيبا مفوها، وشاعرا مجيدا، كتب إلى بعض إخوانه:

أما بعد، فقد عاقني الشك في أمرك، عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة، ثم أعقبتني جفاء من غير

جريرة، فأطمعنى أولك فى إخائك، وأيأسنى آخرك عن وفائك، فلا أنا فى غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا أنا فى عدم انتظاره منك على ثقة، فسبحان من لو شاء لاجتمعنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف.

سعة الصدر

هجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمى المدنى الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، وهو من هو علما وعملا وشرفا، فقال فيه:

له حق وليس عليه حق
ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا
عليه لغيره وهو الرسول

فاتفق أن تولى الحسن المدينة، فأتاه أبو عاصم الأسلمى المذكور، متنكراً فى زى الأعراب، وأنشده قوله فيه:

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد
وتشهد لى بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو حسن تعاديها الدهور
هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير

فقال له الحسن: من أنت؟ فأجابه: أنا الأسلمى.

فقال له الحسن: إذن حياك الله، وبسط له رداء، وأجلسه عليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يلمه بكلمة عما قال فيه.

تحاسد الأقارب

- قالت العرب: أزهد الناس فى عالم أهله.
- ووقف أمية بن أبى الأشكر على ابن عم له فقال:

نشدتك بالبيت الذى طاف حوله
رجال بنوه من لؤى بن غالب
فإنك قد جربتنى فوجدتنى
أعينك فى الجلى وأكفيك جانبى
وإن دب من قوم إليك عداوة
عقاربهم دبت إليهم عقاربى

قال نعم كذلك أنت، فما بال مشيرك لايزال إلىّ دسيسا؟ قال: لا أعود. قال: قد رضيت وعفا الله عما سلف.

وقال يحيى بن سعيد: من أراد أن يبين عمله ويظهر علمه فليجلس فى غير مجلس رهطه.

دعاء

اللهم بارك لنا فى ذكرك، ولا تشغلنا بغيرك ووفقنا لحمدك وشكرك، وأدم علينا عفوك وسترك.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبد الموجود أمين

دماء الفلسطينيين.. قبل اللقاء

تحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة فى جريدة «الجمهورية» الصادرة فى ٢٧/١٠/٢٠٠٧:

صافح الرئيس الفلسطينى محمود عباس «أبو مازن» ايهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل، فى بداية لقاء جديد لهما بالقدس الغربية، بينما كانت يد أولمرت مغموسة لتوها فى دماء ٦ شهداء و١١ جريحا فلسطينيا سقطوا خلال سلسلة من الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة فى يوم واحد.

تثير هذه الاعتداءات وغيرها من الإجراءات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى، التساؤلات عن جدوى هذه اللقاءات بين القطبين الفلسطينى والإسرائيلى، التى يقال إنها لوضع أسس اتفاق يتم طرحه على المؤتمر الدولى أمريكى الهدف، بينما السياسة الإسرائيلية ماضية فى محاولة فرض الاستسلام على الشعب الفلسطينى عن طريق الضغوط العسكرية والاقتصادية والإجراءات العقابية المنافية للقوانين الدولية وتكريس الانقسام الحالى وافشال الجهود الرامية لاستئناف الحوار الفلسطينى الذى ينبغى أن تكون له الأولوية لدى السلطة الفلسطينية، حتى يكون الصوت الفلسطينى واحدا على مائدة المفاوضات.. لو انعقدت!

دارفور فى سرت

وفى مجلة «الأهرام العربى» جاءت افتتاحية العدد الصادر فى ٢٧/١٠/٢٠٠٧ معلقة على مشكلة دارفور:

استضافت مدينة سرت الليبية مباحثات سلام بين الحكومة المركزية فى الخرطوم وفصائل التمرد فى دارفور غرب السودان وهى أهم مباحثات سلام بين الطرفين منذ

سنوات، ذلك أن التدخل الغربى فى السودان بلغت ذروته وكشف عن نياته فى احتلال هذا البلد وتقسيمه طمعا فى ثرواته البترولية خصوصا أن السودان يحتل المرتبة الخامسة من حيث احتياطى هذه السلعة أفريقيا.

وليس البترول وحده محرك نهم الغرب الأمريكى فى السودان إنما سلعة الصمغ العربى أهم سلعة استراتيجية فى صناعات اليوم من الأدوية إلى الأقمار الاصطناعية.

وعلى السودانيين وأشقائهم فى مصر وليبيا إفشال هذا المخطط الخطير الذى يعود بنا إلى زمن المستعمرات.

● أولا: بضرورة تحقيق المصالحة الوطنية بين الجميع وتعميق الحوار والتسامح بين أعراق وأديان السودان باعتباره بلدا ثريا وهو ثراء يجب أن يكون نعمة وليس نقمة.

● ثانيا: إيصال رسالة إلى الجميع حكومة ومعارضة ومتمردين شماليين وجنوبيين وغربيين وشرقيين بأنه غير مسموح النظر تحت الأقدام ودفن الرءوس فى الرمال من أجل مصالح ضيقة فذلك إذا استمر سيصب فى صالح أجندات غربية منتظرة على الأبواب.

● ثالثا: إرسال اشارة مهمة إلى الغرب خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية وجماعات المحافظين الجدد وجماعات المبشرين المرتبطين بالشركات عابرة القارات مفادها أن حل المعضلة السودانية لن يكون بالتدخل المدنى أو العسكرى الغربى بل سيكون نابعا من داخله بمساعدة أشقائه فى مصر وليبيا ودول أعضاء الاتحاد الافريقى وجامعة الدول العربية وحتى الأمم المتحدة المسئولة عن السلم والأمن الدوليين وليس عبر قوى كبرى طامعة.

● رابعا: على الجميع ألا يفوتوا فرصة مباحثات سرت ويجعلوها بداية المباحثات وحوارات أخرى من خلالها يقول السودانيون وداعا للسلاح فكفى أكثر من ٢١ عاما من الحرب الأهلية فى الجنوب وكفى أكثر من خمس سنوات من حرب دارفور.

● خامسا: وأخيرا يجب أن تكون رسالة سرت واضحة وتقول لجيران السودان فى القرن الافريقى كفى لعبا بالنار فى هذا البلد الذى لم يعرف طريقا للاستقرار منذ ما يقرب من ثلاثة عقود خصوصا أن ثرواته بدأت فى التدفق ومن حقه أن يخرج من صخب الحروب والقتال الأهلى إلى شاطىء الاستقرار.

متاهات المراوغات الإسرائيلية واجتماع السلام

تحت هذا العنوان جاء رأى «الأهرام» المنشورة فى العدد الصادر فى ٢٠٠٧/١٠/١٦:

فى مستهل الزيارة الحالية لكوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية الأمريكية، للمنطقة

للإعداد لاجتماع السلام المقرر عقده الشهر المقبل، حرصت مصر على تأكيد موقفها من مقاصد الاجتماع وأهدافه، وأوضحت ضرورة التوصل إلى اتفاق نهائى بين الفلسطينيين والإسرائيليين خلال عام ٢٠٠٨ وليس أبعد من ذلك، وأبلغت مصر رايس أهمية أن تتضمن الوثيقة التى ستصدر عن الاجتماع توجيهات محددة بالنسبة لحل قضايا الوضع النهائى الرئيسية.

وهذا الموقف المصرى الواضح ينطلق من الإيمان بأهمية حل المشكلة الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع فى المنطقة، وأن التسويف أو المراوغة بشأن الحل من شأنه تعقيد الأوضاع المتردية والملتهبة فى الشرق الأوسط..

غير أن مواقف إسرائيل من اجتماع السلام المقبل تبدو مراوغة ويغلب عليها حسابات استمرار الائتلاف الحكومى برئاسة ايهود أولمرت والخوف من احتمال انهياره.. ذلك أن عددا يعتد به من وزراء أولمرت يعترضون اعتراضا مطلقا على التوصل إلى اتفاق محدد المعالم لقضايا الحل النهائى كما يرفضون تحديد جدول زمنى دقيق لانهاء عملية التفاوض مع الفلسطينيين حول الوضع الدائم.. وفى محاولة من جانب ايهود أولمرت للحفاظ على الائتلاف الحاكم أعلن قبيل وصول رايس لإسرائيل، رفضه تحديد جدول زمنى لبدء المفاوضات الفلسطينية الاسرائيلية على التسوية الدائمة وفى الوقت نفسه أقرت رايس بصعوبة تحقيق اختراق على المدى القصير فى المفاوضات الخاصة بالتوصل إلى وثيقة مشتركة يطرح على اجتماع السلام.

وأوضحت مصادر وصحف إسرائيلية أن رايس تبذل جهودا مع الوزراء الإسرائيليين المعارضين بقصد محاولة إقناعهم بتغيير مواقفهم.. وهكذا يدخل اجتماع السلام قبل عقده فى متاهة المراوغات الدبلوماسية الإسرائيلية.. وهو أمر جد خطير.

هل تخلى المسلمون عن المسجد الأقصى

وكتب الأستاذ مجدى سالم فى جريدة عقيدتى الصادرة فى ٢٠٠٧/١٠/١٦ قال:

هل تخلى المسلمون عن المسجد الأقصى؟! سؤال قد يبدو غريبا أمام الكثيرين ولكنه حقيقة يؤكدها الصمت الرهيب الذى يسود العالم الإسلامى فى مواجهة الخطط التى تنفذها سلطات الاحتلال الإسرائيلى من أجل تقويض أركان الحرم القدسى الشريف والعبث فى أساساته عن طريق الحفريات التى لم تتوقف يوما حتى تأتى اللحظة التى تنهار فيها هذه الأساسات فينهدم المسجد ليس على

رءوس حراسه والمصلين فيه فحسب وإنما على رءوس المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى كله.

.. وحتى لا ننسى.. أليس هذا هو المسجد الذى ضحى مئات الآلاف من المسلمين فى فلسطين من أجله.. ألم يكن ما يحدث فيه سبباً مباشراً لانتفاضة فلسطينية دامت سنوات طويلة.. ألم يكن ما يتعرض له سبب فى قيام عشرات المظاهرات الصاخبة فى الكثير من العواصم الإسلامية؟.. لماذا توقف كل هذا رغم استمرار المؤامرة على الحرم القدسى؟.. هل تخلى المسلمون عنه.. أم انهم وجدوا انه لا فائدة من كل ذلك؟.. هذه - اللافائدة - ليست وحدها السبب وإنما هناك أسباباً أخرى كثيرة أهمها إننا انشغلنا بأنفسنا ومصالحنا الذاتية.. انشغلنا بصراعاتنا الداخلية والتقاتل من أجل احتلال المقدمة.. وليتها كانت مقدمة الصفوف من أجل مواجهة العدو الاساسى.. للأسف.. تقاتلنا من أجل احتلال مقاعد السيطرة على وهم سمح لنا العدو الإسرائيلى بتصور وجوده وامتلاكه.. الا وهو سلطة الحكم على أراض فلسطينية فى غزة والضفة الغربية.. هذا هو ما يفعله اليوم رجال فتح وحماس.. أمام باقى المسلمين فلا عزاء لهم فى التخلى عن المسجد الأقصى!!

ورغم كل ذلك أؤمن تماماً أن فرج الله آت.. وكلما ازدادت المؤامرات.. وازداد فى مقابلها التخاذل يزداد يقينى وإيمانى بقرب انتهاء المحنة وتزداد الرؤية وضوحاً.. رؤية أرى فيها رجالاً ليسوا كأشباه رجال اليوم.. رجال يسخرهم الله ويستخدمهم لخدمة دينه.. رجال مثل هؤلاء الذين صاحبوا رسول الله ﷺ وهو يهاجر من مكة للمدينة.. رجال مثل هؤلاء الذين استقبلوه فى المدينة بعدما استجابوا لدعوته.. رجال مثل هؤلاء هم الذين تحدث عنهم الصادق الأمين فى أحاديثه عن هذا الزمن الذى نعيشه اليوم.. رجال سوف يأتى وقتهم الذى يملك الله سبحانه وتعالى وحده تحديده.

ولمن لا يصدق.. ارجع إلى أحاديث رسول الله ﷺ فى كتب الحديث واقرأ خطبته التى ذكر فيها الملاحم الكبرى.. اقرأ وأنت موقن أن من ذكر هذا الكلام هو حامل الرسالة الذى لا ينطق عن الهوى وقل بعدما تقرأ إن قول النبى حق واسأل نفسك أين موقعك من كل هذا؟ ولا تقل مثل كثير من الناس إن هذا لن يحدث فى زمننا ولكن تذكر أن الله سبحانه وتعالى يقول للشئ كن فيكون.



مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

يقول النبى ﷺ: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد) رواه ابن ماجة.

فينبغى على المسلم أن يتابع الحج والعمرة مادام قادراً على شروط الأداء والحج والزيارة ونحن اليوم ينبغى أن نصف حج رسول الله ﷺ بعيداً عن التكلف والإطالة التى تدفع إلى السآمة والملالة وتصيب الإنسان بالتشكك فيما يعمل.

خرج الرسول ﷺ واستعمل على المدينة أبا دجانة وصلى الظهر بالمدينة؛ وعلمهم ما أمامهم وما هم قادمون عليه؛ ثم اغتسل وخرج فى ثوبين إزار ورداء؛ وروى أنه حج على رحل رث (أى قديم). وقطيفة خليقة (يعنى قديمة) وهذا منتهى التواضع منه ﷺ وترك الخيلاء والعجب؛ ثم قال: (اللهم حجا مبروراً، لا رياء فيه ولا سمعة)[1] وصلى فى

(١) حلية الأولياء ٣/٥٤.

مسجد هناك يقال له (مسجد الشجرة) وسار حتى وصل وادى العقيق بذى الحليفة وصلى العصر هناك؛ وهو محل إحرام أهل المدينة؛ ثم قال ﷺ أتانى جبريل فقال: «صل فى هذا الوادى المبارك؛ ثم قال: «حجة فى عمرة»[٢] فقد دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة وبات ليلة بذى الحليفة؛ وصلى بها المغرب والعشاء؛ ثم الصبح والظهر؛ فهو إذا صلى بها خمسة أوقات؛ ولما صلى الصبح اغتسل ثانياً وتطيب؛ ودهن رأسه بشىء كثير من الطيب؛ وذلك قبل الإحرام فلا مانع منه؛ وإن انبعثت رائحته وبقيت بعد الإحرام؛ فلا شىء فى ذلك. تقول أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ: أدهن حتى ظهر منه أثر الطيب الذى طيبه بعد غسله وقبل إحرامه تقول؛ وكأنى أنظر إلى وبيص الطيب فى مفرق رسول الله بعد أيام؛ فلا مانع من الطيب بعد الاغتسال وقبل نية الإحرام ولم ينه النبى ﷺ عن شىء من الأردية أى (الهندام) يعنى لم ينه عن أى شىء من ملابس الإحرام؛ وكل ما يلبسه المحرم جائز فى الألوان والأشكال إلا المزعفر، يعنى (الذى به أثر الطيب) ويكثر فيه؛ حتى يظهر على الجسم منه أثر الطيب. ثم سأله رجل فقال: ما يلبس المحرم من الثياب؟ فقال ﷺ: «لا تلبسوا منه القميص ولا السراويل ولا العمائم ولا البرانس ولا الخفاف إلا أن تكون نعالاً فإن لم تكن نعالاً فخفين دون الكعبين» ثم قال: «ولا تلبس المحرمة القفازين»[٣].

● قال صاحبى: ما معنى هذا؟

● قلت: معناه أنه إذا نوى الحاج الإحرام فلا يجوز له أن يلبس مخيطاً، أو محيطاً؛ ولا يجوز له أن يلبس خفاً إلا أن يثنيه حتى يظهر منه كعبيه، وله أن يلبس النعلين وهو ما تسميه (بُلغة) أو ما شابه ذلك.

ولا يجوز للمرأة أن تلبس قفازين؛ ولا يجوز للرجل أن يغطى رأسه بأى شىء كان عمامة أو خلافه.

ثم قلت لصاحبى: هذا أول أركان الحج (الإحرام)

● قال: وهل هناك أركان أخرى؟

●● أركان الحج أربعة أولها: الإحرام؛ وهذا من مستحباته الغسل والطيب والتلبية؛

(٢) اللآلئ المصنوعة للسيوطى ٢/١٤٦.

(٣) البخارى بلفظ مختلف.

وثانى الأركان: الطوف وثالثها: السعى وأهمها الرابع: الوقوف بعرفة، لأنه محدد بيوم معين فما ترك شيئاً من هذه الأربعة بطل حجه؛ أما من ترك شيئاً بخلاف هذه الأربعة؛ فيمكن إصلاحه، ويسمى الفقهاء أنه يجبر بالدم على خلاف فى المذاهب.

وأخذ النبى ﷺ يرفع صوته بالتلبية (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك)[٤] حتى سمعها أصحابه وسار فى طريقه من المدينة إلى مكة الكرمة، ونزل بذى طوى وبات بها وصلى الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة من أعلاها. فلما نظر إلى البيت الحرام، واستقبله رفع يديه وقال: (اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام اللهم زاد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد من عظمة من حجة أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبرا)[٥] ودخل المسجد وتوجه إلى البيت ولم يركع تحية المسجد. فإن تحية المسجد الحرام هى الطواف وكان طوافه هذه المرة ماشيا، وبدأ بالحجر الأسعد واستلمه وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رمل ثلاثا، ومشى أربعا حتى فرغ قبل الحجر، ووضع يديه عليه، ومسح بهما وجهه وهذا يسمى طواف القدوم، وهو واجب - لا ركن - على كل من دخل مكة محرماً، والنبى طاف ثلاث طوافات، الأول وهو: طواف القدوم والثانى وهو: طواف الإفاضة وهو طواف الفرض أى: الركن، وكان يوم النحر، ويروى أنه كان راكباً ناقته (الجدعاء) فى أحد هذه الطوافات الثلاث.

لكنه لم يزاحم على الحجر وقال لسيدنا عمر: (ياعمر إنك رجل قوى لا تزاحم على الحجر، فتؤذى الضعيف، وإن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر) ..... وروى أنه ﷺ لم يدع بدعاء معين، لا بفعله ولا تعليمه لكن حفظ عنه بين الركنين: (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[٦] فعليك أيها المسلم ألا تتقيد بكتاب معين تقرؤه وأنت تطوف أو تسعى، فلعل ذلك يشغلك عن الخشوع لكن اترك نفسك وافتح قلبك وأكثر من الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ، وردد ما يجول بخاطرك وأنت محتاج إليه

(٤) البخارى ٢/١٧٠.

(٥) السنن الكبرى للبيهقى ٢/١٨٣.

(٦) مسند الإمام أحمد ٣/١١٦.



من ربك لأهلك وللمسلمين وفوض الأمر لله فذلك أدعى وأقرب للخشوع والتفرغ لله. فلما فرغ من طوافه أتى خلف المقام (مقام إبراهيم) ثم قرأ:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾

«البقرة: ١٢٥»

وصلى ركعتين، وكان المقام بينه وبين الكعبة. لكنك في الزحام صل في أي مكان إن استطعت ولا تزاحم. وبعد أن فرغ خرج إلى الصفا من الباب القريب منها ولما دنا منها قرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

«البقرة: ١٥٨»

واستقبل البيت وكبر وقال:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، انجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»(٧) وبدأ من الصفا وقال: «ابدءوا بما بدأ الله به»(٨) ثم رمل بين الميلين الأخضرين وكان إذا وصل إلى المروة توجه إلى البيت وقال: «الله أكبر اللهم اغفر وارحم، أنت الأعز الأكرم»(٩).

وفي يوم التروية توجه إلى - منى - وهذا في اليوم الثامن من ذي الحجة صلى بها الظهر والعصر جمع تقديم لأنه على سفر وهذا غير جمع الظهر والعصر يوم عرفة، وبات بها، فلما طلعت الشمس توجه منها إلى عرفة، وكان من الصحابة من يلبي ومن يكبر ولا ينكر على أحد منهم، وظل بعرفة حتى غابت الشمس، وقال: «كل عرفة موقف»(١٠) وخطب الناس الخطبة المعروفة بخطبة الوداع.

وكان يدعو ويبتهل ويتضرع إلى الله رافعاً يديه إلى صدره ومما حفظ من دعائه:

«اللهم لك الحمد كالذي تقول، وخيراً مما نقول، اللهم لك صلاتي، ونسكي ومحياي، ومماتي، وإليك مآبي، ولك تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر لا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المستغيث المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين، وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من ضعفت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل جسده وكن بي رءوفاً رحيماً، يا خير المسئولين، ويا خير المعطين» وظل يدعو فلما غربت الشمس واستحكم غروبها أفاض من عرفة وأفاض بالسكينة وضم إليه زمام ناقته (القصواء) حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله وهو يقول: «يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع (أي الاسراع)»(١١) وهذا هو الركن الرابع.

ثم سار حتى المزدلفة سيرا ليس ببطيء

(٧) البخاري، ٦/ ٨.
(٨) مسند أحمد ٣٩٤٣.
(٩) مجمع الزوائد، ٣/ ٢٤٨.
(١٠) المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ١٧٢.
(١١) مسند الإمام أحمد ٤٦٩٦.

ولا بسريع ثم صلى المغرب والعشاء جمعا.

ثم صلى الفجر أول وقتها وهو يوم النحر، وسار منها بعد الاصفرار إلى منى، وفي طريقه أمر الفضل بن العباس أن يلتقط له حصيات الجمرات، سبع حصيات وهو يقول: (أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم الغلو في الدين).[١٢]

وسلك طريقه حتى أتى جمرة العقبة وهي الجمرة الكبرى التي تلي المسجد الحرام، فرماها راكباً بعد طلوع الشمس ولم يقطع التلبية حتى شرع في الرمي وبلال وأسامة معه إحداهما أخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر.... ثم انصرف إلى منى ونحر ستين بدنة من هديه بيده وأكمل عليٌّ الباقي، ثم أمر أن يتصدق بجلودها ولحومها، وألا يعطى الجزار شيئاً منها وقال: (نحن نعطيه من عندنا) وقال: (من شاء فليقطع)[١٣].

فلما أكمل الرسول نحره استدعى الحلاق، وحضر المسلمون يطلبون من شعره وهو قائم (أي الحلاق) على رأسه بالموسى قال: يا معمر أمكنك رسول الله من شحمة اذنه وفي يدك الموسى قال معمر: أما والله يا رسول الله إن ذلك من نعم الله عليَّ ومنه، ثم قال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن فلما فرغ من قسم شعره على من يليه. ثم أشار إلى الحلاق فحلق جانبه الأيسر ثم قال: «ههنا أبو طلحة» وقال: «اقسمه بين الناس»[١٤].

ثم جاءه رجل فقال: (يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر قال انحر ولا حرج)، ثم أتى آخر فقال: «يا رسول الله إني أفضت قبل أن أحلق قال: «أحلق ولا حرج»[١٥]، فما سئل عن شيء يومئذ قدم ولا آخر إلا وقال افعل ولا حرج.

وإلى لقاء آخر نستكمل فيه بقية نسكه ﷺ بإذن الله تعالى.

(١٢) سنن بن ماجة ٢/١٠٢٩/٣٠٢٩.
(١٣) مسند أحمد ١/١٢٣.
(١٤) مسند أحمد ٦/٤٠٠.
(١٥) مسند أحمد ١/٧٦.

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾

جاهلية الألفية الثالثة

عندما جاء نبينا الهادي محمد ﷺ برسالته الخاتمة وجد عند العرب العديد من العادات المرذولة وكان من بينها عادة لايمكن تصور حدوثها.. وهي عادة وأد البنات ودفنهن أحياء بمجرد ولادتهن إذ اعتبر مجرد مولدهن عاراً ليس له مثيل لمجرد أنهن إناث!!

وسر هذه العادة المستقبحة أن المرأة في العصور الجاهلية كانت معرضة للخطف والبيع في الأسواق مع مايستتبع ذلك من إكراهها على البغاء.. وكان هذا هو السبب الرئيسي وراء انتشار عادة وأد البنات أحياء بمجرد ولادتهن تخلصا من عار يتوقع حدوثه مستقبلا.. هكذا كانوا يفكرون.

فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادة ونهى عنها في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾

(التكوير: ٨، ٩)

وبطلت العادة المرزولة وانتهت من حياة المسلمين بنزول الأمر الإلهي.. وارتفعت كرامة المرأة ومكانتها في الإسلام ونصت آيات القرآن المتتابعة على حقوق المرأة وضرورة احترامها مما لامجال لسرده الآن

ومضت السنون بل القرون متتابعات ليظهر من بني البشر من يقوم ببعث العادة المرزولة .. عادة وأد البنات .

ففي يوم ٢١ من أكتوبر ٢٠٠٧م نشرت جريدة الجمهورية - نقلا عن إحدى الصحف الصينية - خبرا يحذر من وجود فائض في الذكور بسبب سياسة تحديد النسل بطفل واحد، وهي السياسة التي فرضتها الحكومة الصينية للحد من عدد السكان، حيث أكد الخبر أن نسبة الذكور للإناث بالصين تمثل اليوم: ستة ذكور مقابل أنثى واحدة مما يعني وجود خلل اجتماعي خطير مؤداه إن كثيرا من الرجال في الصين لن يكون بإمكانهم الزواج وتكوين أسر .

ولكن لماذا حدثت الوفرة بين الذكور والقلة بين الإناث ؟

الجواب : لأن العديد من الأسر رغبت في أن يكون المولود الواحد الذي فرضته الحكومة الصينية ذكرا لا أنثى .. لماذا .. ؟ لأن الذكر يحمل اسم أبيه .. أما الأنثى فلا .. وعلى هذا اندفعت غالبية الأسر تتخلص من مواليدها من الإناث بإلقائهن في سلال القمامة بالشوارع والميادين .. فكانت الكارثة .

أجل كارثة لأن معنى أن هناك ستة ذكور مقابل كل أنثى أن رجلا واحدا فقط بين كل ستة ذكور سيكون بمقدوره الزواج وهذا معناه غياب أي وسيلة مشروعة لإفراغ الشهوة الجنسية لدى غالبية الرجال في الصين .. مما يقضي بالمجتمع كله إلى كارثة أخلاقية غير مأمونة العواقب على الإطلاق وهي كارثة مؤكدة الوقوع ولا سبيل لتداركها !!

وفي مواجهة ذلك لم نجد أي تنديد دولي بهذا القانون الصيني الذي يلزم الأسرة بإنجاب طفل واحد فقط ذلك القانون الذي ترتب عليه تمييز غير عادي ضد الإناث اللاتي سلب منهن حق الحياة نفسها .. في حين تتعرض الشريعة الإسلامية التي أكدت على احترام كافة حقوق المرأة لهجوم أهوج يقوم على ادعاءات خرقاء جاهلة فحواها أن الإسلام أهان المرأة عندما سمح للرجل بالزواج بأكثر من زوجة، مع أن الإسلام وضع ضوابط تنظم هذا التعدد .

فماذا يقولون عن القانون الصيني الذي سمح بقتل الأنثى في مهدها ؟

أحمد تقي الدين

وإلى بريد القراء ←

دور الأسرة في الإسلام

تحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: طاهر الأقرع - ليسانس آثار جامعة القاهرة - قال:

لكل شيء قلب، وقلب المجتمع الأسرة. إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله. تلك حقيقة لا جدال فيها ولا مماحكة. ولا يزهدنك في اعتقادها والإيمان بها، ما تراه من تقدم الغرب ورقيه، رغم تفكك أسرهم، وما تراه - على النقيض - من تخلف المسلمين مع ترابطهم العائلي.

لأن الحضارة والمدنية ليست تعاليا في البنيان، وتقدما في الصناعات فقط، وإنما هي - إضافة إلى ما سبق - دين صحيح يصل الأرض بالسماء ويؤسس العلاقات الإنسانية على أساس من الأخلاق متين. وهو ما تفتقر إليه الحضارة الغربية، فأصبحت أشبه ما يكون بجسد فارقته الروح يوشك أن يهترئ ويتحلل إن عاجلا أو آجلا، وصدق الشيخ الشعراوي حين قال:

كل دنيا تبنى على غير دين
فبناء على شفير هار

أما عن الأسرة في المجتمعات الإسلامية، فإن بدت متماسكة، مترابطة فهي من الداخل - إلا من رحم ربي - تمور بالصراعات، وتستعر فيها الخلافات لأتفه الأسباب. لا يحول دون انحلالها وانفصام عراها سوى بقية من دين ترى أن الطلاق أبغض الحلال، وعرف أو ثقافة سائدة تنظر إلى المطلقة شذرا، وتأبى عليها أن تحيا بغير زوج.

فيحدث أن تطوى الأسرة كشحها على مشاكلها، فأشبهت بذلك الجرح الذي اندمل على الصديد، فتتداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ناهيك عما تعانيه معظم الأسر المسلمة من جهل وفقر، وما تتعرض له من حملات تغريبية علمانية لتهميش دورها، وتمزيقها شر ممزق، فكم من مؤتمر عقد، وكم من وثيقة أبرمت، للدعوة إلى محاربة الأسرة بشكلها النمطي أو الشرعي ليحل محلها أسر مشوهة: عابثة، ماجنة، قوامها علاقات جنسية شاذة منها على سبيل المثال لا الحصر، الأسرة المثلية التي يقترن فيها الرجل بالرجل أو المرأة بالمرأة.

فالأسرة تخلق حالة من الاستقرار النفسي للفرد، مما يظهر أثره على المجتمع في صورة زيادة في الإنتاج والإبداع في جميع المجالات، لما يحققه

الهدوء النفسى من رضا وإقبال على الحياة.

وعن طريق الزواج وتكوين الأسر تتوطد العلاقات والصلات بين أفراد المجتمع، فرباط المصاهرة له مثلما لرباط النسب من قوة فى التقريب بين بنى البشر، وفى ضوء هذا الدور أو الهدف، نستطيع أن نفسر عدداً من زيجات النبى ﷺ، فكان زواجه من عائشة وحفصة تقوية لرابطة الصداقة بينه وبين صاحبيه أبى بكر وعمر، وفى غزوة بنى المصطلق تزوج بجويرية بنت الحارث، «فقال الناس: أصهار رسول الله. وأعتقوا مائة أهل بيت من بنى المصطلق»[1] «وتزوج بميمونة بنت الحارث الهلالية.. وكان فى هذا الزواج ربط صلة بأقاربه المصاهرين لأقاربها»[2].

وبالأسرة يتحقق الحفاظ على النوع الإنسانى فيقول عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم» وبالطبع لا يريد رسولنا الكريم كثرة كغثاء السيل لا حول لها ولا قوة، بل يريد نسلاً قوياً يملأ الأرض علماً وعدلاً وقسطاً.

وهنا يأتى أهم دور للأسرة ألا وهو تربية الأبناء، وتنشئتهم تنشئة صالحة، وتأهيلهم ليخوضوا غمار الحياة بقلوب مؤمنة، وعقول مستنيرة، وأخلاق كريمة.

وتزداد أهمية الأسرة كمؤسسة تربوية من المهد إلى اللحد فى زماننا خاصة بعد أن أهملت المؤسسات التعليمية الجانب التربوى، فأصبحت المدارس والجامعات تخرج عقولاً بلا قلوب، وحتى لو افترضنا قيام هذه المؤسسات بدورها التربوى على أكمل وجه، فإنها لن تكون بديلاً عن الأسرة فى ذلك. وهذا ما أثبته العلم وأكد عليه، فيقول الدكتور حسين أمين «لقد أجريت آلاف الإحصائيات والأبحاث على أطفال البشر فى الريف والحضر، فى الدول النامية والدول الصناعية، وذلك للمقارنة بين الأطفال الذين تربوا فى أحضان أمهاتهم، والأطفال الذين تربوا فى الملاجىء وحضانة الدولة... إلخ ووصلت هذه الأبحاث إلى نتيجة مؤكدة وهى: أن الأطفال الذين يربيهم المجتمع وليس أمهاتهم ينشئون نشأة تعيسة كئيبة، وتكثر فيهم كافة الأمراض العضوية والنفسية، ويكونون أقل ذكاء، وأقل إيجابية فى مواجهة مصاعب الحياة، وتغلب عليهم نزعة الشر، وتقل فيهم كثيراً نسبة النابغين أو المتميزين فى أى من مجالات العمل أو الفن أو الإبداع»[3].

---

(١) محمد الغزالى: مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية. ص٥٨، ٩٠ دار البشير. القاهرة. بدون تاريخ طبع.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣ ص١٣٢ دار المنار. القاهرة. بدون تاريخ طبع.

(٣) عبداللطيف مشتهرى: أنت تسأل والإسلام يجيب. ص٤٠ المؤسسة العربية الحديثة. القاهرة. سلسلة إسلاميات.

من أئمة الحديث الشريف

الإمام النسائى وكتاب السنن الكبرى

ومن الصديق الأستاذ / فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية كانت هذه الكلمة عن الإمام النسائى - رضى الله عنه -:

هو أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائى ولد سنة ٣٠٣ هـ بنسا بنواحى بلخ وطلب العلم فى صغره فارتحل إلى قتيبة بن سعيد بن جميل البغلانى فأقام عنده ببغلان سنة فأكثر عنه، جال فى طلب العلم فى خراسان والحجاز ومصر والشام والثغور، ثم استوطن مصر، كانت له مناسك على مذهب الشافعى، وكان ورعاً متحرياً.

أثنى عليه العلماء وكبار النقاد، فقال الدارقطنى: أبوعبدالرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره، قال عنه الإمام الذهبى: (ولم يكن أحد فى رأس الثلاثمائة أحفظ من النسائى، وهو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم ومن أبى داود ومن أبى عيسى، وهو جاء فى مضمار البخارى وأبى زُرعة).

صنف الإمام النسائى كتابه السنن الكبرى، ثم اجتبى منه أو اجتبى غيره منه كتاب «المجتبى من السنن الكبرى».

وقد ظهر منهج الإمام النسائى فى كتابه هذا فهو كتاب متخصص فى أحاديث الأحكام وليس كتاباً جامعاً، وهو فى هذه الناحية يشبه كتاب أبى داود ويختلف عن كتابى البخارى ومسلم. وقد تضمن المجتبى واحداً وخمسين باباً، وفى هذه الأبواب من التفاصيل والتفريعات مالا تجده عند غير النسائى.

وهو لا يكتفى فى كثير من الأحيان بذكر الحديث، بل يذكر ما بين الروايات من اختلاف، ويوازن ويقارن، ويذكر العلل، والصحيح والأصح، والضعيف والأضعف.

ومنهج الإمام النسائى هذا يأخذ بيد طالب الحديث من بداية العملية الحديثية إلى نهايتها فهو لا يكتفى بتسجيل النتائج كما يفعل الإمامان البخارى ومسلم، فهما يذكران الحصيلة الصحيحة من الحديث ولا يذكران شيئاً من الحوار حول التصحيح والتضعيف.

والإمام النسائى ناقد متميز، وإمام فى الجرح والتعديل والعلل، وقد ظهر إمتيازه هذا فى سننه، فقد جاءت أسانيد كتابه نقية إلى حد كبير.

وتظهر شخصية النسائى الفقيه القاضى فى تفاصيل كتابه، ففى كتاب آداب القضاء يذكر سبعة وثلاثين بابا يظهر فيها تفنن النسائى وعبقريته.

وقد تجنب التخريج عن رجال خرج لهم البخارى ومسلم وأبوداود لما فيهم من التجريح، وقد جمع الإمام الدار قطنى أسماء الذين ضعفهم النسائى وأخرج لهم الشيخان فى صحيحيهما.

ومن عادته فى سننه أن يبين حال الرواة الذين فيهم ضعف، ويغلب على رواياتهم أنها تذكر للتعليل والمقارنة بغيرها مما هو أصوب منها، وهذه الميزة لم يتصف بها الصحيحان، وهى مما اتصفت بها سنن أبى داود والترمذى.

توفى الإمام النسائى بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة هجرية.

***

تعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ - أحمد رضوان

الإيسيسكو، تطلق حملة لحماية المخطوطات الإسلامية فى الحرم القدسى

أدانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» منع سلطات الاحتلال الإسرائيلى دائرة المخطوطات فى القدس من القيام بترميم المخطوطات الإسلامية داخل أسوار الحرم القدسى الشريف التى تتعرض للتلف يوماً بعد يوم.

واستنكرت الإيسيسكو: بشدة، فى بيان لها أصدرته، رفض سلطات الاحتلال الإسرائيلى دخول المواد الكيميائية اللازمة والأجهزة الفنية المتخصصة لترميم هذه المخطوطات وصيانتها، وأعلنت الإيسيسكو أن إسرائيل بعملها هذا تسعى إلى إتلاف المخطوطات الإسلامية التراثية النفيسة بهدف طمس الهوية العربية الإسلامية للقدس الشريف.

وقالت الإيسيسكو: إن هذا العمل المخالف للقوانين الدولية، يكشف عن جانب من السياسة الإسرائيلية العنصرية التى تسعى إلى تهويد القدس وطمس تراثها الحضارى العربى الإسلامى.

ووجه المدير العام للإيسيسكو د/ عبدالعزيز التويجرى رسالة عاجلة إلى كويشيرو ماتسورا المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو» دعاه فيها إلى التحرك فى إطار صلاحياته على رأس المنظمة الدولية المعنية بحماية التراث الإنسانى، من أجل الضغط على

إسرائيل للموافقة على مباشرة أعمال الترميم والصيانة للمخطوطات الإسلامية فى القدس، واحترام القانون الدولى والالتزام به.

الديمقراطية تدعم انتشار الإسلام فى كوريا

تنتشر الديانات السماوية بسرعة كبيرة فى كوريا الجنوبية، حيث يكفل الدستور حق كل فرد فى اختيار ديانته، وعن الإسلام فى كوريا صدر كتاب لـ: طارق السنوطى يتناول فيه قصة دخول الإسلام إلى هذه البلاد، وفى تقديمه للكتاب يقول الدكتور/ عبدالرازق سوجوبونج رئيس اتحاد المسلمين الكوريين: إن الجذور الإسلامية فى كوريا قديمة جداً وترجع إلى القرن الثامن الميلادى عندما ازدهرت الرحلات البحرية العربية فى المحيط الهندى، كما نشط انتشار الإسلام فى الخمسينيات عندما شاركت تركيا بقوات حفظ سلام قوامها ١٥ ألف جندى فى شبه الجزيرة الكورية، ويقول المؤلف: إن مستقبل الإسلام فى كوريا يبشر بالخير، ومما يدعم موقف المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو ٤٠ ألف شخص فى الوقت الراهن وجود مساحة كبيرة من الحرية والديمقراطية هناك.

إسرائيل أكبر ملوث لبيئة شرق البحر المتوسط

كشف تقرير لمنظمة «زالول» الإسرائيلية للبيئة عن أن إسرائيل هى أكبر ملوث للبيئة شرق البحر المتوسط، حيث تتخلص من ١٤٠ طنًا من المواد الثقيلة فى البحر سنويًا بموافقة الحكومة.. وذكر التقرير أن لجنة حكومية تمنح سنويًا أكثر من مائة رخصة للتخلص من مياه الصرف الصحى فى البحر، وأحيانًا بالقرب من الشواطئ التى يتردد عليها الإسرائيليون، ووصفت المنظمة الوضع فى المياه الساحلية فى إسرائيل بأنه مروع، وأوضح التقرير أن من بين المعادن الثقيلة التى يتم صرفها فى البحر بموافقة الحكومة ١٣٠ طنًا من المبيدات وخمسة أطنان من الزرنيخ.

رئيس الأركان الأمريكى يحذر من خطر الهجوم على إيران

أعرب رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة الأدميرال «مايك مولين» عن اعتقاده بأن عمليات مكافحة المسلحين فى العراق وأفغانستان استنزفت القوات المسلحة لدرجة أن الجيش وسلاح مشاة البحرية ربما يكونان غير مستعدين للدخول فى حرب شديدة العزم مع عدو كبير،

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أن «مولين» رفض مشورة أولئك الذين قد يحثون الولايات المتحدة على شن هجمات فورية داخل إيران لتدمير منشآتها النووية أو لوقف تدفق المتفجرات على العراق وأفغانستان لتستخدم فى قتل الجنود الأمريكيين هناك.

وقال: إنه مع انشغال أمريكا بالحرب فى بلدين مسلمين فإن فكرة مهاجمة دولة إسلامية ثالثة فى المنطقة تنطوى على تحديات ومخاطر غير عادية مشدداً على ضرورة أن يكون الخيار العسكرى هو الملاذ الأخير.

وزير إيطالى يؤيد ارتداء الحجاب.. ويدعو لدمج الشباب المسلم

قال وزير الداخلية الإيطالى «جوليانو أماتو»: «إن منع الحجاب يعنى فرض فكر إمبريالى غربى على من يرى الأمور بمنظار مغاير لنا، وإن كان هناك اتفاق يقضى بعدم إمكانية التجول بوجه مغطى تمامًا، غير أنه لا يمكننا منع الحجاب بشكل متحيز».. ويلجأ وزير الداخلية إلى موقف مشابه لتوضيح تبعات القرار قائلا: «إنه كمنع الراهبات اللاتى تدرسن فى الجامعات من متابعة دراستهن إلا فى حال ذهابهن إلى الجامعة مكشوفات الرأس».

وتابع قائلا: وبماذا ستفكر الراهبات إن تم منع ارتداء الحجاب بصورة عامة؟.

وتساءل أماتو: «أعلينا منع النساء المسلمات فقط من ارتداء الحجاب؟.

إن أصدرنا قراراً كهذا فالسؤال الأول الذى سيثار هو: لماذا يمكن للراهبات ارتداء الحجاب وليس النساء المسلمات؟. وهل هناك من يمتلك الشجاعة للقول بأن قانونًا كهذا تم تشريعه باسم المساواة؟».

ودعا أماتو إلى ضرورة تشجيع اندماج الشباب المسلم لتجنب انحرافهم وراء الراديكالية.

مبادرة لمجلس مسلمى بريطانيا
لتعزيز قدرات مائة مسجد ومؤسسة إسلامية

أعلن مجلس مسلمى بريطانيا عن إطلاق مبادرة جديدة لتعزيز ورفع قدرات وإمكانات المساجد والجمعيات الخيرية الإسلامية فى بريطانيا.

وأشار الدكتور/ محمد عبدالبارى - أمين عام المجلس - إلى أن هذا البرنامج يستهدف مائة مسجد ومؤسسة إسلامية متوسطة الحجم من مختلف أنحاء بريطانيا لمساعدتها على بناء قدراتها فى غضون عام بما يؤدى إلى تحسين أدائها وتحقيق أهدافها فى مختلف المجالات التى تشارك فيها.

وأشار عبدالبارى إلى أن فترة التدريب للمشاركة ستصل إلى نحو ٦ أشهر وتتضمن ورش عمل وفترات تدريب، لافتًا النظر إلى أنه سيتم الحكم على نجاح البرنامج بناء على تطوير المهارات لدى الأفراد المشاركين فى التدريب وقدرتهم على استغلال هذه المهارات فى تحسين أداء مؤسساتهم وغيرها من الهيئات والتجمعات الإسلامية فى المنطقة، حيث يوجد ٢٠٠٠ مسجد ومؤسسة إسلامية فى بريطانيا.

مؤتمر دولى يناهض التعصب ضد المسلمين

شهدت مدينة قرطبة الأسبانية فعاليات مؤتمر دولى يناهض التعصب والتمييز ضد المسلمين، شارك فيه مسئولون من ٥٦ دولة واستمر لمدة يومين، تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون فى أوروبا والتى دعا رئيسها وزير الخارجية الأسبانى ميجيل أنخيل فى كلمة له فى افتتاح المؤتمر -: المجتمع الدولى إلى تبنى إجراءات ضد ظاهرة التخويف من الإسلام واصفًا إياها بأنها شكل جديد من العنصرية، وشدد «أنخيل» على ضرورة التصدى لهذا الخطر الداهم الذى من شأنه أن يفسد العلاقات الاجتماعية وحقوق الإنسان.

وشهد المؤتمر مشاركة السيد/ عمرو موسى «الأمين العام لجامعة الدول العربية» حيث شدد على أن المواجهة بين الإسلام والغرب تحمل بداخلها بذرة صراع قد يمتد إلى أجل غير مسمى خاصة فى منطقة الشرق الأوسط، وأضاف بأن المتطرفين من الجانبين يعدون السبب الرئيسى فى تطور الأمور على هذا النحو وهم أنفسهم من يدعمون الفكر المتطرف أحادى الجانب ويشجعون ما أسماه «الفوضوية الجديدة» كما انتقد من يسخرون من الطريقة التى يحيا بها المسلمون فى أوروبا.. وذكر أنه منذ حوالى قرن مضى حينما كان يعيش أبناء الغرب فى الدول الإسلامية لم يسألهم أحد لم ترتدون هذه الملابس الغربية.

مشروع قانون جزائرى يجرم إهانة الوالدين

كشفت مصادر بوزارة التضامن الوطنى الجزائرية عن مشروع قانون يجرى إعداده حاليًا يقضى بتجريم من يضع والديه فى دور العجزة أو المسنين أو يرمى بهما فى الشارع أو يفرط فى حقهما لتصل عقوبة أى من تلك الأفعال إلى السجن لمدة خمس سنوات.

ويأتى إعداد هذا القانون بعدما أوضحت إحصاءات رسمية أخيرًا أن ما يزيد على ستة آلاف منهم بممارسة العنف ضد الآباء والأمهات يقفون أمام العدالة فى الجزائر منذ بداية العام الحالى وجميعهم رهن الحبس المؤقت.

إسرائيل قتلت ألف طفل فلسطينى منذ عام ٢٠٠٠

قالت فداء عبدالهادى مستشار أول بعثة فلسطين فى الأمم المتحدة: إنه منذ سبتمبر ٢٠٠٠ استشهد ما يقارب ١٠٠٠ طفل فلسطينى وجُرح أكثر من ٣٥٠٠ على أيدى قوات الاحتلال من خلال اعتداءاتهم على المناطق المدنية وعلى المدارس والمستشفيات، إلى جانب تعرض حياة الأطفال الفلسطينيين للخطر من جراء استخدام قوات الاحتلال الإسرائيلى لهم كدروع بشرية.

وأكدت أن الأطفال يعانون من حرمانهم من حقهم فى الغذاء والتعليم والرعاية الصحية من جراء إغلاق المعابر وفرض الحصار وفرض نظام التصاريح وانتهاج إسرائيل لسياسة العقاب الجماعى.

وطالبت بضرورة بذل كافة الجهود لضمان حماية الأطفال والحفاظ على حقوقهم وتوفير المساعدات اللازمة لهم ورفع الظلم الواقع عليهم لتمكينهم من أن يصبحوا أعضاء فاعلين فى مجتمعاتهم ويساهموا فى تقدم وتنمية بلادهم.

وشددت على أن كافة أدوات القانون الدولى واتفاقية جنيف وقانون حقوق الإنسان تنطبق على كافة الأراضى الفلسطينية المحتلة، وهو ما أكدته الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية.

Mercy is an Islamic feature standing in its constitution, in the Ever Glorious Quran. Allah says: {O you mankind, there has already come to you an admonition from your Lord, and a cure for what is in the breasts and guidance and mercy for believers. Say, "By the Grace of Allah, and by His mercy; so with that let them exult; it is more charitable[4] than whatever they (heap) together[5]} (Yunus: 57, 58)

Grace of Allah means Islam and His mercy means the Quran and with both, Muslims must be pleased because Islam and Quran are better than whatever they gather.

The Glorious Quran is a cure for all diseases which prevent the believers from obedience of Allah. These diseases are standing in His saying {Adorned for mankind is the love of lusts, for women and seeds, and heaped up, heaps of gold and silver, and horses of mark, and cattle and tillage. That is the enjoyment of the present life, and Allah has in His Providence the fairest restoring.}

{ (Al-Imran: 14)}

Moreover, the Ever-Glorious Quran is a mercy to the believers because the Words of Allah urge them to the means of happiness in the present life and in the afterlife.

{And We are sending down, of the Quran, that which is a cure and a mercy to the believers} {(Al-Israa,(The Night Journey): 82)}

Mercy also is a name of the Gardens of Bliss which is hoped by all the believers who always obey Allah {And as for the ones whose faces are whitened, they will be in the mercy of Allah, they are therein eternally (abiding)} {Al-Imran: 107}. So, to deserve the mercy of Allah, we must be merciful. {Surely the mercy of Allah is near to the fair-doers} {Al-Araf (The Battlements): 56}.

---

[4] Better
[5] Whatever they gather

In addition, the prophet of mercy said: "Allah has mercy on the mercifuls, to obtain the mercy of Allah, you have to be merciful to whatever is on the earth." narrated by Abdullah Ibn Amr Ibn Al-Aas.

As a result, mercy is always desired from the one who is able to offer to the one who needs mercy. It is desired from Leaders to their citizens ,from commanders to their soldiers from the strong to the weak from the rich to the poor from doctors to their patients, from teachers to their students ,from everyone to their relatives, neighbors and friends.

Translated by: Eman Ali Ahmed El – Khateb

Revised and edited by: Dr. Ibrahim Al- Assil.

When the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) despaired of his people's help, he went to At-Taif asking Thaqief to support him. One of them said: "It is impossible for you to be sent, if Allah sent you, I would tear the cloth of Al-Kaaba."

The second said "Were Allah to find another one to send?" while the third said "I swear I do not say a single word to you. If Allah sent you, you would be very great, so I can not reply to your saying and if you were a liar, I should not speak to you".

Moreover, they incited their fools, boys and slaves to swear and laugh at him. Furthermore, they threw him with stones until they made his ankle bleed. All of these bad deeds because they were jealous that the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was conferred with this honor as they alleged that he was not a great one to have this honor. Allah the Most High says: {And they have said, "Had this Quran been successively sent down upon a man of eminence in the two towns? Is it they who divide the mercy of your lord? We have divided among them their subsistence in the present life and raised some of them above (some) others in degrees, that some of them may take to themselves (some) others in subjection, and the mercy of your Lord is more charitable than whatever they heap[2] together} {Az-Zukhruf (Decoration): 31, 32}.

Great patience:

When Aa'isha (may Allah be pleased with her) asked the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) this question: Did you have a day which was more difficult than Ohud?

He answered that he suffered a lot from his people but he was deeply hurt when the people of At-Taif accused him of lying and they did not support him.

This was more difficult than what had happened on the Day of Ohod when the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) fell

[2] Literally gather

into a hole dug by the disbelievers, and his honorable blood covered his face. Then he wiped the blood and said how can those people succeed when they had covered their prophet's face with blood! Despite all their bad deeds, he asked Allah to forgive their ignorance.

Because of this great patience and great morals, Allah sent the Angel of mountains to ask him permission for making the two mountains (the Akhshabine) close over those disbelievers. The prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I hope that their descendants would worship Allah".

Did humankind know a man like the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) his Mercy whose is covered all humans.. So Allah praises him {And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds} { (Al-Anbiyaa (The Prophets): 107}

Al-Hakem narrated in his book, Al-Mostadrak, that the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "I am a gifted mercy". It is enough to the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) that Allah describes him with mercy: {Indeed there has already come to you a Messenger from (among) yourselves. Mighty[3] to him is whatever distresses you. Most eager is he for your (welfare), to the believers (he is) constantly compassionate, constantly merciful} { (At-Tawbah, (The Repentance): 128)}.

Mercy is an Islamic feature:

Mercy is one of the greatest qualities of Allah, the Most-High. He is the Most Merciful of the mercifuls and He is the All-Merciful, The Ever-Merciful. Allah embraces everything with His Mercy and His Knowledge. Allah has before His Anger divided mercy into one hundred parts. Then He keeps ninety nine parts to have mercy on His bondmen on The Day of Resurrection, and He left one part with which creatures have mercy among themselves to the extent that a horse may raise its hoof away from its offspring in order not to harm it.

[3] Burdensome

*** The meaning of some words:**

- Ibn Abd Yaliel: His name is Kenana. One of the great men of At-Ta'ef and it was said that he was one of the two men ,mentioned in the holy Quran as Allah the most high said: {And they have said, "Had this Quran been successively sent down upon a man of eminence in the two towns?"[1] (Az-Zukhruf: 31)

He was mentioned among the Companions by Ibn Abd Al Barr (decoration) because he came with the delegation of At-Taif and all of them embraced Islam. However, Al-Madiny said that all the delegation embraced Islam except Kenana who went to Rome country until he died but Allah knows best.

Ten years after Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) became a prophet, his wife Khadiga (May Allah be pleased with her) and his uncle Abu Taleb died. So the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) went to the masters of Thaqief seeking support, but they rudely refused.

- qarn Ath-Thaaleb: A place where people of Najd begin their state of ritual consecration of Makkah pilgrim.

- Al-qarn: means every small mountain separated from a big one.

- The Angel of mountains: The Angel who is charged with the mountains.

- Close: to make the two mountains join.

- Al-Akhshabine: two mountains in Makkah with hard stones.

[1] Mecca and Taef

The explanation:

When the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) started his mission wisely and called his people to worship Allah and leave their idols, they ridiculously refused his call. Allah, the most-High, says {oh for the regrets of the bondmen! In no way does a Messenger come up to them except that they used to mock at him} (ya-Sin: 30).

Moreover, they harmed him badly and claimed that he was a liar and a magician. Allah, the most-High, says: {And when Our ayat are recited to them, supremely evident (ayat), they say, "In no way is this (anything) except a man who is willing to bar you from what your fathers were worshipping" And they say, "In no way is this (anything) except fabricated falsehood".{saba(sheba):43}

And the ones who disbelieved say to the truth, as soon as it has come to them, "Decidedly this is (nothing except an evident) sorcery.". And in no way have We brought them any Books which they study, and in no way have We sent them before you any constant warner. And (the ones) before them cried lies, and in no way did they reach a tenth of what We brought them. So they cried lies to My Messengers. Then how was My disclaiming!} {Sheba): 43, 44, 45}.

Also their pride forced them not to follow the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) who was poor and orphan. Allah the Most High says: {And they have said, "What is it with messenger that he eats food and walks in the markets? Had there not been an angel sent down to him to be a warner with him? Or (why) has not a treasure been granted to him, or why has he not a garden whereof he may eat? And the unjust (people) have said, "Decidedly you are only closely following a man bewitched!"} (Al-Furqan (The Criterion): 7, 8), also they said {Has the Remembrance been sent down on him from among us? No indeed, (but) they are in doubt of my Remembrance,noindeed,(but)they have not yet tasted my torment.} (Surat Sad: 8).

The US goal towards Iraq turned from making it a perfect model that can be exported outside Iraq to a terrible and disturbing model to USA itself and the whole countries of the region as well, in the light of the strong resistance facing the US draft resolution.

The US has started to search for secure and fast ways out of the pitfall in Iraq. The US has found itself forced to ask for help from the neighboring countries. This situation came after its preparation for attacking some countries, but now it started to ask for reconciliation and peace instead of the method of warning.

The call for holding international conference for peace about the Arab-Israeli conflict is a way to cover the Iraqi dilemma. The resolution of the Congress came as a way out of the problems that faced the US policy, and a way of salvation for the government from continuous criticism inside and outside the country that mocks and contradicts George Bush fiercely wherever he goes.

"And in No Way Have We Sent you except as a Mercy to the World....!"

By: Honourable Sheikh Ibrahim Ata Al-Fiumy,

Secretary-general of the Islamic Research Academy

Al-imam Al-Bokhary narrated in his book that Aa'isha (May Allah be pleased with her), the wife of the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) and the mother of the faithful, asked the Prophet: "did you have an experience which was more difficult than Ohod? He said "the most difficult day was the Day of Al-Akaba when I requested support from Ibn Abd Yaliel but he did not assist me. Then I walked sorrowfully until I found myself in Karn Ath-Thaaleb, then I raised my head and I found a cloud above me with the angel Jibril inside. He told me that Allah had heard what my people said, and Allah sent the Angel of mountains to me to order him to do what I want with my people. Then the Angel of mountains greeted me and said if I wanted to make him close the Akhshabine over them, he would do that.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) refused, and said "I hope that their descendants will worship Allah"

The narrator of this saying is Aa'isha daughter of Abo Bakr A-Sedeeq (may Allah be pleased with her), the most well-known wife of the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). She was also one of the most knowledgeable Companions as many other Companions learnt from her. She related many of the sayings of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), and many of the companions narrated about her: like Omar Ibn Al-Khatab. When the prophet died, she was eighteen. She died at the age of 57 and was buried in Al-Baqiea.

The plan, by which the US congress surprised the world, was revealed by the US armed forces magazine in its July issue last year. It discussed in the same issue the plan for dividing the Arab world and redrawing of its map in a way that establishes small countries on sectarian and racial basis.

Sheikh Harith Al-Dary, the head of the Iraqi Muslim scientists, declared, "I say to those who say that Iraq will face chaos if the occupation ends that chaos was created by the occupation to justify its existence for the longest possible period."

The Arab League warned about the danger of the resolution made by the US Congress. It regarded this resolution as a pessimistic prescription for the future of the Arab region in the view of the USA. Those who made light of the resolution of the US Congress claim that it is not obligatory for the US administration, but they forget that this plan did not come by luck. On the contrary, it is an expression of an idea that crossed the minds of the members of the democratic and republican parties many years ago.

The draft resolution for division of Iraq was submitted to President Bush five months ago, but Bush neglected it. Then, he started to summon it in a way that allows its acceptance.

Dr. Abd Al-Hussein Sha`ban, the Iraqi writer, legislator and media representative, commented about the draft resolution - as it was mentioned in the Arabi Ahram magazine- saying, "Three decades have passed since the draft resolution of dividing Iraq was taken. It aims at devastating the region through turning the countries into smaller ones on racial and sectarian basis to facilitate its submission under the US guardianship, and to guarantee the security of Israel."

The Congress resolution caused political and social complaint including the Iraqi government that declared its refusal of the US resolution.

The Iraqi Prime Minister, Mr. Noury Al-Malky regards the Congress resolution of dividing Iraq to three entities as a disaster. He said in a talk to

Associated Press Agency that the Iraqis are the only persons who choose the political regime that is suitable to them. Moreover, he emphasized that the Iraqis are keen on the unity of their country. He emphasized that those who call for this resolution should sustain Iraq , the Iraqi unity and authority instead of suggesting its division. He regards this resolution as a disaster for the whole region not only for Iraq.

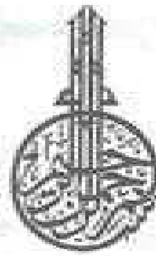
Al-Malky called the Iraq House of Representatives to meet and respond officially to the resolution of the Congress. The official speaker of the government of Iraq, Ali Al-Dabbagh, called the Iraqi representatives to express their refusal. The ill-omened resolution was desired to be a cover by attributing it to the federal system. This is regarded as a kind of mixture and camouflage, as federalism has nothing to do with the draft resolution, being based on the division into entities.

The draft resolution asked for dividing Iraq into Shiite south, Sunni west and Kurdish north. The matter that emphasizes the far distance between the draft resolution and federalism is that the recent Iraqi constitution states that if the local law contradicts with the central united law, the local law will have the upper hand. This statement gave the local authority the chance to exist without submitting to the central government by searching for oil and contracting with the foreign companies.

Every territory has the right to have a branch to manage its development, cultural and social affairs inside the Iraqi embassies abroad. Moreover, the constitution gave every territory the right to set laws that may contradict with the laws of other territories.

Although the governors of Kurdistan welcomed the draft resolution of the division, the Foreign Minister of Iraq (himself a Kurd) took a position that opposed that of the head of his party and the governors of Kurdistan, and declared his refusal of this resolution. On the other hand, this resolution reveals the fact that the US policy has reached a deadlock in Iraq. The US failure in Iraq and the inability of its forces to impose domination are the main reasons for all of the US plans, for which the main aim is turning Iraq into a starting point to control the region.

AL-AZHAR MAGAZINE
Dhul-qaedah 1428 A. H.



ENGLISH SECTION
Nov. Dec. 2007

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

O! Congress Members, Let the Arab People Live in Peace and Unity…!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Iraqi vice president, Mr. Abd Al- Hady, visited the Arab Republic of Egypt on September 27, 2007. He then declared, after his meeting with President Hosny Mubarak, that Mr. Mubarak supports his efforts in maintaining his liberty, domination and Arab character. Moreover, the vice president revealed that President Mubarak emphasized the importance of sustaining the unity of Iraq that has been maintained for thousands of years. Also, Iraq must insist on its unity and the wholesomeness of its lands. No one can ever imagine the division of Iraq.

The U.S House of Representatives voted late at the night of last Wednesday dated September 26, 2007 for the draft resolution of the democratic senator, Joseph Biden, authorizing the plan of dividing Iraq administratively on racial and sectarian basis.

The draft resolution states the establishment of three territories: Shiite, Sunni and Kurdish which will be organized in the frame of the Federal government. Senator Biden, who intends to nominate himself in the next presidency election, claims that his suggestion is the best way to end the war launched in Iraq four and a half years ago, and paves the way for the return of the American forces to their homeland.

In fact, the claims made by the U.S Congress regarding this dangerous resolution, which endorses the tearing apart of an Arab country, are merely excuses for the sake of carrying out the American strategy declared by the previous US Minister of foreign affairs Collin Powel at the night of the US invasion of Iraq. They are also for the sake of Israel.

الفهـــرس



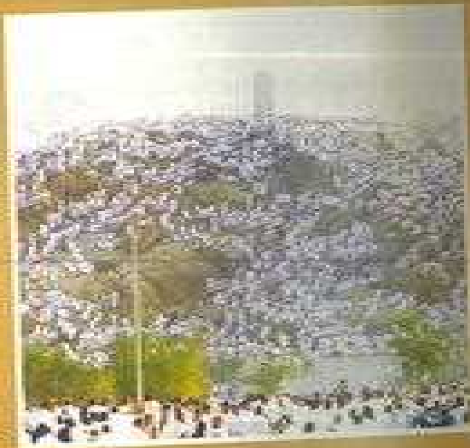
هدية العدد:
العلمانية والإسلام
بين الفكر والتطبيق

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ
حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ
ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

الأزهر

مجلة إسلامية شهرية تصدرها مجمع البحوث الإسلامية
ذو الحجة ١٤٢٨هـ - يناير ٢٠٠٨ - الجزء ١٢ - السنة ٨٠







VOL. 80, Part XII.   ذو الحجة ١٤٢٨هـ - يناير ٢٠٠٨م - الجزء (١٢) السنة (٨٠)

AL AZHAR
MAGAZINE

Zul-Hejja, 1428 H. Jan. 2008
Vol. 80, Part XII.







بسم الله الرحمن الرحيم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

الاشتراك السنوى
داخل مصر ١٨ جنيها مصريا - الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا
عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٢٥٧٨٦١٠٠ - ٢٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر
ت: ٢٢٦٢٨٥٩٩

ذو الحجة ١٤٢٨هـ - يناير ٢٠٠٨م - الجزء الثانى عشر - السنة الثمانون

سبق الشريعة الإسلامية في تقرير الضمان الاجتماعي

(٢)

التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يقف عند العون المادي وحده، كما حصر في تشريعات الغرب، بل يمتد إلى متطلبات الحياة الروحية والثقافية والطبية وكل ما يحتاج إلى إسعاف وعون وستر ومواساة، فقد جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» فهذا الحديث أصل من أصول التكافل الاجتماعي الشامل، وبه تتأصل الوشائج الرابطة بين القلوب، فقد يكون الإنسان غنيا غير محتاج إلى مال، ولكنه وقع في كربة أليمة لاضطهاد أو بغي أو تألب طائفة عليه بالزور والبهتان، فهو محتاج إلى من ينفس عنه كربته، وأينا لم تصادفه الأهوال أحيانا بما لا يطيق فيحتاج إلى صدر رحب الجنبات، يهدئ من روعه، ويلطف من عذابه، وتسعى إلى إزالة الضر عن سمعته وكرامته في موطنه، هذا بعض ما يؤخذ من قول الرسول ﷺ من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم

القيامة، والعسر والضيق ما أشدهما على نفس الإنسان سواء كان العسر ماديا أو معنويا، وفي هذه الحالة يجب تقديم النصيحة للإنسان وإرشاده بإخلاص إلى باب الخلاص، وفي الحديث ما يفيد أن الجزاء دنيوي وأخروي معاً، بمعنى أن كل إنسان معرض للأزمات مواجه بالشدائد فإذا نهض في تفريج معسرة أخيه، فسيجد في الدنيا من ينهض لتفريج كربته جزاء وفاقا، أما ستر العيب فمن أعظم مظاهر التكافل الإنساني.. لأن الإنسان خطاء يخضع إلى شتى الغرائز ومختلف الأهواء، ووساوس الشيطان تنتابه عن يمين وشمال فإذا زل في معصية، وجب على أخيه أن يستر عليه وأن يعلم أن الله يحب العفو والصون، فلا يكون مذياعا يبث المثالب، بل يقدر في ذات نفسه أنه معرض لمثل ما تعرض له أخوه، وأنه في هذه المحنة يجب أن يستر الله عليه فليكن شأنه مع صاحب شأنه مع نفسه، بهذا التراحم الإنساني تقوى الأواصر. وتتوثق الصلات، وهذا كله مع الإنسان المستتر المحتشم أما الذي يجاهر بالمعصية، ويفتخر بالإثم، ويواقعه عن عمد فهذا ممن يجب تحاشيه والابتعاد عن معونته، وقد قال ﷺ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم» وذوو الهيئات هم الذين يحافظون على السمعة الطيبة، والأثر الحميد، ويسوؤهم أن تتناقل عنهم الأحاديث بما لا يليق، وهم أصل المجتمع وعماده، لأن ذوي الخير مجال القدوة وموطن الاحتذاء، فإذا وقعت من أحدهم زلة ما، كان من التكافل الاجتماعي والتراحم الإنساني أن يسترها عليه من يعرف أمرها وألا يذيع شيئا عنها في مجلس من المجالس، أو إلى صديق يخصه بسره، وقد كان من سادات العرب من لا يسمح لأحد أن ينطق بسوء في مجلسه وأن يحرص على أن يكون محضره مثاليا مبرئا من الغيبة والنقيصة، ومن هؤلاء من قيل فيه:

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا
فلم ينطقوا العوراء وهو قريب

ونحن نعرف في حياتنا أناسا من هذا الطراز فنجلهم عن أن نذكر في مجالسهم ما لا يليق، وليتنا نحاول أن نقتدي بهم، لأن الإعجاب بالشخص المثالي يدعو إلى محاكاته متى سلمت النفوس، وطهرت الأسرار.

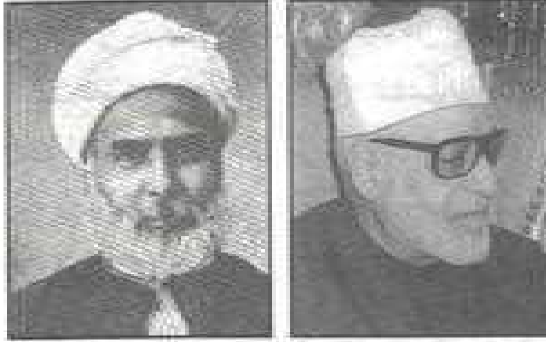
ومن التكافل الاجتماعي الذي لا ينتهي إلى حدود المال بل يتعداه إلى كل ما يأتي

بالنفع الشامل للناس واجب النصيحة، وأقول واجب النصيحة وأنا أعنى معنى الوجوب. إذ ما دام المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، فإن من حق الغافل عن الخطر، والجاهل بالعواقب أن يجد من ينبهه إلى حقيقة أمره، وإن لم يطلب ذلك منه، وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم عن تميم الدارمى: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

والنصيحة لله ورسوله وكتابه باتباع ما أمر الله فى كتابه، وما جاء عن الرسول فى هديه، أما النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم فهى من الأهمية بحيث لا يعلو عليها كبير، فالإمام مهما تتفق عقله، وحصف رأيه عليه أن يستمع إلى نصح الناصح، وأن يوازن بين ما جاءه من نصح، وما اتجه إليه من رأى قد لا يكون صوابا عند الناصح، لأنه ليس مسئولا عن نفسه فحسب، بل هو مسئول عن رعيته جميعا، وأمور الرعية أوسع من أن يستقل بأمرها فرد دون أن يلتمس المعونة من النصحاء! والذى يخزن رأيه الصائب عن إنسان لا يرى موضع الصواب بمنزلة من يخزن الطعام عن الفقير الجائع، فكما يحتاج الجائع إلى غذاء جسم يمده بالعافية والحياة، يحتاج العقل إلى غذاء فكرى يمده بالصواب، فيزيده إيمانا برأيه إذا اتفق معه المشير، وتهديه إلى الصراط السوى إذا أشار عليه بما يفيد، وقد قال الفقهاء عن شخص يعرف أن فى الطريق خطرا من سبع ضار أو قاطع طريق، أو سلك كهربائى مقطوع، ثم لا يقوم بتنبيه من يسلك هذا الطريق إلى ما يترصده من خطر إنه ارتكب جريمة بالترك، وعليه الإثم فكذلك من سكت عن النصيحة حين يراها تهدى إلى خير أو تنقذ من خطر، وليسأل هذا الساكت عن الحق نفسه أإذا كان المحتاج للنصيحة أخاه أو ولده أو صديقه ممن يحرص على سعادتهم أفيسكت عن إبداء النصح أم أنه سيسارع إليه باذلا أقصى ما يستطيع من وسائل الاقتناع، فإذا كان المؤمنون أخوة، فحق الأخ فى الدين والإنسانية لا يقل عن حق الأخ فى الأسرة! هذه الحقائق وأشباهها يجب أن تتقرر فى دروس الأخلاق الدينية، وأن يتجاوز القول فى الدروس إلى التطبيق فى العمل فى المجتمع، وهنا يتحقق قول الله

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)



الشيخ جاد الحق — الإمام محمد عبده

بقيت مسألة مهمة هى أصل من أصول التكافل الاجتماعى فى الإسلام، وقد شغلت فكرى منذ سنوات عدة، وناقشت فيها الإمام الأكبر المغفور له الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق دون أن نصل معاً إلى رأى حاسم، وقد عرض علىَّ أن أتقدم بها إلى لجنة الفقه فى مجمع البحوث الإسلامية ولم أكن حينئذ من أعضاء المجمع الموقر، فآثرت السكوت حتى أجد من الأدلة الشافية الكافية ما يقنع السادة الأعضاء، هذه المسألة هى النظر المطمئن الثاقب إلى قول الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾

أى الميراث.

فقد ألح علىَّ خاطر لم أستطع حولاً عنه، حين وقعت فى بعض القرى واقعة مؤداها أن تاجرا موسرا من عائلة فقيرة كافح بجهده الخاص حتى ملك خمسين فدانا من أجود الأطيان ثم تزوج فى كهولته شابة صغيرة، ورزق منها طفلا لم يتجاوز العام حتى لحق والده بربه، وتزوجت الأم شابا جلدا تنعم بمال المورث، فأصبح محصول الفدادين الخمسين جميعها فى قبضة يده، وإخوة الأب وأخواته فقراء لا يجدون ما يأكلون، وقد حجبهم وجود الطفل عن الميراث! وإذا كان لهم حق النفقة فهذا ما لا أسأل عنه، ولكنى أسأل عن حق الميراث، ألا يجوز أن نأخذ بما روى عن ابن عباس من أن الآية محكمة، وما روى عن سعيد بن جبير من أنها ليست منسوخة وأنها مما عطل تنفيذه لأمر لا يدريه وأن القول بالندب أو الوجوب أو النسخ متضارب، وكله قد ذكره المفسرون، ولو شئت أن أنقل ما توسعوا فيه لامتد حبل الكلام إلى مدى بعيد، ولكن الله قد شرح صدرى إلى قول الأستاذ الإمام محمد عبده فيما نقله عنه صاحب المنار حيث سطع صريحا بقوله:

«ذهب بعض المفسرين إلى أن الأمر بقوله: «فارزقوهم»، للندب، وقالوا إنه لو كان واجبا لحدد وقدر تقدير المواريث وليس هذا بدليل، فقد يجب العطاء ويوكل الأمر فى

المقدار إلى المعطى، وقال سعيد بن جبير: إنه للوجوب وهجره الناس كما هجروا العمل بآية الاستئذان عند دخول البيوت، وهذا هو القول المختار، والقول بأنه ندب أو منسوخ من تفسير القرآن بالرأى، وتحويله إلى موافقيه بإخراج الألفاظ من ظواهر معانيها المتبادرة منها، وإن من رحمة الله - تعالى - بنا أن فوض أمر مقدار ما نعطيه إلينا وجعله مما يتفاضل به الأسخياء [1].


أ.د. محمد سيد طنطاوى

وحول هذا النص الكريم قال الأستاذ الدكتور الإمام/ محمد سيد طنطاوى فى تفسيره الجليل بعد أن عرض لما قيل: «والخلاصة أن الذى تطمئن إليه النفس هو قول من قال: إن الآية محكمة وليست بمنسوخة، لأنه أثر عن بعض الصحابة والتابعين أنهم كانوا يفعلون ذلك ويأمرون به، ولأن الروايات القائلة بأنها منسوخة روايات مضطربة، بخلاف الروايات القائلة بأنها محكمة فهى ثابتة فى صحيح البخارى، ولأن الآية الكريمة لا تتعارض مع آية المواريث لأنها إنما تأمر بما يؤدى إلى التعاطف والتراحم بين الناس، وهذا أمر لا يُنسخ بل هو ثابت فى كل زمان ومكان، ونرى كذلك أن الأمر فى قوله تعالى «فارزقوهم منه» على سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل الفرض والإيجاب!».

ولعلى بعد هذا الإلمام الموجز أكون قد قدمت اقتراحا بضرورة النظر فى الآية الكريمة على ضوء ما يجرى من أحداث الزمن وفى دائرة ما ذكره العلماء الأثبات من المفكرين.

وبعد فنحن لا ننكر على كل ذى فضل فضله، إذ نقرر أن الغرب قد التفت إلى قانون التكافل الاجتماعى، وطبقه كما تراءى له ولكننا مع ذلك يجب ألا ننسى أن ذلك بدأ فى القرن التاسع عشر بألمانيا إذ سبقت الجميع فى المجتمع الاوروبى، وكان ذلك بعد ظهور الإسلام، وقيام الدولة الإسلامية بألف ومائتى سنة وإحدى وستين وهو أمد شاسع كان فيه الفقير فى عهد الرسالة الخاتمة والخلافة الراشدة ومن سار على هديها من ملوك الإسلام، كان فيه الفقير مجال التطبيق العملى لقانون التكافل الاجتماعى دون صخب أو ضجيج، وقد حفلت كتب التاريخ بأخبار أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعمر بن عبدالعزيز، ونور الدين زنكى، وصلاح الدين، والظاهر بيبرس، وغيرهم على مد الإسلام وشتى عصوره مما دون

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ج٣ ص٥٤.

فى الآثار، وأصبح معروفا حتى لدى تلاميذ المدارس الابتدائية، فكلها تتحدث فى كتبها عن شفقة عمر وحمله الزاد للفقيرة العاجزة فى غسق الليل، وعما زهد فيه الزاهدون من المال المتدفق بين أيديهم عن اليمين وعن الشمال إذ قاموا بتوزيعه دون أن يحتجزوا شيئا منه، وفى العصور القريبة نرى كتب الرحلات من أمثال رحلات ناصر خسرو، وابن جبير، وابن بطوطة، تحفل بمشاهد للتكافل لو وفيت حقها من التسجيل لبهرت العقول، ويكفى أن أشير إلى حديث ابن بطوطة عمن سماهم «الفتيان» إذ أفردوا مكانا فسيحا لغداء الوافدين من الناس وعشائهم كل يوم، فمن رأى فندقا فى هذا العصر يقدم الطعام والشراب والمأوى دون حساب من وافد! لقد كان هذا حقيقة واقعة سجلها ابن بطوطة، وليس بمبالغ، فقد زار أكثر بقاع العالم، وتحدث عن مشاهد الكرم والتكافل فى بعضها دون بعض، ولو كان مبالغا لكان حديثه عاماً شائعاً، وإذا كان الحديث الطويل مما يدفع إلى الملل فإنى أجتزئ بما قدمت خاتما حديثى بهذه النفحة العاطرة من قول أحمد شوقى مخطباً سيد الأنبياء ﷺ:

البر عندك ذمة وفريضة
لا منة ممنونة وجباء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل فى حق الحياة سواء
فلو ان إنسانا تخير ملة
ما اختار إلا دينك الفقراء
ورسمت بعدك للعباد حكومة
لا سوقة فيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال تعالى:

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ
وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ
غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٥٣
ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

(الآيات: ١٥٣ / ١٥٤)

ثم ذكرهم -سبحانه- بعد ذلك بما كان من بعضهم بعد أن اضطربت أحوالهم وجاءهم أعداؤهم من أمامهم ومن خلفهم بسبب ترك معظم الرماة لأماكنهم فقال -تعالى-:

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾

وقوله: ﴿ تُصْعِدُونَ ﴾ من الإصعاد وهو الذهاب في صعيد الأرض والإبعاد فيه.

يقال: أصعد في الأرض إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه فهو الصعد.

قال القرطبي: الإصعاد: السير في مستو من الأرض وبطون الأودية والشعاب.

والصعود: الارتفاع على الجبال والدرج.

وقوله: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ صَرَفَكُمْ ﴾ أو بقوله: ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾

أو بمحذوف تقديره اذكروا.

أي اذكروا -أيها المؤمنون- وقت أن كنتم مصعدين تهرولون بسرعة في بطن الوادي بعد أن اختلت صفوفكم واضطرب جمعكم وصرتم لا يعرج بعضكم على بعض ولا يلتفت أحدكم إلى غيره من شدة الهرب، والحال أن رسولكم ﷺ «يدعوكم في أخراكم» أي يناديكم في أخراكم أو في جماعتكم الأخرى أو من خلفكم يقال: جاء فلان في آخر الناس وأخراهم إذا جاء خلفهم كما يقال: جاء في أولهم وأولاهم.

والمراد أن الرسول ﷺ كان يدعو المنهزمين إلى الثبات وإلى ترك الفرار من الأعداء وإلى معاودة الهجوم عليهم وهو ثابت لم يتزعزع ومعه نفر من أصحابه.

قال ابن جرير[1]: لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها فجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إليَّ عباد الله» فذكر الله صعودهم إلى الجبل، ثم ذكر دعاء النبي ﷺ إياهم فقال:

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾

ففي هذه الجملة الكريمة تصوير بديع معجز لحال المسلمين عندما اضطربت صفوفهم في غزوة أحد، فهي تصور حالهم وهم مصعدون في الوادي بدون تمهل أو تثبت وتصور حالهم وقد أخذ منهم الدهش مأخذه بحيث أصبح بعضهم لا يلتفت إلى غيره أو يسمع له نداء أو يجيب له طلبا وتصور حال النبي ﷺ وقد

(١) تفسير ابن جرير جـ٤ ص١٢٢.

ثيت كالطود الأشم بدون اضطراب أو وجل ومعه صفوة من أصحابه وقد أخذ ينادى الفارين بقوله «إلىَّ عباد الله، إلىَّ عباد الله أنا رسول الله، من يكر فله الجنة».

وقوله -تعالى-:

﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ ﴾

بيان للنتيجة التى ترتبت على هذا الاضطراب وهو معطوف على قوله:

﴿ صَرَفَكُمۡ ﴾ أو على قوله:

﴿ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ ﴾

ولا يضر كونهما مضارعين فى اللفظ لأن إذ المضافة إليهما صيرتهما ماضيين فى المعنى.

وأصل الإثابة إعطاء الثواب وهو شىء يكون جزاء على عطاء أو فعل ولفظ الثواب لا يستعمل فى الأعم الأغلب إلا فى الخير، والمراد به هنا العقوبة التى نزلت بهم وسميت العقوبة التى نزلت ثوابا على سبيل الاستعارة التهكمية كما فى قوله:

﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(آل عمران: ٢١)

ويجوز أن يكون اللفظ مستعملا فى حقيقته لأن لفظ الثواب فى أصل اللغة معناه ما يعود على الفاعل من جزاء فعله سواء أكان خيرا أو شرا.

قال القرطبى: قوله -تعالى-:

﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ ﴾ الغم فى اللغة التغطية يقال: غممت الشىء أى غطيته ويوم غم وليلة غمة إذا كانا مظلمين.

قال مجاهد وقتادة وغيرهما: والغم الأول القتل والجراح والغم الثانى الإرجاف بمقتل النبى ﷺ وقيل الغم الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة والثانى: استعلاء المشركين عليهم وعند ذلك قال النبى ﷺ «اللهم لا يعان علينا».

والباء فى ﴿ بِغَمّٖ ﴾ على هذا بمعنى على وقيل هى على بابها والمعنى أنهم غموا النبى ﷺ بمخالفتهم إياه فأثابهم بذلك غمهم بمن أصيب منهم»[٢].

ويجوز أن يكون الكلام مجرد التكثير أى جازاكم بغموم وأحزان كثيرة متصل بعضها ببعض بأن منع عنكم نصره وحرمكم الغنيمة وأصابتكم الجراح الكثيرة وأشيع بينكم أن نبيكم قد قتل.. وكل ذلك بسبب أنكم خالفتم وصية نبيكم ﷺ وتغلب حب الدنيا وشهواتها على قلوب بعضكم فلم

(٢) تفسير القرطبى - بتصرف وتلخيص - جـ٤ ص-٢٤.

تخلصوا لله الجهاد فأصابكم ما أصابكم.

وقوله:

﴿ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ ﴾

تعليل لقوله: ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾

أى: ولقد عفا الله -تعالى- عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من غنائم ونصر ولا على ما أصابكم من جراح وآلام فإن عفو الله -تعالى- يذهب كل حزن ويمسح كل ألم.

ويرى صاحب الكشاف أن معنى:

﴿ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ ﴾

ليتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار.

ثم قال: ويجوز أن يكون الضمير فى «فأثابكم» للرسول أى: فآساكم فى الاغتمام -أى فصار أسوتكم- لأنه كما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرها فقد غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره، وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو»[٣].

ثم ختم -سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ أى: والله -تعالى- عليم بأعمالكم ونياتكم علما كاملا، وخبير بما انطوت عليه نفوسكم فهو -سبحانه- لا تخفى عليه خافية مهما صغرت فاتقوه وراقبوه واتبعوا ما كلفكم به لتنالوا الفوز والسعادة.

ثم ذكرهم -سبحانه- ببعض مظاهر لطفه بهم ورحمته لهم حيث أنزل على طائفة منهم النعاس الذى أدخل الطمأنينة على قلوبهم وأزال الخوف والفزع من نفوسهم فقال -تعالى-:

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ ﴾

والجملة الكريمة معطوفة على قوله:

﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ ﴾.

والأمنة -بفتحتين- مصدر كالأمن يقال: أمن أمنا وأمانا وأمنة.

والنعاس: الفتور فى أوائل النوم ومن شأنه أن يزيل عن الإنسان بعض متاعبه

(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٢٨.

ولا يغيب صاحبه فلذلك كان أمنة لهم: لأنه لو كان نوما ثقيلا لهاجمهم المشركون.

أى: ثم أنزل عليكم -أيها المؤمنون- بعد أن أصابكم من الهم والغم ما أصابكم، أمنا كان مظهره نعاسا اطمأنت معه نفوسكم واستراحت معه أبدانكم من غير فزع ولا قلق، وكان هذا الأمان والاطمئنان لطائفة معينة منكم أخلصت جهادها لله، وخافت مقام ربها ونهت نفسها عن الهوى.

قال ابن كثير: يقول -تعالى- ممتنا على المؤمنين فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة وهو النعاس الذى غشيهم وهم مشتملون السلاح فى حال همهم وغمهم والنعاس فى مثل تلك الحال دليل على الأمان، كما قال فى سورة الأنفال:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾

(الأنفال: ١١)

فعن ابن مسعود قال: «النعاس فى القتال من الله وفى الصلاة من الشيطان».

وروى البخارى عن أبى طلحة قال: «كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفى من يدى مرارا يسقط وآخذه ويسقط وآخذه»(٤).

وقوله: ﴿ نُعَاسًا ﴾ بدل من ﴿ أَمَنَةً ﴾ أو عطف بيان.

قال الفخر الرازى: «واعلم أن ذلك النعاس فيه فوائد:

● أحدها: أنه وقع على كافة المؤمنين لا على الحد المعتاد، فكان ذلك معجزة للنبى ﷺ ولا شك أن المؤمنين متى شاهدوا تلك المعجزة الجديدة ازدادوا إيمانا مع إيمانهم ومتى صاروا كذلك ازداد جدهم فى محاربة العدو ووثوقهم بأن الله منجز وعده.

● وثانيها: أن الأرق والسهر يوجبان الضعف والكلال، والنوم يفيد عود القوة والنشاط واشتداد القوة والقدرة.

● وثالثها: أن الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين ألقى الله النوم على عين من بقى منهم لئلا يشاهدوا قتل أعزتهم فيشتد خوفهم.

● ورابعها: أن الأعداء كانوا فى غاية الحرص على قتلهم فبقاؤهم فى النوم مع السلامة فى مثل تلك المعركة من أول الدلائل

(٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣-٤.

على أن حفظ الله وعصمته معهم وذلك مما يزيل الخوف عن قلوبهم ويورثهم مزيد الوثوق بوعد الله»(٥).

هذا جانب مما امتن الله به على المؤمنين من فضل ورعاية، حيث أنزل عليهم النعاس فى أعقاب ما أصابهم من هموم ليكون راحة لأبدانهم، وأمانا لنفوسهم.

أما غير المؤمنين الصادقين فلم ينزل عليهم هذا النعاس بل بقوا فى قلقهم وحسرتهم وقد عبر الله -تعالى- عنهم بقوله:

﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

وقوله: ﴿ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ حملتهم على الهم، والهم ما يهتم له الإنسان أو ما يحزنه، يقال: أهمنى الأمر أى أقلقنى وأزعجنى، كما يقال: أهمنى الشىء، أى جعلنى مهتما به اهتماما شديدا.

والمعنى: أن الله -تعالى- أنزل النعاس أمانا واطمئنانا للمؤمنين الصادقين بعد أن أصابتهم الغموم وهناك طائفة أخرى من الذين اشتركوا فى غزوة أحد لم تكن صادقة فى إيمانها لأنها كانت لا يهمها شأن الإسلام انتصر أو انهزم ولا شأن النبى ﷺ وأصحابه وإنما الذى كان يهمها هو شىء واحد وهو أمر نفسها وما يتعلق بذلك من الحصول على الغنائم ومتع الدنيا.

أو المعنى: أن هذه الطائفة قد أوقعت نفسها فى الهم والحزن بسبب عدم اطمئنانها وعدم صبرها، وجزعها المستمر.

وإلى هذين المعنيين أشار صاحب الكشاف بقوله:

﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ أى: ما يهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم الرسول ﷺ والمسلمين وقد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم فى الهموم والأشجان فهم فى التشاكى والتباكى»(٦).

والجملة الكريمة مستأنفة مسوقة لبيان حال ضعاف الإيمان بعد أن بين -سبحانه- ما امتن به على أقوياء الإيمان.

وقوله:

﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

وصف اخر لسوء أخلاق هذه الطائفة التى ضعف إيمانها وصارت لا يهمها إلا ما يتعلق بمنافعها الخاصة.

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ٧ ص٤٤.
(٦) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٢٨.

أى أن هذه الطائفة لم تكتف بما استولى عليها من طمع وجشع وحب لنفسها بل تجاوزت ذلك إلى سوء الظن بالله بأن توهمت بأن الله -تعالى- لن ينصر رسوله ﷺ وأن الإسلام ليس دينا حقا وأن المسلمين لن ينتصروا على المشركين بعد معركة أحد.. إلى غير ذلك من الظنون الباطلة التى تتولد عند المرء الذى ضعف إيمانه وصار لا يهمه إلا أمر نفسه.

وقوله: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ﴾ حال من الضمير المنصوب فى «أهمتهم» أو استئناف على وجه البيان لما قبله.

وقوله: ﴿ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ مفعول مطلق وصف لمصدر محذوف أى يظنون بالله ظنا غير الحق الذى يجب أن يتحلى به المؤمنون إذ من شأن المؤمنين الصادقين أن يستسلموا لقدر الله بعد أن يباشروا الأسباب التى شرعها لهم: وأن يصبروا على ما أصابهم وأن يوقنوا بأن ما أصابهم هو بتقدير الله وبحكمته وبإرادته:

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾

(الرعد: ٨)

وقوله: ﴿ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ بدل أو عطف بيان مما قبله.

أى يظنون بالله شيئا هو من شأن أهل الجاهلية الذين يتوهمون أن الله لا ينصر رسله ولا يؤيد أولياءه ولا يهزم أعداءه.

ثم بين -سبحانه- ما صدر عنهم من كلام باطل بسبب ظنونهم السيئة فقال -تعالى-:

﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾.

والاستفهام للإنكار بمعنى النفى وهم يريدون بهذا القول تبرئة نفوسهم من أن يكونوا سببا فيما أصاب المسلمين من آلام يوم أحد، وأن الذين تسببوا فى ذلك هم غيرهم.

أى: يقول بعضهم لبعض ليس لنا من الأمر شىء أى شىء فلسنا مسئولين عن الهزيمة التى حدثت للمسلمين فى أحد لأننا لم يكن لنا رأى يطاع ولأن الله -تعالى- لو أراد نصر محمد ﷺ لنصره.

وهذا القول قاله عبدالله بن أبى سلول حين أخبروه بمن استشهد من قبيلة الخزرج فى غزوة أحد.

وذلك أن عبدالله بن أبى لما استشاره النبى ﷺ فى شأن الخروج لقتال المشركين فى أحد أشار عليه بأن لا يخرج من المدينة إلا أن الرسول ﷺ خرج لقتال المشركين بناء على إلحاح بعض الصحابة.

فلما أخبر ابن أبى بمن قتل من الخزرج قال: هل لنا من الأمر شىء؟ يعنى أن النبى ﷺ لم

يقبل قوله حين أشار عليه بعدم الخروج من المدينة.

وقد أمر الله -تعالى- نبيه ﷺ أن يرد على هؤلاء الظانين بالله ظن السوء بقوله:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾.

أى قل لهم إن تقدير الأمور كلها لله -تعالى- وحده وأن العاقبة ستكون للمتقين إلا أنه -سبحانه- قد جعل لكل شىء سببا فمن أخلص لله فى جهاده وباشر الأسباب التى شرعها للنصر نصره الله -تعالى- ومن تطلع إلى الدنيا وزينتها و خالف أمر نبيه ﷺ أدبه الله -تعالى- بحجب نصره عنه حتى يفىء إلى رشده ويتوب توبة صادقة إلى ربه ويتخذ الوسائل التى شرعها الله -تعالى- للوصول إلى الفوز والظفر.

فالجملة الكريمة معترضة للرد عليهم فيما تقولوه من أباطيل.

ثم كشف -سبحانه- عما تخفيه نفوسهم من أمور سيئة فقال:

﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾

أى: أن هؤلاء الذين أهمتهم أنفسهم: والذين يظنون بالله غير الحق يخفون فى أنفسهم من الأقوال القبيحة والظنون السيئة أو يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يستطيعون إظهاره أمامك.

وهذه الجملة حال من الضمير فى قوله:

﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا ﴾ السابقة.

وقوله:

﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾

بيان لبعض ما يخفون أو لما يقولونه فيما بينهم.

أى يقولون لو كان لنا من الأمر المطاع أو المسموع شىء ما خرجنا من المدينة إلى هذا المكان الذى قتل فيه أقاربنا وعشائرنا.

فأنت ترى أن القرآن يحكى عنهم أنهم يريدون تبرئة أنفسهم مما نزل بالمسلمين بأحد وأنهم لو كان لهم رأى مطاع لبقوا فى المدينة ولم يخرجوا منها لقتال المشركين وأن التبعة فى كل ما جرى فى غزوة أحد يتحملها النبى ﷺ وأصحابه الذين ألحوا عليه فى الخروج لقتال المشركين خارج المدينة وأن النبى ﷺ وأصحابه لو كانوا على الحق لانتصروا.

قال ابن جرير:[٢] وذكر أن ممن قال هذا القول:

(٢) تفسير ابن جرير جـ٤ ص١٤٣.

﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾.
معتب بن قشير من بنى عمرو بن عوف، فعن عبدالله بن الزبير، عن الزبير قال، والله إنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى ما أسمعه إلا كالحلم حين قال:

«لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا».

وقد أمر الله -تعالى- رسوله ﷺ أن يرد عليهم بما يدفع أقوالهم الباطلة فقال:

﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾

وقوله: ﴿ لَبَرَزَ ﴾ من البروز وهو الخروج من المكان الذى يستتر فيه الإنسان

و﴿ الْمَضَاجِعِ ﴾ جمع مضجع وهو مكان النوم والمراد به هنا المكان الذى استشهد فيه من استشهد من المسلمين.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الذين يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتل أقاربنا فى هذا المكان من جبل أحد قل لهم لو كنتم فى بيوتكم ومنازلكم بالمدينة ولم تخرجوا للقتال بجملتكم لخرج لسبب من الأسباب الداعية إلى الخروج الذين كتب عليهم القتل فى اللوح المحفوظ إلى مضاجعهم أى أماكن قتلهم التى قدر الله لهم أن يقتلوا فيها لأنه ما من نفس تموت إلا بإذن الله وبإرادته ولن يستطيع أحد أن ينجو من قدر الله المحتوم وقضائه النافذ فإن الحذر لا يدفع القدر، والتدبير لا يقاوم التقدير:

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾.

(لقمان: ٣٤)

وفى هذا الرد مبالغة فى إبطال ما قاله هؤلاء الذين يظنون بالله الظنون السيئة حيث لم يقتصر -سبحانه- على تحقيق القتل نفسه متى قدره بل عين مكانه أيضا.

ثم بين -سبحانه- بعض الحكم من وراء ما حدث للمسلمين فى أحد فقال:

﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

والابتلاء: الاختبار وهو هنا كناية عن أثره وهو إظهاره للناس ليتميز قوى الإيمان من ضعيفه.

والتمحيص تخليص الشيء مما يخالطه مما فيه عيب له.

والجملة معطوفة على كلام سابق يفهم

من السياق والتقدير: نزل بكم ما نزل من الشدائد فى أحد لتتعودوا تحمل الشدائد والمحن وليعاملكم -سبحانه- معاملة المختبر لنفوسكم فيظهر ما تنطوى عليه من خير أو شر حتى يتبين الخبيث من الطيب وليخلص ما فى قلوبكم ويزيل ما عساه يعلق بها من أدران ويطهرها مما يخالطها من ظنون سيئة فإن القلوب يخالطها بحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة وحب الشهوات ما يضاد ما أودع الله فيها من إيمان وإسلام وبر وتقوى.

فلو تركت فى عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص من الآثام فاقتضت حكمة الله -تعالى- أن ينزل بها من المحن والبلاء ما يكون بالنسبة لها كالدواء الكريه لمن عرض له داء.

وقوله:

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

أى عليم بأسرارها وضمائرها الخفية التى لا تفارقها فهو القائل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾

(آل عمران: ٥)

وهو القائل:

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾

(طه: ٧)

***

السنة

الأضحى

هو اليوم الذى اكتمل فيه بناء الأمة الإسلامية

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

روى الشيخان (رحمهما الله) عن عائشة (رضى الله عنها) قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث. فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبوبكر فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ! فأقبل عليه رسول ﷺ فقال: (دعهما). فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فإما سألت النبى ﷺ وإما قال: (تشتهين تنظرين؟) فقلت: نعم. فأقامنى وراءه خدى على خده وهو يقول: (دونكم يا بنى أرفدة) حتى إذا مللت قال: (حسبك) قلت: نعم. قال: (فاذهبى).

اللغويات

تغنيان: أى: بشعر حماسى يصف الشجاعة والحرب وهو من الغناء المباح أما الغناء بذكر الفواحش وما إليها فهو حرام ولا يقره -بحال- رسول الله ﷺ ولايرضاه.

بعاث: يوم مشهور من أيام العرب فى الجاهلية كانت فيه مقتلة عظيمة للأوس على الخزرج وبقيت الحرب قائمة مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام.

مزمارة الشيطان: يريد به الدف.

الدرق: جمع درقة وهو الترس من الجلد.

يا بنى أرفدة: نسب النبى ﷺ الأحباش إلى جدهم وكان يسمى أرفدة.

الشرح والبيان

شأن العيد أن يأتى على قوم قد جدوا واجتهدوا وصابروا وصبروا وعملوا وبذلوا ليجنوا ثمرة عملهم وحصاد اجتهادهم وما سمى العيد عيدا إلا لأنه يعود ويتكرر ولأنه يعود بالفرح والسرور ولهذا جاز فيه اللهو المباح ولقد روى أنس بن مالك (رضى الله عنه) والحديث رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده أن الأنصار كان لهم يومان يلعبون فيهما فى الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ قال: (قد أبدلكم الله يومين خيرا منهما: الفطر والأضحى).

واليومان المذكوران هما يوم النيروز الذى يمثل أول أيام السنة الشمسية ويوم المهرجان الذى هو أول يوم الميزان وهما يومان معتدلان فى الهواء لا حر ولا برد ويستوى فيهما الليل والنهار فاختارهما حكماء الأقدمين المولعون بالهيئة يومى عيد للعب والفرح وظل الأمر على هذا حتى أبطلهما الإسلام وأحل محلهما يومى الفطر والأضحى.

ويوم الفطر هو اليوم الذى وضع فيه الأساس لبناء دولة الإسلام فهو يوم اجتماع للمسلمين، وفى اجتماعهم إعلاء لكلمة الله وهو يوم فطر صيامهم وفيه أداء زكاة فطرهم وبالتالى يسعد الفقراء والأغنياء ويبتهجون بما أنعم الله عليهم، إذ وفقهم لأداء ما افترض عليهم.

ويوم الأضحى هو اليوم الذى تم فيه صرح البناء فما أجدر اليومين أن يكونا عيدين ترسم فيهما ذكرياتهما وآثارهما وإيحاؤهما على صفحات القلوب!

وإذا كان يوم الأضحى من أيام الله العظيمة المباركة التى اكتمل فيها بناء الأمة الإسلامية، وأخذت مكانها عزيزة بين الأمم فهو يوم عيد سعيد، يوم تكبير وتهليل وتحميد يشعر فيه الجميع بالفرح والسرور ويترفعون فيه عن الدنايا والفجور، فيوم العيد هو المقياس الذى تعرف به أخلاق الأمم فمن أراد أن يعرف أمة من الأمم فليراقبها فى أعيادها، ففى الأعياد تنطلق السجايا على فطرتها وتبرز الطباع والعادات على حقيقتهما والمجتمع المثالى السعيد هو الذى تسمو أخلاقه فى العيد إلى أعلى ذروة، ويمتد شعوره الإنسانى إلى أبعد مدى، متمثلا فى صلة الأرحام وتبادل التهانى والزيارات للأهل والجيران والأصدقاء وترك الأحقاد والعداوات والخصومات، وبذل الخير وتقديم العون لكل محتاج، وأعيادنا شعيرة من أعظم شعائر الدين يجب علينا الحرص على إظهارها وفق سنة رسول الله ﷺ وأن نتحرى الحلال الطيب وأن نتجنب الحرام الخبيث، فحين دخل أبو بكر (رضى الله عنه) فى يوم عيد بيت رسول الله ﷺ وعنده جاريتان يذكران يوم بعاث اليوم الذى قتل فيه صناديد الأوس والخزرج، ذكرت بعض الروايات أن أبابكر قال: «عباد الله، احذروا الشيطان» قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا، وإن اليوم عيدنا» وأكد ذلك ما روى عن

عائشة (رضي الله عنها) أنه ﷺ قال يومئذ: «لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فسحة إني بعثت بحنيفية سمحاء».

وإن من صفات المؤمنين الصادقين أن يطيعوا الله ورسوله ﷺ في كل أمر ونهي صدر عنهما وبدون الطاعة لله ورسوله ﷺ لا يمكن أن تصل الأمة إلى تحقيق الغاية التي تصبو إليها والتي تمكن لها في الأرض.

ومن المواقف التي يتعلم منها المسلم الطاعة لله ورسوله ﷺ الموقف الذي يربطنا بأبينا إبراهيم (عليه والسلام) وهو موقف رائع تتجلى فيه الطاعة في أسمى معانيها حيث رأى الخليل إبراهيم (عليه السلام) في منامه رؤيا يؤمر فيه بذبح فلذة كبده، ابنه الوحيد الذي جاء بعد طول انتظار، فبادر إلى تنفيذ أمر ربه وعرض الأمر على ولده اسماعيل (عليه السلام) الصادق الوعد العظيم قال:

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾

(الصافات: ١٠٢)

وكان الجواب مصحوبا بالتوفيق والسداد:

﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

لم يقل إسماعيل لوالده: افعل ما ترى لأن إسماعيل (عليه السلام) -مع صغر سنه- يدرك تمام الإدراك أن رؤيا الأنبياء وحي صحيح وأن أمر الله لابد منه مهما كانت التضحيات

ولما طابت نفس إبراهيم (عليه السلام) بولده استجابة لأمر ربه، وجاد إسماعيل بروحه طاعة لخالقه - جاءت الرحمة من الرحمن وفدى بذبح عظيم:

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(يوسف: ٩٠)

وصدق رب العالمين إذ يقول في كتابه المبين:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

(الصافات: ١٠٣ - ١٠٧)

فالأضحية تذكرنا بأسرة من الأسر المثالية التي ينبغي أن يتخذ المسلمون جميعا منها الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة:

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

(الأنعام: ٩٠)

وهي أسرة الخليل إبراهيم (عليه وعلى نبينا السلام) حيث يذكرنا يوم عيد الأضحى بحادث ابتلاء أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) فهو شيخ آمن بربه ومولاه واحتمل -في سبيل الدعوة إلى توحيده- ما تنوء بحمله الجبال، لم يُبتل بعنت قومه فحسب، بل ابتلى في نفسه كذلك، حتى قذف به في النار، فآثر

دينه وربه ولم يتخلف عن دعوته، وطابت نفسه أن يكون طعاما للنار، فنادى الرحمن (جل جلاله):

﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾

(الأنبياء: ٦٩)

وحين طعن في السن وامتد به قطار العمر حن إلى الولد فدعا ربه أن يرزقه الذرية الصالحة قال:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(الصافات: ١٠٠)

فاستجاب الله دعاءه ولبى نداءه وحقق رجاءه قال تعالى:

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾

(الصافات: ١٠١)

هو الابن الكريم والنبي الصادق الوعد العظيم إسماعيل «عليه السلام» فأسكنه مع أمه ذلك الوادي الذي يحج إليه المسلمون في كل عام وكان - حينئذ - واديا خاليا قفرا من كل معالم الحياة، واطمأنت نفس الشيخ لذلك، لأنه ينفذ أمر مولاه، وأخذ يزور ولده بين حين وآخر، ليفرغ من حنان الأبوة في قلب ذلك الوليد، وتوالت الزيارات، وبلغ الغلام، وظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء، وعلامات الشجاعة والفطنة، وعظمت فيه آمال الوالد الشيخ، وما كاد الشيخ يفرح بشباب ولده ويسر بفطنته وشجاعته حتى فوجيء بالرؤيا توحى إليه، وما أقسى ذلك على قلوب الرجال القساة فكيف بقلب الشيخ الحليم الأواه؟!

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

عندها كان الرضوان من الله أكبر والرحمة منه أسرع والجزاء منه أبقى وأعظم. يتجلى ذلك في قول المولى «سبحانه»:

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

(الصافات: ١٠٣ -١٠٧)

أي: بكبش عظيم من الجنة جاء به جبريل (عليه السلام) قائلا: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، فقال إبراهيم «عليه السلام»: لا إله إلا الله والله أكبر فقال إسماعيل (عليه السلام) الله أكبر ولله الحمد.. ومن ثم فإننا في كل عيد تحيي هذه الذكرة بهذه الكلمات التي لا يغيب جلالها عن القلوب ولا يجف مدادها عن الأذهان، وهكذا يصرف الله عمن أطاعه البلاء، ويمنحه حسن الجزاء. قال تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

(الطلاق: ٢، ٣)

روى ابن ماجة والترمذى (وقال حديث حسن صحيح) عن عطاء بن يسار (رحمه الله) قال: سألت أبا أيوب الأنصارى (رضى الله عنه) كيف كانت الضحايا على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: «كان الرجل يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته، فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصارت كما ترى».

فليوم الأضحى قدسية خاصة وحرمة عظيمة فى الإسلام، روى الشيخان عن أبى بكرة (رضى الله عنه) قال: خطبنا النبى ﷺ يوم النحر قال: «أتدرون أى يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى قال: «أى شهر هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى قال: «أى بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليست بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض».

كلمات ألقاها الرسول الكريم «صلوات الله وسلامه عليه» فى هذا اليوم الأغر على سمع الزمن منذ أربعة عشر قرنا مضت، أقامت موازين العدالة ونصبت مشاعل الهداية، ودعمت أركان الإسلام فى كل مكان، وأخذت بيد الإنسانية إلى بر الأمان وشاطىء السلام، وعاش الناس فى ظلها فى أمن ورخاء وسعادة واستقرار لا يعتدى قوى على ضعيف، ولا يتطلع إنسان إلى ما فى يد غيره، كل منهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن ثم كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول: «لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، فإذا طلبنا العز فى غيره أذلنا الله».

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة طيبة، روى الشيخان (رحمهما الله) عن أنس (رضى الله عنه) قال: (ضحى النبى ﷺ بكبشين أملحين (والأملح الأبيض الخالص) أقرنين (الأقرن: ماله قرنان معتدلان) ذبحهما بيده، وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما - أى جانب عنقهما).

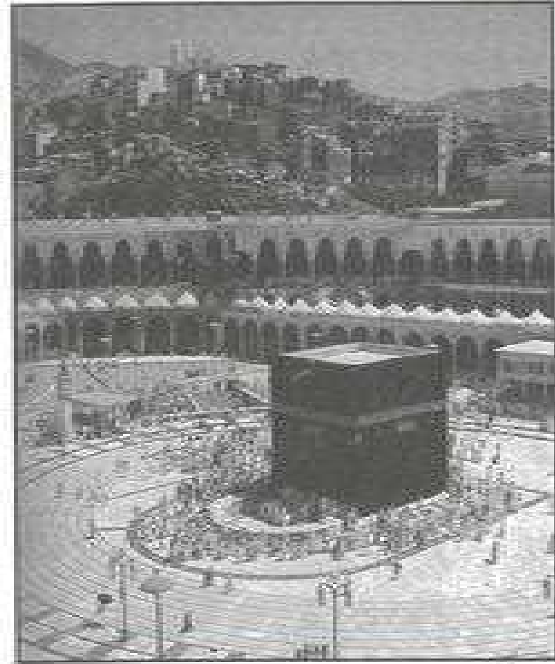
وقد أجمع المسلمون على مشروعية الأضحية لقوله تعالى:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾

(الكوثر: ٢)

روى الشيخان (رحمهما الله) عن البراء بن عازب (رضى الله عنه) قال: خطبنا النبى ﷺ يوم النحر: قال: (إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل أن يصلى فإنما هو لحم عجّله لأهله، ليس من النسك فى شىء)

فلا ينبغى لمسلم يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا يجد سعة لأن يضحى فلا يضحى مع قدرته على التضحية، لما رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجد سعة لأن يضحى فلم يضح فلا يحضر مصلانا» أى: لا يقرب مسجدنا، لأنه ناقص الثواب شحيح فى طلب الأجر لأن الحكمة من الأضحية أولاً تذكير المسلمين بالحادث العظيم، وثانياً التوسعة على الفقراء



والمساكين،، ومن ثم يتضح لنا بجلاء أن أفضل عمل يقدمه المسلم فى هذا اليوم العظيم طاعة لربه وزلفى لخالقه - نحر الأضاحى وذبحها ويكفى أنها تكون حجابا لصاحبها من النار يوم القيامة، ومن عجز عن التضحية نال أجر المضحين إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا تجود يد إلا بما تجده، وذلك لأن النبى ﷺ عند ذبحه أحد كبشيه - كما روى أحمد وأبوداود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال: «اللهم هذا عنى وعن من لم يضح من أمتى».

وفقنا الله «عز وجل» للعمل بقوله والاقتداء بفعله.

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

يسر الدين كما تصوره فريضة الحج وأثر ذلك على الأسرة

لفضيلة الشيخ/ عمر الديب
وكيل الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد..

فإن الله - سبحانه - لم يفرض على المسلم فرضاً إلا وخفف عنه مؤونته ويسر له أداءه، وذلك حتى تصير ملكة التيسير طبيعة في شخص المسلم، يتميز بها على من سواه من المخلوقين أو أرباب العقائد الأخرى.

وقد ورد أن فريضة الحج كانت في وقت مبكر وأنها كتبت في مكة قبل الهجرة، وأيا ما كان وقت فريضة الحج فإن الله - سبحانه وتعالى - يسر على المسلمين أداء هذه الفريضة، ومظاهر هذا التيسير واضحة جلية في أداء شعائر الحج وتعظيم المسلم لها، فإذا طاف بالبيت ولم يستطع استلام الحجر الأسود شرع الله له أن يشير له بيده أو بعصا في يده قائلاً: بسم الله الله أكبر، متذكراً قول عمر بن الخطاب حين قبله: «إني أعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»

ومن مظاهر اليسر في الحج أن الله - تعالى - فرضه مرة واحدة في العمر إن استطاع إلى ذلك سبيلا فقال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا. فقال رجل: أفي كل عام يارسول الله؟ فسكت الرسول ﷺ حتى قالها الرجل ثلاثا وبعد الثالثة قال ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» لأن من أهم شروط وجوب الحج الاستطاعة وهي ليست بالمال فقط، بل به وبغيره مثل القدرة البدنية وأمن الطريق والرفقة المأمونة للنساء أو المحرم إلى غير ذلك من دواعي الاستطاعة، وذلك لأن الحج هو العبادة الوحيدة التي يجتمع فيها العبادة بالجسد والمال.

فهو بجانب أنه عبادة بدنية تتطلب أعمالاً يقوم بها الحاج إلا أنها مع ذلك تتطلب أيضاً بذل المال والإنفاق على تلك العبادة أثناء الرحلة إلى بيت الله الحرام، ومن مظاهر هذا التيسير في أداء المناسك أن الله - سبحانه وتعالى - جعل الفداء ميسوراً إذا - أخطأ الحاج أو نسي بعض الشعائر التي تجبر بدم، وحتى هذا الفداء راعى فيه المولى - عز وجل - التيسير على الحاج، فبدأ بالأيسر من أنواع الفداء ولذلك يقول تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

(البقرة: ١٩٦)

ففي حالة ما إذا كان هناك مرض يقتضي حلق الرأس، أو كان به أذى من الهوام في الشعر أو غيره، فالإسلام دين اليسر، والواقع يبيح للمحرم أن يحلق شعره قبل أن يبلغ الهدى محله وقبل أن يكمل أعمال الحج وذلك في مقابل فدية، ثم انظر في ترتيب أنواع هذه الفدية:

١ - صيام ثلاثة أيام.

٢ - صدقة بإطعام ستة مساكين.

٣ - ذبح شاة:

﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

(البقرة: ١٩٦)

وقد جاء في الحديث الشريف فيما رواه الإمام البخارى قال: «روى عن كعب بن عجرة - قال: حملت إلى النبى ﷺ والقمل يتناثر على وجهى فقال: «ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك». وهكذا نرى أن الدين الإسلامى هو دين اليسر والتيسير هو رائده في أداء العبادات ففى الصلاة يذكر الله - تعالى - أن الصلاة من القيام والقعود ومن النوم على الأجناب فيذكر - تعالى - من صفات المؤمنين:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

(آل عمران: ١٩١)

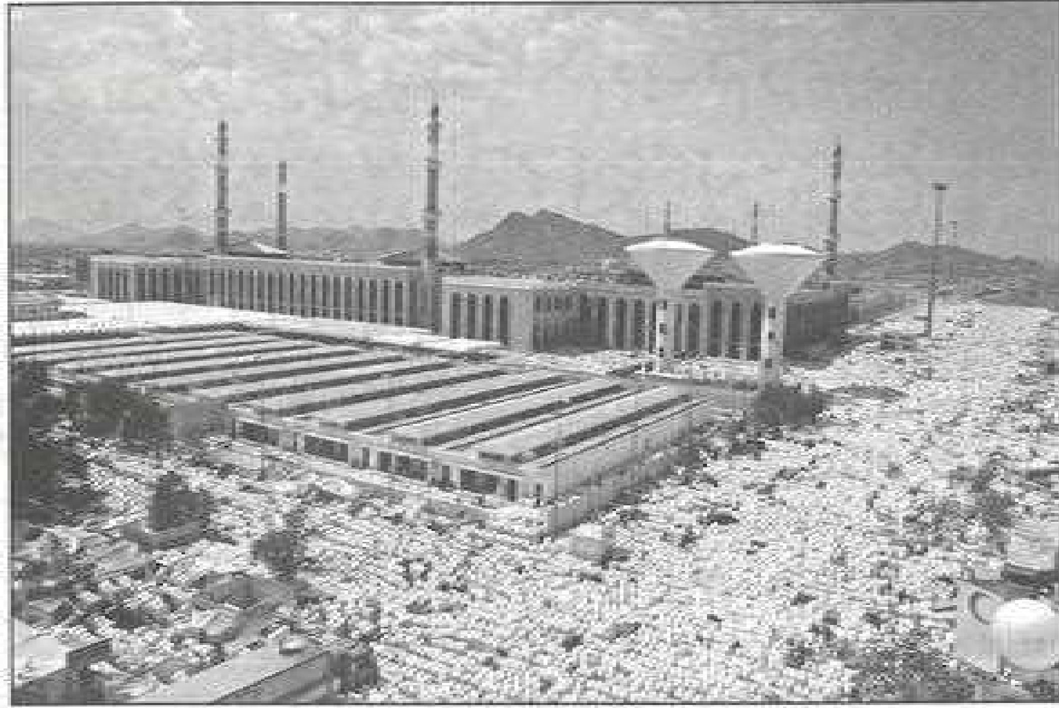
وكذلك نجد أن الله - تعالى - بعدما بين الأعذار التى تبيح الفطر فى نهار رمضان، وعلى المسلم أن يصوم بدلاً منها عدة أخر قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وهنا فى الحج نجد شعائر كثيرة يغلب عليها التيسير على قدر استطاعة الإنسان فيجوز الطواف حول البيت راكباً أو محمولاً، إذا لم يكن قادراً على المشى، كذلك فى السعى بين الصفا والمروة يجوز السعى ماشياً إذا قدر عليه، أما إذا كان كبيراً تقدمت به السن ولايقدر على المشى فيجوز له أن يسعى راكباً أو محمولاً وكذلك الواجب على الحاج أن يتعاون بينه وبين زملائه الحجاج بحيث يأخذ بيد الضعيف ويعين المحتاج، وكيف لا وهو فى ضيافة الرحمن، وفى معية الله؟، حيث يستجيب دعاءهم ويعطيهم كل ما سألوه، وتتجلى السماء وتفتح أبوابها لاستقبال دعاء الحجاج، حتى إنه روى أن إبليس اللعين يهيل التراب على رأسه يوم عرفة وذلك من كثرة ما يرى من استجابة الله لدعاء من يتجه إليه ولكثرة ما سمع من عتق رقاب حجاج بيته من النار.

إن واجب الأسرة المسلمة أن تعلم أبناءها أسرار مناسك الحج ولم شرع كل منسك من هذه المناسك فتعلمهم أن السعى بين الصفا والمروة يرشدنا إلى ضرورة أن يسعى الإنسان لطلب الرزق



ضيوف الرحمن فى مسجد نمرة

وأن رمى الحجارة هو طرد لإبليس حتى لايتدخل بين المسلم وربه.

يذكر أبناءه طاعة إسماعيل - عليه السلام - لأبيه إبراهيم - عليه السلام - حينما ذكر له أنه رأى فى المنام أنه يذبحه فإذا به يجيب إجابة الابن الطائع البار:

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾

(الصافات: ١٠٢)

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يبصرنا بأمور ديننا وأن يتقبل منا عباداتنا إنه نعم المولى ونعم النصير.

***

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[المائدة: ٣]

الإعلان المحمدى من عرفات

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

منذ أكثر من خمسة عشر قرناً وحتى اليوم- وإلى أن يشاء الله- سبحانه وتعالى- تربض «الصخرات الكبار» فى ثقة وفخار عند سفح «جبل الرحمة» فى ساحة عرفات المطهرة مرحبة بالأفواج المؤمنة التى تبادلها الحنين كلما أضاء يوم عرفة من كل عام ليستقبل من رضى الله عنهم، هاتفين بجميع كيانهم وليس بمجرد حناجرهم وألسنتهم: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد«١» والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

عند هذه «الصخرات الكبار» كان سيدنا محمد ﷺ حيث اعتلى ناقته «القصواء«٢»» المباركة والتفت حوله أمته جمعاء التى صدقت به ممثلة فى هذه الألوف المؤمنة التى تسابقت حتى تكون فى ركب الحجيج المثل والمثال الذى يتولى إمارته رسول الله ﷺ حتى يكونوا فى طلائع الذين يأخذون عنه مناسكهم وحتى يكونوا باكورة من صدعوا للأمر: «إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا»«٣».

«١» من إعجاز هذه التلبية أن الحمد سابق للنعمة لأن الحمد لله- سبحانه- حمد مطلق من العبد لربه على كل حال.

«٢» «القصواء» فى اللغة هى التى قُطع طرف أذنها قليلاً، والبعض يقولون إن الناقة كانت «العضباء» كما ذكر أستاذنا الشيخ محمد الغزالى فى «فقه السيرة» والعضباء فى اللغة أيضاً هى مشقوقة الأذن، وقد ذكر ابن قتيبة فى كتابه «المعارف» أن نوق النبى ﷺ ثلاث: القصواء والجدعاء والعضباء.

«٣» من حديث أبى هريرة- رضى الله عنه- ورواه مسلم- من وصايا الرسول ﷺ.

ولقد كان ذلك- كما هو معروف- فى التاسع من ذى الحجة فى السنة العاشرة للهجرة النبوية المباركة.

ووقف الجمع الحاشد أو الحشد الجامع فى ساحة عرفات يصيخون الآذان المنصتة، ويفتحون العقول المهيأة، ويعمرون الأرواح الشفافة لاستقبال النبرات المحمدية النقية والتقية والمعبرة عن عمق المحبة للأمة، وعن صدق الرحمة للعالمين.

«الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»«٤».

كانت هذه المقدمة صادرة عن «محمد» الذى شهد بأن «محمداً» هذا الذى يؤم الحجيج هو عبد الله وسوله، فى إشارة بينة إلى أن نبوة محمد ليست مجرد تعبير عن حب أتباعه له أو إعجابهم بشخصه فحسب بل هى ارتباط إيمانى عضوى بالرسالة الحنيفية الخاتمة بما حوت من قيم فضلى، ومثل عليا، وسلوكيات رشيدة وسديدة، إذ أن ارتباط شهادة «أن محمداً عبدالله ورسوله» بشهادة «أنه لا إله إلا الله» هو فى بعض التأملات ارتباط المحسوس الميدانى بالمعقول الروحانى الإيمانى، فالرضا بالله رباً يستتبع تلقائياً الرضا بمحمد نبياً ورسولاً، ومن هنا ينبغى الوعى بأن الإيمان بالحق سبحانه بالعقل والوجدان لابد أن يكون له صداه العملى فى الزمان والمكان، فالإيمان الإسلامى عملة ليست ذات وجهين مختلفين وإنما هو عمله يشف وجهاها كل عن الآخر فى تناغم رصين ووفاق أمين واتساق مبين، كما أن تأكيد النبى الصادق ﷺ على رءوس الأشهاد وفى خطاب تتناقله الأجيال أنه «عبد الله» ورسوله يبين أنه عليه السلام يقطع الطريق أمام الضالين المضلين الذين قد يشيعون الفتنة التى أشاعها من قبلهم المعاندون من قوم موسى وقوم عيسى حين تبجح المشككون من اليهود بقولهم:

﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾

«التوبة: ٣٠»

وحين زعم الواهمون من النصارى أن

﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾

«التوبة: ٣٠»

فكان من البديهيات اليقينية فى الحنيفية السمحاء أن يعلن حامل رسالتها المصدوق أنه «عبد الله ورسوله» قطعاً للظن المهين بالحق المبين:

﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾.

«النجم: ٢٨»

«٤» كتب السيرة.

ومن رائع ما يذكر فى هذا السياق أن الله- عز وجل- قد سبقت مشيئته إلى تبيان ذلك حين أراد أن يكون أبو محمد ﷺ هو «عبدالله» ابن عبدالمطلب، فلا مجال لأن يكون ابن عبد الله- وحاشا لله- ابناً لله كما سبق للمرجفين فى الرسالات السابقة.

وإنا لنلحظ أن هذه الخطبة النبوية الغراء فى عرفات كانت تعنى بالنفس البشرية كمحور أساسى فى مختلف العلاقات التى يرتبط فيها المرء بغيره ولاسيما العلاقات الأسرية والعلاقات الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية بل امتدت إلى عناية النبى ﷺ فى خطبته الجهيرة إلى أفواج الحجيج من طلائع الإسلام ورواده الأسبقين إلى التعامل مع دورات الفلك من الأيام والشهور والأعوام، وغير ذلك.

وثيقــــة كونيــــة

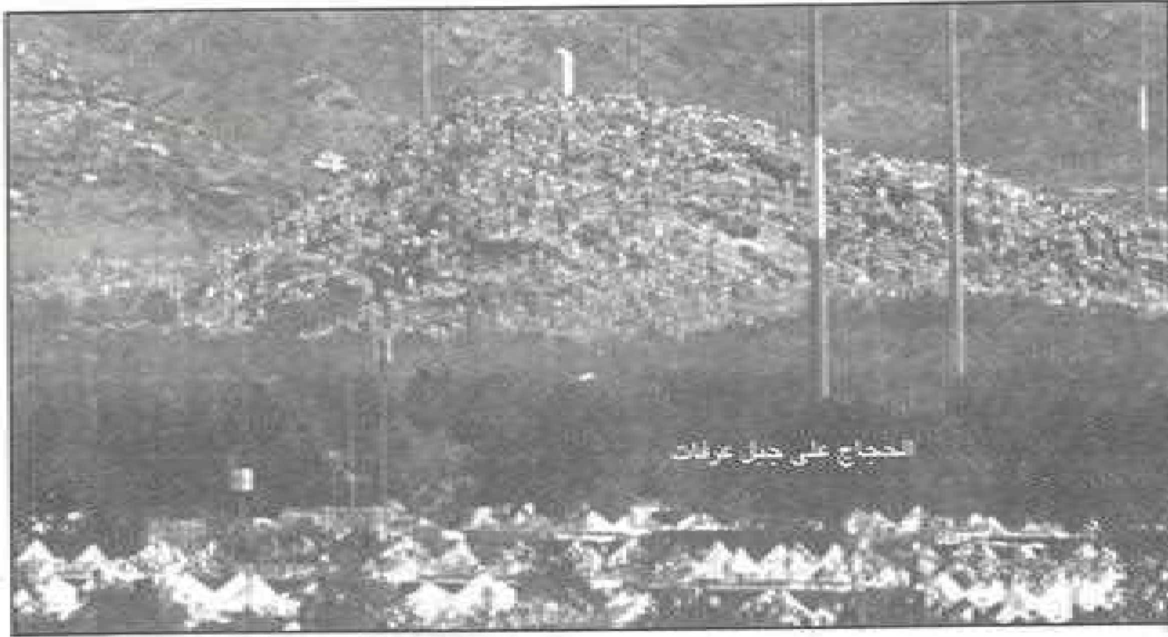
ولعله من المفيد هنا أن نلحظ الإشارة الكونية فى هذا الإعلان المحمدى الحكيم، وذلك عندما تحدث ﷺ عن النسيء[5] ومسألة النسيء هى أن العرب كانوا يستعملون فى حسابهم الأشهر الهلالية، وكانت الأعمال التى كُلفوا بها من عهد إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- كالحج وتحريم الأشهر الحرم مرتبة بهذه الشهور، ولما رأوا أن سيرهم على هذه القاعدة مما يضر بمصالحهم التجارية، إذ قد يجيء الحج فى فصل لا يتفق معه، وقد تحل الأشهر الحرم فى فصل لا يناسب تجارتهم، لذا فقد أضافوا على آخر السنة الهلالية أياماً سموها «أيام النسيء» لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتاً فى الفصل الذى يناسبه، وكانوا يجمعون هذه الأيام «المفتعلة» حتى تستكمل شهراً فيضيفونها، فينتج من ذلك أن بعض السنين تكون أحياناً اثنى عشر شهراً وأحياناً ثلاثة عشر شهراً، ومن هنا يجيء الحج تارة فى شهر ذى الحجة، وتارة أخرى فى ذى القعدة، وهكذا حتى يدور الدور فيأتى فى ذى الحجة، فأرادت إرادة الحكيم- عز وجل- أن تكون الحجة المحمدية الرائدة فى ذى الحجة وهو الشهر الذى ارتضاه الله للحج، وهنا أمر ﷺ بإبطال «بدعة النسيء» الجاهلية التى أنكرها القرآن الكريم:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

«التوبة: ٣٧»

ولذلك قال النبى ﷺ فى بيانه الجهير: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان» وهكذا قضى ﷺ على هذا العبث الجاهلى والتلاعب

(٥) النسيء فى اللغة هو التأخير.


الحجاج على جبل عرفات

الأحمق بحسابات الفلك ودورته التى خلقه الله عليها وأبدعها ضمن الميزان الإلهى الذى جاء فيه:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾

«الرحمن: ٧، ٨»

ألم أقل لك إن من سمات هذا الخطاب النبوى العظيم أنه وثيقة كونية؟؟

لا.....وداع

ولقد درج الكثيرون على أن يسموا هذه الخطبة النبوية الجامعة «خطبة الوداع» وكأن العلاقة بين محمد ﷺ وبين أتباعه انتهت بهذه الخطبة، ولعمرك كيف هذا؟ إن علاقة النبى بأمته لا تنقطع حتى فى زحام يوم القيامة حيث يتعلقون به تعلق الأولاد بالوالد، ويشفق عليهم شفقة الأب على أبنائه يوم يقول كل نبى نفسى نفسى ويقول محمد ﷺ: أمتى أمتى.

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء[6]

فالجاذبية بين محمد ﷺ وأمته جاذبية من نوع متفرد يتجدد، ولا يتبدد، أرأيت إلى زواره من أمته- أسعدنا الله وإياكم- بين شيخ كبير، وطفل صغير، وهم يتزاحمون ما بين بيته ومنزل الوحى فى مسجده المبارك بالمدينة المنورة فى بكاء شديد ينم عن حب فريد

(٦) من القصيدة الهمزية لشوقى.

وشوق أكيد بينما يقع بينهم وبينه زمن مقداره أكثر من ألف وخمسمائة عام، ثم ألا نذكر قول هذا الحبيب العظيم ﷺ: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله روحي إليَّ حتى أرد ﷺ»[٧]، فكيف تُدخل كلمة «الوداع» في شأن علاقة محمد ﷺ والمؤمنين به. لقد كان الحرى بنا أن نسمي هذه الخطبة هي خطبة «كمال الدين وتمام النعمة»[٨] بدلا من أن نسميها خطبة الوداع.

وكان يمكن هنا أن نسميها «وثيقة الجهاد الأكبر» التي خطب بها النبي ﷺ أمته وهو يؤدي حجته الوحيدة التي علم فيها البرية المسلمة مناسك «الحج المبرور» إلى أن تقوم الساعة.

آداب الاستئذان

ثم تأمل روعة الأدب النبوي الجم في استهلال «بيان عرفات» كما لو كان ﷺ يستأذن رب العرش جل جلاله في الحديث قبل أن يتوجه إلى الجمهور الحاشد مستلهماً الملهم وحده- عز وجل- في الإفصاح عما يأمل أن ينقله إلى الناس لينفعهم به في دنياهم وأخراهم. فها هو ذا ﷺ يبدأ بالحمد قبل كل شيء ثم الاستعانة والاستغفار والتوبة، وهي كلها بمثابة الوضوء قبل الصلاة تطهراً واستعداداً للقول في رحاب ذي القوة المتين وكيف لا، وحياته ﷺ كلها صلاة، وأعماله جميعاً تقرُّبٌ وزلفى إلى مولاه.

ثم يمضي ﷺ بمشاعر الأبوة المسئولة والنبوة المكلفة: «اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا».

ولعمرك كم تستدر هذه العبارة الدافقة العبرات الساخنة في مآقي الأتباع المحبين ولكن سرعان ما تتسع الحدقات، وتنتبه الخفقات حين يبدأ النبي ﷺ بعرض التكليفات وسرد المسئوليات التي هي القانون الغني عن اللوائح التفسيرية والذي ينبغي أن ينطبع انطباعاً في عقول هذه الصفوة المؤمنة ويستقر في وجدانهم بالقوة المتدفقة التي تنقله عنهم إلى كافة المؤمنين بالله- عز وجل- من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل إذ يصمت الجميع ويتكلم محمد:

«إيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

نزاهة الشرع وموضوعية التشريع

ثم تتجلى نزاهة الشرع، وموضوعية التشريع عندما يعطي القائد العظيم المثل العظيم بنفسه وآله بلا قرابة أو صداقة أو محسوبية في تطبيق القواعد المنظمة:

«٧» لأبي داود عن أبي هريرة «الجامع الصغير»

«٨» نزل أثناء هذه الخطبة المباركة قول الحق- سبحانه- "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً «المائدة: ٣»

«فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها»[٩] وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث».

ثم يُبرز القائد العظيم ﷺ دور الإرادة الإنسانية القوية في مقاومة الشهوات وذلك عندما أوهن من دور الشيطان أمام النوايا الصادقة والضمائر الحية: «أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم» مشيراً ﷺ إلى المعنى القرآني الصادق:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾

«النساء ٧٦»

ولما كانت المرأة قد هان أمرها في الحضارات التي عاصرت ظهور الإسلام من رومية وفارسية وغيرها، كما هان شأنها بالتالي منذ طفولتها في مجتمع الجزيرة العربية من وأد للبنات.

لذلك احتلت المرأة في هذه الوثيقة النبوية الحاسمة المكان المرموق، والمكانة الواضحة عندما أكد رسول البشرية ﷺ ذلك «أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه»، إلى أن يقول ﷺ في حسم وحزم: «فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً».

وهكذا تستمر هذه الوثيقة أو هذا «الدستور» في شرح الضوابط الاقتصادية والاجتماعية وغيرها التي ينبغي أن يحيا المسلم في إطارها عقيدة وشريعة وسلوكاً عملياً يتحرك على الأرض ولاسيما أنه صادر ممن وصفه ربه:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

«النجم٣، ٤»

بدليل أن النبي ﷺ كان يُشهد الحق- سبحانه- على ما يقول بعد كل فقرة من خطابه الشريف: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد»، ونحن نتأمل هذه العبارة نرى أنها جواب مخلص لقول الحق سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾

«المائدة: ٦٧»

فكان النبي الصادق الأمين ﷺ يعبر عن إذعانه لربه- سبحانه- في تبليغ الرسالة وصدق تحمله للقول الرباني الكريم:

«٩» نتذكر كيف كان عليه الصلاة والسلام أول من طبق هذا على نفسه حتى مع المشركين عندما أوصى علياً- رضي الله- عنه ليلة الهجرة بأن يرد إليهم ودائعهم التي استودعوه إياها وهو الصادق الأمين- عليه السلام.

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾

«المزمل: ٥»

ويشهد الله - عز وجل - على الأجيال المسلمة ومدى التزامها بالإسلام إلى أن تقوم الساعة.

وكان من حرص سيدنا محمد ﷺ على وصول حديثه للناس أن كلَّف بعض صحابته - رضي الله عنهم - على الإنصات إليه ثم التبليغ إلى الجمهرة المؤمنة السباقة إلى أن يصلنا، بل ويصل إلى مسلمي آخر الزمان لكي يصبح حجة على الجميع إلى أن يقوم الناس لرب العالمين، فكان ﷺ يؤكد هذا بقوله: «ألا ليبلغ الشاهدُ الغائب، فلعل بعض من يبلغه أوعى من بعض من سمعه» ونحن نعي من هذا القول النبوي الدقيق أن «الشاهد» ليس مجرد حاضري عرفات آنذاك ولكن كل من روى هذا الإعلان المحمدي، كما أن «الغائب» هنا ليس هو فقط الغائب عن هذا المؤتمر المبارك وإنما هو كل من غاب عنه على مر العصور.

فالكل مسئول عن العلم به والتبليغ عنه حيث قد تفاعل فيه الإنسان والمكان والزمان جميعاً.

وبعد، فإذا كنا نرى لكل أمة دستوراً«١٠٠» أليس أحرى بنا وأولى أن نعتز بهذا الدستور المحمدي الفعال ونستمسك بمواده العملية التي تمثل الخلاصة الناجعة والنافعة لتنظيم الحياة البشرية التي تتطلع إلى سعادة الأولى وحسن ثواب الآخرة؟ ولاسيما أنها من وحي خالق البشرية - سبحانه - والأعلم بها:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

«الملك: ١٤»

إذ أنه لشيء عجاب أن يعتز أصحاب الباطل بباطلهم ويتمسكوا به ويتغافل أصحاب الحق عن حقهم وينحوه جانباً!!!

إن في تمسكنا - السلوكي والعملي - بهذه المعاني الرفيعة لأبلغ رد على المستهزئين والموتورين الذين يتعقبون الإسلام وينقبون بين ثناياه لعلهم يجدون به فجوة، أو يعثرون فيه على كبوة دون طائل فيرتدون على أعقابهم يتخبطون بإذاعة الشائعات ونشر الترهات، ولكن الله - سبحانه - دائماً هو المستعان، وهو - عز وجل - على الإطلاق - غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

***

«١٠٠» دستور كلمة فارسية ومعناها القاعدة التي يعمل بمقتضاها «المنجد».

خطبة الجمعة

بناء الأمم

لفضيلة الشيخ/ محمد الغزالي

إعداد الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

الحمد لله حمداً مضاعف الشكر والثناء والتمجيد:

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾

(الإسراء: ١١١)

الله أكبر ما قامت بربها الأشياء وسبَّحت بحمده الأرض والسماء. الله أكبر ما بقي العالم أجمع محكوماً بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. فما من شيء إلا وهو خالقه، وما من أمر إلا وهو مدبره، ولا من خير إلا وهو سائقه، ولا من فضل إلا وهو رازقه، ولا من نور إلا وهو مشرقه، سبحانك ربنا ولك الحمد كما تحب وترضى.

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. سبحانك ربنا أنت التواب سبقت رحمتك غضبك، وأنت الودود لا تكسر خاطراً لامرئ وقف ببابك ولاذ بجنابك، وأنت القدير لا يعجزك شيء في السموات ولا في الأرض، وأنت الغني لا تنفد خزائنك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

الله أكبر. ما بقيت الأدلة تتجدد على مر الزمن شاهدة بأن القرآن حق وأن محمداً ﷺ حق وأن الإسلام العظيم حق، لقد قلت وأنت المصدوق الصادق:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: ٥٣)

وتمر القرون بعد القرون والعصور بعد العصور لتشهد الناس على أنه ليس بعد التوحيد عقيدة، ولا بعد الإسلام شريعة، ولا بعد محمد ﷺ نبوة، ولا بعد هديه هدى، ولا بعد البصائر التى أنارت العالمين شىء يستنير به العالمون.

ليس عيد لهو ولعب

إن الأعياد فى الإسلام ليست أسواق طعام وشراب، وليست ميادين لهو ولعب، إن الأعياد فى حضارتنا ارتبطت بذكريات عزيزة وقيم غالية، العيد الأول ارتبط بالشهر الذى يصوم الناس فيه ونزل القرآن الكريم فيه، والعيد الكبير ارتبط باكتمال الوحى فى الأعم الأغلب، ارتبط باكتمال الدين:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(المائدة: ٣)

ربما يكون اكتمال الدين ـ على ظاهره ـ تمام القرآن الكريم، وهذا صحيح، فإن القرآن الكريم ظل ينزل به الوحى المبارك نحو ربع قرن، وانتهى مع:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

وإن كان أهل الحديث يرون أن سورة النصر نزلت بعد ذلك تنعى النبى ﷺ أجله، وأن آخر آية نزلت:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٨١)

الخلق النبوى

ليكن، فاكتمال الدين تم مع هذا العيد الكبير، لكن الأمر الذى ينبغى أن يعرفه المسلمون أن اكتمال الدين نظرياً صحبه اكتمال البيئة التى تصدّره لأرجاء العالم، فالنبى ﷺ ما ترك جزيرة العرب إلا بعد أن ربى جيلاً من الخلق هو أزكى ما عرفت أقطار الشرق والغرب، وأنقى الناس ضمائر، وأصحهم عقولاً، هذا النبى الكريم ﷺ ربى الجيل الذى حمل الرسالة بعده للعالمين، وكان بتضحيته وأخلاقه ونشاطه وشجاعته هو الذى نقل الإسلام من جزيرة العرب لكى يستقر فى القارات الخمس، ولا يزال الإسلام ينطلق مادة وعدداً إلى الآن.

***

أيها الإخوة:

يشير العيد الذى نحتفل به الآن إلى خُلق كوّنه النبى ﷺ فى الأمة، وهو خلق لابد منه لتكوين كل جماعة وتصحيح كل نهضة وإنجاح كل حركة، وهو خلق الصبر.

إن طبيعة الحياة التى نحياها أنها اختبار مزعج موجع، قد يكون اختباراً بالبأساء ـ الأزمات الاقتصادية ـ وقد يكون اختباراً بالضراء، وقد يكون اختباراً بالناس، يُختبر الإنسان بأخيه الإنسان، يُختبر الحاكم بالشعب، والشعب بالحاكم:

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾

(الفرقان: ٢٠)

وهذا الاختبار ليس سهلاً، إنه يظل مراحل من الزمان والمكان حتى تكاد الأرواح تزهق، يضرب القرآن الكريم المثل لذلك فى أماكن كثيرة.

فى قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل، ولا نعرج عليها لأنكم تحفظونها. وفى قصة بنى إسرائيل عندما طاردهم فرعون وخرج بقومه وراءهم وهم هاربون من ظلمه، كان بنو إسرائيل يشعرون أنه إذا أدركهم فرعون هلكوا، وكان بطشه بهم شديداً ونكاله لعيناً، ولكن فرعون بجيشه ظل يتعقب بنى إسرائيل الهاربين حتى كاد يلحق بهم، وشعر بنو إسرائيل بهذا:

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

(الشعراء: ٦١ - ٦٦)

وانتهت قصة البطش وأسطورة الألوهية الكاذبة، وكم حكت الأرض من مصارع للظلمة، وكم سجل التاريخ من مآس لمن غالبوا الله فغلبهم وقاوموه فهزمهم، وانتهى الأمر إلى من قال عن نفسه:

﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

(الشورى: ٥٣)

الانتقال من الظلمات إلى النور

لقد كوّن النبى ﷺ جيشاً من المسلمين الأولين كانوا رجالاً ونساء بنين وبنات مؤمنين بربهم إيماناً حسناً واثقين منه ثقة بالغة، ولذلك انتصروا وفرضوا أنفسهم على العالمين، كانوا قبل الإسلام العالم الثالث ـ بتعبير عصرنا ـ وبعد الإسلام أصبحت الأمة الإسلامية هى العالم الأول:

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾

(الأعراف: ١٣٧)

هنا نتساءل: كم من الزمن يحتاج إليه هذا التغير أو هذا التحول؟ يجب أن تعلم أن الزمن جزء من العلاج، وأن من المستحيل أن تبلغ مُناك بين عشية وضحاها إذا كان قدر الله أن هذه الأماني لا تتحقق إلا خلال السنين الطوال، وقد اختلف علماء الاجتماع فقال بعضهم: يمكن أن تتكون أمة خلال أربعين سنة، ولعلهم نظروا في هذا إلى ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل عندما رفضوا أن يدخلوا الأرض المقدسة:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

(المائدة: ٢٦)

* * *

قال العلماء: خلال أربعين سنة هلكت الأجيال الجبانة وذهب الخانعون الذين يستحبون الذل ويرتضون الدنيّة، ذهب هؤلاء ونشطت أجيال أخرى قادها يوشع لكي تدخل الأرض المقدسة.

قال العلماء: أربعون سنة يمكن أن تكون فترة تغيير لتحول المجتمع من الفوضى إلى النظام، ومن الفرقة إلى الوحدة إلى غير ذلك.

لكن المعروف أن نبينا ﷺ كوّن الأمة - التي هي خير أمة خرجت للناس - خلال ثلاث وعشرين سنة!!.

قالوا: لكن هذه إمكانات محمد ﷺ الرجل الذي أوتي من طيبة النفس ونقاء القلب وذكاء العقل ونور البصيرة ما سكبه في نفوس مَنْ حوله من أصحابه فإذا هم يتحولون إلى فرسان بالنهار ورُهْبان بالليل وإذا هم يتحولون إلى خلق آخر.

والحقيقة أن الزمن الذي تتكون فيه أمة إنما يرجع طولاً وقصراً إلى مقدار الجهد الذي تبذله هذه الأمة شعباً وحكومة كي تنتقل من الظلمات إلى النور.

الأمم لا تخلق بالأوهام

إن الشعب هو الحكومة والحكومة هي الشعب، إننا لا نريد أن نفرق بين الجسم والروح، إننا نريد أن نقول للناس: يوم يعرف كل امرئ ما عليه بأمانة ويؤديه بثقة وقدرة فإنه يصل إلى غايته، وهو الذي يحدد الوقت بنشاطه أو تكاسله.

إن الأمم لا تُخْلق بالأوهام، إن الأمم لا تُخْلَق بالخيال، إذا أردت أن تبني قصراً مُشيّداً شاهقاً فإنك تأتي بأقوى ما في الأرض من مواد حتى تبنيه، كذلك الأمم، إنما تُبْنَى بالأخلاق، وفي بيئتنا لا أخلاق دون عقيدة، فيوم يتوافق الشعب والحكومة معاً على أن العقيدة، والأخلاق، والقيم الرفيعة، والتقاليد الراشدة، هي شرايين الحياة في كيان جسم يريد أن ينطلق، فإننا واصلون إلى غاية في أقرب وقت.

أمة التوحيد ترفض الجبروت

لكن الإيمان - فيما أرى - تحول إلى كلام، الإيمان أخلاق أساسها بالنسبة إلى الله: الصبر والشكر والتوكل والحب والخوف والرجاء والورع والتوبة، هذه مراحل تجعل صلات الناس بربهم نابضة بالقوة وليست حركة شبح عديم الحياة، هذه أخلاق المؤمنين مع الله فهم قانتون مخبتون خاشعون، هكذا كان سلفنا موصولاً بالله.

يقول علماء الحديث: «كان عمر - رضي الله عنه - يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً»[1]. فإذا أنت أمام دولة وأمة تتعاون كلها على أن الكبرياء لله، والعظمة لله، والركوع والسجود لله، والإخبات والتوكل على الله، والاستمداد والاستلهام من الله!!.

إن أمتنا أمة التوحيد، وهذا التوحيد يجعلها تحسن العبادة، وترفض أن يكون في الأرض جبروت أو ملكوت لغير الواحد القهار:

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

(مريم: ٩٣ - ٩٥)

ثم هناك بعد ذلك الأخلاق بين الناس بعضهم والبعض الآخر، هذه الأخلاق التي عدّها صاحب السنة المشرفة أركان الإيمان، وعدّ انعدامها أركان النفاق: «أربع مَن كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[2].

بهذه العقائد والأخلاق، ثم بالأمانة في كل منصب يتولاه الإنسان تُبْنَى الأمم، ولنتدبر قول نبينا ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولاً يوم القيامة حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور»[3].

وجاء في الحديث - أيضاً -: «إنه لا قُدِّسَتْ أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير مُتَعْتَع»[4].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(١) رواه البخاري في العيدين - باب التكبير أيام منى ٢/٢٥.

(٢) رواه البخاري في الإيمان - باب علامة المنافق ١/١٥ ومسلم في الإيمان - باب بيان خصال المنافق ١/٥٦.

(٣) رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح كذا في الترغيب والترهيب ٣/١٢٩ وقال في صحيح الجامع الصغير (٥٦٩٥): صحيح.

(٤) رواه ابن ماجة في الصدقات - باب لصاحب الحق سلطان. وإسناده صحيح ٢/٨١٠ ومعنى متعتع: أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه أو يزعجه.

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

د. حمدى فتوح والى

من رحمة الله بعباده أن جعل لهم فى أيام حياتهم مواسم خير ومواقع شحن يتزودون منها لسفرهم الطويل إلى الله كلما نفد الزاد أو كاد.

وتأتى الأيام العشر من ذى الحجة فتذكرنا وصية نبينا ﷺ: «أن لربكم - عز وجل - فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أحدكم أن تصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً»[1].

وبين نفحات الخير التى تدفقت على القلوب فروتها، وعلى المشاعر فأيقظتها فى شهر رمضان المبارك، وبين نفحات أخرى تهب على الأمة فى يوم الحج الأكبر تأتى هذه الأيام مختومة بأعظم يوم شهدته الدنيا وهو يوم عرفة.

إنها الأيام التى أقسم الله بها فى قوله -تعالى-:

﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾

(الفجر: ١-٥)

وهى الأيام التى قال فيها المصطفى ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام، قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء»[2].

وهى الأيام المعلومات التى أمرنا الله أن نذكره فيها فى قوله -تعالى-:

﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾

(الحج: ٢٨)

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ج ٣/ ١٨٠.

(٢) رواه البخارى.



الحجاج أثناء جمع الجمرات

وهى أفضل أيام الدنيا كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ ومن فضائل تلك الأيام أن فيها يوم النحر وقد قال ﷺ: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر»[3].

يوم عرفة أفضل الأيام!!

وإذا كانت ليلة القدر هى أفضل الليالى فإن يوم عرفة هو أفضل الأيام كما أجمع على ذلك أهل العلم.

تأتى هذه الأيام المباركة لتحفظ للقلوب حضورها مع الله، وتشعرها بدوام الحب، ولذة القرب. وعندما يبقى للقلوب حضورها، ويدوم لها قربها ووصالها تستشعر جلال نظر الله إليها، ولذة إقباله عليها فتكون فى أعلى درجات القبول لأوامر المحبوب -سبحانه وتعالى- فتنشط لأداء العبادات نشاط محب لأمر حبيبه ولسان حال تلك القلوب يردد:

﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾

(طه: ٨٤)

ولك أن تتصور عملا يؤدى بدافع الحب. ويتمنى لحظة القرب كيف يكون شأن العمل؟ إنه لابد أن يكون صالحاً؛ لأن الدافع إليه حب الله، والغاية منه طلب رضاه، وإذا سلم للعمل نية صالحة، وغاية صادقة، والتزام بشرع الله، اكتملت له جوانب الصلاح وصدق فى أصحابه قول ربهم -سبحانه-:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

(مريم: ٩٦)

والعمل الذى هذا شأنه لن يقف عند حدود ما يتطلبه الإيمان، وإنما سيتخطاه إلى مقام الإحسان.

(٣) رواه البخارى.

«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[4] إنه العمل الذى لا يؤديه صاحبه بقصد إسقاط الفريضة وإنما يؤديه حباً فى خالقه ومسارعة إلى رضاه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾

(المائدة: ٥٥)

إنه الحب الذى جعل أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها- تنسى نفسها، فلا تبقى لبيتها ما يكفيه، وعندما تذكرها الجارية تقول لها: «لو ذكرتنى لفعلت» إنها تدرك قدر من تتعامل معه، وعظمة من ترجوه وكيف لا وهى التى تعلمت من حبيبها ﷺ، صدق الحب لله، وعمق اليقين به؟ عندما أخبرته أن الشاة ذهبت كلها إلا فخذها، فسارع ﷺ بإصلاح العبارة لها بقوله: «بل بقيت كلها إلا فخذها»[5] وكأنه يذكرها قول ربها -سبحانه-:

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾

(النحل: ٩٦)

بهذا الحضور الإيمانى، وبهذا اليقين الربانى، يتلقى المؤمنون الصادقون نفحات هذه الأيام المباركة، فيكثرون فيها من العمل الصالح الذى وعدهم الله فيها بحسن القبول ومضاعفة الجزاء.

وإذا كانت هذه الأيام العشر معدودة ومحدودة ولا تأتى إلا مرة فى العام، فإن المؤمن مطالب فيها بأن يحسن استثمارها، والاجتهاد فيها ليتزود منها لبقية العام؛ لأنه لا يدرى هل يقدر له شهودها بعد ذلك، أم تمضى شاهدة عليه إلى يوم القيامة؟ لكن ذلك يدفعنا إلى سؤال يلح علينا ويحتاج إلى جواب، وهو أن نسأل ما المقصود بالعمل الصالح؟ لعلك لو طلبت إجابة لهذا السؤال عند غالب أبناء الأمة على اختلاف طبقاتهم وثقافاتهم، لن تجد جوابا إلا الإكثار من ألوان العبادات والاجتهاد فى أداء الفرائض والنوافل والطاعات فإذا الأمة بجميع فئاتها فى صيام وقيام وذكر وقراءة قرآن وتسبيح وتهليل، حتى إذا انقضت مدة الأيام العشر رجع الجميع إلى ما كانوا عليه وتنفسوا الصعداء بعد مشوار من العبادة طويل وعظيم لكنهم سعداء مستريحون لكثرة ما قدموه من ألوان تلك الطاعات، وربما بحثت عن زميلك فى العمل فلا تجده لأنه سهر طويلا ولم يستطع الحضور للعمل، وستجد كثيرا من هؤلاء الذين قاموا الليل صلاة وجاءوا إلى دوائر أعمالهم صواما، قد اتخذ كل واحد منهم من ذراعه وسادة، ومن مكتبه سريراً، وذهب فى سبات عميق وحجته وعذره أمام الله والناس أنه صائم وأنه متعب بعد قيام ليل طويل.

فهم ساذج للأوامر الإلهية!!

ولك أن تتصور أمة هذه حالها.. وتلك طريقتها فى انتهاز فرص الخير واستثمار مواسم التوفيق والقبول بعد أن فهمت المقصود بالعمل الصالح على هذا الوجه الساذج الضيق، فحصرت العمل الصالح فى تعميق الشعور القلبى والإكثار من العبادات التى تعين على الحضور الإيمانى فوقفت بالعمل عند جزئية تهيئة القلب والروح لتلقى الأوامر الإلهية، ونسيت الأمة جميعا ثمرة هذا الشحن الروحى وهذا الحضور الإيمانى، فاعتبرت هذا الشحن نفسه هو العبادة ولم تتقدم بهذه الطاقة الإيمانية لتغسل بها ما ران على القلوب من الشهوات والشبهات وتحررها من سلطان الجسد وقبضة الخرافات.

(٤) رواه البخارى.

(٥) سنن الترمذى -٢٤٧٠.

وكأن الأمة كلها لم تقرأ قول ربها -سبحانه-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

(الحج: ٧٧، ٧٨)

إن من يتأمل الآية الكريمة يدرك أن المولى -تبارك وتعالى- يخبرنا أن العمل الصالح يمثل منظومة متكاملة تبدأ بعمل القلب ركوعا وسجوداً ليثمر الركوع والسجود عبادة متكاملة تشمل أعمال الدنيا والآخرة.. وحتى لا يظن كثير من الناس أن العبادة هى الشعائر التعبدية - من صلاة وصيام وزكاة وحج وما يتبع ذلك من النوافل والقربات - شفع الأمر بالعبادة بقوله -تعالى-:

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾

لأن التعبير بالفعل «افعلوا» أدخل فى الدلالة على عمل الجوارح وعمارة الأرض من الفعل «اعملوا» الذى يشمل عمل القلب والجوارح معاً ثم رتب على فعل الخير بعمومه وشموله الوعد بالفلاح:

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وكلمة الخير فى اللغة العربية تعادل كلمة «الأفضل» فكأن الأمة كلها منتدبة ومستنفرة لفعل الخير بشموله وعمومه، عبادة وشريعة وأحكاما وقضاء، وتعليما وإعلاماً، وحلالاً وحراما وأخلاقا وسلوكا وجهاداً دائما فى سبيل الله.

ولعل فى ذكر الجهاد بعد الأمر بالركوع والسجود والعبادة وفعل الخير إشارة إلى ما يكنه أعداء الإسلام من حقد وما يضمرونه من عداوة وحسد، إذا رأوا تمايز الأمة وصلاحها وحدثتهم أنفسهم بالعدوان عليها فكان الأمر بالإعداد والاستعداد للجهاد من أعظم الأعمال فى الإسلام وهذا ما علمنا إياه نبينا ﷺ بقوله لمعاذ بن جبل -رضى الله عنه-: «ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت: بلى يا رسول الله قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد».

(مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٣٧)

فهل وعت أمتنا دلالة الآية الكريمة وأدركت المقصود بالعمل الصالح فى هذه الأيام؟ وهل علمت أن العمل الصالح يشمل عمل القلب والجوارح وعمل الدنيا والآخرة بدءاً من الركوع والسجود ووصولا إلى الجهاد فى سبيل الله؟

﴿ فَسْأَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين،

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر شوال ١٤٢٨ بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٤م.

المقيد برقم ١٦٦٢ لسنة ٢٠٠٧ م المتضمن:

ليس للزوج أن يحج على نفقة زوجته بغير رضاها

● السؤال الأول: ورد من السيد: م.ع.أ.

هل يلزم الزوج دفع تكاليف أداء زوجته لفريضة الحج؟ وهل للزوج أن يأخذ من مال زوجته ليؤدى فريضة الحج؟

●● الجواب: الزوج مكلَّف شرعاً بالنفقة على زوجته، ولا تُعد تكاليف الحج من النفقة الواجبة، ومن شروط وجوب الحج الاستطاعة، فإذا لم يكن عند الزوجة ما يكفى لنفقات حجها فليس الحج واجباً عليها، وليس الزوج مُلزماً بإحجاجها من ماله، لكنه إن فعل فهو مُثابٌ على ذلك، وله حينئذ مثل أجر حجها، لأنه السبب فيه.

أما إن كان للزوجة مال فلا يجوز لزوجها أن يأخذه منها لحجه إلا ما كان عن طيب نفس منها، لأن لها ذمتها المالية المستقلة شرعاً عن زوجها فإن أعطته برضاها فبها ونعمت ولها مثل أجر حجه لأنها تسببت فيه، أما إن أخذ من مالها رغماً عنها فهو آكل للمال الحرام واقع فى الإثم والمعصية.

من خرجت فى عدتها للحج

● السؤال الثانى: ورد من السيدة م.أ.ح

أثناء استعدادى للسفر لأداء فريضة الحج توفى زوجى، فتابعت الإجراءات بعد وفاته وسافرت وأديت الفريضة، ولكن قيل لى: إن حجك غير صحيح، فما رأى الدين فى ذلك؟

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

●● الجواب: من المقرر شرعاً أنه يجب على المرأة المتوفى عنها زوجها أن تتربص وتعتد أربعة أشهر وعشرة أيام، لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

«البقرة: ٢٣٤»

ثم اختلف السلف: هل السكنى من لوازم الاعتداد: فجماهير الفقهاء من السلف والخلف على أن المعتدة تمكث مدة عدتها فى بيتها، فلا تخرج لحج ولا لغيره، واستدلوا على ذلك بحديث الفُرَيعة بنت مالك بن سنان- وهى أختُ أبى سعيد الخُدرى- رضى الله عنهما- أن رسول الله ﷺ أمرها أن تمكُث فى بيتها حتى تنتهى عدتُها. رواه الإمام مالكٌ فى المُوطَّأ والشافعى عنه، وأحمدُ وأبو داوُدَ والترمذى والنسائىّ وابن ماجه وصححه ابنُ حبانَ والحاكمُ ونُقل عن بعض السلف من الصحابة والتابعين أن السكنى ليست من العدة، فيجوز للمعتدة أن تعتد حيث شاءت، ولا يحرم عليها أن تحج أو تعتمر فى عدتها، رُوِىَ ذلك عن على بن أبى طالب، وعبدالله بن عباس، وعائشة، وجابر بن عبدالله- رضى الله عنهم- وبه قال الحسن البصرى، وجابر بن زيد، وعطاء بن أبى رباح، وإليه ذهب الظاهرية، وحجتهم أن الآية دلت على وجوب العدة لا على وجوب السكنى للمعتدة، وأجابوا عن الحديث بأنه ضعيف، وأنه على فرض صحته فإنه واقعة عين.

وقول الجمهور وإن كان راجحاً- لاعتماده على الحديث الصحيح- إلا أن القواعد المقررة شرعاً أنه لا ينكر المختلف فيه إنما ينكر المتفق عليه، وأنه يجوز الأخذ بمذهب من أجاز عند الحاجة إليه، وعليه فيمكن الأخذ بمذهب

هؤلاء النفر من السلف فى حجة الإسلام، وذلك لمن يندر بالنسبة إليها تكرار فرصة الحج إذا فاتت، أو لمن كانت قد دفعت نفقات الحج الباهظة بالفعل.

واتفق الفقهاء جميعاً- سواء فى ذلك القائلون بالمنع والقائلون بالإباحة- على أن من خرجت فى عدتها للحج فحجها صحيح يُجزئها عن حجة الإسلام، وعلى ذلك فقول من قال إن حجك غير صحيح هو قول غير صحيح.

الاقتراض من أجل الحج

● السؤال الثالث: ورد من السيد ع.أ.ص

هل يجوز الاقتراض من أجل الحج؟

●● الجواب: لا يجب على المكلف الاقتراض للحج باتفاق الفقهاء، قال الإمام النووى- رحمه الله- تعالى- فى «المجموع شرح المهذب»: «لايجب عليه استقراض مال يحج به، بلا خلاف».

لكن لا مانع من أن يقترض ويحج إذا اطمأن إلى أنه سيرد القرضَ دون تأثير ضارّ على من تجب عليه نفقته، وقد ورد عن بعض السلف النهى عن الاقتراض للحج، فروى الإمام الشافعى وابن أبى شيبة فى «المصنَّف» والبيهقى فى السنن الكبرى- واللفظ له- عن عبدالله بن أبى أوفى- رضى الله عنه- موقوفاً عليه أنه سُئل عن الرجل يستقرض ويحج، قال: «يسترزقُ اللهَ ولا يستقرضُ»، قال: «وكنا نقول: لا يستقرضُ إلاّ أن يكونَ له وَفاءٌ»، وأسند ابن عبد البر فى «التمهيد» عن سفيان الثورى أنه قال: «لا بأس أن يحج الرجل بدَين إذا كان له عُرُوضٌ إن مات ترك وفاء، وإن لم يكن للرجل شىء ولم يحج فلا يعجبنى أن يستقرض ويسأل الناس فيحج به، فإن فعل أو آجر نفسه أجزأه من حجة الإسلام».

ومذهب الشافعية أنه إن كان للمقترض وفاء به ورضى الْمُقرِض فلا بأس بالاقتراض.

والحنفية جعلوا الاستقراض واجباً إذا كان المكلف قد وجب عليه الحج وفرّط حتى فاته وصف الاستطاعة ولو لم يكن قادراً على الوفاء لتفريطه.

أما المالكية فعندهم احتمالان بالتحريم والكراهة إذا لم يكن له وفاء.

ومن مجمل ما سبق يتبين أنه إذا كان المكلَّف باقتراضه للحج سيُحمِّل نفسه أو مَن يعول فوق الطاقة ويعرض نفسه أو مَن يعول للفتن وما لا يقدرون على تحمّله فيترجح فى حقه القولُ بالحرمة، أما إن كان تحصيل ما يَسُدّ به الدَّين سيُعطّله عن نوافل العبادات ومكارم الأخلاق ومعالى الأمور فيترجح فى حقه القول بالكراهة، فإن لم يكن هذا ولا ذاك وكان يغلب على ظنه السداد بلا ضرر عليه وعلى مَن يعول جاز له القرض بلا حرمة ولا كراهة.

وعلى كل حال ومع اختلاف الحكم الشرعى باختلاف حال المقترض فإن الذى يحج من مالٍ اقترضه يكون له ثواب الحج بإذن الله- تعالى- وتسقط عنه الفريضة إن كانت حجته هى حجة الإسلام.

الحج عن الغير

● السؤال الرابع: ورد من السيدة ع.م.أ

لى ابن يعمل بالسعودية وأرسل إلىّ دعوة للحج على نفقته، فهل يصح أن أجعل هذه الحجة لوالدتى مع أنها ليست من مالى؟

●● الجواب: الحج عن الغير يكون من مال الحاجّ، ويكون من مال الذى يُحَجّ عنه، ويكون من مال غيرهما، أى بمال أجنبى عنهما، وبقدر تعب المكلف ونصبه ونفقته بقدر ما يحصل على الثواب تفضلا من الله- تعالى- فقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة- رضى الله عنها- فيما يخصّ أجر عمرتها: «على قدرِ نَصَبِك» أو قال: «نَفَقَتك» رواه الشيخان.

وعلى ذلك فلا مانع من حجك عن والدتك فى هذه المرّة التى تذهب فيها بدعوة ابنك، بشرط أن تكونى قد حججت عن نفسك فى عام سابق، ويكون الثوابُ لك ولوالدتك ولابنك، تفضلاً من الله- تعالى- وتكرماً.

«والله ذو الفَضلِ العَظيم».

***

الحــج المبــرور

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى

قال رسول الله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(1) لكن ما هو الحج المبرور؟. وما معنى المبرور؟.
المبرور هو المقبول، تقول أبر الله حجه أى قبله، ولنا أن نسأل سؤالاً ثانياً فنقول: ما بر الحج؟. ولقد سئل النبى ﷺ نفس السؤال فأجاب بقوله: «إطعام الطعام وطيب الكلام»(2) وهو شىء يسير على من وفقه الله ـ تعالى.

لماذا نستبق الأحداث؟ ولماذا نتعجل الأمور؟

إن أعمال الحج إذا لم تصاحبها يقظة فى القلب واستثارة للهمة ولم ترق إلى مستوى العبادة، أصبحت مجرد رحلة أقرب إلى رحلات شباب الجوالة، فلابد فى كل عبادة وفى الحج ـ على وجه الخصوص ـ من قلب يقظ وهمة عالية، قلب يلتقط ويبحث عن مراقى الإيمان فيتسلقها صُعُداً إلى رب العباد، فإن أى عبادة لا تصدر من حنايا قلب خاشع تكون كجسد بلا روح ولا فائدة يجنيها ابن آدم منها إلا تعب الأعضاء.

وكما يقول النبى ﷺ: «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل»(3)، فلا قيمة لحركات الأعضاء حتى لو صح العمل من الناحية الفقهية فهو يسقط تبعة التكليف فقط، بمعنى أن المكلف إذا أدى العبادة صحيحة الأركان مكتملة الشروط برئت ذمته، لكن يبقى عمله قاصراً لم يبلغ الهدف المراد منه، مثال الذى امتنع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لكنه لم يمتنع عن ارتكاب ذنوب أخرى، فهو الذى

(1) مسند أحمد.

(2) تخريج أحاديث الإحياء.

(3) المستدرك على الصحيحين.

عناه رسول الله ﷺ حين قال: «رُبَّ صائم حظه من صيامه إلا الجوع والعطش»(4)، فكثيراً ما نؤدى العبادة بحكم العادة صحيحة الأركان سليمة من الخطأ الظاهرى كل ذلك بحكم العادة، لكن القلب لم يستفد من العبادة شيئا ولم تؤثر فيه ولم يتوجه إلى خير.

● قال صاحبى فى رضا مُحِب وود صادق ـ: أرجو أن تزيد الأمر توضيحاً فإنى برغم قناعتى ورضاى بما قلت إلا أننى لم استوعب المنهج ولا أعرف الوصول إلى هذه الحالة مع شوقى إليها!..

●● قلت لصاحبى: إن كل شىء يكتسب بالتعلم، كما أن أصعب المهارات تكتسب بالتدريب، وأرجو أن تسمح لى أن أحكى لك تجربة عاشها واحد من أرباب القلوب، أنت واجد فيها بُغيَتَك دون شك..

حكى ابن عربى واقعة حدثت له فى مبدأ شبابه، غيرت مجرى حياته، نقلته من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، ومن اللعب العابث اللاهى إلى العمل والجد والمثابرة، وعرف قيمة نفسه وصدق القائل:

دواؤكَ فيكَ وما تُبْصِر
وداؤكَ منكَ وما تَشْعُر
وتزْعَمُ أنكَ جرم صغير
وفيكَ انطوى العالم الأكبر

وقعت هذه الحادثة لابن عربى فى الأندلس، حيث كان يعيش هو وأسرته أيام القلاقل والمحن والاضطرابات، وكان من أسرة غنية ذات سلطان تشارك فى حكم البلاد، نشأ شابًا مترفًا مثل أترابه من البيوتات الثرية يهتم بالصيد والقنص وكثيراً ما تعرضت البلاد إلى حروب أهلية تضطر معها الأسرة إلى الترحال والنزوح إلى أماكن أكثر أمناً.

وفى إحدى هذه الرحلات، يقول ابن عربى: خرجت مهموماً على فرسى ومعى رمحى، لا أُضْمِرُ فى قلبى رغبة فى الصيد أو اللهو، فما نعيشه أفرغ قلبى من كل ذلك، لم أنشغل بالبقر الوحشى من حولى وتبدل ما كان فى قلبى نحوها من مطاردة وصيد، وتحول إلى أمان وسكينة ورحمة، وهالنى أننى مررت على مجموعة من الظباء والبقر الوحشى فأنسَتْ إلىَّ ولم تنفر منى، فقد سرى ما فى قلبى من أمان إليها، حتى إن فرسى مر وسط مجموعة منها ورمحى كان يمس ظهورها وهى من حولى آمنة مطمئنة، وعندما تجاوزتها ومر بها حراسى نفرت وأخذت تعدو بعيداً لأنه لم يكن ما فى قلوبهم ما فى قلبى من أمان، كانت هذه

(4) مسند أحمد.

الحادثة نقطة تحول فى حياتى وأدركت أن القلب هو مصدر الحياة الحقيقية، فاتجهت إلى قلبى أعَمّره بما شاء الله.

هذا موجز لما حكاه ابن عربى فى حكايته، واعتذر عما فيها من خلل أو قصور لأنى لا أنقل من نص مكتوب، لكنى أحكى من الذاكرة.

● قال صاحبى فى عجلة بادية غير خافية كأنه لم يستوعب ما قلت: ما مغزى هذه الحكاية، ولماذا أوردتها؟.

●● قلت ـ فى أسف وأسى واضح ـ وأنا آمل أن تهتدى هو وأنا إلى ما اهتدى إليه ابن عربى وأن نفطن إلى ما فطن إليه: خلاصة ذلك أن ما فى قلبكَ يسرى إلى جليسك، فإذا أردت أن تثمر دعوتك فيمن حولك، فأخلص فيما أنت فيه، يسرى الإخلاص والأمان إلى كل مَن حولك.

ومن هذا المنطلق الرَّضِىّ المُرْضِى، الآمن المؤتمن، تعال معى نَلِجُ فى ثقة وصدق مصدقين بوعد الله وقبوله أن يقبل حجنا وأعمالنا كلها بفضله ومَنّه وكرمه، شريطة أن تعمل قلوبنا فى حب وتضرع وأرواحنا فى شوق، سابحة فى ملكوته ـ سبحانه ـ ذاهلةً عن دولة الأشباح، لا تكاد تلامسها إلا فيما يحفظ ظواهرها مع أحكام الشريعة، فإنى لا أُسَلّم بما يخالف الشريعة وأرفضه مهما زعم مُدَّعوه، وأول ما تبدأ به فى الحج هو تنقية الوعاء حتى يسلم لك كل ما ألقيت فيه، فينضح طَيِّباً زكىّ الرائحة والطعم، وأقصد بالوعاء جسدك وأعضاءك التى تباشر بها عبادتك، فحاذر أن يدخل الوعاء شىء مما حرّم الله وأن تنبت أعضاؤك أو تتغذى بشىء مما حرم الله، فالنبى ﷺ يقول: «إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنّى يُستَجاب له»(٥)، فلابد أيها الأخ الحاج أن يكون مطعمك حلالاً وزادك حلالاً وراحلتك حلالاً حتى إذا رفعت صوتك بالتلبية جاوبتك الملائكة تقول لك: زادك حلال ومطعمك وراحلتك حلال لبيك وسعديك حجُّكَ مقبول.. أما إن كانت الأخرى ـ وأسأل الله ألا تكون ـ تقول الملائكة: «لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك» نعوذ بالله من ذلك.

(٥) صحيح مسلم.

وعليك أن تتذكر وتستحضر عظمة الله وأنت تلبى، فأنت تجيب نداء الله ـ تعالى ـ المتمثل فى قوله لسيدنا إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

(الحج: آية ٢٧)

ولابد أن تخبت لله وتتواضع لعظمته وتتذكر مع الجموع حولك:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾

(النبأ: آية ١٨)

وعندما تشاهد البيت الحرام استحضر عظمة رب البيت فى قلبك وقدر أنك تشاهده ـ سبحانه ـ وتذكر متعة النظر إلى وجهه الكريم واذكر قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

(القيامة: آية ٢٢ و ٢٣)

كما يجب عليك أن تتذكر عند استلامك الحجر الأسعد أنك تعاهد الله ـ تعالى ـ على طاعته وعدم مخالفته واعقد عزمك وصمم على الوفاء بعهدك معه ـ سبحانه وتعالى ـ فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الحجر الأسود يمين الله ـ عز وجل ـ فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه»(٦).. واجعل مطيتك يا أخى قلبك، ورقيقك قلبك، وتحرك فى السعى بين الصفا والمروة وقلبك ينبض بالتسليم لله ثقةً بوعد الله وعليك وأنت سائر إلى عرفات بين جموع الناس أن تتذكر الموقف يوم الحشر وما فيه من أهوال نجانا الله وإياك من هوله.

ليكن أملك فى عفو الله ورضاه أكبر من كل هول، وثق بالمغفرة والرضوان.. يقول ﷺ: «أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له»(٧).

***

(٦) تخريج أحاديث الإحياء.

(٧) كشف الخفا.

سياسة العقاب وأدبه في التشريع الإسلامي

لفضيلة الشيخ
علي عبدالباقي شحاتة
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

● العقوبة في الشريعة الإسلامية قسمان: حد، وتعزير، والحد ما جاءت فيه العقوبة مقدرة بنص صريح في القرآن الكريم أو في سنة رسول الله ﷺ كحد الزاني محصناً وغير محصن، وحد السرقة، وحد القذف، وحد الشرب.. الخ.

● والتعزير يقع على الجرائم التي لم ترد فيها عقوبة محددة، وهذا النوع أيضاً ثابت بوجه عام بالقرآن الكريم، مثل قوله - تعالى:

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾

«النساء: ٣٤»

وبالسنة الشريفة، فعلاً وقولاً، وبإجماع الأمة على وجوبه في كل كبيرة لا توجب حداً أو جناية لا توجب الحد كذلك.

ويكون التعزير بالحبس وبالضرب وباللوم والتوبيخ، كما يكو ن بأخذ المال على خلاف بين الفقهاء في هذا الأخير.

● والتعزير بالحبس موضع اتفاق بين فقهاء المسلمين، فقد أثر عن الرسول ﷺ«١» أنه حبس رجلاً بالتهمة وقد أورد الفقهاء في كتبهم جرائم أجازوا فيها الحبس، فقالوا إن من يتهم بالقتل، والسرقة، وضرب الناس، يحبس، ويخلد في السجن إلى أن يظهر التوبة، ويحبس.

كذلك من قذف إنساناً بما يعتبر قذفاً عرفاً، والمسلم آكل الربا، كل أولئك يعزرون بالحبس، وليس في الحبس مقدار محدد، بل أمر تحديد مدته مفوض لولي الأمر، أو للقاضي، حسب الأحوال.

● والحبس - في فقه الشريعة الإسلامية - كما يكون في الجرائم أجازه الفقهاء أيضاً في

«١» كتاب أدب القاضي للخصاف- باب الحبس في الديوان وغيره ص «١٣٤».

«٤» رواه البخاري ومسلم.

نظير الديون. فقال فقهاء الحنفية: إن سبب وجوب الحبس هو الدَّين قل أو كثر، ويشترط في الدين أن يكون حالاً، فلا حبس في الدين المؤجل، لأن الحبس لدفع الظلم المتحقق بتأخير قضاء الدين، ولم يوجد من المدين، لأن الدائن هو الذي أخر حق نفسه بالتأجيل، ولا يمنع المدين من السفر قبل حلول أجل الدَّين سواء بعد محله أو قرب، واشترطوا لحبس المدين ثبوت قدرته على قضاء الدين فلو كان معسراً لا يحبس لقوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾

«البقرة: ٢٨٠»

ومنها المطل وهو تأخير قضاء الدَّين لقوله عليه الصلاة والسلام«٢»: «مطل الغني ظلم» وقوله عليه الصلاة والسلام«٣»: «لَيّ الواجد يحل عرضه وعقوبته» أي امتناع المدين الموسر يجيز عرضه على القضاء وعقوبته.

والحبس من العقوبات المقررة شرعاً، ولكن لا يحبس أحد الوالدين بدين لولده لقول الله - سبحانه:

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

«لقمان: ١٥»

● هذا ولا يكون الحبس في الديون إلا بطلب الدائن أما في الجرائم فإن ذلك شأن الحاكم مع العقوبة المقررة مقابل كل جريمة.

● والحبس قد يكون بمعنى الملازمة، وذلك لا يتأتى إلا في حبس المدين أو من لم تثبت عليه التهمة بعد، فيأمر القاضي الدائن بملازمة مدينه إكراهاً له على سداد الدَّين أو ارتقاباً لبينة قريبة، والأصل في شرعية الملازمة هو ضمان حضور الخصم إلى مجلس القضاء لأن بعض فقهاء المذاهب لا يجيزون سماع الدعوى ولا القضاء فيها على غائب.

● وقد يكون الحبس في منزل المحبوس، وسكنه، وهو يقابل التعبير في عصرنا بتحديد محل الإقامة كما يكون بوضع الجاني أو المدين في السجن على ما أورده فقهاء الحنفية في كتبهم وتحدث به سائر فقهاء المذاهب في كتبهم. أيضاً إذ الحبس كنوع من أنواع الجزاءات العقابية تعزيراً أمر متفق عليه، ذو سند صحيح في السنة الشريفة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم.

الرفق في الحبس

● وإذا كانت الشريعة الغراء قد أجازت الحبس عقاباً فإنها بقواعدها العامة قد أحاطت هذا العقاب بما أحيط به غيره من وجود الرفق والامتناع عن إيذاء المسجون ومن هذه القواعد ما جاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ

«٢» رواه ابن حبان والحاكم.

«٣» رواه مسلم.

قال(١): «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة».

● أرأيت إلى هذه القاعدة الشريفة: إن الله كتب الإحسان على كل شيء.. أى أن الله - سبحانه - أمرنا أن نحسن كل شيء حتى العقوبات، فإذا كانت العقوبة - القتل - فالإحسان.. أن يستعمل السلاح الذى ينهى حياة الجانى قصاصاً دون تعذيب له وإذا كان القصاص فى عضو أو جزء من عضو فإن المتتبع لأقوال الفقهاء فى شروط تنفيذ هذه العقوبة بالقطع قصاصاً يتراءى له عياناً تصويرهم لحرص الإسلام على تحقيق العدالة فى المماثلة مع الرحمة فى المعاملة، فهم يقررون أنه متى ثبتت السرقة تقطع يد السارق وتحسم لينقطع نزف الدم لقول الرسول ﷺ فى شأنه: «فاقطعوه واحسموه» والمقصود حسم نزف الدم أى وقفه، ولا يتعين أن يكون بالكى كما كان معروفاً وقتذاك، بل كل ما يوقف النزف رحمة ورفقاً بالجانى بعد إنزال العقاب به فشرع الله عقاب ورحمة، حزم وعزم، وإصلاح وتهذيب، وتأديب توقف به الجرائم.

● ووفقاً لتطور الإنسان وصلاحية الشريعة الإسلامية لاحتواء كل جديد سواء فى عالم المعاملات أو العقوبات أو حتى طريق توقيع هذه الجزاءات لم تحمل النصوص تحديداً - لا مرونة فيه - لوسائل التنفيذ بل: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة» أحسنوها بأى أداة لا تحوى عذاباً ولا إذلالاً إلا فى حال الحرابة وقطع الطريق فإن لذلك حكماً خاصاً قصد به الشارع ردع المجاهر بالسب والنهب وترويع الناس وزجراً لغيره ممن تحدثه نفسه اتخاذ ذات السبيل صناعة وبضاعة.

● ومن هنا لم يكن للسجن معالم خاصة فى شريعة الإسلام، وإنما ترك تحديد معالمه وفقاً لتطور الإنسان واتساع العمران وانحسار الإيمان من القلوب وانعدام مراقبة الله جرياً وراء المادة، ففى عصر الرسالة كان الحبس فى المسجد، فقد حبس(٢) رسول الله ﷺ رجلاً فى تهمة، فربطه فى سارية المسجد وكان هذا الفعل كافياً فى امتثال هذا الرجل واحتباسه نفسه وجسده حيث وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه، فلا يمكن أن يخطر ببال هذا المحبوس الخروج على حكم الرسول ﷺ فلمَ إذاً السجن والسجان وقتئذ؟ وجرى هذا أيضاً فى عهد عمر رضى الله عنه.

● ثم بدأ فى العصر الأموى اتخاذ أماكن للسجن، كانت جُباً يحفر فى الأرض، يستقر فيه المسجون، ولم تكن مدد السجن موضوع تحديد، لأن هذه العقوبة كانت فى الأغلب من اختصاص الولاة لا القضاة، وكان لأولئك

«١» رواه مسلم.

«٢» رواه أبوداود.

سجن ولهؤلاء سجن، وكما هو مشروع معروف، فقد نزل هذا العقاب بعدد من الفقهاء المجتهدين أصحاب المذاهب كالإمام أبى حنيفة، والإمام أحمد بن حنبل، فى فتنة خلق القرآن، كل هذا فى العصر العباسى.

الإسلام لا يعرف السجن المؤبد

● هذا وتاريخ العقاب فى الإسلام لا يعرف نظام السجن المؤبد، أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة، والمثل الواضح لهذه النزعة الإسلامية فى تقصير أمد الحبس يتجلى فيما يراه الإمام مالك من أن عقوبة الحبس تكون سنة مع الدية لجريمة القتل إذا انتفى فيها القصاص وفى الفقه الحنفى أمثلة لذلك - أيضاً - ومدة الحبس القليلة تحدث أثرها فى نفس الجانى، ولا تحدث أضراراً مؤبدة فى الأسرة أو الجماعة.

● ومما سلف تستبين ملامح السجن مكاناً للعقوبة فى الإسلام، الذى يدعو إلى الإحسان فى كل شيء، بل ينبغى أن يعامل فيه الإنسان معاملة لائقة بآدميته التى كرمها الله - سبحانه - فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

«الإسراء: ٧٠»

● فقد نص الفقهاء على أن المسجون إذا مرض فى السجن كان دواؤه من بيت المال وكذلك نفقاته، وأنه إذا لم يوجد من يقوم على تمريضه وتطبيبه، أعيد إلى بيته ليلقى عناية أهله.

● ثم ماذا يفعل بالسجين فى سجنه: يقول الكاسانى فى بدائع الصنائع، وهو من أعلام الفقه الحنفى: المحبوس ممنوع من الخروج إلى أشغاله و مهماته وإلى الجمع والجماعات والأعياد وتشييع الجنائز وعيادة المرضى، والزيارة والمضايفة ولا يمنع من دخول أقاربه عليه لأن هذا لا يخل بما وضع له الحبس ولا يمنع كذلك من التصرفات الشرعية من بيع وشراء وهبة وصدقة، لأن الحبس لا يوجب بطلان أهلية التصرفات وسلطة ولى أمر المسلمين فى عقوبات التعزير ليست مطلقة، بل مقيدة بأمور استقاها الفقهاء من قواعد الشريعة العامة، وهى:

أولاً: أن يكون الباعث على تحديد العقوبة وتقديرها حماية المصالح الإسلامية المقررة.

ثانياً: أن تكون العقوبة ذات فعالية فى القضاء على الفساد دون إهدار لآدمية الفرد وكرامته.

ثالثاً: أن يكون هناك تناسب بين الجريمة والعقوبة المقررة لها.

رابعاً: المساواة بين الناس فى تطبيق العقوبة التعزيرية بحيث يسرى حكمها على جميع من تساوت مراكزهم القانونية دون استثناء.

وإذا كانت هذه القيود مفروضة فى ذات عقوبة الحبس فإنها أيضاً واردة فى الحبس أى السجن، فلا يكون السجن لمجرد التعذيب، بل لحماية المجتمع من الأشرار الخطرين، على الأموال، والأعراض.

«يتبع»

زيــــارة إلى بيــت النبــوة

في جلسات الصلح بين الأزواج.. ربما كان الخطأ راجعا إلى الزوج. أو إلى الزوجة. أو إليهما معا..

وقد يكون سببه: الأم. أو الأب..

وكثيرا ما كنت ألفت النظر إلى ضرورة تأمل السيرة العطرة لنرى في مرآتها.. الأسوة الحسنة.. في محاولة لتسديد خطانا على الطريق.. بعد ما نرى كل الأطراف المعنية نفسها في ضوء هذه السيرة.. الأمر الذي يفرض علينا التأسي.. بدل اللجوء إلى حيلة اخترعها أعداؤنا الراغبون في ضرب الأمة في شخص الأسرة التي هي حجر الزاوية في بنائها؛

وذلك واحد من مشاهدها؛

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

يقول عمر -رضي الله عنه : كنا معشر قريش نغلب النساء.. فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغالبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحبت امرأتي. فراجعتني. فأنكرت أن تراجعني. قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟: فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه: وإن إحداهن لتهجره اليوم.. حتى الليل.

رد الفعــل

يقول عمر -رضي الله عنه -: فأفزعني ذلك. وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم جمعتُ عليَّ ثيابي. فنزلت. فدخلت على حفصة، فقلت لها: أي حفصة: أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟!!

قالت: نعم.. فقلت:

قد خبت وخسرت.. أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ﷺ فتهلكي؟! لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء. ولا تهجريه وسليني ما بدا لك. ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك. وأحب إلى النبي ﷺ - يريد عائشة- قال عمر:

وكنا قد تحدثنا أن «غسان» تُنعل الخيل لغزونا. فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء، فضرب بابي ضربا شديدا وقال: أثَمَّ هو؟ ففزعنا. فخرجنا إليه. فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم. قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟

قال: لا.. بل أعظم من ذلك وأهول.. طلّق النبي ﷺ نساءه.

فقلت: خابت «حفصة» وخسرت. قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون. فجمعتُ على ثيابي. فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ فدخل النبي ﷺ مشربة له.. فاعتزل فيها.

ودخلت على «حفصة» فإذا هي تبكي. فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا؟ أطلقكن النبي ﷺ؟ قالت: لا أدري.. ها هو ذا معتزل في المشربة.

فخرجت فجئت إلى المنبر. فإذا حوله رهط يبكي بعضهم.

فجلست معهم قليلا. ثم غلبني ما أجد. فجئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر.. فدخل الغلام. فكلم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ وذكرتك له. فصمت. فانصرفت. حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبني ما أجد. فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر. فدخل. ثم رجع إليَّ. فقال: قد ذكرتك له. فصمت..

فلما وليت منصرفا إذا الغلام يدعوني فقال: قد أذن لك النبي ﷺ. فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئا على وسادة من أدم، حشوها ليف. فسلمت عليه، ثم قلت له وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟؟..

فرفع إليَّ بصره فقال: لا.

فقلت: الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم: استأنس يا رسول الله، لو رأيتني. وكنا معشر قريش نغلب النساء. فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم.

فتبسم النبي ﷺ.

ثم قلت: يا رسول الله، لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك.

فتبسم النبي ﷺ تبسُّمةً أخرى.

فجلست. حين رأيته تبسم. فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أَهَبة ثلاثة. فقلت يا رسول

الله: ادع الله.. فليوسع على أمتك، فإن فارسا والروم قد وسع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله.

فجلس النبى ﷺ وكان متكئا- فقال: أو فى هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجّلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا..

فقلت: يا رسول الله: استغفر لى..

ومع تقديرنا لمنصب النبوة العالى إلا أننا واجدون فى هذا المشهد الفريد ما يمكن أن يكون أسوة لنا اليوم.. لنسدد خطانا على هداه.. فى محاولة لإصلاح ما أفسد العطار من شئون الحياة فى ديارنا.. وعلى مستوى الأسرة.

١- ويطالعنا فى مفتتح المشهد ما لغريزة التقليد من أثر فعال.. بحيث إن المعايير قد تغيرت بفعل هذا التقليد، فكانت منهن: المراودة..

فبعد أن كانت الكلمة فى البيت للرجل القادر على سياسته، وبعد أن دخل فى الإسلام رجال من قريش فى الإسلام.. واستقر بهم النوى فى المدينة المنورة تبادل الطرفان الواقع. فصارت الكلمة للزوجة تماما كما كانت لنساء الأنصار.. الأمر الذى غالبه الفاروق فحاول أن يفرض رأيه على امرأته كسابق عهده.. ولكنها راجعته منكرة عليه موقفه.. مستشهدة بأن نساء الرسول ﷺ وهو أفضل منه يراجعنه إلى حد هجرانه النهار إلى الليل.

وأفزعه ذلك الرد أشد مما أفزعه مراجعة امرأته.. وطار به الفزع إلى بيت رسول الله ﷺ ليتأكد من صحة الواقعة.. بادئا بابنته حفصة.. والتى سألها عن صحة ما سمع فقالت: نعم!

ثم حذرها -رضى الله عنه- من مغبة من تراجع رسول الله.. الذى يغضب مولاه لغضبه..

ويستمر الفاروق فى حكاية ما كان بينه وبين صديق له.. والذى عاد إليه يدق عليه بابه.. وبعنف.. ظن معه عمر أن «غسان» أعلنت الحرب.. وأخبره صاحبه بأن الأمر أشد من هذا، فقد طلق النبى ﷺ نساءه.. بما فيهم ابنته حفصة.. والتى سبق أن حذرها منه..

ويحاول الفاروق أن يتدخل ليخفف من حدة الانفعال، لا من أجل حفصة ابنته -ولو فعل لما لامه أحد- ولكن حبه للرسول الذى يجب أن يظل مزاجه معتدلا ليقود السفين إلى بر الأمان!



فلما دخل عليه لم يفاتحه فى قضية الساعة.. وإنما ركز الحديث حوله هو شخصيا.. وما هو فيه من زهد بينما الخصوم فى فارس والروم يتقلبون فى مطارف النعيم.

سأله أولا، فاطمأن على أنه ﷺ لم يطلق نساءه، وعندئذ اعتدل مزاج الفاروق والذى عبر عنه بهتافه: الله أكبر. ثم انحلت العقدة عندئذ بما يلى:

١- دعابة عمر -رضى الله عنه- بما يسلى النبى ﷺ.

٢- نسيان ما حدث تماما.. والانشغال بمستقبل الأمة التى تعيش تحت الصفر.. بينما خصومها يتقلبون فى بحبوحة النعيم.

٣- حكمة الرسول التى كانت بردا وسلاما على قلب الفاروق.

٤- طلب عمر الاستغفار له شخصيا.. ثم الاستغفار لكل من تجاوزت الحد من نسائه، وفى مقدمتهم حفصة ابنته -رضى الله عنها.

٥- وهكذا يؤكد عمر -رضى الله عنه- بحكمته أن الوقوف إلى جانب الزوجة ضد زوجها تعصبا.. لا يخدم قضية الصلح.. وإنما الصلح منوط بوالد الزوجة.. الذى يذهب هو إلى زوجها، احتراما له.. فيما يشبه الاعتذار.. لتعود المياه إلى مجاريها فى البيت الذى تسعد ابنته باعتدال مزاجه.

من دروس التربية والدعوة

وبعد هذا التعليق على هذا المشهد الفريد.. يبدأ تأمل ما جاء فى كتب التراث تبصرة وذكرى. ونتساءل:

(١) طلب الفاروق -رضى الله عنه- من الرسول ﷺ أن يستغفر له.. ونقول: ماذا فعل عمر -رضى الله عنه- حتى يطلب هذا الاستغفار؟

قالوا: طلب الاستغفار عما بدر منه مما عدّه جراءة على الرسول ﷺ بما قاله. وفى مواجهته.

أو كان ذلك الطلب: لأن الفاروق تصور أنه وقع فى الشَّرك المنصوب وهو:

أ- الإعجاب بمظاهر الدنيا لدى فارس والروم.

ب- ما فى هذا الإعجاب من إرادة التشبه بالكفار فى حياتهم.. وهو أمر مرفوض فى الإسلام.. اعتزازا بهذا الدين الذى أكرمنا الله -تعالى- به.. وتهوينا مما يرفل فيه الملحدون مما لا يتنافس فيه المتنافسون.

(٢) لم يحادث الفاروق -رضى الله عنه- النبى ﷺ أن يسترسل فى الحديث إلا بعد أن «تبسم» الرسول تبسما دل على انبساط نفسه.. ثم قبوله الحديث، بل والإقبال عليه.

(٣) كما تفيد رواية أخرى: رواية (يزيد ابن رومان) «لا تكلمى رسول الله ولا تسأليه. فإن رسول الله ليس عنده دنانير ولا دراهم. فإن كان لك من حاجة -حتى دهنة- فسلينى» مما يدل على أريحية والد الزوجة الذى يقدر ظروف زوج ابنته.. حين يعطى

ابنته ما ينعش اقتصادها.. (لأن ذلك صيانة لعرضه وعرضها. وبذل المال في صيانة العرض واجب) إلى جانب ما يحمله من إشارة إلى ضرورة أن تكف الزوجة عن الاستكثار في رغباتها رعاية لواقع الزوج ومشاعره.. لأن ذلك مما يؤذيه قطعا عندما تكون العين بصيرة.. واليد قصيرة.

(٤) في التربية، في الحديث: الانفراد بالأستاذ لسؤاله حتى عن بعض خصوصياته إذا كان في ذلك فائدة.. وكان فرارا من بعض من قد ينكر عليه ذلك..

(٥) ضرورة الرفق بالنساء والصبر عليهن. والإغضاء عن أخطائهن في حق الزوج.

يقول العيني:

روى عن ابن عباس مرفوعا: (علق سوطك حيث يراه الخادم)[1] وروى:

(أخف أهلك في الله ولا ترفع عنهم عصاك[2])، قلت: أسانيدهما واهية.. وضرب المرأة لغير الهجر في المضجع لا يجوز.. بل حرام: قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

(الأحزاب: ٥٨)

ونقول: إن تعليق السوط يقصد به التحذير من الخطأ.. حتى لا يقع خطأ بالمرة.. وإذا كان في ذلك «تخويف» فهو في سبيل الله.. وليس هو المزاج الشخصي المتقلب.

(٦) جواز أن يتخذ «المسئول» من يمنع الناس من الدخول عليه إلا بإذنه..

(٧) ومن أدب الإسلام: ضرورة الاستئذان على الرجل وإن كان منفردا.. خشية أن يكون في وضع لا يحب أن يراه فيه أحد.

(٨) إذا رأى الإنسان صاحبه مهموما على غير عادته.. كان عليه أن يحدثه بما يطيب نفسه.

(٩) عدم مد البصر إلى ما يتمتع به الإباحيون في الدنيا.. وإيثار نعيم الآخرة. لأنه النعيم الباقي.. على أن يكون ذلك استهانة بالنعيم وبالمتنعمين.. إيثارا لما عند الله.

(١٠) طلب الدخول على المسئول.. ليس أمرا واجب التنفيذ، فمسئولياته الكبار تفرض التماس الأعذار له.. بدل أن تأخذنا العزة بالإثم.

(١١) في الحديث أن غضب الحليم أمر وارد.. واتقوا غضب الحليم!

(١٢) كراهة تسخط النعمة..

(١) المعجم الكبير للطبراني، ج١٠، ص٢٤٥.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٥، ص٢٣٦ بنحوه، مجمع الزوائد الهيثمي ج١، ص١٠٥ بنحوه.

واحتقارها.. ولو كانت قليلة في مرأى العين..

(١٣) الحياء من الأصهار -وهم أقارب الزوجة-.. تقديرا لهم. ولها في نفس الوقت وأن ما يحدث بين الأزواج ينبغي ألا يكون له أثر مباشر في العلاقة بينهما.

١٤- إذا كان بعض الأزواج يكره اليوم دخول والد زوجته أو أمها، في غيابه -فإن الحديث الشريف.. يجيز ذلك.. شريطة أن يكون أبوها وأمها يريدان رأب الصدع. وسلامة البيت.

(١٥) جواز التفحص عن أحوال الزوجات إرادة الإصلاح، وليس الإفساد.

فما هي القصة؟!

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر. دخل على نسائه فيدنو من إحداهن. فدخل على حفصة بنت عمر.. فاحتبس أكثر ما كان يحتبس. فغرت.. فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عسل.. فسقت النبي ﷺ شربة. فقلت: أما والله لنحتالن له.. فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك فقولي: أكلت مغافير.. فإنه سيقول لك: لا.

فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ فإنه سيقول لك: سقتني «حفصة» شربة

عسل. فقولي له:

جرست نحله العُرفط.. وسأقول ذلك.. وقولي أنت يا صفية ذاك.

قالت: تقول سودة: فما هو والله إلا أن قام على الباب. فأردت أن أباديه بما أمرتني به فرقا منك. فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله. أكلت مغافير؟

قال: لا.

قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟!

قال: سقتني حفصة شربة عسل.

فقالت: جرست نحله العرفط.

فلما دار إليّ قلت له نحو ذلك.

فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك.

فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله: ألا أسقيك منه؟!

قال: لا.. لا حاجة لي فيه.

قالت: تقول «سودة»: والله لقد حرمناه. قلت لها اسكتي.

(فتح الباري ٩/ ٣٧٤-٣٧٥)

أساس المشكلة هو: الغيرة.. والتي هي غريزة في الرجال والنساء.. بل هي في النساء أعمق وأشد.. حتى في بيت النبوة.

عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا.. قالت: فغرت عليه!! فجاء. فرأى ما أصنع.. فقال: مالك يا عائشة. أغرت؟؟

فقالت: ومالى لا يغار مثلى على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟

قالت: يا رسول الله.. أوَ معى شيطان؟!

قال: نعم.

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم.

قلت: ومعك يارسول الله؟

قال: نعم.. ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم.

(مسلم/ ٢٨١٥)

وربما كانت غيرة النساء أشد لما للرجل من حق الزواج إلى أربع.. الأمر الذى قد يسول له الزواج بمن تغار منها زوجته التى فى عصمته، وقد تعبر الغيرة عن نفسها بالعنف.

وعن أنس -رضى الله عنه- قال:

كان النبى ﷺ عند بعض نسائه:

فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام.

فضربت التى النبى ﷺ فى بيتها يد الخادم.. فسقطت الصحفة. فانفلقت. فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة ويقول:

غارت أمكم. ثم حبس الخادم- استيقاه- حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها. فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كسرت صحفتها. وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت فيه. (فتح البارى/ ٥٢٢٥)

●●●

وعن المسور بن مخرمة -رضى الله عنه- قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر:

«إن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم علىَّ بن أبى طالب فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن. إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى. وينكح ابنتهم. فإنما هى بَضعة منى. يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها» (الفتح/ ٩/ ٥٢٣٠)

وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل.. سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة:

تعقيب

يؤخذ مما سبق دروس: منها:

١- أن الغيرة جبلة النساء.

٢- وأن الزوجة الغيراء: معذورة.. لأن الغيرة فى النهاية.. دفاع عن النفس.

٣- ضرورة الحزم أو الحسم فى الأمور المهمة.

٤- أن الزوجة قد تخطىء.. ولكن مما يشجع على العفو عنها: ندمها على ما قدمت وهذا ما كان من أم المؤمنين «سودة» -رضى الله عنها.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى القرآن الكريم والسنَّة النبوية

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
عضو مجمع البحوث الإسلامية

إن من أعظم الفضائل التى دعا الإسلام إلى الالتزام بها لتهذيب النفس الإنسانية وإصلاحها، والارتقاء بالمجتمع، ونشر الأمن والأمان فى ربوعه، وحماية له من غضب الله وعقابه: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. لأن النفوس إذا انحرفت عن الجادة وضلت الطريق، ولم تجد من يصحح لها مسارها ويعدل أعوجاجها أظلمت الآفاق، وانتشر الفساد وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، وعاقبهم الله بالتخلى عنهم، وسلب نعمة منهم يقول الله -تعالى-:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾

(الرعد: ١١)

وهذه سُنَّة من سنن الله فى خلقه التى لا تتخلف، فقد اقتضت سنته أنه -جل شأنه- لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية وخير ورخاء ورفعة وعزة وقوة ومنعة، إلى ضد ذلك حتى يغيروا ما بأنفسهم من طاعة إلى معصية ومن جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد.. وإذا أراد الله بقوم سوءا من عذاب أو هلاك أو ما يشبههما بسبب إيثارهم الغىّ على الرشد، والفساد على الصلاح والمعصية على الطاعة فلا راد لقضائه ولا دافع لعذابه، ومالهم من

دونه - سبحانه - من ناصر ينصرهم، ويرفع عنهم عقاب الله.. فالآية الكريمة تبين مظهرا من مظاهر عدل الله فى شئون عباده وفى الوقت نفسه فيها تحذير شديد لهم من الإصرار على المعاصى، وجحود النعمة والانحراف عن طاعة الله.

خطب أبوبكر الصديق -رضى الله عنه- خطبة فقال: «أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها»:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾

(المائدة: ١٠٥)

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب»[1].

وهكذا يحذرنا رسول الله ﷺ من التراخى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. ويبين لنا أن الأمة التى لا تلتزم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستحق أن يعمها عذاب الله، بل ويكون ذلك التراخى والترك سببا فى عدم استجابة الله للدعاء، فعن حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[2].

ويعلمنا رسول الله ﷺ كيف نفعل إذا عمّت البلوى، وانتشر الفساد، وأعرض الناس عن سماع النصيحة، وأعجب كل إنسان برأيه ورفض الانصياع إلى صوت الحق، فعن أبى أمية الشعبانى قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾

قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم» قال ابن المبارك: وزادنى غير عتبه: قيل يا رسول الله: أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»[3].

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣ ص٢٢٩.

(٢) أخرجه الترمذى.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذى (٣٠٥٨)، واللفظ له، وابن ماجه.

الثقة بثواب الله

على أن القائمين بالأمر بالمعروف والناهين عن المنكر ليسوا فى درجة واحدة عند الله -تعالى- بل تتفاوت منزلتهم ومكانتهم عند الله على قدر ما يبذلون من جهد ومشقة وما يواجهون من مصاعب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن مسعود -رضى الله عنه-: «كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر يتكرون ما يعملون فقام أحدهم فقال: إنكم تفعلون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال: اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى وقاتلتهم فغلبونى.. ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال: اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى، ولو قاتلتهم لغلبونى، ثم ذهب. ثم قام الثالث، فلم يطيعوه، فاعتزل، ثم قال: اللهم إنى نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب. ثم قام الرابع فقال: اللهم إنى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى».. قال ابن مسعود -رضى الله عنه- كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله.

أوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله -تعالى- فمن وثق بالثواب لم يجد مس الأذى، ولقد كان الله يحفظ أكثرهم من بأس الظالمين ببركة إخلاصهم وحسن مقصدهم وقوة توكلهم وابتغائهم بكلامهم وجه الله -تعالى-.

قال سفيان الثورى -رحمه الله-: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق.

قطب الدين الأعظم

قال حجة الإسلام الإمام أبوحامد الغزالى -رحمه الله-: إن[4] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كاد الذى خفنا أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم، فمن سعى فى تلافى هذه

(٤) كتاب إحياء علوم الدين جـ٢ ص٤٧٧.

الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا بأعبائها ومتشمرا في إحيائها، كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها.

إن الإيمان بالله واليوم الآخر مع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكفي للدلالة على صلاح الفرد أو صلاح الأمة كلها إذا أهملت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله -تعالى-:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(آل عمران: ١١٣، ١١٤)

أي: ليس أهل الكتاب متساوين في الكفر وسوء الأخلاق بل منهم طائفة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه مستقيمة على طريقته ثابتة على الحق ملازمة له لم تتركه كما تركه الأكثرون من أهل الكتاب وضيعوه ومن أوصافهم الكريمة: أنهم يكثرون من تلاوة القرآن الكريم في صلاتهم التي يتقربون بها إلى الله آناء الليل وأطراف النهار، وأنهم يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، وأنهم يرشدون غيرهم إلى الخير الذي أمر الله به، وينهونهم عن كل ما حرّمه الله ويبغضه وتستنكره العقول السليمة وأنهم يسارعون في فعل الخير من فرط رغبتهم في عمله، وأنهم بجمعهم تلك الصفات الكريمة استحقوا غاية المدح بوصفهم بأنهم من الصالحين.

وهذا الوصف هو الذي وصف الله -تعالى- به الأنبياء فقال -جل شأنه- بعد ذكر إسماعيل وإدريس وذي الكفل وغيرهم:

﴿ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(الأنبياء: ٨٦)

عاقبة السكوت على المنكر

ويخبرنا رسول الله ﷺ بأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون سببا في غضب الله ونزول عذابه وأن الأمة التي تفعل ذلك تطرد من رحمة الله. عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقصُ على بني إسرائيل كان الرجل الذي يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾

(المائدة: ٧٨-٨١)

ثم قال: «كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطُرنه(*) على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا»[5].

إن السكوت عن المنكر والتغاضي عن فعل الشر وإهمال الأمر بالمعروف وترك النصح والإرشاد لا يتحمل وزر ذلك وعاقبته من يفعل المنكر ويرتكب الشر فقط، بل إن نقمة الله وعذابه يعم الجميع ولقد شبه رسول الله ﷺ ذلك أروع تشبيه، وصوره أبلغ تصوير في حديثه الشريف عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[6].

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه- لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم، وتستنصرون فلا تنصرون، وتستغفرون فلا يغفر لكم».

وقال مالك بن دينار: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله، يعظهم ويذكرهم بأيام الله -عز وجل- فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء، فقال: مهلا يا بني مهلا وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله إلى نبي زمانه: أن أخبر فلانا الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقا أبدا، أما كان من غضبك لي إلا أن قلت: مهلا يا بني مهلا!!

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: دخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال: ارفع إلينا حاجتك فقلت له: اتق الله قد ملأت الأرض ظلما وجورا قال: فطأطأ رأسه، ثم رفعه، وقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال: ارفع إلينا حاجتك فقلت: حجّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيقها الجبال!!

(*) لتأطرنه: أي: لتردنه.

(5) أخرجه أحمد في المسند «٣٩١/١» برقم «٣٧١٣»، وأبو داود «٤٣٣٦»، واللفظ له والترمذي وابن ماجه.

(6) أخرجه البخاري - الفتح ٥ «٢٤٩٣».

فريضة الحج

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم
رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الحج، لغة: القصد. وشرعا: قصد البيت الحرام للنسك، أو هو كما عرفه البعض: أعمال مخصوصة تؤدى فى وقت مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص.

وهو فرض على كل مسلم ومسلمة.

قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

«آل عمران: ٩٧»

وهو واجب مرة واحدة فى العمر، لقول الرسول ﷺ: «يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ حتى قالها ثلاثا، فقال عليه الصلاة والسلام: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم».(١)

وشروط وجوبه: الإسلام والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة. وأركانه: الإحرام، والطواف، والسعى بين الصفا والمروة. والوقوف بعرفة.

وأما العمرة: فهى لغة، الزيارة. وشرعاً: زيارة البيت الحرام على وجه مخصوص. قال تعالى:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

«البقرة: ١٩٦»

ويشترط فى العمرة ما سبق فى الحج من الشروط، وأما أركانها فهى: الاحرام، والطواف والسعى بين الصفا والمروة. وقيل: إن العمرة واجبة، وقيل: أنها مستحبة، وللإمام الشافعى فيها قولان: أصحهما الوجوب، ولا يجب الحج ولا العمرة إلا مرة فى العمر، إلا إذا نذر المسلم فيجب عليه الوفاء بنذره، وقال الشافعى وأبو يوسف وجماعة: إن الحج يجب على التراخى، إلا أن ينتهى إلى حال يظن فواته لو أخره، قال أبو حنيفة ومالك وغيرهما: يجب على الفور.

(١) تلخيص الحبير لابن حجر العسقلانى ٢/ ٢٢٠.

وقد دل على وجوب الحج الكتاب والسنة والإجماع، وأصبح معلوما من الدين بالضرورة فمنكره كافر خارج عن الإسلام.

وهو من أفضل العبادات، وأعظم الأعمال تقربا إلى الله كما جاء فى الحديث: عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: سئل النبى ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور». رواه البخارى مسلم

هكذا يبين الرسول صلوات الله عليه وسلامه منزلة هذه الفريضة الجليلة بين الأعمال الفاضلة فى الدين، فلئن كان أفضل الأعمال «الايمان بالله ورسوله»- وهو يعنى التصديق والعمل بكل ما أمر به الله ورسوله ومن بينها الجهاد والحج- فإنه حين يسأل عما يلى ذلك من عمل فى الأفضلية يشير إلى الجهاد فى سبيل الله ثم الحج المبرور، وذلك لمزيد العناية بهما، ولتوجيه النظر إلى ما ينطوى عليه كل من الجهاد والحج من فضل عظيم، ومثوبة كريمة، وجزاء أوفى عند الله - سبحانه وتعالى-.

والحج المبرور: هو المقبول الذى وفيت أحكامه ووقع على الوجه الأكمل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فيه. قال تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

«البقرة: ١٩٧»

وفى الحج المبرور صفاء روحى، وبراءة من الذنوب صغيرها وكبيرها، لأن المسلم فى أدائه لتلك المناسك يتخلص من شهوته، ويتجرد من زينته، ويهرول إلى ساحة الغفران والرضوان بنفس طاهرة، وقلب منيب، يتوب إلى ربه التوبة النصوح، وتشرق فى روحه ومضات الإيمان الصادق فيستشعر اللذة الروحية، ويحس الأمل فى الله، والرجاء العظيم فى جناب رحمته.

فحين ترتعش شفتاه الضارعتان على دقات قلبه الطاهر الخفاق فينتفض كل إحساس فيه بمناجاة عذبة، ونداء دافىء برئ يصيح ملء روحه: «لبيك اللهم لبيك..» ومستجيبا لله ولرسوله إذا دعاه لما يحيه. حين يصل المسلم إلى تلك الدرجة من الصفاء الروحى لا يبقى على جسده إثم ولا على حياته غشاوة لأنه انغمس فى طهارة قدسية وتجاوبت أصداء روحه مع نسمات الإيمان الكامل فكأنه مولود جديد لا ذنب يدنسه ولا عيب يلتصق به.

عن أبى هريرة- رضى الله عنه- قال: سمعت النبى ﷺ يقول: من حج لله فلم

يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»(٢).

وفريضة الحج هي أحد أركان الإسلام الخمسة تجب على من توافرت له شروط الاستطاعة قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾

«آل عمران: ٩٧».

ويشترط لتحقيق هذه الاستطاعة: أن يكون المسلم سليم البدن غير مريض وألا تكون لديه موانع حسية، وأن يكون ما يحج به من مال فائضا عن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة ذهابه وإيابه. ويشترط أيضا أن يكون الطريق مأمونا.

واشترط الأحناف والحنابلة زيادة على ذلك:- بالنسبة للمرأة- أن يكون معها زوج أو محرم بالغ عاقل إذا كان بينها وبين مكة مسافة سفر لما رواه أبوهريرة- رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا ومعها ذو محرم(٣) ويقول ابن عباس: سمعت رسول الله يقول: «لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا ومعها ذو محرم. فقام رجل، فقال: يا رسول الله إني كنت في غزوة كذا وانطلقت امرأتي حاجة، فقال النبي ﷺ: انطلق فاحجج مع امرأتك»(٤)، وحيث تتحقق هذه الشروط فليس للمسلم أن يتراخى عن أداء هذه الفريضة الجليلة، بل يجب عليه أن يعجل بها، لأنه لا يضمن عمره، قال عليه الصلاة والسلام: «من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الضالة وتعرض الحاجة»(٥).

وإذا ما استجاب المسلمون لنداء ربهم - سبحانه - وهبوا لأداء هذه الفريضة راحلين إلى بقاعها المقدسة تاركين الأهل والديار، والوطن والأحباب، فهم وفود الله - سبحانه - وزواره وأضيافه، يسيرون في عنايته، وتحدوهم رعايته، وهم في حمى الله وأمانه في حلهم وترحالهم، مضمون على الله إن قبض واحدا منهم أن يدخله جنته، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة.

دعامة الإسلام

روى ابن جريج عن جابر عن النبي ﷺ قال: «هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة»(٦).

وهؤلاء الوفود الأبرار جعل الله - سبحانه - دعاءهم مقبولا، لا يرد، واستغفارهم يصعد إلى السماء فيغفر الله لهم، ويتوب عليهم وتتجاوب مع أصداء أنفسهم الطاهرة المبرورة

(٢) صحيح البخاري ٦١٤/٢.
(٣) صحيح البخاري ٥٤/٢.
(٤) صحيح البخاري ٧٢/٤.
(٥) أبوداود، المناسك.
(٦) الدر المنثور ٥٣/٢.

ومضات الإشراق والطهر في عالم القداسة والنور، وتتفتح لدعوتهم البريئة، وضراعتهم النبيلة أبواب السماء، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»(٧) كما جعل سبحانه وتعالى - جزاء الحج المبرور جنته، عن بريدة أن النبي ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(٨).

والبيت الحرام الذي يقصده المسلمون استجابة لنداء ربهم - سبحانه - هو أول بيت وضع للناس كما حدده القرآن الكريم زمانا، ومكة كما حدده أيضا مكانا، ففيه من عظيم الآيات والهدى ما يجعل من دخله آمنا مطمئنا، وتيسيرا من الله لعباده لم يوجبه إلا على المستطيع، كما لم يجعله إلا مرة واحدة من العمر بها يسقط عن المكلف الفرض، أما من جحد الحج ولم يؤمن بفرضية تلك الفريضة فإن الله غني عنه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ (٩٦) فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

«آل عمران: ٩٦ : ٩٧».

النفقة في الحج نفقة في سبيل الله

ولمكانة هذا البيت العظيمة ناط الله - سبحانه - بزواره عزا في الدنيا والآخرة، إنه يمهد لأسباب الرزق ويفتح أبواب الخير فينفي الفقر والذنوب. عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»، رواه الترمذي وصححه.

كما جعل النفقة في الحج مثل النفقة في سبيل الله. عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف»(٩).

ولتلك الأسرار الكريمة، والمثوبة البالغة التي تتضمنها تلك الفريضة كان على المسلم أن يتحرى بكل دقة وأمانة المال الحلال الذي لا تشوبه أدنى شائبة، أو أقل شبهة حتى يكون مقبولا.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك، زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور. وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك، ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مأجور»(١٠).

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي ٢١١/٣.
(٨) صحيح البخاري ٢/٣.
(٩) مسند أحمد ٣٥٥/٥.
(١٠) مجمع الزوائد للهيثمي ٢٩٢/١٠.

ومن خلال مناسك الحج تنبثق الروحانيات الكريمة التى تشع فى قلب المؤمن معانى سامية، وإشراقات تبعث الراحة والأمان، والطمأنينة والانشراح، إنه من أول لحظة يحرم ويصبح ملبيا ربه - سبحانه - فقد دخل فى المناجاة الطيبة، واستجاب بتلبيته إلى نداء ربه سبحانه إذ يقول:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾

«الحج: ٢٧»

فهو يتجرد من لباس الدنيا وزينة الحياة وزخرفها، ويلبس إزاره ورداءه، وينتظم فى تلك الصفوف من المسلمين الذين ارتدوا جميعا هذا اللباس الواحد فى هيئة بيضاء لا فرق بين غنى أو فقير، ولا بين رئيس أو مرءوس، فالكل سواد ضمتهم وحدة دينهم فى مظهرهم، وفى مخبرهم، وفى صرخات قلوبهم وهى تجأر بنداء واحد فى وقت واحد لرب واحد - سبحانه وتعالى.

الطـــواف

وفى طوافهم بالبيت يتشبهون بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين برحمته ومغفرته، فهو حين يستلم البيت، يبايع خالقه سبحانه واضعا يده على الحجر الأسود فهو يمين الله، يصافح بها خلقه ليفى حق الوفاء بتلك المبايعة، متعلقا بأستار الكعبة تعلق المذنب بثياب من أذنب إليه، راجيا منه العفو، طالبا منه الرحمة والرضوان.

بيـن الصـفا والمـروة

وفى السعى بين الصفا والمروة تذكر وتدبر لما ينعم به الله - سبحانه وتعالى - على عباده من فرج ويسر بعد ضيق وعسر، كما أنه رجاء مخلص يصعده صاحبه راجيا أن ينظر إليه ربه بعين الرحمة.

والسعى من شعائر الله تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

«البقرة: ١٥٨»

قال الامام الغزالى - رحمه الله -: وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت فإنه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى، إظهارا للخلوص فى الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، كالذى دخل على الملك وخرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحمه فى الأولى، وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة، وليمثل الصفا بكفة الحسنات، والمروة بكفته الأخرى، وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران.

عرفـات.. يـوم مشهود

وأما الوقوف بعرفة فهو أهم ركن فى هذه الفريضة كما يقول الرسول ﷺ: «الحج عرفة»[١١]، وفى يوم عرفة تخنس كل وساوس الشيطان، وتنطفىء هواجسه، فيرى حقيرا ومدحورا، قال ﷺ: «ما رؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة»[١٢].

إنه لموقف ضخم فى يوم مشهود يقف فيه الناس جميعاً لا فرق بين إنسان وإنسان. مظهر واحد، ومكان واحد، يدعون ربا واحدا، فينتظم دعاؤهم الحار المصعد إلى السماء فى نشيد روحى عذب يهتفون به فى نفس واحد ملبين ومستغفرين، وراجين رحمة ربهم، فيستشعرونها تتنزل عليهم من عند ربهم - سبحانه وتعالى -، ويتذوقون حلاوة المناجاة فى طهارة وبراءة حيث ارتفعت الأصوات على اختلاف اللغات ترتعش بالرجاء وتتمازج بالأمل، وإنهم ليتذكرون فى هذا الموقف يوم القيامة واجتماعهم بأنبيائهم وأئمتهم واقتفاء كل أمة بنبيها طمعا فى الشفاعة ورغبة فى فضل الله رب العالمين.

رمى الجمار.. انتصار على الشيطان

وأما رمى الجمار ففيه طرح لوساوس النفس، ومقاومة منتصرة لنزعات الشيطان، رجما له وإرغاما لأنفه، بامتثال أمر الله تلبية وتعظيما استجابة لأمره دون أن يكون للنفس أو العقل حظ فيه. ويقول أبو حامد الغزالى فى هذا الموقف: القصد منه الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية، وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه، ويبين أيضا القصد برمى الجمار قائلا: التشبه بإبراهيم - عليه السلام - حيث عرض له إبليس - لعنه الله تعالى - فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية، فأمره الله - عز وجل - أن يرميه بالحجارة طردا وقطعا لأمله.

وهكذا نرى أن ما تعطيه مناسك الحج من قيم، وما تنطوى عليه من أسرار وروحانيات، نرى كل هذا جديرا بالوقوف عليه والاعتبار به والسير على هديه القويم، فإن هذا اللقاء الروحى الكبير يشكل أعظم مؤتمر إسلامى عالمى أعضاؤه وفود الله وزواره، وضيوف بيته وعماره، «وحق على المزور أن يكرم زائره» وفيه تتلاقى القلوب على المحبة البيضاء، ويشع صفاء الأخوة بينهما، فتعمل جاهدة لصالح العباد والبلاد.

﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ فى أمر دينهم وفى أمر دنياهم وفى هذا تحقيق للنصر الكبير على عدو البلاد بالجهاد فى سبيل الله، وتحقيقا للنصر الأكبر على النفس بجهادها، والنصر فى كل أبعاده، وشتى مجالاته لا يكون إلا انبثاقا من الدين، وانطلاقا من الإيمان الصادق الذى به يتحقق وعد الله.

---

(١١) أبو داود فى المناسك، والسنن الكبرى للبيهقى

(١٢) إتحاف السادة المتقين ٤/٢٧٦.

الإســـلام والبعد الإنسانى فى التنميــة

للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد
الأستاذ بجامعة القاهرة

منذ عهد قريب كانت الأعمال البدنية - كالقرع والطرق والسحق والطحن وخراطة الخشب - أعمالاً مألوفة، وكان الناس على صلة وثيقة بالأرض والريح والماء والمطر، وكان الناس يسيرون، يصعدون التلال ويهبطون إلى الوديان، كان الناس فيما مضى فى انسجام مع الأرض والسماء، وتغيير الفصول والشهور وإيقاعات الحياة. أما المعاصرون فقد وصلوا إلى النجوم، وارتادوا أعماق المحيطات وسبروا أغوار الأرض، ولكنهم فى ذات الوقت انفصلوا عن بيئاتهم وعن القوى المحيطة بهم، وأصبحوا كأنهم كائنات بلا جذور، آلات آدمية تطير وتهبط من قارة إلى أخرى يقيمون فى مساكن شاهقة لا علاقة لها بالأرض ولا بالسماء، يصعدون إليها ويهبطون بالمصاعد، ويتحركون بالسيارات، حيث وهبت لهم الآلات الكثير من الأعمال، فلم يعد لهم صلة فعلية بالعناصر المادية، ولا حتى بالجاذبية الأرضية، مقلين فى أداء الأعمال اليومية التى كانت تربطهم بالعوالم.

فى الوقت الحاضر يتحمل الناس أبدانهم بصعوبة، ويتقبلون على مضض أوزانهم، ويسيئون استخدام معداتهم ورئاتهم، ويتجنبون الحركة، ومع زوال الأعمال التقليدية، ماتت الأعياد والاحتفالات التى كانت تجمعهم وتصلهم بإيقاعات الحياة وتعرفهم بأنفسهم، وتعرض مباهاتهم ومرحهم الصاخب، وتساعد على إقرار الأخوة بينهم، وتقربهم من الإله وتغريهم بالأمل، انسحقت معانى الشعائر، وقلت مساحة التبادل والتفاهم، وضاعت قيمة السكون والقداسة، ومعنى الزمان، وقيمة المكان، وحتى النشوة، نشوة الجسد والروح، النشوة الطبيعية القوية الصاخبة عادت وكأنها مهمة ثقيلة ينقصها الانفعال والانبهار.

وباختصار لقد فقد الناس التوافق بينهم وبين الأرض، وبينهم وبين السماء، بين ما هو جسدى وما هو ميتافيزيقى، وبين ما هو مرتفع وما هو منخفض، وبين الظلام والنور.

وفى مجال العلم شاع نوع عجيب من الشرك المنهجى، يتم فيه الفصل بين الجسد والروح، والعلم والسلوك، وبين الإنسان والإنسان، والرجل والمرأة والمسجد والمدرسة، وصار التقدم فى الطب سبباً فى المرض، والتقدم فى الهندسة سبباً فى ازدحام الشوارع وارتطام الرجل بالرجل، وتقدم الزراعة سبباً فى تلوث المزروعات وفقدان نكهتها الحقيقية، والتقدم التكنولوجى سبباً فى الخراب والدمار والحروب.

إن العالم يجتاز حقبة من المتغيرات العميقة السريعة، وهى حقبة تعتريها الأزمات والنكسات، بسبب القوى والإمكانات المتزايدة التى يوفرها تقدم العلم والتكنولوجيا للإنسان، والتى تسبب أضراراً بالغة باستخدامها أسلحة فتاكة للتدمير والإفناء على نطاق واسع، واتساع الفوارق بين الشعوب.

إننا معرضون على مدى حقبة قصيرة من الزمن لأن ندمر بأيدينا، ودون أن نحسب حسابا للأجيال القادمة الأعشاب والأشجار، فمن المعروف أن تسعة أعشار الغابات التى كانت قائمة فى بعض الجزر الاستوائية قد زالت وانقرضت فى مدى ٥٠ عاماً، وكذلك تعرضت الغابة الاستوائية الكبرى لهجوم مدمر وإتلاف طائش.

وبعض الشعوب تنهب ثروات الطبيعة وتلوثها بلا وعى ولا ضمير، وتعرض بهذا كل الأجيال القادمة للعيش المشوه.

ولقد لوحظ أن تقدم الصناعة والتكنولوجيا فى بعض المجتمعات يحرم الأفراد والجماعات من القدرة على تكييف أحوالهم المعيشية، وتوجيه مصائرهم فى حدود طاقاتهم البشرية ورغباتهم الذاتية.

ومن المشاهد كذلك أن حقوق الإنسان وحريته تواجه العديد من التهديدات نتيجة التدخل فى حريته الخاصة، حيث أدى تقدم وسائل الإعلام والمخابرات والاتصالات إلى الحصول على تحريات تشبه التحقيقات البوليسية والقضائية فى حياة الأفراد والجماعات، مما يحرمهم من خصوصياتهم الفردية.

وأخيراً ارتفعت أصوات بعض المفكرين - على استحياء - بالمشكلات التى يتمخض عنها النمو الاقتصادى الذى ينظر إليه كغاية فى ذاته، والذى ترتب عليه تدهور البيئة

الطبيعية وظهور ضغوط جديدة تهدد الإنسان فى وجوده بوصفه كائنًا اجتماعيًا. ومن ثم ظهر ما يسمى «التنمية الشاملة» التى تأخذ فى اعتبارها إلى جانب العوامل الاقتصادية ـ عوامل ثقافية واجتماعية تضفى عليها الصبغة الإنسانية.

إن مراعاة البعد الإنسانى فى التنمية يعنى الإقرار بأن التنمية يجب أن يكون هدفها النهائى إعادة الإنسان إلى ذاته، وإحلاله فى نظام يعظم فيه وجوده وكرامته، وفى مدنية تقبله وتحتضنه بدلاً من أن تلفظه وتنفيه، وفى مجتمع يسوده التكامل والتضامن وفى عمل يمنحه الكرامة والحرية[١].

وهكذا يعود العلماء مرة أخرى إلى نقطة البداية، وهذا ما ستفسره الصفحات التالية.

وقد بدأ الآن نوع من التحول الهام فى الاقتصاد العالمى، بل وفى المدنية العالمية التى قامت على الاستغلال، وبدأ يتحطم نمط التقدم الاقتصادى والاجتماعى الذى استمر خلال الربع الأخير من القرن الماضى، ووجد السياسيون والاقتصاديون وعامة المواطنين فى أنحاء العالم وجدوا أنفسهم فى عالم جديد تعرضت فيه أنماط الفكر والعمل المألوفة للتحدى، وأصبحت توقعات المستقبل يحيطها الشك والخوف.

كان مفهوم التقدم الاقتصادى غير المحدود والمستمر، قد وقر فى ذهن أساطين الرأسمالية فى جميع أنحاء العالم، نتيجة لازدياد الإنشاء والتعمير والإنتاج العالمى.

الإسلام والتنمية

إن الهدف النهائى للرأسمالية والاشتراكية ـ كما ذكر أساطينها ـ هو تحقيق السعادة لأكبر قدر من الناس، وقد اعتمدوا فى تحقيق هذه السعادة على مفاهيم مادية فحسب، أما الإسلام فيتشبث بمبادئ العدالة الاجتماعية والحرية والسلام على المستويين الفردى والجماعى، فى إطار الخضوع المطلق لله ـ سبحانه وتعالى.

وأى نظام اجتماعى لابد له من مؤسسات تحرسه وتقوم بأمره، وتتعدد صور المؤسسات وتختلف باختلاف النظم الاجتماعية فى العالم، نظراً لاختلاف النظم من حيث التوجه والأهداف والقيم التى لها الأولوية فى كل نظام على حده، والقانون هو الحارس الأول لكل نظام، وهو عادة يستمد نصوصه من فلسفة النظام نفسه، ولا يكون القانون فعالاً إلا إذا طُبِّق على الجميع، أفراداً وجماعات دون تمييز، ولذلك نجد ثمة خطأ أساسى فى الفكر الغربى وهو أن القانون لديهم ليس عامًا، بمعنى أنهم وإن اعترفوا نظريًا بوحدة

(١) راجع «عالمنا الوحيد كوكب فى خطر» مقتطفات من بحث عن المشكلات العالمية الكبرى، أعده: يوشيو اب الأستاذ بجامعة طوكيو وأكثر من ١٥ باحثًا آخرين، عن مجلة «رسالة اليونسكو» مايو ١٩٨٦.

القانون إلا أنهم يميزون بين الجماعات «الدول» بهدف الحصول على منفعة مادية خاصة، وأكبر دليل على ذلك هو «التمييز العنصرى» ونظام الاقتصاد المعتمد لديهم الذى يهدف فى المقام الأول إلى إحكام السيطرة الغربية على اقتصاد العالم تحقيقًا لمصالحهم الذاتية فحسب.

أما الإسلام فغايته النهائية هى الإنسان، والإنسان لا يمكن أن يعيش فى سعادة إلا باتساق مع أخيه الإنسان، ولذلك جعل الإسلام الغاية من الحياة هى «التعاون لإقامة الحق والعدل» دون تمييز من أى نوع؛ وإذا كان القانون هو حارس النظام الأول، فإن قانون الإسلام «شريعته» تتميز على النظم الغربية بأساسين هامين:

● أولهما: أنها عامة لأنها نابعة من دستور إلهى يرفض رفضًا تامًا وقاطعًا كل تمييز على المستوى الفردى أو الجماعى، فما دام الله واحداً وهو رب الناس جميعًا، والكون الذى هو من صنعه واحد، وقوانين الطبيعة متسقة فى نظام واحد:

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٦٢)

فلا اعتبار لأى تمييز تحت أى مبرر.

● وثانيهما: أن الإسلام قد جعل مسئولية الحفاظ على القانون وتنفيذه مهمة يتولاها الأفراد والجماعات حكامًا ومحكومين، بمعنى أن حراسة القانون ليست مسئولية الحكومة فحسب، بل والأفراد أيضًا، ومن هنا تظهر الأهمية الأساسية لمبدأ: «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» وأهمية الأخلاق النابعة من المعتقد الدينى، كعاملين أساسيين لحماية القانون والنظام.

وإذا كان من الثابت الآن أن الديمقراطية لا تقرر بالقوانين واللوائح، وإنما هى طريقة حياة لابد وأن تعتمد على إرادة بشرية تمتزج فيها بسلوكهم وأفعالهم، وتنبع من ذات ضمائرهم واتجاهاتهم، لذلك كان طبيعيًا أن يضع الإسلام فى اعتباره ضرورة بناء الأفراد بأخلاقيات معينة تساعد على تأكيد الديمقراطية وتنميتها، والعمل على حمايتها من التردى فى مهاوى الاستغلال، ويتضح هذا باستقرائنا لبعض القواعد الأخلاقية التى نادى بها الإسلام:

١ ـ تسعى المجتمعات فى حركتها اليومية إلى تحقيق ما يسمى بالتنمية، والتنمية بالنظرة الضيقة تعنى زيادة الثروة المادية فحسب، أما الإسلام فيعنى بالتنمية: العمل على تحقيق الحاجات الأساسية للإنسان، وهى حاجات ليست مادية فحسب، بل ومعنوية أيضاً تتمثل فى تحقيق «الأمن» للإنسان، والأمن يعنى «الكرامة والاستقرار النفسى» فالسعى وراء الثروة أمر مشروع، بل وواجب، إلا أن زيادة المال ليست غاية فى ذاتها، حتى لا يستقطب كل أو معظم اهتمامات الإنسان، فيجعله يستحل اللجوء إلى وسائل محرمة

كالاستغلال والاستبداد، ومن هنا فقد حذر القرآن الكريم من أن يكون المال سببًا في استباحة المحرمات والطغيان والتعالي والتكبر، ويرتبط بهذا أيضًا الآثار التي يسببها الترف في انحلال الأمم وانهيارها:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾

(الواقعة: آية ٤٥)

٢ - كذلك كان الإسلام قاطعًا حاسمًا في إلغاء الكهنوت والوساطات الكهنوتية، ويقرر القرآن الكريم في وضوح لا لبس فيه أن الصلة بين الإنسان وربه صلة مباشرة:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

(البقرة: آية ١٨٦)

ومعنى ذلك بالوضوح نفسه، أن الإسلام يحرم على أتباعه الاستكانة إلى فريق من الناس يستبدون بالأمر، ويزعمون أن الخير بيدهم والسلطان رهن إشارتهم.

إن التأكيد على أهمية الغاية الثقافية في التنمية، قد أصبحت من الأمور المسلم بها لدى عدد كبير من المفكرين والباحثين.

وقد قامت اللجنة الدولية المستقلة المعنية بالثقافة والتنمية (١٩٩٢ - ١٩٩٥) بإعادة التفكير في مفاهيم التنمية والثقافة والعلاقة بينهما، بإصدار بحث مركز في هذه المسألة، توصلت فيه إلى النتائج الآتية[٢]:

١ - التنمية إذا انفصلت عن سياقها الإنساني أو الثقافي تصبح جسدًا بلا روح.

٢ - المقاييس المادية للتقدم، لم تعد تعتبر مؤشرًا جيدًا لرفاهية الإنسان.

٣ - التنمية البشرية، هي التي تقيس التحسن في مجال واسع من القدرات تتراوح بين الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبين الفرص المتاحة للأفراد لكي يصبحوا أصحاء ومتعلمين ومبدعين، ويتمتعوا بالاحترام وحقوق الإنسان.

٤ - يجب أن يكون تقدير الأشياء ذات القيمة مسألة ثقافية.

٥ - تعزيز التلاحم الاجتماعي وتدعيم المؤسسات المدنية في المجتمع والمحافظة على البيئة ليس أقل أهمية من النمو الاقتصادي.

٦ - الثقافة في النهاية هي الأساس الاجتماعي للأهداف، ودورها كهدف مطلوب في ذاته لأنه يعطي معنى لوجود الإنسان.

لقد وقر في أذهان علماء الغرب على مدى مائتي عام مفهوم النمو الاقتصادي غير المحدود، ولكن هذا المفهوم بدأ في الاهتزاز بعمق، وفجأة أصبحت حتمية

(٢) اشرف عليه نادي روما.

النمو الاقتصادي وحتى مشروعيته موضع تساؤل منذ السبعينات، ومع نشر كتيب عنوانه «حدود النمو» انتهى ذلك الكتيب إلى نتيجة مؤداها «إذا استمرت اتجاهات النمو الحالي دون تغيير فيما يخص سكان العالم والتصنيع والتلوث وإنتاج الطعام وتناقص الموارد، فإن دور النمو على هذا الكوكب سوف ينتهي في وقت ما خلال المائة عام القادمة، وسوف تكون أكثر النتائج احتمالاً هبوط مفاجئ لا قبل لأحد بالسيطرة عليه، كذلك أجرت مجموعة «ميدوز» عدة تجارب وتوصلت إلى نفس النتائج تقريبًا، وكذلك قام البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بإصدار تقارير منذ سنة ١٩٩٠، حول مفهوم التنمية الاجتماعية، وأصدرت مؤشرًا كميًا لقياس مدى تحقيق التنمية الاجتماعية[٣].

وكان الاهتمام بالبعد الإنساني في التنمية محورًا دارت حوله بحوث المؤتمر العلمي الثاني تحت عنوان «التنمية البشرية في الوطن العربي الواقع والمستقبل»[٤] وكلها تشير إلى نفس النتائج، وضرورة الاهتمام بالإنسان في كل تنمية[٥].

وهكذا يتضح لنا مدى سمو مبادئ الإسلام وتشريعاته.

لقد وضع الإسلام أحكامًا عامة، وحدد حدودًا ليس للمسلمين أن يتجاوزوها، لأن الهدف منها هو تحقيق العدالة الاجتماعية والحد من الفروق بين من يملكون ومن لا يملكون، وعملت على وجود نظام للتكافل الاجتماعي، كان لها نصيب وافر في رضا مجموع الناس وتيسير أمور معاشهم.

هذه الأحكام تتعلق بسلوك المسلم في مختلف نشاطاته بما فيها النشاط الاقتصادي، سلوكه في ماله، وسلوكه في التعامل مع أفراد مجتمعه، فقد قرر منذ البداية أن المال مال الله وأن صاحب المال ما هو إلا وكيل جعله الله في إدارته، يسأل يوم الحساب من أين جمعه وفيما أنفقه.

كذلك قدس الإسلام العمل، وأمر بالاجتهاد فيه وإتقانه وشجع تنميته، فالفقر ليس مطلوبًا.

كذلك حرم الإسلام الربا والرشوة والاحتكار وحرم بيوع الغرر، وكفل الحد الأدنى للفرد في المجتمع وجعله حقًا له على ولي الأمر «الحكومة» وعلى الغني وأباح الملكية العامة، وقدس الملكية الخاصة، وشرع الميراث وحرم استغلال المسلم لأخيه المسلم وشرع الزكاة، بل جعلها فرضًا وحقًا.

(٣) تقارير حول التنمية ١٩٩٠.

(٤) الدكتور منير، التنمية البشرية والقيم الاجتماعية، كراسات بحوث اقتصادية عربية.

(٥) راجع بحث لنا بعنوان «البعد الإنساني في التنمية».

هدية العيد

للكاتب التركى
الأستاذ/ بيامى صفا
ترجمة الأستاذ إبراهيم أدهم

لم يبق على العيد إلا يومان، هكذا حدث علىٌّ الصغير نفسه حين خرج فى الصباح الباكر حاملا على كتفه صندوقه الخشبى الصغير، الذى به أدوات مسح الأحذية، وعلى إفريز مقبرة السلطان محمود جلس على الأرض، فى انتظار عميل..

كان الصبى فى تمام الثانية عشرة من عمره؛ ومنذ عام مضى وهو يمتهن هذه الحرفة التى تدر عليه مبلغاً يسيراً يدفع عنه غائلة الجوع، فهو يربح بين ثلاثين قرشاً وأربعين فى اليوم.

أما اليوم فيجب أن يربح أكثر قليلا، لأنه بعد يومين سيحل العيد، ومتى حل العيد وجب على الصبى أن يحمل لأمه المريضة هدية يفرج بها عنها، وبنفس بعض ما بها، وهو يفكر كثيراً فى أمه المسكينة، ويود مخلصاً لو قدم لها شيئاً، حتى ولو اضطر لعدم شراء ثوب جديد يلبسه وهل يلبس ماسح الأحذية جديداً فى العيد؟!

بل يجب عليه أن يكدح ويكد لكى يحصل على القوت، وحرام عليه ركوب الأراجيح، ورؤية الألعاب، ودخول المسارح وما إليها من أدوات اللهو البرئ والتسلية المباحة.

والصغار يذهبون إلى ذوى قرباهم، فيقبلون أيديهم، وبذلك يحصلون على مناديل حريرى، أما هو فليس له قريب طيب!!

نعم، لقد بقى على العيد يوم وبعض يوم، وبلا شك سيزداد عدد الماسحين

لأحذيتهم، وبذلك سيرتفع ربحه، وبذلك يتسنى له أن يبتاع لأمه المسكينة المريضة هدية طيبة، لشد ما يتوجع لهذه المسكينة ويتألم لها!!

جلس علىٌّ الصغير حتى الظهر أمام مقبرة السلطان محمود، ولم يحضر إليه فى هذه الأثناء إلا اثنان، دفع إليه أحدهم مائة بارة ونقده الآخر خمسة قروش.

وحين قام المؤذن يعلن صلاة الظهر، اقترب منه شرطى بدين، طويل القامة، عريض الكتفين، تبدو عليه ملامح القوة والشراسة، وبمقدمة حذائه الضخم دفع صندوق الأحذية، ثم صاح بالصبى:

ـ قم من هنا!

اندهش الصغير، فمنذ الصباح الباكر لم يربح غير سبعة قروش ونصف، وإذا انتقل من هذا المكان فماذا يفعل؟! وإذا ذهب إلى حى السلطان أحمد فسوف يجد مزاحمة شديدة هناك، لوفرة عدد الصبية أمثاله الذين يحترفون مثل حرفته الرخيصة، ومكانه الحالى جيد، فهو من أكثر الأماكن ازدحاما، وأعظم الجهات حركة، وإذا ذهب وترك مكانه، وطرق جهة أخرى فسوف يلاحقه الشرطة فى كل مكان بالطرد. بهذا حدث نفسه، وانتبه لصوت الشرطى وهو ينهره بعنف وشدة، ويصيح فيه:

ـ أقول لك قم!

تحرك الصبى قليلا، وإن كان فى صميم نفسه لا يود أن يتحرك قيد شعرة من مكانه، لعل الشرطى البدين يتركه وشأنه، وينصرف إلى جهة أخرى. وأخذ كسبا للوقت يجمع أدواته من فرشاة وعلب وغيرها فى أناة وهدوء.. وهو يصطنع الأناة، ويطيل فيها ما أمكنه.. ثم إنه تصنع القيام، وغضب الشرطى، وانتفخت أوداجه وتراجع إلى الوراء خطوة واحدة، ثم رفع قدمه الغليظة فى الهواء، وبقوة وعنف صوبها إلى الصندوق الخشبى الصغير، فاندفع الصندوق كالسهم، وارتطم بحائط المقبرة وتناثرت منه الأدوات، وراحت كل فرشاة فى ناحية، وتحطمت الزجاجات، وتفرقت العلب!..

وقام الصغير من مكانه وهو ينظر نحو صندوقه بأسى وحزن، ولم ينطق بحرف، إن صندوقه تحطم، وزجاجاته انكسرت، وأدواته انتثرت، ونقوده طارت، فهو لن يستطيع اليوم ولا بعد اليوم أن يربح بارة واحدة، ولن يعطيه أحد ثمن الخبز، ولن يستطيع أن يحمل لأمه هدية العيد..

وانصرف الشرطى البدين بخطى وئيدة ثقيلة..

وأخذ عدد من الأطفال يضحكون لحالة

الصبى، وهم يسخرون منه، ويتالون منه بالهذر والصياح..

فذهب علىٌّ إلى الحائط، وأسند رأسه إليه، وكما بكى يوم مات أبوه، انخرط فى بكاء أليم بصوت عال، وهو يغمض عينيه، ويفتح فمه، ويشهق.

وكلما وقع نظر المارة عليه أوسعوا الخطا، وهم يحاولون الابتعاد عنه ومشاهدة بكائه الأليم.

غير أن امرأة مسنة، ذات ملابس نظيفة، أخذت تسعى فى هدوء نحو الصبى، وكانت قد رأت هذا المشهد أثناء وقوفها فى انتظار الترام. وقالت:

- يا بنى، اجمع صندوقك ومحتوياته، وتعال معى.

فرفع الصبى رأسه الصغير، ونظر إليها من وراء أهدابه المبللة بالدموع، وقال فى نفسه: ما أسمح وجه هذه السيدة! إن عينيها بهما أثر دموع، وصوتها مرتجف مؤثر! وأخذ صدرها يعلو وينخفض أثناء حديثها ثم كررت قائلة:

- هيا يا بنى وتعال معى..

فانحنى الصبى يجمع ما تشتت من أدواته، وهو يجفف دموعه بأكمام ثوبه..

فجمع ما يصلح، وترك ما فسد.

ثم سارا نحو (بايزيد). وبعد أن سارا عدة خطوات سألته السيدة:

- أين تقيم يا بنى؟

- فى الفاتح.

- ألك أم؟

- نعم.

- وأبوك...؟

- لا.

- هل تكسب أمك من عمل؟

لم يجب الصبى، وذكر ما حصل له من الشرطى البدين، وأوشك أن يبكى من جديد حين سألته السيدة:

- أجبنى يا بنى، أتذهب أمك لعمل؟

- كلا.. لما مات والدى فى الحرب أثناء العام الماضى مرضت أمى، وجاءها المرض فى رجليها فأقعدها، فهى الآن مقعدة لا تستطيع عملا. وتنهد من أعماق قلبه..

نظرت السيدة الطيبة إلى علىٍّ نظرة طويلة، فيها شىء من الحنان والشفقة. وفهم الصبى من نظرتها الحانية أنها تود لو ضمته إلى صدرها الحنون، فالأطفال سريعو الحساسية..

وكانا قد وصلا إلى باب السوق، حين أخذت المرأة تلقى عليه الأسئلة من جديد:

- لو لم يفعل بك الشرطى ما فعل فكم كنت تقدر ربحك اليوم؟

- لا أدرى، وإن كان الربح سيزيد بمناسبة العيد. وفى الأيام العادية أربح نحو ثلاثين قرشاً أو أربعين..

وربما ربحت اليوم ليرتين..

- وإذا ربحت فماذا كنت فاعلا بربحك؟

- كنت سأشترى لأمى هدية العيد.

- أية هدية؟

فلم يجب الصبى، حتى اضطرت السيدة أن تعيد عليه السؤال عدة مرات، أية هدية؟

ولكنها لم تحظ بجواب. فقد خجل الصبى من التحدث عما كان يود شراءه لأمه.

ومشيا حتى بايزيد، وهى تلح عليه لتعرف ماهية الهدية التى يودها لأمه، ولكن ذهب إلحاحها عبثاً، وراح تعبها هباء.

وكانا يسيران على الإفريز اليسارى، وبغتة وقف الصبى أمام واجهة زجاجية لحانوت كبير، وأشار بأصبعه الصغيرة نحو «عكاز» وقال:

كنت أود شراء هذا، وبهذا تستطيع أمى أن تسير فى راحة أثناء العيد، وتستطيع أن تخرج إلى الحديقة لتستنشق الهواء.

وهز الصبى رأسه بأسى وحسرة، وقال: إنه غال جدا، كنت كل يوم أمر من هنا، وأقف هنا هنيهة، أنظر من وراء الواجهة الزجاجية بحسرة أليمة، وذات مرة سألت صاحب الحانوت عن الثمن، فأجابنى إنه مائتا قرش.

وأمسكت المرأة الصبى من ذراعه، ودفعته نحو الحانوت..

وبعد لحظات خرجا، وتحت إبط الصبى رابطة كبيرة؛ وكان السرور والغبطة باديين على وجهه، وعلى فمه ابتسامة كبيرة، وعيناه تفيضان بالدمع من فرط سروره.

إن المرأة الطيبة اشترت له هدية لأمه، كما أنها نقدته مائة وخمسين قرشاً ثمن صندوق آخر.

وودع كل منهما الآخر، وانصرف إلى سبيله وبينما كان الصبى يبتسم، كانت السيدة تبكى.

***

الوقف وأهمية تفعيل دوره في العمل الاجتماعي

للوقف دور مهم فى تنمية الأخلاق وشيوع الرحمة.. فكما يشير بحث الدكتور سليم منصور عن الوقف ودوره فى التنمية الاجتماعية. كان لانتشار الأوقاف الخيرية دور فى غرس أخلاق الاعتدال والرحمة والمحبة فى المجتمع. وإن تخفف هذه المشاعر من الأمراض النفسية المتمثلة فى الأنانية والبخل والشح بالنسبة للواقفين. والكراهية والحسد بالنسبة للمستعفين. وإن دور الوقف فى الحض على الانفاق ومساعدة الناس والمحتاجين. وتفريج مشاكل الناس. والانفاق فى المصالح العامة لابد وإن يحدث تأثيرا فى النفس الإنسانية. ويمكن إبراز ذلك من خلال تنمية الأخلاق. حيث تنمو مع عملية الانفاق أخلاق البذل والتضحية دون انتظار العائد المادى والمقابل الدنيوى.

٢ للأستاذ/ عاطف مصطفى

وفى ظل هذه الأخلاق يقوى المجتمع ويتماسك، ويبرز دور الوقف فى تنمية خلق المسلم وشخصيته بالقيم الإسلامية الصحيحة فتقوى شخصيته، وبمداومة الإنفاق فى سبيل الله، والإنفاق على الأوقاف تنتشر الأخلاق الإسلامية فى المجتمع.

وقد ساعد الوقف على استمرار كثير من القيم الإسلامية فى الواقع العملى، وهو ما يؤدى إلى تعميق الخلق العظيم فى العلاقات الاجتماعية، وفى إيجاد المجتمع المسلم الذى تسوده عواطف كريمة ومشاعر نبيلة، كلها تفيض بالرفق، وتتدفق بالبر والخير كما يساعد الوقف على شيوع الرحمة، حيث بينت حجج الوقف وشروط الواقفين حقيقة التكافل فى المجتمع المسلم، وتقف على أصالة عواطف الخير ومشاعر الرحمة والبر وشيوع المعانى الإنسانية الكريمة فى أعماق هذه الأمة، هذا فضلا عن أن التجارب أثبتت أن إنفاق المال فى مساعدة الناس، يجلب للمنفق السعادة النفسية والرضا الذاتى، والإحساس بالراحة والتكافل الروحى.

ويعتبر الوقف من المواد الاختيارية فى تحقيق التوزيع التوازنى وهو خطو مكملة للموارد الإلزامية، وهو يشجع فى النفس حبها للعطاء حتى يتحقق الإشباع لهذا الجانب النفسى فى الإنسان.

فالوقف على خلاف الزكاة، ليس بواجب يفرض تأديته. فهو من حيث انتمائه إلى الدوائر السلوكية التى لاتقع تحت مظلة الحلم الشرعى الملزم، إنما نشأ عن طريق قراءة جماعية تتحسس قيم الرؤية المعرفية الإسلامية، ومقاصدها الكلية بالتحديد فى جانبها التكافلى، وصياغة هذه القيم فى أوعية شكلت بمرور الزمن وتراكم الخبرة أحد الوجوه المشرقة للعمران الإسلامى.

التمازج بين الحضارات

ويشير الدكتور سليم منصور فى مجال التعارف بين الشعوب إلى أن الوقف شجع على العلاقات بين الشعوب والتمازج بين الحضارات، موضحا أن وجود الوقف شجع السياحة والتنقل بين المناطق، وأعطى الشعور بالأمان لمن يقوم بذلك بأنه لن يضيع أو يجوع، وهو ما سمح لابن بطوطة على سبيل المثال أن يقوم برحلته، فقد تمثلت الأخوة الإسلامية فى بناء الكثير من الزوايا والمدارس والربط، إذ سمح هذا النظام لابن بطوطة بالقيام بأسفاره.

فعلى امتداد الرحلة يذكر ابن بطوطة نزوله فى هذه الزاوية أو تلك، وحتى عندما أصبح موسراً، من جراء العطايا، كان ينزل وصحبه فى هذه الزوايا التى تؤمن لهم المأكل والمشرب والمنام، وبعض التقديمات المالية أحيانا.

ولاشك أن ابن بطوطة استفاد من التسهيلات التى تقدمها الأخوة الإسلامية، عندما جاور عامين فى مكة وهو ما حصل مع الرحالة ابن جبير، حيث لم يتمالك نفسه من الإعجاب بمدى مالمسه من مدن الشرق الإسلامى من عناية بالغرباء، ولاسيما إذا كانوا من رجال الدين، وطلاب العلم والمشتغلين به، فقد كانت هناك أعداد من المغاربة نزحوا إلى المشرق، إما إلى الحج، أو خلاصا من الأخطار التى تعرضت لها بلاد المغرب والأندلس، أواخر العصور الوسطى وقد وجدوا رعاية طيبة من خلال العديد من الزوايا والمنشآت المخصصة للزهاد والمسافرين والفقراء، والتى كانت ترعاها وتصرف عليها الأوقاف.

إن ما قام به ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما، وما قدموه من تعريف بالمناطق

---

(١) أخرجه الإمام أحمد.

والعادات والتقاليد، لم نكن لنطلع على هذا الإرث العظيم من التعريف، لولا وجود الأوقاف وما تمده الأماكن التى آوتهم ورعتهم وساعدتهم على إنجاح الرحلة.

العدالة الاجتماعية

ويعتبر الوقف أحد عناصر التنمية الاجتماعية، فهو يقوم على «عمليات تغيير اجتماعى» تركز على البناء الاجتماعى ووظائفه بغرض إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد، وتقديم الخدمات المناسبة لهم، فى جوانب التعليم والصحة والإسكان والتدريب المهنى وتنمية المجتمعات المحلية، بحيث تنفذ من خلال توحيد الجهود الأهلية والحكومية.

ومن أبرز القضايا التى عالجها الوقف من الناحية الاجتماعية إسهام الوقف فى العدالة الاجتماعية.

وكما يشير بحث الدكتور سليم منصور: فإن مشاركة المسلمين فى إيجاد الأوقاف من خلال ما تجود به أموالهم وعطاءاتهم، فضلا عن مشاركة المسئولين وأصحاب المراكز العالية والتجار فى بناء أوقاف تذكر أسماءهم، وتسهم فى تطوير مناطقهم.

وبذلك فقد أثبتت التجربة الإسلامية أن المؤسسات التى أقامها هؤلاء وبمجرد إقامة المؤسسة والوقف عليها لم تعد هذه المؤسسة ملكا للدولة، أو الأمراء أو السلاطين، وإنما أصبحت ملكا للأمة وإذا كانت هناك بعض مظاهر المظالم الاجتماعية فى التاريخ الإسلامى، إلا ان الوقف كان من المؤسسات التى جعلت نسبة العدل فى المجتمع الإسلامى أعلى منها فى المجتمعات الأخرى، كما أن التكامل ودور العدالة التى ساهم فيها الوقف ميز المجتمع الإسلامى عن غيره من المجتمعات الأخرى فى ظل المظالم التى كانت تسود الدنيا.

تذويب الفوارق

فالأوقاف تسهم فى تخفيض مشكلة الفوارق بين الطبقات، فهى تقوم بتوزيع الموارد على طبقات اجتماعية معينة، فتعينهم على حاجاتهم، وتحولهم إلى طاقات إنتاجية.

وكذلك يسهم الوقف على إعادة توزيع الثروة.

وكان للوقف دور فى زيادة قنوات التوزيع.

وكما يشترك الوقف مع الصدقات والوصية والكفاءات والنذور ونفقات الأقارب فى عملية التكافل، فالتكافل الاجتماعى هو المجال المتروك للأفراد وجهودهم وأموالهم، كل على قدر طاقته فى سبيل مجتمعهم وأخوتهم.

وكان الإسلام حريصا كل الحرص على ألا يكل الأمر كله للدولة وعلى أن يترك الأفراد

مجالات يبذلون فيها أموالهم، ويساهمون فى حماية مجتمعهم.

ويتجسد دور الوقف فى التكافل الاجتماعى من خلال نوعيه: الخيرى والذرى، اللذين حظيا بتنظيم دقيق على مدى العصور وقاما بمد يد العون والمساعدة لأفراد المجتمع على أنواعهم: المحتاج، العجزة، الأيتام، اللقطاء، ولم يقتصر مجال التكافل على الجانب المادى فحسب، بل تعداه إلى الجانب الأدبى والمعنوى من خلال تقوية الروابط العائلية والإنسانية.

مقترحات

أشار الباحث إلى عدة مقترحات، من بينها ضرورة قيام وقفيات للتنمية الاجتماعية، أى التى تساهم فى زيادة الوعى والخبرة العملية فى الإنتاج، وإقامة المراكز الوقفية، التى تعالج علل المجتمع المختلفة، وخاصة بالنسبة للأحداث وإنشاء مراكز لمعالجة جنوحهم ومشاكلهم.

وضرورة إعادة احياء النماذج الوقفية التى كان لها دور فاعل فى المجال الاجتماعى مثل: التكايا والزوايا والمبرات.

والعمل على إحياء وقفيات اجتماعية انقرضت مثل وقفيات الأعراس، وذلك تشجيعا للشباب على الزواج والتخفيف من عبء مصروفات الأعراس والزواج.

أيضا ضرورة التنسيق بين مؤسستى الوقف والزكاة كمؤسستين أساسيتين فى الأمة، لعبتا دورا هاما فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى.

ودعوة البنوك الإسلامية إلى توفير نظام خاص للتعامل مع الوقف يراعى فيه ما للوقف من ميزة خيرية وأهداف عامة، وذلك بتوفير الاستثمارات والتسهيلات اللازمة، والإقراض الحسن.. وهو ما يعود على البنوك الإسلامية بالخير فانتعاش الوقف فى الميادين الدعوية والاقتصادية والاجتماعية يؤدى ـ بلا شك ـ إلى تنمية المجتمع المسلم.

***

وحدة فى واقع التخلف.. وتعددية فى مرجعيات ونماذج التقدم

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

عندما يكثر الحديث فى مجتمع من المجتمعات، أو أمة من الأمم، أو حضارة من الحضارات عن ضرورة «الحل».. فمعنى ذلك أن هناك «مشكلة» قد دفعت هذا المجتمع أو الأمة أو الحضارة إلى «مأزق».. الأمر الذى استنفر العقول المفكرة إلى البحث عن «حل» لهذه «المشكلة»، وذلك حتى يخرج هذا الاجتماع البشرى من «المأزق» الذى تردى فيه..

وتلك هى حال الأمة الإسلامية فى العصر الذى نعيش فيه.. بل ومنذ عدة قرون!

إن أمتنا، بمجتمعاتها الكثيرة، تعيش «مشكلة»، لا تتمثل فى «فقر الإمكانات»، المادية والروحية، وإنما فى «الافتقار إلى النظام» الأقدر على توظيف وإعمال واستثمار مالديها من إمكانات.. فهذه الأمة تمتلك:

١- الوحى الصحيح الوحيد بين الكتب السماوية.. فلقد تعهد الله، سبحانه وتعالى، بحفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

ولقد غدا هذا الحفظ معجزة من المعجزات.

٢- والعقيدة الواحدة التى وحدت الأمة، على امتداد قرون تاريخها، واختلاف أوطان شعوبها، وتعدد لغات قومياتها، وتنوع أجناس الذين دخلوا فى هذا الدين.

٣- والشريعة الإلهية الواحدة، التى وضعها الله معالم للمنهاج الإسلامى، تحفظ للمسلم استقامة الصراط حتى يبلغ مقاصد وغايات التدين الصحيح.. وفيها حدود الله، والفلسفة المميزة للتشريع والقانون الذى يقرن المصالح جميعها بالقيم والأخلاقيات.. مع تراث فى الفقه، الذى استجاب ويستجيب لكل المستجدات، عبر الزمان والمكان، ودونما خروج عن حدود الله والفلسفة الشرعية المتميزة فى التقنين.

٤- والحضارة الإسلامية الواحدة، التى اصطبغت بصبغة الإسلام، فتميزت عن غيرها من الحضارات بالمنهاج الوسطى المتوازن، وبالثوابت التى حفظت عليها التواصل والروح الحضارية الواحدة، عبر الزمان والمكان، مع التطور والنمو والتنوع الذى يواكب كل جديد فى الفروع والجزئيات والتفاصيل.

٥- وعقيدة فى الجهاد، تجعل عزة المسلم من عزة الله، سبحانه وتعالى، وعزة رسوله ﷺ

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون: ٨)

وتدفعه هذه العقيدة الجهادية إلى إمامة الدنيا وقيادة العالمين.. وهذه العقيدة لم تقف عند حدود «التصورات الفكرية»، وإنما سبق لها وتجسدت فى فتوحات وبطولات وفروسية زانتها شمائل الإسلام، فجعلت المسلمين يفتحون - بالحق وللتحرير والإحياء - فى ثمانين عاما أكثر وأوسع مما فتح الرومان - بالباطل والاستعباد - فى ثمانية قرون!..

٦- وتراثا غنيا، تعلمت منه حضارات الدنيا.. وتاريخ قام شاهدا على أن هذه الأمة قد مثلت «العالم الأول» على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون!..

٧- ووطنا واسع الأرجاء، موصول الأقاليم والأقطار، تبلغ مساحته ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ك.م، يمتد من «غانة» -غربا- إلى «فرغانة» -شرقا- ومن حوض نهر الفولجا -شمالا- إلى جنوبى خط الاستواء.. وفيه كل مناخات الفصول.. وهو الحاكم فى مواقع الدنيا وطرق اتصالها برا وبحرا وجوا..

٨- وفى أرض وطن هذه الأمة أوفر وأثمن ثروات الدنيا، فهو -بالمقارنة مع بقية العالم- الأول فى البترول.. وفى المنجنيز.. وفى الكروم.. وفى القصدير.. وفى البوكسيت.. وفى الغاز الطبيعى.. والثانى فى النحاس.. وفى الفوسفات.. والثالث فى الحديد.. والخامس فى الرصاص.. والسابع فى الفحم..

وفيه، كذلك، أطول أنهار الدنيا، وأول فلاح علم الإنسانية فن الزراعة.. ومئات الملايين من أفدنة الأرض الصالحة للزراعة.. ومن شواطىء البحار والمحيطات والأنهار ما يجعله مالكا لكنوز من ثروات البحار، السمكية والمعدنية.. تمثل كنوزا من الغنى والرخاء..

٩- وعلى أرض هذا الوطن تعيش أمة، وحدتها العقيدة والشريعة والحضارة والقيم والأخلاقيات، مع تنوعها فى الشعوب والقبائل والألسن والقوميات والأقاليم.. وهى تزيد على المليار وربع المليار -٢٣٪ من سكان الدنيا- ويتوقعون لتعدادها أن يبلغ بعد سنوات قليلة ٢٧٪ من سكان العالم- فهى ربع البشرية، ونصف المتدينين بالديانات السماوية.. والمالكة وحدها للوحى الإلهى الصحيح.

١٠- ومن أبناء هذه الأمة الأغنياء الذين يملكون أكبر الفوائض النقدية.. القادرة على تحرير شعوبها من رق الديون.. والكفيلة بجعل بلادها ميدانا حافلا بالتنمية والاستثمار والرخاء..

مشكلة الأمة!!

لكن الأمة، مع وفرة وغنى هذه الإمكانات، تعيش «المشكلة.. والمأزق»، الذى يتطلب «الحل- النظام» الذى يعمل ويستثمر هذه الإمكانات، فيحول الأمة من موقع «التخلف» إلى عالم «النهوض».

فالأمة الإسلامية -مالكة هذه الإمكانات- تعيش «مشكلة» الاستضعاف، حيث تشل طاقاتها فيها عوامل التخلف الموروث وتحديات الهيمنة الغربية المفروضة عليها، الأمر الذى زرع «الوهن» -بدلا من «العزة»- فى القلوب، فغدت الكثرة غثاء كغثاء السيل، وأصبحت الطاقة الروحية إمكانات محجوبة عن الفعل، تشهد علينا بدلا من أن تحقق لنا الحضور والشهود على العالمين.. وتحولت الثروات المادية إلى نزيف يجفف منابعنا ويصب فى خزائن الآخرين!.. فنحن نتسول غذاءنا.. وينتزع سلاحنا إذا أردناه مصدر قوة للدفاع عن حوزتنا، على حين يباع لنا إذا استخدمناه فى المنازعات الداخلية التى تجعل بأسنا بيننا شديدا.. وتزهق أموالنا وفوائضنا النقدية لتوظف فى تقوية أعدائنا.. وتنهب موادنا الخام بأبخس الأثمان، إذا هى قورنت بأثمان السلع المصنعة التى نستوردها. وتقلد وتحاكى فى ثقافتنا وآدابنا وفنوننا وأنماط عيشنا.. وتعزل لغتنا -لغة القرآن ولسان الإسلام- عن أن تكون لغة العلوم -وهى التى حفظت العلم العالمى وطورته لأكثر من عشرة قرون- بينما أحيا اليهود لهجة ميتة وجعلوا منها لغة لكل العلوم؟!..

تلك هى المفارقة الشاذة بين إمكانات الأمة الإسلامية وبين واقع الحال الذى هى فيه.. أى «المشكلة» التى تتطلب «حلا» يجعل هذه الإمكانات نهضة للأمة، بدلا من أن تظل عبئا عليها، وتغرى أعداءها بالتكالب على حوزتها وحماها وإمكاناتها..

***

وإذا كانت هذه «المشكلة» تستدعى إلى الذاكرة نبوءة رسول الله ﷺ، التى جاءت فى الحديث الشريف -عن مولاه «ثوبان»-:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها.

قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟

- قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم تكونون غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن.

- فقال قائل: وما الوهن؟

- قال: حب الدنيا وكراهية الموت»(١)

فإن هذه النبوءة تعلمنا أن «المشكلة» ليست فى انعدام الإمكانات.. وإنما فى «الموات» الذى يشل فعل هذه الإمكانات.. فالمطلوب هو «الحل- النظام» الذى يغير الواقع ويحيى الموات، ويوظف إمكانات الأمة فى النهوض..

وهنا يأتى التساؤل عن نوعية وماهية «الحل» المناسب لهذه «المشكلة»؟.. الحل «المعقول» و«المقبول» من الأمة؟.. والأفعل فى تحويل «موات» واقعها الراهن إلى «نهوض حى» يبوؤها مكانتها الطبيعية بين الأمم والحضارات؟؟..

***

وإذا كان المسار التاريخى للحضارة الإسلامية قد سبق واعترته «مشكلات التخلف» واعترضته عوامل التراجع الحضارى، ككل مسارات الحضارات، الخاضعة لسنن الله وآياته فى التقدم والتراجع، والتى أشار إليها -فى الخصوصية الإسلامية- حديث رسول الله ﷺ، الذى يقول: «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شىء ذهب من العدل مثله، حتى يولد فى الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتى الله -تبارك وتعالى- بالعدل، فكلما جاء من العدل شىء ذهب من الجور مثله، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره»(٢).

مشكلات التراجع.. والتجديد

فلقد كان المسلمون، على مر تاريخهم القديم، يواجهون «مشكلات التراجع والموات الحضارى» بـ«حلول الإحياء والنهوض الإسلامى».. فكان «التجديد» دائما وأبدا «إسلاميا»، وكانت «الحلول» دائما وأبدا إسلامية المرجعية والمنابع والأصول.. ومن هنا فلم تكن توصف اجتهادات وتجديدات الأعلام والمذاهب والدعوات بـ«الإسلامية»، لأنه لم يكن هناك «البديل المغاير» -غير الإسلامى- الذى يزاحم الحل الإسلامى، فى ساحات التجديد والنهوض والتغيير.

كان التجديد والتغيير والحل دائما إسلاميا -فهو عودة إلى الأصول والمبادىء والقواعد والحدود، التى اكتملت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ليكشف المجددون عنها، ويزيلون ما علق بها وران عليها من

(١) رواه أبوداود والإمام أحمد.

(٢) رواه الإمام أحمد.

وقائع غطت جوهرها النقي وحجبت فعالياتها عن التأثير، وذلك لإعادة التوفيق وبين هذه المنابع بين مستجدات الواقع الجديد لدعوات التغيير والتجديد.. حتى لقد غدت «إسلامية» الحلول والتجديد سنة من سنن الله في مسيرتنا الحضارية، وفي معالجة «مشكلات» التراجع الحضاري عبر هذه المسيرة، عبرت عنها كلمات الحديث النبوي الشريف: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»[٣]

ولم تكن «إسلامية الحلول» لمشكلات مسيرتنا الحضارية، مجرد «خيار» من أعلام ودعوات التجديد، وإنما كانت هذه «الإسلامية» قياما بفرائض إسلامية وتكاليف إلهية وواجبات شرعية.

فإسلامية حلول مشكلاتنا الدنيوية شرط من شروط اكتمال الإيمان الديني للمؤمن بالله واليوم الآخر:

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩) ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾

(النساء: ٥٩، ٦٠)

المرجعية الإسلامية

فإسلامية مرجعية حلول المنازعات الدنيوية، شرط للإيمان الديني.. والتخلي عنها يجعل هذا الإيمان «زعما»، وتحاكما إلى الطاغوت وإضلالا شيطانيا بعيدا..

وفي الكثير من آيات القرآن الكريم يتكرر الحديث عن هذه الفريضة الإلهية -إسلامية الحلول لمشكلات التدبير الإنساني لشئون الاجتماع البشري:

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾

(النساء: ٦٥)

﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

(الشورى: ١٠)

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾

(الجاثية: ١٨)

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴾

(النساء: ١٠٥)

(٣) رواه أبوداود

أول دستور

وفي أول دستور لأول دولة إسلامية، وضع رسول الله ﷺ، النص على إسلامية مرجعية حلول المنازعات في صلب مواد هذا الدستور.. فجاء في «الصحيفة- الكتاب»: «وإنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده، فإن مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله»[٤] ﷺ.

وإذا كان جوهر العقيدة الإسلامية هو توحيد الذات الإلهية، فإن إشراك المرجعيات غير الإلهية مع المرجعية الإلهية في حلول مشكلات العمران الإنساني والاجتماع البشري فيه تشويه لنقاء عقيدة التوحيد الإسلامية، يجعلها أقرب إلى عقائد شرك الوثنية الجاهلية منها إلى عقيدة التوحيد الإسلامية.. فالوثنيون الجاهليون لم يكونوا ينكرون الله خالقا للعالم، لكنهم كانوا يشركون معه طواغيتهم مرجعيات في تدبير شئون الدنيا..

﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾

(الزمر: ٣٨)

على حين أفردت عقيدة التوحيد الإسلامية الذات الإلهية بالوحدانية في الذات والصفات والخلق والأفعال والتدبير:

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾

(الأعراف: ٥٤)

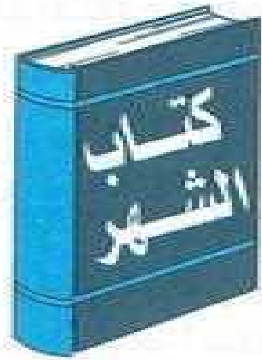
﴿ قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾

(طه: ٤٩، ٥٠)

فكمال التوحيد الإسلامي يقتضي إسلامية وإلهية المرجعية في حلول شئون الدنيا، كما في أحكام شعائر الدين.. وما التدبير الإنساني لشئون العمران البشري إلا القيام بمهام الاستخلاف، المضبوطة بأحكام الله في شئون هذا العمران.

لهذا كانت إسلامية التجديد والتغيير والحلول للمشكلات، في المسيرة الحضارية الإسلامية، أكثر وأكبر من خيار لأعلام التجديد ودعواته.. كانت قياما بفريضة إلهية، وتكليف شرعي، بدونه لا يكتمل الإيمان الديني بالله واليوم الآخر، ولا تسلم عقيدة التوحيد من غبش الشرك ووثنية الجاهلية الأولى!..

(٤) محمد حميدالله الحيدر آبادي- تحقيق- (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) ص٢٠- طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.



الإسلام كبديل

تأليف

د. مراد هوفمان

تعريب

عادل المعلم

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

الأستاذ بجامعة الأزهر

٦

البيئة بين الإسلام والأوربيين

وفى الفصل الثانى عشر (الإسلام والبيئة) أوضح الدكتور (هوفمان): أن الأوربيين لم يبدو اهتماما بالبيئة إلا فى الربع الأخير من القرن العشرين، حين نبه تقرير نادى روما سنة ١٩٧٢ إلى خطورة ما يصنعه الإنسان بالبيئة، فكان له وقع القنبلة على الأوربيين، بحيث وجد الفريقان؛ يدعو أحدهما -مع إنكار وجود الله- إلى العودة للطبيعة كأنه دين جديد، ويدعو الآخر إلى نظرة فلسفية جديدة للطبيعة، تقوم على نداء حزب الخضر الرومانسية.

أما الإسلام فقد كان اهتمامه بالبيئة أعمق، وأشمل وأصدق، كما بدا فى جعل المسلم يوقن أن الله هو سيد الكون والطبيعة، وليس للإنسان أن ينطلق وراء لذاته ونهمه الاستهلاكى غير مبال بما يسببه ذلك من أضرار؛ فالمسلم الحقيقى يعرف أنه لا يملك شيئا فى هذا الكون، وإنما هو مستخلف عليه، وله حق الانتفاع بشروط ونظام إلهيين.

فالكون عند المسلم منظومة من المخلوقات متحدة فى تمجيد الله وعبادته.

ولذلك.. لما تحقق كثير من شباب الخضر: أن تحديد الاستهلاك لن يكفى لإنقاذ الطبيعة من نظرة الإنسان سيد الكون وصاحبه وانطلاقه الاستهلاكى والتدميرى، ولما تبينوا أنه لا يمكن تحقيق الثورة للمحافظة على البيئة إلا إذا عرف الإنسان أنه عبدالله، مكلف بالخلافة كما يرى المسلم.. عندئذ وجد كثير منهم طريقهم إلى الإسلام، بعد ما تبينوا أن البديل زائف.

الفن بين المسيحية والإسلام

وفى الفصل الثالث عشر (الفن ومنع التماثيل) ذكر الدكتور: أن المسيحية -فى ظلال البيزنطيين، والكاثوليك، واللوثريين- قد أباحت إقامة التماثيل للأولياء وتقديسها.

أما الإسلام فقد نهى عن صناعة التماثيل والصور للمخلوقات الحية؛ خشية عبادتها؛ تأكيداً لتحريم إشراك أحد مع الله فى العبادة؛ ولأن القصد من وراء النهى هو الخوف من عبادة التماثيل.. استثنى منه عرائس الأطفال، كما استثنى الصور الفوتوغرافية وكل الصور التى لا تقود إلى التقديس.

ومع هذا النهى عن إقامة التماثيل.. تطور الفن الإسلامى فى الخط والزخرفة، والعمارة؛ متوافقا مع المقاصد الإسلامية، حيث لا يشجع الإسلام مبدأ (الفن للفن)؛ لأن الحياة أثمن من أن يفنيها الإنسان فى صغائر الأشياء.

ولذلك.. اتسم الفن الذى أنتج فى ظل الإسلام بالروعة المدهشة، خاصة فى مجال الأدب، والخط، والمنمنمات، والعمارة الإسلامية، وترتيل القرآن؛ لما يتوفر فيها من تناسق وتوازن. حتى لقد أحدث هذا أثره الفعال فى الغربيين، خصوصا فيما بين القرن العاشر والرابع عشر.

وقد دفع هذا التميز والتوازن فى العمارة الإسلامية إلى الحرص على مبدأ المضمون قبل الشكل -أو الباطن قبل الظاهر- سواء كان ذلك فى المنازل أو القصور.. ولهذا تيقن مؤرخو الفن الإسلامى: أنهم أمام عالم مترابط متماسك فى الفن الإسلامى، وتبينوا أن الزخارف الإسلامية تقوم على سبع عشرة مجموعة أصلية، تكون أشكالا لا حصر لها.


د. مراد هوفمان

القانون الإسلامى والقانون الغربى

وفى الفصل الرابع عشر (الفقه الإسلامى) عقد الدكتور مقارنة بين القانون الإسلامى والقانون الغربى الحديث؛ فذكر: أن بينهما تشابها فى التأثر التطورى بفكر القانونيين أكثر من القانون الأصلى لكل منهما؛ حيث كان النظام القانونى الرومانى، والنظام الثانى الإسلامى مجالا خصبا لإعمال عمالقة الفكر.

وأن القانون الإسلامى يختلف عن القانون الغربى فى المصدر؛ فالقانون الغربى مصدره الفكر البشرى، أما القانون الإسلامى فإن مصدره إلهى؛ حيث إنه يستمد من الوحى الإلهى؛ فهو -لذلك- الطريق الذى يجب على المسلم سلوكه ليفوز بالفلاح.

كما يختلف عنه فى أن القانون الإسلامى يشمل كل مجالات الحياة الإنسانية، بحيث تجد لآداب الطعام والزيارة نصيبا فى القانون الإسلامى؛ ولهذا لا يمكن التمييز بين رجال القانون الإسلامى، وبين المفكرين

الإسلاميين؛ فالإحاطة بالقانون الإسلامي ضرورية لصاحب الفكر الإسلامي.

أما قوانين الغرب فتفرق بين القانون والعدالة، والعادات والعرف، وتفرق بين القانون العام والقانون الخاص، وتفرق بين قانون الإجراءات والقانون الأساسي، وتفرق بين القانون الجنائي والمدني، وتفرق بين قانون الصراعات والحروب وقانون الأجانب والقانون المدني.. بينما القانون الإسلامي لا يفرق بين أي من ذلك.

حقوق الإنسان بين المحدودية والشمول

وفي الفصل الخامس عشر (حقوق الإنسان) ذكر الدكتور (هوفمان): أن الغرب يعد إنجازه في مجال حقوق الإنسان.. نموذجا يجدر بالعالم احتذاؤه، على الرغم من أن مواثيق حقوق الإنسان الغربية -على اختلافها- معرضة دائما للانهيار؛ لاعتمادها -في كل الأحوال- على المزاج الإنساني دائم التغير، مما يفقده الصلاحية لذلك.

أما الذي يصلح أساسا لحقوق الإنسان الكاملة الشاملة فهو الأساس الإلهي، كما جاء في الإسلام؛ لأنها تتوقف على الإيمان الصحيح بالله، فمن ينكر وجود الله يعلن حقوق الإنسان على هواه، مهما خدع نفسه بالرجوع للحق الطبيعي أو القانون الطبيعي.

ومن هنا.. يتضح أن اعتماد حقوق الإنسان على هوى الإنسان كان أول معول يهدم هذه الحقوق. وأن جعل هذه الحقوق من مسئوليات الدولة كان هو المعول الثاني لهدم هذه الحقوق، حيث تحولت إلى شعارات يتشدق بها الحكام.

أما الإسلام فإنه يكفل أقدم وأشمل نظام لحقوق الإنسان، حيث قام بتبيينها القرآن والسنة -في مجالاتها المختلفة- ولا دخل للإنسان في تحديدها، حيث يقتصر دوره على أن يتعرف على تلك الحقوق من مصادرها.. الأمر الذي كفل لها القيام على أصلب قاعدة وأمتنها.

مكانة المرأة في الإسلام

وفي الفصل السادس عشر (المرأة في المجتمع) ناقش الدكتور (هوفمان) واحدة من أبرز العقبات التي تحول دون انتشار الإسلام في الغرب، وهو إشاعة أن المرأة في الإسلام مستعبدة، مستذلة، لا يسمح لها بممارسة طاقاتها ومواهبها، فذكر: أن هذا الكلام إنما نشأ عن الفهم الخاطيء للإسلام، وأن الذي عمل -ويعمل- على إشاعته هم هؤلاء الذين يخشون انتشار الإسلام بين الغربيين؛ فقد استغلوا ما تسلل إلى المسلمين من العادات والأفكار والمفاهيم الغربية على الإسلام، وصاغوا منها هذا (الكلشيه) ليصدوا عن الإسلام الذي جاءت شريعته للعالم كله بأجناسه المختلفة، رجالا ونساء؛ فالقرآن نص على أن الرجال والنساء خلقوا لغرض واحد، ويشتركون في التكاليف التي تأهلوا لها، وأنهم يتعرضون لسنن كونية واحدة، وسوف يحاسبون في الآخرة بهذه المقاييس نفسها.

هذا... إلى أن الواقع الإسلامي يؤكد: أن المرأة لعبت دورا هاما في الإسلام، وأنه رفعها لأعلى مواضع التقدير، حتى لقد أحب النبي ﷺ زوجته الأولى خديجة حبا كبيرا ظل يملأ قلبه بعد وفاتها، ولم يتزوج امرأة أخرى معها، وقد عاشت معه ما يقرب من خمسة وعشرين عاما؛ مما يعني: أن زواج محمد في آخر حياته كان له الكثير من الدوافع الدينية والإنسانية والسياسية، حيث تم كله بين الثالثة والخمسين، والثالثة والستين.

أما المرأة في الغرب كله، فمازالت في موقع أقل من الرجل، فتحرير المرأة في أمريكا خرافة أوضحت أبعادها (سيلفيا آن هيوليت) في كتابها (الحياة الأدنى) سنة ١٩٨٦، فمازالت النساء يكسبن ٦٤٪ مما يكسبه الرجال في أمريكا، وفي السويد ٨١٪.

ثم إن إباحة تعدد الزوجات لا يعني بأي حال تفضيل الرجل على المرأة، وإنما هو لأسباب كثيرة إنسانية واجتماعية أخرى، فقد تكون حماية للمرأة إذا مرضت من أن يضطر زوجها إلى انفصاله عنها، وقد تكون لإنقاذ المرأة من العنوسة عندما يزيد عدد النساء على عدد الرجال بسبب الحروب. ولقد نبه الإسلام إلى سمو الغاية من ذلك فعلق الإباحة على استطاعة العدل بين الزوجات، فليس ما يصنعه بعض المسلمين مما يقره الإسلام.

وإباحة طلاق المرأة إذا اختلف الزوجان -مع وضوح بغض الإسلام إيقاع الطلاق- بعد معالجة المشكلات داخل العائلة يصون المرأة عن المهانة التي تنشأ عن معالجتها بواسطة موظفي السجل المدني أو المحكمة.

ومع ذلك... يوافق الإسلام على وسائل أخرى علاجية إذا خيف على المرأة النشوز الذي يتهدد العلاقة الزوجية، كما يتيح الإسلام للمرأة أن تطلب الطلاق من القضاء إذا ساءت عشرة زوجها، وحمل كلا من الزوجين ما يناسب من الغرم المادي؛ فحرم الرجل من استرداد المهر إذا كان هو مصدر الطلاق، وأمر المرأة برد المهر إذا كان الطلاق برغبتها هي.

أما جعل المرأة على النصف من الرجل في الميراث والشهادة، فعلى الرغم من أنه ليس مطلقا في الإسلام، ولكن الإسلام لاحظ العدالة والظروف المناسبة؛ إذ ليس من العدالة في شيء أن يفرض الإسلام على الأخ مسئوليات مادية قبل أخته، ثم يسوي بينهما في الميراث، وليس من المصالح أن يغفل عما يعرض للمرأة من ظروف تخرجها عن طبيعتها السوية في أيام معينة من الشهر، لا تتمكن معها من الدقة في الإدلاء بالشهادة.

الحجاب الإسلامي يحقق للمرأة السلامة

وفي الفصل السابع عشر (الشرق المحتجب) تناول الدكتور (هوفمان) إصرار المستشرقين على محاربة الإسلام، وتعمد الكثيرين منهم تقديم صورة مشوهة له، تنفر

الغربيين منه، وتقلب محاسنه مساوئ، مثلما صنعوه بالنسبة للحجاب الذى ترتديه معظم النساء فى الشرق، فجعلوه رمزا للتخلف، مغفلين ما يعنيه من السعى للعفة والاستقامة، وأخلاقيات الشرق التى لم يفهمها الغرب بشهوانيته التى غرق فيها، ويريد أن يغرق الشرق فيها.

وذكر: أن عقدة الأوربيين الاستعلائية تغفلهم عما يقدمه الشرق الإسلامى لهم من أسباب السلامة والطمأنينة؛ فلا يرون فيه إلا أنه يذكرهم بحشمة العصر الفيكتورى، على الرغم مما حققه الإسلام من منع ممارسة الجنس فى الطرقات، وعدم السماح بالفن الإباحى، ورفض العلاقات الجنسية قبل الزواج إلى غير ذلك مما ضمن للمرأة المسلمة الوقاية مما هوت إليه المرأة الغربية، حيث أصبحت غرضا جنسيا بسبب الاستمرار فى تقليص ملابسها بحجة ارتداء ما يجذب، مما يهدر كرامتها كامرأة، ويجعلها مباحة توجه الدعوات للرجال، بخلاف المرأة المسلمة التى تقول للمجتمع باختصار: انظروا لوجهى وليس لساقىّ حتى أصبحت ارتداء الحجاب يمثل احتجاجا اجتماعيا على أسلوب الحياة المعاصرة فى الغرب.

وشوهوا حكمة الإسلام من تشريع الحدود

وفى الفصل الثامن عشر (القانون الجنائى أو «رجم أميرة») استرسل الدكتور فى عرض أطراف من محاسن الإسلام التى يقلبها المستشرقون مساوئ لتشويه صورة الإسلام والتنفير منه، فذكر: أن القرآن فرض عقوبات دنيوية على ست جرائم، مع أنه أدان كثيرا من الأفعال السيئة دون فرض عقوبات دنيوية عليها، مع توعده بالعقاب عليها فى الآخرة، مثل: القمار، وأكل الخنزير، والربا.. إلى غير ذلك. وأما الجرائم الستة التى فرض عليها عقوبات دنيوية، فهى: القتل، وقطع الطريق، والسلب والنهب بالقوة، والخيانة العظمى، وقذف المحصنات، والزنا، والسرقة.

ولكن المستشرقين جعلوا هذه العقوبات دليل التخلف والغلظة، مغفلين ما يترتب على تلك الجرائم من اضطراب أمن، وإشاعة رعب وخوف فى المجتمع.

ولكى يكشف الدكتور (هوفمان) ضلال هؤلاء المستشرقين وأبعاد تضليلهم تناول تلك الجرائم بالتحليل الموجز، مع الإشارة إلى حرص الإسلام على تقويم المجرمين، وليس الانتقام منهم، مستدلا على كل ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بما يوضح مقاصد الإسلام، وحرصه على إشاعة الأمن والأمان فى المجتمع.

السلام فرض أساسى فى القرآن

وفى الفصل التاسع عشر (الحرب المقدسة) استعرض الدكتور معوقا آخر ينشره المستشرقون بين الأوربيين ليشوهوا صورة الإسلام، وينفروهم منه؛ فزعموا أن الإسلام يدفع المسلمين إلى حرب الآخرين، والاعتداء عليهم،

وتتبعهم فى أوقات السلم لاحتزاز رءوسهم، حتى أصبح المسلمون متعطشين للدماء؛ فوسمت حروبهم بسمة الحرب المقدسة؛ فلجأوا إلى فصل الآيات القرآنية عن سياقها، وعن بقية ما أنزل فى المسألة نفسها. وعن أسباب نزولها لكى يثبتوا أن الإسلام دين عدوان، مثل قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾

[التوبة: ٥]

فهم يقدمون تلك الآية مقطوعة عما قبلها وما بعدها من الآيات؛ لأن ما قبلها وما بعدها ينفى زعمهم؛ ويقرر أنها جاءت فى سياق معين، حيث جاء فى الآيات قبلها:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

[التوبة: ٤]

وجاء فى الآية بعدها:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

[التوبة: ٦]

فلو أنهم قدموا الآيات متصلة لما وجدوا فى الإسلام شيئا من القبح المنفر، بل لوجدوا فيه صورة زاهرة تجذب إليه القلوب والعقول، فما دعا القرآن إلى حرب عدوانية مطلقا.

أما وصف الحرب المقدسة فليس وصفا إسلاميا، حتى إنه لا وجود لمثل هذا المفهوم فى الإسلام، وإنما هو تعبير كاثوليكى أطلق فى أثناء ما سمى (الحروب الصليبية).

عالمية الإسلام أفرزت التشريعات الدولية

وفى الفصل العشرين (القانون الدولى) نبه الدكتور (هوفمان) إلى أن الغربيين حديثو عهد بالقانون الدولى، فلم يعرفوه إلا سنة ١٦٠٩، بينما قدم القرآن أسسا طيبة لتشريع العلاقات الدولية منذ القرن السابع الميلادى، حيث أكد على قيمة الاتفاقات والمعاهدات الدولية، ونظم العلاقات الدولية، فى أثناء الحرب، وأكد على احترام المواثيق بما تحققه من أسس صالحة لنمو التجارة، ودعم حقوق الأقليات بما تشمله من حق اللجوء وبما تكفله من حرية العبادة والعمل والتملك والتعبير.

أما ما يفرض على غير المسلمين من ضريبة (الجزية) فهو مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية، ولو أنهم أدوا الخدمة العسكرية لتم إعفاؤهم منها، كما إن الدولة قد تسمح بإعفاء المسلم من الخدمة العسكرية مقابل ما يفرض عليه من ضريبة.

فأين من هذا مذابح الكاثوليك والبروتستانت بعضهم مع بعض، ومذابح

روسيا لليهود، ومذابح كاثوليك الأندلس للمسلمين واليهود، ومذابح الأرثوذكس لمسلمي البوسنة مع مشارف القرن الواحد والعشرين؟!

أضاليل تبددها الحقيقة

وفى الفصل الواحد والعشرين (عندما يصبح التحريف تقليدا) استعرض الدكتور (هوفمان) فى إيجاز ما صاغه الغربيون من صور مشوهة لرسول الإسلام بقصد التنفير منه ومن دينه، ولإثارة الذعر منه والكراهية له فى نفوس العالم المسيحى، حتى صار العالم المسيحى أكبر ضحايا التحريف فى التاريخ، وذلك لأن هذا العالم لا يتخيل وجود ديانة أخرى بعد المسيحية، وقد ابتدأ هذا التشويه على يدى (يوحنا) الدمشقى فى القرن الثامن الميلادى، واستمر حتى يومنا هذا، حتى أصبحت تشويه محمد تقليدا غربيا، يتبارى القائمون عليه فى اختراع الأوصاف التى تحقره، وتثير ازدراءه.

وعلى الرغم من هذا التضليل المتواصل ظهر من أبناء الغرب من وقف على الحقيقة، فلم يستسلم لتيار التشويه الجارف، وأبى إلا أن يكون صادقا مع نفسه، مثل (مايكل هارت) الذى وضع محمدا سنة ١٩٧٨ على رأس قائمة المائة شخصية الأكثر تأثيرا فى تاريخ البشرية، لأنه الشخصية الوحيدة التى حققت نجاحا هائلا دنيويا ودينيا، ومثل (مونتجومرى وات) الذى قال: لا توجد شخصية عظيمة أساء الغرب تقديرها مثل محمد.

وعلى الرغم من مثل هذا التحسن البطىء فى التعرف على شخصية محمد وعلى الإسلام.. يلاحظ أن الشعور المعادى للإسلام ترسخ فى نفوس الغربيين، على ما أوضحه موقفهم من مشكلة (البوسنة)، و(الهرسك)، فإن سقوط الغرب فى تلك المأساة يرجع للميراث المشوه تجاه المسلمين، كما تؤيده حقائق التاريخ وسلوك الغرب وموقفه من المذابح والإبادة التى أصيب بها المسلمون على أيدى المسيحيين الغربيين فى نهاية القرن العشرين.

وبعد..

فالكتاب يعد وثيقة تدين الغرب فى القرن الواحد والعشرين، وتؤكد انسياقه الأعمى وراء تلك الدوافع العنصرية البغيضة بتأثير ما أشاعه هؤلاء المستشرقون من ضلال وكذب استغلوا فى نشره كل الوسائل؛ لذلك أرى أنه من الكتب الجديرة بالقراءة والدراسة للوقوف على ما يكنه الغرب للإسلام والمسلمين، والسعى الجاد لتجلية الإسلام، والتعريف بحقائقه دون كلل أو ملل. والله من وراء القصد.

قصيدة العدد

الهزيمة والفجر(*)

للشاعر السورى الأستاذ
عمر بهاء الدين الأميرى

عَلى بُراقٍ من الإشراقِ مُنْطلقى ... من حَوْمَةِ الهَمِّ واللأْواءِ والقَلَقِ(١)

فى مَطْمَحى أملٌ، لم تَخْبُ جَذْوَتُهُ ... بِرَحْمَةِ الله، والأعْباءُ فى عُنُقى(٢)

أرْنو إلى اللهِ، والضَّرَّاءُ تَحْدِقُ بى ... وَنَكْبَةُ المَسْجِدِ الأقْصى على حَدَقى(٣)

دَمُ الفُؤادِ، وَدَمْعُ العَيْنِ، من لَهَبٍ ... ذَوْبٌ، وزَفْرَةُ صَدْرى الجَمْرُ فى الحُرَقِ(٤)

على مَنابِتِ تاريخٍ، وأرْضِ هُدىً ... من الرِّسالاتِ ذاتِ الجَذْرِ والسُّمُقِ(٥)

(*) من ديوان (من وحى فلسطين) ص٦٥.
والأستاذ: عمر بهاء الأميرى شاعر سورى معروف، عمل فى التدريس والمحاماة، ثم عين وزيراً مفوضاً فى باكستان ثم سفيراً فى المملكة العربية السعودية، ثم اختار الإقامة فى المغرب أستاذاً فى الدراسات العليا بدار الحديث الحسنية بالرباط، له دواوين كثيرة.
(١) البراق: الدابة التى ركبها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، واستعارها الشاعر لمطية الإشراق الذى انطلق به للتعبير عن السرعة. الحومة: المكان الذى يدور فيه الطائر وغيره، وحومة القتال: معظمه. اللأواء: الشدة.
(٢) الجذوة: القطعة الغليظة من الخشب فى طرفها نار.
(٣) أرنو: أديم النظر، وأراد أنه يوجه بصره إلى السماء، متضرعاً إلى الله - تعالى - الضراء: الشدة.
(٤) ذوب: ذائب سائل.
(٥) السمق والسموق: العلو.



على «الخليل» وكم ضاءت منائرها   في المسجد الحرم الأسنى من اليقق(٦)
على مرافع عيسى جلّ رافعه،   على المراتع أضحت غصة الحلق(٧)
على مرابع قدس المجد، باركها   وحولها الله، وهي اليوم في الربق(٨)
مسرى الرسول وأولى القبلتين بها   واحر قلباه، ماذا للفخار بقي!
عيناي، عيناي، ويل الهول صورته   في أدمعي، حيثما يممت من أفق(٩)
مالي أرى الصخرة الشماء في كمد   تذوي، وعهدي بها مرفوعة العنق(١٠)
ومنبر المسجد الأقصى يئن أسى   قد كان يحبو الدنى من طهره الغدق(١١)
واليوم دنسه فجر ألم به   من بغي شعب اليهود الداعر الفسق(١٢)

(٦) الخليل: مدينة الخليل في فلسطين. اليقق: الأبيض الناصع.
(٧) مرافع عيسى: يريد الأمكنة التي رفع الله فيها عيسى - عليه السلام - إلى السماء. جل رافعه: أي تعالى رافعه وهو الله - عز وجل -. المراتع: الملاعب. الحلق: جمع حلْق، وهو مجرى الطعام.
(٨) الربق: جمع الربقة، وهي عروة الحبل. أراد أنها في ربقة الاحتلال.
(٩) يممت: قصدت واتجهت.
(١٠) الصخرة: صخرة المسجد الأقصى. الشماء: المرتفعة. تذوي: تذبل.
(١١) يحبو: يعطي. الغدق: الكثير.
(١٢) الفجر: الفجور. البغي: العدوان. الداعر: الشديد الفجور. الفسق: الشديد الفسق.

وللعذارى العذارى المسلمات على   أعواده ضمة الموفي على الغرق(١٣)
لو استطاع لألقى نفسه حمما   صونا لهن، ودك الأرض من حنق
وظلت الكعبة الغراء باكية   وغم كل أذان غصة الشرق(١٤)

***

وقائلين: يهود؟ قلت: واحربا   أجل يهود، يهود الذل والفرق(١٥)
يا لائمين انظروا، فالله من أزل   أرسى نواميسه في الخلق كالفلق(١٦)
هم حاربونا برأي واحد، عدد   قل، ولكن مضاء ثابت النسق(١٧)
علما ودأبا وإعدادا وتعبئة   وبادروا غزونا في مكر مستبق
يحدوهم أمل، يمضي به عمل   ونحن - وا أسوأتا - في ضلة الحمق
كثر، ولكن عديد لا اعتداد به   جمع، ولكن بديد غير متسق(١٨)
حارت عقائدنا، زاغت قواعدنا   أما الرءوس فرأي غير متفق(١٩)
البعض يحسب أن الحرب جعجعة   والبعض في غفلة والبعض في نفق(٢٠)

***

(١٣) أعواده: أعواد المنبر تعوذ بها العذارى المسلمات. الموفي: المشرف.
(١٤) الشرق: ما يبقى من نفس المحتضر إذا شرق بريقه.
(١٥) واحربا: صيغة تفجع يقولها من حرب أي من سلب. الفرق: الخوف الشديد.
(١٦) الفلق: الفجر أو الصبح أو ما انفلق من عموده. نواميسه: سننه وشرائعه.
(١٧) القل - بالضم -: القلة، ضد الكثرة. النسق: ما جاء على نظام واحد.
(١٨) بديد: مبدد مفرق. متسق: منظم.
(١٩) زاغت: تاهت وضلت.
(٢٠) الجعجعة: صوت رحى الطاحون. النفق - بفتحتين: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان. يريد أن البعض استبد بهم الخوف فاختبؤوا.

قالوا: الشعوبُ، وهل نال الشعوبَ سوى ... قولٍ جُزافٍ، وإصلاحٍ على الورق(٣١)

هُمْ شتتوها وأغروا بينها حسداً ... وفرقةً، وأثاروا حقدها الطبقي(٣٢)

و«مذهبوها» بدعوى لا ثبات لها ... ولا فلاحَ بها مقطوعةِ الوُثُقِ(٣٣)

وكبّلوا جيلها المرموقَ في غده ... عن نهج محتده في الدين والخُلُقِ(٣٤)

حتى إذا ما أبى أن يستكين لهم ... شدّوا على عنقه أنشوطة الوَهَقِ(٣٥)

***

قد كابروا الله واستعلوا على سفهٍ ... منى كواذبُ، دعوى غيرِ معتنقِ(٣٦)

وأعلنوها، وما خاضوا معامعها ... ولا أعدّوا لها إعداد ذي حَذَقِ(٣٧)

فكان من أمرنا ما كان من فشلٍ ... هذي جحافلهم مهزومةُ المِزَقِ(٣٨)

بهم هُزمنا، وما زلنا، وما اتعظتْ ... عُمْيُ النفوس، ألا إن الشقيَّ شقي

فيا فجيعة شعبٍ مدّ كاهلَهُ ... ليصعدوا منه في أبنائه العُقُقِ(٣٩)

ويا حبائلهم لفّي الشباك على ... أعناقهم ـ واخنقي الطغيان واختنقي

***

(٣١) جزاف: فيه مجازفة، غير مؤكد.

(٣٢) شتتوها: فرقوا بين الشعوب. أغروا بينها: أوقعوا بينها.

(٣٣) الوُثُق: جمع وثاق، وهو ما يربط به.

(٣٤) كبلوا: قيدوا. المرموق: الذي ينظر إليه على أنه أمل مرتجى. النهج: الطريق القويم. المحتد: الأصل والطبع.

(٣٥) يستكين: ينقاد ويخضع. الوهق ـ محركة ويسكن ـ : الحبل يرمى في أنشوطة، فتؤخذ به الدابة والإنسان.

(٣٦) كابروا الله: تحدوه في كبريائه لاستكبارهم في الأرض. السفه: الجهل والحمق. غير معتنق: غير مؤمن بما يدعي.

(٣٧) المعامع: جمع معمعة، وهي القتال، والمعامع: الحروب والفتن والعظائم. الحذق: الإتقان.

(٣٨) الجحافل: الجيوش. المزق: جمع مزقة وهي القطعة الممزقة من الشيء، يريد فلول الجيش.

(٣٩) الكاهل: أعلى الكتف. العقق: غير البررة.

جُرحٌ، وأعمقُ من صبرٍ ومن جَلَدٍ ... خَرقٌ، وأكبرُ من عُمْرٍ ومن رتقِ(٣٠)

لقد نُكبنا، وما خضنا، ولا هُزم الأبطالُ في السجن، والأقطابُ في الشَّنَقِ(٣١)

بلى نُكبنا، بما قد ناب أمتنا ... والخطبُ من قلبنا في أعمق العُمُقِ

لا يأس فالحربُ أقدارٌ ودائرةٌ ... وإنه طبقٌ يأتي على طبقِ(٣٢)

مُكبّلون، ولكن في غدٍ نبأٌ ... يا نجمُ مزّق ظلام الليل وائتلقِ(٣٣)

لسنا نبالي، وللقرآن في دمنا ... جُذىً من العزم تطوي شُقّة اللحقِ(٣٤)

غداً سيُشرق بالإسلام طالعنا ... بدراً وشمساً ونجلو غُرّة الفلقِ(٣٥)

والنصرُ بالصبر والإيمان معقده ... والمجدُ بالعزم والإعداد والسبقِ

***

يابن الهُدى يا فتى القرآن دعك من الأوهامِ، جلجل أمرُ الله أن أفِقِ(٣٦)

أنت الخليفُ لما آتته من أُكُلٍ ... أنت الطهورُ على أدرانها.. اندفقِ(٣٧)

ونقّها، واغذها خيراً ومرحمةً ... أسعد بها الكونَ، أنت النورُ فانبثقِ

يا ليلة القدر، أدعو الله في لهفٍ ... أموتُ من حرم الأقصى على نشقِ(٣٨)

محرراً من يهودٍ يعبثون به ... يحوطه الصيدُ من أبنائه الخُلُقِ(٣٩)

عليك أقسم بالقرآن تلبيةً ... يا ربِّ، يا خالق الإنسان من علقِ(٤٠)

(٣٠) الجلد: التجلد والتماسك. الخرق: الثقب. الرتق: ضد الفتق.

(٣١) الشنق: حبال المشنقة.

(٣٢) الطبق: الحال ومنه قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [الانشقاق: ١٩]

(٣٣) ائتلق النجم: التمع.

(٣٤) الجذى: جمع جذوة ـ مثلثة ـ: القبسة من النار والجمرة. الشقة: البعد والسفر البعيد.

(٣٥) الطالع: الهلال. الغرة: غرة كل شيء: أوله. الفلق: الفجر.

(٣٦) جلجل: الجلجلة: صوت الجلجل وهو الجرس.

(٣٧) الخليف: الخليفة. آتته: يريد بالضمير الدنيا. الأدران: الأوساخ. اندفق: من دفق الماء إذا صبه بشدة.

(٣٨) اللهف: اللهفة والتشوق. النشق: الشم، وفعله كفرح. والنشوق: كل دواء يدخل من الأنف ليجد ريحه.

(٣٩) الصيد: النبلاء، والصيد ميل العنق ترفعاً. الخلق: ذوو الأخلاق الحسنة.

(٤٠) العلق: القطعة من الدم الغليظ، وهو ما تؤول إليه النطفة في الرحم.

فلســطين.. بين وعد بلفور.. وقرار التقسيم

بقلم: صديق بكر عيطة

.. ورحل السلطان العظيم: عبدالحميد الثانى عن العرش ـ راضياً ـ عام ١٩٠٩م بعد أن ترك صفحة بيضاء من صفحات التاريخ الإسلامى، لم تشبها شائبة تفريط.. ولم تعلها رائحة خيانة للأمانة..!! رحل، ورحلت معه الخلافة العثمانية كلها، لتحل محلها تركيا الحديثة، التى خلعت عن نفسها ربقة الخلافة الإسلامية، والاضطلاع بأمور المسلمين؛ حيث أصبحت تحت قيادة «جماعة الاتحاد والترقى»، وعلى رأسها مصطفى كمال أتاتورك. فتركت ـ ضمن ما تركت ـ فلسطين فريسة سهلة بين مخالب الانجليز، ليسلموها هدية خالصة بلا ثمن للصهيونية العالمية التى التهمتها قطعة بعد قطعة، حتى أتوا على آخرها عام ١٩٦٧م، ثم ابتلعت أجزاء غالية من الدول العربية الإسلامية المجاورة..!! ولكن كيف تم لهم ذلك؟ هذا ما سنتعرض له بشىء من التفصيل، عبر لمحات خاطفة وسريعة فى السطور القادمة إن شاء الله تعالى، لنتذكر سويا ـ ونعتبر ـ كيف تعاون أهل الباطل، فى الاستيلاء على الأرض الإسلامية، التى كافح فى سبيلها المسلمون، منذ عصر النبى ﷺ ومروراً بعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقادة جيوشه العظام، ثم صلاح الدين الأيوبى والملك الكامل، وانتهاء بالسلطان عبدالحميد الثانى.. ولنتأكد أن مقدساتنا الإسلامية ـ التى شرفنا الله ـ عز وجل ـ بها وبالإسلام.. لن تتحرر إلا بعد أن نوحد صفوفنا، وننفض عن أنفسنا رداء الاستكانة والمهانة، ونقوّم ما أعوج من أمورنا، ونسخر كل إمكاناتنا البشرية، والعلمية، والمادية فى سبيل تحرير مقدساتنا وتطهير عرضنا، ونجمع كلمتنا فى طريق الحق، مثلما اجتمع أهل الباطل فى طريق الضلال، ولنتذكر دائماً قول القائل: إن الحق الأعزل، يهزمه الباطل المسلح..

فمما لا شك فيه، أن الصهيونية العالمية لم تكن لتستطيع وحدها، انتزاع فلسطين المسلمة من أيدى العرب والمسلمين، لو أنها واجهتهم مواجهة سافرة من أول الأمر، لأنها تعلم جيداً أن عقيدة المسلمين ستبرز إلى السطح من أول وهلة لتقف صلبة قوية فى مواجهة الغزاة المعتدين ـ أو على أقل تقدير تحد من اندفاع اليهود بهذه القوة إلى أرض فلسطين ـ ولذلك نرى أنها اتخذت لتحقيق أهدافها طريقين متوازيين، ولكنهما فى ذات الوقت بعيدان عن المواجهة الصريحة:

- أولهما: التسلل الفردى، أو الأسرى إلى الأرض الفلسطينية المقدسة، إما خفية، وإما بحجة زيارة الأماكن المقدسة مستغلين فى ذلك سماحة المسلمين، وسعة صدرهم، وذلك منذ زمن بعيد، يسبق فترة حكم السلطان عبدالحميد الثانى، وذلك بالرغم من الفرمانات المتتالية التى كان السلاطين العثمانيون يصدرونها بمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين أو الإقامة فيها.

- ثانيهما: طريق التخفى وراء القوة الاستعمارية الصليبية، التى كانت تتزعمها آنذاك انجلترا ومن ورائها السياسة الأمريكية، التى تخدم الصهيونية العالمية. وقد برز دور الصليبية الإنجليزية واضحا عقب رحيل السلطان عبدالحميد الثانى عن عرشه، وبداية دور الانتداب البريطانى على أرض فلسطين والذى سعت إلى إقراره دولياً المنظمات الصهيونية العالمية، تمهيداً لانتقال السيادة الرسمية عليها إلى اليهود، كما سيتضح بجلاء بعد.

ومما يؤكد هذين الاستنتاجين ما يلى:

فقد صرح الزعيم اليهودى المعروف «وايزمان» فى مؤتمر صهيونى بلندن فى ١٦ مايو ١٩١٧م قال:

«إن الدول يجب بناؤها ببطء، وبالتدريج، وبانتظام، وبصبر، ومن ثم نحن نقول: إنه بينما هدفنا النهائى هو خلق دولة يهودية، فإن الطريق إلى ذلك، يكون على عدة مراحل متداخلة، وإحدى هذه المراحل، التى أرجو أن تكون نتيجة لهذه الحرب «العالمية الأولى» هى أن فلسطين اليهودية سوف تتمتع بحماية قوة ضخمة وكبيرة مثل بريطانيا، وتحت جناح هذه القوة يصبح اليهود قادرين على إقامة جهاز إدارىّ وتنفيذىّ ينجز أهدافنا الصهيونية، بينما لا نزعج أنفسنا «بقصد لا تهتم» بالمصالح المشروعة للأهالى من غير اليهود، وإنى فخور بأن أعلن فى هذا

الاجتماع موافقة الحكومة البريطانية على هذه الخطة»(١).

فاليهود لم يعلنوا عن هدفهم بادىء الأمر، وإنما تخفوا وراء الزيارات المتتالية للأماكن المقدسة ثم وراء هجرة بعض اليهود إليها؛ إما تخلصا من اضطهاد محاكم التفتيش في إسبانيا، وإما رغبة في العمل في هذه البلاد، وكانت الهجرة تتم بصورة فردية، أو على هيئة أسر قليلة العدد.. واستمر الحال على هذا المنوال فترة من الزمان ليست بالقصيرة ثم انتقل الأمر إلى محاولة إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.. ولكنهم كانوا أشد حرصاً على عدم الإفصاح عن إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.. بل إنهم أرسلوا إلى عملائهم في كل أنحاء العالم تعليمات مشددة بذلك.

وبعد سقوط الخلافة العثمانية عام ١٩٠٩م، وإعلان الانتداب البريطاني على فلسطين بعد ذلك بسنوات قليلة «اتفق اليهود والبريطانيون على أن تحتل بريطانيا فلسطين لحساب اليهود، وتعمل على تقوية يد اليهود، وشل أي حركة عربية ضدهم، حتى تسلمها لهم في النهاية».

وإن شئت فقل ـ بتعبير آخر ـ :

«اتفقوا على أن تكون فلسطين محتلة احتلالاً يهودياً تحت حماية بريطانيا ورعايتها، فتكون بريطانيا منتدبة على فلسطين لحمايتها من أية قوة إسلامية تحررها، ولتقوية يد اليهود فيها، حتى يتسلموها علانية وتعهدت بريطانيا بذلك»(٢).

لقد كان اليهود في كل أطوار حياتهم، حريصين على ربط عجلة حركتهم بأكبر قوة سياسية وعسكرية واقتصادية معاصرة لهم، والقوة التي كانت لها السيطرة الكاملة في هذا العصر هي بريطانيا العظمى، وقد استطاع.. اليهود اختراقها في أهم مراكزها السياسية والاقتصادية، لتوجيهها بما يخدم مصالحها، ويحقق آمالها، وهو احتلال فلسطين بالذات دون أي بقعة أخرى في العالم، وكان من الممكن ذلك ببساطة.. لولا أن هدفها يتركز «هنا» في فلسطين، ولا شيء غيرها. فلقد صرّح بعد ذلك عام ١٩٤٧م في مونتريال «ناحوم جولدمان» الذي أصبح فيما بعد، رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية بقوله : «كان من الممكن لليهود أن يحصلوا على أوغندا، أو مدغشقر، أو غيرها لينشئوا وطناً قومياً لهم هناك، ولكن اليهود لا يريدون سوى

(١) «القدس والوعد المفترى» للشيخ محمد السيد الشناوي ص ٩٨ مخطوطة.

(٢) اقرأ كتاب «القدس والوعد المفترى» للشيخ محمد السيد الشناوي.

فلسطين، ليس لاعتبارات دينية، أو لسبب إشارة التوراة إلى فلسطين، وليس لأن البحر الميت يمكن أن يعطي ـ عن طريق التبخر ـ ما قيمته خمسة آلاف مليار دولار من المعادن، وليس لأن تربة فلسطين الجوفية، تحتوي على كميات من البترول تزيد ـ كما يقولون ـ عن احتياطي الأمريكتين ـ فحسب ـ بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق بين أوروبا وآسيا وإفريقيا، ولأنها هي المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم»(٣).

وللوصول إلى تحقيق هذا الهدف ـ بعد أن نرجع إلى الوراء قليلا وإبان إعلان بريطانيا الحماية على فلسطين ـ وبعد الضغوط اليهودية اللازمة، أعلنت بريطانيا عام ١٩١٧م على لسان وزير خارجيتها «بلفور» أنها تعهدت بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ـ لاحظ «وطن قومي» وليس دولة يهودية، حتى لا تثير ثائرة العرب والمسلمين ـ على أنقاض أهلها الشرعيين، ووافقت عليه أمريكا قبل صدوره، ويقول نص هذا الوعد المشئوم:

عزيزي اللورد «روتشيلد» زعيم الطائفة اليهودية الإنجليزية، يسرني أن أنقل إليكم



تشرشل — بلفور

باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المتضمن عطفها على الأماني الصهيونية، التي عرضت على الوزارة وحازت قبولها: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل كل مساعيها لتسهيل الوصول إلى هذا الهدف، على أن يكون مفهوماً ألا يُتخذ أي شيء من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين، ولا بحقوق اليهود، أو بمركزهم السياسي الذي يتمتعون به في غيرها من البلاد».

وأكون شاكراً لو تفضلتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحادات الهيئات الصهيونية.. أ. هـ: توقيع «آرثر جيمس بلفور ٢ / ١١ / ١٩١٧»(٤).

ثم أكدت بريطانيا هذا التعهد عام ١٩٢٢ على لسان وزيرها تشرشل فيما

(٣) «قضية القدس» د. عبدالتواب مصطفى ص ١٣٠ نقلا عن كتاب «حكومة العالم الخفية» لسبيريدوفيتش، ترجمة مأمون سعيد. ط ٩ بيروت.

(٤) عن كتاب «القدس والوعد المفترى» حاشية ص ٩٨ ـ ٩٩ مخطوطة.

سمى بالكتاب الأبيض، وثار العرب والمسلمون ثورة عارمة على هذا القرار الذى أعطى فيه من لا يملك إلى من لا يستحق، وقامت اضطرابات ومصادمات شديدة بين أصحاب الأرض والوطن الشرعيين، وبين اليهود الغاصبين، راح ضحيتها كثير من الجانبين، ولم تتراجع بريطانيا عن تعهدها الظالم، بل فتحت الباب على مصراعيه لهجرة اليهود إلى الأراضى الفلسطينية وأسرع الرئيس الأمريكى وقتئذ «ترومان» بإرسال كتاب إلى رئيس الوزراء البريطانى «إتلى» يطلب إدخال مائة ألف يهودى دفعة واحدة إلى فلسطين، وأن تفتح فلسطين أبوابها للهجرة اليهودية بعد ذلك دون قيد، وتم له ما أراد.

وفى سبيل تمكين اليهود من فلسطين قامت الحكومة البريطانية باتخاذ عدة خطوات فى الأراضى الفلسطينية يمكن إجمالها فيما يلى:

- فتحت هجرة اليهود إلى فلسطين من كل دول العالم، وطرد أهلها الشرعيين منها بكل الوسائل الإجرامية.
- أصدرت حكومة الاحتلال البريطانى قانون الهجرة لإغراق فلسطين باليهود، ومنحت الوكالة اليهودية بفلسطين حق استقدام من تشاء من اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فيها.
- أخضعت بريطانيا المدارس العربية لإشراف المفتشين الإنجليز الذين لم يكونوا إلا يهودا، لمراقبة المناهج التعليمية، وتعجيز المسلمين عن إيجاد قيادات وأجيال إسلامية حرة، بينما أعطت اليهود حق الإستقلال الثقافى والتربوى، فصارت لهم إدارة خاصة بالتربية والتعليم.
- عملت على تجريد أهل فلسطين من السلاح، ومنعتهم من إحرازه والتدريب عليه، بينما أعطت اليهود حق حمل السلاح واستيراده وتخزينه وتكديسه، وتدريبهم عليه فى صفوف الجيش البريطانى.
- مكنت بريطانيا اليهود من إحكام قبضتهم القوية على الاقتصاد الفلسطينى، وبالتالى عملوا على خنق الشعب الفلسطينى بكل الوسائل التى تمكنهم من اغتصاب أرضه.
- حجبت بريطانيا عن الشعب الفلسطينى الثقافة الزراعية، ووضعت العقبات أمام بيع منتجاتهم الزراعية أو تصديرها.

- قدمت لليهود الأراضى الأميرية، التى كانت تحت يد الحكومة العثمانية هبات، أو بأثمان زهيدة،. وهى أراض كثيرة جدا، حتى إن الشيخ محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ـ رحمه الله ـ كان يطلب من الفلسطينيين، الذين وضع اليهود أعينهم على أراضيهم أن يسجلوها وقفا إسلامياً لكى لا يستطيع اليهود شراءها، بالإضافة إلى أنه كان يجمع الأموال ويشترى الأراضى التى يضطر أصحابها إلى بيعها، ويسجلها وقفاً إسلامياً ويتركها لهم يفلحونها.

وقد سنّت حكومة الاحتلال البريطانى لهذه الوسيلة قانوناً جاء فى إحدى مواده «أنه ما دام الشرع الإسلامى يبيح لسلطان تركيا حق التصرف فى الأرض، وما دام المندوب السامى حل محل السلطان فإن من حقه أن يتصرّف كما يشاء فى أرض فلسطين»(*).

وإلى هنا، رأت حكومة الاحتلال البريطانى أن الوجود اليهودى فى فلسطين أصبحت له اليد الطولى، وأنه بات يشكل قبضة حديدية تستطيع انتزاع الأرض من أصحابها الشرعيين، وأن اليهود امتلكوا من المشاريع الاقتصادية ما يجعلهم مسيطرين إلى حد كبير على مقدرات الأمور، فتظاهرت بالعجز التام عن إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية عام ١٩٤٧م، وقررت إحالتها إلى الأمم المتحدة التى بحثت المشكلة، وانتهت إلى تقسيم فلسطين بين اليهود المغتصبين والعرب أصحابها الشرعيين فى ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧م، وليس يخفى على عقل العاقل أن هذه الإحالة من جانب الحكومة البريطانية، كانت بعد ترتيب الأوراق مع الدول التى بيدها اتخاذ القرار، ولتختفى أيديهم جميعاً تحت ستار هذه المنظمة الدولية، وتنسب إليها ـ أى إلى هذه المنظمة ـ آخر فصول هذه الجريمة التاريخية التى ارتُكبت ضد هذا الشعب الفلسطينى المسلم..!!


امين الحسينى

(*) اقرأ فى هذا المجال كتاب «القدس والوعد الفترى» للشيخ محمد الشناوى، وكتاب «بيت القدس فى الإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود ص٨٥، وكتاب «الحاج محمد أمين الحسينى» لتيسير جبارة ص٢١٠ نقلا عن أرشيف وزارة المستعمرات البريطانية، وكتاب «الحركة الوطنية الفلسطينية من عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٣٦» لعادل حسن الزعيم ص٢٧١.

وقد كانت أمريكا ذات التاريخ الأسود فى مجال سلب الحقوق الإنسانية شريكة فى صنع هذه الجريمة الكبرى.. فقد كتب «وايزمان» فى مذكراته، قال:

«طلبت من «ترومان» ـ رئيس أمريكا ـ أن يقسّم النقب بيننا وبين العرب على أساس خط عمودى، فأمر «ترومان» مندوبه بأن يكون النقب كله لنا.

قال «جون كلوب» الذى خطط لهذه الجريمة، وأسهم فيها: إن أفظع ظلم فى مشروع التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة، هو أن النقب الذى يمتد من بئر السبع إلى العقبة، مسافة مائتى ميل أُعطى لليهود، ولم يكن فيه يهودى واحد، ولم يسكنه اليهود عبر التاريخ قط.

وأعطى التقسيم لليهود الأراضى الخصبة، وخاصة المتصلة بالمياه - ظاهرة وباطنة ـ كالنقب والعقبة، وأم الرشراش وغيرها، والتى بلغت مساحتها ٥٦,٧٤ بالمائة من مجموع مساحة البلاد، واليهود يومئذ قلة، بينما ترك التقسيم للأكثرية العربية أصحاب البلاد الشرعيين أراضى صحراوية جدباء بعيدة عن المياه، بلغت مساحتها ٤٢,٨٨ بالمائة من مجموع مساحة البلاد، وجعل المساحة المتبقية ـ القدس وبيت لحم ٠٠,٦٥ بالمائة ـ منطقة دولية تحت إدارة الأمم المتحدة، نظراً لحساسيتها الدينية. وبهذا التقسيم أعطت بريطانيا وحلفاؤها ـ عن طريق الأمم المتحدة ـ لليهود مساحة واسعة هائلة من فلسطين هبة، ورغماً عن أهلها الشرعيين»[٦].

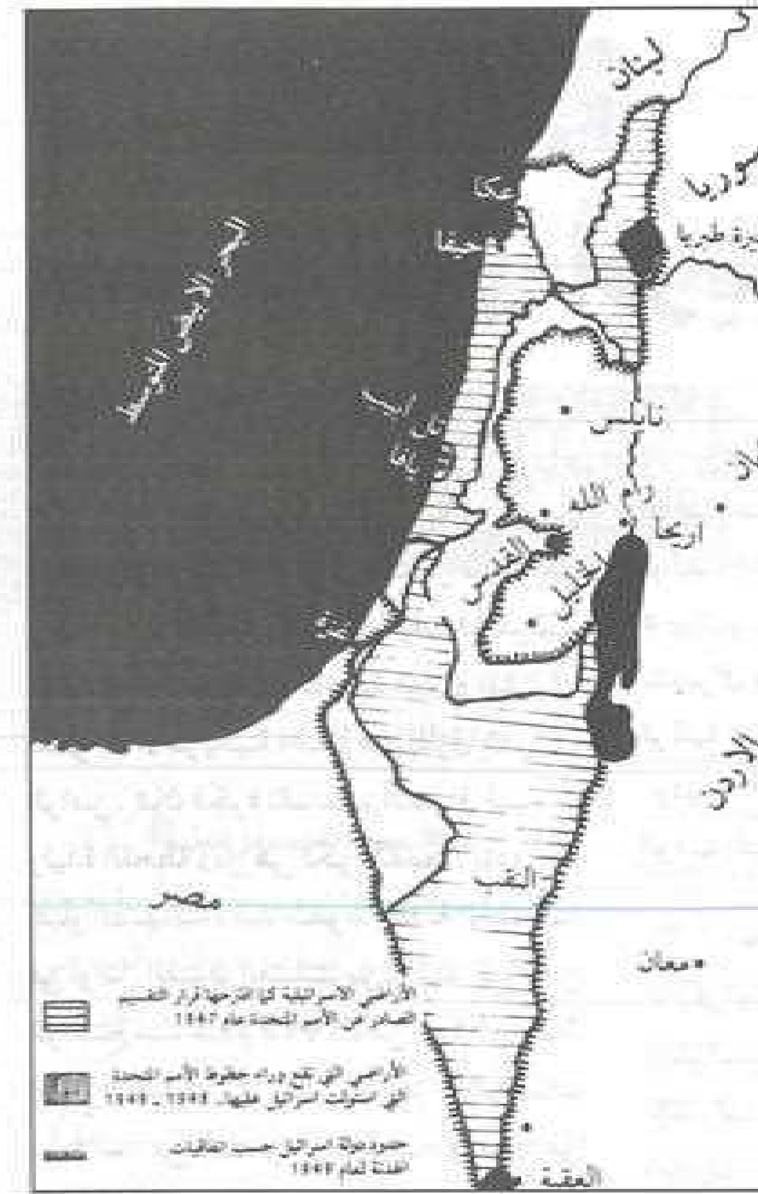
حدث كل هذا وأكثر مما لم يتسع لذكره المجال، وإنه ليدل دلالة قاطعة على أمرين اثنين:

● أولهما: أن تفرق كلمة العرب وتبعثر جهودهم كانت العامل الأول الذى دفع اليهود والصليبيين لارتكاب هذه الجرائم دون رادع، ولو أن هذه الأمة تحركت وقتئذ تحركاً إيجابياً لصد هؤلاء الغاصبين، لما حدث كل هذا ولما كانت صورة الأمة العربية والإسلامية بهذه الدرجة من الازدراء والمهانة، والدليل على هذا، أنه حينما خاف المارشال «وايفل» أحد قادة الجيش البريطانى فى فلسطين - من ثورة العرب عليهم حينما علموا بنبأ

[٦] ارجع إلى كتاب «القدس والوعد المفترى» للشيخ محمد السيد الشناوى ص١١٣، ١١٤.

تدريب اليهود فى صفوف الجيش البريطانى تحداه «ونستون تشرل» رئيس الوزراء البريطانى مؤكداً أنه «لن يتحرك كلب عربى واحد».

ثانيهما: أن ما حدث لفلسطين ليدل دلالة قاطعة على أن الصليبية الغربية والصهيونية العالمية حليفان لا يفترقان: طريقهما واحد، وغايتهما واحدة، ومما يؤكد ذلك، أنه عندما دخل الجيش البريطانى القدس بقيادة اللورد «اللنبى» قال جورج الخامس ملك بريطانيا «إنها الحرب الصليبية الأخيرة»، وقال «اللنبى»: الآن انتهت الحروب الصليبية، ووصف انتزاع القدس من المسلمين بأنه هدية الكريسماس للعالم المسيحى، وأعلن جنوده انكسار الهلال، ورفعوا الصليب على بيت المقدس، ودقت أجراس الكنائس فى «برلين» بألمانيا فرحاً بدخول الجيش البريطانى القدس! فاعتبروا يا أولى الأبصار.



حدود إسرائيل ١٩٤٩ - ١٩٦٧

مشروع أمريكى صهيونى

سيناتور أمريكى يضع مشروعًا لتقسيم العراق!!

للأستاذ صلاح عبد الرحيم محمد
باحث فى الشئون السياسية

إذا كان قرار مجلس الشيوخ الأمريكى رقم ١٥٣٥ قد صدر فى ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٧، من أجل تمزيق وحدة العراق الجغرافية إلى وحدات طائفية فى شكل ولايات فيدرالية مستقلة، تبريرا لإمكانية الخروج المشرف للقوات الأمريكية المحتلة من المأزق العراقى الراهن، فإن فكرة تقسيم العراق ليست وليدة اللحظة، بل هى فكرة قديمة، نادى بها كبار الصهاينة، منذ سقوط الدولة العثمانية فى أوائل القرن العشرين، لقد كان من الواضح منذ عام ١٩١٥، من خلال خطط الحكومة البريطانية، تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات، هى البصر فى الجنوب، وبغداد فى الوسط، والموصل الكردية فى الشمال.

وتعتبر «اتفاقية سيفر» فى ١٢ أغسطس ١٩٢٠ أول وثيقة قانونية دولية تشير إلى كيان كردى، عندما جاء فى أحد بنودها «منح الاستقلال الذاتى لكردستان التركية، وليس العراقية على أن ينضم أكراد المواصل إلى الدولة الكردية المقترحة فى تركيا، ولقد سعت تركيا العلمانية الحديثة أن تكون الموصل ضمن حدودها القومية، لكن أكراد الموصل عارضوا بداية محاولات ضمهم إلى تركيا الجديدة، ونجحت بريطانيا عبر اتفاقية ٥ يونيو ١٩٢٦ مع تركيا فى إلحاق الموصل بالعراق وبذلك طويت مسألة ضمها إلى تركيا غير أن الأتراك الجدد اعتبروا الموصل «وديعة» طرف العراق يجب استردادها فى الوقت المناسب.

تقسيم العراق مطلب إسرائيلى

وفى هذا السياق كتب المحلل العسكرى الإسرائيلى «زئيف شيف» فى صحيفة هآرتس الإسرائيلية يقول حول تقسيم العراق: «إن تفكيك العراق إلى دولة سنية، وشيعية وفصل الجزء الكردى، هو أفضل ما يمكن تحقيقه لمصلحة إسرائيل فى العراق» ويذهب الباحث الإسرائيلى «جاى باخور» فى مركز هرتزليا الإسرائيلى إلى القول: ««إن الحرب الأمريكية على العراق ستكون فاشلة إذا لم تسفر عن تقسيم العراق»، ويضيف «باخور» قوله: «إنه يتعين القضاء على الوحدة الجغرافية للعراق وتسهيل إقامة دويلات طائفية»، واقترح من جانبه إضعاف الوجود السنى فى العراق، بضرب المقاومة السنية خشية أن يتحول الكيان السنى إلى نقطة انطلاق لتهديد المصالح الأمريكية.

ويعتقد الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات العسكرية «عاموس مالكا» أن غياب العراق عن خارطة المنطقة، بمساحته الحالية، ووحدة إقاليمه، سيكون أحد أهم العوامل فى تقليص المخاطر الاستراتيجية على إسرائيل»، ويضيف «عاموس» أن العالم العربى مع عراق مقطع الأوصال أفضل لإسرائيل بوجود عراق موحد، ولقد تحدث المؤرخ الإسرائيلى «بنى موريس» أحد المؤرخين الجدد قبل الحرب الأمريكية على العراق فقال: «إن العراق دولة مصطنعة من صنع الاحتلال البريطانى خلط فيها شعوبا وطوائف، لا تريد فى الحقيقة أن تتعايش مع بعضها» كما زعم المؤرخ اليهودى الأمريكى «برنارد لويس» أن العراق «دولة مصطنعة وأن الاحتلال الأمريكى لها فرصة لتصحيح ما ارتكبه البريطانيون، أى تفكيكه إلى عدة دويلات وفقا للطبيعة السكانية وانتماءاته العرقية والدينية».

خنجر إسرائيل؟!

واللافت فى هذا المقام أن ثمة خطة إسرائيلية لتقسيم المنطقة تناولها الصحفى الهندى «كرانجيا» فى كتابه «خنجر إسرائيل» الذى نشر عام ١٩٥٧، وتضمنت هذه الخطة إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وتقسيم سوريا إلى ثلاث دويلات درزية وعلوية وسنية، وتقسيم لبنان إلى دولتين مارونية وشيعية، وتقسيم العراق إلى دولة شيعية فى الجنوب وسنية فى الوسط، وكردية فى الشمال، وفى هذا الصدد ذكر موقع Global Resear ch «جلوبال ريسيرش» فى أكتوبر ٢٠٠١ أن واشنطن تخطط لتقسيم العراق إلى دولة

كردستان في الشمال، ودولة شيعية في الجنوب ودولة سنية في الوسط، وفي ضوء ما سبق يبدو أن مخطط التقسيم لن يقتصر على العراق فقط بل قد يمتد إلى سوريا ولبنان وربما إيران وتركيا، أي إعادة إنشاء المنطقة من جديد وفق الرؤية الأمريكية ومصالحها في المنطقة، ومن المرجح أن الولايات المتحدة كانت عازمة قبل احتلال العراق على تقسيمه إلى دويلات ثلاث «كردية وشيعية وسنية» وربما دويلة رابعة تركمانية يؤكد ذلك ما ارتكبته الإدارة الأمريكية من أخطاء في حق العراق تتمثل فيما يلي:-

- عدم مراعاة مسئولية الدولة المحتلة - كما تدعو معاهدة جنيف- في الحفاظ على مؤسسات الدولة العراقية بل غضت الطرف عن نهب هذه المؤسسات وتدميرها ووضعت إدارة الاحتلال يدها أولا على وزارة النفط، وما أدراك ما النفط لأمريكا المتعطشة إليه.
- إنهاء المواطنة العراقية إذ بات الخطاب الأمريكي يتحدث عن «تكوينات الشعب العراقي» وليس عن «الشعب العراقي» وهو ما يعني أن النية مازالت مبيتة على تقسيم وتمزيق الوحدة الجغرافية والسياسية للعراق، إلى شيعة وسنة وأكراد.
- عدم توفير الخدمات الضرورية للشعب العراقي، وعلى رأسها الخدمة الأمنية حيث انهارت الحالة الأمنية في العراق عقب الاحتلال الأمريكي ولا تزال الفوضى الأمنية تعم أرجاء العراق باستثناء الإقليم الكردي في شمال العراق الذي ينعم بحالة أمنية مستقرة بالمقارنة بوسط وجنوب العراق اللذين يعيشان حالة أمنية متردية.

- جاء قرار حل وحدات الجيش العراقي، وتشكيلات الأمن الداخلي والاستخبارات في العراق كارثة على الشعب العراقي، الذي فقد الأمن تماما على حياة أبنائه خاصة بعد ظهور الميلشيات الطائفية التي أسهم الاحتلال الأمريكي في خلقها وهو ما أدى إلى التدهور الأمني في عموم العراق غير أن إقليم كردستان بفضل قوات البشمركة حافظ على أمن أبنائه الأكراد الذين يتمتعون بحكم ذاتي مستقل في كثير من الأمور.

والحقيقة أن العراق قبل احتلاله من الغزاة الأمريكيين كان يمتلك جيشا قوامه مليون مقاتل و٧٠٠ طائرة ٥٠٠٠ دبابة و٤٠٠٠ مدفعا، أما الآن فقد بات مجردا من أي قوة عسكرية ووطنية تحميه بسبب الوجود العسكري الأمريكي، في أراضيه، ومن هنا يمكن القول بصراحة أن العراق والحالة هذه فقد الأمن والسيادة والاستقرار وبات المواطن العادي لا يأمن على حياته فيه، يكفي دليلا على ذلك نزوح ما يقرب من مليوني عراقي خارج وطنه بالإضافة إلى نزوح مليونين آخرين داخل العراق بحثا عن ملاذ آمن.

نظرية مكونات العراق الثلاثة!!

ومن جانب آخر وضع المحافظون الجدد الذين يوجهون السياسة الخارجية الأمريكية مخططا لتقسيم العراق المسمى «نظرية مكونات العراق الثلاثة» الشيعة والسنة والأكراد هدفه سلخ العراق من هويته العربية، بدفع «مشروع الطائفية» قدما إلى الأمام وتمزيق هذا القطر العربي الأصيل إلى فيدراليات طائفية لها صلاحيات وسلطات مستقلة عن الحكومة المركزية في ظل الاتحاد الفيدرالي أو ما يسمى بالنظام الاتحادي الذي نص عليه دستور ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥، واللافت أن القوى الداخلية في العراق تتوزع على ثلاثة أطراف رئيسية هي الشيعة والسنة والأكراد، فالشيعة كانوا مع الأكراد قبل الاحتلال الأمريكي له يعانون الاضطهاد، أما الآن في ظل الإدارة الأمريكية المحتلة فهم من أبرز المنتفعين من سقوط نظام صدام حسين، كما أن السنة أصبحوا من أكثر المتضررين من هذا الاحتلال فهم قد خسروا السلطة التي كانوا يتمتعون بها في ظلال حكم البعث السابق، وازدادت مشكلة السنة بسبب عدم انخراطهم في العملية السياسية التي أعقبت الاحتلال وإصرارهم على مقاومة المحتل الغاصب، بينما نجد الأكراد حاليا هم العنوان الأبرز في صورة العراق الجديد عبر الوصفة والطبيعة الفيدرالية التي وفرها لهم «دستور ٢٠٠٥» التي اقترب فيها الأكراد من أعتاب إقامة دولة كردية مستقلة لهم، وفي هذا الإطار يرى البعض أن هذا الدستور الدائم الذي وضع في حضن الاحتلال الأمريكي يعتبر هو جوهر مخطط تقسيم العراق حيث كلفت الإدارة الأمريكية في «عهد جورج بوش»، «كنعان مكية» بصياغة هذا الدستور، وعينت «نوح فيلدمان» وهو يهودي أرثوذكسي أمريكي، مستشارا له في هذا الشأن، والهدف كما تقول الرؤية الأمريكية، هو حفظ حقوق الأقليات عبر تفكيك العراق الموحد إلى فيدراليات كردية وشيعية وسنية، حيث جاء في المادة الأولى من هذا الدستور «أن جمهورية العراق دولة مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي (برلماني) ديمقراطي اتحادي»، والسؤال الذي يطرحه الكثيرون: أي دولة مستقلة ذات سيادة في وجود الاحتلال الأمريكي، وانتهاك حقوق الإنسان العراقي الذي فقد أمنه وسيادته على أرضه؟ وأي سيادة مزعومة في ظل القواعد الأمريكية على أرض بلاد الرافدين؟ كما جاء أيضا في المادة ١١٢ من هذا الدستور: «يتكون النظام الاتحادي في جمهورية العراق، من عاصمة وأقاليم ومحافظات لا مركزية وإدارات محلية».

أربع لغات رسمية!!

ويعتقد بعض رجال القانون أن هذه المادة تكشف بوضوح النوايا الحقيقية لتقسيم العراق إلى أقاليم ومحافظات لا مركزية لها

صلاحيات وسلطات مستقلة عن الحكومة المركزية التى تتولى وظائف محددة، أهمها تأمين حدود الدولة ووضع السياسة الخارجية وإرسال البعثات الدبلوماسية والتوزيع العادل للعائدات النفطية على مكونات الشعب العراقى، وفى هذا السياق جاء فى المادة الرابعة من دستور ٢٠٠٥ أيضا فى بنودها: أولا، وثالثا، ورابعا، أن اللغة العربية والكردية تعتبران لغتين رسميتين، وأن اللغة التركمانية، واللغة السريانية تعتبران لغتين رسميتين أخريين فى الوحدات الإدارية التى يشكلون فيها «أى التركمان والسريان» كثافة سكانية. وهنا يعلق البعض على هذه المادة بنودها المشار إليها فيذهب إلى أن تعدد هذه اللغات بهذه الصورة التى يكفلها الدستور ربما تفقد الشعب العراقى بكل مكوناته هويته العَربية، وعلى رأسها اللغة العربية أداة توحيد بلاد الرافدين، خاصة أن هذه اللغة ظلت منذ مدة طويلة من الزمن يتحدث بها سكان هذا البلد العريق ويكتبون.

وإذا عدنا إلى القرار الأمريكى بشأن تقسيم العراق الذى أصدره مجلس الشيوخ الأمريكى، والذى أشرنا إليه فى السطور الأولى من هذا المقال، نجد أنه يتكون من فقرتين:

الأولى: تتحدث عن نتائج تحقيقات الكونجرس فى شأن أوضاع العراق.

والثانية: تتناول أربعة أمور رئيسية:

الأول يتعلق بدعوة الولايات المتحدة الأمريكية دعم تسوية سياسية بين القوى العراقية الرئيسية على أساس مواد الدستور العراقى التى تنص على «نظام فيدرالى» للحكم يسمح بتشكيل «مناطق فيدرالية».

والثانى دعوة المجتمع الدولى بما فى ذلك الدول التى لديها قوات فى العراق والدول الخمس ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن الدولى، والدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى إلى مساندة العراق وأن يتعهد جيران العراق بعدم التدخل فى شئونه الداخلية أو العمل على زعزعة استقراره والدعوة إلى مؤتمر للعراقيين بهدف التوصل إلى اتفاق على تسوية سياسية شاملة تقوم على أساس «تشكيل مناطق فيدرالية» فى إطار عراق موحد.

والثالث على الولايات المتحدة أن تحث حكومة العراق على الموافقة العاجلة على قانون يضمن التوزيع العادل لعائدات النفط.

والرابع أن من شأن تنفيذ الأمور الثلاثة السابقة أن تؤدى إلى عراق مستقر وخال من الإرهابيين ولا يهدد جيرانه.

تقسيم عن طريق نظام اتحادى!!

وفى سياق القرار الأمريكى لتقسيم العراق تحدث السيناتور «جوزيف بايدن» رئيس مجلس العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى وصاحب مشروع التقسيم حول التعديل غير الملزم المتعلق بالنظام الاتحادى «الفيدرالى» فى معرض الدفاع عن هذا المشروع فى مقال له بجريدة الحياة فى ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٧ تحت عنوان: «تقسيم العراق شىء والنظام الاتحادى شىء آخر» فقال: «هذا التعديل ليس محاولة لتقسيم العراق الذى تتمتع فيه حكومات المحافظات والأقاليم بسلطة اتخاذ القرار وهو يمكنها من تحسين الأمن والخدمات على المستوى المحلى، على أن تكون الحكومة المركزية مسئولة عن وظائف الدولة الرئيسية كحماية حدود العراق والسيطرة على التوزيع العادل لعائدات النفط» واستشهد «بايدن» بدولة الإمارات العربية المتحدة باعتبارها النموذج الناجح للدولة الاتحادية، متناسيا أن كل إمارة كانت دولة موحدة ثم اتحدت فيما بينها فى دولة واحدة بعكس العراق الموحد الذى يزمع تجزئته إلى دويلات، وقد زعم أنه يعارض بشدة تقسيم العراق فيقول: «إن هذا التعديل ليس فرضا أجنبيا فالعراقيون فى دستورهم اتخذوا قرارهم بالفعل تأييدا للنظام الاتحادى وليس التقسيم ففى استفتاء شعبى فى أكتوبر ٢٠٠٥ خرج حوالى ٨٠٪ من الشعب العراقى للإدلاء بأصواتهم تأييدا لهذا الدستور»، كما زعم «بايدن» أن قرار مجلس الشيوخ الأمريكى صدر من أجل الدفاع عن سيادة العراق فيقول: «إن التعديل يدافع عن سيادة العراق الوطنية، وأن الحكومة العراقية أو الشعب العراقى لا يجبر على عمل شىء» ويختتم «بايدن» حديثه موضحا الهدف من مشروعه لتقسيم العراق فيقول «إن هدفنا المشترك هو إنهاء دورة العنف والمعاناة وعدم الاستقرار التى يشهدها العراق» ويتساءل الكثيرون هل تستطيع القوات الأمريكية الموجودة فى العراق إنهاء دورة العنف وعدم الاستقرار التى يشهدها العراق، والذى أسهم الاحتلال فى خلقه وإيجاده؟ هكذا ينافق ويغالط السيناتور الأمريكى «جوزيف بايدن» صاحب مشروع تقسيم العراق حينما يقول «إن هذا التعديل ليس فرضا أجنبيا وأن التعديل يدافع عن سيادة العراق وأن الشعب العراقى لا يجبر على شىء وأنه يعارض بشدة تقسيم العراق» إنها أربع مغالطات يزعم «بايدن» فى ثلاثة منها أن قرار مجلس الشيوخ يستطيع تحقيقها أما الرابعة وهى أن «الشعب العراقى لا يجبر على شىء» فهل يمكن لهذا الشعب المغلوب على أمره فى ظل الاحتلال الأمريكى البغيض وجبروته وسطوته العسكرية أن يقول لا؟

نعم يستطيع الشعب العراقى أن يقول لا للتقسيم لأنه يملك الإرادة الحرة داخله ولن يتمكن المحتل الغاصب أن يفرض على الشعب العراقى قرارا على غير إرادته الصلبة لأن المحتل زائل والعراق بأبنائه الأحرار باق مهما طال أمد الاحتلال بجبروته.

انتهاك السيادة العراقية

وثمة تساؤلات عدة تطرح نفسها فى هذا الصدد: أليس هذا القرار الأمريكى يعتبر تدخلا فى الشأن العراقى؟ وأليس هذا القرار

الذى يدعو إلى تقسيم العراق الموحد انتهاكا للسيادة العراقية؟ وكيف يصدر من لا يملك قرارا يريد فرضه على بلد آخر يملك إرادته الحرة؟ ويتساءل البعض كيف يمكن لمجلس الشيوخ الأمريكي بقرار يصدره أن يدافع عن سيادة العراق وقوات بلاده تحتل أرضه بالقوة الباطشة؟ ويكفى أن استشهد بما ذكره المفكر السعودى «عيد بن مسعود الجهنى» فى مقاله بجريدة الحياة فى الثالث من نوفمبر ٢٠٠٧. تحت عنوان: «رسالة إلى شيخ أمريكي: العراق ليس ولاية أمريكية» عندما قال «إذا كان الاتحاد الفيدرالي، هو الأكثر تطبيقا فى العمل حيث توزع مظاهر السيادة الداخلية «التشريع والتنفيذ والقضاء» بين الحكومة المركزية وبين الدول الأعضاء فإنه لا يمكن أن ينقل السيد «بايدن» نظام بلاده فى أسلوب الحكم، كما هو فى دولة أخرى «العراق» ليقطع أوصالها إلى أشلاء أحدها للسنة والآخر للشيعة والثالث للأكراد».

ومن جهة أخرى يذهب الدكتور «حميد الراوى» أستاذ العلوم السياسية فى جامعة بغداد إلى استبعاد إمكانية تنفيذ المشروع الأمريكي لتقسيم العراق إلى فيدراليات ثلاث فى ظل الظروف الحالية مبررا ذلك باعتزاز العراقيين بعراقيتهم وإصرارهم على الدفاع عن كياتهم العراقى، كما انتقد عدد من أعضاء مجلس النواب العراقى المؤتمر الذى انعقد فى ١٤ أبريل ٢٠٠٧ فى بغداد، حيث كان موضوعه الرئيسى هو التوصل إلى إعلان ما يسمى «القيادة المؤقتة لإقليم الجنوب» التى تضم ثلاث محافظات هى البصرة وذى قار وميسان مؤكدين اتفاق غالبية الكتل السياسية فى البرلمان على التريث فى مسألة إقرار الأقاليم «الفيدرالية»، وفى هذا الشأن أيضا قال النائب «على الأديب» عن كتلة الائتلاف العراقى الموحد «الشيعى» «لا يمكن القيام بتلك الخطوة حاليا إذ أن الوضع الأمنى متأزم والأجواء السياسية مشحونة ومشروع الفيدرالية لا يمكن إعلانه إلا بتوافق المكونات السياسية الحكومية والبرلمانية»، وقد أكد النائب «صباح الساعدى» عن الكتلة الصدرية أن التيار الصدرى يرفض مشاريع الأقاليم والفيدرالية واعتبرها وسيلة لتقسيم العراق، ورأى النائب حسين الفلوجى، من جبهة التوافق السنية أن من السابق لأوانه إعلان تشكيل الأقاليم وتسمية القيادات المؤقتة لها، وقال «إن اللجان المشرفة على مراجعة وإعادة صياغة بعض فقرات الدستور ومن بينها «قانون الأقاليم» فى البلاد لم تنه أعمالها بعد وعليه لا يمكن البت فى تلك المشاريع الخطرة».

مشروع أمريكى صهيونى

وفى الختام يمكن القول إن مخطط تقسيم العراق هو مشروع أمريكي صهيونى تبناه «جماعة المحافظين الجدد» يتجاوز العراق إلى ما عداه من دول المنطقة لتمزيقها وقطع أوصالها من أجل إعادة بناء شرق أوسط أمريكى جديد يكون لإسرائيل الدور المهيمن على شئونه وللولايات المتحدة الأمريكية السيطرة على نفطه.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى
أ/ عبدالموجود أمين

الشارع الإسرائيلى يرفض «أنابوليس»!!

نشرت جريدة الوطن الكويتية الصادرة فى ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧ تقريرا يحلل موقف الشارع الإسرائيلى من مفاوضات «أنا بوليس» نقلا عن عدد من الصحف الإسرائيلية:

أكد المحلل السياسى الإسرائيلى عوزى بنزيمان فى صحيفة «هآرتس» العبرية، أن رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت يتوجه إلى لقاء أنابوليس مكبل اليدين.

وأوضح «أن أولمرت إذا ما شذ عن الإملاءات التى وضعها له الوزيران أفيغدور ليبرمان وايلى يشاى فإنه سيفقد الغالبية الائتلافية، خاصة أن الكنيست الإسرائيلى (البرلمان) لا يقدم الدعم له فى سعيه لكسر الوضع القائم فى العلاقات مع الفلسطينيين».

وأضاف بنزيمان: «أن أولمرت إذا لم يتقيد بالوضع السياسى الداخلى فإنه قد يفقد منصبه، مطالباً ممثلى الدول العربية فى هذا المؤتمر أن لا يتعاملوا بشكل جاف مع الوفد الإسرائيلى زاعما فى ذات الوقت أن لقاء حارا ومصافحات من شأنها أن تساهم فى تغيير الانطباع السائد فى الشارع الإسرائيلى، الذى يؤيد استئناف العملية التفاوضية ولكنه يرفض استحقاقات السلام والحل الدائم».

بدورها، أكدت محللة الشئون الحزبية سيما كدمون بصحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية، أن أولمرت يتوجه إلى أنابوليس وحيدا، لأن الحلبة السياسية تتحفظ من نهجه وتشكك فى دوافعه، فضلا عن أن الجمهور فى إسرائيل يشك فى نتائج اللقاء والأجهزة الاستخباراتية والأمنية تحذر من انعكاسات محاولاته لاستئناف العملية التفاوضية. وترى أنه ولكى يعود أولمرت مكللا بإكليل الغار، فإنه يحتاج إلى شريك فلسطينى قادر على التنفيذ.

وفى سياق آخر قال الحاخام «ادمور مستيفورا» من كبار حاخامات المتدينين اليهود بأن الهزتين الأرضيتين اللتين وقعتا قبل

عدة أيام فى «إسرائيل» هما بمثابة تحذير «إلهى» لرئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت لكى لا يتنازل عن أرض «إسرائيل» فى مؤتمر «أنابوليس» على حد قوله.

أما الحاخام «يعكوف غليو برمان» فقد قال لصحيفة «يدعوت أحرونوت» العبرية: إن أرض «إسرائيل» منحها الله للشعب اليهودى ولا يحق لأى شخص أن يتنازل عن أى جزء منها».

السباحة فى الفراغ

وفى جريدة العالم اليوم الصادرة فى ٢٧/١١/٢٠٠٧ كتب الأستاذ فاروق جويدة يقول:

طبقاً للأجندة التى فرضتها وقررتها الإدارة الأمريكية سوف يذهب العرب جميع العرب إلى احتفالية السلام فى أنابوليس.. لن يحصل العرب على شىء على الإطلاق حتى ولو كانت مجرد وعود حتى يذهبوا إلى المؤتمر على مستوى وزارى.. سوف يجلس العرب جميع العرب الآن وجها لوجه أمام إسرائيل دون أن تقدم إسرائيل لهم مجرد ورقة بيضاء يمكن أن تكتب فيها بعض السطور.. ولاشك أن المؤتمر انتصار لإسرائيل أن تصل إلى هذه الدرجة من القوة بحيث يذهب العرب جميعا إلى المؤتمر دون أن يحصلوا على شىء.. إن القرار هنا لم يكن قرارا عربيا بل هو قرار أمريكى من الدرجة الأولى، والدليل أن هناك أطرافا عربية كانت ترفض مجرد التفكير فى المشاركة فى هذا الاجتماع ولكن الجميع قرر فى اللحظات الأخيرة الذهاب إلى أنابوليس.. كان من الممكن أن يكون الاجتماع مقصورا على الفلسطينيين والإسرائيليين حتى تبقى هناك ورقة أخيرة فى يد العرب ولكن هذا الاجتماع أجهض كل ما بقى من الأوراق.. لا يمكن أن يقال إن التطبيع مرحلة لاحقة وسوف يرد على ذلك.. وماذا يعنى ذهاب الوزراء العرب إلى هذا الاجتماع.

إن الإدارة الأمريكية تحاول أن تقدم لإسرائيل أفضل النتائج حتى ولو كان ذلك على حساب كل المصالح العربية.. إذا فشل المؤتمر يكفى أن إسرائيل كسرت دائرة الحصار العربى ورفض التفاوض مع الإسرائيليين، وهذا وحده نجاح لإسرائيل، سوف يقول البعض إن إسرائيل لم تعد فى حاجة إلى اعتراف عربى لأن هذا لن يضيف لها شيئا، والواقع أن إسرائيل تحتاج لهذا الاعتراف وهو نصر لها.. إن إسرائيل لا تتفاوض الآن مع الفلسطينيين ولكنها تتفاوض مع العالم العربى كله لقد استطاعت أن تجمع هذا الشتات أمامها فى ضربة سياسية واحدة.. والغريب أن يتم هذا المؤتمر برعاية الرئيس بوش الذى لم يبق له فى السلطة إلا شهور قليلة وهذا يعنى أنه سيترك الملف كاملا لمن سيجىء بعده وهذا يعنى أن ينتظر العرب مؤتمراً آخر مع الرئيس الأمريكى القادم، كما أن أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلى يعانى ظروفا صحية وسياسية قد تطيح به فى أية لحظة، هذا بجانب أن العرب يتفاوضون رغم عدم وجود طرف فلسطينى أساسى وهو حماس وهذا يعنى أن الجميع يسبح فى الفراغ.

لا جدوى من فرض الحلول

وفى «رأى الأهرام» الصادر فى ٢٦/١١/٢٠٠٧ كتب المحرر متناولا عملية السلام وكيفية فرض الحلول قال:

لن تتحقق عملية السلام فى الشرق الأوسط بفرض حل على إسرائيل أو على غيرها من الجانب العربى. لذلك لا مجال هنا لرفض وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس فرض حل على إسرائيل قائلة إنه خط أحمر. فالجانب العربى لا يطالب بفرض حل على تل أبيب مثلما لا يريد فرض حل على الفلسطينيين أو السوريين أو اللبنانيين.

إنما المطلوب هو التوصل إلى حل عادل وشامل يرضى كل الأطراف ولا يتسبب فى العودة إلى الحرب أو التنصل منه من جانب أى طرف عندما تصبح الظروف فى صالحه.

نريد تحقيق -وليس فرض- حل يحقق للفلسطينيين قيام دولتهم المستقلة ذات السيادة عاصمتها القدس الشرقية وقابلة للحياة مثل أية دولة فى العالم. نريد انسحاب إسرائيل من هضبة الجولان السورية ومزارع «شبعا» اللبنانية.. ونريد حدودا دائمة ومحددة وآمنة لإسرائيل، لأن ذلك ليس فى مصلحتها فقط وإنما هو أيضا فى مصلحة الدول العربية المجاورة حتى لا يعتدى أى طرف على أراضى الطرف الآخر فى المستقبل.

لم يذكر لنا التاريخ حالة واحدة عن نزاع تم فرض حله على طرف فرضا ونجح هذا الحل أو تحقق السلام واستمر.. إنما كان الطرف المغلوب والذى تعرضت حقوقه لإجحاف يتنصل من الاتفاق عند أول فرصة تسنح له بتغيير موازين القوة لصالحه.

وهذا أمر غير مرغوب فيه لأن منطقة الشرق الأوسط عانت بما فيه الكفاية على مدى سنوات طويلة من الحرب وعدم الاستقرار ولا تحتمل اتفاقا ظالما لهذا الطرف أو ذاك لأنه سينهار بسرعة وتعود دوامة العنف وسفك الدماء.

فهل تعى قيادات إسرائيل حقائق التاريخ وتدخل فى مفاوضات مع الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين بنية خالصة للتوصل إلى اتفاقيات سلام نهائية وعادلة تحقق له العيش فى سلام وحدود آمنة وتحقق للفلسطينيين هدفهم الذى بذلوا من أجله أرواحهم وهو إنهاء الاحتلال وقيام دولتهم داخل حدود ١٩٦٧ وعاصمتها القدس الشريف؟.. هل يتفاوضون بجدية هذه المرة مع السوريين واللبنانيين للحصول منهم على السلام واعترافهم بدولة إسرائيل مقابل الانسحاب الكامل من الجولان ومزارع شبعا وفق ترتيبات وضمانات أمنية لحماية الأمن والمصالح الإسرائيلية؟

هل آن الأوان ليدرك الإسرائيليون ومن يدعمونهم فى الولايات المتحدة أن الجانب العربى لن يفرط فى حقوقه ولن ينسى أراضيه المحتلة وسيظل يقاتل من أجل إجلاء إسرائيل عنها حتى لو احتاج الأمر لخمسين سنة أخرى؟.. ألم يكف برهانا للمتشددين فى إسرائيل ما سقط من مواطنيها قتلى وجرحى فى كل أعمال العنف والعمليات المسلحة التى

شنها الفلسطينيون ولو بأسلحة بدائية على أهداف إسرائيلية وكذلك صواريخ حزب الله اللبنانى على الشمال الإسرائيلى؟.. ألا يدركوا أنه مهما يكن الطرف المقاوم ضعيفا من حيث التسليح، إلا أنه قوى بالإرادة والعزم على استعادة الحقوق المغتصبة بأية وسيلة وسيظل قادرا على إلحاق الخسائر بمن يغتصب حقوقه مهما يكن أقوى منه وأشد تسليحا؟

هل حان وقت السلام العادل أم أن الجانب الإسرائيلى مازال يصر على سلام بشروطه هو مهما تكن غير عادلة وغير منطقية؟!!

أسلحة أولمرت.. فى أنابوليس

وتحت هذا العنوان جاء رأى «الجمهورية» حيث كتب المحرر:

تعمدت الحكومة الإسرائيلية دخول مؤتمر «أنابوليس» الأمريكى ـ مسلحة بشرط جديد أعلنه رئيسها أولمرت أمس وهو اعتراف العرب والفلسطينيين بإسرائيل «دولة يهودية» بما يعنيه ذلك من اعتراف بعنصرية الدولة ونبذ غير اليهود من أصحاب الأرض الشرعيين، فلايقيمون فيها أو يعودون إليها، فى إنكار صارخ لحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة لديارهم وممتلكاتهم.

تسلحت حكومة أولمرت أيضا بقرار من الكنيست يحظر على الحكومة الانسحاب من أى جزء بالقدس المحتلة إلا بتصديق ثلثى أعضاء الكنيست، فى تعمد واضح لإعاقة الجهود المبذولة لإخراج وثيقة فلسطينية إسرائيلية مشتركة تكون أرضية وسقفا أيضا لمؤتمر «أنابوليس».

إن إسرائيل تريد انتزاع تنازلات أكثر من العرب والفلسطينيين الذين تتصورهم يلهثون وراء التفاوض أو تستهويهم الوعود الأمريكية بانتزاع تنازلات مقابلة من إسرائيل تعبر طريق السلام مع دولة يهودية يحتفظ غلاة العنصريين فيها بمفتاح القدس الشريف!!

أمريكا تعترف بالفشل فى أفغانستان!!

تحت هذا العنوان جاء التقرير المنشور فى جريدة «الوفد» بعددها الصادر فى ٢٦/١١/٢٠٠٧:

خلص البيت الأبيض فى تقرير سرى إلى أن جهود الحرب فى أفغانستان لم تلب الأهداف الاستراتيجية التى تم وضعها هذا العام.

ذكرت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية أمس، نقلا عن مسئولين أمريكيين، أن التقرير تم إعداده فى وقت سابق من هذا الشهر من جانب مجلس الأمن القومى الأمريكى.

ذكر التقرير أن الاستنتاج الرئيسى للإدارة الأمريكية هو أنه على الرغم من تحقيق نجاحات فى بعض المعارك العسكرية ضد حركة طالبان، غير أن المناطق الأخرى من أفغانستان مازالت بحاجة إلى مزيد من الجهود العسكرية الدولية.. نقلت الصحيفة عن مسئول فى المخابرات الأمريكية قوله إن هناك العديد من المؤشرات الإيجابية فى أفغانستان، لكنه أضاف أن المقاتلين الأفغان يبدو أنهم لا يعانون من

صعوبات كثيرة فى إيجاد بدائل للتعامل مع القوات الأجنبية، مشيرا إلى أن الأوضاع فى أفغانستان تبدو مرضية من وجهة نظر طالبان.

من جانبها نسبت صحيفة «صنداى تلجراف» البريطانية لقادة أركان بريطانيين سابقين قولهم إن القوات البريطانية تواجه خسارة ميدانية محتملة فى أفغانستان بسبب استمرار الحكومة البريطانية فى عدم توفير التمويل الكافى لها.

قال الجنرال لورد جوثرى كريجيبانك الذى كان قائدا للجيش البريطانى عام ٢٠٠١ إن تصور الفشل الميدانى والتكتيكى فى أفغانستان لم يعد أمرا مستحيلا، محذرا من أن الجيش البريطانى على حافة الانهيار وقد يخسر معركته فى أفغانستان.

حركة صهيونية توجه الشكر للفلسطينيين لحمايتهم المقدسات اليهودية!!

فى «عقيدتى» بعددها الصادر فى ٢٠/١١/٢٠٠٧ جاء هذا التناقض العجيب:

عبرت حركة متدينى برسلاف اليهودية عن سعادتها بسبب قيام الفلسطينيين بالاهتمام بقبر النبى يوسف بنابلس وهى إحدى المدن التى تسيطر عليها السلطة الفلسطينية وقالت صحيفة معاريف فى سياق تقرير عن وضع ما يسمى بالمقدسات اليهودية الموجودة تحت الولاية العربية والإسلامية إن العرب والمسلمين يولون عناية كبرى بالمقدسات اليهودية.

على جانب آخر قالت صحيفة يديعوت أحرونوت أن مؤسسى حركة برسلاف اليهودية عبروا عن شكرهم الشديد للفلسطينيين على رعايتهم لقبر النبى يوسف رغم الانتقادات الموسعة التى شنتها ضدهم حركات يهودية قالت إن الفلسطينيين لا يولون القبر المقدس الاهتمام المناسب.

يأتى ذلك الحفاظ الفلسطينى على المقدسات اليهودية فى الوقت الذى تؤكد فيه الأخبار الواردة من فلسطين المحتلة أن السلطات الصهيونية قد صعدت من حدة هجومها على المقدسات الإسلامية فى فلسطين حتى إن الكنيست الإسرائيلى يدرس حالياً مشروع قانون يلزم الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية كشرط لبدء المفاوضات السلمية وهو الاعتراف الذى يعنى فى حالة حدوثه الاعتراف بكل المقدسات الإسلامية التى تم تهويدها على أنها يهودية صرفة وتشير قائمة أعدتها المؤسسة العربية لحقوق الإنسان إلى أن أكثر من ٢٥٠ مسجداً فى فلسطين المحتلة قد تم تهويدها بالكامل بالإضافة إلى المساجد التى سيطرت إسرائيل على جزء من مساحاتها بفضل سور الفصل العنصرى الذى فصل أحد المساجد ولم يبق منه للفلسطينيين سوى مراحيضه أما بقية المسجد فقد ضمته إسرائيل إلى حدودها وراء الجدار ومسجد آخر خربته إسرائيل ولم تبق منه للفلسطينيين إلا مئذنته التى أصبحت تقف وحيدة كأنها تقول: كان هنا يوماً ما مسجد.

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تأثير الغنى والفقر في الأخلاق

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عامله على العراق أبي موسى الأشعرى يقول له: لا تستقضين إلا ذا حسب ومال، فإن ذا الحسب يخاف العواقب، وذا المال لا يرغب في مال غيره.

نقول: هذا كلام حق، فإن صاحب الحسب - والحسب كل ما يحصله الإنسان لنفسه من الشرف - يغار على كرامته، ويحرص على سمعته، فلا يرتكب ما يحط من شأنه في نظر الناس، ويقدح في مروءته عندهم. وصاحب المال جدير أن يعف عما في أيدى الناس، فلا يشيب حكمه بالرشا، ولا يضطهد الناس ليضطرهم إلى مرضاته بأموالهم. وهذه من الحكم العمرية التى امتاز بها الفاروق رضى الله عنه.

ورُوى عن بعض سلفنا الصالح قوله: إنى وجدت خير الدنيا والآخرة في التقى والغنى، وشر الدنيا والآخرة في الفجور والفقر.

وقال بعض الشعراء:

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

وهذا كلام عليه عبقة من الحكمة، فإن الغنى أجدر أن يؤدى إلى مكارم الأخلاق، ولكن الفقر قد يؤدى إلى ارتكاب المعاصى.

من محاسن الحكم

قال شاعر حكيم:

ما استقامت قناة رأيى إلا
بعد أن عوج المشيب قناتى

وقال الأشعث بن قيس يوماً لقومه:

«إنما أنا رجل منكم، ليس لى فضل عليكم، لكننى أبسط لكم وجهى، وأبذل لكم مالى، وأقضى حقوقكم، وأحوط حريمكم، فمن فعل مثل فعلى، فهو مثلى، ومن زاد علىّ فهو خير منى».

العالم النصوح

ورد في القول المأثور:

لا تجلسوا عند كل عالم، إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس:

من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة.

الموصلى

كان محمد بن دانيال بن يوسف الطبيب صاحب نثر رقيق وشعر طريف، وكان يعتمد على النكات في شعره، فيجيء مروحا للنفوس. من شعره:

أصبحت أفقر من يروح ويغتدى
ما في يدى من فاقة الأيدى
في منزل لم يحو غيرى قاعدا
فإذا رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لأم المهتدى
ملقى على طراحة في حشوها
قمل كمثل السمسم المتبدد
والفار يركض كالخيول تسابقت
من كل جرداء الأديم وأجرد

من كلام رابعة

رأت رابعة العدوية قوما يذمون الدنيا في مجلسها، فصاحت بهم، اسكتوا عن ذم الدنيا فلولا موقعها في نفوسكم ما أكثرتم ذكرها، فمن أحب شيئا أكثر من حديثه.

وقال الثورى لرابعة: لكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانك، فقالت: ما عبدت الله خوفا من الله فأكون كالأمة السوء إن خافت عملت، ولا حبا في الجنة فأكون كالأمة السوء إن أعطيت عملت ولكننى أعبده حبا له، وشوقا إليه!

التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون إلى تفضيل المنطق: إنما بعثت الأنبياء متكلمين، ولم يبعثوا صامتين. وبالكلام وصف فضل الصمت، ولم يوصف القول بالصمت. وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر. والبيان من الكلام هو الذى منّ الله به على عباده، فقال:

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الرحمن: ٣، ٤)

والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاص لفاعله.

قالوا: وأعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم: الكلام في الخير كله أفضل من الصمت، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام.

قال عبد الله بن المبارك يرثي الإمام مالك بن أنس – رضي الله عنه:

صموت إذا ما الصمت زين أهله
وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة
ونيطت له الآداب باللحم والدم

وقال عمر بن الخطاب: ترك الحركة غفلة.

وقال بكر بن عبد الله المزني: الصمت خرسة.

وقالوا: الصمت نوم والكلام يقظة. وقالوا: ما شيء ثني إلا قصر، إلا الكلام فإنه كلما ثني طال.

مناهجنا

أرى شعبا تخير ناشئوه
فما يجدون من عمل قواما
مدارس لم تهيئهم لكسب
ولم تبن الحياة ولا النظاما

شوقي

مما قيل في الرأي والهوى

قال بعض الحكماء: فضل ما بين الرأي والهوى، أن الهوى يخص والرأي يعم، وأن الهوى في خير العاجل، والرأي في خير الآجل، والرأي يبقى على طول الزمان، والهوى سريع الدثور والاضمحلال، والهوى في حيز الحس، والرأي في حيز العقل.

وأوصى بعض الحكماء رجلا فقال: آمرك بمعاهدة هواك، فإنه يقال: إن الهوى مفتاح السيئات، وخصيم الحسنات، وكل أهوائك لك عدو، وأهواها هوى يكتمك في نفسه، وأعداها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن، وصدق لا يطمع فيه تكذيب، ومضاء لا يقاربه التثبيط، وصبر لا يغتاله جزع، ونية لا يتقسمها التضييع.

وقد قيل: ما أبين الخير والشر في مرآة العقل ما لم يصدئها الهوى! وقيل أيضا: من جرى مع هواه طلقا، جعل عليه للذل طرقا.

مفاخر العرب

قال خاتمة أدباء الأندلس لسان الدين بن الخطيب: العرب لم تفتخر قط بذهب يجمع، ولا ذخر يرفع، ولا قصر يبنى، ولا غرس يجنى، إنما فخرها عدو يغلب، وثناء يجلب، وجزر

تنحر، وحديث يذكر، وجود على الفاقة، وسماحة بقدر الطاقة، فلقد ذهب الذهب، وفني النسب، وتمزقت الأثواب، وهلكت الخيل العراب، وكل الذي فوق التراب تراب. وبقيت المحاسن تروى وتنقل، والأعراض تجلى وتصقل.

تصويب

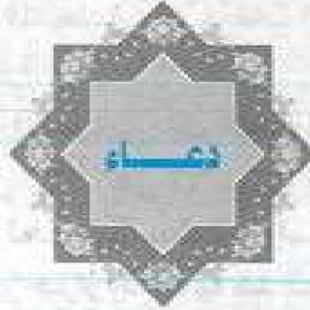
في باب «طرائف.. ومواقف» تحت فقرة «سعة الصدر» المنشورة في عدد ذي القعدة ١٤٢٨هـ في صفحة ١٦٠٠ جاء: أنه عندما تولى الحسن المدينة أتاه أبو عاصم الأسلمي متنكرا في زي الأعراب وأنشده قوله:

ستأتي مدحتي الحسن بن زيد
وتشهد لي بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو حسن تعاديها الدهور
قبور لو بأحمد أو علي
يلوذ مجيرها حمى المجير
هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير

فسقط سهوا من الفقرة المنشورة البيت:

قبور لو بأحمد أو علي
يلوذ مجيرها حمى المجير

لذا لزم التنويه



«اللهم إني أسألك أن تغفر لي ما مضى من ذنوبي وتستر عيوبي، وأن تعصمني فيما بقي من عمري».

***

قـراءة فى كتـاب

الكفاح العربى الإسلامى ضد الاستعمار

للأستاذ / عادل خفاجة

إن كل من يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، يجد لزاماً عليه أن يعمل من أجل إعادة فلسطين والمقدسات الإسلامية العزيزة التى ترزح تحت نير الاحتلال الصهيونى فى فلسطين.

وإن النصوص القرآنية والنبوية التى تثبت الحق الإسلامى فى فلسطين ستظل دائماً هى الأساس الداعى إلى استنهاض هذه الأمة من أجل تحرير كامل الحق الفلسطينى واستعادة كافة المقدسات الإسلامية وإذا كان إعداد القوة وإحراز وسائلها هدف لا محيد عنه من أجل استعادة أى حق مسلوب، فإن التحلى بالدين هدف لا محيد عنه ـ أيضاً ـ من أجل استخدام هذه القوة لإحقاق الحق، وعلى هاتين الدعامتين تقوم كل دعوة صادقة وعلى هذا النهج يسير كل مصلح وكل وطنى ومن هؤلاء الوطنيين محمد صالح حرب الذى تدور فصول هذا الكتاب حول دوره الوطنى الإصلاحى.

هذا الكتاب «الكفاح العربى الإسلامى ضد الاستعمار ـ الدور الوطنى لمحمد صالح حرب» تأليف الدكتور أحمد حسن محمد الكنانى. صدر عن دار «عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية» للنشر والتوزيع فى طبعته الأولى فى أوائل عام ٢٠٠٧، يقع فى أربع وثمانين وثلاثمائة صفحة من القطع ١٧ × ٢٤سم وقد حظى الكتاب بتقديم الدكتور جمال محمود حجر أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، وعميد كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

ويتكون الكتاب من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول بالإضافة إلى ملاحق شملت العديد من الوثائق والصور النادرة.

من خلال الفصل الأول يتضح لنا أن: النشأة الدينية كان لها أثر كبير فى حياة محمد صالح حرب وأن الاتجاه الدينى كان المحرك الأول للدور الذى قام به وأن الاتجاه الوطنى كان المحرك الثانى لهذه الشخصية، وقد ذكر المؤلف بعض ما قام به محمد صالح حرب فى إطار إظهار دوره السياسى نثبت هنا بعضا منها:

١- إحباط مشروع انجلترا المسمى (كيب تاون / السلوم) ورفع العلم المصرى على السلوم، قبل استيلاء القوات الانجليزية عليها. ونجاحه فى الحفاظ على الأرض المصرية التى تمتد من السلوم إلى حدود السودان.

٢- نجاحه فى مساعدة السنوسيين حيث كانت مصر تمثل لهم باباً مفتوحاً تأتى منه الإمدادات التى تساعدهم على متابعة القتال ضد الإيطاليين، وقد نجح صالح حرب فى ذلك نجاحاً كبيراً من خلال اتصالاته ولقائه بالشريف السنوسى مما أكسبه ثقة الانجليز الذين كانوا يرغبون فى بقاء صداقتهم مع الشريف السنوسى.

٣- خداعه الانجليز والانضمام إلى جانب المعسكر السنوسى ـ برغم حرج موقفه بصفته حاكم عسكرى لمرسى مطروح فى تلك الفترة ـ إذ لم يتصور لحظة أن يحارب فى صفوف الانجليز ضد قوات مسلمة.

ويوضح المؤلف أن صالح حرب كان يهدف من ذلك إلى تأجيج حماس الضباط المصريين وقبائل أولاد على للانضمام إليه فكان له ما أراد، وانضموا إلى جانب القوات السنوسية ضد الانجليز، وذلك على أمل أن تؤدى تلك الثورة إلى



ثورة أشمل يقوم بها المصريون للتخلص من الانجليز، وفى إطار ذلك قاد صالح حرب عدة معارك ناجحة بمهارة واقتدار.

صالح حرب نائباً

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف الفترة النيابية لصالح حرب حيث استطاع صالح حرب أن يمثل الصفوة العسكرية فى مجلس النواب خير تمثيل، فلم يكن الأمر من جانبه مجرد تمثيل لدائرة من الدوائر فى مصر، وهى أسوان، وإنما نظر إلى المجلس نظرته إلى ساحة يقاتل فيها بالكلمة والرأى وتجلى ذلك فى حرصه الشديد على حضور كل الجلسات، إذ كان يتميز بالنشاط والحيوية

والحماس للقضايا الوطنية المختلفة، ولم تسجل محاضر جلسات المجلس تخلفه أن أية جلسة، وذلك لاقتناعه بمدى أهمية مناقشات المجلس، التى تحدد مصير الوطن فى كافة المجالات.

وداخل ساحة مجلس النواب، استطاع أن يقدم رؤية واضحة لاستقلال مصر، وهى رؤية كانت تهدف إلى الاستقلال سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

ولفت صالح حرب الأنظار إلى ضرورة أن تعمل الحكومة على وضع نظام ثابت يحول بين الوزارات المختلفة ونقل موظفيها المغضوب عليهم إلى أسوان، لأن ذلك يسىء إلى الأمة المصرية فى مجموعها.

ولم يغفل صالح حرب الأضرار التى لحقت بأهالى أسوان جراء السيول، ولهذا نادى بضرورة إنشاء مصرف لتلافى خطر هذه السيول. كما نبه إلى أهمية ربط أهالى المناطق النائية فى الواحات بالأهالى فى داخل البلاد، وذلك عن طريق خطوط السكك الحديدية.

صالح حرب وزيرًا للدفاع الوطنى

أما الفصل الثالث فيوضح المؤلف فيه أنه بتعيين صالح حرب وزيرًا للدفاع وقعت على كاهله مهمتان أساسيتان الأولى: تحديث الجيش المصرى، والثانية: مقاومة نفوذ البعثة العسكرية البريطانية فى الجيش.

ويذهب المؤلف إلى أن خطط تطوير الجيش وتحديثه لدى صالح حرب تعود جذورها إلى فترة نيابته البرلمانية (١٩٢٦ ـ ١٩٣٠) حيث نادى بالاهتمام بالجيش فى كافة المجالات من تسليح وتدريب وتطوير، إذ كان يدرك أن الاستقلال لن يكون متاحًا إلا ببناء جيش وطنى قوى.

وبهذه الرؤية الواضحة، بدأ صالح حرب مرحلة جديدة فى تحديث الجيش وتطويره، اعتمد فيها على العلم والإيمان، وتمثلت فى التنظيم الإدارى الحديث للجيش: أمكن عن طريقه حصر جميع الأعمال الهندسية والفنية فى جهة واحدة بدلا من تعدد جهات البحث والعرض وتضييع الوقت والجهد.

وفى إطار سعيه لتطوير الجيش وتحديثه تم إنشاء أول قوة ميكانيكية ضاربة متحركة فى الجيش المصرى.

ولأهمية سلاح الطيران فى الحرب الحديثة، تم بناء عنابر للطائرات وورش للصيانة، فضلا عن العناية بالطيارين وتوفير الوقود الخاص بهذا السلاح الحيوى.

وحسنًا فعل صالح حرب حين ركز على الجانب المعنوى والإيمانى فى حياة الجنود فرأى أن بث روح العزة الوطنية فى عنصرى الأمة (الجيش والشعب) هو حجر الأساس لبناء الأمة.

وعلى هذا، يمكن القول إن صالح حرب هو أول من اهتم اهتمامًا بالغًا بالروح الإيمانية والمعنوية للفرد فى الجيش والشعب، ومن هذا المنطلق جاء الحرص على أن يؤدى جميع الضباط والجنود المسلمين فريضة الصلاة يوم الجمعة فى المساجد القريبة من معسكراتهم، واختيار آيات قرآنية وأحاديث نبوية تعلق فى ثكنات الجنود،

واختيار آيات قرآنية لكل وحدة تتناسب مع ما تقوم به الوحدة من أعمال حربية لتكون شعارا لها فى رأس المكاتبات التى تصدر عنها، وكذلك اختيار آيات قرآنية أو أحاديث نبوية لكل سلاح، وفى هذا السياق جاء رفض صالح حرب لفكرة استبدال الملابس الدينية لأئمة الجيش حتى يؤدى الأئمة مهمتهم الأصلية فى الجيش.

وفى سياق دمج الشعب مع الجيش، جاء تدريب الطلاب فى المدارس الثانوية على حمل السلاح، ونشر الثقافة العسكرية بين أفراد الشعب عن طريق وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة حيث تم افتتاح أول إذاعة عسكرية بهدف تثقيف الشعب بالثقافة العسكرية وعرض بطولات الجنود فى سبيل الاستقلال.

وحدة وادى النيل

وفى الفصل الرابع يؤكد المؤلف على مقومات الزعامة التى كان يتمتع بها صالح حرب فيقول:

ويعد صالح حرب الشخصية الوطنية الوحيدة التى انعقد لها لواء زعامة الشباب والعمال بمختلف انتماءاتهم، كما كان فى الوقت نفسه مصدر ثقة لجميع الأحزاب والهيئات، وقد ظهر ذلك واضحا عندما اجتمعت كلمة شباب الأحزاب من الطلبة والعمال على تفويضه لجمع كلمة الزعماء السياسيين ولتوحيد الجهود من أجل قضية الجلاء ووحدة وادى النيل. ومن ناحية أخرى، حرص صالح حرب أن يوجه زعامته العمالية نحو توحيد جهود العمال فى مصر فى حزب واحد هو حزب العمال، وحل مشاكل العمال دون الالتجاء إلى الإضرابات التى كان يحرض عليها الشيوعيون، والتى كانت لا تتفق وأسلوب صالح حرب، وذلك بهدف أكبر هو توجيه الحركة العمالية نحو قضية الجلاء ووحدة وادى النيل. ورغم عدم انتماء صالح حرب للأحزاب، إلا أنه تجاوب مع جميع الأحزاب والزعماء الوطنيين على مختلف انتماءاتهم، باستثناء الشيوعيين الذين كانت عقيدتهم لا تتفق مع فكر صالح حرب الذى يغلب عليه الطابع الإسلامى.

وفى الوقت نفسه، كان صالح حرب حريصا على عدم الخروج على شرعية نظام الحكم واحترام أسسه، إذ كان كل فكره وحياته وجهاده مكرسا من أجل قضية أسمى هى قضية استقلال البلاد ووحدتها.

ويختتم المؤلف هذا الفصل بما آلت إليه الأحداث بالفعل، وهو ما توقعه صالح حرب إذ يقول: ورغم دعوة صالح حرب إلى وحدة وادى النيل، تلك الدعوة التى ظل يدعو إليها طوال حياته، إلا أن تعقد الموقف السياسى فى مصر نتيجة لأزمة مارس ١٩٥٤م من جهة، وتعقد الموقف فى السودان نتيجة لتصرفات بعض رجال الثورة الخاطئة من جهة أخرى، جعل صالح حرب على يقين من أن الأمل فى اتحاد السودان مع مصر ضعيف للغاية، وبخاصة بعد أن تفقد الموقف على الطبيعة فى السودان، بتكليف من رجال الثورة، وهو ما حدث بالفعل عام ١٩٥٦م.

صالح حرب وقضايا العالم الإسلامى

يوضح المؤلف فى الفصل الأخير مدى اهتمام صالح حرب بقضايا العالم الإسلامى ككل. فتكلم عن دعوته إلى وحدة الشعوب العربية.

كما تناول المؤلف اهتمام صالح حرب بالقضية الفلسطينية، وقضايا تونس والجزائر ومراكش وليبيا وإيران وتركيا وباكستان والسنغال ونيجيريا بالإضافة إلى اهتمامه بالأقليات الإسلامية فى آسيا وأوروبا وأمريكا.

وإذا كان صالح حرب قد أعطى اهتمامه لكل هذه القضايا الإسلامية إلا أنه - وبلاشك - قد أعطى اهتمامه الأكبر للقضية الفلسطينية، لذا خصها المؤلف بمزيد اهتمام وبسط فيها القول فتناولها من أربع نقاط هى:

١- جمعية الشبان المسلمين وحادث البراق سنة ١٩٢٩.

٢- جمعية الشبان المسلمين والثورة الفلسطينية ١٩٣٦ / ١٩٣٩.

٣- قضية فلسطين من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٨.

٤- القضية الفلسطينية من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٦ يقول المؤلف:

ولما كانت القضية الفلسطينية هى قضية المسلمين الأولى، كان من الطبيعى أن تكون محور نشاط صالح حرب، الذى يعد من أبرز الشخصيات المصرية والإسلامية فى تلك الفترة اهتماما بها، فقد أدرك مبكرا خطورة فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكان دوره يتركز فى الجانب العملى، وهو جانب الجهاد المسلح ضد الإنجليز واليهود، إذ كان على وعى بما يحاك لفلسطين قبل التقسيم من مخططات من قبل بريطانيا والولايات المتحدة والأمم المتحدة بهدف سلخها من العالم الإسلامى وتقديمها وطنا قوميا للصهيونية العالمية لتحقيق حلم اليهود بتكوين دولتهم فيها. والجهاد ضد اليهود فى فلسطين فى نظر صالح حرب كان يعنى خصومة تامة لهم فى كل ما يتعلق بالعلاقات الإنسانية.

وبصدور قرار تقسيم فلسطين، أوضح صالح حرب للأمة الإسلامية قاطبة أن النزاع مع الصهيونية لن يحسم إلا بسلاح الإيمان والدم والسيف، وهو ما عبر عنه خير تعبير عندما رفع المصحف فى يد والمسدس فى اليد الأخرى فى مؤتمر الأزهر الشهير عام ١٩٤٧.

لقد جاءت تحركات صالح حرب بعد قرار تقسيم فلسطين لتترجم ما آمن به، وهى التحركات التى كانت تهدف إلى إنقاذ فلسطين ودعوة شباب مصر والعالم الإسلامى للدفاع عن العروبة وإعداد الوسائل، وجمع التبرعات. وتوجت جهود صالح حرب فى الدعوة إلى التطوع لإنقاذ فلسطين وتدريب شباب العرب وتعبئتهم للمعركة المرتقبة مع اليهود فى فلسطين، إذ كان صالح حرب يمثل الرابط بين مختلف القوى الوطنية والإسلامية، وحلقة الوصل بين البنا وعزام ومفتى فلسطين فى مجال التطوع والتدريب وإرسال المتطوعين إلى فلسطين، وممثل مصر فى اللجنة العسكرية.

وإذا كانت دعوة صالح حرب إلى التطوع والتدريب والجهاد لإنقاذ فلسطين قد لاقت استجابة قوية فى البلاد العربية المتاخمة لليهود، فقد لاقت استجابة أيضاً فى بعض البلاد الإسلامية مثل تركيا وإيران. وكانت لصالح حرب رؤية واضحة فى حركة التطوع لإنقاذ فلسطين، فقد نادى بضرورة تدريب المتطوعين على تدابير واستعدادات خاصة لتدريبهم على حرب العصابات، وكان يرى أنه من العبث أن يُرسل المتطوعون بدون استعداد كاف لخوض المعركة، الأمر الذى كان له الأثر فى تشكيل ثلاث كتائب من المتطوعين لإنقاذ فلسطين.

لقد استمر دور جمعية الشبان المسلمين بقيادة صالح حرب حتى تم حل الهيئة العربية العليا بدخول القوات النظامية للجيوش العربية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ بعد إعلان قيام دولة إسرائيل.

بيد أن إسرائيل أصبحت حقيقة قائمة بعد نكبة ١٩٤٨م، فكان على صالح حرب أن ينبه ويحذر من الخطر القادم من حدود مصر الشرقية، وفى الوقت نفسه نادى بضرورة اتخاذ استراتيجية جديدة تهدف إلى العمل على تحرير فلسطين، وكان السبيل إلى ذلك فى رأيه هو التضامن العربى والإسلامى، ومن أجل ذلك كان يوجه النداءات إلى الملوك والرؤساء العرب لمواجهة الصهيونية، وينبههم إلى أن المعركة قادمة لا محالة وهو ما حدث بالفعل فى عام ١٩٦٧.

وظل صالح حرب يذكر المسلمين فى كل مناسبة بقضية اللاجئين، ويذكر العالم بأن اللاجئين لو كانوا يهوداً أو نصارى ما سكتت أوروبا، ولما تركوا اللاجئين سنين طويلة يلاقون الهوان.

وبعد.. فلقد أجاد الدكتور الكتانى حين قدم لنا صورة للعالم الإسلامى وقضاياه من خلال رجل كان الإيمان من أبرز سماته.

وهو فى ذات الوقت واحد من أبرز القيادات المصرية والإسلامية، أرق من أجل قضايا وطنه وأمته، رفع راية الجهاد والدفاع عن الحق فكان مرآة صادقة لهذه الأمة.

ويتضح من الكتاب الجهد الطيب الذى بذله المؤلف خلال سنوات طوال لاستكمال هذه الدراسة على هذه الصورة التى أعطت للكتاب تميزاً وتفرداً بين كل ما كتب عن محمد صالح حرب لتحظى المكتبة العربية بكتاب متميز عن قائد مؤمن قلما يجود الزمان بمثله.

ثم أما بعد.. فمنذ ستين عاماً أعلن صالح حرب فى مؤتمر الأزهر عام ١٩٤٧ أن النزاع مع الصهيونية لن يحسم إلا بسلاح الإيمان والدم والسيف.. ثم جاء عبد الناصر وأعلن أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.

ومازال العرب يسعون لتحقيق السلام بدون قوة تفرض احترام الآخر لهم أثناء المفاوضات من أجل السلام، غافلين عن قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقي الدين

لبيك اللهم لبيك

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

نداء يتردد صداه في جنبات العالم الإسلامي.. يردده قاصدو بيت الله الحرام بدءاً من خروجهم من بلادهم وحتى وصولهم الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

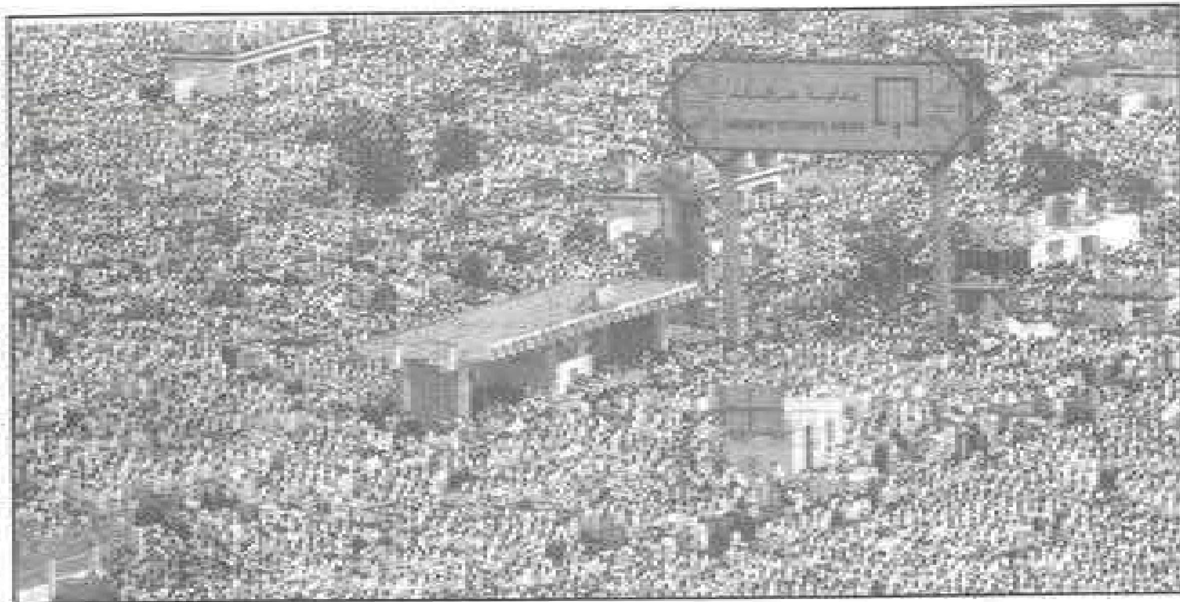
عدة ملايين خرجوا من شتى أرجاء الأرض لأداء الفريضة تاركين وراءهم أضعافاً مضاعفة يغبطونهم على ما من الله عليهم به من كرمه وفضله ويتمنون لو كانوا مكانهم.

الجموع تتجه صوب بلد الله الحرام لأداء شعيرة الحج نداؤهم واحد.. «لبيك اللهم لبيك» ملبسهم واحد، هيئتهم واحدة.. لا تميز فيهم بين سيد ومسود، بين فقير وغني، الكل يلبي، والكل تجرد من مظاهر الثراء والأبهة.

الكل يضرع إلى الله في خشوع أملاً في حج مبرور عند الله ـ تعالى ـ يمحو به الله خطايا السنين ليعود الجميع كيوم ولدتهم أمهاتهم.. هكذا يأمل الجميع.

المشهد تنقله الفضائيات وتصوره الصحف ويتحدث عنه العالم.. ملايين من البشر يتجمعون ويحتشدون لأداء مناسك الحج في بلد واحد هو مكة وفي وقت واحد لأداء فريضة واحدة هي الحج!! الكل تأخذه الرهبة من هذا التجمع المهيب الذي يردد نداء واحداً يلفظه العربي وغير العربي بلسان عربي مبين.. ومصدر الرهبة الشعور بجلال الموقف..

ولكن هناك من يشعر بالغضب والخوف من هذا التجمع الإسلامي الذي قد يؤدي ـ في تصورهم ـ إلى نهضة إسلامية تجسد هذا التجمع.. نهضة أساسها أن يصبح الجميع على قلب رجل واحد، معتصمين بحبل الله غير متفرقين، يعطف قويهم على ضعيفهم ويغيثه ويحميه، ويبذل غنيهم ماله عن رضى وطيب خاطر للأخذ بيد البائس والفقير والمحروم.. مجتمع متآزر متلاحم كما كان في سيرته الأولى.. مجتمع دستوره القرآن وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.



نعم.. هناك من يخشى أن تصبح فريضة الحج مصدر إلهام للأمة تستمد منه الأمل في غد مشرق تتبدل فيه الأوضاع ويصير فيه الإسلام عبادة وسلوكاً.. لا عبادة فقط تؤدى بعيداً عن منهج الحياة اليومية كما هو الحال اليوم.. وإلا فخبروني.. كم عمر فريضة الحج وكم عدد المسلمين الذين قاموا بأدائها؟! بالله عليكم لو عاد كل مسلم إلى بلده بنفس السلوك الذي أدى به الفريضة.. سلوك النداء الواحد.. والملبس الواحد!! ترى كيف يكون حالنا؟ هل تصير كما نحن؟ أم يتبدل الحال إلى الأفضل؟!

مشهد الجموع الملبية في عرفات.. ومشهد الصفوف المتراصة وهي تؤدي الصلاة في المشاعر المقدسة خلف إمام واحد تأتمر بصوته لا يشذ منهم واحد.. ألا ترون معي أنه مشهد يستحق التأمل والتفكير.. البعض منا يتأمله بالفعل ويرى فيه أملاً في وحدة مرجوة لأمتنا الإسلامية وهذا الأمل يثير الإحساس بالذعر والخوف لدى أعداء هذه الأمة حتى إن أحدهم طالب بضرب مكة المكرمة بالقنابل النووية.. بل هناك من تخيل أن صاروخاً طائشاً ينطلق صوب مكة في حرب العراق الأخيرة كان كفيلاً بالقضاء على كل أمل للمسلمين في وحدة مرجوة!!

ترى متى يأتي اليوم الذي يعود فيه الحاج من المشاعر المقدسة وقد عاهد نفسه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يؤدي حق البائس والفقير والمحروم، وألا يكون صخاباً ولا لعاناً، وأن يطرد من داخل نفسه كل إحساس بالكبر والغرور.. وأن يكون شعاره في عمله وفي حياته كلها: لبيك اللهم لبيك.

التلبية ليست شعاراً قاصراً على شعائر الحج وحدها.. التلبية عهد من المسلمين لربهم بأن يكونوا مسلمين فعلاً وسلوكاً: لا قولاً ونفاقاً.. لبيك اللهم لبيك.

ماذا يريد الله منا إلا أن نكون بقرآنه عاملين وبسنة نبيه مهتدين؟!

أحمد تقي الدين

حجة الوداع

وعن صفة حجة الوداع جاءت كلمة الأستاذ: شعيب القاضي، قال:

صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة من سنة عشر بالمدينة، ثم خرج منها بمن معه من المسلمين من أهل المدينة ومن تجمع من الأعراب، فصلى العصر بذى الحليفة ركعتين، وبات بها.

وأتاه آت من ربه عز وجل فى ذلك الموضع - وهو وادى العقيق - يأمره عن ربه - عز وجل - أن يقول فى حجته هذه: حجة فى عمرة. ومعنى هذا أن الله أمره أن يقرن الحج مع العمرة، فأصبح ﷺ فأخبر الناس بذلك، وأهلّ بحجة وعمرة معاً. هذا الذى رواه بلفظه ومعناه عنه ﷺ ستة عشر صحابياً، منهم خادمه أنس بن مالك - رضى الله عنه - وقد رواه عنه ﷺ ست عشر تابعياً، وهو صريح لا يحتمل التأويل، إلا أن يكون بعيداً، وما عدا ذلك مما جاء من الأحاديث الموهمة التمتع أو ما يدل على الإفراد، فلها محل غير هذا تذكر فيه. والقران فى الحج عند أبى حنيفة هو الأفضل، ورُوى فيه عن الإمام أحمد بن حنبل قول، وعن الإمام أبى عبدالله الشافعى، وقد نصره جماعة من محققى أصحابه، وهو الذى يسهل به الجمع بين الأحاديث كلها وبين العلماء، من أوجه، والله أعلم.

وساق ﷺ الهدى من ذى الحليفة، وأمر من كان معه هدى أن يُهل كما أهل ﷺ.

وسار ﷺ والناس بين يديه وخلفه، وعن يمينه وشماله أمماً لا يحصون كثرة، كلهم قدم ليأتم به ﷺ.

وقدم على - رضى الله عنه - من اليمن فقال ﷺ: «بم أهللت؟» قال: بإهلال كإهلال النبى ﷺ. فقال له النبى ﷺ: «إنى سقت الهدى وقرنت». روى هذا اللفظ أبوداود وغيره من الأئمة بإسناد صحيح، فهذا صريح فى القران، وقدم على - رضى الله عنه - من اليمن هدياً، وأشركه ﷺ فى هديه أيضاً، وكان حاصلها مائة بدنة.

ثم خرج ﷺ إلى منى فبات بها وكانت ليلة الجمعة التاسع من ذى الحجة.

ثم أصبح فسار إلى عرفة وخطب تحت سمرة خطبة عظيمة، شهدها من أصحابه نحو من أربعين ألفاً رضى الله عنهم أجمعين، وجمع بين الظهر والعصر ثم وقف بعرفة.

ثم بات بالمزدلفة، وجمع بين المغرب والعشاء ليلتئذ، ثم أصبح فصلى الفجر فى أول وقتها.

ثم سار قبل طلوع الشمس إلى منى، فرمى جمرة العقبة، ونحر، وحلق.

ثم أفاض فطاف بالبيت طواف الفرض وهو طواف الزيارة، واختلف أين صلى الظهر يومئذ، وقد أشكل ذلك على كثير من الحفاظ.

ثم حل من كل شىء حرم منه ﷺ.

وخطب ثانى يوم النحر خطبة عظيمة أيضاً، ووصى وحذر، وأشهدهم على أنفسهم أنه بلغ الرسالة. فنحن نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة ﷺ تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين.

الجانى فى الحرم

وعن حكم الجانى فى الحرم جاءت كلمة الأستاذ عبدالرحمن شفيق مدرس بالمعاش، قال:

اتفق الفقهاء على أن من جنى فى الحرم فإنه يقتص منه سواء كانت الجناية فى النفس أم فيما دونها كالأطراف، وعللوا ذلك بأن الجانى انتهك حرمة الحرم فلم يعد يعصمه الحرم من القصاص، لأنه هو الذى أحدث فيه فيقتص منه. كما استدلوا بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾

واختلفوا فيمن جنى فى غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم هل يقتص منه فى الحرم؟ على مذهبين:

أ - مذهب الحنفية والحنابلة: ذهب الإمام (أبوحنيفة) والإمام أحمد - رحمهما - الله إلى أن من اقترف ذنباً واستوجب به حداً ثم لجأ إلى الحرم عصمه لقوله تعالى:

﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ ﴾

فأوجب الله - سبحانه - الأمن لمن دخله.. والآية الكريمة على تقديره (خبر يقصد به الأمر) ويكون المعنى: من دخله فأمنوه، فهو مثل قوله تعالى:

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ ﴾

أى لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل.

وهذا الرأى منقول عن حبر هذه الأمة (عبدالله بن عباس) فقد قال ابن عباس: إن جنى فى الحل ثم لجأ إلى الحرم لا يقتص منه، لكنه لا يجالس ولا يبايع ولا يكلم حتى يخرج من الحرم فيقتص منه.. وهذا هو نفس مذهب الأحناف فإنهم قالوا إذا جنى ثم لجأ إلى الحرم فإنه لا يؤوى ولا يجالس ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج فيقتص منه.

وقالوا: إن الحرم له حرمة خاصة فمن لجأ إليه احتمى كما قال تعالى:

﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ ﴾ وكما قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾

ب - مذهب المالكية والشافعية وذهب (الشافعية والمالكية) إلى أن من جنى فى غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم فإنه يقتص منه، سواء كانت الجناية فى النفس أو غيرها. واستدلوا ببضعة أدلة منها: ما روى أن النبى ﷺ أمر بقتل بعض المشركين فى الحرم، وقال عن (ابن خطل) اقتلوه ولو رأيتموه متعلقاً بأستار الكعبة، ومنها ما ورد (إن الحرم لا يجير عاصياً، ولا فاراً بخربة ولا فاراً بدم) وأجابوا عن قوله تعالى:

﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ ﴾

قالوا هذا كان فى الجاهلية لو أن إنساناً ارتكب كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يتعرض له حتى يخرج من الحرم، وهذا من منّ الله - عز وجل - على أهل تلك البلاد، فقد جعل لهم الحرم مركز أمن واستقرار.. أما الإسلام فلم يزده إلا شدة فمن لجأ إليه جانياً أقيم عليه الحد، كيف لا والإسلام دين القوة والحزم؟!

الترجيح ولعل الرأى الثانى هو الأوجه والأرجح، لأننا لو أخذنا بالرأى الأول - على ما فيه من وجاهة - لأصبح الحرم مركزاً لاجتماع الجناة والمجرمين، ولاختل الأمن، لأن القاتل يقتل ثم يفر من وطنه ويأتى الحرم لأنه يعلم أنه يحميه، وبذلك تنتشر الجرائم وتكثر المفاسد.

الحج فى عيون رحالة أوروبى

وتحت هذا العنوان جاءت رسالة الأستاذ: طاهر محمد الأقرع. ليسانس آثار. قال:

من قديم والحج مثار إعجاب لغير المسلمين، فضلاً عن المسلمين أنفسهم. فأى عبادة تلك التى اختصرت العالم على اتساعه وترامى أطرافه فجمعت البشرية رغم تعدد الألوان واللغات والثقافات فى صعيد واحد، حيث التوحد فى كل شىء، فى الهيئة والأفعال والأقوال والمشاعر، وكأن المسلمين بدورانهم حول الكعبة المشرفة أشبه ما يكون برحى ضخمة تطحن كل فرقة، وتدهك كل اختلاف وتباين بينهم.

ويعد الرحالة الأيرلندى (ريتشارد بيرتون) واحد ممن أسرهم الحج بسحره، إلى أن حدا به الشوق إلى أن يزور الحجاز فى منتصف القرن التاسع عشر، ليؤدى مناسك الحج بنفسه متخفياً فى هيئة شيخ أفغانى يدعى عبدالله. فقد كان الحج بالنسبة إليه أمنية احتال بكل حيلة على تحقيقها، وغاية برر لها كل وسيلة لإدراكها، فما أن وقع بصره على الكعبة المشرفة حتى قال: «وأخيراً تحقق هدف آمالى ومخططاتى التى استغرقت أعواماً كثيرة». ومن ثم فقد تناول شعائر الحج بموضوعية بعيدة كل البعد عن التجنى والسخرية. وإن كانت ثمة أفكار أو آراء ذكرها فى رحلته تتجافى مع صحيح الدين وصريح الإسلام فهى مجرد نقول لما سمعه ورآه آنذاك، هذا مع اعتبار ما قد يعرض لمن هو مثله من المستشرقين من سوء فهم نظراً للاختلاف البين فى العقيدة واللغة والثقافة والعادات والتقاليد. المهم أنه لم يتعمد الإساءة والتجريح، كيف وهو الذى بلغت به النزاهة مبلغاً جعلته يتصدى لفرية أشاعها الهندوس فى هذه الفترة لينالوا من قدسية الحج وجلاله وسمو العقيدة الإسلامية، وهى ما عبر عنها الشاعر الهندوسى (راى منشار) بقوله: «يا مسلم إذا كنت تعبد الكعبة. فلم تلوم عبدة الأصنام» فيدفع بيرتون هذا الهراء قائلاً: «لا أستطيع أن أتحدث عن مناسك الحج عند المسلمين بعداء، فالشعائر الدينية المتعلقة بالكعبة - وهذا حقيقى - تقلل كثيراً من كل ميل للوثنية.. لكن أين هى الأمة - سواء فى الشرق والغرب - التى استطاعت أن تخلص عقائدها من بقايا الوثنية.. أما فى مكة فحتى البدوى البسيط يعلم عند طوافه بالكعبة (المشرفة) أنه لا يعبدها، وإنما يفعل ذلك

أسوة بخليل الرحمن». بل وصل به الأمر إلى انتقاد بعض العادات المسيحية والبدع الكنسية المنتشرة آنذاك مقارنة بما فى مكة من بساطة غير مفتعلة تبعث على الخشية فيقول: «وهنا - على أية حال - لا نرى فى مكة (المكرمة) خداعاً غبياً بادعاء هبوط نار سماوية من كبريت القسفور، ولا يفعلون كما تفعل بعض الكنائس المتنافسة التى تنشب الأسنان والأظافر فى اللحم مما يتطلب إزدراء غير المؤمنين.. وأخيراً فإننا لا نرى فى مكة (المكرمة) شيئاً مسرحياً مصطنعاً، ولا نرى إلباس مناسك الحج لبوس الأوبرا، بل إن كل شىء هنا بسيط ومؤثر، يملأ العقل بخشية الله».

لعلك لمست فى دفاعه مدى إعجابه بهذه العبادة، وتأثره بها، وهذا ما سنلمسه أيضاً فى أسلوبه حينما يتحدث عن البيت الحرام، فلم يكن أسلوبه جامداً خلواً من الإحساس، غفلاً من العذوبة بل كان مترعاً بهما، وكأنه صوفى يكتب عن كشف، ويصدر عن نجل. فلقد شعر بيرتون عندما عبر صحن المسجد الحرام، وواجه بيت الله «بانجذاب صوفى وإحساس بالرضا» لدرجة أنه ظن أن مشاعره أعمق وأصدق من أن تحتويها جوانح أحد غيره فيقول: «ويمكننى أن أقول بصدق إنه من بين كل المؤمنين العابدين المتعلقين بأستار الكعبة باكين، والضاغطين بقلوبهم على الحجر الأسود، لا أحد أعمق مشاعر من الحاج القادم من الشمال البعيد».

وهذا ما جعل نظرته للكعبة وما يقام فى كنفها من شعائر، تتسم بالعمق وتنأى عن السطحية، فالكعبة المشرفة - كما يقول - «لا تمثل أثراً عملاقاً أشيب كما فى مصر، ولا أثراً يتسم بالتناسق والجاذبية الفنية كما فى اليونان وإيطاليا، ولا هى أثراً يتسم بالروعة البربرية كما فى مبانى الهند»(٧) ولكن مع ذلك كان منظرها «غريباً متفرداً». ويعزو بيرتون ذلك إلى وجودها فى هذا الوسط السرابى بالإضافة إلى الوجد الدينى فكلاهما «يعطيان لهذا المبنى وما عليه من ستارة كالطيلسان جاذبية خاصة» ويقول أيضاً: «لقد بدأ الأمر كما لو أن الحكايات الشعرية العربية تنطق بالصدق وأن أجنحة الملائكة لا نسائم الصباح هى التى تحرك أستار الكعبة السوداء، إن المشاعر الدينية الفياضة والمتحمسة تؤدى لهذا التصور»

ولم يفت بيرتون أن يصف الكعبة ليلاً وقد جللها القمر بنوره قائلاً: «ووسط النور القمرى تجد الكعبة (المشرفة) مبنى كبيراً كأنما تظللها أجنحة الأرواح إلا فى المواضع التى يطولها القمر فيبدو فيض نوره كخيوط فضة فوق رخام أسود كأشد ما يكون السواد. إن النظر إليها يريح العين. أما المبانى والقباب الصغيرة كالهياكل والمحيطة بها فتتلاشى أمام هذا الهدف الواحد المتوحد فى مظهره إنه بيت الله رب إبراهيم وإسماعيل وذريتهما. سامية هى، معبرة بكل بلاغة وفصاحة عن الهوى والولوع بفكرة واحدة عظيمة ونبيلة هى التى بثت الخيرية فى الإسلام وبثت القوة والثبات فى نفوس أتباعه»

أما الطواف من منظور بيرتون فمشهد غير عادى - حسب تعبيره - فالصحن المحيط بالكعبة «مزدحم بالرجال والنساء والأطفال فى مجموعات، كل مجموعة تتبع مطوفاً، وبعضهم يمشى برزانة، وآخرون يجرون، وطائفة أخرى وقف أفرادها يصلون جماعة. إنه منظر يعج بالتناقضات.. وفى مواضع أخرى بعض البؤساء يمدون أيديهم لأعلى حتى يمس كل جزء من أجسادهم الكعبة (المشرفة) ويتعلقون بأستار الكعبة ويبكون ويبتهلون حتى ليظن المرء أن قلب الواحد منهم سينفطر».

أخلاقيات التعامل مع النفايات الإلكترونية الحديثة

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
نائب رئيس جامعة القاهرة سابقا

الطاقة الكهرومغناطيسية

يضم الطيف الكامل للأشعة الكهرومغناطيسية سلسلة من الموجات التى لها نفس الخصائص ولا تختلف إلا فى أطوالها الموجية التى تتراوح بين ٢٠٠م فى حالة موجات الراديو «اللاسلكى»، وجزء من مليون مليون جزء من المتر أى (10^{-12}) فى حالة موجات أشعة جاما.

الطول الموجى بالمتر

أشعة جاما	أشعة إكس	الضوء المرئى	الموجات الدقيقة «الميكرونية»	موجات الراديو «اللاسلكى»
(10^{-12})	(10^{-10})	(10^{-6})	(10^{-2})	(10^{2})

وأهم ما يميز أشعة الطيف الكهرومغناطيسى أنها تنتشر فى الفراغ على هيئة فوتونات بسرعة ثابتة هى سرعة الضوء التى تساوى ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر فى الثانية. والعلاقة البسيطة التى تربط بين طول الموجة وترددها هى:

السرعة = التردد × طول الموجة

من الواضح أن العلاقة بين الطول الموجى والتردد هى علاقة تناسب عكسى، أى: كلما زاد الطول الموجى للأشعة قلَّ ترددها، والعكس صحيح. فتردد الأشعة فوق البنفسجية، ومن ثم طاقتها، أكبر من تردد الأشعة تحت الحمراء وطاقتها، ويقاس التردد بعدد الذبذبات فى الثانية، ويعبَّر عنه بوحدات «الهرتز» Hz نسبة إلى العالم الشهير «هيرتز» صاحب الاكتشافات الرائدة فى علم الكهرومغناطيسية.

ولكل مجموعة من مكونات الطيف الكهرومغناطيسى مصادرها الخاصة بها. فالأمواج اللاسلكية تصدر عن دوائر إلكترونية، والأشعة تحت الحمراء تصدر عن المصادر الحرارية، والضوء المرئى يصدر عن الأجسام المضيئة، والأشعة فوق البنفسجية تصدر عن المصابيح الزئبقية، والأشعة السينية تصدر عن اصطدام الإلكترونات السريعة بذرات بعض المواد، وأشعة جاما تصدر عن النشاط الإشعاعى للمواد المشعة الطبيعية والاصطناعية[1].

النفايات الإلكترونية

ظهر فى العقدين الأخيرين مصطلح «التلوث الإلكترونى» انعكاساً لما يشهده العالم، بعد ثورة المعلومات والاتصالات، من إنتاج كميات كبيرة من الأجهزة الإلكترونية والكهربائية مثل الحواسيب والهواتف النقالة وأجهزة الميكروويف وغيرها، إلى الحد الذى جعل من مكونات هذه الأجهزة نفسها مصدراً مؤكداً لأخطار فرضت سطوتها على حياتنا اليومية. فضرر هذه الأجهزة لا يتوقف حتى بعد الانتهاء من استخدامها، حيث تتحول إلى «نفايات إلكترونية» تضر بالبيئة وبالصحة العامة عندما يتم التخلص منها

وبرغم ذلك فإن سبل إنتاجها يومياً بكميات خيالية لا يتوقف هو أيضاً..

يكفى أن تعلم، على سبيل المثال، أن عدد الحواسيب الشخصية المنتجة حتى أواسط عام ٢٠٠٢م يتجاوز حدود المليار، وبحسب التقديرات الإحصائية فى ألمانيا وحدها ينشأ نحو المليون ونصف المليون طن من النفايات الإلكترونية، ومن هذه الكمية نحو ١٢٠ ألف طن من نفايات تكنولوجيا المعلومات «أجهزة فاكس، طابعات، ناسخات، هواتف، حواسيب، شاشات... إلخ». وإحدى طرق التخلص من هذه النفايات هى دفنها فى مطامر النفايات العادية.

من ناحية أخرى، يطرح استخدام المواد السامة فى صناعة الإلكترونيات مشكلة إضافية خطيرة، ولا سيما بالنسبة للمقيمين بالقرب من مراكز التصنيع وللعاملين فيها، وفى مجال صناعة الحواسيب مازال استخدام مادة الرصاص ومواد أخرى غير نظيفة قائماً حتى الآن، وتتم عمليات

(١) د. أحمد فؤاد باشا . مستقبليات الفيزياء فى عالم متغير. دار الرشاد ـ القاهرة ٢٠٠٧م.

الوصل اللحامي لشرائح التخزين الجهرية وللعناصر الإلكترونية الأخرى بواسطة عمليات اللحام الحاوية على نسبة عالية من الرصاص. كما يتم استخدام مادة الكروم المعروفة بتأثيرها السام بحسب درجة الأكسدة، وبتحريضها للسرطان وتخريبها للمورثات، إضافة إلى ذلك، يدخل في عملية التصنيع مواد أخرى مثل النحاس والنيكل والزرنيخ والأنتيمون والتجنيز والجرمانيوم والبزموث وغيرها، وأيضاً نحو أكثر من أربعين مادة لدائنية منها على سبيل المثال: الفينول وراتنجات الإيبوكسيد والبوليستر، إضافة إلى العديد من الغازات والأحماض، وبشكل عام يتألف الحاسوب من نحو ١٠٠٠ مادة مختلفة، حيث تحتوي شريحة الذاكرة وحدها على أكثر من ٣٥٠ مادة لبعضها تأثيرات سامة. وتعتبر مادة الرصاص الموجودة في مطامر النفايات الإلكترونية هي إحدى أكبر ملوثات التربة والبيئة وما تجلبه من أخطار صحية، حيث إن ما بين ٤٠ و ٥٠ بالمائة من مادة الرصاص الموجودة في المطامر هي نتاج الأجهزة الإلكترونية.

وقد أظهرت إحدى الدراسات الكثيرة عن العاملين في هذه الصناعات في أواخر عام ٢٠٠٤م أن نحو ٦,٤٪ من العاملين في قطاع إنتاج وحدات الذاكرة في الولايات المتحدة أصبحوا مرضى؛ نتيجة لتعاملهم اليومي مع المواد الكيميائية السامة والمستخدمة لأغراض الإنتاج، كما لوحظ زيادة نسبة الإجهاضات عند الحوامل من العاملات في هذا المجال، مقارنة بالحوامل في قطاعات إنتاجية أخرى.

ومما يدعو إلى الأسى والأسف أن الدول الصناعية الكبرى تتخلص من مثل هذه النفايات الإلكترونية بتصديرها لدول العالم الثالث أو الدول الفقيرة بثمن بخس بحجة المساعدة، حيث تمنع القوانين الصارمة في تلك الدول التخلص العشوائي، أو التسبب في إحداث أضرار بيئية، ومن ثم يتم تصدير هذه الفضلات على ظهر سفن دول آسيوية وإفريقية، لتقع في أيدي العمال الذين يعملون في قطاع إعادة التصنيع ويتعرضون لمخاطرها.

فالهند مثلاً، تعتبر من أهم الدول التي يتم تصدير تلك النفايات إليها، لدرجة أن البعض لم يجد حرجاً في وصفها بمقبرة الفضلات الإلكترونية، وقد انتبهت الحكومات الهندية متأخرة لهذا الأمر، فأصدرت المحكمة العليا في الهند عام ١٩٩٧م قراراً يحظر استيراد الفضلات الإلكترونية، لكنه لم يطبق عملياً بسبب تحايل المصدرين والمستوردين على هذا القرار.

وفي الصين -كمثال آخر- أكد تقرير صدر عن الأمم المتحدة عام ٢٠٠٦م أن قرى تقع جنوب الصين، يتم فيها تفكيك الأجهزة الإلكترونية القديمة، ومن ثم يتم رمي الأجزاء غير النافعة في الحقول وعلى ضفاف الأنهار، وهو ما أدى إلى تلوث المياه الجوفية وزيادة تلوث مياه الأنهار بمعدلات كبيرة. كما أن الأطفال والنساء العاملين في تفكيك هذه الأجهزة الإلكترونية في الصين تعرضوا لأمراض كثيرة، في مقدمتها السرطانات الصدرية والجلدية.

وأوضحت إحدى الجامعات الأمريكية في إحصائية لها مؤخراً أن الشركات الأمريكية تتخلص من نحو ٥٠ مليون جهاز حاسوب قديم سنوياً عبر تصديرها إلى الصين والهند وباكستان، حيث شهدت هذه البلدان وغيرها بروز صناعة جديدة لتأهيل الحواسيب المتقادمة.

ومما يزيد من خطورة هذه الظاهرة هو عدم وجود قوانين تحمي العاملين في مجال التخلص من النفايات الإلكترونية التي تظهر آثارها في تلك الدول على المدى البعيد.

وفي تقرير آخر صدر عام ٢٠٠٦م تحت إشراف الأمم المتحدة وأعده نحو ١٣٠٠ باحث بشأن مصادر التلوث في العالم، وردت الإشارة إلى أن جهوداً غير عادية يتعين بذلها باعتبارها ضرورية لمواجهة مثل هذه الأخطار التي تهدد حياة الإنسان، وبناء على هذا التقرير بادر البرلمان الأوربي إلى إصدار قانونين ينظمان عملية إعادة تأهيل الأجهزة الإلكترونية المتقادمة، وإيجاد آلية للتخلص من نفاياتها.

وكانت «اتفاقية بازل» الموقعة في عام ١٩٨٩م لحظر توريد النفايات الإلكترونية إلى الدول الفقيرة والنامية قد نصت على وضع قوانين حماية للعاملين في مجال الصناعات الإلكترونية، وخاصة العاملين في إعادة تأهيل الأجهزة الإلكترونية المستعملة أو تفكيكها في الدول النامية.

ولكن الغريب هو أن معظم الدول المتقدمة صناعياً لم توقع حتى الآن هذه الاتفاقية، ومن ثم استمرت المشكلة في التفاقم، ففي دراسة أجرتها حديثاً هيئة تسمى «شبكة بازل للعمل» ظهر أن ما لا يقل عن مائة ألف حاسوب تدخل شهرياً إلى ميناء لاجوس النيجيري، منها ٧٥٪ تقريباً أجهزة تليفزيون ومعالجات حاسوبية وهواتف لا تعمل، أي «قمامة إلكترونية».

أما بالنسبة للهواتف الخلوية «النقالة أو المحمولة» فإن من أهم مكوناتها مادة الكولتان Coltan التي تتميز بمرونتها ومقاومتها الكبيرة للحرارة والتآكل، لكنها تمثل مشكلة كبرى في استخراجها من المناجم، حيث يترافق مع الاستخراج كوارث بيئية وصحية خطيرة، وقد صدرت تقارير عدة عن هيئة الأمم المتحدة والاتحاد الدولي للمحافظة على البيئة، في العامين ٢٠٠١ و ٢٠٠٢م أدانت عمليات التنقيب غير الشرعية في مناجم معدن الكولتان في جمهورية الكونغو الديمقراطية، ودورها في حرب الإبادة التي تتعرض لها مناطق المناجم، فضلاً عن القضاء على الغابات والجداول المائية، بالإضافة إلى المجازر ضد الحيوانات التي يصطادها عمال المناجم في بحثهم عن الطعام، ويتم نقل معدن الكولتان المستخرج من هذه المواقع بواسطة الطائرات، ثم يباع إلى شركات كبرى مختلفة الجنسيات، في أمريكا الشمالية وأوربا وروسيا، دون مراعاة الأخطار الكبيرة الناجمة عن الاستخراج والبيع. وكان الاتحاد الدولي للمحافظة على

الطبيعة، فى تقرير له عام ٢٠٠١م قد ناشد حكومات دول العالم والمجتمع الدولى الامتناع عن شراء الكولتان[٢].

التلوث الكهرومغناطيسى

ينتج هذا النوع من التلوث من الموجات الكهرومغناطيسية التى تملأ الجو المحيط بنا، وتنشأ هذه الضوضاء اللاسلكية عن مئات المحطات الإذاعية والتليفزيونية التى تبث برامجها ليلاً ونهاراً دون انقطاع فى مختلف أنحاء العالم. كما تنشأ الموجات الكهرومغناطيسية والمجالات المغناطيسية عن شبكات الضغط العالى التى تنقل الكهرباء مسافات بعيدة فى كثير من الدول المتقدمة والدول النامية، وتتضمن هذه الشبكات عشرات من محطات القوى والمحولات ومحطات التقوية. أضف إلى ذلك شبكات الموجات الدقيقة «الميكروويف» المستخدمة للاتصالات الهاتفية فى كثير من الدول.

وتشير النتائج الأولية للأبحاث الجارية فى هذا المجال إلى التأثير السيىء لهذا التلوث الكهرومغناطيسى على صحة الإنسان، وخاصة فيما يتعلق ببعض التفاعلات الكيميائية التى تدور فى الخلايا الحية، أو ما يتعلق بعمل المخ وأداء الجهاز العصبى، فقد بيَّنت بعض دراسات أجريت على الإنسان وجود آثار على معدل ضربات القلب وزمن الاستجابة عند التعرض لمجالات عالية الشدة.

وتجدر الإشارة إلى أن أمواج الميكروويف وأمواج الراديو تدخل فى كثير من التطبيقات التقنية الحديثة، مثل عمليات صهر المعادن واللحام والتجفيف واللصق والتعقيم وإنتاج البلاستيك وغيرها. وقد أوضحت الدراسات أن أشعة الميكروويف لها بعض التأثيرات الضارة على صحة الإنسان، تظهر أعراضها فى صورة صداع وأرق وقلق نفسى وعدم قدرة على التركيز وشعور بالإعياء بصفة عامة، كذلك ثبت أن التعرض لأشعة الميكروويف يمكن أن يكون له تأثير على إصابة العين بالمياه البيضاء «كتراكت» إذا تعرض لهذه الأشعة بكثافات عالية، ونبهت بعض الأبحاث الجديدة إلى مخاطر قد تصيب الحمض النووى أو الدماغ بسبب تعرضه للتسخين، وحذرت أيضاً من خطر إصابة العصب السمعى بالسرطان.

ويزيد من احتمالات الضرر والأخطار ذلك الإكثار بمعدلات هائلة من استخدام الاتصالات اللاسلكية والموجات الكهرومغناطيسية الناتجة عن الأجهزة الإلكترونية والكهربائية المنتشرة فى المناطق السكنية، فلو استطعنا رؤية ما فى الجو من موجات كهرومغناطيسية لكانت أشبه بالضباب أو الدخان من كثرتها، لدرجة أن بعض الباحثين أسموه «الضخان الإلكترونى» E- Smog.

وهكذا يتضح أن صناعة التقنيات الإلكترونية والكهربية الحديثة بعيدة جداً عن الصورة النظيفة التى تحاول أن ترسمها لنا، ويؤمل أن تتخذ التدابير اللازمة فى المستقبل لإيجاد حلول توقف سيل الأخطار التى تجلبها هذه الأجهزة ونفاياتها وإشعاعاتها علينا وعلى بيئتنا.

---

(٢) راجع: ـ التلوث الإلكترونى، مجلة التقدم العلمى، العدد ٥٦، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ـ الكويت، مارس ٢٠٠٧م.

ـ د. أحمد فؤاد باشا، مشكلات التلوث وتغيرات المناخ، دار الفكر العربى ـ القاهرة ٢٠٠٧.



إعداد/ محمد جمعة - علا عبدالرحمن

مساجد أمريكا تفتح أبوابها لإيواء المتضررين من حرائق كاليفورنيا

فتحت المساجد والمراكز الإسلامية بولاية كاليفورنيا الأمريكية أبوابها لاستقبال المضارين جراء حرائق الغابات التى اندلعت خلال الأيام الماضية بعدما دعت «جمعية المسلمين الأمريكيين» مسلمى كاليفورنيا وجميع المسلمين فى الولايات المتحدة إلى تقديم التبرعات لضحايا الحرائق، فضلا عن تقديم الصدقات وزكاة المال للمساعدة فى جهود الإغاثة. كانت الجمعية قد دعت فى بيان لها المساجد فى كاليفورنيا، وفى جميع أنحاء أمريكا إلى إقامة «صلاة الحاجة» طوال فترة الأزمة، وطالبت المنظمة جميع فروعها فى ولاية كاليفورنيا بفتح فروع المنظمة والمراكز الإسلامية والمساجد الموجودة قرب المناطق المتضررة من الحرائق لتكون بمثابة مأوى لإغاثة الأشخاص الذين تم إجلاؤهم من مناطق الكارثة إن أمكن، وأن تسعى المراكز الإسلامية إلى مساعدة وكالات الإغاثة إدارياً.

«الإيسيسكو» تستنكر تنظيم أسبوع الكراهية
والتحريض ضد الإسلام فى مائتى جامعة أمريكية

أعربت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» عن استنكارها الشديد لإقامة ما يسمى (أسبوع الوعى بالفاشية الإسلامية) فى الجامعات الأمريكية، فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ أكتوبر الماضى.

وأدانت الايسيسكو فى بيان لها، الحملة العنصرية التى يقودها فى أمريكا «ديفيد هوروويتز» مؤلف كتاب (فن الصراع السياسى) الذى وقف وراء تنظيم أسبوع الكراهية والتحريض ضد الإسلام والمسلمين فى الجامعات الأمريكية. وقالت «الإيسيسكو» إن مشاركة مائتى جامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى (أسبوع الوعى بالفاشية الإسلامية) تؤكد خروج هذه الجامعات عن التقاليد الأكاديمية والقواعد المعتمدة من التعليم الجامعى، التى منها الحيادية والموضوعية والنظرة العلمية إلى الأمور والترفع عن ارتكاب الأعمال المنافية للقيم الإنسانية.

كما ناشدت «الإيسيسكو» الاتحاد الدولى للجامعات القيام بالتحرك فى هذا المجال لتصحيح الوضع والوقوف فى وجه استغلال الجامعات لأهداف عنصرية وصرفها عن خطها العلمى والأكاديمى.

رئيس جمعية المسلمين فى اليابان:
المسلمون يجدون حرية كاملة فى ممارسة شعائرهم الدينية

أكد د. زكريا زياد الأستاذ فى جامعة طوكيو ورئيس جمعية المسلمين فى اليابان ورئيس اتحاد الطلبة فى اليابان، أن المجتمع اليابانى لا يكن أى كراهية من أى نوع للإسلام أو المسلمين ولم يحدث أبداً أن تعرض أى مسلم سواء كان يابانى الأصل أو مهاجراً لأية مضايقات أو مشكلات.

وقال: إن الإسلام دخل اليابان قبل حوالى مائتى عام عن طريق التجار المسلمين، وبعض اليابانيين الأصليين الذين أسلموا خارج بلادهم وعادوا إليها لينشروا الإسلام.

ويبلغ عدد المسلمين اليابانيين حوالى مائة ألف مسلم، أما المسلمون غير اليابانيين من

المقيمين فى اليابان فيبلغ عددهم مائة وخمسين ألف مسلم، وتقدر بعض الأرقام أن هناك عشرة يابانيين يعتنقون الإسلام يومياً..

أما اتحاد الطلبة المسلمين فى اليابان فقد تم إنشاؤه عام ١٩٦٠ بهدف الاهتمام بالطلاب المسلمين الدارسين باليابان.

ويعد افتقاد الهوية الإسلامية أهم مشكلة تواجه الأجيال الجديدة من المسلمين اليابانيين على حد قول زكريا زياد الذى أفاد عدم وجود مدرسة إسلامية واحدة فى اليابان رغم وجود آلاف المسلمين اليابانيين.

وكشف زياد عن أن المركز الإسلامى الموجود فى العاصمة اليابانية «طوكيو» بصدد إقامة أول مدرسة إسلامية فى اليابان، وجُمعت تبرعات مادية من المسلمين اليابانيين بهذا الصدد.

مهرجان عن «تاريخ الإسلام» فى تورنتو

أقام المؤتمر الإسلامى الكندى معرضا فى مدينة تورنتو الكندية للآثار الفنية ومهرجاناً للتاريخ الإسلامى. شهد المؤتمر تنظيم العديد من النشاطات فى هذا المجال بالتعاون مع المؤسسات الإسلامية، والممثليات الثقافية، بهدف تشجيع المسلمين فى كندا على التعرف العميق على تاريخ الإسلام وربطهم بتاريخهم وحضارتهم الإسلامية.

اليمن أصبح الأول عالميا فى حفظ القرآن وتعليمه

أكد وزير الأوقاف والإرشاد اليمنى القاضى حمود الهتار أن بلاده تأتى فى مقدمة بلدان العالم الإسلامى من حيث الاهتمام بنشر علوم القرآن الكريم وتعليمه وحفظه حيث أصبحت الأولى عالمياً. وأوضح فى حفل تكريم ٧١ حافظاً وحافظة للقرآن الكريم: أن وزارته كرمت خلال العام الجارى أكثر من ٤٠٠٠ حافظ وحافظة للقرآن فى جميع المحافظات إضافة إلى ١٤٤ حافظا للصحيحين وسبعة حفظة للأمهات الست.

وأضاف أن حرص اليمن على تحفيظ القرآن الكريم ليس بغريب عليها والتى وصفها الرسول الكريم بأنها بلاد الحكمة والإيمان. وأشاد بدور الجمعيات والمؤسسات الأهلية فى تحفيظ القرآن ونشر علومه والتوسع فى إقامة مراكز التعليم وتنشئة جيل صالح ينتهج الاعتدال والوسطية ويبعد عن أفكار التطرف والغلو.

١٥ ألف مستوطن يهودى يصلون من أجل فشل مؤتمر «أنابوليس»!

تظاهر آلاف المستوطنين اليهود فى القدس المحتلة وأدوا الصلاة من أجل فشل اجتماع أنابوليس.. وقد أدى الصلاة نحو ١٥ ألف مستوطن إسرائيلى عند حائط البراق «المبكى» من أجل فشل الاجتماع ونددوا به، وتساءلوا إذا ما كان المسئولون الإسرائيليون المشاركون فى الاجتماع يمثلون الشعب اليهودى، معتبرين أن إسرائيل أصبحت تحت حكم «الديكتاتورية الدستورية». وقال أحد المشاركين فى المظاهرة: «جئنا إلى هنا لندعو الله كى يحول دون المشاركة فى أنابوليس»!

تشارلز يرفض زيارة إسرائيل

رفض الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا زيارة إسرائيل، وأبلغ تل أبيب أن هذه الزيارة من شأنها تحسين صورة إسرائيل فى العالم وهو ما يرفضه.

أحدث القرار آثارًا سلبية لدى يهود بريطانيا حسبما قالت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية.

مقاضاة إدارة بوش لمنع أكاديمى مسلم من دخول أمريكا لمواقفه السياسية

حركت جماعة أمريكية عاملة فى مجال الدفاع عن الحريات المدنية دعوى قضائية على إدارة الرئيس بوش بعدما رفضت منح تأشيرة دخول لأستاذ جامعى مسلم من جنوب أفريقيا «آدم حبيب» متهمة إياه بالتورط فى أنشطة إرهابية، وقالت الجماعة فى بيان: «الحكومة فشلت فى توضيح أساس اتهامها ولم تقدم دليلا لإثباته»، وكانت الإدارة الأمريكية قد ألغت تأشيرة حبيب فى أكتوبر ٢٠٠٦ دون إبداء أسباب، بحسب ماذكره اتحاد الحريات المدنية.

ويشغل حبيب - المتخصص فى العلوم السياسية - منصب مساعد نائب رئيس جامعة جوهانسبرج لشئون الأبحاث والابتكار والارتقاء، وهو معروف بانتقاده العلنى للحرب على العراق، والحرب التى تقودها إدارة بوش على الإرهاب.

فى أحدث دراسة ألمانية:

المسلمون فى أوروبا ٥٣ مليون نسمة

كشف دراسة أجراها أحد الباحثين بالمعهد الملكى للدراسات الدينية بالأردن أن دراسة ألمانية حديثة كشفت أن عدد المسلمين فى أوروبا مجتمعة يصل حاليا إلى نحو ٥٣ مليون نسمة من بينهم ١٦ مليون مسلم يسكنون فى دول الاتحاد الأوروبى أى ما نسبته ٦٪ من مجموع سكان أوروبا الذى يبلغ ٧٠٥ ملايين نسمة حاليا.. وأضاف الباحث أنه بانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبى سوف يبلغ عدد مسلمى أوروبا نحو ١١٩ مليون نسمة. أى ما يوازى حوالى ١٥٪ من إجمالى عدد سكان القارة الأوروبية.

جاء ذلك خلال أعمال مؤتمر «المسلمون وقضايا المواطنة فى أوروبا» الذى عقده مركز الدراسات الأوروبية التابع لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، بجامعة القاهرة، وأوضح أن الوجود الإسلامى اليومى فى أوروبا ليس وجودا طارئا، بل أصبح جزءا من النسيج الاجتماعى لسكان القارة الأوروبية، وأصبح المسلمون يشكلون أقلية دينية تأتى فى المرتبة الثانية بعد المسيحية فى كثير من الدول الأوروبية.

وأشار الباحث إلى أن قضية اندماج المسلمين فى تلك المجتمعات وخاصة بعد تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بالولايات المتحدة الأمريكية وما تلاها من تفجيرات فى أسبانيا وبريطانيا أصبحت تمثل تحديات ومعوقات عديدة لهم.

تقدم كبير فى المفاوضات بين الحكومة الفلبينية وجبهة مورو

توصلت الحكومة الفلبينية إلى اتفاق مع الجماعة الإسلامية الانفصالية الرئيسية فى البلاد على وضع حدود للمنطقة التى ستكون تحت سيطرة الإسلاميين فى جنوب الفيليبين وكانت الخلافات مستمرة منذ سنوات بين المسئولين الفلبينيين وممثلى جبهة تحرير مورو الإسلامية بشأن مساحة المنطقة التى ستخضع لسيطرة الجبهة بإقليم مينداناو الذى يشهد تمردا دمويا على مدى عشرات السنين. وقال رودلفو جارسيا كبير المفاوضين بالوفد الحكومى الفلبينى: تم الاتفاق على ترسيم حدود الإقليم الذى سيكون موطنا للمسلمين بجنوب الفلبين.

هيئة العلماء بفلسطين:

هدم البيوت فى القدس سياسة عنصرية لتهجير الفلسطينيين

أكدت هيئة العلماء والدعاة فى فلسطين، أن هدم بيوت المواطنين الفلسطينيين فى مدينة القدس المحتلة يعد سياسة عنصرية مبرمجة هدفها اقتلاع المواطنين من مدينتهم وتهجيرهم منها من أجل تهويدها بالكامل، واستنكرت الهيئة قرار سلطات الاحتلال الخاص بهدم أحد المبانى السكنية المأهولة فى حى بيت حنينا فى القدس رغم حصول أصحابها وقاطنيها على ترخيص مسبق من بلدية الاحتلال فى المدينة.

وتساءلت الهيئة: ما معنى أن تصدر البلدية ترخيصا ويتم البناء ثم تقوم بإعطاء أوامر بالهدم بعد سنوات مع أن السكان قد استوفوا كل الشروط المطلوبة.

وأكدت الهيئة وقوفها بكل حزم مع المواطنين، مطالبة المجتمع الدولى والمؤسسات الحقوقية المحلية والعالمية بوقف هذا السلوك العنصرى الذى تجاوز كل الحدود بحق المواطنين، كما دعت جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى لاتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بحماية مدينة القدس.

تركيا تطالب إسرائيل بوقف أعمال الحفر أسفل الأقصى

أكد تقرير أعدته لجنة فنية تركية عن الحفريات التى تجرى أسفل المسجد الأقصى بالقدس الشريف أنها تدمر التراث الإسلامى بالمدينة المقدسة.

وطالب التقرير بوقف فورى للحفريات عند باب المغاربة لأنها تضر بالمكان التاريخى وتجاوزت القصد العلمى ولم تراع الأصول والأسس المتبعة فى الحفريات والترميمات التاريخية الأثرية.

وجاء فى التقرير: أن عمليات الحفر ليست لها خطة واضحة ومحددة ومن ثم يجب أن تتوقف فوراً أعمال الحفر التى تتم فى الآثار المتعلقة بالعصر الأموى والأيوبى والمملوكى والعثمانى، فضلاً عما يتم فى باب المغاربة.

مجموعة هندوسية تجبر نساء مسلمات على السير عرايا

تعرضت نساء مسلمات فى قرية «دهنى ديهة» بمديرية «شرواستى» بولاية «أوترابراديش» الهندية إلى عملية اعتداء من قبل مجموعة هندوسية مسلحة، حيث تم إجبارهن على السير عرايا. وقالت صحيفة «راشتريه سهارا» الأوردية الصادرة بـ«نيودلهى» أن المجموعة المسلحة قامت بالاعتداء على القرية بالتدمير والإفساد ونهب الأموال والحبوب، وعلى بعض نساء القرية المسلمات بالاغتصاب الجماعى.

وأضافت الصحيفة: أن فتيات تصل أعمارهن إلى ٨ سنوات وعجائز تعرضن أيضاً للضرب من قبل المجموعة المسلحة، وأرغمت المجموعة الهندوسية المسلحة بعض نساء القرية المسلمات على الطواف بالقرية عاريات بعد تجريدهن من ملابسهن.

وقال رئيس البرلمان المحلى السابق الذى زار القرية: «لم أر فى حياتى مثل هذا الظلم الكبير وهذه الإساءة البشعة مع النساء، هذا مما تخجل منه الإنسانية».

وقد ندد عدد من المنظمات الإسلامية بالحادث معتبرة أنه نابع من قلة اعتناء الحكومة الهندية بالأقليات الدينية المتواجدة فى البلاد بشكل عام، والأقلية المسلمة بصفة خاصة، وناشدت المنظمات الحكومة بتعويض المتضررين والمصابين، وإنزال العقوبة الرادعة بالمجرمين.

***

He commanded me to repent in case of committing a sin, secretly for secret and overtly for overt" [5]

The prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) educated his companions and his followers these morals and Quranic ethics by which people embraced the religion of Allah in troops. Because of these high morals, Muslims established the greatest civilization on the earth. No civilization can reach its greatness. The other civilizations are false because Man is the one who established them and human mind is always unable to realize the Quranic aims. Moreover, the Islamic civilization is the source of high moral standards from which the other civilizations took their principals.

Claimants to civilization and false freedom:

There is a great difference between those who mouth about human rights and false freedom of the West civilization, and the way in which the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), the higher commander, advised one of his officials, Muaz ibn Gabal. At first, the prophet (may the blessings and peace of Allah be

Upon him) guided him to fear Allah in order to protect him from wrongdoing. Then he commanded him to be truthful and honest and to consider neighbors. Also, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) advised him to have mercy on orphans and to be lenient and to extend greeting and to do things skillfully. Then contemplate the greatness of Islamic civilization when the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) forbade Muaz from cursing a sage, while those who allege modernity curse the prophets of Allah and publish the offensive pictures which insult our prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), then they mouth empty slogans about freedom. They should learn from the prophet of Islam who ordered Muaz not to curse a sage. This is the real civilization of Islam and this is the prophetic way for whoever wills

[5] Ithaf As Saddah Al Mutakeen 7/95

to be mindful. Furthermore, the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) told Muaz not to accuse a truthful of lying and not to obey a sinner and not to disobey a just leader. Moreover, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) advised Muaz to fear Allah so, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) told him not to damage a land or to cut a tree or even to harm a donkey, but to be merciful to everything, because Allah sent him as a guide and a mercy to all creatures, mankind and the Jinn, plants, trees, and even solids. Allah, Exalted and Glorified be He, says: (And in way have We sent you exceas mercy to all the worlds) [Al- Anbyaa (The Prophets) 107].

Thus, the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) called to good manners which create affability, amiability and deep affinity among people and let them live without hatred, detestation and envy. So, the virtue of good manners is obvious in our religion as Allah praises His prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): "And surely you are indeed of a magnificent character"[Al Qalam(the pen) :4]

Also the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "High morals and piety are the more reasons for the entry of the Gardens"[6]. Also Osama ibn shoraik said: "We asked the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) about the best quality that was given to a human, he said: "It is to have good character"[7]. And the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "a good manner is the heaviest thing in the scale" narrated by Abo Dawoud and Al Termezy. The prophet also said: "when Allah beautifies a nature and disposition of a person, He never puts them into the fire"[8]

Translated by :Eman Aly Ahmed El-Khateb

Revised and Edited by : Dr. Ibrahim Al- Assil

[6] Al Targheeb and Al Tarheeb, (arousal and terrifying) 3/304

[7] Ibn Abi Shaibah 13/236

[8] Tarikh Baghdad (The history of Baghdad) 3/226

courtesy".[3] After the completion of the prophet's education, Allah praised him: "And surely you are indeed of a magnificent character" [(Al Qalam (The Pen) 4].

Glory to Allah, The Greatest! He exalted the prophet and raised him to the high status (may the blessings and peace of Allah be upon him). This is the Mercy of Allah who educated the prophet and adorned him with good manners and then He praised him "And surely you are indeed of a magnificent character"[Al-Qalam(the pen)].

Then the prophet explained that Allah likes noble character and hates the bad ones. Ali (may Allah be pleased by him) said: "It is a wonder when a Muslim needs something from another Muslim and he doesn't help. If he does not wish a reward or does not fear a punishment,

He should hurry to adopt noble manners because they are a sign of safety." Then a man said to Ali "Did you hear that from the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him)? Ali said: "yes, I did". Also when the captives of Taie were brought, one of the captives' women said: "Muhammad, if you want to release me and do not cause the Arab to gloat over my misfortune because I am the daughter of the master of my people. And my father always protected the scared things and released the captive and provided food to the hungry and extended greeting and satisfied the needs of people. I am the daughter of Hatem At Taie. The prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Indeed, these are the qualities of Muslims. If your father were a Muslim, we would ask Allah to have mercy upon him. Release this woman because of her father's noble character and indeed Allah likes noble character". Then Abo Barda ibn Neyar asked the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him): "Does Allah likes noble manners?" the prophet replied: "I swear by Allah, no one will enter the Garden except the ones who have good manners".[4]

[3] Musnad Ahmad 5/153, 158, 177, 228, 236.
[4] Ithaf As-Saddah Al Mutakeen

The religion of nobility:

Muaz ibn Gabl said that the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said: "Allah surrounded the Islam with noble manners and good deeds like: good association, kind act,

leniency, feeding the poor and greeting people, visit patients (Muslim or not, good or bad), follow the deceased to their final resting place, well acting towards neighbors (Muslim or not), respect the old, compliance with invitations, forgiveness and reconciliation between people, generosity and magnanimity, starting with greeting, suppression of anger and forgiveness for people and avoidance of everything that Allah has prohibited such as diversion and musical instruments, telling lies and niggardliness and alienation, deception and cunning and calumny, antagonism and severance of kinship ties, bad manners, pride and arrogance, extravagance, obscenity and malice and fore bonding, atrocity and oppression and aggression. Anas said: "He commanded us to every good deed and forbade us from every bad one". Al Ghazaly said "This Hadith is accurate". And this verse of Surat An-Nahl (The Bee) is enough: (Surely Allah command to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and malfeasance and iniquity) (An-Nahl) 90

The Great Civilization:

Muaz (may Allah be pleased with him) said: "the prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) recommended me to fear Allah and to be truthful and to keep promise and to give the trust to their owners to avoid dishonesty. He also advised me to consider my neighbors and to have mercy on orphans, also to be lenient and to extend greeting and to act well, and not to hope for living for a long (so one not delay good acting) and to adhere to my religion, also to understand the Quran and to love the afterlife and to fear of the Judgment Day. He forbade me from accusing a truthful of lying or cursing a sage or obeying a sinner or disobeying a just leader. He also forbade me from destroying a land or a tree or a building.

Muhammad the Most Honorable Messenger...!

By:The Honorable Sheikh: Omar Ad-Dib

Al-Azhar Deputy

Muhammad, the Messenger of Allah "may the blessings and peace of Allah be upon him" is the most honorable messenger. He has the highest status and the most exalted position because Allah is the One who educated him and refined him by the Ever Glorious Quran.

At all times, the prophet "May the blessings and peace of Allah be upon him" asked Allah in supplication to adorn him with politeness and high moral standards. Some of his prayers were "O Allah beautify my creation and my manners" [1] narrated by Aeisha (may Allah be pleased with her), and "O Allah keep me away from bad manners"[2]. Then Allah answered his prayers as He, the Almighty says: (And your Lord has said, "Invoke Me and I will respond to you".) (Surat Ghafir "The Forgiver" 60) and sent down to him the Quran and educated him, so his manners was as the same as the Quran.

Saeid ibn Hesham said: "I asked Aeisha (may Allah be pleased with her and with her father) about the prophet's manners". She said: "Did you read the Quran?" I said: "yes, I read the Quran". She said: "His manner (May the blessings and peace of Allah be upon him) was the Quran".

Some of the teachings of the Quran are:

(Take to clemency, and command benevolence, and veer away from the ignorant) (Al Araf "The Battlements" 199)

(Surely Allah commands to justice and fairness and bringing (charity) to a near kinsman, and He forbids obscenity and iniquity.) (An Nahl (The

[1] Ithaf As.Sadah Al Motakeen 7/91

[2] Al-Mustadrak by Al Hakem 1/522

Bee) 90), and His saying: (and (endure) patiently whatever may afflict you. Surely that is (an indication of true) resolve concerning His Commands) (Luqman (The Sage) 17) and His saying: (Yet be clement towards them and pardon; surely Allah loves the fair-doers) (Al Maidah) (The Table) 13). Also (and let them be clement and let them pardon. Do you not love that Allah should forgive you? And Allah in Ever-Forgiving, Ever-Merciful) An-Nur (The Light) 22). (Repel with that which is fairest; then, only then, he between whom and you there is enmity will be as if he were an intimate constant patron) (Fussilat (Expounded) 34).

(And (are) the repressors of (their) rage, and are the clement towards (their) follow-men; and Allah loves the fair-does) (Al-Imran) (The Household of Imran) 134.

(O you who have believed, avoid much surmise, surely some surmise is a vice. And do not spy on each other, nor backbite one another) (Al-Hujurat (The Apartments) 12).

When the disbelievers hurt the prophet, breaking his teeth and wounding his face, he (may the blessings and peace of Allah be upon him) wiped the blood and said: "How can those people prosper

while they covered their prophet's face with blood" Hence, Allah MostHigr sent down: (you have nothing to do concerning the command) [Al Imran (the Household of Imran): 128] in order to remind him about the tents of the Quran. These Quranic principles are numerous and the prophet is the first one intended by the Quranic principles. Then, from him, the light emits on all the creatures of Allah. Thus, Allah educated the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) by the Quran and educated the people by him. So, some of the prophet's utterance is "I was sent to complete noble traits", narrated by Al-Hakem and Al-Baihaqy and Ahmed.

Also the prophet (May the blessings and peace of Allah be upon him) urged people to adopt noble deeds. He said: "treat people with

All of the Pilgrims are united by the sentence of monotheism, "Allah is the only God and Mohammad is Allah's Messenger" and the holy verse:

{And adhere firmly to the Rope of Allah, altogether and do not be disunited}

[Al-Imran (The House hold of Imran): 103]

Intimacy among the Muslims increases in Hajj emphasizing their brotherhood and love. They consult, cooperate and advice each other in the matters that reform their lives to respond to the saying of Allah, Glory be to Him:

{And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility}

[Al-Ma'idah (The Table): 2]

Their meeting results in unifying them to get rid of the aspects of separation and to emphasize the unity of row and goal carrying out the saying of their Great Creator:

{And surely this nation of yours is one nation, and I am your Lord; so have piety towards me}

[Al-Mu'minun (The believers): 52]

Hajj is a universal Islamic conference in which the believers meet to discuss their affairs, issues and problems. They agree by pure intention and true resolution on the matter that brings benefits to Islam and the Muslims in life and religion.

The assemblage around the sacred Ka'aba increases their unity as their kind feelings meet. Also, they meet at the place of the descending of the revelation, the beginning of the Islamic message and Prophecy where the Prophet Mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) started his message and call for reforming the humanity. They decide together to liberate their homeland, being provided with loyalty, sacrifice and the will of struggle (Jihad) till gaining victory or martyrdom.

Undoubtedly, they should be assured that strong belief in Allah, practical adherence to His guidance and continuous resorting to Him are the way to esteem, sovereignty and liberation. Allah, Glory be to Him, says:

{Whosoever is willing to (gain) might, then to Allah belongs the might altogether. To Him the good wordings mount; and the righteous deeds, He raises it.}

[Fatir (The Creator): 10]

The Muslims should dedicate their souls to Allah and their religion, strengthen their spirits and cooperate, mseason for good enjoining to the truth and patience as it came in Al- Asr Surah.

The Unity of Word and Row are Expected from Hajj…!

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The ancestors of The prophet Ibrahim from his son Ismail are represented in the Islamic nation which obeys the orders of Allah when it is called to. The pure belief is revealed by the response of the Islamic nation to the call of Allah. What do you think about a journey stirred by love and longing and intended to get close to Allah.

To get the permission to approach this sacred place and to win the satisfaction of Allah, you should get rid of adornment of life, leave your desires, and dedicate yourself completely to Allah. Also, you should perform the ritual ablution to get rid of Uncleanliness and intend consecration preventing yourself from wearing the sewn clothes, being perfumed and sexual relations with women. Thus, you wear only wrapper and gown and perform the fifth Islamic pillar. Allah says,

{And it is (a duty) upon mankind towards Allah (to come) to the House on Pilgrimage, for whomsoever is able to make a way to it}

[Al Imran (The Household of Imran): 97]

Hajj is the last Islamic pillar legislated by Allah, Glory be to Him, in 9 A.H. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) performed the rituals of hajj on the Tenth year after the honorable Hijra (immigration) i.e. shortly before his death.

The reason may be – Allah is the only Knower- making hajj the last Islamic duty and one of the aspects of the unity of the rows and goals of Islamic nation after being reformed. Thus, it is mentioned in the Noble Qur'an about hajj:

{That they may witness (things) profitable to them}

[Al-Hajj (pilgrimage): 28]

The greatest benefit of Hajj most probably is the gathering of the Muslims around the Ka`aba to reveal in a practical way their unity, force and response to their Creator, Glory be to Him. Hajj reveals the adherence of millions of Muslims to the religion selected by Allah.

He is the One Who reconciled them creating among them sense of brotherhood.

Allah says:

{And remember the favor of Allah upon you as you were enemies, then He brought your hearts together, so you become brethren by His favor}

[Al-Imran (The House of Imran): 103]

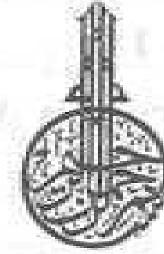
Hajj is the major religious duty that collects the Muslims from the east and the west, as they meet regardless of their color, language, the near and the far, the rich and the poor, and the ruler and the ruled. They get rid of the adornment of life leaving their desires, responding to the call of Allah and repeating the words that reveal response:

"O Allah, we respond to You, the only God. You are the Ever-Giver and Ever-Owner. You are the only God."

In Hajj, the Muslim reaches the Ka`aba with all of his senses after being directed to it only by his heart. Thus, he should be prepared to this honorable sacred place. Allah imposed performing hajj once in the whole life. There is nothing wrong about performing it more than once in a way to get closer to Allah, Glory be to Him.

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-Hejjah, 1428 A. H.



ENGLISH SECTION

Jan. 2008

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهرس السنوى لسنة ١٤٢٨هـ

المحرم

صـــــفر

ربيـــــع الأول

ربيـــع الآخــر

جمـــادى الأولـــى

جمادى الآخرة

رجب

شعبان

رمضان

شوال

ذو القعدة